ثمرات البستان وزهرات الاغصان

من كتب العصر ... محمد رفيع

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 855

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وقفي عبده

١٠٣

٩٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جامع لشتات
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
ومحيي الاموات ۞ ومزين اشجار البساتين بمحاسن الثمرات ۞
ولحاسن الزهرات ۞ الذي جعلها منابر للطيور الصادحات
يسبحن عليها بانواع من اللغات ۞ وتذكرة لمن كشف عن بصيرة
بانواع التجليات ۞ ليعلم انها من الفانيات لا من الباقيات لفناء
اوراقها وذبول ثمراتها اليانعات
وان عودها عودا الى ما كان عليه في الازمنة السابقات ۞
دليل على حيوتنا وبعثنا بعد الممات ۞ وان الله تعالى خلقها مثلا
لما اعده للمؤمنين في الآخرة من جنات معروشات وغير معروشات
وصلى الله على سيدنا محمد صاحب الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات
وعلى آله ذوي الرتب العليات ۞ وعلى اصحابه الذين شبههم
بالنجوم الزاهرات ۞ فمن اقتدى بهم اهتدى الى سبل الخيرات ۞
وعلى ازواجه امهات المؤمنين وسلم تسليما ۞ دائما الى يوم الدين
وبعد فيقول الفقير الى الله المنان ۞ ابرهيم بن يوسف بن
عبد الرحمن **شعر** اللاذقي ان اردت النسبا ۞ ومن الى
الانصار طورا نسبا ۞ الحلبي الحنفي مذهبا ۞ القادري
طورا اى تارة
خرقة ومشربا ۞ غفر الله له وللمسلمين ۞ وختم لي ولهم بخير
اجمعين **لما** اشتغلت بجمع المال المشؤم ۞ واشتعلت بنيران
ذات الوقود وسموم ۞ بعد اذ سلكت في تحصيل بعض العلوم طريقا
وملكت من تفصيل مجمل مسائله فريقا ۞ مال المال وذهب الذهب

وانقضت

وانقضت الفضة ۞ ولم احصل الا على التعب ۞ ووقعت من الدين
الشين في نار ذات لهب ۞ حتى انكر الناس حالي ۞ فعرفتهم بما جرى
بلسان قالي **شعر**

لا تنكروا حالي فانني امرؤ	تركت العلوم وحصلت الاموالا
لا كالمال مال وشره لي واصل	والعلم فارقني وعني زالا
ثم لما صرت شاربا لهذه الكوس	وسكرت من دردي خمرة الضر

البؤس الشدة معرب
والبؤس ۞ استصحبت بالحمد والاستغفار ۞ واستصحبت
الالتجاء الى جانب الكريم الستار ۞ واشتغلت ببعض الادعية
المنقولة من الآثار ۞ والمسندة الى القادة العلماء الاحبار
والسادة الصلحاء الاخيار ۞ وتسليت بمطالعة مجاميع الحكايات
الاخبار ۞ وكتب الادب ودواوين الاشعار ۞ واستخرجت
دررا لفوائد من بحار مصنفات العلماء ۞ وجمعت غرر الفرائد
جل الشيء معظمه
من كلام البلغاء والحكماء **وجمعت** من ذلك كله ۞ قله وجله
مجموعا عاريا عن الترتيب ۞ مجردا عن محاسن التبويب ۞ ونقلت
فيه من كتاب البستان للفقيه ابي الليث السمرقندي ۞ شيخ اهل
العرفان ۞ تغمده الله بالرحمة والرضوان **استخرت** الله وبوبت
ما جمعته على تبويب الفقيه ۞ ولم ارتبه على ترتيبه ۞ لما وقع فيه
لانه ليس ترتيب الفقيه والله اعلم ۞ لتأخير بعض الابواب ۞ عما
يلائمه مما تقدم ۞ فان اول ابواب الكتاب باب طلب العلم ثم
بعد عشرة ابواب منه باب الحث على طلب العلم متفرقا وآخر
الكتاب باب فضل المتعلمين ۞ وهذا الترتيب ليس من
شان المتعلمين ۞ وهذا الترتيب ليس من شان المؤلفين ۞
بل كان اللائق ان تكون الثلاثة متتابعة ليسهل على طالبها
بذلك المطالعة **وايضا** ففي الكتاب اربعة ابواب متوالية في
الايمان ۞ لم ترتب فيه على وجه الضبط والاتقان ۞ اذ اخر
منها ما يستحق التقديم ۞ وقدم ما يستحق التاخير عند اولي الفهم
فجعلت للايمان بابا واحدا لعلو شانه ۞ مشتملا على اربعة فصول
كل منها مثبت في مكانه ۞ كان كل فصل منها بابا في كتاب الفقيه
فرتبته على ما ستراه ان شاء الله تعالى فيه **ويحتمل** ان بعض
الطلاب ۞ بادر الى جمع هذا الكتاب من مسودات الفقيه بخطه
فاشتبه عليه بعض كلامه وضبطه ۞ فاخلص في تصحيحه
وترتيب ابوابه النيه ۞ فاخترمته المنيه ۞ قبل حصول الامنيه
ولهذا كانت نسخه في بعض الكلمات وفي بعض الحروف

والتركيبات وقد تيمنت فى اول كل باب بذكرنا انبته الفقيه من كلامه
المستطاب ورتما اذكر بعضا من ذلك لحصول زيادة اثبتها هنا ثم
ثم اتبعه بباقيه الى ان اقول انتهى ثم اكمله بما تيسر لى المنتهى بعد ان
اسوق شيئا شيئا من كلام اهل التفسير على بعض الآيات التى ذكرها بحسب
التيسير ولم اتعرض لتخريج احاديثه اعتمادا على ثقته فيما رواه ولكننى
انبه فى بعض الابواب على بعض اللغات وبعض اسماء الرواة وسميت
هذا المجموع ثمرات البستان وزهرات الاغصان فمن شاء اقتطف
من ثمراته ومن شاء استنشق من طيب عرف زهراته ومن شاء احسن
وتفضل وجمع بينهما وذلك هو الافضل وقد رتبته على مائة باب
مشتمله على ابواب البستان وخاتمة مشتمله على قسمين وخاتمه فى
التضرع الى الله المنان فالقسم الاول فيما يلحق ببعض الابواب والقسم
الثانى فيما له ببعضها علاقة والله الهادى للصواب والخاتمة
فى ادعية وخواص ومنافع ينتفع بها القارى والسامع والمطالع
راجيا من الله تعالى ان يصوننى من الخطا فيما جاد به الفكر وان يجعل
هذا الكتاب سببا لحصول الاجر وحسن الذكر وان يجعله لى ذخرا
ويعوضنى به خيرا فى الدنيا والاخرى وما احسن قول القايل

خير ذخر للنفس ما يكسب الاجر ... وازكاه ما به الذكر باقى
كالعمارات والتصانيف مما ... ينفع الخلق فى رضى الخلاق
ولعمرى ليس البناء على الارض ... كمثل البناء فى الاوراق
المغانى لا تستطيع انتقالا ... كالمطايا مربوطة فى وثاق
والمعانى مثل السحاب تهمى ... سايرات فى ساير الافاق

وانا اسال الله تعالى ان ييسر لى اتمامه وان يجعل بالخير والنفع ابتداوه
واختتامه وان يرزقنى والمسلمين المغفرة وان يوفى عنا
دينى الدنيا والاخرة وان يختم لنا بخير وان يجعل سيرنا فى الدنيا
احسن سير واطلب ممن يقراه فيه ان يدعو لنا بذلك وان يصلح
ما يراه من خلل هنالك فان الكتاب كالمكلف لا يرتفع عنه القلم
ولو كتبه من له فى العلم ارسخ قدم فكيف بمن بضاعته قليله
وفكرته من كثرة الهموم عليله واما ما قاله ابو عمرو بن العلا من ان
الانسان فى فسحة من عقله وفى سلامة من افواه الناس ما لم يضع
كتابا او يقل شعرا وما قاله العتابى انه من صنع كتابا فقد استشرف
للمدح والذم فان احسن فقد استهدف للحسد والغيبة وان اساء
فقد تعرض للشتم بكل لسان فذلك قول صحيح ونصح صريح ولكننى
رميت السلاح وسالت ممن يرى هذا الكتاب ان يصلح ما يستحق الاصلاح

الاولى بالعين المعجمة والثانية بالغين
بالجلد نحو لا اعتنت بالغوص الجنيا
ومعنى الكلام وقد قيل ان حذف
وذلك فى معنى الاول وجعلوا
كلام مع شاذ للعطف
والنقض فى الجزم كان بنا
احلى واحدها معنى ثنا
فى العطف

فان فعل

فان فعل ذلك فله الاجر والله يعوضه فى الآخرة بالعفو والغفر وان قال فى
حقى شيئا مما اكره فقد ابرات ذمته فليقل وليشر والله يحرسنى من
ربعد وهو سبحانه وتعالى يعلم المفسد من المصلح وقد نقلت فى هذا
الكتاب من كتب كثيرة ومولفات غزيرة اذكرها لك سردا وابينها
فردا فردا على التوالى من اول الابواب الى اخر الكتاب وهى تاريخ ابى الفضل بن
الشحنه المسمى بنزهة النواظر فى روض المناظر وتاريخ والده محب الدين
ابى الوليد المسمى بروضة المناظر فى علم الاوايل والاواخر ولباب التفاسير
لتاج القراء الكرمانى الحنفى والعجايب والغرايب له وقيل لبعض اقاربه
وعمدة الحفاظ للشهاب السمين الحلبى وشرح بديعية ابن حجة
الحموى الحنفى وصحاح الجوهرى ومطالع الانوار لابن قراقول باللام
وصحيح مسلم وصحيح البخارى وحاشية الشفا لتقى الشمنى الحنفى
وزاد المسير تفسير ابن الجوزى والمختصر للشيخ سعد الدين التفتازانى
وتاريخ ابن العديم كمال الدين المسمى والمغرب فى اللغة ونثر الدر
والذريعة فى الاعداد الواردة فى الشريعة للشيخ شمس الدين وقيل لابن
عمار وقيل شمس الدين الاقفهسى والمعونة فى الحساب لابن الهايم وشرح
كتاب الخوارزمى فى الحساب لابن الهايم وسناء الامارة والتفهيم
لاوايل صناعة التنجيم لابى الريحان البيرونى وتفسير البيضاوى
والسبعيات وجدول التيزينى الموقت ولمحة المختطف فى صناعة الخط
الصلف وشرحها وعيون الحقايق وايضاح الطرايق وكشف الاسرار
وهتك الاستار والطنطدره وديوان شعر الصفى الحلى والدرة الناصعة
فى كشف علوم الجفر والجامعه ورساله فى الحساب لقوام الدين الاتقانى
الحنفى المشهور باميركاتب وكتاب الازمنه والانواء ومثير الغرام
فى فضايل القدس والشام ورسالة فى دلايل القبلة لمحمد بن سراقة
العامرى وثمرات الاوراق لمولفه الشيخ تقى الدين ابى بكر بن حجة الحنفى الحموى
تلميذ ابن حجة والمصابيح وشرحه لزين العرب ومن بعض شروحه وعقلاء
المجانين للنيسابورى وحيوة الحيوان للدميرى واداب السياسة ونوادر
الاخبار للغزى وكرم الندما وندماء الكرما وعجايب المخلوقات للقزوينى
ونزهة الطالب فى اسرار الجواذب ليوسف بن التماح المغربى وربيع
الابرار للزمخشرى والذيل لابن قاضى شهبه والكامل لابن الاثير
وتاريخ الاسلام للذهبى ولقط الملح للدجاجى والفاخر بزيادة ابى جعفر
النحاس فى اللغة ومناهج الفكر والمعرب من الكلام الاعجمى لابى منصور
ابن موهوب الجواليقى ومصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام
عليه افضل الصلوة والسلام لمحمد بن موسى بن النعمان المزالى وديوان

والشعر

وعدتها مائة واربع
وثلاثون كتابا

يحيى الصرصري للضرير الحنبلي وبعض شروح الجغميني في الهيئة والارشاد
لمصالح الارواح والاجساد في الطب والاعلاق الخطيرة في تاريخ الشام
والجزيرة لابن شداد وتجارب الامم وشرح الشفا بتعريف حقوق
المصطفى صلى الله عليه وسلم للحافظ البرهان الحلبي ومصارع العشاق
والتنقيح للحنابلة والزهر النضر في نبأ الخضر وعن تفسير الازرقي
وعن الدرة السنية في اخبار الاسكندرية وشرح الكنز للزيلعي
وعن الاحياء للغزالي وعن الكشاف للزمخشري والاعلام في فضل الصلاة
والسلام على خير الانام والمنتخب لابن الجوزي والاشتقاق لابن دريد
والتاريخ المعتبر في انباء من غبر لقاضي القضاة مجير الدين الحنبلي
بالقدس الشريف والنهاية في غريب الحديث لابن الاثير والروض
الانف للسهيلي هو شرح على سيرة ابن هشام ومختصر السيرة للحافظ
مغلطاي الحنفي ومن تاريخ اسماعيل صاحب حماة وكنز الاسرار
وتاريخ مرآة الزمان وكرامات الاولياء لابي قاسم الطبري وجوامع
الكلم اربعون حديثا مرويات عن الاشراف والامثال السائرة لابي عروبة
وعن مسند الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وشرح الاندلسية
في العروض لولدي الشيخ رضي الدين الحنفي المسمى بالحدائق الانسية في
كشف حقائق الاندلسية وتاريخ ابن خلكان وحسن التوسل للشهاب
محمود بن فهد الحلبي وقصص الانبياء للكسائي وشرح الآثار للطحاوي
وشرح العقائد لسعد الدين التفتازاني وحاشية للشيخ كمال الدين
ابن ابي شريف المقدسي وعيون التواريخ ومدد الايام لابي العباس ومختصر
جدا في التاريخ من آدم عليه السلام الى علي رضي الله عنه ومنهاج السنة
تاليف   ومنظومة ابن الوردي في تعبير الرؤيا وكتاب الهند وهو كليلة
ودمنة والاستيعاب لابن عبد البر وتبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي لابن
الجوزي وتفسير الكواشي ومكفرات الذنوب للحافظ ابن حجر العسقلاني
وفنون المنون في الطاعون للشيخ جمال الدين يوسف بن عبد الهادي
المقدسي الحنبلي القاطن بدمشق كان المعروف في زمنه بابن المبرد
وبغية الطلب في تاريخ حلب للكمال ابن العديم وثمار القلوب للثعالبي
والضوء اللامع في اعيان القرن التاسع للحافظ السخاوي وصفوة الصفوة
والمجتنى لابن دريد والمنبهات   وجواهر الكلام من احاديث النبي عليه
الصلاة والسلام لشيخي الشيخ علاء الدين الدمشقي رحمه الله وآداب العالم
والمتعلم لبعض الحنفية والحكم والغايات وتهذيب الاسماء واللغات للنووي
رحمه الله تعالى ومرآة المعاني في بيان العالم الانساني للقاضي ركن الدين
السمرقندي والاذكياء لابن الجوزي وحلية الاولياء لابي نعيم رحمهما الله تعالى

وفتاوى

وفتاوى النوازل لابي الليث السمرقندي وكلستان الشيخ سعدي في الباب
الحادي والسبعين والمبهج والقاموس ومغني الفقه للحنابلة واحكام
الطبري والميزان للذهبي والهدي النبوي لابن قيم الجوزية وكتاب الفراسة
وجامع اللذة والكنز للنسفي والتحفة الملكية للقاضي نصر والتبيان
في آداب حملة القرآن للنووي والاذكار له والسكردان لابن ابي حجلة
واسد الغابة في اسماء الصحابة لابن الاثير وفضل الكلاب على كثير ممن
لبس الثياب وجامع الاصول في الحديث وبهجة المجالس لابي عمر بن عبد البر
والاوسط للطبراني وهذه ابواب الكتاب واسال الله تعالى التوفيق للصواب
الباب الاول في خلق السموات والارض والعرش والكرسي والماء والظلم
واللوح والقلم والدواة والشمس والقمر والبروج والنجوم وغير ذلك
وله ملحق فيه المفاخرة بين القلم والسيف وما يتعلق بصنعة الكتابة
من بري القلم والاحبار وغير ذلك وفيه استخراج المجهولات من الاعداد
والحروف والكلمات والاسماء وصورة الكعبة المشرفة ومعرفة القبلة
لكل بلدة وذكر الاقاليم السبعة وحدود الشام والدوائر الخطابية وشيء
مما يتعلق بالافلاك والبروج والكواكب واختيارات الاعمال على ساعات
الكواكب السبعة وعلى حلول القمر بمنازله الثمانية والعشرين **الباب
الثاني** في الكلام في المسخ من القردة والنسانيس وسهيل والزهرة
وقصتهما مع هاروت وماروت والسحر والنميمة وله ملحق فيه شيء يتعلق
بالسحر والعداوة والتباغض والحقد والضغينة وخبث النية وسرعة
اجوبة الاذكيا وغير ذلك **الباب الثالث** في صفة ما خلق الله تعالى من
الخلق من العوالم والامم ودوران العرش والبيت المعمور والعرش وسكنى الجن
ثم الملائكة في الارض قبل آدم وفيه شيء من عجائب البحر والظلمات
ومرآة آدم عليه السلام والمحبة والتباغض بين المزدوجات وذكر
ارم ذات العماد وعنقاء مغرب وذكر عجائب البلدان والعمائر وغير ذلك
وليس لهذا الباب ملحق **الباب الرابع** في الجراد واصله ومحل اكله ومضرته
وان في خلقته من خلقة عشرة من جبابرة الحيوان وغير ذلك ولا ملحق له
الباب الخامس في ذكر الايام والليالي واسمائهما وساعاتهما وفي الشهور
واسمائها وفي السنين العربية والسريانية والرومية والقبطية ومعرفة
اوائلها وما يتعلق بها من معرفة درجتي الشمس والقمر ومنازله وله ملحق
فيه اختيارات بعض الاعمال في بعض الايام وفي ايام الشهر العربي واوائل
السنين العربية والسنين السريانية ودلائل الشهور اليمانية واحوال
الهلال وزيادته ونقصانه ومنازله وفيه شيء من ذكر الازمنة والانواء
والاعياد والمواقيت وفرائد **الباب السادس** في ذكر الانبياء صلوات الله

وسلامه عليهم اجمعين ولبعضهم ملحقات لطيفة مشتملة على فوايد
ونكت وقصص وكل بابٍ له ملحق انبه على لحقه عند اسمه فى هذا الباب
الباب السابع فى شى من سيرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وفيه
ثمانية فصول الاول فى نسبه وله ملحق الثانى فى ابتداء امره من ولادته
الى مبعثه الثالث فى مبعثه الرابع فى الهجرة وفى ثلاث وما حصل له فى
سنى الهجرة الثالثة التى يورخ بها من الغزوات السادس فى وفاته
عليه الصلاة والسلام رفى بعض صفاته وبعض معجزاته السابع فيما
جرى من كلامه عليه الصلاة والسلام مجرى الامثال على السنة الناس
وله ملحق الثامن فيما قيل فى اشعاره وانشاد الشعر الباب الثامن
فيما قيل فى انشاد الشعر وله ملحق فيه الهجو والذم والعشق ومدح...
وذكر اخبار العشاق وشى من محاسن الاشعار والالغاز المنظومة
والمنثورة وشى من التصحيف نظما ونثرا الباب التاسع فى تفضيل
لسان العرب على غيره وانه لسان اهل الجنة فى الجنة وفيه كلام النبى
صلى الله عليه وسلم بالفارسية وتكلم الناس قبل دخولهم الجنة
بالسريانية وهل فى القرآن شى من الالسنة غير العربى وما قيل فى ذلك
الباب العاشر فى القرآن الكريم وفيه عشر فصول الاول فى قراءة النبى
صلى الله عليه وسلم على ابن ابى كعب رضى الله عنه الثانى فى فضل قراءة
القرآن والمتعلمين والمعلمين الثالث فى الحث على قراءة القرآن واخذ الاجر
على تعليمه وفى النقط والتعشير وقراءة المعلم جنبا الرابع فى تفسيره
الخامس فى تفسير السبع المثانى السادس فى حذف التسمية من سورة
براءة السابع فيما نزل منه بمكة والمدينة الثامن فى نزوله على سبعة احرف
التاسع فى نصفه واثلاثه وارباعه العاشر فى عدد سوره اجمالا واسماء
بعضها وفى اسماء آيها كلها نظما وفى اسماء آيها ضمن خطبة ولهذا الباب
ملحق به فوايد فى الفرق بين التاء والثاء وبين الدال والذال وبين
الضاد والظاء وفيه الوقف على كلا وفيه عدد المد وبيان الفرق
بين الحروف مثل الفرق بين الصاد والسين المهملتين وبين الغين
المعجمة والزاى وبين الطاء المهملة والتاء المثناة الفوقية وفيه
احكام النون الساكنة والتنوين وحروف الاظهار والاخفاء والاقلاب
وفيه معرفة المهموز من غير المهموز والمكسور والمفتوح والمقطوع والموصول
والتاء المثناة الفوقية والياء التحتية وذكر الحروف التى يظهر عندها لام
التعريف والتى تدغم اللام فيها وغير ذلك الباب الحادى عشر فيما قيل فى
خلق القرآن وعدمه وفيه فصل فيما يتعلق بالقدر الباب الثانى عشر
فيما يتعلق بالحديث الشريف النبوى على قايله افضل الصلاة والسلام وفيه

فصلان الاول فى روايته بالمعنى الثانى فى روايته والاجازة الباب
الثالث عشر فى ذكر الخلفاء الاربع والحسن رضى الله عنهم وبعض ما نقل
من اقوالهم ووصاياهم وما وقع فى ايام ابى بكر الصديق رضى الله عنه
من حديث السقيفة وارتداد العرب ودعوى سجاح التميمية ومسيلمة
الكذاب وطليحة ابن خويلد الاسدى النبوة وما وقع ايام عمر رضى الله عنه
من وفود الشعراء عليه وقصة جبلة بن الايهم الغسانى وفتح بيت
المقدس وغيره وبعض مناقبه ووفاته وما وقع فى ايام عثمان رضى الله عنه
وجمعه القرآن ومقتله وبعض مناقبه والفتوحات فى ايامه وما وقع فى
ايام على رضى الله عنه من وقعة الجمل ووقعة صفين وذكر مقتله
وما وقع للحسن رضى الله عنه من خلع نفسه من الخلافة وتسليمها
الى معاوية وذكر بعض كلامه ومناقبه ووفاته ثم ذكر التاريخ من آدم
عليه السلام الى على بن ابى طالب كرم الله وجهه على وجه الاختصار
ولهذا الباب ملحق فيه قتل على رضى الله عنه الخوارج صالحا وحبيبا
واصحابهما وفيه حربهم مع الحجاج وفيه تاريخ ذو فوايد به الدولة
الاموية من معاوية الى آخرهم والدولة العباسية ببغداد والدولة
الفاطمية بمصر ثم عود الدولة العباسية بمصر الى انقراض دولة الجراكسة
من مصر وفيه فصل فيه شى من التاريخ والوقايع وبعض اسماء مفردة
الباب الرابع عشر فى القول فى الصحابة رضى الله عنهم وفيه اربعة فصول
الاول فى الرفض والزندقة ووجه تسميتهما بذلك وصورة تحليف الرافضى
الثانى فى رؤية الله تعالى وفيه العقيدة التى اولها يقول العبد فى بدء
الامالى الثالث فى اسماء الجنان واسماء النيران وعدد ابواب ذلك
والحور الرابع فى السخا والجود وله ملحق فيه ما يتعلق بالبخل والبخيل
والمطل وشتم اللئيم والتسويف والفجور والوقار الباب الخامس
عشر فى الفوايد وفيه نقد الجميل والمنع الجميل والمطل وذكر ذى الفقار
واغماد السيف ومحو الرزق والاجل والزيادة فيهما الباب السادس
عشر فى الايمان وفيه اربعة فصول الاول فى تعريفه وحده الثانى
فى كونه مخلوقا او غير مخلوق الثالث فى زيادته ونقصانه الرابع فى
الاستثناء منه وفيه ما يتعلق بصلة القرابة والرحم والدين والعبادة
والشكر والاحسان والمعروف والتوبة والاخلاص والتقوى والزهد
والورع والعفاف واصلاح ذات البين والخمول والعزلة وعلو الهمة
والجهاد والصدقة والعزة والكبر والحياء والخجل الباب السابع عشر
فى العصا وفضلها الباب الثامن عشر فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
وفيه فصل فى الغيرة الباب التاسع عشر فى العلم والادب وفيه سبع

الاول في طلب العلم وفيه المعرفة بالله الثاني في كتابته الثالث في اخذه
عن الثقات الرابع في اداب المتعلم الخامس في المناظرة في العلم والجدل
السادس في الحث على طلب العلم وتفضيل الفقه على غيره وفيه شي من
شمايل الصالحين واداابهم واوصافهم ولهذا الفصل ملحق فيه شي
من اخبار الصالحين ومحبي الله تعالى وعشاقهم العفيفين خوفا من
الله تعالى السابع في معاريض الكلام وله ملحق فيه مسايل شريفه
وفوايد لطيفه والغاز غريبه من كل علم من العلوم المتداولة الباب
العشرون في اختلاف العلماء في المسايل والاجتهاد فيها الباب الحادي
والعشرون في صلوة الرجل في رحله عند المطر الباب الثاني والعشرون
في التسليم وفيه فصلان الاول في التسليم على اهل الذمة الثاني في التسليم
عند دخول البيت الباب الرابع والعشرون في معاملة اهل الكفر وفيه
فصل في اطفال المشركين الباب الخامس والعشرون في البكاء على الميت
وفيه شي من الصبر الباب السادس والعشرون في التعزية وفيه شي
من المراثي الباب السابع والعشرون في عذاب الميت ببكاء اهله عليه
وفيه الاطعام عن الميت سبعة ايام الباب الثامن والعشرون في الهدية
والمكافاة عليها بالمال وبالدعاء وبالثناء والفرق بينها وبين العطية
الباب التاسع والعشرون في قتل النمل الباب الثلاثون في النظر في بيت
غيره الباب الحادي والثلاثون فيما قيل في المزاح وفيه انه سنة الباب
الثاني والثلاثون في دخول الرجل على اهله ليلا الباب الثالث والثلاثون
في الفتوى الباب الرابع والثلاثون فيمن يصلح للفتوى الباب الخامس
والثلاثون في القضاء وفيه فصل في اداب القاضي الباب السادس
والثلاثون في اباحة مجلس العظة وفيه فصلان الاول في الخطب
والثاني في اداب المذكرين وله ملحق في مجالس وعظيه الباب السابع
والثلاثون في اطاعة الوالي وفيه التجسس والسعاية والعدل والغدر
والمكر والمكيدة والخديعة والحيل وذم البغي والطغيان وصفة
الامام العادل وله ملحق يشتمل على فصول اربعة الاول في الوزراء
وفيه المشورة والنصيحة الثاني في الحجاب بكسر الحاء المهملة والحجاب
بضمها الثالث في العمال الرابع في الندماء وفيه ما يتعلق بالثقلاء الباب
الثامن والثلاثون في التشفع الباب التاسع والثلاثون في الاخذ
من الامراء والسلطان الباب الاربعون في المسابقة بالخيل والابل
ومسابقة بني آدم وفيه ذكر الشجاعة وشي من لوازمها وذكر الجبن
والانفة وشرف النفس والحلم والفرق بينه وبين العجز وشي مما يتعلق
بالحرب والسلاح والخيل وقصة بغلة الوهراني وحمارة شرف الدين

البوصيري الباب الحادي والاربعون فيما قيل في الخاتم الباب الثالث والاربعون
في نقش الخاتم الباب الرابع والاربعون في الرسالة ووجوب رد سلام
كتاب الغايب كرد سلام الحاضر الباب الخامس والاربعون في الاداب
وفيه اثني عشر فصلا الاول في الوضوء والصلاة ومعنى الوضوء
الثاني في الحفظة الثالث في النوم الرابع في الرؤيا الصالحة وحسن
العبارة الخامس في جواز عبارة الرؤيا والفال والتفاول والفراسة
السادس في الاكل السابع في تقديم العشا بفتح العين على العشاء
بكسرها الثامن في الشرب التاسع في فضل اليمنى في الشرب وغيره
العاشر في اجابة الدعوة الحادي عشر في اداب الزاير والمزور وفيه
ترجيح الزيادة على الجوار بكسر الجيم الثاني عشر في استعمال الخلال الباب
السادس والاربعون في اكرام اهل الشرف والفضل وفيه ذكر
الحزم والعجز وسوء الظن والحذر الباب السابع والاربعون في مداراة
الناس وفيه متعلق بالاستشارة ومعنى الملاحاة والفرق بين المداراة
والمداهنة الباب الثامن والاربعون في حسن المعاشرة ومعرفة الحقوق
وفيه كرم النفس وكرم الاعراق وكرم الاخلاق والخلق العظيم وحسن
الثنا وكتمان السر وشروط الصحبة الباب التاسع والاربعون
في زيارة الاخوان والاصحاب والاصدقاء وفيه شي يتعلق بالاخوان
والاصحاب والاصدقاء والاعتذار والصفح والفرق بينه وبين العفو
والحلم الباب الخمسون في الخروج من المنزل الباب الحادي والخمسون
في الكسب وتركه والعمل والعطلة والتوكل والرضا والسفر وذمه
والكسل والتواني والعجز والغربة والترفيق الباب الثاني والخمسون
في البيع والشراء وفيه انظار المعسر والحط عنه بمهملتين الباب
الثالث والخمسون في الاستدانة الباب الرابع والخمسون في الرفق
والتواضع من غير ذل الباب الخامس والخمسون في الدنيا وزوالها
عن المومن وفي الشره والعجب وكعرنيه والوان العسل وما قيل في
الزمان الباب السادس والخمسون في تفضيل الفقر على الغنى وذكر
القناعة والحاكة والحرص والشح والشره والقناعة والعفة وفيه
ما قيل في الامل الباب السابع والخمسون فيما قيل في المروة والفتوة والدناءة
والكذب والصدق والوفا والوعد والعهد والغدر والغيبة وجواز
في اماكن ومدح الانسان نفسه الباب الثامن والخمسون في الجمال
وفيه الكبر والعجب والتجبر والزينة والاسراف الباب التاسع والخمسون
فيما يستحب من اللباس وفيه ذكر لباس البياض والتكفين منه وان
احسن الالوان الخضرة وترك زي العجم والفتوة والفتيان الباب الستون

زها

فيما يجوز من الثياب وما لا يجوز وتفسير الديباج والابريسم والاستبرق
الباب الحادي والستون في افتراش الديباج العلم في الثوب الباب الثاني
والستون في افتراش الديباج الباب الثالث والستون في لبس الحمرة
الباب الرابع والستون في جلود السباع الباب الخامس والستون
فيما يستحب من الاسماء الباب السادس والستون فيما قيل في العقل
والجهل والتثبت والاناة والعجلة والفرصة والجهل والراي ودلايل
العاقل وسن العقل وعلامة عقل المولود الباب السابع والستون
في حد الكلام وفيه علامة الجهل وشتم الدواب والصمت الباب الثامن
والستون في كلام الحكماء منها عشرة اشياء قبيحة من عشرة اصناف
والتفكر والغفلة والكفاف وستة كلمات للامام علي رضي الله عنه لم
يسبق اليها في الجاهلية والاسلام والكفالة واربعة الافراط فيها
هلاك والمزاح واضيع الاشياء عشرة وما راس العقل وما راس الجهل
والعاقل من تمسك بثلاث والحكمة ومخالفة النفس وعلامة حساستها
الباب التاسع والستون في الرقى والتداوي وجوازه وعدمه وفيه نفع
لبان البقر الباب السبعون في الطب وما يتعلق به وهو باب واسع
وله ملحق ذو فوايد الباب الحادي والسبعون في طبايع الانسان وفيه
معرفة سن الاحتلام وانتهاء الطول والعقل والقلب والذكر والنساء
والسر والضحك والبكاء وتغير الطباع وفيه مثل على لسان الوحوش
لحفظ اللسان الباب الثاني والسبعون في الاطعمة التي فيها الدوا
وما قيل في العجوة وفيه فصل فيه فوايد منها نعم الادام الخل والزيت
وفي البطيخ عشر خصال وفي التين عشر خصال وفي الزيتون اربع
خصال وفصل في اكل اللحم وانه سيد الطعام والنهي عن تقطيعه
وفيه يتعلق بالغيبة بالغين المعجمة مكسورة الباب الثالث والسبعون
في قلة الاكل وفيه ذكر السرف وصفة الجلوس للاكل وما يتعلق بالجوع
الباب الرابع والسبعون في الامتناع عما يضر البدن والدماغ وفيه
لا يشرب الماء في خمسة مواضع وفيه شدة السرور اسرع بالهلاك
من شدة الحزن وفيه ما يتعلق بالهم والغم وفوايد كثيرة الباب
الخامس والسبعون في مباكرة الغدا الباب السادس والسبعون
في الحجامة والفصد وما يتعلق بهما الباب السابع والسبعون في
الجماع ونفعه وضرره الباب الثامن والسبعون في دخول الحمام
ومنافعه ومضاره وطبايعه وتفصيل المياه التي يغتسل بها
وطبايعها الباب التاسع والسبعون في النكاح افرض هو ام سنة
وصفة المراة التي تنكح وفيه ان المراة لا تصبر على الجماع اكثر من ستة

موالمن

اشهر

اشهر الباب الثمانون فيمن يصلح من الازواج ومن الزوجات ومن لا يصلح
منهما وفيه مدح النساء وذمهن والنهي عن مصافحتهن وطبايع نساء
البلاد ودلايل صفاتهن الظاهرة على صفات باطنة الباب الحادي
والثمانون في العزل عن الزوجه الباب الثاني والثمانون في تزويج
الزانية وما يتعلق بالزنا الباب الثالث والثمانون في ضرب الدف
في العرس وغيره وفيه ما قيل في بالدف وغيره الباب الرابع والثمانون
في نثر السكر في العرس الباب الخامس والثمانون في قبلة الولد الصغير
وغيره والمعانقه والمكامعة وفيه الرحمة والشفقه والمودة
والقساوة وانتخاب الاولاد وحقوق الوالد على الولد وحقوق الولد
على الوالد وما قيل في البنات من مدح وذم الباب السادس والثمانون
في المراة التي لها زوجان الباب السابع والثمانون فيما يكره من الكلام
من اماكن ومن النظر ومن الاستماع ومن الضحك ومن الهموم واتخاذ
الانية من الفضة او الذهب الباب الثامن والثمانون في السهر بعد العشا
وفيه فصل في كراهة صلوة الرجل وهو ناعس الباب التاسع والثمانون
فيما يكره في الخلاء وفيه فصل في كراهة البول في حال القيام الباب
التسعون في اكل الفالوذج واللين من الطعام وفيه فصل في اكل الثوم
الباب الحادي والتسعون في الحرس الباب الثاني والتسعون في خصا
الحيوان وسمة البهايم الباب الثالث والتسعون في النهي عن اقتناء
الكلب وفي انواعه وما قيل فيه وما يعرض له من الداء المسمى الكلب
وذكر حباب الكلب وقلعة حلب وعين الذهب وله ملحق فيه ذكر قلعة
حلب وآثارها الباب الرابع والتسعون في البناء والعمارة وفي ذم
ذلك ومدحه الباب الخامس والتسعون في نقش المسجد وفيه فصل
في كراهة البصاق فيه وذكر الكنيسة والبيعة الباب السادس والتسعون
في النهي عن التصاوير الباب السابع والتسعون في النهي عن التعرض
للتهمة الباب الثامن والتسعون في كراهية الوحدة وفيه الافتراق
والاجتماع والجماعة الباب التاسع والتسعون في بعض مكروهات لم
يذكرها الفقيه وفي آخره فصل في الشطرنج وكراهة اللعب به وسبب
وضعه وغير ذلك الباب المائة في علامات الساعة واشراطها وهو
خاتمة الابواب وفيه ذكر جزيرة العرب بالعين المهملة وحدودها وبعد
اشراط الساعة الملاحم وغير ذلك مما وقع في الاحاديث ثم اتبع ذلك بشي
من الملاحم المشهورة بين الناس وبشي مما يتعلق بالجفر بالملحق بهذا الباب
لئلا يكون هذا الكتاب خاليا من شي من ذلك والله اسال حسن الخاتمة
لي ولجميع المسلمين بمنه وكرمه انه القادر على كل شي والحمد لله وحده

يقدأن أن ابتدى بذكر الابواب والله أسأل التوفيق للصواب والمعونة
على اتمامه انه تعالى كريم وهاب **الباب الاول** في خلق السموات
والارض والعرش والكرسى والماء والظلمة واللوح والقلم والدواة
والشمس والقمر والبروج والنجوم وغير ذلك **قال الفقيه** رحمه الله تعالى
اول ما خلق الله تعالى القلم فكتب ما هو كاين الى يوم القيمة **وقال**
الفقير عفى الله عنه في ابتداء المخلوقات خلاف كثير واقوال والتوفيق
بينها ان كل ما قيل انه اول فهو اول باعتبار ما خلق بعده على ما يأتي بيانه
وقال جدي لامي قاضي القضاة محب الدين ابو الفضل ابن الشحنة في
تاريخه نزهة النواظر في روض المناظر بعد ان ذكر حديث عمران بن حصين
الذي من مضمونه كان الله ولم يكن شي قبله وكان عرشه على الماء ان
الراجح ان اول شي خلقه الله تعالى اللوح ثم القلم ثم الدواة في قول
سعيد بن جبير وفي حديث ان اول ما خلق الله القلم في قول عبادة بن
الصامت وحملوا حديث عبادة على ان القلم اول المخلوقات من العوالم
المخلوقة بعد العرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما برواية السدي عنه
ان الله تعالى خلق الماء قبل العرش وقيل اول ما خلق الله اللوح والقلم
والدواة وقال ابن جرير وقد قيل ان الذي خلق ربنا عز وجل بعد القلم
الكرسي ثم العرش ثم الهواء ثم الظلمة ثم الماء ووضع عرشه على الماء
وقال وقيل خلق الله اللوح والقلم وكتب فيه ما هو كاين الى يوم القيمة
ثم خلق درة بيضاء ثم نظر اليها فاضطربت من هيبته حتى صارت
ماء فاختلط بعضها في بعض فكل شي يفتر عن التسبيح الا الماء فانه
ابدا في تسبيح وتسبيحه اضطرابه **وسياتي** بالباب   ان صياح
كل شي تسبيحه الا الحمار فانه يصيح لروية الشيطان وجعله عرشه على
الماء ثم خلق كرسيه وسياتي بالباب الثالث ذكر العرش **وقال** تاج القرا
الكرماني الحنفي في تفسيره المسمى بلباب التفاسير روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اول شي خلقه الله القلم ثم خلق النور وهي الدواة
ثم قال له اكتب ما هو كاين الى يوم القيمة ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا
ينطق الى يوم القيمة واقسم الله تعالى بالقلم الذي كتب به الذكر اي القرآن
فانه من اسمائه لقوله تعالى في سورة الحجر انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقيل اقسم برب القلم وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض وذهب
ابن بحر الى انه القلم الذي يكتب به من قوله تعالى في سورة العلق علم بالقلم
وهو اليراعة المبرية وهي هنا القصبة **وقال الشهاب** السمين الحلبي في
عمدة الحفاظ قيل اثنى ربه الحي بما انعم به على الانسان من نعمة الكتابة
وذلك لما احتوت عليه من الفوايد العزيزة التي لا تدخل تحت الوصف من

كونها

كونها تجعل الغاير اي الماضي في السنين مولفة كالمشاهد والبعيد المسافة
كالمشرق والمغرب كالمجاور على اختلاف اوضاع الامم لها واصطلاحاتها
وقيل اشار سبحانه وتعالى الى علم القدرة وفي الحديث صلى الله عليه وسلم
كان ياخذ الوحي عن جبريل وجبريل عن ميكاييل وميكاييل عن اسرافيل
واسرافيل عن اللوح واللوح عن القلم وهذا ان ثبت فالمراد به سر
الاهي والقلم ما يكتب به وسمي بذلك لانه قلم اي قص وقطع فعل بمعنى
مفعول كالنقص بمعنى منقوص واصل القلم القص من الشي الصلب
كقلم الاظفار انتهى **وروى** عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول
ما كتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم فاذا كتبتم كتابا فاكتبوها اوله
وهي مفتاح كل كتاب انزل **واما** كتابتها في اول الشعر فقد وجدت على بعض
الكتب ما صورته فايدة اتفقت الامة على جواز كتب بسم الله
الرحمن الرحيم في اول كل كتاب من كتب العلم والرسايل فاما كتابتها امام
الشعر فروي عن الشعبي انه قال اجمعوا على ان لا يكتب امام الشعر
وكذلك قال الزهري وذهب الى كتابتها امام الشعر سعيد بن جبير
وتابعه على ذلك اكثر المتاخرين قال ابو بكر الخطيب وهو الذي نختاره
ونستحبه انتهى **واول** من خط بالقلم ادريس عليه السلام **وقيل** في وصفه
انه قيم الحكم تستدر به الارزاق ويسطر كلام الخالق ويعقل شوارد
الحكم والعلوم ويضبط المنثور والمنظوم يستدني النايي ويفهم
الواعي ويصف الشوق والوجد ويعبر عن الشكر والحمد ويسوس الدول
والممالك ويحصد شوكة الطاغي الفاتك ويصون الدين والحريم
وينصف الخصم من الغريم وبه تصان الاسرار وتذاع وتومن القلوب
وتراع اذا بري راسه يرى واذا شق سعى يخضب من غير شيب ويقط
راسه فيزول عنه العيب وهو خطيب الدول وراوية الاول والمعبر عن
عقايد الملل منابره اكف الكتاب والوزراء وانامل الخلفاء والامراء وهو
يراعة في راحة وحية رقطاء في اخرى طعنته لا تبرى وكسرة لا يجبر
وضربته لا تلتحم وفرقته لا تلتئم ان انال موّل وان اغار دخول والاقلام
نبال الكتاب الصايبة وسيوفهم الضاربة وصناعتهم الظريفة
واسلحتهم الخفيفة **وقد** شرفه الله تعالى اذ اقسم به فقال ن والقلم
وما يسطرون وقال سبحانه علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم **وقال** رضي
الله عنه عليكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق يعني الخط بالقلم **وهو**
والسيف حاكمان جليلان في جميع الاشيا ولولاهما ما قامت الدنيا وقيل
السيف تحت القلم **وقيل** في معنى ذلك ٭ ما راينا ضربة من فارس ٭
بحسام برأت قط قلم ٭ بل راينا مشقة من قلم ٭ في سجل نكست الف علم ٭

اى تظهر

وقال ابن الرومي ان يخدم القلم السيف الذي خضعت　　له الرقاب
ودانت خوفه الأمم　　فالسيف كالموت لا شيء يغالبه
ما زال تبيع ما يجري به القلم وذكر ابن حجة في شرح بديعيته بيتا ثالثا لبيتي
ابن الرومي هو كذا قضى الله في الاقلام اذ بريت　　ان السيوف لها مذ
ارهفت خدم ثم قال وقد خالف المتنبي في ذلك وظلم　　اذ جعل المجد
للسيف لا للقلم فقال حتى رجعت واقلامي قوآيل لي　　المجد للسيف
ليس المجد للقلم ولبعضهم ملغزا في القلم وارقش مرهوب الشداة مهفهف
بشتت شمل الخطب وهو جميع　　تدين له الافاق شرقا ومغربا
وتعنو له املاكها وتطيع　　حمى الملك مفطوما كما كان تحتمي
به الاسد في الغابات وهو رضيع يعني في البيت الثالث ان القصب اذا
فطم من شرب الماء بالقطع عملت منه الرماح تحمي بها الملك كما كانت الاسد
تحتمي به وهو قايم بالغابات والارقش في البيت الاول المنقش بسواد
والبياض والمرهوب المخوف والشداه بالشين المعجمة المضمومة اوله
وهاء في آخره الشغل يقال شده الرجل اي شغل والمعنى ان العلم مخوف
اذا اشتغل بالكتابة لئلا يكتب بما يضر ومما الغز فيه قول بعضهم
وذي نحول راكع ساجد　　رب خشوع دمعه جاري
يلازم الخمس باوقاتها　　منعكفا في خدمة الباري
ولبعضهم ملغزا فيه
حاجيتك يا خنساء في بيت من الشعر
وفيما طوله شبر وقد يرقى على السبر
له في راسه شق نطوف ماؤه يجري
ابين لم اقل هجرا ورب البيت والحجر　　وهذا اللغز من
مجزو بحر الهزج الذي اصله مفاعيلن ست مرات ولكن وقع في الجزو
الاول من البيت الاول الكف وهو حذف السابع ثم الخرم وهو حذف
الاول فصار وزن حاجيت من حاجيتك فاعيل والهجر بضم الهاء
وسكون الجيم الفحش ذكر في مطالع الانوار وهذا اللغز ذكره الجوهري
في الصحاح في باب المعتل في مادة دعا من الادعية مثل الاحجية
والالغاز من الاحاجي وذكر فيه لغزا في السيف وهو
اداعيك ما مستصحبات مع السرى　　حسان وما آثارها بحسان
وسياتي شيء مما يتعلق بالسيف في الباب الحادي والاربعين وقد عملت
رسالة في المفاخرة بين السيف والقلم اذكرها ان شاء الله تعالى في خاتمة
الكتاب في الملحق في هذا الباب ثم قال الفقيه ثم خلق الله السمكة
فكبس الارض عليها ويقال قبل ان يخلق الله تعالى الارض كان موضع

الارض

الارض كله ماء فاجتمع الزبد في موضع الكعبة فصارت ربوة حمراء
كهيئة التل وكان ذلك يوم الاحد ثم ارتفع بخار الماء كهيئة الدخان
حتى انتهى الى موضع السماء فجعله الله تعالى درة خضراء وخلق منها السماء
فلما كان يوم الاثنين خلق الشمس والقمر والنجوم ثم بسط الارض تحت
الربوة فذلك قوله تعالى في سورة　　وهو الذي خلق الارض في يومين
وقال في سورة النازعات أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها
فسواها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحاها خلق
يوم الثلاثاء دواب البحر والبر والطير وفجر يوم الاربعاء الانهار وسجر
البحار اي ملاها وحبسها لئلا تغرق الارض وانبت الاشجار وقسم
الارزاق وقدر الاقوات في اربعة ايام قال تعالى في سورة فصلت وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ولما كانت الارض تميد
اي تضطرب على الماء فخلق فيها الجبال الثوابت وجعلها اوتادا للارض
فاستقرت وخلق يوم الخميس الجنة والنار ثم خلق آدم عليه السلام
يوم الجمعة انتهى اقول قال الدميري وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي وقال خلق الله تعالى
التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر فيها يوم
الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء قال
جدتي لامي وروي مكان النور النون بنونين اي الحوت وبث الدواب
فيها يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر ساعة من
ساعات الجمعة فيما بين العصر الى المغرب انتهى وهذه الرواية مما يدفع بها
قول اليهود لعنهم الله تعالى انه تعالى استراح يوم السبت من التعب
مع انه تعالى قال في سورة ق ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي تعب وقال تعالى في سورة الاحقاف
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر
على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير قال السمين اصل الاعياء عجز يلحق
البدن من المشي ويعي بالامر ضاق به وقال الشاعر عيوا بامرهم كما
عيت ببيضتها الحمامه وقال ابن الجوزي انما سمي السبت سبتا لان الله
تعالى ابتدا الخلق فيه وقطع فيه بعض خلق الارض والسبت القطع
وسياتي ايضاح ذلك بالباب الخامس وقال اعني ابن الجوزي خلق الارض
اسبق وهو قول مجاهد وقال مقاتل خلق السماء اسبق واختلفوا في كيفية
تكميل خلق الارض وما فيها فقال ابن عباس رضي الله عنه بدا بخلق الارض
في يومين ثم خلق السموات في يومين ثم دحا الارض وثبتها بالجبال
وقدر فيها اقواتها في يومين وقال الحسن ومجاهد جمع خلق الارض وما

فيها فى اربعة ايام متوالية ثم خلق السماء فى يومين انتهى واما السمكة التى
كبس الله الارض عليها فقد قال تاج القراء فى سورة لقمان فى قوله تعالى
فتكن فى صخرة ان الله تعالى خلق الارض على حوت وهو النون المذكور فى
القرآن والحوت فى الماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك
على الصخرة التى ذكرها لقمان وقال فى تفسير قوله تعالى ن والقلم ان
لابن عباس رضى الله عنهما فى ن ثلاثة اقوال الثانى منها ان المراد من
ن الحوت الذى دحيت الارض عليه وجاء ذلك مرفوعا قال مقاتل والكلبى
اسم الحوت بهموت وقال الواقدى ليوتا وعن على رضى الله عنه ان اسمه
بلهوت وعنه فى بعض رجزه مالى اراكم كلكم سكوتا والله ربى
خالق البلهوتا وسيأتى شى من احوال السمك بالباب الثالث
والثالث اللايق بالقلم قال التاج وسمعت الثقات يقولون ان اصحاب
البحر يستخرجون من بعض الحيتان شيئا اسود كاشد سوادا منه
يكتبون به فيكون النون وهو الحوت عبارة عن الدواة ويقويه الحديث
المذكور عند خلق القلم انتهى انقس بكسر النون الذى يكتب به اى الحبر
يقال نقس دواته بتشديد القاف تنقيسا قاله الجوهرى فى
الصحاح وقيل فى مدح الدواة انها من انفع الادوات وهى للكتابة
او الكاتب عتاد بفتح العين المهملة اى آلة وللخاطر زناد ومما يكتب
عليها حلفت من يكتب بى بالواحد الفرد الصمد لا يمد مدة
بقطع رزق لاحد ولابن الوردى فى انقلاب الحبر على الثوب قوله

انقلب الحبر على ثوبك فابشر بالارب
فخبر كل كاتب ربح اذا هو انقلب

وللشيخ جمال الدين بن نباتة المصرى ما يكتب على المرمله

عملت للجوهر جودا قلامه ربيع ومنطقه بارع
اذا طلع الخط رملته فيا حبذا الرمل والطالع

وسيأتى بالملحق بهذا الباب صفة عمل الاحبار وتعلقاتها ولكننى
اذكر هنا احسن نسخ الحبر الاسود وصفته خذ من الدخان جزءا
ومثله زاجا ومثلهما عفصا ومثل الجميع صمغا عربيا ومن الماء مثل
المجموع مرتين ونصف حل الصمغ فى الماء على النار او بلا نار حلا جيدا
ثم ضع الحوايج بعضها على بعض بعد سحق ما يمكن سحقه وضع عليها
الصمغ المحلول قليلا قليلا وانت تخلط الجميع بالسحق خلطا جيدا
فى هاون ثم صفه وقد تم ويحصل من هذه النسخة من الحبر بوزن
الحوايج غير الماء مرتان وان وضعت من الصمغ بقدر ربع بقية الحوايج
مرة واحدة وربع مرة كان احسن وان وضعته بقدرها مرة واحدة

وثلث

وثلث مرة اعنى اربعة اجزاء وثلث جزء يكون اشد سوادا ولمعانا وهو
اصل النسخة ولكن يقل جريانه يسيرا ويصلحه الكاتب بالماء اولا باول
عند الكتابة واذا زدت صمغها على ما ذكرته فلا تزد الماء على ما ذكرته
لك اصلا وقد عمل ابن حبيب فى كتابه نسيم الصبا فصلا لطيفا فى الكتابة
والآتها فقال الكتابة اشرف الوظايف والمناصب وارفع المنازل
والمراتب وابلج صناعه وارج بضاعه قطب دايرة الاداب
وصدر اسرار ذوى الالباب ورسول صادق ولسان بالحق ناطق
تلحق خبر الحاضر بالغائب واليها تنتهى الآمال والرغايب بها تتم
النعمة وتفصل شذور الحكمة تبرز ابرز البلاغة وتصوغ لجين
الكلام احسن صياغه الشذور جمع شذرة وهى القطعة اسماء انواع
الكتابة وتشبيه الحروف لطف حواشى رقاعها محقق وجدولها المسلسل
على الريحان يتدفق قد علت بصحة الوضع والتركيب وحلت بما حكت
من اعضاء الحبيب فاللام والالف كعذاره وقده والجيم كصدغه
المعقرب على خده والصاد والنون كعينه وحاجبيه والميم كفمه
الثانى عن رايد ورده بجانبه شعر

لا تعدعن فن الكتابة انه مغنى الفتى ومفاتح الارزاق
واخش البراعة وارجها فهى التى عرفت بنفث السم والدرياق

والكتاب عماد الملك واركانه وعيون المبصرة واعوانه وبهم الدول
ونظامها ورؤس الرياسة وقوامها ملابسهم فاخرة ومحاسنهم
باهره وشمايلهم لطيفه ونفوسهم شريفه مدار الحل والعقد
عليهم ومرجع التصرف والتدبير اليهم يهدون الى الاسماع انواع
البديع ويتنزهون الاحداق فى حدايق التوشيح والترشيع هم اهل
البراعة واللسن وشيمتهم لف القبيح ونشر الحسن يميلون القلوب
بموجب المدح يميلون الى القول بموجب المدح فى وصف الاقلام بايديهم
اقلام تختلس بلفظها الاحلام صافية الجواهر ناهية الازاهر
لينة الاعطاف ناعمة الاطراف تبكى وهى متبسمة وتسكت وهى
يطرب السمع متكلمة قد اعتدل قدودها واشرقت فى سماء البراعة
سعودها تجتهد فى خدمة البارى وتبدى من دررها ما يفضح
الدرارى تميس فى وشى برادها وتشرح الصدر بعذوبة ايرادها
نشأت على شطوط الانهار وتعلمت اللحن من اعراب الاطيار طويلة
الانابيب تسلب القلوب بحسن الاساليب تدهش الناظر
وتخجل العامل ولا ترضى بامتطاء غير الانامل الشجاعة كامنة فى
مهجتها والفصاحة جارية على لهجتها اذ قالت لا تترك مقالا

لقابل وان صالت رجعت السيوف مستترة باذيال الحمايل سجدت
للطرس فرفعت الى اعلى الرتب وجلت وشببت فلاغرواذا اسميت
بالقصب شعر قلم يفل الجيش وهو عرمرم والبيض ما سلت من الاغماد
وهبت له الاجام حين تشابها عزم السيول وصولة الآساد
في وصف الدواة تكرع من دوي حالكة الحياض منشرقة الارواح
والرياض جنية الاثمار مطعمة الاشجار ريقها رايق ونيل نيلها
دافق تكشف غطاها عن معنى انيق وتفتح فاها بكسر العدو وجبر الصديق
تحتز على اولادها طول المدى ثم تعقد روسهن ولا ذنب لهن تجد
المدى ترشد بنورجالها وتنشد بلسان حالها شعر
ان السعادة حيث كنت مقيمة والبحر جار والندى عنى يروى
كم من عليل قاصد ابراته فانا الدواء حقيقة وانا الدواء
في وصف الورق لله اطراسها التي اضاءت بمدادها واشبهت
عيون العين ببياضها وسوادها وانطوت المحاسن تحت رق منشورها
وصدحت حمايم البلاغة على اغصان سطورها وصحايف تنوب
عن الصفايح وقراطيس تزف الى الاسماع عرايس القرايح البسها الحبر
اثوابا من الحبر ودبجها صواب الفكر لا صوب المطر كم حازت من در
منظوم وعلم علم بوشي المعاني مرقوم وفقر تفتقر اليها اجياد الحسان
وعزر كلم تذهب العقول بسحرها وان من البيان شعر

كتاب في سرايره سرور مناجيه من الاحزان ناجي
كراح في زجاج بل كروح سرت في جسم معتدل المزاج

فاجتهد اعزك الله في طلابها واحرص على الدخول في زمرة اربابها
وتمسك باذيال بنيها تجد جوادا او نبيلا او نبيها وحسبهم شرفا
ان الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين ووصف الكتبة بالحفظ والكرم
فقال ان عليكم لحافظين كراما كاتبين انتهى وقال عبد الحميد في وصف
الكتبة لو كان الوحي ينزل على احد بعد الانبياء لنزل على بلغاء الكتبة
وذكر البلاغة فقال هي ما رضيته الخاصة وفهمته العامة اقول
وهذا بيان البلاغة في الكلام دون المتكلم قال الشيخ جلال الدين
القزويني خطيب دمشق بعد ما قال الفصاحة يوصف بها المفرد
والكلام والمتكلم قال والبلاغة يوصف بها الاخيران فقط قال الشيخ
سعد الدين في المختصر اي الكلام والمتكلم دون المفرد اذ لم يسمع كلمة
بليغة ثم ان الخطيب بعد انتهائه من الفصاحة قال والبلاغة
في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وفي المتكلم ملكة يقتدر
بها على تاليف كلام بليغ فعلم ان كل بليغ فصيح ولا عكس وان البلاغة

جمع حبرة كعنبه برد يمان

اي الشعرا

مرجعها الى الاحتراز عن الخطا في تادية المعنى المراد والى تمييز الفصيح
من غيره انتهى ومن اراد تفصيل ذلك فعليه بالمطول والمختصر للعلامة
الشيخ سعد الدين التفتازاني وقد وصف الله تعالى كلامه العظيم بالبلاغة
والفصاحة فقال تعالى في سورة النسا وقل لهم في انفسهم قولا بليغا
وقال تعالى في سورة طه حاكيا عن موسى عليه السلام واخي هارون
هو افصح مني لسانا فارسله معي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سال
النبي صلى الله عليه وسلم فيم الجمال فقال في اللسان ومن كلام عبد الحميد
خير الكلام ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا ومنه ما لم يسمع بمثله في الجمع بين
الشكر والاستزادة حسنا ووجازة ما كتب به الى يحيى بن خالد وهو

متى تصل العطاش الى ارتواء اذا استقت البحار من الركايا
وهل تبنى الاصاغر عن الاكابر وقد جلس الاكابر في الزوايا
اذا استوت الاسافل والاعالي فقد طابت منادمة المنايا

وقال احمد بن سليمان احسن الكلام ما لا تمجه الآذان ولا تتعب
فيه الاذهان وقيل ابلغ الكلام ما قل ودل ولم يمل وقيل البلغة ما
حسن ايجازه وقل مجازه وكثر اعجازه وناسبت صدوره اعجازه
وقال معاوية لصحار العبدي بضم الصاد المهملة ما تعدون البلاغة
فيكم قال الايجاز قال وما الايجاز قال ان تجيب فلا تبطي وتقول فلا
تخطي وسال يوما من افصح الناس فقام رجل من جرم وجرم من فصحاء
الناس فقال قوم تباعدوا عن فراتية العراق وتيامنوا عن كشكشة
تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية
حمير فقال معاوية من هم قال قومي الفراتية لغة اهل الفرات نهر الكوفة
والكشكشة بالشين المعجمة لغة تميم في الريف على ما فيه كاف الخطاب للمونث
بعد الحاقها بها نحو اكرمتكش والكسكسة بالمهملة لغة بكر في الوقف على
ذلك ايضا بزيادة السين المهملة نحو اكرمتكس والطمطمانية ان يكون
الكلام مشبها بكلام العجم وجرم بفتح الجيم وسكون المهملة قبيلة من
قضاعة بضم القاف وبكر الباء وبفتح الموحدة وسكون الكاف قبيلة
والطمطمانية بضم الطائين المهملتين وميمين بكسر المهملة وسكون الميم
وفتح الياء آخر الحروف قبيلة ولا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يتم لفظه
معناه ومعناه لفظه فلا يكون لفظه الى سمعك باسرع من معناه الى قلبك
والبليغ من تجنب الاعراب في الاعراب وترك التوعر والتقعير في الخطاب
ومما حكاه السبكي في معيد النعم ومبيد النقم عن المتقعرين ان الاصمعي
ذكر ان رجلا منحوجا جاء الى صاحب الشرطة وهو اسم مكان الشرط وهم
الذين جعلوا لهم علامة يعرفون بها انهم رجال الحاكم الواحد شرطة وشرطي

نشكى ان امرأة شجه فامر باحضاره فلما حضر سئل فانكر فقال المشجوج
لى اعرابى بالسوق يشهد فلما حضر الاعرابى قال بينا انا على كوذن
يضهرزنى اذ مررت بوصيد دار فاذا انا بهذا الاحيشب يدع هذا
دعا متراسفا فعلاه بمنساته فتهقهر ثم بدره بمثلها فقطره ثم
ادبر وبراسه جديع يبنح بجيعا على كتده فقال صاحب الشرطة للشاكى
شجنى واعفنى من سماع شهادة هذا الاعرابى قال فالكوذن البرذون
يحصل عليه الاكاف ويضهرزنى يحركنى والوصيد الباب والاحيشب
تصغير الاحشب وهو الغليظ والدع الدفع والمنساة العصاة
وتهقهر رجع القهقرى وقطره القاه على احد قطريه وهما جانباه والبخ
الصب والبجيع الدم قال فى الصحاح هو الدم ما كان الى السواد وقال
الاصمعى هو دم الجوف خاصة والكتد بفتح التاء المثناة الفوقية وكسرها
ما بين الكاهل الى الظهر بعد مغرز العنق ومن حكايات المتقعرين
وهم المتشدقون فى الكلام ما ذكره الصاحب كمال الدين بن العديم فى
تاريخ حلب قال روى القاضى ابو على السرخسى الحنفى حكاية قال حدثنى
ابو القاسم بن الحسين بن السميدع الانطاكى قال كان عندنا بانطاكية
عامل من قبل امير حلب وكان له كاتب احمق نغرق فى البحر شلنديان من
مراكب المسلمين التى يقصدون الروم فكتب الكاتب عن صاحبه الى الامير
بحلب بسم الله الرحمن الرحيم اعلم الامير اعزه الله تعالى ان شلنديين
اعنى مركبين صفقا اى غرقا من خب البحر اى من شدة موجه فهلك من
فيها اى تلفوا فاجابه امير حلب ورد كتابك اى وصل وفهمناه اى قراناه
فادب كاتبك اى صفعه فانه مائق اى احمق والسلام اى انقضى الكتاب
لغة الحكاية شلنديان منسوبان الى شلندى الملك الذى كان ياخذ كل
سفينة غصبا وتفسر صفقا بغرقا لان الصفق الضرب الذى يسمع
له صوت يعنى انهما اصطدما بحيث ظهر صوتهما بانكسارهما فغرقا
وتحت البحر اضطرابه والمائق قال الجوهرى هو الاحمق كما ذكر رجع الى ما
يتعلق بالبلاغة والبليغ من اذا ارمى هدف البلاغة اصاب واذا
استدر سحاب الصواب صاب اى نزل وقيل الايغال فى البلاغة معجزة
والخروج عن كلام اهل الزمان هجنة اى قبيح وقيل البلاغة اخذ معان
كثيرة واداوها بالفاظ قليلة واخذ معان قليلة واداوها بالفاظ كثيرة
ويقال فلان ابلغ من سحبان وافصح من معد بن عدنان والسن من لسان
ابن الحمرة واخطب من قس بن ساعدة وانطق من زيد بن جندب
ولقيط بن معبد وعذرة قال الشاعر يصف رجالا

كقس عكاظ ولقيط بن معبد وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

وادرب من حد السنان لسانه وامضى من السيف الحسام المشطب

ووصى ابرويز كاتبه فقال انما جماع الكلام كله فى اربع الاول سوالك
الشى الثانى سوالك عن الشى الثالث امرك بالشى الرابع خبرك بالشى
فهذه دعايم المقالات ان التمس لها خامس لم يوجد وان نقص منها واحد
لم تتم فاذا سالت اى طلبت فاسجح واذا سالت عن الشى فاوضح واذا
امرت فاشفق واذا اخبرت فحقق فانك ان فعلت ذلك اخذت خزاين
القول كلها ثم قال له واثبت فى دواوينك ما ادخلت واحصن فيها
ما اخرجت وتيقظ لما تعطى وتجرد لما تاخذ ولا يغلبنك النسيان
عن الاحصاء ولا الاناء عن التقدم ولا تخرجن قيراطا فى غير حق
ولا تعظمن اخراج الكثير فيه وليكن ذلك كله عن موامرتى قال
فى الصحاح اذا سالت فاسجح بمهملة ثم جيم مكسورة ثم مهملة اى سهل
الفاظك وارفق والاناء بفتح اوله التاخر وقد مدح الله ملايكته
الكتبه فقال كراما كاتبين وقال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى حكاية
عن يوسف عليه السلام اجعلنى على خزاين الارض انى حفيظ عليم
قال معناه ولنى على كنوز الارض انى كاتب حاسب وقال حكيم لبنيه
تزينوا بزى الكتاب فان فيهم ادب الملوك وتواضع السوقه قال
فى المغرب السوقه خلاف الملك تاجرا كان او غيره ويقع على الواحد
والاثنين والجمع انتهى ويفهم من هذا ان لكل الناس الدخول الى
السوق للبيع والشرا سوى الملك فانه ليس له ذلك والكتاب خمسه
كاتب خراج وكاتب احكام وكاتب معونة وكاتب جيش وكاتب رسايل
وهو المنشى وهو كاتب الديوان اخص بالملك والفرق بينهما ان
صناعة الانشاء ارفع وصناعة الحساب انفع وقلم المكاتبه خاطب
وقلم المحاسبة حاطب والمنشى جهينة الاخبار وحقيبة الاسرار
ونجى العظماء وكبير الندما وقلمه لسان الدوله وفارس الجوله ولقمان
الحكمة وترجمان الهمه وهو البشير والنذير والشفيع والسفير به
تستخلص الصياصى وتملك النواصى وينقاد العاصى ويستدنى القاصى
وصاحبه برى من التبعات آمن كيد السعاة وسياتى شى مما يتعلق
بالرسايل فى الباب الرابع والاربعين ومن الكتبه المستوفى الذى هو يد
السلطان وقطب الديوان وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال وعليه
المدار فى الدخل والخرج واليه المآب فى السلم والهرج على ان يراع الانشاء
متقول ويراع الحساب متاول والمحاسب مناقش والمنشى ابو براقش
ولكل منهما حمه حين يرقى الى ادليغى وبرقى واعنات فيما ينشا حتى
يغشى ويرشى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم فى كتاب نثر الدر

ان اعرابيا وصف الكتاب وقد دخل الديوان فرآهم فقال اخلاق حلوة
وشمايل معشوقة ووقار اهل العلم وظرفا اهل الفهم فان سبكتهم
وجدتهم كالزبد يذهب جفاء انتهى زبد الماء والبعير والفضة وغيرها
رغوته التي على وجهه والجفاء ما نفاه السيل لا فايدة فيه ومعنى يذهب
جفاء في الآية يعنى يذهب باطلا والمعنى ان صفات الكتاب الظاهرة
حسنة فاذا اختبرتهم رايتهم بخلاف ذلك وسمى الكاتب بالفارسية
ديوانا اى له ذكاء ان جمع المعانى بالقلب والحروف بالقلم وقيل انما سمى
موضع الكتاب والحساب ديوانا لان الكتاب بالفارسية ديوان اى
شياطين لحذقهم بالامور ولطفهم فسمى موضعهم باسمهم ووصى
ابرويز ملك الفرس كاتبه بوصايا تنفع الكتبة منها اكتم السر واصدق
الحديث واجتهد في النصيحة واحترس بالحذر فان لك على ان لا اعجل بك
حتى استبين ولا اقبل عليك حتى استيقن ولا اطيع فيك احدا فيغتالك اى
يقتلك من حيث لم تدر يعنى خديعة قال وقارب الناس مجاملة عن نفسك
وباعد الناس مسامحة من عدوك صن نفسك صون الدرة الصافية
واخلصها اخلاص الفضة البيضا وعاتبها معاتبة الحذر المشفق وحصنها
تحصين المدينة المنيعة هذب امورك ثم القنى بها واحكم لسانك ثم راجعنى
به ولا تجترى على فامتعض ولا تنقبض عنى فاتهم ولا تلبس كلاما بكلام
ولا تباعد معنى عن معنى واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول اللغة
جهينة قبيلة مشهورة بمعرفة الاخبار وفي المثل وعند جهينة الخبر اليقين
وحقيبة الاسرار اى جامعها يقال احتقب فلان الذنب اى جمعه والصياصى
الحصون والسعاة جمع ساع يقال سعى به الى الوالى اذا وشى به ليغرمه
المال والقسطاط بضم القاف وكسرها القسطاس وهو العدل وجعل اسما للميزان
وهو المراد هنا والمهيمن الشاهد الصادق وابو براقش طاير يتلون الوانا
ومنه برقشت الشئ اذا انقشته بالوان شتى يعنى المنشى ينقش الطروس
بانواع من الالفاظ والمعانى والحمة بضم المهملة اوله وميم مفتوحة مخففة
يقال الحمة للعقرب اى سمها وضرها واغتاله قتله خديعة والمشفق
الخايف وامتعض من معضت بمهملة مكسورة وضاد معجمة اذا غضبت واما
خلق السموات والارض وما يتعلق بذلك فقد قال الله تعالى في سورة البقرة
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في
البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
لآيات لقوم يعقلون وقال تعالى في آخر آل عمران ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما

وقعودا

وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار المعنى ان السموات سقف مرفوعة
بلا عمد فيها نجوم سيارات على مقدار لا يختلف ونجوم ثوابت لا تزول
وفيها الشمس والقمر اللذان لا تخفى منافعهما بعد ما جرب وعلم صحة ذلك
من طبايعهما والارض قرار للخليقة فيها من العجايب ما لا ياتى عليه العد
والحصر ومما قيل في السماء والنجوم كان سماءنا والشهب فيها لطلها
واصغرها لاكبرها يزاحم بساط زمرد نثرت عليه دنانير تخالف
وقد ذكر الله تعالى السموات قبل الارض لشرفها عليها بالافلاك والاملاك
والعرش والكرسى ونزول القرآن منها وعروج النبى صلى الله عليه وسلم
الى اعلا طبقاتها وغيره ذلك مع انها خلقت بعد الارض بدليل قوله تعالى
في سورة حم فصلت قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون
له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى
دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين فقضاهن
سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح
وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وقوله تعالى هو الذى خلق لكم ما في
الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات اى بعد ان خلق
الارض استوى الى السماء اى قصد الى بنائها وقال ابن عباس رضى الله عنهما
صعد امره وقال المفضل قصد وعلا فاقبل وافاد قوله تعالى ثم استوى
الى السماء انه تعالى لم يخلق بعد الارض وما فيها الا السماء قاله تاج القراء
وقال في كتابه العجايب والغرايب جمع السموات لانها سبع طباق وعلم ذلك
بدلايل قطعيه ووحد الارض لاتصال بعضها ببعض في الطول والعرض
وقدم السماء لشرفها وقيل لانها خلقت قبل الارض وقال الشيخ شمس الدين
ابن العماد الاقفهسى في بعض كتابه الذريعة في الاعداد الواردة في الشريعة
ان اكثر اهل العلم على ان الارض افضل من السماء لمواطى اقدام النبى صلى الله
عليه وسلم وولادته واقامته ودفنه فيها ولان الانبياء عليهم السلام
خلقوا منها وعبدوا الله فيها ولان السموات تطوى وتلقى في جهنم والارض
تصير خبزة ياكلها اهل المحشر ولم يتكلموا في ان اى الارضين افضل وينبغى
ان تكون هذه افضل من اللواتى تحتها لما ذكرنا ولا في السموات ايها افضل
ويحتمل ان تكون الاولى افضل لان الله تعالى خصها بالذكر في قوله تعالى
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الآية ولانها قبلة الداعين قال تعالى
قد نرى تقلب وجهك في السماء فكما فضلت الارض بحلوله صلى الله عليه
وسلم فيها كذلك تفضل السماء الاولى بتقلب نظره فيها اقول وينقض

هذا بانه بانه تعالى زين غيرها من السموات بالملائكة والعرش والكرسي
وبعيسى وادريس وارواح الانبياء عليهم الصلوة والسلام كما ذكر في المعراج
واما تقلب نظره صلى الله عليه وسلم من ظاهرها فقد تقلب نظره فيما
فوقها ليلة المعراج والله اعلم واما قوله تعالى أأنتم اشد خلقا ام السماء
بنيها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها فلا يدل على خلقها بعد السماء
لان الدحي البسط يعني بعد ان خلقها ربوة او كرة بسطها وكذلك قوله تعالى
ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات لا يدل على ان الله خلقها بعد
الارض لدلالة قوله تعالى في اية حم فصلت المتقدمة وهي قوله تعالى
ثم استوى الى السماء وهي دخان ثم قال تعالى بعدها فقضيهن سبع سموات
في يومين فتقديم الارض على السموات وتقديم السموات على الارض انما هو
باعتبار دحي الارض وتسوية الدخان سبع سموات وقال تعالى في سورة
الرعد وهو الذي مد الارض قال تاج القراء بسطها طولا وعرضا لتثبت
عليها اقدام الخلق والاية حجة لمن قال الارض بسيط على من قال كرى وقال
في تفسير سورة الحجرات انها انبسطت من تحت الكعبة وعن الحسن انه
قال اخذ الله طينة فقال لها انبسطي فانبسطت والجمهور على ان الله
مدها على وجه الماء واما قوله تعالى في سورة هود وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام فالمراد خلقهما وما فيهما وما
بينهما في ستة ايام قال ابن عباس رضي الله عنهما من ايام الاخرة
وقال الحسن من ايام الدنيا قال جدي ابو الفضل في تاريخه وعليه
الجمهور واختار الاول طائفة من المتاخرين وقال تاج القراء في
قوله تعالى في سورة طه له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
وما تحت الثرى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الارضين على ظهر
النون والنون على بحر وراسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر
على صخرة خضراء خضرة السماء منها والصخرة على قرن ثور والثور
على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله تعالى والثرى التراب الندي
وقال جدي في التاريخ المذكور وفي مستدرك الحاكم من حديث ابن
عباس ان اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خلق
السموات والارض فقال خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال
يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن
والعمران والخراب فهذه اربعة ايام قال تعالى ائنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين الى قوله سواء للسائلين وخلق يوم الخميس السماء
وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات
بقين منه فخلق في اول ساعة منها الاجال حين يموت من مات وفي الثانية

التي

التي الافة على كل شيء ينتفع به الناس وفي الثالثة ادم واسكنه الجنة
وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في ساعة ثم قالت اليهود ثم
ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت ان اتممت فقلت
ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزلت
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا
من لغوب فاصبر على ما يقولون قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد
واما الشمس والقمر فاقول وجه تسمية الشمس بها ياتي عند ذكر تقسيم
الكواكب الى علوية وسفلية ووجه تسمية القمر به ياتي في الباب
الخامس عند ذكر تسمية بالهلال وبالبدر قال الله تعالى وجعلنا سراجا
اي الشمس وهاجا اي نيرا متلالئا وقادا وقال في سورة بني اسرائيل
وجعلنا الليل والنهار ايتين اي علامتين على وحدانيته تعالى ثم
قال فمحونا اية الليل قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين
جزءا ونور القمر سبعين جزءا فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها
مع نور الشمس فالشمس على مائة وتسعة وثلاثين جزءا والقمر على جزء واحد
وذكر المفسرون ان ابن الكواء سال عليا رضي الله عنه عن اللطخة
التي في القمر فقال ذلك اية الليل التي محيت وقال قتادة محو اية الليل
السواد الذي فيه وقال ابن كثير الايتان ظلمة الليل وضوء النهار وتقدير
وجعلنا الليل والنهار ذوي ايتين ثم فصل فقال فمحونا اية الليل اي
لم نجعل للقمر نورا لان القمر شعاع الشمس ينعكس عن جرم الشمس الى ما يقابله
من الارض واراد بالمحو نقصان ضوء القمر وقيل لانه يطلع صغيرا ثم ينمي
ثم ينقص حتى يستتر قال في الصحاح نمى المال ينمي نماء وربما قالوا ينمو نموا
واستتاره يسمى سررا وسرارا قال الجوهري سرر الشهر اخر ليلة منه وكذا
سراره وهو مشتق من قولهم استسر القمر اي خفي ليلة السرار فربما كان ليلة
وربما كان ليلتين فائدة غسيل الثوب الكتان في السرار يبليه سريعا وكذا
عند اجتماع النيرين اعني الشمس والقمر وهو من الخامس والعشرين الى
الثلاثين وفي ذلك يقول وجيه الدين ابن حمدان

ترى الثياب من الكتان يلمحها ۞ نور من البدر احيانا فيبليها
فكيف ينكر ان تبلى غلائله ۞ والبدر في كل وقت طالع فيها

وفي المعنى كيف لا تبلى غلائله وهو بدر وهو كتان تنبيه اراد بالبدر
في نظمها القمر لان البدر لا يكون في ايام الاجتماع والسرار لانه مختص بليلة
الرابع عشر والقمر اعم منه ومن الهلال كما ياتي بيانه في الباب الخامس
وقال ابن سينا في ارجوزته الطويلة التي اولها بدات بسم الله في نظم الحسن
اذكر ما جربت في طول الزمن قال لا تغسلن ثيابك الكتانا ۞ ولا تقصد فيها

كذا حيتانا

عند اجتماع النيرين تبلى　　　وفي السرار فاتخذه اصلا
وهو يبلى الكتان بالخاصية دايما اذا غسل ونشر في ضوئه الا ان تاثيره
في الاجتماع والسرار اقوى ولهذا يحصل في الثياب الجدد من الكتان تقطع
لانها ربما غسلت في وقت الاجتماع والسرار او نقع كتانها فيهما والله اعلم
رجع الى تمام الآية ثم قال تعالى آية النهار مبصرة فيها ثلاثة اقوال الاول
اي مضيئة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب بالقمر
وكل شيء فصلناه تفصيلا اي بينا في القرآن ما تحتاجون اليه وقال
ابن عباس رضي الله عنهما كان في الزمن الاول لا يعرف الليل من النهار
فبعث الله جبريل فمسح القمر بجناحه فذهب ضوءه وبقي علامة جناحه
وهو السواد الذي في القمر وقال تعالى في سورة يس والشمس تجري لمستقر
لها ذلك تقدير العزيز العليم قال تاج القراء في المستقر ثلاثة اقوال
احدها لانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة والثاني
مستقرها تحت العرش وقد جاء مرفوعا وهو اذا بلغت كبد السماء
ووسط الفلك نصف النهار صارت كان لها استقرارا والعرب تقول
اذا هناك وقفة ما وابطاء عن الزوال قال الشاعر

تسموا الى كبد السماء كانها　　　تبغي هناك دفاع امر معضل
حتى اذا بلغت الى حيث انتهت　　　وقفت كوقفة سايل عن منزل
ثم انثنت تبغي الحدور كانها　　　طير اشق مخافة من اجدل

والاجدل الصقر والثالث ما قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الشمس تطلع
في كل سنة من ثلاثماية كوة وستين كوة كل يوم من كوة ولا تعود الى تلك
الكوة الى ذلك اليوم من العام المقبل الكوة بضم الكاف ثقب البيت وهو
الخرق النافذ وجمعه كوى بضم الكاف والقصر والكوة بفتح الكاف جمعاء
وجمعها كواء بكسر الكاف ممدودا ومقصورا وزاد الحسن البصري هذا بيانا
فقال ان للشمس ثلاثماية وستين مطلعا تنزل كل يوم مطلعا منها ثم لا
تنزل له الى الحول فلا استقرار على هذا ثباتها في منازلها غير متحولة عنها فهي مستقرها
وان كانت جارية فيها غير ساكنة وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها
في السماء في الصيف ونهاية هبوطها الى السماء وعن ابن مسعود رضي الله عنه
لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف بل هي جارية ابدا انتهى وقال تعالى
في سورة يونس هو الذي اي الله الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء ويجوز
ان يكون ضياء جمع ضوء كما سياتي والقمر نورا اي مستضاء به في الليالي
وقدره منازل اي قدرهما والتقدير جعل الشمس ضياء وقدرها منازل وجعل
القمر نورا فقدره منازل على ما سبق ويجوز ان يعود الضمير الى القمر
فحسب وخصه بالذكر لمعان احدها ان احكام الشرع منوطة به والثاني

لسرعة سيره فانه يقطع الفلك في ثمانية وعشرين ليلة والثالث ان
منازله تدرك بالعيان وكذلك الزيادة والنقصان ومعنى قدره منا
قدره يسير منازل فهي ظرف للسير وقيل قدر له منازل لتعلموا
عدد السنين والحساب وفي كتاب الغرايب والعجايب لتاج القراء
قال الغريب تنزل ذات الشمس منزلة الضياء لكثرته منها العجيب
ضياء جمع ضوء والضياء والنور قريبان في المعنى لكن الضياء ابلغ
في ازالة الظلمة لقوله تعالى كلما اضاء لهم مشوا فيه وقوله تعالى
اضاءت حوله وقوله والقمر نورا اي ذا نور والنور ما يرى ويرى به
والضمير في قوله تعالى وقدره منازل يعود الى القمر وخصت به لان
منازله مرئية معه بالليل بخلاف الشمس العجيب قدره منازل اي جعل
ذاته زايدا مرة وناقصا اخرى وتاما ثما وعلى هذا يكون الضمير للقمر
وحده وقوله تعالى لتعلموا عدد السنين وريدا السنين والشهور
والاسابيع والايام لاشتمال السنين عليها كلها وقوله تعالى والحساب
اي العلامات مثلا لو استاجر احد ارضا خالية من الزرع مدة سنتين
مشتملتين على مغلين ثم زرعت فيكون مغل السنة الاولى هو المدرك
قسمه في السنة الثانية للاولى ومغل السنة الثانية هو المدرك
قسمه في السنة التي تليها هذا ان تحولت سنة الى سنة بسبب
التجانس ودوران السنين وذلك التحويل يكون عند مضي ثلاث وثلاثين
سنة وثلث سنة واذا لم تحول السنة الى التي بعدها فيكون مغلها
الذي زرع وحصد فيها وقد رايت في بعض الاوراق ان التحويل كان
في سنة سبعين وثمانماية ثم وقع التحويل في سنة ثلاث وتسعماية
ثم في سنة ست وثلاثين وتسعماية والله اعلم وهذا الحساب غير علم
الحساب الذي يحتاج اليه في استخراج اوايل السنين والشهور من الزيجات
وفي معرفة مقدار ما تستحقه الورثة وضبط الزكوات والاسعار وغير
ذلك مما هو مفصل في كتبه وهو علم شريف وقد عرفه الشيخ شهاب الدين
احمد الشهير بابن الهايم رحمه الله تعالى في كتابه المعونة انه علم باصول
يتوصل بها الى استخراج المجهولات العددية كما اذا قيل مال نصفه
وربعه خمسة عشر كم يكون فالقاعدة فيه ان تزيد على الخمسة عشر
ثلثها وهو خمسة فيكون المال عشرين وكذا لو قيل نصفه وربعه ثمانية
وربع زد على ذلك ثلثه وهو اثنان ونصف وربع فيكون المال احد عشر
وسياتي ذكر في الملحق بهذا الباب شيئا من استخراج الاعداد المضمرة
والحروف المضمرة والاسماء المضمرة واخراج الخاتم ولكنني اذكر هنا انموذجا
من ذلك فنقول استخراج الاعداد المضمرة كما لو اضمر احد عددا صحيحا اي لا

لاكسر فيه فمره ان يزيد على ما معه مثل نصفه وسله عن الكسر فان ذكر
كسرًا فمره ان يكمله وخذ انت واحدًا وان لم يذكر كسرا فلا تاخذ شيئا ثم
مره بان يزيد على المبلغين نصفهما وسله عن الكسر فان ذكر كسرًا
فمره بان يكمله وخذ لهذا الكسر اثنين وان لم يذكر كسرًا فلا تاخذ شيئا ثم
مره ان يطرح ما اجتمع معه تسعة تسعة ابدًا وخذ انت لكل مرة اربعة
وزده على ما معك ان كان معك شي الى ان يقول لا يمكنني اسقاط تسعة
فما اجتمع معك فهو المال واذا اردت ان تعرف ما بقي معه بعد الاسقاط
فان كان ذكر الكسر في المرة الاولى دون الثانية مثل ان يكون قد اضمر
خمسة فالباقي معه ثلاثة وان كان بالعكس مثل ان يكون قد اضمر عشرة
فالباقي خمسة وان ذكر فيهما كسرًا مثل ان يكون قد اضمر سبعة فالباقي معه
ثمانية وان لم يكن يذكر كسرا اصلا كما لو اضمر اربعة فلم يبق معه شي وهذه
من مسائل الجبر والمقابلة ويستخرج الخاتم من بين الجماعة بهذا الطريق
بان يضع واحد خاتمه عند واحد من الجماعة بان يكونوا اكثر من ثلاثة
فتامر صاحب الخاتم ان يعد من نفسه من على يمينه الى ذلك الواحد الذي
عنده الخاتم بحيث ان يكون صاحب الخاتم والذي هو عنده معدودين
فيهم ثم يستخرج عددهم بالطريق المذكور فما اجتمع معك تعلم من صاحب
الخاتم فاين انتهى العدد فالخاتم عنده مثاله صاحب الخاتم احمد والذي
عنده الخاتم محمد وبينهما من يمين صاحب الخاتم اربعة انفس فكان العدد
من احمد صاحب الخاتم الى محمد الذي عنده الخاتم ومن بينهما ستة فمر صاحب
الخاتم ان يزيد على ذلك نصفه وهو ثلاثة فيتحصل تسعة وان يزيد على
التسعة نصفها اربعة ونصف ويجبر النصف وتاخذ انت لهذا
الكسر اثنين فيكون المتحصل اربعة عشر وان يسقط ذلك تسعات
فاذا قال لك ليس في المتحصل سوى تسعة واحدة فخذ لاسقاط التسعة
اربعة ومعك اثنان بسبب الكسر الثاني فكان الذي تحصل معك ستة
ابدا بعدها من احمد فتنتهي الى محمد فيكون الخاتم عنده واعلم واما
استخراج الحروف المضمرة فتخرج من خمسة ابيات جعلوا للبيت الاول من
العدد واحدًا وللثاني اثنين وللثالث اربعة وللرابع سبعة وللخامس
خمسة عشر فاذا اضمر احد حرفا من حروف الهجا فاقرا عليه الابيات الخمسة
على التوالي وكلما قرات منها بيتا سله هل الحرف المضمر في هذا البيت ام لا
فاذا عرفت الابيات التي فيها الحرف المضمر فخذ ما لها من العدد واجمعه وابدا
به من الالف على ترتيب ا ب ت ث فاي حرف انتهى اليه العدد فهو المضمر
وهذه الابيات الخمسة

سيد الرسل صفا عين الصفا　　تاج نور ساطع نسل لوى

قمر لاح عظيم مشرق　　حين لاذنب تقى من قصي
فهو غوث حين يجري سقيه　　وصلاح حيث يشفي جوف حي
وملاذ ورسول مكرم　　كنز ذخر خصه مولاه شي
فيه ظني مغبط مغن للملا　　فيقيني كل موضوع علي

مثاله اضمر شخص الخاء المعجمة فوجدناها في البيت الرابع فقط له من
العدد ما هو مرقوم في اوله بالاحمر وهو سبعة فابتدانا بالسبعة
من حرف الالف فنفذت على الخاء فقلنا المضمر حرف الخاء وتستخرج
الاسماء المضمرة بهذه الابيات بان تستخرج حروف الاسم حرفا حرفا
على التوالي وتجمع فيظهر الاسم وتستخرج ايضا بطرق اخر تاتي بهذا
الباب ولنرجع الى ذكر ما يتعلق بالقمر فاما البروج الاثنا عشر التي تسير
فيها الكواكب السبعة قال الفقيه رحمه الله تعالى وخلق الله في السماء
اثني عشر برجا وهو قوله تعالى وهو الذي خلق في السماء بروجا وقال تعالى
والسماء ذات البروج واسماؤها حمل وثور وجوزا وسرطان واسد
وسنبله وميزان وعقرب وقوس وجدي ودلو وحوت
اقول وقال تعالى في سورة الحجر ولقد جعلنا في السماء بروجا وفي سورة
الفرقان تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
وقد ذكر المفسرون في البروج اقوالا منها انها الاثنا عشر التي عدها
الفقيه وذلك ان الفلك الثامن الذي هو فلك النجوم الثوابت الاتي شكله
في الملحق بهذا الباب قسم اثني عشر قسما منها سمي برجا واضيف كل برج
منها الى اسم شكل كوكب على منطقة ذلك البرج سمي الكوكب بذلك الاسم
لضرب من التشبيه بينه وبين ذلك الشكل فاسم الصورة الاولى من
عند الاعتدال الربيعي الحمل وهو صورة كبش قد التفت الى ورائه
حتى صار خطمه على ظهره والخطم بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء
المهملة من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم انفه وفمه كذا في
الصحاح والثانية الثور على صورة النصف المقدم من ثور قد نكس
راسه للنطح وكانه قطع بنصفين على سرته والثالثة التومان وهي
الجوزا على صورة صبيين قائمين واضع احدهما يده على منكب
الاخر والرابعة السرطان وصورته تامة والخامسة الاسد كذلك
والسادسة العذرا وهي السنبلة على قعدة جارية ذات جناحين
قد ارسلت ذيلها والسابعة الميزان وصورته كاسمه والثامنة
العقرب كذلك والتاسعة الرامي وهو القوس كانها جسد دابة
الى العنق ثم برز من مغرز العنق نصف رجل من عند الحقوين وهو
الخصر وشد الازار ويطلق على الازار والرجل ذو ذوايب قد وضع

السهم في قوسه واغرق في النزع والعاشرة الجدي وهو الى الصدر
على صورة النصف المقدم من جدي والباقي موخر سمكة الى ذنبها
والحادية عشر ساكب الماء وهو الدلو على صورة رجل قايم ماد اليدين
باحديهما كوز قد قلبه فانصب الماء الى مقام رجليه وجرى تحتهما
والثانية عشر على صورة سمكتين قد وصل ذنب احديهما بذنب الاخرى
بخيط يسمى خيط الكتان وقد يسمى الحمل كبشا وذلك اصوب لانه
ذو قرون وعلى قياسه كان يجب ان يسمى الجدي تيسا لمكان قرنيه
واما العوام فقد اشتهر عندهم برج التومين فيما بينهم بالجوزاء
وبرج العذرا بالسنبلة والرامي بالقوس وساكب الماء بالدلو والسمكة
بالحوت والاول هو الصواب وقد جمعوا اسماءها متوالية في بيتين هما

حمل الثور جوزة السرطان — ورعى الليث سنبل الميزان
ورمت عقرب بقوس الجدي — فاستقى الدلو حوته بامان

وفي هذه البروج تسير الكواكب السبعة السيارة التي كل واحد منها
في سماء وابتداؤها على التوالي زحل في السماء السابعة المشتري في
السادسة المريخ في الخامسة الشمس في الرابعة الزهرة في الثالثة
عطارد في الثانية القمر في الاولى قال ابن دريد الزهرة بفتح الهاء
والسكون فيها غلط وقد جمعت هذه الكواكب متوالية مرتبة من الاعلى
الى الاسفل في بيت هو زحل شرى مريخه من شمسه فتزهرت بعطارد الاقمار
وقد نظم شقيقي قاضي القضاة كمال الدين الشافعي بحلب ومكة المشرفة
كان الله له وفسح في اجله في معرفة مكان كل كوكب من السبعة السيارة
من كل سماء من السموات السبع فقال

زحل في سابع الافلاك قد — صح والسادس فيه المشتري
ثم والمريخ قل في خامس — وبرابعها الشمس قد قرى
وكذا الثالث فيه زهرة — وعطارد بثانيها جرى
فلك الدنيا به حقا فقل — دايما مسرى لجرم القمر

فائدة شبهت الكواكب بالكلمة فكما انها لا تزيد على سبعة احرف اصول
فكذلك النجوم الاصول منها السبعة المذكورات وبقية الكواكب كالحروف
الزايدة في الكلمة تراد لمقاصد ذكرت ذلك في كتاب سنا الامارة وستاتي
صورها في افلاكها بدايرة بالملحق بهذا الباب وقد قسمت هذه الكواكب
الى علوية وسفلية بالنظر الى الشمس والعلوية الثلاثة التي فوق الشمس
وهي زحل والمشتري والمريخ والسفلية الثلاثة التي تحت الشمس وهي الزهرة
وعطارد والقمر فتكون الشمس متوسطة بين الستة واما اقامة الكواكب
السبعة في البروج فزحل يقيم في كل برج سنتين ونصف سنة ويقطع

هرة

الفلك في ثلاثين سنة وهو النجم الثاقب لان نوره يثقب سبع سموات حتى
يبلغ الى ابصارنا كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والمشتري يقيم
في كل برج سنة واحدة ويقطع الفلك في اثني عشر سنة والمريخ يقيم
في كل برج شهرا واحدا ونصف شهر ويقطع الفلك في سنة ونصف
والشمس تقيم في كل برج شهرا واحدا وتقطع الفلك في سنة واحدة والزهرة
تقيم في كل برج خمسة وعشرين يوما وتقطع الفلك في عشرة اشهر
وما قيل انها ممسوخة فليس بشي وياتي ذلك في الباب الثاني وعطارد
يقيم في كل برج خمسة عشر يوما ويقطع الفلك في سنة اشهر والقمر
يقيم في كل برج يومين وثلث يوم ويقطع الفلك في ثمانية وعشرين يوما
ويستتر يومين تمام الشهر ولهذه الكواكب السبعة اشراف بفتح الهمزة
جمع شرف وهبوطات وذلك ان لكل واحد منها موضعا في الفلك يكون
فيه اقوى ويسمى ذلك الموضع شرف ذلك الكواكب فاما الشمس فمن اجل
انها اذا دخلت الحمل تصاعدت في الشمال فطال النهار وظهرت قوتها
واذا دخلت الميزان انحطت في الجنوب وقصر النهار وضعفت قوتها
صار شرفها في الحمل وهبوطها في الميزان وصار شرف القمر في الثور
لانه يتلو الحمل الذي هو شرف الشمس لان القمر اقوى ما يكون اذا كان هلالا
وظهر من تحت الشعاع اعني شعاع الشمس وهبوطه في العقرب ولان
الزحل مضاد الشمس صار شرفه موضع هبوط الشمس وهبوطه موضع شرفها
وصار شرف المشتري في السرطان لاعتداله وموافقته اياه في طبيعته
وهبوطه في الجدي ومن اجل ان طبيعة المريخ ضد طبيعة المشتري جعل
شرف المريخ في الجدي وهبوطه في السرطان الذي هو ضده واما شرف
الزهرة فمن اجل ان طبيعتها عطارد الغالب عليها اليبس والسنبلة
مقدمة يبس الخريف صار شرف عطارد في السنبلة وهبوطه في الحوت
وهذا جدول يدلك على شرف كل كوكب وهبوطه

الكواكب للشرف	الشرف	الكواكب للهبوط	الهبوط
القمر	في الثور	القمر	في العقرب
زحل	في الميزان	زحل	في الحمل
المشتري	في السرطان	المشتري	في الجدي
المريخ	في الجدي	المريخ	في السرطان
الزهرة	في الحوت	الزهرة	في السنبله
عطارد	في السنبله	عطارد	في الحوت

وتنقسم هذه الكواكب السبعة على الايام والليالي وساعاتها فاما

قسمتها على الايام فلزحل السبت وللمشترى الخميس وللمريخ الثلثا وللشمس الاحد وللزهرة الجمعة ولعطارد الاربعا وللقمر الاثنين وكل كوكب فهو للساعة الاولى من يومه ومايليه من الكواكب للساعة الثانيه من ذلك اليوم وكذلك الى ان يكون الكوكب السابع للساعة السابعة من ذلك اليوم ثم تكون الساعة الثامنه لصاحب ذلك اليوم وهو صاحب الساعة الاولى منه ويتصل الدور الثانى بالليلة التى تلى ذلك اليوم ثم تعاد فيها الادوار الى انتهاء الساعة الثانية عشر من تلك الليلة فالتالى لها هو اول ساعة من اليوم الثانى لليوم الاول بيان ذلك اول ساعة من يوم السبت لزحل والثانية للمشترى ثم للمريخ ثم للشمس ثم للزهرة ثم لعطارد ثم للقمر ثم الثامنه لزحل ثم للمشترى ثم للمريخ ثم للشمس ثم للزهرة انتهى يوم السبت ثم لاول ساعة من ليلة الاحد ما يتلو الزهرة وهو عطارد ثم القمر ثم زحل ثم المشترى ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر ثم زحل ثم المشترى ثم المريخ وهو صاحب الساعة الثانية عشر وهى الاخيرة من ليلة الاحد فيكون لاول ساعة من الاحد ما يتلو المريخ وهو الشمس وكذلك بقية الايام والليالى وقد عمل الشيخ شهاب الدين احمد البونى جدولا مشتملا على اثنى عشر دعا لكل ساعة من ساعات النهار والاحد دعاء يخصه ثم تدور هذه الادعية على ساعات بقية ايام الاسبوع ولياليها ويأتى ذلك ان شاء الله فى خاتمة الكتاب واما ما يفعل فى ساعات هذه الكواكب فيأتى ان شاء الله تعالى بالملحق بهذا الباب واما تقسيمها على الاقاليم السبعة فالاقليم الاول لزحل والثانى للمشترى والثالث للمريخ والرابع للشمس والخامس للزهرة والسادس لعطارد والسابع للقمر والاقاليم جمع اقليم وهو قطعة من الارض تجمع بلدانا شتى وهو مشتق من القلم وهو القطع كانهم اقتطعوا الارض قطعا سبعة وسياتى ذكر الاقاليم واسماء بلادها فيما يلحق بهذا الباب وقد قسمت الاوايل الارض بغير الاقاليم فالذى ينسب الى نوح عليه السلام قسمة ثلاثيه بالعرض قسمها بين بنيه فالقطعة الجنوبية وفيها السودان لابنه حام والشمالية وفيها البيضان الجنوب لابنه يافث والمتوسطة وفيها السمر لابنه سام

الجنوب	
السودان والحبش	لحام
السمر العرب	لسام
البيضان الروم	ليافث المغرب

ولليونانيين قسمة ثلاثية غير تلك وهو انهم قسموها الشمال على الارض مصر بقسمين وسموا ما شرق منها ابسيا والى طارق واما غرب منها فان بحر الشام قسم الى قطعة جنوبية سموها لوبيه وفيها السود والسمر والى قطعة شمالية سموها اوربى وفيها البيض والشقر ولما

كانت

كانت القطعة الشرقيه اضعاف الغربية فصلوا العراق وخراسان عنها وسموها ابسيا الصغرى ومابقى منها ابسيا الكبرى وهذه صورة ذلك

وللافريدون قسمة ثلاثيه بالطول وكان من جبابرة الفرس قسمها بين بنيه الثلاثة وهى القطعة الشرقية وفيها الترك والصين لابنه توج والقطعة الغربية وفيها الروم لابنه سلم والقطعة المتوسطة ايران شهر لابنه ايرج ارج بعض الاعجام وهذه صورتها

الترك والصين لتوج	ايران شهر وهو الجز عراق العجم لايرج	الروم لسلم

وقسمها الفرس بالممالك سبعة كشور ونسبت هذه القسمة ايضا الى هرمس وهذه صورتها

وقسمها الهند الى تسع قطع تسمى كند بحسب الجهات الاربع وما بينهما وهذه صورة لوكند واسامى الجهات بلغتهم

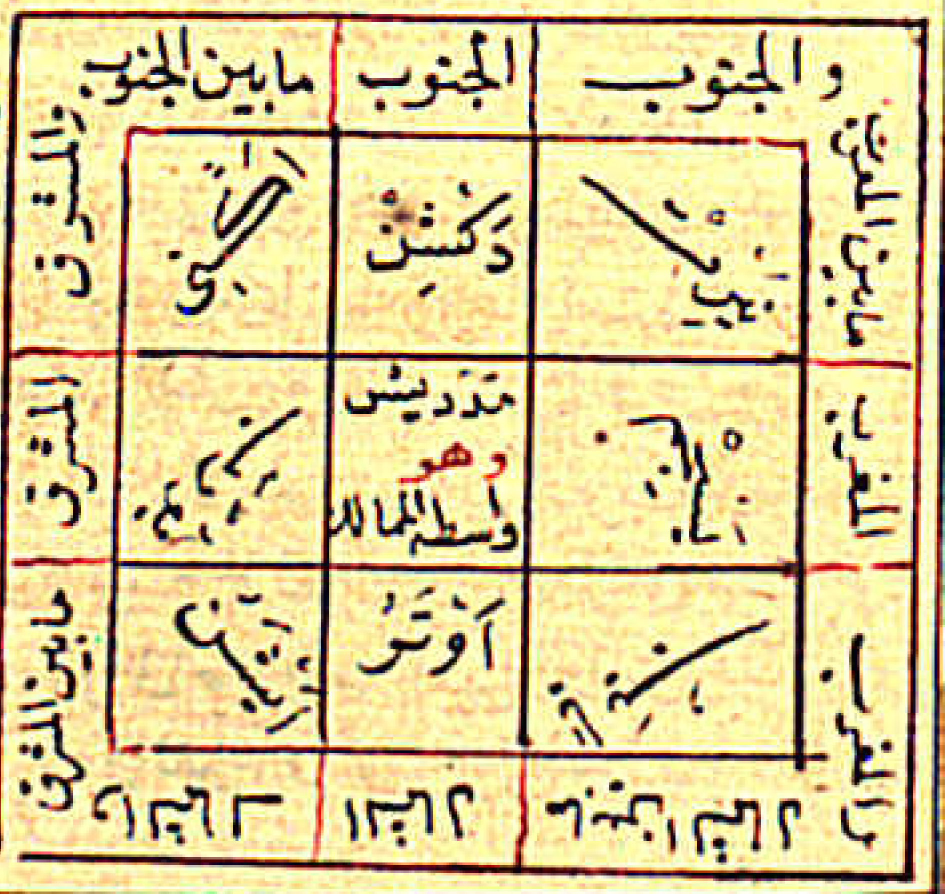

وقد ذكر الاطباء طبايع بلاد هذه الجهات في ك في الارشاد واما البلاد الشمالية فباردة يابسة وكلما قرب منها الى القطب الشمالى كانت ابرد كبلاد الصقالبة واجسام اهلها صحيحة والوانهم تميل الى البياض والحمرة وقوام

متوفرة واجسامهم قوية وهضومهم ضعيفة واعمارهم طويلة والبلاد
الجنوبية بالضد وذلك لانها حارة رطبة كثيرة العفن والوان اهلها
اسود وقوام وهضومهم ضعيفة واعمارهم قصيرة لضعف
حرارتهم الغريزية والبلاد الشرقيه معتدلة الحر والبرد مايلة الى
اليبس والوان اهلها قريبة من البياض مايلة الى الحمرة وابدانهم صحيحة
وامراضهم قليلة والبلاد الغربية بالضد لانها مايلة عن الاعتدال
في الحرارة مايلة عن الرطوبة وبالجملة فاحوالها احوال البلاد الشرقية
واما البلاد الموضوعة فيما بين هذه الحدود فكل واحدة منها تشبه
مزاج الناحية التي هي منها اقرب والمساكن فافضلها واقربها الى
الاعتدال العالية الطينية التربة غير المستورة بشيء من الجبال بل
مكشوفة لتخترقها الرياح الشرقية والشمالية الواسعة البنا لتتمكن
الشمس من النفوذ فيها لاصلاح هوآيها المجاورة للمياه العذبة العامرة
السالمة من مجاورة شيء من المستنقعات والمعادن والبلاد المرتفعة
بالجملة ابرد والمنخفضة اسخن والمستورة بجبل من ناحية قبلتها
وشرقيها ابرد وان كانت من ناحية شمالها وغربها فهي اسخن وكل بلدة
مجاورة للبحر فهي ارطب وان كان البحر في جنوبها فهي اسخن وارطب وان
كان في شمالها كانت ابرد وارطب وان كان في شرقها كانت رطوبتها
اكثر وكذلك ان كانت تربتها صخرية كانت ابرد واجف وان كانت طينية
كانت ابرد وارطب انتهى واعلم ان لكل كوكب من السبعة برجان هما
بيته الا الشمس والقمر فان لكل واحد منهما برجا واحدا هو بيته فزحل
بيتاه الجدى والدالي والمشترى بيتاه القوس والحوت والمريخ بيتاه
العقرب والحمل والزهرة بيتاها الميزان والثور وعطارد بيتاه السنبله
والجوزا والشمس بيتها الاسد والقمر بيته السرطان وقد عملوا الدائرة
قسموا الفلك فيها بنصفين احدهما من اول الاسد الى آخر الجدى وجعلوا
الشمس وبيتها في اوله وهو برج الاسد والنصف الآخر للقمر وهو من اول
الدلو الى آخر السرطان وبيته في آخره وهو برج السرطان ولكون ان
لساير الكواكب الخمسة الباقية في حركاتها رجوعا واستقامة جعلوا
لكل واحد منها بيتا في نصف الشمس وآخر في نصف القمر عن جنبتي
بيتيهما وابتداوا بالكوكب الذي لا يبعد عن الشمس كثير بعد وهو عطارد
فجعلوا السنبله والجوزاء بيتيه بلزق بيتي النيرين ثم تلوه بساير الكواكب
على ترتيب الافلاك من اسفل الى اعلا فصار الميزان والثور بيتي الزهرة
والعقرب والحمل بيتي المريخ والقوس والحوت بيتي المشترى والجدى
والدلو بيتي زحل على هذه الصورة وهي

ولنرجع الى ما يتعلق بالبروج الاثنى عشر فاقول وتنقسم البروج ايضا على الطبايع الاربع كل واحدة منها ثلاثة ثلاثة ارباع بروج تسمى المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة ناريه والثور والسنبله والجدى مثلثة ارضيه والجوزا والميزان والدلو مثلثة هوائيه والسرطان

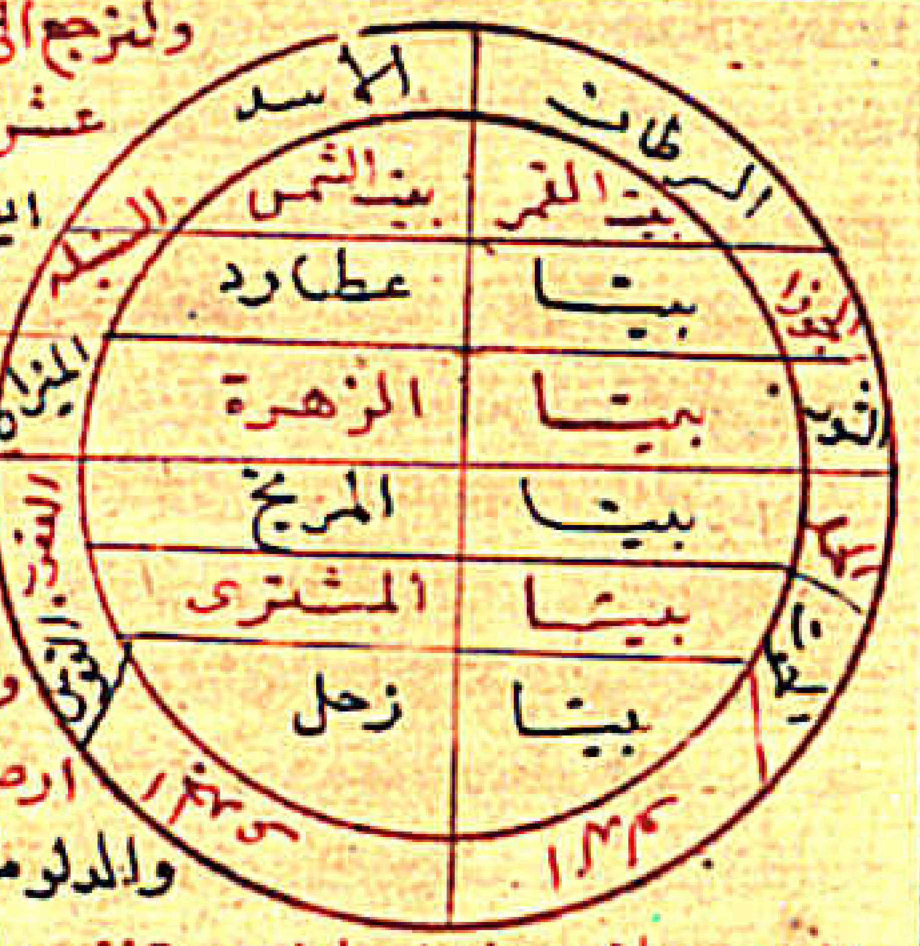

والعقرب والحوت مثلثة مائيه وتنقسم ايضا الى منقلبه وثابته ومتجسده فالحمل والسرطان والميزان والجدى تسمى منقلبه لانقلاب الزمان فيها اما الحمل فان الزمان ينقلب بانتقال الشمس اليه من الشتا الى الربيع وفي السرطان ينقلب من الربيع الى الصيف وفي الميزان ينقلب من الصيف الى الخريف وفي الجدى ينقلب من الخريف الى الشتا فسمى اول الحمل الاعتدال الربيعي واول الميزان الاعتدال الخريفي واول السرطان الانقلاب الصيفي واول الجدى الانقلاب الشتوى لان الزمان في اول الحمل وفي اول الميزان يكون الليل مثل النهار في جميع الارض سواء وفي اول السرطان يكون النهار اطول من الليل وانتهى طوله في جميع الارض وفي اول الجدى يكون الليل اطول ما يكون في جميع الارض واعلم ان البرج الوسطاني من كل فصل من فصول السنة الاربعة يسمى ثابتا فالثور والاسد والعقرب والدلو تسمى ثوابت لان الزمان في كل واحد منها مثل حاله قبله على حالة واحدة والجوزا والسنبله والقوس والحوت تسمى ذوات الجسدين لان الزمان في كل واحد منها يكون ممتزجا من حالة الى حالة اخرى اما الجوزا فان الزمان فيه يكون ممتزجا فيما بين الربيع والصيف والسنبله يكون الزمان فيها ممتزجا فيما بين الصيف والخريف والقوس يكون الزمان فيه ممتزجا بين الخريف والشتاء والربيع وغيره وهذا لوح بمعنى ذلك لكنه اقرب للفهم وانفع للوهم دايرة صورة ذلك

المنقلبه	الثوابت	المجسد
الحمل	الثور	الجوزا
والسرطان	والاسد	والسنبله
والميزان	والعقرب	والقوس
والجدى	والدلو	والحوت

فيكون نعيب م

وقد قسمت البروج ايضا على الاثنى عشرة نغمة المسماة بالاصول وبالمقامات كما يأتى بالملحق بالباب السادس واما انتقال الشمس الى البروج فانها تنتقل من برج الى برج تبتدى من اول الحمل وهو ثانى عشر آذار عند جمهور اهل هذا العلم وهو اول فصل الربيع لانه يقال ان الله تعالى لما خلق الشمس وسارت كان سيرها اول الشرطين بفتح الشين وهو راس الحمل ولذا اجمع المنجمون المتقدمون على ان اول دور الشمس فى انتقالها الى البروج من اول الحمل وفى انتقالها الى المنازل من اول الشرطين هذا فى اصل الوضع ثم زعم المتاخرون ان المنازل القمرية تقدمت وتاخرت وانه انخرم ذلك على ما سيأتى بملحق هذا الباب واذا كان ابتداها بالحمل فانها تختم بالحوت وآخره آخر الشتا واستقرارها فى كل برج ثلاثون يوما تقريبا وعبروا عن الايام بالدرج فقالوا كل برج مقسوم ثلثين درجه وكل درجه ستون دقيقه وكل دقيقه ستون ثانيه وكل ثانيه ستون ثالثه وهكذا الى الروابع والخوامس وبالغ ما بلغ ذكره التبريزى ويحتمل ان تكون الثلثون يوما على حكم شهور القبط والفرس فانها ثلاثون يوما ثلثون يوما والصحيح ان استقرارها فى البروج يتفاوت حتى تنطبق الاثنا عشر برجا على عدد ايام السنة السريانية وهى ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوما وربع يوم وعدد استقرارها فى كل برج انها تستقر فى الحمل لا وفى الثور لا فى الجوزا لب فى السرطان لا فى الاسد لا فى السنبله لا فى الميزان ل فى العقرب ل فى القوس كط فى الجدى كط فى الدلو ل فى الحوت ل وقد نظمت ذلك تسهيلا للحفظ فقلت

تقيم الغزالة فى سيرها ... بابراجها بدأها بالحمل
بلالا ولب ثم لا لا ولا ... ولل كط وكط كلم المثل

فتكون اقامتها بالحمل احد وثلاثين يوما وبالثور مثله وبالجوزا اثنين وثلاثين يوما وبكل من السرطان والاسد والسنبله احد وثلاثين يوما وبالميزان ثلثين وبالعقرب مثله وبالقوس تسعة وعشرين وبالجدى كذلك وبالدلو ثلاثين وبالحوت مثله فهذه ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوما ويزاد فى السرطان خمس عشر دقيقه بربع يوم اذ اليوم قسم بستين دقيقه كما تقدم آنفا ويقال ان الزيادة تكون فى الجوزا لكون ان الشمس تقيم بها بزايد يوم عن البقية وعلى تقدير الزيادة فى السرطان قلت

ذكا اذا رمت كم تستقر ... فى البرج اذ بالحمل تبتدى
بلالا ولب ثم لايه ولا ... ولا لل وكط كط ولل تهتدى

وعلى تقدير الزيادة فى الجوزا يغير النصف الاول من البيت الثانى بقول
ع بلالا ولب يه ولا لا كذا فتكون ايام السنة الشمسيه كما تقدم

ثلاثمائة

ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم وفى كل اربع سنين يتم ربع اليوم الزايد كل سنة بيوم يزاد فى آخر شباط فيكون تسعة وعشرين يوما ويقال للثالث السنة كبيسه السريانية ويكون ايامها ثلاثمائة وسته وستين يوما وقد رايت ارجوزة لطيفة مرتبة على ما نظمته وهى

اعلم بان الشمس لما خلقت ... فى اول الشرطين حقا وضعت
وعندها كان ابتدا العالم ... سمعته من قول شيخ عالم
اذار اعتدال الوقت ... فى قول كل عالم ومعتى
ثانى عشر منه تنزل بالحمل ... وكاين الليل مع الصبح اعتدل
وثانى عشر من نيسان ... تنزل بالثور على تبيان
وتنزلن فى ثلاث عشره ... من شهر ايار لوقت بكره
وباول الجوزا فانهم ذا لكا ... وكن لاحسن الطريق سالكا
ومن حزيران باربع عشره ... من غير شك لا وغير نكره
بالسرطان تنزل المسخنه ... وهو اذا اول يوم فى السنة
بخمس عشرة بتموز عد د ... فانها تنزل فى برج الاسد
ومثله من آب فالمحله ... اذا مضت تنزل برج السنبله
ايلول فيما ذكروا ودققوا ... فى خمس عشرة به قد حققوا
تنزل فيه الشمس بالميزان ... فلا تكن تحفظ بوا فى
يعتدل الليل مع النهار ... كسبق الساعات فى آدار
وتنزل الشمس بقول العرب ... اذا تمانت برا س العقرب
بخمسة قد ذهبت وعشره ... من شهر تشرين بعيد الفجره
وتنزل الشمس باربع عشره ... من شهر تشرين الاخير بكره
بالقوس وهو منزل النعايم ... فاصغ الى مقال شيخ عالم
وثالث للعشر من كانون ... تنزل بالجدى على تمكين
لانه اقصر يوم يا فتى ... اذا توسطه زمان الشاتى
ثم تعود درجة الصعود ... وهو اذا فى اول السعود
وتنزل الشمس ببرج الدلو ... بقول كل حاضر وبدوى
من شهر كانون الاخير اذ مضت ... حادى عشر ليلة قد فرضت
وتنزل الشمس على احتياط ... فى عاشر قد جاء من شباط
بالحوت اسمع السديد منى ... ولا تجاوزه وارووه عنى

وسنذكر طرايق فى معرفة نزول الشمس الى الحمل ومعرفة كيفية انتقالها من برج الى برج ومتى يكون ذلك ومعرفة السنة الكبيسه فى السنة السريانية فى الباب الخامس لارتباط معرفة ذلك بالشهور السريانية المعروفة بالرومية ونقطع الشمس المنازل الثمانية والعشرين المنسوبة

الى القمر في كل سنة مرة كلما مضت ثلاثة عشر يوما تقطع منزلة وابتداوها من ثاني عشر آذار على حكم الارجوزة المتقدمة او من ثالث عشرين آذار على حكم الارجوزة الآتيه فاذا مضت ثلاثمائة واربعة وخمسون يوما من ثاني عشر آذار او من ثالث عشرينه تكون الشمس قد قطعت المنازل الثمانية والعشرين ويفضل من ايام السنة الرومية اذا لم تكن كبيسة يوم واحد واذا كانت كبيسة يفضل يوما ن يزاد ذلك في الجبهة على حسابا القبط فتكون اقامة الشمس فيها اربعة عشر يوما اذا لم تكن السنة كبيسة وان كانت كبيسة تقيم فيها خمسة عشر يوما وانما كانت الزيادة فيها لانها هي آخر المنازل لانها تكون في عشرين مسرى وهو آخر شهر من شهور القبط فتاخذ الجبهة ثلاثة ايام من الخمسة ايام النسى فيتم اربعة عشر يوما وان كانت السنة كبيسة تكون ايام النسى ستة فتاخذ الجبهة من اولها اربعة ايام فتكون ايامها حينئذ خمسة عشر يوما **واما الزبرة** فليست منزلة آخر شهور القبط لانها تاخذ يومين من آخر النسى واحد عشر يوما من توت وهو اول السنة القبطية والحاصل ان زيادة اليوم المذكور او اليومين المذكورين تكون في الجبهة باعتبار حلول القمر بالمنازل المذكورات على راى القبط وفي الزبرة باعتبار حلول الشمس بالمنازل المذكورات على ما في الارجوزة الآتيه **وهذه اسماء المنازل** شرطين، بطين، ثريا، دبران، هقعه، هنعه، ذراع، نثره، طرف، جبهه، زبره، صرفه، عوا، سماك، وهو الاعزل **فهذه اربع عشر منزله شاميه** لارتفاعها من اليمانية الى ناحية الشام والاربع عشرة الباقيه يمانيه لانحطاطها الى الجنوب **وهي هذه** غفره، زبانا، اكليل، قلب، شوله، نعايم، بلده، سعد ذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الاخبية، فرغ مقدم، فرغ موخر، رشا **فايدة** هذه المنازل على عدد حروف الهجا ما عدا الحروف المركب من اللام والالف **وهذه الارجوزة** الموعودة بالاتيان بها المعروف منها محل الشمس بالمنازل المذكورات وهي مخالفة لمحل القمر فيها كما سياتي بالباب الخامس وهي

يا راغبا في علم سير الشمس … في اشهر الروم بغير لبس
وقطعها منازل البروج … بامر منشيها بلا تفريج
محلها بالنطح في آذار … ثالث عشريه فلا تماري
وتنزل البطين في نيسان … لخمسة منه بلا توان
وثامن العشر فبالثريا … منزلها فاسمع وصغ اليّا
والدبران اذ تراه مقبلا … اول ايار يكون معقلا

ثم الى الهقعه منه تسرى … في شهرها لاربع وعشر
وان مضت عشرون بعد سبعه … من شهر ايار نزلت بالهنعه
وفي حزيران ترى الذراعا … منزلها لتسعة اتباعا
وبعد اثنين وعشرين معا … اجتازت النثره حتما موضعا
والطرف يوم خمسة يا رجل … حلته من تموز وهي ترفل
وانتقلت يوم ثمان عشر … وحلت الجبهة شبه الدرّ
وجاوزتها نحو بيت الزبره … آخر تموز حوته بكره
وانصرفت من بعد نحو الصرفه … لاربع وعشرة ملتفه
وسابع العشرين من آب لها … في منزل العوا كما لاح بها
وتنزل السماك في ايلول … تاسع يوم فاستمع فصولي
والغفر في ايلول للشمس حوى … من بعد اثنين وعشرين سوا
ثم الزبانا منزل للشمس … في شهر تشرين الاولى خمس
وان مضت منه ثمان عشر … تكللت واستحقت بالبدر
والقلب في تشرين اعني الاولا … آخر يوم تتخذه منزلا
ثم لتشرين الاخير صوله … مذ خيمت فيه بيت الشوله
اذا انقضت منه ثلاث عشره … ونعمت في مثلها من سحره
وتقدم البلدة في كانونا … لتسعة لتظهر المدفونا
وبعد اثنين وعشرين عدد … تحل في الذابح فاجهد في المدد
وهي لكانون الاخير منفعه … تحل فيه بلعا لاربعه
وترتقي السعود بعد عشر … وسبعة اخرى اخي تدري
كانون ان خلف فرد يوم … توطنت اخبية يا قومي
تنزل في شباط بالمقدم … لاثنى عشر تحري واعلم
يا نفس ثم قدمي الموخرا … لخمسة من بعد عشرين ترا
اذار يوم عشرة بالارشا … تلبس فيه الشمس اثواب الرشا

واما تقسيم المنازل على البروج فاعلم ان ستة من البروج من الحمل الى السنبله شامية وستة من الميزان الى الحوت يمانية كما تقدم غير انهم اختلفوا في العوا والسماك فقال قوم هما يمانيان والفرغ الموخر والرشا شماليان **والجمهور** على الاول **واعلم** ان لكل فصل من الفصول ثلاثة بروج وسبع منازل **فللفصل الربيع من البروج** الحمل والثور والجوزا **ومن المنازل** من الشرطين الى الذراع **وللصيف من البروج** السرطان والاسد والسنبله **ومن المنازل** من النثره الى السماك **وللخريف من البروج** الميزان والعقرب والقوس **ومن المنازل** من الغفر الى البلده **وللشتا من البروج** الجدي والدلو والحوت **ومن المنازل** من سعد الذابح الى

يعني تنزل الشمس النعايم في ثلاثة عشر يوما من تشرين الاخير الى سادس عشر

يعني تنزل الشمس بالاخبية في ثلاثين من كانون الاخير

الى الرشا وهو بطن الحوت والناس اختلاف فى ابتدآء كل فصل وانتهآ
بحسب اول الربيع مذكور ذلك فى اماكنه ونسيا فى شى من ذلك بالملحق
بالباب الخامس منقول عن يحيى ابن آدم وغيره واما صاحب ارجوزة فى
محل الشمس بالمنازل المتقدمة فانه جعل ابتدآء الشرطين من ثمانية عشر
آذار اما ان ذلك اول الربيع عنده لان غالب ارباب النجوم مجتمعون على
ان الشرطين من اول الفصل الربيع واول نزول الشمس الحمل واما ان نجوم
المنازل تحولت عشرة ايام عن اماكنها فكان اول الشرطين حين نظمها
ثالث عشر آذار وبا فى الكلام على ذلك بالباب الخامس وذكر ابن المقفع
فى قصيدته الاتية بالباب الخامس ان اول الربيع نيسان وان له برج
الحمل وجعل لكل شهر برجا كاملا ان طال الشهر او قصر والظاهر ان
هذا حساب عرب البادية واعلم ان كل فصل من الفصول الاربعة يكون
احدا وتسعين يوما هى عدد منازله السبعة فيبقى من ايام السنة
يوم واحد كما تقدم عند قطع الشمس المنازل فمن الناس من جعله فى
الصيف فى الجبهة كما تقدم وهم الاكثر ومنهم من جعله فى الخريف
ومنهم من جعله فى الشتاء فعلى هذا الذى ذكرناه يكون لكل
برج منزلتان وثلث منزلة فالذى يكون للحمل الشرطين والبطين وثلث
الثريا وللثور ثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة وللجوزا ثلث
الهقعة والهنعة والذراع وللسرطان النثرة والطرف وثلث الجبهة
وللاسد ثلثا الجبهة والخرتان وهو الزبرة وثلثا الصرفة وللسنبلة
ثلث الصرفة والعوا والسماك وللميزان الغفر والزبانا وثلث الاكليل
وللعقرب ثلثا الاكليل والقلب وثلثا الشوله وللقوس ثلث الشوله
والنعايم والبلده وللجدى سعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود
وللدلو ثلثا سعد السعود وسعد الاخبية وثلثا الفرغ المقدم
وللحوت ثلث الفرغ المقدم والفرغ المؤخر والرشا وهو بطن الحوت واما
صور هذه المنازل فقد قال ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتابه
التفهيم لاوايل صناعة التنجيم كما ان منطقة البروج قسمت باثنى عشر
قسما متساوية وسمى كل واحد منها برجا كذلك قسمت بحسب مسير
القمر فى كل يوم فكانه ينزل فى كل ليلة منزلا وعددها عند الهند سبعة
وعشرون وعند العرب ثمانية وعشرون وسميت بالكواكب الثابتة
كما وسمت البروج بصورها فاول المنازل من الاعتدال الربيعى الشرطين
كوكبان نيران معترضان بين الشمال والجنوب متباعدان فى المنظر بقريب
من باع ومع الاميل منهما الى الجنوب كوكب ثالث والشرطين على قرن
الحمل ولذلك يسمى ايضا نطحا ثم البطين وهو ثلاثة كواكب خفية

على

على هيئة مثلثة هوائية الحمل وسمى بطينا مصغرا بالقياس الى بطن
الحوت وهو آخر المنازل ثم الثريا وهى ستة كواكب منظمة شبيهة بعنقود
عنب وهى على سنام الثور وتظن العوام والشعرآء منهم خاصة انها
سبعة وظنهم فيها غير مصيب وهى وحدها مخصوصة باسم النجم وفى
اقول قد ذكر الوزير المهلبى من خواص الشعراء ان الثريا ستة نجوم (قوله)

خليلى انى للثريا لحاسد	وانى على ريب الزمان لواجد
ايبقى جميعا شملها وهى ستة	وافقد من احببته وهو واحد

فقد خالف الشعرآء فى انها سبعة ووافق البيرونى ويحتمل ان يكون
قوله ستة غلطا من الكاتب وانما قال سبعة مع انك اذا وضعت
مكان الستة فى البيت سبعة لا ينكسر الوزن ثم قال البيرونى ثم
الدبران وهو كوكب احمر نير على عين الثور الشرقية وراس الثور على
هيئة كاس فمه نحو الشمال وسمى الدبران لانه تابع الثريا ثم الهقعة
ثلاث كواكب صغار كالاثفية على راس الجبار ولتقاربها مع صغرها
جعلها بطليموس كوكبا واحدا سحابيا ثم الهنعة كوكبان احدهما صغير (يحتمل انه سقط هنا لفظ صغير)
والاخر ابو رقليا او وهما على ارجل التوأمين ثم الذراع يعنون ذراع
الاسد عند العرب وهى المبسوطة لان المقبوضة هى الشعرى
الشامية مع مرزمها والمرزم كل كوكب يحتمل انه سقط بن دوج مع
آخر نير والذراع التى هى منزلة القمر كوكبان نيران متباعدان كتباعد
الشرطين هما على راس التوأمين ثم النثرة اى انف الاسد وموضع
استنثاره وهى كوكبان خفيان من صورة السرطان هما على منخر
الاسد بينهما لطخة سحابية هى على صدر السرطان وربما سميت
لهاة الاسد والكوكبان اللذان ذكرنا يعرفان عند عوام اليونانيين
بالحمارين والسحابى بينهما هو المعلف ثم الطرف يعنون عين الاسد
وهو كوكبان نيران بينهما فى المنظر شبيه بذراع وهما من صورة
الاسد والخارجة عنها ثم الجبهة اى جبهة الاسد وهى اربعة كواكب
زهر على تعريج انورها جنوبيها وهو قلب الاسد الملكى ثم الزبرة على
كاهل الاسد عندهم وهى كوكبان بينهما فى المنظر ارجح من ذراع هما على
مؤخر الاسد يسميان الخراتان بالموحدة وقيل الخراتان بالمثلثة بالالف
قبلها ثم الصرفة كوكب نير على طرف ذنب الاسد وهو عند العرب على
ذنبه والضفيرة التى هى كواكب صغار مجتمعة كالثريا على طرف ذنبه
ولذلك سموها هلبة وهى شعرات طرف الذنب وفى الصحاح القنب
وعاء قضيب الفرس وغيره من ذوى الحافر والهلب ما غلظ من شعر
الذنب بالنون ومن غيره والاهلب الفرس الكثير الهلب ثم العوا اربعة

كواكب على صدر العذرا وجناحيها منعطفة كهيئة السلام وتزعم
العرب انها كلاب تعوى خلف الاسد ثم السماك وهو الاعزل من
السماكين وتزعم العرب انهما ساقا الاسد فاما عند اليونانيين فان
الاعزل على كفا العذرا وقد اطبق المنجمون على تسميته سنبله والسنبله
التى بها اشتهر البرج السادس هو الضفيرة التى تحاذيه ثم الغفر
كوكبان خفيان واسمه مشتق من الخفا وهما على ذيل العذرا ثم الزبانى
بنون مفتوحة وياء آخره يعنون زبانى العقرب كوكبان متباعدان
بينهما فى الاعتراض قيد رمح وهما على كفتى الميزان ثم الاكليل ثلاثة
كواكب زهر على تقويس معترض بين الشمال والجنوب وهى على جبهة
العقرب ثم القلب عن قلب العقرب وهو كوكب احمر مضطرب تسميه
المنجمون طبيعة المريخ يتقدمه كوكب ويتاخر عنه آخر والوصل بين
الثلاثة مقوس ثم الشوله ميبر العقرب بعد خرزات ذنبه مشول
وهما كوكبان ازهران متقاربان بينهما فى المنظر مقدار شبر ثم النعايم
اربعة كواكب على تربيع هى على قوس الرامى وسهمه ورجل فرسه وشبهتها
العرب بنعايم وردت النهر وهو المجرة شاربة وعندها اربعة اخرى
هى النعايم الصادرة عن الشرب ثم البلدة وهى بقعة من السماء
خلف ظهر الرامى لا كوكب فيها فلذلك سميت بالمفازة والفرجة
وربما حدت بكواكب من ذوائب الرامى واقعة حولها وسموها قلادة
ثم سعد الذابح كوكبان معترضان غير نيرين بينهما ارج من ذراع هما
على قرن الجدى وعندها ثالث زعمت العرب انه شاة سعد التى يذبحها
ثم سعد بلع كوكبان على الكف اليسرى من ساكب الماء وبينهما ثالث هو
المبلوع ثم سعد السعود ثلاثة كواكب صار معترضة بين الشمال
والجنوب هو من طرف ذنب الجدى ومنكب ساكب الماء ثم سعد الاخبية
اربعة كواكب هى على يد ساكب الماء اليمنى وشبه برجل بطة فالاوسط
هو السعد والباقى خباؤه وليست السعود هذه فقط وانما هى عند العرب
كثيرة وعن منازل القمر خارجة ثم الفرغ الاول ثم الفرغ الثانى وربما
سميا مقدما وموخرا وكل واحد منهما كوكبان ازهران متباعدان بينهما
شبيه برمح وجعلهما على يد الفرس الاعظم المجنح ويسميان ايضا العرقوة
العليا والعرقوة السفلى لان العرب شبهت هذين بدلو وبه عرف
البرج الحادى عشر ثم بطن الحوت وهو كوكب نير على راس المسلسله
وياتلف حوله من كواكب صغار ممتدة على تقويس صورة سمكة يقع
هذا الكوكب المذكور فى بطنها ولسعتها صغر البطن الذى تقدم ذكره
عقيب الشرطين ومنهم من سمى هذا المنزل رشا بكسر الراء تشبيها منه

تلك الكواكب المنقوشة بحبل معلق بالدلو المذكور ومعرفة هذه المنازل
ان الثريا اظهرها للعين واشهرها عند الجمهور فليبتدا منها ومن
الذى عسى يعرف سواها على سمت مجرى القمر نحو المشرق حتى يوجد الدبران
من الثريا على قيد رمح ويوخذ منها نحو المغرب قريب من ضعف ذلك
حتى يوجد الشرطين ثم يتامل البطين فيما بينهما فاذا وقف على هذه
المنازل الاربعة عرف منها بعد ما بين كل منزلين بالتقريب ثم اذا
تخطى من كل معلوم مثله نحو المشرق والمغرب وطلب على سمت مسير القمر
ما وصفنا من كواكب المنزل المقصود او على ما يقاربه ويحاذيه من الشمال
او الجنوب وجد تلك الكواكب ولا يزال يفعل ذلك بواحد بعد آخر الى ان
ياتى على جميعها وللسخاوى ارجوزة فى صور هذه المنازل اثبتها فى الباب
الخامس ان شاء الله تعالى وكذلك اثبت بالملحق به اشياء مما يتعلق بذلك
وللبروج والكواكب السبعة دلالات ذكرها ابو الريحان فى التفهيم
منها دلالة البروج على جهات العالم فالحمل يدل على قلب المشرق والاسد
على ميسرته من جهة الشمال والقوس على ميمنته من جهة الجنوب والثور
يدل على قلب الجنوب والسنبله على ميسرته نحو المشرق والجدى على
ميمنته نحو المغرب والجوزا تدل على قلب المغرب والميزان على ميسرته
نحو الجنوب والدلو على ميمنته نحو الشمال والسرطان يدل على قلب
الشمال والعقرب على ميسرته نحو المغرب والحوت على ميمنته نحو المشرق
كما فى هذه الدايرة وكل ريح
تهب من جهة برج ما
فانها منسوبة اليه

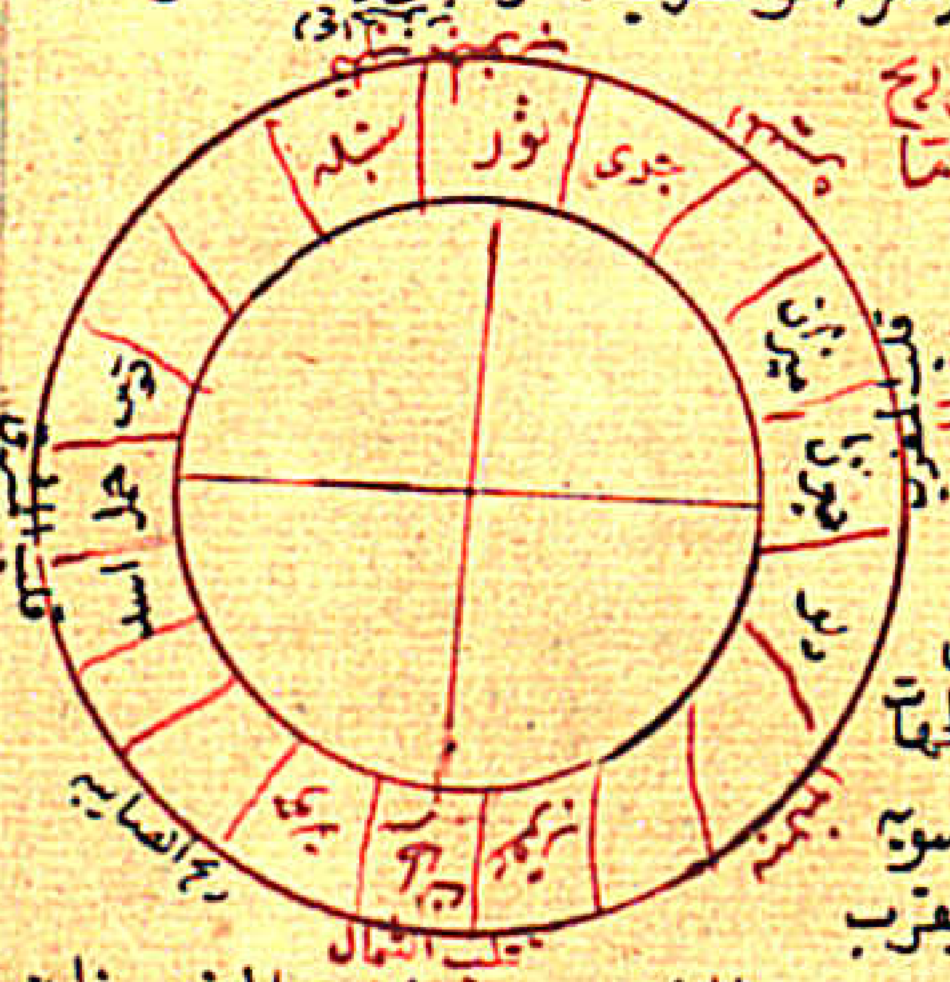

فالصبا للحمل والدبور
للجوزا والجنوب للثور
والشمال للسرطان
والريح النكبا هى التى فى
الزوايا الاربع بين الجهات
الاربع فكل نكبا منسوبة
على هذا المثال الى ما يقرب
مهبها منه فاذا هبت بين المشرق بين الشمال والمغرب فان
كانت الى المشرق اقرب نسبت الى القوس وان كانت الى الجنوب اقرب
نسبت الى السنبله وقال وجهات العالم هى مهبات الرياح الاربع
المشهورة فمهب الصبا من المشرق وتسمى ايضا قبولا لاستقبالها
وجه الكعبة ومهب الدبور من المغرب وهى تاتى من دبر الكعبة ومهب الشمال

من جهة القطب وهو يسار من استقبل

وقال بعضهم نافيا المعرفتهم لست تدرى ولا المنجم يدرى ما يريد
القضاء بالانسان قال لى التيزينى الموقت بالجامع الاموى بدمشق ممن
ادركته رحمه الله تعالى فى جدوله المشهور به قال وقد فصل العلماء
رحمهم الله تعالى فى هذا العلم يعنى علم النجوم الى خمسة اقسام واجب
النظر للاستدلال على اوقات العبادات ومندوبا لنظر للاستدلال
فى قدرة الله تعالى وعظمته وعلمه لقوله تعالى اولم يتفكروا فى ملكوت
السموات والارض لاية ومباح النظر من حيث ان النجوم تؤثر باجراء
العادات لا بالطبع ومكروه النظر انها تؤثر بالطبع وحرام النظر
انها مدبرة وهذا كفر نعوذ بالله منه انتهى اقول وفى قوله المباح من
حيث انها تؤثر الى آخره قصور فى العبارة اذ مراده بذلك والله اعلم
انه جرت عادة الله تعالى باجراء التاثيرات عند طلوع نجم او غروبه او
مقارنة بعضها لبعض او مقابلته او عند شرفه او هبوطه او غير ذلك
فان اليهود لعنهم الله تعالى يقولون انهم يمطرون فى عيدهم المسمى بالمظال
بسبب عبادتهم ودعائهم فيه والنصارى يقولون انهم يمطرون فى
عيدهم الذى يعقب صومهما الكبير بسبب ذلك والحال انما يقع المطر
فى الوقتين غالبا لا دائما بسبب ان عادة الله تعالى جرت بذلك فى الوقتين
المذكورين عند طلوع نجم او غروبه وسيأتى اربعة ابيات فى ذم علم
النجوم من كلام قس بن ساعدة فى آخر الباب السادس

الباب الثانى فى الكلام فى امر المسخ وله ملحق

انما ذكرت هذا الباب تلو
الباب الاول لتقدم ذكر الزهرة فى الباب الاول وذكرها فى هذا الباب
انها ممسوخة قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس فى الخلق
الذى مسخ الله تعالى القرود والخنازير والفارة والدعموص وغيرها
من الاشياء التى جاء الاثر انهم مسخوا هل هى من نسل قوم مسخوا فقال عامة
اهل الفقه ان هذا لا يصح بل كانت القرود وغيرها قد خلقت قبل ذلك
والذين مسخهم الله تعالى قد هلكوا ولم يبق لهم نسل لانه اذا اصابهم
السخط والعذاب لم يكن لهم قرار فى الدنيا بعد ثلاثة ايام وروى المستورد بن
الاحنف قال قيل لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه ارايت القرود
والخنازير التى كانت قبل ذلك وتكلموا فى امر الزهرة وسهيل وهما نجمان
قال بعضهم هما ممسوخان وقد روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما
وروى عطاء عن ابن عمر انه كان اذا راى سهيلا شتمه واذا راى
الزهرة شتمها وقال ان سهيلا كان عشارا وكان باليمن يظلم الناس
وان الزهرة كانت صاحبة هاروت وماروت فمسخها الله تعالى شهابين
وقال مجاهد كان ابن عمر اذا قيل له زهرة الحمرة قال لا مرحبا بها ولا اهلا

يعنى الزهرة

يعنى الزهرة وقال بعضهم هذا لا يصح لان هذه النجوم كلها خلقت
حين خلقت السماء لانه روى فى الخبر انه لما خلقت السماء خلقت فيها
سبعة دوارة زحل ومشترى وبهرام والشمس والزهرة وعطارد
والقمر وهذا معنى قول الله تعالى فى سورة الانبياء وهو الذى خلق
الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون وجعل مصلحة
الدنيا بهذه السبعة الدوارة ولكل واحد منها سلطان فى نوع من
المصلحة فجعل سلطان الزهرة الرطوبة فثبت بهذا ان قول من قال
انهما ممسوخان لا يصح وان الزهرة وسهيلا قد كانا قبل ذلك قبل خلق
آدم والذى روى عن ابن عمر وغيره ان سهيلا كان عشارا باليمن وان
الزهرة فتنت هاروت وماروت فمسخها الله تعالى شهابين فهو كما
قالوا كان رجل اسمه سهيل وامراة اسمها الزهرة فمسخهما الله شهابين
ولكنهما لم يبقيا على حالة وقد هلكا وصارا الى النار واما الذى روى
انه كان يشتمه فيحمل على انه لم يشتم الكوكب وانما شتم سهيلا الذى كان
عشارا وكذلك فى الزهرة وانما شتم المراة التى كان اسمها ولم يشتم الكوكب
انتهى بكماله وقال الفقير عفى الله عنه المستورد بالمهملتين اخره دال صدوق
روى عن ابن مسعود وحذيفة والدعموص بالمهملات الثلاث قال
فى المغرب هى دويبة سوداء تسبح فوق الماء واما المسخ قال الممسوخ
وغيره فى الصحاح هو تحويل الصورة الى ما هو اقبح منها انتهى وهو اما
تحويل الممسوخ الى شكل حيوان كالقرد وغيره مما قيل انه من الممسوخين
او الى جماد وفيهما حكمة الهيبة واعتبار عظيم للممسوخ وغيره اما
الاول وهو تحويله الى شكل حيوان فليعتبر كيف كانت حالته اولا
من النطق والعقل والتصرف بالكسب وغيره وكيف صارت حالته
فيما آل اليه من عدم ذلك وانه انما حصل له ذلك بتكذيبه المرسلين
صلوات الله عليهم فانه ورد انهم كانوا يفهمون الكلام بعد المسخ وان
المؤمنين كانوا ياتون اليهم بعد مسخهم ويلومونهم على عدم تصديق يفهم
المرسلين ويقولون لهم الستنا عرفناكم بصدقهم فيقولون برؤسهم
بلى وهؤلاء يموتون بغيظهم بعد ثلاثة ايام فانه ورد انهم بعد
مسخهم لا ياكلون ولا يشربون واما الثانى وهو تحويله الى الجماد فليعتبر
من رآه قبل المسخ وحالة المسخ ومن يراه بعد ازمنة طويلة ويتفكر فيه
كيف كان بالصفة الانسانية وكيف صار حجرا على صورته الاولى وباى
سبب حصل له ذلك ويتفكر فى صنع الله تعالى وقدرته على تحويل الجسد
المشتمل على اللحم والدم والعظام والاعصاب والعروق والقلب والروح
وغير ذلك الى الحجر الصلد وقد حصل المسخ فى غير الادميين ولعله حصل

تبعاً للممسوخين من الآدميين وقد رأيت صورة لوزه وفستقه
بقشريهما من حجر اتى بهما من الجبل المقطم بمصر حتى ان في عقبيهما
مكان العود الذي كانتا ملتصقتين به ورأيت لوزة بالشرح بارض
قرية من قرى عزاز من مضافات حلب وفي ذلك اعتبار ايضا كون
الفستق واللوز يتولدان بزراعتهما وعملهما وسقيهما وقد خلق
الله هولاء على شكل المزروعات بقوله فتبارك الله احسن الخالقين
واما النسناس المعروف بين الناس فهو نوع من القردة والنسناس
خلافه وهو خلق آخر صورته كنصف آدمي قسم من راسه بنصفين
بيد واحدة ورجل واحدة واذن واحدة وعين واحدة قال الجوهري
هو جنس من الخلق يثب احدهم على رجل واحدة ثم قال والقرد واحد
القرود وقد يجمع على قردة مثل فيل وفيلة والانثى قردة والجمع قرد
والجمع قرد مثل قربه وقرب وفي المثل فلان ازنى من قرد انتهى وفي
التاريخ الكبير لابن كثير ان عمرو بن ميمون الازدي بالزاي قال
وقعت في واد من اودية اليمن ماوى القرود فرايت قردا وضع راسه
على فخذ قردة فجاء قرد آخر فغمزها فاخذت راس القرد الاول فوضعته
على شي وتبعت ذلك القرد فاضطجعا وانتبه القرد فصاح صيحة
لم يبق قرد في ذلك الوادي الا اتاه وفيهم قرد عظيم في عنقه لوح
من حديد فيه كتابه فاجتمعوا وجعلوا ينظرون في اللوح ثم همهموا
بشي فاقاموهما فرجموهما حتى ماتا ثم انصرفوا قال عمرو فذكرت ذلك
لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ذلك اللوح عهد من سليمان بن
داود عليهما السلام ولما ولي معاوية عبد الرحمن بن الحكم اليمن بلغه
عن قصرين ان فيهما كنزا بساحل عدن من قصور عاد فاحب ان
ينظر اليهما قال الراوي فمضينا الى الساحل فامر الغواصين فغاصوا
فاخرجوا جرارا كثيرة من صفر مطبقة الرؤس فظن ان فيها مالا
فامر بفتح بعضها فكان كلما فتح جرة خرج منها شيطان يعدو ويقول
يا ابن داود كم تحبسنا فبينما نحن كذلك اذ نظرنا الى سواد عظيم قد
اقبل نحونا من جزيرة قريبة منا ثم اقتحم الماء فجعل يسبح حتى خرج الينا
واذا هي قردة امامها قرد عظيم في عنقه لوح من حديد فيه كتابة
بالسريانية وكان فينا من يقراها فاذا فيها بسم الله العظيم
الاعظم هذا كتاب من سليمان بن داود رسول الله لمن في هذه الجزيرة
من القردة اني قد امرتكم بحفظ هذه الشياطين المحبوسين تلك الدائمة
وجعلت لكم امانا من الجن والانس باثرة الحي عن الميت والشاهد عن
الغايب فمن ارادهم او عرض لهم فهو بري مني وانا بري منه فاراد عبد الرحمن

انه يأخذ

انه يأخذ اللوح ليدفعه الى معاوية فوقفت تلك القردة امامنا وصحت
ضجة ارتجت لها الارض فلما راى ذلك عبد الرحمن رمى باللوح فاخذته
القردة وجعلته في عنق القرد ثم اقتحمت الماء وانصرفت الى الجزيرة
وقال الشهاب السمين في قوله تعالى في سورة البقرة كونوا قردة
خاسئين القردة جمع قرد وهو هذا الحيوان المعروف قيل جعلوا
مثل صورة القردة حقيقة وقيل بل في اخلاقها وفسادها وذلك
ان القرد اخبث حيوان وافسده وقوله تعالى في سورة البقرة
وجعل منهم القردة والخنازير اي في صورها قيل مسخ الشباب
قردة والشيوخ خنازير والخنزير اقذر شي في الحيوان واخبثها
منظرا ويجمع القرد على قرود وهو القياس نحو حمل وحمول وعلى قردة
وليس بقياس بل سمع ذلك فيه وفي حسل وحسلة وقال الدميري
في حيوة الحيوان ان القرد كنية ابو خالد وابو حبيب وابو خلف وهو
حيوان قبيح مليح ذكي سريع الفهم يتعلم الصنعة اهدي ملك النوبة
الى المتوكل قردا خياطا وآخر صايغا واهل اليمن يعلمونهم القيام
بحوايجهم حتى ان القصاب والبقال ليعلم القرد حفظ الدكان حتى
يعود صاحبه ويعلمه السرقة فيسرق والقردة تلد في البطن
الواحد العشرة والاثني عشر والذكر ذو غيرة على الاناث وهذا الحيوان
شبيه بالانسان في غالب حالاته فانه يضحك ويطرب ويقعد ويحاكي
ويتناول الشي بيده وله اصابع مفصلة الى انامل واظفار ويقبل
التعليم ويانس بالناس ويمشي على اربع مشيه المعتاد ويمشي على رجليه
حينا يسيرا ويشفر عينيه الاسفل اهداب وليس لشي من الحيوان
ذلك سواه والانسان واذا سقط في الماء غرق كالآدمي الذي لا يحسن
السباحة ويأخذ نفسه بالزواج والغيرة على الاناث وهما خصلتان
من مفاخر الانسان وذكر غير ذلك انتهى فائدة وقد رايت بخط الفضلا
ان الخطيب ناصر الدين بن عشاير السلمي ذكر انه ليس من ذكور الحيوان
ما له ثدي في صدره الا الانسان والفيل ثم قال الدميري فائدة روى
البيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تشوبوا اللبن بالماء فان رجلا كان فيمن كان قبلكم كان يبيع
اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى اذا لجج فيه فالهم الله
تعالى القرد صرة الدنانير فاخذها وصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها
ينظر اليه فاخذ دينارا فرمى به في البحر ودينارا فرمى به في السفينة
حتى قسمها نصفين فالقى ثمن الماء في الماء انتهى في الصحاح الشوب
الخلط وادلج القوم اذا ساروا من اول الليل والدقل سهم السفينة

ورايت في بعض التواريخ انه كان ليزيد بن معاوية قرد يكنى بابي القيس
وكان يحضره في مجلس منادمته ويطرح له متكأ وكان اذا رآه احدا
قال شيخ من بني اسرائيل مسخه الله قردا وربما وثب القرد فقعد
على عاتقه وربما غبت معه في كاسه وربما اجتمع الناس لركوب يزيد
فيقول قد بدالي في الركوب ولكن يركب ابو القيس فيركب القرد ويمر
على اهل الشام فيومي اليهم بالسلام كما يفعل يزيد عامله الله بما
يستحقه ويقال الصباح بالقرد غير مبارك نكتة قيل للمجدن
القراد كيف اصبحت قال كيف يصبح من يرجو خير هذا واشار الى
القرد وفي الامثال صباح القرود ولا صباح الاجرود يعني ان صباح
القرد مشوم ومع شومه فصباح الاجرود ايشم وقال الدميري
وفي الحلية عن وهب بن منبه ان بخت نصر مسخ اسدا فكان ملك
السباع ثم مسخ نسرا فكان ملك الطير ثم مسخ ثورا فكان ملك
الدواب وهو في ذلك يعقل عقل الانسان وكان ملكه قائما ثم رد
الله تعالى روحه وعقله وعاد انسانا كما كان فدعا الى توحيد
الله تعالى وقال كل اله باطل الا اله السماء فقيل لوهب امات مسلما
قال وجدت اهل الكتاب قد اختلفوا فيه فقال بعضهم امن قبل
ان يموت وقال بعضهم لا بل قتل الانبياء وخرب بيت المقدس
فلم تقبل منه توبة اقول في كونه مسخ وهو في ذلك يعقل عقل
الانسان ثم رد الله تعالى روحه وعقله وعاد انسانا تناقض
اما من زيادة او نقص في الالفاظ فليتامل وسياتي بالملحق بالفصل
السابع من الباب التاسع عشر في العلم والادب ان للاسد خمسمائة
اسم وعشرين كنيه وللاولاده اربعة اسما وللاناثه خمسة وعشرين
اسما تفصل ذلك قال الدميري وفي المستدرك عن ابي امامة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام
وشراب ولهو فيصبحون قد مسخوا خنازير وليخسفن بقبايل منها
وفي دور منها حتى يصبحوا فيقولون خسف الليلة ببني فلان خسف
الليلة بدار فلان وليرسلن عليهم حجارة كما ارسل على قوم لوط
وليرسلن عليهم الريح العقيم بشربهم الخمر واكلهم الربا ولبسهم
الحرير واتخاذهم القينات وقطعهم الرحم ثم قال صحيح الاسناد انتهى
واما قصة الزهرة والملكين هاروت وماروت فقد
قال الجوزي رحمه الله تعالى في تفسيره زاد المسير ذكر العلماء انه انما
انزل الملكان الى الارض بسبب وهو انه لما كثرت خطايا بني ادم دعت
عليهم الملائكة فقال الله تعالى لو انزلت الشهوة والشيطان منكم

منزلتهما من بني آدم لفعلتم مثل ما فعلوا فحدثوا انفسهم انهم ان ابتلوا
اعتصموا فاوحى الله اليهم ان اختاروا من افضلكم ملكين فاختاروا هاروت
وماروت وهذا مروي عن ابن مسعود وابن عباس واختلف العلماء ماذا
فعلا من المعصية على ثلاثة اقوال احدها انهما زنيا وقتلا وشربا الخمر
قاله ابن عباس رضي الله عنهما ويأتي ذلك اواخر الباب مفصلا والثاني
انهما جارا في الحكم قاله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة والثالث انهما
هما بالمعصية فقط ونقل عن علي رضي الله عنه ان الزهرة اتتهما
وهي امراة فارادها كل واحد منهما على نفسه ولم يعلم صاحبه وكانا
يصعدان السماء آخر النهار فقالت لهما بم تهبطان وتصعدان
قالا بالاسم الاعظم فقالت ما انا بمواتيتكما الى ما تريدان حتى تعلمانيه
فعلماها اياه فطارت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا وفي الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن الزهرة وقال انها فتنت ملكين
وتاول بعضهم هذا فقال انه لما راى الكوكب ذكر تلك المراة لان المراة
مسخت نجما واختلف العلماء في كيفية عذابهما فروي عن ابن مسعود
رضي الله عنه انهما معلقان بشعورهما الى يوم القيمة وقال مجاهد
ان جبا ملئ نارا فجعلا فيه فاما بابل فروي عن الخليل بن احمد ان السن
الناس تبلبلت بها ومعنى تبلبلت الالسن اختلطت كذا في الصحاح
واختلفوا في حدها على ثلاثة اقوال احدها انها الكوفة وسوادها
قاله ابن مسعود رضي الله عنه والثاني انها من نصيبين الى راس العين
قاله قتادة والثالث انها جبل في وهدة من الارض قاله السدي
الوَهْدَة المكان المطمئن والجمع وهد بسكون الهاء ووهاد بكسر الواو
واما كونهما يعلمان الناس السحر فياتي بالملحق بهذا الباب ونظيرها
وعدت بالاتيان بهما ورد عن ابن عباس ان الملكين زنيا وقتلا
وشربا الخمر ما ذكره الخرايطي رحمه الله تعالى في كتابه اعتلال القلوب
قال روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الله عز وجل
لما رفع ادريس عليه السلام مكانا عليا قال بعضهم مات في السماء
الرابعة وقبر فيها وقال بعضهم لما رفع وادخل الجنة قالت الملائكة
ما بال هذا الخاطي بين الملائكة الذين يخالفون الا اناسوا الذنوب
فاوحى الله تعالى الى الملائكة انكم عيرتم بني آدم بالذنوب وزعمتم اي قلتم
ما بال هذا بين اظهركم فانتخبوا عشرة من افاضلكم وهي بكسر العين
المهملة وسكون الشين المعجمة مثل ابره نفعلوا وانتخبوا عزا وعزيا
وعزرايل فقال الله عز وجل اني اهبطكم الى الارض فتكونوا حكاما
فتقضون بينهم بالحق وتخالطوهم في الماكل والمشرب واللباس واجعل

فيكم اللذات والشهوات واوصيكم بوصايا قالوا نفعل قال اوصيكم ان تعبدوني وتقيموا الحق وتعدلوا بين الناس وانهاكم ان لا تشركوا بي شيئا واياكم وقتل النفس الحرام والزنا وشرب الخمر ثم اهبطوا الى الارض فخالطوا الناس في المطعم والمشرب واللباس وجعل الله لهم مذاكير وجعل فيهم شهوة كشهوة بني آدم فكانوا يقضون بالنهار في الارض ويرتفعون بالليل الى السماء فاذا ارتفعوا الى السماء كانوا في حد الملائكة ومما جبلوا عليه واذا اهبطوا الى الارض كانوا في حد بني آدم وطبايعهم فلما راى ذلك عزا وعرف الغلبه وعلم انه لا طاقة له بذلك استغفر ربه واستقاله فاقاله وبقي عزيا وعزرابيل وكان احدهما صاحب الامر والاخر صاحب القضا يقضيان في الارض بالنهار ويرتفعان بالليل حتى جاءت اليهما امراة من اجمل اهل زمانها وكانت تسمى بالعربية الزهرة وبالفارسية بَيذَخت وقيل بهَذَخت وعليها قبا حرير وقد شدت وسطها بمنطق من قز ولها ذوائب تبلغ عجزتها فدخلت تشكوا زوجها فوقع في نفس كل واحد منهما شانها وكتم صاحبه ثم قالا لها اين منزلك قالت في موضع كذا قالا لها ارجعي يومك حتى ننظر في امرك فلما قاما من مجلسهما من يومهما ذهب كل واحد منهما دون صاحبه في منزلها فاتفقا جميعا على الباب فاخبر كل واحد منهما صاحبه بالذي وقع في نفسه منها فاستاذنا عليها فاذن لهما ثم ارادها فقالت لا يستقيم بيننا هذا وانتما على غير ديني وملتي فان اردتما ذلك فادخلا في ديني واسجدا للصنم فقال احدهما لصاحبه هذا الشرك وان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا قالت فان ابيتما ذلك فجارية ازينها بزينتي واطيبها بطيبي واحليها بحلي والبسها ثيابي فشانكما واياها قالا ابانا قالت اما اذا ابيتما فاشربا خمرا قالا هذا اهون فقالت لجاريتها ايتني بخمرة حمراء وخمرة بيضاء فاذا طعما وامرتك تسقيهما فاخرجي الخمرة الحمراء فامزجيها بالخمرة البيضاء واسقيهما ففعلت فلما شربا وطابت لهما قالا زيدينا فزادتهما ثم استزادا فزادتهما فلما سكرا اراداها عن نفسها فقالت لا دون ان تسجدا للصنم فسجدا فلما سجدا قالا لها امكنينا من نفسك ودخل عليهم سائل فقالت ان هذا سيدع علينا فاقتلاه فقتلاه ثم قالا امكنينا من نفسك قالت نعم ولكن علماني الاسم الذي تصعدان به الى السماء فعلماها فتكلمت به فارتفعت في الهوى فلم تبلغ السماء حتى مسخها الله تعالى كوكبا

المنطق هو كما شددت به وسطك والعجيزة للمراة خاصة وقد تستعار للرجل واما العجز فعام وهما بين الوركين كذا في المغرب وساق البيضاوي

بَيذَخت

حديثا

حديثا في تفسير قوله تعالى في سورة النبا يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا انه صلى الله عليه وسلم سال عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم كذا الى ان عد العشرة اصناف ثم فسر الاول بالقتات وهو النمام والثاني اكل السحت واكلة السحت قال في الصحاح القت نم الحديث والسحت بضم المهملتين او ضم الاولى وسكون الثانية الحرام ولما كانت النميمة اضر من السحر احببت ان اذكر شيئا من احوالها قال صاحب اداب السياسة النميمة اضر من السحر فانها تفشي الاسرار وتهتك الاستار وتورث الضغاين وتهيج الحقد وترفع الود وتجدد العداوة وتبدد الجماعة وذلك لان عمل النمام اضر من عمل الشيطان لان عمل الشيطان خيال ووسوسة وعمل النمام مواجهة ومعاينة ويعمل النمام في يوم ما لا يعمله الساحر في شهر الضغينة ويقال لها السخيمة بالخاء المعجمة والضغن والحقد والاحنة العداوة المخفية يقال في صدره ضغينة وحقد واحنة اي عداوة وانشد في الصحاح

اذا كان في صدر ابن عمك احنة ... فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

وسياتي بالملحق بهذا الباب ما يتعلق بالمعاداة والاعداء وما يتعلق بالحقد وقد ذم الله تعالى النمام في مواضع من القرآن منها قوله تعالى في سورة ن همّاز مشاء بنميم ودخل ارسطاطاليس يوما على معلمه افلاطون فوجده غضبان فقال له ما يغضبك ايها المعلم قال شيء اخبرني به الثقة قال الثقة لا ينم وهذا من محاسن سرعة الجواب وقد نقل صاحب نوادر الاخبار هذه الحكاية عن الاحنف في فصل سرعة اجوبة الاذكياء وعن صاحب اداب السياسة بابا في ذلك قال في اوله نعم الناصر الجواب الحاضر وقال الشاعر

ان شئت تغلب كل ضد ظاهر ... يوما عليك وكل خصم ماهر
فاستخدم الرجل البليغ خطابه ... فلسانه مثل الحسام الباتر
ولنعم ما نصر الفتى في محفل ... بين البرية ذو الجواب الحاضر

ومن الاجوبة السريعة ما ذكره ابو العينا قال قلت لاحمد بن ابي داود الوزير ان قوما تظاهروا علي فقال يد الله فوق ايديهم قلت انهم عدد وانا واحد فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة قلت ان القوم مكر فقال ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومنها ما كتبه نقفور الى المهدي يهدده فكتب اليه الجواب ما تراه لا ما تسمعه ومنها دخل اياس بن معاوية الشام وهو غلام فقدم له خصما شيخا الى قاضي عبد الملك فقال له القاضي اتقدم شيخا كبيرا فقال الحق اكبر منه

قال له اسكت فقال من ينطق بحجتى قال لا اظنك وتقول حقا حتى تقوم
فقال لا اله الا الله فقام القاضى فدخل على عبد الملك من ساعته فخبره
بالخبر فقال اقض حاجته واخرجه من الشام لئلا يفسد علينا الناس
والاولى ان تكون سرعة الجواب فى محلها كما ان السكوت ينبغى ان يكون
فى محله قال ارسطاطاليس من استعمل الفكرة فى موضع البديهة
والبديهة فى موضع الفكر فقد اضر بنفسه فقد يكون السكوت
اولى من رد الجواب فانه سئل قراطيس الحكيم عن اشياء قبيحة فامسك
عن الجواب فقيل له لم لم تجب فقال جوابها السكوت والسفيه لا جواب له
والسكوت عنه جواب وعقاب له ويقال اذا سكت عن السفيه
فقد اوسعته جوابا واوجعته عقابا وقال الشاعر

اذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من اجابته السكوت
سكت عن السفيه فظن انى ... عييت عن الجواب وما عييت

انتهى وسياتى بالملحق بهذا الباب شئ مما فى نوادر الاخبار من ذلك
ولنرجع الى ما قيل فى النميمة وعن عطاء ابن السائب قال قدمت مكة
فلقينى الشعبى فقال يا ابا يزيد اطرفنى مما سمعت فقلت سمعت عبد الرحمن
ابن عبد الله بن سابط يقول عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يسكن مكة
سافك دم ولا اكل الربا ولا مشاء بنميمة وتعجبت كيف عدل النميمة
بسفك الدما واكل الحرام فقال الشعبى وما تعجبك من هذا وهل يسفك
الدماء ويركب العظايم ويهيج الطعام الا النميمة الطعام بفتح الطاء
المهملة يتلوها غين معجمة اوغاد الناس جمع وغد وهو الرجل الدنى الذى
يخدم بطعام بطنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما الكذب فجور والنميمة
سحر فمن كذب فقد فجر ومن نم فقد سحر وسياتى الكذب فى الباب الحادى
والاربعين والسابع والخمسين وقال عبد الله بن طاهر اياك والنميمة
فانها لا تدع مودة الا افسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة
الا بددتها وقيل اياك والنميمة فانها تزرع الشحنا فى قلوب الرجال
الشحناء العداوة شعر

من نم فى الناس لا تومن عقاربه ... على الصديق ولم تومن افاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به احد ... من اين جاء ولا من اين ياتيه
فالويل للعهد منه كيف ينقضه ... والويل للود منه كيف يفنيه

وقال بعضهم النميمة تحدث بين الاخيار بغضا وتلقى بينهم العداوة
حتى يكونوا كالنار ياكل بعضها بعضا وسياتى بالملحق بهذا الباب ما يتعلق
بالنميمة والعداوة والتباغض والحقد والضغينة وسياتى فى الباب
الخامس والخمسين نبذة فيمن مسخ خنزيرا ولما ذكر الفقيه فى الباب الاول

ان الله تعالى خلق دواب البحر والبر يوم الثلاثا وكان باب صفة ما خلق
الله تعالى من الخلق مشتملا على ذكر الامم التى فى البحر ذكرناه تلو الباب الثانى
الذى فيه ما يتعلق بالباب الاول فقلنا الباب الثالث فى صفة ما خلق
الله تعالى من الخلق قال الفقيه رحمه الله تعالى ان الله خلق ثمانية
عشر الف عالم والدنيا عالم واحد منها وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق فى الارض
الف امة من الخلق ستماية منها فى البحر واربعماية فى البر وروى عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق ارضا بيضا مثل الدنيا
ثلاثين مرة مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما اى مثل ثلثين يوما من
ايامنا محشوا خلقا من خلق الله تعالى لا يعلمون الا الله تعالى ولا يعصونه
طرفة عين قالوا يا رسول الله امن ولد ادم هم قال لا يعلمون ان الله خلق
آدم قالوا يا رسول الله فاين ابليس عنهم قال لا يعلمون ان الله تعالى
خلق ابليس ثم قرا النبى صلى الله عليه وسلم ويخلق ما لا تعلمون وقال
عليه السلام ان الله خلق ملكا نصفه الاسفل نار ونصفه الاعلى نار
ونصفه الاعلى ثلج وهو يقول سبحان من الف بين النار والثلج كما الف
بين الثلج والنار فالف بين قلوب المومنين وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق ديكا تحت العرش له جناحان اذا نشرهما جاوز المشرق
والمغرب فاذا كان اخر الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح
سبحان الملك القدوس فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها
وخفقت باجنحتها واخذت فى الصراخ وعن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تسبوا الديك الابيض فانه يدعو الى الصلاة وعن عبد الله
ابن الحارث قال دخل كعب على عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فقال
يا كعب حدثنى عن البيت المعمور اين هو قال بيت فى السماء يدخل فيه كل
يوم سبعين الف ملك لا يدخلونه قط ولا يدخلونه حتى تقوم الساعة
وروى عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه انه سئل عن الخلق اى الخلق
اشد قال اشد الخلق الجبال الرواسى والحديد اشد منها تنحت الجبال
والنار تغلب الحديد والماء يطفى النار والسحاب يحمل الماء والريح تحمل السحاب
والانسان يغلب الريح والنوم يغلب الانسان والهم يغلب النوم واشد
خلق الله تعالى الهم والموت اشد منه انتهى وقال الفقير عفا الله تعالى
عنه فيما تقدم من خلق السموات وما فيها وما ذكر من الشيخ وتوابعه
عبرة وانا اذكر لك ان شاء الله تعالى اشياء مما خلق الله تعالى من
العجايب ثم اتبع ذلك باشيا من عجايب الطيور ثم بشئ مما ذكره الاوايل
من عجايب العماير ثم اتبع ذلك باشيا من عجايب البلدان وغير ذلك فاقول

فاقول قال التاج القرا في تفسير قوله تعالى في اوايل سورة النحل ويخلق
ما لا تعلمون ان خلق الله تعالى في البحر والبر والهوا اكثر من ان تعد وتحصى
وقال مقاتل ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين
السبع والبحار السبع يدخله جبريل كل سحر فيزداد نورا الى نوره وجمالا
الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخرج الله من كل قطرة ريشه
كذا كذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور
وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة
ثم قال التاج قال الشيخ اذا السكوت عن تفسير ما يقول الله عز وجل
فيه ويخلق ما لا تعلمون اولى انتهى وفي كتاب كريم الندما ونديم
الكرما ما لفظه قالت العلما رضي الله تعالى عنهم خلق الله العرش
من جوهرة خضرا له الف الف راس في كل راس الف الف وجه
وستماية وجه الواحد منها كطباق الدنيا الف الف مرة وفي كل وجه
الف الف لسان وستماية لسان تسبح الله تعالى بالف الف لغة خلق
الله تعالى كل لغة من لغات العرش خلقا في ملكوته فيسبحونه ويقدسونه
بتلك اللغات وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال ان بين قايمتين
من قوايم العرش خفقان الطير المسرعة ثمانين الف عام والعرش
يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه
خلق من خلق الله تعالى ولكل ملك من حملة العرش اربعة اجنحة
جناحان يخفقان بهما وجناحان يغطي بهما وجهه حتى لا ينظر
الى العرش من شدة نوره والاشيا كلها في العرش كحلقة ملقاة
في فلاة وان لله ملكا يقال له حزقايل له ثمانية عشر الف جناح
ما بين الجناح الى الجناح خمسماية عام فخطر في خاطره ان ينظر الى العرش
جميعه ويطوف به فزاده الله تعالى اجنحة مثلها فكان له ستة
وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسماية عام
فاوحى الله اليه يا ايها الملك طر فطار مقدار عشرين الف سنة فلم
يبلغ راس قايمة من قوايم العرش ثم اوحى الله تعالى اليه لو طرت الى النفخ
في الصور مع اجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق عرشي فقال الملك سبحان
ربي الاعلى فانزل الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اجعلوها في سجودكم وقال كعب الاحبار لما خلق الله تعالى
حية فطوقه بها فالتفت الحية على العرش فجا العرش بعظمته
وما فيه الى نصفها ثم التفت عليه كانها تريد ان تبتلعه فكلما
اعجب العرش بعظمته فتحت تلك الحية فمها وارادت ان تبتلعه
فيسكن فالبرق الذي ترونه من ثنايا تلك الحية لهذه الحية سبعون

الف جناح في كل جناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف
وجه في كل وجه سبعون الف لسان يخرج كل يوم من افواهها من
التسبيح بعدد ما خلق الله تعالى في السموات والارض من ساير المخلوقات
ولو اذن الله تعالى لتلك الحية ان تبتلع السموات السبع والعرش والكرسي
وما فيها لابتلعت تسبيحها سبحان ربي العظيم الذي قال كوني فكنت
ولو نال عودي هبا لعدت انتهى وقال الحافظ ابن الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير قال ذكر قوم من المفسرين ان المراد
بقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون عجايب المخلوقات في السموات والارض
التي لم نطلع عليها وقال قوم المراد بذلك ما اعد الله لاهل الجنة
فيها ولاهل النار فيها قال ابو سليمان الدمشقي من الناس من كره
التفسير لهذا الحرف وقال الشعبي هذا الحرف من اسرار القران انتهى
وقيل ان ببلاد الهند وردا مكتوب على كل ورقة منه لا اله الا الله
محمد رسول الله وروي عن كعب الاحبار رضي الله عنه ان الارض سكنها
الجن سبعماية الف سنة فلما عصوا وسفكوا الدما اهلكهم الله
تعالى واسكنها الملايكة الفي سنة ثم خلق الله تعالى ادم عليه السلام
ذكر ذلك جدي لامي ابو الوليد بن الشحنة في تاريخه واما عجايب
البحر فنقل الدميري عن عجايب المخلوقات ان شخصا مسك سمكة من
بحر المغرب نحو الشبر فاذا مكتوب خلف اذنها اليمنى لا اله الا الله
وفي قفاها محمد وخلف اذنها اليسرى رسول الله انتهى وقيل ان في
بحر الروم سمكا كالذراع يسمى الشلب بالشين المعجمة والنار المثلثة
مكسورتين وسكون اللام اذا صيد مكث ما شا الله يتحرك ويقطع
صغارا وهو يضطرب واذا جعلت منه قطعة على الجمر وثبت الى
خارج النار وربما اصابت وجوه الناس واذا جعلت في قدر غطي
راسها بحجر او حديد ليلا يخرج منها واذا لم ينضج لم يمت ولو قطع
الف قطعة ومن السمك ما لا يدرك الطرف اولها واخرها لكبرها ومنها
ما لا يدركه الطرف لصغرها وكله يأوي الماء ومنه ما يتولد بسفاد
وهو نزو الذكر على الانثى ومنها ما يتولد من الطين والرمل ومن
العفونات اقول السفاد يقال في التيس والبعير والثور والسباع
والطير واستعمل في السمك لانه يشبه الطير من حيث انه يبيض
ثم قال اعني الدميري وبيض السمك لا يكون له بياض وصفرة وانما يكون
لونا واحدا وكل سمك يكون في الما العذب يكون له لسان ودماغ وما
كان في الما المالح ليس له لسان ولا دماغ وقال الغزالي اكثر خلق
السمك وفي البحر من العجايب ما لا يستطاع حصره ويكفي في ذلك قوله

يسيرة
النبي صلى الله عليه وسلم حدثوا عن البحر ولا حرج انتهى ملخصا بزيادة
وقد رايت دابة من دواب البحر قدر السلحفاة ولها سنام ورقبة
كالجمل وراسها راس حية به عرف صغير كعرف الدجاجة وقد خرج
من كتفيها حيتان اقصر واصغر من الاولى وذنبها حية معقوفة
على ظهرها وهي بقدر الحيتين الخارجتين من كتفيها وذكر الدميري
ان في البحر سمكة اسمها المناره تخرج على شكل المناره فترمى نفسها
على السفينة فتكسرها وتغرق اهلها فاذا احس الناس بها ضربوا
بالطوس جمع طاسة والبوقات لتبعد عنهم وسمكة اسمها المنشار
في بحر الفرنج كالجبل العظيم من راسها الى ذنبها مثل اسنان المنشار
من عظام سود كالابنوس كل سن منها كذراعين وعند راسها عظمان
طويلان كل عظم مقدار عشرة اذرع تضرب بالعظمين ماء البحر يمينا
وشمالا فيسمع له صوت هايل ويخرج الماء من فيها وانفها فيصعد نحو
السماء ثم يعود الى المركب رشاشه كالمطر فاذا دخلت تحت سفينه
كسرتها فاذا راى اهل السفينة ذلك ضجوا الى الله تعالى حتى يدفعها
عنهم وذكر القزويني ان في بحر الاسكندرية ورشيد سمكة يقال
لها ابو مُرَيْنه على صورة الرجال يظهرون الى البر يمشون بجلود لزجة
واجسام متشاكلة فاذا وقع بهم الصيادون يحصل منهم بكاء
وعويل فيرحموهم ويطلقوهم وسمكة لطيفة تصاد من النيل بالصعيد
اكبر من الشبر واقل الذراع ناعمة الملمس بها نقط سود اذا لمسها الانسان
بيده ارتعشت يده ارتعاشا قويا بالم فاذا رفع يده عنها سكن عنها
ذلك الارتعاش فان عاد الى لمسها عاد الارتعاش وهذه الخاصية
موجودة فيها ما دامت الروح فيها فاذا خرجت روحها ذهبت تلك
الخاصية منها وفي اقصى البحر الشرقي وهو بحر جزه سمكة طولها مايتا
ذراع يخاف على سفنه منها وسمك طول الواحدة منها عشرون ذراعا
في جوف السمكة سمكة وفي جوف السمكة سمكة الى اربع سمكات وذكر
ابن حجر في تاريخه ابناء الغمر ان في شعبان سنة سبع وتسعين وسبعماية
احضر من دمياط قطعة من مخ سمكة يدخل في كل عين منها رجل ضخم
وفيه سلاحف طول كل سلحفة عشرون ذراعا ومن ظهورها يعمل
الذبل الجيد وفيه سمك على خلقة البقر يلدوا ويرضعوا من جلودهم
تعمل الدرق الجيدة وسياتي بالباب الذي يلي هذا ان الجراد من نثرة
الحوت ومن هذا البحر يصار الى وادي سرنديب وهو ثمانون فرسخا
عرضا وبه الجبل الذي هبط عليه آدم عليه السلام وهو جبل صاعد
الى السماء يراه من يركب البحر من مسيرة ايام كثيرة وذكرت البراهمة وهم

عُبّاد

عبّاد الهند ان على هذا الجبل اثر قدم آدم عليه السلام وهي قدم واحدة
مغروزة في الجبل طولها نحو سبعين ذراعا وعلى الجبل نور يشعل
كالبرق الخاطف لا يزول ليلا ولا نهارا ولا بد في كل يوم من مطر يغسل
قدم آدم عليه السلام وعلى هذا الجبل الياقوت وفيه ينبت العود وجميع
الافاويه من العطر والطيب وعليه من دواب المسك والزباد شيء
كثير وفي جوانبه غوص اللؤلؤ وبعد سرنديب جزيرة الواق بها الكركند
وهو دون الفيل واكبر من الجاموس وهو دابة لها قرن واحد في
جبهتها طوله ذراع غليظ وفيه صورة من اول القرآن الى آخره
فاذا انشق رايت الصورة اما هي صورة انسان صورة سمكة او طاير
وفيها اناس لا يفهم كلامهم طول الانسان منهم اربعة اشبار
بروسهم زغب اشقر يتسلقون على الاشجار بايديهم من غير ان يضعوا
ارجلهم عليها وفي هذا البحر جزاير فيها ناس بيض يعومون في البحر
فيلحقون المراكب وهي مقلعة في شدة الريح يبيعون العنبر بالحديد
يحملونه في افواههم وفيه جزيرة فيها قوم سود ياكلون الناس
احياء من غير طبخ ولا نار وبجانب البحر جبال يقال لها جبال لوامع بالنون
بها حيات تبلع الفيل وبها من شجر الكافور شيء كثير تظل الشجرة ماية
رجل واكثر ينقب اعلاها فيسيل منها ماء فينشف قطعا كالصمغ وهو
الكافور الجيد الخالص وهو الذي يكون في خزاين الملوك وهو صمغ تلك
الشجرة الا انه من داخله ومنها جزيرة بالوس واهلها ياكلون الناس
وملوكها يبيحون الزنا ويحرمون الخمر وهم يخرصون الاذان وفي جزيرة منطابد
يسمع الطبل والزمر في الليل كله وكثير من اهل البحر يزعمون ان فيها الدجال
ويخرج من البحر هناك خيل لها اذناب ومعارف وفيها قرده مثل الحمير
عجايب الطيور منها الطاير الصغير المسمى بسراج الغولة وبالطيبوثة
بالمهملة وبالتاء المثناة الفوقية مكان الطاء المهملة في لسان العامة
وخروج النور من دبره ليلا ولقد رايت في سنة اثنين وثمانين وثمانماية
بحماه اصل شجرة يضيء في ظلمة الليل ضوءا ابيض وجد في ساقية تجري الماء
بالبستان الذي فيه مقبرة اولاد سيدي القطب الرباني الشيخ عبد القادر
الكيلاني رحمة الله عليه وعليهم واحضروا الذي قطعة منه الى حلب
فكانت اذا جفت يسيرا قل نورها فاذا نقعت بالماء عاد نورها واستمرت
عدة شهور على هذا الى ان انقطع ضوءها قليلا قليلا ومنها عنقاء مغرب
بضم الميم على ما هو المشهور وبفتحها على انها تكون عند مغرب الشمس
على ما سياتي قال البيضاوي سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها
الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا ودخ بفتح المهملة وسكون الميم

وخاء معجمة قال الشاعر كفى حزنا انى تطالمت كى ارى ذرى قلتى دمخ فما تريان
كذا فى الصحاح وقال الدميرى قال بعضهم هو طائر يكون عند مغرب الشمس
وقال القزوينى انها اعظم الطير جثة واكبرها خلقة تختطف الفيل
كما تختطف الحداة الفارة وكانت فى قديم الزمان بين الناس فتاذوا
منها الى ان سلبت يوما عروسا بحليها فدعا عليها حنظلة النبى فذهب
الله بها الى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء وهى جزيرة ولا
يصل اليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والكركند والجاموس والسباع
وجوارح الطير وعند طيرانها يسمع له دوى كالسيل العظيم وتعيش
الف سنة وتتزاوج اذا مضى لها خمسماية سنة واذا كان وقت بيضها
يظهر بها الم شديد ثم اطال فى وصفها وهى عظيمة الخلق لها وجه
انسان ولها من كل حيوان شبه وهى احسن من الطير وكانت تاتى فى
كل سنة مرة الى جبل بارض الرس يقال له دمخ وهذا الجبل صاعد فى السماء
قدر ميل وكان به طيور كثيرة فكانت العنقاء تلتقط طيره فجاءت فى بعض
السنين واعوزها الطير فانقضت على صبى فذهبت به ثم بجارية اخرى
فشكوا ذلك الى نبيهم حنظلة بن سنان فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد
عليهما الصلاة والسلام وفى ربيع الابرار للزمخشرى فى باب الطير عن ابن
عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه السلام طائرا
اسمه العنقاء لها اربعة اجنحة من كل جانب ووجهها كوجه الانسان
واعطاها الله تعالى من كل شئ قسطا وخلق لها ذكرا مثلها واوحى اليه اى
الى موسى عليه السلام انى قد خلقت طائرين عجيبين وجعلت رزقهما
فى الوحوش التى حول بيت المقدس وجعلتهما زيادة فيما وصلت به بنى
اسرائيل فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه السلام انتقلت
فوقعت بنجد والحجاز فلم تزل تاكل الوحوش وتختطف الصبيان الى ان نبى خالد
العبسى من بنى عبس قبل النبى صلى الله عليه وسلم فشكوا اليه فدعا
عليها فانقطع نسلها وانقرضت اقول قد اختلفت هذه الروايات
فى اسم النبى الذى دعا عليها واسم ابيه فليحرر هل هو حنظلة او خالد
وهل ابوه صفوان كما ذكره البيضاوى او سنان كما ذكره الدميرى مع ان
القصة واحدة وعن رجل من اهل البيت قال يقرع الظليم النعام بيوما
ثمانيا ثم ثالثا الى ثلاثين يوما فاذا كان يوم احد وثلاثين اخرجت بيضها
ثم لا تزال تخرج كل يوم بيضة ثلاثين يوما ثم تخرج فرخا يوم واحد وستين
ثم لا تزال تخرج كل يوم فرخا الى تسعين يوما والظليم ذكر النعام وجبل
بالصعيد يعرف بجبل الطير فيه كوة مستطيلة يجتمع الطير الى ذلك
الجبل فى يوم من السنة ثم تعرض نفوسها على تلك الكوة واحدا بعد واحد

فلم

فلم نزل كذلك الى ان يتعلق منها طير واحد فاذا تعلق فرّ الجميع فلا يعودون
الى القابل انتهت عجايب الطيور ومن العجايب ما حكاه صاحب ثمرات
الاوراق فى كتابه المسمى ان برمك جد يحيى بن
خالد حدث انه صار الى ملك الهند فاكرمه واحضر طعامه قال فاكلت
حتى انتهيت فقال لى كل فقلت لا والله ايها الملك ما اقدر ان ازيد شيئا
فقال يا غلام هات القضيب قال فتوهمت وظننت انى اخطات فلم يلبث
ان جاءه الغلام بقضيب فاخذه الملك وامره على صدرى فكانى لم اكل
شيئا قط ثم اكلت اكلا كثيرا حتى انتهيت فقال لى كل فقلت ما اقدر على
ذلك فاراد ان يمر القضيب ثانيا فقلت ايها الملك ان الذى دخل يحتاج
الى ان يخرج فقال صدقت وامسك عنى القضيب فسالته عن القضيب
فقال تحفة من تحف الملوك قال برمك فخرجت من عنده فاتيت الى الاصبهبد
فقربنى واكرمنى وكان جالسا فى مجلس على البحر وفى يده خاتم ياقوت احمر
يغلب نوره الشمس قد اضاء المجلس منه فلم ازل انظر اليه فلما رانى افعل
ذلك نزعه من يده ورمى به فى البحر فورد على اعظم مصيبة وقدرت انى
قد جنيت جناية ورحمت فلما رانى قال لى ما لك قلت احسب انك انكرت
نظرى الى الخاتم فالقيته فى البحر قال لا وضحك ودعا بسفط بفتح المهملة
والفاء ما يعبى فيه الطيب وما اشبهه من الات النساء ويستعار
للتابوت اى الصندوق فاخرج من السفط سمكة من فضة فى رقبتها
سلسلة طويلة فالقاها فى البحر فغاصت ثم ظهرت بالخاتم فى فيها
فجذبها واخذ الخاتم ورده الى اصبعه فورد على ما حيرنى وقال برمك
ما ملخصه دخلت على هشام بن عبد الملك مرة فقال لى لا تقربنى فان معك
سما وامر باخراجى فذهبت الى بيتى ثم عدت اليه بعد ان غسلت يدى من
افيون وسالته عما كان منه فقال لى كان معك سم قلت لا والله الا انى
كنت اعمل تركيبا فيه الافيون فكانت رائحته فى يدى وهو سم قال ما شك
فى ذلك فقلت كيف علم امير المومنين ذلك فقال فى عضدى كبشان من
الياقوت اذا لقينى انسان معه سم او قدم الى سم او ما فيه سم
انتطحا فلما وقع نظرى عليك انتطحا وسياتى فى الملحق بالباب السبعين
عمل الخرزة الهندية التى تفعل فعل الكبشين المذكورين اقول اما القضيب
الذى كان عند ملك الهند فيحتمل ان فعله بالخاصية واما الكبشان فهما
من الارصاد والله اعلم ومن الارصاد ما ذكره صاحب ثمرات الاوراق
فى كتابه المسمى انه وجد فى خزاين مروان بن محمد ماية جزع
ارضها بيضاء فيها خطوط سود وحمر شبعتها ثلاثة اشبار واجلها
ذهب فيقال انها صنعت على شكل المشترى من اكل منها لا يشبع وفيه

حكى الواقدى فى فتوح المسند ان عبد الله العبيدى عامل معاويه اهدى
اليه قطعة مرآة ذكر انها من مرآة آدم التى انزلها الله تعالى عليه فكان يرى
من يعد من ذريته وسيأتى ذكرها انفا مفصلا وتلو مرآة اسكندريه ومن
العجايب ما جعله الله تعالى من المحبة والبغضاء بين شيئين فمن ذلك
المحبة التى بين المغناطيس والحديد وجذب الاول الثانى ومنه جذب
الكهربا بالقشة الخفيفة كالتبنة اذا حك على شى خشن بحمى جدا ومنه
بغض الهالوك بعض المزروعات وهو زهر ازرق يخرج من ساعد كالشبر
فما دونه بغير ورق فاذا خرج بين الباذنجان او الفول او العدس وساير
الحبوبات ما عدا الحنطة والشعير اهلكها ولم يسلم منها الا القليل وقد
اخبرنى بعض البساتنة العارفين ان الريحان المزروع بالبساتين
اى نوع كان منه فهو عدو للهالوك وانه اذا اطلع الهالوك على الباذنجان
رموا بينه بزر ريحان فيهلكه وكذا ادشتو الريحا دبين الباذنجان
الذى طلع عليه الهالوك قال وكذلك بعض الحشايش تخرج على بعض
الزراعات بكثرة محبة فيها ولا تؤذيها مع انها تخرج فى بعض الاراضى
قليلة ومن اراد الاطلاع على مثل ذلك فليطالع كتاب نزهة الطالب فى
اسرار الجواذب للشيخ يوسف المغربى الموقت المعروف بابن القماح عجايب
الجبال والبلدان والعماير وغير ذلك قد تقدم اثر عجايب البحر وذكر جبل
سرنديب وبعض جزايره وانا اذكر لك ان شاء الله تعالى ما تيسر من ذلك
فاقول ذكر الحافظ ابن كثير فى تاريخه الكبير ان باليمن جبلا وفيه شق
بقرية يقال سح يدخل فيه الرجل الضخم السمين حتى ينفذ فيه الى الجانب
الاخر فاذا دخل فيه ولد الزنا تضايق عليه ولو كان ارق ما يكون لم
يقدر ان ينفذ منه ومن عجايب ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى
البلاد قال الحافظ ابن الجوزى فى تفسيره فى الكلام على سورة الفجر روى
وهب ابن منبه عن عبد الله بن قلابه انه خرج فى طلب ابل له شردت
فبينما هو فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها
حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنى منها ظن ان فيها احدا يساله
عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه
ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين والبابان مرصعان
بالياقوت الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح احد البابين فاذا هو بمدينة
لم ير احد مثلها واذا بقصور كل قصر منها فيه غرف مبنية بالذهب
والفضة واللولو والياقوت ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع
المدينة يقابل بعضها بعضا مفروشة كلها باللولو وبنادق المسك
والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة

فاذا هو فى كل زقاق منها بشجر وقد اثمر وتحت الشجر انهار مطردة تجرى
ماؤها من قنوات من فضة فقال الرجل ان هذه لهى الجنة فحمل معه من
لولوها ومن بنادق المسك والزعفران ورجع الى اليمن فاظهر ما كان
معه وبلغ الامر الى معاوية فارسل اليه فقص عليه ما راى فارسل
معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال يا ابا اسحاق هل فى الدنيا مدينة
من ذهب وفضة قال نعم اخبرك بها وبمن بناها شداد بن عاد والمدينة
ارم ذات العماد فقال حدثنى حديثها فقال ان عاد المنسوب اليه عاد الاولى
كان له ولدان شديد وشداد فلما مات ملكا بعده ثم مات شديد
وبقى شداد فملك الارض ودانت له الملوك وكان مولعا بقراءة الكتب
وكان اذا مر بذكر الجنة دعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله تعالى
فامر على عملها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى
ملوك الارض ان يمدوه بما فى بلادهم من الجواهر فخرج القهارمة فبددوا
فى الارض ليجدوا ما يوافق حتى وقفوا على صحراء عظيمة نقية من التلال
فاذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التى امر الملك ان يبنى
عليها فوضعوا اساسها من الجزع اليمانى واقاموا فى بنائها ثلاثمائة سنة
وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا
عليها حصنا واجعلوا حول الحصن الف قصر كل قصر الف علم يكون فى كل
قصر من تلك القصور وزير من وزرائى ففعلوا وامر الوزراء وهم الف
وزير ان يتهيأوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهلهم فى
جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة
بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا
ولم يبق منهم احد وقال ابن كثير فى تاريخه الكبير من زعم ان ارم مدينة
عظيمة مزخرفة وانها بناها شداد بن عاد على مثال الجنة الاخرة لما بلغه
خبرها لبنة من ذهب ولبنة من فضة وان انهارها مطردة فيها
وثمارها وابكارها وانه بنى فيها القصور من الذهب والفضة وانها
مدينة تدور فى الارض فتارة تكون فى الشام وتارة فى اليمن وتارة فى
الحجاز وتارة فى غيرها فقد ابعد النجعة فان هذا لا دليل عليه ولا برهان
يقوم عليه وعاد ارم ذات العماد هم عاد الاولى كانوا عربا يسكنون
الاحقاف وهى جبال الرمل وكانت باليمن بين عمان بضم العين المهملة
وتخفيف الميم وبين حضرموت بارض مطلة على البحر يقال لها الشحر واسم
واديهم مغيث وكانوا كثيرا يسكنون الخيام ذوات الاعمدة الضخام كما قال
تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد وهم عاد الاولى واما
عاد الاخرة فمتاخرة وقيل ان عاد الاولى قبل ابرهيم الخليل عليه السلام

وعاد الآخرة بعده وقيل غير ذلك انتهى كلام ابن كثير ملخصاً وسياتي ذكر
عاد الاولى ايضا بالباب السادس عند ذكر هود عليه السلام وروى
الشعبي عن دغفل الشيباني عن علماء حمير انهم قالوا لما هلك شداد
ابن عاد ومن معه من الصيحة ملك بعده ابنه مرثد بن شداد وقد
كان ابوه قد خلفه بحضرموت على ملكه وسلطانه فامر ان يحمل ابيه
من تلك المفازة الى حضرموت وامر فحفر له حفيرة في مغارة فاستودعه
فيها على سرير من ذهب والقى عليه سبعين حلة منسوجة بقضبان
الذهب ووضع عند راسه لوحا عظيما من ذهب وكتب عليه شعري

اعتبر بي ايها المغرور بالعمر المديد • انا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وانا اهل الارض لي من خوف وعدي ووعيدي • وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد
ولنا القوة الباسا والملك الشديد • وبفضل الملك والعدة فيه والعديد
فاتى هود وكنا في ضلال قبل هود • فدعانا لو قبلناه الى الامر الرشيد
فعصيناه وناديت الاهل من بجيد • فاتتنا صيحة تهوي الى الافق البعيد
فتوافينا كزرع وسط بيداء حصيد

ومن العجايب الاسكندرية ذكر في نوادر الاخبار ان اول من بناها
شداد بن عاد ثم بناها جبير الجبابرة الملك وذلك انه لما مات لوطيس
ملك مصر كانت له اولاد كثيرة فوقع فيهم الموت فلم يبق منهم سوى بنت
اسمها حوريا فملكت بعد ابيها وكانت صاحبة راي وتدبير فاكثرت
العمارة بارض مصر وسمع بها الجبابرة وطمعوا فيها وكان الملك الذي قهر
الملوك في ذلك الوقت يقال له جبير الجبابرة وكان الواحد منهم يقطع
القطعة من الجبل ويقلها اي يحملها حيث شاء فلما بلغ حوريا ان جبير
قدم لياخذ الملك منها وشاورت اهل مملكتها فاقروا بالعجز عنه فلما علمت
ذلك دبرت حيلة تقتله بها من غير حرب فاحضرت قهرمانة لها ذات
مكر وخديعة ووزرت معها المكر بجبير المؤتفكي وسيرت هدايا وتحفا
وذخاير وسالته قبولها منها وسالته ان يتزوج بها اذ هي محتاجة
الى زوج يدبر ملكها ولم تجد في ملوك الارض كفوا غيره ووصفت له
جمالها وحزمها فمال اليها ورغب فيها وانثنى رايه عن القتال واجابها
الى ذلك فرجعت القهرمانة اليها واعلمتها برغبته فيها فسيرت اليه
هدايا وتحفا ثانية وذخاير وسالته ان يرفع قدرها بين الملوك
ويعلي شانها بان يبني لها مدينة بساحل البحر يظهر فيها حكمته وقوته
ويقيم فيها اعلاما تبقى على ممر الزمان وتكون هذه المدينة مهرها وحظها
منه وان نحوها يجيبها الى سوالها نسبته الملوك الى العجز والتقصير فلما
سمع ذلك ادركته اريحيته قال في الصحاح راح فلان يراح راحة اذا اخذته

خزنة

خفة واريحية واجابها الى ذلك ثم امر اصحابه ان يتفرقوا في النواحي ذات المعادن
ليقطعوا الصخور والعمد ودخل جبير الى مصر في خاصة من قومه ودولته
فدلوه على الاسكندرية فلما وصل اليها راى فيها اثارا لشداد وما عمل
فيها من العجايب وما اسر فيها من الحكمة فاعجبه راي حوريا واسترجح
عقلها وجدد فيها اثارا وجعلها اثنى عشر فرسخا واقام لبنايها الف
الف صانع وانفق عليها خزاينه فظفر بها بكنز لشداد بن عاد فاخذه
وانفقه عليها وجعلها ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وعمل فيها
قناطر الى البحر فلما كملت ارسل الى حوريا واعلمها بذلك فاظهرت البشرى
واكرمت الرسل وجعلت ذلك عيدا بمصر واظهرت فيه الزينة وارسلت
تخيره في قدومه عليها او قدومها عليه فاختار قدومها عليه فامرت
بحمل خزاينها وفرشها وحليها فكان ذا اول الدواب باسكندرية واخرها
بمنف وهي مصر وسارت عقيب ذلك فلما قاربت الاسكندرية امرت
بالقباب فضربت وبالذبايح فذبحت وجعلت عرسا واولمت واجتمع
اليها قوم جبير فجلسوا للاكل والشرب وكانت قد اتخذت لهم طعاما
مسموما فلما كان الليل تقدمت القهرمانة ومعها خلع مسمومة مطيبة
فالبستها الملك وطيبته فسقطت قواه وتقطعت بعض اعضائه
فما جن الليل حتى هلك هو وقومه عن آخرهم فدخلت حوريا وقهرمانتها
فلطمت وجهه وقالت رب جبار مخدوع فاتخذها الناس مثلا وكان
لما كان ايس جبير من نفسه سالها ان تكتب سيرته على العامود
القايم على السرطان النحاس بناحية البحر ففعلت ومات جبير تلك
الليلة ولما ملك سليمان بن داود عليهما السلام جدد بها مجالس
السواري واتخذه معبدا كالمسجد وكان من البنيان العجيب الذي يدل
على فخامة بانيه ولما ملك ذو القرنين جددها وكانت ثلاث مداين
بعضها الى جانب بعض فمنها مدينة المنارة واسمها منة ومدينة
اسمها نقطيه والاسكندرية وعلى كل مدينة سور وسور يجمع الجميع
وكان الاسكندر ذو القرنين قد رخمها برخام ابيض وكان الناس
يلبسون السواد والزرقة فاقامت سبعين سنة لا يدخلها احد
الا على عينيه خرقة سودا ولا يوقد فيها سراج وجاء الاسلام وهي
على هذه الصورة والهيئة ودخلها عمرو بن العاص قبل فتوحها وهي
بيد المقوقس والروم فاعجبته لما راى من بنايها وحسن عمارتها فلما
فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام حرضه على فتحها وحدثه بما راى
فيها وشرح له ما شاهده من مصر والاسكندرية وذكر له كثرة اموال
اهلها ورفاهيتهم وعجزهم عن القتال ولم يزل به حتى عقد له على اربعة

الاقى فارس وامره بالمسير وان يعمل بعد مسيره بما كاتبه فسار عمرو
ابن العاص بالمسلمين وانثنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رايه عن ذلك
وخاف على المسلمين فكتب الى عمرو بن العاص كتابا وسيره اليه مع رجل من
المسلمين فادرك عمرو في الطريق فخاف عمرو ان يكون الكتاب برده فلم
يفتحه رغبة في الديار المصرية ولم يزل يشاغل الرسول ويجد في السير
الى ان وصل العريش فسال عنها فقيل له هذه من حدود مصر ففتح الكتاب
وقراه على المسلمين فوجد فيه ان ادركك كتابي هذا قبل ان تدخل حدود
مصر فارجع بمن معك وان ادركك وقد دخلت حدود مصر فاقض امرك
واستعن بالله تعالى فقال عمرو بن العاص لمن معه من المسلمين الستم
تعلمون ان هذه حدود مصر قالوا بلى قال فسيروا على بركة الله تعالى
فساروا حتى بلغوا ابوابيس وكان الفرما خرجوا الى عمرو بن العاص
وصاروا له اعوانا براى اسقف يقال له ابو مناميين فانه كان قد
قال للقبط بعدما بلغه قدوم العرب على الديار المصرية اخرجوا اليهم
وطلبوا رضاهم فان الروم والقبط ما بقي لهم ملك في هذه الارض
وخرج القبط من القصر اعني من قصر الشمع لقتال عمرو بن العاص فلم يثبتوا
وانهزموا ورجعوا الى خندقهم وتحصنوا في القصر فحاصرهم المسلمون
وكتب عمرو بن العاص الى الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه بعجز
القبط عن القتال ويعرفه انهم التجؤا الى قصر الشمع وغلقوا الابواب
ودفع بهم الحصار فسر بذلك وامده باربعة الاف رجل واربع رجال
وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندي وعبادة بن الصامت
ومسلمة بن مخلد وكتب اليه اني قد امددتك باربعة الاف رجل واربعة
رجال باربعة الاف ولا يغلب احد اثني عشر الفا من قلة ولما قدم هذا
الجيش على عمرو بن العاص الح بالحصار على قصر الشمع فلما ابطا الفتح
قال الزبير بن العوام انا اهب نفسي لله عز وجل فوضع سلما الى جانب
القصر من ناحية سوق الحمام وامرهم اذا سمعوا تكبيرا فليبادروا اليه
فما شعروا الا والزبير يكبر على راس القصر فاجابه المسلمون بالتهليل
والتكبير من خارج الحصن فلم يشكوا النصارى ان المسلمين اقتحموا
عليهم المدينة وانهزموا من جهة البحر ودخل المسلمون المدينة
والمقوقس يومئذ نازلا بالجزيرة وكان بمصر رجل يقال له الاعرج
لتدبير الحروف فهرب بمن معه وركب السفن والتجأ الى الجزيرة الى
المقوقس وجرت بينهم مراسلات ليس هذا موضع ذكرها كان آخرها
الصلح على ان القبط بمصر يؤدوا الجزية وكان من جملة من وافق المقوقس
على ذلك ستة الاف الف رجل فاوجب عمرو عليهم الجزية وترك النساء

والصبيان

والصبيان وفرض لكل من المسلمين دينارا وعمامة وبرنسا وخفين
وشرط عليهم ان يقيموا له الاسواق من مصر الى الاسكندرية وذلك
في سنة سبع عشرة من الهجرة وامتنع الروم ان يفعلوا ما فعل المقوقس
والقبط والتجؤا الى الاسكندرية وقاتلوا عمرو ومن معه من المسلمين
ووقعت بينهم وقائع وملاحم واقاموا على ذلك تسعة اشهر وفتحها
المسلمون بعد هذه المدة يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من
الهجرة ولم يقتل من المسلمين في حصار الاسكندرية غير اثنين وعشرين
رجلا وقبل فتحها وكتب عمرو بن العاص الى الامام عمر بن الخطاب رضي
الله عنه اما بعد يا امير المؤمنين اني فتحت مدينة لم اصف فيها غير
اني وجدت فيها اربعة الاف حمام واربعين الف يهودي فاوجبت
عليهم الجزية واثني عشر الف بقال يبيعون البقل واخبرت ان بها او
بمعاملتها عين ماء تجري يخرج مع مائها رمل ابيض وهو الذي يستعمله
الموقدون في المناكيب للزجاج يوخذ من جوانب العين ويحمل الى مصر
وغيرها لذلك ومن عجائبها المنارة المعروفة بمنارة الاسكندرية
وهي مبنية على سرطان من زجاج وكانت باولسورها وكان باعلاها
مرآة من معادن يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية ويقال
ان الفرنج لما كانوا يرسلوا مراكب للسرقة يروها اهل الاسكندرية
حين يرسلوها من اي بلدة كانت فيستعدوا لقتالهم ويمنعوهم
ففي بعض السنين قدموا على الاسكندرية واخذوها ورموا المرآة الى البحر
ثم اخذتها المسلمون منهم واخرجوا المرآة كون وجهها الصقيل
كان الى جهة فوق فرأوا جرم نورها فبلغ الفرنج ذلك فلما اخذوها
ثانيا القوا المرآة وجعلوا الوجه الثقيل الى اسفل فلم تعلم المسلمون
بعد ذلك اين القوها وفي نوادر الاخبار عن الواقدي ان عبد الله
ابن شداد العبسي عامل معاوية على السند غزا بلاد القيقان واصاب
منهم مغانم كثيرة فحمل الى معاوية هدايا لم ير مثلها وكان اعجب ما فيها
قطعة مرآة ذكر اهل العلم ان الله تعالى كان انزلها على آدم عليه السلام
لما كثر ولده وكان ينظر فيها من يريده منهم على الحال الذي هو فيها
من خير او شر وعن الامام علي رضي الله عنه انه قال لما اهبط الله
آدم عليه السلام من الجنة رفعه على جبل ابي قبيس واروى الارض وقال
له هذه لك يا ادم ولولدك قال يا رب كيف اعلم ما فيها فجعل الله له
النجوم وقال اذا رايت نجم كذا وكذا فكان يعلم بذلك ثم اشتد عليه ذلك
فشكى الى ربه فانزل الله تعالى عليه مرآة من السماء فكان يرى فيها جميع
ما يريده من سائر الارض فلما مات آدم عمد شيطان يقال له فقطرش

فكسرها وبنى عليها مدينة بالمشرق يقال لها خاناتون فلما كان ايام سليمان
ابن داود عليهما السلام كان علمها عنده فقال للجن ايتوني بها فقالوا
له اخذها فقطرش فسأله عنها فقال هي تحت اركان خاناتون قال ايتني
بها قال ومن يقدر على هدم تلك الاركان فقال انت تهدمها فتمضي وتهدمها
وتاتي بها فكان سليمان عليه السلام يشد بعضها على بعض ويسير
وينظر فيها فيرى ما يريد ولما مات سليمان وقعت الشيا طين عليها
فذهبت وبقيت منها قطعة توارثوها بنوا اسرائيل وصارت هذه
القطعة الى خزاين بني امية فلما استخلف ابو جعفر المنصور كان علمه
بها فسال عنها الى ان اخذها فيما اخذوه لبني امية ثم فقدت من خزاين
بني العباس ومن العجايب انه لما فتح سعد مداين كسرى بعث الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بخمسها وجده من الفي فقسمه بين الناس بالمدينة
فاخذ علي رضي الله عنه حصته من ذلك فكانت قطعة من بساط كسرى
باعها بعشرين الف دينار وكان طول البساط ستين ذراعا وكانت
مفصلا بالدر والزبرجد والياقوت وقضبان الذهب وكان كالارض
المزروعة المقبلة النبات وكان يفرش له في الشتاء فيقوم مقام
الرياحين وقومت راية كسرى بثلاثين الف دينار ومن العجايب المدينة
التي بالمغرب المسماة بجابرسا قيل ان لها اثني عشر الف باب وياتي ذكرها في
الباب السادس عند ذكر الخضر عليه السلام وفي نوادر الاخبار ان على
طريق المغرب موضعا يقال له ذات الحمام فيه هرمان مبنيان ليس على
وجه الارض مثلهما ولم ينقل احد من الامم المجاورين لهما انه علم لمن ذا بنيا
ولا علم من بناهما طول كل هرم فرسخ وعليهما مكتوب بالقلم المسند لكل
عجيب من سحر وطب وحكمة وعليهما مكتوب انا بنيناهما فمن ادعى قوة
وحكمة فليهدمها والهدم ايسر من البنا وخراج الارض لا يقوم
بهدمهما واما الهرمان اللذان بمصر طول كل واحد منهما اربعماية ذراع
علو في الهوا واساسه اربعماية ذراع وشكلهما التربيع لا يزالان ينخرطان
في الهوا صنوبريا حتى يرجع دورهما من اعلاهما خمسة اشبار في خمسة
اشبار وليس بين صفايح حجارتهما ملاط وهو اللصاق مثل الجص
والجير وما اشبه ذلك وكل حجر منهما يكون بين عشرة اذرع الى خمسة
اذرع قد صححت تصحيحا لا تدخل الشعرة بين الحجرين واعجب ما فيهما
ان حجارتهما منقول من مسافة اربعين فرسخا واما مصر فهي من عجايب
الدنيا بخصايص لها وهي ان اهلها مستغنون عن كل بلد حتى لو ضرب
بينها وبين الدنيا سور لغني اهلها بما فيها عن ساير بلاد الدنيا وفيها ما
ليس في غيرها وهو السقنقور والنمس ولولاهما اكلت الثعابين اهلها

كفنا فد سجستان لافاعيها والسمن الزغاد والحطب المضنط الذي لا
رماد له ودهن البلسان والافيون والبنج والاترج الابلق والزمرد
واهلها ياكلون صيد بحر الروم وبحر فارس طريا وفي كل شهر من شهورها
القبطية صنف من الماكول والمشروب والمشموم يختص به دون غيره
فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هتور وسمك كيهك وماء طوبه
وخروف امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين
بونه وعسل ابيب وعنب مسري ومن العجايب ما ياتي به في الباب
الثالث والتسعين ان ثلاثة من عجايب الدنيا جب الكلب ونهر الذهب
وقلعة حلب وتفصيل ذلك ومنها ما ذكر في بعض التواريخ ان في
سنة عشرة وثلثماية وصلت هدية ابي الحسن بن احمد الماردي من
مصر الى ... وهي بلغة معها فلو وغلام
طويل اللسان يلحق لسانه انفه وفي الذيل للشيخ تقي الدين بن قاضي
شهبة ان في المحرم سنة ثمان وستين وسبعماية وصل الى مصر رسل
الافضل صاحب اليمن ومعهم هدية من جملتها فرس بغير ذكر ولا فرج
وليس له غير بخش يبول منه وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعماية
وصل من بلاد الشام رجل مفرط في الطول يقال طوله اربعة اذرع
بالحديد وعرضه ذراعان قال وذكر ابو داود في سننه في كتاب الردة
انه راى قثاة طولها اربعة عشر شبرا وانه راى اترجة على جمل على كل
جانب نصف وفي الذيل المذكور ان في سنة احدى واربعين وسبعماية
في شعبان منها ولدت امراة بالقاهرة اربعة عشر ولدا في بطن واحد
وماتت المراة والاولاد وفي سنة ثلاث واربعين وسبعماية اشتهر
امر مولود بدمشق براسين واربعة ارجل وهرع الناس اليه قال ابن
كثير وكنت ممن حضر النظر اليه في جماعة من الفقهاء فنظرت اليه
فاذا هما ولدان مستقلان قد اشتبكت افخاذهما بعضها الى بعض
فركب كل واحد منهما ودخل في الاخر فصارا جثة واحدة وهما ميتان
حال رويتي لهما وقالوا ان احدهما ذكر والاخر انثى تاخر موت احدهما
عن الاخر يومين او نحوهما وقد ارخ ابن كثير في الكامل ان في سنة ثمان
وخمسين واربعماية قال ولدت بنت لها راسان ورقبتان ووجهان
على جسد واحد ببغداد وقال الذهبي في تاريخ الاسلام ان في سنة
اثنين وستين وستماية احضر بمصر الى السلطان طفل ميت وله راسان
واربعة اعين واربعة ايد واربعة ارجل وعن الشافعي رحمه الله تعالى
انه قال اخبرني شيخ باليمن انه ولد له خمسة بطون في كل بطن خمسة
اولاد وياتي ذلك بالملحق بالتاريخ في قصة طويلة ورأى الفقير مولف

سولف هذا الكتاب بامراة يهودية القت ثلاثة اولاد مخلقين في ايام قلايل
ومن العجايب عمودان بعين شمس في راس كل عمود جلبة من نحاس يقطر من
راس احدهما ما لا ينقطع ليلا ولا نهارا يجري ذلك الما الى نصف العامود
فلا يتجاوزه ولا يعلم احد اين يذهب الما ولا يصل الى الارض وموضعه
في العمود مجوف لبن بالما وغربي حلب جبل يسمى جبل جوشن فيه
معدن النحاس الاحمر قيل انه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي رضي
الله عنهما ولعن قاتل الحسين وذلك ان زوجة الحسين كانت حاملا
فاسقطت هناك حين رماها الجمل من صوت دق النحاس فطلبت منهم
الما لتغسل السقط فمنعوها وشتموها فدعت عليهم ان لا يربحوا منهم
الى الان من عمل فيه لم يربح ذكره بن الاثير في عجايب المخلوقات له ويقال
انها لما منعت من الما سال الما من الجبل واجتمع منه ما غسلت به
السقط وهو سيدي محسن المدفون بالجبل المذكور من جهة القبلة
وعليه عمارة عظيمة وله اسرار ظاهرة يزار وينذر له النذوره
وعلى مسيل الما قبة ومحراب مخصوص غير محراب المشهد داخل الزيارة
والما يسيل الى الان ويشرب منه واذا دخل الى المكان المذكور جنب
او حايض ينقطع السيلان والنقط حتى يخرج ويصلي فيه ويذكر الله
تعالى فيه فيعود السيلان والنقط وقد شاهدت ذلك ويعرف هذا
المشهد قديما بمشهد الدكة والان بمشهد النقطه ومشهد سيدي
محسن رضي الله عنه وعن والديه وذكر ابن حجر في تاريخه انبا الغمر
بابنا العمر ان في سنة خمس وتسعين وسبعماية في ربيع الاخر حصل
سيل عظيم بحلب فساق جملة كثيرة من الوحوش والافاعي فوجد فيها
ثعبان يسع فمه ابن ادم اذا ابتلعه وكان طوله نحو سبعة اذرع او
اكثر وفي التاريخ المذكور ان في سنة سبع وثماني ماية ظهر في الجانب
الغربي من مصر وفي القليوبية على شاطي النيل بالليل في المزارع شبه
النيران تشتعل مثل المسارج وفي نوادر الاخبار عن عمرو بن العاص انه
قال من عجايب الدنيا فرس من نحاس كانت بارض الاندلس باسطة يدها
اي ليس خلفي مسلك فلا يطاه فلا احد تلك الارض الا ابتلعته النمل
ومنارة من نحاس بارض عاد اذا كانت الاشهر الحرم هطل منها ما فشرب
الناس منه ويسقون فاذا انقضت الاشهر الحرم انقطع ذلك الما
وشجرة من نحاس بارض رومية عليها دابة من نحاس فاذا كان اوان الزيتون
صفرت تلك الدابة فلا يبقى طير اسود حتى ياتي في رجليه ومنقاره ثلث
زيتونات فيعصر منه اهل رومية ما يكفيهم من الزيت لاكلهم ووقودهم
الى قابل وقال صاحب نوادر الاخبار فيه ذكر صاحب المسالك والممالك

ان في صقلية والاندلس وفي الهند نارا تشتعل في حجارة لا تطفى ليلا ولا
نهارا فان رام احد ان ياخذ منها شعلة لم يقدر وقال ومن العجايب بنا
رومية الكبرى فيها الف ومايتا كنيسه واسواقها وشوارعها بالرخام
الابيض وفيها اربعون الف حمام وكنيسة شبهت ببيت المقدس في
بنايها طولها ميل وفيها مذبح للقربان من زمرد اخضر عرضه ذراع وطوله
ستة اذرع محمولا على اثني عشر تمثالا من الذهب طول كل تمثال ذراعان
ونصف وعيناه من ياقوت احمر تضي منها الكنيسة ولهذه الكنيسة
ثمانية وعشرون بابا من الذهب والف باب من النحاس الاصفر سوى
ابواب الابنوس منقوشة كاحكم ما يكون وفي مشارق الصين بلاد الوقواق
ومنها الابنوس الجيد وهي بلاد من دخلها من المسلمين اختارها على
اهله وولده وبلاد الصين ثلاثماية مدينة عامرة واطواق كلابها
ذهب وقال الحافظ اسمعيل بن كثير رحمه الله تعالى في تاريخه الكبير
ومن عجايب الروم قبة الرصاص اخبر بعض الغزاة انه استراخ له مع
معاوية ابن ابي سفيان رضي الله عنه قال فخرجت الطلبه على هيئة الرسل
حتى وافيت قسطنطينية يوم السبت فرفعت صوتي بالقران الكريم
فاحتوشوني فاتوا بي الى الملك فقال من انت وما حالك فاخبرته اني جيت
في طلب اخي قال لم اعلنت بالقران قلت لاصل اليك فامر باطلاق اخي
ثم قال اقم عندي قال فكنت اصلي معه فيسالني عن اخبار معاوية فا
ويسالني عن اخبار الانبيا عليهم السلام فاحدثه بها فاحبني ثم قال
لي اريد سفرا فاخرج معي لتونسني قلت واين تريد قال اريد مغازة في
اقصى مملكتي بيني وبينها مسيرة اربعة اشهر فيها قبة من الرصاص
احب ان انظر اليها لانها مطبقة لا ابواب لها وقد راها قبلي ملوك ثم
يقدروا عليها فتجهزنا وسرنا حتى وافيناها فرتحى بالمفاوز والنار
فرماها فاذا بصيحة واحدة شديدة مات منها من اصحابه خلق كثير
فتنحينا عن القبة فاذا بصنم ماد يده نحو القبة مكتوب على كفه كل ملك
يزول ملكه وكل ذي عز يزول عزه وكل ذي سلطان يزول سلطانه الا
الله العلي الكبير ولا يقدر احد على فتح هذه القبة حتى يقلعني فاذا قلعني
استبان له بابها فاذا استبان بابها فلن يقدر على فتحه حتى يتكلم
عليه بكلام فقلت ايها الملك مر بقلع الصنم وعلي الكلام فقلع وحملناه
نحو القبة فاذا بهاتف يهتف ويقول لا اله الا الله والله اكبر من كل كبير
والله اعظم من كل عظيم واعلم من كل عليم لا اله الا الله محمد رسول الله
فنادينا من انت فقال انا رئيس سكان هذه القبة فاذا دخلتموها
فلا تروموا حمل شي منها تسلموا من معرتنا فاتينا الباب وقد انكشف

خبر

وبان فقلت قف بنا الملك حتى اقرآه حولها القرآن فان فيه جوامع كل شي
قال اقرآ فاستفتحت القرآة بالحمد لله ثم بدات بالبقرة فقرات الى سورة
الرعد الى قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال فانفتح الباب واذا في
القبة خوان عظيم طوله خمسون ذراعا في عرض عشرين ذراعا منسوجا بالذهب
داير مرصع بالجوهر مكتوب عليه يا ابن ادم خف الموت وبادر الفوت
واستكثر من ادخار صالح الاعمال واعلم ان ذكر الموت يهون على اللسان
ويعسر على الجنان وان الموت على الفراش اشد من الضرب بالسيف
يا ابن ادم قد اكل على هذا الخوان مائة ملك كلهم قد اصيبت عينه
اليسرى فكم كان الاصحاء والمصابون باليمنى يا ابن ادم قد فطم في هذه
القبة مائة الف من ابناء الملوك ثم ماتوا فلما قراته تعجب الملك من
ذلك وبكى من حوله من الذين دخلوا معنا القبة وكانوا القائم دعوا
بطعام وجلسنا على الخوان فاكلنا ثم قصدت نحو القبر فيها فاذا
قبر عظيم مصمت بصفايح الذهب عند راسه لوح رخام فيه ابيات
فقراته فاذا عليه

انا ابن لام بن عامر المغناص ... من ظلام الاشراك بالاخلاص
كنت بالله مومنا رب ادريس ... ونوح وغابر الغواص
قايلا لا اله الا الهي ... هو ربي الذي اليه مناصي
فاراد الضحاك مني كفرا ... ان اضاهيه بالعمل والمعاصي
فتركت البلاد خوفا من الله ... فاجليت عن محلتي وعراصي
لا انال الخلود في دار ملك ... يوم عرض الاله فيه للنواصي
فسكنت السهول دهرا طويلا ... خائفا هاربا من اهل المعاصي
ثم اني دعوت ربا رحيما ... عند موتي مذلة واقتعاص
ان يجد لي بمقبرا رتضيه ... في فلاة وقبة من رصاص
فامرت البنين ان يقبروني ... جوفها في ملاحف وقماص
ثم ياتي بعدي رسول كريم ... من بني هاشم الذري المصاص
فانت عابد كريم رحيم ... باليتامى والبائسين الخماص
ليت اني عمرت دهرا طويلا ... لا انال الخلاص يوم القصاص
ليتني نلت منه صحبة خير ... لا انال التقى وفضل الخواص

قال ففسرت الشعر للملك فقال لله در العرب ما اعظم احلامها
واكرم فروعها ثم انصرف الى دار مملكته وترك القبة وما فيها ووصلني
واخي ووجه معنا من اخرجنا من بلده فاتيت دمشق فدخلت على
معاوية فاخبرته بما رايت فتعجب من ذلك انتهى ومن العجايب ياجوج وماجوج
وسد الاسكندر روسيا في ذلك بالباب السادس عند ذكر ذي القرنين

وتر

وقد عقد الفقيه رحمه الله تعالى بابا في الجراد وما ذكر فيه انه نثرة حوت
من حوت البحر فتعين ذكره بعد هذا الباب الذي نحن فيه لاشتماله
على عجايب البحر والبر فاقول الباب الرابع في الجراد قال الفقيه
رحمه الله تعالى اختلف الناس في قتل الجراد قال بعضهم لا يجوز قتله
وقال عامة اهل الفقه لا باس بقتله فاما من كره قتله قال لانه خلق
من خلق الله تعالى ياكل الرزق من رزق الله تعالى ولا يجري عليه القلم
واما من قال انه لا باس به قال لان في تركه افساد الاموال الناس وقد
رخص النبي صلى الله عليه وسلم بقتل المسلم اذا اراد اخذ ماله والحجة
ما روي عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من قتل الحية دون ماله فهو شهيد والجراد اذا اراد افساد
الاموال فهو اولى ان يجوز قتله الا ترى انهم اتفقوا على قتل الحية
والعقرب لانهما يوذيان وكذلك الجراد وروى جابر رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دعا على الجراد قال اللهم
اهلك صغار الجراد واقتل كبارهم وافسد بيضتهم واقطع دابرهم
وخذ بافواههم عن معايشنا وارزقنا نعيمنا انك سميع الدعاء
فقيل يا رسول الله تدعو على جند من جند الله بقطع دابره فقال
عليه الصلاة والسلام ان الجراد نثرة حوت من حوت البحر وروى عن
جابر رضي الله عنه قال قل الجراد على عهد عمر رضي الله عنه فاغتم لذلك
فبعث راكبا الى الشام وراكبا الى اليمن وراكبا نحو العراق فاتاه الراكب
من قبل اليمن بقبضة من جراد فالقاه بين يديه فلما راه قال الله اكبر
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله تعالى
الف امة ستماية في البحر واربعماية في البر فاول شي يهلك من هذه
الامم الجراد واذا هلك تتابعت الامم بعده مثل نظام انقطع سلكه
انتهى قال الفقير عفا الله عنه الجراد جند كثير لانه نثرة حوت كما
ذكره الفقيه وقد نقل الدميري عن الغزالي انه تعالى اكثر خلق السمك
واكل الجراد ميتا حلال قال صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان
ودمان اما الميتتان فالسمك والجراد واما الدمان الكبد والطحال
وسواء مات حتف انفه او اصابته آفة كالمطر ونحوه لاطلاق النص
واكله مضر يحصل منه وجع البطن ويحصل منه الشرى في الجلد ذكر
ذلك في الصحاح وجاء في بعض السنين منه شي الى بلاد الشام فوقع
منه في الابار والمياه المجتمعة للشرب شي كثير ومات بها فحصل من شرب
ذلك الماء موت كثير واوجاع عجيبة وانما شبه الله تعالى الاموات اذا
خرجوا من الاجداث اي من القبور بالجراد المنتشر في قوله تعالى كانهم جراد

منتشر لان الجراد لا جهة له يقصدها فهو ابدا مختلف بعضه في بعض
فكذلك الموتى يخرجون من قبورهم فزعين ليس لاحد منهم جهة يقصدها
وقال الدميري في الجراد من خلقه عشرة اشيا من جبابرة الحيوان وجه
فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا ايل وصدر اسد وبطن عقرب وجناحا
نسر وفخذا جمل ورجلا نعامه وذنب حية اقول ويحسن ان يكون نظم
محي الدين محمد بن محمد الشهرزوري لغزا في جرادة وهو قوله

لها فخذا بكر وساقا نعامه ... وقادمتا نسر وجؤجؤ ضيغم
حبتها افاعي الرمل بطنا وانعمت ... عليها جياد الخيل بالراس والفم

وبعض هذه الصفات موجودة في دابة الارض الموصوفة بالباب
المائة في علامات الساعة في قول ابن الزبير واما علي رضي الله عنه
فقال والله ما لها ذنب وان لها للحية كانه اشار الى انها من الانس
كذا في الباب المذكور وقال قتادة في تفسير سورة الاعراف في قوله
تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل القمل اولاد الجراد
وقال الكواشي القمل هو السوس يخرج من الحنطة او من جميع الحبوب
او هو الدبا بفتح المهملة مخففة هي والباء الذي هو النخبة المفردة والمد
الجراد قبل ان يطير او البراغيث والقمل بفتح القاف وسكون الميم مخففا
وقرئ بها وقال الكسائي عن قتادة رضي الله عنه ان على جناحها الا
الاعظم وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن ابيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال هذه النقط السود يعني التي على اجنحة الجراد بالسريانية
غير انه مقطوع الحروف وهو انا الله لا اله الا انا قاصم الجبابرة
خلقت الجراد وجعلتها جندا من جنودي اهلك بها من اشاء من خلقي
وعن قتادة لا شي اكثر من الجراد وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه
انه قال بقي من طينة ادم عليه السلام شي فخلق الله منه الجراد وقال
وهب ان الجراد لا يكثر في بلد الا كان قد غضب الله عليهم فاصرفوه
عن البلاد بالاستغفار وقال مجاهد الجراد سبعة الاف جنس منها
على كبر العقبان والنسور وقد وكل الله بها ملكا يعرف اجناسها
وتسبيحها فاذا اراد الله عز وجل هلاك قوم امر الملك ان يرسل عليهم
الجراد فلا يرتد اليه الطرف حتى ياتي الجراد على كل شي لاهل ذلك البلد

الباب الخامس في ذكر الايام والليالي وساعاتهما واسماء
الشهور والسنين وما يتعلق بهما وله ملحق اعلم ان الفقيه رحمه الله
تعالى لم يذكر اسماء الايام وذكر اسماء الشهور العربية ووجه تسميتها
بها ولم يزد على ما ياتي ذكره من ذلك الا تسمية صفر فانه قال لان الناس
قد اصابهم المرض فيه فسموه صفر لصفرة وجوههم وربيع الاول
لانه صادف اول الخريف وربيع الثاني لانه صادف آخر الخريف ورمضان
لانه صادف ايام الحر والرمضاء الحر الشديد ويقال لانه يرمض الذنوب
اي يحرقها وشوال لانهم كانوا يصيدون فيه نحو قولنا اشل الكلب
اذا ارسله للصيد وانا اذكر ان شاء الله تعالى ما تيسر لي من ذلك
فاقول اما اسماء الايام العربية التي خلق الله تعالى فيها العالم فالاحد
سمي به لانه اول الايام لان الله تعالى اول ما خلق الارض فيه ولانه
ابتداء العدد وسمي الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس بذلك لتواليها
بعد الاحد واما الجمعة فسمي بذلك وبعروبة ولم يسم بستة ولا بسادس
اما اولا فلان آدم عليه السلام خلق فيه وبه اجتمع خلق السموات
والارض والبحار والاشجار والاقوات والجنة والنار كما ذكره الفقيه
وقيل لان آدم اجتمع فيه بحوا ولانه يوم اجتماع يقال له يوم الجمعة
اي يوم الاجتماع واما الجمعة بلا يوم فلا يطلق الا على مجموع ايام الاسبوع
واما ثانيا وهو تسميته بعروبة فلبيانها في سائر الايام وذلك اذ
يوم الجمعة معظم عند اهل كل ملة وهو مشتق من الاعراب وهو البيان
واما السبت فانما سمي بذلك ولم يسم سبعة لان السبت القطع يقال
سبت راسه اي حلق وقطع شعره فكانه انقطع العدد به في الايام
فلا يقال بعده الثامن ولا التاسع بل السبت الاحد بدورهم وقال
ابن الجوزي انما سمي سبتا لان الله تعالى ابتدا الخلق فيه وقطع فيه
بعض خلق الارض وانما جعلوا الدور في الايام السبعة لانها على عدد
الكواكب السبعة التي هي في السموات السبع فكما ان في كل سماء كوكبا فكذلك
جعلوا الايام على عددها وجعلوا لكل يوم كوكبا منها ولارباب الحساب
كلام في عدد السبعة يطلب ذلك من الكردان ومن كتاب السبعيات
وغيرها ولهذه الايام اسماء عند العرب العرباء فللاحد اول لانه ابتداء
الايام وللاثنين اهون ذهبوا به الى الهون وهو السكون وبعضهم يقول
اوهد وهو يدل على هذا المعنى لان الوهدة الانخفاض فكانهم بدأوا
بالاعلى ثم انخفض العدد وللثلاثا جبار كانه جبر به العدد وللاربعا
دبار كانه عندهم آخر العدد وذلك انهم سموا الخميس والجمعة والسبت
باشياء تفنع فيها فاستغنوا عن عددها فسموا الخميس مونسا لانه

يجتمع فيه للتاهب للجمعة ويونس به لقربه منها وسميت الجمعة عروبة
لما ذكر آنفا وسمي السبت شيار قال الزجاج الشيار من شورت الشيء
اذا اظهرته ورجل شير اي حسن الشارة اي ظاهر منظره والقوم يتشاورون
يظهرون اراهم كانهم يتشاورون فيه على ما اجتمعوا عليه يوم الجمعة
قال الجوهري في الصحاح

اؤمل ان اعيش وان يومي
باول او باهون او جبار
او التالي دبار ام فيومي
بمونس او عروبة او شيار

قوله باول باهون على وزن افعل التفضيل وجبار ودبار بضم الجيم
والدال المهملة ومونس بضم الميم وسكون الواو ونون مكسورة
وعروبة بفتح العين المهملة وضم الراء المهملة وشيار بكسر الشين
المعجمة والياء آخر الحروف والراء المهملة ثم قال الفقيه رحمه الله
تعالى واليوم والليلة اربعة وعشرون ساعة لا تزيد عليها ولا
تنقص من النهار ازداد في الليل وكلما نقص من الليل ازداد في النهار
واطول ما يكون النهار في نصف حزيران فيكون النهار فيه خمسة عشر
ساعة والليل تسع ساعات وهو اقصر ما يكون ثم ياخذ النهار في
النقصان ويزداد في الليل حتى اذا كان ايام المهرجان استوى الليل
والنهار فيصير كل واحد منهما اثنى عشر ساعة حتى اذا كان بعد سبعة
عشر من كانون الاول صار الليل خمسة عشر ساعة وهو اطول ما يكون
والنهار تسع ساعات وذلك اقصر ما يكون ثم اخذ الليل في النقصان
حتى اذا كان قبل النيروز بسبعة عشر او اقل استوى الليل والنهار
ثم يزيد النهار الى النصف من حزيران فذلك قول الله عز وجل والشمس
تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال تعالى يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل انتهى اقول ما ذكره الفقيه من اوقات
تساوي الليل والنهار والزيادة والنقصان هو قول من الاقوال والعمل
عند اربابه على خلاف ذلك ولم يذكر الفقيه اسماء ساعات النهار
وساعات الليل عند العرب وانا اذكر لك ذلك فاقول كل يوم ينقسم
عند العرب الى اثنى عشر ساعة متساوية او غير متساوية وكذلك
كل ليلة والساعة في الاصل عند اللغويين قطعة من الزمان وان
قصرت قاله السمين قوله وان قصرت لا ان الساعة تطلق على القيامة
وغيرها من الازمنة الطوال وسياتي كلام الفقيه في بعض ما يتعلق
بذلك وقد ذكر ابو الحسن سعد الله بن نصر الدجاجي في كتابه لقط
الملح ان لساعات النهار والليل اسماء في لغة العرب فاسماء ساعات
النهار الراد والشروق والمتوع والترجل والدلوك والزوال والجنوح

والهجير

والهجير والظهيرة والعصر والاصيل والطفل واما ساعات الليل
الغسق والفحمة والعشوة والهداة والسراع والبحنح والهزيع والغبش
والبهرة والقريع والزلفة والسحر انتهى وهذه الساعات قد يكون لها
معان موافقة لاسمائها وقد لا يكون لانهم اصطلحوا على ذلك والساعات
عند المنجمين والميقاتيين خمسة عشر درجة لان لليوم والليلة اربعة
وعشرين ساعة هي ثلاثمائة وستون درجة لكل منهما اثنى عشر ساعة
هي مائة وثمانون درجة فاذا قسمت هذه الدرج على ساعات اليوم
والليلة يخص كل ساعة باعتبار تساوي الليل والنهار في الاعتدال
الربيعي والخريفي خمسة عشر درجة والساعات المسميات بلغة العرب
فيما تقدم قد تكون متساويات او متفاوتات لان العرب العرباء
جعلوها اوقاتا ليعلموا بها وقت مجيئهم وذهابهم واعمالهم تقريبا
لانهم لم يكونوا عالمين بالميقات ولا لهم به تعلق ولكن بعضها يدل على
بعض اوقات معينة عندهم قد تكون موافقة للميقاتيين واللغويين
وقد لا تكون وانا اذكر لك شيئا من ذلك فاما ساعات النهار فالراد
وهو اول ساعات النهار وهو من طلوع الفجر الى طلوع الشمس قال في
الصحاح راد الشيء يرود اي جاء فيكون المعنى جاء النهار والشروق
في الصحاح شرقت الشمس تشرق شروقا اي طلعت والمتوع في الصحاح
متع النهار يمتع اذا ارتفع وطال والترجل وهو من الوجل وهو الخوف
فكان الشمس اذا دخلت هذه الساعة تخوفت من الهبوط بعد الصعود
لقربها حينئذ من الزوال والدلوك وهو في اللغة الزوال قال الله تعالى
في سورة بني اسرائيل اقم الصلاة لدلوك الشمس اي لزوالها وهذا مخالف
لما نحن فيه اللهم الا ان يكون تسمية للشيء باسم مجاورة او لقرب الشمس من
الزوال والزوال قال في الصحاح زال الشيء عن مكانه يزول زوالا انتهى
فيكون المعنى ان الشمس زالت من منازل الصعود والشروق الى منازل
الهبوط والغروب فاذا تكمل زوالها عن خط وسط السماء كان وقت
الزوال وهو اول وقت الظهر ودخلت الساعة التي بعدها وهو
الجنوح قال التيزيني الموقت في اول الجدول المنسوب اليه الزوال الا ان
شرعي واصطلاحي حين ينطبق مركز جرم الشمس على خط وسط السماء ويصير
نصفها في المشرق ونصفها في المغرب وهذا هو الزوال المشار اليه في الميقات
وهو المعروف بجميع الآلات والزوال الشرعي حين تزول بجملتها عن كبد
السماء من المشرق الى المغرب وذلك بعد الزوال الاصطلاحي بثلث درجة
وهو مقدار نصف جرم الشمس من المشرق الى المغرب والجنوح قال الجوهري
هو الميل وجنوح الليل اقباله فيكون المعنى ميل الشمس الى الهبوط وتبين

وظهر ميلها الى ذلك بعد ان كان خفيا وقت الزوال **والهجير** هو ابتدآء
شدة الحر **والظهيرة** وهي الهاجرة وهي اشتداد الحر **والعصر** وهو العشي
وهو من بلوغ ظل كل شي مثليه سوى في الزوال على قول الامام ابي حنيفة
رحمه الله تعالى قال في المغرب العشي ما بين زوال الشمس الى غروبها
والمشهور انه آخر النهار انتهى والذي يترجح ان العصر هذا هو اذا بلغ
ظل كل شي مثله على قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى وهو رواية
الحسن عن ابي حنيفة رضي الله عنه لان الوقت بعد العصر على القول
الاول يضيق عن الساعتين الآتيتين **والاصيل** قال في الصحاح وهو من
بعد العصر الى المغرب **والطفل** قال الجوهري هو بالتحريك من بعد العصر
اذا طفلت الشمس الى الغروب اي مالت اليه وعلى هذا فكل من الاصيل
والطفل بمعنى الآخر لان كل منهما من بعد العصر الى الغروب فيكونان
بمنزلة ساعة واحدة مقسومة بنصفين لطولها ولتكمل الاثنا عشر
ساعة **واما ساعات الليل فالغسق** قال في الصحاح هو اول ظلمة الليل
والعتمة قال الجوهري عتمة العشآء ظلمته يقال اعتموا من الليل اي لا
تسيروا في اول عتمته وهو اشد الليل سوادا اقول لان الليل كلما تأخر
صفا الجو من كدورات الدخاخين والابخرة والغبر جمع غبرة وهي الغبار
فتزهر نجومه ويكون ظلامه اقل من اوله **والعشوة** قال في الصحاح
العشي والعشية من صلوة المغرب الى العتمة والعشاء بالمد مثل
العشي ثم قال تطلق العشوة على ما قبل العتمة ثم قال وزعم قوم ان العشاء
من زوال الشمس الى الفجر انتهى اقول وبهذا القول تطلق العشوة على ما
قبل العتمة وما بعدها **والهداة** قال الجوهري اتانا فلان وقد هدأت
الرجل اي بعد ما سكن الناس بالليل واتانا وقد هدأت العيون واتانا
هدءا اذا جاء بعد نومه وبعد هدء من الليل وبعد هدأة من
الليل اي بعد هزيع من الليل وبعد ما هدأ الناس اي ناموا **والسراع**
بالسين المهملة والمعجمة وهي الخامسة من ساعات الليل المقابلة
للساعة الخامسة من ساعات النهار وهي الدلوك قال الجوهري السراع
بالمهملة سرعة السير وبالمعجمة المثل يقال هذا شرعة هذه اي مثلها
وهذا شرع هذا وهما شرعان اي مثلان انتهى فعلى الاول اذ يكون المعنى
انها ساعة اسراع الليل الى النصف منه كما ان الدلوك الذي في مقابلها
مسرع الى النصف للنهار لشدة الصعود والليل من اوله الى نصفه كالصعود
لانه في ازدياد **وعلى الثاني** انها مثل الدلوك في انها خامس ساعة من
ساعات الليل كما انه خامس ساعة من ساعات النهار **والجنح** بضم
الجيم وكسرها طائفة من الليل واما جنوحه فاقباله كما تقدم **والهزيع**

بالزاي

بالزاي والتحتانية المثناة والعين المهملة هو مضي هزيع من الليل اي
طائفة منه **والغبش** بتحريك الباء الموحدة البقية من الليل ويقال
ظلمة آخر الليل **والبهرة** قال الجوهري بهرة الليل وسطه انتهى وهو لا
يقتضي التنصيف ان كان ساكن السين وحينئذ يكون بعد نصف الليل
وان كان متحركها فيقتضيه ولا يتفق ذلك الا اذ يراد بالبهرة نصف
النصف الاخير من الليل لان بتمامها يتم نصف النصف الاخير من الليل
اي ثلاثة ارباعه **والقريع** بالقاف والرآء المثناة التحتية والمهملة
له معان منها الداهية والنكبة فكأنهم سموا هذه الساعة
بهذا الاسم لكونها وقت الغفلة فتحصل فيها النكبات من السراق
ونزول الاعدآء عليهم فيها **والزلفة** قال في المغرب الزلفة والزلفة
القربة والزلفة قربه وازدلف اليه قرب اليه انتهى فيكون وجه
التسمية انها قربت من الصبح **والسحر** قبيل الصبح قاله الجوهري
وسميت الساعة به لاشتباهه بين الضيا والظلمة **واذ فرغنا
عن الايام والليالي وساعاتهما فلنشرع في الشهور والسنين**
اما الشهور فقد قال الله تعالى في سورة التوبة ان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض
قال تاج القرآء اي مبلغ عددها عنده والاحكام الشرعية منوطة
بالشهور القمرية والاهلة المرئية تعرفها العرب دون الشمسية
التي تعدها الروم وفارس واهل الكتاب **وانما** قسمت السنة باثني
عشر شهرا ليوافق امر الاهلة نزول الشمس في البروج الاثني عشر كما قال
تعالى في سورة الرحمن الشمس والقمر بحسبان وقال تاج القرآء في كتابه
الغرآئب والعجآئب اثنا عشر شهرا اي على عدد البروج المذكورة في قوله
تعالى في سورة الفرقان تبارك الذي جعل في السماء بروجا وقوله تعالى
في كتاب الله صفة لاثني عشر شهرا اي مثبتة في كتاب الله وقوله يوم
خلق بدل من قوله في كتاب الله على المحل **وغرة الشهر** اوله وغرره ثلاث
ليال من اوله كذا في الصحاح **وسمي الشهر شهرا** لان الناس يشهرون
دخوله وخروجه ويقال جئتك قبلة بضم القاف وسكون الموحدة
اي في عشر مضى منه وفي شائه بالمعجمة ثم همزة ساكنة ثم آخر الحروف
اي في عشر يمضي منه وفي دبره اي في عشر بقين منه وفي عقبه بضم
المهملة وسكون القاف اذا بقيت منه بقية وفي كشيه بضم
الكاف وسكون المهملة ثم آخر الحروف اي بعد مضيه كذا وجدته
وسمي الهلال هلالا لرفع الاصوات عند رؤيته ويقال استهل الرجل اذا
رفع صوته **والقمر قمرا** لان الهلال بعد ثلاثة يصير قمرا لابيضاض الارض

به والاقمر الابيض كذا قيل والصحيح ان القمر اعم من الهلال والبدر لقوله
تعالى في سورة يس والقمر قدرناه منازل فهو اسم للكوكب من اول
الشهر الى آخره لكنه يسمى هلالاً في اول ليلة من الشهر وليلة ثانية
وثالثة فقط ويسمى بدراً في ليلة الرابع عشر منه ويسمى البدر بدراً
لمبادرته الشمس بالطلوع تلك الليلة قبل غروبها والمبادرة الاسراع
وقيل لتمامه وامتلائه ومنه بدرة الدراهم لامتلائها كذا وسنذكر
كيف ابتداء الهلال ومتى يكون منحرفا ومتى يكون مستويا واحتراقه
ومقارنته الشمس وانتهاؤه واما اسماء الشهور العربية المشهورة
فقد تقدم الكلام في اسمائها ووجه تسميتها بها باول هذا الباب
وذكر المفضل بن سلمة الضبي في كتابه الفاخر بزيادة ابي جعفر النحاس
ان المحرم سمي بذلك لانهم كانوا يحرمون القتال فيه وصفر لانهم
كانوا يخرجون عند فراغ محرم لطلب الغارات فتبقى البيوت صفراً لا
احد فيها والربيعين لانهم كانوا يغنمون في صفر ويأتون بالغنائم في
ربيع والربيع الخصب والجمادين لجماد الماء فيهما ورجب لانهم كانوا
يعظمونه يقال رجبت الشيء عظمته وشعبان لتشعبهم بعد
رجب في طلب الغارات ورمضان من الرمضاء وقع لهم هذا الاسم
في شدة الحر وشوال لان الابل تشول فيه الباناها اي تقل لكونها حوامل
وذا القعدة لانهم كانوا يقعدون فيه عن القتال وذا الحجة لان
الحج فيه انتهى وسبب وقوع جمود الماء في الجمادين ووقوع الحر في
رمضان وشوال دائما ان العرب راوا طائفة من اليهود بالمدينة
يجعلون لهم كبيساً في سنتهم حتى لا تدور شهورهم في الحر والبرد فجعلوا
لهم كبيسة ايضا لئلا تتغير احوال فصول سنتهم ووجدوا ايام السنة
القمرية ثلاثمائة واربعة وخمسين يوما وايام السنة الشمسية تزيد
عليها احد عشر يوما فكبسوا في كل ثلاث سنين شهراً وجعلوا سنتهم
تلك ثلاثة عشر شهراً وسموا ذلك الشهر نسيئاً فكان يقع شتاؤهم
في جماد الاولى وجماد الثاني وصيفهم في رمضان وشوال وكانوا
على هذا حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كانوا يؤخرون
الحج في كل سنة شهراً فيجعلونه في المحرم ثم في صفر ثم في ربيع الاول
ثم في ربيع الآخر على هذا شهرا بعد شهر سنة بعد سنة يحجون في كل
شهر عامين ثم وافق حج ابي بكر رضي الله عنه الآخر من العامين في
ذي القعدة قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم ثم حج النبي صلى الله
عليه وسلم من قابل في ذي الحجة فقال في خطبته الا ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض ذكر ذلك في الباب التاسع

في تفسير

في تفسير قوله تعالى في سورة التوبة انما النسيء زيادة في الكفر النسيء بفتح
النون وكسر السين المهملة والياء آخر الحروف مشددة قال الكواشي
النسي مشدداً بلا همز فعيل من انسأته اخرته قلبت الهمزة ياء وادغمت
فيها الياء وبالمد والهمز واسكان الياء على الاصل وقرئ النسي كالنهي
مخففا للنسي والظاهر ان مجيء الجمادين في الشتاء دائما ورمضان وشوال
في الصيف دائما انما هو بسبب ما يأتي في الكلام للجوهري من تقسيم السنة
على الازمنة واما اسماء الشهور بلغة العرب العرباء المحرم مؤتمر
قال الزجاج يجوز ان يكون يؤتمر فيه لترك الحرب ويجوز ان يكون من امر
القوم اذا كثروا فكانهم يحرمون فيه القتال فيكثرون في محالهم وشعابهم
صفر لخروجهم فيه الى بلاد يقال لها الصفرية قال الزجاج لصفرة
الاشجار فيه ويقال له ناجر بالجيم وناحر بالحاء المهملة من النحر
وهو شدة الحر ويجوز ان يكون وقوع حرارة الخريف والحديد فيه ربيع
الاول لارتباع الابل فيه ويقال له خوان بالمعجمة الفوقية لان الحرب
يشتد فيه فيخونهم اي ينقصهم ربيع الآخر ويقال له بصان لبرق
الحديد فيه من الوميض وهو البرق جمدى الاولى ويقال له حنين
لان الناس يحنون فيه الى اوطانهم جمدى الآخرة ويقال له زُبّى
ورُبّه بالزاي فيهما لان فيه يعلم ما نتجت حروبهم والزُبّ ما لشاء
الحديثة النتاج اقول وجه تسمية جمدى الآخرة بما ذكره لا معنى له
واللائق به ما نقله الجوهري عن ابي زيد انه قال لقيت منه الازابي واحدها
ازبي وهو الشر والامر العظيم انتهى فعلى هذا يكون اسم جمدى الآخرة
ازبي لما كان فيه عند تسميتهم به من شدة البرد وشدة الحر وعظمه
ويؤيد ذلك ما تقدم آنفا من كلام المفضل ان الجمادين سميا بذلك
لجمود الماء فيهما والاشد في الثاني يكون ذلك اكثر واشد رجب ويقال له
الاصم لانه كان لا يسمع فيه قرع نعال الخيل والسلاح لعدم القتال فيه
لكونه من الاشهر الحرم والاصب لان الله تعالى يصب فيه البركات
صبا شعبان ويقال له عاذل لانه كان يعذل بعضهم بعضا عن
الاقامة وقد حلت لهم الحرب رمضان ويقال له ناتق لانه كان ينتق لهم
في الغارات الاموال يقال نتقت المرأة اذا اكثرت الولد شوال الشوال لان
الابل فيه باذنابها عند اللقاح ويقال له وغل لانهم كانوا يصيرون
فيه لطلب الكسب والغارات فتتجاذ كل يوم بضروب من الغارات الى
امكنة يتحصنون بها والوغل الملجأ وذو القعدة ويقال له ورنة وهو
وارن بالمهملة بارن اذا نشط وتحرك حركة شديدة فابدلت الواو من الهمزة
كما قالوا ازنت الحوض ووزنته اذا جعلت له ازاء وهو مصب الماء

فى الحوض قال الجوهرى قال ابو زيد هى صخرة وما جعلت وقاية على مصب
الماء وانما سمى بذلك لانه الوقت الذى يتحركون فيه للحج وهواع لانه كان
يهوع الناس اى يخرجهم من امكنتهم للحج ذو الحجة ويقال له برك معدول
عن بارك فانه الوقت الذى تبرك الابل فيه للموسم ويجوز ان يكون مشتق
من البركة لان الحج يكون فى الوقت الذى فيه البركة انتهى وذكر صاحب
مناهج الفكر فيه انه كانت العرب العاربة والعرب اقد اصطلحوا على اسماء
وهى مؤتمر ناجر حوان بالمهملة والمعجمة فوقية وصوان ويقال فيه
بصان وربا وآيده والاصم وعادل وباطل وواغل ووزنه بالمهملة
وبرك قال وفى اسماء الشهور خلاف عند اصحاب اللغة والذى ذكرنا
هو الذى عليه العمل انتهى وقال البيرونى فى كتاب التفهيم ويقال
مؤتمر وناجر بالنون والجيم والزاى وخوان بالمعجمة وواو مشددة وبصان
بالواو المفتوحة والموحدة التحتيه الساكنة والمهملة وحنين بالمهملة
ونون مكسورة ثم ياء اخر الحروف ثم نون وربى بالراء المضمومة والباء
الموحدة المشددة مفتوحة او مكسورة والياء اخر الحروف ساكنة
والاصم وعاذل بالذال المعجمة ونايق بالنون والتاء المثناة الفوقانيه
ووعل بالواو المفتوحة والمهملة الساكنة وورنه بالواو المفتوحة
والمهملة الساكنة وبرك بالموحدة التحتيه المضمومة والمهملة المفتوحة
انتهى هذا ما تيسر لى من ضبط اسماء الشهور بلغة العرب العربا ولايام
الشهر العربى اختيارات روى عن الامام جعفر الصادق رضى الله عنه
انه قال وقد سئل عن ذلك اليوم الاول منه خلق الله تعالى فيه آدم
عليه السلام وهو يوم صالح مسعود خالطب فيه السلطان وتزوج
واسع فى حوايجك واعمل فيه كلما تريد من طلب الحوايج وغيرها ثانيه
تزوج فيه وات اهلك من السفر واشتر فيه وبع واطلب فيه حوايجك
واتق فيه اعمال السلطان وابتع اى اشترى واطلب فيه الحوايج فانه يوم
موافق لذلك ثالثه يوم نحس لاتات فيه السلطان ولا تشتر فيه ولا تبع
ولا تطلب فيه حاجة واتق اعمال السلطان ففيه سلب آدم وحوى عليهما
السلام لباسهما رابعه ولد فيه هابيل بن ادم عليهما السلام وهو يوم
صالح للتزويج وطلب الصيد ومن ولد فيه يكون ما عاش صالحا ولا
تسافر فان من سافر فيه يسلب خامسه ولد فيه قابيل بن ادم وكان
ملعونا وفيه قتل اخاه ودعى فيه بالويل والثبور على اهله وادخل عليهم
البكاء وهو يوم مشئوم سادسه جيد ليس فيه بؤس يصلح للتزويج
والصيد وطلب المعاش وكل حاجة تريدها سابعه مثله ثامنه يوم صالح
مبارك مختار يصلح للحوايج الا السفر فلا تسافر فيه تاسعه يوم صالح

وليس فيه شئ تكرهه فاطلب فيه ما احببت فانه يوم خفيف ومن يولد فيه
يكون مرزوقا فى معيشته ولا يصيبه ضيق ابدا ويمد له فى عمره ويكون صالحا
عاشره ولد فيه نوح عليه السلام وهو يوم صالح للحرث والزرع والسلف
ولكل خير حادى عشره من هرب فيه من السلطان اخذ ومن يولد فيه يكون
مرزوقا فى معيشته ولا يموت حتى يهرم ولا يفتقر ابدا ثانى عشره مثله
ثالث عشره يوم نحس وهو يوم سوء فاتق فيه السلطان واعماله وغير ذلك
ولا تطلبن فيه حاجة اصلا رابع عشره يوم صالح سعيد مبارك لكل
حاجة وكل شئ تريده ومن يولد فيه يعمر طويلا ويكون مشغوفا بطلب
العلم ويكثر ماله فى آخر عمره خامس عشره
سادس عشره يوم نحس من يولد فيه يكون مجنونا لا
منه ومن يسافر فيه يهلك فى سفره ذلك سابع عشره يوم صالح قال
ابن نعيم فى رواية يقتل لا يصلح لطلب الحوايج ثامن عشره صالح للسفر
ويطلب الحوايج مبارك لكل ما تريد عمله فيه تاسع عشره مثله العشرون
يوم مبارك جيد يصلح للسفر وطلب الحوايج الحادى والعشرون يوم نحس
وهو يوم اراقة الدم فلا تطلب فيه حاجة وتوقها استطعت الثانى
والعشرون خفيف صالح لكل شئ تلتمس فيه الثالث والعشرون يوم مختار
فيه ولد يعقوب ابو يوسف عليهما السلام يصلح لكل امر تريد من يولد فيه
يكون صالحا ومن سافر فيه يغنم الرابع والعشرون يوم نحس مستمر مشئوم
وهو ولد فيه فرعون ومن يولد فيه يقتل ويكون ما عاش نكدا لا يرجى له خير
وان حرص جهده الخامس والعشرون يوم نحس مشئوم وهو اليوم الذى اصاب
اهل مصر فيه تسع ضروب من الافات وهو يوم سوء ومن فرض فيه لم يبق من
مرضه فاتقه السادس والعشرون يوم مبارك جيد فيه ضرب موسى
عليه السلام بعصاه البحر فانفلق وهو صالح غير ان من تزوج فيه فرق بينهما
كما فرق البحر السابع والعشرون يوم سعيد صالح لكل شئ تريده الثامن
والعشرون يوم سعيد ولد فيه يعقوب فى قول ومن يولد فيه يكون مرزوقا
مشغوفا محسنا الى اهله وسائر الناس ويعمر طويلا ويبلى فى بصره التاسع
والعشرون يوم صالح مبارك مختار لكل حاجة يريدها وللقاء الاخوان
والاصدقاء والسلطان وفعل البر وطلب الحوايج والحركة الثلاثون
يوم سعيد مبارك جيد خفيف يصلح حاجة تلتمس فيه والله اعلم بالجميع
وقد نظم شيخ الاسلام عمر بن الوردى اختيارات الاعمال فى ايام الشهر فيها
ما يوافق ما ذكروه فيها ما يخالفه وسانبهها لك ان شاء الله تعالى بالملحق
بهذا الباب ولنرجع الى ما يتعلق بالسنين والشهور فمن ذلك ما هو لمعرفة
اول يوم من السنة العربية وهى قواعد اكثريه تصح فى اكثر الاوقات واذا

علمت اول السنة علمت اوايل شهورها بما سياتى فى بيانه فمن القواعد المذكورات
القاعدة الاولى خذ سنى الهجرة بالسنة التى تريد معرفة اولها واسقط من
المجموع اثنين دائما ثم اسقط الباقى معك ثمانية بعد ثمانية الى ان يبقى
معك ثمانية فما دونها فادخل بالباقى فى كلمات البيت الثمانية فاى كلمة
انتهى اليها العدد فاول حرف منها اول السنة وهذه اول الكلمات
الثمانية منظومة ولعد جرت ادمعى هواطلا
بقول زور دامت بواطلا ومثله ولو تجد الجب
هلاكى بقول زور دمت باكى جمعه ثلثا احد
خميس اثنين سبت اربعا اثنين القاعدة الثانية
خذ ما زاد على سبعماية وسبعين سنة من الهجرة بالسنة التى تريد معرفة
اولها وزد على الزايد ثلاثة واجمعها واسقط المجموع ثمانيه بعد ثمانيه
وادخل بالباقى فى هذه الاحرف الثمانية وهى زه ب وداه ح وليس
فيها حرف عدده اكثر من سبعة فلا يشتبه عليك شى منها فاى حرف
منها نفذ العدد عنده انظر ماله من العدد فهو اول السنة وقد جعلت
كل حرف من الحروف الثمانية المذكورة الدالة على اول المحرم فى اول كلمة
من هذا البيت فقلت زرها جرى بعد وصل
داوى ذى هد جسمى وهذه القاعدة اقرب الى جدول
ابن داود والآتى القاعدة الثالثة ما ذكرناها استخرجت من الزيج فى
زماننا وهو ان تسقط سنى الهجرة بالسنة التى تريد معرفة اولها ثمانية
ثمانية فاذا فضل ثمانية فما دونها فادخل به فى الحروف الثمانية الآتية
فاين وقع العدد فاول السنة بعدد ذلك الحرف وهذه الحروف الثمانية
د ب و ج الا ب ز وليس فيها حرف عدده اكثر من سبعة ايضا وقد
جمعها ولدى العلامة رضى الدين محمد الحنفى فى اوايل ثمان كلمات من بيت
وهو دايم بولد واف جده انت همام بليغ زهده وهذه
القاعدة موافقة للقاعدة الاولى واما معرفة اوايل شهور العرب
ففيها قواعد كثيرة ايضا اذكر لك بعضها القاعدة الاولى احسب بعد
معرفة اول المحرم كم شهر مضى من المحرم بالشهر الذى تريد معرفة اوله
وزد عليه مثل نصفه بلا كسر اى باسقاط الكسر فان كان المجتمع اكثر
من سبعة فاسقط منه سبعة بعد سبعة الى ان يبقى معك سبعة
فما دونها فابدا بعدده من اول يوم من السنة العربية بالحساب على
التوالى اى توالى الايام فحيث انتهيت اليه فبذلك اليوم يدخل الشهر
المطلوب مثاله اول سنة احدى وخمسين وتسعماية بحكم القاعدة الثانية
المتقدمة يوم الثلاثا فاردنا ان نعلم اول جمادى الاولى من هذه السنة فعددنا

من المحرم الى جمدى الاولى فكان به خمسة اشهر زدنا على ذلك نصفه بلا
كسر وهو اثنان صار المجموع سبعة فدخلنا بها من اول يوم من السنة
المذكورة وهو الثلثا فنفذت على يوم الاثنين فقلنا انه اول جمدى الاولى
القاعدة الثانية ان تحفظ اول يوم من المحرم من السنة التى تريد معرفة
اوايل شهورها وهو الثلثا كما تقدم فيكون ثالثه صفر ورابعه ربيع
الاول وسادسه ربيع الثانى وسابعه جمادى الاولى وثانيه جماد الآخر
وثالثه ايضا رجب وخامسه شعبان وسادسه ايضا رمضان وثلثه
اعنى الثلثا شوال وثانيه ايضا القعدة ورابعه ايضا الحجة ويعلم ذلك
من اوايل كلمات هذا البيت اذا كان اول المحرم الاحد وقس عليه غيره
والبيت هو اموت جوى دهرى وما زرت بابه جفونى همت
وبات الى بابه دانى ومثله ان جاد دهرى وجادت زينب بوفا
جلت هوى وكم اجيت بر دنفا القاعدة الثالثة اذا تحققت اول
المحرم بطريق صحيح جدول وغيره فاول شوال من تلك السنة مثل اول
المحرم وزد على اول المحرم واحدا يكون المجموع اول جماد الآخرة واول القعدة
وزد عليه اثنين يكون اول صفر واول رجب وزد عليه ثلاثه يكون
اول ربيع الاول واول الحجه وزد عليه اربعة يكون اول شعبان وزد
عليه خمسة يكون اول ربيع الثانى واول رمضان وزد عليه ستة
يكون اول جماد الاول وقد نظمت ذلك تسهيلا لحفظ القاعدة وضبطا
لها فقلت اذا عرفت اول المحرم فمثله شوال يا مكرم وزده واحدا
يكون و ي ا ب زمع اثنين ترى سويا وزد ثلاثة يكون جيب واربعا
شعبان يا لبيب وخمسة دال وطا بعده وستة هاء تمام
العده مثاله اول المحرم سنة احدى وخمسين وتسعماية الثلثا
فشوال مثله الثلثا وزد على الثلثا واحدا يصير اربعة فيكون الاربعا
اول الشهر السادس وهو جماد الآخر واول الشهر الحادى عشر وهو ذو القعدة
وزد على اول المحرم اثنين يصير خمسة فيكون الخميس اول الشهر الثانى
وهو صفر واول الشهر السابع وهو رجب وزد على اول المحرم ثلاثة يصير
ستة فيكون الجمعة واول الشهر الثالث وهو ربيع الاول واول الشهر
الثانى عشر وهو ذو الحجه وزد عليه اربعه يصير سبعة فيكون السبت
اول شعبان وزد على اول المحرم خمسة يصير ثمانية اسقط منها سبعة
يبقى واحد فيكون الاحد اول الشهر الرابع وهو ربيع الثانى وكذلك
اول الشهر التاسع وهو شهر رمضان وزد عليه ستة يصير تسعة
اسقط منها سبعة يبقى اثنان فيكون الاثنين اول الشهر الخامس وهو
جماد الاول وقد تمت ولشهور العرب اعداد وعلامات يحتاج الى معرفتها

في معرفة اوايل الشهور العربية وغيرها فعدد المحرم ثلاثون يوما وعلامته
احد صفر تسعة وعشرون يوما وعلامته ثلاثة ربيع الاول ثلاثون
يوما وعلامته اربعة ربيع الثاني تسعة وعشرون يوما وعلامته
ستة جماد الاول ثلاثون يوما وعلامته سبعة جماد الثاني تسعة وعشرون
يوما وعلامته اثنان رجب ثلاثون يوما وعلامته ثلاثة شعبان
تسعة وعشرون وعلامته خمسة رمضان ثلاثون وعلامته ستة
شوال تسعة وعشرون وعلامته احد ذو القعدة ثلاثون وعلامته
اثنان ذو الحجة تسعة وعشرون وعلامته اربعة الا ان تكون السنة
كبيسة فيكون الحجة ثلاثون يوما وهذه صورة وضع العلامات
ا ج د و ز ب ج ه و ا ب د فعلى هذا تكون السنة العربية ثلثماية
يوم واربعة وخمسين يوما وخمس يوم فبانجبار هذا الكسر يوما كاملا
تكون السنة كبيسة وستاتي قاعدة معرفة سنة الكبيس من السنين
العربية تحت جدول ابن داود في معرفة اوايل الشهور العربية واعلم ان
هذه العلامات التي ذكرناها للشهور لا تتغير ابدا كعلامات السنين
الاتية فان اشتبهت عليك فطريق معرفتها ان تجعل على ايام سنة العرب
ربعها بغير كسر ثم نسقط المجتمع وهو ٣٥٤ اربعماية واثنان واربعون
سبعة بعد سبعة يبقى واحد فهو للمحرم ثم تحمل على هذا الواحد على عدد ايام
المحرم فيكون احد وثلاثون فاسقطه كالاول يفضل ثلاثة فهو لصفر ثم
تحمل الثلاثة على ايام صفر فيكون المجتمع اثنين وثلاثين اسقطه كذلك يفضل
اربعة فهي لربيع الاول وهكذا تفعل الى اخر الشهور واما علامات السنين
العربية فاسقط سني الهجرة ثلاثين ثلاثين بالسنة الناقصة ولو دخل
منها يوم واحد وخذ لكل ثلاثين اسقطتها خمسة وما لم يتم ثلاثين
لا تاخذ له شيئا ثم اسقط ما اجتمع من الخمسات سبعة بعد سبعة
فما بقي سبعة او اقل منها فهو علامة تلك السنة فاذا اردت معرفة
دخول اي شهر شيت من شهور العرب فزد علامة تلك السنة على علامة
ذلك الشهر فان اجتمع منهما اكثر من سبعة فاسقط السبعة ما بقي اما
سبعة او دونها فابدا بها بعد من يوم الاحد فاليوم الذي يفنى عليه
العدد هو اول ذلك الشهر مثاله اردنا معرفة اول سنة احدى وخمسين
وتسعماية فراينا علامة المحرم احدا اسقطنا من سني الهجرة لمعرفة
علامة هذه السنة احد وثلاثين مرة ثلاثين ثلاثين واخذنا لكل ثلاثين
اسقطناها خمسة فاجتمع من الخمسات ماية وخمسة وخمسون اسقطناها
سبعة بعد سبعة فضل منها واحد وهو علامة هذه السنة فاضفناها
الى علامة المحرم فاجتمع منهما اثنان فقلنا ان اول المحرم هذه السنة يوم

الاثنين

الاثنين فوافق ذلك القاعدة الاولى والثانية في معرفة اول يوم من السنة
العربية واما معرفة اوايل الشهور العربية بالجداول فالجداول في ذلك
كثيرة ومما رايت اصح من الجدول المشتمل على جدولين المنسوبين الى المرحوم الشيخ
المسلك عبد الرحمن بن داود الحنبلي الدمشقي وستاتي ترجمته عند ذكر
وروده المشهور في الفصل الثاني من الباب الاول من خاتمة الخاتمة وقيل
ان اول من وضعهما الامام علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما قال الشيخ
عبد الرحمن المشار اليه جربته اربعين سنة فلم يخرم واياك والغلط
وصفة العمل به ان تاخذ جميع سني الهجرة مع التي تريد معرفة اوايل
شهورها ثم تسقط من الجملة ماتين وعشرة بعد ماتين وعشرة الى ان
يبقى معك اقل من ذلك ثم تنظر في الجدول الاول جدول الاعداد فجانب
الجدول طولا فيه العشرات والميات وهي من عشرة الى ماتين وعشرة
واعلا الجدول فيه من الواحد الى العشرة فتنظر في المقدار الباقي
بعد الاسقاط فتضع اصبع يدك اليمنى على مقدار ما بقي من العشرات
والميات بالسطر الايمن الطولي واصبع يدك اليسرى على ما بقي من الاحاد
بالسطر العرضي الاعلى وتمشي بالاصبعين بحيث التقتا في بيت فتنظر
ما فيه من الكلمات فتحفظه ثم تنظر في الجدول الثاني الذي فيه اسماء
الشهور والايام وتعتبر اعلاه فاذا رايت فيه الكلمة المحفوظة فضع
اصبع يدك اليسرى عليها ثم انظر الشهر المطلوب في السطر الايمن
طولا فضع اصبع يدك اليمنى عليه وامش بالاصبعين عرضا وطولا
بحيث التقتا كان ذلك اليوم اول الشهر المطلوب والله اعلم

هذه صورة الجدول الاول

	احاد / عشرات	احد	اثنان	ثلثه	اربعه	خمسه	سته	سبعه	ثمانيه	تسعه	عشره
ي	عشره	خادم	ابن داود	الفقرا	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	خادم	القادري	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن داود
ك	عشرون	الفقرا	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	خادم	القادري	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن داود	الفقرا	القادري
ل	ثلاثون	ابن ابي بكر	خادم	القادري	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن داود	الفقرا	القادري	ابن ابي بكر	خادم
م	اربعون	القادري	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن داود	الفقرا	القادري	عبد الرحمن	خادم	ابن داود	عبد الرحمن
ن	خمسون	عنا الله عنهم	ابن داود	الفقرا	القادري	ابن ابي بكر	خادم	ابن داود	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن داود
س	ستون	الفقرا	القادري	ابن ابي بكر	خادم	ابن داود	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	الفقرا	القادري
ع	سبعون	عبد الرحمن	خادم	ابن داود	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	الفقرا	القادري	عبد الرحمن	خادم
ف	ثمانون	ابن داود	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	الفقرا	عنا الله عنهم	عبد الرحمن	خادم	ابن داود	عبد الرحمن
ص	تسعون	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	الفقرا	القادري	عبد الرحمن	خادم	ابن داود	الفقرا	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر
ق	مائه	الفقرا	القادري	عبد الرحمن	خادم	ابن داود	الفقرا	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	خادم	القادري
قي	مايه وعشره	عبد الرحمن	خادم	ابن داود	الفقرا	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	خادم	القادري	ابن ابي بكر	خادم
قك	مايه وعشرون	ابن داود	الفقرا	عنا الله عنهم	ابن داود	خادم	القادري	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن داود	الفقرا
قل	مايه وثلاثون	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	خادم	القادري	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن داود	الفقرا	القادري	ابن ابي بكر
قم	مايه واربعون	خادم	القادري	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن داود	الفقرا	القادري	ابن ابي بكر	خادم	القادري
قن	مايه وخمسون	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	الفقرا	القادري	ابن ابي بكر	خادم	القادري	عبد الرحمن	عنا الله عنهم
قس	مايه وستون	ابن داود	الفقرا	القادري	ابن ابي بكر	خادم	ابن داود	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	الفقرا
قع	مايه وسبعون	القادري	ابن ابي بكر	خادم	ابن داود	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	الفقرا	القادري	ابن ابي بكر
قف	مايه وثمانون	خادم	ابن داود	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	الفقرا	القادري	عبد الرحمن	خادم	ابن داود
قص	مايه وتسعون	عبد الرحمن	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	الفقرا	القادري	عبد الرحمن	خادم	ابن داود	الفقرا	عنا الله عنهم
ر	مايتان	ابن ابي بكر	الفقرا	عنا الله عنهم	عبد الرحمن	خادم	ابن داود	الفقرا	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	الفقرا
ري	مايتان وعشره	القادري	عنا الله عنهم	خادم	ابن داود	الفقرا	عنا الله عنهم	ابن ابي بكر	خادم	القادري	عبد الرحمن

هذه صورة الجدول الثاني

الشهور / الايام	خادم	الفقرا	عبد الرحمن	ابن ابي بكر	ابن داود	القادري	عنا الله عنهم
المحرم	الاحد	الاثنين	الثلث	الاربعا	الخميس	الجمعه	السبت
عاشورا	الثلث	الاربعا	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلث	الاربعا	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد
ربيع الاول	الاربعا	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلث
ربيع الثاني	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلث	الاربعا	الخميس
جماد الاولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلث	الاربعا	الخميس	الجمعه
جماد الثاني	الاثنين	الثلث	الاربعا	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد
رجب	الثلث	الاربعا	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلث	الاربعا
النصف من شعبان	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلث	الاربعا
رمضان	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلث	الاربعا	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلث	الاربعا	الخميس	الجمعه	السبت
ذو القعده	الاثنين	الثلث	الاربعا	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد
ذو الحجه	الاربعا	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلث
الوقفه	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلث	الاربعا
عيد الاضحى	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلث	الاربعا	الخميس

اعلم ان الكبس كما يقع فى شهور الروم بان يزاد فى شباط يوم فيصير تسعة وعشرين يوما وذلك فى كل اربع سنين مرة فكذلك يقع فى سنى العرب بان يقع ذو الحجة كاملا ثلاثين يوما تاما وانما يكون تسعة وعشرين يوما وذلك فى السنة الثالثة او الثانية على ما يأتى فى القاعدتين المعروف بهما سنة الكبيس وقال البيرونى فى التفهيم واما الكبيس فى السنة العربية من خمس اليوم وسدسه يعنى الفاضل فى كل سنة عن الثلاثماية اربعة وخمسين يوما يتم فى السنة الثالثة يوم فتصير به السنة ثلثماية وخمسة وخمسين يوما ويبقى ايضا شئ يتم منه ومن خمس اليوم وسدسه المستأنف فى السنة السادسة يوما اخر وكذلك الى ان يفنى الكسر اصلا باحد عشر عند تمام ثلثين سنة انتهى وقد اختبرت ما قاله فوجدت الكسر لا يفنى باحد عشر يوما الا عند ثلاثة وثلاثين سنة ومع هذا يفضل بعد اليوم الحادى عشر شئ يسير نحو ست درجات فليحرر وبهذا السبب يقع الخلل فى القواعد والجداول التى تعرف بها اوايل الشهور العربية فانها مرتبة على كون ذى الحجة تسعة وعشرين يوما وان يوم الثلاثين يكون اول المحرم فاذا كان الحجة ثلاثين فيتأخر المحرم يوما ضرورة وطريق معرفة كبيس العرب ان تطرح سنى الهجرة بالسنة التى تريد معرفتها انها كبيس او لا ثلثين ثلثين ثم اطلب عدد ما بقى بعد الطرح من الحروف المفردة والمركبة الاتية الدالة على الكبايس فان وجدت عدد ما بقى بعد الطرح فى الحروف المذكورة فالسنة كبيس والا فلا وهذه صورة الحروف

ب ه ز ي يج كا كد كو كط والله اعلم وطريق اخر موافق لما فى جدول التبريزى وهو ان تجمع السنين التى بعد سنة تسعماية الى السنة التى تريد معرفتها انها كبيسة او لا ثم اسقط ذلك ثلاثين ثلاثين وما بقى اقل من ثلاثين فادخل به فى الحروف الاتيه فان انتهى العدد الباقى على حرف منقوط فالسنة كبيسه وهذه الحروف وعدتها ثلاثون حرفا وهى اى آمن اب اح ب مزا قل ذاك ج واب افد ع ذا بجمعها قولك ايا من اباح بما قلنا • انا الجواب افذ غشا ••

وهو كلام صحيح المعنى موافق للطريق الاول غير انه كلام سافل وقد اتيناك بحروف تقابل الحروف المذكورات نقطا واهمالا فى بيتين اول كل كلمة منهما حرف منها وهما قولى اذا قيل لى ماذا عليك تزورنى وما انت ذا حقد وما ثم ما تخشى اقل لم يكن من يعز لا ولا ذنى اذا زرت اعتابا لكم يشتكى الاحشا وهذه قواعد فى معرفة اول شهر رمضان القاعدة الاولى نقلت عن الامام جعفر الصادق رضى الله عنه اذا اشكل عليك هلال شهر رمضان الاتى فانظر الى اليوم الخامس من شهر

رمضان الماضى فانه ذلك اليوم اقول هذا بتقدير ان يكون الحجة من السنة الماضية كاملا ثلاثين يوما وما بعده من المحرم شهرا كاملا وشهرا ناقصا والا فاليوم الخامس من رمضان الماضى هو اول رمضان الاتى القاعدة الثانية قال الحكماء ان رابع رجب يكون اول رمضان وهذه القاعدة بعيدة عن الصحة والله اعلم القاعدة الثالثة فى معرفة الوقفه واول شهر رمضان من اول كل شهر فالمحرم خامسة الوقفة وسادسه اول شهر رمضان صفر ثالثه الوقفه ورابعه اول شهر رمضان ربيع الاول ثانيه الوقفه وثالثه اول شهر رمضان ربيع الثانى سابعه الوقفه وثامنه اول شهر رمضان جماد الاول سادسه الوقفه وسابعه اول شهر رمضان جماد الثانى رابعه الوقفه وخامسه اول شهر رمضان رجب ثالثه الوقفه ورابعه اول شهر رمضان شعبان اوله الوقفه وثانيه اول شهر رمضان شهر رمضان سابعه الوقفه وسادسه اول شهر رمضان من السنة التى الاتى بعده اقول هذا اذا كان الحجة الذى بينهما ثلاثين يوما والا فخامس رمضان الاول هو اول رمضان الاتى بعده كما قدمته فى القاعدة الاولى فاختبره فانى اختبرته وحررته والله اعلم بالصواب شوال خامسه الوقفه وسادسه اول شهر رمضان الذى قبله لا الاتى فى السنة القابلة فان ذلك يعرف من اول الشهور المتقدمة عليه من سنته ذو القعدة رابعه الوقفة وخامسه اول شهر رمضان الذى تقدمه ذو الحجة تاسعه الوقفه وعاشره اول شهر رمضان الذى تقدمه وينبغى ان يقال فى الحجة ثانيه الوقفه وثالثه اول شهر رمضان الذى تقدمه وانما قال تاسعه الوقفه لدفع توهم الغلط لو قال ثانيه الوقفه والله اعلم واما اسماء الشهور الرومية بلسان السريانية فقد قال الفقيه رحمه الله تعالى بعد ذكره شهور العرب فهذه اسماء الشهور العربية القمرية التى يعرف حسابها بدوران القمر وهو حساب المسلمين لاجالهم واعيادهم وعباداتهم واما اسماء الشهور الشمسيه التى يعرف حسابها بدوران الشمس بحساب الرومية بلسان السريانية يجعلون ابتداءها من ايام المهرجان اول الشهور تشرين الاول • تشرين الثانى • كانون الاول • كانون الثانى • شباط • آذار • نيسان • ايار • حزيران • تموز • آب • ايلول • انتهى فذكر الفقيه اسماءها ولم يتعرض للكامل والزايد والناقص منها ولا لغيره وذلك ضرورى لمعرفة الحسابات بها اقول قد نظم بعضهم اسماء الشهور السريانية الاسكندرية التى ذكرها الفقيه المعروفة فى زماننا بشهور الروم

فى ابيات وذكر فيها عدة كل شهر منها فقال شهور الروم الوان زيادات
ونقصان فتشرين هو الثانى وايلول ونيسان ثلاثون ثلاثون
سوآء وحزيران شباط خص بالنقص وقدر النقص يومان
وباقى اشهر الروم احد عشر وعشران واذا كانت السنة الرومية
كبيسه بان تزيد يوما فالسريانيون يزيدونه فى شباط فيكون شباط
فى تلك السنة تسعة وعشرون يوما والروم يزيدونه فى كل كانون الاول
فيكون كانون الاول فى تلك السنة اثنين وثلاثين يوما وطريق معرفة
كون السنة الرومية السريانية كبيسه ياتى فى هذا الباب ان شاء الله
تعالى واول السنة السريانية تشرين الاول قال الغيزارى اولها تشرين
وهو القايد وهو ثلاثون يوم زايد وعليه تترتب التواريخ وقواعد كما
سياتى بيانه واما الروم فحسابهم بهذه الشهور ايضا غير ان لكل شهر
من السريانيه اسم بالرومية موافق للشهر الذى يقابله فى العدد على ما
ياتى بيانه غير انهم جعلوا راس السنة عندهم اول كانون الاخر وهو
اول تاريخهم اذ كان فى اول يوم منه بزعمهم سابع ميلاد المسيح عليه
السلام ويوم ختنه فيكون كانون الاول آخر سنتهم ولذا جعلوا الكبيس
فيه كما جعل السريانيون الكبيس فى آخر شهر من سنتهم وهو شباط
باعتبار كونه آخر السنة الشمسيه لكون اولها آذار بسبب نزول الشمس فى
اول الحمل فائده ذكر بعضهم ان تشرين الاول دخل يوم الاربعا مستهل
المحرم سنة ثلاث وستين وثلثماية من الهجرة وقد مضى للاسكندر الف
ومايتان واربعة وثمانون سنة تامه وكل تشرين اول ياتى بعدها
يزاد على سنى الاسكندر سنة ودخل كانون الثانى اول سنة الروم
فى سنة اثنين وستين وثلثماية من الهجرة يوم الاربعا الثالث
والعشرين من ربيع الاول وقد مضى لتاريخ الصفر الف وستة
وعشرون سنة تامة وبلغ تاريخ المسيح تسعماية ثلاثة وتسعين
سنة بالسنة المنكسرة فكل كانون ثانى ياتى بعدها يزاد على تاريخ
الصفر سنة واحدة وكذلك على تاريخ المسيح عليه السلام وقال
الدميرى انه لما كان فى اول المحرم سنة اثنين وثمانين وثمانماية من
تاريخ ذى القرنين وكان النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ حملا فى بطن
امه حضر ابرهة الاشرم ملك الحبشة لهدم الكعبة ومعه فيله
المسمى محمود انتهى وولد النبى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول من
هذه السنة وارخت العرب هذه السنة بعام الفيل وكان من عادة
التاريخ بالوقائع والحوادث وللحافظ مغلطاى والقاضى مجير الدين
المقدسى الحنبلى كلام فى الهجرة رجع وانما جعلوا تشرين الاول اول

مجير الدين

السنة

السنة لان فيه تقطع جميع الثمار ويبدا بجميع المزروعات وهو مقابل
فردردين ماه اول شهور الفرس واول يوم منها النيروز الصغير
وسياتى ذكر النيروز عند اسماء شهور الفرس ولهذه الشهور السريانية
الاسكندرية اسماء بلغة الروم موافقة لها فى الاعداد والكبايس
وعلامات الشهور وهذه الاسماء تستعملها المغاربه واولها فى مقابلة
تشرين الاول اكتوبر ثم نوبنبر ثم دجنبر ثم يونيبر وقيل ينايير
ثم فبرير وقيل فوران ثم مارس ثم ابريل ثم مايه وقيل مايه
ثم يوليه وقيل يوليوه ثم اغشت ثم شتنبر ولنذكر طريقة معرفة
تاريخ سنى الاسكندر وعلامات شهورها وما يتعلق بذلك لان
سنيه اصل لجميع ما ذكر فاذا اردت ان تعلم مبلغها فى كل وقت فخذ
سنى اهل الكهف التى ذكرها الله تعالى وهى ثلثماية سنة وتسع سنين
فتحمل عليها ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ستماية
سنة واربعة وعشرون سنة فتكون الجملة تسعماية وثلاث وثلاثين
سنة وبحكم نقص السنة الاخيرة منها على ما ياتى تسعماية سنه واثنين
وثلاثين سنة فهذا ما بين ذى القرنين وهجرة محمد صلى الله عليه وسلم
وكذا ذكره الحافظ مغلطاى فتحمل على ذلك سنى الهجرة بعد ان تردها عجمية
ومعرفة ذلك ان تسقط من كل ماية سنة عربيه ثلاث سنين ومن كل
ثلاث وثلاثون سنة واحدة فيما لم يتم ماية وما بقى فهو عجمى فتحمل عليها
التسعماية وثلاث وثلاثين سنة فما اجتمع فهو سنى ذى القرنين للوقت
الذى حسبت فيه مثاله اسقطنا من سنى الهجرة وقدرها يومئذ تسعماية
سنة وتسعة واربعين سنة لاجل ردها عجمية فكان المسقوط على حكم
ما ذكره ثمانية وعشرين سنة يبقى من سنى الهجرة المذكورة بعد الاسقاط
تسعماية احد وعشرون سنة عجمية اضفنا الى ذلك التسعماية ثلاث
وثلاثين سنة المذكوره فتكون الجملة الف سنة وثمانماية سنة واربعة
وخمسين سنة هى ما مضى من سنى الاسكندر الى سنة تسع واربعين
وتسعماية بالتقريب والله اعلم واعلم ان آخر سنة من سنى ذى القرنين
التى يتلوها تاريخ الهجرة انما هى سنة ناقصة وليست بكامله فاحفظ
ذلك فانه يحتاج اليه وطريق آخر صحيح لمعرفة تاريخ الاسكندر وهو
ان تعد سنى الهجرة ولا تحسب السنة التى انت فيها حتى يدخل فيها تشرين
الاول فاذا دخل فيها ولو يوما فاحسبها ثم القى من جملتها اربعماية سنة
وثلاثا وستين سنة وما بقى فانقص منه من كل ثلاثة وثلاثين سنة
سنة واحدة فان لم يبلغ ما بقى معك ثلاثا وثلاثون سنة فلا تنقص
منه شيئا واضف الى ما بقى بعد الاسقاط الثانى الف سنه وثلثماية سنة

واثنين وثمانين سنة فما اجتمع فهو عدة سنى ذى القرنين فى الوقت الذى
حسبت فيه مثاله حسبنا لذلك فى سنة تسع واربعين وتسعماية من
الهجرة وكان قد دخل فيها تشرين الاول فالقينا من جملة ذلك اربعماية
ثلاث وستين سنة فبقى بعد ذلك اربعماية سنه وستة وثمانون
سنة اسقطنا منها اربعة عشر سنة من كل ثلاث وثلاثين سنة
سنة سنة فبقى معنا اربعماية سنة واثنان وسبعون سنة
اضفنا الى ذلك الف سنة واحدة وثلاثماية سنة واثنين وثمانين
سنة فاجتمع من المضاف والمضاف اليه الف سنة وثمانماية سنة
واربع وخمسون سنة هى عدد ما مضى من سنى ذى القرنين الى سنة
تسع واربعين وتسعماية وقد وافقت هذه الطريقة الطريقة التى
قبلها ومعرفة علامات شهور ذى القرنين ان تسقط ايام السنة
الاسكندرية وهى ثلاثماية وخمسة وستون يوما سبعة سبعة
يكون الباقى منها واحدا وهو علامة تشرين الاول وكذلك اذ زدت
على ايام السنة المذكورة ربعها بغير كسر يعنى باسقاط الكسر وهو
احد وتسعون تكون الجملة اربعماية وستة وخمسين فاذا اسقطتها
كذلك يبقى واحد فهو علامة تشرين الاول ايضا فاذا زدت علامة
تشرين الاول على عدد ايامه يكون الحاصل اثنين وثلاثين اسقطها
كذلك يبقى اربعة وهى علامة تشرين الثانى ثم اذا زدت علامة
تشرين الثانى على عدد ايامه يكون المجتمع اربعة وثلاثين فاذا اسقطتها
كذلك يكون الباقى ستة وهو علامة كانون الاول وهكذا تفعل فى
بقية الشهور وهذه علامات الاثنى عشر شهرا ا د و ب ه ه ا ج و ا
د ز وهذه الحروف من الواحد الى السبعة فلا يشتبه عليك شئ منها
وقد جعلت كل حرف من هذه الحروف اول كلمة من كلمات هذا البيت وهو
قولى اذ دهرا وانى بقربك هنئ ما هندا أن جنت وهو أن دام زين
وهذه العلامات لا تتغير ابدا لان عدد ايام السنة لا تتغير فكذلك
علامات الشهور لا تتغير واما معرفة اول تشرين الاول وهو اول السنة
السريانية فخذ ما زاد على سبعماية من الهجرة بالسنة الناقصة واحمل
عليه ربعه من غير كسر بان يجبروا سقط من المجتمع اربعة ثم اطرح
الباقى سبعة سبعة وما لم يتم سبعة فابدا به من الاحد فحيث انتهيت
اليه من الايام فهو اول التشرين الاول مثاله فى معرفة اول تشرين الاول
الواقع فى سنة تسع واربعين وتسعماية اخذنا الزايد على ما ذكره من سنى
الهجرة بهذه السنة فكان ماية وثلاثة وثمانين سنة حملنا على ذلك ربعه
بجبر الكسر وقدره ستة واربعون فكان المحمول عليه مائتين وتسعة وعشرين

اسقطنا

اسقطنا من ذلك اربعة بقى معنا مايتان وخمسة وعشرون اسقطنا
ذلك سبعة بعد سبعة بقى معنا واحد فيكون اول تشرين الاول فى هذه
السنة الاحد ومعرفة اول الشهور السريانية ان تعلم ما مضى منها
بالشهر الذى تريد وادخل به فى حروف علامات الشهور الاثنى عشر
المعينات اعلاه فما انتهيت اليه من الحروف فاعلم ما له من العدد وابدا
بعدده من يوم يدخل به تشرين الاول فحيث انتهيت اليه من الايام
فهو اول الشهر المطلوب مثال ذلك فرضنا ان اول تشرين الاول الاربعا
واردنا معرفة اول تموز بعددنا الماضى من تشرين الاول الى تموز فكان
عشرة اشهر بتموز فدخلنا بذلك فى الحروف المذكورات فكان الحرف العاشر
الالف له من العدد واحد فبدانا من اول تشرين الاول فكان اول تموز
الثلث وان اردنا معرفة اول حزيران وهو الشهر التاسع دخلنا بتسعة
فى الحروف فكان الحرف التاسع الواو وستة فابتدانا بها من اول التشرين
الاول فقلنا الاربعا الخميس الجمعة السبت الاحد الاثنين فقلنا الاثنين
اول حزيران وهو كذلك وهذا الحساب لتقريب العمل والا اذا علم اول
تشرين الاول وعلمت هذه السنة انها كبيسه او غير كبيسه وعلم عدد ايام
كل شهر فقد علم اول كل شهر بعد تشرين الاول الى تمام السنة وهو الاصح
والاولى وقد نظم فى معنى ذلك يحيى الصرصرى الحنبلى الضرير رحمه الله
تعالى فى قصيدة عدتها اربعة وثلاثون بيتا فقال

اذا ما اوائل اشهر الروم اشكلت … فاول تشرين يحلل مشكلا
فرابع تشرين لتاليه اول … وسادسه فاجعل لكانون اولا
وثانيه للثانى وخامسه يلى … شباطا وآذارا فلم ينز يلا
واول نيسان كاوله وخذ … لايار منه ثالثا لن يقللا
واول يوم من حزيران سادس … واول تموز كاوله اجعلا
واول آب رابع منه واحتسب … لايلول منه سابعا متكملا

يعنى ان اول نيسان واول تموز مثل اول تشرين الاول واول كانون
الثانى ثانيه واول ايار مثل ثالثه واول تشرين الثانى واول آب مثل
رابعه واول شباط واول آذار مثل خامسه واول كانون الاول واول
حزيران مثل سادسه واول ايلول مثل سابعه واما معرفة السنة
الكبيسة من السنين الرومية فذلك ان تحمل على سنى ذى القرنين واحدا
ابدا وتسقط ما اجتمع اربعة اربعة فان بقى معك اربعة فالسنة كبيسة
والا فلا مثاله مضى من سنى ذى القرنين بسنة تسع واربعين وتسعماية
حسبما عين فى معرفة تاريخ سنى الاسكندر الف سنة واحدة وثمانماية
سنة واربعة وخمسون سنة زدناها واحدا فبقيت الف وثمانماية

ليست
خمسة وخمسين اسقطناها اربعات ففضل منها ثلاثة قلنا انها
كبيسه واذا دخل العام القابل وهو سنة خمسين وتسعماية يزداد
الحساب واحدا فيكون الفاضل منها بعد الاسقاط اربعة فنقول
انها كبيسة ووجه آخر وهو ان تاخذ ربع سني ذي القرنين فان كان
فيه كسر هو ثلاثة ارباع فالسنة كبيسه والا لا اختبرنا ذلك فوجدناه
ربع سني ذي القرنين بسنة تسع واربعين وتسعماية اربعماية ثلاث
وستين ونصف فقلنا انها ليست كبيسة ووجدنا ربعها بزيادة سنة
هي سنة خمسين وتسعماية اربعماية ثلاث وستين سنه ونصف سنه
وربع سنه فقلنا انها تكون كبيسة فان كل سنة تقبل من سني العرب
تزاد على سني الاسكندر فوافق هذا الوجه ما قبله والله اعلم واصل الكبس
السرياني كبيشتا فعرب فقيل كبيسه ولان ارباع اليوم الزايدة في كل سنة
ربع تكبس في السنة الرابعة فتكون يوما تاما فيزاد في شباط وغيره
كما تقدم واما شهور الفرس فقد ذكر الفقيه ان اولها من النيروز
وان اولها فرد ردين ماه ثم ذكر بعد الثمانية اشهر خمسة ايام تعد
من السنة يقال لها ايام مسروقة ثم ذكر الاربعة اشهر الباقية وكان
كلما مضى من شهر من الشهور الفارسية عشرة ايام دخل شهر من الشهور
الرومية وفي كل سنة يتاخر النيروز يوم واحد من ايام الجمعة فان كان
النيروز في هذه السنة يوم الخميس يكون في السنة الثانية في يوم الجمعة
وفي السنة الثالثة يوم السبت وهكذا وما كان من الشهور العربية فانها
تنقص في كل سنة عشرة ايام وربما تنقص احدى عشر يوما فستة منها
نقصان الشهور واربعة منها هي ايام مسروقة انتهى كلام الفقيه
اقول اما تداخل شهور الفرس وشهور الروم على ما ذكره الفقيه
لا يستقيم لان شهور الفرس متساوية ثلاثون ثلاثون وتزاد بعد الشهر
الثامن خمسة ايام على قول الفقيه وعلى قول غيره انها تزاد في آخر شهر
منها على ما ياتي في الجدول وتكون من جملة الشهر الاخير وعلى القولين لا
يصح انه كلما مضى من شهر من الشهور الفارسية عشرة ايام دخل شهر
من الشهور الرومية لان تشرين الاول وهو اول شهور الروم اذا كان اوله
الحادي عشر من اول شهور الفرس فيكون آخره الحادي عشر من الشهر الثاني
من اشهر الفرس ويكون اول تشرين الثاني ثاني عشر الشهر الثاني من شهور
الفرس بعد مضي احد عشر يوما منه وهكذا حتى ان اول شباط يكون رابع
عشر الشهر الخامس من اشهر الفرس بعد مضي ثلاثة عشر يوما منه لكن آخر
اشهر الروم وهو ايلول على حكم التسيير يكون عاشر اول شهور الفرس ويكون
اول تشرين الاول بعد مضي عشرة ايام منه فيكون مراد الفقيه انه متى

صح

صح اول شهور الفرس فيكون حادي عشرة اول تشرين الاول وما بعده يكون
على الحساب والله اعلم واما النيروز فهو بالياء آخر الحروف قال ابو منصور
موهوب الجواليقي في كتابه المعرب من الكلام الاعجمي النيروز والنوروز
فارسي معرب وكان الذي بالياء هو الفارسي والذي بالواو تعريبه وهو
عبارة عن اول السنة وقد سمى كل قوم اول سنتهم باسم فمنهم من سماه
نيروزا تبعا للفرس ومنهم من سماه عيدا اول السنة قال صاحب التفهيم
النيروز من رسوم الفرس وهو اليوم الاول من فرد ردين ماه وهو النيروز
الصغير ولهذا سمي يوما جديدا لانه غرة الحول الجديد وما بعده من الايام
الخمسة كلها اعياد وسادسها النيروز الكبير لان الاكاسرة كانوا
يقضون في الايام الخمسة حوايج طبقات الناس والحشم ثم يجعلون في
هذا اليوم انسهم ويعتقدون في النيروز الاول وهو الصغير انه اول
يوم في الزمان لابتداء الفلك فيه بالدوران انتهى واما النيروز السلطاني
بمصر فهو اول نزول الشمس برج الحمل اول فصل الربيع في ثاني عشر آذار
وعليه العمل فان شارح الجغميني قال النيروز يوم نزول الشمس راس
الحمل وهو الاعتدال الربيعي وان المهرجان يوم نزول الشمس راس
الميزان وهو الاعتدال الخريفي وقال صاحب التفهيم فيه المهرجان
السادس عشر من مهرماه سابع شهور الفرس التي كل شهر منها ثلاثون
يوما واسمه مهر وفيه زعموا انه ظفر افريدون بالساحر بيوراسب المعروف
بالضحاك وحبسه في جبل دنباوند وما بعده من الايام اعياد كما كانت
بعد النيروز ويكون سادسها المهرجان الاكبر وهو رام روز وبه عرف
انتهى واول يوم من المهرجان يكون ثاني عشر ايلول وستاتي اسماء
شهور الفرس وعددها ومحل الخمسة ايام المسروقة بالجدول الآتي ان
شاء الله تعالى واما سنة القبط التي عليها العمل بمصر التي رابع توت
منها اول ايلول السرياني وعليها قواعد مرتبة وحسابات فاشهرها
كلها ثلاثون ثلاثون فاولها توت، بابه، هتور، كيهك، طوبه، امشير
برمهات، برموده، بشنس، بونه، ابيب، مسرى، النسي بفتح
النون وكسر السين المهملة وهو خمسة ايام آخر الشهور وكل ثلاث سنين
يكون كبيسا فيكون ستة ايام ويكون اول ايلول الرومي حينئذ ثالث
توت ثم يرجع بعده في السنة القابلة فيكون اول ايلول رابع توت
وهذه ارجوزة يعرف منها شهور الروم من شهور القبط وشهور
القبط من شهور الروم وهي

متى ترد معرفة المداخل ... من اول الشهور بالمنازل
نعد من توت بلا تطويل ... اربعة وهو ابتدا ايلول

وبابة كذاك مع تشرين … اولها السابق في التسنين
والخامس المعدود من هتور … اول تشرينهم الاخير
اول كانون بغير دوسه … اذا نقضت كيهك خمسه
وطوبه ان رمته ستة … اتاك كانون الاخير بغته
ومن شباط اول موافق … سابع امشير حساب صادق
اول آذار اذا جعلته … لبرمهات خامسا وجدته
اول نيسان لذي التحديد … السادس المعهود من برمود
ومثله ايار مع بشنس … واحدة مقرونة بخمس
اما حزيران فيحسبونه … اولها السابع من بوونه
كذلك السابع من ابيب … اول تموز على الترتيب
اول آب عند من يحصل … ثامن مسرى فذلك لا يجهل

تمت وهذا بيت مشتمل على اثنى عشرة كلمة كل كلمة لشهر من شهور القبط اولها توت فكل حرف من اول كل كلمة يعلم منه دخول ما يقابل ذلك الشهر القبطي من الشهور السريانية اذا مضى من الشهر القبطي بعدد ذلك الحرف وها انا اذكر لك البيت واوضح لك كيفية التداخل فيه وهو

وهل	هنا	زهية	ورود	هل	هند	دار	دنت
خامس برمهات برمودة	خامس امشير	سابع امشير	سادس طوبه	خامس كيهك	خامس هتور	رابع بابه	رابع توت
اول آذار اول نيسان	اول شباط		اول كانون الثاني	اول كانون اول	تشرين ثاني	اول تشرين اول	اول ايلول

واما معرفة اول سنة القبط فانه	حسنا	زهوه	زها	ورد
	ثامن مسرى	سابع ابيب	سابع بؤنه	سادس بشنس
	اول آب	اول تموز	اول حزيران	اول ايار

يعرف من شهور السريان لان اول سنة القبط توت رابعه اول ايلول فكما يعرف اول ايلول من رابع توت فكذلك يعرف اول توت من اواخر آب فانه ياخذ من آخر آب ثلاثة ايام فيكون اول توت تاسع عشرين آب واما معرفة اول سنة القبط بالحساب فطريقه ان تاخذ ما زاد على سبعماية ثلاثة وسبعين من سني الهجرة بالسنة التي فيها ايلول وتزيد عليه ربعه بعد اسقاط الكسر ان كان في الربع كسر ثم اسقط مجموع الزايد وربعه سبعة بعد سبعة فاذا بقى سبعة او ما دونها فابدا به من يوم الاحد فحيث انتهيت اليه من الايام فهو اول توت مثاله اخذنا ما زاد عما ذكرنا الى سنة خمسين وتسعماية فكان الزايد ماية وسبعة وسبعين زدنا عليه ربعه وقدره بعد اسقاط الكسر اربعة واربعون صار المجموع مايتين واحد وعشرين اسقطنا ذلك سبعات فضل منه اربعة قلنا اول توت الواقع في سنة خمسين وتسعماية يوم الاربعا ورابعه يوم السبت اول ايلول الواقع في السنة المذكورة وهو كذلك واذا اردت معرفة اول كل شهر من الشهور القبطية فخذ حرف الشهر

المطلوب وانظر ما له من العدد فابدا به من دخل به توت فاين انتهى فهو اول ذلك الشهر وهذه حروف الشهور اجه زبد واج هزب
مثاله اردنا معرفة اول الشهر التاسع وهو بشنس وكان اول توت الاحد فاخذنا حرف بشنس وهو الجيم وعدده ثلاثة فبدانا به من الاحد فقلنا اول بشنس الثلثا ولو قلنا مثلا اول توت الخميس فنقول اول بشنس السبت وهو كذلك وهذه صورة الجدول الموعود به المشتمل على اسماء شهور العرب والسريانيين والقبط والفرس ومقدار كل شهر منها وكان في اصله شهور اليهود والهند والسعد فاسقطت ذلك منه لعدم الاحتياج اليه غالبا

عدد الشهور	شهور العرب [illegible]	عدد ايامها	شهور العرب [illegible]	عدد ايامها	شهور السريانيين [illegible]	عدد ايامها	شهور القبط [illegible]	عدد ايامها	شهور الفرس [illegible]
ا	المحرم	ل	موتمر	ل	تشرين اول	لا	توت	ل	فروردين
ب	صفر	كط	ناجر	كط	تشرين الآخر	ل	بابه	ل	ارد بهشت ماه
ج	ربيع الاول	ل	خوان	ل	كانون الاول	لا	هتور	ل	خرداذ ماه
د	ربيع الآخر	كط	وبصان	كط	كانون الآخر	لا	كيهك	ل	تير ماه
ه	جماد الاول	ل	حنين	ل	شباط	كح	طوبه	ل	مرداذ ماه
و	جماد الآخر	كط	زبى	كط	آذار	لا	امشير	ل	شهريور ماه
ز	رجب	ل	اصم	ل	نيسان	ل	برمهات	ل	مهر ماه
ح	شعبان	كط	عاذل	كط	ايار	لا	برموده	ل	ابان ماه
ط	رمضان	كط	ناتق	ل	حزيران	ل	بشنس	ل	آذر ماه
ي	شوال		وعل	كط	تموز	لا	بؤونه	ل	دى ماه
يا	ذو القعدة	ل	ورنه	ل	آب	لا	ابيب	ل	بهمن ماه
يب	ذو الحجة	كط	برك	كط	ايلول	ل	مسرى	ل	اسفندارمذ ماه

[illegible]

الخمسة اللواحق في اخر السنة وتسمى النسئ وايا غامين ونعد شهر ثالث عشر وكل ثلاث سنين يكون ستة ايام ويكون اول ايلول حينئذ ثالث توت كما تقدم انفا اي قريبا مما تقدم وتتنا هذا وهو بين الهزو بغر وكراتود وتنوين اخره في الدرج وتسكينه في الوقف

[illegible]

واذ قد ذكرنا الشهور الاسكندرية وتاريخ الاسكندر فلنذكر ما يتعلق بذلك من معرفة زمان انتقالها من برج الى برج وكذلك معرفة درجة القمر وحلوله بمنازله الثمانية والعشرين ومتى يكون طلوع الشعرى وما يتعلق بذلك كله واما معرفة درجة الشمس فطريقها ان تنظر الى ما مضى معك فى الشهر الرومى وزد عليه الاس والحرف اعنى حرف ذلك الشهر فما اجتمع فهو الماضى من برج الشمس وهو الدرجة فان زاد عن الثلاثين فهى فى البرج الآتى بقدر ما زاد عن الثلاثين درجا وان كان اقل من الثلاثين فهى فى البرج الموافق تحت الشهر الرومى قطعت بقدر ما دون الثلاثين درجا والاس عشرة دائما ويقال احد عشر عند المتاخرين وحروف الاشهر فى اول كل كلمة من البيت الآتى واول كلمة منها اولها لتشرين الاول والبيت هذا

ه (تشرين الاول / ميزان) زينوا (تشرين الثانى / عقرب) زهرا (كانون الاول / قوس)
طريا (كانون الثانى / جدى) يرى (شباط / دلو) حياء (آذار / حوت) حلالى (نيسان / حمل) زمانى (آيار / ثور) والندا (جوزا)
هو (سرطان) ها (اسد) هنا (سنبلة) ومساله

هذه زينب زارت طالبت يوسف حتما حملت زهراء وهنا هلكت هبغاء فمثاله ما زاد عن الثلاثين قلنا مضى من شهر تشرين الاول تسعة وعشرين يوما وزدنا عليه الاس عشرة وحرف الشهر المذكور خمسة صار المجموع اربعة واربعين فقد زاد عن الثلاثين فعلنا الشمس فى البرج التالى لبرج تشرين الاول وهو العقرب قطعت منه اربع عشر درجة وهى يومئذ بالخامسة عشر منه ومثال ما لم يبلغ ثلاثين ان نقول مضى من تشرين الاول عشرة ايام وحرفه خمسة والاس عشرة فتكون جملة ذلك خمسة وعشرين فنقول ان الشمس يومئذ فى الميزان برج شهر تشرين الاول المكتب تحته قطعت منه خمسة وعشرين درجة وهى يومئذ فى سادس عشرين درجة منه وكذلك الحكم فى بقية الاشهر ومعرفة انتقال الشمس فى كل شهر من برجه الى برج الشهر الذى يليه ان تاخذ حرف ذلك الشهر وتسقطه من عشرين فما فضل من العشرين عد اول ذلك الشهر بعدد الباقى فاين انتهى العدد ففى ذلك اليوم تنتقل مثاله اسقطنا عدد حرف تشرين الاول وقدره خمسة من عشرين فيفضل معنا خمسة عشر عددنا ذلك من اول تشرين الاول فنفذ فى الخامس عشر منه فقلنا انتقلت الشمس من برج تشرين الاول وهو الميزان الى البرج الذى يليه وهو العقرب فى خامس عشر تشرين المذكور وهو كذلك ومعرفة

القاعدة تخطى فى بعض الشهور ويستغنى عنها بالارجوزة التى تقدمت فى الباب الاول التى اولها اعلم بان الشمس لما خلقت واما معرفة درجة القمر فى اى برج هو وكم قطع فى ذلك البرج من الدرج فهو ان تنظر الى ما مضى معك من الشهر العربى واضربه فى ثلثة عشر دايما فما حصل معك من العدد اعط لبرج الشمس ما بقى الى الثلاثين وما بقى معك من العدد اعط لكل برج بعد برج الشمس ثلاثين فما بقى معك دون الثلاثين فالقمر فى ذلك البرج الذى نفذ العدد عنده قطع منه درجا بقدر الباقى دون الثلاثين مثاله مضى معنا من الشهر العربى تسعة ايام ضربناها فى ثلاثة عشر فبلغ العدد مايه وسبعة عشر وكانت الشمس قد قطعت فى برج الجدى عشرين يوما فكملناها ثلاثين بعشرة من الحاصل من الضرب فبقى من الحاصل مائة وسبعة اعطنا للبرج الذى بعد الجدى وهو الدلو ثلاثين وللحوت ثلاثين وللحمل ثلاثين فبقى معنا من العدد الحاصل من الضرب بعد ذلك سبعة عشر فعلنا القمر فى الثور قطع منه سبعة عشر درجة بعدد ما بقى دون الثلاثين صفة اخرى مخالفة لما قبلها فلتجرد وهى خذ ما مضى من الهلال وزده اثنين واضرب المجموع فى اثنى عشر ايام زدنا اثنين فبلغ اثنى عشر ضربناها فى اثنى عشر تحصل من الضرب مائة واربعة واربعون اعطينا كل برج بالبرج الذى فيه الشمس ثلاثين فنفد العدد فى رابع عشر العقرب فيكون القمر فى العقرب قطع منه اربعة وعشرين درجة وان اردت ان تعرف القمر فى اى برج هو من غير ان تعلم كم قطع فيه درجة فانظر الى الشمس فى اى برج تكون واحسب الشهر العربى كم مضى منه وزد عليه بقدره ثم زد عليه خمسة اسا ثم اعط البرج الشمس ولكل بعده خمس حتى ينفد العدد فاين ما نفد يكون القمر فى ذلك البرج مثال فى الشهر العربى تسعة ايام زدنا عليه بقدرها وخمسة اسا بلغ المجموع ثلاثة وعشرين وكانت الشمس فى الجدى فاعطيناه خمسة وللدلو خمسة وللحوت خمسة وللحمل خمسة بقى معنا ثلاثة لبرج الثور فيكون القمر فى الثور اقول ويمكن ان يعلم كم قطع القمر فى البروج بهذا الطريق بان تعطى لكل واحد من الباقى ستة فمجموع ذلك ثمانية عشر فبقدره قطع القمر فى ذلك البرج تقريبا بزيادة درجة عن الطريقة الاولى لعل هذا اصح كان الثلاثين اذا قسمت على خمسة يكون لكل واحد ستة بالاشك والله اعلم واما غروب الهلال على كم ساعة يكون فى النصف الاول من الشهر وعلى كم ساعة يطلع فى النصف الاخير منه فياتى بالملحق بهذا الباب واذ قد فرغنا من معرفة الشهور الاسكندرية السريانية والشهور الرومية والشهور القبطية والفارسية وبعض ما يتعلق بذلك من احوال الشمس والقمر ولنذكر ما قيل

فلنذكر ما قيل في تقسيم السنة الشريانية على الفصول والبروج والمنازل
فاقول تنقسم السنة الشمسية عند العرب على ستة ازمنة متساوية
قال الجوهري الربيع عند العرب ربيعان ربيع الشهور وربيع الازمنة
فربيع الشهور شهران متواليان بعد صفر لا يقال فيهما الا شهر ربيع الاول
وشهر ربيع الآخر واما ربيع الازمنة فربيعان الاول وهو الفصل الذي
تاتي فيه الكماة والنور وهو ربيع الكلاء وهو واحد الاكلاء وهو كل ما رعته
الدواب من الرطب واليابس كذا في المغرب والربيع الثاني وهو الفصل
الذي تدرك فيه الثمار ومن الناس من يسمية الربيع الاول قال وسمعت ابا
الغوث يقول العرب تجعل السنة ستة ازمنة شهران منها الربيع الاول
وشهران صيف وشهران قيظ وشهران الربيع الثاني وشهران خريف
وشهران شتاء وانشد

ان بني صبية صيفيون   افلح من كان له ربعيون   انتهى

والقيظ بالظاء القائمة شدة الحر وتنقسم السنة عند اهل الحساب
على اربعة ازمنة معتدلة الحدود مستوية الاقسام وهي اصح التقسيمات
فاولها الربيع له من السنة ربعها وذلك ثلاثة اشهر وله من الايام
احد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم ومن الساعات
الفا ساعة ومائة واحد وتسعون ساعة ونصف ساعة شطرها
النهار وشطرها الليل ومن البروج ثلاثة بروج وذلك من حلول الشمس
باول الحمل في ثاني عشر آذار بحكم القاعدة المتقدمة آنفا في معرفة انتقال
الشمس من برج الى برج والى آخر الجوزا واايامها اطول ايام السنة ولياليها
اقصر الليالي خصوصا اخرها اقصر ليلة في السنة وله اعني للربيع من منازل
القمر سبع منازل وذلك من اول النطح ويسمى الشرطين بفتح الشين المعجمة
الى آخر الذراع ومطره يسمى صيفا ويسمى آخره الربعي والدفائي المولي ثم
القيظ وهو الصيف وله من السنة ربعها ومن الايام والساعات
مثل ذلك ومن البروج ثلاثة بروج وذلك من حلول الشمس باول السرطان
وهو رابع عشر حزيران بحكم القاعدة المذكورة الى آخر السنبله ومن منازل
القمر سبعة وذلك من اول النثرة الى آخر السماك ومطره يسمى الحميم ويسمى
الرمضا ولهذا الفصل خمس وعدات بالعين المهملة وفي الصحاح يوم وعد
اذا وعد اوله بحر او برد انتهى وهي اعني الوعدات حر وربما يشتد في اوقات
منه وذلك عند طلوع الثريا وطلوع الدبران وطلوع الشعري وهي اشدها
ويقال ان الرجل فيها يعطش بين الحوض والبير ووعدة الجوزا ووعدة
سهيل فاذا طلع سهيل ذهبت الوعدات فاما طلوع الثريا والدبران
والجوزا المقارنة للهنعة فياتي معرفة ذلك واما طلوع الشعرى وسهيل

فاقول الشعري اثنتان شامية وتسمى الغميص بالغين المعجمة المضمومة وميم
مفتوحة والصاد المهملة ويمانية وتسمى العبور وهما متقابلتان وبينهما
المجرة فالاولى تطلع في رابع تموز والثانية تطلع في تاسع عشرة وعليها
العمل في الدلايل لان في ليلة التاسع عشر من تموز يعلم مولد السنة العربية
وعلى ذلك تترتب الدلايل وطريق معرفة ذلك انه اذا مضى من هذه الليلة
تسع ساعات فحيث كان القمر في ذلك الوقت فهو رب تلك السنة بقدرة
الله تعالى وهذه اليمانية هي التي ذكرها الله تعالى في سورة النجم بقوله
تعالى وانه هو رب الشعرى قال القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى
رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصا عبدها ابو كبشة
احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا في عبادة الاصنام
ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة ولعل
تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق ابا كبشة
في مخالفتهم اي في عبادة الاصنام ايضا في عبادتها انتهى واليوم التاسع
عشر من تموز وستة ايام بعده تسمى ايام الباحور قال البيروني هي
سبعة ايام اولها التاسع عشر من تموز ذكر اليونانيون انهم رسموه
بطلوع كلب الجبار وهي الشعرى اليمانية وذلك وقت صميم الحر لان اصحاب
التجارب يستنبطون منها احوال الهوا في شهور الشتا واليوم الاول
منها دليل تشرين الاول والثاني دليل تشرين الثاني وكذلك الى آخرها
فما يرى في كل يوم من غيم او تلون من مطر او ريح يكون حال الشهر كهو
وسيجي الاحكام على طلوع الشعرى على قول دانيال بالملحق بهذا الباب
وتقول العرب ان سهيلا والشعرا كانوا اخوة مجتمعين فانحدر
سهيل فصار يمانيا وتبعته العبور فعبرت المجرة واقامت الغميصا
فبكت لفقد سهيل حتى عميت عينها فهي اقل من العبور نورا والغمص
بالغين المعجمة مفتوحة وميم مفتوحة وصاد مهملة هو في العين ما سال
من الرمص بالراء المفتوحة على وزن الغمص وهو ما اجتمع في الموق
من الوسخ والعبور نجم كبير ازهر وهما وهو في اول الليل احمر وان فاذا
انتصف الليل ابيضا ويقال ان الذياب والكلاب تكلب عند طلوع
الشعرى والعرب تقول اذا طلعت الشعرى نشف الثرى والعيمانية
من كواكب الجوزا وهي يد بيها وهما كوكبان ازهران في احدهما حمرة
وهو الشعرى والاخر يقال له مرزم الجوزا وفي الصحاح الشعرى الكوكب
الذي يطلع بعد الجوزا وهما الشعريان الشعرى العبور التي في الجوزا
والشعرى الغميصا باعجام الغين واهمال الصاد ويقال لها الغموص بينا
وهي التي في الذراع والغمص في العين ما سال من الرمص وهو ما اجتمع في

الموق من الوسخ وغمصت عينه بالكسر وتزعم العرب ان الشعرين اختا
سهيل فالعبور تراه اذا طلع كانها تستعبر والغميصا لا تراه فقد بكت
حتى عميت عينها وعذرة الجوزا خمسة كواكب بعض اسفل منهن سهيل
اليمن والعرب تقول اذا طلعت العذرة لم يبق بعمان بسرة الا رطبة او
تمرة وربما هبت عند طلوعها الغيصا ريح تسمى الرقطا يشتد معها وهج
العين ويقال فيه نقل البراغيث وتسمى الرياح التي تهب في هذه الوعدا
البوارح لانها تبرح من يسار الكعبة كما يبرح الصيد اذا اتاك من يسارك
ويسنح اذا اتاك من يمينك وقال في الصحاح والبارح الريح الحارة قال
ابو زيد البوارح الشمال الحارة في الصيف انتهى واول هبوب البوارح من
طلوع الثريا ثم تصحب الوعدات الى طلوع السماك وربما نسبت العرب هذه
البوارح الى طلوع هذه الكواكب بالعذرة وما كان من ريح او نوء او قر
نسبت الى طلوعها وربما نسبوا هذا النوء الى الغرب بها عدوة الا سهيل
فان له بارحا اذا طلع وليس له نوء اذا سقط ولنرجع الى الفصول فنقول
ثم الخريف وله من السنة ربعها وذلك ثلاثة شهور ومن الايام والساعات
مثل الربيع ومن البروج ثلاثة وذلك من حلول الشمس باول الميزان وهو خامس
عشر ايلول بحكم القاعدة المذكورة الى خروجها من القوس وايام القوس
اقصر ايام السنة خصوصا آخر يوم منه كما ان لياليه اطول ليالي السنة خصوصا
اخر ليلة منه وايام الجوزاء اطول ايام السنة خصوصا آخر يوم منه كما ان
لياليه اقصر ليالي السنة خصوصا آخر ليلة منه وفي ذلك يقول الشاعر

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها ... وهجره النار يصليني به النارا
الشمس بالقوس امست وهي نازلة ... ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

وقد اوضح ذلك ابو فراس حيث قال

وشادن من بني كسرى شغفت به ... اذ ليه نصفني في الحب او جارا
ان زار قصر ليلي في زيارته ... وان جفاني صار الليل اعمارا
كانما الشمس لي في القوس نازلة ... ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

والمعنى اذا لم يزرني فليلي طويل كليالي القوس طويله وان زارني فليلي قصير
كليالي الجوزاء قصيرة يعني ان ليالي الهجر والشدايد طويلة وليالي الوصل
والافراح قصيرة وفي المعنى في كتاب نسيم الصبا

ليلي كما شاءت فان لم تزر ... طال وان زارت فليلي طويل

والخريف من منازل سبع منازل وذلك من اول الغفر الى آخر البلدة ويسمى
مطره وسميا لانه يسم الارض بالنبات ويسمى آخره الولي قال بعضهم
الخريف اصح فصول السنة زمانا واسهلها اوقاتا واوله احد الاعتدالين
وكلما ظهر في الربيع نواره ففي الخريف تجنى ثماره قال الجوهري نور الشجر ازهاره

يقال نورت الشجرة وانارت ايضا اي اخرجت نورها انتهى فالنور الزهر فهو
ميقات الاوقات وموسم الثمار والاقوات ثم الشتاء وله من السنة
ربعها وذلك ثلاثة اشهر ومن الايام والساعات مثل الربيع ومن
البروج ثلاثة وذلك من حلول الشمس باول الجدي وهو ثالث عشر كانون
الاول الى خروجها من الحوت فيكون من الاربعينية تسعة عشر يوما
من آخر كانون الاول واحد وعشرون يوما من اول كانون الثاني على
الصحيح من الاقوال ومن منازل القمر سبع منازل وذلك من اول سعد
الذابح الى آخر الرشا ويقال له بطن الحوت ومطره يسمى ربعيا وفيه ثلاثة
عقارب يشتد فيها البرد فالعقرب الاول في استهلال الهلال الذي
يهل في كانون الاول والثالث في استهلال الهلال الذي يهل في كانون
الثاني والاوائل من الاطباء والفلاسفة يقسمون السنة على اربعة
ازمنة غير معتدلة ويقضون بان الشتاء والصيف اطول زمانا وازيد
مدة من الربيع والخريف يحدون للصيف اربعة اشهر وللشتاء اربعة
اشهر وللربيع شهرين وللخريف شهرين اذا كانا واسطتين بين الحر
والبرد وليس في مدتهما طول ولا في زمانهما اتساع وهما واصلات
الى القيظ والشتاء وسبب لهما وقال صاحب الارشاد من متاخري الاطباء
ما ملخصه الازمنة هي الفصول الاربعة فالربيع اوله نزول الشمس الحمل
في خامس عشر آذار وطبعه معتدل وآخره نزولها آخر جزء من الجوزاء وهو
فضل الفصول لمناسبته لمزاج الروح والدم فلذلك تحمر فيه الالوان بما
يجذبه من الدم المعتدل وعجزه عن تحليله وبهذا السبب تهيج فيه
الامراض المزمنة لتحريكه لموادها ويكثر فيه الرعاف والخوانيق والدماميل
وانصداع العروق وما شابهها ولذلك يجب ان يستعمل في ابتدائه الفصد
والاسهال والقي بحسب الواجب وكذلك الرياضة المعتدلة ويجتنب
الامتلاء من الاطعمة والاشربة والاشياء الحارة الحريفة ويمال الى المبردة
الملطفة والصيف اوله نزول الشمس الى السرطان في خامس عشر حزيران
وآخره نزول الشمس آخر جزء من السنبلة وطبعه حار يابس لان الشمس تكون
في غاية ارتفاعها في الشمال وتسامت الرؤوس فتسخن ولذلك تكثر فيه
المرة الصفراء والمرة السوداء ويقل فيه البلغم والدم وتضعف القوى
والافعال التحليلية وتصفر فيه الالوان ويضعف الهضم وتعرض فيه
الحميات المحرقة والغب والرمد وما اشبه ذلك فلذلك يستعمل فيه
القي لمن يسهل عليه وتقلل فيه الرياضة ويمال الى الراحة والسكون وتستعمل
الاشياء التي فيها تطفية وتبريد اكثر مما يستعمل منها في الربيع والخريف
واوله نزول الشمس اول الميزان وذلك في سبعة عشر يوما من ايلول وآخره

نزولها اخر القوس وفيه تعود الشمس الى الاعتدال وتنحط الى الجنوب وطبعه
بارد يابس باعتبار تقدم فصل الصيف فيه وقربه من الشتاء وهو مضاد
لمزاج الدم والامراض تكثر فيه الاختلاف احواله وتكثر فيه حميات الربع
والسرطانات والقوابى ويعظم فيه الطحال لكثرة توليد المرة السوداء
ولذلك يجب ان لا يستعمل فيه الاسهال ولا القئ بل تسكين الاخلاط
وتعليل الغذاء ويلزم التدبير الجيد وتحذر الفواكه وتجنب الجماع والاستحمام
بالماء البارد والنوم على الامتلاء والشتاء اوله نزول الشمس اول الجدى
وهو نهاية انحطاطها فى الجنوب وهو فى الخامس عشر من كانون الاول
وآخرها نزولها آخر جزء من الحوت وطبعه بارد رطب لبعد الشمس عن
سمت الرؤس وهو ابرد الفصول واعونها على الهضم لتقوية الحار الغريزى
واكثر الامراض الحادثة فيه البلغمية وتكثر فيه امراض العصب والبحوح
واوجاع الحلق والزكام وذات الجنب ولذلك يزاد فى الرياضات
والغذاء وتكون اغذيته اميل الى الغلظة والقوة كالمجاب وغيرها
واذا دعت الضرورة الى استفراغ فالاسهال فيه خير من الفصد
الحمام جمع لم على الحام واما الذين يقسمونها على اربعة ازمنة متساوية
فهم مختلفون فى اول الربيع فمنهم اهل الحساب وقسمتهم تقدمت
وهى الصحيحة والاضبط وذهب يحيى بن آدم ان اول الربيع تاسع عشر
آذار واول الصيف تاسع عشر حزيران واول الخريف تاسع عشر ايلول
واول الشتاء تاسع عشر كانون الاول على التقريب وسياق كلام مفصلا
بالملحق بهذا الباب وفى كتاب الانوار ان اول الربيع وتساوى الليل والنهار
سادس عشر آذار وهو مذهب اهل الطب ثم قال وقيل انه فى سابع عشرة
وقيل فى ثامن عشره ثم قال ومذهب الهند ان الشمس تنتقل الى الحمل فى
عشرين آيار وهو اول الاعتدال عندهم والكل متفقون على ان الشرطين
هو اول الحمل واول فصل الربيع وسياتى الكلام على بعض ذلك بالملحق
بهذا الباب واما المغاربة فيجعلون اول النصف الاخير من فورار
الرومى واول الربيع وهو بالثريا فى شباط ولهم فى ذلك ضابط وهو كلمة
واحده هى مَأْغَنَفْ بفتح الميم والهمزة وسكون المعجمة وفتح النون وكسر
الفاء منونه كذا املا نيه مولاى الرشيد بن سلطان تونس لما قدم الى
حلب فى سنة ثمان واربعين وتسعماية فالميم مع الالف اشارة الى شهر
مايو وهو آيار آخر نصفه الاول آخر الربيع واول نصفه الثانى اول
الصيف والغين المعجمة اشارة اغشت وهو آب آخر نصفه الاول آخر
الصيف واول نصفه الثانى اول الخريف والنون اشارة الى نونبر وهو
تشرين الثانى آخر نصفه الاول آخر الخريف واول نصفه الثانى اول الشتاء

والفآ

والفآء اشارة الى فوران ويقال له ايضا فبرير وهو شباط آخر نصفه
الاول اخر الشتاء واول نصفه الثانى اول الربيع انتهى واما المنازل
الثمانية والعشرون المنسوبة الى القمر فقد تقدم مقدار حلول الشمس
بها وقسمتها على البروج والفصول وغير ذلك فى الباب الاول فليراجع
ذلك والآن اذكر لك شيئا هنا مما ذكر فى الباب الاول من ذلك ليكون
تذكرة وتنبيها على ما تقدم وازيد على ذلك قصيدة السخاوى التى
وعدت بذكرها فى الباب الاول فاقول قال الله تعالى فى سورة
يس والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ذكر فيها ثلاثة
اقوال الثالث منها قدرناله منازل نحذف الجار والمنازل المذكورة منها
اربعة عشر شمالية اولها الشرطين ثم البطين ثم الثريا ثم الدبران
الهقعه ثم الهنعه ثم الذراع ثم النثره ثم الطرف ثم الجبهة ثم
الزبره ثم الصرفه ثم العوآء ثم السماك ومنها اربعة عشر جنوبية
اولها الغفر ثم الزبانا ثم الاكليل ثم القلب ثم الشوله ثم النعايم
البلده ثم سعد الذابح ثم سعد بلع ثم سعد السعود ثم سعد الاخبية
الفرغ المقدم ثم الفرغ المؤخر ثم الرشا وقد يسمى بعضها باسم آخر
كالشرطين فانه يقال له النطح وكالثريا فانه يقال لها النجم وكالرشا
فانه يقال له بطن الحوت

الباب السادس في ذكر الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وفيه
فصول قال الفقيه رحمه الله تعالى كانت الانبياء صلوات الله عليهم
مائة الف واربعة وعشرين الفاً منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسل وغيرهم
لم يكونوا مرسلين وكذا روى ابو ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لاصحابه يوم بدر انتم على عدد المرسلين وعلى عدد اصحاب طالوت
حين جاوزوا النهر ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا اربعة منهم كانوا سريانيين
آدم وشيث واخنوخ وهو ادريس ونوح واربعة منهم كانوا من العرب
هود وشعيب وصالح ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين ومن لم يكن من
الانبياء مرسلا كان بعضهم يوحى اليه في المنام وبعضهم كان يسمع الصوت
من غير ان يرى شخصاً فاول المرسلين آدم عليه السلام كان رسولاً
الى اولاده خلقه الله تعالى من تراب وخلق زوجته حواء من ضلعه
اليسرى وقد ولد من حواء اربعين ولدا في عشرين بطنا من ذكر وانثى
وتوالدوا حتى كثروا كما قال الله تعالى في سورة هو الذي خلقكم من
نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقال تعالى في سورة
النساء وبث منهما رجالا ونساء وكانت كنية آدم في الجنة ابو محمد عليهما
الصلاة والسلام وكنيته في الارض ابو البشر وانزل عليه تحريم الميتة
ولحم الخنزير والدم وعاش تسعمائة وثلثين سنة هكذا ذكر في التوراة
وروى عن وهب بن منبه رضي الله عنه انه قال عاش آدم الف سنة
ثم بعده شيث بن آدم كان نبياً وكان وصي آدم وولي عهده وقال
وهب بن منبه انزل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة وعاش تسعمائة
سنه وكان شيث ابا البشر كلهم واليه انتهت انساب الناس كلهم
ثم ادريس عليه السلام وكان نبياً مرسلاً واسمه اخنوخ وانما سمي
ادريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله تعالى وسنن الاسلام وهو اول
من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبسها يعني ثيابا من ثياب
القطن وكان من قبله يلبسون الصوف والجلود فاجاب له الف انسان
ممن يدعوهم وهو جد ابي نوح ورفعه الله الى السماء وهو ابن ثلاثمائة
وخمسة وستين سنه كما قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم نوح عليه
السلام واسمه شاكر وانما سمي نوحا لكثرة نوحه وبكائه على نفسه من خوف
الله تعالى وكان اول من امر بنسخ الاحكام وكان قبله نكاح الاخت مباحا
فحرم ذلك على عهده فكذبه قومه فارسل الله تعالى عليهم الطوفان فغرق
الدنيا كلها الا من كان في السفينة وكان معه في السفينة اربعون رجلا
واربعون امراة فلما خرجوا من السفينة ماتوا كلهم الا اولاد نوح سام
وحام ويافث ونساؤهم كما قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين

فتوالدوا

فتوالدوا حتى كثروا فالعرب وفارس والروم ولد سام بن نوح والحبش
والسند والهند كلهم من ولد حام وياجوج وماجوج والصقالبة والترك
كلهم من ولد يافث اقول ذكر ابن كثير في التاريخ الكبير ان نوحا عليه السلام
لما هبط الى اسفل الجودي ابتنى قرية وسماها ثمانين فاصبحوا ذات يوم
وقد تبلبلت السنتهم على ثمانين لغة احدها لغة العرب العربا فكان
بعضهم لا يفقه كلام بعضهم فكان نوح عليه السلام يعبر لهم عن
كل لغة انتهى وقال ان اللغات اثنان وسبعون لغة ثم قال الفقيه
ثم بعده هود بن عوص عليه السلام بعثه الله تعالى الى عاد قال
بعضهم عاد قبيلة وقال بعضهم هو اسم ملكهم وكانوا يسمون باسم
ملكهم فكذبوه فارسل الله تعالى عليهم الريح العقيم فاهلكهم ثم
من بعده صالح عليه السلام وهو صالح بن عبيد ويقال لصالح بن كانوا
بعثه الله تعالى الى ثمود وهو اسم بئر بارض الحجر وسميت تلك القبيلة
باسم تلك البئر فكذبوه وسالوه بان يخرج لهم ناقة من صخرة جبل ففعل
فكذبوه وعقروا الناقة وكان قاتل الناقة رجلا احمر ازرق يقال له قدار
ابن سالف وهو اشقى القوم كما قال الله تعالى اذ انبعث اشقاها فاهلكهم
الله بالصاعقة والزلزلة ثم ابرهيم صلوات الله عليه وهو ابن آزر
ابن ناحور بن ناحور وكان ابرهيم اول من استاك واول من استنجى من الماء
واول من حد شاربه اقول هو في نسخة بالحاء والدال المهملتين ومعناه
الحلق بالحديدة كما في المغرب واما الاستحداد لحلق العانة فمشتق من
الحديد لانه يستعمل في ذلك وفي نسخة بالجيم والزاي المشددة وهو القطع
وهو يستعمل في الشعر وغيره والمراد منه القص بالمقص وهو المقراض
قال في الصحاح قصصت الشعر قطعته والمقص المقراض انتهى وسياتي
الكلام على قص الشارب وحلقه في هذا الباب عند اسم ابرهيم عليه السلام
فيما ياتي واول من راى الشيب واول من اختتن واول من اتخذ السراويل
واول من اثرد الثريد واول من اتخذ الضيافة اقول وذكر الحافظ اسمعيل
ابن كثير في تاريخه ان اول من اختتن من النساء هاجر ام اسمعيل قال وقد ذكر
الشيخ محمد بن ابي زيد في كتاب النوادر ان سارة زوجة ابرهيم عليه السلام
لما تغيظت على هاجر حلفت ان تقطع ثلاثة اعضاء منها فامرها الخليل ان
تثقب اذنيها وان تختنها فتبر قسمها فكانت اول من اختتن من النساء
واول من ثقبت اذناها منهن وهي اول من طولت ذيلها منهن والله اعلم
انتهى ثم قال الفقيه وكان لابرهيم اربعة بنين اسمعيل واسحق ومدين وقال
ستة بنين ويقال اثنا عشر ابنا وكان اسمعيل نبيا مرسلا وكان ابو العرب
كلهم وكان اسحق نبيا مرسلاً وكان له ابنان يعقوب وعيصو وولدا في

ابن تارخ بن ناحور

بطن واحد فخرج يعقوب من بطن الام على اثر عيصو فسمي يعقوب لخروجه
على عقبه فاما يعقوب فهو ابو بني اسرائيل وكان يقال ليعقوب اسرائيل
الله وهو في لغتهم عبد الله واما عيصو فهو ابو الروم وكان لوط النبي
عليه السلام في زمن ابرهيم عليه السلام وكان ابن عمه وكانت ساره
اخت لوط وهي ام اسحق يقال كان لوط ابن اخي ابرهيم وهو لوط بن هاران
ابن آزر بن تارخ بن ناحور ثم ايوب النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن
بنت لوط وهو ايوب بن موص وكان تحته بنت يعقوب يقال لها ليّا
بنت يعقوب ويقال رحمه بنت يوسف ثم شعيب النبي عليه السلام
وهو شعيب بن نويب بعثه الله تعالى الى اهل مدين فكذبوه فاهلكهم الله
بالصاعقة والزلزلة ثم موسى واخوه هارون ابنا عمران عليهما السلام
بعثهما الله الى فرعون بمصر واسم فرعون وليد بن مصعب ثم يوشع بن
نون وكان خليفة موسى من بعده ثم يونس بن متى عليه السلام الذي
ابتلاه الله بالحوت قال الله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم وكان في بطنه
ثلاثة ايام ويقال سبعة ايام ويقال اربعين يوما وقد بعثه الله تعالى
الى اهل نينوى قرية من قرى الموصل فكذبوه فارسل الله عليهم العذاب
فآمنوا فصرف الله تعالى عنهم العذاب بعدما غشيهم اقول قال ابو الريحان
ان اسم قرية يونس نينوى بكسر النون الاولى ثم يا آخر الحروف ساكنه ثم نون
مضمومة ثم واو ساكنه ثم يا آخر الحروف وانها بالشام فعلى هذا تكون
الموصل من الشام ويحتمل ان هذه القرية قرية يونس التي خرج منها وان
القرية الاولى التي تقدم انها من الموصل قرية من ارسل يونس اليهم فلا
تنا قض والله اعلم ثم قال الغنيمه ثم داود النبي عليه السلام وهو داود
ابن ايشى كان نبيا مرسلا وهو ملك بني اسرائيل ثم ابنه سليمان عليه
السلام وكان الياس نبيا مرسلا وكان من سبط يوشع بن نون بعثه الله
تعالى الى اهل بعلبك وكان اليسع تلميذ الياس وخليفته من بعده وكان
الاسباط من اولاد يعقوب وكان له اثنا عشر ابنا فتوالدوا حتى كثروا
فصار اولاد كل سبطا والسبط في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب
وعاش يعقوب في ارض مصر تسع عشرة سنة وكان عمره مائة وتسعا واربعين
سنة وعاش بعده يوسف ثلاثا وعشرين سنة ومات يوسف وهو
ابن مائة وعشرين سنة ويقال مائة وعشر سنين وروي عن كعب الاحبار
رضي الله عنه انه قال انا نجد في بعض الكتب ان عشرة من الانبياء ولدوا
مختونين خلق آدم مختونا وشيث بالمثلثة ولد مختونا وادريس ونوح
ولوط واسمعيل ويوسف وزكريا وعيسى ومحمد ولدوا مختونين صلوات
الله عليهم اجمعين وذكر وذكر عن وهب بن منبه انه قال كان بين آدم

وبين طوفان نوح الفان ومأتان واثنان واربعون سنة وبين طوفان
نوح وموته ثلثمائة وخمسون سنة وبين نوح وابرهيم الفان ومائتان وار[بعون]
سنة وبين ابرهيم وموسى تسعمائة سنة وبين موسى وداود خمسمائة
سنة وبين داود وعيسى الف ومائتا سنه وقال بعضهم هذا
لا يصح يعني ما ذكر من مقدار السنين لان الله تعالى قال وقرونا
بين ذلك كثيرا فلا يعرف مقدار ذلك الا الله تعالى ثم انقطعت الرسل
بعد عيسى الى وقت ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وكانت بينهما فترة ذلك
قوله تعالى على فترة من الرسل وانما سميت الفترة فترة لان الدين كان
قد فتر ودرس وقال المنجمون في حسابا تهم ثم قال الغنيمه قال قتادة
كان بينهما خمسمائة وستون سنة وقال الكلبي خمسمائة واربعون
سنة وقال مقاتل ستمائة سنة وهكذا قاله الضحاك وقال وهب
ابن منبه كان بينهما ستمائة وعشرون سنة اقول وفي الصحاح الفترة
الانكسار والضعف فكانه لما انقطعت الرسل بعد عيسى الى ظهور محمد
عليهما الصلاة والسلام ضيعوا الدين بسبب انقطاعهم وقد ذكرت
مدة الفترة في التاريخ عند معرفة تاريخ الاسكندر انها
اما الكتب التي انزل الله تعالى على انبيائه عليهم الصلاة والسلام هي
معروفة عند الناس التوراة على موسى والزبور على داود والانجيل على
عيسى والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم وروي عن وهب بن منبه
انه قال انزل الله تعالى مائة واربعة كتب خمسين صحيفة نزلت على شيث
ابن آدم وثلثين صحيفة على ادريس وعشرين صحيفة على ابرهيم والتوراة
على موسى والزبور على داود والانجيل على عيسى والفرقان على محمد صلوات
الله عليهم اجمعين واختلفوا في ذي القرنين ولقمان الحكيم قال
بعضهم كانا نبيين وذكر اكثر اهل العلم ان لقمان كان حكيما ولم يكن نبيا
وكان ذو القرنين ملكا صالحا ولم يكن نبيا وقال عكرمة رضي الله عنه
كان ذو القرنين نبيا وهكذا لقمان وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه سئل عن ذي القرنين فقال كان رجلا صالحا وقال بعضهم انما سمي
ذا القرنين لانه ملك فارس والروم وقال بعضهم كان راسه شبه القرنين
وقال بعضهم لانه سار الى قرني الشمس في مغربها ومطلعها وقال
بعضهم عاش قرنين وقال بعضهم لانه راى في المنام في حال شبابه
انه دنا من الشمس واخذ بقرنيها واخبر بذلك قومه فسموه بذي القرنين
وكان اسمه اسكندر ويقال خمسة من الانبياء كان لسانهم عربيا اسمعيل
وهود وصالح وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين واختلف
الناس في الولد الذبيح ابرهيم بذبحه قال بعضهم هو اسمعيل وقال بعضهم

اقول وفي تفسير ... وذو القرنين ... نبي كذا نقله ... عن جابر

هو اسحق وروى عن علي وابي هريرة وعبد الله بن سلام وعكرمة وقتادة
ومقاتل وكعب ووهب رضي الله عنهم انهم قالوا هو اسحق وقال ابن عباس
وابن عمر ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي والكلبي رضي الله عنهم انه اسمعيل
وهذا القول اشبه بالكتاب والسنة اما الكتاب فحيث قال الله تعالى وفديناه
بذبح عظيم ثم قال بعد قصة الذبح وبشرناه باسحق نبيا واما الخبر فما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا ابن الذبيحين يعني اباه عبد الله بن
واسمعيل عليه السلام وقالوا اهل التوراة مكتوب فيها انه كان اسحق فان
صح ان ذلك في التوراة آمنا به **ويقال** لم يملك احد من الملوك الدنيا كلها الا اربعة
اثنان مسلمان واثنان كافران فاما المسلمان سليمان بن داود عليهما السلام
وذو القرنين واما الكافران فنمرود بن كنعان وشداد بن عاد ويقال
بخت نصر وهو الذي خرب بيت المقدس فقتل سبعين الفا واسر منهم
تسعين الفا وذهب بهم الى بابل وفيهم دانيال النبي عليه السلام وكان
دانيال صغيرا وكان نبيا ولم يكن مرسلا **ويقال** لم يتكلم احد من الناس وهو
طفل الا اربعة عيسى عليه السلام والثاني صاحب اصحاب الاخدود والثالث
صاحب جريج الراهب والرابع صاحب يوسف عليه السلام حيث قال
الله تعالى وشهد شاهد من اهله واختلفوا فيه قال بعضهم كان الشاهد
رجلا كبيرا ولم يكن طفلا وروي عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال وجدت
في كتب الانبياء ان عمر آدم تسعماية وثلاثون سنة **وعمر** نوح الف الا خمسين
سنة **وعمر** ابرهيم ماية وخمسة وتسعون سنة **وعمر** اسمعيل ماية وسبعة
وثلاثون سنه **وعمر** اسحاق ماية وثمانون سنة **وعمر** يعقوب ماية وسبعة
واربعون سنه **وعمر** يوسف ماية وعشرين سنة **وعمر** موسى ماية وثلاث
وعشرون سنه **وعمر** داود سبعون سنه **وعمر** سليمان ماية وثمانون سنة
وعمر زكريا ثلاثماية سنه **وعمر** يحيى خمس وتسعون سنه **وعمر** شعيب
مايتان واربع وخمسون سنة **وعمر** صالح ماية وثمانون سنه **وعمر** هود
مايتان وخمس وسبعون سنه **وعمر** عيسى ثلاث وثلثون سنه اي مدة
لبثه في الارض الى زمان رفعه الى السماء **وعمر** محمد صلى الله عليه وسلم
ثلاث وستون سنة انتهى كلامه **وقال الفقير عفا الله عنه** الانبياء صلوات
الله عليهم حجج الله ولا منزلة اعلا من منزلة النبوة ولا شرفا اوفى من
شرف الرسالة اذ هي السفارة بين الله تعالى وبين عباده يبلغون عن الله
امره ونهيه وحلاله وحرامه ونقضه وابرامه **وقد** امر الله تعالى في
مواضع كثيرة من كلامه القديم بتصديق رسالاتهم وامتثال اوامرهم
والايمان بهم والكتب التي نزلت عليهم وحذر من مخالفتهم قال الله
تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله

والكتاب

والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا وقال جل اسمه رسلا مبشرين ومنذرين لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل **وقصصهم عليهم الصلاة والسلام
كثيرة** ولما راى الفقيه رحمه الله تعالى وهو شيخ المفسرين في زمانه ان مؤلفه
هذا لا يحتمل ذكرهم على وجه التفصيل عقد لهم هذا الباب واتى فيه بلب
اللباب باخصر عباره وابين اشاره وقد سنح لي ان اذكر طرفا من
امرهم تبركا بذكرهم واذكر بعضا من الانبياء والمرسلين الذين لم
يذكرهم الفقيه واذكر كلا ممن ذكره واذكره ببعض ما فيه واعزو كل قول
لقايله الا نادرا واسال الله ان يكون لي مجيرا جابرا وساتراه **قال** ابو الوليد
فهو شيخ الاسلام صاحب المصنفات في العلوم من منثور ومنظوم
قاضي القضاة بحلب ومصر محمد محب الدين ابن الشحنة الحنفي شيخ ابن الهمام
على ما ذكره حفيده شيخ الاسلام عبد البر في كتاب الطهارة من كتابه الذخيرة
وصاحب الواقعة المشهورة بينه وبين تيمور التي نبه عليها في تاريخه
المسمى بروضة المناظر في علم الاوايل والاواخر وهو مختصر وله الغنية
في الفقه زاد فيها على ما في منظومة النسفي بما فيه مذهب الامام احمد بن
حنبل رضي الله عنه والغنية في عشر علوم وقد شرح منها حفيده تلميذ ابن
الهمام وقاضي القضاة شيخ الاسلام الذي فاق اباه وجده عبد البر الابيات
الفرضية وابيات السيرة الشريفة النبوية وغير ذلك ولم يكمل شرحها اجمع
لاشتغاله بما هو اهم منها الاشارة والرمز شرح القدوري والنقاية والكنز
وشرح منظومة ابن وهبان وحاشية على شرح الكنز للعيني وحاشية على
الكشاف وزهر الروض في مسألة الحوض وله جابر الرمز في الغاز الكنز كتاب نفيس
وقفت عليه واما البواقي من مؤلفاته لم اقف عليها لكنها مشهورة بمصر وهو
واخوه لابيه جدي لامي محمد اثير الدين ابو اليمن وله توجيه العناية بجمع شروح
الوقاية وهما وولدهما المشار اليه مشايخي بالرواية والاجازة تغمدهم الله بالرحمة
واذا قلت قال ابو الفضل فهو جد امي الى ابيها شيخ الاسلام قاضي القضاة بحلب
ومصر محمد محب الدين بن ابي الوليد محمد محب الدين ابن الشحنة الحنفي صاحب
المصنفات التي من جملتها التاريخ المسمى بنزهة النواظر في روض المناظر
وهو اكبر من تاريخ ابيه وتاريخ حلب وشرح العقايد وشرح الفية الحديث
وغير ذلك وله شعر حسن منه **قوله**

سلوا عن محبات الرجال قلوبكم ... فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا
ولا تسالوا عنها العيون فربما ... تشير الى ما لم يكن داخل الحشا

وهذا الباب بما اتبعه به ان شاء الله تعالى يحسن ان يكون كتابا مفردا لاشتماله
على قصص الانبياء صلوات الله عليهم مع فوايد لطيفة وآيات شريفة وجعل له

ان شآء الله تعالى ديباجه عند افراده واسميه فيها بالسرج المنيره فى قصص
الانبيآء وبعض السيره اعنى سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقول مستعينا بالله وبانبيآئه المقربين صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين اول الانبيآء المرسلين والملوك آدم عليه الصلاة والسلام
قال صاحب اداب السياسه وممن جمع له بين الملك والنبوة آدم ويوسف
وداود وسليمان وذو القرنين ومحمد صلى الله عليه وسلم انتهى والاكثرون
على ان ذا القرنين ملك لا نبى وآدم سيد البشر روى الدميرى ان فى كتاب
نفحات الازهار ولمحات الانوار حديثا عن على بن ابى طالب رضى الله عنه
انه قال سمعت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هبط على جبريل
عليه السلام فقال يا محمد ان لكل شئ سيدا فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم
انت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال
وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وسيد الشهور رمضان وسيد
الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد العربية القرآن وسيد
القرآن سورة البقرة انتهى اقول وسيد الاستغفار ياتى فى الفصل الاول
من الباب الثالث من خاتمة الخاتمة فيما يقال فى الليل والنهار وسياتى فى
الباب الذى يلى هذا وفى الباب الثانى والسبعين حديث ان اللحم سيد الطعام
وسياتى فى قصة سليمان والهدهد ان العقاب سيد الطير وان النسر
عريفها وقال ابن الجوزى فى تفسير قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين انما خص هولآء بالذكر لان الانبيآء كلهم
من نسلهم وفى آل ابرهيم اقوال منها انهم اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وفى عمران قولان الاول انه عمران بن ماثان والد مريم ام عيسى والثانى انه
ابو موسى وهرون واختهما مريم وبينهما الف سنة وقال الزمخشرى فى الكشاف
وابن الجوزى الف وثمانمائة سنة وآدم مشتق من اديم الارض وهو وجهها
وقيل من الادمه وهى السمرة يقال رجل آدم وامراة ادماء كاحمر وحمراء وهو
اسم اعجمى وجميع اسماء الانبيآء عجمية الا محمدا وشعيبا وصالحا وقال الجواليقى
آدم عربى بناء على انه افعل من الادمة او من اديم الارض ولو جعل على وزن
فاعل مثل شالخ وفالغ كان عجميا انتهى واصله بهمزتين على انه افعل الا انهم
لينوا الثانية واما قول بعض النحاة اسماء كل الانبيآء جميعها ممنوعة من
صرفها تحديدا الا محمد النبى وصالحا نوحا شعيبا ثم لوطا هودا
فلا يلزم من كون هذه الاسماء منصرفة ان تكون عربيه لان ما عدا ما ذكرناه
انه عربى انما صرف مع عجمته لسكون اوسطه والعجمة لا اعتبار لها مع ذلك
واكثر النحويين اشترطوا الزيادة على الثلثة فى العجمة ولم توجد هنا وقال
بعض النحاة لا يوجد الاعجمى الثلاثى غير فى كلام العرب غير منصرف اصلا

والحاذق

والحاذق كثير وقد نظم العلامة المحدث ابن الركن الشافعى المغربى خطيب الجامع
الاموى بحلب رحمه الله تعالى ابياتا فى معرفة الكلم الاعجمية وهى

اذا اردت علم عجمة الكلم … فانه بنقل ذى خبر علم
ان كان جيم مع قاف وردا … كجلق او مع صاد قد بدا
كالجص والصهريج او لم يلزم … وزن اسامى العرب كالابريسم
او بعد دال اعجمت جيم يجى … فاحكم اذا لعجمة الفالوذج
ونطقهم بهوذج بذال … معجمة وهو بلا اشكال
كذلك الساذج فهو عربى … وغير ما قد قلته قول غبى
كذا اذا ما الطاء مع زاى صدر … مقارنا له كزط وطرز
او كان نون اولا للفظ وقد … تلاه راء مثل نرجس ورد
او شابه الهنداز والمهندزا … اذ كان زايا بعد دال احرزا
او مثل ابليس اتى لا ينصرف … وليس فيه غير تعريف عرف
فقد ثبت عجمته وتضعف
وقولهم طجن غير عربى … اذ جمع طا والجيم للعرب ابى
وان يكن حرف ذلاقة عدم … من زايد على ثلث فى الكلم
فاعجمى نحو منلف سنبر … ذ لبنبة بست بغير نكر

والمراد من ملف نبر الميم واللام والفاء والنون والباء الموحدة والراء
المهمله وقد جمعها القراء فى ثلث كلمات هن قولهم فر من لب كذا ضبطوه
بتقدير مضاف غير داخل فى حروف الذلاقة بل قدروه لتكون الكلمات
لها معنى والمضاف لفظ ذى فيكون المعنى فر من ذى عقل ويمكن ان يكون
لها معنى بغير تقدير بان يفتح ميم من ولام لب فيصير فر من لب ومعناه
الدنى قام والقبح بفتح القاف وسكون الباء الموحدة الحجل فارسى معرب
والقبجة تقع على الذكر والانثى حتى تقول يعقوب فيختص بالذكر لان الهاء
دخلته على انه للواحد من الجنس وكذلك النعامة حتى تقول ظليم والنحلة
حتى تقول يعسوب والدراجة حتى تقول حيقطان والبرمه حتى تقول
صدى او فياد والحبارى حتى تقول خرب ومثله كثير كذا فى الصحاح الفوز
والدبج لغتان واهل اليمن يقولون كوبج وهو الذى يدار به الطعام من حديد
كان او من خشب كذا فى المعرب للجواليقى وقد ذكر ابو منصور الجواليقى فى كتابه
المعرب من الكلام الاعجمى فصلا فيما يعرف من المعجم بائتلاف الحروف قال
ما ملخصه لم يجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية فمتى جاءتا فى كلمة فاعلم انها معربة
كجرق وقبج والصاد والجيم فى كلمة عربية فاذا وقع ذلك فى كلمة فهى معربة مثل
الجص والصنج وليس فى اصول ابنية العرب اسم فيه نون بعدها راء فاذا
وجد ذلك فى اسم فهو معرب نحو نرجس ونورج وليس فى كلامهم زاى بعد دال

الا دخيل من ذلك الهنداز والمهندز وابدلوا الزاى سينا فقالوا الهنداس
والمهندس ولم يجد احد من الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء
فاذا جاء ذلك فى كلمة فهى دخيل من ذلك البستان وبست بلد بالديار العجمية
ننسب اليه ابو زيد البستى ولا يجتمع السين مع الذال فى خالص العربية ولا مع
الزاى المحضة فى المعرب لكن يجتمع مع الذال المبدل منها بدلالة اشتقاق
الكلمات العجمية على ذلك وانما يجتمع السين مع الزاى المحضة ويجتمع مع الذال
المبدل منها للتباعد فى المخرج بينهما وبينها فاذا مرت بك كلمة اجتمع فيها
السين مع الذال فاحكم انها كلمة معربة عن كلمة عجمية بدون ان يكون الذال
فيها مبدلة من زاى مثل ساذج اصله بالفارسية ساده عرب عنه
بقلب الهاء جيما على مثال عالم او بان يكون مبدلة من الزاى للتعريب بدلالة
اشتقاق الكلمات العجمية على ذلك كدلالة اشتقاق الكلمات العربية على
ابدال الحرف من آخر فى بعض اصنافها كاحد واُقِتت وتُجاه وتراث وتُخمة
وتوده وكساء ورداء اصلها وَحَدَ ووُقِتت ووُجاه ووراث ووخمة
ووزدة وكساو ورداى وذلك وسذاب فانه كلمة قد اجتمع فيها السين
والذال لانها قد ابدلت من الزاى بالتعريب بدلالة اشتقاق الكلمات
العربية على ذلك ومما يعرف به المعجم بائتلاف الحروف خلو تأليف الكلمة
من اخذ الحروف حروف الذلاقة وهو ستة ثلث من طرف اللسان وهى الراء
والنون واللام وثلثة من الشفتين وهى الفاء والباء والميم ولهذا لا يخلو
الرباعى والخماسى منها الا ما كان من عسجد فان السين اشبهت النون
فاذا جاءك مثال خماسى او رباعى بغير حرف او حرفين من حروف الذلاقة فاعلم
انه ليس من كلامهم مثل عقجش وحضافج ونحو ذلك فهذه جملة من القول
فى هذا الفن انتهى ويقال قعدت وجاهك ووجاهك بضم الواو وكسرها
اى قبالتك واتجه له رأى اى سنح وهو افتعل صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها
وابدلت منها التاء وادغمت ثم بنى عليه قولك قعدت تجاهك وتجاهك
بضم التاء وكسرها اى قبالتك كذا فى الصحاح والقبج بفتح القاف وسكون
الباء الموحدة الحجل فارسى معرب والقبجة تقع على الذكر والانثى حتى تقول
يعقوب فيختص بالذكر لان الهاء انما دخلته على انه للواحد من الجنس وكذلك
النعامة حتى تقول ظليم والنحلة حتى تقول يَعسوبٌ والدراجة حتى تقول
حَيقُطانٌ والبُومة حتى تقول صدىً او فيّاد والحبارى حتى تقول خَرَبٌ
ومثله كثير كذا فى الصحاح رجع واما آدم فهو غير منصرف على كلا الوجهين
للعجمة والعلمية ان كان عجميا وللعلمية ووزن الفعل ان كان عربيا
رجع روى ابن الجوزى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل
خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض

منهم

منهم الاحمر والاسود وبين ذلك والسهل والوعر والحزن وبين ذلك والخبيث
والطيب قال الدميرى هذا صحيح وفى البخارى ومسلم عن انس رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة
آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة ما بين العصر الى الليل قال
ابن عباس رضى الله عنهما لما نفخ فيه الروح اتته النفخة من قبل رأسه فجعلت
لا تجرى منه فى شئ الا صار لحما ودما انتهى وقال ابو الوليد مكث آدم فى الارض
ما شاء الله ثم نقله الى السماء ونفخ فيه من روحه واسجد له الملائكة واسكنه
الجنة ضحوة ثم نام فخلق من ضلعه الايسر حواء سميت به لانها خلقت من شئ
حى واخرجه من الجنة بين الصلوتين وهو نبى مرسل الى بنيه وبنى بنيه
وعدتهم عند موته اربعون الفا منهم عمود النسب شيث وابنه انوش
وابن انوش قينان وابن قينان مهلاييل ثم ولد لمهلاييل
بعد موت آدم يرد وهو ابو اخنوخ وهو ادريس انتهى وقيل حواء مشتق
من السواد قال الشهاب السمين وامنا حواء يجوز ان يكون سميت بذلك
لحوة فى لونها كما سمى آدم آدم لادمة فى لونه وفى الصحاح والحوة سمرة الشفة
يقال رجل احوى وامرأة حواء انتهى ولم يذكر العتبى لآدم شيئا من الاوائل
غير انه اول المرسلين وذكر لغيره اوائل كما تقدم وها انا اذكر بعضا من
اوائله قال ابو الفضل فى تاريخه اول خلق بشرى خلق للكرامة آدم كما ان
اول خلق خلق للاهانة ابليس انتهى اقول وانما قال خلق بشرى والله اعلم
لان اول خلق نورانى قبل آدم هو محمد صلى الله عليه وسلم كما يأتى عند ذكر
اسمه وقال بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اسمه فى السماء احمد
كما ان اسمه فى الارض محمد فهو من حيث احمديته اب لآدم لان نوره خلق
قبل آدم ومن حيث محمديته ابن لآدم ثم قال ابو الفضل اول ما خلق من
آدم رأسه فجعل ينظر وهو يخلق وبقيت رجلاه فلما كان بعد العصر قال
يا رب عجل قبل الليل فذلك قوله تعالى فى سورة الاسراء وكان الانسان عجولا
هذا قول سلمان الفارسى ومجاهد وقال سعيد بن جبير لما نفخ الروح فى
ركبتيه ذهب لينهض فقال تعالى فى سورة الانبياء خلق الانسان من عجل
وقيل اول ما ركب فيه عجب الذنب اقول هو بفتح العين المهملة وسكون الجيم
ثم موحدة ومحله اسفل الصلب عند رأس العصعص يشبه فى المحل محل اصل
الذنب من ذوات الاربع كذا فى شرح المسايرة اقول وفى نوادر التاريخ من اول
كتاب الاداب ان طول آدم ستون ذراعا وان كل من دخل الجنة يدخل على
صورة آدم وطوله ثم ركب فيه سائر خلقته وقال الطبرانى اول ما خلق
الله من الانسان فرجه فلما تم خلقه قيل لا تستر له الا فى حلة حرير مثله
فى المصابيح وهذا يخالف قول ابن الاثير فى عجائب المخلوقات له ان طول آدم

قدم آدم بجبل سرنديب حين هبط سبعون ذراعا وانه خطا من الجبل الى البحر
خطوة واحدة وهو من الجبل على مسيرة يومين رجع الى اوايل آدم قال ابو الفضل
وهو اول من نشى واول من ركب فرسا حين ادخل الجنة واول من خدعه عدوه
وهو من اخذ براي امراته فزل واول من ندم على زلته وبكى على وتوعها منه
وعوتب عليها وتاب وقبلت توبته وفي اعلام القلوب قال الحسن لما اصاب
آدم الخطيه خرج هاربا من الجنة فتعلق غصن من اغصان الجنة بشعره
فناداه الله تعالى الى اين يا آدم او فرارا مني قال لا يا رب بل حياء منك انتهى
وهو اول من ضرب الدينار والدرهم وقال لا تصلح المعيشة الا بهما ذكره صاحب
سنا الاماره وهو اول من حرث وزرع وحصد وفرك الحبه اقول لما اكل من
الشجرة اتعبه الله في زرعها وحصادها وفركها وغسلها وطحنها وعجن
ذلك وتبعه ذريته في التعب فيها كما تبعوه في العصيان والنسيان ذكره
القاضي البيضاوي في قوله تعالى في سورة طه ولقد عهدنا الى آدم من
قبل فنسي القصة عطف على قوله وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه
من الوعيد لعلهم يتقون عطفها عليها للدلالة على ان اساس بني آدم على
العصيان وعرقهم راسخ في النسيان انتهى وذكر الفقيه في كتاب النوادر
ان محمد بن سلمة سئل عن قوله تعالى في هذه الآية فنسي فان الجنة عليه السلام
تعالى لا يواخذ بالنسيان والخطأ قال اراد بالنسيان الترك كما قال تعالى فنسوا
الله فنسيهم يعني تركهم في العذاب فنسيان آدم ترك العهد انتهى والانبياء
لا ينسب اليهم النسيان الا بمعنى آخر كما سياتي في فصل معاريض الكلام في
قول موسى عليه السلام لا تواخذني بما نسيت واما تعب بني آدم في الحنطة
قال الغزالي في الاحياء في كتاب كسر الشهوتين لا يستدير الرغيف ويوضع بين
يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء
من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر والافلاك
وملكوت الهواء ودواب الارض وآخرهم الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وسياتي بالملحق بهذا الباب قصة آدم حين حسده ابليس حتى اخرج من
الجنة وآدم اول من نسج واكتسى واول من خاط وقيل حوا وقيل ادريس
والاول اصح وهو اول من ضرب من الحديد مدية وهي الشفرة والجمع مديات ومدى كذا في الصحاح وهو اول من قدح الزناد وهو بكسر الزاي جمع زند بفتحها
وهو العود الذي تقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهي
الانثى فاذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان كذا في الصحاح فاوري النار
حين اراه جبريل ذلك واول من وضع الكتابة مطلقا قال كعب كتب بالعربي
وبالسرياني وسائر الكتب قبل موته بثلاثمائة سنة في طين ثم طبخه فلما اغرق
الله الارض يعني ذلك فاصاب كل امة كتابهم وبقي الكتاب العربي الى ان خص

الله بن

الله بن اسمعيل عليه السلام وقيل غير ذلك وهو اول من فجع في ابنه ومن رثى
ميتا رثى ابنه هابيل بكلام سرياني وما يعزى اليه من الشعر الذي هو

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
قتل قابيل هابيلا اخاه فواحزني على وجه مليح

فليس بصحيح لان في روايته مجهولين وروي عن ميمون بن مهران عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب ان محمدا والانبياء
عليه وعليهم الصلاة والسلام في النهي عن الشعر سواء ولكن لما قتل قابيل
هابيل رثاه بكلام وقال لشيث انت وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فلما
وصل الى يعرب بالعين والراء المهملتين ابن قحطان وكان يتكلم بالعربية
ويقول الشعر نظر في المرثية فرد المقدم الى الموخر والموخر الى المقدم فوزنه
شعرا قيل وزاد فيه قوله

وما لي لا اجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة على غما فهل انا من حياتي مستريح

ورايت في بعض القصص ان الذي قاله آدم عليه السلام البيت الاول
ثم قال تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح
ايا هابيل ان تقتل فاني عليك اليوم مكتئب جريح

ثم قال بعده البيت الذي اوله قتل قابيل هابيلا الى آخره وان ابليس
لعنه الله تعالى اجابه بقوله

تنوح على البلاد ومن عليها وفي الفردوس ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في نعيم من الدنيا وقلبك مستريح
فما زالت مكايدتي ومكري الى ان فاتك الخلد الربيح

وآدم اول من مات حتف انفه قال ابن الاثير في النهاية في الحديث من
مات حتف انفه في سبيل الله فهو شهيد هو ان يموت على فراشه كانه
سقط لانفه فمات واكثر الهلاك كانوا يتخيلون ان روح المريض
تخرج من انفه فان جرح خرجت من جراحته وقابيل اول قاتل اسود
وجهه بعد ان كان ابيض وهابيل اول من قتل ظلما وهو اول ميت
توارى في الارض قال العسكري في توهمان الحجارة كانت رطابا وان
ذلك انما تغير حين عصى ابن آدم بقتله اخاه وان الارض لما شربت دم
المقتول عوقبت بعشر خصال انبت فيها الشوك ١ وصير فيها الفيافي ٢
وخرق فيها البحار ٣ وملح طعمها ٤ وخلق فيها الهوام ٥ والسباع ٦
وجعلت قرار العاصين ٧ وصير جهنم فيها ٨ وجعل ثمرتها لا ياتي
الا في حين ٩ وجعلت توطا بالاقدام ١٠ ثم لم تشرب بعد دم ابن آدم
دم احد قلت بل قيل انها تشرب دم الجمال بالجيم انتهى ما هو من كلام ابي الفضل

بزيادات وفى بعض قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام انجواب ابليس انما كان لحوا لما رثت ولدها هابيل بكلام سريانى وعربه يغرب بن قحطان وهو قولها لادم لما رثاه بما رثاه

دع الشكوى فقد هلكا جميعا … بهلك ليس بالثمن الربيح
وما يغنى البكاء عن البودى … اذا ما المرء غيب فى الضريح
فبكى النفس منك ودع هواها … فليس بباقى بعد الذبيح

وفيها عن الاوزاعى قال حدثنى المطلب عن عبد الله المخزومى قال لما قتل ابن آدم اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة ايام ثم شربت الارض دمه مثل ما تشرب الماء فناداه الله تعالى ان صوت دم اخيك يناديني من الارض لم قتلت اخاك فقال قابيل فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا وفى مثير الغرام الى زيارة القدس والشام ان دم ابن آدم المقتول تحت المغاره التى بجبل قاسيون خارج دمشق المشهورة بمغارة الدم وذكر ان من فضايل مكان الدم ان اهل الشام ما استسقوا عنده الا وسقوا وعن ابن عياش آخر الحروف الياء والشين المعجمة انه قال كان اهل دمشق اذا قحطوا او جار عليهم سلطان او كان لاحدهم حاجة صعدوا الى موضع دم ابن آدم المقتول فيسالون الله تعالى فيعطيهم ما سالوا قال هشام لقد صعدت مع ابى وجماعة نسأل الله سقيا فارسل الله تعالى علينا مطرا غزيرا حتى اقمنا فى الغار الذى تحته الدم ثلاثا ثم دعونا الله ان يرفع عنا وقد رويت الارض وقبر هابيل بزا بوذى بزدا من دمشق الشام وعليه قبة معمورة على ما اخبرت به واما قصة وقابيل فمذكورة فى التفاسير وقد نقل الديمرى ما حاصله ان الله تعالى هابيل
قال واتل عليهم نبأ ابنى ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال كان سبب قربانهما ان حوا ولدت لادم اربعين ولدا فى عشرين بطنا ان حوا ولدت لادم اربعين ولدا فى عشرين بطنا اولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته امة المغيث وكانت اخت هابيل اسمها لبوذا وكان ادم عليه السلام ينكح كل ولد بمن شاء من اخواته الا توأمته لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم ثم ان الله تعالى امر آدم ان ينكح قابيل توأمة هابيل وينكح هابيل توأمة قابيل وكانت احسن من توأمة هابيل فذكر آدم ذلك لولديه فرضى هابيل وقال قابيل هى توأمتى وانا احق بها فقال له ابوه انها لا تحل لك فقال قابيل له ان الله لم يامر بهذا وانما هو من رايك فقال لهما ابوه قربا قربانا فايكما تقبل منه قربانه كانت له وكانت القرابين اذا قبلت نزلت نار من السماء بيضاء فاكلتها واذا لم تكن مقبولة اكلتها الطيور والسباع فقربا قربانا ووضعاه على الجبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فاكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان

قابيل

قابيل فذلك قول الله تعالى فى المايدة واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر وكان قابيل يضمر الحسد فى نفسه الى ان ذهب آدم الى مكة لزيارة البيت فاتى قابيل هابيل قال لاقتلنك قال ولما قال لان الله قبل قربانك ورد قربانى وتنكح اختى الحسناء وانكح اختك الذميمة قال هابيل ما ذنبى انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين انى اريد ان تبوء باثمى واثمك اى باثم قتلى الى اثمك اى مع اثم معاصيك التى عملت من قبل فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت اى زينت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين فلما قتله لم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بنى آدم وقصده السباع فحمله فى جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة وقيل كان يحمله على عاتقه مائة سنة حتى اروح فبعث الله تعالى له غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم القاه فى الحفرة وواره وقابيل ينظر اليه وذلك قوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه فلما راى قابيل ذلك قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوءة اخى اى جيفته فاصبح من النادمين على حمله لا على قتله ثم ان قابيل اخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار وهو اول من عبد النار قالوا واتخذ اولاد قابيل الآت اللهو من اليراع والمزامير والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله تعالى بالطوفان ايام نوح عليه السلام وبقى نسل شيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل واول من يساق الى النار قال الله تعالى ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس وهما قابيل وابليس وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الثلثا فقال يوم الدم فيه حاضت حوا وفيه قتل ابن آدم اخاه قال مقاتل وكان قبل ذلك السباع والطيور تستانس بآدم فلما قتل قابيل هابيل هربت منه الطير والوحش وشاكت الاشجار وحمضت الفواكه وملحت المياه واغبرت الارض وفى سنا الامارة عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه انه قال لكعب الاحبار لاى ابنى آدم كان النسل فقال ليس لواحد منهما نسل اما المقتول فدرج واما القاتل فهلك نسله فى الطوفان والناس من بنى نوح ونوح من بنى شيث ابن آدم انتهى نادرة تتعلق بالغراب قال ابو الفرج المعافا ابن زكريا فى كتابه الجليس الانيس كنا نجلس

فى حضرة القاضى ابى الحسن فجيناه يوما على العادة فجلسنا عند بابه واذا
اعرابى جالس كانت له حاجة اذ وقع غراب على نخلة فى الدار فصرخ ثم طار
فقال الاعرابى هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة
ايام قال فزجرناه فقام وانصرف ثم خرج الاذن من القاضى الينا فدخلنا
فوجدناه متغير اللون مغتما فقلنا له ما الخبر قال رايت البارحة فى النوم
شخصا يقول منازل آل عباد بن زيد على اهليك والنعم السلام
وقد ضاق صدرى لذلك فدعونا له وانصرفنا فلما كان اليوم السابع من
ذلك اليوم دفن رحمه الله تعالى عجيبة مثل ذلك قال يعقوب بن السكيت
كان امية بن ابى الصلت فى بعض الايام يشرب فجاء غراب فنعب نعبة
فقال له امية بفيك التراب ثم نعب اخرى فقال بفيك التراب ثم اقبل على
اصحابه فقال اتدرون ما يقول هذا الغراب زعم انى اشرب هذا الكاس
فاموت وامارة ذلك ان يذهب هو الى هذا الكوم فيبلع عظما فيموت قال
فذهب الغراب الى الكوم فابتلع عظما فمات ثم شرب امية الكاس فمات من
حينه وسياتى بالملحق بهذا الباب نادرة غريبة فيها تشبيه ولد بابيه
كتشبيه ولد الغراب رجع ولم يذكر الكسائى اين دفن آدم عليه السلام بل
ذكر ان حوا دفنت عنده راسه ورجلاها عند رجليه ولكنه ذكر فى قصة
نوح انه حمل فى السفينة جسد آدم وهو غض لم يتغير منه شىء اذا نشره فانها
اخضرت من غير رايحة وكذا حمل جسد حوا ونقل الحافظ اسمعيل بن كثير فى تاريخه
الكبير عن كعب الاحبار انه قال ليس احد فى الجنة له لحية الا آدم لحيته سوداء
الى سرته وليس احد يكنى فى الجنة الا ادم كنيته فى الدنيا ابو البشر وفى الجنة
ابو محمد قال واختلفوا فى موضع دفنه فالمشهور انه دفن عند الجبل الذى
اهبط عليه بسرنديب وقيل بجبل ابى قبيس بمكة ويقال ان نوحا لما كان
الطوفان حمله هو وحوا معه فى تابوت ودفنهما ببيت المقدس حكاه ابن
جرير وابن عساكر وقال راسه عند مسجد ابرهيم ورجلاه عند صخرة بيت
المقدس وقد ماتت بعده حوا بسنة واحدة والله اعلم شيث بالثا المثلثة
ابن آدم عليهما السلام ومعناه هبة الله ولد بعد مضى مايتين وثلاثين
سنه من عمر ابيه بعد قابيل وهابيل وجميع النوع الانسانى من نسله ويقال
فى سنا الامارة عن الامام عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لكعب الاحبار
لاى ابنى ادم كان النسل فقال ليس لواحد منهما نسل اما المقتول فدرج واما
القاتل فهلك نسله فى الطوفان فالناس من بنى نوح ونوح من بنى شيث بن
ادم انتهى وله اوليات قال ابو الفضل شيث اول من تكلم بالعبرانيه واول من
انزلت عليه الصحف فى صلاح الارض واول من نزل عليه تحريم الاخت وكان الاخ
يتزوج باخته لكن من بطن آخر لا برفيقته فى بطن امه فانه كان ياتى فى كل

وقيل ابنه انوش م

بطن ذكر وانثى واول من اتخذ القلنسوة والنعلين واول من بنى الكعبة بالطين
والحجارة ذ فى سنا الامارة انه عمرها على موضع الخيمة التى كان وضعها الله
لادم من الجنة وعاش تسعماية واثنا عشر سنه انتهى ذ قال ابو الوليد كان انوش
نبيا انكشفت له الاسرار السماوية ونزلت عليه الصحف منها لا تروموا
ان تحيطوا بالله خبرة فانه اعظم واعلى من ان يدركه المخلوقون الامن اتى
وولد لانوش قينان وولد لقينان مهلاييل وهو اول من بنى مدينة على
وجه الارض بنى مدينتين هما بابل التى بسواد الكوفة ومدينة السوس
ولعلها التى ببلاد المغرب واول ما عبدت الاصنام فى زمنه ثم ولد لمهلاييل
بعد موت ادم يرد وولد ليرد ادريس كما تقدم انتهى اقول لان دراسته
كتب الله مدح له وقبر شيث على تل بقرية داريخ من عمل سرمين على ما يزعم
تلك الناحية وقد زرته وقيل بقرية صغيرة من معاملة البقاع تسمى
والزوار يقصدونه ولم يذكر الكسائى موضع قبره ادريس بن يرد
عليه السلام واسمه خنوخ بالحاء المهملة اوله والمعجمة آخره قال الفقيه انما سمى
ادريس لكثرة دراسته كتب الله تعالى وسنن الاسلام وفى سنا الامارة انه
ابن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث وقال تاج القراء انه الياس
وبه قرا ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى فى الصفات وان الياس
لمن المرسلين فوضع ادريس مكان الياس وقيل يقال لادريس الياس وفى
مرآة الزمان عن الحافظ ابن عساكر عن عبد الله بن احمد بن حنبل رضى الله عنه
قال وجدت فى كتاب ابى بخطه سمعنا ان ستة من الانبياء لهم اسمان محمد
واحمد وابرهيم وابراهام ويعقوب واسرايل ويونس وذو النون
والياس والياسين وعيسى والمسيح عليهم السلام اقول فعلى هذا يكون
الياس والياسين اسمين لادريس ويكون ادريس لقبا له لا اسما وبدلالة
الكلمة على المدح او الذم يكون لقبا لمن سمى بها او يكون ادريس معرب الياس
او الياسين فلا ينافى ذلك ان له اسما ذا اى عجميا وانما ينافيه كون اسمه خنوخ
وما فيه من اللغات على ما ذكره الحافظ على ما ذكره الحافظ مغلطاى فى سيرته
نقلته الى الباب السابع عند ذكر نسب النبى صلى الله عليه وسلم وقد يكون
الاسمان ما سماه الله بهما فى القرآن وهما ادريس وعلى رواية ابن مسعود الياس
واما الياسين فيكون لغة فى الياس والله اعلم وسياتى ذكر الياس انه نبى
مرسل من ذرية هارون ولا يمتنع ان يكون ادريس سبقه بهذا الاسم وفى
رواية عبد الله بن احمد بن حنبل عن خط ابيه ما ذكر مسئلتان على قاعدة
مذهب ابيه رضى الله عنه الاولى صحة الشهادة على الخط وهو مذهب مالك
ايضا على فرق بينهما فى ذلك والثانية صحة شهادة الفرع على خط اصله
خلافا لمالك رضى الله عنه اذ لا تصح شهادة الفرع على خط اصله عنده نعم

قال ابو الفضل وهو اى ادريس اول من جاهد فى سبيل الله جاهد بنى قابيل لما
خالفوا الحق وهو اول الهرامسة واول من نظر علم النجوم والحساب واول من تكلم
على الصنايع الطب وغيرها واول من كتب بالقلم انتهى اقول ولعل كتابته عنه
بالقلم المعهود بالمداد على الطرس فلاننا فى هذه الكتابة كتابة ادم كما تقدم لانها
كانت على الطيرة وهى لا تتصور بهذا القلم بل يمكن ان تكون بشى صلب كحديد
او نحاس وما اشبه ذلك ونقل افلاطون عن بعض اليونانيين انه قال اول من
وضع الانغام ادريس عليه السلام وصنعها على نسبة صرير الفلك وهو اول
من خط بالرمل فكان سببا لاظهار نبوته وذلك انه لما بعثه الله كان
ذلك الزمان من ادعى النبوة قتل وكان ادريس لا يظهر نبوته ولا يتلفظ
بها خوفا من القتل فكان يختلس من قومه ويعبد الله تعالى على ساحل البحر
فهو ذات يوم يعبد الله على ساحل البحر اذ تمثل له جبريل عليه السلام فى
صورة آدمى فسلم عليه ثم جلسا يتحادثا فبسط جبريل الرمل وخط ثم نظر الى
ادريس عليه السلام فقال اسمك ادريس قال نعم قال وانت نبى وتكتم نبوتك
قال نعم قال وتم لك كذا وكذا قال نعم قال ستظهر نبوتك ويكون من امرك كذا
وكذا ثم حدثه بكل ما هو فيه فلما سمع ادريس ذلك تعجب منه ثم قال يا اخى من
اين لك بذلك من علم فقال هذا شى يقال له علم الرمل وانما سمى بذلك لكون
ان جبريل عليه السلام وضعه على الرمل ثم قال ادريس اسالك ان تعلمنى مما
علمت رشدا فقال حبا وكرامة فاذا اردت ذلك تجمع كل يوم ههنا واعلمك
ثم انصرف عنه وادريس قد تعلق قلبه بذلك فلما كان من الغد اتى ذلك
المكان فوجد جبريل واقفا يصلى فصلى معه ثم جلسا وشرع جبريل يعلمه
اياما حتى علم انه قد اكمل العلم فقال له ان كنت قد اتقنت هذا العلم فخط
على جبريل هل هو فى هذه الساعة فى السماء او فى الارض فخط ونظر ثم قال
ان جبريل فى هذه الساعة فى الارض فقال انظر فى اى الاقاليم هو فنظر فقال
فى هذا الاقليم وان يكن جبريل ادميا فانت جبريل ثم طلبه فلم يجده فتعجب من
ذلك ثم اتى قومه فاجتمع باكابرهم ثم قال لهم قد تعلمت علما نفيسا فمن كان
منكم فى قلبه ضمير او امر من الامور يضمره فى قلبه وانا ابينه له فاضمر كل منهم
ما فى قلبه فجعل يحدثهم بما فى قلوبهم وهم يتعجبون من ذلك ثم قالوا اسالك
ان تعلمنا هذا العلم فاصطفى منهم اربعين رجلا من روس القبايل ثم شرع
فى تعليمهم وهم الهرامسة تلامذة ادريس عليه السلام فلما علم انهم قد صاروا
فى طبقته فى العلم جمعهم وقال اعلموا انى امس لما انفصلت منكم خطيت فى الرمل
فظهر لى ان الله تعالى قد ارسل نبيا وهو نبى صادق فكل واحد منكم يخط على
ذلك فان وافق الخط طلبنا ذلك النبى وآمنا به وان اختلف تركناه فخطوا
جميعهم واتفقوا على صحة ذلك فقال ادريس اذ قد صح ذلك فخطوا فى اى اقليم

هو

هو حتى نقصده قال فخطوا جميعا وقالوا هو فى اقليمنا الذى نحن فيه فقال
الحمد لله الذى لم يتعبنا فخطوا فى اى البلدان هو فقالوا هو فى هذا البلد الذى
نحن فيه فقال فى اى المحال فقالوا فى المحلة التى نحن فيها فقال فى اى الدور
فقالوا فى هذه الدار التى نحن فيها ولم يزالوا حتى قالوا هو فينا ثم قال ابصروا
من هو منا فقالوا انت هو فقال نعم فقالوا اكتم ذلك حتى نتفرق نحن الى
القبايل التى لنا ثم نعيد عليهم ذلك فمن آمن حلفناه واحضرناه اليك ومن
ابى وخالف قتلناه ثم تفرقوا على قومهم وقصوا عليهم القصة فاكثر
الناس قالوا انتم ساداتنا وما رضيتم به لانفسكم رضينا به فامن اكثرهم
بادريس عليه السلام واظهر الله نبوته بعلم الرمل وفى ذلك قال صاحب
كنز الاسرار فى ارجوزته التى عملها فى الرمل
واظهر الله به لهرمسا   دعوته وكان منها مونسا
الى ادريس نبيه
وقال هذا العلم صحيح لا طعن فيه بل الطعن فيمن يدعيه ولا يعرفه فلا
يحصل منه الا على معرفة الضرب والتوليد فاذا اقام الستة عشر شكلا
وصورها رجع الى الحمق فلا يحصل منه على طايل وذلك ان جميع ضماير الناس
يجمعها اربع كلمات وهى انه يقول سوالك فى بيت الحركة متصلا ببيت العاقبة
يدل على حركة تطلب فيها اتصالا وتسال عن العاقبة فى ذلك ثم يسمع ما
يقول السايل وياخذ منه ويرد عليه ولا يعتمد على شى من اصول العلم بل على
الحمق فمن اجل ذلك نبذوا العلم وراء ظهورهم وتعلقوا بالباطل فضاع
العلم وقيل مات من علم والله سبحانه وتعالى اعلم وسياتى بالملحق بهذا الباب شى
مما يتعلق بالانغام وبالرمل لو انا الان شاء الله تعالى وفى قول الله تعالى
فى سورة مريم ورفعناه مكانا عليا اقول قال تاج القراء رتبة النبوة
والمنزلة فى الدنيا وقيل مكانا عليا الجنة وقيل السماء الرابعة وفيها مات
وقيل السادسة ورويه النبى صلى الله عليه وسلم له ليلة المعراج كانت
فى السماء الرابعة فى رواية مالك بن صعصعة عن النبى صلى الله عليه وسلم
انتهى ونقل الحافظ اسمعيل بن كثير عن كعب الاحبار ان الله تعالى اوحى الى ادريس
انى ارفع لك كل يوم العمل مثل عمل جميع بنى آدم فاحب ان تزداد عملا فاتاه خليل
له من الملايكة فقال ادريس ان الله تعالى اوحى الى كذا وملك الموت فكلم فى
ملك الموت حتى ازداد عملا فحمله بين جناحيه حتى صعد به الى السماء فلما كان
فى السماء الرابعة تلقاهما ملك الموت منحدرا فكلم الملك ملك الموت فى الذى كلمه
فيه ادريس فقال واين ادريس قال هو ذا على ظهرى فقال ملك الموت
فالعجب بعثت اليه وقيل اقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الارض فقبض
روحه هنالك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وهذا اصح مما روى عن
ابن عباس والضحاك انه رفع الى السماء السادسة فمات بها والحديث المتفق عليه

انه صلى الله عليه وسلم رآه في الرابعة وهو قول مجاهد وغير واحد وكان ولي
عهده ابنه متوشلخ وهو اول من ركب الخيل بعد آدم واول من اتخذ مصانع الماء
لمك بن متوشلخ ويقال اسمه لامخ واول من سكن القباب واقتنى المال تو بل بن
لمك والله اعلم نوح عليه السلام ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس قال ابن الجوزي
نوح اعجمي معرب واسمه السكن وقال تاج القراء في سورة هود كان اسمه ساكنا
بالتاء المثناة الفوقية وقال في سورة الاسراء في قوله تعالى انه كان عبدا شكورا
انه كان لا يلبس جديدا الا حمد الله عند لباسه وقيل كان يحمد على طعامه
وقال ابو الفضل هو اول من بعث الى اهل الارض واول من صام عاشورا شكرا
لاستقرار السفينة فيه بالسلامة واول من دعا من المضطرين في قوله تعالى
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واستجيب له قال تعالى في سورة
الانبياء ونوحا اذ نادى من قبل اي من قبل قوم لوطا و قبل ابرهيم ولوط
فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم اي على
القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين قال
البيضاوي اهلكهما الله بالغرق لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك
في الشر ولم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله تعالى وهو اول من صنع الآجر
قال ابو الوليد وحين بلغ عمر نوح خمسماية سنه ولد له سام وحام ويافث
وحين بلغ ستماية سنه مات جده الاعلا متوشلخ بن ادريس عن تسعماية
وتسعة وسبعين سنة وقيل وستين وابتدا الطوفان وكان قد عمل
السفينة فامره الله تعالى ان يحمل فيها اولاده المذكورين ونساءهم والمؤمنين
من ولد شيث ومن امر الله باخذه من الحيوان وعلا الماء على رؤس الجبال
خمسة عشر ذراعا ستة اشهر وعشرة ايام اولها حين استقروا في السفينة
مستهل رجب واخرها عاشر المحرم وفي لباب التفاسير في سورة هود انه
جاء في الخبران نوحا ركب في العاشر من رجب ونزل عنها في العاشر من المحرم
وكذا قال ابن الجوزي ثم استوت السفينة على جبل الجودي بعد ان دارت
بالبيت اسبوعا وقيل اربعين يوما والجودي بضم الجيم وبالدال المهملة
المكسورة وتشديد الياء آخر الحروف وقد تخفف بالسكون وقرئ بهما وقيل
الجودي بالجزيرة بل هو الجزيرة قريب من الموصل وقيل بناحية آمد وقيل
بالموصل وهو الصحيح وقد بلغني انه الى الآن من تطلب شيئا من آثار
السفينة من مسامير ودسر وخشب بالبراه بالجبل الذي بالموصل ولما
استقرت السفينة عليه مات من فيها كما ذكره القتيبي اول الباب واما
عمل السفينة فذكر تاج القراء ان الله تعالى امر نوحا بغرس الاشجار فغرسها
حتى ادركت وكانت اشجار ساج فقطعها حتى يبست ثم اتخذ منها السفينة
اقول وفي طول مدة عملها حجة على قوم نوح ان لا يقولوا اعجلنا بالغرق ولو امهلنا

لامنا

لآمنا وقيل كان طول السفينة ثلثماية ذراع وعرضها خمسون ذراعا وارتفاعها
ثلثون ذراعا وبابها في عرضها واصاب حام زوجته في السفينة فدعا
عليه نوح ان يغير نطفته فجاء بالسودان وفي سنا الامارة ان حام كان
ابيض فغير الله لونه والوان ذريته الى السواد لانه اطلع على عورة نوح
وهو نايم فضحك ولم يغطه ورد عليه اخويه فغطياه فعلم نوح ما فعل وفعلا فدعا
على حام ان يكون اولاده رعية الاولاد وغير لونه ودعا لسام بالبركة
فكانت الانبياء عليهم السلام كلهم بعد نوح من ولد سام ودعا ليافث
بالكثرة اقول ولذلك نسله اكثر من اخويه لان من نسله ياجوج وماجوج
وناهيك بكثرتهم وفي الكتاب المذكوران من ذرية سام ماش هو ابن ادم
ابن سام بن نوح وانه نزل ببابل فولد نمروذ بن ماش وهو الذي بنى الصرح
ببابل وملك خمسماية سنة وكان عمره تسعماية سنة وفي زمانه فرق الله
الالسنة على اثنين وسبعين لسانا وكان اللسان يومئذ عبرانيا فجعل في
ولد سام تسعة عشر لسانا وجعل في ولد حام ستة عشر لسانا وجعل في
ولد يافث سبعة وثلاثين لسانا انتهى وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال قال الحواريون لعيسى عليه السلام لو بعثت رجلا شهد السفينة
فحدثنا بها فانطلق عيسى بهم حتى اتى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا
من ذلك التراب قال اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا
كعب حام بن نوح ثم ضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قايم
ينفض التراب عن راسه قد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا بل
مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا
عن السفينة قال كان طولها الف ذراع ومايتي ذراع وعرضها ستماية
ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحش وطبقة
فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت ارواث الدواب اوحى الله الى
نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على
الروث فاكلاه فلما وقع الفار في السفينة جعل يقرضها وحبالها
وذلك ان الفار توالدت في السفينة فاوحى الله الى نوح ان اضرب بين
عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنوره فاقبلا على الفار فقال
له عيسى كيف علم نوح ان البلاد غرقت قال بعث الغراب ليأتيه بالخبر
فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يالف البيوت
ثم بعث حمامه فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم ان
البلاد قد غرقت فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها ان تكون
في انس وامان فمن ثم تالف البيوت قال فقالوا يا رسول الله الا ننطلق
به الى اهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له في

الحلقة التي في عنقها خ

الدنيا قال فقال له عد باذن الله فعاد ترابا ساق ابن كثير في تاريخه
الكبير قصة من شاهد السفينة كما ذكرت ثم قال في آخرها وهذا اثر غريب
جدا وعن وهب بن منبه انه قال لما امر نوح ان يحمل من كل زوجين
اثنين قال رب كيف اصنع بالاسد والبقر وكيف اصنع بالعناق
والذيب وكيف اصنع بالحمام والهر قال من القى بينهم العداوة قال
انت يا رب قال فانى االف بينهم فلا يتضررون والعناق بفتح العين
المهملة والنون المخففة هي الجذعة من المعز التى قاربت الحمل ونقل
الدميرى عن ابى القاسم القشيرى رضى الله عنه انه قال في تفسيره ان
الحية والعقرب اتتا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك فقال
نوح لا احملكما فانكما سبب الضرر والبلاء فقالتا احملنا ونحن نضمن
لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرا حين يخاف من مضرتهما سلام على نوح
في العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ما ضرتاه
وقيل ان نوحا اول من غرس الاشجار بامر الله كما تقدم واول من وضع
الطرقات المسلوكة وقيل اول من ملك الارض بعد آدم كيومرث وبعضهم
يقول فيه جيومرث بالجيم والفرس يزعمون انه آدم واهل الاخبار مختلفون
في امره فمنهم من قال انه تسمى بادم بعد ان ملك الاقاليم السبعة وانه انما
هو سام بن نوح كان بنوح بارا ولخدمته ملازما وعليه شفيقا فدعا
له ولذريته فطال عمره وتمكن في البلاد وانتصر على من ناواه واتصل
الملك به وبذريته ودام له ولهم اجابة لدعوة نوح عليه السلام الى مجى
الاسلام وسام هو ابو الفرس وقبر نوح عليه السلام يزار بقصبة تسمى
كرك نوح بالقرب من دمشق وقال ابن كثير في تاريخه الكبير روى ابن
جرير والازرقى عن عبد الرحمن بن سابط او غيره من التابعين مرسلا
ان قبر نوح بالمسجد الحرام وهذا اقوى واثبت من الذى يثبته كثير من
المتاخرين انه ببلدة بالبقاع بسفح جبل لبنان يقال لها الكرك او كرك نوح
وقد بنوا عليه هناك ضريحا طويلا والى جنبه جامع قد بنى بسبب ذلك
وعليه اوقاف ثم ذكر كلاما طويلا في ذلك ليس هذا محله انتهى وقال
ابو الوليد وارسل الله تعالى فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام هودا
وصالحا عليهما السلام فاما هود فهو من نسل سام بن نوح واسمه
منصرف كما تقدم عند اسم آدم ويقال له عيبر وعابر كما سيأتى في نسب
النبى صلى الله عليه وسلم وملخص كلام ابن الجوزى فيه في سورة الاعراف
ان الله تعالى ارسله الى عاد قبيلة فقال لهم يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره وكانوا طوالا كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا
فكذبوه فقال لهم انى رسول رب العالمين وقد بلغتكم الرسالة وانا

امين عليها واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق
بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد
وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اى وجب عليكم من ربكم ذلك قال
ابن عباس رضى الله عنهما عذاب وسخط والرجس والرجز بمعنى واحد قلبت
السين زايا قال تعالى فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين
كفروا وكذبوا وقال تعالى في سورة الحاقة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر
عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى متتابعة فترى
القوم صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية وكانت منازلهم باليمن وسياتى الكلام
على ايام الحسوم بالملحق بالباب الخامس قال الحافظ اسمعيل بن كثير في تاريخه
الكبير ما ملخصه ان الله تعالى لما بعث هودا الى قبيلة عاد فكفروا به امسك
الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكانت العماليق اذ ذاك
مقيمون بمكة وكان سيدهم اذ ذاك معاوية من بكر وكانت امه من قوم عاد
قال فبعث عاد وفدا قريبا من ستين رجلا الى الحرم ليستسقوا لهم عند
البيت فمروا بمعاوية فنزلوا عليه واقاموا عنده شهرا يشربون الخمر فلما
طال مقامهم عنده واخذته شفقة على قومهم واستحيا منهم ان يامرهم
بالانصراف عنه عمل شعرا منه

الا يا قيل ويحك قم فهينم	لعل الله يصبحنا غماما
فيسقى ارض عاد ان عادا	قد امسوا لا يبينون الكلاما

وامر جاريتين عنده فغنتا بالابيات فعند ذلك تنبه القوم لما جاؤا اليه
فنهضوا الى الحرم ودعوا لقومهم وكان داعيتهم قيل بن عنز فانشا الله
تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد منهم اختر لنفسك
ولقومك من هذه السحابات واحدة فقال اخترت السوداء فانها اكثر السحاب
ماء فناداه مناد اخترت رمادا ارمدا لا تبقى من عاد احدا لا والدا
ولا ولدا الا جعلته همدا الا بنى اللوذية المهدا قال وهم بطن
من عاد كانوا مقيمين بمكة فلم يصبهم ما اصاب قومهم قال ومن بقى
من انسالهم واعقابهم هم عاد الآخرة وساق الله تعالى السحابة السوداء
التى اختارها قيل بن عنز بما فيها من العذاب والنقمة الى عاد حتى خرجت
عليهم من واد يقال له المغيث فلما راوها استبشروا وقالوا هذا عارض
ممطرنا فقال تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ
بامر ربها فكان اول من ابصر ما فيها من العذاب امراة من عاد يقال لها
مهد فلما تبينت ما فيها صاحت واغمى عليها ثم صعقت فلما افاقت قالوا ما رايت
يا مهد قالت رايت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها

الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى دايمة فلم تدع من عاد احدا الا
هلك وقال ابو الوليد قيل لم يسلم من قوم هود غير شخص اسمه لقمان غير لقمان
الحكيم الذى كان على عهد داود عليه السلام وكان لقمان هود قد توجه الى مكة
يستسقى لهم من جدب حصل لهم فقال له الله تعالى قبل هلاك قومه اختر
ولا سبيل الى الخلود قال رب اعطنى عمر سبعة انسر فكان ياخذ الفرخ حين
يخرج من البيضة حتى اذا مات اخذ غيره وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة
وكان اسم النسر الذى مات معه لبد قال فى الصحاح لبد منصرف لانه ليس
بمعدول والعرب تزعم ان عادا لما اهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات
سمر من اظب عفر فى جبل وعر لا يمسها القطر وبقاء سبعة انسر كلما
هلك نسر خلف بعده نسر فاختار النسور وكان آخر النسور اى نسوره
يسمى لبدا وقد ذكرته الشعراء قال النابغة

اضحت خلاء واضحى اهلها احتملوا ... اخنى عليها الذى اخنى على لبد

ويقال ان النسر يعيش الف سنة وانه سلطان الطير كما تقدم فى بخت نصر
فى الباب الثانى وفى الحديث المذكور عند اسم آدم عليه السلام انه سيد الطير
قال الدميرى وهو حاد البصر يرى الجيفة من اربعماية فرسخ واذا شم الطيب
مات لوقته وهو اشد الطير طيرانا حتى انه يطير ما بين المشرق والمغرب فى
يوم واحد وقبر هود عليه السلام على ما يقال باعلا جبل صغير شمالى
بلدتنا حلب على كتف مقطع الحجارة الحوارة المعروف بالحنافيه وحوله كروم
ويقال انه كان قلعة لهود ويعرف هذا المكان يومئذ بقليعة اليهود
والى يومنا هذا يخرج كل يوم جمعة بعد العصر رجل من اليهود الى الجبل المذكور
ويقد عند القبر قنديلا ومصباحا اى سراجا والله اعلم وقال الكسائى فى
قصصه انه مات بحضرموت من اليمن وان عليا رضى الله عنه سال رجلا من
بلاد اليمن من حضرموت اتعرف موضع الاثلة والسدرة الحمراء التى يقطر منها
الدم فقال الرجل كانك تسالنى عن قبر هود عليه السلام قال نعم قال هو بكهف
جبل فى بلاد الاحقاف دخلت عليه فوجدته على سرير من ذهب عليه اكفان
كانها الهباء وعند راسه حجر مكتوب عليه بالخط السندى لا اله الا الله محمد
رسول الله وعلى السطر الثانى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
والسطر الثالث انا هود بن الجريان رسول الى بنى عاد جئتهم بالرسالة وبقيت
فيهم مدة من عمرى فكذبونى فهلكوا بالريح العقيم وسيجى من بعدى صالح بن
كانوه فيكذبوه قومه فتاخذهم الصيحة فيصبحوا فى ديارهم جاثمين انتهى
وقال الحافظ ابن كثير فى تاريخه الكبير عن ابن تيمية انه قال وما يعتقده كثير من
الجهال ان قبر هود عليه السلام فى حايط جامع دمشق القبلى ليس بصحيح وانما
هو قبر معاوية بن ابى سفيان دفن فيه خوفا عليه ان ينبش وكذلك قبر امير المؤمنين

على بن

على بن ابى طالب رضى الله عنه فى حايط جامع الكوفة وقبر عمرو بن العاص فى
جامع مصر المنسوب اليه دفنوا فى هذه المواضع خوفا عليهم من الخوارج
ان ينبشوهم ليلا وقبر هود عليه السلام بالمسجد الحرام فان النبى من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام كان اذا اهلك الله تعالى قومه عامة اتى الى الحرم
الشريف فعبد الله فيه ومن معه من المؤمنين حتى يموتوا والله سبحانه وتعالى
اعلم انتهى صالح عليه السلام اسمه منصرف وقد تقدمت قصته فى كلام
الفقيه قال الله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اى ارسلنا الى قبيلة ثمود
وسميت البئر التى سقوا بها ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل الذى لا
مادة له قاله ابن فارس وكانت منازلهم بوادى القرى بين المدينة
الشريفة والشام ذكره تاج القراء فى سورة هود وقوله تعالى فاصبحوا فى
دارهم جاثمين فيه اقوال اصبحوا رمادا جاثما قال ابو عبيدة الجثوم للناس
والطير بمنزلة البروك للابل وقال ابن قتيبة هو البروك على الركب وقال
تاج القراء هو السقوط على الوجه قال ابو الوليد وسار صالح بعد هلاك
قومه الى فلسطين وهو بكسر الفاء يليها فتح ثم سكون ثم كسر ثم انتقل الى الحجاز
وعبد الله حتى مات وقال الكسائى انه ارتحل الى الشام الى فلسطين فكان بها
الى ان مات وقبره هناك وفى تاريخ حلب لابن شداد ما ملخصه انه يقال ان
مقام صالح بجبل الطور المجاور لقنسرين وهى حلب العتيقة ويقال ان الناقة
خرجت منه وبه اثار اقدام بعير وفيه نظر لان صالحا عليه السلام
كانت قصته بالحجر بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم بعده وانما هذا المشهد
من بناء صالح بن على بن العباس فان له اثارا بحلب وقنسرين فنسب المشهد
الى صالح عليه السلام انتهى اقول وهذا المكان مشهور الان لمقام العيص عليه
السلام وسياتى الكلام عليه عند اسم العيص ابرهيم صلوات الله عليه قد
تقدم عند ذكر اسم ادريس عليه السلام لابرهيم عليه السلام اسمين هما ابرهيم
وابراهام وتقدم فى كلام الفقيه ان الله تعالى انزل عليه عشرين صحيفة وهى ما
انزل على موسى عليهما السلام الصحف الاولى قال صاحب نثر الدر مكتوب فى
الصحف الاولى اذا اغنيت عبدى عن طبيب يستشفيه . وعافى يداخيه
وعن باب سلطان يستعديه . وعن جار يؤذيه . فقد اسبغت عليه
النعم وهو من ذرية سام بن نوح عليهما السلام ويقال انه انتقل الى حرم الله
تعالى فاقام به حتى مات قال ابن كثير فى تاريخه الكبير وقد ذكروا فيه ان
قوم صالح وكان له اخوات وابو لوط وساره وناحور اولاد تارح بالحاء المهملة
وعند اهل الكتاب بالمعجمة وهو آزر وساره هى زوجة ابرهيم الخليل وكان اذ ذاك
يريد ان يتزوج ابنة اخيه وكان ابرهيم عليه السلام قال ابن كثير وروى ابن
عساكر من غير وجه عن عكرمة انه قال كان ابرهيم عليه السلام يكنى ابا الضيفان

قالوا ولما كان عمر تارح خمسا وسبعين سنه ولد له ابرهيم عليه السلام وناحور
وهاران وولد لهاران لوط وولد ابرهيم بارض الكلدانيين وهي بابل على الصحيح
المشهور عند ارباب السير والتواريخ واما ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال ولد ابرهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزه في جبل يقال له قاسيون
فالصحيح انه مولود ببابل وانما نسب اليه هذا المقام الذي ببرزه لانه صلى فيه
لما جاء معينا لابن اخيه لوط انتهى ملخصا وسياتي ان لوط عليه السلام
كان ابن عمه وكان يلقب بخليل الله ومعنى الخليل الصفي او المصافي او المحب
الذي ليس في محبته خلل وقيل الفقير وقيل من الخلة بفتح المعجمة وهي الخصلة
فانه تخلق بخلال حسنة اختصت به وقيل غير ذلك قال ابن الجوزي في تفسير
سورة النساء ما ملخصه سبب اتخاذ الله له خليلا لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يا جبريل لم اتخذ الله ابرهيم خليلا قال لاطعامه الطعام وقيل لكسره
الاصنام وجداله قومه وفي تاريخ بن كثير ان عبيد بن عمير قال كان ابرهيم
عليه السلام يضيف الناس فخرج يوما يلتمس انسانا يضيفه فلم يجد احدا
فرجع الى داره فوجد فيها رجلا قايما فقال له يا عبد الله من ادخلك داري
بغير اذني قال دخلتها باذن ربها قال ومن انت قال انا ملك الموت ارسلني
ربي الى عبد من عباده ابشره ان الله اتخذه خليلا قال ومن هو فوالله
لان اخبرتني به ثم كان باقصى البلاد لاتينه ثم لا ابرح له جارا حتى يفرق
بيننا الموت قال ذلك العبد هو انت يا ابرهيم قال انا قال نعم قال فبم اتخذني
الله خليلا قال لانك تعطي الناس ولا تسالهم رواه بن ابي حاتم انتهى وقيل
ان الناس اصابتهم سَنَةٌ اي جدب فاقبلوا الى باب ابرهيم يطلبون الطعام
وكانت له ميرة اي طعام ياتيه من صديق له بمصر في كل سنة فبعث
غلمانه بالابل الى صديقه فلم يعطهم شيئا فقالوا لو احتملنا رملا من
هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جينا بميرة فملاوا الغراير رملا ثم اتوا
الى ابرهيم فاعلموه فاهتم لاجل الخلق فنام وجاءت ساره زوجته وهي
لا تعلم ما كان ففتحت الغراير فاذا دقيق حواري فامرت الخبازين فخبزوا
واطعموا الناس فاستيقظ ابرهيم فقال من اين هذا الطعام فقالت من
عند خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله فيومئذ اتخذه الله
خليلا رواه ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما الميرة بكسر الميم وسكون
الياء اخر الحروف وفتح المهمله وهاء بعدها الطعام والحواري بالحاء
والراء المهملتين قال في الصحاح الحوارى بالضم وتشديد الواو والراء
مفتوحة ما حور من الطعام اي بيض وهذا دقيق حوارى انتهى وحاصله
وصف الدقيق بالبياض فان الحور البياض ويأتي في غيره وابو ابرهيم
تارح وهو آزر والصحيح يتصل نسبه بسام بن نوح كما ياتي في

النسب

النسب المحمدي صلى الله عليه وسلم ومعنى ابرهيم اب رحيم او راحم وفيه
لغتان على ما سياتي في الباب السابع في نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم
وتحرير ذلك قال ابو الوليد انزلت عليه الصحف قال وروى ابو ذر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال هي امثال منها ايها السلطان المغرور اني لم ابعثك
لتجمع الدنيا ولكن لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من كافر
وعلى العاقل ان تكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن
عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه انتهى وقال الله تعالى في حقه في
سورة الانعام ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلهم وفقنا
وارشدنا ثم قال تعالى ونوحا هدينا من قبل اي من قبلهم وانما ذكر الله نوحا
لانه جد ابرهيم ثم قال تعالى ومن ذريته اي ذرية ابرهيم داود وسليمان وايوب
ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس
كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين
ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم
ولهذا يقال هو ابو الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وقال تعالى في
حقه في سورة النحل واتيناه في الدنيا حسنة قال القاضي البيضاوي بان حببه
للناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا
طويلا في السعة والطاعة وله اوليات كثيرة ذكر منها الفقيه ما ذكر ومنها
السواك وسياتي في الباب السبعين في الطب فان الفقيه فيه ما فيه من
الخصال وذكر السجستاني في غريب القرآن في قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم
ربه بكلمات فاتمهن اختبره بما تعبده من السنن قيل وهي عشر خصال خمس منها
في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في
البدن الختان وحلق العانة والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط فاتمهن
فعمل بهن ولم يدع منهن شيئا انتهى قيل حلق الراس مكان فرق شعره عن ابن عباس
اي فرق شعره فهذه العشرة من اولياته عليه الصلاة والسلام وحلقه
الشارب بالموسى يكره لما روي عن عبد الله بن عمر انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس منا من حلق ولان في ذلك مثله وذهابا لماء الوجه
وجماله وفي بقاء اصول الشعر زينة وجمال نقل ذلك عن الفقيه ويقال في
حلق العانة حد عانته بالحاء المهملة والدال المهملة المشددة اي ازال شعرها
بالحديد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الكلمات ثلاثون خصلة عشرة
في براءة في قوله تعالى التائبون العابدون وعشرة في الاحزاب في قوله تعالى ان
المسلمين والمسلمات وعشرة في اول المؤمنين والمعارج وفي شرح الآثار للطحاوي
ان من اهل المدينة من ذهب الى قص الشارب وخالفهم من ذلك آخرون
فقالوا بل يستحب حفاء الشوارب ونراه افضل من قصها واحتجوا في ذلك

بما روى عن ابن عباس انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجز شاربه
قال وقد ثبتت الاخبار بالقص والجز فيحتمل ان تكون الفطرة هي التي لابد منها
وهي قص الشارب وهي احسن وافضل وهذا مذهب ابي حنيفة وابي يوسف
ومحمد وقد روى عن جماعة من المتقدمين منهم انس بن مالك وواثلة
ابن الاسقع كانا يحفان عن شواربهما ويعفيان عن لحاهما ويصفرانها
وكذلك روى عن عبد الله بن عمر وابي هريرة وابي سعيد الخدري وغيرهم
انهم كانوا يفعلون ذلك وكان ابن عمر يحف شاربه حتى ان اكله يزدري فهؤلاء
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يحفون شواربهم وفيهم
ابو هريرة وهو ممن روينا عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من الفطرة قص الشارب فدل ذلك على ان قص الشارب من الفطرة وهو لابد
منه وان ما بعد ذلك من الاحفاء هو افضل وفيه من اصابة الخير ما ليس في
القص انتهى ملخصا رجع ثم هو ويقال في حلق العانة وانا اذكر من اوائل اشياء
غير ذلك قال ابو الفضل هو اول من سمي بهذا الاسم واول من اتخذ الضيافة
كان يمشي في طلب من ياكل معه ميلا او ميلين وسياتي الكلام على الميل والفرسخ
والبريد بالملحق بهذا الباب وفي نوادر الاخبار ان ابرهيم الخليل عليه الصلاة
والسلام استضاف به رجل مجوسي فقال له ابرهيم ما اضيفك حتى تخرج عن
دينك فتركه المجوسي وانصرف فاوحى الله تعالى اليه يا ابرهيم ما تضيفه حتى
يخرج من دينه ما ضرك لو اضفته هذه الليلة نحن لنا سبعون سنة نطعمه
ونسقيه وهو يكفر بنا فلما اصبح طلب المجوسي فوجده فحلف عليه فقال له
المجوسي ما اعجب امرك بالامس تطردني واليوم تطلبني فاخبره ابرهيم عليه
السلام بالقصة فقال المجوسي ذو يعاملني رب الارباب بهذه المعاملة
امدد يدك انا اشهد ان لا آله الا الله وانك رسول الله وهو اول من قلم
اظفاره بتشديد اللام قال في الصحاح قلمت ظفري وقلمت اظفاري شدد للكثرة
انتهى وهو اول من شاب واول من اختضب بالحنا والكتم ولما رأى الشيب
في عارضه قال يا رب ما هذا التشويه الذي شوهت بخليلك فاوحى الله
اليه يا ابرهيم هذا سربال الوقار هذا نور الاسلام وعزتي وجلالي ما البسته
احدا من خلقي يشهد ان لا آله الا انا وحدي لا شريك لي الا واستحييت يوم
القيمة ان اعذبه بالنار او انصب له ميزانا او انشر له ديوانا فقال يا رب
زدني وقارا وراسه ولحيته مثل الثغامة اتوا الرجال القميص والثغامة
قال في الصحاح الثغام بالمثلثة المضمومة والغين المعجمة نبت يكون بالجبل
يبيض اذا يبس ويشبه به الشيب الواحدة ثغامة وسياتي شيء مما يتعلق
بالشيب والخضاب بالملحق باسم ابرهيم عليه السلام وهو اول من صافح
وقبل بين العينين واول من عانق ذنعم تميم زاد في الفردوس وكان قبل

ذلك

ذلك السجود هذا يسجد لهذا وهذا يسجد لهذا اذا هو لقيه فجاء الاسلام
بالمصافحة وذكر ابن الجوزي في كتاب المنتخب ان اول من احدث المصافحة اهل
اليمن ولعلهم اول ما احدثوها في الاسلام بعد ان نسيت سنة ابرهيم عليه
السلام وستاتي معانقته عند اسم ملكه ذي القرنين ولا تفترق الاصابع حتى
يغفر لكل واحد منهما وذكر الطحاوي في شرح الاثار ما في المعانقة ذكر فيه
خلافا بين الامام ابي حنيفة ومحمد وبين ابي يوسف فقد روى عن انس بن
مالك انهم قالوا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض اذا التقينا قال لا
قالوا فيعانق بعضنا بعضا قال تصافحوا قال الطحاوي وذهب قوم اخرون
الى هذا فكرهوا المعانقة منهم ابو حنيفة ومحمد وخالفهم في ذلك اخرون
فلم يروا بها باسا وممن ذهب الى ذلك ابو يوسف وكان مما احتجوا به في ذلك
ما روى عن عبد الله بن جعفر عن ابيه قال لما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم
عند النجاشي تلقاني واعتنقني وعن الشعبي قال وافق قدوم جعفر مع
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ادري باي الشيئين انا اشد
فرحا بفتح خيبر ام بقدوم جعفر ثم تلقاه فاعتنقه وقبل بين عينيه وعن
عايشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيتي فقرع الباب فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا والله
ما رايته عريانا قبله فاعتنقه وقبله واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد كانوا يتعانقون فدل ذلك على ان ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اباحة المعانقة متاخر عما روى عنه من النهي عن ذلك فبذلك ناخذ
وهو قول ابي يوسف انتهى واول من صلى اول النهار اربع ركعات واول من
سمى هذه الامة المسلمين واول كلمة قالها حين القي في النار حسبي الله
ونعم الوكيل قاله الشعبي عن النخعي وثبت في الصحيح انها اخر كلمة قالها
والجمع بينهما انه بدا بها وختم بها وقيل انه ما زاد على ان قال اف لكم ولما
تعبدون من دون الله واول ما صنع المنجنيق له وسياتي بالملحق به
وهو اول من عقد الالوية وعين في صف القتال الميمنة والميسرة وقلبا
واول من آمن به لوط بن عمه ولما نجاهما الله تعالى من نمرود وقومه خرجا
ومعهما سارة اخت لوط زوجة ابرهيم من ارض العراق من قرية اسمها
كوثى الى ارض الشام وذلك قوله تعالى في سورة الانبياء ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها وفي قوله تعالى في سورة سبا وجعلنا بينهم
وبين القرى التي باركنا فيها قال القاضي البيضاوي بارك بالتوسعة
على اهلها وهي قرى الشام وفي لباب التفاسير التوسعة عليهم في النعم والماء
والشجر وهي الشام والاردن وفلسطين وبيت المقدس وفي تاريخ بن كثير
ان لوطا كان ابن اخي ابرهيم ذكر ذلك عند ذكر هجرة ابرهيم عليه السلام

الى الشام ثم ذكر بعد ذلك عند ذكر اولاد ابرهيم عليه وعليهم الصلاة والسلام
ان اول من ولد له اسمعيل من هاجر القبطيه المصريه ثم ولد له اسحق من سارة بنت
عمه وقد تقدم في اول الكلام على ابرهيم عليه السلام انها بنت اخيه فليحرر ويتامل
وقيل لارض الشام الارض المباركة لان الماء العذب ينزله الله تعالى من السماء
الى صخرة بيت المقدس ومنها يتفرق في سائر الارض **وقال** البيضاوي في قوله
تعالى في سورة الفرقان وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا
ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى
اكثر الناس الا كفورا قال اي صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر
الكتب والمطر بينهم في البلدان المختلفه والاوقات المتغايرة والصفات
المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عام امطر
من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الاية او في
الانهار والمنابيع انتهى **وقيل** لان اكثر الانبياء منها وهي على الحديث الذي
رواه ابن العديم مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن البركة
التي بورك في الشام اي موضع حده فقال صلى الله عليه وسلم اول حدوده
عريش مصر والحد الاخر البثنيه والحد الاخر الفرات والحد الاخر جبل فيه
قبر هود انتهى وقد ذكرنا عند اسم هود ان قبره براس جبل شمالي حلب بغرب
فان صح ذلك فحلب اخر الارض المقدسه عرضا وما هو غربيها ليس من الارض
المقدسه وقال بعضهم ان حده الجنوبي العريش من جهة مصر وحده الشمالي
بلاد الروم وحده الشرقي البادية من ايله الى الفرات وحده الغربي بحر الروم
وسياتي شيء من حدود الشام وفضائلها الملحق بالباب الاول عند ذكر تقسيم
الاقاليم السبعة **رجع قال** ابن شداد في تاريخ حلب وكان ابرهيم الخليل عليه
السلام اذا اشتمل من الارض المقدسه اي اذا قصد التوجه الجهة الشمال
ينتهي الى تل حلب وهو الان قلعتها فيضع فيه اثقاله ويبث رعاته الى نهر
الفرات وكان مقامه بهذا التل يحبس بعض الرعاء بما معهم من الاغنام
والمعز والبقر فكان الضعفاء اذا سمعوا بمقدمه اتوه من كل وجه من بلاد
الشمال فيجتمعون مع من اتبعه من الارض المقدسه لينالوا من بره فكان
يامر الرعاة بحلب ما معهم طرفي النهار ويامر ولده وعبيده باتخاذ الطعام
فاذا فرغ له منه امر بحمله الى الطرق المختلفه باباء التل فينادي الضعفاء
ابرهيم حلب فيتبادرون اليه ولذلك سمي التل حلب ثم لما عمرت البلدة سميت
به انتهى **وللخليل** عليه السلام الان بحلب ثلاث مقامات الاول الاعلى منها
باعلا القلعة وهو المسجد الجامع وهو مكان مبارك ولقد رايت في سنة
ثلاث او اربع وتسعين وثمانماية صفة طيور اتت الى منارته وما حولها من
الطيور التي تاتي في كل سنة الى المقام النبي حزقيل المعروف الان بعقيل البابي

وتزوره

وتزوره على ما ياتي ذكره عند اسم الياس وذكر الرشيد داود بهذا المقام الاعلى
حجرة كان يجلس عليها الخليل عليه السلام لحلب المواشي على ما ياتي عند ذكر الياس
عليه السلام **و**المقام الثاني بالقلعة المذكورة ايضا ويقال له الاوسط
لانه في وسطها او لانه بين اثنين الاعلى والادنى وبه حجر يقال ان ابرهيم
عليه السلام كان يذبح فيه القربانات ويحلب فيه الماشية قال ابن شداد
وفيه صخرة لطيفة تزار ويقال ان ابرهيم كان يجلس عليها ايضا ويقال ان
المقام الثالث ظاهر حلب من جهة القبلة بناء الملوك المتقدمين من
المسلمين وهو الان والمقام الاوسط كل منهما يعرف لمقام الخليل بخلاف
الاعلى الذي هو جامع القلعة الان فان كثيرا من الناس لا يعلمون انه مقامه
عليه السلام وسمي باب حلب القبلي بباب المقام لان منه يخرج الناس الى
المقام الثالث المذكور وهو الان كما قال ابن شداد مشهد مقصود من كل
الاقطار وفي داخل محرابه صخرة يقال ان ابرهيم عليه السلام كان يجلس عليها
وهي بارزة عن العمارة وفي الرواق القبلي منه مما يلي الصحن صخرة مرتفعة
فيها نقرة قيل انه كان يحلب فيها غنمه اقول وفي الرواق المذكور صفة
قدمه الشريف غايص في بلاطة من صخر وبلاطة من الرخام الابيض قديمة
لا يشك احد في انها من زمنه عليه السلام يقال انه كان يصلي عليها
وله مقام اخر بغربية نوابل بالنون والياء اخر الحروف من شرقي حلب على جبل
بزار ذكره ابن شداد في تاريخ حلب **ودفن الخليل** عليه السلام بالقرية المعروفة
بالقرب من بيت المقدس وتعرف بمزرعة حبرون وقيل بل هي مزرعة عفرون
كان الخليل اشتراها للقبره كذا في سنا الاماره ويرد عليه الزوار بها وسماط
يجري بها الى الان غير مقطوع ولا ممنوع وسياتي بالملحق بالباب ١٣ قبره ظهر
في ايام ابنه المسترشد بالله اذ منصور الفضله في سنة ٥١٣ وسياتي في
الباب الحادي والخمسين من هذا الكتاب انه عليه السلام كان بزارا ابين
مجنبين **لوط عليه السلام** اسم اعجمي منصرف لما تقدم عند اسم ادم ولما هاجر
ابراهيم ولوط الى الشام كما سبق نزل ابرهيم بفلسطين وقد تقدم ضبطها
عند ذكر اسم صالح ونزل لوط بسدوم وهي المؤتفكه على مسيرة يوم وليلة
من قرية ابرهيم قال تاج القرا كان بين القريتين اربعة فراسخ وفي قوله
تعالى في سورة العنكبوت ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة
ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل
وتاتون في ناديكم المنكر قال **الفاحشة** اللواط واتيان الرجال مواقعتهم
وقطع السبيل قطع الطريق بالقتل واخذ المال او سبيل الولد باتيان
الادبار وتعطيل التزوج او باللواط بالغربا حتى انقطعت الطرق خوفا
منهم واتيانهم في ناديهم المنكر اي في مجالسهم وعند كل واحد منهم

قيل كانوا يجامعون في المحافل فعل الحمير وقيل المنكر لعب الحمام والصفير والحذف
ومضغ العلك وحل ازار القبا وفي تاريخ ابن كثير انهم كانوا يتضارطون في
مجالسهم ولا يستحيون من مجالسيهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان قوم لوط كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل واحد منهم قصعة فيها
حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه كان اولى به فذلك قوله
تعالى وتاتون في ناديكم المنكر وعنه صلى الله عليه وسلم اياكم والخذف
فانه لا ينكا عدوا ولا يقتل صيدا ولكن يفقا العين ويكسر السن وعنه
عليه الصلاة والسلام كانوا يخذفون اهل الطرق ويسخرون بهم ويبزق
بعضهم على بعض قال في المغرب الخذف بالمعجمتين ان ترمي بحصاة او نواة
او نحوهما تاخذها بين سبابتيك وقيل ان تضع طرف الابهام على طرف السبابة
وترمي وهو من باب ضرب يضرب ولما ارسل الله تعالى رسله الى ابراهيم يبشرونه
باسحق ومن وراءه يعقوب واخبروه باهلاك اهل سدوم لكفرهم بتكذيب
لوط كما ورد في اواخر سورة هود قال لهم ابراهيم انهلكونهم وفيهم لوط
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين ۰
اي الباقين في العذاب وسببا في سبب وقوعها في العذاب من انها كانت
تخبر عن عند لوط وانها كانت كافرة فلما اتت الرسل لوطا ظنهم اضيافا فسيء
بهم وخاف عليهم من قومه ان يتناولوهم بالفجور بحسب عادتهم فقال له
الرسل لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين
انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون فانتسف
جبريل عليه السلام المدينة ومن فيها باحد جناحيه فجعل عاليها سافلها
وتبعت الحجارة من كان غائبا منهم فذلك قوله تعالى في سورة هود فلما
جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة
عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد وقال تاج القراء في تفسير سورة ص
عن عطاء ما من احد من الانبياء الا يقوم معه يوم القيمة قوم من قومه
الا لوط عليه السلام يقوم وحده اقول وذلك لعدم ايمان احد منهم به مع
كثرتهم فانه قيل انهم كانوا اربعماية الف بيت في كل بيت عشرة وما في
خلاف ذلك مما في تاريخ ابن كثير وروى تاج القراء عن زيد بن ثابت رضي الله
عنه انه قال لو كان للوط مثل رهط شعيب وهم قومه وقبيلته لجاهد
بهم قومه وجواب لو محذوف في قول لوط لقومه في اواخر هود لو ان لي بكم قوة
او اوي الى ركن شديد تقديره لدفعتكم قال ابن عباس رضي الله عنه ما بعث
الله بعد هذه الكلمة من لوط نبيا الا في عزة وثروة من قومه وفي تاريخ ابن
كثير ما ملخصه قال السدي خرجت الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل
عليهم الصلاة والسلام من عند ابراهيم عليه السلام نحو قوم لوط فاتوه بنصف

النهار

النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لاهلها وكانت له
ابنتان فقالوا لها يا جارية هل من منزل فقالت لهم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم
خوفا عليهم من قومها فاتت اباها فذكرت له امرهم وقالت يا ابت ادرك فتيانا
على باب المدينة ما رايت احسن منهم لا ياخذهم قومك فيفضحوهم وقد كانوا
نهوه ان يضيف رجالا فجاءهم الى منزله ولم يعلم احد بهم الا اهل بيته فخرجت
امراته فاخبرت قومها فقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت احسن وجوها منهم
قط فجاءه يهرعون اليه وقوله تعالى ومن قبل كانوا يعملون السيئات اي هذا
مع ما سلف لهم من الذنوب العظيمة الكثيرة قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر
لكم يرشدهم الى ان ياتوا نساءهم فيغشوهم وهن بناته شرعا لان النبي للامة
بمنزلة الوالد كما روي وورد في الحديث وكما قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم وفي قراءة ابي عمرو وغيره وهو اب لهم وهذا
كقوله تعالى اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم
وقوله فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس فيكم رجل رشيد اي عاقل بل جميعكم
سفهاء كفرة وقال تعالى وجاء اهل المدينة يستبشرون الى قوله فقال هؤلاء
بناتي ان كنتم فاعلين فامرهم ان ياتوا نساءهم وحذرهم من الاستمرار على قبيح
فعلهم هذا وهم في ذلك لا ينتهون بل كلما لهم يبالغون في طلب الضيفان
ولا زال لوط عليه السلام يمانع قومه عن الدخول عليهم والباب مغلق
بينهم وبينهم فلما ضاق الامر ابدت له الملائكة وقالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك وذكر ان جبريل عليه السلام خرج عليهم فضرب وجوههم
خفقة بطرف جناحه فطمس اعينهم حتى قيل انها غارت بالكلية فرجعوا
يتحسسون مع الحيطان ويتوعدون لوطا ويقولون اذا كان الغد كان لنا
وله شان ثم قال تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا
عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر وذلك ان الملائكة امروا لوطا
بان يسري باهله من آخر الليل وان لا يلتفت منهم احد عند سماع صوت العذاب
وان يسير في آخرهم كالسائق لهم وقال الملائكة مبشرين للوط بهلاك قومه
ان موعدهم الصبح فاستبطا لوط ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب قيل اقتلع
جبريل تلك المدن وكن سبع مداين لمن فيهن من الامم بطرف جناحه يقال انه
كان فيهن اربعماية الف وقيل اربعة آلاف نسمة والاول ارجح وقيل كان فيهن
سبعماية الف وما معهم من الحيوانات وما يتبع ذلك من القرى والاماكن
والاراضي فرفع الجميع على طرف جناحه حتى بلغ بهم عنان السماء حتى قيل ان
الملائكة سمعوا اصوات ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها
سافلها قال مجاهد فكان اول ما سقط منها شرفاتها ثم اتبعهم المطر من
حجارة من سجيل فارسي معرب هو الشديد الصلب القوي منضود اي يتبع

بعضه بعضا فى نزوله عليهم من السماء مسومة اى معلمة مكتوب على كل
حجر اسم صاحبه الذى يرمى به ويهبط عليه فيدمغه فلم يسلم منهم احد
من الحاضرين والغايبين ولا من نسلهم ولا اولادهم الحاصل امراة لوط
على دينهم وعينا لهم على من يكون عند لوط من الضيفان وهذه خيانتها
فى الدين لا انها فعلت فاحشة الزنا فان الله تعالى لم يقدر على نبى ان تبغى
امراته كما قال ابن عباس وغيره من الايمة سلفا وخلفا قالوا ما بغت امراة
نبى قط ومن قال بخلاف ذلك فقد اخطا خطأ فاحشا وقد جعل الله
مكان تلك المدن بحرة منتنة لا ينتفع بمايها ولا بما حولها اهل تلك البلاد
المزاحم لفنايها ولا غيرهم لرداتها فصارت عبرة ومثلة وعظة واية
دالة على قدرة الله تعالى وانتقامه ممن خالف امره ودليلا على رحمته
بعباده المومنين ونقل عن الحافظ عبد الحق الاشبيلى انه ذكر بعض اسباب
لسوء الخاتمة منها فاحشة اللواط وكان بعض اللوطية يحب صبيا اسمه
اسلم فمرض لما به من محبته فوعده الصبى ان يعوده فجاء ليعوده فلما كان
فى اثناء الطريق قال للساعى بينهما انه قد ذكرنى وخوفه بانى ولا ادخل انا
مداخل الريب ثم انصرف عنه الصبى راجعا ولم ياته فلما سمع العليل
برجوعه عاد الى اشد ما كان عليه من العلة وبات وكون قوم لوط
لم يومن احد منهم به واهلكهم اجمعين وان لوطا لم يتم معه احد من قومه
يوم القيمة وحده لعدم احد منهم آمن به يشكل بقوله تعالى فى سورة
الشعراء فى حق قومه وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى
ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين اذ يفهم من قوله وما كان اكثرهم
مومنين ان اقلهم كانوا مومنين ويجاب عن ذلك ان المراد ما كان اكثرهم
مومنين بل كلهم لم يكونوا مومنين انتهى اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام
وهو تعريب اشماويل قاله ابو منصور الجواليقى فى كتابه المعرب من
الكلام الاعجمى ومعناه مطيع الله وسماه الله صادق الوعد فى سورة
مريم لانه كان اذا وعد انجز قيل انه وعد رجلا ان يقوم مقامه حتى
يرجع اليه فاقام ثلاثة ايام مقام الرجل وفى رواية الكلبى انتظره
حتى حال الحول وامه هاجر وهو ابو العرب المستعربة واما العرب العاربة
فهم الذين كانوا قبله وهم قبايل كثيرة منهم عاد وثمود وجرهم ومدين
وعمالق وقحطان وغيرهم كذا فى التاريخ الكبير لابن كثير وهو اول من تعلم
العربية وتكلم بها قال ابن عبد البر فيما حكاه عنه السهيلى ان هذه الرواية
اصح من رواية من قال اول من تكلم بالعربية غيره يعنى ما ذكره الحافظ
اسمعيل بن كثير فى التاريخ الكبير انه قال وقيل ان هودا اول من تكلم بالعربية
وزعم بن منبه ان اباه اول من تكلم بالعربية وقال غيره اول من تكلم بها نوح

وقيل آدم

وقيل آدم وهو الاشبه وقيل غير ذلك والله اعلم والمراد ان اسمعيل اول من
تكلم بالعربية يعنى الفصيحة البليغة وكان قد اخذ كلام العرب من جرهم
الذين نزلوا عند امه هاجر بالحرم فانطقه الله تعالى بها فى غاية الفصاحة
والبيان وكذلك تلفظ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وهو اول
من ركب الخيل بعد آدم ومتوشلخ بن ادريس كما تقدم وكانت وحوشا لا تركب
روى ان الله تعالى اوحى اليه انى معطيك كنزا من كنوزى لم اعطه احدا قبلك
فاخرج فناد بالكنز ياتك فخرج اسمعيل وهو لا يدرى ما الكنز ولا كيف الدعاء
به حتى اتى الجبل المسمى باجياد فالهمه الله تعالى ان قال يا خيل الله اجيبى
فلم يبق فى بلاد العرب فرس الا اتاه فذللها الله تعالى له وامكنه من
نواصيها قال ابن عباس رضى الله عنهما فلذلك سمى الجبل باجياد وهو بالهمزة
المفتوحة قاله الجوهرى هو جبل بمكة سمى بذلك لموضع خيل تبع انتهى
ويحتمل ان اجياد جمع جيد وهو العنق ولما كانت خيل العرب مشهورة
بطول الاعناق سمى الجبل بذلك اى جبل ذوات الاجياد وقال تاج القراء
الجياد الطوال الاعناق مشتق من الجيد قال بعض العرب من ولد اسمعيل

ابونا الذى لم تركب الخيل قبله ... ولم يدر خلق قبله كيف تركب

ولا يناقض ذلك بما تقدم من ان اول من ركب الفرس آدم وبعده متوشلخ
فان التوفيق فى ذلك انه كما قيل فى متوشلخ بن ادريس انه اول من ركب الخيل
يعنى بعد آدم فكذلك اسمعيل اول من ركبها بعد الطوفان وقد ورد ما يويد
ان الشى قد يكون اولا بمعنى من المعانى وهو قوله صلى الله عليه وسلم
اول ما نهانى ربى بعد عبادة الاوثان عن ملاحاة الرجال وشرب الخمر يعنى
منازعة الرجال لفهما اولا ان باعتبار زمان نهاه عنه بعدهما ولنذكر شيئا مما
قيل فى الخيل روى صاحب ثمرات الاوراق فى كتابه المسمى
حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بطونها كنز وظهورها حرز
واصحابها معانون عليها وقال القاضى الفاضل فى وصفها من قصيدة قوله

لها غرر يستضحك النصر وجهها ... فتفهم منها العين معنى البشاير

وفى وصفها جرد بهن لكل عين جنة ... فاذا جرين اتين بالنيرات

يحكين فى البيداء للنعام رشاقة ... ويسرن فى الانهار كالحيتان

وقيل سال معاوية رضى الله عنه صعصعة ابن صوحان اى الخيل افضل
قال الطويل الثلاث القصير الثلاث العريض الثلاث الصافى الثلاث
فقال له معاوية فسر لنا ذلك قال الطويل الثلاث فالاذن والعنق والحزام
واما القصير الثلاث فالصلب والعسيب والقضيب واما العريض الثلاث
فالجبهة والمنخر والورك واما الصافى الثلاث فالاديم والعين والحافر
وذكر ابن حجة الحموى فى كتابه ان السايل الحجاج والمسؤول ايوب بن القرية

واما الجواب فكما ذكر غيرانه قال الرحب لثلاث مكان العريض الثلاث وقال
فى الطويل الثلاث الانف والعنق والذراع وفى القصير لثلاث العسيب والساق
والظهر وفى الرحب لثلاث الجوف والمنخر والجبهة وفى الصافى الثلث كما تقدم
وقال امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمرو بن معدى كرب كيف
معرفتك بعراب الخيل قال معرفة الانسان بنفسه واهله وولده فامر عمر
بافراس فعرضت عليه فقال قدموا الماء فى التراس فمن شرب ولم يلتفت فهو
من العراب ومن ثنى سنبكه فليس منها قال الجوهرى الحزام بالحاء المهملة
ما يربط على بطن الفرس والحزام ضد الهضم فقال فرس احزم وهو خلاف
الاهضم والهضم بالتحريك انضمام الجنبين فهو فى الفرس عيب قال الاصمعى
لم يسبق فى الحلبة فرس اهضم قط وانما الفرس بعنقه وبطنه والصلب
الظهر والعسيب الذنب منبته من الجلد والعظم والقضيب الذكر قاله فى
الصحاح وقضيب الحمار وغيره معروف والصافى ان كان بالمهملة ضد
المتكدر فلا يتصور فى الاديم اللهم الا ان يراد بصفاه قصر شعره فانه
يقال فى وصف شعر جلد الفرس ان يكون مثل وبر الكلب يعنى قصيرا وان
كان بالمعجم بمعنى الكثرة كما يقال ضفا المال اى كثر ورجل ضافى الراس اى
كثير شعره فعنيه ما فيه فليحرر والسنبك قال الجوهرى هو طرف مقدم الحافر
وقد تقدم فى اواخر الباب الاول ان الخيل مخلوقات من الريح انتهى وسياق
بعض اوصاف الخيل فى الباب الحادى والاربعين فى المسابقة عند اسم
سليمان عليه السلام بهذا الباب ومات اسمعيل عليه السلام بمكة ودفن
عند امه هاجر القبطية المصرية جارية سارة زوج ابرهيم وكانت قد
وهبتها له لما ايست من الولد فلما حملت باسمعيل غارت منها نعزلها عنها
الى مكة المشرفة وهو الذبيح على الصحيح اسحق بن ابراهيم عليه السلام وامه
سارة اخت لوط بنت عمران تزوج ابنة عمه فولدت له العيص ويعقوب
فى بطن وتوفى بالشام ودفن عند ابيه بمدينة الخليل ابرهيم وسياتى
قصته مع ولديه يعقوب وعيص عند اسم يعقوب

يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقصته مع اولاده يوسف واخوته
مشهورة وقد ذكر فى بعض التواريخ ان جميع الانبياء من نسله الا عشرة
وهم نوح وهود وصالح وشعيب وايوب ولوط وابرهيم واسمعيل

واسحق وهو

واسحق ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه ولعل المورخ غفل عن اخنوخ
ادريس والخضر وخالد بن سنان العبسى وحنظله بن صفوان الذى بعثه
الله الى اصحاب الرس فى الاستثنا وقبله قال ابن شداد فى تاريخه الاعلاق
الخطيرة فى تاريخ الشام والجزيرة وقبر خالد بن سنان بمشهد شرقى منبج
وهو صاحب الاخدود وهو الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حقه
نبى اضاعه قومه وولد ليعقوب اثنا عشر ولدا منهم يوسف وشمعون
ولاوى ويهوذا والاسباط من هولاء الاثنى عشر ولدا ومات يعقوب
عند ابنه يوسف بمصر واوصى ان يدفنه عند ابيه فسار به يوسف
الى الشام ودفنه عند ابيه بمدينة الخليل ثم عاد الى مصر ويقال ان عزرايل
عليه السلام علم يعقوب دعا لما ابيضت عيناه من الحزن لفقد يوسف
فلما دعا به لم يطلع الفجر حتى طرح على وجهه قميص يوسف فارتد بصيرا
والدعا المذكور هو ياذا المعروف الذى لا ينقطع ابدا ولا يحصيه غيره لا
عددا يوسف بن يعقوب عليهما السلام ذكره الفقيه بعد اليسع
مع اخوته الاسباط ولم يسم منهم احدا غيره فلذلك ذكرته بعد ابيه
قال ابو الفضل هو اول من اتخذ اللبن والكامخ فى السجن ولهذا يقال
اللبن ادام يوسف ذكر فى كتاب تجارب الامم وقال فى الصحاح الكامخ بفتح
الميم هو الذى يؤتدم به معرب بتشديد الراء والكنخ السلخ بالمهملتين
وفى نثر الدر ان اعرابيا قدم اليه كامخ قال من شئ يعمل هذا قالوا من
اللبن والحنطة قال اصلان ربما ذاى نحلب ولدا عجيبا ولكنهما اما تحبا
ولعل الكامخ هو الكشك لانه يتخذ من اللبن والحنطة وفيه يقول الشاعر
الكشك فتى غليظ محرك للسواكن • الاصل ثر ودرنم الجدود ولاكن
وفيه الاكتفا عن قول بعضهم نعم الجدود ولكن بئس ما خلفوا وقال
ابن الجوزى يوسف اول من عمل القراطيس ومات بمصر فى ملكه بعد موت
ابيه بثلاثة وعشرين سنة ودفن فيها الى ان نبشه موسى عليه السلام
وحمله معه حين سار بنى اسرائيل ودفنه عند الخليل وقيل ان الذى دفنه
يوشع بالقرب من نابلس كما نذكره عند ذكر يوشع ويقال ان يوسف كان
حباكا بالمهملة ثم بالموحدة التحتية المشددة وفى يوسف ست لغات ثلاث
بالواو مع فتح السين وكسرها وضمها وثلاث بالهمزة مكان الواو مع الحركات
الثلث فى السين ذكره بمعناه الحافظ البرهان الحلبى فى شرح الشفا وقصة
اسحق مع ولديه يعقوب والعيص ما ذكره ابن كثير فى تاريخه قال قالوا يعنى
اهل الكتاب لما كبر اسحق وضعف بصره اشتهى على ابنه العيص طعاما وكان
يحبه اكثر من يعقوب لانه بكره بخروجه قبل يعقوب من بطن امه وكانت
امه تحب يعقوب فلما امر اسحق العيص ان يذهب ويصطاد له صيدا ويطبخ

له العيص طعاما وكان يحبه اكثر وليبارك عليه ويدعو له وكان العيص صاحب
صيد فذهب يبتغي ذلك فامرت امه ابنها يعقوب ان ياخذ من خيار غنمه
جديين ويصنع بهما طعاما كما اشتهاه ابوه ويأتي به اليه قبل اخيه ليدعو له
وقامت فالبسته ثيابا اخيه وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين
لان العيص كان اشعر الجسد ويعقوب ليس كذلك **فايدة** قيل ان اكراد
الشام من ذرية اسحق من فرع العيص وهم مشعرون حتى غنمهم وحميرهم
وكلابهم **رجع** فلما قرب يعقوب الطعام لابيه قال من انت قال ولدك فضمه
اليه وجسه وجعل يقول اما الصوت فصوت يعقوب واما الجس والثياب
فالعيص فلما اكل اسحق وفرغ دعى له ان يكون اكبر اخوته قدرا وكلمته عليهم
وعلى الشعوب بعده وان يكثر رزقه وولده فلما خرج من عنده جاء اخوه
العيص بما امره به ابوه فقدمه اليه وقال اما هذا يا بني قال هذا الطعام الذي
اشتهيته فقال الم تاتني به الساعة فاكلت منه ودعوت لك فقال لا
والله وعرف ان اخاه قد سبقه به فوجد في نفسه عليه وجدا شديدا
وتوعده بالقتل اذا مات ابوهما وسال اباه فدعا له دعوة اخرى ان يجعل
لذريته غليظ الارض وان يكثر ارزاقهم وثمارهم فلما سمعت امهما ما توعد
العيص به اخاه يعقوب امرته ان يذهب الى اخيها لابان الى ارض حران وان
يكون عنده الى حين يسكن غضب اخيه وان يتزوج من بناته وقالت لزوجها
اسحق ان يامره بذلك وان يوصيه ويدعو له ففعل فخرج يعقوب من عندهم
من آخر ذلك اليوم فانتهى الى خاله وتزوج ابنتيه ليا وراحيل وكان ذلك جايزا
في ملتهم فاقام عند خاله عشرين سنه ورزق الاولاد منهما ومن جاريتهما
منهما الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف الصديق بن يعقوب بن
اسحق بن ابرهيم فطلب يعقوب من خاله ان يسرحه ليذهبا الى اهله فقال
له خاله انه قد بورك لي بسببك فسلني من مالي ما شئت فقال تعطيني من
غنمك ما يولد منها هذه السنه ابقع وكل حمل ملمع ببياض بسواد وكل املح ببياض
وكل اجلح ابيض من المعز فقال نعم فعمد بنوه فابرزوا من غنم ابيهم ما كان على
هذه الصفات من التيوس لئلا يولد شي من الحملان على هذه الصفات وساروا
بها مسيرة ثلاثة ايام فعمد يعقوب الى قضبان رطبة من لوز ودلب فكان
يقشرها بيضا وبلقا ويلقيها في مساقي الغنم من المياه لتنظر الغنم اليها
فتفزع وتتحرك اولادها في بطونها فتصير الوان حملانها كذلك وهذا يكون
من باب خوارق العادات منتظما في سلك المعجزات **قلت** ويحتمل ان يكون فعل
يعقوب بالقضبان ما نقل دليل على ما يقوله النساء ان الامراة الحامل اذا
تحرك الولد في بطنها وهي تنظر الى احد من الناس فان ذلك الولد يخرج يشبه
ذلك الذي نظرت اليه **رجع** فصار ليعقوب اغنام كثيرة ودواب وعبيد وتغير

له وجه

له وجه خاله وبنيه واوحى الله اليه ان يرجع الى بلاد ابيه وقومه ووعده
بانه معه فعرض ذلك على اهله فاجابوه الى قصده فتحمل باهله وماله فلما
جاوزوا بلادهم لحقتهم لابان قومه فعاتب يعقوب على خروجه بغير اذنه
ثم تواثق يعقوب وخاله على رابية هناك ان يعقوب لا يهين بناته ولا
يتزوج عليهما ولا يجاوز هذه الرابية احدهما ذاهبا الى بلاد الآخر وتفارقوا
راجعة الى بلادهم فلما قرب يعقوب من ارض ساعير تلقته الملايكة يبشرونه
بالقدوم وبعث يعقوب البرد الى اخيه العيص يترفق له ويتواضع فرجعت
البرد واخبرت يعقوب بان العيص قد ركب اليك في اربعماية راكب واربعماية
راجل فخشي يعقوب منه ودعا الله تعالى وتضرع اليه ان يكشف عنه شر
اخيه العيص ثم ان يعقوب اهدى لاخيه هدية عظيمة وهي مايتا شاة
وعشرون تيسا ومايتا نعجه وعشرون كبشا وثلاثون لقحه واربعون بقره
وعشرون ثورا وعشرون اتانا وعده من الحمير له وامر عبيده ان يسوقوا هذه
الاصناف كلا منها على حدة وليكن بين كل قطيع وقطيع مسافة فاذا لقيهم
العيص فقال لمن انتم فليقولوا لعبدك يعقوب اهداها لسيده العيص وليقل
الذي بعده كذلك وهو جاي بعدنا وتاخر يعقوب بزوجتيه وامتيه واولاده
وجعل يسير ليلا ويكمن نهارا فلما كان وقت الفجر من الليلة الثانيه تبدى له
ملك من الملايكة في صورة رجل فظنه يعقوب من الناس فاتاه يعقوب ليصارعه
فظهر عليه يعقوب فيما يرى الا ان الملك اصاب ورك يعقوب الايسر فعرج
فلما اضاء الفجر قال له الملك ما اسمك قال يعقوب قال لا ينبغي ان تدعا
بعد اليوم الا اسرايل فقال له يعقوب ومن انت وما اسمك فذهب عنه
فعلم انه من الملايكة واصبح يعقوب وهو يعرج من رجله فكذلك لا ياكل
بنو اسرايل عرق النسا وفتح يعقوب عينيه فاذا اخوه عيص قد اقبل ومن
معه فتقدم يعقوب امام اهله فلما راه اخوه سجد يعقوب له سبع مرات
وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان كما سجدت الملايكة تحية لادم وكما سجد
اخوة يوسف له فلما راه العيص تقدم اليه واحتضنه وقبله وبكى ورفع
العيص عينيه فنظر الى النساء والصبيان فقال من اين لك هولاء فقال
هولاء الذين وهب الله لعبدك فدنت الامتان وبنوهما فسجدوا له ودنت
ليا وبنوها فسجدوا له ودنت راحيل وابنها يوسف فسجدوا له وعرض على
يعقوب ان يقبل هديته والح عليه فقبلها ثم ان يعقوب امره الله تعالى
ببناء بيت المقدس ليتعبد فيه وهو الذي جدد بعضه داود واكمله سليمان
انتهى ملخصا وسياتي بالملحق سليمان ما ورد في عمارة بيت المقدس **واما**
قصة يوسف مع زليخا قال في مصارع العشاق عن وهب قال لما خلت
زليخا بيوسف عليه السلام ارتعد يوسف فقالت له زليخا من اي شي

ترتعدا نما جئت بك لنا كل ونشرب وتشم رايحتى واشم رايحتك قال يا امة
الله لست لي بحرمة قالت من اى شي تنزع قال من الهي قالت الساعة اذا
نزل من الركوب واخذت بيدي الكاس المذهب والابريق المفضض سقيته
شربة من سم ترا لعنيت لحمه عن عظمه قال لها لا تفعلين فلست ممن
يقتل الملوك وانما خاف من اله السماء قالت لم نعند ممن الذهب والفضة
والجواهر والعقيق ما افديك به منه قال هو لا يقبل الرشا قالت دع
عنك هذا فمرا سق ارضي قال لا ازرع ارض غيري قالت فارفع راسك
وانظر لي قال اخاف العمى في آخر عمري قالت فما رحتى كي ترجع روحي قال يا امة
الله لست لي بحرمة فاما زحك قالت فلا صبر لي عن هذه الذوايب التي قد
بلغت الى قدميك لينتي وسمتها مرة واحدة قال اخشى ان تحشى من قطران
جهنم يا هذه الشيطان هو ذا يعينك على فتنتي لا تشوهى بخلقي الحسن الجميل
وادعى في الخلق زانيا وفي الوحوش خاينا وفي السماء عبدا كفورا لست
وهب ولأن من يوسف مقدار جناح بعوضة فارتفعت الشهوة الى وجهه
فاستدارت وكانت سراويله معقودة تسع عشرة عقدة فحل اول عقدة
واذا قايل يقول من زاوية البيت ان الله كان عليكم رقيبا ثم حل الثانية
فاذا قايل يقول ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن فاوحى الله تعالى
الى جبريل الحقه فانه المعصوم في ديوان الانبياء فانفرج السقف في اقل
اقل من اللمح فنزل جبريل عليه السلام فضرب صدره ضربة خرجت شهوته
من اطراف اناملة فولد لكل رجل من اولاد يعقوب عليه السلام اثنا عشر ولدا
ما خلا يوسف عليه السلام فانه ولد له احد عشر فقال يا رب اى شي خبري
لم الحق باخوتي في الولد فاوحى الله عز وجل اليه ان الشهوة التي خرجت من
انامله حاسبنا لك بها ونقل ابو بكر الخرايطي في كتابه اعتلال القلوب عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها قال
حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امراته فاذا بكف قد بدت
بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون قال فقام هاربا وقامت فلما ذهب
عنهما الرعب عاد وعادت فلما قعد منها كالاول اذا بكف قد بدت بالوصف
المذكور مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا
فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عاد وعادت فلما قعد
منها كالاول اذا بكف بالصفة المذكورة قد بدت مكتوب فيها واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت فقام هاربا وقامت
فلما ذهب عنهما الرعب عاد وعادت فلما قعد منها كالاول قال الله عز وجل
يا جبريل ادرك عبدي يوسف قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه

صبغنا ... خوفنا ... حب ان ... رايها ... يحتمل لاحتمال الانعام ... بالارشة ... احتمال ... ويدل على ذلك قوله ... من قطران جهنم

السلام

السلام عاضا على اصبعه او عاضا على كفه فقال يا يوسف تعمل عمل الفجار
وانت مكتوب عند الله من الانبياء قال فذلك قوله تعالى كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء وقد دونت قصته واشتهرت خصوصا التي
الفها الهمداني وقد وصف الله تعالى قصته باحسن القصص وقوله
تعالى في سورة يوسف نحن نقص عليك احسن القصص وقيل له عليه
السلام لم تجوع وانت على خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى
الجايع وكتب على باب السجن هذا منزل البلوى وقبر الاحياء وتجربة الاصدقاء
وشماتة الاعدا وقال هول لا تدرى متى يغشاك ما يمنعك ان تستعد
له قبل ان يفجاك يريد بالهول الموت ويقال ان جبريل عليه السلام علمه
دعا وهو بالجب فلما قراه فرج الله عنه وهو يا صريخ المستصرخين
يا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين ترى مكاني وتعلم حالي
ولا يخفى عليك شي من امري يا شاهدا غير غايب ويا غالبا غير مغلوب
اجعل فرجا ومخرجا مما انا فيه يا رب العالمين عيصو بن اسحق عليهما
السلام ويقال له العيص قيل سمي بهذا الاسم لانه حق الخروج من بطن
امه كان ليعقوب فعصى وخرج قبل يعقوب وقيل لان لونه كان اصفر
ولهذا يقال للروم بنو الاصفر وله مقام براس جبل الطور الجار لقنسرين
وهي حلب العتيقة وهو جبل عال يرى من مسافات بعيدة ويقال له
جبل العيص ويقال انه مدفون به لكن ليس فيه ضريح حتى يزوره الناس
ويقال انه يرى باعلا داخل المقام اشباح خفية تجول فيه وفي كل سنة
له يوم بعد عيد النصارى المشهور بالخميس خميس وخميسين يجتمع عنده
الناس من القرى التي حوله ويخرج اليه سوقه من حلب وتاتيه سوقه
من سرمين ايضا ويعملون فيه انواعا من الاطعمة والحلاوات وغير ذلك
الى يومنا هذا وقد تقدم عند اسم صالح عليه السلام ان هذا المقام
ينسب الى صالح عليه السلام ولم يصح ذلك ايوب عليه السلام نبي في
ايام جده الاعلا يعقوب عليه السلام قال تاج القراء في تفسيره
انه كان في زمن يعقوب وامراته ليا بنت يعقوب سميت رحمة لرحمتها
له وكانت له اموال عظيمة فذهب وتجذم ودود جسده وبقي مرميا
على مزبلة لا يمكن ان يشم احد رايحته وكانت زوجته رحمة تخدمه فتراى
لها ابليس وقال لها اسجدي لي وانا ارد عليك اموالك وارها اياها فاستاذنت
ايوب فغضب عليها وحلف ليضربنها ماية وعافاه الله تعالى ورد عليه
ما ذهب من ماله وحسن امراته وولد له ستة وعشرون ولدا وعمره
ثلاث وتسعون سنة وكان سبب بلاء ان رجلا استعانه على دفع
ظلمه فلم يعنه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم

يعزه وقيل اعجب بكثرة ماله وقيل ذبح شاة فاكلها وجاره جايع لم
يطعمه وقيل راى منكرا فسكت انتهى فينبغى للانسان ان يتوقى مثل هذه
الاشياء خوفا من الله انه يبتليه بشى لا فى دفع الظلم وفى السكوت عنه
روية المنكر فانه اذا لم يقدر على دفعهما بلسانه او بيده فليكن ذلك
بقلبه كما ورد فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو اضعف الايمان
وله تاويل نسال الله قوة فى الايمان ثم قال التاج وقيل ابتلاه الله تعالى
لرفع الدرجات ولم يكن منه ذنب يعاقب عليه والمراد من قوله تعالى
فى السورة المذكورة ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى
لاولى الالباب ان اللبيب اذا ابتلى ببلاء فليذكر بلاء ايوب فيهون عليه بلاؤه
واما قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فيه اقوال
منها ان الله تعالى امره ان يجمع قضبان ريحان عددها ماية فيضرب
بها زوجته ضربة واحدة لتبر يمينه وفى تفسير الكواشى الضغث قبضة
من الشجر فاخذ مائة عود من الاذخر او من الاثل فضربها بها ضربة
واحدة وكان قد حلف ليجلدنها مائة جلدة انتهى والقبضة بتقديم القاف
على الضاد المعجمة قال فى الصحاح اقتضبته اقتطعته من الشى والاذخر نبت
الواحدة اذخرة والاثل شجر وهو نوع من الطرفا الواحدة اثلة وسياتى
قصته مبسوطة بالملحق باسمه وقال ابن الجوزى فى تفسيره لو حلف ليضربن
عبده عشرة اسواط فجمعها كلها وضربه بها ضربة واحدة لا يبر عند مالك
وقال ابو حنيفة والشافعى اذا اصابه فى الضربة الواحدة كل واحد منها
بر واحتجا بعموم قصة ايوب عليه السلام انتهى ولعل فى عبارة ابن الجوزى
سقطا فانها تعطى بان مذهب الايمة الثلاثة دون مذهب الامام احمد
ابن حنبل لكننى رايت فى اثناء باب جامع الايمان من كتاب التنقيح ولو حلف
ليضربن عبده ماية سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة لم يبر على الصحيح
وعن الامام احمد رضى الله عنه بلى ان المه بها كليضربنه بماية انتهى

ثم بعث الله ابنه بشر بن ايوب وسماه ذا الكفل وكان مقامه بالشام
ولم يذكره الفقيه لقلة اشتهاره وسنذكر قصة ايوب عليه السلام

مفصلة

مفصلة بالملحق بهذا الباب ومقام ايوب على تل ببلاد حوران بالقرب من
نوى من بلاد دمشق وتحت التل العين التى اغتسل بها فبرى شعيب
عليه السلام قيل هو من نسل ابرهيم وقيل من ولد بعض من آمن به قال
الله تعالى فى سورة هود والى مدين اخاهم شعيبا اى وارسلنا الى مدين
اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان وقال فيها ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط
اى اتموها بالعدل والوفاء بتمام الحق والايفاء اتمامه ثم قال تعالى ولا تبخسوا
الناس اشياءهم اى حقوقهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين فخالفوه ولم
ينتهوا عما نهاهم عنه من ذلك فاهلكهم الله تعالى كما قال فيها ولما جاء امرنا
نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا
فى ديارهم جاثمين قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فماتوا وقيل الصيحة
هنا العذاب وانما اهلكوا بالحر وهم اهل يوم الظلة وقيل بعث الله شعيبا
الى مدين واصحاب الايكة فاهلك اصحاب مدين بالصيحة كما فى الاية واصحاب
الايكة بالحر ويقويه ما بعده وهو الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وثمود اهلكوا
بالصيحة والجثوم مذكور عند اسم صالح عليه السلام وغاض الماء اى نزل وغار
والغيضة الاجمة وهى مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر وقيل الايكة اصحاب
الايكة وقيل النبع هم اصحاب الرس ايضا كانوا ياتون الرس بالصيف ويعودون
فى الشتاء الى الايكة ولما كان شعيب اخا لاهل مدين فى النسب لا فى الدين
قال الله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا ولما لم يكن من اهل الايكة قال تعالى اذ
قال لهم شعيب اى لاصحاب الايكة وكذلك المراد بالاخوة فى اذ قال لهم اخوهم نوح
واذ قال لهم اخوهم هود واخوهم صالح واخوهم لوط وكل ذلك فى سورة الشعراء
وقبر شعيب عليه السلام بزاد بقرية من قرى صفد عنها نحو يوم تسمى حطين
بكسر الحاء المهملة والطاء المهملة مشددة ويقال لها الان حطه وسياتى عند
اسمه بالملحق بهذا الباب ذكر الميزان والاوزان والكيله والاكيال والله تعالى اعلم
موسى واخوه هارون عليهما السلام هما ولدا عمران وقد تقدم عند اسم
آدم عليه السلام انه غير عمران والد مريم ام عيسى عليه السلام واما قوله
تعالى فى سورة مريم يا اخت هارون ففيه اقوال الخمسة منها انها كانت من
قبيلة تنسب الى هرون اخى موسى كما تقول يا اخا تميم ويا اخا ربيعة ومنها ان
هارون هذا رجل زاهد صالح كان فى بنى اسرايل قيل يوم مات تبع جنازته
اربعون الفا من بنى اسرايل كلهم يسمون هارون فالمعنى بذلك استهزاء
على معنى انا ظننا انك مثله فى الصلاح وليس المراد منه الاخوة فى النسب كما
قال تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اى امثالهم وانزل الله تعالى على
موسى التورية قيل ان فيها لو قنع ابن آدم لاستغنى ولو ترك الحسد استراح

ولو ترك الغيبة صار صديقا ولو ترك النميمة اخلص دينه يا ابن آدم لو سمعت
مخاطبة الارض فى كل يوم تقول يا ابن آدم تضحك وانت على ظهرى وياكلك
الدود فى بطنى يا ابن آدم لاكلن لحمك كما اكلت من ثمارى ولاشربن من دمك
كما شربت من انهارى وسياتى القناعة فى الباب ٥٦ والحسد فى ملحق عشر آدم
والغيبة والنميمة فى ٧٠ والنميمة تقدمت ايضا فى ٣ والضحك ياتى فى غاية
٧١ وياتى فى ٧٤ واوحى الله اليه انى وضعت خمسا فى خمس والخلق يطلبونها
فى خمسة اخرى فلا يجدونها وضعت العزة فى خدمتى وهم يطلبونها فى ابواب
السلاطين ووضعت الغنى فى القناعة والخلق يطلبونها فى المال ووضعت
الرضى فى ترك الهوى وهم يطلبونه فى ركوب الهوى ووضعت العلم والحكمة
فى الجوع وهم يطلبونهما فى الشبع ثم وضعت الراحة فى الجنة وهم يطلبونها فى
الدنيا وقيل لزاهد ما الذى تطلب فقال الراحة فقيل له هل وجدتها قال
فان وجدت لا توجد الا هى فى طاعة ربى ولا اجدها احد فى الدنيا اقول
حلاوة العزة فى خدمة الله تعالى فقد ورد من اطاع الله اطاعه كل
شئ ومن عصاه عصاه كل شئ فلا اجد اعز ممن اطاعه كل شئ ولا اذل ممن
عصاه كل شئ واما القناعة فتلك فى الباب السادس والخمسين واما ترك
الهوى فهو الذى فيه رضا الله تعالى هو الترك الذى يكون مقترنا بالخوف من
الله تعالى قال الكواشى فى قوله تعالى فى سورة والنازعات واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اى المردى كاتباع الشهوات المحرمات او
هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها فان الجنة هى
المأوى حكى ان الخليفة هارون الرشيد حلف بالطلاق انه من اهل الجنة
فبلغ الامر زوجته ابنة عمه زبيده فلما دخل اليها ليلا احتجبت منه وكانت
صالحة فقال لها لم تحتجبى منى قالت لما بلغنى من حلفك يا امير المومنين فخرج
وارسل خلف قاضيه ابى يوسف ليلا فعرض عليه القصة فقال له ابو يوسف
يا امير المومنين هل هممت بمعصية وتركتها خوفا من الله فتامل ساعة
ثم قال نعم قد وقع لى انى فى بعض الليالى للشراب بعد صلاة المغرب ووضعت
اوانى الشراب وما يحتاج اليه بين يدى فملا الساقى الكاس وناولنى اياه
فلما قربته من فمى اذن المؤذن فوضعته من يدى فلما فرغ الاذان تناولته
لاشربه فذكرت انها ليلة الجمعة فوضعته من يدى وامرت برفع ذلك كله
ومنعت نفسى من الشرب خوفا من الله تعالى فقال ابو يوسف لم تحنث
يا امير المومنين لانك من اهل الجنة لقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى اى مأواه انتهى وسياتى شئ مما يتعلق
بالهوى فى الباب الخامس والثلثين واما الجوع الذى وضع الله تعالى فيه العلم
والحكمة فياتى فى الباب السبعين وبالباب الثالث والسبعين ما يتعلق بتركه

الاكل واما الراحة فقد ورد لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه وموسى اول من
بعث بالسيف لما امر لقتال الجبابرة واول من رحل فى طلب العلم وقصصه
كثيرة مدونة قال ابو الوليد ارسل الله تعالى موسى بعد ان خرج من مصر هاربا
من فرعون وتزوج صفوره بنت شعيب عليه السلام ورعى غنمه عشر
سنين وبنى فى رجوعه الى مصر حين تاه فى الطريق وولدت امراته ليلا فى
الشتاء ولم يجد ضوا وقال انى آنست نارا كما اخبر الله تعالى فقدم مصر ليلا
واجتمع باخيه هارون واخبره ان الله تعالى ارسلهما الى فرعون مصر
الوليد بن مصعب وقد سنا الاماره اذ اسم فرعون بالسريانية قابوس وعمر
فرعون يوسف عمرا اكثر من اربعماية سنة انتهى وكانت قصة موسى
وغرق فرعون من معجزاته ومنها قصته مع قارون قيل كان عم موسى ويوشع
ماياتى فى الباب ٩٠ فى قصة يوشع مع قارون وقيل ابن عمه وقيل ابن خالته
قال الله تعالى فى سورة القصص ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم
وبغيه عليهم انه كان عاملا لفرعون عليهم فظلمهم وقيل بغى بتكبره
وكفره وتمرده على موسى ونافقه كما نافق السامرى وقيل بحسده لهارون
وموسى اذ قال لموسى لك النبوة ولهارون الحبوره وانا فى غير شئ وقيل
بزيادته شبرا فى ثوبه حتى كان يجره على الارض وهو اول من فعل ذلك وقيل
بكثرة المال وكنزه وعدم اعطاء الزكاة واستحقاره للفقراء وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ان بغيه كان على موسى بقصده الافساد عليه وكان من
افساده ان امراة بغيا كانت مشهورة فى بنى اسرائيل فوجه اليها قارون
يامرها ان تصير اليه وهو فى ملاء من الناس فتشكو على موسى وتقول
ان موسى طلبنى للفساد والزنية وضمن لها ان يعطيها على ذلك عطا كثيرا
ويخلطها بنسائه اى يتزوجها فجاءت المراة وقارون جالس مع اصحابه فرزقها
الله التوبة وقالت فى نفسها ما لى مقام للتوبة مثل هذا فاقبلت على اهل
المجلس وقالت وقارون حاضر ان القارون وجه الى يامرنى ويسالنى ان
اكذب على موسى واقول انه ارادنى بالفساد وان قارون كاذب فى ذلك فلما سمع
قارون قولها تحير وايس واتصل الخبر بموسى فجعل الله امر قارون الى موسى
وامر الارض ان تطيعه فيه وقال بعض المفسرين ادعى قارون على موسى
انك زنيت وحضرت البغى وادعت ذلك على موسى فعظم ذلك عليه فحلفها
الله الذى فلق البحر لبنى اسرائيل وانزل التورية على موسى الا صدقت فقالت
اشهد انك برى فخر موسى ساجدا يبكى ويقول اللهم ان كنت نبيك فاغضب لى
فاوحى الله اليه مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال موسى يا ارض
خذيه فاخذته حتى غيبت سريره فلما راى ذلك ناشده بالرحم فقال خذيه
فاخذته حتى غيبت قدميه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه

فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع الى موسى
فى هذه الاحوال ويقول ارحمنى ولا يتوب الى الله تعالى فقال الله تعالى يا موسى
ما اشد قلبك دعاك عبدى واسترحمك فلم ترحمه وعزتى لو دعانى لاجبته
وجاء فى بعض التفاسير انه يخسف به كل يوم قدر قامة فلا يبلغ الارض
السفلى الى يوم القيامة ولما ابتلعت الارض قارون قالت بنو اسرائيل فعل
ذلك موسى ليرث ماله لانه كان عمه او ابن عمه فخسف بداره وبجميع ماله
بعده بثلاثة ايام قيل كانت مفاتيح قارون حمل ستين بغلا ما يزيد مفتاح
على اصبع لكل مفتاح كنز وقيل غير ذلك والله اعلم واما السامرى فذكر صاحب
سنا الامارة انه كان من اهل باجرما وكان من بنى اسرائيل وهو ابن عم موسى
واسمه موسى بن ظفر فلما سمع لموسى اتاه فلم يزل معه حتى اتخذ العجل وكان
فرعون يعبد البقر قيل ان يقول انا ربكم الاعلى وكذلك قومه وكانوا لا
يعبدون الا كل بقرة فتية حسنة انيسة فاذا كبرت اخرجوها وجاءوا بافتى
منها واحسن ولما كانوا يعبدون البقر اتخذ السامرى لبنى اسرائيل العجل على
الصورة المذكورة فى كلام الله تعالى انتهى **عود** ثم اوحى الله تعالى الى موسى
انى متوفى هارون فات به الى جبل كذا فانطلقا فاذا هما بسرير فناما عليه
واخذ هارون الموت ورفع الى السماء وقيل انه مات قبل انقضاء التيه
بثلاث سنين وكان اكبر من موسى بثلاث سنين واتهمه بنو اسرائيل بقتل
اخيه هرون حين رجع اليهم وحده فانزل الله تعالى السرير عليه هرون
وقال انى مت ولم يقتلنى اخى ثم توفى موسى بعده باحد عشر شهرا وقيل
بثلاث سنين وكانت وفاته فى التيه واختلف فى كيفية موته قيل كان
هو ويوشع يمشيان فظهرت غمامة سوداء فاعتنق يوشع موسى من خوفه
فانسل موسى من ثيابه ورجع يوشع بالثياب الى بنى اسرائيل فاتهموه بقتل
موسى ووكلوا به جماعة فراى كل فى منامه ان يوشع لم يقتل موسى بل رفعناه
الينا فتركوه وقيل بل نبى الله يوشع واوحى اليه فسأله موسى عن ذلك
فاخفى عنه فعظم عليه فسأل الله تعالى ان يتوفاه وقيل غير ذلك وقيل ان
موسى اخرج بنى اسرائيل الى التيه وعمره ثمانون سنه وتوفى بالتيه وعمره
ماية وعشرون سنة وقبره بالقرب من بيت المقدس وعليه مقام عظيم
يزار يوشع بن نون عليه السلام قال تاج القراء فى سورة ص فى قوله تعالى
وذا الكفل انه نبى وانه يوشع قال وقيل اليسع وهو ذو الكفل قال ابو الوليد
يوشع بن عشرة الى يوسف يعنى ان يوسف جده العاشر ولما مات موسى
عليه السلام قام يوشع بتدبير بنى اسرائيل فاقام بهم فى التيه ثلاثة ايام
ثم سار بهم الى نهر الشريعة وانكشفت الارض حتى عبروا ثم عاد الماء وذلك
حين امر يوشع حاملى صندوق الشهادة والالواح ان يقفوا بها على حافة النهر

الشريعة

الشريعة وهى نهر الاردن الذى بالغور بالقرب من دمشق لما لم يجدوا سبيلا
ونزل بهم يوشع الى اريحا قرية الجبارين فى اصلا الاقوات وصوت حولها بالقرون
فانهدمت اسوارها واخذها بالسيف وهى غير اريحا التى بالقرب من حلب
كما ياتى بالملحق بالباب الاول عند ذكر الاقاليم السبعة انها من مدن فلسطين
التى هى الشام الاولى ثم سار يوشع الى نابلس الى الموضع الذى بيع فيه يوسف
عليه السلام ودفن عظامه هناك ثم توفى يوشع بعد تدبيره بنى اسرائيل
ثمانى سنة وعشرين سنة ودفن فى كفر حارس قول يحتمل انها هى المسماة
يومئذ بمعرة النعمان وهى القصبة المشهورة بين حلب وحماه فان قبر يوشع
النبى بها يزار وقال بن شداد فى تاريخ حلب ما ملخصه وبالمعرة قبر يوشع بن
نون فيما زعموا فى مشهد جدد عمارته الملك الظاهر غازى وعين وقف عليه
وقفا وكذلك وقف عليه الملك المعظم وقفا ولم يحكم على بنى اسرائيل بعد
موسى ويوشع ملك الى ان حكم عليهم طالوت على ما ياتى عند ذكر اسم داود
عليه السلام **الياس عليه السلام** هو بن سى بن فنحاص بن العيزار بن هرون
ابن عمران كذا ذكره الحافظ بن الجوزى وقد ذكره العتقيه نبيا مرسلا وتقدم
عند ادريس انه هو هو والصحيح انه غيره وان كان اسم ادريس الياس لقوله
الله تعالى فى الانعام ووهبنا له اى لابرهيم فعد الله الياس واليسع ممن
وهبهم الله لابرهيم واعطاهما النبوة قال تاج القراء حكى الثعلبى وغيره
ان الياس نبى من سبط هارون بعثه الله بعده الى بنى اسرائيل حين ظهر
فيهما الفساد والشرك وكان فيهم ملك له امراة تبرز للناس كما يبرز زوجها
وتجلس للحكم كما يجلس فاتاهما الياس ودعاهما الى الله فابيا وهما بقتله
فاختفى منهما سبع سنين وكان اليسع خليفته واكل امر الياس الى ان اوحى
الله اليه ان اخرج الى موضع كذا فما جاءك فاركب ولا تهبه فخرج الى ذلك
الموضع فجاءه فرس من نار فوثب عليه وناداه خليفته اليسع يا الياس
ما تامرنى فرمى الياس اليه كساءه من الجو وكان ذلك علامة استخلافه اياه
على بنى اسرائيل ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع الله تعالى عنه
لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فطار فى الملائكة فكان انسيا ملكيا
ارضيا سماويا وقيل بعث بعد حزقيل لما كثرت الفتن والبدع وعظمت
الحوادث فى بنى اسرائيل وقيل الياس موكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار
وهما اخر من يموت من بنى آدم وقيل الياس والخضر يصوما ن رمضان ببيت
المقدس ويوافيان الموسم بمكة كل عام انتهى وسياتى دعاؤهما فى الموسم بالباب
الثانى من خاتمة هذا الكتاب **واما حزقيل** ففى سنا الامارة انه بن
العجوز وانه نبى وقومه الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت وذلك
لطاعون اصابهم فقال لهم الله موتوا ثم احياهم بدعاء حزقيل عليه السلام انتهى

وقبره غربي محراب المشهد الذي على جبل تيم وقيل تيما غربي مدينة الباب وهو عن
حلب نصف يوم ويعرف خرقيل الآن بعقيل البابي يزار ويقصد بالنذور
وفي كل سنة تاتيه صغار طيور سود تشبه الخنافس لها اجنحة حمر خفية
تخرجها عند الطيران تعلو الزيارة وظاهرها وباطنها وتنتشر في الجبل اياما
ثم تذهب وقد زرت العام المذكور ايام الورد وشاهدت الطيور به حتى
رايت منها ما يدخل الضريح ومنها ما يخرج منه كالزائرين له وذكر ابن شداد
في تاريخ حلب ان الطيور تشبه الزرازيح وانها تاتي في كل سنة في خميس
نيسان الى المقام المذكور حتى تعم الكمة الارض التي حول المشهد ثم تذهب
في اخر النهار اقول ولعل حضورها في كل خميس من نيسان لا في خميس
واحد منه وذكر والدي رحمه الله تعالى ان طوايف من هذه الطيور تزوره
بعض زيارات بالقرب من الباب وقد رايت منها طايفة اتت في بعض
السنين ولعلها سنة ثلاث او اربع وثمانين الى المنارة المسجد الجامع
بقلعة حلب الذي هو المقام الاعلا لابراهيم عليه الصلاة والسلام
وانتشرت عليها وحولها اياما وذهبت ولم يبق لها اثر ويقال ان هذه
المغاره مسكونة ورواقها اشباحا مختلفة قال ابن شداد كان بالقلعة
كنيستان احدهما كانت قبل ان تبنى مذبحا لابراهيم الخليل صلوات الله عليه
وكان بها صخرة يجلس عليها الحلبا المواشي ثم بني مسجدا جامعا في ايام
بني مرداس وكان يعرف بمقام ابراهيم الاعلا وبه تقام الخطبة وهو موضع
مبارك يزار انتهى واخبرني والدي رحمه الله تعالى انه راى بمكان بالجبل
المذكور اي جبل تيم اقداما كبارا في الصخر فاتيت المكان الذي ذكره لي
فوجدت اقدام اطفال منها ما هو صغيرة من برجله مداس واليهود
لعنهم الله تعالى يزورون هذا المقام في كل سنة من خارجه من
طاقة تطل على الضريح اليسع عليه السلام هو خليفة الياس وقيل هو
ابن اسحق قال التاج الفزاري قيل هو ذو الكفل وعن الحسن ان ذو الكفل
كان نبيا وعن قتادة كان رجلا صالحا كفل بعد رجل صالح كان يصلي
كل يوم مائة صلاة وقيل بمائة نبي نفلتوا من القتل فاراهم وكفلهم
والكفل بكسر الكاف النصيب وهو يوشع وقيل هو اليسع كما ذكر عند اسمه
اقول الصحيح ان ذو الكفل غير اليسع لان الله تعالى ذكر ذو الكفل مع اليسع
حيث قال تعالى في ص واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل ولو كان هو
اليسع لذكره الله تعالى بلا واو ليكون صفة له وقد يشترك اثنان
فصاعدا في اسم واحد الخضر عليه السلام اخباره كثيرة وقد اختلف العلماء
فيه وقد صنف شيخ شيوخنا الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني
رحمه الله تعالى كتابا سماه الزهر النضر في نبا الخضر لم اقف عليه لكنني انتقي منها

يأتي بالباب الثاني من خاتمة هذا الكتاب مما نقل شيخي البدر الحسن بن السوقي
رحمه الله تعالى من الكتاب المذكور في تسبيحات الخضر ونفعها في الشدائد
واذكر الآن هنا نسبه واسمه ومن اخباره مختصرة من لباب التفاسير وكلام
العلماء فاقول اما نسبه فعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم
انه ابن آدم لصلبه انسي في اجله ليكذب الدجال وقال ابو عبيدة ومحمد بن
سلام هو ابن قابيل ابن آدم وقال الطبري انه الابن الرابع لآدم وعن وهب
انه الابن السابع لنوح وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه من
سبط هارون وعن ابن لهيعة انه ابن فرعون موسى رواه عنه محمد بن
ايوب ليس بمعتمد قال في اللباب حكاه النقاش في تفسيره والعهدة عليه
وقال ابن فارس هو من ولد فارس واما اسمه فعن مقاتل اسمه اليسع لان
علمه وسع ست سموات وست ارضين قال التاج الفزاري وهذا الكلام مزيف
جدا وقال في اللباب ان اسمه بليا بلا الف في اوله بن ملكان وقيل خضرون
ابن قابيل بن آدم حكاه النقاش وقيل رآه موسى عليه السلام نايما فرق الماء
عليه قطيفة خضراء وقيل رآه على طنفسة خضراء وجاء في الخبر انما سمي الخضر
خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء الفروة الارض
المرتفعة وقيل القطعة وعن مجاهد لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله
وعن سعيد ان امه رومية وابوه فارسي وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض الاخبار انه ذكر قصة الخضر فقال كان ابن ملك من الملوك
فاراد ان يستخلفه من بعده فلم يقبل منه ولحق بجزائر البحر وطلبه ابوه فلم
يقدر عليه انتهى واختلفوا في نبوته فعن ابن عباس ووهب انه نبي وليس
بمرسل وعن بعض اهل الكتاب انه نبي مرسل الى قومه فاستجابوا له واختار
ابن الانباري انه رجل صالح وحكى الماوردي في تفسيره انه كان ملكا وقال
ابو عمرو بن الصلاح اجمعوا على نبوته واختلفوا في رسالته وموسى الذي لقيه
هو موسى بني اسرائيل بن عمران وعن الحسن ونوف انه موسى بن ميشا بالياء
التحتية او بالنون بن يوسف بن يعقوب وكذلك تزعم اليهود وروى
البخاري رحمه الله تعالى من حديث سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس
ان نوفا يزعم ان موسى ليس موسى بني اسرائيل فقال كذب عدو الله حدثني
أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قام موسى النبي خطيبا في بني
اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه
وذكر الحديث واختلفوا انه ميت او حي فقال بعضهم انه ميت اذ لا يكون
بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي واجيب عنه بان المراد ان الله تعالى ختم
بمحمد صلى الله عليه وسلم النبوة والرسالة بان لا يبعث بعده نبيا ولا رسولا
وهو لا يمنع بقاء نبي ورسول بعده ممن بعث قبله لحكمة ما وقد تقدم ان الخضر

انى فى اجله حتى يكذب الدجال والجمهور على حيوته وورودت فى ذلك اخبار
كثيرة طعن فى بعض رواتها لكن الحافظ الذهبى قال رايت بخط الحافظ
الضيا سمعت الحافظ ابا بكر عبد الرزاق بن الزاهد عبد القادر الجيلى يقول
سمعت والدى يقول كان الخضر ياتى الى بعض الاوقات وربما دعا لى وانا
مريض فاجدا لعافيه ونحو هذا وقال الذهبى ايضا سالت شيخنا عبد الله
ابن مواهب السبلى هل رايت الخضر فقال نعم رايته بمكة وبغداد فقلت
هل هو شاب ام شيخ فقال ربما كان فى صورة شاب وربما كان فى صورة
شيخ قلت فما لباسه قال اما لباسه فلا يكاد يوصف من كثره النور
وروى بن عساكر عن مقاتل انه وفد على عمر بن عبد العزيز وعنده رجل
يحدثه وعمر مقبل عليه بوجهه قال مقاتل فلما خرج قلت يا امير المومنين
من هذا الذى اقبلت عليه بوجهك قال ارايته قلت نعم قال ذاك الخضر
عليه السلام وقال تاج القراء وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان اخى الخضر ليقضى ثلاث ساعات من النهار بين ام البحر ويشهد الصلوات
كلها فى المسجد الحرام ويتهجد بالسحر عند سد ياجوج وماجوج وقصته مع
موسى عليهما السلام مذكورة فى سورة الكهف وفى لباب التفاسير فى قوله
تعالى وكان تحته كنز لهما عن النبى صلى الله عليه وسلم كان الكنز ذهبا وفضة
وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كان الكنز الا علما وعن سعيد بن جبير كانت
صحفا فيها علم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا والحسن كان لوحا من
ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يومن
بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن جرب
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروى
ايضا هذا القول مرفوعا وورودت فى ذلك رواية اخرى تاتى فى الباب
السادس والثلثين فى الرفط وفى اللباب انه لما اراد موسى عليه السلام
ان يفارقه قال له اوصنى بشى فقال له كن نفاعا ولا تكن ضرارا وارجع
عن اللجاجة ولا تمشى فى غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعيرن احدا
بخطيه يا ابن عمران فايدة ذكرها تاج القراء فى اللباب فى تفسير قوله
تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها
وكان وراهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه
مومنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امرى ذلك تاويل
ما لم تسطع عليه صبرا قال وذكر الخضر فى الاية الاولى فى الظاهر فاردت

اذا عيبها وفى الثانيه فاردنا ان يبدلهما وفى الثالثه فاراد ربك ان
يبلغا اشدهما لان فى الاولى فى الظاهر فساد فاسنده الى نفسه
والثانيه انعام محض فاسنده الى الله سبحانه وتعالى والثالثه انعام
من حيث القتل انعام من حيث التبديل فاسند ذلك الى نفسه والى
الله جميعا وذكر البيضاوى ان اسم الملك الذى كان ياخذ كل سفينة
غصبا جلندى بن كركر وكان ابن الزمن وابن المزلق من اكابر تجار
دمشق فى ايام الاشرف قايتباى سلطان مصر وكانت لهما خيرات جارية
فى كل سنة فى طريق الحاج من الماء والزاد والاقمصه والمداسات وغير
ذلك برسم الفقراء وصدقات بمكة والمدينة فحكى عن احدهما انه راى
فى المنام بعد موته على احسن صورة فقيل له ما فعل الله بك فقال
رحمنى فقيل له كل ما انت فيه بسبب ما فعلته من الخيرات فقال لا انما
حصل لى هذا بسبب انى كنت يوما فى بعض الازقه وليس فيه غيرى
سوى رجل واحد فعطست فحمدت الله تعالى فقال لى الرجل يرحمك الله
وقد كان هو الخضر فرحمنى الله بذلك واما وقت موته ففى الدرة السنيه
فى اخبار الاسكندرية تاليف وجيه الدين منصور المعروف بابن العادة
ان الخضر والياس لا يزالان يحجان فى الارض ما دام القران فى الارض
فاذا رفع القران ماتا دانيال عليه السلام ذكره الفقيه فى الانبياء
لا المرسلين وذكر الخزايطى فى كتابه اعتلال القلوب ان حبرين هو
يا امراة من بنى اسرايل وكان كل منهما يكتم صاحبه ما يجد بها انها فى
حايط اى بستان تغتسل فجاءا فتسورا عليها الحايط فلما راتهما دخلت
غمرا من الماء وهو بفتح الغين المعجمه الماء الكثير فراودت نفسها فقالا
لها ان لم تفعلى غدونا فشهدنا عليك فنابت فغدوا فشهدا عليها
فلما قربت ليقام عليها الحد نزل الوحى على دانيال وهو ابن تسع او
سبع سنين بتكذيبهما

واما كتابه المشهور على دلايل حوادث الجو وغيرها فيقال انه الحكيم اسمه اينال
وكثير من الناس ينظرون فيه معتمدين على دلايله على الحوادث بحكمة
اودعها الله تعالى فيها ذو القرنين الجمهور على انه الاسكندر وهو اسمه

بالعبرانيه وذكر ابو الريحان في كتابه التفهيم لاوايل صناعة التنجيم
ان اسمه سولوقس ويعرف بالاسكندر وتاريخ اهل الكتاب هو تاريخ
اليونانيين من اول السنة التي تفرد فيها الاسكندر بملك انطاكيه
بالملك وكان ذو القرنين في زمن سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام
على ما رواه الزيلعي في شرح كتاب الكراهية من الكنز عن عطا انه سل بن
عباس رضي الله عنهما عن المعانقة فقال اول من عانق ابرهيم خليل الرحمن
عليه السلام كان بمكة فاقبل اليها ذو القرنين فلما كان بالابطح قيل له
في هذه البلدة ابرهيم خليل الرحمن فقال ذو القرنين ما ينبغي لي ان اركب في
بلدة فيها ابرهيم خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشى الى ابرهيم عليه
السلام فسلم عليه ابرهيم واعتنقه فكان هو اول من عانق واسمه بالعربية
عمرو وقيل عبد الله وقيل وقيل عياش وقيل المصعب وذكر ابن الجوزي
ان في تسميته بذي القرنين عشرة اقوال نقلها في تفسيره وعزاها الى قايليها
وقد ذكر الثعلبي شيا من ذلك اول هذا الباب وساق الخلاف في نبوته
وصلاحه وقال تاج القراء سمي بذي القرنين لانه بلغ قرني الارض المشرق
والمغرب وقيل كان له قرنان صغيران يواريهما بالعمامه وقيل كان على
راسه قرنان اي ذوابتان وقيل كان له قرنان من ذهب عن السدي وقيل
كان كريم الطرفين وقيل غير ذلك وكونه نبيا مروي عن عبد الله بن عمرو
الضحاك وقيل كان ملكا من الملايكة فانه روي عن عمر رضي الله عنه انه
سمع رجلا ينادي يا ذا القرنين فقال اما ترضون ان تسموا باسما الانبياء
حتى تسموا باسما الملايكة اقول وهذا انما يصح اذا لم يكن هذا الاسم لاحد
من قبله اذ انه ليس بنبي وتسميه الملايكة بهذا الاسم لا ينافي في تسميته
به لجواز تسمية الرجل بجبرايل وميكاييل وامثال ذلك ولاحتمال انه كان
متصفا ببعض الصفات الملكية تسمى باسمهم وقد اعتنى كل من العرب
والعرس والترك بجمع قصته بلغته في مجلدات وانا اذكر لك شيا منه ذلك
على وجه الاختصار جدا فاقول قال تاج القراء في قوله تعالى ويسلونك
يعني اليهود يا محمد عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا اي خبرا
انا مكنا له في الارض اي مكناه من التصرف فيها على حسب ارادته واتينا
من كل شي سببا وهو ما يتوصل به فاتبع سببا قيل طريقا بين المشرق
والمغرب والسبب الطريق وقيل مسلكا لفتح المداين وقتل الاعدا حتى اذا
بلغ مغرب الشمس اي ما زال يسير في البلاد ويفتحها حتى بلغ اقصى عمارة
الارض وراى هناك ماء عظيما كدرا ووجد الشمس تغرب في عين حميه اي ذات
حماة قال في الصحاح هي الثاط بالمثلثة وهمزة ساكنة ثم مهملة وقيل حاميه
اي حاره وروي ان معاوية قراه في عين حامية فقال ابن عباس رضي الله عنهما
انما

انما هو حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقراه فقال
كما قراتها يا امير المومنين فقال ابن عباس انما نزل القرآن في بيتي اي بلغة اهل
بيتي يعني قريشا فارسل معاوية الى كعب اين تجد الشمس تغرب في التوراة
فقال كعب انا نجد في التوراة انها تغرب في طين ذي حماة فاما العربية
فانتم اعلم بها وانشد رجل من اليمن في تقوية قول ابن عباس

بلغ المشارق والمغارب يبتغي | اسبابا امر من حكيم مرشد
فراى مغار الشمس عند مغيبها | في عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال ابن عباس ما الخلب قال الطين قال فما الثاط قال الحماة قال فما الحرمد
قال الاسود انتهى وفي الصحاح الخلب بالمعجمة واللام المضمومتين الحماة وهي
الثاط والحرمد الطين الاسود وهو بالحاء المهملة المفتوحة وراء ساكنة
وميم مفتوحة ودال مهملة مثل جعفر وذهب بعض المفسرين الى انها تغرب
في وسط العين وان الماء يفور كغليان القدر ولولا اصوات اهل مدينة
بالمغرب يقال لها جابرسا لها اثنا عشر الف باب لسمعتم وقع هدتها اذا
وقعت اي الشمس وروى الحافظ ابن الجوزي عن الحسن قال وجدها تغرب
في ماء يغلي كغليان القدر ووجد عندها قوما لباسهم جلود السباع
وليس لهم طعام الا ما احرقت الشمس من الدواب اذا غربت نحوها وما لفظت
العين من الحيتان اذا وقعت فيها الشمس قال الحافظ وربما توهم متوهم
ان هذه الشمس على عظم قدرها تغوص بذاتها في عين ماء وليس كذلك لانها
اكبر من الدنيا مرارا كيف يسعها عين وانما وجدها تغرب في العين كما يرى
راكب البحر الذي لا يرى طرفيه ان الشمس تطلع من الماء وتغيب في الماء وقد
ان ذا القرنين انتهى الى آخر البنيان فوجد عينا حمئة ليس بعدها احد
وقيل ان الشمس قدر الدنيا مائة مرة وقيل مائة وعشرين مرة والقمر قدر
الدنيا ثمانية مرة انتهى ثم ان ذا القرنين سار من المغرب نحو المشرق حتى
ظن ان الشمس تطلع منه وقيل حتى لم يبق بينه وبين مطلع احد فوجد
قوما لم يكن بينهم وبين الشمس ستر لانهم كانوا في مكان لا يستقر عليه
بناء وكانوا في اسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معاشهم
وحرثهم وعن الحسن انهم كانوا اذا طلعت الشمس تهوروا في الماء فاذا
ارتفعت عنهم خرجوا وتراغوا كما تتراغى البهايم وفي الصحاح رغا البعير
يرغو رغاء اذا اضج وقيل انهم يصطادون السمك فيطرحونه في الشمس
فينضج فياكلونه قال ابن الجوزي فيقال انهم الزنج ثم سار حتى بلغ بين السدين
بفتح السين وضمها وقيل ما كان من الله كالجبال والشعاب فبالضم وما كان
من الادمي فبالفتح والسدان جبلان منيفان من ورايهما ياجوج وماجوج
فوجد امام السدين قوما لا يكادون يفقهون قولا لانهم لا يعرفون غير لغتهم

فقال لو الاسكندر على لسان ترجمان اقامه لهم ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض اى في ارضنا وبلادنا ياكلنا ويأكلون رطبها ويحملون يابسها ويتناولون من بينا لونه ولا يموت الواحد منهم حتى يلد الفا من صلبه وان انت مدة على ما ترى من نمائهم فانهم يملئون الارض ويجلون اهلها ويظهرون ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا اى عطية من اموالنا نخرجها اليك على ان تجعل بيننا وبينهم سدا فقال لهم الاسكندر ما اعطانيه ربى من التمكن خير من عطيتكم المال ولكن اعينونى بآلة او بقوة ابدانكم حتى اجعل بينكم وبينهم ردما اى سدا متراكبا بعضه على بعض آتونى زبر الحديد اى تجزوا قطعا كبارا من الحديد وجيئونى بها فلما جاؤه بها امر العملة بتنضيدها اى ترتيبها فى الموضع بين الصدفين وهما جانبا الجبلين وكان بينهما فرسخ فلما اخذ فى بناء الردم حفر اساسه الى ان بلغ الماء ثم جعل عرضه فرسخا وقيل ميلا وسيأتى مقدار الفرسخ والميل بالملحق بهذا الباب عند ذكر ابرهيم عليه السلام وجعل حشوه الصخر وطينه النحاس بذاب ثم يصب عليه ثم قال للعملة انفخوا فى الاكوار فلما حمى الحديد وكان كالنار قال ائتونى بالقطر اى النحاس المذاب والرصاص المذاب وربما فى بعضه عند اسم سليمان عليه السلام فاتوه به فامر بصبه على زبر الحديد فاختلط ولصق بعضها ببعض حتى صار كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فما اسطاعوا يعنى ياجوج وماجوج حينئذ ان يظهروه اى يعلوا السد لارتفاعه وما استطاعوا له نقبا لشدته وصلابته فلما تم قال الاسكندر هذا رحمة من ربى اى نعمة من الله على وعلى من خاف معرة ياجوج وماجوج فاذا جاء وعد ربى جعله دكا اى مدكوكا وقيل غير ذلك قال وكان وعد ربى حقا ووعد الله قوله تعالى فى سورة الانبياء حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وكان الله تعالى اخبر ذا القرنين بذلك **وقال** الحافظ بن الجوزى ياجوج وماجوج اعجميان وقد همزهما عاصم وعن الليث الهمز لغة ردية **وفى** اللباب قيل انهما اسمان عربيان مشتقان من اجيج النار **وعن** ابن عمر ان الله جزاء الانس عشرة اجزاء فتسعة اجزاء ياجوج وماجوج وسائر الناس جزء واحد **وعن** كعب انهم من ولد آدم وذلك انه نام ذات يوم فاحتلم وامتزجت نطفته بالتراب فلما انتبه اسف على ذلك الماء فخلق الله تعالى من ذلك الماء ياجوج وماجوج فهم يتصلون بنا من جهة الاب دون الام **اقول** ويحسن ان يكون ذلك اخا فيمن له اب من غير ام وقد نظمت ذلك فى بيت يكون تاليا للبيت المشهور الذى قيل فى عيسى وآدم عليهما السلام **وهو**

« عجبت لمولود وليس له اب ، وذى ولد لم يلده ابوان » **فقلت**

وذى

« وذى والد من غير ام اتت به ، فبينه لى وامنن بغير توانى »

وروى ابن الجوزى عن ابن عباس انهما رجلان وهما ابناء يافث بن نوح وطولهم شبر وشبران وثلاثة اشبار **وعن** على رضى الله عنه ان منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط فى الطول ولهم من الشعر ما يواريهم من الحر والبرد **وقال** الضحاك هم جيل من الترك وقيل السدى الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجة **وروى** شقيق عن حذيفة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ياجوج وماجوج فقال ياجوج امة وماجوج امة كل امة اربعمائة امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى الف ذكر بين يديه من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز قلت يا رسول الله وما الارز قال شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع فى السماء اى فى العلو وصنف منهم عرضه مثل طوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدهم اذنه ويلتحف بالاخرى ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية **وروى** ابن الجوزى حديث ابى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان ياجوج وماجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يجدون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا ستحفرونه غدا فيعودون اليه فيرونه كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا ان يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله فيعودون وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس وذكر باقى الحديث قال الحافظ وقد ذكرت الحديث بطوله واشباهه فى كتاب الحدائق انتهى **وفى المصابيح** فى الحديث الذى ورد فى نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ومسحه عن وجوه قوم عصمهم الله منه وتحديثهم بدرجاتهم فى الجنة قال فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى عليه السلام انى قد اخرجت عبادا لى لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من فى الارض فهلم وفى نسخة هلم بنا فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم

يحفونه دما ويحصر نبي الله عيسى واصحابه حتى يكون راس الثور لاحدهم
خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه
اي يدعون بهلاكهم فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون
فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى
الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم
فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيرا
كاعناق البخت فيحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ويروى تطرحهم
بالنهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين
ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى
يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ
تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى
ان اللقحة من الابل لتكفي الفيام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة
من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث
الله ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مومن وكل مسلم
ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة
لغة حديث المصابيح لا يدان اي لا طاقة فحرز بحاء ثم راء مهملتين
امر من باب التفعيل اي ضمهم الى الطور الحدب بفتح المهملتين وباء
موحدة ما ارتفع من الارض ينسلون من باب ضرب اي يسرعون في خروجهم
بحيرة طبرية تصغير بحرة لا بحر لان تصغيره بلا هاء وهي بالشام طولها
عشرة اميال وجبل الخمر بفتح الخاء المعجمة والميم ثم راء الشجر الملتف سمي الجبل
به لانه ينبت العنب بلا سقي وقدوم جماعة من الاوس والخزرج على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قدرهم سبعون رجلا في الموسم في خمر قومهم وهم
خمارية يعني في زحمتهم مثل خمارهم قال البرهان الحلبي فتكون تسميته
لازدحام اشجاره وهذا الوجه اقرب النغف بفتح النون والغين المعجمة
هو الدود يكون في انوف الابل والغنم واحده نغفة فرسى بفتح الفاء
وسكون الراء وفتح السين المهملة مثل غضبى وشكوى اي موتى الزهمة
الرائحة المنتنة نتنهم بفتح النون وسكون المثناة الفوقية النهبل
مثل جعفر اسم موضع من اراضي بيت المقدس وقيل حيث تطلع الشمس
وقوله يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر اي يرسل الله مطرا
مدرارا بحيث لا يستر احدا بيت مدر ولا وبر من ذلك المطر يقال كننت
الشي واكننته اي سترته كذا في بعض شروح المصابيح وفي بعضها يكن
بضم الكاف من باب نصر اي ستر ومفعوله محذوف اي لا يكن شيئا
منه بيت مدر ولا وبر يعني اي لا يصون من ذلك المطر حائل شيئا بل يعم

منقول من بعض شروح وفي الصحاح وفي المغرب

وقيل النهبل البحر الذي عند مطلع الشمس وقيل المهرة المداهرة في الارض انتهى

الاماكن

الاماكن كلها والزلفة بفتح الزاي واللام وسكونها وتضم الزاي مع فتح
اللام وسكونها الاجانة البيضا وقيل الخضرا وهي شبه لقن يغسل فيه
الثياب والاجانة عامية كذا في المغرب والرسل بكسر المهملة الاولى وسكون
الثانية اللبن بفتح الباء الموحدة التحتية في المراد الحليب واللقحة بكسر
اللام وسكون القاف الفا اللقوح من النوق وهي الحلوب وقال ابو عمرو اذا
نتجت فهي لقوح شهرين او ثلثة ثم هي لبون بعد ذلك والفيام بكسر الفاء
مهموزا الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والعامة تقول فيام
بلا همز كذا في الصحاح وفيه القبيلة بنو اب واحد والفخذ في بعض شروح
المصابيح الفخذ والعشيرة اقل من البطن والبطن اقل من القبيلة والقبيلة
بنو اب واحد ويتهارجون حال من شرار الناس يعني يبقى شرار الناس
فيها رجين مختلطين اختلاط الحمر فعليهم تقوم الساعة وسياتي في
الباب السادس والخمسين شي من اخبار الاسكندر وفي الباب المائة ترجمة
ياجوج وماجوج انتهى يونس بن متى عليه السلام وفي اسمه ست لغات
بفتح النون وكسرها وضمها وقبلها واو ساكنة وبالحركات الثلاث في النون
وقبلها همزة ساكنة مكان الواو كما تقدم في يوسف من اللغات قال ابو الوليد
ومتى امه ولم يشتهر احد من الانبيا بامه الا هو وعيسى بن مريم عليهما
السلام وقال الحافظ ابن الجوزي ان الياس ايضا بن متى بن فيحاص بن العيزار
ابن هارون بن عمران لكن يحتمل اشتراك متى في الرجال والنساء ولذا لم يذكر
ليونس جد بحيث يوصف متى بابن او بنت وذكر للياس اجداد ووصف ابوه
متى بابن لا بنت وكان اهل نينوى هي قرية تجاه الموصل يفرق بينهما دجلة
يعبدون الاصنام فنهاهم عن ذلك فلم يتوبوا فاوحى الله اليه ان اخبرهم
ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم وخرج من بين اظهرهم فلما اصبحوا
غامت السماء غيما اسود هايلا له دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم
فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك وطلبوا يونس فلم يجدوه وقذف الله في قلوبهم
التوبة فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونسايهم واولادهم ودوابهم ولبسوا
المسوح واخلصوا النية واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة
وولدها من الناس والانعام حتى حن بعضها الى بعض وعلت اصواتها
وتضرعوا الى الله تعالى وقالوا يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى يا حي لا اله
الا انت فكشف الله عنهم العذاب وجاء يونس فلم ير العذاب حل بهم فقال
كيف ارجع الى قومي وقد كذبتهم فذهب مغاضبا لقومه اي غضبانا قال
في الصحاح غاضبه راغمه والمراغمة المغاضبة والرغم الغضب فدخل في
سفينة فوقفت باهلها فقال رايسها فيكم من له ذنب فتساهموا فوقعت
على يونس فرموه فالتقمه الحوت فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك

انى كنت من الظالمين فاستجاب الله له ونجاه وكذلك قوله تعالى فاستجبنا
له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ويأتي الكلام على دعوته هذه في خاتمة
الخاتمة وقوله تعالى في الصافات وانبتنا عليه شجرة من يقطين وهو ما له
ورق عريض منبسط على وجه الارض والمراد به هنا القرع لانه لما نبذ بالعراء
اى رمى بالارض التى لا شجر فيها ولا بناء كان جلده فى غاية الرقة فكان يؤذيه
وقوع الذباب عليه وورق القرع لا يحوم حوله الذباب ولا يقع عليه وضبط
ابو الريحان البيروني نينوى بكسر النون الاولى وضم الثانية وياء مثناة
تحتية ساكنة بينهما وياء اخرى بآخر الاسم قبلها واو ساكنة وذكر انها
بالشام فعلى هذا تكون الموصل من الشام وقيل بلدة نينوى التى بالشام على ما يأتي
بالملحق بهذا الباب فى قصة ايوب عليه السلام ان سكنه حين بلواه كان تلقاء
مدينة قوم يونس ومقام يونس وقبره بقرية من القرب من الخليل اسمها
حلحول بفتح المهملة الاولى وضم الثانية ولام ساكنة بينهما ثم واو ولام آخر
الاسم داود عليه السلام وصفه الله تعالى بذي الايد قيل لان الله تعالى انعم عليه
نعما كثيرة لم ينعمها على غيره ممن قبله على ان الايد جمع يد وهي النعمة والاكثرون
على انها القوة وكان قد اعطى قوة شديدة على طاعة الله تعالى وعبادته
يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد الصوم ويصلي نصف النهار ويقوم الليل كله
وفي الكواشي انه كان ينام النصف الاول من الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
مع سياسة الملك ويجوز ان يراد القوة في الجسد والدين انتهى وفي سورة بني
اسرائيل وآتينا داود زبورا قال تاج القراء وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها
حكم ولا فرض انما هي ثناء ووعظ والزبور من قولك زبرت الكتاب زبره زبرا اذا
كتبته ذكره ابن الجوزي في سورة النساء وسأثبت شيئا من الزبور نثرا ونظما
وذنبه وتوبته عند اسمه بالملحق بهذا الباب وكان داود اشقر اللون ورأيت
في بعض الكتب ان الله تعالى انزل عليه في الزبور ان يا داود خلقت تسعا
واسكنتهن في تسع الشطارة في الادب والكياسة في الكوسج والنكبة في الاعرج
واللجاجة في الاحول والشوم في الاعور والغفلة في السمين والفتنة في القصير
والحماقة في الطويل والخيانة في الاشقر يا داود اشكر نعمتي عليك اذ خلقتك
اشقر وجعلت فيك الخير انتهى وهذا يقتضي ان كل اشقر خبيث ولا من انعم الله
تعالى عليه منهم بان يجعل فيه الخير نعمة من الله عليه وفضلا والله يؤتي فضله
من يشاء والله ذو الفضل العظيم ويقال ان المراد بالاشقر والاعرج والاعور الاشقر
العدسي الذي بوجهه وبدنه شامات مثل العدس والاعرج الوقصي الذي يكون
في مشيه كالراقص والاعور الفصي الذي يكون على عينه مثل فص الخاتم نابتا
اللهم عافنا مما ابتليت به كثيرا من خلقك بكرمك يا الله وداود اول من سرد
الدروع وكانت قبل ذلك صفائح فخلقها وجعلها حلقا وسرد الدروع نسجها

وهو تداخل الحلق بعضها في بعض وقيل معنى السرد الثقب واول من قال اما بعد وهي
فصل الخطاب يعني انها تفصل بين الكلامين السابق واللاحق كما هو شأن
كثير من المصنفين انه بعد ان يقدم خطبة الكتاب من الحمدلة والتصلية
وغير ذلك يقول اما بعد فكذا وقيل ان اول من قالها من العرب كعب بن لوي وقيل
قس بن ساعدة الايادي وقيل ان فصل الخطاب الذي اعطاه الله داود هو
القضاء بالبينة او اليمين وذلك ان الله تعالى علق سلسلة في السماء وامره
ان يقضي بها بين الناس فمن كان على الحق يأخذ السلسلة ومن كان على الباطل
لا يقدر على اخذها ثم ان رجلا غصب من آخر لؤلؤا فجعله في جوف عصا له ثم
خاصمه المدعي الى داود عليه السلام فقال المدعي ان هذا اخذ مني لؤلؤا ولم يرده
علي واني صادق في مقالتي فجاء واخذ السلسلة ثم قال المدعى عليه خذ مني
العصا فاخذ عصاه فقال اني رددت عليه اللؤلؤ واني صادق في مقالتي فجاء
اخذ السلسلة فتحير داود عليه السلام في ذلك فرفعت السلسلة وامره الله
تعالى بان يقضي بالبينة او اليمين وذلك فصل الخطاب وقال علي رضي الله عنه
فصل الخطاب قوله صلى الله عليه وسلم البينة على المدعي واليمين على من انكر
لان الكلام كلام الخصوم ينفصل وينقطع بذلك ولما مات يوشع بقي تدبير
بني اسرائيل بعده اربعمائة سنة وثمانين سنة يحاكم كالقضاة الى ان بعث الله
تعالى اشمويل النبي فدبرهم احد عشر سنة ثم سألوه ان يقيم فيهم ملكا خوفا من
جالوت وكان يعبد الاوثان هو وقومه فسأل اشمويل الله ذلك فاتي بعصا
وقرن فيه دهن وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا
ومتى دخل عليك رجل فنش الدهن فهو الملك فادهن به رأسه وملكه على بني اسرائيل
فقاس القوم انفسهم بالعصا فلم يكونوا على مقدارها وكان طالوت دباغا
فضلت حمر لابيه فارسله مع غلام له في طلبها فر ببيت اشمويل فدخل ليسأله
عن ضالتهما فنش الدهن فقام اشمويل وقاس طالوت بالعصا فكان على مقدارها
فدهنه ثم قال له انت ملك بني اسرائيل فقال طالوت اما علمت ان سبطي ادنى
اسباط بني اسرائيل وبيتي ادنى بيوتهم قال بلى قال فباي آية قال بآية ان ترجع
وقد وجد ابوك حمره فكان كما قال فقالت بنو اسرائيل انى يكون له الملك علينا
لانه كان فيهم سبطان في احدهما النبوة وفي الآخر الملك ولم يكن هو من احد
السبطين وقالوا ولم يؤت سعة بفتح السين يعني الذي تتملك به الملوك
فقال اشمويل ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره وزاده بسطة اي سعة
في العلم والجسم قيل كان طالوت اعلم بني اسرائيل بالحرب وكان يفوق الناس
بمنكبيه وعنقه ورأسه ثم اظهر الله تعالى فيهم آية حكمه فتبعوه فلما
خرج لقتال جالوت خرجت معه بنو اسرائيل ومن جملتهم اخوة داود
عليه السلام فمضى داود لينظر اليهم فنادته ثلاثة احجار خذنا فانك تقتل

جالوت بنا فاخذها وجاء الى طالوت فقال ما لي ان قتلت جالوت قال لك
ثلث ملكي وان وجدت ابنته فبرز داود لجالوت ورماه بالاحجار فقتله
وصار لداود ثلث الملك هذا ملخص كلام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في تفسير
سورة البقرة وفي لباب التفاسير ان داود عليه السلام مر بحجر فناداه يا داود خذني
الذي قتل به موسى عدوه وناداه اخر بانه الذي قتل به هرون عدوه فاخذ
وناداه اخر بانه الذي يقتل به داود جالوت فاخذه فصارت الاحجار
الثلثة فصارت حجرا واحدا فرمى به جالوت فقتله وقال ابو الوليد فاحب
الناس داود فحسده طالوت واراد قتله ثم ندم وقصد الفلسطينيين
وقاتلهم الى ان استشهد هو واولاده ثم استقر الملك لداود ودخلت
جميع الاسباط تحت طاعته وانتقل الى القدس المبارك وفتح ارض فلسطين
وعمان بضم المهملة وتخفيف الميم وحلب ونصيبين وبلاد الارمن وملك
اربعين سنة وعمره سبعون سنة ثم شرع داود في بناء بيت المقدس
وسبب ذلك انه لما كثر طغيان بني اسرائيل اوحى الله تعالى الى داود اني اقسم
بعزتي لابتلينكم بالقحط سنتين او اسلط عليكم العدو شهرين او الطاعون
ثلاثة ايام فجمعهم داود وخيرهم واحدة من الثلاثة فقالوا انت نبينا وانت
انظر لنا من انفعنا فقال اما الجوع فانه بلاء لا يصبر عليه احد واما العدو
والموت فاني اخبركم ان اخترتم تسليط العدو لا يبقيكم والموت بيد الله
تموتون باجالكم في بيوتكم ففوضوا ذلك الى الله تعالى فهو ارحم بكم فاختار لهم
الطاعون وامرهم ان يتجهزوا ويلبسوا اكفانهم ويخرجوا بنسائهم وابائهم
واولادهم امامهم وهو خلفهم على الصخرة والصعيد الذي بني عليه بيت
المقدس وهو يومئذ صعيد ففعلوا ذلك فنادى داود يا رب انك امرتنا
بالصدقة وانت تحب المتصدقين فتصدق علينا برحمتك اللهم امرتنا
ان نعتق الرقاب فنسالك برحمتك ان تعتقنا اليوم اللهم وقد امرتنا ان لا
نرد السائل اذا وقف بابوابنا وانت تحب من لا يرد السائل فقد جئناك
سائلين فلا تردنا ثم خروا سجدا من حين الفجر الصبح فسلط الله عليهم الطاعون
الى ان زالت الشمس ثم رفعه الله عنهم ثم اوحى الله الى داود ان ارفعوا رؤوسكم
فقد شفعتك فيهم فرفعوا رؤوسهم وقد مات منهم مائة الف وسبعون
الفا اصابهم الطاعون وهم سجود فنظروا ملائكة يمشون بينهم بالخناجر
ثم صعد داود فارتقى الصخرة رافعا يديه يحمد ويشكر الله ثم انه اجتمع ببني
اسرائيل بعد ذلك وقال ان الله سبحانه وتعالى قد رحمكم وعفا عنكم فاحدثوا
لله شكرا بقدر ما ابلاكم قالوا مرنا بما شئت قال اني لا اعلم امرا ابلغ في شكركم
من بناء مسجد على هذا الصعيد الذي رحمكم الله عليه فنبنيه مسجدا نعبد
الله فيه ونقدسه انتم ومن بعدكم قالوا افعل فسال داود ربه فاذن له

فاقبلوا

فاقبلوا على بنائه وذلك لاحدى عشر سنة خلت من ملك داود فادركت داود
الوفاة قبل اتمامه فاوصى الى ابنه سليمان عليه السلام ان يكمل عمارته فعمره
كما سياتي عند اسمه وقيل اول من بنى بيت المقدس في الارض ادم وسياتي بالملخص
لسليمان اقوال في بنائه واما سبب استخلاف سليمان فما ذكره محب الدين
منصور بن العادية في الدرة السنية في اخبار الاسكندرية عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال نزل كتاب من السماء على داود مختوما بخاتم من ذهب
فيه ثلاث عشرة مسئلة واوحى اليه ان سل ابنك سليمان عنها فان اخرجهن
فهو الخليفة بعدك فقال له ابوه قال سل وما توفيقي الا بالله قال
ما ابعد الاشياء • وما اقربها • وما انسها • وما اوحشها • وما احسنها
وما اقبحها • وما اقلها • وما اكثرها • وما القائمان • وما المختلفان
وما المتباغضان • وما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد اخره • وما الامر الذي
اذا ركبه ذم اخره • قال سليمان اقربها الاخرة وابعدها ما فاتك من الدنيا
وانسها جسد فيه روح واوحشها جسد لا روح فيه واحسنها الايمان
بعد الكفر واقبحها الكفر بعد الايمان واقلها اليقين واكثرها الشك والقائمات
السماء والارض والمختلفان الليل والنهار والمتباغضان الموت والحيوة
والامر الذي اذا ركبه الرجل حمد اخره الحلم عند الغضب والامر الذي اذا ركبه ذم اخره
الحدة عند الغضب ففك الخاتم فاذا هي كما نزلت من السماء واما ذنبه الذي
تاب منه وغفر الله له ففيه اقوال اللائق منها بالاية انه راى امراة اوريا عليه
السلام فاعجبته فارسل خلف اوريا وكان في غزاة فلما حضر اكرمه وقال له انزل
لي عن امراتك وانظر اي امراة في بني اسرائيل اعجبتك او اي امة شئت ابتاعها
لك فقال لا اريد بامراتي بدلا فامره ان يرجع الى غزاته فتمنى تلك المراة حلالا
وحدثته نفسه بذلك فاتفق غزو اوريا وهلاكه من غير ان يسعى داود
في سبب قتله ولا في تعريضه للهلاك فلما بلغه قتله لم يجزع عليه كما جزع
على غيره من جنده ثم تزوج امراته ومنها رزق سليمان عليه السلام فلما
ارسل الله اليه الملكين في صورة الادميين وتداعيا عنده وذلك قوله تعالى
في سورة ص وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب • وهو الغرفة اي اتوا
غرفته • اذ دخلوا على داود ففزع منهم • لدخولهم عليه بغير اذنه في غير
وقت الخصومة • قالوا لا تخف خصمان • اي نحن خصمان • بغى بعضنا
على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر عن الحق في الحكومة وقرئ
في الشواذ ولا تشطط بفتح التاء وشط واشط لغتان واصلهما البعد
واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة
فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات

وقيل ما هم وظن داود انما فتناه فخر راكعا واناب اى علم ان الله تعالى
ابتلاه وان دعواهم الذى به كانت تنبيها له على ما وقع منه فسجد اربعين ليلة
لا يرفع راسه الا للصلاة المكتوبة او حاجة لا بد منها ولم يذق طعاما ولا
شرابا فاكلت الارض من جبينه ونبت العشب من دموعه حتى غطى راسه ثم
نادى رب قرح الجبين وجمدت العين وداود لم يرجع اليه فى خطيئته شئ
فنودى اجايع فتطعم ام مريض فتشفى ام مظلوم فننتصر لك قال وهب بن
منبه نودى يا داود ارفع راسك فانا قد غفرنا لك فرفع راسه وقد
زمن وصار مرتعشا وقيل لم يشرب شرابا الا ممزوجا بدموع عينيه حتى
الله تعالى اليه ان ارفع راسك فانى قد غفرت لك وقال داود يا رب
كيف لى ان اشكر نعمتك فاوحى الله اليه اذا علمت ان النعم التى لك منى فقد
شكرتنى وكان حزينا فى عمره باكيا على خطيئته ومن يعلون للدنيا وانتم لا
ترزقون فيها الا بالعمل للاخرة واما اوريا هذا فيعرف فى زماننا باوريا
ابن حنان وقبره بزار خارج مدينة خراب تسمى قورس بالسين المهملة
ويسمونها الان قورص بالصاد المهملة وهو بمسجد غربى المدينة مقبو
بالحجارة ويصعد من داخله فى درج من حجر الى سطح مبلط مستدير معقود
عليه قبة عالية على اعمدة على قدر السطح وتحت القبة الى جانب المطلع منزل
فى درج من حجر مخفى بين الحيطان يقال انه يصل الى قلعة البلد فى سرداب
تحت الارض يقال ان الملك كان يأتى منه الى زيارة اوريا وعلى راس هذه
القبة جرن صغير من حجر يقال انه ترى الطيور تشرب منه شتاء وصيفا
وقورس هذه تغرب لنا وهى خراب وكانت بلدة كبيرة وبها اثار كثيرة ولها
قلعة عظيمة متصلة بالبلد من جهة الشمال على جبل بعضها خراب وبعضها
آيل الى الخراب وسمعت والدى يحكى ان هذه القلعة كانت حاصلا لاسلحة
هرقل صاحب انطاكيه لكون السلاح لا يصدى بها بخلاف انطاكيه وهذه
البلدة الآن من عمل الراوندان وهى شمالى عزاز من مضافات حلب عن نصف
يوم وكان من دعاء داود عليه السلام يا رازق النعاب فى عشه يريد فرخ
الغراب وذلك انه يقال اذا انفقأت عنه البيضة خرج ابيض كالشحمة
فاذا راه الغراب انكره فباضه وتركه فيسوق الله تعالى اليه البق فيقع عليه
لزهومة ريحه فيلقطها ويعيش بها الى ان يحم ريشه فيسود فيعاوده ابواه
عند ذلك ويالفه ويلقطه الحب قال الجوهرى نعب الغراب بالنون والعين
المهملة والباء الموحدة صاح ينعب بالكسر ومن دعائه اللهم لا صحة تطغينى
ولا مرض يضنينى ولكن بين ذلك قال ابن شداد فى تاريخ حلب وقصة اوريا
مع داود عليهما السلام مشهورة ونقل فيه عن الشيخ على الهروى السائح
المدفون بحلب خارج باب المقام وعليه عمارة بعض السلاطين وقبره يزار

انه قال

انه قال ان لداود مقاما بجبل برصايا المطل على عزاز من عمل حلب وان
بشيحا من عمل عزاز قبر اخى داود انتهى قولنا ما جبل برصايا فيه الآن
مشهد عظيم البناء ترى منه قلعة حلب عند طلوع الشمس وعند غروبها
ويرى الجبل المذكور من قلعة حلب ايضا لكن يعرف هذا المشهد الآن
ببرصايا العابد وما لقرب منه باعلا الجبل صفة قدم فى الصخر وعنده
قبة صغيرة وبالقرب من المشهد المذكور جهة الشرق اشجار ارز متقاربة
طوال لا يقطع احد منها شيا ابدا يقال ان ذلك المكان مقام الاربعين وبالقرب
من المشهد اسفل منه قبليه بقرب مسجد صغير به منارة تقصدها الزوار
ويدخلون اليها يقال انها كانت معبدا لبرصايا وليس لداود عليه السلام
اثار بهذا الجبل الآن ويحتمل ان تكون قبة القدم هى مقامه والقدم قدمه
والله اعلم وهذا الجبل كثير البركة عليه الانس ويقال ان المطر لم ينقطع عنه
وانه فى كل سنة يمطر اربعين مطرة يعرف ذلك اهل بلد عزاز واما المقام
الذى بشيحا فيزار الآن لكن يقال انه قبر حنان بن اوريا واكثر من يزوره
ويحلف به الاكراد وذكر الكسائى ان داود عليه السلام دفن دون غار
ابرهيم عليهما السلام والمشهور يومئذ ان قبره ومقامه على تل بمرج دابق
شمالى حلب عن نحو يوم وقيل انه مقام وان المدفون فيه سليمان بن
عبد الملك الخليفه الاموى فانه توفى بالمرج المذكور ودفن فى المقام المذكور
وهو الآن عامر يأتيه الزوار بالنذوره وعنده كانت الوقعة بين السلطان
السعيد الشهيد سليم خان بن المرحوم السلطان بايزيد بن عثمان وبين سلطان
مصر قانصوه الغورى فى غرة رجب سنة اثنين وعشرين وتسعمائة
ولما انتصر السلطان سليم فى هذه الوقعة وقتل الغورى بالمرج المذكور
دخل الى الزيارة واحسن الى خدامها احسانا كثيرا ورتب لهم

سليمان بن داود عليه السلام اوصى اليه ابوه وعمره اثنا عشر سنة
ومن جملة وصيته اتمام عمارة بيت المقدس وهو اول من عمل له الحمام واول
من دخله روى الطبرانى انه لما دخله ووجد حره فقال اوه من عذاب الله
اوه من قبل ان لا تنفع اوه اقول قال فى الصحاح قولهم عند الشكاية اوه من

كذا ساكنة الواو وانما هو توجع وربما قلبوا الواو الفا فقالوا آه من كذا
وربما شددوا الواو وكسروها فقالوا اوه من كذا وبعضهم يقول أَوَّهْ
بتشديد الواو وفتحها ساكنة الهاء لتطويل الصوت بالشكاية وذكر فيها
لغات لم اذكر منها الا ما لايم هذا المقام وقال في المغرب الحمام تذكره العرب
وتؤنثه وهو اول من صنعت له النوره رواه الطبراني وذلك ان بلقيس
قالت له ما مسني حديد قط وكانت مشعره فقال للشياطين انظروا لي
شيئا يذهب بالشعر غير الحديد فوضعوا له النوره وسياتي قول اخر في
وضعها واول من صنعت له الفصوص الصغار من الرخام الملون وهو
ان بلقيس لما دخل فصل الصيف واحترقت الاعشاب والازهار طلبت
منه ما يقوم مقام ذلك فامر الجان ان يصنعوا له ذلك فصنعوا الفصوص
الصغار من الرخام الملون وجعلوه نقوشا مختلفة وقالوا كلما اردت
روية ازهار الربيع وحشايشه تنبع على هذه الفصوص الماء وهو اول
من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فيما حكاه الله تعالى عنه في قوله تعالى
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم واول من صنع له الصابون
صنعه له الجان واول من صنع له البارود واول من صنع له ارحا الماء وذلك
انه كانت له جارية تطحن له كل يوم ثلاثة اقفزة فخالطها شيطان فانطلق
الى البحر فشقه واتخذ رحى فكان يذهب ببرها كل ليلة فيطحنه في ساعة
ثم ياتيها به فانكر ذلك سليمان عليه السلام فسالها فدلته عليه فعمل له
ارحاء الماء وقال تاج القراء في تفسير سورة ص انه اول من استخرج له
اللؤلؤ من البحر وقصصه كثيرة مذكورة في محالها فمنها قوله تعالى في السورة
المذكورة ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي
الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت
بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق وفي ذلك اقوال كثيرة
منها ان الخيل التي عرضت كانت الف فرس مخلفة عن ابيه عرضها طالبا
جهاد عدو له وقيل كانت خيلا خرجت من البحر او اخرجها له الشياطين
من البحر ذوات اجنحه وعدتها عشرون فرسا وقيل هي خيل غنمها من جيش
غزاه فظفر به واختلف في عددها فلا زالت تعرض عليه من بعد الظهر الى
ان غابت الشمس ففاتته صلوة العصر وكانت مفروضة عليه وكان مهابا
لم يتنبه احد بشي فلم يذكروه الصلوة ونسي هو فلما غابت الشمس ذكر الصلوة
فقال اني احببت اي اثرت حب الخير اي حب الخيل عن ذكر ربي اي على ذكر ربي
والعرب تسمي الخيل الخير ومنه تسمية النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخيل رضي
الله عنه بزيد الخير وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه حب الخيل ولما
حصل لسليمان الغيظ لفوات الصلوة بسبب الخيل قال ردوها على فلما

ردوها

ردها اليه طفق اي ظل يمسحها مسحا بالسوق والاعناق اي قطع اعناقها
وعرقب ارجلها لمنعها له من الصلوة قال الزجاج لم يفعل ذلك الا وقد اباح
الله له ذلك وما اباح الله تعالى فليس بمنكر لان النبي لم يقدم على محرم ولا
يتوب من ذنب بذنب اخر وقيل ذبحها للفقراء والامانة منها في ايدي الناس
من الخيل العراب فهي منها وقال صاحب ثمرات الاوراق في كتابه المسمى انه عرقب
الالف التي ورثها من ابيه الا فرسا له تعرض عليه فوفد عليه قوم من الازد
وكانوا اصهاره فلما فرغوا من حوايجهم قالوا يا نبي الله ان ارضنا شاسعة
اي بعيدة فزودنا زادا يبلغنا اياها فاعطاهم الفرس التي فضلت من الخيل
وقال اذا نزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فانكم لا تورون ناركم
حتى ياتيكم الغلام بطعام فساروا بالفرس وكانوا لا ينزلون منزلا الا ركبه
احدهم للقنص فلا يفلت شيئا تقع عينه عليه من طير او بقرة او حمار يعني
وحشيين الى ان قدموا بلادهم فقالوا ما لفرسنا هذا اسم الا زاد الركب
فسموه بذلك فاصل فحول العرب من نتاجه وقيل مسح الغبار عن اعناقها
وسوقها بيده وقيل غير ذلك وعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي
الله عنه في قوله ردوها علي يعني الشمس والخطاب للملايكة تضرع الى
الله تعالى في ردها فقيل له قل للملايكة الموكلين بها ردوها علي فرد
الله تعالى له الشمس فصلى العصر في وقتها وذلك لانه كان تعرض عليه
الخيل لجهاد عدو حتى توارت والصافنات القايمات وقيل القايمات
على ثلاث قوايم وقد اقامت الرابعة من يد او رجل على طرف حافرها
وهو سنبكه وهذا من صفات الخيل العراب ومن صفاتها الحميدة
ان يكون يدا الفرس واحدى رجليه محجلة اي بيضا والرجل الاخرى
مطلقة واذا كانت المطلقة هي رجل اليمنى فهو احسن وايمن ويقال
محجل الثلاث مطلق اليمين وشرط البياض ان يكون مكان الحجل وهو القيد
لانه بمنزلة حجل المراة وهو خلخالها والجياد جمع جواد وهو الذي يجود
بالركض كثيرا فمن الجياد ما ذكر في نثر الدر ان فرسا كانت لجذيمة الابرش
اسمها العصا فيقال ان قيصر ركبها لما صار جذيمة في بلاد الروم فركضها
فذكروا انها لم تقف الا على ثلاثين ميلا ثم وقفت وبالت فبني على ذلك برجا
فسمي برج العصا واما ضرب الدابة بالعصا وسياتي في بابه عن ابن عباس لا
يستغني عن السوط والعصا الا فره الدواب ومن الجياد فرس بكير بن عبد الله
ابن الشداخ الليثي وشهد مع سعد القادسيه فيقال انها لما قطعوا الجسر
صاح بها وقال اطلال فاجتمعت ووثبت فاذا هي من وراء النهر وهزم
الله المشركين يوميذ فيقال ان عرض ذلك النهر يوميذ اربعون ذراعا
فقالت الاعاجم هذا امر من السماء وقال النابغة الشاعر في وصف الخيل

اطلال

فكانما نفثت حوافر خيله　　　للناظرين اهلة فى جلمد
وكان طرف الشمس مطروف وقد　　　جعل الغبار به مكان الاثمد

وقد تقدم شى من صفات الخيل عند ذكر اسمعيل عليه السلام ومن
قصص سليمان عليه السلام ما اخبر الله تعالى به فى سورة سبا فى
قوله ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر
ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه
من عذاب السعير يعملون له ما يشآء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب
وقدور راسيات قال فى لباب التفاسير ما ملخصه اى وسخرنا لسليمان
الريح تسير به كل يوم مسيرة دواب الناس شهرين وكانت ريحا واحدة
من الرياح لم يسخر له غيرها منها وكانت اقامته بتدمر وهى مما بناها
الجن له فكان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم
يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع ولما
غضب سليمان عليه السلام لله تعالى لفوات صلوة العصر وعقر الخيل
كما تقدم عوضه الله تعالى بتسخير هذه الريح تجرى بامره رخآء قال
السمين اى لينة طيبة واما قوله تعالى فى سورة الانبيآء ولسليمان الريح
عاصفة اى وسخرنا لسليمان الريح عاصفة شديدة الهبوب فالجواب
عنه ان فى اول خروجها تكون شديدة ثم تسلس وتسترخى او انها فى
تسييرها ما تحمله بمنزلة العاصفة لبعد مسافة مسيرها وفى عدم
ازعاج ما تحمله بمنزلة الرخآء يعنى انها جامعة بين هذين المعنيين انتهى
واذاب الله تعالى له عين القطر اى عين النحاس فسالت ثلاثة ايام كما يسيل
المآء بغير معالجة كما الآن لابيه الحديد وكانت بارض اليمن وانما ينتفع الناس
اليوم بما اخرجه الله لسليمان يعنى باليمن وقيل القطر هو الصفر وهو
النحاس الاصفر وقيل الرصاص وقيل الحديد والصحيح انه النحاس احمر او اصفر
وسخر الله تعالى له الجن وامرهم بطاعته ومن يزغ منهم اى يمل ويعدل عن
الذى امره الله تعالى من طاعته يذقه الله تعالى من عذاب السعير وذلك
ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان
ضربه ضربة احرقته فكانوا يعملون له ما يشآء من محاريب قيل هى المساجد
وقيل القصور والمساكن والابنية ويعملون له تماثيل اى تصور له كالعباد
والملآئكة والانبيآء قايمين راكعين ساجدين ليقتدى بهم من رآهم
فيزداد عبادة ولم تكن محرمة يومئذ وكانوا يعملونها من نحاس وصفر
وشبه ورخام واما بناؤهم له الصرح من قوارير فذلك انه لما ارسل سليمان
بلقيس واتت اليه قالت الجن ان راها سليمان استحسنها وتزوجها وبقى
ولدت له غلاما لم يبرح من العبودية الى آخر الدهر وكانت بلقيس شعراء

الساقين فبنوا صرحا ممردا من قوارير اى من زجاج وصوروا فى باطنه
حيوان البحر وجلس سليمان عليه السلام فى اقصاه على كرسى واستدعى
بلقيس لتراه وتتعجب منه وانما اراد الجن بذلك ان يظهر لسليمان عليه السلام
شعر ساقيها فتنبو عينه عنها فلما رأت بلقيس حسبته لجة وكشفت عن
ساقيها كما اخبر الله تعالى لتخوضه فراها سليمان فاعجبه حسنها واستقبح
شعرها فاقسم على بعض الجن ان يعرفه ما يذهب ذلك فاخترع له النورة
فاطلت بها وتزوجها سليمان عليه السلام بعد ان اسلمت كذا فى كتاب
تحفة العروس ومتعة النفوس ويقال ان النورة التى يستعملها الناس
الآن هى تلك الا انها ناقصة حاجة واحدة لو عرفت لما احتاج احد الى ان
يطلى بها مرة ثانية وقيل انهم عملوا لسليمان اسدين اسفل كرسيه ونسرين
وكان كرسيه عظيما فكان اذا اراد ان يصعد الكرسى بسط الاسد
ذراعيه فيصعد عليه واذا قعد عليه اظله النسران باجنحتهما فلما مات
سليمان عليه السلام جاء افريدون وقيل بخت نصر ليصعد الكرسى فلما
دنا منه ضربه الاسد على ساقه فكسره فلم يجسر احد بعد ذلك ان يدنو
من الكرسى وعملوا له الجفان العظيمة اى صحافا كل صحفة كالجابية وهى
الحوض ياكل من كل صحفة منها الف رجل وكالجواب اصله كالجوابى بالياء
تحذف تخفيفا كالمهتد والمناد وهذا اولى بالحذف فان الجمع ثقيل
وعملوا له قدورا راسيات قال ابن عباس رضى الله عنهما اثافيها منها
وكانت من حجارة وقال غيره راسيات ثابتات لها قوايم منها لا تنزلن
عن اماكنها ولا تحركن لعظمها وفى بعض التفاسير ان تلك القدور باقية
باليمن يصعد اليها بالسلاليم وكان لسليمان اثنا عشر الف خباز واثنا عشر
الف طباخ يصلحون الطعام فى تلك الجفان لكثرة القوم ومن قصصه عليه
السلام قصة النملة اذكر ذلك ملخصا من لباب التفاسير قال الله تعالى
وحشر لسليمان جنوده جمع جند وهو لا يجمع وجمع هنا لاختلاف اجناس
عساكره من الجن والانس والطير فهم يوزعون اى لهم وزعة يدفعون
الزحام ويوقفون اوائلهم ليتلاحقوا والوزع المنع اى يمنعون اولهم من
السير وآخرهم من الوقوف وقيل التفريق ومنه التوزيع اى يفرقهم اين
اراد وكان معسكره مائة فرسخ ربع للانس وربع للجن وربع للطير وربع
للوحش حتى اذا اتوا على وادى النمل واد بالشام عند الجمهور وقيل بالطائف
وسمى وادى النمل لكثرة النمل به قيل كانت تلك النملة كالذباب بكسر الدال وقيل
كالبخاتى والمشهور انها الصغار قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا
يحطمنكم سليمان وجنوده قيل كانت هذه النملة ذات جناحين فكانت
من الطير فعلم منطقها وعن مقاتل انه سمع كلامها من ثلاثة اميال حملته الريح

اليه وقيل بل تفهم كلامها كما تفهم كلام الهدهد وكان يفهم كلام جميع الطيور
وعن كعب قال صاح ورشان عند سليمان فقال عليه السلام اتدرون
ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب ويقال ان لله ملكاً
ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب وصاح عنده طاوس فقال انه يقول
كما تدين تدان والهدهد يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح خطاف فقال يقول
قدموا خيراً تجدوه وهدرت حمامة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء
سمائه وارضه قال والقطا يقول من سكت سلم والحداة تقول كل شيء هالك
الا وجهه والباز يقول سبحان ربي وبحمده والطوطوي تقول كل حي ميت
وكل جديد بال وعن بعضهم قال مر سليمان ببلبل يحرك راسه ويميل
ذنبه فقال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء اقول
قال في الصحاح العفاء بالفتح والمد التراب وقال صفوان بن محرز اذا
دخلت بيتي فاكلت رغيفا وشربت عليه ماء فعلى الدنيا العفاء رجع
والضفدع بكسر الضاد المعجمة يقول سبحان ربي القدوس والضفدعة
تقول سبحان المذكور بكل لسان والصُرد بضم المهملة وفتح ثانيه
طائر يقول استغفروا الله يا مذنبون قال الجوهري الصُرَد طائر وقال
ابو حاتم في كتاب الطير هو طائر ابقع ابيض البطن اخضر الظهر ضخم المنقار
وله برثن اي اصابع ويسمى الاخيل لاختلاط لونه لا يكاد يرى الا في شعبة
او شجرة لا يقدر عليه شيء يصطاد العصافير وصغار الطير ويتشاءم به
انتهى وفي الصحاح الاخيل الشقراق وانه يتشاءم به ايضا ويقال رجل اخيل
اي كثير الخيلان جمع خال وهي الثالثة وعن الحسن قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلون
وصاح صُرَد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون فنهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قتله وعن جعفر الصادق عن ابيه عن
جده رضي الله عنهم قال يقول النسر يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت
قال واذا صاح العقاب يقول في البعد عن الناس انس واذا صاح الخطاف
يقرأ الحمد لله رب العالمين فاذا بلغ الضالين مد بها كما يمد بها القارئ
قال واذا صاح القنبر يقول اللهم العن مبغضي محمد وآله وهذه
كلمات ذكرها الثعلبي وغيره من المفسرين وكلها حكم والله اعلم بحقيقة
ذلك ويحتمل ان يكون ذلك تسبيحها تارة ونطقها مع نوعها تارة قال
تعالى في سورة بني اسرائيل تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم والتسبيح تنزيهه
تعالى من ان يكون له ضد او ند او صاحبة او ولد وقيل ان معنى قوله تعالى
وان من شيء اي ان من شيء من الاحياء وقيل هو عام حتى صرير الباب ونقيق

الغراب ورعد السحاب وقيل تسبيح كل شيء هو حمل غيره على التسبيح اذا تامل فيه
وتدبره عود الى تمام قصة النملة وقوله تعالى وهم لا يشعرون من تمام
كلام النملة اي وهم لا يشعرون انهم يحطمونهم او استئناف اي فهم سليمان
قولها والقوم لا يشعرون وروي انه عليه السلام حبس جنده حتى دخلن
بيوتهن وذكر الدميري ان النمل لا يتزاوج وانما يسقط منه شيء حقير في الارض
فينمو حتى يصير بيضا ثم يكون منه فائدة البيض كله بالضاد المعجمة الا
بيض النمل فانه بالظاء المعجمة المشالة ويأتي مثل ذلك في الملحق بالباب العاشر
ويقال النمل لا ياكل لانه لا جوف له ينفذ فيه الطعام وانما قوته اذا قطع
الحب في استنشاق ريحه فقط وعن سفيان بن عيينة انه قال ليس شيء
يدخر قوته الا الانسان والنمل والفار وبه جزم في الاحياء واذا نبتت له اجنحة
كان سببا لهلاكه لانه اذا طار التقفته العصافير قال الشاعر

واذا استوت للنمل اجنحة   حتى يطير فقد دنا عطبه

وليس في الحيوان ما يحمل اضعاف بدنه مرارا غيره كنوى التمر وسبب ذلك الحرص
والشره مع عدم انتفاعه به ويجمع غذاء سنتين لو عاش ولا يكون عمره
اكثر من سنة ويأتي الحرص في الباب ٦٥ وعن قتادة انه دخل الكوفة فاجتمع
عليه الناس فقال اسألوا عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث
السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال
ابو حنيفة رضي الله عنه كانت انثى فقيل له كيف عرفت ذلك فقال من قوله
تعالى قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال تعالى قال نملة وروي ان سليمان
عليه السلام قال لها لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم أخفت عليهم مني ظلما
قالت لا ولكن خشيت ان يفتتنوا بما يروا من جمالك وزينتك فيشغلهم
ذلك عن طاعة ربهم وقال بعض اهل التذكير انها تكلمت بعشرة انواع من
البديع قولها نادت ايها نبهت النمل سمت ادخلوا امرت مساكنكم نصت
لا يحطمنكم حذرت سليمان خصصت وجنوده عممت وهم اشارت لا يشعرون
اعتذرت واما قصة الهدهد وبلقيس في قوله تعالى وتفقد الطير
فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين قيل كانت الطير تظل فوق
راس سليمان حتى تستره عن الشمس فسقطت الشمس عليه من مكان الهدهد
لما غاب وكان الهدهد يستر منكبه الايمن فنظر الى الطير فوقه فلم يجده فقال
ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين فائدة قال الصفدي في شرح لامية
العجم قرأ ابو عمرو بن العلاء ما لي لا ارى الهدهد بسكون ياء لي فسئل لاي شيء
قرأت بسكون الياء هنا وفتحها في وما لي لا اعبد الذي فطرني فاخترت تحريك
الياء وما ثمة ضرورة الى تحريكها فقال لان السكوت ضرب من الوقف فلو
سكنت الياء هنا كنت كالذي يبرأه وقال لا اعبد الذي فطرني فاخترت حركة

الباء هربا من ذلك وهناك لا ضرورة تودي الى فساد المعنى فاخترت التسكين
لانه اخف رجع الى ذكر تخلف الهدهد قال الزمخشري كان سبب تخلفه عن
سليمان انه راى هدهدا من جنسه واقفا فوصف له ملك سليمان وما
سخر الله له من كل شيء فذكر له ذلك الهدهد ايضا ملك بلقيس وان تحت
يدها اثنا عشر الف قايد تحت كل قايد ماية فذهب لينظر فما رجع الى
بعد العصر فدعى سليمان عريف الطير وهو النسر فاخبره عنه فلم يجد عنده
علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب ائتني به فارتفع ونظر فاذا هو مقبل
فقال له الهدهد ناشدتك الله وبحق الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني
فتركه وقال ثكلتك امك ان نبي الله حلف ليعذبنك قال وما استثنى
قال بلى قال او لياتيني بسلطان مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه
وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا فلما دنا منه اخذ راسه فمده اليه
وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه
قال عكرمة وانما اعرض سليمان عن ذبح الهدهد لانه كان برا بوالديه
ينقل الطعام اليهما فيزقهما قال الحافظ وهو وفاء محفوظ وذلك انه اذا
غابت انثاه لم ياكل ولم يشرب ولم يشتغل بطلب طعم ولا يقطع الصياح
حتى تعود اليه فان حدث لها حادث اعدمه اياها لم يسفد بعدها انثى
ابدا ولم يزل صايحا عليها ما عاش ولم يشبع بعدها من طعم بل ينال منه
ما يمسك رمقه الى ان يشرف على الموت فعند ذلك ينال منه يسيرا وذكر
اصحاب الخواص ان في ريش راسه واجنحته وذنبه ومنقاره وقلبه وكبده
وعظامه خواصا عجيبة وقيل ان ذلك لا حقيقة له وانما رجل من المغاربة
لبس ثوبا مصبوغا فذرق الهدهد على ثوبه فافسد صباغه فقال
لاكتبن لهذا الطاير خواصا عجيبة بحيث اذا امسك لا يفلت بل يذبح
وينتف ريشه وتفصل عظامه ويخرج قلبه وكبده فكتب ذلك فهو اذا
مسك لا يفلت ويشترى من الصيادين بثمن جيد انتهى وانا اذكر لك في
بعض اخبار بلقيس اذ في ذكر كلها طول فمن قصص بلقيس ما ذكره الزمخشري
في تفسير قوله تعالى على لسان بلقيس واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة
بم يرجع المرسلون انها بعثت لسليمان خمسماية غلام عليهم ثياب الجواري
وحليهن وخمسماية جارية على زي الغلمان كلهم على سروج الذهب والخيل
المسومة والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
والمسك والعنبر وحقا فيه درة يتيمة وجزعة معوجة الثقب وبعثت
برجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذي راي وعقل وقالت
ان كان نبيا يفرق بين الغلمان والجواري ويثقب الدرة ثقبا مستويا
ويسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو

ملك

ملك فلا يهولك نظره وان رايته بشاشا لطيفا فهو نبي فاعلم الله سبحانه
وتعالى سليمان بذلك فامر الجن فضربوا له لبن الذهب والفضة وفرشوها
في ميدان بين يديه طول سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حايطا شرفه
من فضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان
ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا على اليمين واليسار
ثم قعد على سريره والكراسي عن جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا
والانس صفوفا والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم
من سليمان وراوا ذلك طاشت عقولهم ثم نظروا الى تلك الدواب وهي
تروث على لبنات الذهب والفضة رموا بما معهم منها فلما وقفوا بين
يديه نظر اليهم بوجه طلق مع بشاشة وتبسم ثم اعرضوا الهدية عليه
فامر بدودة الارضة فاخذت شعرة ونفذت بها في الجزعة المعوجة
ثم امر دودة بيضاء فاخذت بفيها الخيط ونفذت فيها ودعا بماء وامر
الجواري والغلمان ان يغسلوا وجوههم فكانت الجارية تاخذ الماء
بيدها اليمنى فتجعله في الاخرى ثم تضرب وجهها والغلام كما ياخذ الماء
يضرب به وجهه ففرق بينهما بذلك ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم
واعلمها بذلك قالت هو نبي وما لنا به طاقة فخرجت اليه طايعة في اثني
عشر الف قيل واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وتزوجها وحبها
حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها باليمن ثلاثة قصور
لم ير مثلها حسنا وارتفاعا وكان يزورها في ملكها كل شهر مرة فايدة
في قوله تعالى في سورة النمل يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها الى قوله تعالى
قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قيل
الذي عنده علم من الكتاب هو الخضر عليه السلام في قول ابن لهيعة وقال
الزهري دعا يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها
فمثل بين يديه كذا في كرامات الاولياء لابي قاسم الطبري اللالكائي واما عمارة
بيت المقدس فقيل انه لما مضى له من ملكه اربع سنين بنى بيت المقدس بوصية
والده له في ذلك ولما فرغ من عمارته سال الله تعالى ثلاثا ساله ملكا لا
ينبغي لاحد من بعده وساله حكما يوافق حكمه وساله ان لا ياتي احد هذا البيت
لا يريد الا الصلاة الا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ولهذا كان عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما ياتي بيت المقدس فيدخل فيصلي ركعتين ثم يخرج ولا
يشرب فيه كانه يطلب دعوة سليمان عليه السلام ذكره القاضي مجير الدين
في تاريخه ومن ملكه الذي لم يصل اليه احد من بعده الحداة كان يصطاد
بها والآن لا يصطاد بها شيء والصقر الجيد هو الذي يشبه كفه كفها وراسه
راسها قال الدميري وهو احسن الطيور وزعم رواة الاخبار انها من جوارح

سليمان وانما امتنعت من ان تولد وتملك لانها من الملك الذي لا ينبغي لاحد
من بعده ولو كانت مما يصاد بها لما كان في الكواسر احسن صيد منها ولا
اجل ثمنا وهي تخطف ولا تصطاد ولا تخطف الا من يمين من تخطف منه
دون شماله ولذا يقال للعقاب العسري وقال القزويني انها سنة ذكر وسنة
انثى وقال ابن وحشيه وابن زهر بضم الزاي وسكون الهاء ان العقاب في
الحداة يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابا وكانت الحمر الوحشية من
مراكبه والان لا تركب حتى ان الحمار منها يربى وهو صغير جدا فلا يستطيع
احد ان يركبه او يحمله شيئا اذا كبر وان ثبت تحت الركوب والحمل ثبت ساعة
ثم القاه عن ظهره بعد ساعة يسيرة ولم يزل نفورا متوحشا وهي في
جريها اسرع من الخيل العراب حتى انه قل ما يلحقها شيء من العراب والحمار
الوحشي له غيرة شديدة حتى انه يغار على قرينته من اولادها فعند ولادتها
يكون عندها فان ولدت ذكرا قطع انثييه باسنانه ولهذا غالب ذكورها
يكون خصيا ولا يسلم منهم من ذلك الا من ولدته امه بغيبة ابيه وهربت
به سنه وهو يعيش زمانا ويعزى الى ابن خلكان انه ذكر في تاريخه ان بعض
الامراء اصطاد حمارا وحشيا في سنة ستين وستماية فطبخوه فلم ينضج
ولا اثرت فيه كثرة الطبخ ثم افتقدوا امره فاذا هو مدموغ على اذنه
بهرام جور قال وهذا يقتضي ان لهذا الحمار قريبا من ثمانماية سنة فان
بهرام جور كان قبل البعثة الشريفة بمدة طويلة انتهى رجوع وقد دون
العلماء كتابا في فضائل بيت المقدس وعمارته وتاريخه وسياتي ذكر عمارته
وخرابه وعمارته مرارا بالملحق بهذا الباب عند ذكر اسم سليمان عليه السلام
وعاش سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة وكانت مدة ملكه
اربعين سنة واما وفاته عليه السلام قال الله تعالى في سورة سبا
فلما قضينا عليه الموت ما دلهم اي الجن وقيل آل داود على موته الا دابة
الارض قيل هي الارضة وقيل دابة تاكل العيدان يقال لها القادح تاكل
منساته اي عصاه مشتقة من نسات البعير اي زجرته وطردته وتدبيره
في السير والهمز وتركه فيه لغتان وفي سبب اخفاء موته اقوال الاول
انه كان كلما صلى ببيت المقدس نبت بين يديه نبات فكان يقول له ما
اسمك ولم انت فيقول له كذا وكذا فيقلعه ويغرسه في موضع ويكتب
اسمه ومنفعته فيصلي يوما فنبت بين يديه نبات فقال له ما اسمك
فقال الخرنوب قال لم انت قال للخراب هذا المسجد قال سليمان ما كان الله
ليخربه وانا حي فهو قرب اجله وبعده يخرب وكان قبل ذلك يخلو السنة والشهر
والشهرين في بيت المقدس يدخل فيه طعامه وشرابه ثم انه دخل البيت
وادخل الطعام والشراب واتكا على عصاه فمات والخرنوب بفتح الخاء

المعجمة

المعجمة وتشديد الراء والخروب بضم الخاء وسكون الراء بعدها نون مضمومة
بعدها واو ساكنة ثم باء موحدة تحتية لغة فيه ولا تقل الخرنوب اي
لا تاتي بالنون فيه مع فتح الخاء والثاني انه كان قد قال لملك الموت اذا
امرت بي فاعلمني فاتاه فقال يا سليمان قد امرت بك فدعا الشياطين
فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب والصرح القصر وكل بناء عال والجمع
صروح فقام يصلي واتكا على عصاه فقبضت روحه الثالث انه كان
لم يتم بناء بيت المقدس فلما حضره الموت قال لاهله لا تخبروا الجن
بموتي ولا تبكوا علي سنة حتى يفرغوا من بنائه الرابع عن مجاهد ان
سليمان تحنط وتكفن ثم جلس على كرسيه وجمع كفيه على طرف عصاه
ثم وضعها تحت ذقنه فمات وبقي كذلك سنة الى ان اكلت الارضة
اسفل عصاه فخر ساقطا قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا
يعلمون ما لبثوا في العذاب المهين اي في التعب والشقاء
ونصب العمل وذلك ان الجن كانوا يزعمون ان عندهم شيئا من علم الغيب
فعلموا يومئذ ان الامر بخلاف ذلك وقيل كانوا يظهرون للناس تمويها
انهم يعلمون الغيب فلما بقوا في العذاب حولا بعد موته علموا ان ذلك
قد ظهر للناس قال القفال دلت هذه الآية على ان الجن لم يسخروا الا
لسليمان عليه السلام وانهم بعد موته تخلصوا من تلك الاعمال الشاقة
وانما تهيا لهم ذلك لان الله تعالى زاد في اجسامهم وقواهم وغير
خلقتهم عن خلق الجن الذي لا يرون وكانوا بمنزلة الاسرى في يديه
عليه السلام ثم مات هولاء بعد سليمان فجعل الله خلق الجن على
ما كانوا عليه قبل ذلك من الدقة والضعف والخفاء فصاروا لا
يرون ولا يقدرون على شيء من هذه الاعمال ولا على نقل الاجسام الثقال
لان ذلك كان معجزة لسليمان عليه السلام لقمان وسياتي حكمه وهو
ابن احد عشر سنة مخالفا فيه لحكم ابيه في الباب العشرين وشيء من عمارة
بيت المقدس في الباب الخامس والتسعين لقمان كان اللايق ذكره
بعد داود عليه السلام لكونه كان في ايامه لكني لم افرق بين داود
وسليمان في الذكر لارتباط بين قصصهما فاقول هو لقمان بن باعورا
وقد ذكر الثعلبي اول الباب الخلاف في نبوته وحكمته وفي لباب
التفاسير قيل كان عبدا صالحا حبشيا وقيل نوبيا وقيل خياطا وقيل
نجارا بالجيم والراء وقيل نجادا بالمهملة وقيل راعيا وقيل انه تلمذ لالف
نبي وتلمذ له الف نبي وآتاه الله الحكمة وهي العقل وقيل العلم والعمل به
والاصابة في الامور وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وكانت الحكمة تجري
على لسانه فاخبر بذلك مولاه فاراد ان يجربه فدعاه فقال اذبح شاة

واتنى باطيب بضعتين منها فذبح شاة واتاه بالقلب واللسان
فسأله عن ذلك فقال له انهما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا
خبثا ووقف عليه انسان في مجلسه فقال الست الذي كنت ترعى معي في
مكان كذا وكذا قال بلى فقال له ما بلغ بك ما ارى فقال صدق الحديث واداء
الامانة والصمت عما لا يعنيني وقال له داود عليه السلام يوما كيف
اصبحت فقال اصبحت في يد غيري فتفكر داود فصعق صعقة عظيمة
وروى انه كان نائما وسط النهار فنودي يا لقمان ان الله خيرك بين
النبوة والحكمة فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلا وان
عزم علي فسمعا وطاعة فان الله اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت
لا يراهم لم استغنها قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم
من كل مكان ان يعز فبالحري ان ينجو وان اخطا اخطا طريق الجنة
ومن يكن في الدنيا ذليلا خيرا من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على
الاخرة تفتنه الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه
فنام نومة فاعطي الحكمة وذلك قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة ان
اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد لان
الشاكر يستحق المزيد من قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم اي تعود منفعة
شكره اليه والكافر لا يضر الله بكفره فان الله غني عن العباد وشكرهم
محمود في صنعه وفي الحكم المروية عن لقمان كثيرة واما وصيته لابنه
فقد قال الله تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم قيل كان اسم ابنه أَنْعَم وقيل مِشْكَم وقيل ماثان والمراد
بالشرك ان لا يضع العبادة في غير موضعها قيل كان ابنه كافرا فاسلم وقيل
ان لقمان قال لولده ان الله رضيني لك فلم يوصني بك ولم يرضك لي فوصاك
بي ثم قال تعالى بعد آيات يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في
صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بني
اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان
ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا
ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان
انكر الاصوات لصوت الحمير اي ان الله تعالى يأتي بالسيئة او الخطيئة ولو
كانت صغيرة كزنة حبة من خردل محفوظة في اخفى موضع فيخرجها بلطف
عالما بمكانها فيجازي عليها واصبر على ما اصابك في ذات الله من الاذى
اذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر او على ما اصابك في الدنيا من الشدايد
كمرض وفقر وهم وغم فان ذلك يعني الصبر او ما اوصيك به من عزم الامور
اي مما عزم الله على عباده اي امرهم به امرا حتما والعزم توطين النفس على

الفعل

الفعل وقيل ضبط الامور واصلاحها وقيل الحزم بالحاء المهملة والزاى
بلغة هذيل قلبت العين حاء وهو بعيد اذ الحزم الحذر والعزم الثبات
وصعر وصاعر لغتان اي لا تعرض بوجهك عمن يقبل اليك استخفافا به
وقيل لا تلوي عنقك تكبرا واستخفافا بمن يسلم عليك وقيل لا تحقر الفقراء
ليكن الفقير والغني عندك سواء وقوله تعالى مرحا اي خيلاء وكبرا ولا
تمش في معصية والمختال المتكبر المنان وقيل المتكبر في نفسه الفخور على
غيره والقصد في المشي المتوسط وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال
كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن
واغضض من صوتك انقص منه والغض النقصان وقيل واخفض من
صوتك وان انكر الاصوات اي اقبحها وقيل انقلها على السمع عند الناس
وقيل غير ذلك وعن سفيان الثوري صياح كل شئ تسبيحه الا الحمار
فانه يصيح لرؤية الشيطان وقيل المراد من صوت الحمير التزهيد في رفع
الصوت على الناس كما تقول الشره من فعل الكلاب وقيل لا يمتنع ان يكون
في الاصوات ما هو انكر من صوت الحمار فيكون تقدير الآية ان من انكر الاصوات
صوت الحمير وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض ثلاثة اصوات
نهقة الحمار ونباح الكلب والداعية بالحَرَب بفتح الحاء والراء المهملتين
يعني النائحة وعن الماوردي في انكر الاصوات لصوت الحمير العطسة
القبيحة المنكرة انتهى ملخصا ومما وصى به لقمان ولده قوله اذا اردت ان
تواخي رجلا فاغضبه فان انصفك في غضبه والا فدعه اقول وفي معنى
ذلك قال بعضهم اذا كنت مختارا لنفسك صاحبا ٭ فمن قبل ان ترضيه
فاكتب فان كان في حال التغضب راضيا ٭ والا فقد جربته فتجنبه ٭
ومن وصاياه لا تمنعك مساوي اخيك من ذكر محاسنه ومنها
تودد الى الناس فان التودد اليهم امن ومعاداتهم خوف ومنها
خصلتان اذا انت حفظتهما فلا تبال ما ضيعت بعدها دينك لمعادك
ودرهمك لمعاشك ومنها استعذ بالله من شرار النساء وكن من خيارهن
على حذر ومنها واياك وصاحب السوء فانه كالسيف المسلول يعجبك منظره
ويقبح اثره ومنها ان الاطاد تكسب الاوزار فارفض وطرك واغضض
بصرك ومنها يا بني قد ندمت على الكلام وما ندمت على السكوت ومنها
من كذب ذهب جمال وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه ونقل الصخور من
مواضعها ايسر من تفهيم من لا يفهم ومنها اذا افتقرت فلا تحدث
احدا بفقرك لئلا يبغضك الناس وتهون عليهم ومنها عليك بمجالس
العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله يحيي القلب الميت بالحكمة كما يحيي الارض

بالود اغضبه

يقال والفلا اذا نهق الحمار [illegible]
[illegible] شيطانا [illegible]

بوابل المطر ومنها يا بني ان غاية الشرف والسودد في الدنيا والآخرة حسن العقل
لان العبد اذا حسن عقله غطى ذلك عيوبه واصلح مساويه ورضي عنه
خالقه وكفى بالمرء عقلا ان يسلم الناس من شره ومن كلامه ثلاثة لا يعرفون
الا في ثلاثة مواطن الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب والاخ عند
الحاجة ومنه لا ينبغي للعاقل ان يخلي نفسه من اربعة اوقات فوقت
منها يناجي ربه ووقت يحاسب نفسه ووقت يكسب فيه لمعاشه ووقت
يخلي فيه بين نفسه ولذتها من غير محرم يستعين بذلك على ساير الاوقات
ومنه لا يهونن عليكم من قبح منظره ورث لباسه فان الله تعالى انما ينظر
الى القلوب ويجازي بالاعمال وقيل ان آخر ما قاله لقمان لابنه انها ان تك
مثقال حبة الى قوله يات بها الله ثم تفطر من هيبة هذه الآية فمات وكان
ذلك آخر كلامه وقال البيضاوي انه كان ابن اخت ايوب او خالته عاش
حتى ادرك داود عليه السلام واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعثه
ومن حكمته انه صحب داود شهورا وهو يسرد الدروع فلم يساله عنها
فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال لقمان الصمت حكمة وقليل
فاعله انتهى زكريا بن ماثان عليه السلام وقيل بن اذن وقال تاج القراء
انه ابن يعقوب بن ماثان وهو المراد في قوله تعالى في سورة مريم يرثني
ويرث من آل يعقوب قال ويعقوب ليس هو ابن اسحق بن ابرهيم عليهم
السلام بل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان وكانت زوجة زكريا
اخت مريم بنت عمران وماثان من نسل سليمان ذكر ابن الجوزي ان زكريا اسم
اعجمي وان فيه اربع لغات بالالف مقصورا وممدودا وبغيرها بتشديد
الياء وبتخفيفها وكان ماثان وعمران اخوين تزوجا اختين احديهما
ام يحيى والاخرى ام مريم ولهذا كفل زكريا مريم بعد ابيها عمران وقد تقدم
عند اسم ادم عليه السلام ان عمران هذا غير عمران ابي موسى وان بينهما
الف سنة فراجعه وكان زكريا نجارا فيما قيل ولما اتاه جبريل بالنبوة
والرسالة الى بني اسرائيل سجد لله تعالى ثم خرج اليهم ودعاهم الى طاعة
الله تعالى فصدقه بعضهم وكذبه بعضهم فاقام فيهم يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وكان عمران بن ماثان يشتغل بعبد الله تعالى ويحضر
عند زكريا فيسمع منه ما ينتفع به وينصرف ومات زكريا مقتولا قتله بنو
اسرائيل حين اتهموه بانه ركب من مريم الفاحشة فقطعوه في جوف شجرة
بنصفين وقبره يزار بجامع بني امية بدمشق ذكر مقتله قيل انه لما قامت
اليهود عليه وكذبوه ارادوا قتله فهرب منهم فتبعوه فلما رآهم قد
ادركوه راى شجرة فقال لها احبسيني فانفتحت له فدخلها وانضمت عليه
والتامت كما كانت فاتت اليهود الى الشجرة فلم يروا عندها احدا فرجعوا

فاتاهم

فاتاهم اللعين ابليس فقال لهم ما فعلتم فقالوا ما رايناه ولا نعلم كيف غاب
عنا فقال لهم انه داخل الشجرة فقالوا له لا سبيل الى ذلك فقال ارجعوا
لاريكم ما بد لكم عليه فاتوا معه الى عند الشجرة فاراهم طرف ثوبه خارجا من
الشجرة وكان ذلك بتقدير الله تعالى واستجارته بالشجرة من دون الله تعالى
فتحيرت اليهود في قطعها فقال لهم اللعين ابليس اصنعوا صفيحة من الحديد
وركبوها على الشجرة واقطعوها وصور لهم صورة وذهب عنهم فلما عملوها
ووضعوها على الشجرة لم تقطع فاتاهم اللعين وقال لهم اعملوا لها مقابضا
من خشب فانه من جنس الشجرة واربطوها بحبل وذهب عنهم ففعلوا ذلك
فقطع ادنى قطع فاتاهم فقال اعملوا للحبل عودا ادبروه به حتى يعطيكم قوة
وذهب ففعلوا ما قال فزاد قطعه يسيرا فاتاهم وقال لهم اما جعلتم للصفيحة
اسنانا قالوا لا قال فاصنعوا لها ذلك وذهب عنهم ففعلوا ما قال فزادت
قطيعته على الاول فاتاهم اللعين فقال اروني ما صنعتم فاروه المنشار
فقال لو فلجتم اسنانه لما احتجتم بعد ذلك الى شيء فقالوا له كيف نصنع
فقال ايتوني بنعل حمار يكون قد انخرم منه بخش فاتوه به فشرع يصنع سنا
في الخرم ويلويه الى جانب ويلوي ما يجانبه الى الجانب الآخر حتى خالف بين
جميع الاسنان وقال انشروا فلما وضعوه على الشجرة قطع كما يريدون
فلما بلغ المنشار الى راس زكريا قال آه فزلزلت الارض ونزل جبريل عليه
السلام عليه فقال له يا زكريا ان الله تعالى يقول لك ان قلت آه مرة اخرى
يمحو اسمك من ديوان الانبياء يحيى بن زكريا عليهما السلام هو نبي قيل
ان اسمه اعجمي وقيل عربي وفي تسميته به خمسة اقوال ذكرها الحافظ بن
الجوزي منها لان الله تعالى احياه بين شيخ وعجوز وهو قول مقاتل
قال تاج القراء احياه من ميتين في حكم الولادة ومنها لان الله تعالى
احياه بالطاعة فلم يعص ولم يهم بها وفي قوله تعالى في سورة مريم يا يحيى
خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل حفظ التوراة وهو صغير قال
ابن عباس رضي الله عنهما من قرا القرآن قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكم صبيا
وفي قوله تعالى عنه وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا
قيل سلامة له وامان في ازمنة الوحشة قال سفيان بن عيينه اوحش ما
يكون الانسان في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه
ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم القيمة فيرى نفسه في هول
عظيم ومحشر لم ير مثله وفي قوله تعالى في سورة آل عمران مصدقا بكلمة
من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين انه اول من امن بعيسى
وكان اكبر سنا منه وفي السيد ثمانية اقوال الكريم • والحكيم التقي •
والحليم • والفقيه العالم • والتقي • والحسن الخلق • والشريف • والذي

يفوق قومه وقال ابن الانباري السيد هاهنا الرئيس والامام في الخير والحصور
الذي لا ياتي النساء وفيه اقوال منها ان آلته كانت كالعود الصغير او
كالنواة ومنها انه كان لا ينزل الماء ومنها انه كان لا يشتهي النساء ومنها
انه كان يمنع نفسه من شهواتها انتهى وقال تاج القراء هو العنين الذي
لا ماء له فالحصور وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كل بني يلقى الله بذنب اذنبه يعذبه عليه ان شاء
او يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ومن الصالحين ثم
اهوى النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فاخذها وقال كان ذكره
مثل هذه القذاة وهي بالذال المعجمة ما يسقط في العين والشراب من قش
ونقل في قتله عن صاحب السبعيات انه كان ملك في بني اسرائيل له زوجة
ولها بنت من غيره فارادت زوجته ان تزوجه بنتها فاتخذت وليمة وارسلت
خلف يحيى عليه السلام واستفتته في ذلك فقال هذا حرام في دين الاسلام
وخرج من عندها فغضبت عليه واحتالت في قتله فسقت زوجها من
الاشربة المسكرة فلما سكر زينت بنتها وعرضتها على زوجها وقالت له ان
يحيى قال ان هذا حرام فامر بذبحه فذبح كما ذبح الشاة فبكت ملائكة السماء
وقالت الهنا باي ذنب قتل يحيى فقال تعالى ما اذنب ذنبا ولكن احبني فاجتبيته
ويقال قبره بمدينة قسطنطينية التي فتحت في ايام سيدنا عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وفي مرآة الزمان انه لما حفر اساس جامع دمشق وجدوا مغارة
فنزل اليها الوليد ليلا بالشمع واذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع في مثلها
فيها صندوق ففتحه واذا بسفط فيه راس عليه مكتوب هذا راس يحيى بن
زكريا فامر به الوليد فرد الى المكان وقال اجعلوا العامود الذي فوقه منفردا
عن الاعمدة فجعلوه وسفطوا راس العمود وقد تقدم معنى السفط في الباب
الثالث وقال زيد بن واقد رايت راس يحيى بن زكريا قد اخرج من تحت ركن من
اركان القبة فكانت البشرة والشعر لم تتغير انتهى وذكر ابن شداد في تاريخ
حلب قال في سنة خمس وثلاثين واربعمائة ظهر ببعلبك في حجر منقور راس
يحيى فنقل الى حمص ثم نقل الى حلب في هذه السنة ودفن بمقام الخليل الاعلى
وهو جامع القلعة في جرن من الرخام الابيض ووضع في خزانة الى جانب
المحراب من جهة الشرق واغلقت ووضع عليها ستر وفي ايام الملك الظاهر
غازي احترق المقام ولم يحترق الجرن وهذا يدل على ان الراس به لان النار
لم تصل اليه وذكر ابن شداد ان الشيخ علي الهروي الذي ساح غالب الربع
المعمور المدفون ظاهر حلب من جهة القبلة وله مقام مشهور به يزار قال
ان في مقام ابرهيم بالقلعة بحلب صندوق به قطعة من راس يحيى ظهرت
في السنة المذكورة ولما قدمت التتار الى حلب في المرة الثانية اخربوا القلعة

واحرقوا

واحرقوا المقامين حريقا لا يمكن جبره في سنة تسع وخمسين وستمائة نقل الراس
الشريف من القلعة الى الجامع الكبير الاموي بحلب ودفن شرقي المنبر والمحراب
الكبير وعملت له مقصورة اقول وهو الى الآن بهذا المكان يزار ويوقد عليه
قنديل وبخور واما الخزانة التي كان بها بالمقام الاعلى بالقلعة بحلب فالى
الآن عليها ستر ويوقد عليها قنديل كل ليلة ولها مرتب في كل شهر برسم ذلك
رطل من زيت الجامع الاموي بحلب الذي نقل اليه الراس وقيل ان الجامع الاموي
المذكور كان مسقفا بالخشب فحرق في بعض السنين فقام بعمارته النايب بحلب
اذ ذاك وقصد ان يفتح الجرن ويرى الراس الشريف فامر بفتحه وهو واقف
فلما ضرب المعمار المعول في غطا الجرن سقط مغشيا عليه فتركه النايب وعمر
عليه عيسى بن مريم عليه السلام هو نبي مرسل خلقه الله تعالى من ام بغير
اب معجزة باهرة قال الزجاج كان اسمه ايشوع فعرب قال الله تعالى يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والاخرة
ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين وهو كلمة الله
لانه كان عن كلمة الله تعالى كن واصل اسمه بالعبرانية مشيحا بالشين
المعجمة والحاء المهملة ومعناه بلسانهم المبارك وعرب على بقاء معناه فلا
ينافيه المسيح الدال لانه عربي فعيل بمعنى المفعول بمعنى ممسوح العين وفي
المسيح عليه السلام اقوال منها انه كان لا يمسح ذا عاهة بيده الا برا ونسبه
الله تعالى الى امه لينفي عنه ما قال الملحدون من النصارى من اضافته
الى الله تعالى وقد تقدم عند اسم يونس بن متى انه لم ينسب الى امه من الانبيا
غيره وعيسى بن مريم عليهما السلام وقال البيضاوي في قوله تعالى في سورة
بني اسرائيل يوم ندعوا كل اناس بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين
وكذا وكذا ثم قال وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك
اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وان
لا يفتضح اولاد الزنا والوجيه المحبب المقبول او ذو الجاه او ذو المنزلة الرفيع
عند ذوي القدر والمعرفة او كريم لا يرد رجاؤه في الدنيا وفي الاخرة يكون من
علية المرسلين وتكليمه الناس في المهد وهو مرقد الطفل وهو ما مهد له
من سرير لتبرئة امه مما قذفت به من الزنا او لتحقق معجزته اولها والكهل
الذي جاوز ثلاثين سنة واتفق المفسرون انه جاوزها على اقوال منها ان
الله تعالى اوحى اليه على راس ثلاثين سنة ثم رفعه وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة فكانت نبوته ورسالته ثلاث سنين وفي التشبيه به في قوله تعالى
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اقوال منها ان اليهود ثاروا عليه ليقتلوه
فبعث الله جبريل فادخله خوخة فيها روزنة فرفعه الله تعالى من تلك الروزنة
فامر يهوذا راس اليهود رجلا من اصحابه اسمه طيطيانوس ان يدخل الخوخة

فيقتله فلما دخلها لم ير عيسى والقى الله تعالى عليه شبه عيسى فلما خرج
ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه فائدة الخوخة كوة في الجدار تؤدي الضوء
والروزنة الكوة بضم الكاف وفتحها كثقب البيت بالمثلثة اوله مفتوحة
وهي الطاق يوضع بها المصباح وهو السراج قال البيضاوي في قوله تعالى
في سورة طه حكاية عن قول فرعون للسحرة ولاصلبنكم في جذوع النخل ان
فرعون اول من صلب قال صاحب اللباب فيه الصلب جعل الانسان على
خشبة حتى يموت الما وجوعا وعطشا وقيل يترك على الخشبة الى ان يسيل
منه الصليب وهو الودك وهو مفتوح الواو والدال المهملة دسم اللحم وكانت
ولادة عيسى عليه السلام ببيت لحم ومدة حمله قال البيضاوي في سورة
مريم ان في ذلك اقوالا احسنها انها ثمانية اشهر قال ولم يعش مولود وضع لثمانية
اشهر غيره وفي كلامه البر ثلاثة المنطق والنظر والصمت فمن كان منطقه من
غير ذكر فقد لغا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في
غير فكر فقد لها قال واربعة من الانبياء احياء اثنان في السماء وهما ادريس
وعيسى واثنان في الارض وهما الياس والخضر كما تقدم عند اسم كل منهم
صلوات الله عليهم وعلى بقية الانبياء والمرسلين ووجه تسمية امته
بالنصارى هو ان مريم وعيسى عليهما السلام لما رجعا من مصر الى الشام
نزلا بقرية اسمها الناصرة واقام بها عيسى حتى بلغ ثلثين سنة فاوحى الله
تعالى اليه وارسله الى الناس وجاء الى نهر الاردن وهو النهر الذي بالغور
ويقال له الشريعة فاعتمد اي اغتسل وابتدأ بالدعوة وكان يحيى بن زكريا هو
الذي عمده فسميت امة عيسى بالنصارى ولنختم هذا الباب بذكر اسم حبيب
الاحباب خاتم النبيين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين البشير
النذير المؤيد السراج المنير محمد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام
ما غرد القمري وناح الحمام اذ هو خاتم الانبياء والمرسلين من ذكرهم
ومن لم يذكر والشفيع في امته يوم البعث والحشر والعطش الاكبر
فاقول قد ختم الفقيه هذا الباب الذي جعله الباب السادس بعد
المائة في كتابه بذكر خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم
من حيث ذكر اعمار الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما تقدم اول هذا
الباب ثم ذكر نسبه الشريف في الباب العاشر بعد المائة من كتابه ثم ذكر ابوابا
متعلقة به عليه الصلاة والسلام متخللة بين ابواب كثيرة لا ارتباط لها
بها فاستخرت الله تعالى في ان اختم هذا الباب وهو السادس من كتابي
هذا بذكره عليه الصلاة والسلام على ما تراه واتبعه بابا سابعا لكتابي هذا
مشتملا على شيء من سيرته الشريفة واجعل الابواب المتعلقة به كما تقدم فصولا
للباب السابع ليكون ختام هذا الباب السادس والباب السابع من كتابي هذا

وهو

وهو بمنزلة كتاب واحد في بعض ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام لمن اراد
ضم هذه الخاتمة الى الباب السابع وافرادهما عن هذا الكتاب فليجعل الخاتمة بابا
اولا في ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم وما يتبعه مما يأتي والباب السابع بابا
ثانيا في بعض من سيرته وليسم الدر الثمين المنضد في بعض سيرة خاتم
الانبياء محمد فاقول اسمه محمد مشتق من الحمد قال جده عبد المطلب

وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد

قال تاج القراء في تفسير سورة طه ان له سبعة اسماء محمد واحمد
وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وعد له الحافظ
مغلطاي البكجري الحنفي ثلاثة وخمسين اسما في مختصر سيرته المسمى بالاشارة
الى سيرة المصطفى وآثار من بعده من الخلفا منها السبعة المذكورة
ثم قال قال ابن دحية اسماؤه تقرب من الثلاثمائة وانتهى بها بعض المتصوفة
الى الالف وكنيته ابو القاسم وابو ابراهيم وهو اول من سمي محمدا في قول وقد
نقل السهيلي عن علي القيرواني المعبر ان عبد المطلب رأى في منامه
كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض
وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها
نور فاذا اهل المشرق والمغرب كلهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود
يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض
فلما ولد له النبي صلى الله عليه وسلم سماه محمدا لذلك وقيل له كيف سميته
باسم ليس لاحد من آبائك وقومك فقال اني لارجو ان يحمده اهل الارض كلهم
وهو اول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا واول ما سمع منه حين قدم المدينة
اطعموا الطعام وافشوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة
بسلام واول ما قال لما خطب في حجة الوداع بعد حمد الله تعالى ان الله
يوصيكم بالاقارب فالاقارب وهو اول من تنشق عنه الارض قال جدي لامي
قاضي القضاة ابو الفضل وهو اول من يدعى يوم القيمة وعيسى ثم موسى
على الترادف كذا في كتاب الاعلام قال قال العلامة ابو محمد عبد الله بن
عبد العظيم الزهري ومن خطه نقلت بعد ذكر هذا الحديث وهو معنى
قوله عليه الصلاة والسلام نحن الآخرون السابقون وفي البخاري
ان آدم اول من يدعى فيحتمل ان آدم يدعى اولا لمشاهدة العرض ويدعى كل
نبي وامته بعد ذلك فيكون محمد صلى الله عليه وسلم اول من يدعى بامته
انتهى كلام الزهري واول لواء يقرع باب الجنة لواؤه وهو اول من يدخل
الجنة واول من يدخلها من الامم امته وهو صلى الله عليه وسلم كما قال
انا سيد ولد آدم ولا فخر وقد بشر به قبل ولادته في التوراة والانجيل
وبعدها قال الحافظ مغلطاي لما شاع قبل ولادته ان نبيا اسمه محمد هذا

ابان ظهوره اى وقت ظهوره سمى جماعة ابناءهم محمدا رجاء ان يكون هو وسماهم خمسة عشر ولدا وعند ولادته ارسلت امه الى عبد المطلب فى الليلة التى ولدته فيها صلى الله عليه وسلم بان يأتى اليها وكان اذ ذاك طايفا بالبيت فاتاها فقالت له يا ابا الحارث قد ولد لك الليلة مولود له امر عجيب ففزع عبد المطلب وقال اليس هو بشرا سويا قالت بلى ولكن سقط حين خرج خارا كالرجل الساجد ثم رفع راسه واصبعه نحو السماء حين لا تقل دينة راسا ولا ذراعه كما قال فى الصحاح اقل الجرء اطاق حملها انتهى ما قالت وخرج معه نور ملا البيت وصارت النجوم تدنو حتى ظننا انها تقع علينا ولما اشتد بى المخاض وهو وجع الولادة صحاح كثرت على الايادى بالبيت ولما خرج هذا المولود الى الدنيا اخرج معه نور رايت فيه قصور بصرى من ارض الشام ولقد قيل لى فى منامى قبل ان الده انك ستلدين سيد هذه الامة فاذا ولدتيه فسميه محمدا فاذا رفع الى الارض فتولى اعيذه بالواحد من شر كل حاسد فقال عبد المطلب اخرجيه لى يا بنى فلقد كنت الساعة اطوف بالبيت فرايته مال حتى قلت سقط على ثم استوى منتصبا وسمعت من بلغاته قايلا يقول الان طهرنى ربى وسقط هبل بضم الهاء صنم كان بالكعبة سقط على راسه حتى جعلت امسح عينى واقول انما انا نايم فاخرجته اليه فقبله وانطلق به الى الكعبة فطاف به اسبوعا ثم وقف به عند الملتزم وجعل يقول

- يا رب كل طايف وجاهد ۞ ورب كل غايب وشاهد
- ادعوك والليل طفوح راكد ۞ لا تم فاصرف عنه كيد الكايد

وزاد فى نوادر الاخبار بعد ذلك قوله

- واحطم به كل عتو ضاهد ۞ وانشه ما خلد الاوابد
- فى سودد راس وجد صاعد

الطفوح الملان اى ممتلئ بين الافقين من السواد والراكد الساكن وفى ليلة ولادته ارتج ايوان كسرى اى تحرك وتزلزل وسقط منه اربعة عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت بحيرة ساوة اى قل ماؤها وغارت وراى الموبذان قاضى الفرس فى منامه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما اصبح كسرى ارسل خلف القاضى لارتجاج الايوان فقص عليه المنام وقال لعل امرا يحدث من جهة العرب فارسل كسرى الى النعمان بن المنذر يرسل اليه عالم العرب فارسل اليه عبد المسيح بن عمرو الغسانى فاخبره كسرى بما جرى فقال علم هذا عند خالى سطيح بالشام فتوجه اليه وقدم عليه وهو عند الموت فانشده عبد المسيح ابياتا اتاك شيخ الحى من آل سنن وامه من آل ذيب بن

يجئ

يجئ رسول قيل العجم يسرى بالوسن ۞ لا يرهب الذعر ولا ريب الزمن

لا يرهب الذعر اى لا يخاف التفزيع ففتح سطيح عينيه وقال عبد المسيح اتى الى سطيح ۞ وقد وافى الضريح ۞ بعثك ملك ساسان ۞ لارتجاس الايوان وخمود النيران ۞ ورؤيا الموبذان ۞ راى ابلا صعابا ۞ تقود خيلا عرابا قطعت دجلة ۞ وانتشرت فى بلادها ۞ يا عبد المسيح ۞ اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة ۞ وهو العصا الضخمة ۞ وفاض وادى سماوة ۞۞ وغاضت بحيرة ساوة ۞ فليست الشام لسطيح شاما ۞ يملك منهم ملوكا وملكات ۞ على عدد الشرفات ۞ وكلما هو آت آت ۞ وقضى سطيح ۞ وعاد عبد المسيح ۞ فقال انوشروان الى ان يملك اربعة عشر ملكا تكون امور فملك منهم عشرة فى اربع سنين ويروى ارتجاس مكان ارتجاج بالسين المهملة قال فى الصحاح الرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير ورجست السماء ترجس اذا رعدت وتمخضت وارتجست مثله فان كان هو ارتجاج بالجيم آخره وهو الاقرب على ما فى الصحاح بالرا الارتجاج الاضطراب وسياتى بالملحق بهذا الباب الفصل الثالث منه شئ من اخبار الكهنة برسالته وشئ من اخبارهم وعجايب تاويلهم ان شاء الله تعالى وروى ان عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم كان يفرش له فراش الى جدار الكعبة فيجلس عليه فى ظلها ويحدق بفراشه بنوه وغيرهم من سادات عشيرته وكانوا يفرشونه ويجلسون حوله قبل مجئ عبد المطلب فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طفل صغير يدب فلا ينثنيه عن الفراش شئ حتى يجلس عليه فتنزله اعمامه عنه فيبكى حتى يردوه اليه فاطلع عليهم عبد المطلب يوما وقد ازالوه عن الفراش وهو يبكى فقال ردوا ابنى الى مجلسى فانه يحدث نفسه بملك عظيم وسيكون له شان عظيم فكانوا بعد ذلك لا يردونه عن الفراش وبشر بمبعثه وهو صغير قالت مرضعته حليمة السعدية قدم علينا قايف فانطلق الناس اليه ليقفوهم وانطلق زوجى برسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك القايف فلما نظره وهو فى سن الرضاع اخذه من زوجى عبد العزى وقبله وقال ما ينبغى هذا الصبى ان يكون من بنى سعد قال صدقت هو مرضع فينا وهو ابنى من الرضاعة فقال القايف اردده على اهله فان له شانا عظيما وستفترق فيه العرب ثم تجتمع عليه العرب وقال جعفر بن ابى طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طفل صغير يلعب فراه قوم من بنى مدلج بضم الميم قبيلة من كنانة وهم القايفون فدعوه ونظروا اليه والى قدميه وفقده عبد المطلب فخرج فى طلبه حتى انتهى اليهم ورسول الله بين ايديهم وهم يتاملونه فقالوا له ما هذا الغلام وقال ابنى قالوا احتفظ به فانا رأينا قدما

اشبه بالقدم الذي في المقام من قدمه يعنون قدم ابرهيم عليه الصلاة
والسلام في الحجر المسمى بمقام ابرهيم وروى ان قريشا اجتمعت في دار الندوة
يتشاورون وحضرهم قيل من اقيال العرب وهو من ترشح للملك فدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم دار الندوة وهو صغير يدعو عمه اباطالب فنهض
اليه ابوطالب حين اشار اليه وخرجا معا فقال القيل يا معشر قريش من
هذا الغلام الذي ينظر مرة بعيني لبوءة ومرة بعيني عذراء خفرة والخفر
بالتحريك شدة الحياء فقالوا هذا يتيم ابي طالب وهو ابن اخيه ثم قالوا
ان وصفك ينبئ عن امر عظيم في صدرك فقال اما وتنسر صنما كانت حمير
تعبده لئن بلغ هذا الغلام اشده ليميتن قريشا وليحيينها ولقد نظر اليكم
نظرة لو كانت سهما لانتظم افئدتكم فوادا فوادا ثم نظر اليكم نظرة لو
كانت نسيما لانشرت الموتى قالوا حسبك يا قيل حمير فان الامر غير ما
تظن قال سترون قوله بلغ اشده اي قوته وهو ما بين ثماني عشرة الى
ثلاثين وقال الكواشي في تفسير سورة الاحقاف في قوله تعالى حتى اذا بلغ
اشده وبلغ اربعين سنة هو كمال عقله ورايه اقله ثلاث وثلثون سنة
واكثره اربعون سنة وحسبك اي يكفيك هذا الكلام د في نوادر الاخبار
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة
اتته وفود العرب خطباؤها واشرافها وشعراوها يشكرونه على الاخذ
بثاره ويهنونه بما صار اليه من الملك وقدم اليه وفد قريش وفيهم عبد
المطلب بن هشام وامية بن عبد شمس فاستاذنوا عليه وهو في راس
قصر يقال له غمدان بصنعاء اليمن فاذن لهم فدخلوا عليه فاذا هو متضمخ
بالمسك وعليه بردان والتاج على راسه وسيفه بين يديه وملوك حمير
عن يمينه وشماله فاستاذنه عبد المطلب في الكلام فقال ان كنت ممن
يتكلم بين يدي الملوك فقد اذنا لك فقال عبد المطلب ان الله تعالى قد احلك
ايها الملك محلا باذخا، منيعا شامخا، وانبتك نباتا طابت ارومته،
وعزت جرثومته، وثبت اصله، وبسق فرعه، باحسن معدن، واطيب
موطن، فانت ابيت اللعن، ملك العرب الذي تنقاد، وعمودها الذي عليه
الاعتماد، وسايسها الذي بيده القياد، سلفك خير سلف، وانت لنا
منه خير خلف، لا يجهد من هم سلفه، ولا هلك من انت خلفه، نحن
ايها الملك اهل حرم الله، وسدنة بيته فقال له الملك من انت ايها
المتكلم فقال انا عبد المطلب بن هشام قال ابن اخينا قال نعم فاقبل عليه
من بين القوم وقال له مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا
وملكا ربحلا، يعطي عطاء جزلا، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم،
انتم اهل الليل والنهار، لكم الكرامة اذا قمتم، والحباء اذا ظعنتم، ثم امر

بهم الملك الى دار الضيافة واجرى عليهم الانزال فاقاموا شهرا لا يوذن
لهم ولا يصلون اليه ثم انه انتبه اليهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب
خاصة فاتاه فاخلاه ثم قال له اني مفض اليك من سري وعلمي فليكن عندك
مطويا حتى ياذن الله فيه بامره اني اجد في الكتاب الناطق والعلم الصادق
الذي اخترناه لانفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبرا عظيما، وخطبا
جسيما، فيه شرف الحيوة، وفضيلة الوفاة، وهو للناس كافة،
ولقومك عامة، ولك خاصة، قال عبد المطلب ابيت اللعن
قد ابت بخير ما آب به وافد ولولا هيبة الملك واجلاله لسالته
من كشف بشارته اياي ما ازداد به سرورا فقال الملك نبي هذا
حينه الذي يولد فيه، اسمه محمد، خدلج الساقين، اكحل العينين، في
عينيه علامة، وبين كتفيه شامة، ابيض كان وجهه فلقة قمر،
يموت ابوه وامه، ويكفله جده وعمه، والله باعثه جهارا، وجاعل
له منا انصارا، يعز بهم اولياءه، ويذل بهم اعداءه، يكسر الاوثان
ويعبد الرحمن، ويخمد النيران، ويزجر الشيطان، قوله فصل، وحكمه
عدل يامر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله، فقال عبد المطلب
عز جدك، وعلا كعبك، وطال عمرك، هل الملك سارني بافصاح فقد
اوضح لي بعض الايضاح، فقال له الملك، والبيت ذي الحجب،
والعلامات على النصب، انك يا عبد المطلب لجده قال فخر عبد المطلب
ساجدا ثم رفع راسه فقال له الملك طاب صدرك، وعلا امرك، وبلغ
املك في عقبك، هل احسست بشيء مما ذكرت لك قال نعم كان لي ابن كنت
عليه شفيقا، وبه رفيقا، زوجته كريمة من كرايم قومي وهي آمنة بنت
وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام خدلج الساقين، اكحل العينين، بين
كتفيه شامة، فيه كل ما ذكر الملك من علامة، فقال الملك ان كان الذي
قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له اعداء
ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، والله مظهر دعوته، وناصر شيعته،
فاغضض على ما ذكرت لك واستره دون هولاء الرهط الذي معك،
فلست آمن ان تدخلهم النفاسة، من ان تكون لك الرياسة، فينصبون
لك الحبايل، ويطلبون لك الغوايل، وهم فاعلون ذلك وابناوهم، وان
عزة الباهر، حظهم به الوافر، ولولا علمي ان الملوك تطلبني لسرت اليه
بخيلي ورجلي، وصيرت يثرب دار ملكي، فاكون اخاه ووزيره، وصاحبه
وظهيره، فاني اجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، ان يثرب استحكام
ملكه، واهل نصره، وارتفاع ذكره، وموضع قبره، ولولا الدماثة
لاظهرت امره، واوطات العرب كعبه، على صغر سنه، ولكنني صارف

ذلك اليك عن غير تقصير بك ثم امر لكل واحد من القوم بعشرة اعبد
وعشر اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة ارطال فضة وخمسة
ارطال ذهب وامر لعبد المطلب بعشرة امثال ذلك وقال له اذا كان راس
الحول فائتني بخبره وما يكون من امره فمات الملك قبل ان يحول الحول فكان
عبد المطلب يقول لاصحابه لا يغبطني احد بعطاء الملك ولكن يغبطني
بما اسر الى فيقال له ما هو فيسكت لغة بعض ما في قصة سيف باذخا
اي عاليا شامخا مثله واورمة بفتح الهمزة اصل الشجرة الجرثومة
الاصل بسق طال سدنة بالسين المهملة جمع سادن وهو خادم الكعبة
وبيت الاصنام آب رجع خدلج الخدلجة بتشديد اللام المراة الممتلئة
الساقين النجل بالتحريك في العين اتساعها الرهط القوم وما دون العشرة
من الرجال لا امراة فيهم الحبائل جمع حبالة بكسر المهملة وهي التي يصاد بها
الغوائل جمع غول يقال غاله واغتاله اذا اخذه من حيث لم يدر الظهير
المعين والدماثة بالدال المهملة مفتوحة سهولة الخلق يعني لولا اني سهل
الخلق احب فعل الشيء بالسهولة فبادرت واظهرت امره واما اخبار بحيرا
الراهب به صلى الله عليه وسلم فهو انه لما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اثنتا عشرة سنة وشهران من مولده ارتحل عمه ابو طالب الى الشام وحمله
معه فلما نزل الركب ببُصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في
صومعة له وكان ذا علم في النصرانية وكانوا كثيرا ما يمرون عليه ولا
يكلمهم حتى اذا كان ذلك العام نزلوا منزلا قريبا من صومعته كانوا
ينزلونه قبل ذلك كلما مروا فصنع لهم طعاما ثم دعاهم وكان قد راهم حين
طلعوا وغمامة تظل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم حتى
نزلوا تحت الشجرة ثم نظر الى تلك الغمامة قد اظلت تلك الشجرة واخضرت
اغصانها حين استظل تحتها فنزل بحيرا من صومعته وامر بذلك الطعام
فاتي به وارسل اليهم وقال اني صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وانا احب
ان تحضروا كلكم ولا يتخلف منكم صغير ولا كبير حر ولا عبد فان هذا شيء
تكرموني به فقال رجل ان لك لشانا يا بحيرا ثم اجتمعوا اليه وتخلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم لحداثة سنه فلما نظر بحيرا الى القوم لم ير الصفة
التي يجدها عنده وراى الغمامة متخلفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بحيرا يا معشر قريش الم اقل لكم لا يتخلف احد عن طعامي قالوا ما تخلف
الا غلام حدث السن قال ادعوه فليحضر طعامي مع انه اراه من انفسكم قالوا
هو والله من اوسطنا وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون ابا طالب فقام اليه
الحارث بن عبد المطلب فاحتضنه واقبل به حتى اجلسه على الطعام
والغمامة تسير على راسه فجعل بحيرا يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشيا

من جسده

من جسده قد كان يجدها عنده من صفته فلما تفرقوا عن الطعام قام
اليه الراهب وقال يا غلام اسألك باللات والعزى الا اخبرتني عما اسالك عنه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى فوالله ما ابغضت
شيئا بغضهما قال فبالله الا اخبرتني عما اسالك عنه قال سلني عما بدا لك
فجعل يسأله عن اشياء من حاله ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره
فيوافق ذلك ما عنده ثم جعل ينظر بين عينيه ثم كشف عن ظهره فراى خاتم
النبوة بين كتفيه فقبل موضع الخاتم ثم قال لابي طالب ما هذا الغلام
منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون ابوه حيا قال ابن اخي
قال ما فعل ابوه قال هلك وامه حبلى قال فما فعلت امه قال توفيت قريبا قال
صدقت ارجع بابن اخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن راوه
وعرفوا ما عرفته ليبغينه بغيا وهي الاستطالة فان لابن اخيك شانا
عظيما واعلم اني قد اديت اليك النصيحة فرجع به ابو طالب بعد ما فرغوا
من تجارتهم وما خرج به بعد ذلك خوفا عليه وكان ابو طالب قد حج قبل
ذلك ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فراه اكثم بن صيفي حكيم العرب
وهو صبي يتبع عمه ابا طالب فقال اكثم لابي طالب ما اسرع ما انشبت اخاك
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه ليس باخي ولكنه ابن اخي
عبد الله فقال اكثم هذا ابن الذبيح قال نعم فجعل يتامله ويتوسمه ثم قال
يا عبد المطلب ما تظنون بهذا الفتى قال ابو طالب انا لنحسن به الظن وانه
لجيّئ حَرِيّ وفيّ سخيّ قال هل غير هذا يا ابن عبد المطلب قال نعم انه لذو
شدة ولين ومجلس ركين وفصل متين قال هل غير هذا يا ابن عبد المطلب
قال نعم انا لنتيمن بمشهده ونعرف البركة فيما لمسه بيده فقال اكثم اغير
هذا يا ابن عبد المطلب قال نعم انه لغلام نعود واحرى به ان يسود ويتخرق
بالجود فقال الحكيم اكثم لكني اقول غير هذا يا ابن عبد المطلب فقال ابو طالب
قل فانك نفاث غيب وجلاء ريب فقال اكثم اخلق بابن اخيك ان يضرب
العرب قابطه بيد خابطه ورجل لابطه ثم ينعق بهم الى مرتع وورد
سريع فمن اخروط اليه هداه ومن ازور عنه ارداه فقال ابو طالب
ان عندنا لذروا من ذلك وما في كلام اكثم من اللغة قوله قابطه بيد خابطه
اي ضاربه ورجل لابطه لبطت به الارض اذا ضربت به الارض ينعق بهم
النعيق صوت الراعي بغنمه اي صاح بها وزجرها مرتع بكسر التاء الفوقية الذي
ينبت فيه ما ترتع فيه الابل مريع بالياء اخر الحروف اي خصيب يعني انه صلى
الله عليه وسلم يضرب العرب بيده ويضرب بهم الارض برجله ويزجرهم بصوته
ويسوقهم الى مرتع خصيب وماء مريع الجريان طري غير راكد منتن فمن اخروط
اي من يسير اليه ويقصده هداه ومن ازور عنه المنحرف الارضا لواسعة

سمعة
تنخرق فيها الرياح يعني من نفرعنه صلى الله عليه وسلم وهرب الى الارض الواسعة
فانه يرديه اي يهلكه ولا يغنيه هربه اليها والذرو بالذال المعجمة مفتوحة
اي طرفا من هذا القول ما في كلام عبد المطلب من اللغة قوله حري بالحاء المهملة
لغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما وفد وفد اياد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لهم ما فعل قس بن ساعدة قالوا مات قال كاني انظر اليه بسوق
عكاظ على جمل اورق يتكلم بكلام له حلاوة ما اجدني احفظه فقال رجل من
القوم انا احفظه سمعته يقول يا ايها الناس احفظوا وعوا من عاش مات
ومن مات فات . وكل ما هو آت آت . ليل داج . وسماء ذات ابراج . وبحار
تزخر . ونجوم تزهر . وضوء وظلام . وبر وآثام . ومطعم ومشرب . وملبس
ومركب . ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون . ارضوا بالمقام فاقاموا
ام تركوا فناموا . والله قس ما على وجه الارض دين . افضل من دين قد
اظلكم زمانه . وادركم اوانه . فطوبى لمن ادركه فاتبعه . وويل لمن خالفه
ثم انشا يقول .

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر .
لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر . ورايت قومي نحوها .
تمضي الاصاغر والاكابر . لا يرجع الماضي الي . ولا من الباقين غابر .
ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله قسا اني لارجو ان يبعثه
الله امة وحده وكانت خطبته هذه في سنة خمس عشرة من مولده صلى
الله عليه وسلم وفي رواية ذكرها ابن شداد في تاريخ حلب انه صلى الله عليه
وسلم قال في حق قس مهما نسيت من شيء فلست انساه في سوق عكاظ وهو
واقف على جمل اورق يخطب الناس ويقول ايها الناس اسمعوا فاذا سمعتم
فعوا . فاذا وعيتم . فانتفعوا . فقولوا . واذا قلتم فاصدقوا . من عاش
مات . ومن مات فات . وكل ما هو آت آت . مطر ونبات . واحياء واموات
في السماء خبر . وفي الارض عبر . يحار منها البصر . مهاد موضوع . وسقف
مرفوع . ونجوم تمور . وبحار تغور . اقسم قس قسما . لا كذب فيه ولا اثما .
لئن كان في الامر رضا ليكونن سخطا . يا ايها الناس . ان لله دينا هو احب
من دينكم هذا الذي انتم عليه . وهذا زمانه واوانه . ثم قال ما لي ارى
الناس يذهبون . ولا يرجعون . ارضوا بالمقام فاقاموا . ام تركوا فناموا
والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه فقال ايكم يروي لنا
شعره فقال ابو بكر رضي الله عنه فداك ابي وامي وانا له شاهد في ذلك اليوم
حيث يقول فذكر الابيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
قسا اما انه سيبعث امة وحده وفي اداب السياسة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال للجارود العبدي هل في سيد عبد القيس له صحبة وفاده جماعة

عبد القيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه وانا من بين قومي كنت اقفو اثره
واطلب خبره كان قس سبطا من اسباط العرب . صحيح النسب . فصيحا اذا
خطب . ذا شيبة حسنة . عمره سبعمائة سنة . يتقفر القفار . لا تكنه دار
ولا يقره قرار . يلبس المسوح . ويتبع من يسوح . على منهج المسيح . لا يفتر عن
الرهبانية والتسبيح . مقر بالوحدانية . تضرب بحكمه الامثال . وتكشف به
الاهوال . ادرك من الحواريين سمعان . فهو اول من تاله من العرب . واعبد
من تعبد في الحقب . وايقن بالبعث والحساب . وحذر المنقلب والمآب .
ووعظ بذكر الموت . وامر بالعمل قبل الفوت . الحسن الالفاظ . الخاطب بسوق
عكاظ . العالم بشرق وغرب . ويابس ورطب . واجاج وعذب اقول
وقس هذا مدفون بقرية مشهد روحين من جبل سمعان من مضافات
حلب في مشهد فيه ثلاثة قبور الاوسط منها قبره الحجاب سمعان وكان
يضرب به المثل في الفصاحة وقبره يزار قال ابن شداد في تاريخ حلب ومما
يحكى عنه ان رجلا من عبد القيس قال خرجت في شبيبتي اتبع بعيرا شرد مني
اقفو اثره فبينا انا في فلاة اجوب سبسبها وارمق فدفدها اذ انا بعين خرارة
وروضة مدهامة وشجرة عالية واذا بقس جالس في اصلها وبيده قضيب
فدنوت منه وحييته فرد علي فقلت له ما اسمك فقال قس فنظرت ورود العين
سباع كثيرة وكان كلما ذهب سبع من السباع يشرب قبل الذي قبله يضربه
قس بالقضيب الذي في يده ويقول حتى يشرب الذي ورد قبلك فذعرت لذلك
ذعرا شديدا فنظر الي وقال لا تخف ذكر بعض لغات اخبار قس ورق الاورق
من الابل الذي في لونه بياض الى سواد وهو اطيب الابل لحما وليس بمحمود في عمله وسيره
نجوم تمور تتحرك وتجيء وتذهب الفلاة المفازة اجوب سبسبها اقطع مفازتها
ارمق فدفدها انظر ارضها المستوية روضة مدهامة اي سوداء من
شدة الخضرة من الري والعرب تقول لكل اخضر اسود انتهى وصفات قس العربية
لا تحصى . ولا حد لها فتستقصى ولا يقبض العنان . عن السوق في
هذا الميدان . فان العبد الفقير عاجز عن اوصاف البشير النذير ولكني
اقول . في وصف الرسول . قولا صاحبا الكواكب الدرية . في مدح خير البرية

محمد سيد الكونين والثقلين . والفريقين من عرب ومن عجم . وقوله
دع ما ادعته النصارى في نبيهم . واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم .
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف . وانسب الى قدره ما شئت من عظم .
فان فضل رسول الله ليس له . حد فيعرب عنه ناطق بفم . وقوله
فمبلغ العلم فيه انه بشر . وانه خير خلق الله كلهم .
وكل آي اتى الرسل الكرام بها . فانما اتصلت من نوره بهم .
فعليه وعلى آله واصحابه الكرام . من الله افضل الصلاة واتم السلام

الباب السابع فى بعض من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وفيه
فصول الاول فى نسبه عليه الصلاة والسلام وقد اخترت ان اقتصر ذلك
مختصرا من سيرة الحافظ مغلطاى وما كان من غيرها اميز عنها فاقول
هو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله وسمى ابو الذبيح لان جده عبد المطلب
امر فى منامه بحفر بئر زمزم فمنعته قريش من ذلك ولم يكن له من الولد
الا الحارث وبه كان يكنى فنذر لان ولد له عشرة نفر ثم بلغوا ان يمنعوه
لينحرن احدهم عند الكعبة لله تعالى فلما بلغوا ذلك ضرب عليهم القداح
جمع قدح بكسر القاف فيهما وهو قدح الميسر فخرج القدح على عبد الله فامره
كاهنة بالحجاز تسمى سجاح ان يضرب عليه وعلى ابل بالقداح فكان يضرب
على عشرة بعد عشرة وهى تخرج عليه حتى بلغت الابل ماية فخرجت عليها
ثلاثا فنحرها عنه فكان اول من سن الديه ماية كذا فى المنتخب لابن الجوزى
وقيل غيره ولما انصرف عبد الله من نحر الابل عرضت له امراة فقالت لك مثل
الابل التى نحرت عنك وقع على الآن لما رات النور بين عينيه فابى فواقع زوجته
آمنة فحملت بسيد المرسلين ذلك الوقت ثم بعد ذلك تعرض للمراة فلم تكلم
فسألها فقالت انما اردت ان يكون النور الذى بين عينيك فى فابى الله الا ان
يكون حيث شاء وقيل ان المراة لما عرضت نفسها على عبد الله انشد

اما الحرام فالحمام دونه　　والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه　　يحمى الكريم عرضه ودينه

ابن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد وقيل عامر قال جدى قاضى القضاة
ابو الوليد لم يعلم لهاشم ولد غيره ابن هاشم لقب به لانه كان يهشم الخبز
اى يكسره للثريد واسمه عمرو بن عبد مناف وهو صنم واشتقاقه من
العلو والارتفاع قال ابن دُرَيد واسمه المغيرة بن قُصَىّ بضم القاف وفتح
المهملة وتشديد المثناة التحتيه قال ابن زيد تصغير قاص لانه قصى عن
قومه اى بعد عنهم فكان فى بنى عُذرة مع اخيه لامه واسم قُصَى زيد
وقيل يزيد بن كلاب كقتال واسمه حكيم بالكاف ورايت بخط الحافظ
مغلطاى ان اسمه حليم باللام وانشد

كلاب بن مرة ساد الورى　　ببذل النوال وكف الاذى

اقول وهاتان الصفتان الحميدتان فى البيت تصلحان للاسمين لكن
دلالتهما على الحليم باللام اقرب منها على الحكيم بالكاف وقيل اسمه عروة بضم
المهملة الاولى وسكون الثانية وفتح الواو وبعدها ها ابن مُرَّة اسم شجرة
ابن كعب قال ابن دريد اما مأخوذ وهو اما من كعب الجبوان فجمعه كعاب او
من كعب القناة وهى الربح من القصب وجمعه كعوب وهى عقدة فوصف القناة
فى الحسن بكثرة كعوبها ابن لُوَىّ بضم اللام وهمزة مفتوحة ويا مشددة تحتيه

مشددة بن غالب بن فهر بكسر الفاء وسكون الهاء بعدها راء قال ابن دريد
الفهر الحجر الاملس بملاء الكف او نحوه ويراد به الصلب القوى ابن النضر
بفتح النون وسكون الضاد واسمه قيس وهو ابو جميع قريش فمن لم يكن
من ولده فليس بقرشى وهذا فى قول ابن اسحق وعليه الجمهور وقال الكلبى
وغيره فهر هو قريش وقيل الياس وقيل مضر وقريش تصغير القرش بكسر
القاف وبالراء المهملة الساكنة والشين المعجمة وهو دابة فى البحر تاكل
الدواب لشدتها سمى قريش بها لشدته ثم سميت اولاده بذلك لشدتهم
والنضر الذهب بعينه والنضار الخالص من كل شى وربما سمى الذهب ايضا
نضارا قاله ابن دريد ابن كنانة الكنانة كنانة النبل اذا كانت من ادم
او غيره والتى من غير ادم لها اسام ذكرها ابن دريد وللكنانة معان اخر
منها الغطا ابن خزيمة قال ابن دريد فى كتابه الاشتقاق اشتقاقه من
الخزم بفتح المعجمتين وهو شجر تفتل منه حبال الواحدة خزمة وتصغيرها
خزيمة ابن مدركة قال ابن دريد لقب به لما ادرك الابل اى لحقها ولها
حديث اقول حديثها ويذكر ويقال السرعة يقال واسم مدركة عمرو وقال
ابن اسحق عامر بن الياس قال ابن دريد اما انه مصدر من قولهم يئس
يئاس ياسا ثم ادخلوا عليه الالف واللام او من قولهم رجل اليس اى
فى غاية الشجاعة واسمه حبيب بن مُضَر مشتق من اللبن المضير وهو الحامض
وكان مضر واخوه ربيعه مسلمين على ما تقدم فى آخر الباب السادس عند ذكر
قس بن ساعدة ابن نزار بكسر النون وزاى معجمة واشتقاقه من الشى
النزر وهو القليل وسياتى فى آخر هذا الفصل سبب اشتقاق اسمه ابن
مَعَدّ بفتح الميم والعين المهملة ثم دال المهملة مشددة بن عدنان
قال ابن دريد وهو من عدن بالمكان اذا اقام به ومنه اشتقاق المعدن
لعدون الذهب والفضة وما شابهما من الجوهر فيه ومنه اشتقاق
جنات عدن اى دار مقام قال ابن دريد فما بعد عدنان فهى اسما سريانية
لا يوضحها الاشتقاق وقال العقيبى رحمه الله تعالى بعد ان سرد النسب
الى عدنان من غير كلام على شى منه قال روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه انتسب الى عدنان وكان لا يجاوز نسبه عنه وروى عن كعب الاحبار
وغيره انهم ذكروا نسبه صلى الله عليه وسلم الى ادم عليه السلام وانكر
ذلك بعضهم وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال
كذب النسابون لان الله تعالى قال فى سورة الفرقان وقرونا بين ذلك
كثيرا وقال تعالى فى سورة　　والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله واما
الذين نسبوه الى آدم قالوا عدنان فذكرهم العقيبى الى آخرهم وفيه اسماء
مصحفة واسماء زايدة فلم اثبته هنا لذلك واستغنيت عنه بما ذكره

ذكره الحافظ مغلطاي في مختصر سيرته المعروف المصحح على اخر الحفاظ الشيخ
برهان الدين ابي الوفا ابرهيم الحلبي تغمده الله برحمته قال الحافظ مغلطاي
رحمه الله تعالى ان نسبه صلى الله عليه وسلم الى عدنان مجمع عليه وما
فوق ذلك مختلف فيه واشهره ان عدنان ابن أُدَد بضم الهمزة وفتح اولى
الدالين المهملتين ويقال ابن أُدّ بضم الهمزة وتشديد الدال المهملة المشدده
ابن أُدَد بضم الهمزة وفتح المهملة الاولى ايضا ابن مُقَوَّم بضم الميم وفتح
الواو مشددة على وزن اسم المفعول كذا وجدته ابن ناحور بالنون والالف
والحاء والراء المهملتين بينهما واو ساكنة ابن تيرح بفتح المثناة الفوقية
وسكون المثناة التحتية وراء وحاء مهملتين ابن يَعْرُب بفتح المثناة
التحتية والعين المهملة الساكنة والراء المهملة المضمومة والباء الموحده
ابن يَشْجُب بالمثناة التحتية المفتوحة والشين المعجمة الساكنة والجيم
المضمومة والباء الموحدة وقيل يشجب بن يعرب بن يشجب ابن نابت
بالنون والمثناة الفوقية ثم الف وموحده تحتيه ومثناة فوقيه ابن
اسمعيل وتفسيره مطيع الله الذبيح قال عليه الصلاة والسلام انا ابن
الذبيحين يريد عبد الله واسمعيل واما قول من قال اراد اباه وهابيل لان
الذبيح عندهم اسحق فلا نعلم له وجها لانه عليه الصلاة والسلام ليس من
ولد هابيل اجماعا الا ان يريد ان العم بمنزلة الاب وكذا في اسحق وقد تقدم
في الباب السادس عند اسم ادم وقتل قابيل هابيل ان عمر رضي الله عنه
سال كعب الاحبار لاي ابني ادم كان النسل فقال ليس لواحد منهما اما المقتول
فذبح واما القاتل فهلك نسله في الطوفان فالناس من بني نوح من بني
شيث بن ادم واسمعيل ابن ابرهيم خليل الرحمن ويكنى ابا الضيفان
كتب عند اسم ابرهيم عليه السلام وقد تقدم معنى ابرهيم وكم فيه لغة
عند اسمه بالباب السادس ويقال ابرهيم بن آزر بن تارح والاشهر انه
ابرهيم بن تارح ابن تارح بالمثناة الفوقية والالف والراء والحاء المهملتين
وهو آزر وفي تاريخ ابن كثير ان تارخ بالخاء المعجمة عند اهل الكتاب قال
في سنا الاماره آزر هو تارح نفسه وكان له اسمان انتهى اقول بل الاظهر
ان اسم ابيه آزر كما وقع في كلام الله تعالى في سورة الانعام قوله تعالى
واذ قال ابرهيم لابيه آزر ابن ناحور بالنون والالف والحاء والراء المهملتين
بينهما واو ساكنة مثل صابون ابن ساروح بالسين والراء والحاء المهملات
مثل طاحون ابن راغو بالراء المهملة والغين المعجمة المضمومة بينهما الف
وآخره واو ويقال ارغو بتقديم الالف على الغين ومعناه قاسم ابن فالخ
بالفاء واللام المفتوحة بينهما الف وآخره خاء معجمة ويقال فالغ بالغين
المعجمة مكان الخاء وبفتح اللام ايضا ابن عَيْبَر بفتح المهملة وسكون المثناة

التحتية

التحتية وفتح الموحده وآخره راء مهمله ويقال عابر بالمهمله والموحده
التحتية بينهما الف وآخره راء مهملة وهو هود عليه السلام ابن شالخ
بالشين المعجمة واللام المفتوحة بينهما الف وآخره خاء معجمة ومعناه
الرسول ويقال الوكيل ابن ارفخشد بالالف والراء المهملة والفاء المفتوح
والخاء المعجمة الساكنة والشين المعجمة المفتوحة ودال مهمله ويقال
باللام مكان الراء مع تقديم الخاء على الشين ومع تاخيره عنه معناه
مصباح مضيء ابن سام بن نوح واسمه عبد الغفار ابن لامك ويقال
لمكان ابن متوشلخ بالميم والتاء المثناة الفوقية والواو الساكنة
والشين المعجمة المفتوحة واللام الساكنة وخاء معجمة ابن حَنوخ بالحاء
المهمله ويقال احنوخ بالالف في اوله المفتوحة والنون المضمومة والواو
الساكنة والخاء المعجمة ويقال احنوح بالالف في اوله ويقال اخنخ بالف
مفتوحة وحاءين مهملتين بينهما نون مفتوحه ويقال اهنخ بهاء
بعد الالف وخاء معجمة بعد النون وتقدم في الباب السادس انه بهمزة
مفتوحة وخاء معجمة ساكنة ونون وواو وخاء معجمة آخره وهو ادريس عليه
السلام ابن يَرْد بالياء اخر الحروف مفتوحة اوله والراء والدال المهملتين
الساكنتين ويقال بارد ويقال الرايد ومعناه الضابط ابن مَهْلِيل ويقال
مهلاييل وفي زمانه كان بدو عبادة الاصنام ومعناه الممدح ابن قَيْنَن
بفتح القاف وسكون الياء آخر الحروف ونونين اوليهما مفتوحة ويقال
قينان بالف فاصلة بين النونين ومعناه المستوي ابن يانش بالياء آخر
الحروف ونون مكسورة بينهما الف وآخره شين معجم ومعناه الصادق
ابن شيث ومعناه هبة الله ويقال عطية الله ابن آدم ابي البشر ويقال
له ابو محمد كني بمحمد ابنه عليهما الصلاة والسلام واما اشتقاق نزار الذي
وعدت به فهو ما حكي ان معد لما ولد له نزار ونظر الى النور بين عينيه
وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الاصلاب ففرح فرحا شديدا ونحر
واطعم وقال ان هذا كله نزر لحق هذا المولود اي قليل فسمي نزارا لذلك
واما قصة نزار التي وعدت بذكرها فهي ما ذكر في كتاب نديم الندما ونديم
الكرما ان نزارا جد النبي صلى الله عليه وسلم كانت له اربعة اولاد اياد
وربيعة ومضر وانمار فلما حضرت الوفاة نزارا قيل له اوص الى اياد لكبر سنه
واعتمادي على مضر لعلو قدره لانني رايت في الليلة التي حملت به امه ان نورا
خرج من ظهري حتى بلغ عنان السماء ثم رجع الى امه فاشرق على وجهها
فلما وضعت مضر رايت في وجهه نورا كالقمر ثم اعطى كل واحد حلة مسدودة
وقال لهم ان اختلفتم بعدي في الميراث فاذهبوا الى حكم العرب ملك نجران
وكان من بعض نواب سليمان بن داود فهما حكم لكم به فارضوه فلما مات

نزار خرجوا يريدون ملك نجران فمروا على اثر جمل في الطريق فقال اياد هذا
الرجل اعور قال ربيعة بل هو جمل ازور قال مضر بل هو جمل ازعر قال انمار
بل هو جمل شرود فلحقهم صاحب الجمل فقال ارايتم لي بعيرا قالوا هو اعور
قال نعم قالوا هو ازور قال نعم قالوا هو ازعر قال نعم قالوا هو شرود قال نعم
قال فاين هو قالوا ما رايناه قال فلا انا وتحكم الا بين يدي حكم العرب ثم
مروا في طريقهم على رياض عاطله وعلى مزابل مزهره ثم مروا على كلبه
ومعها جرو اعمى فنبح عليهم الجرو والكلبه ساكته ثم مروا بثلاثة اشجار
طويلتين وقصيره والطير يطير من الطويلة الى الطويلة ولا يقعد منها
شيء على القصيرة ثم مروا على شيخين قد تضاربا فارسلوا ايادا اكبرهم
ليخلص بينهما فصار الضرب كله لا يقع الا عليه فارسلوا ربيعة
فضرباه حتى رجع عنهما فارسلوا انمارا وكان الضرب لا يقع الا عليه
فتقدم اليهما مضر فهربا وذهبا فلما اتوا الى حكم العرب قال صاحب
الجمل ايها الملك اني قد ذهب لي بعير وان هولاء وصفوا لي حليته فقال
لهم اعطوه ان كنتم وجدتم له شيئا فقالوا ما وجدنا شيئا قال لصاحب الجمل
فمن اعلمكم انه اعور قال اياد انا رايت رعيه على جانب عينه اليمنى فعلمت
انه اعور قال فمن اعلمكم انه ازور قال ربيعة انا رايت يديه تختلف
في مشيته فمن اعلمكم انه ازعر قال مضر انا رايت بعره ينزل جملة واحدة
ولو كان له ذنب لفرقه بذنبه قال فمن ادراكم انه شرود قال انمار انا رايته
ياخذ كرة كذا وكرة كذا فلو لم يكن شرودا لوجدناه مكانه قال الملك اذهب
فاطلب بعيرك فان القوم ما وجدوا لك شيئا ثم ان الملك انزلهم وقدم
اليهم طعاما وشرابا وقام في مكان ينظر اليهم ولا يرونه فقال احدهم
هذا الخروف المشوي رضيع كلبه وقال الآخر هذا الشراب كرمته اصلها
في بطن ميت وقال الاخر الملك ينسب الى غير ابيه فدعا الملك صاحب
الغنم فقال لهذا الخروف من امه فقال الراعي امه ماتت وهو صغير
ولم يكن لي في الغنم شاة لها لبن فارضعته كلبه ثم دعا بصاحب الشراب
فقال من اين عصير هذا الشراب فقال من تلك الكرمه فحفروا فوجدوا
اصل الكرمه في بطن صغير ميت فدخل الملك على امه والسيف في يده
فقال لها انه قد بات البارحة عندي قوم وقد قالوا اشياء وقد صحت
وقالوا اني انسب الى غير ابي فقالت امه والله يا بني ما كنت زانيه ولا بغيا
ولكن اباك وعمك اقتتلا على الملك فغلب اباك عمك واخذني مع جملة نسائه
ثم دخل ليلة وهو سكران فوقع علي وانا نائمة فلما اصبح اخبر بذلك فحرم
على نفسه الشراب وكان ابوك نائما عندي قبل تلك الليلة فكنت من امرك
في شك حتى تبين لي الآن فارسل من سالهم عن الخروف والشراب والملك

فقالوا علمنا ان الخروف رضيع من كلبه لانه لم يكن على ظهره شحم وعلمنا
ان الكرمة التي عصر منها الشراب اصلها في بطن ميت لان الشراب يكسب
صاحبه فرحا وهذا اكسبنا حزنا وعلمنا الملك ينسب الى غير ابيه لانه
ارسل الينا الطعام ولم يحضرنا ويتوقفه عند اكلنا وتلك حالة من هو
ولد زنا فخرج اليهم الملك وقال لهم ما جاء بكم الينا قالوا وصانا ابونا نزار
ابن معد ان تحكم بيننا فيما ترك من الميراث ثم وضعوا امامك القلال المختومة
بين يديه ففتح قلة اياد فوجد فيها قلامة اظفار فقال خذ كلما ترك
ابوك من عبد وامة ثم فتح قلة ربيعة فوجد فيها قطعة من حافر فرس
فقال خذ كلما ترك ابوك من فرس وبغل ثم فتح قلة مضر فوجد فيها قطعتين
من ذهب وفضة فقال خذ كلما ترك ابوك من ذهب وفضة ثم فتح قلة
انمار فوجد فيها اظلاف بقر واظلاف غنم فقال خذ كلما ترك ابوك من
بقر وغنم قالوا ايها الملك اخبرنا عما نقوله مما رايناه في طريقنا فقال لهم ما رايتم
قالوا مررنا برياض عاطله ومزابل مزهرة قال سوف ياتي زمان تتقدم
فيه الاراذل وتتاخر فيه الافاضل قالوا ومررنا على كلبة ومعها جرو اعمى
فنبح علينا جروها والكلبة ساكته لم تتكلم قال سوف ياتي زمان على
الناس تتكلم فيه الجهال الاصاغر وتسكت العقلاء الاكابر قالوا ومررنا
على شجرتين طويلتين وبينهما شجرة قصيرة فجعلت الطير تطير من الطويلة
الى الطويلة والقصيرة بينهما لا تجلس عليها قال سوف ياتي على الناس
زمان يهدي فيه الغني الى الغني والفقير بينهما لا يلتفتون اليه قالوا
ومررنا على شيخين يتضاربان فبعثنا اخانا ايادا ليصلح بينهما فضرباه
حتى رجع عنهما ثم بعثنا اخانا ربيعة ففعلا به كذلك ثم بعثنا اخانا
انمارا ففعلا به كذلك فلما بعثنا اخانا مضر هربا من بين يديه حتى غابا
عنا فقام الملك الى مضر فقبل بين عينيه واجلسه مكانه وجلس بين
يديه وقال انت المقصود لان في ظهرك الذي اسمه محمد ومحمود الذي تتم
بنبوته مراتب السعود؛ اما اولئك الشيخان فهما شيطانان ارادا ان
يعلما من هو منكم الشجرة المثمرة بالنبوة المورقة بالاحسان والفتوة
ثم زودهم الى ارضهم انتهى **وامه عليه الصلاة والسلام** فهي آمنه
بنت وهب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب وقيل عبد مناف بن كلاب
وزهرة امه وابوها ليس هو من عامود النسب المحمدي **ذكر زوج آمنه**
وذلك انها كانت في حجر عمها وهيب مصغر وهب فمشى اليه عبد المطلب
بابنه عبد الله فخطب عليه آمنه فعقد العقد؛ واخذ الميثاق بالكف
والعهد؛ ولم ير مثل ذلك اليوم المشهود؛ الذي طلعت فيه نجوم السعود
ثم خطب عبد المطلب في مجلسه ذلك هالة بنت وهيب لنفسه من

ابيها فزوجه اياها فولدت هالة لعبد المطلب اولادا منهم حمزة عم النبي
صلى الله عليه وسلم ولما دخل عبد الله بامنه حملت بسيد العالم
واشرف بني ادم وقد تقدم اول الباب عرض الامراة نفسها على عبد الله
لما رات النور بين عينيه وابى عبد الله ذلك ثم خرج عبد الله الى الشام
في تجارة فلما عاد مر بالمدينة مريضا فتخلف فيها عند اخواله بني عدي
ابن النجار فاقام عندهم شهرا ومات ودفن بالمدينة ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يومئذ ابن شهرين وقيل كان حملا

الفصل الثاني في ذكر ابتداء امره من حين ولادته الى مبعثه عليه الصلاة والسلام

اذكر ذلك
مختصرا من السيرة التي ذكرها قاضي القضاة مجير الدين المقدسي في تاريخه
المسمى بالتاريخ المعتبر في انباء من عبر الذي وصل فيه الى سنة احدى
وتسعماية وما كان من غيرها اميزه بذكر قايله او مكانه فاقول ولد
صلى الله عليه وسلم بمكة فايده ذكر الحافظ مغلطاي ان لمكة احد عشر
اسما وزاد بعض شيوخ مشايخي الحافظ البرهان الحلبي على ذلك نحو اربعين
اسما وكانت الولادة على ما ذكره قاضي القضاة مجير الدين يوم الاثنين عام
الفيل لعشر ليال مضين من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة وكان قدوم
الفيل قبل ذلك في النصف من المحرم فبين الفيل وبين مولده صلى الله عليه وسلم
خمسة وخمسون ليلة وهي السنة الثانية والاربعون من ملك كسرى انوشروان
وهي سنة احدى وثمانين وثمانماية لغلبة الاسكندر على دارا وهي سنة
الف وثلثماية وسنة عشرة لبخت نصر وهي سنة ستة الاف وماية
وثلاثة وستين من هبوط ادم عليه السلام على حكم التوراة اليونانية
المعتمدة وذكر الحافظ مغلطاي تسعة اقوال فيما بين الفيل والولادة
ثم قال ولد لليلتين خلتا من ربيع الاول ثم ذكر لتاريخ الولادة سبعة اقوال
اخر في ربيع الاول وذكر اربعة اقوال في غيره من الشهور وفي تلك الليلة انشق
ايوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شُرْفة بضم الاول وسكون الثاني
كذا ضُبط وهي حجارة تعلو البناء متفرقة للزينة او لفائدة ما وخمدت نار
فارس بفتح الميم وكسرها ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت بحيرة
ساوه وتقدم معنى غاضت بالباب السادس وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وخرج من مكة
يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ونزلت عليه سورة المايدة يوم
الاثنين ورفع الركن يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين انتهى واما قصة
الفيل على وجه الاختصار فهي ان الحبشة لما ملكوا اليمن بنى ابرهة بن
الاشرم وزير سلطان الحبشة كنيسة عظيمة وقصد ان يصرف الحج اليها ويبطل
الكعبة الحرام فجاء شخص من العرب فاحدث فيها فغضب ابرهة وقصد الكعبة

معه ثلاثة عشر فيلا يقال لكبيرهم محمود فلما وصل الطايف ارسل الاسود
ابن مقصود الى مكة فاستاق اموالها ومعها عبد المطلب وقالوا هذا
سيد قريش فاكرمه ابرهة ونزل عن سريره واجلسه وقال ما تريد فقال
اريد ان ترد علي اباعري فقال ابرهة كنت اظن انك تطلب ان لا اخرب
الكعبة فقال انما انا رب الاباعر فاطلبها وللكعبة رب يحميها فرد عليه
اباعره فعاد بها الى مكة وامر الناس بالتحرز والخروج الى الشعاب واخذ
حلقة باب الكعبة وهو يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ... امنعهم ان يخربوا قراكا

ثم اصبح عبد المطلب وارتفع على الجبل واقبل نحو الكعبة رافعا يديه
يدعو ويقول

لاهم ان المرء يحفظ رحله ... وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم ... عدوا محالك
جروا جموع بلادهم ... والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ... جهلا وما رقبوا جلالك
اذ كنت تاركهم وكعبتنا ... فامر ما بدا لك

فلما وصل ابرهة الى المغمس صد الله الفيل وجعل كلما وجه نحو الكعبة
احجم واذا عدل عنها اقدم فارسل الله تعالى عليهم طيرا ابابيل اي متتابعة
كالخطاطيف ترميهم بحجارة من سجيل قال تاج القراء ابن يعقوب قوله
تعالى حجارة من طين في غير هذه لان الحجارة قد تكون من الماء فتذوب
وهو البرد انتهى اقول انما فسر سجيل في سورة الفيل بالاجر لانه طين متحجر
فلا تزول عينه بعد القتل ليكون عبرة بخلاف غير المطبوخ لامكان زوال
عينه ولا يلزم من كونها من طين في قصة قوم لوط في الذاريات ان يكون
منه في سورة الفيل اذ قد يراد بالطين الحجارة فانه قيل ان حجارة الارض
كلها كانت طينا ثم صارت حجارة بتاثير الشمس على مر الدهور باذن الله تعالى
وفي سجيل اقوال اخر تطلب من التفاسير وقوله تعالى فجعلهم كعصف
ماكول العصف ورق الزرع وهو التبن الذي تاكله الدواب فكان ياتي
الطير بثلاثة احجار في منقاره ورجليه مكتوب على كل واحدة اسم من تقتل
فيرميها فتنقب البيضة والفارس والفرس فيل اصابتهم جميعهم وقيل
لم يسلم منهم الا ابرهة فسار وطاير يطير فوقه ولا يشعر به حتى دخل على
النجاشي فاخبره بما اصابهم فلما استتم كلامه رماه الطاير بحجر فمات
فاراه الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك اصحابه فايده كل من ملك الحبشة
يسمى نجاشيا ومن دونه يسمى ابرهه ذكره تاج القراء وقال الحافظ البرهان
الحلبي في شرحه على الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم

قال بعض مشايخي فيما قراته عليه قيصر اسم لكل من ملك الروم وكل من ملك
الفرس يقال له كسرى والترك خاقان والقبط فرعون ومصر العزيز
وحمير تبع وهو ملك اليمن ولملك الهند دُهْمى وقال مغلطاى دُهْمَن
وفغفور والزنج غانه واليونان بَطْلَمْيُوس واليهود فِطْيُون او مالخ
ومن ملك الصابئة نمرود والتبابعة ملوك اليمن من بنى قحطا وخاقو
لملك البربر والأخشيد لمن ملك فرغانه والنعمان لمن ملك العرب من قبل
العجم وجرجير لمن ملك افريقيه وشهرمان لمن ملك خلاط وكابل لمن ملك
النوبه انتهى بعدما اسقطت منه بعضا زاد مغلطاى فى ملك الحبشة
ان المتاخرين يسمونه الأبحرى ولمن ملك اليمن تبع فان ترشح للملك سمى قيلا
وان المعروف فيمن ملك اليهود مالخ دون الاول وفرعون لمن ملك
مصر والشام فان اضيف اليهما الاسكندريه سمى العزيز ويقال المقوقس
وذكر ابن خلكان عند اسم محمد بن طغج الاخشيد ان من ملك الشام يسمى
هرقل اقول هذا لما كانت الشام بيد النصارى الروم واما الان فلا ولنرجع
الى تمام قصة الفيل قال الراوى وسلم الفيل الذى احجم عن الكعبة واحترمها
وفى الطير وهيائتها والوانها وفى الحجارة والوانها ومقاديرها وفى العصف
اقوال تطلب من التفاسير ثم ان عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس لينظر
الى القوم فرجع يركض ويقول هلك القوم جميعا فخرج عبد المطلب واصحابه
فغنموا اموالهم وانشد ابو طالب وعبد المطلب ان آيات ربنا ساطعات
لا يمارى بهن الا الكفور ، جيش الفيل بالمغمس حتى ، مر يعوى كانه معقور
التفات الى ما تضمنه هذا الفصل وولد صلى الله عليه وسلم مختونا
مسرورا اى مقطوع السُّرة وفى كونه مختونا خلاف كثير وقال شيخ مشايخي
الحافظ البرهان الحلبى سبط ابن العجمى فى ضبط الفاظ الشفا فايده ان فى
ذلك ثلاثة اقوال الثالث منها ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع
له مادبه وسماه محمدا ثم قال ابن الجوزى اسماء من ختن من الانبياء مختونا عن
عن كعب الاحبار قال ثلاثة عشر ادم ، وشيث ، وادريس ، ونوح وسام ،
ولوط ، ويوسف ، وموسى ، وشعيب ، وسليمان ، ويحيى ، وعيسى ، ومحمد
صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن حبيب الهاشمى هم اربعة عشر ادم ، وشيث
ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، ويوسف ، وموسى ، وسليمان
وزكريا ، وعيسى ، وحنظلة بن صفوان نبى اصحاب الرس ومحمد صلى الله عليه
وسلم فاول من ارضعته ثُوَيْبَه اياما قبل قدوم حليمه وكانت قد ارضعت
قبله عمه حمزة بن عبد المطلب فهما اخوان من الرضاعة وبعده ابا سلمه
ابن عبد الاسد المخزومى ثم لما قدمت حليمة الى مكه من البادية مع المراضع
ليرضعن الاطفال فلم تجد حليمه طفلا غيره صلى الله عليه وسلم فاخذته من امه

الى باديه

الى باديه بنى سعد فوجدت من الخير والبركة ما لم تعهده قبل ذلك ولما اخرجت
حليمه به قالت امه آمنه اعيذه بالله ذى الجلال ، من شر ما مر على الجبال
، حتى اراه حامل الحلال ، ويفعل العرفا الى الموالى ، وغيرهم من حشوة
الرجال
الحلال بنو العم الاباعد والموالى العبيد ويقال من حشوه بنى فلان بكسر
الحاء المهملة اى رذالتهم ثم قدمت به حليمة الى مكة وهى احرص الناس
على مكثه عندها فقالت لامه آمنه لو تركتيه عندى حتى يغلظ فانى
اخشى عليه وباء مكة فتركته عندها ولما بلغ اربع سنين كان يغدو
مع اخيه من الرضاع فكانا خلف بيوتهم يرعيان بهما لهم فاتاه الملكان
هناك فشقا بطنه واستخرجا علقة سوداء فطرحاها وغسلا بطنه بماء
علقتين سوداوين
الثلج فى طست من ذهب وهو بالطاء المهملة المفتوحة وسين مهملة ساكنة
وهو وعاء يغسل فيه او يوضع فيه الماء ثم ذرا السكينه وهى الوقار
فى قلبه وختما بين كتفيه بخاتم النبوة وحديث ذلك مشهور فى السير وغيرها
قوله يغدو اى يتوجه معه بالماشية وقت الغداة وضده الرواح فقال
سرحت الماشية بالغداة وراحت بالعشى اى رجعت به وهو من زوال
الشمس الى الليل والبهم بفتح الموحدة وسكون الهاء جمع بَهْمَة بالفتح والكسر
فيهما ايضا وهى اولاد الضان للمذكر والمونث واولاد المعزى فاذا اجتمعت
البهام والسخال قلت لها جميعا بهام وبَهْم ايضا وذكر الحافظ مغلطاى
فى صفة خاتم النبوة اقوالا ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى امه حليمه واخبرها
بذلك فخافت عليه وحملته الى امه آمنه فقالت لها اديت امانتى وعرفتها
بما صار ثم رجعت به حليمه ايضا فكان عندها سنة او نحوها ثم رات
غمامه تظله اذا وقف واذا سار سارت معه فافزعها ذلك فذهبت به
الى امه لترده قالت فبينما انا ذاهبة به وهو معى بمكة اذ سمعت هدة
عظيمة فالتفت فلم اجد محمدا فصرت كالوالهة وانا انادى فى الناس من
راى لى ولدا كالبدر فى تمامه ، والغصن فى قوامه ، فلقينى جده عبد المطلب
فقال لها مالك يا حليمه فقلت يا عبد المطلب ان محمدا قد ذهب منى فصعد على
الصفا ونادى ياصباحاه فاجتمعت اليه رؤساء قريش ففرقهم فى اركان
مكه وما حولها يطلبون محمدا فلم يجدوه فرجع عبد المطلب الى بيته فلبس
اثوابه واتى الى الكعبة وطاف وهو يقول

رد الى ولدى محمدا ، اردده ربى واصطنع عندى يدا

فلم يلبث ان جاء محمد فلما راه عبد المطلب ضمه الى صدره ولما بلغ عمره صلى الله
عليه وسلم ست سنين خرجت به امه آمنه الى اخواله بنى عدى بن النجار
بالمدينة لتزورهم به ومعها ام ايمن كانت جارية حبشية لعبد الله ابى النبى
صلى الله عليه وسلم وكانت تحضنه فنزلت امه به فى دار النابغه فاقامت

به عندهم شهراً ثم رجعت به نحو مكة فلما كانوا بالأبواء توفيت امه آمنة فقبرها
هنالك فرجعت به ام ايمن الى مكة فضمه جده عبد المطلب اليه وفي هذه السنة
خرج به عبد المطلب يستسقي وقد كانت تتابعت على قريش سنون احرقت
الزرع واحلت الضرع فصعد عبد المطلب على ذروة الجبل ومعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدعا الله تعالى فتفجرت السماء بمائها واكتظ الوادي
بثجيجه فهنى عبد المطلب من اكابر قريش وانشد بعضهم يمدح رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله رئي بي

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الارامل

اللغة يقال ارض فلان سنة اذا كانت مجدبة فالمراد بالسنون الجدب المتتابع
واحلت ايبست والضرع الثدي ويستعمل لكل ذات ظلف او خف واكتظ الوادي
بالظاء المعجمة اي امتلأ الثجيج قال في الصحاح اثار الوادي بثجيجه اي بسيله
ومطر ثجاج اذا انصب جدا انتهى وفي هذه السنة كانت قصة سيف
ابن ذي يزن المتقدمة آنفا وفي سنة ثمان من مولده عليه الصلاة والسلام
كان موت عبد المطلب ولما حضرته الوفاة اوصى ابنه ابا طالب بحفظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولما صارت له عليه الصلاة والسلام اثنتا عشرة
سنة وشهران كانت قصة بحيرا الراهب المتقدمة بالباب الذي قبل هذا
وقال الحافظ مغلطاي واسمه ايضا جرجيس ولما عرفا النبي صلى الله عليه وسلم
بصفته قال وهو اخذ بيده هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين
فقيل له وما علمك بذلك فقال انكم حين اشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر
الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي وانا نجده في كتبنا وسال ابا طالب ان يرده
خوفا عليه من اليهود وفي سنة خمس عشرة من مولده كان قيام قس بن ساعدة
كما تقدم في الباب الذي قبل هذا وفي سنة ست عشرة من مولده كان حلف الفضول
بكسر الحاء المهملة وسكون اللام قال ابن الاثير في النهاية اصل الحلف المعاقدة
والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق فما كان منه في الجاهلية على
الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذي ورد النهي عنه في الاسلام
بقوله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وما كان منه في الجاهلية على
نصر المظلوم وصلة الارحام فذلك الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم وايما
حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة يريد من المعاونة على الخير
ونصرة الحق وبذلك يجتمع الحديثان وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الاسلام
والممنوع منه ما خالف حكم الاسلام وقيل المحالفة كانت قبل الفتح وقوله لا حلف
في الاسلام قاله زمن الفتح فكان ناسخا انتهى وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلف الفضول هذا وسببه ان قيس بن شيبة السلمي باع متاعا من ابي بن
خلف الجمحي فلواه وذهب فاستجار برجل من بني جمح فلم يقم بجواره فقال قيس

يا ل قصي كيف هذا في الحرم وحرمة البيت واخلاق الكرم
أظلم ولا يمنع مني من ظلم

فقام اليه العباس وابو سفيان حتى ردا عليه ظلامته فاجتمعت قريش
في الحرم دار عبد الله بن جُدعان وهو بضم الجيم وسكون الدال المهملة وتحالفوا
على رد المظالم بمكة وان لا يظلم احد الا منعوه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد شهدت حلفا في دار ابن جدعان ما احب ان لي به حُمر النعم ولو
دعيت به في الاسلام لاجبت يقال فلان الوى بحقي اي ذهب به يلوه وقال
الامام السهيلي رحمه الله تعالى ونفعنا به في الروض الانف شرح سيرة ابن
هشام ما ملخصه ان الحلف الذي عقدته قريش بينها كان على نصرة كل مظلوم
بمكة وان ابن قتيبة قال كان قد سبق قريشا الى مثل هذا الحلف جُرهم في الزمن
الاول فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم احدهم الفضل بن فُضالة بن وداعة
والثاني الفضل بن وداعة والثالث فضيل بن الحارث وان الزبير بن عبد
المطلب قال هم الفضل بن شراعة والفضل بن وداعة والفضل بن قضاعة
فلما اشبه حلف قريش الاخير فعل هؤلاء الجرهميين سمي حلف الفضول جمع فضل
وهي اسماء اولئك الذين تقدم ذكرهم ثم قال اعني السهيلي ما قاله ابن قتيبة
حسن ولكن ورد في الحديث ما هو اقوى منه واولى وهو قوله صلى الله عليه وسلم
لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفا لو دعيت به في الاسلام لاجبت
تحالفوا ان ترد الفضول على اهلها والا يُعزّ ظالم مظلوما فقد بين هذا الحديث
لم سمي حلف الفضول وكان هذا الحلف اكرم حلف سمع به واشرفه في العرب
ثم ذكر في سبب هذا الحلف روايات غير ما ذكرته لا يسعها هذا الكتاب ثم ذكر
الحديث الذي ذكرته اولا انتهى زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله
عنها وفي سنة خمس وعشرين من مولده خرج في تجارة لخديجة وذلك انها
كانت ذا شرف ومال فلما بلغها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامانته عرضت عليه الخروج في تجارتها الى الشام فاجاب الى ذلك وخرج
ومعه غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به اهل العير بكسر المهملة وياء
آخر الحروف ساكنة ثم راء وهي الابل التي تحمل الميرة بكسر الميم واخر الحروف ساكنة
وهي الطعام وهو ما يوكل وربما خصها بالطعام البر وقد تقدمت الميرة عند
اسم ابرهيم بالباب السادس وساروا حتى وصلوا بصرى من ارض الشام فنزل
صلى الله عليه وسلم هو وميسرة في ظل شجرة فراه راهب اسمه نسطورا بالنون
اوله فعرفه بالعلائم وقال لميسرة هذا والله الذي نجده احبارنا منعوتا في
كتبهم فلما رجعوا ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما
ربحوا فسرت بذلك ودخل عليها ميسرة واخبرها بما راى منه وبما قال الراهب
فارسلت دسيسا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدث له في تزويجها

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه حمزة بن عبد المطلب وعمه ابو
طالب وغيرهما من عمومته حتى دخل على ابيها خويلد بن اسد فخطبها اليه
فزوجها منه وهو ابن خمس وعشرين سنه وعمر خديجه يومئذ اربعين
سنة واصدقها عشرين بكرة وهي اول من تزوجها ولم يتزوج غيرها حتى
ماتت وولدت له جميع اولاده الا ابرهيم فانه من مارية القبطيه وذكر الفقيه
ان عمه ابا طالب اشار عليه ان يولج نفسه من خديجه وانه لما جاء رابحا
واعلمها غلامها بما سمع وراى وقعت محبته في قلبها فصنعت طعاما ودعت
رؤساء قريش فطلبت من ابيها ان يزوجها من محمد فابى وغضب فسقته
خمرا حتى سكر ثم طلبت منه ذلك فزوجها منه فلما افاق الشيخ راى في ثيابه
اثر الخلوق فقال لها ما هذا قالت قد زوجتني من محمد فقال لها قد خطبها اشراف
قومك فابيت ونكحت رجلا ليس له مال قالت انه في حسب ولا حاجه لي الى
ماله فبني بها انتهى اقول المراد من الخلوق في الصحاح ولعله الخلوق قال
الجوهري الخلوق ضرب من الطيب وقد خلقته اي طليته بالخلوق فتخلق به
وهو بالخاء المعجمة المفتوحة ولام وواو وقاف وذكر الحافظ مغلطاي في
عمره عليه الصلاة والسلام وعمرها حين الزواج اقوالا منها ما تقدم وذكر
فيمن ولي تزويجها منه اقوالا منها انه ابوها ثم قال ولما بلغ خمسا وثلثين سنة
خافت قريش ان تنهدم الكعبة من السيول وامروا باقوم النجار بان يبني الكعبة
قال وبنيت خمس مرات واول من بناها شيث ثم ابرهيم عليهما السلام ثم قريش
ثم عبد الله بن الزبير ثم الحجاج وقيل ان جرهما بنته مرة او مرتين من اجل السيول
وقيل لم يكن بناء انما كان اصلاحا وجرهم بجيم مضمومة وراء ساكنة ثم هاء
مضمومة ثم ميم حي من اليمن وهم اصهار اسمعيل عليه السلام قال القاضي
مجير الدين في هذه السنة هدمت قريش الكعبة وكان سبب هدمهم اياها
انها كانت فوق القامة رضمة بالراء المفتوحة والضاد المعجمة الساكنة وهي
الصخور العظام يرضم بعضها فوق بعض في الابنية والرضيم البناء بالصخر
فارادوا رفعها وسقفها فلما ارادوا هدمها قام رجل منهم فتناول
حجرا منها فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا
في بنائها الا طيبا ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة انا
ابداكم به فاخذ المعول فهدم وتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان
اصيب الوليد لم نهدم منها شيئا فاصبح الوليد سالما وغدا الى عمله فهدم
الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس ثم افضت الى حجارة خضر اخذ
بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلتين بين حجرين ليقلع احدهما
فلما تحرك الحجر انتفضت مكة باسرها فتركه ثم جمعوا الحجارة لبنائها وبنوا
حتى بلغ البنيان موضع الحجر بفتح الحاء المهملة والجيم مفتوحين فاراد كل قبيلة

رفعه

رفعه الى موضعه وتحالفوا حتى تواعدوا القتال فقربت بنو عبد الدار جفنة
مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وادخلوا ايديهم في ذلك
الدم فسموا لعقة الدم بذلك ومكثوا على ذلك اربع ليال ثم تشاوروا فقال
ابو امية بن المغيرة وكان اسن قريش اجعلوا بينكم حكما اول من يدخل فكان
اول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا الامين رضينا
به واخبروه الخبر فقال هلموا الي ثوبا فاتي به فاخذ الحجر فوضعه فيه بيده
ثم قال لياخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فلما
بلغوا به موضعه وضعه بيده صلى الله عليه وسلم ثم بني عليه الفصل
الثالث في ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم قال الفقيه رحمه الله تعالى
لما بلغ صلى الله عليه وسلم اربعين سنة راى شيئا كانه ظلة تهوي الى السما
ففزع من ذلك فسمع صوتا يقول لا تخف فاني جبريل فجاء الى خديجة
حزينا وقال رايت شيئا خفت منه فقال لا تخف فاني جبريل فقامت
خديجه وجاءت الى ورقه بن نوفل وكان ابن عمها وقد تنصر فقالت يا ابن
عم ان صاحبي راى شيئا وقال انا جبريل فقال ورقه سبحان الملك القدوس
هو جبريل ناموس الله الاكبر وسفيره الى انبيائه فان كان صاحبك راى
هذا فهو نبي فرجعت اليه واخبرته بذلك فبينما هو جالس مع خديجة
يوما اذ راى شخصا بين السماء والارض فاخبرها بذلك فقالت ادن مني
فدنا منها فكشفت راسها وجعلت راسه على بطنها وقالت هل تراه
فقال لا قد اعرض عني فقالت له ابشر فانه ملك ولو كان شيطانا ما استحى
فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الايام على جبل حراء اذ ظهر
له جبريل وسلم عليه وبسط له بساطا كريما ثم بحث مكانا من الارض
فنبع الماء فعلمه الوضوء ثم صلى به ركعتين وبشره بالنبوة وقرا عليه
القرآن اقرا باسم ربك الذي خلق الى قوله ما لم يعلم فرجع الى خديجة واخبرها
بذلك فامنت به وعلمها الوضوء والصلاة ثم اسلم ابو بكر رضي الله عنه
ثم علي رضي الله عنه وقال بعضهم اسلم علي ثم ابو بكر ثم بلال ثم اسلم رفقا
ابي بكر ثم عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد وغيرهم
رضي الله عنهم فلما اسلم عمر رضي الله عنه تم اربعون رجلا انتهى الظلة
هنا اول سحابة تظل والناموس هنا جبريل قال في الصحاح واهل الكتاب
يسمون جبريل الناموس وفي الحديث ان ورقة بن نوفل قال لخديجه وهو ابن
عمها وكان نصرانيا لان كان ما تقولين حقا انه لياتيه الناموس الذي كان
ياتي موسى عليه السلام انتهى وقال القاضي مجير الدين ما ملخصه انه لما نزل
عليه الوحي بغار حراء وعلمه من القرآن ما ذكر اتى الى خديجه فاخبرها الخبر
وقال لقد خشيت على نفسي فقالت خديجه كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك

لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب
الحق ثم انطلقت به الى ورقة وكان شيخا كبيرا فقصت عليه الخبر واجابها
على تلك الكلمات ثم قال يا ليتنى فيها جذعا اى شابا ليتنى اكون حيا اذ يخرجك
قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجى هم قال نعم لم يات رجل
قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم
ينشب ورقة ان توفى والغار كالكهف فى الجبل والمغار مثل الغار وكذلك
المغارة كذا فى الصحاح ومؤزرا اى قويا وآزرت فلانا عاونته وقوله لم
ينشب اى لم يلبث كذا فى المغرب وقال الزهرى فتر الوحى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فترة فحزن وجعل يغدو الى رؤس الجبال فكان كلما اوفى بتقديم
الالف على الواو بمعنى اشرف بذروة جبل بكسر الذال المعجمة اى اعلاه تبدى له
جبريل عليه السلام فيقول له انك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه
اى اضطراب قلبه من الفزع ثم امره الله تعالى ان ينذر قومه عذاب الله
على ما هم فيه من عبادة الاصنام دون الله تعالى وان يحدث بنعمة ربه
عليه وهى النبوة فكان اول من آمن به وصدقه خديجة زوجته ثم اول ما
فرض عليه من شرايع الاسلام بعد الاقرار بالتوحيد والبراءة من الاوثان الصلاة
والاوثان جمع وثن وهو الصنم ذكر رمى الشياطين بالشهب قال العلماء
بالسير رات قريش النجوم ترمى بعد عشرين يوما من مبعثه صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الى قومهم فقالوا ما لكم
قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء الا ما
حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الامر الذى حال
بينكم وبين خبر السماء قال فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو عامد الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه
صلوة الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا هذا الذى حال بيننا وبينكم
وبين خبر السماء فهنالك رجعوا الى قومهم فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله تعالى نبيه
قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن وعن ابن عباس قال كان الجن يستمعون
قبل الوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه
باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم
كان احدهم لا يقعد الا رمى بشهاب يحرق ما اصاب فشكوا ذلك الى ابليس فقال
ما هذا الا امر قد حدث فبعث جنوده فاذا هم بالنبى صلى الله عليه وسلم
بين جبلى نخلة بالنون المفتوحة والمعجمة الساكنة ولام مفتوحة قال فى الصحاح

لغة الرحم
هو بكسر الحاء المهملة وسكونها القرابة
وصلة الرحم برها وبرورتها اعطيته
وكانت من الاتعب لذهابها بفعله
من ذلك كذا فى الصحاح ح

وبطن

وبطن نخلة موضع بين مكة والطايف فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث
الذى حدث فى الارض قال الحافظ بن الجوزى وهذا الحديث يدل على ان النجوم
لم يرم بها الا لمبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ثم قال وقد روينا عن الزهرى
انه قال كان يرمى بها قبل ذلك ولكنها اغلظت حين بعث النبى صلى الله
عليه وسلم ذكر امر الله تعالى نبيه باظهار دعوته امره الله تعالى بعد مبعثه
بثلاث سنين ان يصدع بما يؤمر وكان قبل ذلك فى السنين الثلاث مستترا
بدعوته لا يظهرها الا لمن يثق به وكان اصحابه اذا ارادوا الصلاة ذهبوا
الى الشعاب فاستخفوا الشعاب جمع شعب بمعجمة مكسورة ثم مهملة ساكنة
وهو الطريق فى الجبل والشعب بفتح الشين وكسرها الحى العظيم والمراد هنا
الاول ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع بامر الله وبادا قومه بالاسلام
ذكر بعض المستضعفين وهم قوم سبقوا الى الاسلام لا عشاير لهم تمنعهم
ولا قوة لهم يمتنعون بها فاما من كانت له عشيرة تمنعه فلم تصل الكفار
منه الى ما يريدون والعشاير جمع عشيرة وهى القبيلة او جمع عشير وهو
المصاحب والمراد الاول فممن لا عشيرة له بلال بن رباح الحبشى كان
الكفار يعذبونه بالقائه فى الرمضاء مدروهى الارض المرملة الحارة على
ظهره وقت الظهيرة وبالقاء الصخرة العظيمة على صدره ويقال له لا تزال
هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ثم صار الى ابى بكر
رضى الله عنه فاعتقه فهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومنهم عمار بن ياسر العنسى بالنون اسلم هو وابوه وامه سمية
فكانوا يخرجونهم الى الابطح اذا حميت الشمس يعذبونهم بحر الرمضاء فمات ياسر
فى العذاب واغلظت سمية القول لابى جهل فطعنها فى فرجها بحربة فماتت
فهى اول شهيدة فى الاسلام وشددوا العذاب على عمار حتى فعل ما امروه به
فتركوه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان قال فكيف تجد قلبك
قال اجده مطمئنا بالايمان فقال يا عمار ان عادوا فعد فانزل الله تعالى
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وشهد عمار المشاهد كلها مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومنهم خباب بن الارت عذبوه بالحجارة المحماة
بالنار ثم كووا راسه فلم يجبهم الى ما ارادوا ومنهم صهيب بن سنان
الرومى عذب فى الله فلم يرجع عن دينه ومنهم عامر بن فهيرة وابو فكيهة
عذبا ثم بيعهما ابو بكر رضى الله عنه فاشتراهما واعتقهما ومنهم غير هؤلاء
ذكر بعض المستهزئين ومن كان شديد الاذى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فمنهم ابو لهب بن عبد المطلب كان شديد الاذى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان جاره وكان يطرح العذرة والنتن بفتح النون وسكون
المثناة الفوقية على بابه فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اى جوار هذا

يا بني عبد المطلب فراه يوما حمزة رضي الله عنه فاخذ العذرة وطرحها على راس
ابي لهب فجعل ينفضها عن راسه ويقول صابي احمق واقصر عما كان يفعل ومنهم
الاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول
للنبي ما كلمت اليوم من السماء يا محمد فخرج من عند اهله واصابه السموم وهي
الريح الحارة فاسود وجهه فلما عاد اليهم لم يعرفوه واغلقوا الباب دونه
فرجع متحيرا حتى مات عطشانا ومنهم العاص بن عمرو بن العاص وهو القايل
يوم مات عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا ابتر لا يعيش
له ولد ذكر فانزل الله تعالى ان شانيك هو الابتر ركب حمارا له فربض به فلدغ
في رجله فانتفخت حتى صارت مثل عنق البعير فمات منها بعد الهجرة وللابتر
معان منها انه كل من انقطع من الخيرات اثره والذي لا عقب له وهو المراد هنا
ومنهم ابو جهل بن هشام واسمه عمرو وكنيته ابو الحكم واما ابو جهل فالمسلمون
كنوه بذلك قتل ببدر ومنهم امية وابي ولدا خلف قتلا كافرين ومنهم
عقبة بن ابي معيط اسر ببدر وقتله عاصم بن ثابت الانصاري بالصفراء
وصلب وهو اول من صلب في الاسلام ومنهم النضر بن الحارث بن عبد الدار
اسر يوم بدر وضرب عنقه علي رضي الله عنه بالاثيل بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومنهم ركانة بن عبد يزيد فهولاء اشد عداوة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن عداهم من روسا قريش كانوا اقل عداوة ومن هولاء
وكان من قريش جماعة من اشد الناس عليه فاسلموا منهم ابو سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب وعبد الله بن امية المخزومي اخو ام سلمة وابو سفيان
صخر بن حرب والحكم بن ابي العاص وغيرهم اسلموا يوم فتح مكة ذكر اسلام
حمزة بن عبد المطلب روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم
عند الصفا فاذاه وشتمه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
انصرف ابو جهل عامدا الى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة
ابن عبد المطلب اذ اقبل متوشحا بقوسه راجعا من قنص له اي صيد وكان
اعز فتى من قريش واشدهم شكيمة اي شديد النفس ابيا فاخبر بما لقيه
النبي صلى الله عليه وسلم من ابي جهل فاحتمل حمزة الغضب لما اراده الله
تعالى من كرامته فخرج يسعى معدا لابي جهل فلما دخل الحرم نظر الى ابي جهل
جالسا في القوم فاقبل نحوه حتى اذا قام على راسه رفع القوس فضربه فشجه
شجة منكرة وهي مختصة بالراس ثم قال اتشتمه ويلك وانا على دينه اقول
ما يقول فرد علي ذلك ان استطعت فقام رجال من بني مخزوم لينصروا ابا
جهل فقال ابو جهل دعوا ابا عمارة فاني والله قد سببت ابن اخيه سبا
قبيحا فلما اسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد عز وامتنع فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ذكر اسلام عمر بن

النادي مذكور في الباب السادس

الخطاب رضي الله عنه كان شديدا لباس والعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم
فروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب
او بابي الحكم بن هشام وهو ابو جهل فهدى الله تعالى عمر قال الحافظ مغلطاي
اسلم عمر بعد حمزة بثلاثة ايام بدعاء النبي المذكور وقيل انه صلى الله عليه
وسلم لم يذكر ابا جهل في دعايه وكان عمر رضي الله عنه رجلا لا يرام ما وراء
ظهره فامتنع به وبحمزة الصحابة وكان ابن مسعود يقول ما كنا نقدر على
ان نصلي عند الكعبة حتى اسلم عمر انتهى وكان سبب اسلامه ان اخته فاطمة
بنت الخطاب اسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد وكانا يخفيان اسلامهما
من عمر فلما علم عمر دخل على اخته وقد سمع قراءة خباب عندها فلما دخل قال
ما هذه الهينمة التي سمعتها قالت ما سمعت شيا قال بلى والله لقد اخبرت
انكما تبعتما محمدا وبطش بسعيد بن زيد فقامت اخته لتكفه عنه فضربها
فشجها فلما فعل ذلك قالت اخته نعم والله لقد اسلمنا وامنا بالله ورسوله
فاصنع ما شيت فندم وطلب الصحيفة التي يقرونها قالت انك نجس
على شركك فلا تمسها فكان عمر يقول ما عرفت ذل الشرك الا ذلك اليوم
فقام واغتسل فاعطته الصحيفة فقراها وفيها طه فلما قرا بعضها
قال ما احسن هذا الكلام واكرمه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ببيت
عند الصفا وعنده قريب من اربعين نفسا ما بين رجال ونساء منهم
حمزة وابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب فقصدهم عمر وهو متوشح بسيفه
واستاذن في الدخول فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل
نهض رسول الله حتى لقيه واخذ بمجمع ردايه ثم جذبه جذبة شديدة وقال
ما جاء بك يا ابن الخطاب ما اراك تنتهي حتى تنزل بك قارعة فقال عمر
يا رسول الله جيت لاومن بالله ورسوله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكبيرة علم من في البيت ان عمر قد اسلم ثم قال عمر يا رسول الله السنا على الحق
قال اي والذي بعثني بالحق نبيا قال اما والذي بعثك بالحق نبيا لا يعبد
الله بعد اليوم سرا الهينمة الصوت الخفي وهي بفتح الهاء وسكون اخر
الحروف والنون المفتوحة والقارعة هي الشديدة من شدايد الدهر
وهي الداهية وهي الموت ومنه قول القايل ذو بهية تصغر منها الانامل
والقارعة يوم القيامة لقرعها القلوب والاسماع بالافزاع الفصل
الرابع في الهجرة وهي ماخوذة من الهجر ضد الوصل لتركهم الوطن وهي
هجرتان باعتبار المكان والمهاجر اليه الحبشة والمدينة وثلاثة باعتبار
ما ياتي بيانه فالهجرة الاولى وهي هجرة المسلمين الى ارض الحبشة لما راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب اصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية
بمكانه من الله وانه لا يقدر ان يمنعهم قال لاصحابه لو خرجتم الى ارض الحبشة

فان بها ملك لا يظلم احد عنده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما انتم فيه
فخرج عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم
معه وتمام احد عشر رجلا واربع نسوة الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا
الى الله تعالى بدينهم فكانت اول الهجرة فى الاسلام فى رجب فى سنة خمس من
النبوة فاقاموا الى رمضان ثم بلغهم ان قريشا اسلموا فقدموا فى شوال
فلما قربوا من مكة بلغهم ان قريشا على ما هم عليه فلم يدخل احد منهم الا بجوار
اى من يجيره من العدو او مستخفيا واقام المسلمون بمكة يوذون فرجعوا
مهاجرين الى الحبشة وهى الهجرة الثانية فخرج جعفر بن ابى طالب وتتابع
المسلمون الى الحبشة فكمل بها اثنان وثمانون رجلا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم مقيم بمكة يدعو الى الله سرا وجهرا ولما رات قريش المهاجرين قد
اطمأنوا بالحبشة وامنوا ان النجاشى قد احسن اليهم ايتمروا اى تشاوروا
بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة ومعهما هدية الى النجاشى
ليردّ المهاجرين اليهم فلم يفعل وقال للمسلمين اذهبوا فانتم آمنون ورد
هدية قريش وقال ما اخذ الله الرشوة منى حتى اخذها منكم ولا اطاع الناس
فى حتى اطيعهم فيه واقام المسلمون بخير دار عنده فظهر ملك من ملوك
الحبشة ونازع النجاشى فى ملكه فظفر بعدوه فما سر المسلمون بشى سرورهم
بظفره ثم اسلم النجاشى بعد ذلك قال الحافظ مغلطاى مات فى سنة سبع
قال من قرا عليه فى سبع من النبوة وقال البرهان الحلبى وصححه فى سنة
سبع من الهجرة ولما مات كانوا لا يزالون يرون على قبره نورا وصلى عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه سريره حتى راه وقيل انما صلى عليه لانه
كان عند الكفار الذين لا يصلون عليه قال الحافظ مغلطاى توفى فى رجب
سنة تسع قال البرهان الحلبى من الهجرة ذكر ام الصحيفة وهى التى يكتب فيها
وجمعها صحف والمبسوط من كل شى صحيفة والمصحف هو الجامع للصحف المكتوبة
والجمع مصاحف وغلب على ما كتب من القرآن قاله السمين فى عمدة الحفاظ
ولما رات قريش ان الاسلام يفشوا ويزيد وان المسلمين قووا باسلام حمزة
وعمر رضى الله عنهما وعاد اليهم عمرو بن العاص ورفيقه من النجاشى بما يكرهون
ايتمروا ان يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على ان لا ينكحوا بنى هاشم وبنى
المطلب ولا ينكحوا منهم ولا يبيعوهم ولا يتبايعوا منهم فكتبوا بذلك
صحيفة وتعاهدوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا لذلك
الامر على انفسهم وانحازت بنو هاشم كافرهم ومسلمهم الى ابى طالب ودخلوا
معه فى شعبه اى قبيلته وخرج منهم ابو لهب عبد العزى بن عبد المطلب
مظاهرا لهم وكانت امراته ام جميل بنت حرب اخت ابى سفيان على رايه فى
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى التى سماها الله تعالى حمالة الحطب

لانها كانت تحمل الشوك فتضعه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام
بنو هاشم فى الشعب اى فى الحى ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك
سنتين او ثلاثة هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس سرا
وجهرا والوحى متتابع عليه ذكر نقض الصحيفة وقام فى نقضها نفر من
قريش فاجتمعوا بمكان وتعاهدوا على القيام فى نقضها ووقع بين القوم
خلاف وكانت الارضة قد اكلت الصحيفة الا ما كان باسمك اللهم كانت
قريش تستفتح بها كتابهم فاكلت ما فيها من ظلم وقطع رحم وتركت ما فيها
من اسماء الله تعالى وشلت يد كاتبها فجاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى
الله عليه وسلم واعلمه بذلك فتكلم به فاجتمع الملاء من قريش واحضروا الصحيفة
وقام مطعم بن عدى اليها ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا ما ذكر فوجدوا
الامر كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا ما تعاهدوا عليه
من قطيعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ذكر المعراج قال فى الصحاح عرج
عرج فى الدرجة والسلم يعرج عروجا اى ارتقى وقد ورد فى وقته اثنا عشر
قولا كلها قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ذكره الحافظ مغلطاى
قال واختلف فى المعراج والاسرا هل كانا فى ليلة واحدة ام لا وهل كانا او
احدهما يقظة او مناما وكان المعراج قبل الاسراء وهل كان المعراج مرة او
مرات والصحيح ان الاسراء كان فى اليقظة بجسده وانه مرات متعددة وانه
راى ربه عز وجل بعين راسه صلى الله عليه وسلم قال القاضى مجير الدين
وروى عن عايشة رضى الله عنها انها كانت تقول ما فقد جسد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله اسرى بروحه ومنهم من جعل الاسراء
الى بيت المقدس جسدانيا ومنه الى السموات السبع وسدرة المنتهى روحانيا
وقد روى جماعة من الصحابة حديث المعراج باسانيد صحيحة قالوا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل عليه السلام ومعه البراق
وهى دابة فوق الحمار ودون البغل يضع خطوه عند منتهى طرفه فلما وضعت
يدى عليه تشامس بالشين المعجمة اولا وبالمهملة ثانيا اى منع ظهره ويقال
للدابة التى تمنع ظهرها من الركوب شموس بالسين المهملة آخره لا بالصاد المهملة
واستصعب فقال جبريل عليه السلام يا براق ما ركبك نبى اكرم على الله تعالى
من محمد فانصبت عرقا وانخفض لى حتى ركبته وسار بى جبريل نحو المسجد الاقصى
فاتيت باناءين احدهما لبن والاخر خمر فقيل اختر احدهما فاخترت اللبن فشربته
فقال لى اصبت الفطرة اما انك لو شربت الخمر لغوت امتك بعدك ثم سرنا فقال
لى انزل فصل فصليت فقال لى هذه طيبة واليها المهاجرة ثم سرنا فقال لى
انزل فصل فنزلت فصليت فقال هنا طور سينا وهو جبل بالشام اضيف الى
سينا وهو شجر وكذلك طور سينين شجر واحدتها سينينة وقرى طور سينا بالفتح

والكرم مصاح حيث كلم الله موسى عليه السلام ثم سرنا فقال لى انزل فصل فنزلت
فصليت فقال هذا بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ثم سرنا حتى
اتينا البيت المقدس فلما انتهينا الى باب المسجد انزلني جبريل وربط البراق
بالحلقة التي كانت تربط بها الانبياء عليهم السلام هي بسكون اللام وفتحها
ضعيف والجمع فيهما حلق بفتحتها فلما دخلت المسجد اذا انا بالانبياء وقيل
بارواح الانبياء الذين بعثهم الله تعالى قبلى فسلموا على فقلت يا جبريل من هولاء
قال اخوانك من الانبياء زعمت قريش ان لله شريكا وزعمت النصارى ان لله ولدا
اسأل هولاء النبيين هل كان لله عز وجل شريك فذلك قوله تعالى واسأل من
ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون فاقروا
بالوحدانية لله عز وجل ثم جمعهم جبريل وقدمني فصليت بهم ركعتين
ثم انطلق بي جبريل الى الصخرة فصعد بي عليها فاذا معراج الى السماء لا ينظر
الناظرون الى شيء احسن منه ومنه تعرج الملائكة اصله في صخرة بيت المقدس
وراسه ملتصق بالسماء فاحتملني جبريل ووضعني على جناحه وصعد بي الى
سماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
اوقد بعث قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء ففتح فدخلنا فاذا انا برجل تام
الخلق عن يمينه باب تخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب تخرج منه ريح خبيثة
فاذا نظر الى الباب الذي عن يمينه ضحك واذا نظر الى الباب الذي عن شماله بكى
فقلت ما هذا ابوك آدم والباب الذي عن يمينه الجنة اذا نظر الى من يدخلها
من ذريته ضحك والباب الذي عن يساره جهنم اذا نظر من يدخلها من
ذريته بكى وحزن ثم صعد بي الى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث قال نعم قيل مرحبا به ونعم
المجيء جاء ففتح لنا فدخلنا فاذا بشابين قلت يا جبريل من هذان قال هذا
عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فدخلنا
فاذا برجل قد فضل الناس بالحسن فقلت من هذا يا جبريل قال هذا اخوك يوسف
ثم صعد بي الى السماء الرابعة واستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث قال نعم قيل مرحبا ونعم المجيء جاء فدخلنا فاذا
برجل قلت من هذا يا جبريل قال اخوك ادريس رفعه الله مكانا عليا ثم
صعد بي الى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث قال نعم قيل مرحبا ونعم المجيء جاء فدخلنا واذا برجل جالس
وحوله قوم يقص عليهم قلت من هذا قال هارون والذين حوله بنو اسرائيل
قال ثم صعد بي الى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فدخلنا فاذا برجل جالس فلما جاوزناه

بكى قلت من هذا يا جبريل قال هذا موسى قلت فما باله يبكي قال تزعم بنو اسرائيل
انه اكرم على الله من آدم وانت من بني آدم قد خلفته من ورائك قال ثم
صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فدخلنا
فاذا برجل اشمط جالس على كرسي على باب الجنة وحوله قوم بيض الوجوه
امثال القراطيس وقوم في الوانهم شيء فقام الذين في الوانهم شيء
فاغتسلوا في نهر وخرجوا وقد صارت وجوههم مثل وجوه اصحابهم
فقلت من هذا قال ابوك ابراهيم وهولاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا ايمانهم
بظلم واما الذين في الوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
فتابوا فتاب الله عليهم واذا ابراهيم مستند الى بيت فقال هذا البيت
المعمور يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون اليه واخذني
جبريل فانتهينا الى سدرة المنتهى واذا نبقها مثل قلال هجر يخرج من
اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فاما الباطنان
ففي الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال وغشيها من نور الله
تعالى ما غشيها فقال جبريل تقدم يا محمد فتقدمت وجبريل معي الى الحجاب
فاخذني الملك وتخلف عني جبريل فقلت الى اين فقال وما منا الا له
مقام معلوم وهذا منتهى الخلائق فلم ازل كذلك حتى وصلت الى العرش فاتضع
كل شيء عند العرش وكل لساني من هيبة السلطان ثم اطلق الله لساني
فقلت التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله وفرض الله علي وعلى امتي
في كل يوم وليلة خمسين صلوة ورجعت الى جبريل فاخذني وادخلني
الجنة فرايت القصور من الدر والياقوت والزبرجد ورايت نهرا يخرج
من اصله ماء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل على رضراض من الدر
والياقوت والمسك فقال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك ثم عرض علي النار
فنظرت في اغلالها وسلاسلها وحياتها وعقاربها وما فيها من العذاب
ثم اخرجني حتى اتينا على موسى عليه السلام فقال لما ذا فرض الله عليك
وعلى امتك قلت خمسين صلوة اني قد بلوت بني اسرائيل وعالجتهم اشد
معالجة على اقل من هذا فلم يفعلوا ارجع الى ربك فسله التخفيف فرجعت
الى ربي وسالته فخفف عني عشرا فرجعت الى موسى فاخبرته فقال ارجع وسل
التخفيف فرجعت فخفف عني عشرا فلم ازل بين ربي وموسى حتى جعلها خمسا
فقال ارجع فقلت اني استحييت من ربي وما انا براجع فنوديت اني فرضت
عليك وعلى امتك خمسين صلوة والخمس بخمسين وقد امضيت فريضتي وخففت
عن عبادي ثم انحدرت انا وجبريل الى مضجعي وكان ذلك في بعض ليلة فلما
اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ان الناس لا يصدقونه فقعد

فى الحرم مغموما فمر به ابو جهل فقال له كالمستهزئ هل استفدت الليلة شيئا
قال نعم اسرى بى الليلة الى بيت المقدس قال ابو جهل ثم اصبحت بين اظهرنا
قال نعم فقال ابو جهل يا معاشر بنى كعب بن لوى هلموا فاقبلوا فحدثهم النبى صلى
الله عليه وسلم لمن مصدق ومكذب وواضع يده على راسه وسعى رجال
من المشركين الى ابى بكر رضى الله عنه فقالوا ان صاحبك يزعم كذا وكذا فقال
ان كان قال ذلك فقد صدق وانى لاصدقه بما هو ابعد من ذلك فسمى ابو بكر
الصديق من يومئذ رضى الله عنه فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انعت لنا المسجد الاقصى قال فذهبت انعت حتى التبس على فجلى بالمسجد
الاقصى وانا انظر اليه فجعلت انعته قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال نعم مررت
على عير بنى فلان بالروحا وقد ضلوا بعيرا لهم وهم فى طلبه واخذت قدحا
فيه ماء فشربته فسلوهم عن ذلك ومررت بعير بنى فلان وفلان ركبان قعودا
فنفر قعودهما منى فسقط فلان فانكسرت يده فاسالوهما ومررت بعيركم
بالتنعيم يقدمها جمل اورق عليه غرارتان تطلع عليكم مع طلوع الشمس فخرجوا
الى الثنية وجلسوا ينتظرون طلوع الشمس ليكذبوه اذ قال قايل هذه الشمس
قد طلعت وقال آخر هذه العير قد اقبلت يقدمها بعير اورق كما قال
فقالوا ان هذا الا سحر مبين قال الدميرى حبست الشمس لنبينا محمد صلى الله عليه
وسلم مرتين احديهما حبست عن الطلوع حتى وصلت العير التى اخبر بوصولها
والثانية حبست عن الغروب يوم الخندق حين شغلوا عن صلوة العصر حتى
غربت الشمس فردها الله عليه كما رواه الطحاوى وغيره بعض لغة المعراج قلال
هجر قال فى الصحاح القلة اعلا الجبل وقلال هجر شبيهة بالحباب بكسر الحاء المهملة
جمع حب بضمها وهو الخابية بالخاء المعجمة وهجر بفتح الجيم اسم بلد مذكر مصروف
والرضراض براءين مهملتين مفتوحتين وضادين معجمتين اولها ساكنة وقبل
الثانية الف قال الجوهرى هو ما دق من الحصى بضم الدال قال الراجز يتركن من الحصى رضراضا ثم قال وهو الارض المرضوضة بالحجارة اى المدقوقة بها والروحا
بالراء والحاء المهملتين ممدود بلد والنسبة اليه روحاوى والتنعيم بالعين
المهملة موضع بمكة قاله الجوهرى ذكر وفاة ابى طالب وخديجة رضى الله عنها
وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على قبايل العرب توفى
ابو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد خروجهم من الشعب
ماتت خديجه قبله فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بموتهما فكان صلى الله عليه وسلم يسمى ذلك العام عام الحزن وقال ما نالت
منى قريش شيئا اكرهه حتى مات ابو طالب وذلك ان قريشا وصلوا من اذاه بعد
موت ابى طالب ما لم يكونوا يصلون اليه فى حيوته ولما اشتد عليه الامر
خرج ومعه زيد بن حارثة الى ثقيف يلتمس منهم النصر فلما انتهى اليهم عمد

الثنية طريق العقبة ومنه قولهم فلان طلاع الثنايا اذا كان ساميا لمعالى الامور صحاح

الى

الى نفر منهم وهم يومئذ سادة ثقيف وكانوا اخوة فدعاهم الى الله
تعالى وكلمهم فى نصرته فلم يجيبوه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد يئس من خيرهم وقال اذا ابيتم فاكتموا على واتى الى كندة والى بنى حنيفة
وعرض عليهم نفسه ودعاهم الى الله فلم يقبلوا ولم يزل صلى الله عليه
وسلم يقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يامركم ان تعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه وان تومنوا بى وتصدقونى
وعمه ابو لهب ينادى انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم
الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولما توفيت خديجه
جاءت خوله بنت حكيم امراة عثمان بن مظعون الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتكلمت معه فى تزويج عايشة رضى الله عنها وسوده بنت زمعة
ثم رجعت الى ابى بكر رضى الله عنه وذكرت له ذلك فزوجه اياها وهى
يومئذ ابنة ست سنين ثم خرجت خوله فدخلت على سوده واخبرتها
بذلك فقالت وددت ذلك ادخلى على ابى فاذكرى له ذلك فقال كفو كريم فجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها ذكر ابتدا الانصار قال
الحافظ مغلطاى قال الواقدى مكث عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين
من اول نبوته مستخفيا ثم اعلن فى الرابعة فدعا الناس الى الاسلام
عشر سنين يوافى المواسم يعنى موسم الحاج وهو يجمعهم كل عام يتتبع الحاج
فى منازلهم بعكاظ وغيره يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فلا
يجد احدا ينصره ولا يجيبه حتى انه ليسال القبايل قبيلة قبيلة فيردون
عليه اقبح رد ويوذونه ويقولون قومك اعلم بك الى ان اراد الله تعالى
اظهار دينه فساقه عليه الصلاة والسلام الى حى من الانصار وهو لقب
اسلامى لنصرتهم النبى صلى الله عليه وسلم وانما كانوا يسمون اولاد قيلة قال
فى الصحاح قيله ام الاوس والخزرج ولم يضبط القاف وهم اعنى الانصار
الاوس والخزرج فاسلم اثنان اسعد بن زراره بضم الزاى وذكوان بن
عبد قيس فلما كان العام المقبل فى رجب اسلم منهم سته وقيل ثمانية
فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهورى حتى ابلغ رسالات ربى
فقالوا يا رسول الله كان لنا فى العام الاول يوم اقتتلنا به فان تقدم ونحن
كذا لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشايرنا لعل الله يصلح ذات
بيننا وموعدك الموسم العام المقبل فكان اول مسجد قرى فيه القرآن بالمدينه
مسجد زريق فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا عند العقبة بمنى
وهى العقبة الاولى فاسلموا وبايعوا على بيعة النسا على ان لا نشرك بالله
شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ولا ناتى ببهتان نفتريه بين
ايدينا وارجلنا ولا نعصيه فى معروف والسمع والطاعه فى العسر واليسر

والمنشط والمكره واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله وان نقول بالحق اين
ما كنا لا نخاف في الله لومة لايم قال فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك
شيا اي جاءه وخالف ما بايع عليه او من غطا شيا من ذلك الى الله ان
شاء كان امره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ثم انصرفوا الى المدينة
اقول مبايعة النساء بكسر النون هي المذكوره في اواخر سورة الممتحنه في قوله
تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيا
ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن
الله ان الله غفور رحيم وكتبت الاوس والخزرج الى النبي عليه الصلاة والسلام
ابعث الينا من يقرينا القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير وقيل ارسله
معهم فكان يسمى المقري وهو اول من سمي به انتهى ملخصا فنزل مصعب بالمدينة
ولم يزل يدعوا الى الله حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء
مسلمون الا من كان من بني امية بن زيد ووايل فانهم اطاعوا ابا قيس بن
الاسلت فوقف بهم عن الاسلام وكان شاعرا لهم وقايدا لهم يستمعون له ويطيعونه
ذكر بيعة العقبة الثانية ولما فشا الاسلام في الانصار اتفق جماعة منهم
على المسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين لا يشعر بهم احد فساروا
الى مكه في الموسم مع كفار قومهم واجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وواعدوه اوسط ايام التشريق بالعقبة فلما كان الليل خرجوا بعد مضي
ثلثه مستخفين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلا معهم
امراتان وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس وهو
يومئذ كافر احب ان يتوثق لابن اخيه فكان العباس اول من تكلم فبايعوه
فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا القرآن ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني
عما تمنعون منه نساءكم واولادكم قال مغلطاي وعلى حرب الاحمر والاسود
انتهى ودار الكلام بينهم واستوثق كل فريق من الاخر ثم سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا ان قتلنا دونك ما لنا قال الجنة قالوا فابسط
يدك فبسط يده وبايعوه قال مغلطاي ونقب عليهم اثني عشر نقيبا ورجعوا
الى المدينة في ذي الحجه واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية الحجه
والمحرم وصفر ذكر الهجرة النبوية الشريفة وهي التي يورخ بها وكان
من حديثها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر اصحابه بالمهاجرة الى المدينة
وكان ابليس لعنه الله تعالى لما بايع النبي صلى الله عليه وسلم اهل المدينة
في العقبة الثانيه صرخ من راس العقبة بانفذ صوت سمع يا اهل الجباجب
هل لكم في محمد والصباة معه قد اجمعوا على حربكم قال الحافظ البرهان الحلبي
الجباجب جبال مكة واسواقها او منحر بمنى يلقى به الكروش فكان اول من قدم المدينة

ابو سلمه

ابو سلمة بن عبد الاسد فلما تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام
هو بمكة ينتظر ما يومر به وتخلف معه ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب
رضي الله عنهما فلما رات قريش ذلك حذروا خروج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب قال مغلطاي ومعهم
ابليس لعنه الله في صورة شيخ نجدي واجمعوا على مكيدة يفعلونها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فنجاه الله من مكرهم وانزل الله تعالى
في ذلك واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وامره بالهجرة وان يستصحب ابا بكر وكان
اتفاقهم ان ياخذوا من كل قبيلة رجلا ليضربوه بسيوفهم ضربة واحدة
ليضيع دمه في القبايل فامر عليا ان ينام على فراشه وان يتشح ببرده الاخضر
وان يتخلف عنه ليودي ما كان عنده من الودايع لاربابها وكان الكفار
قد اجتمعوا على باب النبي صلى الله عليه وسلم يرصدونه ليثبوا عليه فاخذ
النبي صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب وتلا اول يس وجعل ذلك التراب
على رؤس الكفار فلم يروه فاتاهم آت وقال ان محمدا قد خرج ووضع على رؤسكم
التراب وجعلوا ينظرون فيرون عليا عليه برد النبي صلى الله عليه وسلم
فيقولون محمد نايم فلن يبرحوا كذلك حتى اصبحوا فقام علي فعرفوه واقام
فقط علي بمكة حتى ادى الودايع وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه فيما ذكره الحا
مغلطاي • وقيت بنفسي خير من وطي الحصى • ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر •
رسول اله خاف ان يمكروا به • فنجاه ذو الطول الاله من المكر •
وقصد النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من داره دار ابي بكر رضي الله عنه
واعلمه ان الله تعالى قد اذن بالهجرة فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله قال
الصحبة فبكى ابو بكر رضي الله عنه فرحا واستاجر النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن اريقط وكان مشركا ليدلهم على الطريق ومضيا الى غار ثور
وهو جبل اسفل مكة فاقاما فيه ثم خرجا منه ليلة الاثنين بعد ثلثة
ايام وقال مغلطاي اقاما فيه بضع عشرة يوما فامر الله العنكبوت فنسجت
على بابه وحمامتين وحشيتين فعششتا على بابه قال السهيلي وحمام الحرم من
نسلها وقيل خرجا منه ليلة الاثنين لاربع ليال خلون من ربيع الاول وتوجها
الى المدينة ومعهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر الصديق خادما وابن اريقط
الدليل وجدت قريش في طلبه فتبعه سراقه بن مالك المدلجي بضم الميم وسكون
الدال المهملة ولام مكسورة فلحق النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول
الله ادركنا الطلب فقال له لا تحزن ان الله معنا ودعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على سراقة فارتطمت فرسه الى بطنها في الارض الصلبة فقال سراقة
ادع الله يا محمد ان يخلصني ولك ان ارد الطلب عنك فدعا له فخلص ثم تبعه
فدعا عليه فارتطمت ثانيا وسال الخلاص وان يرد الطلب فاجابه النبي صلى

الله عليه وسلم ودعا له وقال كيف بك يا سراقة اذا سورت بسواري كسرى
برويز فرجع سراقة ورد كل من لقيه عن الطلب بان يقول كفيتم ما هاهنا
قال في الصحاح رطمته في الوحل فارتطم اي ارتبك فيه وارتطم عليه امر اذا لم
يقدر على الخروج منه فيكون معنى ارتطمت هنا انها غاصت في وحل او في الارض
وعجزت عن الخروج قالت اسماء ولعلها بنت ابي بكر رضي الله عنه فمكثنا بمكة
ثلث ليال لا ندري اين وجه النبي صلى الله عليه وسلم حتى انشد رجل من الجن
شعرا يسمعه الناس ولا يرونه وهو

جزى الله رب الناس خير جزائه ❊ رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا ❊ فافلح من امسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ❊ ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها ❊ فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ❊ عليه صريحا ضرة الشاة مزبد
فغادره رهنا لديها بحالب ❊ تردها في مصدر ثم مورد

وفي سماع هذه القصيدة بعد ثلاثة ايام دليل على انه صلى الله عليه وسلم
لم يقم هو وابو بكر غير ثلثة ايام وكان النبي صلى الله عليه وسلم نزل بقديد
على ماء بالحجاز وهو مصغر قدم على ام معبد عاتكة بنت خالد فمسح ضرع شاة
مجهودة وشرب من لبنها وسقى اصحابه واستمرت ثلاثا البركة فيها فلما جاء زوجها
وراى ما بالشاة من اللبن سالها فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة ❊ ابلج
الوجه ❊ حسن الخلق ❊ لم تعبه ثجلة ❊ ولم تزر به صعلة ❊ وسيم ❊ قسيم ❊ في
عينيه دعج ❊ وفي اشفاره وطف ❊ وفي صوته صحل ❊ احور اكحل ❊ ازج اقرن ❊
شديد سواد الشعر ❊ في عنقه سطع ❊ وفي لحيته كثافة ❊ فاذا صمت فعليه
الوقار ❊ واذا تكلم سمى وعلاه البهاء ❊ وكان منطقه خرزات نظم يتحدرن ❊
حلو المنطق ❊ فصل لا نزر ❊ ولا هذر ❊ اجهر الناس واجمله من بعيد ❊ واحلاه
واحسنه من قريب ❊ ربعة لا تشنؤه من طول ❊ ولا تقتحمه عين من قصر ❊
غصن بين غصنين ❊ فهو انضر الثلاثة منظرا ❊ واحسنهم قدرا ❊ له رفقاء
يحفون به ❊ واذا قال استمعوا لقوله ❊ وان امر تبادروا الى امره ❊ محفود ❊
محشود ❊ لا عابس ولا مفند فقال هذا والله صاحب قريش ثم هاجرت بعد
ذلك هي وزوجها فاسلما وكان اهلها يورخون بيوم نزول الرجل المبارك
لغة بعض حديث ام معبد الوضاءة الحسن الابلج الاشراق يقال تبلج الصبح
اضاء الثجلة عظم البطن وسعته يعني انه ليس بعظيم البطن فيعاب به
الصعلة من النخل العوجا الجرداوا الصعل الدقة قال الكميت رهط من الهند
في ايديهم صعل والمعنى انه صلى الله عليه وسلم ليس به صعلة تزري به
وسيم اي حسن الوجه وقسيم مثل وسيم والدعج شدة سواد العين مع سعتها والوطف

بالمهملة

بالمهملة والصحل بمهملتين ولام البحوحة في الصوت والحور شدة بياض العين
في شدة سوادها الكحل رجل اكحل بين الكحل وهو الذي يعلو جفون عينيه سواد مثل
الكحل من غير اكتحال الازج يعني الحاجبين اي دقيقهما طويلهما اقرن تعني الحاجبين
متصل احدهما بالآخر والسطع بالتحريك طول العنق فصل بالمهملة الساكنة بمهملتين
اي يفصل بين الخصوم ويفرق بين الظالم والمظلوم لا نزر اولها ساكنة اي
ليس بيسرع في كلامه بقرينة قولها ولا هذر بالذال المعجمة مكسورة ومثله
هذار ومهذار اي ليس بذي هذيان اي لم يسرع بكلام مهذب لا فائدة فيه
اجهر الناس اي ذو منظر احسنهم منظرا واجمله اي اجمل الناس وافراد الضمير
الراجع الى الناس لكونه اسم جنس ربعة اي لا طويل ولا قصير تشنؤه بالنون
في اوله كذا ضبطه مغلطاي بالقلم ويحتمل ان يكون بالتاء الفوقية والمعنى لا
تبغضه او لا تبغضه انت من طول ولا تقتحمه عين اي لا تزدريه محفود اي
يحدقون به من كل جانب محفود اي مخدوم محشود رجل محشود اذا كان الناس
يحفون لخدمته لانه مطاع فيهم ولا مفند اسم فاعل اي غير مكذب او غير
ضعيف الراي وفي رواية لما مرت قريش بام معبد سالوها عنه ووصفوه
فقالت ما ادري ما تقولون قد ضافني حالب الحائل فقالوا ذلك نريد
فلما راح النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من قديد تعرض لهما سراقة بن
مالك المدلجي بضم الميم فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه
اي دخلت في الارض وغابت فيها فطلب الامان فاطلق وورد من ورآه ففي
ذلك يقول ابو بكر الصديق رضي الله عنه

قال النبي ولم يجزع يوقرني ❊ ونحن في سدف من ظلمة الغار
لا تخش شيئا فان الله ثالثنا ❊ وقد توكل لنا منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوادره ❊ كيد الشياطين قادته لكفار
والله مهلكهم طرا بما كسبوا ❊ وجاعل المنتهى منهم الى النار
وانت مرتحل عنهم وتاركهم ❊ اما عدو واما مدلج سار
وهاجر ارضهم حتى تكون لنا ❊ قوم عليهم ذوو عز وانصار
حتى اذا الليل وارانا جوانبه ❊ وسد من دون من تخشى باستار
سار الاريقط يهدينا وانيقه ❊ ينعبن بالقوم نعبا تحت اكوار
حتى اذا قلت قد انجدت عارضنا ❊ من مدلج فارس في منصب وار
يردي به مشرف الاقطار معتزم ❊ كالسيد ذي اللبدة المستاسد الضاري
فقال كروا فقلنا ان كرتنا ❊ من دونها لك نصر الخالق الباري
ان يخسف الارض بالاحوى وفارسه ❊ فانظر الى اربع في الارض عواري
فهيل لما راى ارساغ مقربه ❊ قد سخن في الارض لم تحفر بمحفار
فقال هلكم ان تطلقوا فرسي ❊ وتاخذوا موثقي في نصح اسراري

واصرف الحي عنكم ان لقيتهم … وان اعور منهم كل عورار
فادعوا الذي كف عنكم امر عدوتنا … يطلق جوادي فانتم خير ابواري
فقال قولا رسول الله مبتهلا … يا رب ان كان ينوي غير اخفار
فنجه سالما من شر دعوتنا … ومهره مطلقا من كلم آثار
فاظهر الله اذ يدعو حوافره … وفاز فارسه من هول اخطار

لغة الابيات ولما قال ابو جهل حين بلغه امر سراقة بني مدلج اني اخاف سفيهكم سراقة يستغوي بنصر محمد ۞ عليكم به ان لا يفرق جمعكم ۞ فيصبح شتا بعد عز وسودد وشتا بالمثناة الفوقية مشددة اي متفرقا والمعنى فيصبح جمعكم متفرقا بعد عز وسودد فاجابه سراقة اباحكم واللات لو كنت شاهدا ۞ لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه ۞ عجبت ولم تشكل بان محمدا ۞ نبي ببرهان فمن ذا يكتمه عليك بكف الناس عنه فانني ۞ ارى امره يوما ستبدو معالمه ۞ بامر تود النفر فيه بابيها ۞ لو ان جميع الناس طرا تسالمه وبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة من احضر ابنته فاطمة رضي الله عنها ورقية جماعته وحضر معهم عبد الله ابن ابي بكر بعيال ابيه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لاثنتي عشر ليلة خلت من ربيع الاول من سنة احدى وذلك يوم الاثنين الظهر فنزل قبا على كلثوم ابن الهدم واقام بقبا الاثنين والثلثا والاربعا والخميس واسس مسجد قبا وهو الذي نزل فيه قوله تعالى في سورة التوبة لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه ثم خرج من قبا يوم الجمعة وادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بالمسجد الذي ببطن الوادي فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة ولما رحل من قبا يريد المدينة فما مر على دار من دور الانصار الا قالوا هلم يا رسول الله الى العدد والعدة ويعترضون ناقته فيقول خلوا سبيلها فانها مامورة حتى انتهت الى موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبركت هناك ووضعت جرانها وهو مقدم عنقها من مذبحها الى منحرها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ابو ايوب الانصاري رحلها الى بيته وكان موضع المسجد مربدا لسهل وسهيل ابني عمرو يتيمين في حجر معاذ بن عفرا يقال ربد بالمكان اقام وقال ابن الاعرابي ربده حبسه والمربد الموضع الذي تحبس فيه الابل وغيرها واهل المدينة يسمون الموضع الذي يجفف فيه التمر مربدا وهو المسطح وقيل كان لبني النجار وكان فيه نخل وخرب وقبور المشركين واقام النبي صلى الله عليه وسلم عند ابي ايوب حتى بنى مسجده ومساكنه وكان قبله يصلي حيث ادركته الصلاة وبناه هو والمهاجرون والانصار رضوان الله عليهم اجمعين واما علي رضي الله عنه فانه خرج من مكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث ايام وادركه بقبا وقد نزل بكلثوم السنة الاولى من الهجرة فيها بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعايشة

رضي الله عنها اي دخل بها بالمدينة وكان تزوجها بمكة بنى بها وهي بنت تسع سنين وتوفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنه وكان نكاحها في شوال وكان الناس يكرهون الاجتماع في شوال فان اهل الجاهلية كانوا يتطيرون منه ويقولون انه يشول بالمراة من قولك شالت نعامتهم وشالت النوق باذنابها فابطله النبي صلى الله عليه وسلم بنكاحه عايشة رضي الله عنها فيه فكانت تقول اي النساء كانت احظى عند رسول الله مني وقد تزوجني في شوال فكانت تستحب نكاح نسايها في شوال اخرجه مسلم وفيها كانت المواخاة بين المسلمين فتواخا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه وكان سبب ذلك ما ورد في المصابيح انه صلى الله عليه وسلم اخى بين اصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال اخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والاخرة وفيها ولد عبد الله بن الزبير وهو اول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة واول مولود ولد للانصار بعد الهجرة النعمان بن بشير بفتح اوله تفعيل بمعنى فاعل من البشارة ۞

الفصل الخامس في غزواته وارساله الى الملوك عليه الصلاة والسلام

وفي السنة الاولى من الهجرة كانت غزوة بواط معا وهو جبل لجهينة من ناحية رضوى بينه وبين المدينة اربعة برد ذكره مغلطاي فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع ولم يلق كيدا وغزا الابوا جبلا بين مكة والمدينة ورجع منصورا وغزوة ذات العشيرة تصغير عشرة موضع لبني مدلج بناحية ينبع السنة الثانية من الهجرة فيها تحولت الصلوة الى الكعبة وكانت قبل ذلك الى بيت المقدس تحولت في صلوة الظهر وبلغ اهل قبا ذلك فتحولوا الى جهة القبلة وهم في الصلوة وفيها في شعبان فرض صوم شهر رمضان وامر الناس باخراج زكوة الفطر قبل الفطر بيوم او بيومين وفيها تزوج علي رضي الله عنه بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وفيها كانت غزوة بدر الكبرى وهي الغزوة التي اظهر الله بها الدين وكان سببها قتل عمرو الحضرمي واقبال ابي سفيان بن حرب في عير لقريش عظيمة من الشام وفيها اموال كثيرة ومعها ثمانون رجلا من قريش منهم مخرمة بن نوفل الزهري وعمرو ابن العاص فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها اموال فاخرجوا اليهم لعل الله تعالى ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وبلغ ابا سفيان ذلك فبعث الى مكة واعلم قريشا بذلك فخرج الناس من مكة سراعا ولم يتخلف غير ابي لهب فكانت عدتهم تسعماية وخمسين رجلا فيهم ماية فرس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه ثلاثماية وثلاثة عشر رجلا

ولم يكن فيهم الا فارسان وكانت الابل سبعين يتعاقبون عليها ونزل
النبي صلى الله عليه وسلم الصفرآء وجآءته الاخبار بان العير قاربت
بدرًا وان المشركين خرجوا ليمنعوا عنها ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام ونزل
في بدر واشار سعد بن معاذ ببناء عريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فعمل وجلس عليه ومعه ابو بكر واقبلت قريش فلما راهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تكذب
رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به وتقاربوا وبرز من المشركين عتبة
ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فامر النبي صلى الله عليه
وسلم اذ يبارز عبيدة بن الحارث بن المطلب عتبة وحمزة عم النبي صلى الله
عليه وسلم شيبة وعلي بن ابي طالب والوليد وضرب كل واحد من عقبة
وعبيدة صاحبه وكر علي وحمزة على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة وقد
قطعت رجله ثم مات وتزاحفا القوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه ابو بكر على العريش وهو يدعو ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض اللهم انجز لي ما وعدتني ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه
فوضعها ابو بكر عليه وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انتبه
فقال ابشر يا ابا بكر فقد اتى نصر الله ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العريش يحرض المسلمين على القتال واخذ حفنة من الحصا ورماها
قريشا وقال شاهت الوجوه وقال لاصحابه شدوا عليهم فكانت
الهزيمة وحمل عبد الله بن مسعود راس ابي جهل بن هشام الى النبي صلى
الله عليه وسلم فسجد شكرا لله تعالى وقتل اخو ابي جهل العاص بن هشام
ونصر الله نبيه بالملائكة قال الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم اني ممدكم بالف من الملائكة وكانت عدة قتلى بدر من المشركين سبعين
رجلا والاسرى كذلك وكان من الاسرى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
وابنا اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ولما
انقضى القتال امر النبي صلى الله عليه وسلم بسحب القتلى الى القليب وكانوا
اربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فيه واقام عليه الصلاة
والسلام بعرصة بدر ثلث ليال وجمع من استشهد من المسلمين اربعة
عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ولما وصل النبي
صلى الله عليه وسلم الى الصفرآء راجعا من بدر امر عليا بضرب عنق
النضر بن الحارث وكان من شدة عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم اذا تلا
النبي القرآن يقول لقريش ما ياتيكم محمد الا باساطير الاولين ثم امر بضرب
عنق عقبة بن معيط بن اميه وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف
عوض رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بامره بسبب مرض زوجته

وخفقت

رقيه

رقية بنت رسول الله وماتت رقيه في غيبة رسول الله وكانت مدة غيبته
صلى الله عليه وسلم تسع عشرة يوما وفي هذه السنه هلك ابو لهب عبد
العزى بن عبد المطلب لما جاء الخبر بمكة بما وقع في غزوة بدر فلم يبق
سوى سبع ليال ومات كمدا بمرض العدسه وهي قرحة كانت العرب تتشاءم
بها ويرون انها تعدي اشد العدوى فلما اصابت ابا لهب تباعد عنه
بنوه وبقي بعد موته ثلاثا لا يقرب به احد فلما خافوا السبة في تركه حفروا
له حفرة ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى
واروه ثم كانت غزوة قينقاع بطن من اليهود وامر باجلايهم وغنم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون اموالهم جميعها ثم كانت غزوة
السويق وكان من امرها ان ابا سفيان حلف ان لا يمس الطيب والنسآء
حتى يغزو محمدا بسبب قتلى بدر فخرج في مايتي راكب وبعث قدامه رجالا
الى المدينة فوصلوا الى العريض وقتلوا رجالا من الانصار فلما سمع النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك ركب في طلبه فهرب ابو سفيان واصحابه وجعلوا
يلقون جرب السويق تخفيفا فسميت غزوة السويق ثم كانت غزوة قرقرة
الكدر وقرقرة الكدر ماء مما يلي جادة العراق الى مكة وقيل قراقرة لكن الصحاح
قرقر على وزن فعالل بضم القاف اسم ماء ومنه غزاة قراقرة قال الشاعر

هم شربوا بالجنو حنو قراقر ... مقدمة الهامرز حتى تولت

وهي انه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان بهذا الموضع جمعا من سليم وغطفان
فخرج لقتالهم فلم يجد احدا فاستاق ما وجد من النعم ثم قدم المدينة وفي
السنة الثالثة من الهجرة فيها كانت غزوة احد وكان من حديثها انه اجتمع
قريش ثلاثة الاف فيهم سبع مائة دراع ومعهم مايتا فارس وقايدهم
ابو سفيان بن حرب ومعه زوجته هند بنت عتبة وكانت جملة النسآء
خمس عشرة امراة ومعهن الدفوف يعزفن اي يضربن بها ويبكين على قتلى
بدر ويحرضن المشركين على حرب المسلمين وساروا من مكة حتى نزلوا الحليف
مقابل المدينة وكان راي رسول الله صلى الله عليه وسلم المقام بالمدينة
وقتالهم بها وراى الصحابة الخروج لقتالهم فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الف من الصحابة قال الحافظ مغلطاي وقيل تسعماية الى ان صار
بين المدينة واحد ونزل الشعب من احد وجعل ظهره الى احد وكان في اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة دراع ولم يكن معهم من الخيل سوى
فرسين فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابي بردة وكان لواء
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مصعب بن عمير وكان على ميمنة المشركين
خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ولواهم مع بني عبد الدار
ولما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة

اللاتى معها وضربن بالدفوف خلف الرجال وهند تقول
هيا بنى عبد الدار ويها حماة الادبار ضربا بكل بتار وتقول ايضا
نحن بنات طارق نمشى على النمارق ان تقبلوا نعانق او تدبروا نفارق
وقاتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ قتالا شديدا فقتل ارطاة
حامل لواء المشركين وقصد قتل سباع بن عبد العزى فبينما هو مشتغل به
اذ ضربه وحشى عبد جبير بن مطعم وكان حبشيا بحربة فقتله رضى الله عنه
وقتل مصعب حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظن قاتله
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال القريشى قتلت محمدا واعطى النبى
الراية لعلى رضى الله عنه ذكر الكرة على المسلمين وانهزم المشركون فطمعت
الرماة فى الغنيمة وفارقوا المكان الذى امرهم النبى صلى الله عليه وسلم
بملازمته فاتى خالد بن الوليد مع خيل المشركين من خلف المسلمين ووقع الصراخ
ان محمدا قتل وانكشفت المسلمون واصاب فيهم العدو وكانت عدة الشهداء منهم
من المسلمين سبعين رجلا ومن المشركين اثنين وعشرين رجلا ووصلوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصابته حجارتهم حتى وقع واصيبت
رباعيته وهى السن التى بين الثنية والناب على وزن ثمانية والجمع رباعيات
وشج فى وجهه وكان الذى اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عتبة
ابن ابى وقاص اخو سعد وجعل الدم يسيل على وجهه عليه الصلاة والسلام
وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فنزل
قوله تعالى ليس لك من الامر شىء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
ودخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الشجة ونزع ابو عبيدة بن الجراح حلقة من وجهه صلى الله عليه وسلم
فسقطت ثنيته الواحدة ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى ومص
سنان بن ابى سعيد الخدرى الدم من وجه رسول الله وازدرده فقال
له صلى الله عليه وسلم من مس دمى دمه لم تصبه النار ومثلت هند وصواحباتها
بالقتلى من المسلمين فجدعن الاذان والانوف واتخذن منها قلائد وبقرت وصوّجاتها
هند عن كبد حمزة ولاكتها فضرب زوجها ابو سفيان بزج الرمح شدق
حمزة وصعد الجبل وصرخ باعلا صوته الحرب سجال يوم احد بيوم بدر اعل
هبل اى ظهر دينك وهو بضم الهاء وفتح الباء الموحدة كذا فى الصحاح ولما
انصرف ابو سفيان ومن معه نادى ان موعدكم بدر العام القابل فقال النبى
صلى الله عليه وسلم لواحد قل هو بيننا وبينكم ثم سار المشركون ثم التمس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة فوجده قد بقر بطنه وجدع انفه
واذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اظهرنى الله تعالى
على قريش لامثلن بثلثين منهم ثم قال جاءنى جبريل فاخبرنى ان حمزة مكتوب

فى اهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله صلى الله
عليه وسلم فسجى ببرده ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم اتى بالقتلى
يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه حتى صلى عليه ثنتين وسبعين
صلاة وهذا دليل لابى حنيفة رضى الله عنه فانه يرى الصلوة على الشهيد
خلافا للشافعى واحمد رضى الله عنهما ثم امر بحمزة فدفن واحتمل ناس من
المسلمين الى المدينة فدفنوا بها ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ذلك وقال ادفنوهم حيث صرعوا واصيبت عين قتادة بن النعمان فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت احسن عينيه وفى نوادر
الاخبار انه لما اصيبت عين قتادة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
له رسول الله ايما احب اليك ان اسال الله ان يرد عليك عينك او يحفظ عليك
اجرك فقال الان تحتى امراة تحبنى واحبها وان هذا يشيننى عندها فاسال
الله ان يرد على عينى فهو اكرم من ان يحرمنى ثوابى فاخذ عينه بيده الشريفة
وردها الى مكانها فابصر بها فى الحال وعاش بعد ذلك خمسين سنة مارمدت
عينه هذه فكان يقول هذه اشرف عينى واصحهما ودخل بعض ولده على
عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى يوم قسمة فقال له انتسب فقال
انا ابن الذى سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت كاحسن حالها فبوركت من عين وبوركت من يد
وفى نسخة فيا حسن ما عين ويا طيب ما يد فلما سمع عمر ذلك قال بمثل هذا
يتوسل الينا المتوسلون ثم قال
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
ولا يجوز تشديد اللام التى هى آخر البيت الثانى وان كان مطابقا لآخر البيت
الاول بل هى مخففة غايته ان ضرب البيت الاول سالم وضرب البيت الثانى
مقبوض كعروضه وهو عيب فى الشعر لكنه لم يخل بالمعنى رجع وارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمرى ورجلا معه من الانصار
الى مكة ليقتلا ابا سفيان فلم يظفرا به فقتل عمرو عثمان بن مالك التيمى
ثم ركب صاحب عمرو البعير واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر
واما عمرو فسار حتى دخل دارا ومعه قوسه واسهمه فدخل عليه رجل من
بنى الديل اعور يسوق غنما له فقال ممن الرجل فقال من بنى الديل فاضطجع ورفع
عقيرته اى صوته يتغنى ويقول
ولست بمسلم ما دمت حيا ولست ادين دين المسلمينا
ثم نام فقتله عمرو ثم سار فاذا رجلان بعثتهما قريش يتجسسان امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرمى احدهما بسهم فقتله واستاسر الآخر
فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فضحك ودعا له بخير

والاصل في قولهم دفع عقيرته ان رجلا قطعت احد رجليه فرفعها ووضعها
على الاخرى وصرخ فقيل لكل رافع صوته قد رفع عقيرته السنة الرابعة
من الهجرة فيها كانت غزوة بني النضير بالضاد الساقطة حي من يهود خيبر
سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم واجلاهم فكانت اموالهم فيئا فقسمها
على المهاجرين دون الانصار الا ان سهل بن حنيفة وابا دجانة ذكرا فقرا
فاعطاهما من ذلك شيئا وغزوة ذات الرقاع سميت بذلك لانهم رقعوا فيها
جراباتهم ولم يكن فيها حرب غير ان رجلا من غطفان قال لقومه الا اقتل
محمدا قالوا بلى فحضر الى عند النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد اريد ان انظر
الى سيفك وكان محلا بفضة فدفعه اليه فاخذه فاستله ثم جعل يهزه
ويهم ويكبته الله ثم يا محمد اما تخافني فقال له لا اخاف قال ثم رد السيف فانزل
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم ومعنى كبته بالموحدة التحتيه قبل المثناة الفوقيه
اي صرفه واذله وغزوة بدر الثانية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بدر لميعاد ابي سفيان فاقام عليها ثمان ليال ينتظره وخرج ابو سفيان
في اهل مكة الى مر الظهران بفتح الميم وتشديد الراء وفتح الظاء المعجمة كذا في
سيرة مغلطاي بالقلم وعسفان بضم العين المهملة اوله او الى عسفان موضع
على مرحلتين من مكة ثم رجع وقريش معه فلما لم يات احد رجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم السنة الخامسة من الهجرة فيها كانت غزوة الخندق وهو
بفتح الخاء وسكون النون فارسي معرب واصله كنده اي محفور قال الراجز

لا تحسب الخندق المحفورا ... يدفع عنك القدر المقدورا

ويجمع على خنادق كذا في المعرب من الكلام الاعجمي لابي منصور الجواليقي وهي
غزوة الاحزاب وهي ان نفرا من اليهود الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة يدعونهم الى حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله
وقالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فانزل الله فيهم الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون
للذين كفروا هولاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله
الآية الى قوله وكفى بجهنم سعيرا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهم وبما اجمعوا عليه امر بحفر الخندق حول المدينة وقيل انه باشارة سلمان
الفارسي وهو اول مشهد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت
في حفره معجزات منها ما رواه جابر قال اشتدت عليهم كدية اي صخرة صماء
مكربة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فدعا بماء ثم تفل فيه ونضح عليها
فانهالت يعني صارت كالدقيق تحت المساحي ومنها ان ابنة ابنة بشير

الانصاري بعثتها امها بقليل تمر غداء ابيها الغداء بمعجمتين ولهما مكسو
ما يتغذى به من الطعام والشراب وكذا الغداء بفتح المعجمة الاولى ودال
مهملة غداء ابيها وخالها عبد الله بن رواحه فمرت برسول الله صلى الله
عليه وسلم فدعاها وقال هاتي ما معك يا بنية فصبت ذلك التمر في كفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما امتلاتا ثم دعا بثوب وبدد ذلك التمر
عليه ثم قال لانسان اخرج فناد في اهل الخندق ان هلموا الى الغداء فجعلوا
ياكلون منه وجعل يزيد حتى صدر اهل الخندق عنه وانه ليسقط من اطراف
الثوب ومنها ما رواه جابر قال كانت عندي شويهة غير سمينة فامرت امراتي
ان تخبز قرص شعير وان تشوي تلك الشاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وكنا نعمل في الخندق نهارا وننصرف اذا امسينا فلما انصرفنا قلت يا رسول
الله صنعت لك شويهة ومعها شيء من خبز الشعير وانا احب ان تنصرف
الى منزلي فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يصرخ في الناس ان انصرفوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر قال جابر فقلت انا لله وانا
اليه راجعون واقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه وقدمنا
له ذلك فبرك وسمى ثم اكل وتواردها الناس كلما صدر عنها قوم جاء ناس
حتى صدر اهل الخندق عنها وروى سلمان الفارسي قال كنت قريبا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اعمل في الخندق فتغلظ على الموضع
الذي كنت اعمل فيه فلما راني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ المعول وضرب
ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب اخرى فلمعت برقة اخرى ثم ضرب اخرى
فلمعت برقة اخرى قال فقلت بابي انت وامي ما هذا الذي يلمع تحت المعول
فقال ارايت ذلك يا سلمان فقلت نعم فقال اما الاولى فان الله فتح علي بها
اليمن واما الثانيه فان الله فتح علي بها الشام والمغرب واما الثالث
فان الله فتح علي بها المشرق وعمل صلى الله عليه وسلم في الخندق ترغيبا
للمسلمين في الاجر وعمل معه المسلمون وفرغ رسول الله من الخندق واقبلت
قريش في احابيشها ومن تبعها من كنانة في عشرة الاف واقبلت غطفان
ومن تبعها من اهل نجد وكانت بنو قريظة وكبيرهم كعب بن اسد قد
عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم فما زال عليهم اصحابهم من اليهود
حتى نقضوا العهد وصاروا مع الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعظم عند ذلك الخطب واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن ونجم النفاق
اي ظهر حتى قال معتب بن قشير كان يعدنا ان ناكل كنوز قيصر واحدنا اليوم
لا يامن على نفسه ان يذهب الى الغائط واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمشركون بضعا وعشرين ليلة ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي وتقدمت
فوارس من قريش يلتمسون القتال فاقبلوا حتى وقفوا على الخندق فلما راوه

قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم قتل علي رضي الله عنه
عمرو بن عبد ود وخرجت خيل قريش منهزمة وقال علي رضي الله عنه في ذلك

نصر الحجارة من سفاهة رايه ونصرت دين محمد بضراب
وصددت حين تركته متجدلا كالجذع بين دكادك وروابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الاحزاب

ثم نصر الله نبيه على المشركين وخذلهم واختلفت كلمتهم ثم ان الله تعالى
اهب ريح الصبا كما قال تعالى في سورة الاحزاب يا ايها الذين آمنوا اذكروا
الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها فجعلت نفخة
الريح تقلب ابنيتهم وتكفا قدورهم اي تكبها وتقلبها وانقلبوا خاسرين
وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرهم وانهم عادوا الى بلادهم
فقال صلى الله عليه وسلم الان نغزوهم ولا يغزونا فكان كذلك حتى
فتح مكة ومنها كانت غزوة قريظة بالظاء المعجمة القايمة حي من يهود خيبر
ولما عاد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة من غزوة الاحزاب وضع المسلمون
السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقد وضعت
السلاح قال نعم قال ما وضعت الملائكة السلاح ان الله عز وجل يامرك
بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم فزلزل بهم فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مناديا فنادى من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا
في بني قريظة وقدم علي رضي الله عنه اليهم برايته ثم تلاحق الناس ونزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة وقذف الله
تعالى في قلوبهم الرعب ولما اشتد بهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرد الحكم فيهم الى سعد بن معاذ فحكم ان تقتل المقاتلة
وتسبى الذرية والنساء وتقسم الاموال فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد حكمت بحكم الله من فوق ارقعة قال في الصحاح الرقيع سماء الدنيا
وكذلك سائر السموات وفي الحديث من فوق سبعة ارقعة فجاء به على لفظ
التذكير كانه ذهب به الى السقف انتهى ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة وحبس بني قريظة وخرج الى سوق المدينة وخندق بها
خنادق ثم بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق وكانوا ستمائة
او تسعمائة او ما بين الثمانمائة والسبعمائة ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاموال والسبايا فاخرج الخمس واصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو فكانت
في ملكه الى حين مات وفي هذه السنة توفي سعد بن معاذ بن النعمان رضي
الله عنه ولما مات نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
متعجرا بعمامة من استبرق قال الجوهري الاعتجار بكسر العين المهملة وسكون
الجيم وراء مهملة مفتوحة نوع من العمة يقال فلان حسن العجرة وقال

اعني جبريل يا محمد من هذا الذي فتحت له ابواب السماء واهتز له العرش فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه الى سعد بن معاذ فوجده قد مات
واخبر عليه السلام انه شهده سبعون الفا من الملائكة لم ينزلوا الى الارض
قبل ذلك وكان سعد بن معاذ قد جرح على الخندق وسال الله تعالى ان لا يميته
حتى يغزوا بني قريظة لغدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فاندمل جرحه
حتى فرغ من غزوة بني قريظة كما سال الله تعالى ثم انتقض جرحه ومات
رحمه الله تعالى ورضي الله عنه السنة السادسة من الهجرة فيها كانت
غزوة ذي قرد بفتح القاف والراء المهملة موضع قريب من المدينة كانت به
غزوة ذي قرد معرب وغزوة بني المصطلق وهم حي من خزاعة وهي المريسيع
وقد كان بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني المصطلق يجمعون له
وقايدهم الحارث بن ابي ضرار ابو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما
سمع بهم خرج اليهم فلقيهم بماء يقال له المريسيع بناحية قديد فاقتتلوا
فانهزم المشركون وقتل منهم من قتل وكتفت الاسارى وجمعت الغنايم وكانت
الابل الفي بعير والشياه خمسة الاف شاة وكان السبي مايتي بنت ومن
جملتهن جويرية كانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبته عن
نفسها فادى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتق بتزويجه اياها
اهل مائة بيت من بني عبد المصطلق فكانت عظيمة البركة على قومها وفيها
كانت عمرة الحديبية وهي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من
المدينة في ذي القعدة في الف واربعمائة من المهاجرين والانصار معتمرا
لا يريد حربا وساق الهدي واحرم بالعمرة حتى وصل الى ثنية المرار مهبط
الحديبية اسفل مكة وامر بالنزول فقالوا ننزل على ماء فاعطى رجلا
سهما من كنانته وغرزه في قليب من تلك القلب في جوفه فجاش الماء بالري
حتى كفى الجيش الكنانة تقدمت في النسب المحمدي بالفصل الاول من هذا الباب
والقليب البير قبل ان تطوى تذكر وتؤنث وجاش اي غلا وفار وهذا من
مشاهير معجزاته فبعثت قريش عروة بن مسعود الثقفي فاتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ان قريشا بسطوا جلود النمور وعاهدوا الله تعالى
ان لا تدخل عليهم مكة عنوة اي غلبة وقهرا ابدا ثم جعل عروة يتناول
لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة
واقف على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقرع يده ويقول كف
يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان لا ترجع اليك فقال له
عروة ما افظك واغلظك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قام عروة من عند رسول الله وهو يرى ما تصنع اصحابه لا يتوضا الا
ابتدروا وضوءه ولا يبصق الا ابتدروا بصاقه ولا يسقط شي من شعره

الا اخذوه ورجع الى قريش وقال لهم اني جئت كسرى وقيصر في ملكهما انوالله ما رايت ملكا في قومه مثل محمد في اصحابه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى قريش ليعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم لم يات لحرب فقال عمر اني اخاف قريشا لغلظتي عليهم وعداوتي فيهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان الى ابي سفيان واشراف قريش انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا معظما لهذا البيت فلما وصل لهم عثمان وعرفهم بذلك فقالوا له ان احببت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعله حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكوه وحبسوه وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان قتل فقال لا نبرح حتى نناجز القوم المناجزة بالجيم والزاي معناه في الحرب المبارزة والمقاتلة كذا في الصحاح ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البيعة على الموت وكان جابر يقول لم يبايعنا الا على ان لا نفر فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف احد من المسلمين الا الجد ابن قيس استتر بناقته وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان في غيبته فضرب باحدى يديه على الاخرى ثم اتى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان لم يقتل اقول اذا كان سبب المبايعة بلوغ الخبر بقتل عثمان رضي الله عنه فكيف يبايع له النبي صلى الله عليه وسلم قبل وصول الخبر بحيوته فلا بد من التاويل ذكر الصلح ثم ان قريشا بعثوا سهيل بن عمرو في الصلح وتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فلما اجاب الى الصلح قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله الست برسول الله اولسنا بالمومنين فقال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله ولن اخالف امره ولن يضيعني ثم دعا علي بن ابي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما صالح محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين وانه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه واشهد في كتاب الصلح رجالا من المسلمين والمشركين وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا من المدينة لا يشكون في فتح مكة لرؤيا راها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوا ما راوا من الصلح والرجوع داخل الناس من ذلك امر

عظيم حتى كادوا يهلكون ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك نحر هديه وحلق راسه وقام الناس ايضا فنحروا وحلقوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال يرحم الله المحلقين حتى اعادوا واعاد ذلك ثلاث مرات ثم قال والمقصرين ثم قفل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة اي رجع حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا ودخل في الاسلام في هذه السنة مثل ما دخل فيه قبل ذلك واكثر وهاجر اليه صلى الله عليه وسلم نسوة منهن ام كلثوم بنت عقبة فجاء اخوها الوليد وعمارة يطلبانها فانزل الله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار فلم ترسل امراة مومنة الى مكة وانزل الله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر امراتين له السنة السابعة من الهجرة فيها كانت غزوة خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة ثم سار الى خيبر في الف واربعمائة فارس فلما اشرف عليها قال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما اظللن ورب الارضين وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله ونزل عليها ليلا ولم يعلم اهلها فلما اصبحوا خرج اهلها الى عملهم ومعهم مكاتلهم بكسر الميم وسكون الكاف وفتح المثناة الفوقية جمع مكتل وهو شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا ومساحيهم جمع مسحاة آلة تستعمل في اصلاح اراضي البساتين فلما راوه عادوا وقالوا محمد والخميس يعنون الجيش فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ثم حاصرهم وضيق عليهم وبدا بالاموال ياخذها مالا مالا ويفتحها حصنا حصنا واصاب منهم سبايا منهن صفية بنت حيي ابن اخطب فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وتزوجها وجعل عتقها صداقها وهذا من مفردات مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ثم افتتح حصن الصعب وما كان بخيبر حصن اكثر طعاما وودكا منه وقد تقدم في الباب السادس ثم انتهى الى الوطيح والسلالم وكان آخر حصون خيبر افتتاحا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما كانت تاخذه شقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج فلما نزل خيبر اخذته فاخذ ابو بكر الصديق رضي الله عنه الراية وقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالا شديدا اشد من الاول ثم رجع فاخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما والله لاعطين الراية غدا رجلا يحب

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار ياخذها عنوة فتطاول
المهاجرون والانصار وكان على بن ابى طالب رضى الله عنه قد تخلف بالمدينة
لرمد لحقه فلما اصبحوا جاء على على بعير له فتفل النبى صلى الله عليه وسلم
فى عينيه فما اشتكى رمدا بعدها ثم اعطاه الراية فنهض بها فاتى خيبر
فاشرف عليه رجل من يهودها وقال من انت قال انا على بن ابى طالب فقال
اليهودى غلبتم يا معشر يهود فخرج مرحب من الحصن وعليه مغفر وعلى راسه
بيضة عادية وهو يقول

قد علمت خيبر انى مرحب ۔ شاك السلاح بطل مجرب
اطعن احيانا وحينا اضرب ۔ اذا الليوث اقبلت تضطرب

فخرج اليه على رضى الله عنه وهو يقول

انا الذى سمتنى امى حيدره ۔ ليث بغابات شديد القسوره
اكيلهم بالسيف كيل السندره

كليث غابات كريه المنظره

واختلف بينهما ضربتان فسبقه على رضى الله عنه بضربته فقد البيضة
والمغفر وراسه فسقط عدو الله ميتا المغفر بكسر الميم وسكون الغين
المعجمة وفتح الفاء بعدها راء زرد ينسج من الدروع على قدر الراس يلبس
تحت القلنسوة واصله من الغفر يعنى التغطية وكان فتح خيبر وحاز
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاموال كلها وساله اليهود اهل خيبر
على ان يساقيهم على النصف من ثمارهم ويخرجهم متى شاء ففعل وفعل
مثل ذلك اهل فدك فكانت خيبر فيأ للمسلمين وكانت فدك خالصة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان المسلمين لم يجلبوا عليها بخيل ولا
ركاب ولم تزل يهود خيبر كذلك الى خلافة عمر رضى الله عنه فاجلاهم منها
ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف الى وادى القرى فحاصره ليلة
وفتحه عنوة ثم سار الى المدينة ولما قدمها وصل اليه من الحبشة بقية
المهاجرين ومنهم جعفر بن ابى طالب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ادرى بايهما اسر بفتح خيبر ام بقدوم جعفر وكان النبى صلى الله عليه
وسلم قد كتب للنجاشى يطلبهم ويخطب ام حبيبة بنت ابى سفيان وكانت
هاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش فتنصر عبد الله المذكور واقام بالحبشة
فزوجها للنبى صلى الله عليه وسلم ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص بن
امية وكانت بالحبشة من جملة المهاجرين واصدقها النجاشى عن النبى
صلى الله عليه وسلم اربعماية دينار ولما بلغ اباها ابا سفيان وهو بمكة
ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها فقال ذلك الفحل الذى لا يجدع انفه
فقدمتا الى النبى صلى الله عليه وسلم وكلم النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين
فى ان يدخلوا الذين حضروا من الحبشة فى سهامهم من مغنم خيبر ففعلوا

وفى

وفى غزوة خيبر اهدت للنبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث امراة
سلام بن مشكم اليهودية شاة مَصْلِيَّةً اى مشوية مَسْمُومَةً فاخذ
منها قطعة ولاكها ثم لفظها وقال تخبرنى هذه الشاة انها مسمومة
وكان معه بشر بن البراء بن معرور فاكل منها ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم
المراة فاعترفت فتجاوز عنها وقيل مات بشر فقتلها به ثم قال النبى صلى
الله عليه وسلم فى مرضه ان اكلة خيبر لم تزل تعاودنى وهذا زمان
قطع ابهرى الابهر على وزن احمد عرق اذا انقطع مات صاحبه وهما ابهران
يخرجان من القلب ثم يتشعب منها سائر الشرايين ذكر رسل النبى صلى الله
عليه وسلم الى الملوك الرسل بضم الراء المهملة وسكون السين وضمها جمع
رسول فى هذه السنة بعث النبى صلى الله عليه وسلم كتبه ورسله الى
الملوك يدعوهم الى الاسلام فارسل الى كسرى پرويز بن هرمز فمزق كسرى كتاب
النبى صلى الله عليه وسلم وقال يكاتبنى بهذا وهو عبدى ولما بلغ النبى
صلى الله عليه وسلم ذلك قال مزق الله ملكه ثم بعث كسرى الى باذان عامله
باليمن ان ابعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز فبعث باذان الى النبى صلى الله عليه
وسلم اثنين وكتب معهما يامر النبى صلى الله عليه وسلم بالمسير الى كسرى فدخلا
على النبى صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما وشواربهما فكره النبى صلى
الله عليه وسلم النظر اليهما وقال ويلكما من امركما بذلك قالا ربنا يعنيان
كسرى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لكن ربى امرنى ان اعفى عن لحيتى واقص
شاربى فاعلماه بما قدما له وقالا ان فعلت كتب فيك باذان الى كسرى وان
ابيت فهو يهلكك فاخرهما النبى صلى الله عليه وسلم الى الغد واتى الخبر
من السماء الى النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد سلط على كسرى
ابنه شيرويه فقتله فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهما
بذلك وقال لهما ان دينى وسلطانى سيبلغ ملك كسرى فقولوا لباذان
ان يسلم فرجعا الى باذان واخبراه بذلك ثم ورد كتاب شيرويه الى باذان
بقتل ابيه كسرى وان لا يتعرض للنبى صلى الله عليه وسلم فاسلم باذان
واسلم معه ناس من فارس وارسل صلى الله عليه وسلم دحية الى قيصر
ملك الروم وهو هرقل فاكرم دحية ووضع كتاب النبى صلى الله عليه وسلم
على فخذه وكتب الى رجل برومية وكان يقراء الكتب يخبره بشانه فكتب
اليه صاحب رومية انه النبى صلى الله عليه وسلم الذى كنا ننتظره لا
شك فيه فاتبعه وصدقه فجمع هرقل بطارقته فى دسكرة وغلقت
ابوابها ثم اطلع عليهم من علية خوفا على نفسه منهم وقال لهم قد
اتانى كتاب هذا الرجل يدعونى الى دينه وانه والله النبى الذى نجده فى كتبنا
فهلموا نتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا قال فنخروا نخرة رجل

واحد ثم ابتدروا الباب ليخرجوا فقال ردوهم علي وخافهم على نفسه وقال لهم
انما قلت لكم ما قلت لانظر كيف صلابتكم في دينكم وقد رايت منكم ما سرني فسجدوا
له وانطلقوا فقال لدحية انى لاعلم ان صاحبك نبي مرسل ولكن اخاف الروم
على نفسي ولولا ذلك لاتبعته ورد دحية رد اجيادا الدسكره بفتح الدال
المهملة وسكون السين المهملة قال في المغرب هو بنا شبه القصر حواليه
بيوت يكون للملوك ونخروا النخير صوت بالانف تقول منه نخر ينخر وينخر من
باب نصر وضرب وارسل حاطب بن ابي بلتعه الى صاحب مصر وهو المقوقس
جريج بن مينى فاكرم حاطبا وقبل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واهدى اليه اربع جوار احديهن مارية ولدت من النبي صلى الله عليه وسلم
ابرهيم والاخرى سيرين وهبها لحسان ابن ثابت واهدى اليه ايضا بغلة
دلدل وحماره يعفور وكسوة وارسل عمروا ابن امية الضمري الى النجاشي
بالحبشة فلما جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله وآمن به
واتبعه واسلم على يد جعفر ابن ابي طالب حين كان عنده في الهجرة وارسل
شجاع ابن وهب الاسدي الى الحارث ابن ابي شمر الغساني بدمشق فلما قرا
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ها انا سائر اليه فلما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوله قال باد ملكه وارسل سليط بن عمروا العامري الى
هوده بن علي الحنفي ملك اليمامة وكان نصرانيا فقال ان جعل الامر لي من بعده
سرت اليه واسلمت ونصرته والا قصدت حربه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا حبا ولا كرامة للهم اكفنيه فمات بعد قليل وكان قد ارسل هوده رجلا
يقال له الرحال بالحاء المهملة وقيل بالجيم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاسلم وقرا سورة البقرة ورجع الى اليمامة فارتد وشهد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشرك معه مسيلمة الكذاب في النبوة وسياتي ذكر
مسيلمة وارسل العلا ابن الحضرمي الى المنذر بن ساوى ملك البحرين فلما
اتاه يدعوه ومن معه بالبحرين الى الاسلام او الجزية وكانت ولاية البحرين
من قبل الفرس فاسلم المنذر واسلم جميع العرب بالبحرين ذكر عمرة القضا
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة معتمرا عمرة القضا
وساق معه سبعين بدنه ولما قرب من مكة خرجت له قريش عنها وتحدثوا
ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في عسر وجهد وقد انهكتهم حمى يثرب
فاصطفوا له عند دار الندوة وهي بفتح النون مثل ثمرة وهي الاجتماع ولذا
سميت دار قصي بمكه دار الندوة لان قريشا كانوا يجتمعون فيها للتشاور
ثم صار مثلا لكل دار يرجع اليها ويجتمع فيها قاله الجواليقي في المعرب فلما دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بان جعل وسط ردائه
تحت عضده الايمن وطرفيه على عاتقه الايسر ثم قال رحم الله امرا اراهم اليوم

قوة ورمل في اربعة اشواط من الطواف رمل اي هرول والهروله هو ضرب من
العدو وهو بين المشي والعدو صحاح ثم خرج الى الصفا والمروة يسعى بينهما
وتزوج في سفره هذا ميمونه بنت الحارث وذكر انه تزوجها محرما وهو
من خواصه وهي آخر امراة تزوجها واقام بمكة ثلثا فارسل المشركون اليه
مع علي رضي الله عنه ليخرج فخرج عنهم الى المدينة السنة الثامنه من
الهجرة ذكر اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما لما انصرف
عمرو بن العاص مع الاحزاب عن الخندق وجمع رجالا من قريش كانوا يرون
رايه ويسمعون منه فقال تعلمون والله اني ارى امر محمد يعلو الامور علوا منكرا
واني قد رايت ان نكون عند النجاشي قالوا ان هذا هو الراي فجمعوا له ادما كثيرة
وكان احب اليه ما يهدى من ارضنا الادم ثم خرجوا حتى قدموا عليه فجاءه عمرو
ابن اميه الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه اليه فدخل عليه
ثم خرج فقال عمرو بن العاص لاصحابه هذا عمرو بن اميه لو دخلت على النجاشي
فطلبته منه فاعطانيه فضربت عنقه فدخل على النجاشي فسجد له كما كان
يصنع وكلمه فيما قال فغضب النجاشي ثم مد يده فضرب بها انفه ضربة قال
عمرو ظننت انه كسره ثم قال تسالني ان اعطيك رسول رجل ياتيه الناموس
الاكبر الذي كان ياتي موسى لتقتله قال له ايها الملك انا كذلك هو قال ويحك يا عمرو
واطعني على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعه على الاسلام ثم خرج عمرو بن
العاص الى اصحابه وقد حال رايه عما كان عليه وكتم اصحابه اسلامه ثم خرج
عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقي خالد بن الوليد وذلك قبيل
الفتح وهو مقبل من مكة فقال خالدا الى اين فقال لعمرو استقام الميسم
اي ظهرت العلامة وان الرجل النبي اذهب والله اليه اسلم فحتى متى قال خالد
وانا والله ما جئت الا لاسلم فقدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتقدم خالد فاسلم وبايع ثم دنى عمرو فقال يا رسول الله ابايعك على ان تغفر
لي ما تقدم من ذنبي ولا اذكر ما تاخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عمرو
بايع فان الاسلام يجب ما كان قبله وان الهجرة تجب ما قبلها فبايعه ثم
انصرف وفيها كانت غزوة مؤته قال في الصحاح ومؤته بالهمز اسم ارض قتل
بها جعفر ابن ابي طالب رضي الله عنه وهي اول الغزوات بين المسلمين والروم
والمؤته من ارض الشام وهي قبلي الكرك وكان سببها ان النبي صلى الله عليه
وسلم بعث الحارث بن عمير رسولا الى ملك بصرى بكتاب كما بعث الى سائر الملوك
فلما نزل مؤته عرض له عمرو بن شرحبيل الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم رسول غيره قال الحافظ مغلطاي فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم زيد بن حارثه على ثلاثة الاف رجل وقال ان قتل فجعفر فان قتل
فعبد الله ابن رواحه فان قتل فليرتضي المسلمون برجل من بينهم فلما وصلوا

الى مؤتة وجدوا بها نحو المائة الف فلما تصافوا قتل من ذكرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما رتبهم ثم وصلت الراية الى خالد فلما اتاكهم خالد قتل منهم
مقتلة عظيمة واصاب غنيمة وقال ابن سعد ثم انهزم المسلمون وقال ابن
اسحق انحازت كل طائفة من غير هزيمة ورفعت الارض للنبي صلى الله عليه
وسلم حتى راى معترك القوم واخبر به انتهى وفي مصباح الظلام في
المستغيثين بخير الانام صلى الله عليه وسلم انه لما بعث صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن رواحة في هذه الغزوة قال عبد الله يا رسول الله اني اشتكي
ضرسي وآذاني واشتد علي فقال صلى الله عليه وسلم ادن مني والذي بعثني
بالحق لادعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب الا كشف الله كربته
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخد الذي فيه الوجع وقال
اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك
سبع مرات فشفاه الله عز وجل قبل ان يبرح وقال الحافظ البرهان
الحلبي وعن ابن سعد ان الهزيمة كانت على الروم انتهى وفي هذه السنة
اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وكان يخطب على جذع نخلة وهو بكسر الجيم
ومسجد ساكنه واحد جذوع النخل فلما خطب على المنبر أن الجذع الذي كان يقوم
عليه كما يئن الظبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا بكا لما فقد
من الذكر فنزل يمسحه بيده حتى سكن فلما هدم المسجد وتغير اخذ ذلك الجذع
أبي بن كعب فكان عنده في داره حتى بلي **ذكر نقض الصلح وفتح مكة** وسبب
ذلك ان بني بكر بن عبد مناة بالتاء المضمومة قاله السهيلي عدت على خزاعة
وهم على ماء لهم باسفل مكة يقال له الوتير وكانت خزاعة في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبنو بكر في عهد قريش في صلح الحديبية وكانت
بينهم حروب في الجاهلية فكلمت بنو بكر اشراف قريش ان يعينوهم على خزاعة
بالرجال والسلاح فوعدوهم ووافوهم متنكرين فبيتوا خزاعة ليلا فقتلوا
منهم عشرين ثم ندمت قريش على ما فعلوا وعلموا ان هذا نقض للعهد الذي
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في
طائفة من قومه فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغيثين
به فوقف عمرو عليه وهو جالس بالمسجد وانشده ابياتا يسأله فيها ان
ينصره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو ثم قدم بديل
ابن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة على النبي صلى الله عليه وسلم واخبره فقال
صلى الله عليه وسلم كانكم بابي سفيان قد جاءكم يشد العقد ويزيد في المدة
فكان كذلك فقدم ابو سفيان المدينة فدخل على بنته ام حبيبة ام المؤمنين
فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال
ما ادري ارغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله

وانت رجل مشرك نجس قال والله لقد اصابك بعدي يا بنية شر ثم خرج واتى
النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا فذهب الى ابي بكر ثم الى عمر ثم
الى علي رضي الله عنهم في امره وتشفع بهم فلم يفعلوا فقال لعلي يا ابا الحسن
اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله لا اعلم شيئا يغني عنك ولكنك
سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس والحق بارضك قال اوترى ذلك مغنيا
عني شيئا قال لا والله ما اظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان
في المسجد فقال يا ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره وانطلق
فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك فقص شانه وانه اجار بين الناس قالوا فهل
اجاز محمد ذلك قال لا قالوا والله ان زاد الرجل على ان لعب بك قال ثم امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه ثم اعلم الناس بانه يريد
مكة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتهم في بلادهم
اي نفاجيهم ونأخذهم وهم غافلون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسفره لعشر مضين من شهر رمضان ومعه المهاجرون والانصار وطوائف
من العرب فكان جيشه عشرة الاف فصام وصام الناس معه حتى اذا كان
بالكديد اسم مكان والكديد الارض المكدودة بالحوافر على وزن زبيب افطر
فخرج ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار
وكان العباس رضي الله عنه قد خرج قبل ذلك بعياله مسلما مهاجرا فلقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وقيل بذي الحليفة ثم حضر ابو سفيان
ابن حرب على يد العباس الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان استامن له فاسلم
واسلم معه رفيقاه وقال العباس يا رسول الله ان ابا سفيان يحب الفخر فاجعل
له شيئا يكون في قومه فقال من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد
فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن
وكان فيمن خرج ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو سفيان بن الحارث
وعبد الله بن ابي امية بالابواء فاعرض عنهما فجاء ابو سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب فقبل وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله وهو ارحم الراحمين وقبل منهما اسلامهما فانشده
ابو سفيان ابياتا معتذرا اليه فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره
وقال انت طردتني كل مطرد وكان ابو سفيان بعد ذلك ممن حسن اسلامه
فيقال انه ما رفع راسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلم حياء
منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ويقول
ارجو ان يكون خلفا من حمزة ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام
ان يدخل ببعض الناس من ثنية كدا وامر سعد بن عبادة سيد الخزرج ان يدخل
ببعض الناس من ثنية كدى ثم امر عليا ان ياخذ الراية من سعد فيدخل بها

لما بلغه من قول سعد اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة وامر خالد بن الوليد
ان يدخل من اسفل مكة في بعض الناس وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا لان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن القتال الا ان خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش
فرموه بالنبل ومنعوه من الدخول فقاتلهم خالد فقتل من المشركين ثمانية وعشرين
رجلا فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك قال الم انهه عن القتال فقيل
له ان خالدا قوتل فقاتل وقتل من المسلمين رجلان ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم
مكة كان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنما قد شد لهم ابليس اقدامها برصاص
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يومي الى كل صنم
منها فيخر لوجهه فيقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا حتى مر
عليها كلها والفرق بين الصنم والوثن ان الوثن لا يقال الا لما كان من غير الصخر
كالنحاس ونحوه واما الصنم فيقال لما كان من الصخر وغيره كذي الكفين واللات
فان الاول فكان من خشب والثاني كان من الصخر سمي بذلك لان عمرو بن لحي
كانت العرب قد جعلته ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه
كان يطعم الناس ويكسو في الموسم فربما نحر في الموسم عشرة الاف بدنة وكسا عشرة
الاف حلة وكان يقال له اللات بتشديد التاء لانه كان يلت السويق للحجيج على
صخرة معروفة تسمى صخرة اللات فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات بالتخفيف واتخذت
صنما يعبد رجعنا الى النبي صلى الله عليه وسلم ووحشي بن حرب قاتل
حمزة رضي الله عنه وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحشي قال نعم قال اخبرني كيف
قتلت عمي فاخبره فبكى وقال غيب وجهك عني ولما دخل صلى الله عليه وسلم
مكة كان عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما ترون
اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله قد امكنه منهم فبذلك سموا اهل
مكة الطلقاء ولما اطمأن الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الطواف فطاف بالبيت سبعا على راحلته واستلم الحجر بمحجن كان في يده
المحجن كالصولجان تقول حجنت الشيء اذا جذبته بالمحجن الى نفسك ودخل الكعبة
ورأى فيها الشخوص على صور الملائكة وصورة ابرهيم وفي يده الازلام
يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام ما شان
ابرهيم والازلام ويأتي في غزوة حنين منعها ثم امر صلى الله عليه وسلم بتلك
الصور فطمست وصلى في البيت ثم جلس صلى الله عليه وسلم على الصفا واجتمع
الناس لبيعته على الاسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله
فبايع الرجال ثم النساء واهدر دم ستة رجال واربع نسوة فاما الرجال

فعكرمة

فعكرمة ابن ابي جهل ثم استامنت له زوجته ام حكيم فامنه فقدم واسلم
وهبار بن الاسود وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وكان اخا عثمان بن عفان
من الرضاعة فاتى عثمان به النبي صلى الله عليه وسلم وساله فيه فصمت طويلا
ثم آمنه فاسلم وقال لاصحابه انما صمت ليقم احدكم فيقتله فقالوا هلا اومأت
الينا فقال لهم ان الانبياء لا تكون لهم خائنة الاعين وكان عبد الله المذكور قد
اسلم من قبل الفتح وكتب الوحي فكان يبدل القرآن ثم ارتد وعاش الى خلافة
عثمان رضي الله عنه وولاه عثمان مصر وابن صبابة لقتله الانصاري
الذي قتل اخاه خطأ وارتد وعبد الله بن هلال كان قد اسلم ثم قتل مسلما
وارتد والحويرث بن نقيذ كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجوه
فلقيه علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقتله واما النسوة فمنهن سارة مولاة
بني هاشم وهند زوج ابي سفيان ام معاوية التي اكلت من كبد حمزة فتنكرت
مع نساء قريش وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرفها قالت
انا هند فاعف عما سلف فعفا فلما جاء وقت الظهر يوم الفتح اذن بلال على
ظهر الكعبة وقال الحارث بن هشام ليتني مت قبل هذا وقال خالد بن اسيد
لقد اكرم الله ابي فلم ير هذا اليوم فخرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر لهما ما قالاه فقال الحارث بن هشام اشهد انك رسول الله ما اطلع
علينا احد فنقول اخبرك وقام علي رضي الله عنه ومفتاح الكعبة بيده فقال
يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعي له قال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم
يوم بر ووفاء وقال خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله
استامنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف وذكر ان
فضالة بن عمير بن الملوح اراد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف
بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضالة
قال نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله
تعالى فضحك النبي ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه
قال فضالة والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئا احب
الي منه وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا الى الاصنام التي حول
مكة فكسرها منها العزى ومناة وسواع وبوانة وذو الكفين ونادى
مناديه بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره
غزوة خالد بن الوليد رضي الله عنه جذيمة لما فتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة بعث السرايا حول مكة الى الناس يدعوهم الى الاسلام ولم
يامرهم بقتال وكان من السرايا سرية مع خالد فنزل على ماء لبني جذيمة
فاقبلت بنو جذيمة بالسلاح فقال لهم خالد ضعوا السلاح فان الناس قد

اسلموا فوضعوه وامرهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم
فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعله خالد رفع يديه الى السماء
حتى بان بياض ابطيه وقال اللهم انى ابرأ اليك مما صنع خالد ثم ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بمال وامره ان يودى لهم الدماء
والاموال ففعل على ذلك ثم سألهم هل بقى لكم مال او دم فقالوا لا وكان
فضل مع على قليل مال فدفعه اليهم زيادة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فاعجبه **غزوة هوازن** وهى بفتح الهاء وكسر الزاء قبيلة من قيس
وهو هوازن ينتهى الى قيس عيلان بالعين المهملة **وهى غزوة حنين** واد
بينه وبين مكة ثلاثة اميال لما فتحت مكة تجمعت هوازن بحريمهم واموالهم
لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدمهم مالك بن عوف النصرى
وانضمت اليه ثقيف وهم اهل الطايف وبنو سعد بكر وهم الذين كان
النبي صلى الله عليه وسلم مرتضعا عندهم وحضر مع بنى جشم دريد ابن
الصمة بكسر المهملة وتشديد الميم وهو شيخ كبير وقد جاوز المايه وليس يراد
منه غير اليمن برايه **وقال رجزا** يا ليتنى فيها جذع اخب فيها واضع
ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم خرج من مكة وخرج
معه اثنا عشر الفا منها الفان من اهل مكة وكان صفوان ابن اميه مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كافر لم يسلم سال ان يمهل بالاسلام
شهرين واجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك واستعار منه
مايه درع فى هذه الغزوة وحضرها ايضا جماعة كثيرة من المشركين وانتهى
صلى الله عليه وسلم الى حنين والمشركون باوطاس فقال دريد بن الصمة
باى واد انتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس
الحزن بالسكون ما غلظ من الارض والضرس كمة خشنه والدهس الاثر
يقال الطريق وعسى كثير الاثار وركب النبي صلى الله عليه وسلم بغلته
الدلدل وقال رجل من المسلمين لما راى كثرة النبي صلى الله عليه وسلم
لن يغلب هؤلاء من قلة وفى ذلك نزل قوله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلن تغن شيئا **ولما** التقوا انكشف المسلمون لا يلوى احد على احد وانحاز
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين فى نفر من المهاجرين والانصار
واهل بيته ولما انهزم المسلمون اظهر اهل مكة ما فى نفوسهم من الحقد
وقال ابو سفيان بن حرب لا تنتهى هزيمتهم دون البحر وكانت الازلام معه
فى كنانته والازلام السهام التى كان اهل الجاهلية يستقسمون بها اى يطالبون
القسم بها واحدها زلم بضم الزاى وفتح اللام وصرخ كلدة الان بطل السحر وكلدة
اخو صفوان بن اميه لامه وكان صفوان حينئذ مشركا فقال له صفوان
اسكت فض الله فاك وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتا وتراجع المسلمون

واقتلو

واقتلوا اقتتالا شديدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبغلته
الدلدل البدى فوضعت بطنها على الارض واخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم حفنة من تراب فرمى بها فى وجه المشركين فكانت الهزيمة ونصر الله
المسلمين واتبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم وكان فى السبى
الشيما بنت الحارث وامها حليمة السعديه وكانت بنتها اخت رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الرضاع فعرفته بذلك وارته العلامة وهى
عضة النبي صلى الله عليه وسلم فى ظهرها فعرفها وبسط لها رداءه
وزودها وردها الى قومها حسبما سالت والشيماء لسوادها اولان بها
شامه اى خال يقال رجل اشيم وامراة شيماء **ولما انهزمت ثقيف** من
حنين الى الطايف سار النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فاغلقوا باب
مدينتهم وحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم نيفا وعشرين يوما فاتلهم
بالمنجنيق وامر بقطع اعنابهم اى اعناب بنى ثقيف فقطعت **ثم اذن** رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالرحيل فرحل عنهم حتى نزل بالجعرانة وهى
بكسر الجيم موضع قريب من مكة وهى بالحل وميقات للاحرام وهى بتسكين العين
والتخفيف وقد تكسر العين وتشدد الراء كذا فى النهايه وكان صلى الله عليه
وسلم قد ترك بها غنايم هوازن واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض
هوازن ودخلوا عليه فرد عليهم نصيبه ونصيب عبد المطلب ورد
الناس ابناءهم ونساءهم ثم لحق مالك بن عوف مقدم هوازن برسول الله
صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قومه وعلى من اسلم من تلك القبايل وكانت عدة السبى الذى اطلقه
ستة الاف راس **ثم قسم الاموال** وكانت عدة الابل اربعة وعشرين الف
بعير والغنم اكثر من اربعين الف شاة ومن الفضة اربعة الاف اوقيه
واعطى المولفة قلوبهم مثل ابى سفيان وابنيه يزيد ومعاويه وسهل
ابن عمرو وعكرمة بن ابى جهل والحارث بن هشام اخى ابى جهل وصفوان
ابن اميه هؤلاء قريش واعطى الاقرع بن حابس وعيينه بن حصن
ومالك بن عوف مقدم هوازن فاعطى لكل واحد من الاشراف مايه من
الابل واعطى الاخرين اربعين اربعين واعطى العباس بن مرداس السلمى اباعر
لم يرضها **وقال فى ذلك من ابيات**

فاصبح نهبى ونهب العبيد ۔ بين عيينه والاقرع
وما كان حصن ولا حابس ۔ يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرء منهما ۔ ومن تضع اليوم لم يرفع

فروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقطعوا عنى لسانه فاعطى حتى رضى
قوله ونهب العبيد بضم العين المهملة هو فرس للعباس بن مرداس المذكور ذكره صاحب

ثمّ الدوفيه ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنايم لم يعط الانصار
شيئا فوجدوا فى انفسهم شيئا فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
أوجدتم أوجدتم اى غضبتم يا معشر الانصار فى لعاعة من الدنيا الفت
بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم اما ترضون ان يذهب الناس بالبعير
والشاة وترجعون برسول الله الى رحالكم اما والذى نفسى بيده لولا الهجرة
لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الانصار شعبا
لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء
الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا
اللعاعة بضم اللام ومهملتين بينهما الف واحدة اللعاع نبت ناعم فى اول
ما يبدو ومنه قيل الدنيا لعاعة يعنى حقيرة ثم اعتمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعاد الى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن اسيد بن ابى العيص
ابن امية وهو شاب لم يبلغ عشرين سنه وترك معه معاذ بن جبل يفقه
الناس وحج بالناس فى هذه السنة عتاب على ما كانت العرب تحج وفى هذه السنة
ولد للنبى صلى الله عليه وسلم ولده ابرهيم من مارية القبطيه وفى اخبار
الاسكندرية لابن العادية ان مارية وسيرين كانتا اختين بعث بهما المقوقس
هدية ولم يكن بمصر اجمل منهما وكانه اخبر انه عليه الصلاة والسلام لا يجمع بين
الاختين وكانتا منشابهتين فنظر لهما عليه الصلاة والسلام وكره الجمع بينهما
وقال اللهم اختر لنبيك فاختار الله له مارية بسبب انه قال لهما قولا اشهدا ان
لا اله الا الله فبدرت مارية وتاخرت سيرين ساعة بعدها وسيرين بالسين
المهملة وبالمعجمة وفيها مات حاتم الطائى الذى يضرب بجوده المثل وكان من الشعراء
المجيدين السنة التاسعة من الهجرة فيها تواردت وفود العرب على النبى
صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثمن ورد عليه عروة بن مسعود الثقفى
سيد ثقيف واسلم وحسن اسلامه ومضى الى الطايف ودعاهم الى الاسلام
فرماه احدهم بسهم فمات رحمه الله تعالى ووفد كعب بن زهير بن ابى سلمى بضم
السين المهملة بعد ان كان النبى اهدر دمه ومدحه بقصيدة المشهورة التى
مطلعها ٭ بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ٭ متيم اثرها لم يفد مكبول ٭
واعطاه النبى صلى الله عليه وسلم بردته فلما كان زمن معاوية ارسل الى
كعب ان بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كنت لاوثر بثوب
النبى صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب اشتراها معاوية من اولاده
بعشرة الاف درهم ونقل صاحب حماه انه اشتراها باربعين الف درهم ثم
توارثها الملوك والخلفاء الامويون والعباسيون حتى اخذتها التتار غزوة
تبوك وفى هذه السنة امر النبى صلى الله عليه وسلم بالتجهيز لغزو الروم
واعلم الناس مقصدهم لبعد الطريق وقوة العدو وكان قبل ذلك اذا اراد غزوة

ورّى بغيرها وكان الحر شديدا والبلاد مجدبة والناس فى عسرة ولذلك
سمى ذلك الجيش جيش العسرة وكانت الثمار قد طابت فاحب الناس المقام
فى ثمارهم فتجهزوا على كره وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالنفقة
فانفق ابو بكر رضى الله عنه جميع ماله وانفق عثمان رضى الله عنه نفقة عظيمة
وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يضر عثمان ما صنع بعد اليوم وتخلف
عبد الله بن ابى المنافق ومن تبعه من اهل النفاق وتخلف ثلثة من غير
الانصار وهم كعب بن مالك ومراره بن الربيع وهلال بن امية واستخلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهله على بن ابى طالب رضى الله عنه
فارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له فلما سمع على رضى الله
عنه بذلك اخذ سلاحه ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم واخبره بما قال
المنافقون فقال صلى الله عليه وسلم كذبوا وانما خلفتك لما ورائى فارجع
فاخلفنى فى اهلى اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى
وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثون الفا فكانت الخيل عشرة الاف
فرس ولقوا فى الطريق شدة عظيمة من العطش والحر ومن معجزاته صلى الله
عليه وسلم انه فى اثناء سفره هذا ضلت ناقته فخرج الناس فى طلبها
وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار بن حزم وكان فى رحله زيد بن
الصلت وكان يهوديا فاسلم ونافق فقال زيد يزعم محمد انه نبى ويخبركم خبر
السماء ولا يعلم اين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان منافقا
يقول يزعم محمد انه نبى ويخبر بخبر السماء وهو لا يعلم اين ناقته والله لا ادرى
الا ما علمنى ربى وقد دلنى عليها وهى فى شعب كذا حبسها سمرة بزمامها
فانطلقوا فاتوا بها فرجع عمار بن حزم الى رحله فقال العجب لشئ حدثنا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة قائل اخبر عنه كذا وكذا فقال
رجل كان جالسا زيد والله قايل هذه المقالة قال فاقبل عمار على زيد وقال
اخرج من رحلى يا عدو الله ولما وصلوا الى الحجر بكسر الحاء المهملة وهو ارض
ثمود نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورود ذلك الماء وامرهم ان
يهريقوا ما استقوه من مائه اى يريقوه وان يطعموا العجين الذى عجن
بذلك الماء الابل ووصل النبى صلى الله عليه وسلم الى تبوك واقام بها عشرين
ليلة وقدم عليه بها يوحنا صاحب ايلة فصالحه على الجزيه فبلغت جزيتهم
ثلثماية دينار وصالح اهل اذرح على ماية دينار فى كل رجب وارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة
الجندل وكان نصرانيا من كندة فاخذه خالد وقتل اخاه واخذ منه خالد قبا
ديباج مخوص بالذهب فارسله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسلمون

ينجبون منه وقدم خالد باكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن دمه
وصالحه على الجزية وخلى سبيله ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
بعد ان اقام بتبوك بضع عشر ليلة لم يجاوزها ولم تقدم عليه الروم والعرب
المتنصرة ولما عاد الى المدينة كان قد تخلف عنه رهط من المنافقين فاتوه
يحلفون له ويعتذرون فصفح عنهم وارجا امر كعب وصاحبيه الى الله
تعالى وقصتهم قال كعب بن مالك كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك انى لم اكن قط اقوى ولا ايسر منى حين
تخلفت عنه فى تلك الغزاة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد
غزوة يغزوها الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وعدوا كثيرا فجلى
للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة عدوهم واخبرهم توجهه الذى يريد والمسلمون
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرون لا يجمعهم عدد فطفقت اى جعلت
اعدو لكى اتجهز معهم ولم يزل يتمادى بى الامر حتى اشتد بالناس الجد
فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم اقض من جهازى
شيئا فقلت اتجهز بعد يوم او يومين ثم الحقهم فلم يزل بى حتى اسرعوا وتفارط
الغزو قال ابن قرقول فى مطالع الانوار تفارط الغزو اى فات من اراده بتاخر
وقته وهو من السبق ايضا اى سبق الغزاة فلم يلحقهم من تخلف قال كعب
وهممت ان ارتحل فادركهم وليتنى فعلت فلم يقدر لى ذلك ولم يذكرنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوكا فقال وهو جالس فى القوم بتبوك
ما فعل كعب فقال رجل من سلمة يا رسول الله حبسه برداه ونظره فى عطفيه
فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا
عليه الا خيرا فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء المخلفون
فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل
منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم
ووكل سرايرهم الى الله تعالى فجئته فلما رانى تبسم تبسم المغضب وقال تعال
فجئت امشى حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك الم تكن ابتعت ظهرك
فقلت بلى والله ولو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت انى ساخرج من
سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم
حديث كذب ترضى به عنى ليوشك ان الله يغضب على وان حدثتك حديث
صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله والله ما كان
لى عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار

رجال من بنى سلمة اى وثبوا فاتبعونى فقالوا والله ما علمناك كنت اذنبت
ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما اعتذر اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لك فوالله ما زالوا يؤنبونى اى يعنفونى حتى اردت
ان ارجع فاكذب نفسى ثم قلت لهم هل لقى هذا احد قالوا نعم رجلان قالا
ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما فقالوا مرارة ابن الربيع
وهلال ابن امية فذكروا لى رجلين صالحين شهدا بدرا فقلت لى فيهما
اسوة فمضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف فاجتنبنا الناس
وتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الارض فما هى التى اعرف فلبثنا على ذلك
خمسين ليلة فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان واما انا
فكنت اشب القوم واجلدهم وكنت اخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين
واطوف فى الاسواق ولا يكلمنى احد واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه
برد السلام على ام لا ثم اصلى قريبا منه فاسارقه النظر فاذا اقبلت على
صلوتى اقبل الى واذا التفت نحوه اعرض عنى ثم جاء نبطى من انباط اهل الشام
ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة فدفع الى كتابا من ملك غسان واذا
فيه اما فانه بلغنى ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان
فالحق بنا نواسيك فقلت لما قراتها وهذا ايضا من البلاء فتيممت بها التنور
فسجرته بها حتى مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامرك ان تعتزل امراتك فقلت اطلقها ام ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها
وارسل الى صاحبى بمثل ذلك فقلت لامراتى الحقى باهلك فكونى عندهم حتى
يقضى الله فى هذا الامر وجاءت امراة هلال ابن امية الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستاذنته فى خدمته فاذن لها قال ولكن لا يقربك فقال
لى بعض اهلى لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امراتك كما
اذن لامراة هلال ان تخدمه فقلت والله لا استاذن فلبثت بعد ذلك
عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن كلامنا فلما صليت الفجر سمعت صوت صارخ يا كعب بن مالك ابشر
فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى اعلم بتوبة الله علينا فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبى مبشرون
فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوته اياهما والله
ما املك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم بالمسجد وهو جالس حوله الناس فلما سلمت عليه قال وهو يبرق
وجهه اي يتلألأ من السرور ابشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك امك
قلت امن عندك يا رسول الله قال لا بل من عند الله فلما جلست بين يديه
قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله
الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير
لك قلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر ثم قلت يا رسول الله ان الله انما نجاني
بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت وانزل الله تعالى
على رسوله بسورة التوبة قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم
تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من
الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال فوالله ما انعم الله علي نعمة قط
بعد اذ هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا فان الله تعالى قال للذين كذبوا
حين انزل الوحي في سورة التوبة سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون
يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
وفي هذه السنة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الداري واخوته
بعد منصرفه من تبوك كتابا في قطعة ادم من خف امير المؤمنين علي بن ابي
طالب رضي الله عنه وبخطه نسخته هذا ما انطى محمد رسول الله لتميم
الداري واخوته حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت ابرهيم وما فيهن
نطية بت بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم فمن آذاهم آذاه
الله فمن آذاهم لعنه الله ، شهد عتيق بن ابو قحافة ، وعمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان ، وكتب علي بن ابو طالب وشهد قال القاضي مجير
الدين ونقلت هذه النسخة من ورقة مكتبة موضوعة بصندوق الافقي
الشريف منسوب بخط هذه النسخة الى امير المؤمنين المستنجد بالله رحمه الله
ونقلت ذلك من خطه وقابلته عليه وقبلت الانطا الشريف الذي هو من خط
امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وذلك بتاريخ التاسع عشر من شهر
صفر الاغر سنة ثمان وتسعين وثمانماية انتهى ما وجدته بخط القاضي مجير
الدين المشار اليه الانطا له معان والمراد به هنا الاعطا بلغة اهل اليمن
وقد وجدت بخط القاضي مجير الدين المقدسي الحنبلي بظاهر تاريخه المسمى بالتاريخ
المعتبر في اخبار من غبر الذي وصل فيه الى سنة احدى وتسعماية ما ملخصه ان

فهنا

في هذه السنة بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه ليحج بالناس
ومعه عشرون بدنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وثلاثمائة رجل فلما كان
بذي الحليفة ارسل النبي صلى الله عليه وسلم علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
وامره بقراءة آيات من اول سورة براءة على الناس وان ينادي ان لا يطوف
بالبيت بعد السنة عريان ولا يحج مشرك فعاد ابو بكر وقال يا رسول الله انزل
فيه شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني الا انا او رجل مني الا ترضى يا ابا بكر انك كنت
معي في الغار وصاحبي على الحوض قال بلى فسار ابو بكر رضي الله عنه امير على
الموسم وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه يؤذن ببراءة يوم الاضحى وان لا يحج
مشرك ولا يطوف عريان وفيها توفي ذو البجادين وذو الحليفة بضم الحاء وفتح
اللام وسكون اليا المثناة التحتية وفتح الفاء ميقات اهل المدينة كذا في
المغرب وفيها ذو البجادين عبد الله المزني في غزاة تبوك وتولى النبي صلى
الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما دفنه فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حفرته وابو بكر وعمر يدليانه اليه وهو يقول ادليا لي
اخاكما فدلياه اليه فلما هيآه لشقه قال اللهم اني امسيت راضيا عنه
فارض عنه الشق بكسر الشين المعجمة نصف الشيء وضده اللحد فعلى الاول فلما
اضجعه على شقه الايمن وعلى الثاني فلما وضعه في قبره الشق يعني انه غير
اللحد قال في المغرب اللحد الشق المايل في جانب القبر انتهى وفيها هلك رئيس
المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وكفن في قميص النبي صلى الله عليه وسلم
بسؤال ولده عبد الله وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه
فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صدره فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال اخر عني يا عمر قد خيرت فاخترت قد قيل استغفر لهم
او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو
اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت ثم صلى عليه وقام على قبره
حتى فرغ منه فانزل الله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم
على قبره الآية وكان ابنه عبد الله من خيار الصحابة رضي الله عنهم السنة
العاشرة من الهجرة فيها كان قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة وجاءت وفود العرب قاطبة ودخل الناس في الدين افواجا كما
قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله
افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا واسلم اهل اليمن
وملوك حمير وبعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي
الله عنه الى اليمن فسار اليها وقرا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اهل اليمن فاسلمت طايفة همدان كلها في يوم واحد وكتب بذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بايع اهل اليمن على الاسلام

وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد شكرا لله تعالى
ثم امر عليا باخذ صدقات نجران وجزيتهم اى صدقات اهل نجران وهى
بلد من اليمن على وزن شعبان ففعل وعاد فلقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم واله بمكه فى حجة الوداع **وقدم عليه** عامر بن الطفيل واربد بن
قيس وجبار بن سلمى وكانوا هؤلاء الثلثه رؤسا بنى عامر وشياطينهم
فقدم عامر عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد
الغدر به ثم قال لاربد اذا قدمنا على الرجل فانى شاغل عنك وجهه
فاذا فعلت ذلك فاعل بالسيف فلما قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خاللنى اى اجعلنى صاحبك قال
لا والله حتى تؤمن بالله وحده وكررها مرارا وهو ينتظر من اربد ما كان
امره به فجعل اربد لا يتحرك بشئ فلما ابى عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال عامر اما والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى عامر بن الطفيل وخرجوا اجمعين
الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر الطاعون
فى عنقه فقتله الله تعالى وخرج اربد ومعه جمل له يبيعه فارسل الله
تعالى عليه وعلى جمله صاعقه فاحرقتهما **وقدم عليه** الجارود بن بشر فى
وفد عبد القيس وكان نصرانيا فاسلم هو واصحابه **وقدم** عليه وفد
بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخلفوا مسيلمة فى رحالهم فلما اسلموا ذكروا مكانه واخبروا انهم
خلفوه يحفظ ركابهم فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما امر
للقوم فلما انتهى الى اليمامة ارتد وتنبا وقال انى اشركت معه فى الامر
وجعل يسجع لهم ويضاهى القرآن وهو مع ذلك يشهد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وسنذكر خبره فى الفصل الذى بعد هذا **وقدم
عليه** زيد الخيل بن مهلهل الطائى فى وفد طى وهو سيدهم فاسلموا
وحسن اسلامهم ثم سماه رسول الله زيد الخير **وقدم عليه** عمرو بن
معدى كرب الزبيدى فى ناس من زبيد فاسلم وفشا الاسلام فى ساير
القبائل **حجة الوداع** وهو بفتح الواو وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى هذه السنة ونحر الهدى وعلم الناس مناسك الحج والسنن ونزل قوله
تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونى اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فبكى ابو بكر لما سمعها
وكانه استشعر ان ليس بعد الكمال الا النقصان وانه قد نعيت الى النبى
صلى الله عليه وسلم نفسه **وخطب** رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس بعرفة خطبة بين فيها الاحكام ومنها يا ايها الناس انما النسئ

اى اجعلنى صاحبك

زيادة فى الكفر وان الزمان استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض
وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وتم حجة الوداع لانه صلى الله
عليه وسلم لم يحج بعدها ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة واقام
بها حتى خرجت السنة **السنة الحادى عشر من الهجرة** دخلت هذه السنة
وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بالمدينة من حين عوده من حجة الوداع
واستمر بها حتى مضى من هذه السنة المحرم ومعظم صفر **الفصل السادس
فى وفاته ومعجزاته** صلى الله عليه وسلم **ذكر ما ختم الله به ايام حيوته
وذكر مرضه ووفاته** ولما استكمل عليه الصلاة والسلام مدة عمره
بعد ان قام لله بامره باظهار الدين ونشره والاشتمال على طاعة الله
وبره وهو مؤيد بالفتح المبين والنصر والتمكين نقله الله الى دار
كرامته وادناه بعد ان اعلمه فيما انزل
عليه انه قادم عليه وصاير اليه فعهد الى الناس وودعهم
وحذرهم وبشرهم ونصحهم وعلمهم ووصاهم وانذرهم بدئ برسول
الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه يوم الاربعا لليلتين
بقيتا من صفر سنة احدى عشرة فى بيت ميمونه ثم انتقل لما اشتد
وجعه الى بيت عايشه واشتد به وجعه قال ابن مسعود رضى الله عنه
نعى الينا نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته
بشهر فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عايشه رضى الله عنها فنظر الينا
وشدد ودمعت عيناه وقال مرحبا بكم حياكم الله رحمكم الله آواكم
الله حفظكم الله رفعكم الله نفعكم الله وفقكم الله سلمكم الله
قبلكم الله اوصيكم بتقوى الله واوصى الله بكم واستخلفه عليكم
واحذركم الله انى لكم منه بشير ونذير ان لا تعلوا على الله فى عباده
وبلاده فانه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين **ثم قال** دنا الفراق والمنقلب
الى الله والى جنة المأوى والى سدرة المنتهى والى الرفيق الاعلى
والكاس الاوفى والعيش الاهنى **ولما ثقل** رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاء بلال ليؤذنه بالصلاة اى يعلمه بها فقال مروا ابا بكر ان يصلى
بالناس قالت عايشة رضى الله عنها يا رسول الله ان ابا بكر رجل آسيف اى
سريع الحزن وانه يقم مقامك لا يسمع الناس فلو امرت عمر قال مروا ابا بكر فليصل
بالناس فقالت عايشه لحفصة رضى الله عنهما قولى له فقالت له حفصة
يا رسول الله ان ابا بكر رجل اسيف وانه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو
امرت عمر فقال انكن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس فامروا ابا بكر
ان يصلى بالناس فلما دخل فى الصلوة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى نفسه خفة فقام يهادى بين رجلين و رجلاه تخطان فى الارض حتى
المسجد فلما سمع ابو بكر رضى الله عنه حسه ذهب ليتاخر فاومى اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قم انت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى جلس عن يسار ابى بكر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس
قاعدا وابو بكر قائما يقتدى ابو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس يقتدون بصلاة ابى بكر قوله يهادى قال فى الصحاح جاء فلان
يهادى بين اثنين اذا كان يمشى بينهما معتمدا عليهما من ضعفه
وتمايله وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة دنانير وضعها
عند عايشة فلما كان فى مرضه قال يا عايشة ابعثى بالذهب الى على ثم
اغمى عليه وشغل عايشة ما به حتى قال ذلك ثلاث مرات فى كل مرة يغمى
عليه ويشغل عايشة ما به فبعث به الى على فتصدق به ثم امسى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين فى جديد الموت فارسلت عايشة
الى امراة من النساء بمصباحها فقالت انظرى لنا فى مصباحنا من عكتك
السمن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم امسى فى جديد الموت واقبلت
فاطمة رضى الله عنها كان مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال مرحبا يا بنتى ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ثم اسر اليها حديثا
فبكت قالت عايشة فقلت استخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحديثه ثم تبكين ثم اسر اليها حديثا فضحكت قالت عايشة فقلت ما رايت
كاليوم فرحا اقرب من حزن فسالتها عما قال لها قالت ما كنت لافشى سر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا قبض سالتها فقالت انه قد اسر الى
فقال ان جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل عام مرة وانه عارضنى به الان
مرتين وفى المصابيح العام مرتين وما اراه الا قد حضر اجلى وانك اول اهلى لحوقا
بى ونعم السلف انا لك فبكيت لذلك ثم قال الا ترضين ان تكونى سيدة نساء
هذه الامة او نساء المؤمنين فضحكت لذلك ولما بقى من اجل محمد صلى الله
عليه وسلم ثلاثة ايام نزل عليه جبريل فقال يا احمد ان الله تعالى ارسلنى
اليك اكراما لك وتفضيلا عليك وخاصة بك يسالك عما هو اعلم به منك
يقول كيف تجدك فقال اجدنى يا جبريل مكروبا واجدنى يا جبريل مغموما
فلما كان فى اليوم الثانى هبط اليه جبريل فقال له ما قال له واجابه بما اجاب
فلما كان فى اليوم الثالث نزل اليه جبريل ومعه ملك يقال له اسمعيل يسكن
الهواء لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض ومعه سبعون الف
ملك فسبقهم جبريل فقال يا احمد ان الله ارسلنى اليك اكراما لك وتفضيلا
لك وخاصة بك يسالك عما هو اعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال
اجدنى يا جبريل مغموما واجدنى يا جبريل مكروبا ثم استاذن عليه ملك الموت

فقال جبريل

فقال جبريل يا احمد هذا ملك الموت يستاذن عليك ولم يستاذن على آدمى
قبلك قط ولا يستاذن على آدمى بعدك قال ايذن له فدخل ملك الموت
فوقف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان
الله ارسلنى اليك وامرنى بطاعتك فى كل ما تامرنى به ان امرتنى ان اقبض
نفسك قبضتها وان امرتنى ان اتركها تركتها قال او تفعل يا ملك الموت قال
بذلك امرت ان اطيعك فى كل ما تامرنى به فقال جبريل السلام عليك يا رسول
الله هذا آخر موطئى الارض انما كنت حاجتى من الدنيا وتوفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية يسمعون الصوت ولا يرون
الشخص السلام عليكم يا اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة
الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة ان فى الله عز وجل عزاء من كل مصيبة
وخلفا من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فثقوا واياه فارجوا
فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم
وسياتى ما كان نقش خاتمه صلى الله عليه وسلم بالباب الثالث والاربعين
وكان من وصيته عند موته الصلوة وما ملكت ايمانكم حتى جعل يتغرغر
بها فى صدره ولا يفيض بها لسانه اى لا يبوح بها لسانه يقال فاض فلان
بالسر اى باح به كذا فى الصحاح وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
نصف النهار لاثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى عشرة
وقيل غير ذلك ولما مات قالت فاطمة رضى الله عنها يا ابتاه اجاب ربا
دعاه يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه يا ابتاه الى جبريل ننعاه
فلما دفن قالت يا انس اطابت نفوسكم ان تحثوا على نبيكم التراب وتوفى
وهو ابن ثلاث وستين سنة ونزل عليه جبريل اربعماية وعشرين الف
مرة ونقل عن صاحب كنز الاسرار انه قال فيه نزل جبريل على آدم اثنا
عشر مرة وعلى نوح خمسون مرة وعلى ادريس اربع مرات وعشر مرات على
عيسى وعلى ابرهيم الخليل اثنا عشر مرة وعلى موسى اربع مرات وعلى يعقوب
اربع مرات وعلى ايوب ثلاث مرات وعلى محمد صلى الله عليه وسلم اربع
وعشرون الف مرة وفى رواية ثمانية عشر الف مرة ولما توفى صلى الله عليه
وسلم دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت احوالهم ولما قبض
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من قال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مات علوت راسه بسيفى هذا وانما ارتفع الى السماء فقرا ابو بكر
رضى الله عنه وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او
قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
فرجع القوم الى قوله وبادروا الى سقيفة بنى ساعده فبايع عمر ابا بكر
رضى الله عنهما ثم بايعه الناس خلا جماعة وسياتى حديث السقيفة بالباب

الثالث عشر فی الخلفآء الاربعة والحسین رضی الله عنهم وغسله علیه الصلاة
والسلام علی والعباس وابناه الفضل وقثم وموليا اسامة وشقران
وكفن فی ثلاثة اثواب بیض سحولیة بضم السین المهملة نسبة الی سحول بلدة
بالیمن من نفسل الاثواب بقمیص ولا عمامة وقیل فی ذلك اقوال وفی كلها لیس
فیها قمیص ولا عمامه الا فی حدیث ضعیف فیه ذكر القمیص قاله الحافظ
مغلطای الحنفی اقول خالف الحافظ مذهبه فی اتخاذ القمیص للمیت وتبع
مذهب المحدثین فی العمل بما یصح عند المحدث من الروایة ومذهب ابی حنیفه
رضی الله عنه انه لابد من القمیص فی كفن السنه لا فی كفن الكفایه وكفن
الضرورة والدلیل ما تقدم فی اواخر السنه التاسعة من الهجرة من اعطاء
النبی صلی الله علیه وسلم قمیصه لعبد الله بن عبد الله بن ابی بن سلول
بسؤاله له فی ذلك لیكفن به اباه عبد الله راس المنافقین فكفن فیه فكان
القمیص بفعل النبی صلی الله علیه وسلم فلا یعارض بفعل بعض الصحابة
فی ترك القمیص مع ان فعل بعض الصحابه معارض بما روی عن ابن عباس رضی
الله عنهما انه قال كفن رسول الله صلی الله علیه وسلم فی ثلاثة اثواب قمیصه
الذی مات فیه وحله نجرانیه والحلة ثوبان وعن عبد الله بن مغفل انه
صلی الله علیه وسلم كفن فی قمیصه قال ابن الجزری عبد الله بن مغفل بالمعجم
والفاء المزنی من اصحاب الشجرة توفی سنة ستین ولان فی القمیص سترة
لعورة المیت بخلاف اللفایف اذ لو انحلت لانكشفت عورته ولیس سلمنا
ان الاثواب الثلثة لا قمیص فیها فمحمول علی القمیص الحقیقی الذی یلبسه الاحیا
واما القمیص للمیت قال الزیلعی وهو بلا دخاریص لانها تفعل فی قمیص
الحی لیتسع اسفله للمشی ولا جیب ولا كمین ولا تكف اطرافه ولو كفن
فی قمیصه قطع جیبه وكماه ولما فرغ من جهازه یوم الثلثا وكانت وفاته
یوم الاثنین كما ذكرنا قال علی لقد سمعنا همهمة وهی تردید الصوت فی
الصدر ولم نر شخصا سمعنا هاتفا یقول ادخلوا رحمكم الله نصلوا علی
نبیكم وصلی علیه المسلمون افذاذا بمجتمعین قال فی الصحاح الفذ الفرد
وتمرة فذ متفرق یعنی صلوا علیه افرادا لم یؤمهم احد وفرش تحته قطیفة
حمرآء كان یتغطی بها ثم دفن من وسط اللیل لیلة الاربعا وهو الاصح فی
الموضع الذی توفاه الله تعالی فیه باشارة ابی بكر رضی الله عنه وقوله ان
الله لم یقبض روحه الشریفه الا فی مكان طیب بعد ان ارادوا دفنه
ومسجده او مع اصحابه ودخل قبره من غسله الا اسامة واطبق علیه
تسع لبنات وفی روایة سبع فكانت مدة شكواه ثلاث عشرة لیلة وقال
انس بن مالك لما كان الیوم الذی دخل فیه رسول الله صلی الله علیه وسلم
یعنی الی المدینة اضاء منها كل شیء فلما كان الیوم الذی مات فیه اظلم منها

كل شیء وروی انه صلی الله علیه وسلم قال انا فرط لامتی لن یصابوا بمثلی الفرط
بفتح الفاء والراء قال فی مطالع الانوار هو الذی یتقدم الوارد فیهیئ
لهم ما یحتاجون الیه وهو فی هذه الاحادیث الثواب والشفاعة والنبی
صلی الله علیه وسلم یتقدم امته لیشفع لهم وكذلك الولد لابویه ذكر
بعض صفاته الخلقیة كان له شعر یضرب الی منكبیه جید ما بین
المنكبین لیس بالقصیر ولا بالطویل ابیض اللون مشربا بحمرة وقیل
ازهر اللون له شعر رجل لم یبلغ الشیب فی راسه ولحیته عشرین شعرة
ظاهر الوضاءة ملیح الوجه یتلالا وجهه تلالؤ القمر لیلة البدر
حسن الخلق معتدل القامة فی عینیه دعج وفی بیاضها عروق حمر
وفی اجفانه قطف وفی صوته صهل ویروی صحل وفی عینیه سطع
وفی لحیته كثاثة ان صمت فعلیه الوقار وان تكلم سما وعلاه البها
اجمل الناس وابهاهم من بعید واحلاهم واحسنهم من قریب حلو
المنطق واسع الجبین ازج الحواجب من غیر قرن اقنی العرنین سهل
الخدین اشنب مفلج الاسنان دقیق المسربه من لبته الی سرته
شعر یجری كالقضیب لیس فی بطنه ولا صدره شعر غیره اشعر
الذراعین والمنكبین بادن سواء البطن والصدر مسیح الصدر
ضخم الكرادیس الی غیر ذلك من الصفات الشریفة تفسیر بعض ما فیها
من الغریب ازهر اللون نیره الشعر الرجل الذی كانه مشط فتكسر قلیلا
لیس بسبط ولا جعد ابلج الوجه ای مشرقه الدعج شدة سواد العین القطف
طول شعر الاجفان الصهل صوت الفرس والصحل البحوحة السطع البریق
الكثاثة الغلظ الازج المقوس الطویل الوافر الشعر الاقنی السایل الانف المرتفع
وسطه الشنب رونق الاسنان وماؤها وقیل رقتها الفلج فرق بین الثنایا
المسربه خیط الشعر الذی بین الصدر والسرة بادن ذو لحم سواء البطن
والصدر یعنی مستویهما مسیح الصدر ای بادیه وقیل عریضه ضخم الكرادیس
ای رؤس العظام وقد تقدم تفسیر بعض هذه الكلمات فی حدیث ام معبد
عند الهجرة الثالثه بالموافقه او بمخالفة یسیرة ذكر نبذة من معجزاته وما
خصه الله تعالی من آیاته غیر ما تقدم ذكره من ذلك فی سیاق الكلام
فمن اعظم معجزاته صلی الله علیه وسلم القرآن الكریم الذی اعجز الفصحاء
واخرس البلغاء وانشقاق صدره والنبا مه وانشقاق القمر له فرقتین
حین سالته قریش آیة فرقة علی الجبل وفرقة دونه فقال صلی الله علیه وسلم
اشهدوا وانزل الله تعالی اقتربت الساعة وانشق القمر وان یروا آیة یقولوا
سحر مستمر ونبع الماء من بین اصابعه وتكثیره وتكثیر الطعام ببركته وكلام
الشجرة وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته وسلام الحجر والشجر علیه

وحنين الجذع اليه وتسبيح الطعام وهو يوكل وتسبيح الحصا فى كفه وتكلم الضب
له كما نقله الديميرى فى حيوة الحيوان فيما رواه الدارقطنى والبيهقى وشيخه
الحاكم وشيخه بن عدى عن عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان فى محفل من اصحابه اذ جاء اعرابى من بنى سليم قد صاد ضبا فى كمه
ليذهب به الى رحله فراى جماعة محتفين بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال
على من هولاء الجماعة مجتمعون فقالوا على هذا واشاروا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتى فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذى لهجة اكذب
منك فلولا تسمينى العرب عجولا لقتلتك فسررت الناس اجمعين فقال عمر يا رسول
الله دعنى اقتله فقال صلى الله عليه وسلم اما علمت ان الحليم كاد ان يكون
نبيا ثم اقبل الاعرابى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات
والعزى لما امنت بك او يومن بك هذا الضب واخرج الضب من كمه
فطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان آمن بك آمنت
بك فقال صلى الله عليه وسلم يا ضب فتكلم الضب بلسان فصيح عربى
مبين صريح يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين
فقال صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض
سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه قال فمن انا
يا ضب قال انت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد افلح من صدقك
وقد خاب من كذبك فقال الاعرابى اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
حقا والله لقد اتيتك وما على وجه الارض احد هو ابغض الى منك والله
لانت الساعة احب الى من نفسى ومن ولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى
وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحمد لله الذى هداك الى هذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله
الله الا بصلوة ولا يقبل الصلاة الا بقرآن قال فعلمنى فعلمه النبى صلى الله
عليه وسلم الحمد لله وقل هو الله احد فقال يا رسول الله ما سمعت فى البسيط
ولا فى الوجيز احسن من هذا فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا كلام رب
العالمين وليس بشعر اذا قرات قل هو الله احد فكانما قرات ثلث القرآن
وان قراتها مرتين فكانما قرات ثلثى القرآن وان قراتها ثلاثا فكانما
قرات القرآن كله فقال الاعرابى ان الهنا يقبل اليسير ويعطى الكثير
ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الك مال قال ما فى بنى سليم قاطبة رجل
افقر منى فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اعطوه فاعطوه حتى ابطروه
فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله انى اعطيه ناقة تلحق ولا تلحق
اهديت الى يوم تبوك فقال قد وصفت ما تعطى واصف لك ما يعطيك
الله جزاء قال نعم لك ناقة من درة بيضاء جوفاء قوائمها من زمرد اخضر

وعيناها

وعيناها من زبرجد اخضر عليها هودج السندس والاستبرق تمر بك على
الصراط كالبرق الخاطف فخرج الاعرابى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلقيه الف اعرابى على الف دابة بالف سيف فقال لهم اين تريدون فقالوا
نريد هذا الذى يكذب ويزعم انه نبى فقال الاعرابى اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا له صبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم
لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا يا رسول الله مرنا بامرك فقال كونوا تحت
راية خالد بن الوليد فلم يومن من العرب ولا غيرهم الف غيرهم انتهى ومن
معجزاته صلى الله عليه وسلم تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال سفينة ركبت البحر فانكسرت بى السفينة فخرجت الى
جزيرة فاذا الاسد فقلت انا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعل يغمزنى بمنكبه حتى اقامنى على الطريق واسم سفينة رباح ويسمى سفينة
لانه كان فى بعض الاسفار فكان كل من اعطاه شيئا من متاعه اخذه
وحمله فمر به النبى صلى الله عليه وسلم وقد حمل شيئا كثيرا فقال له انت
سفينة ومنها اجابة دعاه فى دعا لابن عباس رضى الله عنهما اللهم فقهه
فى الدين وعلمه التاويل فسمى الحبر ترجمان القرآن ودعا لعلى رضى الله عنه
ان يكفى الحر والقر فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف ثياب
الشتاء فلا يصيبه برد ولا حر وفى مرآة الزمان ان ام انس بن مالك لما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اخذت بيد انس وجاءت
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله خويدمك انس
ادع له فقال اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر ذنبه وبارك له
فيما اعطيته اخرجاه فى الصحيحين قال انس رضى الله عنه فدفنت من
صلبى مائة ولد وان نخلى يثمر فى السنة مرتين ولقد عشت حتى استحييت
من اهلى وسيمت من الحيوة وانا ارجو الرابعة يعنى المغفرة وعن ابن
عساكر انه دفن من صلبه الى مقدم الحجاج الى البصرة بضعة وعشرين
ومائة ولد وفى بعض الكتب اربعة وان لكل واحد منهم مائة ولد انس
ابن مالك وعبد الله بن عمر الليثى وخليفة السعدى وجعفر بن سليمان
الهاشمى وبالجملة فمعجزاته لا تحصى ولا يحاط بها ولا تستقصى ذكر بعض
صفاته المعنوية وما اختصه به رب البرية قال الله تعالى فى حقه
وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشه رضى الله عنها كان خلقه القرآن
يغضب لغضبه ويرضى لرضاه تعنى التادب بادابه والتخلق بمحاسنه
والالتزام باوامره وزواجره وكان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه
ولا يغضب لها الا ان تنتهك حرمة من حرمات الله تعالى فيكون لله
ينتقم قال فى الصحاح انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل انتهى وقيل من نهكه

بالنفخ والكل ذا نقصه دا نخفه وكان احسن الناس خلقا وارجحهم حلما
ولما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على الصحابة وقالوا لو
دعوت عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم
اهدى قومى فانهم لا يعلمون وقد تقدم فى احد تفسير الرباعيه وكان
اسخى الناس كفا لا يبيت عنده درهم ولا دينار ولا يسال شيئا الا اعطاه
وكان اشجع الناس واشد حياء من العذراء فى خدرها اى من البكر فى
سترها واذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن
يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله او
قايله ولم يكن يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وكان يخصف النعل
ويرقع الثوب ويجيب الدعوة من غنى وفقير ويقبل الهديه ويكافى
عليها وياكلها ولا ياكل الصدقة ويعصب الحجر على بطنه من الجوع وياكل
ما حضر ولا ياكل متكيا ولا على خوان هو بكسر الخاء المعجم الذى يوكل عليه
معرب لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقى الله تعالى ويعود
المرضى ويجيب الوليمة ويشهد الجنايز متواضعا يلبس خاتمه فى خنصره
الايمن وربما لبسه فى خنصره الايسر يردف خلفه عبده او غيره يركب ما
امكنه ومرة يمشى حافيا يمزح ولا يقول الا حقا وكان يضحك من غير
قهقهه يرى اللعب المباح فلا ينكره امى لا يقرا ولا يكتب واذا سيل الدعا
على احد مسلم او كافر او عام او خاص عدل عن الدعا عليه ودعا له وما
خير بين شيئين الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم
فيكون ابعد الناس من ذلك وكان يبدا بالسلام من لقيه ومن فاوضه
فاوضه فى امره اى جاراه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ولا
يجلس اليه احد وهو يصلى الا خفف صلاته واقبل عليه وقال الك حاجة
فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلوته يكرم من يدخل عليه ويوثره بالوسادة
التى تكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصغاه
احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس اليه نصيبه
من وجهه وكان طويل السكوت لا يتكلم فى غير حاجة واذا قام من مجلسه
قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك واذا نزل به الامر فوض اى يقول وافوض امرى الى الله ويتبرا من حول
نفسه وقوتها ويتبرا من الحول والقوة واحب الطعام اليه ما كثرت عليه
الايدى واذا وضعت المايدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكوره
نصل بها نعيم الجنة واذا جلس ياكل جمع بين ركبتيه وبين قدميه كما
يجلس المصلى الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول
انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد ولا ياكل الحار ويقول

انه

انه غير ذى بركة وان الله لا يطعمنا نارا فابردوه واحب الطعام اليه
اللحم ويقول هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والاخرة ولو
سالت ربى ان يطعمنيه كل يوم لفعل واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت
وسقيت واويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان
يشرب ثلاث دفعات له فى اولها ثلاث تسميات وفى اخرها ثلاث تحميدات
وتنام عينه ولا ينام قلبه وينظر فى المراة وربما نظر فى الماء فى جرعايشه
وسوى جبهته وكان يقول لا يبلغنى احد منكم عن احد من اصحابى شياء
فانى احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر وقال الحافظ مغلطاى ما عاب
طعاما قط ان اشتهاه اكله وان لم يشتهه تركه ولا ياكل فى سكرجة ولا
خبز له مرقق اكل البطيخ بالرطب والقثا بالرطب وقال يكسر حر هذا برد هذا
وبرد هذا حر هذا وكان يحب الحلواء والعسل واحب الشراب اليه الحلو البارد
قال ابو هريرة رضى الله عنه خرج عليه الصلاة والسلام من الدنيا ولم
يشبع من خبز الشعير هو واهل بيته ويانى عليه الشهر والشهران لا يوقد
فى بيت من بيوته نار وكان قوتهم الماء والتمر قالت عايشه رضى الله عنها
الا ان حولنا اهل دور من الانصار يبعثون بشيا ههم فنصيب من ذلك
اللبن وكان يحلب الشاة ويحب المساكين ويشهد جنايزهم ولا يحقر فقيرا
لفقره ولا يهاب ملكا لملكه ويلبس الصوف ويكثر الذكر ويطيل الصلاة
ويقصر الخطبة بخطبته التى يقول فيها اما بعد فان اصدق الحديث كتاب
الله • واوثق العرى كلمة التقوى • وخير العمل ما نفع • وخير الهدى ما اتبع
وشر العمى عمى القلب • واعظم الخطايا اللسان الكذوب • وخير ما القى
فى القلوب اليقين وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الريح
الكريهة قال عليه الصلاة والسلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب
والنسا وجعلت قرة عينى فى الصلاة قال الحافظ البرهان الحلبى ليس فى
الحديث المذكور لفظ ثلاث وان ذكرها بعض الناس فيه ولا يعرف فى كتاب
من كتب الحديث انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يالف اهل الشرف ويكرم
اهل الفضل يقبل معذرة المعتذر اليه وذكر الحافظ مغلطاى اشيا
لا يسعها هذا الكتاب وانما ذكرت هذا المقدار من صفاته الشريفه لتتخلق
من قراها بما يمكن التخلق به منها فانه عليه الصلاة والسلام خير من اقتدى
به اسال الله ان يوفقنى والمسلمين لاتباعه ذكر من استغاث به فاغيث
فى القديم والحديث فاول من استغاث به آدم عليه السلام لما اقترف
الخطيئه قال رب اسالك بحق محمد الا ما غفرت لى قال الله عز وجل يا ادم وكيف
عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك
رفعت راسى فرايت على قوايم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت

نقلت من خطبته الى اليقين فى الخطب
بالباب السادس والثلاثين انتهى

انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك قال الله تعالى يا ادم واذ قد
سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك واستغاثت الغزالة
عن زيد بن ارقم قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سكك المدينة
فمررنا بخباء اعرابى فاذا ظبية مشدودة فى الخباء فقالت يا رسول الله
هذا الاعرابى صادنى ولى خشفان فى البرية وقد تعقد اللبن فى اخلافى
فلا هو يذبحنى فاستريح ولا يدعنى فارجع الى خشفى فى البرية فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تركتك ترجعين قالت نعم والا عذبنى
الله عذاب العشار فاطلقها رسول الله فلم تلبث ان جاءت تلمظ فشدها
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخباء واقبل الاعرابى ومعه قربة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبيعنيها قال هى لك يا رسول الله
فاطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال زيد فانا والله رايتها تسيح
فى البرية وتقول لا اله الا الله محمد رسول الله تسيح بالمثناة التحتية اى
تذهب واستغاث الجمل به صلى الله عليه وسلم وهو ما روى عن تميم بن
اوس الدارى قال كنا جلوسا مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ اقبل بعير
يعدو حتى وقف على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم اى على راسه فرغا
الرغا بالراء المضمومة والغين المعجمة ممدودا صوت ذوات الخف تقول
رغا البعير يرغو رغاء بضم الراء اذا ضج فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايها البعير اسكن فان تكن صادقا فلك صدقك وان تك كاذبا فعليك
كذبك مع ان الله تعالى قد آمن عائذنا وليس بخائب لائذنا فقلنا يا رسول
الله ما يقول هذا البعير فقال هذا بعير هم اهله بنحره واكل لحمه فهرب منهم
فاستغاث بنبيكم فبينما نحن كذلك اذ اقبل اصحابه فلما راهم البعير عاد
الى هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذ بها فقالوا يا رسول الله
هذا بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة ايام فلم نلقه الا بين يديك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما انه يشكو اليّ فبئست الشكاية فقالوا يا رسول
الله ما يقول قال انه يقول انه ربى فى امنكم احوالا وكنتم تحملون عليه فى
الصيف الى موضع الكلا فاذا وافى الشتاء رحلتم عليه الى موضع الدفا
فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله ابلا سليمة فلما ادركته هذه السنة الخطيبة
اى الكثيرة الخطوب والشدائد من قحط وغيره هممتم بنحره واكل لحمه فقالوا
والله قد كان ذلك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه فقالوا يا رسول الله انا لا نبيعه ولا ننحره
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم قد استغاث بكم فلم تغيثوه
وانا اولى بالرحمة منكم لان الله تعالى قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين واسكنها
فى قلوب المؤمنين فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة درهم وقال

الخلف بالكسر حلمة ضرع الناقة والاخلاف القاموس والجوهرى صحاح اذا وخلف اللبن والطعام تغير طعمه او رائحته صحاح

ايها البعير انطلق فانت حر لوجه الله فرغا على هامة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين ثم رغا الثانية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين ثم رغا الثالثة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امين ثم رغا الرابعة فبكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير فقال قال جزاك الله ايها
النبى عن الاسلام والقرآن خيرا قلت آمين قال حقن الله دم امتك من
اعدائها كما حقنت دمى قلت آمين قال سكن الله رعب امتك يوم القيمة
كما سكنت رعبى قلت آمين قال لا جعل الله باسها بينها فبكيت وقلت
هذه خصال سألت ربى فاعطانيها ومنعنى هذه واخبرنى جبريل عن الله
ان فناء امتك بالسيف جرى القلم بما هو كائن ومن اخباره بالمغيبات
عليه افضل الصلوات اخباره بقتل الاسود العنسى بالنون واسمه عبهلة
ابن كعب ويقال له ذو الحمار وكان يشعبذ لقومه ويريهم الاعاجيب
ويسبى بمنطقه قلب من يسمعه وقيل له ذو الخمار لانه كان يقول يأتينى
ذو خمار وهو ممن ارتد وتنبأ من الكذابين قال ابن الجوزى فى المنتخب انه اول
من ارتد عن الاسلام وكاتبه اهل نجران وكان هناك من المسلمين عمرو بن حزم
وخالد بن سعيد بن العاص فاخرجهما اهل نجران وسلموها الى الاسود ثم
سار الاسود منها الى صنعاء فملكها وصفا له ملك اليمن واستفحل امره
وجعل يستطير استطار الحريق اى طار كطيران الحريق فلما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارسل الى نفر من اهل اليمن ان يحاولوا الاسود اما غيلة
هى اخذ الانسان من حيث لا يعلم واغتاله قتله غيلة بكسر الغين المعجمة او
مصادمة والغيلة وامرهم صلى الله عليه وسلم ان يستنجدوا رجالا سماهم
لهم وارسل الى ولئك النفر ان ينجدوهم فاجتمعوا بامراة الاسود وكان
الاسود قد قتل اباها فقالت والله انه ابغض الناس لى ولكن الحرس محيطون
بقصره فانقبوا عليه البيت فنقبوا ودخلوا اليه وخالطوه فقتلوه
واحتزوا راسه فخار خوار الثور وابتدرت الحرس الباب فقالوا ما هذا
فقالت زوجته النبى يوحى اليه وكان الشيطان قبل ذلك يأتى اليه
فيوسوس له فيغط ويعمل بما قال فلما طلع الفجر امروا بالمؤذن فقال
اشهد ان محمدا رسول الله وان عبهلة الكذاب وارسل اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليه بخبر الاسود فسبق خبر السماء اليه صلى الله عليه
وسلم فاخبر الناس بذلك وذلك قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بقليل
ووصل الكتاب بقتل الاسود فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه فكان كما اخبر
به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قتله قبل موت النبى صلى الله عليه
وسلم بيوم وليلة وكانت مدة الاسود اربعة اشهر وفى كرامات الاوليا

لابى القاسم الطبرى عن شرحبيل بن مسلم ان الاسود العنسى المذكور بعث
الى ابى مسلم بن ثوب الخولانى التابعى من اهل الشام فلما جاءه قال اتشهد انى
رسول الله قال لما اسمع قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد
انى رسول الله قال لا اسمع قال اتشهد محمدا رسول الله قال نعم قال فردد
ذلك عليه وهو يرد عليه بما تقدم فامر بنار عظيمة فاججت ثم القى فيها
ابا مسلم فلم تضره قال فقيل له انفه عنك والا افسد عليك من تبعك قال
فامره بالرحيل فاتى ابو مسلم المدينة وقد قبض النبى صلى الله عليه وسلم
واستخلف ابو بكر رضى الله عنه فاناخ ابو مسلم راحلته بباب المسجد فقام
يصلى الى سارية فبصر به عمر بن الخطاب فقام اليه فقال ممن الرجل قال من
اهل اليمن قال لما فعل الذى حرقه الكذاب بالنار قال ذلك عبد الله بن ثوب
قال نشدتك الله انت هو قال اللهم نعم فاعتنقه ثم بكا ثم ذهب به حتى
اجلسه فيما بينه وبين ابى بكر فقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى ارانى فى امة
محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابرهيم خليل الرحمن قال ابن
عباس رضى الله عنهما فانا ادركت رجالا من الامداد الذين يمدون من اليمن
من خولان يقولون للامداد من عنس بالنون صاحبكم الكذاب حرق صاحبنا
بالنار فلم تضره رضى الله عنه ومن دعائه المقبول دعاؤه على مسيلمة
الكذاب على الله ورسوله قد ذكرنا ان مسيلمة قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى وفد بنى حنيفة كما تقدم عند قوله وفود القبايل عليه صلى
الله عليه وسلم عليه كانه لما انتهى الى اليمامة ارتد وكان فيه دهاء كذاب
كتبهم وادعى النبوة وتسمى رحمن اليمامة وخاف ان لا يتم له مراده فقال
ان محمدا اشركنى معه وجعل يسجع لقومه ويضاهى القرآن فمن قوله
سبح اسم ربك الاعلى ٭ الذى يسر على الحبلى ٭ فاخرج منها نسمة تسعى من
بين اضلاع وحشى ٭ يا ضفدع بنت الضفدعين ٭ نقى ما تنقين
وسبحى فحسن ما تسبحين ٭ الا الماء فتكدرين ٭ والا الشارب تمنعين ٭٭
والليل الاسحم ٭ والذئب الادلم ٭ والجذع الازلم ٭ ما انتهكت اسيد من محرم
وقال والليل الدامس ٭ والذئب الهامس ٭ ما قطعت اسيد من رطب ولا
يابس وكان يقصد بذلك نصرة اسيد على خصومهم وقال والشاة
والوانها ٭ واعجبها السودان والبانها ٭ والشاة السودا واللبن الابيض
وانه لعجب محض ٭ وقد حرم المذق ٭ مالكم لا تمجعون وكان يقول والمبذرات
زرعا ٭ والحاصدات حصدا ٭ والذاريات قمحا ٭ والطاحنات طحنا ٭٭
والخابزات خبزا ٭ والثاردات ثردا ٭ واللاقمات لقما ٭ لحما وسمنا ٭ لقد فضلتم
على اهل الوبر ٭ وما سبقكم اهل المدر وكان صاحب نير نجات ويقال انه
اول من ادخل البيضة فى القارورة واول من وصل جناح الطير المقصوص

وانه

وانه امرأة فقالت ادع الله تعالى لنخلنا ولمائنا فان محمدا دعا لقومه فجا
[في الهامش: نبت]
ابا رهم قال وكيف صنع قالت دعا باناء فيه ماء فتمضمض ومجه فيه فافرغوا
فى تلك الآبار ففاضت ففعل هو كذلك فغارت تلك المياه وقال له رجل بارك
على ولدى فان محمدا بارك على اولاد اصحابه فلم يوت بصبى مسح على راسه او
حنكه الا قرع ولثغ قرع كعلم والاقرع الذى ذهب شعر راسه من آفة وتوضا
فى حائط وهو البستان وصب ماء وضوءه فيه فلم ينبت وكانوا اذا اجتمعوا
سجعة قالوا انشهد انك نبى ثم وضع عنهم الصلاة واحل لهم الخمر والزنا
ونحو ذلك فتبعه بنو حنيفة الا القليل وكتب مسيلمة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فلنا نصف
الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريشا قوم يعتدون وبعث الكتاب
مع رجلين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهدان انى رسول
الله قالا نعم قال اتشهدان ان مسيلمة رسول الله قالا نعم انه قد اشرك معك
قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسول لا يقتل لضربت عنقكما ثم كتب
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وقد اهلكت اليمامة اباد لها الله ومن ضرب معك فاباده الله ومن ضرب
معه وسياتى قصته مع سجاح التى تنبت فى الردة فى خلافة ابى بكر رضى
الله عنه وكذلك قصة طليحة بن خويلد وسيا فى شئ من قرآنه الذى علمه
للاعراب فكانوا يصلون به فى النوادر للملحق بالباب الثالث عشر وقتل
مسيلمة فى ايام ابى بكر رضى الله عنه وكان ابو بكر قد ارسل الى قتاله
جيشا وقدم عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه فقتل وحشى مسيلمة
بالحربة التى قتل بها حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم وشاركه فى قتله
رجل من الانصار وقتل من المسلمين جماعة من القراء والمهاجرين والانصار
وقتل من جماعة مسيلمة عشرة الاف نفر ولما راى ابو بكر رضى الله عنه
كثرة من قتل امر بجمع القرآن من افواه الرجال وجريد النخل والجلود وترك
ذلك المكتوب عند حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ولما تولى عثمان
رضى الله عنه وراى اختلاف الناس فى القرآن كتب من ذلك المكتوب
الذى كان عند حفصة رضى الله عنها نسخا وارسلها الى الامصار وابطل
ما سواها الفصل السابع فيما جرى من كلامه صلى الله عليه وسلم مجرى
الامثال على السنة الناس اعلم ان الله تعالى ضرب الامثال للناس فى كتابه العزيز
فقال تعالى فى اواخر سورة الروم ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من
كل مثل يعنى لاثبات الوحدانية لله تعالى والرسالة لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وفى ضربها لهم تذكرة فقال تاج القراء لانها اتم للبيان واوضح للبرهان

وقال تعالى فى سورة الحج يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان
الله لقوى عزيز وقال فى سورة ابرهيم الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء توتى اكلها كل حين باذن
ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فالكلمة الطيبة فيها
اقوال والجمهور على انها لا آله الا الله محمد رسول الله وقيل القرآن وقيل
غير ذلك وفى الشجرة الطيبة اقوال منها انها المومن فكما ان اصله ثابت
فى الارض وفرعه اى عمله الصالح ثابت فى السماء لقوله تعالى والعمل الصالح
يرفعه فكذلك لا آله الا الله محمد رسول الله اصلها وهو معناها ثابت
فى قلب المومن اذ لو لم يكن ثابتا فى قلبه لم يكن مومنا وفرعها فى السماء اى
اجرها لانها كلمة طيبة واليه يصعد الكلم الطيب واخباره تعالى عن الشجرة
الطيبة انها توتى اكلها كل حين اى كل وقت باذن ربها اى يخرج ثمرتها
حيث يأذن الله لها باخراجها والمعنى ان المومن يخرج ثمرته التى هى عمله
الصالح من قراءة وتسبيح وغير ذلك باذن الله تعالى له فى ذلك بايقاظه
لذلك واعانته عليه وسياتى بالملحق بهذا الفصل شئ مما يتعلق به
بالامثال وقد الف الناس فى امثال العرب كتبا ليس هذا محلها وفيما جرى
من كلام النبى صلى الله عليه وسلم مجرى الامثال رسايل متعددة فمنها
الاربعون حديثا المسلسلة عن اربعة عشر ابا من اهل البيت المعروفة عند
علماء الحديث المسماة بجوامع الكلم وبدايع الحكم المروية عن على بن ابى طالب
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فلنبدا بها فنقول الحديث الاول
ليس الخبر كالمعاينة فاه ١ المجالس بالامانة ٢ الحرب خدعة فا ٣ قال الخطابى فى
شرح السنن معنى الحديث اباحة الخداع فى الحرب وان كان محظورا فى غيرها
من الامور وهذا الحديث يروى على ثلاثة اوجه خدعه بفتح الخاء وسكون
الدال وخُدعه الخاء مضمومة والدال منصوبة واصوبها خَدْعة بفتح الخاء
وسكون الدال وعن احمد بن يحيى انها لغة النبى صلى الله عليه وسلم
ومعناها انها مرة واحدة ومن قال خُدْعة اراد الاسم كما يقال هذه لعبة ومن
قال خُدَعة بفتح الدال كان معناه انها تخدع الرجال وتمنيهم ثم لا تفى
لهم كما يقال رجل لعبة اذا كان كثير التلعب بالاشياء انتهى المستشار ٤
مؤتمن ٥ المسلم مرآة المسلم فا ٦ وفى الامثال النبوية لابى عروبه الآتى ذكر بعض
ما اشتملت عليه من الفوايد المومن مرآة المومن وفى رواية المومن مرآة
اخيه المومن فاذا راى به شيئا فليمطه عنه ٧ الدال على الخير كفاعله ٨
استعينوا على قضاء الحوايج بالكتمان ٩ وفى سيرة مغلطاى استعينوا

على الحاجات بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود ٩ اتقوا النار ولو بشق تمرة
الدنيا سجن المومن وجنة الكافر ١٠ الحياء خير كله ١١ عدة المومن كالاخذ
بالكف ١٢ وفى سيرة مغلطاى باليد لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة
ايام ١٣ ليس منا من غشنا وفى سيرة مغلطاى من غشنا ليس منا
ما قل وكفى خير مما كثر والهى فا ١٥ الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه ١٦ البلاء
موكل بالمنطق ١٧ الناس كاسنان المشط ١٨ الغنى غنى النفس فا وذكره ابو
عروبة وذكر فيه رواية اخرى وهى عن ابى ذر ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال يا ابا ذر ترى ان كثرة المال هو الغنى قلت نعم قال وترى ان قلة المال هو
الفقر قلت نعم قال ليس كذلك انما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب وفى
وفى رواية ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وفى رواية ولكن
الغنى غنى النفس وفى رواية قيل يا رسول الله الغنى كثرة العرض قال بل
الغنى غنى النفس ١٩ السعيد من وعظ بغيره ٢٠ ان من الشعر لحكمة فا وان
من البيان لسحرا وفى امثال ابى عروبه حكمة وسحرا بلا لام فيهما وفى
سيرة مغلطاى اى من الشعر لحكما قال السمين هو بمعنى الحكمة ٢١ عفو
الملوك ابقى للملك ٢٢ المرء مع من احب ٢٣ ما هلك امرء عرف قدره ٢٤ الولد
للفراش وللعاهر الحجر ٢٥ اليد العليا خير من اليد السفلى ٢٦ لا يشكر الله
من لا يشكر الناس ٢٧ حبك الشئ يعمى ويصم ٢٨ جبلت القلوب على حب
من احسن اليها وبغض من اساء اليها ٢٩ التايب من الذنب كمن لا ذنب له
٣٠ الشاهد يرى ما لا يرى الغايب ٣١ اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه فاه وفى
امثال ابى عروبة اذا اتاكم ٣٢ اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع جمع
بلقع او بلقعه اى ارضا قفراء لا شئ بها ٣٣ من قتل دون ماله فهو شهيد
الاعمال بالنية ٣٥ وفى سيرة مغلطاى الاعمال بالنيات وفى اول صحيح
البخارى انما الاعمال بالنيات الى آخره سيد القوم خادمهم ٣٦ خير الامور
اوساطها ٣٧ اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم الخميس ٣٨ كتبت على بعض
الاحاديث علامة بالاحمر وهى فاه فالفاء اشارة الى فى والالف الى امثال
والهاء الى ابى عروبه وكذا كل حديث يأتى فى هذا الفصل موافقا لما فى الجزء
المسمى بالامثال السايرة الى عروبه فانى اعلم عليه بالعلامة المذكورة
كاد الفقر ان يكون كفرا ٣٩ السفر قطعة من العذاب فا ٤٠ خير الزاد التقوى ٤١
وقد ذكر الفقيه فى ذلك احاديث فيها ثمانية عشر حديثا من الاربعين
المذكورات وبعض احاديث منها مما فيه سقط وتصحيف فاسقطته
كذلك واثبت الباقى وهو قوله عليه الصلاة والسلام لا يلدغ المومن فاه
من جحر مرتين وقوله لا يجنى على المرء الا يده وقوله الشديد من غلب نفسه
اى القوى من يملك غضبه وشهوته وقوله الآن حمى الوطيس وهو التنور اذا

كان من حديد وقوله ساقي القوم آخرهم شربا وقوله بغي جبل على جبل لجعله الله
دكا في سيرة مغلطاي اعجل الاشياء عقوبة البغي وقوله ابداء بنفسك
ثم بمن تعول وقوله ترك الشر صدقة وقوله نية المرء خير من عمله وقوله
ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وقوله من لا يرحم لا يرحم وقوله
كل معروف صدقة وفي رواية لغني او فقير اقول وفي رواية كل معروف
صدقة ومن المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تفرغ من انايك في
اناء اخيك وعن جابر رضي الله عنه وما انفق المرء على نفسه وعلى اهله
كتب له به صدقة وما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة قلنا لجابر
وما يقي به عرضه قال اعطاه الشاعر وذا اللسان الذي يتقى شره وفي
رواية عن محمد بن المنكدر وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما انفق
المومن من نفقة فعلى الله خلفها ضامن الا ان ينفقها في بناء او
معصية الله تعالى نيل المجد وما يعني ما وقى به الرجل قال الشاعر الذي
يخاف لسانه وسياتي بالملحق بالباب السادس عشر شيء مما يتعلق بالصدقة
وقوله لا يأوي الضالة الا الضال وقوله مطل الغني ظلم وقوله المسلمون
عند شروطهم وقوله الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وقوله
الظلم ظلمات يوم القيمة تمت قال الفقيه وقال منصور بن عمار في الحكمة
كذا في نسخ من ابصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن تعرى من لباس
التقوى لم يستتر بشيء ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما في يد غيره ومن
سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه بيرا وقع فيه ومن هتك حجاب
غيره انكشفت عورته ومن نسي زلة نفسه استعظم زلة غيره ومن كابر الامور
عطب ومن استغنى بعقل نفسه زل ومن زر غبا تزدد حبا ومن تكبر على الناس
ذل ومن تعمق في العمل مل ومن فخر على الناس قسم اي كسر ومن سفه عليهم شتم
ومن صاحب الارذال حقر ومن جالس العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء
اتهم ومن تهاون بالدين ارتطم ومن اغتنم اموال الناس افتقر ومن استظلم
العاقبة اصطبر ومن جهل موضع قدمه مشى في ندامته ومن خشي الله
فاز ومن لم يجرب الامور خدع ومن صارع اهل الحق صرع ومن احتمل ما لا يطيق
عجز ومن عرف اجله اي ذكره قصر امله ومن استعاد الجهل ترك طريق العقل
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اقول وفي ما ذكره بن عمار اشياء اظنها
ليست من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتامل وبيان الجزية المسلم
كرابيته وذل رقبته ذمته وعذابه سوء خلق امراته وروي عن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المومن الذي
يقرأ القرآن كمثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المومن الذي لا يقرأ
القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن

كمثل

كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل
الحنظلة لا طعم لها ولا ريح لها قال الفقيه انما اراد بالاترج اترج الحجاز فيكون
طعمها طيبا وريحها طيبا اما الذي يكون في بلادنا لا يكون لها طعم وان كان
ريحها طيبا واما الاترج الذي بارض الحجاز له ريحا وهو حلو في الاكل انتهى
كلامه فائدة قال الدميري ما ملخصه روينا عن الخلعي من اصحاب الشافعي
وكان يقال له قاضي الجن انه اخبر انهم كانوا ياتون اليه ويقرؤون عليه وانهم
ابطاوا عليه جمعة ثم اتوه فسالهم عن ذلك فقالوا كان في بيتك شيء من الاترج
وانا لا ندخل بيتا هو فيه قال الدميري ولهذا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
المثل للمومن الذي يقرأ القرآن بالاترجة لان الشيطان يهرب عن قلب المومن
القاري للقرآن فناسب ضرب المثل به بخلاف سائر الفواكه انتهى وقد روى
البخاري من حديث بن عمر رضي الله عنهما انه قال بينا نحن عند النبي صلى الله عليه
وسلم اذ اتي بجمار نخلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشجر لما بركته
كبركة المسلم فظننت انه يعني النخلة فاردت ان اقول هي النخلة يا رسول الله ثم
التفت فاذا انا عاشر عشرة انا احدثهم فسكت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هي النخلة والجمار بضم الجيم وتشديد الميم شحم النخل قال العلماء وجه الشبه بين النخلة
والمسلم كثرة خيرها ودوام ظلها وحلاوة ثمرتها ووجوده على الدوام فانه من
حين يطلع ثمرها لا يزال يوكل منه حتى ييبس وتتخذ منه منافع كثيرة ومن ورقها
واغصانها تستعمل جذوعا وحطبا وعصيا ومخاصر وحصرا وحبالا واواني
وغير ذلك ثم اخر شيء منها نواها فينتفع به علفا للابل ثم جمال نباتها وحسن
هيئة ثمرتها فهي منافع كلها وخير وجمال كما ان المومن خير كله من كثرة طاعته
ومكارم اخلاقه ومواظبته على صلوة وصيام وقراءة وذكره والصدقة
والصلة وساير الطاعات وغير ذلك وهو دايم كما تدوم اوراق النخلة فيها
وفي الحديث فوايد منها استحباب القاء العالم المسئلة على اصحابه ليختبر افهامهم
ويرغبهم في الفكر وفيه ضرب الامثال والشجر وفيه توقير الكبار وترك
التكلم عندهم وفيه فضل النخلة حتى قيل انها خلقت من بقية طينة
آدم عليه السلام وهي كالعمة للاناسي ومنها الجزء المسما بالامثال السايرة
لابي عروبة الحسين الحراني وهو يشتمل على اثنين وسبعين مثلا من كلامه
صلى الله عليه وسلم منها احد عشر مثلا في الاربعين المتقدمة وهي ما كتب
فوقها بالاحمر قادوا لفا وهذا اشارة الى انها في امثال ابي عروبة ومنها ثلاث
فيما ذكره الفقيه معلم عليها بالاحمر العلامة المذكورة ومنها مثل واحد
نقله الفقيه عن منصور معلم عليه بالعلامة المذكورة وانا انقل الآن
منها ما ياتي ذكره فان النسخة التي انقل منها قراها شيخ الاسلام تقي الدين
احمد بن تيميه الحراني وسمعها بقراءة الحافظ يوسف المزي وهو كاتب السماع

مهم

سنة احدى وثمانين وستماية انقل ذلك بعد حذف الاسانيد للاختصار فمن
ذلك لا يملأ جوف ابن آدم الا التراب كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقول
احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما
عسى ان يكون حبيبك يوما ما وفي رواية مكان يكن عسى ان يكون اقول وهذه الرواية
صححها عياض في الشفا وقال ابو محمد عبد الله التجاني المالكي في كتابه الوفا
ببيان فوايد الشفا المعنى الحديث لا تفرط في حب من احببت ولا في بغض
من ابغضت وليكن ذلك منك على اقدار متوسطة فقد تنقل من حب
الى بغض ومن بغض الى حب فتتفاوت حالتاك ويظهر القبح في ذلك والهون
بفتح الهاء وسكون الواو في اللغة التوسط والقصد وعدم الافراط
وسا في الكلام على الحديث في الباب ه والاكثر على ان هذا الكلام لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه واليه نسبه الهروي في الغريبين وغيره من المولفين
وقد رواه الحسن بن ابي جعفر باسناد له عن علي بن ابي طالب يرفعه الى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو اسناد ضعيف قال الترمذي والاصح انه عن
علي موقوف له وممن رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ايضا ابو عبد الله
ابن سلامه القضاعي في الشهاب والله اعلم بالصحيح من ذلك وفي معنى هذا
الحديث لقول الشاعر انشده ابو عمر بن عبد البر في بهجة المجالس وهو

واحبب اذا احببت حبا مقاربا ، فانك لا تدري متى انت نازع
وابغض اذا ابغضت بغضا مقاربا ، فانك لا تدري متى انت راجع

انتهى رجع الى ما انقله من الامثال السايره لابي عروبة ومنها قوله عليه
الصلاة والسلام ، راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس وفي رواية
راس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس ، لا ينبغي للمومن ان يذل
نفسه قيل يا رسول الله كيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق
ومن لا حليم الا ذو عثرة ولا حكيم الا ذو تجربة ، ومنها اعظم النساء بركة
اقلهن مؤنة ، ومنها اعقلها وتوكل وفي رواية قيدها وتوكل وعن عطاء
عن ابن عباس عن ابي بكر رضي الله عنهم انهم كانوا في سفر فقالوا يا رسول الله
نرسل رواحلنا ونتوكل قال اعقلوها وتوكلوا ، ومنها المرء كثير باخيه
بالمباة الموحدة ، ومنها لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له ومنها
المرء على دين خليله ولا خير الى آخره وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير
من الوحدة ، ومنها املاء الخير خير من السكوت يعني والسكوت خير من املاء
الشر ، ومنها الود يتوارث والبغض يتوارث ، ومنها من رزق من شيء
فليلزمه عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا عرض لاحدكم رزق في شيء فلا يدعه حتى يتغير له او يتنكر له ومنها

اذا صلح

اذا صلح القلب صلح الجسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
في الانسان مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد
لها سائر الجسد وهي القلب وفي رواية ان في الانسان ، ومنها الصوم في
الشتاء غنيمة باردة ، ومنها اي داء ادوأ من البخل ، ومنها انصر اخاك
ظالما او مظلوما قيل يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما
قال تكفه عن ظلمه ، ومنها القناعة كنز لا يفنى اي لا ينفد ، ومنها الخير
عادة والشر لجاجة ، ومنها دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبين ذلك شبها فدع
ما يريبك الى ما لا يريبك ، ومنها من عمل عملا البسه رداء عمله قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو ان عبدا في صخرة لا باب لها ولا كوة لاظهر الله
للناس عمله كاينا ما كان ، ومنها المومن القوي خير واحب الى الله من المومن
الضعيف وفي كل خير ، ومنها اقيلوا ذوي العثرات عثراتهم قال صلى
الله عليه وسلم تهادوا تزدادوا حبا وهاجروا تورثوا ابناءكم مجدا واقيلوا
الكرام عثراتهم ، ومنها كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع ، ومنها اتقوا
فراسة المومن فانه ينظر بنور الله ، ومنها عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة ، ومنها رب مبلغ اوعى من سامع قاله وهو بمنى عندما اراد ان
يخطب صلى الله عليه وسلم ، ومنها اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وفي
رواية الحوايج وفي رواية ابتغوا الخير وفي رواية التمسوا الخير وفي هذا المعنى
قال الشاعر

لحسن ظني اقول اصلحك الله ، دعاني فلا عدمت الصلاحا
ودعاني قول النبي رسول الله ، اذ قال مفصحا افصاحا
ان طلبتم حوايجا عند قوم ، فتنقوا لها الوجوه الصباحا
ولعمري لقد تنقيت وجها ، ما به خاب من اراد النجاحا

ومنها التمسوا الجار قبل شرى الدار والرفيق قبل الطريق ، ومنها اكرموا
اولادكم واحسنوا ادابهم ، ومنها الحزم سوء الظن ، ومنها اذا لم تستحي فاصنع
ما شئت قاله النبي صلى الله عليه وسلم مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى
نذكره وفي رواية ان آخر ما تعلق به اهل الجاهلية من كلام النبوة نذكره ،
ومنها الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف
وقد ذكر الامام احمد في مسنده من حديث عايشة ان امراة كانت تدخل على قريش
فتضحكهم فقدمت المدينة فنزلت على امراة تضحك الناس فقال النبي صلى الله
عليه وسلم على من نزلت فلانه فقلت على فلانة المضحكة فقال الارواح جنود
مجندة الحديث وهو في الصحيح ويقال في التعارف والتناكر ان الله تعالى لما
خلق الخلق في عالم الذر واستشهدهم على انفسهم بقوله تعالى الست بربكم قالوا

بل كان بعضهم وجهه الى وجه آخر فهم متعارفان يتحابان في الدنيا وبعضهم
قفاه الى قفاه آخر فهما متناكران وبعضهم متباغضان فيها وبعضهم
وجهه الى قفا آخر والذي وجهه الى قفا الآخر يعرفه ويحبه فيها والذي قفاه
اليه ينكره ويبغضه فيها وبعضهم جنبه الى جنب الآخر فكل منهما لا يعرف
الآخر ولا ينكره فيها سواء لا يحب احدهم الآخر في الدنيا ولا يبغضه فيها هذا من
احاديث ابي عروبة ، ومنها اعط السايل وان جاءك على فرس وفي رواية
للسايل حق وان جاء على فرس وفي رواية اعطوا السايل وفي رواية ان
اتاكم السايل ولو على فرس فاعطوه ، ومنها اذا غلب الله على امر فاله عنه
قال ابن عمر رضي الله عنهما اشتكى ابن للنبي صلى الله عليه وسلم فوجد عليه
وجدا شديدا فلما هلك سري عنه فقلت بابي انت وامي لقد رايت منك شيئا
ما رايت مثله من جزعك عليه وهو يشتكي ثم سري عنك حين هلك قال
اذا رايت الله سبحانه قد غلب على شيء فاله عنه ، ومنها لا اجد بدا لمن لا
خلق له قيل هذا من كلام عايشة رضي الله عنها ، ومنها مكسبة فيها
بعض الدناءة خير من مسئلة الناس قيل هذا من كلام عمر رضي الله عنه
انتهى وذكر الحافظ مغلطاي امثال ذلك عند غزاة بدر الثانية من كلامه
الشريف العزد الموجز البديع الذي لم يسبق اليه ولذا ذكر من ذلك مما لم يذكرها
فمنه ان رجلا اعمى الى امرأة ايلاد فبعج بطنها بالسيف وكانت تعيب الاسلام
وتوذي النبي عليه الصلاة والسلام واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال لا ينتطح فيها عنزان ومنه مات حتف انفه قال ابن الاثير في النهاية
من مات حتف انفه في سبيل الله فهو شهيد وهو ان يموت على فراشه
كانه سقط لانفه فمات والحتف الهلاك كانوا يتخيلون ان روح المريض تخرج
من انفه فان جرح خرجت من جراحته انتهى ومنه يا خيل الله اركبي وكل الصيد
في جوف الفرا واياكم وخضراء الدمن ويأتي تفسيره في الباب التاسع والسبعين
والانصار كرشي وعيبتي الكرش بكسر الراء وسكونها هنا بمعنى الجماعة والعيبة
ما يجعل فيه الثياب يعني محل حفظ سري وفضل العلم خير من فضل العبادة
والخيل في نواصيها الخير والصحة والفراغ نعمتان والمكر والخديعة في النار
والندم توبة والعارية مؤداه وقتل صبرا قال في الصحاح الصبر حبس النفس
عن الجزع يقال قتل فلان صبرا اذا حبس على القتل حتى يقتل ولا ترفع عصاك
عن اهلك ومعناه ومن اراد زيادة على ذلك فعليه بكتاب الشهاب في المواعظ
والوصايا والآداب لابي عبد الله القضاعي رحمه الله تعالى الفصل الثامن
فيما قيل في اشعاره صلى الله عليه وسلم وما قيل في انشاده الشعر قال
الفقيه رحمه الله تعالى تكلم الناس في رواية الشعر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال بعضهم لم يثبت عنه شعر واحتجوا بما روي عن عايشة رضي الله

عنها انه قيل لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بالشعر قالت
كان ابغض الحديث اليه الشعر غير انه تمثل مرة ببيت اخي بني قيس وهو
، ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ، ويأتيك بالاخبار من لم تزود ،
فجعل صلى الله عليه وسلم يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر
رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بشاعر
قال الله تعالى وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقال بعضهم يجوز عنه
الشعر وهو ما روي عن سلمان الفارسي من قوله صلى الله عليه وسلم
للضارب في الخندق المعول ، بسم الاله وبه بدينا ، ولو عبدنا غيره ما شقينا
اقول وفي المصابيح عن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبرت بطنه يعني سترا لغبار بشرته يقول
، والله لولا الله ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ،
، فانزلن سكينة علينا ، وثبت الاقدام ان لاقينا ،
، ان الاولى قد بغوا علينا ، اذا ارادوا فتنة ابينا ،
يرفع صوته ابينا ابينا ان الاولى اي ان الذين وما روي عن ابن
عازب من قوله عليه الصلاة والسلام ، انا النبي لا كذب ، انا ابن عبد المطلب
وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يمشي في طريق فعثر فاصاب حجر اصبعه
فدميت فقال ، هل انت الا اصبع دميت ، وفي كتاب الله ما لقيت ،
ويروى وفي سبيل الله ما لقيت قال الفقيه هذه الاخبار صحيحة ولكنه
احتمل انه لم يقصد الشعر ولكنه كلام خرج موافقا له ولان هذه الابيات
انما هي رجز وهو لا يكون شعرا وانما قيل هو السجع من الكلام انتهى ملخصا
وقال الفقير عفا الله عنه ومن ذلك ما ورد في المصابيح عن ابن عباس
رضي الله عنه في قوله الا اللمم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
، ان تغفر اللهم تغفر جما ، واي عبد لك لا الما ، وهو من
الرجز ايضا وكونه ليس من الشعر ليس على اطلاقه لانه ليس بشعر عند الاخفش
وعند غيره هو شعر لانه هو والهزج والرمل من دائرة واحدة وهما شعر
فهو ايضا شعر والاحسن في دفع الشعر عنه صلى الله عليه وسلم انه عليه
الصلاة والسلام لم يقصد بما روي عنه الشعر لان الشعر في الاصطلاح
كلام له وزن عربي وتقفية مقصود ان يخرج بقولهم مقصودا ما نقل
عنه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقصدهما لعدم علمه بالشعر بدليل قوله
تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقصد غير المعلوم محال واما قوله
صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها حين ما يأتي في الباب الثالث
والثمانين هلا قلت فلولا طاعة الرحمن ما كنا بواديكم فانه لم يقصد به
الا تغيير كلمتين من قولهن وهما الهجوة السودا بقوله طاعة الرحمن ولكن

الكلام الفصيح يقع في سياقه من جميع ابحر الشعر من غير قصد كما وقع في افصح
الكلام من جميع الابحر وقد نظم في ذلك ابياتا المرحوم العلامه المفتي الشيخ
حسين بن محمد الامدي الاصل الحلبي الدار والوفاة الحنفي رحمه الله تعالى
ومن خطه نقلت فمن بحر الطويل طويل بحور الشعر ان رمته فانظر ٠
الى الاصل في التقطيع كيف اتى واشكر ٠ فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيل
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومن المديد مد في البعد حبيبي فتم ٠
واسر في اليم اليه بنا ٠ فاعلاتن فعلن فعلن ٠ واصنع الفلك باعيننا
ومن البسيط اما البسيط فان تعرفه تحظ بها ٠ حاز الذين حووا فهما
ومعقولا ٠ مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن في الابيات ليقضي الله
امرا كان مفعولا ومن الوافر مفاعلتن مفاعيلن فعولن ٠ توافر حظكم
يا مسلمونا ٠ ويخزهم وينصركم عليهم ٠ ويشف صدور قوم مؤمنينا
ومن الكامل وكملت بالاسعاد كن متعملا ٠ عمل الصلاح فانني لك ٠
ناصح ٠ مستفعلن مستفعلن متفاعلن ٠ يا ايها الانسان انك كادح
وهذا البحر مضمر ومن الهزج هزجتم اذ نزلتم بكم ٠ على الزوراء في الربع
مفاعيلن مفاعيلن ٠ بواد غير ذي زرع ٠ ومن الرجز رجز بذكر الله
يا هذا الفتى ٠ وافعل كفعل من مضى من النذر ٠ مفاعلن مستفعلن
مستفعلن ٠ وكل شيء فعلوه في الزبر ٠ ومن الرمل رمل الشعر لهوى صير
والعمر ومني ذا احرزه ٠ فعلاتن فاعلاتن فعلن ٠ قتل الانسان ما اكفره
ومن السريع اسرع بالوصل حبيبي وما ٠ خالف لما رمت رشف اللما ٠
مستفعلن مستفعلن فعلن ٠ يا ليت قومي يعلمون بما ومن المنسرح
سرحت طرفي في وجه ذي حسن ٠ سبحان رب براه للفتن ٠ مستفعلن
مفعولات مفعولن ٠ انا خلقنا الانسان من نطفه ٠ ومن الخفيف
يا خفيفا من الهوى دع اناسا ٠ عشقوا واترك الكلام الخبيثا فاعلاتن
مفاعلن فعلاتن ٠ لا يكادون يفقهون حديثا ٠ ومن المضارع
ضرعتم لعز ربي ٠ عصيتم له سنينا ٠ مفاعيلن فاعلاتن ٠ تولون مدبرينا
ومن المقتضب اقتضيت حين بدا ٠ من عواذلي عرض فاعلات مفتعلن
في قلوبهم مرض ومن المجتث مستفعلن فعلاتن يجتثهم يا فهيم ٠
نبئ عبادي اني ٠ انا الغفور الرحيم ٠ ومن المتقارب تقارب ربي
الى المسلمين ٠ وقال مقالا عن المجرمين ٠ فعولن فعولن فعولن فعول
واملي لهم ان كيدي متين فقال الناظم فهذه خمسة عشر بحرا ولم اذكر
المتدارك اذ هو محدث اخترعه المتأخرون ولم تعرفه العرب في الزمن المتقدم
وعن ابن الحاجب ان الخليل بن احمد الذي وضع العروض لم يذكره وقد نظم
بعضهم اسماء البحور الخمسة عشر والمتدارك فقوله وهو

متجاذ

والبحر شعر

٠ والبحر شعرا للناس ستة عشرة ٠ وضابطها بيتان كن لي سميعها ٠
٠ طويل مديد والبسيط ووافر ٠ وكمل وهزج رجز رمل سريعها ٠
٠ ومنسرحا خفف وضارعه واقتضب ٠ بمجتث قارب محدثا خذ جميعها ٠
اقول وقد نظم الشيخ زين الدين عمر بن تغلب بالغين المعجم مفتوحة البيري
القاطن بحلب الطبيب الاديب لنظير ما نظمه الشيخ خير الامدي غير انه لم
يقابل بين بعض الابيات والتفاعيل من حيث الحركات والسكنات والزحافات
بخلاف الاول ولنذكر ما نظمه لما فيه من الرقة غالبا وقد اتى فيه ببحر المتدارك
وبمخلع البسيط فمن الطويل قوله طويل مدى الهجران من كنت اهواه
اذاب فؤادي والتصبر فناه ٠ فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ٠
٠ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ٠
ومن المديد في سورة القصص مد من بالنقا زاد البوسا ٠
هجره والابعاد والتعبيسا ٠ فاعلاتن فاعلن فاعلاتن ٠
٠ ان قارون كان من قوم موسى ٠
ومن البسيط بسطت من املي اني اداهنهم خوفا من الهجر لما ان
اعاينهم ٠ مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن ٠
٠ فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ٠
ومن الوافر ٠ دوافر حظ شعري ذي مزيد ٠ على رغم الاعادي والحسود
مفاعيلن مفاعيلن فعولن ٠ الا بعدا لعاد قوم هود في سورة هود
ومن الكامل كمل السرور لنا فصار مقيما ٠ بالمصطفى خير الورى كريما
٠ متفاعلن متفاعلن متفاعلن صلوا عليه وسلموا تسليما في الاحزاب
ومن الهزج هزجتم يا منى النفس ٠ عن الاوطان بالامس ٠
مفاعيلن مفاعيلن ٠ كان لم تغن بالامس ٠ ومن الرجز
الرجز الموزون اذ يحرز ٠ تقطيعه بين الورى لا ينكر ٠ مستفعلن
مستفعلن مستفعلن ٠ يا ايها الذين آمنوا اصبروا ومن الرمل
رمل اكرم به من رمل ٠ لذة للمجتني والمجتلي ٠ فاعلاتن فاعلاتن
فاعلات ٠ والذي اطمع ان يغفر لي في سورة الشعراء ومن السريع
سريع بحر قد شداه الحكيم ٠ كرر على سمعي به يا نديم ٠ مستفعلن ٠
مستفعلن فاعلن ٠ ذلك تقدير العزيز العليم ٠ ومن المنسرح
منسرح الشعر صاغه الاول ٠ ممن ترام عن الهدى نكلوا مستفعلن
فاعلات مفتعلن ٠ اصابهم سيئات ما عملوا ومن الخفيف ٠
خف لما اردت اشدوا الخفيفا ٠ لذ في مسمعي وكان ظريفا فاعلاتن
مستفعلن فاعلاتن ان كيد الشيطان كان ضعيفا ومن المضارع
ضرعنا لها جهارا ٠ وبتنا بها سكارى ٠ مفاعيل فاعلاتن اني انست نارا

ك

ومن المقتضب في تبت فقضيت حين سبا مهجتي له وربا فاعلات
مفتعلن مالهُ وماكسبا ومن المجتث بحثت شعري التي في القلب
مني عشقا مستفعلن فاعلاتن والله خير وابقى ومن المتقارب
تقارب بالمتقارب وصلي حالي اذ تكررعني جهلي فعولن فعولن فعولن
فعول اني آنست نارا لعلي ومن المتدارك الذي اخترعه المتاخرون
دارك البيري مدى المادحين وارتجى ان يكون من الصالحين
فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فعسى ان يكون من الصالحين
هذا تمام الستة عشر بحرا هذا البحر وسمي الخبب ايضا وقال فيه وفيه مافيه
خبب في الشعر بيتا راليه فن انشداه وحظ عليه فعلن فعلن
فعلن فعلن جاءه قومه يهرعون اليه وله احد عشر اسما وهو تمام
الستة عشر بحرا المتدارك والمتدانى والمتسق هو على وزن اسم الفاعل
والغريب والمحدث على وزن اسم المفعول والمخترع كذلك والخبب
وركض الخيل وقطر الميزاب وصورة الناقوس والشقيق وقد ذكر
وجه تسميتها بذلك في شرحه على الاندلسيه المسمى بالحدايق الانسيه
في كشف حقايق الاندلسيه وقد نظمها والدي في ابيات

فهو المتدانى بينهم
قطر الميزاب شقيقهم
والمحدث نزغ بيبهم

وقال اعني البيري وفي مخلع البسيط الله هذا الورى قديم وجوده لم
يزل عليما مستفعلن فاعلن فعول سبحانه لم يزل حليما وفي كلام
الله تعالى كثير من ذلك غير ما ذكرته في سورة براة انا الى الله راغبون
وفي سورة يوسف فذلكن الذي لمتنني فيه وفي سورة النمل قال عفريت
من الجن انا وفي سورة الاحزاب وكفى الله القتال وفي التحريم وقودها
الناس والحجاره وفي براة وخضتم كالذي خاضوا وفي المومنين هيهات
هيهات لما توعدون وفي يونس كان لم تغن بالامس منجر
وفيها وردوا الى الله مولاهم الحق من بحر وفي الفرقان
وكفى بربك هاديا ونصيرا من بحر وفي يزيد في الخلق
مايشاء وفي آل عمران لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من بحر
وان اقتصرت على لن تنالوا حتى تنفقوا فهو من
وفي الحجر ادخلوها بسلام آمنين وفي اواخر المائده
انظرونا نقتبس من نوركم هذه في الحديد واما ما في اواخر المائده
انما الله آله واحد وامثال ذلك كثير في كلام الله تعالى وفي حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم مما ورد عنه من ما تقدم ذكره وغيره ما صدر

عنه من غير قصد منه عليه الصلاة والسلام ومن ذلك قوله عليه الصلاة
والسلام

وما ذكرت ما ذكرته مما ورد موزونا في كلام الله تعالى وحديث رسوله
ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن غير قصد منه الا لينتفع به من يروم
نظمه في الاقتباس من كلام الله تعالى او حديث رسوله صلى الله عليه وسلم
بشرائطه المذكوره في كتب البديع يطلب ذلك منها وقد يقع الاقتباس
في النثر كما سياتي واما الاستشهاد من كلام الله تعالى او من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو غير الاقتباس والفرق بينهما
مطلقا سوآء كانا من الآيات او من الاحاديث ما نبه عليه الشهاب
محمود بن فهد الحلبي في اواخر كتابه حسن التوسل الى صناعة الترسل من
ان الاقتباس ان يضمن الكلام شيئا من القرآن او الحديث ولا ينبه عليه
للعلم به والاستشهاد ان يضمن ذلك وينبه عليه فمن الاقتباس بكلام
الله تعالى نثرا ما قاله ابو بكر في عهده لعمر رضي الله عنهما على ما ياتي في الباب
الثالث عشر اني مستخلف عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا فان
بر وعدل فذلك ظني به وعلمي فيه وان جار وبدل فلكل امرء ما اكتسب
والخير اردت ولا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
وما قاله علي رضي الله عنه للمغيرة بن شعبة لما اشار عليه بتوليه معاوية
وما كنت متخذ المضلين عضدا ومن الاقتباس من حديث رسول الله بحديث
صلى الله عليه وسلم ومن الاستشهاد بكلام الله تعالى قول الحريري
فقلت وانت اصدق القايلين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ومن الاستشهاد بالحديث قول الشهاب محمود في تقاليد العباسي ونصلي على
سيدنا محمد الذي استخرجه الله من عنصر اهله وذويه وشرف قدر

عمه بقوله فيه ان عم الرجل صنو ابيه معنى الصنو بكسر الصاد المهملة
والنون الساكنة هو انه اذا خرج نخلتان وثلث من اصل واحد فكل واحد
منهن صنو والاثنان والجمع صنوان برفع النون كذا في الصحاح فالعم
والاب صنوان لكونهما اخرجا من اصل واحد واكثر الناس على جواز الاستشهاد
بالقرآن وبالحديث ما لم يحل عن لفظه ولم يغير معناه فان احيل عن لفظه
او غير معناه لم يجز فمن الاول ما يحكى عن ابي الفرج البغدادي انه سئل هل
يقال لعارفا للغة لغوي بفتح اللام او بضمها فقال بفتحها اما سمعتم
قوله تعالى لموسى عليه السلام انك لغوي فضحكوا منه ومن الثاني ما حكى
عن بعض الطفيلية انه سئل اي سورة احب اليك فقال المائدة قيل له
فاي آية منها قال قوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وذهب بعضهم
الى ان كل ما اراد الله به نفسه لا يجوز ان يستشهد به الا فيما يضاف الى
الله سبحانه مثل قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ومثل قوله بلى
ورسلنا لديهم يكتبون ونحو ذلك انتهى الباب الثامن فيما قيل
في انشاد الشعر وقول الفقيه كره بعضهم الاول واحتج بحديث ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لان يمتلي جوف احدكم قيحا حتى
يراه خير له من ان يمتلي شعرا وبقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون
يعني الضالين وعن الشعبي انه قال كانوا يكرهون ان يكتبوا بسم الله
الرحمن الرحيم وسئل عبد الكريم عن قوله تعالى في سورة لقمان ومن الناس
من يشتري لهو الحديث قال الغنا والشعر وعن عطاء ان ابليس لعنه الله
تعالى قال يا رب اخرجتني من الجنة لاجل آدم فاين بيتي قال الحمام قال فاين
مجلسي قال السوق قال فما قراتي قال الشعر انتهى وفي قصص الانبياء للكسائي
ان ابليس قال يا رب انظرني فاين يكون مسكني في الارض قال المزابل قال فما قراتي
قال الشعر والغنا قال فما موذني قال المزمار قال فما طعامي قال ما لم يذكر اسمي
عليه قال فما شرابي قال الخمور قال فما بيوتي قال الحمامات قال فما مجلسي قال
الاسواق قال فما شعاري قال العشق قال فما دثاري قال السخط قال فما مصايدي
قال النساء فقال ابليس وعزتك لا اخرجت محبة النساء من قلوب بني ادم
فقيل له يا ملعون اني لا انزع التوبة منهم حتى يتغرغر بالموت فاخرج منها
فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين انتهى وفي رواية ان ابليس قال
يا رب جعلت لبني آدم بيوتا يذكرونك فيها فما بيوتي قال الحمامات قال فما
مجالسي قال الاسواق قال فما عرشي بالمهملات الثلاثة وضم اوله قال الخمورات
قال فما طعامي قال ما لم يذكر اسمي عليه قال فما قراتي قال الشعر قال فما شرابي قال
الخمر قال فما ركوبي قال تارك الصلاة قال فما صيدي قال القتاد قال فمن وزيري
قال الشيخ الجاهل قال فمن امامي قال القاضي الظالم وقال الفقيه واباحه

والسجع

بعضهم

بعضهم واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وفي رواية
لحكما والحكمة ايضا الحكمة من العلم وعن هشام عن ابيه قال ما رايت امراة
اعلم بشعر ولا بطب ولا بفقه من عايشة رضي الله عنها وعن جابر بن
سمرة قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون
والنبي عليه الصلاة والسلام جالس بينهم يتبسم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال اذا قرا احدكم شيئا من القرآن فلم يدر ما يفسره
فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب وقيل لابي الدرداء رضي الله
عنه كل الانصار قال الشعر غيرك قال وانا اقول ايضا شعرا فقال

يريد المرء ان يعطى مناه ۞ ويابى الله الا ما ارادا
يقول المرء فايدتي ومالي ۞ وتقوى الله افضل ما استفادا
فلانك يا ابن آدم ذا غرور ۞ فقد نادى منادي نادى
بان الموت طالبكم فهشوا ۞ لهذا الموت راحلة وزادا

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عايشة رضي الله عنها لما بلغها
خبر ابي هريرة قالت رحم الله ابا هريرة انما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لان يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يراه خير له من ان يمتلئ شعرا من الشعر
الذي هجيت به وقيل ان معنى النهي في الشعر اذا اشتغل به فشغله عن قراءة
القرآن والذكر واما اذا لم يشغله عن ذلك فلا باس به وعن عايشة انها
قالت لست افهم غرابك يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام
استظهري اشعار لبيد قيل ان عايشة رضي الله عنها كانت تحفظ اثني
عشر الف قصيدة وروي ان حسان ابن ثابت رضي الله عنه كان شاعر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينشد له الشعر في الحروب
اقول وفي شرح الاثار للطحاوي عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد ينشد عليه
الشعر قال الطحاوي فلم يروا باسا بانشاد الشعر في المسجد اذا كان ذلك الشعر
مما لا باس بانشاده وبروايته في غير المسجد واحتجوا في ذلك بالحديث المذكور
قال وربما روينا مع ذلك من حديث حسان حين مر به عمر وهو ينشد الشعر
في المسجد فزجره فقال له حسان لقد كنت انشد فيه الشعر مع من هو خير
منك وذلك بحضرة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر ذلك عليه
منهم احد ولا انكره عليه ايضا عمر وعن مجالد بن سعيد عن الشعبي قال
كنا جلوسا بفناء الكعبة احسبه قال مع اناس من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكانوا يتناشدون الاشعار فوقف بنا عبد الله بن الزبير
فقال في حرم الله وحول الكعبة تتناشدون الاشعار فقال رجل منهم
يا ابن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما نهى عن الشعر اذا ابنت

فيه النساء وتزدري الاموال وفي نسخة الاموات بقال ابنه اي ذكره بقبيح وابنه بشيء اتهمه به قال الفقيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الشعر اول علم العرب فتعلموا الشعر عليكم بشعر الحجاز فان كان في الجاهلية قد عفي عنه وقيل ما من احد من بني عبد المطلب الا وقد قال الشعر غير النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعلي الثلاثة رضي الله عنهم قالوا الشعر وعلي اشعر انتهى ملخصا وقال الفقير رضي عفي الله عنه ولعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم شعر بليغ فمنه افتخارا به قوله

لنا نفوس لنيل المجد طالبة ولو تسلت اسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا في منازلنا كالنوم ليس له ماوى سوى المقل

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشعر فقال هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وقال الزيلعي في شرح الكنز ومنهم من قال لا باس بان يتغنى ليستفيد نظم القوافي والفصاحة وقال ولو كان في الشعر حكم او عبر او فقه لا يكره وكذا لو كان فيه ذكر امراة غير معينة وكذا لو كانت معينة وهي ميتة وان كانت حية يكره انتهى ويفهم من قوله الاول جواز استفادة فهم القوافي والمراد بها الشعر لان التغني يكون بالشعر واحسن ما قيل في جوازه وعدمه انه ما جاز سماعه نثرا جاز سماعه نظما وما لا يجوز سماعه نثرا لا يجوز سماعه نظما والمباح بينهما وسياتي في الملحق بالباب السادس شيء من التغني عند ذكر ادريس عليه السلام وينبغي ان يكون الشعر صدقا قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

وانما الشعر عقل المرء يعرضه على البرية ان كيسا وان حمقا
وان احسن بيت انت قايله بيت يقال اذا انشدته صدقا

ولبعضهم

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تكن بالغت في تهذيبها
واذا عرضت الشعر غير مهذب عدوه منك وساوسا تهذي بها

وقال في اعتلال القلوب للخرايطي الحميدي خرج علينا سفيان بن عيينة يوما وهو كئيب فقال الا رجل ينشدنا شعرا الا رجل يحدثنا فقام رجل وانشد

فواكبدي حتى متى انا موجع بفقد خليل او تعذر افضال
وما العيش الا ان تجود بنايل والا لقاء الاخ ذي الخلق العالي

وعن عمر بن سعيد قال لقيني الشعبي فقال هات ما عندك فقلت ما عندي شيء فقال الا قلت كما قال كثير عزة

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت

وقيل من اعراضنا وسمع ابن سيرين ينشد

اذا خدرت رجلي تذكرت من لها وناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التي لو ان نفسي تطيعني لالقيت نفسي نحوها وقضيت

انتهى اقول هذان البيتان الاخيران من كلام صاحب لبنى وهو قيس بن ذريح واراد

يذكرني

واراد بذكر لبنى عند ما خدرت رجله لان ذكر الانسان من يحب او ذكر احب الناس اليه يزيل الخدر من الرجل ولما كان صلى الله عليه وسلم احب الناس الى المسلمين كانوا يذكرون اسمه عند ما تخدر ارجلهم فيزول عنهم وسياتي في الملحق بالباب الثلاثة عشر عند ذكر سليمان بن عبد الملك شيء من ذلك وقد ذكر صاحب اداب السياسة فيه في باب الشعر والشعراء ما ملخصه الشعر الفطنة وسمي الشاعر شاعرا لانه يفطن معاني الكلام واوزانه ومنه قولهم ليت شعري اي ليتني علمت وكان الشعراء في الجاهلية بمنزلة الانبياء فيهم لانه لم يكن لهم في ابتدائهم كتاب يرجعون اليه ولا علم ياخذون به وكانت الشعراء علماؤهم وهذا في اول ما نشا الشعر فيهم وقيل في وصف الشعراء اذا ذموا ثلبوا واذا مدحوا سلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع غنيهم لا يصادره وفقيرهم لا يحتقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر سهامهم تنفذ في الاعراض وتعمل ما لا يعمل في النوب المعتراض اسهمهم ناطق بالفضل وصناعتهم مشتقة من العقل هم امراء الكلام وجهابذة النظام يطولون قصيره ويقصرون مديده ويخففون ثقيله ويثقلون خفيفه الثلب ثلبه اذا صرح بالعيب والمثالب العيوب الواحدة مثلبة كذا في الصحاح وقد اجاز صلى الله عليه وسلم كعبا البردة وقال له لا فض فوك ومدحه غير شاعر فحباه واجازه قال ابو الغطريف الاسدي عاد جدي النبي في مرض موته فسمعه يقول لا باس بالشعر لمن اراد انتصافا من ظلم او استغناء من فقر او شكرا على احسان وقال الحجاج لبعض الشعراء لم تكد خاطرك في قتال لاني ارعى به الكلا واسقي به الماء واقضي به الحاجة واعلل به النفس واستميل به الخصم فان كفاك الامير هذا تركته الكلا اسم لما يرعاه الدواب رطبا كان او يابسا والطلا لما يرتفع على ذي ساق وغيره كذا في المغرب والشعر لا يغني قايله كان امرؤ القيس واهله ملوكا اكثر من ثلاثين فبادوا ولم يبق لهم ذكر الا امرؤ القيس بقي ذكره بشعره وقال الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشعر يسكن به الغيظ وتطفى به النايرة ويعطى به السايل وفي المصابيح عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كتب عبد الملك الى الحجاج لما ولي العراق ومنع الشعراء اجز الشعراء فانهم يحبون مكارم الاخلاق ويحرضون على البر والسخا وقال بعضهم انصف الشعراء فان ظلامتهم تبقى وعقابهم لا يفنى وهم الحاكمون على الحكام وقال بعضهم وعداوة الشعراء داء معضل داء معضل اي شديد اعيا الاطباء صحاح ويذهبون على الكريم علاجه انتهى ومما قيل في ذمه قول الشافعي رضي الله عنه ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم اشعر من لبيد

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم اشعر من لبيد
ولولا خشية الرحمن ربي ... لعلت الناس كلهم عبيدي

وقال ابن حزم في ذمه

لا تحسبن الشعر علما نافعا ... ما الشعر الا محنة وخبال
فالهجو قذف والرثا دنياحة ... والعتب ذل وللمديح سوال

وقد نسب الحافظ ابن حجر هذين البيتين في ابناء العمر بانها العم الى سعيد ابن ابرهيم البلبيسي بتبديل الفاظ يسيره بان وضع مكان علما نافعا قوله فضلا بارعا ومكان العتب ذل قوله والعتب صعب وذلك كله ركيك والاصوب انه لابن حزم والله اعلم وقيل للمفضل لم لا تقل الشعر وانت عالم به فقال علمي به يمنعني منه ولنذكر المدح والهجو فالمدح الغلو في الاوصاف الحسنة والهجو الغلو في الاوصاف الخبيثة ولهما غايتان فغاية المدح ان يمدحك من لا يريد مدحك وغاية الهجو ان يهجوك ويذمك من لا يريد هجوك وذمك ولابن الوردي فيمن يهجو الناس

مهما تقل فسهام منك مرسلة ... وفوك قوسك والاعراض اغراض
وما تكلمت الا قلت فاحشة ... كان فكيك للاعراض مقراض

وله فيه وفيه البديع المديح

ولي صاحب بالهجو والمدح كسبه ... يقول اما تدري كيف اصنع بالخلق
اذا احمروا وجهي وما سفعوا يدي ... ازرق لهم رجلي ولوحمروا عنقي

واما الجاحظ فقد قسم الشعر الى اربعة مديح وافتخار ونسيب وهجا قال وجرير في جميعها مقدم على الشعراء فانه قال في الافتخار

اذا غضبت عليك بنو تميم ... رايت الناس كلهم غضابا

وقال في المديح

الستم خير من ركب المطايا ... واندى العالمين بطون راح

وقال في النسيب

ان العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لا يحيين قتلانا

وقال في الهجو

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وافتخر على الاخطل النصراني يوما بحضرة عبد الملك فقال

واني لقوام مقامات لم يكن ... جرير ولا مولى جرير يقومها

فقال جرير اجل والله انك لتقوم الى الخمر فتشربه والى الخنزير فتذبحه وتاكله والى الصليب فتسجد له وتقبله وجرير ما يفعل شيئا من ذلك ومن الهجو الفاحش قول ابي الحسن محمد بن سكره الهاشمي من ولد ابي جعفر المنصور الخليفة العباسي وهو هجو بليغ وهو

تهت علينا ولست فينا ... ولي عهد ولا خليفه
فته وزد ما علي جار ... تقطع عني ولا وظيفه
والشعر نار بلا دخان ... وللقوافي رقى لطيفه

كم من ثقيل المحل سام ... هوت به احرف خفيفه
يوهجى المسك وهو اهل ... لكل مدح لصار جيفه

ومنه ما ذكره الجوهري في الصحاح في ذم رجل وهو

هو الكشوث فلا اصل ولا ورق ... ولا نسيم ولا ظل ولا ثمره

الكشوث بفتح اوله يتلوه معجمة مضمومة ثم واو ساكنة ومثلثة آخره نبت يتعلق باغصان الشجر من غير ان يضرب بعرق في الارض ومن اداه انه يضعف ما يتعلق به جدا وربما يبسه ومنه الهجو الفاحش

شاهجوا انا سا يبتغون نقيصتي ... وقد رسخوا في بحر جهلهم رسخا
واسلخهم لا في اوان مغيبهم ... ولكن لاريهم في وجوههم السلخا

ومما قيل في ذم من يكره القريض وهو الشعر قول بعضهم

اذ يكرهوا نظم القريض فعذرهم ... باد كحاشية الرداء المعلم
هم محرمون عن المناقب والعلى ... والشعر طيب لا يحل لمحرم

وقال بعضهم فيمن عاب شعره

يا جاهلا عاب شعري وكم قلبي والم ... على نحت القوافي وما علي اذا لم

فالبيت الثاني فيه الاكتفا من قول الشاعر من نحت القوافي من معادنها وما علي اذا لم تفهم البقر وسياتي شي في مدح الانسان نفسه وفي الذم بالفصل الاول من الباب التاسع عشر واما قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون فقال تاج القراء اي ياخذون في كل فن من الكلام وقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون وصفهم الله تعالى بالكذب في القول والخلف في الوعد وقال ابن عباس يخوضون في كل لغو ولا يبالون من صدق ولا كذب وقيل لشاعر انك تكذب في شعرك فقال انما يطلب من الشعر الكلام الحسن واما الصدق فعند الانبياء وقال الحسن الشعر اكذبه والهايم الذاهب على وجهه لا مقصد له وقيل في كل واد على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافي وفي آداب السياسة ان هذه الاية نزلت في جماعة من شعراء الجاهلية فاستثنى الله تعالى مداح النبي صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله وكعب بن زهير وحسان بن ثابت فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه مر بالج موضع بين مكة والمدينة واذا هو برجل فقال له من انت فقال

حميد الذي اج داره ... اخو الخمر ذو الشيبة الاصلع
علاه المشيب على حبها ... وكان كريما فلم ينزع

فقال عمر رضي الله عنه انتقر عندي بشرب الخمر لاحدنك فقال لقد حال الله بينك وبين ذلك بقوله تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون فلم ير عمر حده انتهى الاج حر وعطش يقال صيف اج اي شديد الحر ولعل هذا الموضع

سمي بذلك لشدة حره كما سمي بعض المواضع الاماكن بالحره وقيل ابح هي عريش
مصر ويأتي ذلك بالملحق بالباب الاول وفي مرآة الزمان ان مثل هذه القصة
وقعت للفرزدق وهوانه وفد على هشام بن عبد الملك فانشده

نبتن بجانبي مصرعات ... وبت افض اغلاق الختام

فقال هشام اما انت فقد اقررت بالزنا وانا ولي اقامته ولا بد من حدك
فقال له الفرزدق يمنعك من ذلك آية قال وما هي قال قوله تعالى والشعراء
يتبعهم الغاوون فذكر الآية ثم ارتجل يقول

لقد شهدت لي في الطواسين آية ... اقام بها عذري الكتاب المنزل
يقولون ما لا يفعلون وانني ... من القوم قوال بما لست افعل

فقال له هشام نجوت مني وكانت سكينه بنت الحسين رضي الله عنها وعن
ابيها وجدها عارفة بالشعر وكلام الشعراء قال صاحب مصارع العشاق
قال لقيط بن الفرزدق اجتمع ابي وجميل بن معمر العذري وجرير بن الخطفى
ونُصَيب مولى عمر رضي الله عنه وكُثَيِّر عَزَّة في موسم من المواسم فقال بعضهم
لبعض والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم لامر خير او شر وما ينبغي لنا ان
نتفرق الا وقد تتابع لنا في الناس شيء نذكر به فقال جرير هل لكم في سكينه
بنت الحسين نقصدها فنسلم عليها فلعل ذلك يكون سببا لبعض ما نريد
فقالوا امضوا بنا فمضينا الى منزلها فقرعنا الباب فخرجت الينا جارية لها
بديعة ظريفة فاقراها كل واحد منا السلام باسمه ونسبه فدخلت الجارية
وعادت فبلغتهم سلامها ثم قالت ايكم الذي يقول

سرت الهموم فبتن غير نيام ... واخو الهموم يروم كل مرام
درست معالمها الرواسم بعدنا ... وسجا لكل مجلجل سحام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد اولئك الايام
طرقتك صايدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعي بسلام
تجري السواك على اغر كانه ... بَرَدٌ تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا ... لوصلت ذاك وكان غير تمام

قال جرير انا قلته قالت فما احسنت ولا اجملت ولا صنعت صنيع الحر الكريم
لا ستر الله عليك وسترها ما انت بكلف ولا شريف حين رددتها بعد
هدو العين وقد تجشمت اليك هول الليل الا قلت طرقتك صايدة القلوب
فرحبا نفسي فداؤك فادخلي بسلام خذ هذه الخمساية درهم فاستعن
بها في سفرك ثم انصرفت الى مولاتها وقد الجمتنا وكل واحد منا باقٍ
يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت ايكم الذي يقول

الا حبذا البيت الذي انا هاجره ... فلا انا ناسيه ولا انا ذاكره
فبورك من بيت وطال نعيمه ... ولا زال مغشيا وخلد عامره

هوالبيت

هو البيت بيت الطول والفضل دايما ... واسعد ربي جد من هو جاره
به كل موشي الذراعين رنعي ... اصول الخزامى ما ينفر طايره
بما دلتاني من ثمانين قامة ... كما انقض باز اقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا ... احي يرجى ام قتيل نحاذره
فاصبحت في اهلي واصبح قصرها ... مغلقة ابوابه ودساكره

فقال ابي يعني الفرزدق انا قلته قالت ما وفقت ولا اصبت ما انست
بتعريضك من عودة عندك غير محمودة خذ هذه الستماية فاستعن بها
ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت ايكم الذي يقول

فلولا ان يقال صبا نصيب ... لقلت بنفسي النشا الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها ... اذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نُصَيب انا قلته فقالت اغزلت واحسنت وكرمت الا انك صبوت
الى الصغار وتركت المناصفات باحمالها خذ هذه السبعماية واستعن
بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت ايكم الذي يقول

ويعجبني يا عز منك خلايق ... ارام اذا عد الخلايق اربع
دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا ... ومدك اسباب الهوى حين يطمع
وانك لا تدري غريما مطلته ... ايشتد ان لاقاك ام يتضرع
وانك ان واصلت اعلمت بالذي ... لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

فقال كُثَيِّر عَزَّة انا قلته قالت اغزلت واحسنت خذ هذه الثمانماية فاستعن
بها ثم انصرفت الى مولاتها وخرجت فقالت ايكم الذي يقول

لكل حديث بينهن بشاشة ... وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة ... واي جهاد غيرهن اريد
وافضل ايامي وافضل مشهدي ... اذا هيج بي يوما وهن قعود

فقال جميل انا قلته قالت اغزلت وكرمت وعففت ادخل فلما دخلت سلمت
فقالت لي سكينه رضي الله عنها انت الذي جعلت قتيلنا شهيدا وحديثنا
بشاشة وافضل ايامك يوم تذوب فيه عزا وتدافع ولم تتعد ذلك
الى قبيح خذ هذه الالف وابسط لنا العذر وانت اشعرهم وعن جهضم
ابن سالم قال بلغني ان الفرزدق خرج حاجا فدخل على سكينه بنت الحسين
رضي الله عنهما مسلما عليها فقالت يا فرزدق من اشعر الناس قال انا
قالت ليس كما قلت اشعر منك الذي يقول

بنفسي من تجنبه عزيز ... علي ومن زيارته لمام
ومن امسي واصبح لا اراه ... ويطرقني اذا هجع النيام

فقال لان اذنت لي لاسمعنك من شعري ما هو احسن من هذا فقالت انتبه
فخرج فلما كان من الغد عاد اليها فقالت يا فرزدق من اشعر الناس قال انا قالت

ليس كما قلت اشعر منك الذي يقول

• لولا الحياء لهاجني استعبار • ولزرت قبرك والحبيب يزار •
• كانت اذا هجر الضجيع فراشها • خزن الحديث وعفت الاسرار •
• لا يلبث القرناء ان يتفرقوا • ليل يكر عليهم ونهار •

فقال والله لئن اذنت لي لاسمعنك من شعري ما هو احسن من هذا فامرت به فاخرج فلما كان من الغد غدا عليها وحولها جوار مولدات كأنهن التماثيل عن يمينها وعن شمالها فنظر الفرزدق واحدة منهن كانها ظبية ادماء فمات عشقا لها وجنونا بها فقالت سكينه يا فرزدق من اشعر الناس قال انا قالت ليس كذلك اشعر منك الذي يقول

• ان العيون التي في طرفها مرض حور • قتلننا ثم لم يحيين قتلانا •
• يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به • وهن اضعف خلق الله اركانا •

قال يا ابنة رسول الله ان لي عليك حقا عظيما لمولاي لك ولا بائك واني صرت اليك من مكة قاصدا لك ارادة التسليم فلقيت في مدخلي من التكذيب لي وتصنيفي ومنعك اياي ان اسمعتني هذا ومنعتيني اذا اسمعك من شعري ما قطع ظهري وعيل صبري به والمنايا تغدو وتروح ولا ادري لعلي لا افارق المدينة حتى اموت فان انا مت فمري من يدفنني في درع هذه الجارية واومى الى الجارية التي كلف بها فضحكت سكينه حتى كادت تخرج من بردها ثم امرت له بالف درهم وكسا وطيب وامرت له بالجارية بجميع آلتها وقالت يا ابا فراس انما انت واحد منا اهل البيت لا يسوءك ما جرى خذ ما امرنا لك به بارك الله لك فيه واحسن الى الجارية واكرم صحبتها وامرت الجواري فدفعن لظهورها قال الفرزدق فلم ازل والله ارى البركة بدعائها في نفسي واهلي ومالي انتهى وفي مرآة الزمان ايضا في ترجمة عبيد الله بن عبد الله بن عتبه ابن مسعود الهذلي من الطبقة الثانية من تابعي المدينة رضي الله عنهم قال الواقدي كان عالما زاهدا عابدا ورعا ثقة كثير العلم قال وكان يقول الشعر فيقال له في ذلك فيقول ارايت المصدور اذا لم ينفث اليس يموت انتهى والمصدور من به وجع الصدر المسمى بالقرحة وعن ثعلب اللغوي انه اتاه اعرابي فقال له انشد في احسن بيت قالته العرب فانشده البيتين الاخيرين مما انشدته سكينه في العيون المراض الذين اولهما ان العيون التي في طرفها مرض وقال سلمه بن عاصم لم تقل العرب بيتا اغزل من بيت حسان بن ثابت الانصاري وهو

• لم تفتها شمس النهار بشيء • غير ان الشباب ليس يدوم •

وقال هلال بن العلا سمعت مقطعات العرب فما سمعت اغزل ولا ارق من الذي يقول

• شبهتك بدر في السماء محله • فكنت اذا ما غبت انس بالبدر •

• فغطت على بدر السماء غمامة • فصار على الغيم يضامع الدهر •

اقول وكلمن استحسن شعرا قدمه على غيره • وكلمن افتصل شاعرا سار على شعره

واما السجع فياتي في باب المزاح حديث يدل على اباحته واما تجنب الشعر السجع في الدعا وكراهته فيه فياتي في الباب الثالث من خاتمة الخاتمة وهو بالسين المهملة قال الجوهري هو الكلام المقفى والجمع اسجاع وقد سجع الرجل سجعا وسجع تسجيعا وكلام مسجع وبينهما اسجوعة وسجعت الحمامه اي هدرت انتهى وقد ورد من كلامه عليه الصلاة والسلام احاديث كثيرة مسجعة فيها ما ياتي بالباب السادس والثلثين في اباحة مجالس الوعظ عن زيد الخثعمي وقد تقدم في الباب الاول لعدم جواز كتابة البسملة امام الشعر وجوازه عليه الاختيار وسياتي بالملحق بهذا الباب ما يتعلق بالهجو والذم وما قيل في العشق وشيء من اخبار العشاق ومحاسن الاشعار ان شاء الله تعالى الباب التاسع في تفضيل لسان العرب على غيره لما سبق الفصل الذي فيه ما قيل في اشعار النبي صلى الله عليه وسلم وتلاه الفصل الذي في انشاد الشعر وانه ديوان العرب اردفناهما بهذا الباب لارتباطه بهما كما ستقف عليه قال الفقيه رحمه الله تعالى اعلم ان اللغة العربيه لها فضل على سائر الالسنة فمن تعلمها او علمها غيره فهو ماجور لان الله تعالى انزل القرآن بها وبها يفهم ظاهر القرآن ومعاني الاخبار وعن عمر رضي الله عنه انه قال من تعلم بالفارسية فقد خبث ومن خبث فقد ذهبت مروته وقال الزهري كلام اهل الجنة العربية وروي عن عمر رضي الله عنه عليكم بالتفهم في العربية وسئل الحسن البصري عن رجل متعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراته فاجاب ليتعلمها فان الرجل ليقرا الاية فيعيي بوجهها فيهلك وسمع عمر رضي الله عنه رجلين في الطواف يترا طنان فقال لهما التمسا الى العربية سبيلا ولو تكلم بغير العربية فانه يجوز ولا اثم عليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تكلم بالفارسية وهو ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه قال اتخذت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما يوم الخندق فاتيته فاخبرته فقال لاصحابه اذهبوا الى بيت جابر ابن عبد الله فانه قد اتخذ لكم سورا اقول قال ابو منصور الجواليقي في بعض تاليفاته وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بالفارسية صنع سورا بكسر السين المهملة على وزن نور بالنون اي طعاما دعا اليه الناس انتهى ثم قال الفقيه وروي انه صلى الله عليه وسلم اتي بتمر الصدقة وعنده الحسن والحسين رضي الله عنهما فاخذ الحسين تمرة وجعلها خلفها في فيه فادخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبعه في فيه فقال

كح كح واخرج الثمرة من فيه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة رضي الله عنه لما اشتكى بطنه يا ابا هريرة شكم درد قال نعم فامره بالصلاة وقال سفيان رضي الله عنه بلغنا ان الناس يتكلمون يوم القيامة قبل ان يدخلوا الجنة بالسريانية بكسر السين واذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية وعن وهب بن منبه رضي الله عنه قال ما من لغة الا وفي القرآن منها شئ فقيل ما فيه بالفارسية فقال سجيل يعني سنگ وگل وقيل يا ارض ابلعي ماءك بلغة الحبشة وقوله تعالى فصرهن اي قطعهن بالرومية وقوله تعالى ولات حين مناص يعني ليس حين فرار بالسريانية وروى عن ابي موسى انه قال كفلين يعني ضعفين بلسان الحبشة وقال بعضهم لا يجوز ان يكون في القرآن سوى العربية لان الله تعالى قال بلسان عربي مبين وقال تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا والجواب عن هذا من وجهين احدهما ان هذه الالفاظ حبشية ورومية كما ذكرنا الا ان العرب كانت تستعملها وتعرفها فيما بينهم واذا كانت العرب يستعملونها صارت بمنزلة العربية والثاني ان القرآن عربي وان كان بعض الحروف اي الكلمات من غيره فان قيل كيف يكون حجة عليهم اذا كان بلغة غيرهم قيل له كانوا يفهمونها فيما بينهم وان كان بعض الحروف من غير لغتهم فيكون حجة عليهم انتهى كلامه قلت والاحسن ان جميع ما وقع في كلام الله تعالى مما ينسب الى الرومية والحبشية والسريانية وغير ذلك انما هو عربي تكلمت به اصحاب الالسن فانه قد وردت في الباب السادس عند ذكر اسمعيل عليه السلام اقوال في اول من تكلم بالعربية منها انه ادم عليه السلام وهو الاشبه فانه قد قيل في قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ان الله تعالى علمه جميع الاسماء حتى القصعة والقصيعة تصغير القصعة وهما لفظان عربيان وقيل نوح وقيل هود وكان بين نوح وابرهيم عليهما السلام وقيل ان ماش بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام نزل ببابل فولد له نمرود وفي زمنه فرق الله الالسنة على اثنين وسبعين لسانا قسمت على ذرية سام وحام ويافث على ما ذكر هناك وكان اللسان اذ ذاك عبرانيا فتحمل وما ذكر في القرآن انه غير عربي على انه عربي استعمله اهل بعض اللغات في لغاتهم اولى مما تقدم والله اعلم واما كون اسمعيل عليه السلام اول من تعلم العربية وتكلم بها ففيه اختلاف ذكر عند اسمه بالباب السادس والحنب بالمعجمة والموحدة الخداع والاضطراب كذا في الصحاح وقد ستنا حديثا في اول الباب السادس عند ذكر آدم عليه السلام فيه ان سيد الكلام العربية وسيد العربية القرآن وسيد القرآن سورة البقرة والرطانة بفتح الراء وكسرها الكلام بالاعجمية تقول رطنت له ورطنته اذا كلمته بها انتهى

سنك كل وسنج جل

الباب العاشر في القرآن الكريم وله عشرة اسماء قال زين القضاة احمد بن محمد الحجي في كتاب المنبهات قال ابو الفضل سمى الله تعالى كتابه بعشرة اسماء قرآنا وفرقانا وكتابا وتنزيلا وهدى ونورا ورحمة وشفاء وروحا وذكرا اما القرآن والفرقان والتنزيل فمشهورة واما الهدى والرحمة والشفاء فقال تعالى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين واما النور والكتاب فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين واما الروح فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا واما الذكر فقال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس وفي هذا الباب عشرة فصول الفصل الاول في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم على ابي بن كعب رضي الله عنه قال الفقير روى انه عليه الصلاة والسلام قرأ القرآن على ابي بن كعب رضي الله عنه فتكلم الناس في ذلك قال بعضهم انما قرأ عليه ليعلم الناس التواضع لكيلا يانف احد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة وقال بعضهم انما قرأ عليه لان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءته عليه ان ياخذ الفاظه ويقرأ كما سمع منه عليه السلام قال الفقير عفا الله عنه روى شمس الاسلام عبد الله محمد بن ابي نصر الكرماني تلميذ تاج القراء الكرماني الحنفي في كتابه الغرايب في بيان شواذ القراءات واختلاف المصاحف عن عاصم عن زر بن حبيش عن ابي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل امرني اذا اقرأ عليك القرآن فقرأ لم يكن الذين كفروا فقرأ فيها ولو ان ابن ادم سال واديا من مال فاعطيته ولو سال ثانيا فاعطيه ولو سال ثالثا فاعطه ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وذلك الدين عند الله الحنيفية غير المشركية ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يسلك خيرا فلن يكفره انتهى الفصل الثاني في فضل تلاوة القرآن والمتعلمين والمعلمين روى ابو بكر الخرايطي في كتاب اعتلال القلوب حديثا عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله فما جلاؤها قال تلاوة القرآن وقال مالك بن دينار يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم فان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال الفقير روى زيد بن اسلم عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله تعالى بعد الانبياء والشهداء المتعلمون وما في الارض بقعة احب الى الله تعالى بعد المساجد من البقعة التي فيها الكتاب وعن ابرهيم النخعي انه قال معلم الصبيان تستغفر له الملائكة في السماء والدواب في الارض والطيور في الهواء والحيتان في البحار ويقال ان الصبي اذا دخل الكتاب وتعلم بسم الله الرحمن الرحيم غفر الله بذلك لثلاثة انفس

للاب والام والمعلم وقال ابو سعيد الخدرى من علم ابنه او ابنته القرآن
فله بكل درهم اعطاه للمعلم وزن جبل احد واذا اخرج الصبى من بيته الى
الكتاب يكثر الخير فى بيت والديه ويقل الشر فيه ويهرب الشيطان منه وقال
الحسن البصرى رحمه الله تعالى من علم ولده القرآن كسى يوم القيمة ثلاث
حلل من حلل الجنة الحلة منها خير من الدنيا وما فيها والناس عراة ثم وله
بكل حرف من كتاب الله تعالى درجة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
افضلكم من تعلم القرآن ثم علمه وفى رواية خيركم من تعلم القرآن وعلم غيره
وقال ابو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه فهذا الحديث الذى اجلسنى هذا
المجلس وكان يعلم الحسن والحسين رضى الله عنهما وعن ابن عباس رضى الله
عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع اللهم اغفر للمعلمين
واطل اعمارهم وبارك لهم فى كسبه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
اللهم اعز العلماء وافقر المعلمين قال الفقيه بارك لهم فى كسبهم يعنى
يوما بيوم وقوله وافقرهم يعنى لا تكثر اموالهم لانه اذا كثرت اموالهم تركوا
التعليم وقال الفقيه اذا اراد المعلم ان ينال الثواب ويكون عمله عمل الانبياء
فعليه ان يحفظ نفسه من خمسة اشياء الاول ان لا يشارط على الاجر ولا
يستقضى فى ذلك وكل من اعطاه شيئا اخذه ومن لم يعطه شيئا تركه
وان شارط على تعليم الهجاء جاز الثانى ان يكون ابدا على الوضوء لانه يمس المصحف
فى كل وقت وساعة الثالث ان يكون ناصحا فى تعليمه الرابع ان يعدل
بين الصبيان اذا تنازعوا وينصف بعضهم من بعض ولا يميل الى اولاد
الاغنياء دون الفقراء الخامس ان لا يضرب الصبيان ضربا مبرحا بلفظ
الفاعل من باب التفعيل اى مجهدا شائنا وجيعا لا يطيقه ولا يجاوز
الحد لانه يحاسب يوم القيمة وعن حبيب بن ابى ثابت قال المعلمون ولدوا
بنجم الملوك ويحاسبون كما تحاسب الملوك وعن بعض التابعين رضى الله عنهم
ان ابنه اتاه وهو يبكى فقال له مالك قال ضربنى المعلم قال ابوه حدثنى عكرمة
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال معلم صبيانكم شراركم عند الله اقلهم
رحمة لليتيم واغلظهم على المساكين وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم
انه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة معلم كتاب الله يكلف اليتيم ما لا
يطيق ورجل يجلس عند السلطان يتكلم بهواه ورجل يسأل وهو مستغن
عن السؤال وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه ما من رجل حفظ القرآن
الا كان حقه فى بيت المال كل سنة مائتى دينار او الفى درهم ان حرمه فى
الدنيا لم يحرمه فى الآخرة وان حفظ نصف القرآن فمائة دينار او الف درهم
تؤخذ له من الوالى يوم القيمة فان كانت له حسنات اخذ من حسناته
وان لم تكن له حسنات اخذ من اوزار هذا العبد فحمل على الوالى انتهى بكلام

الفصل الثالث

الفصل الثالث فى الحث على قرآءة القرآن واخذ الاجر على تعليمه والنقط والتعليم
وقرآءة المعلم جنبا قال الفقيه رحمه الله تعالى لا ينبغى للقارئ ان يترك حظه
من قرآءة القرآن فى بعض الاوقات وكلما كانت قرآءته اكثر فهو افضل وعن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس الحال المرتحل قيل وما الحال
المرتحل قال الخاتم المفتتح صاحب القرآءة يضرب من اوله الى آخره كلما حل ارتحل
وينبغى للقارئ ان يختم فى السنة مرتين ان لم يقدر على الزيادة وعن ابى حنيفة
رحمه الله تعالى انه قال من قرأ القرآن فى السنة مرتين فقد ادى حقه لان
النبى صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل عليه السلام فى السنة التى توفى
فيها مرتين وقال الفقيه عفا عنه قال فى خزانة الاكمل الاحسن الختم فى كل
شهر مرة ويكره ان يختمه فى يوم واحد وفى القنية ولا يختم فى اقل من
ثلاثة ايام تعظيما له ولقوله عليه الصلاة والسلام من قرأ القرآن
فى اقل من ثلاثة ايام لم يفقه انتهى وقال الفقيه وعنه صلى الله عليه
وسلم قال عرضت على اجور امتى حتى القذاة يخرجها الانسان من المسجد
وعرضت على ذنوب امتى فلم ار ذنبا اعظم من آية او سورة اوتيها رجل
فنسيها القذاة تقدمت فى الباب السادس ثم قال الفقيه التعليم على ثلثة
اوجه احدها ان يعلم للحسبة ولا يأخذ عوضا والثانى ان يعلم بالاجر
والثالث ان يعلم بغير شرط فاذا اهدى اليه قبل فاما الذى للحسبة
فهو مأجور وعمله عمل الانبياء عليهم السلام واما اذا علم بالاجر فقد اختلف
الناس فيه فقال اصحابنا المتقدمون لا يجوز اخذ الاجر عليه لان النبى
صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عنى ولو آية فاوجب على امته التبليغ فكما لم
يجز له صلى الله عليه وسلم اخذ الاجر كذلك لا يجوز لامته وقال جماعة من
المتأخرين انه يجوز مثل عصام بن يوسف ونصر بن يحيى وابى نصر بن سلام وغيرهم
فالافضل للمعلم ان يشارط على الاجر للحفظ اى حفظ الولد وتعليم الكتابة فلو
شارط لتعليم القرآن ارجو ان يكون لا بأس به لان المسلمين قد توارثوا ذلك
واحتاجوا اليه وانه لو لم يجز فى زماننا ادى الى رفع الكتاب من بلاد المسلمين
والوجه الثالث وهو ان يعلم بغير شرط ولو اهدى اليه قبل الهدية فانه
يجوز فى قولهم جميعا لان النبى صلى الله عليه وسلم معلما وكان يقبل الهدية
وروى ابو المتوكل عن ابى سعيد الخدرى ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
كانوا فى غزاة فمروا بحى من احياء العرب فقالوا اهل فيكم من راق فان سيد
الحى قد لدغ فرقاه رجل بفاتحة الكتاب فبرأ فاعطاه قطيعا من الغنم
فابى ان يقبله فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم رقيته قال
بفاتحة الكتاب قال فما يدريك انها رقية فقال خذوها واضربوا لى معكم فيها
بسهم يعنى ان اخذها مباح اقول ساق الخطابى فى شرح السنن حديث ابى سعيد

الجزري برواية ابي المتوكل بلفظ ان رهطا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
انطلقوا في سفرة سافروها فنزلوا بحي من احياء العرب فاستضافوهم
فابوا ان يضيفوهم قال فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه
شيء فقال بعضهم لو اتيتم هذا الرهط الذين نزلوا بكم لعل ان يكون عند
بعضهم شيء ينفع صاحبكم فقال بعضهم ان سيدنا لدغ فهل عند احد
منكم رقية فقال رجل من القوم اني لارقي ولكن استضفناكم فابيتم
ان تضيفونا ما انا براق حتى تجعلوا لي جعلا فجعلوا له قطيعا من الشاء
فاتاه فقرأ عليه بام الكتاب وتفل حتى برأ كانما نشط من عقال قال
فاوفاهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقالوا اقتسموا فقال الذي رقى لا
تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنستامره فغدوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسنتم واضربوا لي من اين علمتم انها رقية احسنتم واضربوا لي معكم بسهم
قال ما ملخصه في هذا بيان جواز اخذ الاجر على تعليم القرآن ولو كان ذلك
محرما لامرهم برد القطيع فلما صوب فعلهم بقوله احسنتم ورضي ان يفردوا
له بسهم في الاجر بنيه انه مباح قال وفي الحديث دليل على جواز نفع المصاحف
واخذ الاجر على كتبها واباحة الرقية بذكر الله واسمائه ذكره رضي الله عنه
وجماعة منع المصاحف وكره ابن عباس وجماعة بيعها ورخص ميراثها
ورخص اكثر الفقهاء في بيعها وشراها كالحسن والشعبي وعكرمه والثوري وابي
حنيفة واصحابه ومالك وقوله فسعوا له بكل شيء معناه عالجوه بكل شيء
مما يستشفى به والعرب تضع السعي موضع العلاج واما اعطاء الكاهن
الاجر على كهانته فقد روى الخطابي بضاعا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن قال حلوان الكاهن
هو ما ياخذه المتكهن على كهانته وهو محرم وفعله باطل يقال حلوت
الرجل شيئا يعني رشوته وحلوان العراف حرام كذلك والفرق بين الكاهن
والعراف ان الكاهن انما يتعاطى الخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان
ويدعي معرفة الاسرار والعراف هو الذي يتعاطى معرفة الشيء المسروق
ومكان الضالة ونحوهما من الامور التي تسرقا ثمنا والحلوان بضم المهملة
وسكون اللام وكره بعض الناس النقط والتعشير في المصاحف وهو
قول ابي حنيفة رحمه الله تعالى وحجته ما روي عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه انه قال جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه شيئا مع كلام الله
تعالى ولا تعشروا ولا تفصلوا وزينوه باحسن الاصوات واعربوه فانه
عربي ونحن نقول النقط والتعشير لو فعلاه لا باس بهما لان المسلمين قد تركوا
ذلك واحتاجوا اليه وخاصة للعجم لانه لا بد لهم من النقط والعلامات لانهم

متكلفون قلت ان اول من نقط القرآن يحيى بن يعمر الليثي المصري المتوفى في
سنة تسع وثمانين من الهجرة كذا في مرآة الزمان انتهى ملخصا وسياتي هذا
الحديث بلفظ ثالث بالباب التاسع والستين في الرقى والتداوي وكراهة
الرقى واباحتها قال الفقيه ولا يجوز للجنب ولا للحايض ان يقرا القرآن
ولا يمس المصحف الا ان يكون في غلاف لقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر واما القراءة فلا باس
بها اذا كان على غير وضوء لما روى علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقرينا القرآن بعد ما يخرج من الخلاء وكان لا يحجبه او يحجزه شيء سوى
الجنابة ولا باس بان يقرأ الجنب والحايض اقل من آية واحدة فلو كانت
المرأة معلمة فحاضت فارادت ان تعلم الصبيان ينبغي لها ان تلقن نصف
آية ثم تسكت ثم تعلم نصف آية ولا تقرأ آية تامة بدفعة واحدة ولا يجوز
للجنب والحايض ان يدخلا المسجد ولا باس للمحدث بدخول المسجد ولا باس
للجنب والحايض من التسبيح والتهليل والدعوات وانما لا يجوز لهما قراءة القرآن
خاصة انتهى بكماله الفصل الرابع في تفسير القرآن قال الفقيه رحمه الله
تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال في القرآن برايه فليتبوأ
مقعده من النار وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال اي ارض تقلني
تقلني اي تحملني واي سماء تظلني اذا قلت في كتاب الله تعالى ما لم اعلم
وعن الشعبي انه كان اذا مر بابي صالح فياخذ باذنيه ويقول انك لم تقرأ
القرآن فكيف تفسره وعن عمر رضي الله عنه انه راى في يد رجل مصحفا
قد كتب عند كل آية تفسيرها فدعا بمقراض فقرضه وكان شريح رضي الله
عنه لا يفسر من القرآن الا ثلاث آيات قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح
قال هو الزوج وقوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال الحكمة الفقه
وفصل الخطاب البينات والايمان وقوله تعالى ان خير من استاجرت القوي
الامين قال كانت قوته يعني موسى عليه السلام انه حمل صخرة لا يقوى على
حملها الا عشرة واما امانته ان ابنة شعيب لما اتته تدعوه الى ابيها ومشى
معها مشت قدامه فوصفتها الريح فقال لها تاخري وصفي لي الطريق
وقالت عايشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر
القرآن الا آيات يعدهن علمهن اياه جبريل عليه السلام فان قيل اذا لم
يفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره ان يفسره برايه
فكيف الوصول الى معرفة تفسيره قيل له النهي انما انصرف الى المتشابه لا الى
جميعه كما قال الله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
لان القرآن انما نزل حجة على الخلق فلو لم يجز التفسير والبيان لا يكون حجة بالغة
فاذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وعرف شان النزول ان يفسره

واما من كان من المتكلمين ولم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز ان يفسر الا بمقدار ما سمعه فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على سبيل التفسير فلا باس به ولو انه يعلم تفسيره واراد ان يستخرج من الآية حكمة او استدلالا لشيء من الاحكام فلا باس به ولو انه قال المراد من الآية كذا من غير ان يسمع فيه شيئا فهذا مما لا يحل وهو الذي نهي عنه ولو انه سمع من بعض الآية فلا باس بان يحكي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان اذا اشكل عليه شيء من التفسير سال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من اهل الكتاب الذين قرؤوا الكتاب من كعب الاحبار وروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال عرفت تفسير جميع القرآن الا اربعا الاواه والرقيم وحنانا وغسلين وروي عن عكرمة عن ابن عباس ايضا انه من فسر هذه الاحرف ايضا انتهى بكماله اقول قال الكواشي الفرق بين التفسير والتاويل ان التفسير اصل الكشف والاظهار وكذلك جميع المتركب ف س ر وتعكيسه هنه سفرت المراة كشفت عن وجهها واسفر الصبح وسفر والتاويل اصله الرجوع والكشف وكذلك جميع المستعمل من تعاكيس اول ومنه آل الشيء يؤول اذا رجع ومنه الايالة للسياسة فكان التفسير الموقوف على اسباب نزول الآية وشانها وقصتها ولا يجوز ذلك الا بالسماع والتاويل ما يرجع في كشفه الى معنى الكلمة بما د ذلك لو قيل ما معنى لا ريب فنقول لا شك فهذا تفسير فان قيل فقد نفيت الريب وقد ارتابوا فان اجبت وقلت انه في نفسه صدق واذا تامل وجد كذلك فانتفى عنه الريب فهذا تاويل وتلخيصه التفسير ما يتعلق بالرواية والتاويل ما يتعلق بالدراية انتهى الفصل الخامس في تفسير السبع المثاني روي عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في قول الله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف قال الراوي نسيت السابع وروي عن ابن عباس في آية اخرى قال السبع المثاني فاتحة الكتاب وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وعن الربيع بن انس عن ابي العالية في قوله عز وجل سبعا من المثاني فاتحة الكتاب فقيل له انهم يقولون هي السبع الطوال قال لقد انزلت هذه الآية وما نزل شيء من الطوال وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هي فاتحة الكتاب وقيل انما سميت فاتحة الكتاب سبع المثاني لانها سبع آيات وتثنى بالقراءة في الصلاة انتهى بكماله الفصل السادس في حذف التسمية من سورة براءة قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلفوا في حذفها منها وقال بعضهم كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القرآن املاه على كاتب يكتبه فلما املا عليه سورة براءة نسي الكاتب كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فبقيت هكذا وقال بعضهم نزلت سورة براءة لنقض العهد الذي بين المسلمين

وبين الكفار

وبين الكفار فلم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم لان في كتابتها امانا فتركت كتابتها لئلا تكون امانا واصح التاويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سال عثمان ابن عفان رضي الله عنه عن ذلك فقال عثمان لان سورة الانفال نزلت اول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وسورة التوبة نزلت آخر القرآن وقصصهما يشبه بعضها بعضا ولم يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتبه امرهما علينا ففصلنا بينهما وتركنا كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه سئل عن ذلك فقال لانها نزلت بالسيف يعني لنقض العهد انتهى بكماله وقال الفقير عفا الله عنه وفي كتاب الغرائب المذكور في الفصل الاول عن طلحة من طريق بن عروان ترك التسمية في اول الم نشرح وجعلها والسورة التي قبلها سورة واحدة من غير فصل بينهما الفصل السابع فيما نزل من القرآن بمكة والمدينة قال الفقيه رحمه الله تعالى روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال نزل من القرآن بالمدينة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانفال والتوبة والرعد والنحل والحج والنور والاحزاب والذين كفروا والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم ولم يكن واذا جاء نصر الله وقل هو الله احد والمعوذتين ونزل سائر القرآن بمكة وقال بعضهم ست آيات من سورة الانعام وبعض الآيات من النحل وبعضها من بني اسرائيل وبعض من سورة القصص وبعض من سورة هل اتى وآخر سورة الحشر والشعراء وسورة العاديات مدنية وقال مجاهد فاتحة الكتاب نزلت بالمدينة وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ابي صالح نزلت بمكة انتهى بكماله وقال الفقير عفي الله عنه وفي ذلك الخلاف غير ما ذكره الفقيه والمراد من المكي ما نزل مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة وان نزل خارجها ومن المدني ما نزل مدة اقامته بالمدينة وان نزل خارجها كالذي نزل ببعض الغزوات والله اعلم الفصل الثامن في نزول القرآن على سبعة احرف قال الفقيه رحمه الله تعالى روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقراني جبريل على حرف واحد فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف وفي خبر آخر امرني جبريل ان اقرا القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف لكل حرف ظهر وبطن فان قيل فاي شيء معنى قول سبعة احرف قيل له قد قالوا فيه اقوالا مختلفة قال بعضهم انما يوجد ذلك في بعض الآيات مثل قوله عز وجل اف لكما فيقرا على سبعة اوجه بالنصب والخفض والرفع وكل وجه بالتنوين وغير التنوين فذلك ستة اوجه وبالجزم فذلك سبعة اوجه ومثل تساقط عليك ونحو ذلك من الآيات التي تحتمل في القرآن سبعة اوجه ذلك في عامة الآيات وقال بعضهم سبعة احرف يعني امر ونهي وقصص وامثال

ووعظ ووعد ووعيد فهذا هو سبعة احرف وقال ابو عبيدة سبعة احرف
يعني على سبعة لغات من لغات العرب وليس معناه ان يكون في الحرف الواحد
سبعة اوجه فهذا لم نسمع به قط ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن
فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة هذيل وبعضه
بلغة اليمن وقال بعضهم سبعة احرف انما هي سبع قراآت اختارها سبعة
من الائمة احدهم عاصم ابن ابي النجود واسم امه بهدلة فيقال له عاصم بن بهدلة
والثاني حمزة بن حبيب بن الزيات والثالث الكسائي واسمه علي فهؤلاء
الثلثة كانوا من اهل الكوفة والرابع عبد الله بن كثير وهو امام اهل مكة
والخامس نافع بن عبد الرحمن مولى جعفونة وهو امام اهل المدينة والسادس
ابو عمرو ابن العلاء وهو امام اهل البصرة وكان اسمه زبان وكنيته ابو عمرو
والسابع عبد الله بن عامر وهو امام اهل الشام فاختار كل واحد من هؤلاء
السبعة قراءة قد صحت عنده من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد
نظم الشيخ يحيى بن سلام الحصكفي اسماء السبعة في بيت فقال

جمعت لك القراء لما اردتهم ببيت تراه للائمة جامعا
ابو عمرو عبد الله حمزة عاصم علي وشامي والمدني نافعا

اعني بالمدني نافعا ورايت بخط عبد الله بن يحيى العطار القاهري البيتين
المذكورين لكنه صحح البيت الثاني بقوله

ابو عمرو عبد الله حمزة عاصم علي ولا تنسى المدني نافعا

فجمع بين عبد الله بن كثير وعبد الله بن عامر بالف التثنية في عبد الله وهذا
اصح اعرابا من الاول وفي المصابيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نزل القرآن على خمسة اوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه
وامثال فاحلوا الحلال وحرموا الحرام واعملوا بالمحكم وامنوا بالمتشابه واعتبروا
بالامثال قال بعض شراحه يعني بعض القرآن يبين ما هو حلال اكله او فعله كقوله
تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم وقوله خذوا زينتكم عند كل مسجد وبعضه
يبين ما هو حرام كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله ذلكم فسق
وبعضه محكم وهو الذي يعلم معناه كقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم وغير ذلك من الامر والنهي والموعظة فمن شان هذا القسم العمل به وبعضه
متشابه وهو الذي لا يعلم معناه الا الله كقوله تعالى وجاء ربك وما اشبهه
فمن شان هذا القسم الايمان به يعني نقول انه حق ولكن لا نعلم كيفيته بل نكل
علمه الى الله تعالى وبعضه امثال يعني قصص الامم الماضية كقوم نوح وصالح
وقوم لوط وغيرهم فمن شان هذا القسم الاعتبار والاحتراز عما فعلوه يعني
لا نفعل كما فعلوا كيلا يصيبنا ما اصابهم من العذاب وفيه عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر ثلثة امر تبين

رشده

رشده فاتبعه وامر تبين غيه فاجتنبه وامر اختلف فيه فكله الى الله عز وجل
وقال الكواشي السبعة ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه
خط الامام وما لم يوجد فيه مجموع هذه الثلثة او التواتر وموافقة خط
الامام فهو شاذ ثم قال الفقيه واختلف الناس في الاية التي قرئت بقراءتين
قال بعضهم ان الله تعالى قال بقراءة واحدة الا انه قد اذن ان تقرا بقراءتين
وقال بعضهم ان الله تعالى قال بهما جميعا والذي صح عندنا والله اعلم انه لو كان
لكل قراءة تفسير بخلاف تفسير القراءة الاخرى فقال بهما جميعا فصارت
قراءتين بمنزلة آيتين مثل قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن وكذلك
كلما كان نحو هذا واما اذا كانت القراءتان تفسيرهما واحد مثل البيوت بكسر
الموحدة والبيوت بضمها والمحصنات والمحصنات بالنصب والخفض
فانما قال باحدهما واجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعود لسانهم فان
قيل انه اذا صح انه قال باحدى القراءتين فباي القراءتين قال قيل له انما قال
بلغة قريش لان النبي صلى الله عليه وسلم كان من قريش والقرآن نزل بلغتهم
الا ترى الى ما روى وكيع عن سفيان عن رجل عن مجاهد انه قال نزل القرآن
بلغة قريش انتهى كلامه الفصل التاسع في نصف القرآن واثلاثه وارباعه
اما التنصيف فقد قال الفقيه رحمه الله تعالى روى عن حميد الاعرج انه
قال حسبت القرآن بالحروف فوجدت النصف عند قوله تعالى انك لن
تستطيع معي صبرا الذي بعده وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وقال
غيره وجدت النصف عند قوله لن تستطيع وقد تم النصف الاول وصار
معي صبرا من النصف الثاني وقال بعض المتقدمين حسبت القرآن بالحروف
فوجدت النصف عند قوله تعالى في سورة الكهف وليتلطف فاللام الوسطى
في النصف الاول والطاء والفاء في النصف الآخر اقول جعل اللام وسطى
باعتبار لفظ يتلطف ولو قال اللام الثانية لكان اولى لقوله عندي وليتلطف
او كان يقول عنده يتلطف فاللام آخر النصف الاول والطاء اول النصف
الآخر ثم قال الفقيه وقال بعضهم النصف عند قوله تعالى فهل نجعل لك
خرجا وقال جماعة من القراء النصف عند قوله لقد جئت شيئا نكرا وعند
العامة النصف في آخر السورة واما الاثلاث فروى عن بعض المتقدمين
انه قال الثلث الاول ينتهي الى قوله تعالى في سورة التوبة وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله سيصيب الذين كفروا والثلث الثاني عند قوله في سورة العنكبوت
الا بالتي هي احسن وعند العامة الثلث الاول عند قوله وطبع الله على
قلوبهم فهم لا يعلمون والثلث الثاني عند قوله وما يعقلها الا العالمون
واما الارباع فقال بعضهم الربع الاول ينتهي عند راس ثلاث آيات من اول
سورة الاعراف والربع الثاني في موضع النصف والربع الثالث عند قوله في

سورة الصافات فآمنوا فمتعناهم الى حين الى آخر القرآن وعند العامة الربع الاول عند آخر سورة الانعام والثاني عند آخر سورة الكهف والثالث عند آخر الصافات وهذا هو المشهور عند العامة انتهى بكماله الفصل العاشر في عدد سوره اجمالا قال الفقيه رحمه الله تعالى قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جميع سور القرآن مائة واثنا عشر سورة قال الفقيه وانما قال ذلك لانه كان لا يعد المعوذتين من القرآن وكان لا يكتب هاتين السورتين في المصحف وكان يقول بانهما منزلتان من السماء وهما من كلام رب العالمين ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقي ويعوذ بهما فاشتبه عليه انهما من القرآن او ليستا منه فلم يكتبهما في المصحف وقال مجاهد جميع سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة لان الانفال والتوبة سورة واحدة عنده وقال ابي بن كعب رضي الله عنه جميع سور القرآن مائة وست عشرة سورة لانه عد القنوت سورتين احديهما اللهم انا نستعينك الى قوله من يفجرك والاخرى اللهم اياك نعبد الى قوله ان عذابك بالكفار ملحق وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه جميع سور القرآن مائة واربع عشرة سورة وهذا قول عامة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وهكذا في مصحف الامام يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي مصاحف اهل الامصار وعامة العلماء على هذا انتهى قال الفقير عفا الله عنه وفيما ذكره الفقيه من فضل اداب حملة القرآن وتعلمه وتعليمه الغير وغير ذلك كفاية ومن اراد زيادة على ذلك فعليه بكتاب التبيان في آداب حملة القرآن ومن اراد منافعه فعليه بمنافعه للبوني والتميمي وغيرهما ويأتي ذكر بعض منها في خاتمة خاتمة هذا الكتاب واما عدد السور فهو ما ذكره الفقيه ولكنه لم يذكر بعض اسماء السور الزايد عن الاسماء المشهورة مع ان لبعضها اسمين فصاعدا والكلام في ذلك كثير ولكنني اذكر من ذلك ما وجدته في لباب التفاسير فاقول سورة الحمد عن الثعلبي ان لها عشرة اسماء الحمد وفاتحة الكتاب وام القرآن والسبع المثاني والوافيه والكافيه والشفا والشافيه والصلوة وسورة تعليم المسئلة سورة براءة والتوبة والفاضحة والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والبحوث سورة النحل ويروى سورة النعم سورة الاسراء ويقال لها سورة بني اسرائيل سورة طه ويقال لها سورة موسى عليه السلام سورة الشعراء وتسمى الخاضعة وعن القفال تسمى الجامعة سورة النمل وتسمى طس الهدهد وسورة سليمان سورة الم تنزيل السجده ويقال لها سورة الجرز وسورة المضاجع سورة يس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعى المعمة قيل يا رسول الله

وما المهم

وما المعمة قال تعم صاحبها خير الدنيا وخير الآخرة وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عن قاريها كل سوء وتقضي له كل حاجة سورة الزمر ويقال لها سورة الغرف سورة القتال ويقال لها سورة محمد صلى الله عليه وسلم سورة الصف ويقال لها سورة عيسى عليه السلام سورة الطلاق وتسمى سورة النساء القصرى سورة الملك ويقال لها المنجية تنجي قاريها من عذاب القبر سورة الانسان ويقال لها سورة الدهر سورة عم يتساءلون ويقال لها سورة التساؤل وسورة النبأ سورة الانشقاق ويقال لها سورة الكدح انتهى وقد وقفت على قصيدة بليغة من نظم قاضي القضاة بمصر جمال الدين ابن ابرهيم القرقشندي ذكر فيها اسماء سور القرآن المائة والاربعة عشر ابتدا فيها من سورة الناس الى البقرة الى الفاتحة فاحببت اثباتها هنا وابياتها ٣٥ وهي

عوذت حبي برب الناس والفلق … المصطفى المجتبى الممدوح بالخلق

اخلاص وجدي له والعذل يقلقني … تبت يدا العذول جاء بالقلق

يهدي لامته والنصر يعضده … والكافرون وعدا لي على نسق

هذا له الكوثر والدين شرعته … المصطفى من قريش سيد وتقي

الم تر الماء قد سحتا نا مله … ويل لكل جهول بالنبي وشقي

في كل عصراني آياته كثرت … اضحى تكاثرها في سائر الافق

وعند قارعة فهو الشفيع لنا … والعاديات من الاجفان في طلق

وزلزلت من غرامي كل جارحة … وكل بينة تحكي لكم علقي

يا عالي القدر رفقا مسني ضعف … فالله قد خلق الانسان من علق

ولو دعا التين والزيتون جاء له … والشرح عنه طويل غير مختلق

يبدو كشمس الضحى والليل طرته … كالشمس في بلد والفجر في غسق

اني بغاشية لولاك يا املي … انت الشفيع الى الاعلى وخير تقي

كم طارق منك بالاحسان يطرقني … مثل البروج اتى من احسن الطرق

وبانشقاق فؤادي عبرة وبه … ويل من الصد والهجران والارق

والانفطار به مما يكابده … والنار قد كورت في القلب بالحرق

والصب في عبس والنازعات به … وقد اتى نبأ من دمعه الغدق

ومرسلات دم الانسان جارية … الى القيمة من دمعي ومن حدقي

وبالمدثر اني ماسك ابدا … وبالمزمل ان الجئت بالعرق

فالجن والانس في خير ببعثته … هذا ونوح به انجي من الغرق

وفي المعارج معراج الرسول علا … حق وفي حاقه كنز لمحترق

والله مرسله في نون بشره … والملك خير حتى اذ راى ولقي

وجاء بالحل والتحريم امته … وبالطلاق من الدنيا لمنطلق

عرف الطيب للمقري من كتب الادبيات

الصواب تبديل الشمس من شمس الضحى بقوله وقت ليلا شفيه بالشمس وضحاها وهي بعد والليل منه

الصواب وليلا باعته لبلاد بشفيع بالمساواة وليس هذا محله منه

وفي التغابن تجار له ربحوا … وذا المنافق في خسر وفي نفق
يا صاحب الجمعة الغراء يا املي … في الصف عند امتحاني اخشى زلقي
وانت في الحشر عوني في مجادلتي … عسى تزيل حديد النار من عنقي
وعند واقعة ان كان لي رمق … فاشفع الى ربك الرحمن في رمقي
لم ارعى يا قمري بالنجم في سهري … الا لعلك من نار الجحيم تقي
قلبا لكليم غدا بالطور مرتقيا … فذروه دمعي كذا بالذاريات سبق
وقاف يعجز عن حمل الغرام بكم … وليس في حجرات الوجد من رمق
انا فتحنا قتالا للعدو وفي … احقاف جاثية بالغيض والحنق
دخان زخرف والعذال فيه هبا … شورى شركهم في انف محترق
هذا وكم فصلت في مدحه سور … بنبينا المصطفى الهادي الى الطرق
بغافر الذنب كم اعطى به زمرا … وكم راوا كفه صاد لمندفق
وليس غيرك في الصافات تقصد … وانت يس لي في سائر الغرق
يا فاطر كم سبا الاحزاب طلعته … كم سجدة لك في الاسحار والغسق
لقمان يشهد ان الروم تعرفه … والعنكبوت فقد سدت على الغلق
هذا ولي قصص بالنمل قد كتبت … هامت به الشعراء في خرقة ليتق
تبارك الله من بالنور جمله … قد افلح الحج لما زاره ووفي
يا ايها الانبياء طه ختامكم … ويا ابن مريم خذ من مسكه العبق
لذنا بكهف له سبحان خالقه … حتى اتى النحل من خوف ومن فرق
فالركن والحجر حقا قد اضاء له … وذاك دعوة ابرهيم ذي الخلق
والله ربي برعد الرعب ينصره … مسير شهر بلا جيش ولا ورق
ويوسف ثم هود والكليم اذا … ويونس شربا من كاسه الرحق
بتوبتي ارتجي الانفال منه غدا … فانني رجل اصبحت في قلق
اعراف انعام آيات له شهدت … وكم بمائدة اسد بمرتزق (اشتهرت)
كل النساء لم تلد مثل الرسول اذا … فينا وفي آل عمران ولم تطق
اعطيت خاتمة من سورة البقرة … لم يعطها احد فيما مضى وبقي
وانت فاتحة الانبياء خاتمهم … وكلهم قراوا بالود والملق
والقرقشندي عبد قال بسيرته … في مدح خير الورى من زين بالخلق
فاقبل هدية عبد انت مالكه … وانظر اليه فانا العبد في حرق
واشفع الى ربك الرحمن يقبلها … وكن شفيعي من نار الجحيم نقي
صلى عليه اله العرش ما صدحت … ورقاء في فنن والورق في نبق
والآل والصحب تترا ما قاطبة … ما بين مفترق منهم ومتفق

وللشيخ الامام العلامة ابي عبد الله محمد بن الباعوني خطيب المسجد الاقصى بالقدس الشريف وخطيب الجامع الاموي بدمشق رحمه الله تعالى خطبة ابلغ

من

من القصيدة المتقدمة ذكر فيها اسماء السور وهي

الحمد لله الملك العظيم الذي فتح بالفاتحة آيات الكتاب في المقال وبين في البقرة وآل عمران من اصطفاه من النساء والرجال ومد مائدة الانعام لتعرف الاعراف انفال التوبة في المآل وابتلى يونس وهودا ويوسف ومن رعد الهيبة تضرع ابرهيم في السوال ولما عذب اصحاب الحجر اخذ النحل في الاسراء لكهف مريم وحث الرحال احمده على ارسال طه خاتم الانبياء بفرايض الحج وبيان الرشد من الضلال واشكره والمؤمنون بنور الفرقان في طرق الشكر لا تزال واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له والالسن كالشعراء وقد عجزت عن وصف الكمال وزادت بالنباء عليه في النمل والقصص لم تحص ذرة من مثقال واشهد ان سيدنا محمد عبده ورسوله بني نسجت العنكبوت عليه الظلال وغلبت الروم فتلا لقمان سجدة الشكر لهزيمة الاحزاب في النزال اذ سبا حريمهم وكان فاطر حرابهم بالسمر العوال فكم لياسين في الصافات وصاد من دلالة احرست زمر الكفار فلم ينطقوا بنوال بقدرة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب على اهل الكفر والضلال اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه الذين فصلت رقاب المشركين برهناتهم اثقال وكان امرهم شورى بينهم فابطلوا زخرف الجاهلية واخمدوا دخان نارها والاشتعال وتركوا اجماتها جاثية في الاحقاف من شدة القتال صلوة دائمة تبوئ قائلها فتح الحجرات وتمتعه بالنظر الى الحور العين ربات الحجال وتكون لقاف سباته ذاريات على الطور ضامنة له الصفح عن قبيح الاعمال ما طلع النجم واقتربت الساعة واذن الرحمن للدنيا بالزوال وسلم تسليما كثيرا ايها الناس وقعت الواقعة وقلوبكم كالحديد مجادلة في هول الحشر ممتحنة الاعمال متناسون عن وصف الجمعة بمعاشرة المنافقين وتغابن الطلاق وارتكاب تحريم الافعال تناسون عرضكم على مالك الملك وما جرى به القلم في الحاقة اذا سال الله المرء فلم يستطع جوابا للسوال حين يجثو ليس المراد الجاثية لانها تقدمت فلا يذكر نوح وجميع الانبياء على الركب وتصير الانس والجن في اندهال فياتو المزمل المدثر نبينا لونه الشفاعة في القيمة وسرعة الانفصال فيخر الشفيع ساجدا لخالق الانسان ذي العزة والجلال فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فان الوسيلة والفضيلة والمقام العال فكم من مرسلات عيون المكذبين بالنبا العظيم لا ينفعها يومئذ الارسال وارواح بالنازعات اذا عبس مالك على اهل البدع والضلال وكورت الشمس وانفطرت السماء فويل للمطففين عند انشقاق

ذات البروج وطارق الحق بالتوبيخ والوبال وحكم العلي الاعلا في الغاشية
ويظهر فجر العدل وينتصف المظلوم ممن ظلمه في البلد وقهر بشمس ظلمة وتجبر
عليه واستطال فعليكم رحمكم الله بملازمة الغرض وتهجد الليل ونافلة
الضحى تفوزوا بالانشراح والتين والزيتون وعرش الجنة والضلال
واشكروا من خلقكم من علق وخصكم بليلة القدر وما فيها من الاقوال
والافعال ولم يكن للذين كفروا غير السلاسل والاغلال والنكال
وزلزلة العذاب وعاديات القارعة بالغدو والاصال فلا يلهينكم
التكاثر في العصر فالهمزة واصحاب الفيل وقريش يحكم بينهم يوم القيمة
الكبير المتعال ومن يتق الله ارايت الذي يكذب صاحب الكوثر من الكافرين يوم
النصر كيف تبت يداه وصعد في الاغلال وقد فاز بالاخلاص لرب
الفلق والناس من كان مخلصا في الاقوال والافعال تمت وقد الغز بعضهم
في عدد السور نثرا فقال اي عدد اذا جمعته كان ماية واربعة عشر واذا
نصفته كان عددا واحدا نصفيه سبعة عشر اراد النصف الاول سبعة عشرة
سورة قل وربما يعرف هذا بقريبه كان ماية واربعة عشر والصواب الذي
ليس فيه ارتياب ان يقال اي شي يزيد عدده عن الماية ويكون احد نصفيه
سبعة عشر وكان الفقيه رحمه الله تعالى قد ذكر في بستانه ثلاثة ابواب
في عدد ايات القرآن اجمالا وعدد حروفه جملة وعدد كل حرف من حروف الهجا
على حده فاسقطت ذلك اذ لا فايدة فيه سوى ما روي عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه انه قال حروف القرآن ثلثماية الف واثنان وعشرون
الفا وستماية وسبعون حرفا ولتالي القرآن بكل حرف عشر حسنات وياتي
بالملحق بهذا الباب فوايد تتعلق به ان شاء الله تعالى الباب الحادي عشر
فيما قيل في خلق القرآن وعدمه وفيه فصل فيما يتعلق بالقدر قال
الفقيه رحمه الله تعالى تكلم الناس في القرآن قال بعضهم هو مخلوق وهو
مكتوب في المصاحف وهو قول بشر المريسي وحسين النجار ومن تابعهما
وقال بعضهم هو غير مخلوق وهو غير مكتوب في المصاحف وهو قول محمد
ابن كرام والكلابي ومن تابعهما وقال بعضهم هو وحيه وتنزيله ولا يقول
هو مخلوق او غير مخلوق وهو قول الجهمية ومن تابعه وقال بعضهم هو مكتوب
في المصاحف وهو غير مخلوق وهو قول ابرهيم بن يوسف وشقيق الزاهد ومن
تابعهما اما من قال بانه مخلوق قال لان الله تعالى خالق كل شي وقال تعالى انا
جعلناه قرانا عربيا وقال تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث واما من قال
انه غير مخلوق فقد ذهب الى ما روي بن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى
قرآنا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق وروي عن سفيان بن عيينه انه
قال في قوله تعالى الا له الخلق والامر قال الخلق هو الخلق والامر هو القرآن هو

غير مخلوق ولا مباين فيه فلو كان الامر مخلوقا وهو القرآن لم يكن من تكراره
فايدة وروي محمد بن ابي بكر المدايني عن ابي عبد الله محمد بن جعفر عن احمد ابن
الازهر قال سمعت ابا بكر محمد بن عساكر ببغداد قال القرآن كلام الله غير مخلوق
فمن قال مخلوق فهو كافر ومن قال باللفظ ووقف فهو جهمي ومن توقف فهو
شر الثلاثة وروي عن سفيان الثوري انه قال من قال القرآن مخلوق فهو
كافر بالله تعالى وروي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى انه قال
من قال القرآن مخلوق فهو كافر بالله تعالى وروي عن مالك بن انس رحمه الله
تعالى ان رجلا ساله عمن قال القرآن مخلوق قال هو كافر فاقتلوه وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اعوذ بكلمات الله التامات كلها
من شر ما خلق وقد نهى عن الاستعاذة بغير الله فلما امرنا بالاستعاذة
بكلام الله ثبت انه غير مخلوق ولان الاستعاذة بغير الله لا تغني عن شي
وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الله تعالى اول ما
خلق خلق القلم فلو كان كلامه مخلوقا لقال ابن عباس اول شي خلق خلق
القول لانه تعالى يخلق الاشيا بقوله كن فيكون قال الفقيه ترك المنازعة والخوض
في هذه المسئلة ونحوها افضل من غير ان يقول بالخلق او بالوقف لان الجدل
والخصومة فيه امر تعب فالسكوت عنه اسلم لدينك وامر اخرتك انتهى بكماله اقول
وقد دعي المعتصم بن الرشيد الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى الى القول بخلق
القرآن فامتنع فضربه وحبسه ثمانية وعشرين شهرا وقد ذكرت قصته ووفاته
في الملحق بالباب الثالث عشر عند اسم جعفر المتوكل على الله ابن المعتصم وكانت
ابتدا محنة الامام احمد في سنة ثمان عشرة وماتين فصل في القدر وذكر
هنا لانه من المسايل التي عدم الخوض فيها افضل ومنها الكف عما شجر بين الصحابة
رضي الله عنهم وسياتي ذلك في الباب الرابع عشر في القول في الصحابة قال
الفقيه رحمه الله تعالى ان استطعت ان لا تخاصم في مسئلة القدر فافعل فانه
نهي عن الخوض فيها وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي
فامسكوا وفي الخبر ان عزير النبي عليه السلام سال ربه عن القدر وقال
يا رب انك قدرت الخير والشر وتعاقبهم على الشر اذا فعلوا فاوحى الله
تعالى اليه يا عزير لا تسالني عن هذه المسئلة فانك ان سالتني عنه بعد
ما نهيتك عن ذلك محوت اسمك من اسماء الانبياء وقد جاء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال القدر خيره وشره من الله تعالى وعنه صلى
الله عليه وسلم انه خبر ساله جبريل عن الايمان قال الايمان ان تومن بالله
وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره من الله تعالى
وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله

عليه وسلم اذ اقبل ابو بكر وعمر رضي الله عنهما في فئام من الناس فلما دنوا سلموا
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعض القوم يا رسول الله قال ابو بكر الحسنات
من الله والسيئات منا وقال عمر الحسنات والسيئات كلها من الله تعالى
فتابع بعض القوم ابا بكر وبعض القوم عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سأقضي بينهما كما قضى اسرافيل بين جبريل وميكائيل اما جبريل فقال مثل
مقالتك يا ابا بكر واما ميكائيل فقال مثل مقالتك يا عمر فقال جبريل اذا اختلف
اهل السماء فاذا اختلف اهل الارض فهم نتحاكم الى اسرافيل فقضى بينهما عليه القضية
فقضى بينهما ان القدر خيره وشره من الله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
فهذا قضائي بينكما يا ابا بكر لو شاء الله ان لا يعصى في الارض لم يخلق ابليس
انتهى بجالة قال الفقير عفا الله عنه ورد في المصابيح في الايمان بالقدر من
الصحاح قال صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى
قال موسى انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك
ملائكته واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال
آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح
فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التورية قبل ان اخلق
قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى
قال نعم قال افتلومني على ان عملت عملا كتبه الله تعالى علي ان اعمله قبل ان يخلقني
باربعين سنة والعقل يعلو على جميع الاشيا ويعمل فيها ما خلا القضاء
والقدر فانهما يعلوان على العقل ويفعلان فيه ما يفعل هو في غيره
لانهما امر الله الذي لا يصده عما يريد علم ولا معرفة ولو صده شيء لكان
نقصا في الحكمة قال الله تعالى اذا قضى امرا انما يقول له كن فيكون وفي
كتاب الهندان اربعة نفر اصطحبوا احدهم ابن الملك ذو قوة واجتهاد
وآخر ابن شريف ذو حسن وجمال وآخر ابن تاجر ذو عقل وسداد وآخر
ابن ملاك فتشاجروا في الطريق فقال ابن الملك القوة افضل لان بها
تنال الاشيا وقال ابن الشريف الجمال افضل لان به ينال اكثر من القوة
وقال ابن التاجر العقل افضل مما ذكرتم لانه ينال به اكثر مما ينال بالقوة
والجمال وقال ابن الملاك القضاء والقدر ابلغ مما ذكرتم فامتحن بعضهم
بعضا وقالوا لابن الملك رقنا اليوم بقوتك فاخذ حبلا واحتطب وباعه
بدرهم وقالوا في غد لابن الشريف قوتنا اليوم بفضل جمالك فحصل له من
جماله ذلك اليوم خمسمائة درهم وقالوا في غد لابن التاجر قوتنا اليوم بعقلك
ففعل واحتال بحيل من امور التجارة فحصل له خمسون الف درهم ثم قالوا لابن
الملاك اكفنا بالقضاء والقدر كما ذكرت فمشى وجلس على باب المدينة حائرا لا
يعرف شيئا فقدر الله تعالى موت ملك تلك المدينة في تلك الليلة ولم يكن له

وسيأتي ما يرد القضاء والقدر

ولد

ولد فملكه اهلها مكانه وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله انفاذ
حكمه سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ القضاء والقدر وقيل اذا اراد
الله انفاذ قضائه في عاقل زاد في عقله سبعين ضعفا ثم يحكم بقضائه
وقدره فينفذ في الجميع ويقال الحذر لا يرد القدر وحدث منصور الصوفي
ابن بنت ابرهيم قال سمعت جدي يقول يضحك القضاء من الحذر ويضحك
الاجل من الامل ويضحك التقدير من التدبير وتضحك القسمة من الجهد
والعناء وقال سقراط كل شيء يستطاع قلبه الا الطبيعة ويقدر على رده
الا القضاء وهذا مناف لما سيأتي في مقدمة الباب الثالث من خاتمة الخاتمة
لهذا الكتاب هو ما رواه الترمذي وابن حبان في صحيحيهما عن سلمان الفارسي
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد
في العمر الا البر انتهى وقال علي رضي الله عنه شعر

قضاء المهيمن لا يدفع ❊ اذا حل من ذا له يمنع
يصرفه الله في خلقه ❊ فهذا يحط وهذا يرفع
وهذا يقول فيصغى اليه ❊ وهذا يقول فلا يسمع
ويغرق في البحر عوامه ❊ وينجو من اللج المرضع

ما يرد القضاء الا الدعاء كما في آخر مختصري لآداب السياسة واما قوله
رضي الله عنه شعر قضاء المهيمن لا يدفع الى آخره فمحمول على انه لا يكون القضاء
شيء مما هو غير الدعاء وفي آخر المختصر المذكور عن بعض الحكما انه قال ان
لعين القضاء بكبد من البلاء فلعين القضاء بكبد من الدعاء وفيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدعاء يرد القدر وقال علي رضي الله عنه

اذا وافق المقدور ما هو كائن ❊ تحير رأي المرء وهو لبيب
فينطق جهلا بالمحال لسانه ❊ ويخطي به من حيث كان يصيب

وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره القضاء والقدر
شبعان فتماوت لهما فانهما لا يأكلان ميتة وفي مرآة الزمان عن وهب
ابن منبه التابعي رضي الله عنه انه قال لقد قرأت اثنين وتسعين كتابا
كلها انزلت من السماء اثنان وسبعون في الكنائس وفي ايدي الناس
وعشرون لا يعلمها الا قليل وجدت في كلها ان من اضاف الى نفسه شيئا
من امر المشية فقد كفر وفيها ان غيلان القدري كان من سكان دمشق
قال الشعبي دخل غيلان على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو مصفار
اللون فقال له عمر ما الذي بك فقال امراض واحزان فقال لتصدقني فقال
ذقت حلو الدنيا فوجدته مرا فاسهرت ليلي واظمأت نهاري وكل ذلك حقير
في جنب ثواب الله وعقابه فقال له عمر ويحك ومع هذا تقول بالقدر ارجع
فرجع وتاب فقال عمر اللهم ان كان صادقا فاقبل توبته وان كان كاذبا

نسلط عليه من يقطع يديه ورجليه ولسانه واجعله عبرة للعالمين
فلما مات عمر اظهر ما كان يبطن فاستدعاه هشام بن عبد الملك وقال له
ويحك يا غيلان قد اكثر الناس فيك فعرفنا مذهبك فان كان حقا اتبعناك
وان كان باطلا نزعناه عنك بالعين المهملة اى كففنا عنك فقال او تعفنى
قال لا اعفيك وكان غيلان يقول ان معاصى العباد حلولهم وان الله لا
يقدرها عليهم فاخبر هشاما فامر بقطع يديه ورجليه ولسانه
ففعل به ذلك والقى على مزبلة فمر به رجل فقال يا غيلان هذا بقضاء
الله وقدره فاومى اليه وقال كذبت ما هذا قضاؤه وقدره هذا قضاء
هشام ثم امر به هشام فصلب قال عمرو بن المهاجر صاحب عمر بن عبد
العزيز وقفت عليه وقلت ادركتك دعوة الرجل الصالح فاومى براسه
نعم وكان بكر بن عبد الله المزنى من التابعين يقول عرضت على نفسى ان
لا اسمع قوما يذكرون القدر الا قمت صليت ركعتين نكتة شكى جماعة
من الصالحين الى اميرهم ضربا لا تنالا فقال لهم الامير انتم تعتقدون
ان هذا بقضاء الله وقدره فكيف ارفع قضاء الله تعالى فقال المحدث
صاحب القضاء قال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض فافحم الامير واذ قد فرغنا من القرآن العظيم وتوابعه فلنشرع فيما
يتعلق بالحديث الشريف النبوى على قايله افضل الصلاة والسلام فنقول
الباب الثانى عشر فيما يتعلق بالحديث الشريف النبوى على قايله
افضل الصلاة واتم السلام وفيه فصلان الفصل الاول فى رواية
الحديث بالمعنى قال الفقيه قال بعضهم لا يجوز الا باللفظ وحجته ما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه
كما سمع وروى انه عليه الصلاة والسلام علم رجلا دعاء وكان فى آخره
آمنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت فقال الرجل وبرسولك
الذى ارسلت فقال النبى صلى الله عليه وسلم قل وبنبيك الذى ارسلت
فنهاه عن تغيير اللفظ فكشف عن معنى النبى والرسول وهل معنى الاول
مقدم على معنى الثانى وهل كل نبى رسول وكل رسول نبى ويحصل الكلام
بعد ذلك على قوله وبنبيك الذى ارسلت ورسولك الذى ارسلت وقال
بعضهم يجوز وهذا اصح وحجته ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فليبلغ
الشاهد الغايب فقد امر بالتبليغ غايبا عاما مطلقا وروى عن واثلة
ابن الاسقع رضى الله عنه وكان من الصحابة انه قال اذا حدثناكم
عن المعنى فحسبكم اى كفايتكم وقال ابن عون كان ابرهيم النخعى والشعبى
يأتون بالحديث على المعنى وقال وكيع لو لم يكن الحديث بالمعنى واسعا
لهلك الناس وقال سفيان الثورى رحمه الله تعالى انى لو قلت انى احدثكم

كما سمعت فلا تصدقونى ولان الله تعالى قال فلولا نفر من كل فرقة منهم
طايفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم الآية
فلو كان قومهم لا يفقهون بلفظ العربية فلا بد له من البيان والتفسير
فثبت ان العبرة للمعنى لا للفظ انتهى قال الفقير عفا الله عنه وفى مرآة
الزمان كان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يحدث بالمعانى فيزيد فى
الحديث وينقص ولكن المعنى واحد الفصل الثانى فى رواية الحديث
والاجازة قال الفقيه اختلف الناس فى رواية الحديث لو قال مكان
حدثنا اخبرنا او قال مكان اخبرنا حدثنا يجوز ام لا قال بعض اهل العلم اذا
قرات الحديث على محدث فاردت ان تروى عنه فينبغى ان تقول اخبرنا فلان
وان كان المحدث قرا عليك فقل حدثنا فلان وقال اكثر اهل العلم كلاهما
سواء وبه ناخذ وروى عن ابى يوسف رحمه الله تعالى انه قال اذا قرات
الحديث على فقيه او قرا عليك فان شئت قلت حدثنا وان شئت قلت
اخبرنا وان شئت قلت سمعته من فلان وروى عن ابى مطيع البلخى رحمه
الله تعالى انه قال سالت ابا حنيفة رضى الله عنه فقلت له اقول حدثنا
او اقول اخبرنا قال ان شئت قلت اخبرنا وان شئت قلت حدثنا وروى
عن شعبة بن الحجاج انه قال ان شئتم قلتم حدثنا وان شئتم قلتم اخبرنا
وان شئتم قلتم انبانا وان قال المحدث اجزت لك ان تحدث عنى فلا يجوز لك
ان تقول حدثنا ولا اخبرنا وجاز ان تقول اجازنى فلان قال الفقيه
سمعت الخليل بن احمد قال سمعت ابا طاهر احمد بن سفيان الدباس قال اذا قال
اجزت لك بان تحدث عنى فكانه قال اجزت لك ان تكذب على ولو كتب اليك
المحدث بحديث او دفع اليك كتابه وقال حدثنى فلان بجميع ما فيه جاز
لك ان تقول اخبرنى فلان ولا يجوز ان تقول حدثنى لان الكتابة خبر والحديث
لا يكون الا بالمخاطبة الا ترى لو ان رجلا حلف ان لا يخبر فلانا بكذا وكتب
اليه فانه يحنث ولو حلف ان لا يحدثه فكتب اليه لا يحنث ما لم يخاطبه
وروى ابو ضمرة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رايت ابن شهاب
يوتى بالكتاب فيقال له هذا كتابك عرفته فيقول نعم فيرضون به ما قراه
ولا قراوه عليه فينسخونه ويخبرون به وروى عن عبد العزيز بن ابان
عن شعبة قال كتب الى منصور بحديث فلقيته فسالته عن ذلك فقال
اليس قد كتبت اليك فقلت اذا كتبت الى فقد حدثتنى به فقال نعم فذكرت
ذلك لايوب فقال صدق اذا كتب اليك فقد حدثك وروى عن محمد بن
الحسن رحمه الله تعالى انه قال كتابة العالم اليك وسماعك منه بمنزلة يعنى
تجوز الرواية عنه اذا كتب كما تجوز لو سمعت منه ولكن يختلفان فى لفظ الرواية
يعنى اذا سمع منه يقول حدثنا واذا كتب اليه احد يقول اخبرنا كما تقدم انتهى بكماله

قال الفقير عفا الله عنه قد ذكر الفقيه رحمه الله تعالى في هذين الفصليت شيا من مصطلح المحدثين على سبيل الاجمال فمن اراد التفصيل فعليه بكتب هذا الفن كالخلاصه للطيبي من المتقدمين والفية الحديث للحافظ العراقي وشرحها من المتاخرين وكذلك النخبة وشرحها كلاهما للحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني منهم وقد احببت ان اذكر شيا من فضايل اصحاب الحديث وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ففي مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام عليه افضل الصلاة والسلام لابي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان المزالي الفاسي رحمه الله تعالى ما لفظه روى بسند متصل الى ابي عتبة الخولاني انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تبارك وتعالى لا يزال يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم بطاعته قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى هم اصحاب الحديث وفيهم قال صلى الله عليه وسلم لا تزال طايفة من امتي منصورين لا يضرهم من خذلهم وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ارحم خلفاي قلنا يا رسول الله من خلفاوك قال الذين يروون احاديثي وسنتي ويعلمونها الناس وكان ابو سعيد الخدري اذا راى طلاب الحديث يقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا رسول الله سياتي من بعدي قوم يسالونكم الحديث عني فاذا جاوكم فالطفوهم وحدثوهم وكان بعض السلف اذا راى اصحاب الحديث يقول شعرا

اهلا وسهلا بالذين احبهم ۝ واودهم في الله ذي الالاء
اهلا بقوم صالحين ذوي تقى ۝ غر الوجوه وزين كل ملاء
يا طالبي علم النبي محمد ۝ ما انتم وسواكم بسواء

وفيهم قال بعض السادة

يا سادة لهم بالمصطفى نسب ۝ رفقا بقوم لهم بالمصطفى حسب
اهل الحديث هم اهل النبي وان ۝ لم يصحبوا نفسه انفاسه صحبوا

وبسند الى محمد بن عبد الله بن بشر القشيري بقاف وشين معجمة مفتوحتين ثم واو مكسورة وقشاوري هو هبة الله بن قشا الرازي

عليك باصحاب الحديث فانهم ۝ على منهج للدين ما زال معلما
وما النور الا في الحديث واهله ۝ اذا ما دجى الليل البهيم واظلما
واعلا البرايا من الى السنن اعتزى ۝ واغوى البرايا من الى البدع انتما
ومن يترك الاثار ظل سعيه ۝ وهل يترك الاثار من كان مسلما

ولابي منصور فتح بن محمد

حديث رسول الله انسي وروضتي ۝ ومعدن لذاتي وروحي وراحتي
وحصني الذي اوي اليه وجنتي ۝ وحرزي من كل الخطوب وعدتي
وعوني على من خالف الحق وارتضى ۝ ضلالات اهواء بها الخلق زلت
به وبايات الكتاب تمسكي ۝ ومعتمدي في كل حال وعصمتي

وقال ابو داود الطيالسي لولا هذه العصابة لاندرس الاسلام يعني اصحاب الحديث الذين يكتبون الاثار وعن الامام احمد رحمه الله تعالى انه قال ما الناس الا اهل الحديث ولو لم يكن من فضلهم ورفع محلهم الا كثرة الصلاة على سيد البشر كلما رووا عنه حديثا او اثرا فقد روي عن عبد الله بن مسعود انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة اخرجه ابو عيسى الترمذي في جامعه وفي الحديث بشارة جسيمة وفضيلة ظاهرة لاصحاب الحديث لانهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا اي تلفظا وكتابة على الدوام عند قراءة احاديثه وكتابتها كلما جاء ذكره صلى الله عليه وسلم فهم اكثر الناس عليه صلاة لذلك ولا يعرف ذلك لاهل طايفة من طوايف العلم غيرهم كما يعرف لهم هذا لفظ الحافظ ابي الحسين وقد ذكر معناه الحافظ ابي نعيم وفي صحيح مسلم وسنن ابي داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم الموذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تبتغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا وخرج النسائي في سننه من حديث انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة واحدة صلت عليه الملايكة عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيات وخرج ايضا من حديث عبد الله بن طلحة عن ابيه قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو يرى البشر في وجهه فقيل يا رسول الله انا نرى في وجهك بشرا لم نكن نراه قال اجل ان ملكا اتاني فقال لي يا محمد ان ربك يقول اما ترضى الا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال قلت بلى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب وفي بعض الاثار ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وانشد الحافظ ابو الحسين المصري لابي سعد محمد بن الهيثم السلمي قوله

اما الصلاة على النبي فسيرة ۝ مرضية تمحى بها الاثام
وبها ينال المرء عز شفاعة ۝ تبيانها الاعزاز والاكرام
كن للصلاة على النبي ملازما ۝ فصلاته لك جنة وسلام وانشد لنفسه

قال رايت رسول الله في المنام في مسجد عند نا جالسا في المحراب ومعه نفسا وبين يديه نفقت يا رسول الله ما الفرقة الناجية من الثلاث وسبعين فرقة من امتك قال انتم يا اصحاب الحديث

وابو الحسن بن موسى بن علي الضرير

الا ايها الراجى المثوبة والاجرا | وتكفير ذنب سالف انثقل الظهرا
عليك باكثار الصلاة مواظبا | على احمد الهادى شفيع الورى طرا
وافضل خلق الله من نسل آدم | وازكاهم فرعا واشرفهم فخرا
فقد صح ان الله جل جلاله | يصلى على من قالها مرة عشرا
فصلى عليه الله ما جنت الدجى | واطلعت الافلاك من افقها فجرا

واما حال من روئى فى المنام ممن كان يكثر الصلاة والسلام على خير الانام صلى الله عليه وسلم فقد وردت اخبار كثيرة فى ذلك اذكر بعضها روى الحسن ابن رشيق بعد موته فى المنام فى حالة حسنة فقيل له بماذا اوتيت هذا قال بكثرة صلاتى على النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الطبرانى فى المعجم الكبير ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتى على الصراط يزحف احيانا ويحبو احيانا فجاءته صلاته على فاقامته على قدميه ومضى على الصراط وروى ان جماعة شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسرقة على رجل وكان المسروق جملا فصاح الجمل لا تقطعوه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بم نجوت قال بصلاتى عليك كل يوم ماية مرة قال نجوت من عذاب الدنيا والآخرة وروى ان خلاد بن كثير بن مسلم لما كان فى النزع وجدت عند راسه رقعة فى مكتوب هذه براءة من النار لخلاد بن كثير فسالوا عنه ما كان عمله قالت اهله انه كان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم كل جمعة الف مرة يقول اللهم صل على النبى الامى محمد وروى فى ذلك حديث من صلى يوم الجمعة الف مرة لم يمت حتى يرى مقعده فى الجنة ومن آداب من يتوسل الى الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ان يخضع ويخشع ويعزره ويوقره كما امر الله فى كتابه ويصور فى نفسه انه بين يديه كما انه لو كان فى حياته ويلازم السكينة والوقار على سنن السلف والايمة الانقيا الاخيار فقد كان مالك ابن انس رضى الله عنه اذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسايه فقيل له فى ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم على ما ترون ولقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نساله عن حديث ابدا الا يبكى حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبى صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه فى فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع ولقد رايت الزهرى وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم كانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين

المجتهدين فاذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى يقوم الناس عنه ويتركونه
هذا ما اخترته من الكتاب المذكور وقد ختمه مولفه ببيتين هما

فلا لابن نعمان ولا لجدوده | لعدة يوم الحشر الا الموحد
وحب النبى المصطفى اكرم الورى | حبيب خليل للاله محمد

رحمه الله واباى ومن ترحم علينا وعلى ساير المسلمين امين وحيث تقدم ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر الباب السادس وبعض سيرته الشريفه فى الباب السابع وتبع ذلك من الابواب الى هذا الباب ما هو ملايم عليه الصلاة والسلام تعين ان الحق بذلك بابا فى ذكر خلفايه الاربع والحسن رضى الله عنهم وبابا فى القول فى الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بابا فيه من الفصول على ما ياتى فاقول

الباب الثالث عشر فى ذكر الخلفا الاربع والحسن رضى الله عنهم

قد ذكر الفقيه اسماهم ومددهم ودولهم واستطرد الى خلافة المامون من الخلفا العباسيين على وجه الاختصار جدا وانا اذكر هنا الاربعة والحسن فقط ثم اتبع ذلك بذكر بنى امية ثم بذكر الخلفا العباسية ببغداد الى خلافة المعتصم بن المستنصر من مختصر للحافظ اسمعيل ابن كثير واما ما عداهم من الخلفا التابعين الفاطميين والعباسيين الى حيث يريد الله تعالى فاذكره ان شاء الله تعالى فى الملحق بهذا الباب مما فيه حكم واداب وكلام مستطاب من غير اختصار ولا اطناب فاقول قد ذكر الله تعالى الخلافة بقوله فى اواخر سورة النور وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم ما قبض نبى الا خلفه رجل من امته وقال بعض السلف ان الله تعالى لا يميت ذا فضيلة حتى يوجد فى تلك السنة من يقوم بتلك الفضيلة واعلم انه لا يصلح للخلافة الا من يكون طاهر النفس لان لها نجاسة كما ان للبدن نجاسة لكن نجاسة البدن تدرك بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك الا بالبصيرة ومن كلام على رضى الله عنه اللهم انك تعلم انه لم يكن الذى كان منا منافسة فى سلطان ولا التماس شى من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح فى بلادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم انى اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة وقد علمتم انه لا ينبغى ان يكون على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون فى اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافى فيقطعهم بجفايه ولا الخايف للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الامة واعلم ان الخلفا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدة التى نص عليها خمسة فاولهم ابو بكر رضى الله عنه واسمه عبد الله

سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان كان اسمه قبل الاسلام عبد
الكعبة وسماه ايضا عتيقا فقال هذا عتيق الله من النار وقيل لحسن وجهه
من العتاقة وهي الحسن وفيه خمسة اقوال اخر ذكرها صاحب مطالع الانوار
فيه ويلتقي نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وله
في الاسلام المواقف الرفيعة منها قصته ليلة الاسرا وثباته وجوابه
للكفار بالتصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره كما تقدم في
الاسرا وبذلك سمي الصديق ومنها هجرته مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وثباته وخطبته الناس وتسكينهم ثم قيامه في قضية البيعة
لمصلحة المسلمين وكان اعلم الناس وازهدهم واكثرهم تواضعا في اخلاقه
ولباسه ومطعمه وكان لبسه في خلافته الشملة والعباه وكان اذا مدح
يقول اللهم انت اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني
خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون وهو اول
خليفة في الاسلام اجمعت الامة على خلافته وقدمته الصحابة رضي الله
عنهم لفضله وفي المصابيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر
وعمر سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين
والمراد بالكهول الكهولة قبل دخول الجنة والا فلا كهولة فيها وقال صلى الله
عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا واتت امراة الى النبي
صلى الله عليه وسلم فكلمته في شيء فامرها ان ترجع اليه قالت يا رسول الله
ارايت ان جيت ولم اجدك كانها تريد الموت قال ان لم تجديني فاتي ابا بكر
وعن محمد بن الحنيفة رضي الله عنه وعن ابيه قال قلت لابي يعني عليا رضي
الله عنه اي الناس خير بعد النبي قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت ان
يقول ثم عثمان قلت ثم انت قال ما انا الا رجل من المسلمين وقال صلى الله
عليه وسلم ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا بكر فان له عندنا
يدا يكافيه الله به يوم القيامة وما نفعني مال احد قط ما نفعني مال
ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الا وان صاحبكم خليل الله
وقال ابن الجوزي في المنتخب هو اول من اسلم من الرجال ومن النسا خديجة
ومن الصبيان علي رضي الله عنه ومن الموالي زيد ومن الانصار جابر بن
عبد الله بن رياب ومرض ومرض مرة فعاده الناس فقالوا الا ندعو لك يا خليفة رسول
الله الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي قالوا ما قال لك فقال قال
اني فعال لما اريد وجاءته عايشة رضي الله عنها وعنه وهو يعالج الميت ونفسه
في صدره فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى … اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر اليها كالغضبان ثم قال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق

ذلك ما كنت عنه تحيد رضي الله عنه اقول حشرج بالمهملة اوله ثم معجم ثم راء
ثم جيم قال في الصحاح الحشرجة الغرغرة عند الموت وتردد النفس وبويع
له بالخلافة في يوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سقيفة
بني ساعدة في العشر الاوسط من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة
وامتنع جماعة من بيعته وقال الانصار للمهاجرين منا امير ومنكم امير وقال
جماعة مع علي رضي الله عنه وكنت قد وعدت بذكر حديث السقيفة
في الفصل السادس من الباب السابع عند ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم
فنذكره في هذا المحل قال راوي الحديث المذكور اخبرنا ابو بكر محمد بن احمد
الطالقاني قال اخبرنا ابو حيان علي بن طاهر التوحيدي قال سمرنا ليلة
عند القاضي ابي حامد احمد بن قيس العامري ببغداذ في دار ابن حسنان
في شارع الماذيان فتصرف بنا الحديث كل متصرف فجرى حديث السقيفة
وشان الخلافة فركب كل منا متنا وقال قولا وعرض بشيء ونزع الى فن
انجذب اي ذهب اليه فقال القاضي ابو حامد هل فيكم من يحفظ رسالة
لابي بكر رضي الله عنه الى علي رضي الله عنه وجواب علي له ومبايعته اياه
عقيب تلك المناظرة فقالت الجماعة التي بين يديه لا والله هي من خبايا
الحقاق جمع حق وخفيات الصناديق في الخزاين ومذ حفظتها ما رويتها
الا للمهلبي ابي محمد في ايام وزارته فكتبها عني بيده في خلوة وقال لا اعرف
على وجه الارض رسالة اعقل منها ولا ابين فانها لتدل على علم وحلم
وفصاحة وفقاهة ودهاء ودين وبعد غور وشدة غوص فقال
له العبادانى ايها القاضي لو اتممت المنة بروايتها سمعناها ونحن اوعى
لها عنك من المهلبي واوجب ذماما عليك فاندفع وقال حدثنا الخزاعي
بمكة قال حدثنا ابن ابي ميسرة قال حدثنا محمد بن فليح قال حدثنا عيسى بن
داب قال حدثنا صالح بن كيسان بفتح الكاف ويزيد بن رومان بضم الراء
وكان معلم عبد الملك بن مروان قال حدثنا هشام بن عروة عن ابيه قال حدثنا
ابو التياح بتاء فوقيه يتلوها اخر الحروف مشددة مولى ابي عبيدة بن الجراح
قال سمعت ابا عبيدة رضي الله عنه يقول لما استقامت الخلافة لابي بكر رضي
الله عنه بين المهاجرين والانصار ولحظ بعين الهيبة والوقار وان
كان لم يزل كذلك بعد هنة كاد الشيطان بها فدفع الله شرها
وادحض عسرها ويسر خيرها ورد كيدها وقصم ظهر النفاق ورفع
من بينهما الشقاق بلغ ابا بكر الصديق عن علي رضي الله عنهما تلكؤ وشماس
وتهمهم ونفاس وكره ان يتمادى الحال وتبدو العورة وتتفاح
ذات البين ويصير ذلك ذريئة لجاهل مغرور او عاقل ذي دهاء نحرير
او صاحب سلامة ضعيف القلب خوار العنان دعاني فحضرته في خلوة وعنده

ونفع اهل النفاق
وتتفرج
ذربة

عمر وحده ، وكان عمر قبسًا له ، وظهيرًا معه ، يستضئ برايه ، ويستملي عن
لسانه ، فقال لي يا ابا عبيدة ما ايمن ناصيتك ، وابين الخير بين عارضيك
ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط ، والمحل المغبوط
ولقد قال فيك ونحن شهود ، في يوم مشهود ، ابو عبيدة امين هذه الامة
وكم ما اعز الاسلام بك ، واصلح نائره على يديك ، ولم تزل للدين ملجأ
وللمؤمنين روحا ، ولاهلك ركنا ، ولاخوانك ردا ، وقد اردتك لامر
ما بعده خطر مخوف ، وصلاحه معروف ، ولئن لم يندمل جرحه ، بسبارك
ورفقك ، ولم تجب حيته ، برقيتك ونفثك ، فقد وقع الياس ، واعضل
الباس ، واحتيج بعد ذلك الى ما هو امر من ذلك واعلق ، واعسر منه واغلق
والله اسال تمامه بك ، ونظامه على يديك ، فتات يا ابا عبيدة وتلطف فيه
وانصح لله ولرسوله ، ولهذه العصابة ، غير آل جهدا ، ولا قال حدا ، والله
كاليك وناصرك وهاديك ومبصرك ، ان شاء الله ، وبه الحول والقوة ، امض
الى علي ، واخفض جناحك له ، واغضض من صوتك عنده ، واعلم انه من سلالة
ابي طالب ، ومكانه ممن فقدناه بالامس مكانه ، وقل له البحر مغرقه ، والبر مفرقه
والجو كلف ، والليل اغلف ، والسماء جلواء ، والارض صلعاء ، والصعود متعذر
والهبوط متعسر ، والحق عطوف رؤف ، والباطل شنوف عنوف ، والعجب رايد
البوار ، والتعريض سجار الفتنة ، والقحة تقريب لعداوة ، وهذا الشيطان
متكئ بشماله ، متحلب بيمينه ، نافخ حضنيه لاهله ، ينتظر الشتات والفرقة
ويدب بين الامة ، بالشحناء والعداوة ، عنادا لله اولا ، ولرسوله ثانيا ، ولدينه ثالثا
يوسوس بالفجور ، ويدلي بالغرور ، ويمني اهل الشرور ، ويوحي الى اوليائه بالباطل
والزور ، دابا له منذ كان على عهد ابينا آدم عليه السلام ، وعادة منه منذ
اهانه الله في سالف الدهر ، لا ينجى منه الا بعض الناجذ على الحق ، وغض الطرف عن
الباطل ، ووطء هامة عدو الله تعالى وعدو الدين ، بالاشد فالاشد ، والاجد
فالاجد ، واسلام النفس لله عز وجل فيما حاز رضاه ، وتجنب سخطه ، ولا بد الآن
من قول ينفع ، اذ قد اضر السكوت وخيف غبه ، ولقد ارشدك من افاء ضالتك
وصافاك من احيا مودته لك بعتابك ، واثر الخير من اراد البقيا معك ، ما هذا
الذي سول لك نفسك ، وتدوى به قلبك ، ويلتوي عليه رايك ، ويتخاوص دونه
طرفك ، ويستشري فيه ظنك ، ويسري فيه ضغنك ، ويتراد معه نفسك
ويكثر عنده صعداؤك ، ولا يفيض به لسانك ، اعجمة بعد افصاح ، التبس بعد
اتضاح ، ادين غير دين الله ، وكتاب غير قرآن الله ، اهدي غير هدي محمد عليه
السلام ، امثلي يمشى له الضراء ، ويدب له الخمر ، ام مثلك ينقبض عليه الفضاء
ويكسف في عينه القمراء ، ما هذه القعقعة بالشنان ، وما هذه الوعوعة باللسان
انك جد عارف باستجابتنا لله ولرسوله ، وخروجنا من اموالنا واولادنا واوطاننا

واجتنا

واحتسابه ، هجرة الى الله ، ونصرة لدينه ، في زمان انت فيه في كن الصبا ، وخدر
الغرارة ، غافل عما تشيب وتريب ، لا تعي ما يراد ويساد ، ولا تحصل ما يساق ويقاد
سوى ما انت جار عليه الى غايتك التي اليها عدي بك ، وعندها حط رحلك
غير مجهول القدر ، ولا مجحود الفضل ، ونحن في اثناء ذلك ، نعاني احوالا تزيل الرواسي
ونقاسي اهوالا ، تشيب النواصي ، خائضين غمارها ، وراكبين تيارها ، نتجرع
صابها ، ونشرج عيابها ، ونحكم اساسها ، ونبرم امراسها
والعيون تحدج بالحسد ، والانوف تعطس بالكبر ، والصدور تستعر بالغيظ
والاعناق تتطاول بالفخر والشعار ، وتشحذ بالمكر ، والارض تميد بالحرب ، ولا
ننتظر عند المساء صباحا ، ولا عند الصباح مساء ، ولا ندفع في نحر امر الا
بعد ان نحسو الموت دونه ، ولا نبلغ الى شئ الا بعد جرع الصاب معه ، ولا
نقوم منا اودا الا بعد الياس من الحياة عنده ، فادين في كل ذلك لرسول الله
بالاب والام ، والخال والعم ، والسيد والتبد ، والاهلة والبلد ، بطيب
الانفس ، وقرة اعين ، ورحب اعطاف ، وثبات عزايم ، وصحة عقود ، وطلاقة
اوجه ، وذلاقة السن ، هذا الى خفيات اسرار ، ومكنونات اخبار ، كنت
عنها غافلا ، ولولا سنك لم تكن عن شئ منها ناكلا ، كيف وفؤادك مشهوم
وعودك معجوم ، وغيبك مخبور ، والقول فيك كثير ، والآن قد بلغ الله بك
وارهص الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم اقول ما تسمع
فارتقب زمانك ، وقلص اليه اردانك ، دع التجسس والتعبس لمن لا يظلع
لك اذا خطا ، ولا يتزحزح عنك اذا عطا ، فالامر غض ، والنفوس فيها
مض ، وانك اديم هذه الامة ، فلا تحلم لجاجا ، وسيفها العضب ، فلا تنب
اعوجاجا ، وماؤها العذب ، فلا تحل اجاجا ، ولقد سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن هذا الامر فقال لي يا ابا بكر هو لمن يرغب عنه ، لا لمن
يجاحش عليه ، ولمن يتضاءل له ، لا لمن ينتفج اليه ، هو لمن يقال هو لك
لا لمن يقول هو لي ، والله لقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الصهر فذكر فتيانا من قريش فقلت له اين انت عن علي فقال اني لاكره
لفاطمة ميعة شبابه ، وحداثة سنه ، فقلت له متى كنفته يدك
ورعته عينك ، حفت بهما البركة ، وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير
خطبت به ، ورغبته فيك ، وما كنت عرفت منك في ذلك حوجا ، ولا لوجا
وانا الذي ارى مكان غيرك ، واجد رايحة سوالك ، وكنت لك اذ ذاك
خيرا منك الآن لي ، ولئن كان عرض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم في
هذا الامر فقد كنى عن غيرك ، وان كان قال فيك ، فما سكت عن سواك ، وان
تلجلج في نفسك شئ ، فهلم فالحكم مرضي ، والصواب مسموع ، والحق مطاع ، وقد
نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما عند الله وهو عن هذه العصابة

رابض • وعليها حدب عاطف • يسره ما يسرها • ويسوءه ما ساءها • ويحفظه
ويكيده ما كادها • ويرضيه ما ارضاها • ويسخطه ما اسخطها • الم تعلم
انه لم يدع احدا من اصحابه • وخلطائه • واقاربه • وسجرائه • الا ابانه
بفضيلة • وخصه بمزية • وافرده بحالة • ولو اصفقت الامة عليه لكان عنده
اياتها • وكفالتها • وكرامتها • وعزازتها • اتظن انه صلى الله عليه وسلم
ترك الامة نشرا سدى • نبذا بددا اعداء • مناهل عباهل طلاحى • مفتونة
بالباطل • مغبونة عن الحق • لا زائد • ولا رائد • ولا حافظ • ولا رابط • ولا
ساقى • ولا واقى • ولا هادى • ولا حادى • كلا والله ما اشتاق الى ربه تعالى
ولا ساله رضوانه • الا بعد ان ضرب للتقوى • واوضح الهدى • وامن المهالك
والمطارح • وسهل المبارك والمهايع • ما احتضر الا بعد ما شدخ يافوخ
الشرك باذن الله • وشرح وجه النفاق لوجه الله • وتفل فى عين الشيطان
بعون الله • وقرع انف الفتنة فى ذات الله • وصدع بملء فيه ويده بامر
الله وبعد فهولاء المهاجرون والانصار عندك ومعك فى دار واحدة
وبقعة جامعة • فان استقالونى واشاروا على بك • فانا واضع يدى
فى يدك • وصاير الى رايهم فيك • وان تكن الاخرى • فادخل فى صالح ما
دخل المسلمون فيه • وكن العون على مصالحهم • والفاتح لمغالقهم • والمرشد
لضالهم • والرادع لغاويهم • فقد امر الله بالتعاون على البر والتقوى •
واهاب الى التناصر على الحق • ودعنا نقضى هذه الحيوة الدنيا بصدور برية
عن الغل ونلقى الله بقلوب سليمة من الضغن • وبعد فالناس ثمامة •
فارفق بهم • واحن عليهم • وكن لهم • ولا تكن عليهم • ولا تسوءنفسك
بنا خاصة فيهم • واترك ناجم الحقد حصيدا • وطائر الشر واقعا • وباب
الفتنة مغلقا • لا قيل ولا قال • ولا تتبع ولا لوم • والله على ما اقول
شهيد • وبما نحن عليه بصير • قال ابو عبيدة فلما تهيات للنهوض قال
لى عمر كن لى لدى الباب هنيهة فان لى معك دور امن القول فوقفت ولا
ادرى ما كان بعدى الا انه لحقنى بوجه يندى تهللا • وقال لى قل لعلى
الرقاد محلمة • واللجاج ملحمة • والهوى مقحمة • وما منا الا له مقام معلوم
وحق مشاع او مقسوم • ونبا ظاهر او مكتوم • وان اكيس الكيس من منح
الشارد تالفا • وقارب البعيد تلطفا • ووزن كل امر بميزانه • ولم
يخلط خبره بعيانه • ولم يجعل فتره مكان شبره • دينا كان ذلك او
دنيا ضلالا كان او هدى • ولا خير فى معرفة مشوبة بنكر • ولا خير فى
علم معتمل فى جهل شر
• ولسنا كجلدة رفغ البعير • بين العجان وبين الذنب •
وكل صال فبناره • وكل سيل الى قراره • فما كان سكوت هذه العصابة الى

هذه الغاية

هذه الغاية لعى او عى ولا لخرق ولا لخص ولا كلا منها الآن لعرق
ولا ادفق فقد جزع الله بمحمد عليه السلام انف كل ذى كبر وقصم ظهر كل جبار
وقطع لسان كل كذوب فماذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخنزوانه
فى فراش راسك وما هذا الشجى المعترض فى مدارج انفاسك وما هذه
الا وجرة الذى قد اكلت شراسيفك والقذاة التى قد اغشت ناظريك
وما هذا الدخس والدس اللذان يدلان على ضيق الباع وخور الطباع
وما هذا الذى ليست بسبب جلد النمر واشتملت عليه بالشحنا والنكر
لشد ما استسعيت لها وسربت سرى فقدا ليها ان العوان لا تعلم الخمرة
وان الحصان لا تكلم جبره وما احوج القرعا الى فال وما افقر الصلعا
الى جثال لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر معقد محتبس
ليس لاحد فيه مطمع ولا ملمس لم يشرخك قولا ولم يستنزل لجذ قرآنا
ولم يحجج فى شانك حكم ولسنا فى كسروية كسرى ولا فى قيصرية قيصر
تانك لاخوان فارس وابناء الاصفر قوم جعلهم الله جزرا لسيوفنا وخرزا
لرماحنا ومشرعا لطعاننا وتبعا لسلطاننا بل نحن فى نور نبوة وضياء
رسالة وثمرة حكمة واثرة دولة وعنوان نعمة وظل عصمة بين امة
مهدية بالحق والصدق مامونة على الفتق والرتق لها من نصرة الله ناب
ابى وساعد قوى ويد ناصرة وعين باصرة اتظن ان ابا بكر وثب على هذا
الامر مفتاتا على الامة خادعا لها ومتسلطا عليها اتراه امتلخ احلامها
وازاغ ابصارها وحل عقودها واحال عقولها واستل من صدورها
حميتها وانتزع من اكبادها عصبيتها وانتكث رشاها وانضب ماءها
واضلها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها ليلا ووزنها
كيلا ويقظتها رقادا وصلاحها فسادا لئن كان هذا هكذا ان سحره
لمبين وان كيده لمتين كلا والله باى خيل ورجل وباى سنان ونصل
وباى قوة ومنة وباى قدرة ومكنة وباى ذخر وعدة وباى ايد وشدة
وباى عشيرة واسرة وباى تدرع وبسطة ولقد اصبح عندى ما وسمته
منيع الرقبة رفيع العتبة لا والله لكن سلا عنها فولهت له وتطامن
لها فلصقت به ومال عنها فمالت اليه وتشمر دونها فاشتملت عليه
حبوة حباه الله لها وعاقبة بلغه الله اليها ونعمة سربله جمالها ويدا
اوجب الله عليه شكرها وامة نظر الله به اليها وطالما حلقت فوقه
فى ايام النبى صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت لفتها ولا يرتصد وقتها
والله اعلم بخلقه واراف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة وانك بحيث
لا يجهل موضعك من بيت النبوة ومعدن الرسالة وكهف الحكمة ولا
يجحد حقك فيما اتاك ربك من العلم ولكن لك من يزاحم بمنكب اضخم من منكبك

وتربي امس من قرابتك وقوى امتن من قرابتك وسنا على من سنك
وشيبة اروع من شيبتك وسيادة لها عرق في الجاهلية نازع وفرع
في الاسلام والشريعة ناض ومواقف ليس لك فيها موباع ولا اصبع لا
سايبة ولا هدى ومالك فيها جمل ولا ناقة ولا تذكر في مقدمة ولا ساقة
ولا تضرب فيها بذراع ولا باصبع ولا تخرج منها ببازل ولا هبع فان
عزرت نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاغيتك فاعزرنا فيما تسمع عذرت
فيه من لين وسكون ممن لا تبعده ولا تناضله عليه ولئن حدثت
نفسك بهذا الامر ليتجسن عليك ما يلهيك عن الاول وينسيك الثاني
ولولا علم من عرضنا له مما في نفسنا له وعليه ما سكت ولا اتخذته
وليجة الى بعض الارث واما الصديق ابو بكر فلم يزل حبه قلب رسول الله
وعلاقة همه وعيبة سره وسوى حزنه ومفزع رايه ومشورته وراحة
كفه ومرمق طرفه وذلك كله بمحضر من الصادر والوارد من المهاجرين
والانصار شهرته مغنية عن الدلالة عليه ولعمري انك اقرب الى رسول الله
قرابة ولكنه اقرب منك اليه قربة والقرابة لحم ودم والقربة روح ونفس
وهذا فرق عرفه المؤمنون ولذلك صاروا اليه اجمعون ومهما شككت فيه
فلا تشك في ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لاهل الطاعة فادخل في صالح
ما دخل المسلمون فيه فانه خير لك اليوم وانفع لك غدا والفظ من فيك
ما تعلق بلهاتك وانفث سخيمة صدرك عن نفثاتك فان يكن في الامد طول
وفي الاجل فسحة فستاكله هنيا او غير هني وستشربه مريا او غير مري
حين لا راد لقولك الا من كان ظامعا فيك ولا تابع لك الا من كان طامعا
يمص اهابك ويعرك اديمك ويزري على هديك هنالك تقرع السن من
ندم وتجرع الماء ممزوجا بدم وحينئذ تاسى على ما مضى من عمرك ودارج قومك
فتود ان لو سقيت بالكاس التي ابيتها ورددت الى حالك التي استغربتها
ولله فينا وفيك امر هو بالغه وغيب هو شاهده وعاقبة هو المرجو لسرائها
وضرائها وهو الولي الحميد قال ابو عبيدة رضي الله عنه فمشيت مترجلا اتوجى
كانما اخطو على ام راسي فرقا من الفرقة وشفقا على الامة حتى وصلت
الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه في خلاء فابثثته بثي كله وبرئت اليه منه
ورفقت له فلما سمعها ووعاها وسرت في اوصاله حمياها قال حلت معلوطة
وولت مخروطة خلي لا خليت به النفس ادنى بها من ان اقول لها ثم قال
احدى لياليك فهيسي هيسي لا تنعمي الليلة بالتعريس نعم يا ابا عبيدة اكل
هذا في انفس القوم يحسون به ويضطبعون عليه فقلت لا جواب لك
عندي وانما انا قاض حق الدين وراتق فتق الملة وساد ثلمة الامة يعلم
الله ذلك من جلجلان قلبي وقرارة نفسي فقال علي رضي الله عنه والله ما كان

نعودي في كسر هذا البيت قصد الخلاف ولا انكارا للمعروف ولا زراية على
مسلم بل لما وقذني به رسول الله بفراقه واودعني الحزن بفقده وذلك اني
لم اشهد بعده مشهدا الا جدد على حزنا وذكرني شجنا وان الشوق الى
اللحاق به كاف عن الطمع في غيره وقد عكفت على عهد الله انظر فيه واجمع
ما تفرق منه رجاء ثواب معد لمن اخلص عمله وسلم لعلمه ومشيئته
امره على اني ما علمت ان التظاهر على واقع ولي عن الحق الذي سيق الي دافع
فاذ قد افعم بك الوادي وحشد من اجلي النادي فلا مرحبا بما ساء احدا
من المسلمين وفي النفس كلام لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت
غيظي بخنصري وبنصري وخضت لجته باخمصي ومفرقي ولكني ملجم الى ان بحكم
القى الله وعنده احتسب ما نزل بي وانا غاد الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم
وصابر على ما ساءني وسرّكم ليقضي الله امرا كان مفعولا وكان الله على
كل شيء شهيدا قال ابو عبيدة فعدت الى ابي بكر وعمر فقصصت القول على غرة
ولم اختزل شيئا من حلوه ومره وذكرت غدوه الى المسجد فلما كان صباح
يومئذ وافى علي فخرق الجماعة الى ابي بكر وبايعه وقال خيرا ووصف جميلا
وجلس زميتا واستاذن القيام فنهض فشيعه عمر تكرمة له واستثباتا
لما عنده ثم قام اليه ابو بكر واخذ بيد علي وقال ان عصابة انت فيها
لمعصومة وان امة انت فيها لمرحومة ولقد اصبحت عزيزا علينا كريما
لدينا نخاف الله اذا سخطت ونرجوه اذا رضيت ولولا اني شهدت لما
اجبت الى ما دعيت ولقد خط الله عن ظهرك ما اثقل به كاهلي ولقد
حظك الله بالكفاية وعين الرعاية وانا اليك لمحتاجون وبفضلك
عالمون والى الله في جميع الاحوال راغبون ثم انصرف عنه وتركه مع عمر
ثم التفت علي الى عمر رضي الله عنهما فقال يا ابا حفص والله ما قعدت عن
صاحبكم كارها له ولا اتيته فرقا منه ولا اقول ما اقول تعلة واني
لاعرف مسمى طرفي ومخطى قدمي ومنزع قوسي وموقع سهمي ولكني ازمت
على ما في نفسي ثقة بالله في الادالة في الدنيا والاخرة فقال عمر غير مكذب له
ولا مبطل لعذره كفكف غربك واستوقف سربك ودع العصا بلحائها
والدلا على رشائها فانا من خلفها وورائها ان قدحنا اورينا وان قرحنا
ادمينا وان نفحنا اربينا ولقد سمعت اماثيلك التي لغوت بها عن صدر
اكل بالجوى ولو شئت لقلت على مقالتك ما اذا سمعته ندمت على ما قلت
ازعمت انك قعدت في كسر بيتك لما وقذك به رسول الله فرسول الله وقذ
وحدك ولم يقذ سواك بل مصابه اعز واعظم من ذلك وان من حق مصابه
ان لا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها ولا خطام عليها ولا يذري على
اختيارها بما لا يؤمن كيد الشيطان في عقباها هذه العرب حولنا والله

لو تداعت علينا فی مصبح يوم لم نلتق فی ممساه وزعمت ان الشوق الى اللحاق به
كان عن الطمع فی غيره فان الشوق اليه نصرة دينه او موالاة اولياء الله
ومعاونتهم فيه وزعمت انك قد عكفت على عبد الله عليك بجمع ما تبدد منه
فمن العكوف على عبد الله النصيحة لعباده والرافة على خلقه وبذل ما يصلح
به ويرشدون اليه وزعمت ان التظاهر عليك واقع فای تظاهر وقع
عليك وای حق لط به دونك فقد علمت ما قالت الانصار بالامس سرا وجهرا
وما تقلبت عليه بطنا وظهرا فهل ذكرتك او اشارت اليك او وجدت
رضاها عندك وهولاء المهاجرون من الذی قال بلسانه او اشار ببنانه
انك تصلح لهذا الامر او اوما بعينه او همهم فی نفسه اتظن ان الناس
ضلوا من اجلك او عادوا كفارا زهدا فيك وباعوا الله ورسوله تحاملا
عليك لا والله لقد جاءنی عقيل بن زياد الخزرجی ومعه نبرخس بن يعقوب الخزرجی
وقالوا ان عليا ينتظر الامامة ويزعم انه اولی بها من غيره وينكر على من يقعد
الخلافة فانكرت عليهم ورددت القول فی نحورهم حتى قالوا اعتزل ينتظر الوحی
او يتوكف مناجاة الملك فقلت ذلك امر طواه الله بعد محمد عليه الصلاة والسلام
كان الامر معقود بانشوطة يسهل انحلالها او مشدود باطراف ليطة كلا
والله ان العناية لمخلفه وان الشجرة لمورقه ولا بحمد الله الا وقد افصحت
ولا شوكاء الا وقد تنقحت ومن اعجب شانك قولك لولا سابق قول وسالف
عهد لشفيت غيظی بخنصری وبنصری وهل ترك الدين لاحد على اهله ان يشفی
غيظه بيده او لسانه تلك جاهلية قد استاصل الله شافتها واقتلع جرثومتها
وهور ليلها وغور سيلها وابدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان
وزعمت انك ملجم فلعمری ان من اتقى الله واثر رضاه وطلب ما عنده امسك لسانه
واطبق فاه وجعل سعيه لما وراه فقال علی رضی الله عنه مهلا مهلا ابا حفص
والله ما بذلت ما بذلت وانا اريد نكثه ولا اقررت بما اقررت وانا ابغی حولا
عنه وان اخسر الناس صفقة عند الله من آثر النفاق واحتضن الشقاق
وفی الله سلوة عن كل حادث وعليه التوكل فی جميع الحوادث ارجع ابا حفص
الی مجلسك ناقع القلب مبرود الغليل فسيح البال فليس وراء ما سمعت
وقلت الا ما يشد الازر ويحط الوزر ويضع الاصر ويجمع الالفة ويرفع
الكلفة ويوقع الزلفة بمعونة الله وحسن توفيقه قال ابو عبيدة فانصرف
عمر وهذا اصعب ما مر بنا صبيحة بعد فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقول وقد تعين ان اذكر ما فی هذه الرسالة من اللغة فما لم اعزه الى كتاب فهو من
الصحاح هَنَة هی خصلة الشر وبنات الهنات كاد من الكيد وهو المكر ادحن ابطل
غز بالعين المهملة المكروه تلكوء بالفوقية المثناة تبطوء شماس بالمعجمة اوله والمهملة
آخره عداوة تهمهم ترديد الصوت فی الصدر نفاس لعله من ترديد بفتح الفاء

المهملة بالعين والزاي

لشده

لشدة فی النفس بسكونها كذا فی بعض الحواشی والصعداء بالمد تنفس ممدود بتمادی
بتطاول دَرْبه عاده ظهيره تقدم فی الباب الخامس والسادس المحوط ای المحفوظ
المغبوط الحسن الحال رذاء رداء عونا بسبارك سبرت الجرح اسبره اذا نظرت
ما غوره اعضل الامر اشتد واستغلق اعلق ای عسر الانفتاح والانفراج
كذا على الاصل آل مقصر كذلك قابل ها جركذلك على الاصل وفی الصحاح سمغفص
يحلؤك يحفظك ويحرسك كذا عليه اوفض اندفع البحر مغرقه ای لا تخاطر بنفسك
فی البحر فتغرق كذا على هامش الاصل والبر مغرقه بالهامش من الغرق وهو الخوف
ای لا تخاطر فی البر فانه مخوف الجو اكلف بالهامش هو لون بين السواد والحمرة
الليل اغلف بالهامش الغلف السواد ای ليس تدری ما فيهما فلا تتكلف بالاعتساف
فيهما السماء جلواء بالهامش لا سحاب فيها يعنی اذا امر الخلافة منكشف لا شك
فيه والارض صلعاء بالهامش ای لا نبات فيها ای لا تطمع فيها وفی الصحاح
الصلعاء ما ليس فيه شجر والباطل شنوف عنوف وفی نسخة لسوف مكان
شنوف وفی الهامش هی الناقة التی تقلع البيت من اصلها يعنی الباطل لا يبقی
شيئا اذا اتى عليه الضغن الحقد وهما العداوة المخفية وليد البوار طالب
الهلاك سجار الفتنة ای محميها من سجر التنور اللقعة على الهامش من وقع فی
الناس وقبعه انتهى ويحتمل ان يكون بتقديم العين على القاف من العقوق
نافج حضنيه يقال نفج ثدی المرأة قميصها ای رفعه وحضناه جانباه الشحناء
العداوة الفجور الفسق والكذب يدلی بالغرور ای يوقع فيهما اراد من تغريره
وهو من ادلاء الدلو يمنی اهل الشرور ای يشهيهم ويرجح عندهم فعل الشر
دائب له بالدال المهملة ای جد واجتهاد مخصوصا به الناجذ بالذال المعجمة
ضرس الحلم لانه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل وهو آخر الاضراس والاسنان
اربعة تواجذ فی اقصى الاسنان بعد الارحاء الهامة بتخفيف الميم الراس
السخط والسخط بتحريك السين والخاء بالفتحة فی الاول وبضم السين والخاء
فی الثانی هو الغضب خلاف الرضا خيف غبته بغين معجمة مكسورة وباء
موحدة مشددة عاقبته اما ضالتك ای رجعها وردها سولت له نفسه
امرا ای زينته له يدوی به قلبك ای يضعف يتخاوص بالهامش ينظر وفی الصحاح
رجل اخوص بالخاء المعجمة والصاد المهملة بين الخوص ای غائر العين يشری بالشين
المعجمة فيه ظنك ای يلج بالجيم المشددة ويسری فيك ضغنك بالسين المهملة
يغيض به لسانك ای لا يبيح الهدى لسيرة يمشی له الضراء ويدب له الخمر بالهامش
الخمر موضع ملتف كثير الشجر ومعناه اتريد خلافی واصله من استتار الصائد
خلف الضراء والخمراء يغص عليه الفضاء ای يضيق كذا بهامش الاصل ما
هذه القعقعة بالشنان على هامش الاصل القعقعة ضرب اليد باليد وضرب الصوت
على الشن او غيره لطرد السباع المؤذية عن المراعی والمواشی والشنان جمع شن

وهو القربة البالية وفي الصحاح القعقعة حكاية صوت السلاح ونحوه وفي المثل
يقعقع لي بالشنان الوغوعة يقال خطيب وغواغ وهو نعت حسن والوعوعة
صوت الذئب في كن الضبا ستره وخبآؤه الحذر تقدم في الباب السابع الغراره
حداثة السن يشيب ويريب اي غافل عما يوجب الشيب من الحوادث المهولة
وما يريب اي ما يوجب وقوع الريبه وهي التهمه غير مجهول القدر اي غير مجهول
قدر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الرواسي الجبال الشداد نها
خايضين غمارها اي ماءها الكثير نتجرع صابها مرارتها قال في الصحاح
الصبا بعصارة شجر مر ونشرع عبابها موجها اي نخوضه وندخله نبرم امراسها
المرسه الحبل والجمع مرس وجمع المرس امراس والعيون تخدج بالحسد ترمي الحد
خدجه ببصره رماه به والشفار تشحذ الشفا رجمع شفرة وهي بفتح الشين
المعجمة السكين العظيم وحد السيف وتشحذ اي تسن تيد تضطرب الحسو بالحا
والسين المهملتين الشرب والتجرع دتجرع تحسوا الصاب تقدم متاوذا متوحا
نادين من الغدا بالمد والقصر سبد ولبد بها من الاصل يقال ماله سبد ولا
لبد اي لا صوف ولا شعر ويراد به الغنم والابل وفي الصحاح اي ماله قليل ولا كثير
عن الاصمعي وقال السبد من الشعر واللبد من الصوف الهلة والبلة بهامش
الاصل اي الرطب واليابس وفي الصحاح ما اصاب عنده هلة ولا بلة اي شيئا
عود لا معجوم العجم العض وقد عجمت العود اعجمه بالضم اذا عضضته لتعرف
صلابته من خوره والعواجم الاسنان وعجمت عوده اي بلوت امره وخبرت
حاله غبن مخبور اي ما تخفيه معلوم وارهص لك الخير هو ارهص بكسر الراء اي ثبت
لك العرق الاسفل من الحائط بما يقيمه اي ثبت لك الخير وقلص اليد ارادانه اي
ارفع او اضم الاملاجمع رد بضم اوله التحبس حبس النفس على شيء عبس وجهه
اي كلح للمبالغة لا يضلع لا يميل ولا يعوج اذا عطا بالعين المهملة اي ما انا
متزحزح لك اذا تناولت شيئا بيدي فلا ارغض يعني ان موت رسول الله صلى الله
عليه وسلم طري لم ييبس ولا نغس فيها مغر وجع وحرقة لموته الاديم الوجه
فلا تحم لجاجا اي لا تعجل بالشيء حتى تراه في حلمك وبهامش الاصل حلم الاديم اذا فسد
وتغير العضب القاطع فلا ينبو اعوجاجا نبا السيف اذا لم يعمل في الضريبه اي لا ينبو
لا عوجاجه اي لا تكن غير قاطع لاعوجاجك عن الحق رغب عنه لم يرده يجاحش
يدافع عليه يتضادل يستضعف نفسه يتنفج اي يثور اي يثب ميعة شبابه
اما نشاطه يعني حداثة شبابه او اول شبابه يعني صغر سنه وهي انه منه
ديوبه ما بعده كتفته بدك اي حفضته اصفقت على كذا اي اطبقت عليه
الابالة السياسة نشراكم اي منتشرين كالغنم اذا انتشر ليلا بلا راع مهملين بددا
متفرقين عدا متعادين مناهل على الهامش عطاشا وفي الصحاح الناهل العطشان
والريان وهو من الاضداد وجمعه نهل بالتحريك وجمع نهل نهال كجبل وجبال واما المناهل

فهو جمع منهل المورد وهو غير ماء ترده الابل في المراعي وتسمى المنازل التي في المفاوز
على طرق السفار مناهل لان فيها ماء عباهل اي مهملين عبهل الابل اي اهملها
وابل معبهله لا راعي لها ولا حافظ طلاحي على الهامش يعني كالجمال التي اكلت الطلح
فاشتكت بطونها انتهى والطلح شجر عظام من شجر العضاة كذا في الصحاح معقولة
عن الحق اي مربوطة بعنا محجوبة به عن الحق الذايد بالمعجم اوله والمهمله آخره الحامي
الرايد الذي يرتاد مكان القوت اي يطلبه للماشية ولا حادي الظاهر انه بالحاء
المهمله اوله والدال المهمله اي يحدوها وبالزاي بعد الحاء المعجم اي من يسوسها
وهذه الكلمات كلها بمعنى انه صلى الله عليه وسلم لم يترك امر الاسلام واهمله هملا
الصوى في الهامش جمع صوة وهي العلامة التي يهتدى بها في الطريق الماتح
بالهامش الابار التي يستقى منها للابل شدخ هو كسر الشيء الاعوج تقول شدخت راسه
فانشدخ واليا فوخ شرخ في هامش الاصل شق ولعله
بالحاء المهمله من تشريح اللحم اي جعله قطعا قدع انفه اي ضربه وهو بالدال المهملة
واهاب بالهامش دعا ثمامه الثمام نبت ضعيف له خوص او شبيه بالخوص الواحدة
ثمامة واحن عليه اعطف والناجم الناهر ذروا من القول بمعجم في اوله مفتوحة
طرفا منه ملحمه الوقعة العظيمة في الفتنة مقحم بهامش الاصل اي بالهوي يقتحم
فيما فيه الهلاك وفي الصحاح القحم بالقاف كالضبر المهلكه العجان ما بين
القبل والخصيه الرفغ الابط كذا في المغرب قال والرفغ بالضم والفتح اصل الفخذ
عن الاصمعي الارفاغ الاباط والمغابن من الجسد انتهى اللخا الضلال الخرق مثل
العرب والعجم بالتحريك الدهش من الخوف او الحياء الحصر بالمهملات وفتح الاول
والثاني العي مثل تعب بتعب وضيق الصدر الغرق بالتحريك الخوف الرفق ضد
العنف وهو الاعانة والتسهيل في الامور الخنزوانة التكبر فراش الراس سحاب رقاق
تلي القحف الشجي ما ينشب في الحلق من عظم وغيره وحره بفتح الواو وسكون المهمله
من الوحر في الصدر مثل الغل والضغن قذا بالمعجم ما يسقط في العين من التراب
اعشى ضعف اشتملت الشملة التي تلف على الراس من صوف عوض الناس المنكر المنكر
ما اخرج لها القرعا التي تضرب لها المقارعة من فال من سماع كلمة خير تتفال بها
الاصلع الذي انحسر شعر مقدم راسه اي انكشف وسقط ولم يبق عليه شعر
الجثل الكثير من الشعر وناصية جثلة معبد مذلل مختبل اي متوقف فيه على
حاله ملس ليس لاحد التماسه اي طلبه الفتق الشق والرتق الالتيام انتزع
اقتلع نضب غار ردى هلاك سجر يلبين قاطع انتهى وروت عايشة رضي
الله عنها ان عليا رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يبايع حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة اشهر لموت ابيها صلى الله عليه
وسلم فابو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحقيقة
قال الشيخ سعد الدين التفتازاني رحمه الله تعالى في شرح العقايد ما ملخصه

يعني الذي ينظر فيها لا الا سيما دون اهل الحل والعقد صح بجمعه
اهل الفساد بين الناس من اختفا الكسر
مفتوح اوله وخطاه افضح م

اجمع الصحابة على خلافة ابى بكر بعد المشاورة والمنازعة وبايعه على رضى
الله عنه على رؤس الاشهاد بعد توقف كان منه ولو لم تكن الخلافة حقا له
لما اتفق عليه الصحابة ولنازعه على رضى الله عنه كما نازع معاوية قال الشيخ
كمال الدين بن ابى شريف رحمة الله عليه سبب توقفه على انه عتب على الاستبداد
بعقد البيعة دون حضوره انتهى وقال الحافظ مغلطاى ارتدت العرب فى
ايام ابى بكر فارسل الجيوش اليهم فابادوا من اصر منهم على كفره وارسل خالدا
الى العراق وعمرو بن العاص الى فلسطين ويزيد بن ابى سفيان وابا عبيدة
وشرجيل بن حسنة الى الشام انتهى اقول وشرجيل هذا ابن عبد الله وحسنة
امه عرف بها توفى فى سنة ثمان عشرة وقبره يزار على جبل ملاصق لقصبة
اسمها كلز بكسر الكاف واللام مشددة وزاى وهى من مضافات حلب مسيرة
يوم للمجد فى الايام الطوال واجتهد ابو بكر فى تجهيز جيش اسامة وخالفه الصحابة
فقال لو بقيت وحدى حتى الكلاب ما اخرت جيشا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانفاذه والوحى ينزل وفى ايام الردة
تنبت سجاح التميمية فى بنى تغلب فاستجاب لها جماعة من العرب فقصدت
قتال ابى بكر رضى الله عنه فراسلت مالك بن نويرة الى الموادعة اى المصالحة
فاجابها ومنعها من قصد ابى بكر وحملها على احياء من بنى تميم فاجابت قالت
اعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم اغيروا على الرباب، فليس دونهم
حجاب، فذهبوا فكان بينهم مقتلة ثم ذهبت الى اليمامة فهابها مسيلمة
الكذاب وخاف ان يتشاغل بحربها فيغلبه ثمامة بن اثال عامل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاهدى لها هدية واستامنها وقال لاصحابه اضربوا لها قبة
وجمروها بالطيب لعلها تذكر الباءة ففعلوا فلما اتته قالت له اعرض على ما
عندك فقال انى اريد ان اخلو معك حتى نتدارس فلما خلت معه قالت له اقرا على
ما ياتيك به جبريل فقال الم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى، اخرج منها نسمة
تسعى من بين صفاق وحشى قالت وما انزل عليك ايضا قال الم تر ان الله خلق
النساء افواجا، وجعل الرجال لهن ازواجا، فنولج بهن ايلاجا، ثم نخرج منهن اذا شئنا
اخراجا، فينتجن لنا انتاجا فقالت صدقت انك نبى فقال لها هل لك ان اتزوجك
فيقال نبى تزوج نبية فقالت نعم فقال الا قومى الى النيك فقد هيى لك المضجع
فان شئت ففى البيت، وان شئت ففى المخدع، فان شئت فملقاة، وان
شئت على اربع، وان شئت بثلثيه، وان شئت به اجمع فقالت بل به اجمع
يا رسول الله فهو للشمل اجمع فقال بذلك قد اوحى الى فاقامت معه ثلثا ثم
خرجت الى قومها فقالت انى قد سالته فوجدت نبوته حقا وانى قد تزوجته
فقالوا مثلك لا يتزوج بغير مهر فقال مسيلمة مهرها انى قد رفعت عنكم
صلاة الفجر والعتمة ولم تزل سجاح فى اخوالها من تغلب حتى نقلهم معاوية عام

بيويع

بويع فيه فاسلمت سجاح وحسن اسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت وذكر فى
مراة الزمان ان خالد بن عبد الله القسرى البجلى اتى برجل يدعى النبوة فقال له ما اية
نبوتك قال انزل على قرآن قال وما هو قال انا اعطيناك الجماهر، فصل لربك
وهاجر، ولا تطع كل كافر وفاجر، فامر به فصلب فقال له رجل وهو يصلب
انا اعطيناك العمود، فصل لربك على عود، وانا ضامن لك ان لا تعود وفى
ايام ابى بكر رضى الله عنه تنبا طليحة بن خويلد الاسدى وتبعه جماعة وقوى
امره ومن كلامه، والحمام واليمام، والصرد الصوام، قد صمن قبلكم باعوام،
ليبلغن ملكنا العراق والشام فقاتله خالد بن الوليد رضى الله عنه فى الردة
بعد ان قتل مسيلمة وعشرة الاف من قومه كما تقدم عند دعاء النبى صلى الله
عليه وسلم المنقول بالباب السابع ثم اسلم طليحة وخرج نحو مكة معتمرا فى خلافة
ابى بكر رضى الله عنه ثم بجنبات المدينة فقيل لابى بكر هذا طليحة فقال ما
اصنع به خلوا عنه فقد اسلم وحسن اسلامه وقاتل فى الفتوحات يوم نهاوند
وكانت مع الاعاجم سنة احدى وعشرين فى خلافة عمر رضى الله عنه وسياتى
ذكر من ادعى النبوة فى النوادر اخر الملحق بالباب الثالث عشر ولما دنت وفاة ابى بكر
رضى الله عنه عهد لعمر بن الخطاب كما ياتى فى خلافته توفى بالمدينة الشريفة
ليلة الثلثا لثمان ليال بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون
سنة وكانت وفاته بالسم فقيل ان يهودية سمته فى ارز وقيل من لدغ الثعبان
له فى الغار وقيل غير ذلك وخلافته سنتان وثلاثة اشهر وعشرة ايام وقيل
غير ذلك ولما مات قام على رضى الله عنه على باب البيت الذى هو مسجى فيه فقال
كنت والله يعسوبا للمؤمنين وكنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف
تمثل شبهه على باليعسوب لسبقه غيره الى الاسلام لا لاتباع الناس له كما تتبع
النحل يعسوبها والعواصف الريح المهلكة فى البر والقواصف الريح المهلكة
فى البحر قال الله تعالى ولسليمان الريح عاصفة وقال الله تعالى فيرسل عليكم
قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم وغسلته زوجته اسماء بوصيته وصلى
عليه عمر رضى الله عنه وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
من ساج ضرب من الشجر منسوج بالليف دفن فى حجرة ابنته عايشة رضى الله
عنها ووضع راسه عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقبه كثيرة
وصفاته الحسنة غزيرة واما نقش خاتمه وخواتيم الثلاثة بعده رضى الله عنهم
سياتى فى الباب الثالث والاربعين ويأتى شئ من كلامه بالملحق بهذا الباب
خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو ابو حفص القرشى
العدوى جده عدى بن كعب يجتمع نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فى
كعب بن لوى وهو اول من لقب بامير المؤمنين وذلك انه لما ولى قال كنتم تقولون
لابى بكر خليفة رسول الله فكيف تقولون لى فقال بعضهم خليفة خليفة

رسول الله وقال بعضهم هذا يطول ويثقل ثم قال عمر الستم انتم المومنون قالوا نعم
قال الست انا اميركم قالوا نعم قال قولوا امير المومنين وقيل لقبه بذلك عدى بن
حاتم ولقب ايضا بالفاروق والصحيح انه اسم له قال النووى رحمه الله اتفقوا
على تسميته بالفاروق وروا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق الذى فرق الله به بين الحق والباطل
قال الشيخ سعد الدين الذى فرق بين الحق والباطل فى القضايا والخصومات قال
الشيخ كمال الدين ابن ابى شريف وهو مجاز لان الله تعالى فرق به بينهما كما ورد فى
الحديث ومن فضله ما ورد فى المصابيح عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه
قال استاذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة
من قريش يكلمنه عالية اصواتهن فلما استاذن عمر قمن فبادرن الحجاب فدخل
عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال اضحك الله سنك يا رسول
الله مم تضحك فقال النبى صلى الله عليه وسلم عجبت من هولاء اللاتى كن عندى
فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب قال عمر يا عدوات انفسهن اتهبننى ولا
تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا نعم انت افض واغلظ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك
الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك الفج الطريق الواسع وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه وقال اللهم عز الاسلام
بابى جهل بن هشام او بعمر بن الخطاب فاصبح عمر فغدا على النبى صلى الله عليه وسلم
فاسلم ثم صلى فى المسجد ظاهرا وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لم يذكر فى
حديثه ابا جهل وقال على رضى الله عنه ما كنا نبعد ان السكينة تنطق على لسان
عمر قيل معنا ما كنا نعد بعيدا انه ملهم من الملك اذ كان ما يقول حقا وصوابا
وقيل معنا ينطق بما يستحق ان تسكن اليه النفوس وتطمين به القلوب وكان
من الزهد والورع بمقام عال حتى انه كان فى قميصه اربع عشرة رقعة احديها
من ادم وولى رضى الله عنه الخلافة باستخلاف ابى بكر له بعد ان شاور
الصحابة عليه فلما اشار واليه دعا عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد ابو بكر بن ابى قحافة
فى اخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند اول عهده بالاخرة داخلا فيها
حين يومن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب انى مستخلف عليكم
عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا فان بر وعدل فذلك ظنى به وعلمى فيه
وان جار وبدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير اردت ولا اعلم الغيب وسيعلم
الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
ثم امره فختم الكتاب وخرج به الى الناس فبايعوا عمر جميعا ورضوا به ولما اراد
ابو بكر ان يقلد عمر الخلافة قال له عمر اعفنى يا خليفة رسول الله فانى غنى

عنها

عنها قال بل هى فقيرة اليك قال ليس لى بها حاجة قال هى محتاجة اليك فقلده
الخلافة على كره منه ثم اوصاه بما اوصاه فلما خرج عمر رفع ابو بكر يديه
ثم قال اللهم انى لم ارد بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فوليت
عليهم خيارهم وقد حضرنى من امرك ما حضرنى فاخلفنى فيهم فهم عبادك
ونواصيهم فى يدك واصلح لهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين
يتبع هدى نبى الرحمة واصلح له رعيته وبويع له بالخلافة فى اليوم الذى
مات فيه ابو بكر رضى الله عنه ومن وصايا ابى بكر لعمر رضى الله عنهما عند
ما عهد اليه انى موصيك بوصية فان انت حفظتها فلا يكونن غايب احب
اليك من الموت وان انت لم تحفظها فلا يكونن غايب ابغض اليك من الموت
ولن تعوته وانما اثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق
وحق لميزان لا يكون فيه الا الحق ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من
خفت موازينه باتباعهم الباطل وحق لميزان لا يكون فيه الا الباطل
ان يكون خفيفا وانما جعلت اية الرجا مع اية الشدة لكى يكون المومن
راغبا راهبا ومنها انى ادعوك الى امر متعب لمن وليه فاتق الله يا عمر بطاعته
واطعه بتقواه فان المتقى آمن محفوظ ثم ان الامر معروض لا يستوجبه
الا من عمل به ومن امر بالحق وعمل بالباطل وامر بالمعروف وعمل بالمنكر
يوشك ان تنقطع امنيته وان يحبط عمله فاذا انت وليت عليهم
امرهم فان استطعت ان تجف يدك من دمائهم وان يضمر بطنك من
اموالهم وان يجف لسانك عن اعراضهم فافعل ولا قوة الا بالله تعالى
قال الكلبى لما افضت الخلافة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفدت عليه
الشعراء فاقاموا ببابه اياما فلم يوذن لهم فى الدخول حتى قدم عدى بن ارطاه
وكانت له عنده مكانة فتعرض له جرير وساله ان يستاذن عليهم فقال
يا امير المومنين ان الشعراء ببابك لهم ايام لا يوذن لهم واقوالهم باقية
وسهامهم مسمومة فقال عمر يا عدى ما لى وللشعراء قال يا امير المومنين
ان النبى صلى الله عليه وسلم مدح فاعطى ولك فيه اسوة لكل مسلم قال ومن مدحه
قال مدحه عباس بن مرداس السلمى فكساه حلة وقال يا بلال اقطع لسانه عنى
قال اوتروى قوله قال نعم فانشده

رايتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتابا جاء بالحق معلما
سننت لنا فيه الهدى بعد جودنا ... عن الحق لما اصبح الجو مظلما
ونورت بالاسلام امرا مدمسا ... واطفات بالبرهان جمرا تضرما
فمن مبلغ عنى الرسول محمدا ... وكل امرئ يجزى بما قد تكلما
اقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه ... وكان قديما وجهه قد تهدما
تعالى علوا فوق عرش الهنا ... وكان جلال الله اعلى واعظما

مستويه مسويه

قال عمر رضي الله عنه فمن بالباب منهم قال عدي بالباب عمر بن ابي ربيعة القرشي
قال عمر لا قربه الله ولا حياه اليس هو القايل

الا ليت اني يوم تدنو منيتي ۔ شممت الذي ما بين فرنك والدم
ويا ليت سلمى في التراب ضجيعتي ۔ هنالك او في جنة او جهنم

فليته عدو الله تمناها في الدنيا ثم رجع الى العمل الصالح والله لا دخل علي
من بالباب غيره قال جميل بن معمر العذري قال هو القايل في قصيدة له

رهبان مدين والذين عهدتهم ۔ يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها ۔ خروا لعزة خاشعين سجودا

عد عن ذكره من بالباب غيره قال الاحوص الانصاري قال ابعده الله واسحقه
اليس هو القايل وقد افسد على رجل جاريته بالمدينة حتى ابقت من سيدها

الله بيني وبين سيدها ۔ يفر مني بها واتبعه

لا يدخل علي من بالباب غيره قال همام بن غالب الفرزدق قال هو القايل يعني بالزنا

هما دلتاني من ثمانين قامة ۔ كما انقض باز فتح الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا ۔ احي يرجى ام قتيل نحاذره

لا يدخل علي من بالباب غيره قال الاخطل التغلبي وكان نصرانيا قال هو الكافر
اذ قال في شعره

فلست بصايم رمضان عمري ۔ ولست باكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر جمالا بكورا ۔ الى بطحا مكة للنجاح
ولست بقايم كالعير يدعو ۔ قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني ساشربها شمولا ۔ واسجد عند منبلج الصباح

والله لا وطي لي بساطا من بالباب غيره قال جرير بن الخطفا قال هو القايل وانشد

لولا مراقبة العيون اريننا ۔ مقل المها وسوالف الارام
طرقتك صايدة القلوب وليس ذا ۔ حين الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فاذن لجرير فخرج عدي فاذن له فدخل وهو يقول

ان الذي بعث النبي محمدا ۔ جعل الخلافة في الامام العادل
وسع الخلايق عدله ووفاوه ۔ حتى ارعوى فاقام ميل المايل
اني لارجو منك خيرا عاجلا ۔ والنفس مولعة بحب العاجل

قال فلما حضر بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فقال

كم باليمامة من شعثا ارملة ۔ ومن ضعيف يتيم الصوت والنظر
ممن يعدك يكفي فقد والده ۔ كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا ۔ من الخليفة ما نرجو من المطر
جاء الخلافة اذ كانت له قدرا ۔ كما اتى ربه موسى على قدر
هذي الارامل قد قضيت حاجتها ۔ فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

فقال عمر رضي الله عنه والله يا جرير ما ملك عمر سوى ماية درهم يا غلام ادفعها
له ودفع له حلي سيفه فخرج جريرا الى الشعرا فقالوا له ما وراك قال رجل يعطي
الفقرا ويمنع الشعرا وانا عنه راض قال شيخ الاسلام محمود العيني الحنفي
في شرح شواهد شروح الفية بن مالك في النحو ان جرير مدح بهذه القصيدة عمر بن
عبد العزيز والاول اصح ولا يمتنع انه مدحهما بها اذ الاسم الاسم والمنصب
المنصب والطلبة الطلبة وفي رواية اتى الخلافة مكان جاء ومعنى هذا
البيت اتى الخلافة اتيانا كاتيان موسى عليه السلام ربه عز وجل واذ يعني
حين قلت وانسب لنا في البيتين اللذين انشدهما عمر امير المومنين عمر رضي الله عنه
لجرير هو من قصيدة ذكر بعضها في الباب الثامن عند قصة جرير مع عاتكة
بنت الحسين رضي الله عنه واما الاخطل النصراني فقال صاحب مرآة الزمان
كان مقدما عند بني امية ومدح يزيد بن معاوية وذم الانصار بامره له
لعنه الله وممدوحه ثم انه دخل على عبد الملك بن مروان في خلافته فحادثه
وانشده فاعجبه فقال له اسلم تسلم فقال ان حللت لي الخمر ولا اجج البيت ولا
اصوم رمضان اسلمت فقال عبد الملك ان اسلمت وقصرت في شي من الشرايع
ضربت الذي فيه عيناك فقال ضع عني صوم رمضان فقال عبد الملك ليس لي
ذلك سبيل فانشد الاخطل الابيات التي ذكرها سيدنا عمر رضي الله عنه انتهى
ودخل على هشام بن عبد الملك فانشده قصيدته التي يقول فيها

واذا افتقرت الى الذخاير لم تجد ۔ ذخرا يكون كصالح الاعمال

فقال له هشام يهنيك الاسلام فقال ما زلت مسلما يعني في دينه رجع لما
نحن فيه واول خطبة خطبها سيدنا عمر رضي الله عنه قال ايها الناس والله
ما فيكم احد اقوى من الضعيف عندي حتى اخذ الحق له ولا اضعف عندي
من القوي حتى اخذ الحق منه وقد عمل رضي الله عنه بما قاله فمن ذلك قصة
جبلة بن الايهم سلطان بني غسان وهم نصارى العرب وكانوا اولاد الانصار
وكان جبلة جد السراكسة ملوك دمشق كانوا مصر قال احمد بن عمر الكوفي ان جبلة كتب الى
عمر رضي الله عنه من الشام يطلب اذنه في الحضور اليه والقدوم عليه مسلما
فسر عمر رضي الله عنه بذلك وكتب اليه ان يقدم ويسلم وله ما لنا وعليه ما علينا
فخرج جبلة في جمع كثير من العرب فلما قرب من المدينة الشريفة البس القوم
حللا من الذهب ومطارف موشاة وجلل الخيل بجلال الاطلس ولبس جبلة
تاجا نفيسا ولم يبق احد بالمدينة حتى خرج وفرح المسلمون باسلامه وقدومه
وكان يوما مشهودا فدخل المدينة واسلم واقام بها وتعلم الشرايع فلما كان في
اول الموسم خرج عمر رضي الله عنه الى الحج وخرج جبلة معه يريد مكة والوقوف
بعرفة فبينما جبلة يطوف اذ وطي على ازاره رجل من فزارة فحله فالتفت جبلة
الى الرجل ولطمه لطمة هشم بها انفه فاستعدى الفزاري الى عمر رضي الله عنه

فارسل عمر رضى الله عنه الى جبلة فحضر اليه فقال ما دعاك الى ما صنعت بهذا
الرجل الفزارى قال انه وطى ازارى فحله ولولا حرمة البيت لارميت راسه قال
له عمر لقد اقررت بفعلك فاما ترضيه واما القصاص قال او تقتص منى وهو
سوقى والسوقى واحد السوقة وهو غير الملك وانا ملك غسان قال له عمر قد
جمعك واياه الاسلام فلا فضل لك عليه فى القصاص قال جبلة لقد رجوت
ان اكون فى الاسلام اعز منى فى الجاهلية هيهات يا عمر اذ فعلت فانا اتنصر
قال عمر ان تنصرت ضربت عنقك قال جبلة اخرنى الى غد يا امير المؤمنين قال
لك ذلك فلما كان الليل خرج جبلة ورجاله من مكة الى المدينة ولم يزالوا
حتى دخلوا قسطنطينية على هرقل فتنصروا فاقطعه من الاراضى واوقف
عليه من الرباع ما اعرضت عن ذكره خوفا من الاطالة اللغة المطارف
والمطرف والمطرف واحد المطارف وهى اردية من خز مربعة لها اعلام قال
الفراء واصلها الضم لانه فى المعنى ماخوذ من الطرف اى جعل فى طرفيه العلمان
ولكنهما استثقلوا الضم فكسروه صحاح جوهرى قال وبعث عمر الى هرقل يدعوه
الى الاسلام فاجابه الى المصالحة على غير الاسلام فلما اراد ان يكتب الى عمر جوابه
قال للرسول اذهب الى جبلة الذى اتانا من عندكم وتنصر قال فذهب اليه الرسول
فاذا على راسه من القهارمة والحجاب والحفدة ما لا يوصف والحفدة
الاعوان والخدم وقيل ولد الولد واحدهم حافد صحاح فاستاذن عليه فدخل
عليه فوجده على سرير من بلور قوايمه من الذهب قال فلما رانى عرفنى وادنانى
واجلسنى الى جانبه واخذ يسالنى عن المسلمين رجلا فاقول له بخير تركتهم
قال وكيف تركت عمر قلت بخير ثم نزل عن السرير فقال لم تابى كرامتنا فقلت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن مثل ذلك قال نعم صلى الله عليه وسلم
ثم بنيتك واجلس بنا ما شئت قال الرسول فلما سمعته يصلى على النبى صلى الله
عليه وسلم طمعت فى اسلامه وقلت له يا جبلة هل لك فى الاسلام والرجوع اليه
قال ابعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل قبلك مثل فعلك وضرب وجوه المسلمين
بالسيف وعاد الى الاسلام وقبل منه وهو فلان بن فلان قال جبلة لا اعود حتى
يزوجنى عمر بنته ويولينى العهد قال الرسول فضمنت له التزويج ولم اضمن
له الخلافة قال ثم دعا بموائد الطعام فاحضرت اطباق من فضة عليها
صحاف من ذهب فقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى عن الاكل فى مثل ذلك فقال نعم صلى الله عليه وسلم ودعا بقصعة
من خلنج فاكلت فيها وكان بحضرته جوار يغنين الشعر وبايديهن العود والارغل
فقال لى اتعرف هذا الشعر قلت لا قال هو شعر حسان بن ثابت الانصارى
كيف حاله قلت قد كف بصره فامر له بكسوة ومال ونوق مرقورة اى محملة
ثم قال لى خذ هذه فان وجدته حيا فسلمها اليه وان وجدته ميتا

والخلنج الجفنة والجمع خلج صحاح

فادفع المال الى اهله وانحر النوق على قبره وانشد يقول

تنصرت الاشراف من اجل لطمة … وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
فالزمنى فيها اللجاج ونخوة … وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت امى لم تلدنى وليتنى … رجعت الى القول الذى قاله عمر
ويا ليتنى ارعى المخاض بقفرة … وكنت اسيرا فى ربيعة او مضر

قال فلما رجعت الى عمر رضى الله عنه اخبرته بصورة الحال فقال له هل ضمنت له ذلك
فاذا اتى راى رجع الى الاسلام وتونس بحكمه قضى الله فينا وفيه بحكمه ثم ذكرت
له هدية حسان فارسل عمر خلفه فاقبل وقايد يقوده فلما دخل قال يا امير المؤمنين
انى لاجد ريح غسان قال نعم هذا رجل قدم من عندهم قال هات يا ابن اخى ما معك
قال الرسول ومن اعلمك ان معى هدية قال يا ابن اخى ان جبلة كريم من عصبة
قوم كرام مدحتهم فى الجاهلية فاعطانى وحلف انه لا يلقى احدا يعرفنى الا
سير لى معه هدية قال فدفعت له المال والابل ثم اعادنى عمر الى القسطنطينية
فوجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقا قد غلب عليه فى ام
الكتاب فلقد قام سيدنا عمر رضى الله عنه بما قاله من اخذ حق الضعيف من
القوى وفى عيون التواريخ ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى جبلة يدعوه الى
الاسلام فاسلم وكتب باسلامه الى النبى صلى الله عليه وسلم وجاء فى ايام عمر
رضى الله عنه فاتفق انه وطى رجل رجل من مزينة بدمشق فلطمه ذكر المزنى فرفعه
اصحاب جبلة الى ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وهو امير دمشق يومئذ وقالوا
هذا لطم جبلة قال ابو عبيدة فليلطمه جبلة فقالوا وما يقتل قال لا انما امر الله
بالقود قالوا فما تقطع يده قال لا انما امر الله بالقود فقال جبلة اترون انى جاعل
وجهى بدلا لوجه مزنى جاء من عمق يعنى موضعا من ناحية المدينة بئس الدين
هذا ثم ارتد نصرانيا وترحل بقومه حتى نزل بارض الروم فبلغ ذلك عمر فشق عليه
وقيل لما اسلم فى ايام عمر رضى الله عنه كما تقدم ومن كلام عمر رضى الله عنه انه كان
يقول لما نعيا بلذة العيش بان نامر بصغار المعزى فتسمط لنا ونامر بلباب الحنطة
فتخبز لنا ونامر بالزبيب فينبذ لنا حتى اذا صار مثل عين اليعقوب يعنى ذكر
الحجل اكلنا هذا وشربنا هذا ولكن نريد ان نستبقى طيباتنا لانا سمعنا الله
تعالى يذكر قوما فقال اذهبتم طيباتكم فى حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها
وكتب عمرو بن العاص الى عمر رضى الله عنه يشكو من اهل مصر فوقع على قصته
كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك اميرك ورفع لى انك تتكى فى مجلسك فاذا جلست
فكن كسائر الناس فكتب اليه عمرو افعل يا امير المؤمنين ويبلغنى يا امير المؤمنين
انك لا تنام بالليل ولا بالنهار الا مغفيا فقال يا عمرو اذا نمت بالنهار ضيعت
رعيتى واذا نمت بالليل ضيعت امر ربى وقال ابرهيم بن ادهم رحمه الله تعالى
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم

يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون وسنذكر شيا من كلامه رضى
الله عنه بالقسم الثانى من خاتمة هذا الكتاب فى الوصايا ان شا الله تعالى
ثم ان اول شى امر به عمر رضى الله عنه ان عزل خالد بن الوليد عن الامرة وولى
ابا عبيدة بن الجراح على الجيش والشام وارسل بذلك اليهما فسار ابو عبيدة
ونازل دمشق نحو سبعين ليلة ففتح خالد بن الوليد ما يليه بالسيف فخرج
اهلها من جهة اخرى الى ابى عبيدة وبذلوا له الصلح وفتحوا له الباب فدخل والتقى
هو وخالد بوسط المدينة وبعث ابو عبيدة الى عمر رضى الله عنهما بالفتح
وفى ايامه فتحت العراق وحمص على يد ابى عبيدة ثم سار الى حماه فخرج اليه من بها
من الروم فصالحهم على الجزية لروسهم والخراج على ارضهم وجعل كنيستهم
العظمى بها جامعا وهو الجامع الذى بالسوق الاعلى ثم سار الى شيزر فصالحوه
على ذلك وكذلك المعره ثم فتح اللادقية عنوة وجبلة وانطرسوس ثم بعد
ذلك حلب وانطاكيه ومنبج ودلوك وسرمين وقرعش وفى سنة اربع عشرة
او خمس عشرة اختطت البصرة بامر امير المومنين عمر وكانت هذه الفتوحات
كلها فى سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة وسار هرقل من الرها الى القسطنطينية
آيسا من الشام فعلا نشزا من الارض وهو بفتح الشين المعجمه وبسكونها
المكان المرتفع ثم التفت الى الشام وقال السلام عليك يا سوريا سلاما لا
اجتماع بعده ولا يعود اليك رومى بعدها الا خايفا حتى يولد الولد المشوم
وليته لم يوجد فما اجل فعله وامر فتنته على الروم وسوريا اسم للشام
ثم فتحت قيسارية وصبصطيه وبها قبر يحيى بن زكريا عليهما السلام
وفتحت نابلس ولد ويافا وتلك البلاد جميعها واما بيت المقدس فطال
حصاره وطلب اهله من ابى عبيدة الصلح على صلح اهل الشام بشرط
ان يكون عمر بن الخطاب رضى الله عنه متوليا امر الصلح فكتب الى عمر بذلك
فقدم عمر رضى الله عنه الى القدس وفتحها بعد ان استخلف عليا رضى الله عنه
على المدينة فى سنة خمس عشرة ونسخة عهد النصارى اذا طلبوا الامان
تنبيه سالناكم الامان لانفسنا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا
ان لا نحدث فى مدينتنا ولا فى حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة
لراهب ولا نجددها اذا خربت ولا نحيى ما دثر منها فى خطط المسلمين ولا نمنع
كنايسنا وادبرتنا ان تنزلها احد من المسلمين فى ليل او نهار وان توسع
ابوابها للمارة وابن السبيل وان تنزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نضيفهم
ضيافة ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر شركا ولا ندعوا اليه احدا ولا نمنع
احدا من ذوى قرابتنا الدخول فى دين الاسلام اذا ارادوا وان نوقر المسلمين
ونقربهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم فى شى من مركوبهم
وملبوسهم حتى العمامة والنعلين وفرق الشعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتنى بكناهم

ولا نركب

ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيا من السلاح ولا نحمله ولا
ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نظهر بيع الخمر وان نجز مقادم روسنا وان
نلزم زينا حيث ما كنا وان نشد زنانيرنا على اوساطنا وان لا نظهر صلباننا
وكتبنا فى شى من مجامع المسلمين واسواقهم وطرقهم ولا نرفع اصواتنا
بالقراءة فى كنايسنا ولا غيرها بحضرة المسلمين ولا نخرج فى الشعانين والاعياد
جماعة ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران معهم فى طرق المسلمين
ولا اسواقهم ولا نجاورهم ولا ندخل الحمام الا بجرس ولا نشهر سلاحا ولا
نلف عمامه فوق ثلاثة اذرع ولا نلبس مسقولا ولا نتخذ من الرقيق من جرت
عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم فى مساكنهم ولا نضرب احدا من المسلمين
ولا نشتمه ولا نشترى سبايا المسلمين وقد شرطنا لكم ذلك على انفسنا
واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان على ان تعطونا ذمة الله تعالى وذمة
المسلمين ان لا يكلف احد منا ما لا طاقة له به ولا غير ما شرط عليه به وان
لا يظلم احدمنا فى نفس ولا اهل ولا ولد ولا اتباع ولا مال ولا متقيد من
معابدنا وان من ظلم احدا منا كان على المسلمين رده ورد المظلمة على صاحبها
ومن خالف ذلك منا فلا ذمة له ولا وصل له منكم ما يحل لاهل المعانده والشقاق
هذا نص عهد امير المومنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه واذا سالوا ذلك
يجيبهم القاضى اقررتكم ببلاد الاسلام الا الحجاز وضمن ذلك مكة المكرمة
على هذه الشرايط اذا ادوا الجزية على عادة المسلمين على الغنى اربعة وعلى
المتوسط اثنان وعلى الفقير واحد ويشهد على الجميع بحيث ان لا يرى منهم
واحدا غايبا انتهى قوله على عادة المسلمين ولما فتح عمر بيت المقدس قال لكعب
ابن ترى ان ابنى مصلى للمسلمين امام الصخرة او خلفها قال خلفها فقال يا ابن
اليهودية خالطتك يهودية بل ابنيه امامها اذ لنا صدور المساجد ثم
وضع الدواوين وفرض العطا للمسلمين ثم فتح المسلمون تكريت والموصل
وفى سنة سبع عشرة اختطت الكوفة وفى هذه السنة اعتمر عمر بن الخطاب
رضى الله عنه واقام بمكة عشرين ليلة ووسع فى المسجد الحرام وهدم منازل
قوم ابوا ان يبيعوها وجعل اثمانها فى بيت المال وفتح المسلمون الاهواز وفى
سنة ثمان عشرة كان طاعون عمواس بالشام وهو بفتح العين المهملة وسكون
الميم وهو اول طاعون كان فى الاسلام من الهجرة مات فيه ابو عبيدة بن الجراح
رضى الله عنه واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح احد العشرة المشهود لهم بالجنة
واستخلف ابو عبيدة معاذ بن جبل فمات ايضا بالطاعون المذكور واستخلف
عمرو بن العاص ومكث الطاعون شهرا مات فيه خمسة وعشرون الفا وقيل
معنى عمواس عم واسى تذنيب ومن الطواعين العظام طاعون الجارف بالبصرة
فى شوال سنة تسع وستين مات فيه فى ثلاثة ايام ما يتا الف وعشرة الاف كل

يوم سبعون الفا ومن غريب الاتفاق انه في سنة تسع واربعين وسبعمائة
كان فناء كبير بمصر والشام وغالب البلاد الا معرة النعمان فانشد الشيخ زين
الدين عمر بن الوردي يقول

• زان المعرة عين زانها حور • لكن حاجبها بالجور مقرون •
• ماذا الذي يصنع الطاعون في بلد • في كل يوم له بالجور طاعون •

عود وفي سنة تسع عشرة فتحت مصر والاسكندرية على يد عمرو بن العاص
والزبير بن العوام وفي سنة عشرين توفي بدمشق بلال الحبشي موذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو مولى ابي بكر الصديق ولم يؤذن بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودفن عند الباب الصغير وفي سنة احدى وعشرين
كانت وقعة نهاوند مع الاعاجم وانتصر المسلمون وفتحت الدينور والصيمرة
وهمدان واصفهان وفي هذه السنة توفي خالد بن الوليد رضي الله عنه
وقبره مشهور بحمص وقيل بالمدينة الشريفة وفي سنة اثنين وعشرين
فتحت اذربيجان والري وجرجان وقزوين وزنجان وطبرستان وطرابلس
الغرب وغير ذلك فلا جرم انه قيل في حق عمر رضي الله عنه انه فتح الفتوحات
ودون الدواوين وفرض العطية ومصر الامصار وجبى الفيء وبلغت خيله
الافريقيه من بلاد الغرب ووطيت خراسان وازال ملك بني ساسان
وفي هذه السنة توفي ابي بن كعب احد كتاب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذي امر الله تعالى رسوله ان يقرا القرآن عليه وقال صلى الله عليه
وسلم اقراكم امتي ابي بن كعب بعدي وقيل مات سنة ثلاث وعشرين في
خلافة عثمان رضي الله عنهما ومن كرامات عمر رضي الله عنه ما ذكره ابو القاسم
الطبري في كرامات الاولياء انه لما فتحت مصر اتى اهلها الى عمرو بن العاص حين
دخل بونة من شهور العجم يعني شهور القبط لا غير اللسان العربي عجمي فقالوا ايها
الامير ان لنا سنة لا يجري النيل الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا اذا كان ثنتي
عشرة ليلة من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضينا ابويها
وجعلنا عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال
لهم عمرو ان هذا ما لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا
بونة وابيب ومسرى لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما راى ذلك عمرو
كتب الى عمر رضي الله عنه ذلك فكتب انك قد اصبت بالذي فعلت وان الاسلام
يهدم ما قبله واني قد بعثت اليك ببطاقة داخل كتابي هذا فالقها في النيل
فلما قدم كتاب عمر رضي الله عنه الى عمرو اخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من
عبد الله امير المومنين الى نيل اهل مصر اما بعد فان كنت انما تجري من قبلك
فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسال الله الواحد
ان يجريك قال فالقى البطاقة في النيل فلما القاها يوم الجمعة اصبحوا يوم السبت

وقد اجراه تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تعالى تلك السنة
عن اهل مصر الى اليوم ومن كراماته رضي الله عنه ان عمرو بن العاص ارسل اليه
يذكر ان اهل مصر يشكون من ارض يزرعونها فلا تنبت فارسل عمر رضي الله عنه
الى عمرو ببطاقة فيها ايتها الارض ان لم تنبتي دفنت فيك قاضيا وامر عمرو
ان تزرع الارض ويدفن فيها البطاقة ففعل عمرو ذلك فلم تنبت فارسل
الى عمر رضي الله عنه يعرفه بذلك فتعجب عمر من ذلك وتفكر فقال كان الارض
ظنت انني ادفن فيها القاضي الذي في الجنة فكتب بطاقة فيها ايتها الارض
ان لم تنبتي دفنت فيك قاضيين وارسلها الى عمرو وامره ان يدفنها في
الارض ويزرعها ففعل ذلك فانبتت تلك السنة فانظر الى هذا الفكر الثاقب
حيث فهم ان الارض لم تنبت اولا لطمعها في دفن القاضي الذي في الجنة في
قوله عليه السلام قاض في الجنة وقاضيان في النار فهددها ثانيا بدفن
القاضيين فانبتت خوفا من دفنهما فيها رضي الله عنه ومن كراماته
انه كان يخطب يوم جمعة بالمدينة فقال في خطبته يا سارية الجبل الجبل
فالتفت الناس بعضهم الى بعض لم يفهموا مراده فلما صلى صلاته قال
له علي رضي الله عنه ما هذا الذي قلت قال او سمعته قال نعم انا وكل من في
المسجد قال وقع في خلدي ان المشركين هزموا اخواننا وركبوا اكتافهم وانهم
يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا من وجدوا فظفروا وان جاوزوه
هلكوا فخرج مني هذا الكلام فجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا في ذلك
اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر يا سارية
الجبل الجبل فعدلنا اليه ففتح الله علينا وهذا مما يويد قول علي رضي الله عنه
اول الترجمة واحواله وفضائله اكثر من ان تحصى واشهر من تذكر جاهد في
الله حق جهاده فجيش الجيوش وفتح البلاد واعز الاسلام واذل الكفر وهو
اول من جمع الناس لصلاة التراويح وكان متواضعا يشتمل بالعباءة ويحمل القربة
على كتفه واكثر مركوبه الابل قال ابو بكر الخرايطي في كتابه اعتلال القلوب في قصة
نفي عمر رضي الله عنه نصر بن حجاج وسوال نصر له في الرجوع الى المدينة وقول
عمر اما ولي امارة فلا قال رحمة الله على عمر ما كان انظره بنور الله في ذات الله
وافرسه كان والله كما قال الشاعر

• بصير باعقاب الامور برايه • كان له في اليوم عينا على غد ومال الخر
• يرى عزمات الراي حتى كانما • تخاطبه في كل امر عواقبه •

والمصيب عليه باني بالباب الثالث والاربعين ذكر وفاته رضي الله عنه ذكر
انه خرج لصلاة الصبح في جماعة فضربه ابو لولوة فيروز غلام المغيرة بن شعبة
لما وقف يصلي بخنجر براسين طعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهي
التي قتلته وطعن اثني عشر رجلا من اهل المسجد فمات منهم ستة ثم نحر نفسه

بخنجره فمات لعنه الله تعالى ولما طعنه ابولولوه وقع على الارض ثم قال اقى
الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم قال يصلي بالناس وقال لولده عبد الله
انظر من قتلني فقال يا امير المؤمنين قتلك ابولولوه فقال الحمد لله الذي لم
يجعل قتلي على يد رجل سجد لله سجدة واحدة ثم بعث عبد الله الى عايشة رضي
الله عنها وقال قل لها يقرى عليك عمر السلام ولا تقل امير المؤمنين فاني
لست اليوم اميرا ويقول لك انه لا حق تربه بتربه افتاذنين له ان يدفن
مع صاحبيه فجاء عبد الله الى عايشه فاستاذن عليها فاذنت له فبلغها
الرسالة فتاوهت وبكت وقالت لقد كنت اشم رايحة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ابي بكر فلما مات كنت اشم رايحته في امير المؤمنين عمر ما لي وللدنيا
افتقد فيها الاحباب واحدا فواحدا ثم قالت له بلغ امير المؤمنين مني السلام
وقل له انني كنت ادخرت ذلك لنفسي ولكني آثرته اليوم على نفسي فلما رجع
عبد الله قال له عمر ما وراءك يا عبد الله قال الذي تحب قد اذنت لك
عايشة قال الحمد لله ما كان شي اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فارجع الى
عايشة فاستاذنها ثانيا فربما تكون استحيت مني وانا حي فلا تستحي مني
وانا ميت واوصاهم ان يقتصروا في كفنه ولا يتغالوا فيه وتوفي يوم
السبت سلخ ذي الحجه سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد هلال المحرم
سنة اربع وعشرين وغسله ابنه عبد الله وحمل على سرير رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصلي عليه في مسجده وصلى بهم عليه صهيب وكبر عليه
اربعا ونزل في قبره ابنه عبد الله وعثمان وسعد بن زيد وعبد الرحمن بن
عوف وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر وثمانية ايام وتوفي
وهو ابن ثلاث وستين سنه على الصحيح ان سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسن ابي بكر وسن عمر وعلي وعايشه رضي الله عنهم اجمعين ثلاث
وستون سنه وعهد بالخلافة الى النفر الذين مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو عنهم راض وهم علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة
والزبير وسعد رضي الله عنهم بعد ان عرضها على عبد الرحمن بن عوف فابى
وشرط ان يكون ابنه عبد الله شريكا في الراى ولا يكون له حظ في الخلافة
وجعل لهم مدة ثلاثة ايام وقال لا يمضي اليوم الرابع الا ولكم امير وان اختلفتم
فكونوا مع الذين يكون معهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وعنهم
خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وكنيته ابو عمرو وقيل
ابو عبد الله وابو ليلى القرشي الاموي ويقال له ذو النورين لانه تزوج
بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج رقية قبل النبوة وتوفيت في
ايام غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة ثم تزوج اختها ام كلثوم وتوفيت
عنده في سنة تسع من الهجرة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان عندي

ثالثة لزوجتكها ولا يعرف احد تزوج بنتي نبي غيره يجتمع بالنبي صلى الله
عليه وسلم في عبد مناف ولما توفي عمر مضى علي رضي الله عنه الى عمه العباس
وتكلم معه وقال له هذا الرهط لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الامر حتى
يقوم له غيرنا وايم الله لا يناله الا بشر لا ينفع معه خير ثم اجتمع اصحاب
الشورى الستة وعبد الله بن عمر وجمع عبد الرحمن بن عوف الناس بعد
ان اخرج نفسه عن الخلافة فدعا عليا فقال عليك عهد الله وميثاقه
لتعملن بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة
الخليفتين من بعده فقال ارجو ان افعل واعمل مبلغ علمي وطاقتي ودعا
بعثمان وقال له ما قال لعلي فرفع عبد الرحمن راسه الى سقف المسجد ويده
في يد عثمان وقال اللهم اسمع واشهد اني جعلت ما في رقبتي من ذلك
في رقبة عثمان وبايعه فقال علي رضي الله عنه ليس هذا باول يوم تظاهرتم
اي تعاونتم علينا فيه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله
ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو في شان وخرج علي وهو
يقول سيبلغ الكتاب اجله وبويع عثمان رضي الله عنه لثلاث مضين من المحرم
سنة اربع وعشرين فرقى المنبر رحمه الله تعالى وحمد الله تعالى واثنى عليه ثم
نزل واقر ولاة عمر سنه لانه كان اوصى بذلك ثم عزل وولى وجهز الجيوش
للغزو ولما دخلت سنة ثلثين بلغ عثمان ما وقع في امر القرآن من ان اهل
العراق يقولون قرآننا اصح من قراءة اهل الشام لاننا نقرا على ابي موسى
الاشعري واهل الشام يقولون قراتنا اصح لاننا نقرا على المقداد بن الاسود
وكذلك غيرهم من الامصار فاجتمع رايه وراي الصحابة رضي الله عنهم
على ان يحمل الناس على المصحف الذي كتب في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وكان
مودعا عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويحرق ما سواه من
المصاحف التي بايدي الناس ففعل ذلك ونسخ من ذلك المصحف مصاحف
وحمل كل منها الى مصر من الامصار وكان الذي تولى نسخ العثمانية بامر
عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام المخزومي وقال عثمان اذا اختلفتم في كلمة فاكتبوها
بلسان قريش فان القرآن نزل بلسانهم وفي عيون التواريخ ان عثمان كتب خمسة
مصاحف بيده بعث واحدا الى البصرة وواحدا الى الكوفة وآخر الى الشام
وآخر الى مكة وترك الآخر بالمدينة وكان اذا قال العزة لله انفرف عنه
جلساوه انتهى وفي هذه السنة سقط خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عثمان رضي الله عنه في بئر اريس وكان من فضة فيه ثلاثة اسطر
محمد رسول الله وكان يختم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويختم به الكتب
التي كان يرسلها الى الملوك ثم تختم به بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنه

بئر اريس بهمزة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وياء مثناة تحتية ساكنة
وسين مهملة على وزن امير قال ابن الاثير في النهاية هي بئر معروفة قريبا من
مسجد قبا عند المدينة ذكر مقتله رضي الله عنه وهو انه في سنة خمس
وثلثين قدم من مصر جمع قيل الف وقيل غير ذلك ومن الكوفة جمع ومن
البصرة جمع وكان هوى المصريين مع وهوى الكوفيين مع الزبير وهوى
البصريين مع طلحة فدخلوا المدينة ولما جاءت التي تلي دخولهم المدينة خرج
عثمان رضي الله عنه فصلى بالناس ثم قام على المنبر وقال للجموع المذكورة
يا هؤلاء الله يعلم واهل المدينة يعلمون انكم ملعونون على لسان محمد صلى
الله عليه وسلم فقام محمد بن مسلمة الانصاري فقال انا اشهد بذلك
فثار القوم اي وثبوا باجمعهم فحصبوا الناس حتى اخرجوهم من المسجد
وحصب عثمان حتى خر على المنبر مغشيا عليه فادخل داره وقاتل جماعة من
اهل المدينة عن عثمان منهم سعد بن ابي وقاص والحسن بن علي بن ابي طالب
وزيد بن ثابت وابو هريرة رضي الله عنهم فارسل اليهم عثمان رضي الله عنه
يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا وصلى عثمان بالناس بعدما نزلت الجموع
بالمسجد ثلاثين يوما ثم منعوه الصلاة فصلى بالناس اميرهم الغافقي امير جمع مصر
ولزم اهل المدينة بيوتهم وعثمان محصور في داره ودام ذلك اربعين يوما
وقيل خمسين واخر الحال انهم تسوروا على عثمان رضي الله عنه من دار لزق داره
اي على الدار التي لزق داره ونزل عليه جماعة فقتلوه ظلما فضربه رجل بعمود
على جبهته وضربه الاخر بسيف على عاتقه وضربه رجل بسيف فاتقاها بيده
فقطعها فقال اما انها اول كف خطت في المصحف وقتل رضي الله عنه وهو
صايم والمصحف بين يديه يتلو فيه وقيل ان دمه سقط على قوله تعالى
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم قول ويقرب من هذا ما رايته بخط والدي
رحمه الله تعالى بعد ما ذكر قصيدة طويلة في قصة طويلة آخر القصيدة
قول ناظمها ايها النازي مطيته لا غاليطيك تحصيل

قد تاولتم على جهة • ولنا في ذاك تاويل • قاتل المخلوع مقتول
• ودم القتال مطلول • ساريا ارحل ممتنع • بالتي يكبر لها الفيل
• لا ينجيه مذاهبه • نهر ابو سخ ولا النيل • ومدين القتل مرتهن •
• بدماء القوم مقتول قال كنت اكتب هذه المحل من القصيدة بالسجن فيها
ذكر القتل وكان رجل مجرم يدعا بابن الفاخوري طلب من السجن ليعرض على الوالي
بمصر فخطف المذكور سكينا على اهل المقتول منه القصيدة وضرب بها بطنه
وخللها مرارا فخلصت من يده بشدة ثم قطب فلم يفده ذلك ومات عود وكان
مقتله رضي الله عنه يوم الاربعا وفي عيون التواريخ يوم الجمعة لثمان عشرة
ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلثين وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة

الا اثني عشر يوما واختلف في عمره فقيل خمسة وسبعون وقيل اثنان وثمانون
وقيل تسعون وقيل غير ذلك ومكث ثلثة ايام لم يدفن لان المحاربين له منعوا
من ذلك ثم امر علي رضي الله عنه بدفنه ودفن ليلا بالبقيع واخفي قبره ذلك
الوقت ثم اظهر وفي عيون التواريخ كان نقش خاتم عثمان آمنت بالله مخلصا
وكان يطعم الناس طعام الامرا ويدخل بيته فياكل الخل والزيت وهذا يؤيد
رواية قوله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل والزيت وفي المنتخب من عيون
التواريخ ان كثير بن الصلت قال لعثمان لو اريت الناس وجهك فقد انكسروا
فقال عثمان يا كثير رايت البارحة في نومي كاني دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو وابو بكر وعمر فقال قد صبرت فلن يدركك المسلمون حتى
تقتل وانك تفطر عندي يوم كذا وكذا ولن تغيب الشمس ولنجوم كذى
وكذى الا وانا في الآخرة ولما قتل نهبت داره ودار غيره ودار ابي هريرة قال
ابو هريرة اصبت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت صويحبه وخويدمه
وبقتل عثمان وبالمزود قالوا وما المزود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصابت الناس مخمصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة
هل من شي قلت نعم شي من تمر في مزود قال فاتني به فاتيته به فادخل يده
فاخرج قبضة فبسطها ثم قال ادع لي عشرة فدعوت له عشرة فاكلوا حتى
شبعوا ثم ادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ثم قال ادع لي عشرة فدعوت له
عشرة فاكلوا حتى شبعوا فما زال يصنع كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا
ثم قال لي خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض ولا تكبه قال ابو هريرة فقبضت
على اكثر مما جئت به فاكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطعمت وحياة ابي بكر واطعمت وحياة عمر واطعمت وحياة عثمان واطعمت
فلما قتل عثمان نهبت داري وذهب المزود وفي رواية لقد جهزت منه خمسين
وسقا في سبيل الله تعالى انتهى واما فضايل عثمان رضي الله عنه فورد في
المصابيح من الصحاح عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مضطجعا في بيته كاشفا عن فخذيه او ساقيه ثم استاذن
عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه فلما خرج وفي
نسخة خرجوا قالت عايشة دخل ابو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم
تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال الا استحيي من
رجل تستحي منه الملايكة وفي بعض شروح المصابيح ان في ذلك توقير العثمان
ولا يدل على حط منزلة ابي بكر وعمر لان المحبة اذا اشتدت ارتفع التكليف كما قيل
اذا حصلت الالفة ارتفعت الكلفة ومن الحسان قال عليه الصلاة والسلام
لكل نبي رفيق ورفيقي يعني في الجنة عثمان وعن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان فقال يا رسول الله

فاستاذن ابو بكر فاذن له وهو على تلك الحال ثم استاذن عمر فاذن له وهو كذلك فتحدث ثم

على مائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله تعالى ثم حض على الجيش فقام
عثمان فقال علي مائتا بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض فقام عثمان
فقال علي ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فانا رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينزل على المنبر وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذه
ما على عثمان ما عمل بعد هذه ومعنى ذلك ما على عثمان ان لا يعمل بعد هذه من
من النوافل دون الفرايض لان تلك الحسنة تكفيه عن جميع النوافل اللغة
والاحلاس جمع حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبفتحهما كحِبْل وحَبَل
كساء دقيق يكون تحت البردعة وعن ابي ثور الفهمي قال سمعت عثمان
ابن عفان يقول لقد اختبات عند ربي عشرة ١ اني لرابع اربعة في الاسلام ٢
ولقد جهزت جيش العسرة ٣ ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ٤ ولقد ائتمنني رسول الله على ابنته ٥ ثم توفيت فانكحني الاخرى
وما تغنيت ٦ ولا تمنيت ٧ ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ٨ ولا مرت بي جمعة منذ اسلمت الا وانا اعتق
فيها رقبة الا ان لا اكون فاعتقها بعد ذلك ٩ ولا زنيت في جاهلية ولا
اسلام قط ١٠ وعن اداب السياسة ان سيدنا عثمان رضي الله عنه قال لو
ما على المنبر والله ما غنيت ولا تمنيت ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام وما تركت
ذلك تاثما بل تكرما وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين اشرف
عثمان عليهم يعني الخوارج فقال انشدكما الله والاسلام هل تعلمون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير
بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له
منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها
حتى اشرب من ماء البحر فقالوا اللهم نعم فقال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون
ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشترى بقعة
آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي
فانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله
والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم قال
انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على
ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض
فركضه برجله قال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم
نعم قال الله اكبر شهدوا ورب الكعبة اني شهيد ثلاثا لغة حديث ثمامة
انشدكما الله والاسلام اي سالتكم بالله وبالاسلام بئر رومة بضم الراء وسكون
الواو وفتح الميم هو بالعقيق الاصغر بالمدينة دون الاكبر اشتراها عثمان رضي
الله عنه بمائة الف درهم واراد بماء البحر الماء المالح من الابار لانه بمنزلة ماء

البحر في الملوحة او قال من ماء البير وثبير بالثاء المثلثة وباء موحدة جبل بمكة
وركضه بالضاد المعجمة ضربه وعن ابي سهلة قال قال لي عثمان يوم الدار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الي عهدا وانا صابر عليه قيل العهد
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم له يا عثمان انه لعل الله يقمصك قميصا
فاذا ارادوك على خلعه فلا تخلعه ثم قال ابن الاعرابي للقميص معان منها
الخلافة والمعنى ان الله تعالى سيجعلك خليفة فان قصد الناس عزلك عنها
فلا تعزل نفسك عنها لاجلهم ولهذا لم يعزل عثمان نفسه من الخلافة يوم
الدار وكان قصدهم منه ذلك وحج بالناس في خلافته عشر سنين متوالية
وانفتح بقتل عثمان باب الشر والفتن وفي ايامه كانت غزوة الاسكندرية
ثم سابور ثم افريقية ثم قبرص واصطخر الاخيرة وفارس الاولى والاخيرة
ثم طبرستان وسجستان ومرو وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة
على بلوى تصيبه وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الستة اصحاب
الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض واحد
الخلفاء الراشدين واعتق عشرين عبدا مملوكا وهو محصور قيل لما نزلت عليه
الاعداء بالدار سلت المماليك سيوفهم فقال لهم رضي الله عنه كل من اغمد
سيفه فهو حر فاغمدوا سيوفهم فعتقوا اذ ليس عند العبد شيء اعظم من
العتق وقيل ارسل اليه علي رضي الله عنه يستاذنه في الحضور والقتال فتشكر
له ومنعه من ذلك وقال اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم
يقول لي يا عثمان انت في الليلة القابلة ضيفنا فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه
وقال جابر اتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل ليصلي عليه فلم يصل
عليه فقيل يا رسول الله ما رايناك تركت الصلاة على احد قبل هذا قال انه
كان يبغض عثمان فابغضه الله وخرج صلى الله عليه وسلم الى المسجد ورفع
يديه فقال اللهم قد رضيت عن عثمان فارض عنه قال ذلك ثلاثا وكان
عثمان رضي الله عنه يقول حين ضرب والدماء تسيل على لحيته لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني استعديك عليهم واستعينك
على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابتليتني قال عبد الله بن سلام لمن
حضر قتل عثمان ماذا كان قوله وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع
امة محمد ثلثا قال عبد الله والذي نفسي بيده لو دعا الله على تلك الحال ان
لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا قوله يتشحط هو بالشين والحاء المهملة والطاء المهملة
قال في الصحاح تشحط المقتول بدمه اي اضطرب فيه وشحطه به غيره انتهى
خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه واسم ابي طالب عبد
مناف وسمي ايضا بالانزع البطين بفتح الباء لانه انزع من الشرك اي انقلع من
الشرك وانتهى عنه لانه بطين من العلم اي عظيم البطن مما حواه من العلم واسم ابي طالب

عبد مناف وكنيته امير المومنين ابو الحسن وكناه النبي صلى الله عليه وسلم ابا تراب
وكانت احب اليه من كل ما ينادى به وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انت يعسوب المومنين والمال يعسوب الكفار اى يلوذ المومنون بك ويلوذ
الكفار بالمال كما يلوذ النحل بيعسوبها ومن ههنا قيل لعلي رضي الله عنه
امير النحل ذكره الدميري وهو اول من اسلم من الصبيان وله في المشاهد
آثار مشهوره واحوال مذكوره وكان من العلوم بالمحل العالي والاحاديث
الواردة في فضله غير محصوره منها من الصحاح قوله صلى الله عليه وسلم
انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقال عليه الصلاة والسلام
له انت مني وانا منك ومن الحسان ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مومن
وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه قال في عيون التواريخ وفي
بعض الروايات اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من
خذله قال ذلك لما رجع من حجة الوداع ووصل الى غدير خم بين مكة والمدينة وخطب
هناك في اليوم العاشر من ذي الحجة وقد اتخذت الاعاجم هذا اليوم عيدا فكانت تضرب
فيه الطبول ببغداد في ايام بني بويه ويظهروا فيه باللباس الجديد ويخرجوا
بوسا ويعلقون المسوح السود على ابواب الدكاكين ويبددوا التبن والرماد
وتد وراد ذلك في سكك بغداد تنوح على الحسين بن علي رضي الله عنهما في يوم
عاشورا وقال صلى الله عليه وسلم في خيبر لاعطين هذه الراية غدا رجلا
يفتح الله على يديه يحبه الله ورسوله فاعطاها عليا من الغد وقال علي رضي
الله عنه والذي فلق الحبة وبرا النسمة انه عهد النبي صلى الله عليه وسلم
الامي الي ان لا يحبني الا مومن ولا يبغضني الا منافق وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقضاكم علي والقضا يستدعي الى معرفة ابواب الفقه كلها ومن الاخبار
قوله صلى الله عليه وسلم افرضكم زيد واقراكم ابي ومن فضايله مواخاة النبي
صلى الله عليه وسلم له كما مر في الباب السابع في السنة الاولى من الهجرة ومن
فضايله ما نقل في عيون التواريخ عن ابي بكر بن دريد قال كتب معاوية الى علي رضي
الله عنه يا ابا الحسن ان لي فضايل كثيرة كان ابي سيدا في الجاهلية وصرت ملكا
في الاسلام وانا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخال المومنين وكاتب الوحي
فقال علي انما ابا الفضايل يفخر علي ابن اكلة الاكباد ثم قال اكتب يا غلام

• محمد النبي اخي وصهري • وحمزة سيد الشهدا عمي •
• وجعفر الذي يمسي ويضحي • يطير مع الملايكة ابن امي •
• وبنت محمد سكني وعرسي • وسوط لحمها بدمي ولحمي •
• وسبطا احمد ولداي منها • فايكم له سهم كسهمي •
• سبقتكم الى الاسلام طرا • صغيرا ما بلغت اوان حلمي •

فقال معاوية اخفوا هذا الكتاب لا يقرا اهل الشام فيميلون الى علي وعن جابر

قال سمعت عليا ينشد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع

• انا اخو المصطفى لا شك في نسبي • معه ربيت وسبطاه هما ولدي •
• جدي وجد رسول الله منفرد • وفاطم زوجتي لا قول ذي فند •
• صدقته وجميع الناس في بهم • من الضلالة والاشراك والنكد •
• فالحمد لله شكرا لا شريك له • البر بالعبد والباقي بلا امد •

قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صدقت يا علي ودخل علي
رضي الله عنه مرة الى بيت المال فوجد الذهب والفضه فقال يا صفراء
اصفري ويا بيضاء ابيضي وغري غيري لا حاجة لي فيك وكتب عظيم الروم الى
الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يساله عن الروح فكتب اليه الامام عمر قوله
تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فارسل عظيم الروم اليه ان هذا الجواب لا يكفيني وانما اريد جوابا افهمه فقال
الامام عمر لا اعرف غير ذلك وكان ذلك بحضور الامام علي رضي الله عنه فاستاذن
عمر في رد الجواب فاذن له فكتب بسم الله الرحمن الرحيم الروح
لطيفة ربانية، نزلت من الخزاين الرحمانية، اودعت في الهياكل الجسمانية
فيمن لها رزقها، وجعلها عندك رهنا، فاذا وفي بما ضمن اخذ ما رهن
واما فصاحته وبلاغته فمما لا ينكره اهل البلاغة لما في كلامه من جودة
السبك وحسن الصياغة، من نظم ونثر ومواعظ، وحكم يستلذ بها
السامع واللافظ وقال ابن عباس رضي الله عنهما في حقه وجدنا كلام علي
دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ما انتفعت بكلام احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما انتفعت
بكتاب كتبه الي علي بن ابي طالب يقول فيه اما بعد فان المرء يسوءه فوت ما لم
يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من امر اخرتك
وليكن اسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما
فاتك منها فلا تاس عليه جزعا، وليكن همك ما بعد الموت، وكان نقش خاتمه
الله الملك وسياتي من كلامه ومواعظه شي في فضل الخطب من الباب
السادس والثلاثين في اباحة مجلس الوعظ وفي القسم الثاني من خاتمة الكتاب
بويع له بالخلافة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل عثمان
رضي الله عنه يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلثين جات
الصحابه وغيرهم الى داره فقالوا نبايعك فانت احق بها فقال اكون وزيرا خير من
ان اكون اميرا فابوا عليه فاتى المسجد فبايعوه وقيل بايعوه في بيته واول
من بايعه طلحة بن عبد الله وكانت يده مشلولة من نوبة احد فقال حبيب بن
ذويب وكان عايفا انا لله وانا اليه راجعون اول ما بدا بالبيعة يد شلاء
لا يتم هذا الامر وبايعه الزبير والباقون وامتنع من البيعة جماعة وسموا المعتزلة

لاعتزالهم بيعة علي رضي الله عنه ثم بعد المبايعة باربعة اشهر هرب طلحة والزبير الى مكة وقالا انما بايعناه خشية على نفوسنا ذكر مسير عايشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم الى البصرة قال القاضي مجير الدين لما ولي علي رضي الله عنه الخلافة فارقه طلحة والزبير ولحقا بمكة كما قدمنا واتفقا مع عايشة رضي الله عنها وكانت قد مضت الى الحج وعثمان محصورا ولما بلغ عايشة قتل عثمان اعظمت ذلك ودعت الى الطلب بدمه وساعدها على ذلك طلحة والزبير وعبد الله ابن عامر وجماعة من بني امية وجمعوا جمعا عظيما واتفق رايهم على المضي الى البصرة للاستيلاء عليها وقالوا معاوية بالشام قد كفانا امرها وكان عبد الله ابن عمر قد قدم من المدينة فدعوه الى المسير معهم فامتنع وساروا واعطى يعلى بن منبه عايشة الجمل المسمى بعسكر اشتراه بماية دينار فركبته فضربوا في طريقهم مكانا يقال له الحواب قال الجوهري الحواب مهموز ماء من مياه العرب على طريق البصرة فنبحتهم كلابه فقالت عايشة اي ماء هذا فاخبروها به فصرخت باعلا صوتها وقالت انا لله وانا اليه راجعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساوه يقول ليت شعري ايتكن تنبحها كلاب الحواب ثم ضربت عضد بعيرها وقالت ردوني انا والله صاحبة ماء الحواب فاناخوه يوما وليلة وقال لها عبد الله بن الزبير انه كذب يعني ليس هذا ماء الحواب ولم يزل بها وهي تمتنع فقال لها النجا النجا فقد ادرككم علي بن ابي طالب فارتحلوا نحو البصرة واستولوا عليها بعد قتال مع عثمان بن حنيف وقتل من اصحابه اربعون رجلا وامسك عثمان فنتفوا لحيته وحواجبه وسجن ثم اطلق ذكر مسير علي رضي الله عنه الى البصرة ولما بلغه مسير عايشة وطلحة والزبير الى البصرة سار نحوهم في اربعة الاف من اهل المدينة منهم اربعماية ممن بايع تحت الشجرة وثمانماية من الانصار وكان مسيره في ربيع الاخر سنة ستة وثلاثين ولما وصل الى ذي قار اتاه عثمان بن حنيف وقال يا امير المومنين بعثتني ذا لحية وجيتك امرد فقال اصبت اجرا وخيرا وقعة الجمل واجتمع الى علي من اهل الكوفة جمع واجتمع الى عايشة وطلحة والزبير جمع وسار بعضهم الى بعض بمكان يقال له الخريبة في النصف من جمادى الاخرة ووقع القتال وعايشة راكبة على الجمل الذي اسمه عسكر في هودج وقد صار مثل القنفذ من النشاب وتمت الهزيمة على اصحاب عايشة وطلحة والزبير ورمى مروان بن الحكم طلحة بسهم فقتله وكانا معا كانا مع عايشة وقيل انه طلب بذلك اخذ ثار عثمان منه لانه نسبه الى انه اعان على قتل عثمان وانهزم الزبير طالبا المدينة وقطعت على خطام الجمل ايد كثيرة وقتل من الفريقين خلق كثير ولما كثر القتل على خطام الجمل قال علي اعقروا الجمل فضربه رجل فسقط فبقيت عايشة في هودجها الى الليل وادخلها اخوها محمد بن ابي بكر الى البصرة وانزلها في دار عبد الله بن خلف قيل انه لما وقع القتال كثر

ذي قار

جماعة

جماعة عايشة رضي الله عنها من التكبير فلما سمعتهم قالت لا تكبروا فان كثرة التكبير عند القتال من الفشل وسياق في الباب واحد واربعين ان كثرة الصياح من الفشل ثم طاف علي رضي الله عنه على القتلى من اصحاب الجمل وصلى عليهم ودفنهم ولما راى طلحة قتيلا قال انا لله وانا اليه راجعون لقد كنت اكره ان ارى قريشا صرعى ثم قتل الزبير واتى قاتله براسه الى علي فقال علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشروا قاتل الزبير بالنار ثم امر علي عايشة بالرجوع الى المدينة وان تقر في بيتها مستهل رجب وجهزها على بما احتاجت اليه وسير معها اولاده مسيرة يوم وتوجهت الى مكة واقامت للحج تلك السنة ثم رجعت الى المدينة وقيل كانت عدة القتلى يوم الجمل من الفريقين عشرة الاف وسار الى الكوفة ونزلها وانتظم الامر له بالعراق ومصر واليمن والحرمين وخراسان ولم يبق خارجا عنه الا الشام وفيه معاوية واهل الشام مطيعون له فارسل اليهم جرير بن عبد الله البجلي لياخذ البيعة على معاوية ويطلب منه الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار وسار جرير الى معاوية فماطله وقال عمرو بن العاص بفلسطين فقدم عمرو على معاوية واتفقا على قتال علي ذكر وقعة صفين ولما اتفق معاوية وعمرو على قتال علي رضي الله عنه قدم جرير على علي واعلمه بذلك فسار علي رضي الله عنه من الكوفة الى جهة معاوية وسار معاوية وعمرو من دمشق باهل الشام الى جهة علي ثم دخلت سنة سبع وثلثين والتقيا بصفين ومضى المحرم ولم يكن بينهم قتال بل مراسلات يطول ذكرها ولم ينتظم بها امر ولما دخل صفر وقع بينهما القتال فيه وكانت بينهم وقعات كثيرة قيل كانت تسعين وقعة وكانت مدة مقامهم بصفين ماية وعشرة ايام وكانت عدة القتلى بصفين من اهل الشام خمسة واربعين الفا ومن اهل العراق خمسة وعشرين الفا منهم ستة وعشرون من اهل بدر وكان علي قد تقدم الى اصحابه ان لا تقاتلوهم حتى يبدوا بالقتال وان لا يقتلوا مدبرا ولا ياخذوا شيئا من اموالهم وان لا يكشفوا عورة وقاتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع علي قتالا عظيما وكان قد نيف عمره على تسعين سنة ولم يزل يقاتل حتى استشهد وفي الصحيح المتفق عليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقتل عمارا الفية الباغية وبعد قتل عمار انتدب علي رضي الله عنه اثني عشر الفا وحمل بهم على عسكر معاوية فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض ثم تقاتلوا وكانت ليلة الجمعة واستمر القتال الى الصبح وروي ان عليا رضي الله عنه كبر تلك الليلة اربعماية تكبيرة وكانت عادته انه كلما قتل قتيلا كبر ودام القتال الى الضحى يوم الجمعة ولما راى عمرو ذلك قال لمعاوية هلم نرفع المصاحف على الرماح ونقول هذا كتاب الله بيننا وبينكم ففعلوا ذلك ولما راى اهل العراق ذلك قصدوا الاجابة

فقال علي رضي الله عنه امضوا على حقكم وصدقكم في قتال عدوكم ثم قال ويحكم والله
ما رفعوها الا خديعة ومكيدة ثم وقع بين علي وقومه اختلاف في القول ولما
كفوا عن القتال سالوا معاوية لاي شي رفعت المصاحف فقال تبعثوا حكما
منكم وحكما منا وناخذ عليهما ان يعملا بما في كتاب الله ثم نتبع ما اتفقا عليه
فوقعت الاجابة من الطرفين الى ذلك ووقع اختلاف في القول فيمن يكون الغريقين
حكما فاستقر الحال على ان يكون ابو موسى الاشعري من جهة علي واخرج معاوية
عمرو بن العاص واجتمع الحكمان عند علي رضي الله عنه وكتب بحضوره كتاب
القضية بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى امير المومنين
علي فقال عمرو هو اميركم ولما اميرنا فلا فقال الاحنف بن قيس بن معاوية
التميمي لا تنسخ اسم امير المومنين فقال الاشعث بن قيس بن معدي كرب امح
هذا الاسم فاجاب علي ومحاه وقال الله اكبر سنة بسنة واني والله لكاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فكتب محمد رسول الله فقالوا
لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فامرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمحوه فقلت لا استطيع فقال فارنيه فاريته فمحاه بيده فقال
لي انك ستدعى الى مثلها فتجيب فقال عمرو سبحان الله شبهتنا بالكفار
ونحن مومنون فكتب الكتاب نسخته هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب
ومعاوية بن ابي سفيان قاضى علي على اهل الكوفة ومن معهم وقاضى
معاوية على اهل الشام ومن معهم انا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه
نحيي ما احيا ونميت ما امات فما وجد الحكمان في كتاب الله تعالى وهما ابو موسى
الاشعري واسمه عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجدا
في كتاب الله فبالسنة العادلة واخذ الحكمان من الله ومن معاوية رضي الله
عنهما ومن الجند المواثيق انهما امينان على انفسهما واهليهما والامة لهما الى
بتحكيمين انصار على الذي يتقاضيان عليه واجل القضاء الى رمضان
من هذه السنة وان احبا ان يوخرا ذلك اخراه وكتب في يوم الاربعا
لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين على ان يوافي علي
ومعاوية بموضع الحكمين في دومة الجندل في رمضان فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا
في العام المقبل باذرح اسم مكان ثم سار علي الى العراق وقدم الى الكوفة ولم
تدخل الخوارج معه واعتزلوا عنه ثم في هذه السنة بعث علي رضي الله عنه
للميعاد اربعماية رجل فيهم ابو موسى الاشعري وعبد الله بن عباس ليصلي
بالناس ولم يحضر علي وبعث معاوية عمرو بن العاص في اربعماية رجل ثم جاء
معاوية واجتمعوا باذرح وشهد معهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير
والمغيرة بن شعبة والتقى الحكمان فدعا عمرو ابا موسى الاشعري ان يجعل الامر
لمعاوية فابى وقال لم اكن لاوليه وادع المهاجرين الاولين ودعا ابو موسى

عمروا الى ان يجعل الامر لعبد الله بن عمر بن الخطاب فابى عمرو ثم قال لعمرو ما ترى
انت فقال ابو موسى اري ان نخلع عليا ومعاوية ونجعل الامر شورى بين
المسلمين فاظهر له عمرو ان هذا هو الراي ووافقه عليه ثم اقبلا على الناس
وقد اجتمعوا فقال ابو موسى انا راينا قد اتفق على امر نرجو به صلاح هذه
الامة فقال عمرو صدق تقدم فتكلم يا ابا موسى فلما تقدم لحقه عبد الله بن
عباس وقال له ويحك والله اني اظن انه خدعك ان كنتما اتفقتما على امر
فقدمه قبلك فاني لا امن ان يخالفك فقال ابو موسى لا قد اتفقنا فحمد
الله تعالى واثنى عليه وقال ايها الناس انا لم نر اصلح لامر هذه الامة من
امر قد اجتمع عليه رايي وراي عمرو وهو ان نخلع عليا ومعاوية ونستقبل
هذه الامة الامر فيولوا منهم من احبوا واني قد خلعت عليا ومعاوية
فاستقبلوا امركم وولوا عليكم من رايتموه اهلا عليكم في هذا الامر ثم تنحى
واقبل عمرو فقام مقامه فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هذا قد قال ما سمعتم
وخلع صاحبه وانا اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي فانه ولي عثمان
والمطالب بدمه واحق الناس بمقامه فقال له ابو موسى ما لك لا وفقك الله
غدرت وفجرت وركب ابو موسى ولحق بمكة حياء من الناس وانصرف عمرو واهل
الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ومن ذلك الوقت اخذ امر علي رضي
الله عنه في الضعف وامر معاوية في القوة ولما اعتزلت الخوارج عليا دعاهم
الى الحق فامتنعوا وقتلوا كل من ارسله اليهم وكانوا اربعة الاف ووعظهم
ونهاهم عن القتال فتفرقت منهم جماعة وبقي مع عبد الله بن وهب جماعة
على ضلالهم وقاتلوا فقتلوا عن اخرهم ولم يقتل من اصحاب علي سوى سبعة
انفس وسياتي شي من اخبار الخوارج في الملحق بهذا الباب ان شاء الله تعالى
ولما رجع علي رضي الله عنه الى الكوفة حض الناس على المسير على قتال معاوية
فتقاعدوا وقالوا نستريح ونصلح عدتنا فاحتاج علي لذلك ان يدخل الكوفة
ثم دخلت سنة ثمان وثلثين فيها جهز معاوية عمرو بن العاص الى مصر بعسكر
لقتال محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقاتله فهزمهم عمرو وقتل محمد
واحرق بالنار ودخل عمرو الى مصر وبايع اهلها لمعاوية ولما بلغ عايشة قتل
اخيها جزعت عليه وقنتت في دبر كل صلوة تدعو على معاوية وعمرو بن العاص
وضمت عيال اخيها اليها ولما بلغ علي رضي الله عنه مقتله جزع عليه
وقال عند الله نحتسبه ثم بعث معاوية سراياه بالغارات على عمال علي
تنهب الاموال وترجع بها اليه وتهزم الناس وعلي مع ذلك يخطب الناس
الخطب البليغة ويجتهد على الخروج الى قتال معاوية فيتقاعد عنه عسكره
وسنذكر له خطبة خالية عاطلة من حرف الالف بالباب السادس والثلثين
في فصل الخطب منه ثم دخلت سنة تسع وثلاثين والامر كذلك ثم دخلت سنة اربعين

اربعين وعلي بالعراق ومعاوية بالشام وله معها مصر وكان علي يقنت في الصلاة
ويدعو على معاوية وعلى عمرو بن العاص وعلى الضحاك وعلى الوليد بن عقبة
وعلى الاعور السلمي ومعاوية يقنت في الصلاة على علي والحسن والحسين وعبد الله
ابن جعفر رضي الله عنهم وقيل ان معاوية كان يغلب عليا بخديعته فقيل
له في ذلك فقال والله ما معاوية بادهى مني ولو شيت لكنت ادهى العرب
وانما كل دهاء مكر وكل مكر غدر ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة
وفي هذه السنة سير معاوية بشر بن ارطاة في عسكر الى الحجاز فاتى المدينة
وبها ابو ايوب الانصاري عاملا لعلي فهرب ولحق بعلي رضي الله عنهما ودخل
البشر المدينة وسفك فيها الدماء واستكره الناس على البيعة لمعاوية ثم
سار الى اليمن وقتل الوفا من الناس فهرب منه عبد الله بن عباس عامل علي
باليمن فوجد لعبد الله صبيين فذبحهما واتى في ذلك بعظيمة وقد وقع في
وقعة الجمل ووقعة صفين مشاجرات بين الصحابة رضي الله عنهم امسكت
عن ذكرها والخوض فيها وسئل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن وقعة
الجمل وصفين فقال تلك دماء كف الله يدي عنها وانا اكره ان اغمس لساني
فيها ويروى مثل ذلك عن ابراهيم النخعي على ما تراه بالباب الرابع عشر وقيل
لكميل بن زياد لم رفضت العامة عليا رضي الله عنه وكان له في كل خير ضرس
قاطع قال لان انوار اعينهم قصرت ان يدركوا نوره والناس الى اشكالهم اميل
وفي هذه السنة اجتمع بمكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس فيه من الحرب
والفتنة فتعاهد ثلاثة منهم وهم عبد الرحمن بن ملجم وملجم بكسر الميم وسكون
اللام وفتح الجيم كذا ضبط بالقلم في الصحاح المرادي والبرك بن عبد الله التميمي
وعمرو بن بكير التميمي على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص واتفقوا على ان لا يرجع
منهم احد الا ان يقتل صاحبه او يقتل وتواعدوا ان يكون ذلك ليلة سبعة
عشر من رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج منهم عبد الرحمن بن ملجم
لعنه الله لقتل علي رضي الله عنه فلما وصل الى الكوفة اتى قطام ابنة عمه
وكان علي رضي الله عنه قتل اباها واخاها يوم النهر وكانت اجمل اهل زمانها (النهروان)
فخطبها عبد الرحمن بن ملجم فقالت لا اتزوجك حتى تعطيني ما اسالك قال
لا تساليني شيئا الا اعطيتك قالت ثلاثة الاف وعبدا وقينة وقتل
علي بن ابي طالب فقال لك ما سالتي مهرا الا قتل علي فلا تذكريه فقالت بلى
التمس غرته فان اصبته شفيت نفسي ونفعك العيش معي وان هلكت
فما عند الله خير لك من الدنيا فقال قد اعطيتك ما سالت وخرج وهو يقول

ثلاثة الاف وعبد وقينة ... وضرب علي بالحسام المخذم

فلا مهر اغلى من علي وان علا ... ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

وفي نسخة المخذم والصول الحسم اذا كان حسامه مخذوما

المخذم بالخاء المعجمة على وزن اسم المفعول من باب التفعل وفي عيون التواريخ ان

البيتين

البيتين من ابيات لشاعر من الخوارج يقول فيهما

فلم ار مهرا ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام بينا غير معجم

وتنسب هذه الابيات الى ابي شاس المرادي الخارجي وانشد له ابن جرير في قتل
علي قوله

ونحن ضربنا ما لك الخير حيدرا ... ابا حسن في راسه فتفطرا

ونحن خلعنا ملكه من نظامه ... بضربة سيف اذ علا وتجبرا

ونحن كرام في الصباح اعزة ... اذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا

وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج وهو عمران بن حطان فقال

يا ضربة من تقي ما اراد بها ... الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

اني لاذكره يوما فاحسبه ... اوفى البرية عند الله ميزانا

فرد عليه بكر بن حماد بقصيدة عدتها اربعة عشر بيتا

قل لابن ملجم والاقدار غالبة ... هدمت ويلك للاسلام اركانا

قتلت افضل من يمشي على قدم ... واول الناس اسلاما وايمانا

واعلم الناس بالقران ثم بما ... سن الرسول لنا شرعا وتبيانا

صهر النبي ومولاه وناصره ... اضحت مناقبه نورا وبرهانا

وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هارون من موسى بن عمرانا

ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب الناس سبحانا

اني لاحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا

اشقى مراد اذا عدت قبايلها ... واخسر الناس عند الله ميزانا

كعاقر الناقة الاولى التي جلبت ... على ثمود بارض الحجر خسرانا

فلا عفى الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا

لقوله في شقي ظل مجترما ... ونال ما ناله ظلما وعدوانا

يا ضربة من تقي ما اراد بها ... الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

بل ضربة من غوي اوردته لظى ... فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا

كانه لم يرد قصدا بضربته ... الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

انتهى صح قال الراوي ثم اخذ ابن ملجم سيفا مسموما وجلس قبالة الباب
الذي يخرج منه علي الى المسجد فلما خرج رضي الله عنه لصلاة الصبح شد عليه
ابن ملجم لعنه الله وضربه على قرنه بالسيف فاوصله دماغه فقال علي رضي
الله عنه لما ضرب لا يفوتكم الرجل فشد عليه الناس على ابن ملجم وردوه بالحجارة
فضرب رجل ساقه ومنها اخر وجهه فصرعه واقبل به الى الحسن ثم دعا علي الحسن
والحسين رضي الله عنه وعنهما فاوصاهما بتقوى الله وقول الحق فقال رجل من
القوم الا تعهد يا امير المومنين قال لا ولكن اتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبقي رضي الله عنه الجمعة والسبت وقبض ليلة الاحد تاسع عشر رمضان
سنة اربعين وكفن في ثلاثة اثواب واختلف في موضع قبره فقيل دفن مما

بلي قبلة المسجد بالكوفة وقيل عند قصر الامارة وقيل حوله ابنه الحسن الى المدينة
ودفنه بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة رضي الله عنها والاصح وهو الذى
ارتضاه ابن الاثير وغيره ان قبره هو المشهور بالنجف وهو الذى يزار اليوم
وفي عيون التواريخ انه دفن بدار الامارة بالكوفة خوفا عليه من الخوارج
ان ينبشوا عن جثته هذا هو المشهور ومن قال انه حمل على راحلته فذهبت به
فلا يدرى اين ذهبت فقد اخطأ وتكلف ما لا علم له به ولا يسيغه عقل ولا
شرع واما ما يعتقده كثير من الروافض من ان قبره بمشهد النجف فلا دليل على
ذلك ولا اصل قال الخطيب البغدادى في تاريخه عن ابى نعيم الحافظ قال لو
علمت الشيعة قبر من هذا الذى يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة هذا قبر المغيرة
ابن شعبة وقيل انهم حملوه على بعير فضل منهم فاخذته طيئ يظنونه مالا فلما
رأوه ميتا لم يعرفوه دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم احد اين قبره حكاه الخطيب
البغدادى ايضا وعن عبد الملك بن عمير قال لما حفر خالد بن عبد الله القسرى
بنى مية اساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخا مدفونا ابيض الراس واللحية
كانما دفن بالامس فهموا باحراقه ثم صرفه الله عن ذلك فاستدعى بقباطى فلفه
فيها وطيبه وتركه مكانه وقتل على رضى الله عنه وعمره ثلاث وستون سنة
وخلافته اربع سنين وتسعة اشهر وقيل انه رضى الله عنه صلى يوما الغداة
فلبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كان عليه كآبة ثم قال لقد رأيت
امرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ادرى احدا يشبههم والله
ان كانوا ليصبحون شعثا غبرا بين اعينهم مثل ركب المعزى قد باتوا لله
سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم اذا ذكر
الله تعالى مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم
والله لكأن القوم باتوا غافلين ثم نهض فما رؤى مفترا حتى ضربه ابن ملجم
مادوا تمايلوا ومفترا ضاحكا ثم ان الحسن رضى الله عنه صلى الفجر وصعد
المنبر فاراد الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فحمد الله تعالى واحتسب عند
الله مكانه مصابه ووعظ ثم اطرق فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل الحسن
فجرد سيفه ودعا بابن ملجم ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده
ثم اسرع فيه السيف فقتله وقيل لما اراد الحسن قتل ابن ملجم قال عبد الله بن
جعفر دعونى حتى اشفى نفسى منه فقطع يديه ورجليه واحمى مسمارا حتى صار
كالجمرة ثم كحله به ثم ان الناس اخذوه فدرجوه في بوارى ثم طلوها بالنفط
واشعلوها بالنار وفي عيون التواريخ ان عبد الله بن جعفر فعل بابن ملجم ما فعل
وهو مع ذلك يقرأ سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق الى آخرها ثم حاولوا ليقطعوا
لسانه فجزع وقال انى اخشى ان تمر على ساعة لا اذكر الله فيها فقطعوا لسانه ثم
قتلوه وحرقوه وكان من العباد قرأ القرآن على معاذ بن جبل وكان من سبعه

علي

على رضى الله عنه وشهد معه صفين ثم فعل ما فعله وهو عند الخوارج من
افضل الامة وكذلك النصيرية يعظمونه قال ابن حزم يقولون ان ابن ملجم افضل
اهل الارض لانه خلص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره وعند الروافض
انه اشقى اهل الارض وكان على رضى الله عنه اذا رآه قال اريد حبوته ويريد
قتلى عذيرك من خليلك من مراد هذا ما كان من ابن ملجم واما ما كان من البرك
التميمى فانه ذهب الى معاوية فطعنه بخنجر في اليته وهو قائم يصلى فاخذ واوقف
بين يديه فقال له ويلك من انت وما خبرك فقال له لا تقتلنى فاننا ثلاثة
تبايعنا على قتلك وقتل على وعمرو بن العاص فاحبسنى عندك فان كانا قتلا
فخل سبيلى فامر معاوية بقتله فقتل في ذلك اليوم واما عمرو بن بكير فانطلق
الى عمرو بن العاص فوجد خارجة بن حبيب صاحب شرطته يصلى بالناس ابن ابى حبيبه
غداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة بالناس لمغص شديد عرض له فظن
انه عمرو فضربه بالسيف فقتله فاخذ واوقف بين يدى عمرو فسأله عن خبره
فقص عليه القصة واخبره ان عليا ومعاوية قتلا في هذه الليلة فامر به
فقتل في الحال ولما قدم للقتل جزع فقيل له اتجزع من الموت وقد اقدمت
على هذا الفعل فقال لا اله الا الله ولكن يفوز صاحباى بقتل على ومعاوية ولا
افوز انا بقتل عمرو فامر عمرو بضرب عنقه وصلبه ولما قبض قال اردت عمرا
واراد الله خارجة وارسلها والى هذا اشار ابن عبدون في قصيدته التى
رثى بها بنى الافطس في قوله

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة … فدت عليا بمن شاءت من البشر

عود ولما مات على رضى الله عنه صلى عليه ابنه الحسن وقيل كان عنده فضل
من حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى ان يحنط به والحنوط بفتح
الحاء المهملة ذريرة وقد تحنط به الرجل وحنط الميت تحنيطا كذا في الصحاح
وفي النهاية لابن الاثير الحنوط والحناط واحد وهو ما يخلط من الطيب
لاكفان الموتى واجسامهم خاصة وسيأتى شئ من كلامه في الباب السادس
والثلاثين وفي القسم الثانى من خاتمة هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكان
جملة اولاده الذكور اربعة عشر ولدا خلافة امير المؤمنين الحسن رضى الله عنه
وكنيته ابو محمد سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه النبى عليه الصلاة
والسلام كما سمى اخاه الحسين كما يأتى في الباب الخامس والستين فيما يستحب
من الاسماء وعق صلى الله عليه وسلم عنه يوم سابعه وحلق شعره وامر
ان يتصدق بزنته فضة والعق القطع ومنه عقيقة المولود وهى قطع
شعره لانه يقطع عنه يوم اسبوعه وبها سميت الشاة التى تذبح عنه يوم سبوعه
وارضعته ام الفضل امرأة العباس مع ابنها قثم بويع بالخلافة يوم مات ابوه
وكان اشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حليما كريما ورعا

دعاه ورعه وحلمه الى ان ترك الدنيا والخلافة لله تعالى بايعه اكثر من اربعين الفا
كانوا بايعوا اباه وفي عيون التواريخ انهم كانوا تسعين الفا او نحوها وبقي نحو
سنة اشهر خليفة بالحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ثم سار اليه
معاوية من الشام وسار هو الى معاوية فلما تقاربا علم انه لن تغلب احد الطائفتين
فارسل الى معاوية يبذل له تسليم الامر اليه على ان تكون له الخلافة بعده وان
لا يطالب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان ايام ابيه وغير ذلك
من القواعد فاجابه معاوية الى ما طلب واصطلحا على ذلك وظهرت المعجزة
النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم للحسن ان ابني هذا سيد ولعل الله ان
يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين كذا في المصابيح فسلم الامر الى معاوية
في شهر ربيع الاول سنة احدى واربعين من الهجرة وكانت خلافة الحسن رضي
الله عنه نحو ستة اشهر وكان نقش خاتمه الله اكبر وبه استعنت وقال
الشيخ كمال الدين بن ابي شريف المقدسي رحمة الله عليه وقيل ترك الحسن الامر
لمعاوية في جمادى الاولى من السنة المذكورة فالثلثون تقريب قال
الشيخ سعد الدين في شرح العقايد فمعاوية ومن بعده لا يكونون خلفاء بل ملوكا
وامراء وهذا مشكل لان اهل الحل والعقد من الامة كانوا متفقين على خلافة
الخلفاء العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز مثلا ولعل المراد ان الخلافة
الكاملة التي لا يشوبها شيء من المخالفة وميل عن المتابعة تكون ثلاثين سنة
وبعدها قد تكون وقد لا تكون انتهى كلامه ولما سلم الامر لمعاوية خطب فحمد الله
تعالى واثنى عليه وقال اما بعد فان اكيس الكيس التقى واحمق الحمق الفجور وان
هذا الامر الذي اختلفت انا ومعاوية انما هو حق امرء كان احق به مني او حق لي
تركته لمعاوية ارادة لصلاح الامة وحقنا لدمائهم وان الله تعالى
قد هداكم باولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول
وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وان ادري لعله فتنة لكم
ومتاع الى حين ومن كلامه ومواعظه رضي الله عنه رحم الله امرأ فطر
ففكر وفكر فاعتبر واعتبر فابصر وابصر فصبر فقد ابصر قوم ثم لم
يبصروا فذهب الحزن بقلوبهم فلم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا
الى ما فارقوا خذوا من الدنيا ما صفا ودعوا كدرها فليس الكدر
ما عاد صفوا ولا الصفو ما عاد كدرا وخلافته رضي الله عنه ظهر ما روى
سفينان رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون
سنة ثم تعود ملكا عضوضا قال الازهري اي فيه عسف وظلم وكانه بعض
الرعايا وكان آخر ولاية الحسن ثلاثين سنة لان ابتداء خلافة ابي بكر رضي
الله عنه من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وانتهاء خلافة الحسن
رضي الله عنه في ربيع الاول سنة احدى واربعين من الهجرة وفي كتاب الفتن

من المصابيح ان سفينه بين وفصل الثلثين سنة فجعل لابي بكر سنتين
ولعمر عشرة ولعثمان اثني عشر سنة ولعلي ستة فليراجع ولم يزل الحسن رضي
الله عنه بالمدينة الى ان مات بها مسموما في شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين
وله سبع واربعون سنة وقيل مات ليلة السبت لثمان خلون من المحرم سنة
خمسين وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن في البقيع وهو اكبر من الحسين
بسنة وتزوج الحسن رضي الله عنه كثيرا من النساء وكان مطلاقا وكان
يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من راسه الى سرته وكان الحسين
يشبهه من سرته الى قدميه وفي عيون التواريخ استفيد ان زوجته
جعده بنت الاشعث بن قيس سمته دس اليها يزيد بن معاوية ان سمي
الحسن اتزوجك وكان معاوية قد جعل ولاية العهد بعده للحسن فلما سمته
ومات بعثت الى يزيد وذكرته الوعد فقال يزيد والله لم نرضك للحسن فكيف
نرضاك لانفسنا ولم يتزوجها ولما مات الحسن ارتجت المدينة صياحا وكان
قد اوصى ان يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يخاف فتنة
فحال مروان ومن معه دون ذلك وقال والله لا يدفن في الحجرة وقد دفن عثمان
في البقيع فبلغ ذلك معاوية فاستحسنه فدفن بالبقيع عند قبر امه فاطمة
رضي الله عنها بعد ان لبس بنو امية السلاح وكذلك الحسين وبنو هاشم
وخاف الناس وقوع الفتنة واشار سعد بن ابي وقاص وابو هريرة وجابر
وابن عمر على الحسين ان لا يقاتل وامتثل ذلك ودفنه هناك وسياتي بالملحق بالباب
الثالث عشر بعد ذكر معاوية والعداوة بين بني هاشم وبني امية ولما بلغ
معاوية موت الحسن خر ساجدا شكرا قال بعض الشعراء

اصبح اليوم بن هند شامتا	ظاهر النخوة اذا مات الحسن
يا ابن هند ان تذق كاس الردا	تك في الدهر كشيء لم يكن
لست بالباقي فلا تشمت به	كل حي للمنايا مرتهن

ومن فضايله رضي الله عنه في الصحيح قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وروي
انه صلى الله عليه وسلم مر بالحسن والحسين وهما يلعبان فطاطا لهما عنقه
وحملهما وقال نعم المطية مطيتهما ونعم الراكبان هما وفضايله كثيرة رضي الله عنه
واما ذكر مدد دولة الامويين والفاطميين وخلافة العباسيين الى
يومنا هذا ففي ذلك الصحابة رضي الله عنهم اختلاف وقد وقفت على مختصر
في ذلك للحافظ اسمعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي صاحب التاريخ الكبير
بخط ولده عبد الرحمن ابتدا فيه من خلافة الامام ابي بكر الصديق رضي
الله عنه الى خلافة المستعصم ابي احمد عبد الله العباسي ومقتله في سنة
ست وخمسين وستماية ولم يتعرض فيه لذكر الفاطميين بمصر واخبارهم بل ذكر

مدة حكمهم واما تاريخ قاضي القضاة مجير الدين المقدسي الحنبلي فقد ابتدا فيه
من آدم عليه السلام وانتهى الى خلافة المتوكل على الله ابي العز عبد العزيز
العباسي بمصر في احد الربيعين من سنة اربع وثمانين وثمانماية وقد
استخرت الله تعالى اذا اثبت هاهنا ما ذكره الحافظ ابن كثير من ابتدا الامويين
الى اخره لقربه الى الصحة مستغنيا عن ذكر من قبلهم لاشتمال هذا الباب على
ذكرهم رضي الله عنهم ثم اذكر بالملحق بهذا الباب ما في تاريخ قاضي القضاة مجير
الدين على وجه الاختصار دفيه ولا اطناب مع زوايد ستقف عليها ان شاء
الله تعالى فاقول وبالله التوفيق قال الحافظ اسمعيل بن كثير معاوية ابن ابي
سفيان صخر بن حرب بن امية رضي الله عنه اول من سمي سلطان الاسلام
ولقبه الحافظ مغلطاي الناصر لحق الله بويع بالملك حين سلم اليه الحسن بن
علي رضي الله عنهما الامر سنة اربعين وقيل في شوال سنة احدى واربعين
ببيت المقدس فقام اتم قيام في قتال الاعداء من الكفار واطاعه اهل الاسلام
من العراق ومصر والشام واجتمعت الكلمة عليه ففتح بلادا كثيرة واستحوذ
على ممالك عديدة ومن جملتها انه فتح قبرص سنة سبع وعشرين وهو نايب
لعثمان رضي الله عنه واغزى ولده يزيد بلاد الروم حتى حاط القسطنطينية
وضيق عليهم وكان معه

الباب الرابع عشر في القول في الصحابة رضي الله عنهم وفيه اربعة
فصول الاول في الرفض والزندقة الثاني في روية الله تعالى الثالث في اسماء
الجنان والنيران والرابع في السخاء والجودة قال الفقيه رحمه الله تعالى
ينبغي للعاقل ان يحسن القول في الصحابة ولا يذكر احدا منهم بسوء ليسلم دينه
وروى عن عبد الله بن مُغفَّل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الله الله
في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن آذاني فقد آذى

الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه اي سريعا يقال اوشك يوشك ايشاكا
اي اسرع وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا
وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال على المنبر خير هذه الامة بعد
نبيها ابو بكر وخيرها بعد ابي بكر عمر ثم قال والله لو شئت لسميت الثالث قال
بعضهم انما عنى به عثمان وقال بعضهم انما عنى به نفسه وقال محمد بن الفضل
اجمعوا ان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر واختلفوا في عثمان وعلي ونحن
نقول عثمان ثم علي على ترتيب الخلافة ثم ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم خيار صالحون ينبغي ان لا نذكر احدا منهم الا بخير وروى عن
ابرهيم النخعي انه سئل عن القتال الذي وقع بين الصحابة فقال تلك دماء
قد سلمت ايدينا منها فلا نلطخ بها السنتنا اقول وقد تقدم مثل ذلك عن
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في اواخر خلافة علي رضي الله عنه ثم قال
الفقيه وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا يجتمع حب هولاء الاربعة الا في قلب مؤمن ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
رضوان الله عليهم اجمعين وروى ابو اسحق الهمداني عن نقيع عن علي رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى امرني
ان اتخذ ابا بكر والدا وعمر مشيرا وعثمان سندا وعليا ظهرا وقال صلى الله عليه
وسلم انهم اربعة اخذ الله ميثاقهم في ام الكتاب لا يحبهم الا مومن
ولا يبغضهم الا فاجر فهم خلايف نبوتي وعضد ديني وعصبة امري
ومعدن حكمتي لا تقاطعوا ولا تحاسدوا وروى ابو الزبير عن جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ابو بكر وزيري القايم في امتي بعدي وعمر حبيبي
وعثمان ختني وعلي اخي وصاحب لوائي اقول قوله ختني قال الجوهري الختن
من كان من قبل المراة مثل الاب والاخ وهم اختان هكذا عند العرب واما
عند العامة فختن الرجل زوج ابنته لقوله هكذا عند العرب اي عند بعضهم
واما عند عامتهم فختن الرجل زوج ابنته وليس مراده بالعوام الذي لا
يوخذ بقولهم وروى محمد بن جبير بن مطعم ان امراة اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامرها بامر فقالت ارايت ان لم اجدك قال ان لم تجديني فاتي ابا بكر وروى
عن ابي عصمة نوح بن ابي مريم قال سالت ابا حنيفة رحمه الله تعالى عن اهل
السنة والجماعة فقال من فضل ابا بكر وعمر واحب عثمان وعليا وراى المسح
على الخفين ولا يكفر احدا من الامة بذنب ولا ينطق في الله بالشي ولا يحرم
نبيذ الجرة انتهى بكماله وقال الشيخ سعد الدين في شرح العقايد وكان السلف
كانوا متوقفين في تفضيل عثمان رضي الله عنه حيث جعلوا من علامات
السنة والجماعة تفضيل الشيخين ومحبة الختنين والانصاف انه ان اريد بالافضلية

خ ظهيرا

كثرة الثواب فللتوقف جهة وان اريد كثرة ما يعده ذوو العقول من الفضايل
فلا انتهى قال الشيخ كمال الدين بن ابي شريف عبارة الشيخ سعد الدين محتملة الانفصاح
فيها بالمفضل منهما وكان نكتة الاحتمال الجمل والله اعلم ميله الى تفضيل علي رضي الله الاجمال
عنه بناء على ان المراد بالافضلية الشق الثاني لما قاله شيخنا ابو الفضل بن حجر
العسقلاني انه روي عن الامام احمد وغيره انه قال لم يرو لاحد من الصحابة
من الفضايل ما روي لعلي رضي الله عنه انتهى واما نبيذ الجرة او الجر فقد ورد
في حديث بن عمر وابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حرم
نبيذ الجرة بلا تاء مضمومة ويروى بها كثمرة وتمرة قال ابن عباس رضي الله
عنه وهي كل شيء يصنع من مدر قال في المغرب المدر محركا العين جمع مدرة
والتراب المتلبد وقال الازهري قطع الطين وقيل الطين العلك لا يخالطه
رمل قال الشيخ كمال الدين بن ابي شريف ويوخذ من الروايات الواردة فيه ان
صنعته بان يشوى ثم يطلى بما يسد مسامه فمنه الحنتم وهي الجرار الخضر
والمزفت وكان صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الدبا والحنتم والمزفت والنقير
والمراد نبيذ في الادم كذا في المصابيح والحنتم الجرة والنقير واصل النخلة
ينقر فيتخذ منه اوعية ينبذ فيها والنهي عن هذه الاوعية لانها ليشتد فيها
النبيذ فلا يشعر بذلك صاحبها فيكون على غرر من شربها والادم بفتح
الهمزة والمهملة بمعنى الاديم وهو الجلد وقد نسخ هذا الحديث بريدة الاتي
قال الشيخ سعد الدين في شرح قول النسفي ولا نحرم نبيذ الجرة وهو ان ينبذ
تمرا وزبيب في الماء فيجعل في اناء من الخزف فيحدث فيه لذع بالمعجمة ثم المهملة
كما في القفاع وكانه نهى عن ذلك في بدء الاسلام لما كانت الجرار اواني الخمور
ثم نسخ فعدم تحريمه من سواد اهل السنة والجماعة خلافا للروافض
وهذا بخلاف ما اشتد وصار مسكرا فان القول بحرمة قليله وكثيره مما ذهب
اليه كثير من اهل السنة انتهى وحديث بريدة الموعود بالاتيان به ما ورد
في المصابيح في حديث بريدة انه صلى الله عليه وسلم قال نهيتكم عن الاشربة
الا في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وفيه عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبذ
له في اول الليلة فيشربه اذا اصبح يومه ذلك والليلة التي تجيء والغد
والليلة الاخرى والغد الى العصر فان بقي سقاه الخادم او امر به فصب والمام
يشربه صلى الله عليه وسلم لانه كان دردیا وهذا يدل على جواز ان يطعم السيد
مملوكه طعاما اسفل ويطعم هو طعاما اعلا ولنشرع في ذكر الفصول
الاربع فنقول الفصل الاول في الرفض والزندقة قال الفقيه رحمه الله
تعالى روي عن علي رضي الله عنه انه قال يهلك في اثنان محب مفرط ومبغض
مفرط وقال رضي الله عنه يخرج في اخر الزمان قوم ينتحلون شيعتنا وليسوا

من شيعتنا لهم نبز يا لتحريك يعني لقبهم الروافضه قال فاذا لقيتموهم فاقتلوهم
فانهم مشركون وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال يكون في اخر الزمان قوم يسمون الروافضة يرفضون
الاسلام ويلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون ويقال ان هارون الرشيد قتلهم
بهذا الحديث وروى عن عامر الشعبي انه قال الترفض سلم الزنادقة وما رايت
رافضيا الا ورايته زنديقا وفي الكمال في اسماء الرجال عامر بن شراحيل الشعبي
احد الاعلام ولد زمن عمر وسمع عليا وابا هريرة والمغيرة وغيرهم وجماعة من
الصحابة قال ادركت خمسماية من الصحابة قال مكحول ما رايت افقه من الشعبي
وقال اخر الشعبي في زمانه كابن عباس في زمانه مات سنة ثلاث او اربع
وماية انتهى ملخصا ثم قال الفقيه صاحب مذهب الزنادقة اسمه زندك
فسموا بهذا انتهى كلامه اقول شيعة الرجل اتباعه وانصاره يقال شايعه كما
يقال والاه من الولي كذا في الصحاح وشيعة علي رضي الله عنه اربعة عشر فرقة
مفصلة في كتاب الملل والنحل وغيره منها الرافضة وسموا بذلك لانهم رفضوا
الحق وذلك انه لما اراد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الخروج واخذ الخلافة اجتمع اليه جماعة من الشيعة فقالوا ما تقول في ابي بكر
وعمر فقال لهم زيد رحمهما الله تعالى وغفر لهما ما سمعت احدا من اهل بيتي يتبرا منهما
ولا يقول فيهما الا خيرا فحاججوه في ذلك ثم قالوا اما نقاتل معك حتى تتبرا منهما
فقال معاذ الله والله لا فعلنه ابدا ففارقوه ورفضوا الحق فسموا الرافضة
وقيل غير ذلك وقال هشام كانوا قد اجتمعوا ابا جعفر محمد بن علي وقالوا
ما تقول في زيد بن علي قال سيدنا وافضلنا بايعوه فلما قال لهم زيد ما قال في
الشيخين تركوه ذكر هذا سبط بن الجوزي وذكر ان ادم بن عبد الله الخثعمي سال
زيدا عن تفسير قوله تعالى والسابقون من هم فقال ابو بكر وعمر فقيل
له فانت تقول هذا فقال الا انالني الله شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان لم
اوالهما رضي الله عنه وعنهما وسياتي اخبار زيد وقتله بالملحق بالباب
الثالث عشر عند اسم هشام بن عبد الملك وانما زاغت الرافضة لغلوهم في
محبة امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه بمجاوزة الحد في تفضيله
على الشيخين بغير حق قال تاج القراء في قوله تعالى في المايدة قل يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم غير الحق الغلو مجاوزة الحق والحد وقوله غير الحق يجوز ان يكون
معناه غير محقين او الا الحق فيجوز الغلو فيه انتهى وعلى القول الثاني غلوا اهل
السنة في تفضيل الشيخين رضي الله عنهما وعن بقية الصحابة اجمعين والرافضة
اكذب الفرق الاسلامية قال صاحب منهاج السنة النبوية ان اهل الحديث
والفقها والتجار والجند والعامة والمسلمين وكل من عاشر الرافضة وجربهم
قديما وحديثا يشهدون انهم اكذب الطوايف واذا وجد فيهم صادق فالصادق

في غيرهم اكثر واذا وجد في غيرهم كاذب فالكاذب فيهم اكثر ولا يخفى ذلك على العاقل
وقال عبد الله بن المبارك والمعتزلة اشهر الطوايف بالكلام ولهذا كانوا اشهر
الطوايف بالبدع عند الخاصة واما الرافضة فهم المعروفون بالبدعة عند
الخاصة والعامة حتى ان اكثر الناس لا يعرف في مقابلة السني الا الرافضي
لظهور مناقضتهم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم انتهى وقد وافقت
الرافضة اليهود في خصلة نكتة صورة تحليف الرافضي اذا حلف على نفي
او اثبات ان يقول والله العظيم وما اعتقده من صدق محمد صلى الله عليه
وسلم ونصه على امامة ابن عمه ووارث علمه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
في قوله من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وادر او واجر الحق على لسانه كيف ما دار واكون قد صدقت دعوى زياد على
حكم ابن مرجانة وكنت مع عمر بن سعد في قتال الحسين وقلت ان الامر يصير بعد
الحسن الى الحسين وساعدت شمر بن جوشن لعنه الله تعالى على اهل تلك البلية
وسبيت اهل البيت وسقتهم بالعصا الى دمشق ورضيت بامامة يزيد لعنه
الله تعالى وان الامامة لم تنتقل بعد الحسين الى اهل البيت الى المهدي انني ما فعلت
كذا او انني افعل كذا قال والزنادقة جمع زنديق وعن سيبويه الهاء فيه عوض
عن الياء كفرازنة وفرزين ونقل ابن دريد عن ابي حاتم ان الزنديق فارسي معرب
كان اصله عنده زنده كرد دزند الحياة وقيل الحي وكرد العمل اي يقول
بدوام الدهر ويقال للقدري دهري وملحد وعن ابي حاتم انه زنديه فقط
باسكان الياء او فتحها اذا جيء بالدهر نقل ملخصا من المعرب من الكلام
الاعجمي للجواليقي ويقال الزنديق من يظهر الايمان ويبطن الكفر ويويده ما ياتي
في فصل اسماء الجنان من هذا الباب ان الزنادقة هم المنافقون الفصل
الثاني في رؤية الله تعالى قد تقدم في هذا الباب ان من السنة ان لا يتكلم
الانسان في الله بشيء وقال الفقيه تكلم الناس في الرؤية قال بعضهم لا يرى
سبحانه وتعالى في الدنيا ولا في الآخرة وقال بعضهم يراه اهل الجنة في
الآخرة بغير كيف ولا تشبيه كما انهم يعرفونه في الدنيا بغير كيف ولا تشبيه
فكذلك يراه اهل الجنة بغير كيف ولا تشبيه كما يشاء هو سبحانه وتعالى
جلت قدرته اما من قال ان الله تعالى لا يرى ذهب الى قوله تعالى في سورة الانعام
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وقال تعالى لموسى عليه السلام حيث
قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولفظة لن تقتضي الابد واما من قال
بجواز الرؤية يعني في الآخرة احتج بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة اي حسنة
الى ربها ناظرة اي مبصرة وفي موضع آخر كلا انهم يومئذ لمحجوبون وقال تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال ابن عباس رضي الله عنهما الزيادة النظر الى
وجه الله تعالى بلا كيف وروى جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ولا تضامون
في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها فافعلوا ثم تلا قوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
قال الفقيه قال سمعت محمد بن الفضل يقول قال علي بن عاصم اجتمع اهل السنة
والجماعة ان الله تعالى لم يره احد من خلقه في الدنيا وان اهل الجنة يرونه
في الآخرة انتهى بكماله اقول ساق تاج القراء في تفسير قوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى اقوالا منها انه قال ثم اختلفوا في المرئي فذهب ابن مسعود
في جماعة انه جبريل عليه السلام رآه على صورته التي خلقه الله تعالى عليها
وله ستمائة جناح والى هذا ذهبت عائشة رضي الله عنها فيما رواه مسروق
عنها انه قال قلت لعائشة يا اماه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه
فقال لقد وقف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار الآية وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن
حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
ومن حدثك انه عليه الصلاة والسلام كتم شيئا فقد كذب ثم قرأت يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين
وعن ابي ذر قال سألت رسول الله هل رأيت ربك قال رأيت نورا اني اراه
وذهب ابن عباس في جماعة انه الرب سبحانه وتعالى رآه بعين رأسه والى
هذا ذهب انس والحسن وعكرمة رضي الله عنهم وذهب جماعة الى انه رآه بعين
قلبه انتهى قال القاضي عياض في الشفا انه ورد في حديث ابي ذر روايات
احديهما التي ذكرها تاج القراء آنفا انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت نورا
اني اراه اي كيف اراه انتهى وقيل ان رؤيته له بعين رأسه من خصائصه
عليه الصلاة والسلام لان الله تعالى خصصه بالجسد الباقي الذي لا يفنيه
التراب فرأى الباقي سبحانه وتعالى بالبصر الباقي وقال ابن الوردي في منظومته
في تعبير الرؤيا ومن رأى الله بعينه كفر اي من رأى ذلك في منامه فانه
يقع في كفر في اليقظة اذ مدعي ذلك في اليقظة يكفر ما عدا النبي صلى الله عليه
وسلم لما تقرر واما دعوى بعض اهل التصوف رؤية الله تعالى بالعين في الدنيا
على قول من يمنع الرؤية في الدنيا وغير موله على قول من يقول بجوازها فيها كما قاله
قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في الشفا بعد ذكره الخلاف في رؤية الله
تعالى في الدنيا وعدمها قال والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا
جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى
عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم
يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته في الغيب الذي لا يعلمه الا من

علمه الله تعالى فقال له لن ترانى اى لا تطيق ولا تحتمل روية ثم ضرب له مثلا بما هو
اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل روية فى
الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا
امتناعها اذ كل موجود فرويته جايزة غير مستحيلة انتهى وما ذكر فى هذا الفصل
فنحو الشفاء اضعاف اضعافه فمن اراد الاطلاع على ذلك فعليه بالشفا وشروحه
الفصل الثالث فى اسماء الجنان وما اعد الله لاهلها فيها واسماء النيران
النيران قال الفقيه رحمه الله تعالى الجنان اربعة كما قال الله تعالى فى سورة
الرحمن ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال تعالى بعد ذلك فيهما ومن دونهما
جنتان فتلك اربع جنان احديهن جنة الخلد والاخرى جنة الفردوس والثالثة
جنة المأوى والرابعة جنة عدن فابوابها ثمانية وانما عرفت ابوابها بالخبر
ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وليس فى كتاب الله تعالى ذكر عدد الابواب
وقال بعضهم فى كتاب الله دليل ان ابوابها ثمانية لانه قال تعالى حتى اذا
جاؤها وفتحت ابوابها وقال فى ذكر النار حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها بغير واو
وذكر ابواب الجنة بالواو فذكرها بالواو دليل على انها ثمانية ابواب لان الواو
تذكر عند ذكر الثمانية الا ترى الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم فلم يذكر فى الرابع والسادس الواو ثم قال
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم فذكر الواو عند ذكر الثمانية وقال تعالى
فى سورة التائبون العابدون ثم قال عند ذكر الثمانية والناهون عن المنكر
وقال تعالى فى سورة خيرا منكن مسلمات مومنات قانتات الى قوله وابكارا
فذكر الواو عند ذكر الثامن والصحيح ان يقال انما عرف ان ابوابها ثمانية بالاخبار
وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ادنى اهل الجنة منزلة الذى له من
الجنة مسيرة خمسماية عام وله خمسماية حوراء وانه ليعانق الزوجة عمر الدنيا
وتوضع المايدة بين يديه فلا تنقضى شعبة عمر الدنيا وفى الشراب كذلك ويقال
لكل شى فى الجنة نظير فى الدنيا فاهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يتغوطون
نظيره فى الدنيا الولد فى البطن واهل الجنة لهم خدم اذا تمنى الرجل شيئا جاؤه
به قبل ان يامره فيعرفون حاجته قبل ان يتكلم بها نظيره فى الدنيا اعضاؤه
اذا احتاج الانسان الى شى عرفا اعضاؤه فيفعلون ذلك من غير ان يامرهم ويكلمهم
وفى الجنة شجرة يقال لها طوبى اصلها فى دار محمد صلى الله عليه وسلم واغصانها
فى كل دار وفى كل موضع من الجنة نظيرها فى الدنيا الشمس فقد وصل نورها
فى كل دار وفى كل موضع اقول وفى الصحاح طوبى فعلى من الطيب قلبوا الياء
واوا للضمة قبلها انتهى ولعل اسم الشجرة طوبى لطيب رايحتها او لطعمها الطيب
وكلاهما لاصل الجنة قال تعالى طوبى لهم وحسن مآب ثم قال الفقيه وفى الجنة لا
ينفد طعامها وان اكلوا منه لا ينقص منه شى نظيره فى الدنيا القرآن يتعلمونه

ويعلمونه وهو على حاله لا ينقص منه شى وفى الجنة ظل ممدود نظيره فى الدنيا
الوقت الذى قبل طلوع الشمس فى الدنيا كلها ظل ممدود فذلك قوله تعالى الم تر
الى ربك كيف مد الظل يعنى قبل طلوع الشمس وروى عن النبى عليه الصلاة
والسلام انه قال الا انبيكم بساعة هى اشبه بساعة اهل الجنة وهى الساعة
التى قبل طلوع الشمس ظلها دايم ورحمتها باسطة وبركتها كثيرة والنيران
سبعة بعضها فوق بعض لها سبعة ابواب لكل باب منها جزء مقسوم
فاولها جهنم وهو اعلى الابواب وهى التى يمر عليها الخلق يوم القيامة
قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا والثانية اسمها
لظى والثالثة اسمها الحطمة والرابعة اسمها السعير والخامسة اسمها سقر
والسادسة اسمها الجحيم والسابعة اسمها الهاوية وهى اسفل النيران
وفيها اشد العذاب اعدت للزنادقة وهم المنافقون اقول قال بعض الحكما
النيران اربعة نار تاكل وتشرب وهى نار المعدة ونار لا تاكل ولا تشرب وهى
نار الحجر ونار تشرب ولا تاكل وهى نار البرق ونار تاكل ولا تشرب وهى نار الحطب
وقيل النار التى تاكل وتشرب هى نار جهنم اجارنا الله تعالى منها ثم قال الفقيه
وخازن النار يقال له مالك قد البسه الله تعالى عليه الغضب والهيبة وخازن
الجنة يقال له رضوان قد البسه الله تعالى عليه الرحمة والرافة اللهم ارزقنا
لقاءه ورويته انتهى بكماله اقول قال ابن عباس رضى الله عنهما الجنات سبعة
دار الجلال ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد
وجنة الفردوس وجنة النعيم وقيل اربعة كما ذكره الفقيه ولم يذكر
الله غيرها وهذا القول عزاه المصنف الى اكثر العلماء فان قيل فقد قال
تعالى عندها جنة المأوى قيل جنة المأوى اسم لجميع الجنان يدل على ذلك انه
تعالى قال فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون فالجنة اسم الجنس فمرة
يقال الجنة ومرة جنات وكذلك القول فى جنة عدن وجنات عدن لان العدن
الاقامة وكلها دار الاقامة كما ان كلها مأوى المومنين وكذلك دار الخلد
ودار السلام لان جميعها الخلد والسلامة من كل خوف وحزن وكذلك جنات
النعيم وجنة نعيم لان كلها مشحونة باصناف النعم كذا ذكره الحلبى وقال
انما منعنا ان نجعل كل واحدة من العدن والمأوى والنعيم جنة سوى الاخرى
لان الله تعالى اذا كان سمى شيئا من هذه الاسماء جنة فى موضع فقد سمى الجنات
كلها بذلك الاسم فى موضع اخر فعلمنا ان هذه الاسماء ليست لتمييز جنة من جنة
ولكنها للجنان اجمع سيما وقد اتى الله تعالى بذكر العدد فلم يثبت الا اربعا وقد
اثبت الله تعالى لهذه الجنات ابوابا ثمانية بقوله تعالى وفتحت ابوابها يعنى
بواو الثمانية وقال صلى الله عليه وسلم ان ابواب الجنة ثمانية فيحتمل ذلك على ان
يكون لكل جنة بابان والله اعلم وجاء فى الحديث ان الله تعالى خلق ثلاثة اشياء

بيده خلق ادم بيده وكتب التورية بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتى
لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث وهو الذى لا غيرة له وفى اللباب الفردوس البستان
يجمع الكرم والنخل وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الجنة ماية
درجة ما بين كل درجة مسيرة ماية عام والفردوس اعلاها درجة منها
تتفجر الانهار والفردوس من فوقها فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس وفوقها
عرش الرحمن وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها وافضلها وعن
كعب انها اعلا الجنان وفيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال
السدى النبط يسمون العنب فردوسا انتهى والنبط قوم ينزلون بالبطائح
بين العراقين والجمع انباط وفى كلام ابن القرية اهل عمان بضم اوله وتخفيف
الميم عرب استنبطوا واهل البحرين نبيط استعربوا كذا فى الصحاح وذكر الجواليقى
فى كتاب المعرب من الكلام الاعجمى اقوالا فى الفردوس منها انه رومى بمعنى البستان
الذى فيه الكرم وانه انث فى قوله تعالى يرثون الفردوس هم فيها خالدون
لانه بمعنى الجنة وهو مذكر لما ورد فى الحديث نسألك الفردوس الاعلى وقيل
هو بالسريانية فردوس ايضا ولم يستعمله العرب فى اشعارها الا حسان بن ثابت
فى قوله • وان ثواب الله كل موحد • جنان من الفردوس فيها يخلد •
وقال الفراء هو عربى لانهم يسمون البستان الذى فيه الكرم فردوسا والجنة
فى السماء بدليل ما تقدم فى قول قتادة ان فوقها عرش الرحمن وبقوله تعالى فى
اول النجم ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى وقد ذكر
الفقيه ما اعد الله تعالى لادنى اهل الجنة منزلة ويكفينا ما اعده الله تعالى
لاهل الجنة فيها وما اعده لاهل النار فيها فيما نطق فيها به تعالى فى اواخر
سورة الرحمن واوائل الواقعة وقال ابرهيم التيمى مثلت فى نفسى الجنة اكل من
ثمرها واعانق ازواجها والبس حللها ومثلت فى نفسى النار اعالج اغلالها
واكل من زقومها فقلت يا نفسى اى شى تريدين الان قالت اريد ان ارد الى الدنيا
فاعمل فقلت انت الان فى الامنية فاعملى واما الحور فقد ورد فى الحديث ان
الحور العين ياخذ بعضهن بايدى بعض ويتغنين باصوات لم تسمع الخلايق
باحسن منها يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن المقيمات فلا نظعن
ابدا ونحن الخالدات فلا نموت ابدا ونحن الناعمات فلا نبؤس ابدا ونحن جوار معنى نبؤس لا يلازم الناعمات
حسان حبيبات لازواج كرام واخرجه الترمذى ايضا بمعناه من حديث على رضى
الله عنه وقالت عايشة رضى الله عنها ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة
اجابتهن المؤمنات من نساء اهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات
وما صمتن ونحن المتوضيات وما توضاتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن
قالت عايشة رضى الله عنها فغلبنهن اقول قوله الحور فلا نبؤس ابدا قال الجوهرى
بئس كلمة ذم ونعم كلمة مدح تقول بئس الرجل زيد وبئست المراة هند وهما فعلان

ماضيان لا يتصرفان لانهما ازيلا عن موضعهما فنعم منقول من قولك نعم فلان
اذا اصاب نعمة وبئس منقول من بئس فلان اذا اصاب بؤسا فنقلا الى المدح
والذم فشابها الحروف فلم يتصرفا واختلف فى ايهن اكثر حسنا وابهر جمالا الحور
ام الادميات فقيل الحور لما ذكر من وصفهن فى القرآن والسنة وقيل الادميات
افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف روى مرفوعا وذكر ابن المبارك
ان نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن فى الدنيا
وقد قيل ان الحور العين المذكورات فى القرآن هن المؤمنات من ازواج النبيين
والمؤمنين يخلقهن الله تعالى فى الاخرة على احسن صورة قاله الحسن البصرى
والمشهور ان الحور العين لسن من نساء الدنيا انما هن مخلوقات فى الجنة لان
الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نساء اهل الدنيا مطموثات
قال الشهاب السمين ما ملخصه الطمث فى الاصل دم الحيض ودم الافتضاض
ثم تجوز به عن نفس الافتضاض وقرى لم يطمثهن بكسر العين وضمها وهما
لغتان وقرى شاذا بفتح العين وقيل الطمث المس وانشد الفرزدق
• دفعن الى لم يطمثن قبلى • وهن اصح من بيض النعام •
وقال ابن عرفة بعير لم يطمث لم يمسه رجل ولا حبل انتهى ولنذكر قصيدة
اذ فيها دلايل على اشياء مما ذكر فى هذا الباب وهى قصيدة صحيحة معمول بها
عند اهل السنة والجماعة وعليها شروح كثيرة مشهورة وهى هذه

يقول العبد فى بدء الامالى	بتوحيد بنظم كاللآلى
اله العرش مولانا قديم	وموصوف باوصاف الكمال
هو الحى المدبر كل امر	هو الحق المقدر ذو الجلال
مريد الخير والشر القبيح	ولكن ليس يرضى بالمحال
صفات الله ليس بعين ذات	ولا غيرا سواه ذا انفصال
صفات الذات والافعال طرا	قديمات مصونات الزوال
نسمى الله شيئا لا كاشياء	وذاتا عن جهات الست خال
وليس الاسم غيرا للمسمى	كذا اهل البصيرة خير آل
وما ان جوهر ربى وجسم	ولا كل وبعض ذو اشتمال
وما القرآن مخلوقا تعالى	كلام الرب عن جنس المقال
ورب العرش فوق العرش لكن	بلا وصف التمكن واتصال
وما التشبيه للرحمن وجها	فصن عن ذاك اصناف الاهالى
ولا يمضى على الديان وقت	واحوال وازمان بحال
وفى الاذهان حق كون جزء	بلا وصف التجزى يا ابن خال
ومستغن الهى عن نساء	واولاد اناث او رجال
كذا عن كل عون او نصير	تفرد ذو الجلال ذو المعالى

بميت الخلق قهرا ثم يحيي   فيجزيهم على وفق الخصال
لاهل الخير جنات ونعمى   وللكفار ادراك النكال
يراه المومنون بغير كيف   وادراك وضرب من مثال
فينسون النعيم اذا رآوه   فيا خسران اهل الاعتزال
وفرض لازم تصديق رسل   واملاك كرام بالنوال
وختم الرسل بالصدر المعلى   نبي هاشمي ذي جمال
امام الانبياء بلا اختلاف   وتاج الاصفيا بلا اختلال
وباق شرعه في كل وقت   الى يوم القيام وارتحال
وحق امر معراج وصدق   وفيه النص اخبار عوال
وان الانبياء لفي امان   عن العصيان عمدا وانعزال
وما كانت نبيا قط انثى   ولا عبد وشخص ذو افتعال
وذو القرنين لم يعرف نبيا   كذا لقمان فاحذر عن جدال
وعيسى سوف ياتي ثم يتوى   لدجال شقي ذي خبال
كرامات الولي بدار دنيا   لها كون فهم اهل النوال
ولم يفضل ولي قط دهرا   نبيا او رسولا في انتحال
وللصديق رجحان جلي   على الاصحاب من غير احتمال
وللفاروق رجحان وفضل   على عثمان ذي النورين عال
وذو النورين حقا كان خيرا   من الكرار في صف القتال
وللكرار فضل بعد هذا   على الاغيار طرا لا تبال
وللصديقة رجحان فاسمع   على الزهراء في بعض الخصال
ولم يلعن يزيد بعد موت   سوى المكثار في الاغراء غال
وايمان المقلد ذو اعتبار   بانواع الدلائل كالنصال
وذو الايمان لا يبقى مقيما   لسوء الذنب في دار اشتعال
وما عذر لذي عقل بجهل   بخلاق الاسافل والاعالي
وما ايمان شخص حال يأس   بمقبول لفقد الامتثال
وما افعال خير في حساب   من الايمان مفروض الوصال
ولا يقضى بكفر وارتداد   بقهر او بقتل واختزال
ومن ينوي ارتدادا بعد دهر   يصر عن دين حق ذا انسلال
ولا يحكم بكفر حال شخص   بما يهذي ويلغو ارتجال
ولفظ الكفر من غير اعتقاد   بطوع رد دين باغتفال
وما المعدوم مرئيا وشيئا   لفقه لاح في يمن الهلال
وغير ان المكون لا كشيء   مع التكوين خذه لاكتحال
وفي الاحداث عن توحيد ربي   سبيلي كل شخص بالسؤال

والكفار

١٨٢

والكفار والفساق نصا   عذاب القبر من سوء الفعال
حساب الناس بعد البعث حق   فكونوا بالتحرز عن وبال
وما اكل البرايا فهو حق   سواء من حرام او حلال
وان السحت رزق مثل حل   وان يكره مقالي كل قال
وحق وزن اعمال وجري   على متن الصراط بلا اهتبال
ومرجو شفاعة اهل خير   لاصحاب الكبائر كالجبال
وللدعوات تاثير بليغ   وقد ينفيه اصحاب الضلال
ولا تفنى الجحيم ولا الجنان   وما اهلوهما اهل انتقال
لقد البست للتوحيد نظما   بديع الشكل كالسحر الحلال
لتسلي القلب كالبشرى بروح   ويحيي الروح كالماء الزلال
فخوضوا فيه حفظا واعتقادا   تنالوا الخير حالا لابتهال
وكونوا عون هذا العبد دهرا   بذكر الخير في حال ابتهال
لعل الله يعفو عنه فضلا   ويعطيه السعادة في المال
فاني الدهر ادعو كل يوم   لمن بالخير يوما قد دعا لي

فصل الرابع في السخا والجود قال الفقيه رحمه الله تعالى روى عروة عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة دار الاسخيا والشاب الفاتك السخي احب الى الله تعالى من الشيخ العابد البخيل وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس منا من يوسع الله عليه نفسه وعياله وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى ان العبد ياخذ من الله عز وجل ادبا حسنا ان وسع الله عليه وسع وان امسك عليه امسك وروى يوسف ابن خالد السمتي قال اهدى الى ابي حنيفة رضي الله عنه من الحاج قريبا من الف زوج نعل ففرقها على اخوانه فرايته بعد ذلك بيوم او يومين يشتري نعلا لابنه من الف زوج نعل فقال لان مذهبي في الهدايا تفريقها بالغة ما بلغت والمكافاة بمثلها او ضعفها وتفريق الهدية على اخواني لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اهدي لرجل هدية فلجساؤه شركاؤه فيها واخواني جلسائي فلا انفرد دونهم بل اري ان اجعل نصيبي لهم واري قبول الهدية لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويجيب الدعوة واري المكافاة باحسن منها لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ولقوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وروي عن عايشة رضي الله عنها ان امراة اهدت اليها بهدية فلم تقبل منها هديتها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم هلا قبلت هديتها فقالت لاني علمت انها احوج فقال هلا قبلتها وكافيتها باحسن منها وروى زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل الى عمر بعطاء فرده فقال له لم رددته فقال

فقال يا رسول الله أليس قد اخبرتنا ان لا خير لاحد ان ياخذ من احد شيئا فقال
قد نهيت ان لا تاخذ من احد شيئا فقال انما ذلك عن مسألة فاما اذا كان من
غير مسالة فانما هو رزق رزقك الله وقال ابو هريرة رضي الله عنه اني لا اسال
احدا شيئا ولا اعطاني احد شيئا بغير مسئلة الا قبلته منه وسئل سفيان
الثوري عن المواساة فقال ذلك طريق بنت فيه العوسج انتهى كلامه اقول
الفاتك كل من جاهر بقبيحة وقيل الشجاع الذي اذا هم بامر فعله والفتك
في الحرب ان يجي الرجل الى الاخر وهو غار فيقتله وقيل هو القتل مجاهرة كذا في
المطالع والعوسج ضرب من الشوك الواحدة عوسجة وقد ذكر الفقيه ما يتعلق
بالسخاء فلنذكر حده ونبذة من اخبار الاسخياء فاقول اما حده فقد سئل
عمر بن عبيد عن السخاء فقال ان تكون لما لك متبرعا وعن مال غيرك متورعا
ومعناه الجواد من جاد بماله ويصان نفسه عن مال غيره والجود ما وسميت
الاعراض وقال واحد السخي ان يعطي ما يحتاج اليه في الوقت الذي يحتاج اليه
الى من يحتاج اليه في الوقت الذي يحتاج اليه وروى صاحب نثر الدر فيه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى باسرى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد
منهم رجلا فقال علي رضي الله عنه الرب واحد والذنب واحد فما بال هذا
من بينهم فقال نزل علي جبريل عليه السلام فقال اقتل هولاء واترك هذا فان
الله شكر له سخاء فيه وسخي الاسخياء واكرم الكرماء هو الله تعالى قيل
دخل الرشيد الى الكعبة ومعه ابرهيم الجهني فقال يا ابرهيم قد وجب حقك علي
فان كانت لك حاجة فاذكرها لي فقال يا امير المؤمنين اني اكره ان اسال في بيت
اكرم الاكرمين غيره والكرم من العقل فكل نوع من انواع الكرم فهو جزء من
اجزاء العقل ويقال ثلاثة من اخلاق اهل الجنة لا توجد الا في الكريم الاحسان
الى من اساء اليه والعفو عن من ظلمه والبذل لمن حرمه وهذا موافق لقول الله
عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ذكره الفقيه في باب
الرفق والتواضع وما احسن الجميل اذا كان من اهله لاهله في محله وقد انشد
في ذلك سيدي القاضي جلال الدين محمد بن شقيق قاضي القضاة نظام
الدين الحسامي لوالده جلب كان يقول

- واحسن ما كان الجميل اذا اتى ۞ الى اهله من اهله في محله ۞
- فما كل وقت يملك الحر نعمة ۞ يقلدها المستوجبين لفضله ۞

واذا سألت فاسأل وارث الجود من الآباء والجدود وقال الشاعر

- وما قصدتك حتى جاني خبر ۞ بان اصلك مجبول على الكرم ۞

ولا تسأل من بعد الفقر تمول فانه لا يفكر الا في الزمن الاول فيبخل عليك
بالعطاء ولو كشف عن ذمته الغطا كما قال بعضهم

- سل الفضل اهل الفضل قدما ولا ۞ تسأل غلاما ربي في الذل حتى تمولا ۞

- فلو ملك الدنيا جميعا باسرها ۞ تفكر ما قاساه في الدهر اولا ۞

وفي آداب السياسة الكرم اصل جميع المناقب والمحاسن وهو شرف ملابس
الدنيا وهو صفة من صفات الباري جل وعلا بحسن الذكر ويجل القدر
قال الله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سعادة المرء كرم نفسه وقال السخي قريب من الله قريب
من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الجنة قريب من النار بعيد
من الناس وفي كتاب الهند لا تدع مواصلة الكريم وان لم تحمد عقله وانتفع
بكرمه وانفعه بعقلك وفر كل الفرار من اللئيم الاحمق وقيل من هان عليه
المال توجهت اليه الامال ومن بسط راحته آنس ساحته وقال
حاتم الطائي

- ماسمت امرا الكي اخلي بكرمة ۞ الا بذلت له مالي ومظنوني ۞
- وما دعيت الى حلم ومكرمة ۞ الا اجبت اليها من يناديني ۞
- ولا اشتريت بمالي قط مكرمة ۞ الا تيقنت اني غير مغبون ۞
- دعوت من كرم نفسي الى كرم ۞ فطاوعتني وناجتني تلبيني ۞
- لبيك يا كرما لبيك ثانية ۞ لبيك ثالثة من حيث تدعوني

وقال علي رضي الله عنه سادة الناس في الدنيا الاسخياء وفي الاخرة الانقياء
وقيل من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله ومن كرم عليه ماله
هانت عليه نفسه والاعتدال في الكرم قول الله تعالى والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال الشاعر

- تدافعني الايام عن كل مطلب ۞ فيا هل لايامي على دخول ۞
- ولو نيلنا الدنيا بفضل لنلتها ۞ ولكن حظ الاكرمين قليل ۞
- ساصبحها صبر الكرام تجملا ۞ وصبر الفتى عند الخطوب جميل ۞
- يهون علينا ان تصاب جسومنا ۞ وتسلم اعراضنا وعقول ۞

وقال علي رضي الله عنه اذا اقبلت الدنيا عليك فاعط ولا تقف واذا
ادبرت فاعط ولا تخف وقيل في معنى ذلك

- اذا جادت الدنيا عليك فجد بها ۞ على الناس طرا قبل ان تتفلت ۞
- فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت ۞ ولا الشح يبقيها اذا هي ولت ۞

وقيل غاية الجود بذل الموجود فمن الاسخياء بعد النبي صلى الله عليه وسلم
وبعد خلفائه الاربع رضي الله عنهم الحسن والحسين وابن عمهما عبد الله
ابن جعفر رضي الله عنهم فمما حكي عن الثلاثة انهم خرجوا حجاجا فسبقتهم
القافلة وفاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا
هل من شراب فقالت نعم فاناخوا بها وليس لها الا شويهة فقامت وحلبتها واتتهم
بلبنها فشربوا ثم قالوا هل من طعام فقالت اذنت لكم ان تذبحوها فما عندي سواها

فقام اليها احدهم فذبحها وقطعها فهيأت لهم منها طعاما فاكلوا واقاموا حتى
ابردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن قوم من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا الى هنا
فانا صانعون لك خيرا ان شاء الله تعالى ثم جاء زوجها فاخبرته بخبر القوم وما
قالوا فغضب وقال ويحك تذبحين شاة ما لنا غيرها لقوم ما نعرفهم ثم
بعد مدة الجأتهما الضرورة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا يبيعان
البعير ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة واذا الحسن على
باب داره فعرفها وهي لم تعرفه فبعث اليها غلامه فدعاها اليه فقال لها يا امة
الله هل تعرفينني قالت لا قال انا احد ضيوفك يوم صنعت لنا الشاة قالت
بابي انت وامي فامر ان يشتري لها من غنم الصدقة الف راس وامر لها بالف دينار
وبعث بها مع غلامه الى اخيه الحسين فدفع لها الف شاة والف دينار وبعث
بها الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي
دينار والفي شاة فقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما ثم دفع لها الفي دينار والفي
راس فرجعت العجوز لزوجها بالمال والاغنام وحكي عن الحسن رضي الله عنه
ان رجلا ساله شيئا فقال له الحسن ما هذا سؤالك يعظم علي ومعرفتي بما يجب
لك يكبر لدي وبدي تعجز عن نيلك ما انت اهله والكثير في ذات الله قليل
وما في ملكي وفاء بشكرك فان قبلت اليسير ورفعت عني مؤنة الاحتيال
والاهتمام بما اتكلف من واجبك فعلت فقال الرجل يا ابن بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا اقبل القليل واشكر العطية واعذر على المنع
فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات
الفاضل منها فاحضر خمسين الف درهم قال ما فعلت بالخمسماية دينار قال
عندي قال علي بها فاحضرها فدفع للرجل الدراهم والدنانير وقال هات من
يحملها فاتى بمن يحملها فدفع له الحسن رداءه كان عليه اجرة الحمال فقال له
مواليه ما بقي عندنا درهم فقال لهم ارجو ان يكون لي عند الله ذلك
ويحكى ان محمد بن كعب وزن خمسماية الف درهم وفرقها فقيل له لو ادخرت
هذا المال لولدك ذخرا فقال اجعل هذا المال ذخرا لي عند الله عز وجل واجعل
الله ذخرا لولدي ونقل في مرآة الزمان ان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي
الله عنه جاءته امرأة فقالت يا سيدي وهبت لي بعض جاراتي بيضة
فحضنتها تحت دجاجة فخرجت فروجة فغذوتها بالطيب الطعام وذبحتها
وشويتها وجعلت لله علي اذا دفنتها في اكرم بقعة في الدنيا ووالله ما ارى
بقعة اكرم من بطنك فقال لغلامه خذها منها وامض الى الدار التي هي
فيها فان كانت لها فاشتر ما حواليها من الدور وان لم تكن لها فاشترها و
حواليها واحمل اليها ثلاثين بعيرا عليها حنطة وشعيرا وارزا وزبيبا وثيابا
ودراهم ودنانير فقالت العجوز لا تسرف ان الله لا يحب المسرفين ومن كلامه

رضي الله عنه

رضي الله عنه ساٌمنح مالي كل من جاء مخاطبا ... واجعله وقفا على العرض والعرض
فاما كريم صنت بالمال عرضه ... واما لئيم صنت من لومه عرضي

وقال ابنه اسحق خرج ابي في سفر فمر بحديقة فنزل الى جانبها واذا بعبد اسود
بين يديه رغيفان فجاء كلب فربض بازائه اي جلس بحذائه فالقى اليه رغيفا
واكل العبد نصف رغيف وجاء كلب آخر فرمى اليه بالنصف الآخر فقال له
عبد الله من انت قال عبد لصاحب هذه الحديقة قال كم قوتك كل يوم قال
رغيفان قال فما هذا الكلب قال الكلب يجيء من مكان بعيد فاستحيي منه ان اكل
وعيناه ترمقني فانا اطعمه قوتي قال وهذا الكلب الآخر قال غريب ما رأيته
قبل اليوم قال وما تاكل بقية النهار قال ما رأيت اشد صلبي بنصف الرغيف
الى الغد حتى ياتيني قوتي فافعل فيه ما ترى قال فبكى عبد الله وقال الام على السخاء
ان هذا العبد لاسخى مني ثم اشترى الحديقة بخمسماية دينار والعبد ووقفها
عليه وكتب اليه اقوام يخوفونه الفقر فكتب على الورقة الشيطان يعدكم الفقر
ان الله قد عودني ان يتفضل علي وعودته ان اتفضل على عباده فاخاف ان اذا
قطع العادة فيقطع عني المادة وكانت عنده جارية مغنية اسمها عمارة
وكان يجد بها وجدا عظيما فقدم بها الشام فحضر عنده يزيد بن معاوية
فغنت الجارية فعشقها يزيد ولم يمكنه ان يبوح بما في نفسه خوفا من ابيه
واقام على ذلك مدة ولم يطلبها من عبد الله بن جعفر خوفا من ان يمنعه اياها
فلما مات معاوية وولي يزيد احضر يزيد رجلا عراقيا ظريفا واباح له بسره فقال
له العراقي ان عبد الله لا يبيعها بملك الدنيا ولكن سأتلطف لك وادفع لي تحفا
وهدايا ومالا فدفع اليه جملة من ذلك فقدم المدينة فنزل في جوار عبد الله
واهدى اليه شيئا كثيرا فانس به واحضر يوما عمارة بحضرة العراقي فغنت فتعجب
بها فقال له عبد الله هل رأيت في الدنيا مثلها قال لا والله وما تصلح الا لك
فقال لكم تساوي قال الرجل لا اجد لها ثمنا غير الخلافة فقال له عبد الله انما قلت
ذلك لتزداد رغبتي فيها فقال لا والله واني رجل تاجر ولو اعطيتنيها بعشرة
الاف دينار لاشتريتها فقال عبد الله وهل تساوي في هذا الزمان جارية
عشرة الاف دينار قال هذه فقال عبد الله قد بعتكها بعشرة الاف دينار قال
اشتريتها واوجب البيع وقام من ساعته وبعث بالمال فقال عبد الله انما
كنت مازحا فقال العراقي البيع جده وهزله سواء فقال عبد الله ما بعتها
ولا ابيعها بالدنيا وما فيها قال الرجل استحلفك عند القبر والمنبر فتفكر
عبد الله وقال يحلفني فيقول الناس قهر عبد الله ضيفه وظلمه حتى الجاه
الى اليمين ما ثم الا الصبر خذها فدفعها اليه فاخذها من وقته وخرج بها
الى الشام وقال لها استري وجهك فوالله ما اشتريتك لنفسي وانما اشتريتك
للخليفة وسار الى دمشق فلما قدمها اذا بجنازة يزيد وقد استخلف ابنه معاوية

فاقام اياما وتلطف حتى دخل عليه فقص عليه القصه وكان عبد الله بن جعفر
قد جهزها بثلاثة الاف دينار فقال معاوية بن يزيد للعراقي للجارية وما
معها لك وارحل من يومك عن الشام لا اسمع لك فيه خبرا فرحل وقال لها
قد قلت لك انك ليزيد وقد صرت الآن لي واني اشهد الله انني قد رددتك على
عبد الله بن جعفر فاستتري مني الى المدينة فلما قدم المدينة نزل قريبا من
ابن جعفر فدخل عليه بعض خدمه فاخبره بقدومه وقال لعله ضيفك العراقي
الذي صنع بك ما صنع قد قدم ونزل بالعرصة لا حياه الله وكان عبد الله قد وجد
لفراقها وجدا عظيما فقال عبد الله كرموه وجاء الرجل يطلب الاذن عليه فاذن
له فدخل وقبل يده وقص عليه القصة وقال قد وهبتها لك ووالله ما
وضعت يدي عليها ولا رايت وجهها الا عندك واحضر الجارية وما معها
من الجهاز فلما رات سيدها خرت مغشيا عليها وخرج العراقي فارسل اليه
عبد الله العشرة الاف دينار وقال هذه ثمنها وهذه ثلاثة الاف اخرى لك
ولو وصلتك بالدنيا وما فيها لرايتك اهلا لذلك فقال العراقي والله ما ردها
عليك الا علمك بالحق وصبرك عليه ووفاؤك بقولك وانقيادك اليه وتورعك
عن اليمين وانصرف العراقي شاكرا وقال ابو بكر محمد بن الانباري ان عبد الملك
ابن مروان امسك عن عبد الله بن جعفر عطاءه فاضاق اضاقة شديدة فلقيه
رجل يوما وقد خرج الى المسجد فشكى الرجل اليه الحاجة فقال اصبر حتى تاتي
غلتي واواسيك قال ما لي صبر وكان عليه بردان فقال له ايقنعك احدهما
قال نعم فدفع اليه البرد ثم استقبل القبلة وقال اللهم ان لم يكن الامارى
فاقبضني اليك فحم من ساعته ولم يخرج من منزله بعد هذا حتى اخرجت جنازته
رحمه الله تعالى ورضي عنه وفي نوادر الاخبار انه لما اضاق به الوقت في آخر عمره
دعا يوم الجمعة وقال اللهم ان كنت صرفت عني ما كنت تجد به على يدي من
الاحسان على خلقك فاقبضني اليك فما عاش بعدها الى الجمعة الاخرى رضي الله
عنه وقدم عبد الله المشار اليه على يزيد بن معاوية فقال ليزيد ما كان امير
المؤمنين يعطيك يعني اباه قال كان رحمه الله يعطيني مائة الف درهم اذا
قدمت عليه قال لك مائة الف درهم ولقولك رحمه الله مائة الف درهم
قال احسن الله اليك قال ولهذه الكلمة مائة الف درهم قال يكفي يا مولانا
قال ولهذه الكلمة مائة الف درهم فحمل عبد الله المال وانصرف فقيل ليزيد
نفدت المال واجحفت بالخزانه دفعت لرجل واحد اربعمائة الف فقال ما دفعتها
له وحده انما دفعتها لسائر اهل المدينة لانه ما يملك درهما الا جاد به فلما
رجع عبد الله الى المدينة لم ينزل عن راحلته حتى فرقها لمستحقيها فعوتب
في ذلك فقال ان الله عودني عادة وعودت خلقه عادة عودني ان يمدني بالرزق
وعودت خلقه بالبر فاكره ان اقطع العادة فيقطع عني المادة وخرج اعرابي

حاجا فلما كان ببعض الطريق مات جمله فذهب الى عمر بن عثمان والي المدينة فشكى
اليه فلم يعطه شيئا فقعد الاعرابي يتصفح وجوه الناس فمر به عبد الله بن
جعفر وكان له ولد اسمه جعفر يكنى به فقام اليه الاعرابي وقال

ابا جعفر ان الحجيج تحملوا ... وليس لرحلي فاعلمن بعير
ابا جعفر ضن الامير بماله ... وانت على ما في يديك امير
ابا جعفر ان الشهيد الذي له ... جناحان في اعلا الجنان يطير
ابا جعفر من آل بيت نبوة ... صارتهم للعالمين ظهور

فكان لعبد الله بعير يقدمه فعزله وقال خذه بما عليه فذهب غلام عبد الله
لياخذ سيفا كان على البعير فقال له عبد الله دعه فقد اعطيته البعير بما
عليه فقال للاعرابي احتفظ على السيف فثمنه الف دينار ووصف رجل
عبد الله المذكور فقال كان اذا افتقر لم تفتقر نفسه واذا استغنى لم
يستغن وحده وفي مثل هذا قال الحطيئة

كسوب ومتلاف متى ما سألته ... تهلل واهتز اهتزاز المهند

ومنهم عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما روي ان ليلة الاخيلية دخلت عليه
وعنده سماطان من الناس فجلست بين السماطين وقالت اصلح الله الامير
قدمت من بلاد شاسعه ترفعني رافعه وتضعني واضعة لملمات
من البلاء برين عظمي واخلن جسمي واذهبن لحمي فتركتني والهي بجريض
قد ضاق بي البلد العريض لا قرابة تاويني ولا عشيرة تحميني وقدمت
بلدا لا اعرف فيه احدا فسالت في احياء العرب من المرتجا سيبه المامون
غيبه فدللت عليك ايها الامير وانا امراة من هوازن قد مات الوالد
وغاب الوافد ومثلك من سد الخلة وفك الجلة فاعطني واحدة من الثلاث
اما ان تقيم اودي او تفكني من صفدي او تردني الى بلدي فقال لها
بل وقد اجمعهن لك لغة الحكاية السماطان من النخل والناس الجانبان ملمات
جمع ملمة اي نازلة والهي ذاهب العقل الجريض الغصه اي يغص بريقه السيب
العطيه وغيرها من اللغات معلوما تأتي ومن الاجواد علي بن زين
العابدين بن الحسين رضي الله عنهما فحكي انه دخل زين العابدين محمد بن اسامة
في مرضه يعوده فجعل محمد يبكي فقال له علي ما الذي يبكيك قال علي دين قال
علي زين العابدين كم هو قال خمسة عشر الف دينار فقال زين العابدين هو علي
وعلي هذا من الطبقة الثانية من التابعين من اهل المدينة وهو الذي منه
عقب الحسين وهو الاصغر واما اخوه علي الاكبر فقتل ولم يعقب ووجه
تسميته بزين العابدين ما ذكر المديني عن جابر بن عبد الله الانصاري انه
اتى ابا جعفر محمد بن علي زين العابدين الى الكتاب وهو صغير فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسلم عليك فقال يا جابر وهذا فقال كنت جالسا عند رسول

صلى الله عليه وسلم والحسين في حجره وهو يداعبه اي يمازحه فقال يا جابر يولد له اي للحسين مولود اسمه علي فاذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين وزين العابدين فيقوم ولده علي ثم يولد لعلي مولود اسمه محمد قال فان ادركته يا جابر فاقريه مني السلام وكان زين العابدين رضي الله عنه ثقة مامونا ورعا عفيفا رفيعا جوادا ووقع في بيته حريق وهو ساجد فجعلوا يقولون له يا ابن رسول الله النار يا ابن رسول الله النار فما رفع راسه حتى طفئت فقيل له ما الذي الهاك عنها فقال النار الاخرى رضي الله عنه واعتق عبدا كان قد اعطي فيه عشرة الاف دينار وعشرة الاف درهم بسماعه من سعيد ابن مرجانة حديث ابي هريرة المخرج في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل ارب منها اربا منه من النار حتى انه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج ولهذا الحديث قال العلماء يستحب ان يعتق الذكر الذكر والانثى الانثى لتحصل المقابلة التامة بالفرج الفرج ومنهم مصعب بن الزبير قيل انه امر بقتل رجل من اصحاب المختار فقال اصلح الله الامير ما اقبح بك يوم القيامة اذ اقوم الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يضيء فاتعلق بك واقول رب سل هذا لم قتلني فقال مصعب اطلقوه واجعلوا ما وهبته له من عمره في سعة قالوا ابا ذا قال اعطوه مائة الف درهم قال الرجل اشهد الله انها ايها الامير جعلت نصفها لعبيد بن قيس الرقيات قال ولم قال لانه قال فيك

انما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رحمة ليس فيه ... جبروت ولا به كبرياء

يتقي الله في الامور وقد ... افلح من كان همه الاتقاء

وسياتي بالملحق بالباب الثالث عشر ان عليه واجد الاجواد وولده ومنهم سعيد بن العاص قيل اعرض محمد بن الهيثم داره ليبيعها فلما اجتمع الناس دفع فيها شخص خمسين الف درهم فقال له محمد بن الجهم اشتريها وطب نفسا وترعينا فالبما ذا قال بجوار سعيد بن العاص قال وما سيرته في جيرانه قال ان سالته اعطاك وان سكت عنه ابتداك واذا اسات اليه احسن اليك واذا احسن اليك لم يمن عليك فبلغ القول الى سعيد فوجه اليه بمائة الف درهم وقال لخذها وامسك دارك ومما قيل في جيرة الاجواد

بروحي واهلي جيرة ما استعنتهم ... على الدهر الا وانثنيت معانا

اراشوا جناحي ثم بلوه بالندى ... فلم استطع من ارضهم طيرانا

ومنهم عبد الله بن عامر قيل انه اشترى من خالد بن برمان داره بجواره بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع عبد الله بكاء آل خالد فقال ما بالهم يبكون فقيل له يبكون على دارهم التي اشتريتها منهم قال يا غلام اعلمهم ان الدار والمال

لهم

لهم ومنهم امير المؤمنين المامون ذكر انه قال يوما للعتابي سلني فقال يا امير المؤمنين يدك بالعطية ابسط من لساني بالمسالة فاستحسنها منه وامر له باربعين الف درهم وحدث الاصمعي قال كنت اغشى رجلا لكرمه اي اجيئه فاتيته بعد مدة فوجدته قد اغلق بابه ولزم بيته فاخذت ورقة وكتبت فيها هذا البيت

اذا كان الكريم له حجاب ... فما فضل الكريم على اللئيم

وبعثت بها اليه وقعدت انتظر الجواب فعادت الورقة وعلى ظهرها مكتوب

اذا كان الكريم قليل مال ... تستر بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لاتحفن امير المؤمنين بهذه الحكاية واخذت الصرة ومضيت الى المامون فدخلت عليه فقال من اين يا اصمعي فقلت من عند اكرم الناس حاشى امير المؤمنين ثم قصصت عليه القصة ووضعت الرقعة والصرة بين يديه فتامل الصرة وقال يا اصمعي هذه الصرة بختم بيت المال فاحضر لي الرجل الذي دفعها لك فقلت اعيذ الله يا امير المؤمنين الرجل قد وعد الا في خيرا قال لا بد منه قلت غير مروع قال نعم فعرفته بيته فبعث اليه فحضر فلما مثل لديه جعل المامون يتوسمه ثم قال له الست انت الرجل الذي وقف بموكبنا بالامس وشكى الينا رقة حاله وكثرة عياله قال نعم قال وامرنا لك بخمسمائة دينار قال نعم وهي هذه قال ولم دفعتها للاصمعي على بيت واحد من الشعر قال استحييت من الله تعالى ان يرد قاصدي الا كما ردني امير المؤمنين بالامس قال لله درك فما اكرم خلقك واوفر مروتك ثم امر له بالف دينار فاخذها وانصرف ومنهم ابو دلف وكان شجاعا قيل انه شهد مصافا فطعن فيه فارسا فنفذت الطعنة الى فارس خلفه فقتلها ففيه يقول ابن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة ... يوم اللقاء ولا تراه كليلا

لا تعجبوا فلوان طول قناته ... ميل اذا انظم الفوارس ميلا

وكان لكثرة عطاياه قد ركبته الديون واشتهر ذلك عنه فدخل عليه بعضهم وانشده

ايا رب المنايح والعطايا ... ويا طلق المحيا واليدين

لقد خبرت ان عليك دينا ... فزد في رقم دينك واقض ديني

فوصله وقضى دينه ولما مرض ابو دلف مرضه الذي مات به اقام شهرا لا يلازم الوسادة فافاق يوما فقال للخادم كم لي على هذا الحال قال شهر فبكى وقال ايمر علي شهر من عمري لا ير فيه احد من الناس يا غلام اخرج الى الباب فان تجلى يشهد ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فلا تمنع احدا من الدخول علينا فخرج الغلام فاذا بالباب عشرة من اولاد ابي طالب فامرهم بالدخول فدخلوا فابتدر رجل منهم فقال اصلحك واصلح الله نحن قوم من بني ابي طالب من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد احاطت بنا المصايب واجحفت

بنا النوايب فان رايت ان تجبر كسرنا وتغنى فقرنا فعل فقال الخادمه
خذ بيدى واجلسنى ففعل فقال ليا خذ كل منكم ورقه ويكتب فيها خطه
انه قبض منى مايه الف درهم فتحيروا عند قوله فلما كتبوا الرقاع وضعوها
بين يديه فقال الخادمه على بالمال فاحضره فاعطى كل واحد منهم مايه
الف درهم فلما تسلموا المال قال له رجل منهم بالاباء نفديك وبالامهات
نقيك والله مالنا مال ولا عقار نحفظوطنا ما تصنع بها فبكى وقال
اتظنون انها وثايق عليكم لا والله ثم قال لخادمه اذا انا مت فاجعل
هذه الرقاع فى اكفانى حتى القى بها محمدا صلى الله عليه وسلم فى عرصات
القيامة ثم قال لما وصل كل واحد منهم الف دينار لنفقة طريقه
انصرفوا بارك الله فيكم وفيه يقول القايل

انما الدنيا ابو دلف بين باديه ومحتضره
فاذا ولى ابو دلف ولت الدنيا على اثره

وقريب من هذا ان قيس بن سعد بن عبادة مرض فاستبطأ اخوانه فقيل
انهم يستحيون بمالك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا منع الاخوان
من الزيارة ثم امر مناديا من كان لقيس عليه حق فهو منه فى حل قال
الراوى فكسرت درجته بالعشى من كثرة زواره ومنهم معن بن زايده
قال معن قاتلنا ابن هبيرة بواسط فظفرنا وغنمنا واصابنى عشرون
الف درهم فرقتها فى اصحابى واضيافى واحرز اصحابى ما كان لهم فلما كان
الغد ظفر بنا فاخذ ما كان مع اصحابى وبقى ما كان لى منا على الناس
وذهب اليه بعض الشعراء فاقام يوما ببابه فلم يؤذن له فقال لاحد غلمانه
ما للامير لا يركب قال هو بالبستان يختلى فاتى الشاعر الى البستان واخذ
خشبة وكتب عليها

ايا جود معن ناج معنا بحاجتى فما لى الى معن سواك رسول

ثم القاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن جالسا على راس الماء
فلما راى الخشبة اخذها وقراها فامر بدخول صاحبها فقال كيف قلت
فانشده البيت فاعجبه ودفع اليه مايه الف ووضع الخشبة تحت
بساطه وقال للشاعر انت ضيفنا لا تنقطع فلما كان اليوم الثانى اخذ
معن الخشبة فقراها وادعى بالرجل فدفع له مايه الف درهم فلما كان
فى اليوم الثالث فعل مثل ذلك فتفكر الشاعر فى نفسه وقال اخاف ان
يرتجعها منى فاخذ المال وذهب فلما كان اليوم الرابع قرا معن الخشبة
وطلب الشاعر فاخبر انه انصرف فقال لما اقل قيمه من شاعر لقد وجب له
على ان لا يكون فى خزانتى درهم الا ملكه ودخل عليه اعرابى فقال

اتذكر اذ فراشك جلد شاة واذ نعلاك من جلد البعير

فقال

فقال معن اذكر ذلك ولا انساه فقال الاعرابى

سبحان الذى اعطاك ملكا وعلمك الجلوس على السرير

فقال معن سبحانه وتعالى فقال الاعرابى

فلا والله ما ان عشت يوما على معن اسلم بالامير

فقال معن يا اخا العرب السلام سنة من سنن الاسلام ان اتيت بها
اجرت وان تركتها اثمت فقال الاعرابى

ولا اسكن بلادا انت فيها ولو حزت الشام مع الثغور

فقال معن يا اخا العرب ان سكنت لم تلق منا الا خيرا وان رحلت فصحوبا
بالسلامة فقال الاعرابى

فجد لى يا ابن زايدة بشئ فانى قد عزمت على المسير

فقال معن يا غلام اعطه الف دينار يستعن بها على بعده عنا ورحيله
من ارضنا فقال الاعرابى قليل

قليل ما منحت به وانى لاطمع منك بالشئ الكثير

فقال معن اعطه يا غلام الف دينار اخرى فقال الاعرابى

فثلث قد ملكت الارض طرا بلا عقل ولا لب خطير

فقال معن يا غلام اعطه الف دينار اخرى فقال الاعرابى والله انى
لمعجب بحلمك وكرمك بما سمعته منى اما والله لقد جمع فيك من الجود والحلم
ما لو قسم على اهل الارض لكفاهم فقال معن يا غلام اعطيته على نظمه
ثلاثة الاف دينار واعطه على نثره ثلاثة الاف دينار اخرى فاخذ الاعرابى
المال وانصرف شاكرا وسياتى له قصة عجيبة فى الباب الثامن والثلثين
فى التشفع ومنهم خالد بن عبد الله البجلى القسرى والى العراق قيل جاءه
اعرابى فقال ايها الامير لم اصن وجهى عن مسئلتك فصن وجهك عن
ردى وضعنى من معروفك حيث وضعتك من رجائى فامر له بما سال ودخل
عليه رجل ومعه جراب فقال ايها الامير رايت ان تملأه دقيقا فقال
املأوه دراهم فخرج على الناس فقالوا له ما صنع الامير فقال سالته ما اشتهى
فامر لى بما يشتهى وكان خالد يكثر الجلوس ثم يدعو بالبدر ثم يقول انما هذه
الاموال ودايع لا بد من تفريقها فقال ذلك مرة وقد وفد عليه اخو اسد
من خراسان فقال له اخوه ايها الامير انما الودايع انما تجمع لا تفرق قال ويحك
انها ودايع المكارم وايدينا وكلاؤها فاذا اتانا المملق فاغنيناه والظمآن
فارويناه فقد ادينا فيها الامانة ودخل عليه اعرابى وانشده

اخالد انى لم ازرك بخلة سوى اننى عاف وانت جواد
اخالد بين الاجر والحمد حاجتى فايهما تاتى وانت عماد

فقال خالد ولا واحدا منهما وامر له بخمسين الف درهم ووصفه ابن خلكان

وسياتى فى الباب الثانى والعشرين فى السلام قال
الفقيه ان اذا دخل جماعة على قوم فان تركوا السلام
فكلهم اثمون وان سلم واحد منهم اجزا عنهم وان
سلم كلهم فهو افضل انتهى منه

انه كان معدودًا في جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وكان
جوادًا كثير العطاء دخل عليه شاعر يوم جلوسه للشعراء وقد مدحه ببيتين
فلما راى اتساع الشعراء في القول استصغر ما قال فسكت حتى انصرفوا فقال
له خالد ما حاجتك فقال مدحت الامير ببيتين فلما سمعت قول الشعراء
احتقرت بيتي فقال اما هما فانشده

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني واعطيتني حتى حسبتك تلعب
فانت الندا وابن الندا واخو الندا حليف الندا ما للندا عنك مذهب

فقال اما حاجتك قال علي دين فامر بقضاء دينه واعطاه مثله انتهى البدرة جمع بدره وهي عشرة الاف درهم والملق المعتر وهو الضيق النفقه والحليف المنتسب انتهى ودخل عليه اعرابي فقال قد قلت فيك بيتين قال قل فقال

لزمت نعم حتى كانك لم تكن سمعت من الاشياء شيئا سوى نعم
وانكرت لا حتى كانك لم تكن سمعت بها في سالف الدهر والامم

فاعطاه عشرين الفا ومن هذا القبيل قول بعضهم يصف جوادا وهو

ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وهو مخالف لقول الكندي

وهو قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم

وخطب خالد المذكور بواسط فقال ايها الناس تنافسوا في المكارم وسارعوا في المغانم واشتروا الحمد بالجود ولا تكسبوا بالباطل ذماء ولا تعتدوا بمعروف لم تعجلوه ومهما يكن لاحد منكم نعمة لم يبلغ شكرها فالله احسن له جزاء واجزل له عطاء واعلموا ان حوايج الناس اليكم نعم من الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقما وان افضل المال ما اكتسب به صاحبه اجرا واورث له ذكرا ولو رايتموا المعروف لرايتموه رجلا حسنا جميلا يسر الناظرين ويفوق العالمين ولو رايتم البخل لرايتم رجلا قبيحا مشوه الخلق قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتغض دونه الابصار ايها الناس من جاد ساد ومن شكر ازداد ومن بخل رذل ومن شح خاف وذل واكرم الناس من اعطى من لا يرجوه ومن عفا عن قدرة واوصل الناس من وصل من قطعه وما لم يطب حرثه لم يزك نبته والفروع عند مغارسها تنموا وباصولها تسموا ومنهم خالد بن يزيد قصده اعرابي فقال اني مدحتك ببيتين فهل تسمعهما فقال ان احسنت فنعم ولك ثواب فقال

سالت الندى والجود حران انتما فقالا جميعا اننا لعبيد
فقلت ومن مولاكما فتطاولا علي وقالا خالد بن يزيد

فامر له بما اجمل اي كثير ومنهم خالد البرمكي وولده يحيى واولاده الاربعة الفضل وجعفر ومحمد وموسى فاما خالد فيحكى عنه انه ركب في يوم شديد

البرد كثير الغيم فتعرض له رجل في الطريق فقال له ناشدتك الله الا ضربت عنقي قال له اكفرت بعد ايمان قال لا قال ازنيت بعد احصان قال لا قال نزعت يدا من طاعة الرحمن قال لا قال فقتلت نفسا بغير تبيان قال لا قال فما سبب ذلك قال لي خصم لجوج قد علق بي ولزمني وقهرني قال من هو قال الفقر قال فكم يكفيك قال اربعة الاف درهم قال لخالد يا غلام اعطه ذلك ثم التفت وقال هل ربح احد من التجار كربح يحيى اليوم قالوا وكيف ذلك قال عزمت ان اعطي هذا الرجل ثلاثين الف درهم فلما طلب اربعة الاف توفر علي ستة وعشرون الفا فقال الرجل حاشاك واعيذك بالله ان تربح علي فوالله ما قلت فقال يا غلام اعطه الثلاثين الفا ثم قال للرجل اقبض المال واذهب آمنا من خصمك ومتى رجع يعارضك استنجدنا عليه واما ابنه يحيى الذي قال فيه ابو قابوس

رايت يحيى اتم الله نعمته عليه ياتي الذي لم ياته احد
ينسى الذي كان من معروفه ابدا الى الرجال ولا ينسى الذي يعد

وقال فيه منصور النميري

ولو علمت فوق الوزارة رتبة تنال بمجد في الحياة لنالها

ومن اخباره ان الرشيد اراد الخروج الى القاطول فقال يحيى بن خالد لرجا بن عبد العزيز وكان على نفقاته ما عندك من المال قال سبعماية الف درهم قال فاقبضها اليك يا رجا فلما كان من الغد غدا اليه رجاء فقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت ان الرجل قد توهم انا وهبنا المال له وانما امرناه بقبضه من الوكلا ليحفظه علينا لحاجتنا اليه في وجهنا هذا قال منصور فانا اعلمه ذلك قال اذن يقول لك فقل له يقبل يدي كما قبلت يده فلا تقل شيئا فقد تركتها له وفي نوادر الاخبار ان رجلا مشى في ركاب يحيى بن خالد وطلب منه حاجة فقال له يا هذا ان حاجتك قد قضيت فارجع فوالله ما وقع غبار موكبي على لحية رجل الا وجب له علي حق لا اقدر على ان اكافيه عليه ولو اعطيته ملء الارض ذهبا واما الفضل بن يحيى قيل له ما احسن كرمك لولا تيه فيك فقال تعلمت الكرم والتيه من عمارة بن حمزة فقيل وكيف ذلك فقال كان ابي عاملا على بعض كور بلاد فارس فانكسرت عليه جملة مستكثرة تحمل الى بغداد وطولب بالمال فدفع جميع ما يملكه وبقيت عليه ثلاثة الاف الف درهم لا يعرف لها وجها والطلب عليه حثيث فبقي حايرا في امره وكان بينه وبين عمارة منافرة ومواحشة ولكنه علم انه ما يقدر على مساعدته الا هو فقال لي يوما وانا صبي امض الى عمارة وسلم عليه مني وعرفه الضرورة التي قد صرنا اليها واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض الى ان يسهل الله تعالى بالميسرة فقلت له انت تعلم ما بينكما فكيف امضي الى عدوك بهذه الرسالة وانا اعلم

الكور جمع كورة بضم الكاف ... المدينة والصقع ... من الابنية والجمع كور صحاح منه

انه لو قدر على اتلافك لاتلفك فقال لا بد ان تمضي اليه قال الفضل فلم يمكنني معاودته وخرجت وانا اقدم رجلا واوخر رجلا حتى اتيت داره واستاذنت في الدخول عليه فاذن لي فلما دخلت وجدته في صدر ايوانه متكيا على نمارق وثيرة وقد غلف شعر راسه ولحيته بالمسك ووجهه الى الحايط وكان من شدة تيهه لا يقعد الا كذلك قال الفضل فوقفنا اسفل الايوان وسلمت عليه فلم يرد السلام فسلمت عليه من ابي وقصصت عليه القصة فسكت ساعة ثم قال حتى ننظر فخرجت من عنده نادما على نقل خطاي اليه موقنا بالحرمان عاتبا على ابي كونه كلفني اذلال نفسي بما لا فائدة فيه وعزمت على ان لا اعود اليه غيظا منه فغبت عنه ساعة ثم جيته وقد سكن ما عندي فلما وصلت الى الباب وجدت بغالا محمله فقلت ما هذه فقيل انه قد سير المال فدخلت على ابي ولم اخبره بشي مما جرى لي معه لكيلا اكدر عليه احسانه فمكثنا قليلا وعاد ابي الى الولاية وحصلت له اموال كثيرة فدفع الى ذلك المبلغ وقال احمله اليه فجئت به ودخلت عليه فوجدته على الهيئة الاولى فسلمت عليه فلم يرد وسلمت عليه عن ابي وشكرت احسانه وعرفته بوصول المال فقال الي تجرد ويحك اقسطارا كنت لابيك اخرج عني لا بارك الله فيك فخرجت ورددت المال الى ابي وعجبنا من حاله فقال الحاجب يا بني والله ما تسمح نفسي لك بذلك ولكن خذ الف الف درهم واترك لابيك الف الف درهم فتعلمت منه الكرم والتيه **القسطار** بضم القاف وسكون المهمل الصيرفي غير عربي ذكره ابو منصور معرب الجواليقي في المعرب من الكلام الاعجمي **ولما مات الفضل** بن يحيى رثاه بعضهم يقول

سالت الندى والجود ما لي اراكما ... تبدلتما ذلا بعز مويد
وما بال ركن المجد امسى مهدما ... فقالا اصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما عند موته ... فقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا اقمنا كي نعزى بفقده ... مسافة يوم ثم نتلوه في غد

واما جعفر بن يحيى فكان من اعظم الاجواد في زمانه فمن اخباره انه كان يضرب دنانير وزن كل دينار مائة دينار ودينار ويصعد اعلا داره ويرمي بها للناس فمن اخذ منها شيئا كان له ولا ينكر عليه اذا اصرفه وكان على كل دينار مكتوب **شعر**

واصفر من ضرب دار الملوك ... يلوح على وجهه جعفر
يزيد على مائة واحدا ... اذا ناله معسر يتيسر

وقيل لما غضب على البرامكة واخذت اموالهم بعد قتلهم اصيب في خزانة جعفر بن يحيى في جرة الف دينار من هذه الدنانير كانها كانت معدة لرميها للناس **ومما يناسب ذلك** ما ذكره ابن الاثير في الكامل قال في سنة ثمان

وسبعين

وسبعين وثلثماية اهدى الصاحب بن عباد الى فخر الدولة دينارا وزنه الف مثقال **مكتوب على احدى جانبيه**

واحمر يحكي الشمس شكلا وصورة ... فاوصافه مشتقة من صفاته
فان قيل دينار فقد صدق اسمه ... وان قيل الف كان بعض سماته
بديع ولم يطبع على الدهر مثله ... ولا ضربت اضرابه لسراته
فقد ابرزته دولة فلكية ... اقام بها الاقبال صدر ثقاته
وصار الى شاهنشاه ينمي انتسابه ... على انه مستصغر لعفاته
يخبر ان يبقى سنينا كوزنه ... لتستبشر الدنيا بطول حياته
تانق فيه عبده وابن عبده ... وغرس اياديه وكافي كفاته

وعن الجانب الآخر سورة الاخلاص ولقب الخليفة الطايع لله ولقب فخر الدولة واسم جرجان لانه ضرب بها **قال** ابن الاثير قوله دولة فلكية يعني ان لقب فخر الدولة كان فلك الامة وقوله وكافي كفاته فان لقب الصاحب كافي الكفاة **ومن** هذا القبيل ان بعض الملوك اصطنع لزردخانته نشابا نصولها من ذهب وكتب عليها

ومن جوده يرمي العداة باسهم ... من الذهب الابريز صيغت نصولها
فينفقها المجروح عند دوايه ... ويشتري الاكفان منها قتيلها

ولما قتل جعفر قال ابو نواس مضى والله الكرم والجود والادب والعقل فقيل وكنت تهجوه في حياته وتمدحه في مماته فقال والله لجهلي وشقاء جدي وركوبي هواي ولقد رفع اليه صاحب الخبر اني هجوته وقلت

لقد غرني من جعفر حسن بابه ... ولم ادر ان اللوم حشو اهابه
ولست وان اطنبت في مدح جعفر ... باول انسان خرى في ثيابه

فوقع في رقعته تدفع اليه عشرة الاف درهم يغسل بها ثيابه **ومن نكت** ابي نواس ان الرشيد ساله عن مبيته بين جواره فقال اعلمك يا امير المومنين اني استلقيت البارحة على ظهري في الفراش الذي انام عليه وعندي جاريتان مكية ومدنية وهما يغمزان في فتنا ومت عليهما فمدت المدنية يدها الى ذكري فقام فاستوت عليه فقالت لها المكية ابقي لنا بقية فاني شريكتك في ذلك فقالت لا انفك عنه لان مالك بن انس روى عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احيا ارضا ميتة فهي له ولعقبه فلما نزلت عنه استوت المكية جالسة عليه ثم قالت حدثنا معمر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصيد لمن حازه لا لمن اثاره فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره وقال هل من سلوة عنهما فقال لهما ومولاهما لك يا امير المومنين وحملها اليه واجازه عليهما جايزة حسنة **عود ومن** مصايب الدنيا انه وجد في بعض الدفاتر السلطانية في دخلها ما لفظه وما حمل الى الامير في

الفضل جعفر بن يحيى اعزه الله لهدية المير وزمن العين ماية الف دينار وفي
آخر الحساب ما خرج لثمن النفط والبواري والحطب لاحراق جثة جعفر بن يحيى
بضعة عشرة درهما واما محمد وموسى ولدا يحيى فقد قيل لاسحق الموصلي صف
لنا سخا اولاد يحيى البرمكي فقال اما الفضل فيرضيك بفعله واما جعفر
فيرضيك بقوله واما محمد فيفعل بحسب ما يجد واما موسى فيفعل ما لا يجد
وكان موسى يقتدي بسعيد بن العاص كان اذا ساله سائل فلم يكن عنده ما يعطيه
قال له اكتب على سجلا الى ايام يسري ولما مات محمد بن يحيى رثاه بعضهم بالابيات
المذكورات سابقا التي اولها سال الندى والجود مالي اراكما فاذا اردتها
فراجعها وسياتي بالملحق بالباب الثالث عشر في الفضل الذي يلي ذكر الخلفاء
ابيات حسنة في مدح البرامكة عند ترجمة محمد بن عبد الملك الزيات ومن
الاجواد قيس بن عاصم بن سنان المنقري وكان حليما قيل للاحنف بن قيس ممن
تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم بينما نحن عنده وهو قاعد بفنائه محتبي بكسائه
اتته جماعة فيهم رجل مقتول وآخر مكتوف فقالوا هذا ابن اخيك قتل ابنك
فلا والله ما حل حبوته والتفت الى ابن اخيه وقال يا ولدي ما صنعت قتلت ابن
عمك واشمت عدوك وقللت عددك ثم التفت الى ابن له وقال اطلق ابن عمك
من وثاقه ووار اخاك واحمل الى امك ماية من الابل فانها غريبة منا وكان
قد حرم الخمر في الجاهلية وذلك انه شرب فسكر فعبث بذي محرم منه فهربت
فلما اصبح قيل له ذلك فقال

رايت الخمر مصلحة وفيها ... مناقب تفضح الرجل الكريما
فلا والله اشربها حياتي ... ولا اسقي بها احدا سقيما

وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد تميم فاسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا سيد اهل الوبر انتهى من عيون التواريخ
وقد جاد بعضهم بالروح فيما ورد ان الحارث بن هشام المخزومي كان في وقعة
اليرموك فلما اصيب وابتلاه الجراح طلب الماء ليشرب فاتى به فلما تناوله نظر
الى عكرمة بن ابي جهل صريعا في مثل حاله فرد الاناء على الساقي وقال امض الى
عكرمة يشرب اولا فانه اشرف مني فمضى به اليه فابى ان يشرب قبله فرجع الى
الحارث فوجده ميتا ورجع الى عكرمة فوجده ايضا ميتا فلم يشرب واحد منهما
الماء جودا منه على سماحته وجاد كل منهما بالماء بعد موته انتهى واولم عدي بن
حاتم وليمة فقال لابن له حدث كن بالباب فاذن لمن تعرفه وامنع من لا تعرفه
فقال له رجل تجاد انا في الطاعة امضي ... لك من سيف حسام
لا يكن اول ما وليتني ... منع الطعام فضمه اليه
وقال له نزعك عرق جدك نزعك اي اجتذبك ومر يزيد بن المهلب باعرابية
في خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقربت عنزا فقبلها ثم قال

لابنه

لابنه معاوية ما معك من النفقة قال ثمانماية دينار قال فادفعها اليها
فقال له ابنه انك تريد الرجال ولا يكونون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها
اليسير وهي بعد لا تعرفك قال ان كانت ترضى باليسير فاني لا ارضى الا بالكثير
وان كانت لا تعرفني فانا اعرف نفسي ادفعها اليها وقال الاحنف كثرت علي
الديات بالبصرة لما قتل مسعود فلم اجدها في حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين
فسالت عن المقصود هناك فارشدت الى قبة فاذا شيخ جالس بفنائها
مؤتزر بشملة محتبي بحبل فسلمت عليه وانتسبت له فقال ما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قلت توفي قال ما فعل عمر بن الخطاب الذي كان
يحفظ العرب ويحوطها قلت مات قال فاي خير في حاضركم بعدهما قال
فذكرت الديات التي لزمتنا للازد وربيعة فقال اقم فاذا راع قد راح عليه
الف بعير فقال خذها ثم اراح عليه آخر بمثلها فقال خذها لا احتاج اليها
فانصرفت بالالف والله ما ادري من هو الى الساعه اللغة لحتبي الرجل
اذا جمع ظهره وساقيه بعمامته وقد يحتبي بيديه وقال ابو يعقوب
الخطابي قدمت على السري بن عبد الله فتحرك فرايت عليه ازارا قومته بخمسة
دراهم فامددته بصري فقال هذا ازاري وقد فرقت في قومك العام اربعين
الف دينار وباع بن حكيم بن حزام من معاوية داره بستين الف دينار فقيل
له غبنك فقال والله ما اخذتها في الجاهلية الا بزق خمر واشهدكم انها
في سبيل الله فانظروا اينا المغبون وقال سالم بن زياد لطلحة بن زياد بن
عبد الله بن خلف الخزاعي اني اصل رجالا له علي حق وصحبة بالف الف درهم
فما ترى قال اري ان تجعل هذا العشر قال افاصله بخمسماية الف درهم قال كثير
فلم يزل به حتى وقف على ماية الف درهم قال افترى ماية الف درهم تقضي بها
ذمام رجل له انقطاع وصحبة ومودة وحق واجب قال نعم قال هي لك وما
اردت غيرك قال فاقلني قال لا افعل والله وسياتي بالملحق بالباب الثالث عشر
ذكر علقمة احد الاجواد وولده واعلم ان الكرم والبخل قد يتوارثان فمن ذلك
ما نقله الدميري عن الهيثم انه قال خرجت لقصد سفر على ناقة فامسيت
عند خيمة اعرابي فنزلت عندها فقالت ربة الخبا من انت قلت ضيف قالت
وما يصنع الضيف عندنا ان الصحراء لواسعة ثم قامت الى بر فطحنته ثم
عجنته وخبزته ثم قعدت تاكل فلم البث ان جاء زوجها ومعه لبن فسلم ثم قال
من الرجل قلت ضيف فقال اهلا وسهلا حياك الله ثم انه ملاء قعبا من لبن
وسقاني ثم قال لها ما اراك اكلت شيئا وما اراها اطعمتك قلت لا والله فدخل عليها
مغضبا وقال ويلك اكلت وتركت الضيف قالت وما اصنع باطعمه طعامي وجارها
في الكلام حتى شجها ثم اخذ شفرة وخرج الى ناقتي فنحرها فقلت ما صنعت عافاك
الله فقال لا والله لا يبيت ضيفي جايعا ثم جمع حطبا واجج نارا واقبل يكبب لي

ويطعمني ويأكل ويلقي اليها ويقول كلي لا اطعمك الله حتى اذا اصبح تركني ومضى
فقعدت مغموما فلما تعالى النهار اقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر اليه وقال
هذا مكان ناقتك ثم زودني من ذلك اللحم ومما حضره وخرجت من عنده
فضمني الليل الى خيمة اعرابي فسلمت فردت صاحبة البيت علي السلام وقالت
من الرجل قلت ضيف فقالت مرحبا بك حياك الله وعافاك فنزلت ثم عمدت
الى بر فطحنته وعجنته وخبزته ثم روت ذلك بالزبد واللبن ووضعته بين
يدي وقالت كل واعذر فلم البث ان اقبل اعرابي كريه الوجه فسلم فرددت عليه
السلام فقال من الرجل قلت ضيف قال وما يصنع الضيف عندنا ثم دخل الى
اهله وقال اين طعامي قالت اطعمته الضيف قال اتطعمين طعامي الاضياف
ثم تكالما فضربها فشجها فجعلت اضحك فخرج الرجل الي وقال ما يضحكك فاخبرته
بقصة الرجل والمرأة التي نزلت عندها قبله فاقبل علي وقال ان هذه التي
عندي اخت ذلك الرجل وتلك التي عنده اختي فبت ليلتي متعجبا وانصرفت
ثم اعلم ان الكرم في العرب بالطبع والبخل فيهم تطبع كما ان البخل في غيرهم
طبع والكرم تطبع حكى ابو الفضل الربعي عن بعض اصحابه قال حججت في سنة
من السنين فاتي الى بزباذ وقفت علينا جارية على وجهها برقع فقالت
يا معشر الحجيج نفر من هذيل • ذهب بنعمهم السيل • ونمرت بهم الايام • حتى نمرت بالنون اي تغيرت بهم
ما بهم بجمعه • ولا لهم قعده • فمن يراقب فيهم الدار الآخرة • جزي خيرا •
قال فرضخنا لها اي اعطيناها عطاء ليس بالكثير قال قلت في ذلك شيا
فانشات تقول كف الزمان توسدتنا عنوة شلت اناملها عن الاعراب
قوم اذا نزل العفاة ببابهم القوا اليهم بغير حساب
فقلت لها متعنا بالنظر الى وجهك قال فكشفت البرقع عن وجه لا تهتدي
العقول لوصفه فلما رأتنا قد بهتنا ننظر اليها انشأت تقول
الدهر ابدى صفحة قد صانها ابواي قبل تمرس الايام
فتمتعوا بعيونكم من حسنها وانهوا جوارحكم عن الآثام
ثم ولت منصرفة اللغة قال في مطالع الانوار عنوة غلبة وقهرا وذلة
والعفاة طلاب المعروف وتمرس به اي احتك به انتهى واعلم ان للكرم دلايل
ولاهله صفات وشمايل فمما يدل على كرم الرجل ما ذكره صاحب اعتاد ل
القلوب فيه ان الواثق قال لعمرو بن مسعدة عند حضور غداء هل
تحفظ في الطعام شيئا فقال روي عن المقداد رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من كرم المرء طيب زاده في السفر وينبغي للسخي
ان يكون متواضعا فقد قيل التواضع مع البخل احمد عند العلماء من السخاء
مع الكبر واسند الخطيب البغدادي عن ابن عباس انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخي وزلة العالم وسطوة الامام

فان اسم

فان الله آخذ بايديهم كلما عثر عاثر منهم وروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله آخذ بيد الكريم كلما عثر اقامه واوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام لا تقتل السامري فانه كريم ولزهير في وصف كريم
• تراه اذا ما جئته متهللا • كانك معطيه الذي انت سايله •
• تعود بسط الكف حتى لو انه • اراد انقباضا لم تطعه انامله •
• ولو لم يكن في يده غير نفسه • لجاد بها فليتق الله سائله •
وقيل ان البيت الثالث لحبيب بن اوس الطائي وفي المعنى قول الواو الدمشقي
• من قاس جدواك بالغمام فما • انصف في الحكم بين شيئين •
• انت اذا جدت ضاحكا ابدا • وهو اذا جاد دامع العين •
وفي وصف الجواد واحسن رجل في الورى وجه محسن • وايمن كف فيهم كف منعم منعم
ولابي الفضل احمد بديع الزمان اول رسالة ارسلها الى بعض الاجواد •
قال الحضرة التي هي كعبة المحتاج • لا كعبة الحجاج • ومشعر الكرم • لا مشعر
الحرم • ومنى الضيف • لا منى الخيف • وقبلة الصلات • لا قبلة الصلاة
والسؤال ذل وفيه لابي العتاهية اعطاك قبل سؤاله وكفاك مكروه
السؤال ومن ذلك قول ابي فراس بن حمدان
ليس جود عطية بسؤال قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما اتاك ابتداء لم تذق فيه ذلة الترداد
وهذا ماخوذ من قول سقراط الجواد هو الذي يعطي بلا مسألة صيانة
للاخذ منه وفي المعنى قول بعضهم
كريم على العلات جزل عطاوه ينيل وان لم يعتمد للنوال
وما الجود ان يعطي اذا ما سألته ولكن من يعطي بغير سؤال
اقول ومما ورد في ذل السؤال والمنع عنه ان مطرف بن الشخير من الطبقة
الثانية من التابعين من اهل البصرة رضي الله عنه قال لبعض اخوانه اذا
كانت لك حاجة فلا تخاطبني فيها ولكنها اكتبها في رقعة ثم ارفعها الي
فاني اكره ان ارى في وجهك ذل السؤال وقال الشاعر في ذلك
ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضا وان نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال
فاذا ابتليت ببذل وجهك سايلا فابذله للمتكرم المفضال
يعني سل الله لا غيره ولنقتصر في الكلام على ذكر الكرام فمن اراد علي
ذلك علاوه فليطلبهم من الاوراق فانهم ملفوفون فيها كالعلاوة
قال في الصحاح العلاوة بالكسر ما علقت به على البعير بعد تمام الوقر
بكسر الواو وهو الحمل بكسر الحاء المهملة وقد اجاد من قال في شان الاجواد
اني سألت عن الكرام فقيل لي ان الكرام رهاين الارماس

ذهب الكرام وجودهم ونوالهم　　وحديثهم الا من القرطاس

ومما قيل فيمن يدعى انه من الاجواد　　وهو لا ياتى فى عطائه بالمراد قول
على بن محمد الاوسى ارى الشهم لا سهم له فى نوالهم　　ويغمز عز القوم والنذل بالبذل
فنحوا على الارض السباخ بوابل　　وشحوا على الروض المنور بالطل

وسياتى شئ من اخبار الاجواد بالملحق بهذا الفصل ولم يذكر الغفيه البخل والمطل بهذا الباب وان كان قد ذكرهما او احدهما فى غيره استطرادا وانا اذكرهما ان شاء الله تعالى فى الملحق بهذا الفصل بعد ذكر الحجاج قاتله الله تعالى بما له من الجود اذ لا يليق ذكره مع من تقدم من الاجواد وانما اذكر جوده لانى اعقبه انه كان موصوفا بالبخل وان جوده من قبيل قول القائل

يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما　　وانما فلتات من وساوسه

ثم اذكر بعده من ذكر بالجود من غير المسلمين انتهى

الباب الخامس عشر فى الفوايد قال الفقيه رحمه الله تعالى عن علقمة ان النبى صلى الله عليه وسلم راى رجلا فى الشمس فقال تحول الى الظل فانه مبارك وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال حرف الظل مجلس الشيطان يعنى بين الشمس والظل وعن ابن الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتبتم الكتاب فتربوه فانه اسرع للحاجة وانجح للطلبة والبركة فى التراب وعن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يذكر الحاجة ربط فى يده خيطا وعن الحسن قال اهدى لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه يوم النيروز هدية فقال ما هذا فقيل له هذا يوم يقال له النيروز فقال على ليكن كل يوم نيروزا وعن مجاهد ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا فسال عنه فقال رجل انا اعرف وجهه فقال عليه الصلاة والسلام ليست تلك بمعرفة يعنى ما لم تعرف اسمه لا تكون معرفة وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اغلقوا الباب واوكوا السقاء اى القربة واطفوا السراج فان الفويسقة تضرم على اهل البيت بيتهم يعنى ان الفارة تمد الفتيلة وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى العيد خرج ماشيا واذا انقلب انقلب فى غير ذلك الطريق وركب ويقدم الاكل فى الفطر ويوخره فى الاضحى وعن عطاء قال كان النبى عليه الصلاة والسلام يقول اطلبوا الخير عند حسان الوجوه اقول وفى رواية اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله وجها حسنا وخلقا حسنا وجعله فى موضع غير شاين له فهو من صفوة الله من خلقه وقال الشاعر

انت وصف النبى اذ قال يوما　　اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وعن يحيى بن كثير قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يكتب الى عماله لا تبردوا الى

الارجلا

الا رجلا حسن الوجه حسن الاسم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما بعث الله رسولا الا كان حسن الوجه حسن الاسم حسن الصوت وقد ذكرت البريد وما يتعلق به بالملحق بالباب السادس عند اسم سيدنا ابرهيم عليه الصلاة والسلام ثم قال الفقيه وعن ابى مليكة ان النبى صلى الله عليه وسلم اذا انتهيت المسكين ثلاثا فلم ينته فلا باس بان تزجره وقال انما داب السياسة الرد الجميل

فعل جميل وقيل احدى المنع احسن احدى العطايين　　والمنع الجميل خير من المطل الطويل　　والعطاء الوبيل اى الكثير قال تعالى قول معروف خير من صدقة يتبعها اذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالكم السايل فلا تقطعوا مسئلته حتى يفرغ منها ثم ردوه بوقار ولين او ببذل يسير او برد جميل وفى المثل رب منع الذ من اعطاء وقال الحسن بن على رضى الله عنهما لرجل ساله شيئا فلم يمكنه لو امكننى لكان الحظ انا فيه دونك فان حرمنا شكرك فلا تحرمنا سعة عذرك وقيل الرد الجميل يحسن ممن لا يقدر على مطلبه منه واما اذا كانت له قدرة او عليه حق فيكون حسن رده خيرا وان كان خيرا من الرد الردى ويحمل ذلك على النية انتهى وسياتى المطل فى ملحق الباب الرابع عشر والصبر الجميل والهجر الجميل والصفح الجميل ثم قال الفقيه وعن ابى مليكة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا انتهيت المسكين ثلاثا فلم ينته فلا باس بان تزجره وروى عمر رضى الله عنه مصحفا صغيرا فى يد رجل فقال من كتبه قال انا فضربه بالدرة وقال عظموا القرآن وعن ابرهيم النخعى قال بت ليلة فى المسجد وليس معى شئ فاستيقظت فاذا فى ثوبى صرة فيها اربعون درهما او نحوها فاتيت عطاء فاستفتيته قال ان الذى صرها فى ثوبك لم يصرها الا وهو يريد ان يجعلها لك فان كان لك اليها حاجة فاقضها فى حاجتك وان كنت غنيا عنها فاعطها محتاجا وعن ابن سيرين انه قال كنا مع ابى قتادة على سطح فانقض نجم فاتبعناه ابصارنا فنهانا وقال لا تتبعوه ابصاركم فانا كنا نهينا عن ذلك وعن ابن ابى ذوىب قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اتى بالزهو وضعه على عينيه ثم فى فيه اقول فى الصحاح الزهو بفتح الزاى وضمها لغة حجازية هو البسر الملون بتشديد الواو وكسرها يقال اذا ظهرت الحمرة والصفرة فى النخل فقد ظهر فيه الزهو ثم قال الفقيه وعن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اسل احدكم سيفا فلا يناوله حتى يغمده فراى قوما يتعاطونه فقال الم انهكم عن هذا من فعل هذا فعليه لعنة الله اقول واما ضرب السيف على قرابه عند اغماده فهو اتباع لامير المؤمنين على رضى الله عنه فانه قيل انه كان اذا استل سيفه ذا الفقار فى القتال يفرق فرقتين فاذا اراد اغماده يضرب به قرابه فيلتئم فيغمده وذو الفقار كان للعاص بن منبه السهمى قتله

على رضى الله عنه يوم بدر وانى بسيفه فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياه وفيه قيل لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على ويروى انه سمع ذلك فى
الهوآء يوم احد وروى ان بلقيس اهدت الى سليمان سبعة اسياف منها ذو
الفقار فكان لمنبه ابن الحجاج السهمى وفى الصحاح انه كان للنبى صلى الله عليه
وسلم وهو بفتح الفاء ثم قال الفقيه وعن الزهرى ان النبى صلى الله عليه
وسلم نهى عن ذبائح الجن وهو ان يذبح فى الدار الجديد للطيرة والعين تستخرج
وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه نهى ان يقال مسيجد ومصيحف
وعن الشعبى عن ابى حنيفه رضى الله عنه عن على رضى الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة نادى مناد من
ورآء الحجاب غضوا ابصاركم عن فاطمه بنت محمد حتى تمر انتهى بكماله مع الزيادة
اقول لم يرد الفقيه والله اعلم بالفوايد مطلقها بل ما ورد منها مما لم يدخل
تحت ابواب الكتاب من اثر عن النبى صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة
او التابعين رضى الله عنهم اجمعين كما نقله فلنذكر شيئا من ذلك فمنها
ما نقله صاحب مراة الزمان عن جابر بن عبد الله بن رباب الانصارى
الصحابى رضى الله عنه انه حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير
قول الله تعالى يمحوا الله ما يشآء ويثبت انه قال يمحو من الرزق ويزيد فيه
ويمحو من الاجل ويزيد فيه فمما يزيد الرزق الشكر لله تعالى على نعمه قال تعالى
لئن شكرتم لازيدنكم ومنه الصدقة قال صلى الله عليه وسلم ما نقص
مال من صدقة بل يزيد ومما ينقصه كفران نعمة الله تعالى فى اواخر النحل
وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقد
جمع الله تعالى نقصان الرزق والزيادة فيه فى قوله تعالى يمحق الله الربا
ويربى الصدقات انتهى **الباب السادس عشر فى الايمان** وفيه
اربعة فصول كان الفقيه قد جعلها ابوابا متفرقة غير مرتبة فجمعتها
ورتبتها **فالفصل الاول فى تعريفه وحده** قال الفقيه رحمه الله تعالى
اختلف الناس فى الايمان قال بعضهم هو قول وعمل وهو قول الامام احمد
ابن حنبل واسحق بن راهويه ومن تابعهما وقال بعضهم هو اقرار باللسان
وهو قول ابى عبد الله بن كرام ومن تابعه وقال بعضهم هو المعرفة بالقلب
وهو قول جهم بن صفوان ومن تابعه وقال بعضهم هو الاقرار باللسان
والتصديق بالقلب والعمل بشرايعه وهو قول ابى حنيفة واصحابه رحمهم الله
تعالى وبه ناخذ وظاهر المذهب عن ابى حنيفة ان العمل ليس بداخل فى ماهية
الايمان اما من قال ان الايمان قول وعمل قال لان الله تعالى سمى الصلاة ايمانا
قال الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلوتكم الى بيت المقدس واما من قال

ان الايمان

ان الايمان قول فحسب قال لان الله تعالى قال فاثابهم الله بما قالوا جنات تجرى
من تحتها الانهار ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دمآءهم واموالهم واما من
قال ان الايمان هو معرفة بالقلب انما قال ذلك لانه لو اعتقد الكفر ولم يتكلم
به فانه يصير كافرا فكذلك لو اعتقد الايمان ولم يتكلم به فانه يصير مومنا
واما من قال ان الايمان هو الاقرار باللسان والتصديق بالقلب لان جبريل
عليه السلام دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فساله عن الايمان فقال
عليه الصلاة والسلام الايمان ان تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر والقدر خيره وشره من الله تعالى فقال له جبريل صدقت
يا محمد وكان السايل جبريل والمجيب النبى عليهما السلام بحضر من اصحابه
واراد بذلك تعليمهم واظهار الدين والشريعة لان الله تعالى قال يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيئا فثبت انه يصير مومنا بالقول ثم القول لا يصح الا بالتصديق
بالقلب لان الله تعالى ذكر فى قصة المنافقين فقال ومن الناس من يقول
آمنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين تمنع عنهم الايمان لانه لم يكن
منهم مع القول تصديق واذا وجد القول مع التصديق صار مومنا اقول
فالتصديق اس الايمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدق اس
الايمان وفى رواية اس الدين ثم قال الفقيه وقال محمد بن الفضل سمعت يحيى
ابن عيسى قال سمعت مسلم بن سالم يقول ما يسرنى ان القى الله تعالى بعمل
مضى وعمل بقى وانا اقول الايمان يزيد وينقص واقول الايمان قول وعمل
والفصل الثانى فى كونه مخلوقا او غير مخلوق قال الفقيه رحمه الله تعالى
اختلف الناس فى الايمان قال بعضهم هو مخلوق واحتج بان الايمان هو
الاقرار باللسان والتصديق بالقلب وهما افعال العباد ولان الاقرار فعل
اللسان والتصديق فعل القلب والعبد مع جميع افعاله مخلوق لان الله
تعالى قال والله خلقكم وما تعملون واما من قال انه غير مخلوق فقد احتج
بان الايمان هو شهادة ان لا اله الا الله وقول لا اله الا الله كلام الله
وانه غير مخلوق فمن زعم ان الايمان مخلوق فقد زعم ان القرآن مخلوق قال
الفقيه الحاصل لا اختلاف فى هذه المسئلة لان من قال انه مخلوق انما اراد
به فعل العباد ولفظ لسانه ومن قال غير مخلوق فانما اراد كلمة الشهادة
والله اعلم **الفصل الثالث فى زيادته ونقصانه او زيادته فقط او عدمهما**
قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس فى الايمان قال بعضهم يزيد ولا
ينقص وقال بعضهم لا يزيد ولا ينقص وبه ناخذ اما حجة من قال انه يزيد
وينقص فقوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وفى موضع آخر فاما الذين

فزادتهم ايمانا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اشفع يوم القيمة
فيخرج من النار من كان فى قلبه مثقال خردل من الايمان ثم اشفع فيخرج
من كان فى قلبه مثقال حبة من الايمان ثم اشفع فيخرج من كان فى قلبه مثقال
ذرة من الايمان واما حجة الطايفة الاخرى فما روى عن معاذ بن جبل رضى الله
عنه كان يورث المسلم من الكافر ولا يورث الكافر من المسلم وقال سمعت النبى
صلى الله عليه وسلم يقول الايمان يزيد ولا ينقص وفى رواية اخرى الاسلام
يزيد ولا ينقص واما حجة من قال الايمان لا يزيد ولا ينقص فما روى ابو
مطيع عن حماد بن سلمة عن ابن المهزم عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال
جاء وفد من قبيلة ثقيف الى النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى الله
الايمان يزيد وينقص قال الايمان مكمل فى القلب زيادته ونقصه كفر
وروى عن عون بن عبد الله سمعت عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
يقول على المنبر لو كان الامر على ما يقول هولاء الشكاك الضلال ان الذنوب
تنقص الايمان لا مسى احدنا وكان لا يدرى ما ذهب من ايمانه اكثر ام اقل ومعنى
قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال اهل التفسير ليزدادوا يقينا
مع يقينهم وذكر الايمان فى القرآن على وجوه وانما تعرف معانيها بقول
اهل التفسير وقال ابو مطيع رحمه الله ايمان اهل السماء واهل الارض واحد
ليس فيه زيادة ولا نقصان وقال محمد بن الفضل سمعت ابا اسامة
يقول يقولون الايمان يزيد وينقص كم يزيد وكم ينقص ده يا زده ام ده
دوازده اى عشرة ام عشر ام عشرة ام اثنى عشر وقال هشام رحمه
الله تعالى عن ابى يوسف رحمه الله تعالى انه قال انا مومن حقا وانا مومن
عند الله ولا اقول ايمانى كايمان جبريل وميكائيل عليهما السلام وقال
محمد بن الحسن رحمه الله تعالى اكره ان يقول الرجل ايمانى كايمان جبريل ولكن
ليقل آمنت بالذى آمن به جبريل ولا يقول ايمانى كايمان ابى بكر ولكن يقول
آمنت بالذى آمن به ابو بكر وقال محمد بن الحسن كان سفيان الثورى رضى الله عنه
يقول انا مومن ان شاء الله ثم رجع وقال انا مومن وترك الاستثناء الفصل
الرابع فى الاستثناء منه قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض الناس
ان يقول الرجل انا مومن الا ان يستثنى فيقول انا مومن ان شاء الله قالوا لان
هذا لفظ مدح ولا يجوز لاحد ان يمدح نفسه فكما لا يجوز ان يقول انا زاهد
انا عابد فكذلك لا يجوز ان يقول انا مومن قال ولان الله تعالى وصف المومنين
بعلامات فما لم توجد تلك العلامات فلا يجوز ان يسمى نفسه مومنا وهو قوله
تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون اولئك هم المومنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم

الى قوله

الى قوله اولئك هم المومنون حقا ولان الله تعالى قال قالت الاعراب آمنا قل
لن تومنوا ولكن قولوا اسلمنا فنهاهم ان يسموا انفسهم مومنين وامرهم ان يسموا
انفسهم مسلمين اقول حكى انه كان بالمدينة رجل يكره ان يقول انا مومن فقيل
له ما تقول فى رجل قتل رجلا خطأ قال يجب عليه تحرير رقبة مومنة قال وهل
توجد رقبة مومنة فى الارض فسكت ثم قال الفقيه وقال غيرهم لا باس به
لما روى عن عطاء انه قال ادركت اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهم يقولون
نحن المومنون المسلمون وروى زياد بن علاقة عن عبد الله بن يزيد الانصارى
رضى الله عنه انه قال اذا سئل احدكم عن ايمانه فلا يشكن فيه وقال ابرهيم
النخعى ما يكره احدكم ان يقول انا مومن فان كان صادقا فليوجر على صدقه
وان كان كاذبا فما دخل عليه من كفره فهو اشد من كذبه ولان الله تعالى قال
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وفى موضع آخر
يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية فمن شك انه مومن ينبغى ان لا
يلزمه الصيام والصلاة لان الله تعالى اوجب الصوم والصلاة على المومنين
خاصة قال الفقيه لو قال اموت مومنا ان شاء الله تعالى يجوز على قول عامة
العلماء لا يجوز بل يقول انا اموت مومنا حقا كما يقول انا مومن حقا ولو قال
انا مومن ان شاء الله لا يجوز لان الاستثناء انما يستعمل للمستانف ولا
يستعمل للماضى ولا للحال ولو قال انا مومن ان شاء الله لا يجوز لانه لا يصلح فى
الكلام ان تقول هذا ثوب ان شاء الله او هذه اسطوانة ان شاء الله تعالى
فكذلك لا يصلح ان تقول انا مومن ان شاء الله وروى عن الحسن البصرى
رضى الله عنه قال ان من عقل الرجل ان يقول افعل كذا ان شاء الله تعالى
ومن حمقه ان يقول فعلت كذا ان شاء الله ولانه لو استثنى فى الطلاق و
العتاق فانه لا يقع فان استثنى فى ايمانه يخاف عليه ان يقع فى ايمانه
خلل وقصور قال القايل

وما الدهر الا ليله ونهاره … وما الناس الا مومن ومكذب
فان لم تكن ذا الا ولم تكن مومنا … فاين اذا يا احمق الناس تذهب

اقول الايمان راس الحسنات وهو الدين وراسه الصبر قال على رضى الله عنه
ان الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا خير فى جسد لا راس
ايها الناس عليكم بالصبر فانه لا ايمان لمن لا صبر له وان لله تعالى آنية
فى الارض وان آنيته القلوب ولا يقبل فيها منها الا ما صفا وصلب ورق
نصفا وهى لله تبارك وتعالى ورقتها للاخوان وصلابتها فى الدين قد
ذكر الفقيه الايمان وبعض تعلقاته ولم يذكر شيئا من احوال المومنين فنذكر
شيئا مما يتعلق بالايمان والمومنين فاقول وقد امرنا الله تعالى به فى اماكن من
كلامه القديم فقال تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا

بربكم فآمنا ورد عن وهب بن منبه التابعي رضي الله عنه انه قال الايمان
عريان ولباسه التقوى وزينته الحيا ورأس ماله الفقه وقد مدح الله
المومنين الذين يعملون الصالحات السالكين سبيل رب الارض والسموات وبين جزاهم
بقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاوهم
عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله
عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا
وقد بين سبحانه وتعالى اعمال المومنين الصالحات التي بها يرثون الفردوس
بقوله تعالى في اول سورة المومنين قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم
خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير
ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وقد بين تعالى استغفار الملائكة
لهم في قوله تعالى في سورة حم غافر فقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين آمنوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
وناهيك ان حملة العرش ومن حوله وهم الملائكة الكروبيون سادة الملائكة
يستغفرون للذين آمنوا واتبعوا سبيل ربهم وقد شبه الدميري عمل
المومن بالعسل والشمع فقال اخرج الله تعالى من النحلة العسل ممزوجا بالشمع
وكذلك عمل المومن ممزوج بالخوف والرجا مثل واعتبار النحلة لما جنت من
حلال وهو الازهار المباحة في الاراضي المباحة ومن حرام وهو ازهار الاشجار
الجارية في ملك بعض الناس خلق الله تعالى من الحلال العسل تنتفع به الناس
وخلق من الحرام الشمع وهو حظ النار فالولد المتولد نطفته من اكل الحلال
يكون صالحا مومنا مباركا والمتولد نطفته من اكل الحرام يكون غير صالح وربما
يكون النار وفي العسل ثلاثة اشيا الشفا والحلاوة واللين وكذلك المومن
قال تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وامر الله النحلة بالاكل من الحلال
فصار لعابها شفا انتهى فدوا الاطبا مر ودوا الله حلو وهو العسل
قال الدميري وقوله تعالى فيه شفا للناس لا يقتضي العموم لكل علة وفي كل
انسان لانه نكرة في سياق الاثبات وهو الخبر عن انه يشفي كما يشفي غيره من الادوية
في حال دون حال وعن عوف بن مالك انه مرض فقال ايتوني بما قال الله تعالى ونز
وانزلنا من السما ما مباركا كانه قال يقول الله تعالى فيه شفا للناس ثم قال
ايتوني بزيت فانه من شجرة مباركة فخلطه بعسل وشربه فشفي وقيل ان كل حلو

مص

مض بصاحب الاسهال الا العسل فانه ينفع الاسهال ويعقل البطن بالخاصية
وعن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان اخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه
ثم جاء ثم قال قد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال قد سقيته فلم يزده الا استطلاقا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثالثة او الرابعة صدق الله وكذب
بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه فبرى رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما
وكذلك لعاب المومن فيه شفا لكثير من العلل وهو درياق فاذا تفل الانسان
في فم الحية قبل ان يفطر ماتت وربما ماتت وان الكلام يخرج من الفم كما يخرج منه
اللعاب وكلام المومن فيه شفا من علل الذنوب والتطهر من دنس القلوب
بتلاوة القرآن وذكر الله الرحيم الرحمن والمواعظ والنصايح والنفس
الصبا دق الصالح وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لحرمة رجل مومن
عند الله خير مما طلعت عليه الشمس وقال عليه الصلاة والسلام من آذى
مومنا فكانما هدم الكعبة سبعين مرة وقال لا يدخل النار من في قلبه مثقال
حبة خردل من ايمان والمومن هين لين وكل احد يوذيه كما قيل الناس اربعة
اصناف التجار ذياب والفقرا ثعالب والملوك اسود والمومن كالبغاث يفترسه
كل من كان وقال بعض العارفين اذا مات المومن تستبشر به السما وترحب به
الارض فلن يسا اليه في بطنها وقد احسن على ظهرها قال الشاعر

كل الذنوب فان الله يغفرها ان شيع المرء اخلاص وايمان

وكان بعض مشايخي رحمهم الله تعالى ينسب اليه انه كان ياخذ الاجر على الفتوى
ويفتي للسايل بما يهوى معتمدا على بعض الاقوال مما يناسب صورة السوال
فرايته بعد موته في المنام على حالة احسن من حالته في الدنيا فخطر انا اساله
عن حالته بعد الموت فاتيت اليه وسلمت عليه وقلت الست مت قال بلى قلت
فما نفعك بعد الموت فقال الايمان رحمه الله تعالى وامتنا على الايمان وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله الايمان فقال قوني فقواه بحسن الخلق
والسخا ولما خلق الكفر قال قوني فقواه بالبخل وسوء الظن وقد تقدم في الباب
١٤ وسيأتي حسن الخلق في ١٤ وسوء الظن في ٤٦ والبخل في الملحق بالفصل ٢
من الباب ٤ ولما كان الايمان الذي هو الدين وجب الشكر على المومنين
بعين ذكر فضايل الدين والعبادة وما يتعلق بالشكر المتكفل لصاحبه بالزيادة
اما الدين فله معان كثيرة والمراد به هنا الاسلام لانه هو والايمان واحد وقد
قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام فلو لم يكن من فضايله الا اثباته
عند الله ونفي غيره من الاديان واما العبادة فهي غاية العمر وبضاعة الاوليا
ومنهاج الجنة وقد امر الله تعالى الثقلين بعبادته فقال وما خلقت الانس

الجن و

الا ليعبدون وان كان المراد ليعرفون فان من عرف ربه بالربوبية عرف نفسه
بالعبودية وهي خدمة الرب بانواع الطاعات والعبادات وقال تعالى
وانا ربكم فاعبدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا رزقه
دينا قويما ومن اعظم العبادات الصلاة فانه كان من وصية النبي صلى
الله عليه وسلم عند موته ان قال الصلوة وما ملكت ايمانكم حتى جعل
يتغرغر بها في صدره ولا يفيض بها لسانه اي لا يخرجها لسانه ولا يبوح
بها وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني ان فاتك العلم وتخطاك الادب فعليك
بالناموس الاعظم وهو الماء والمحراب وقيل اذا ضاقت بك الاسباب
فعليك بالماء والمحراب واوصى رجل لابنه فقال يا بني عليك بالسداد فان
راى الناس منك بخلا قالوا مقتصد لا يحب السرف ولا التقصير وان
راوا منك عيا قالوا يكره ان يتكلم فيما لا يعنيه وان راوا جبنا قالوا لا
يقدم على الشبهات وقيل ثلاثة تخبب الدين والتواضع والسخاء وقال
صلى الله عليه وسلم كرم المرء دينه وحسبه خلقه **واما الشكر** فحقيقته
ما حكاه الجنيد رحمه الله تعالى ونفعنا به انه دخل على سري السقطي فقال له
يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يستعان بنعمته على معصيته فقال احسنت
يا غلام **وله** اعني الشكر ثلث منازل ضميرا بالقلب ونشرا باللسان ومجازاة
باليد **قال الشاعر** افادتكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا •
وله ثلث منازل اخر الشكر لمن فوقك بالطاعة • ولنظيرك بالمكافاة • ولمن
دونك بالاحسان والافضال **ولنذكر شيئا مما في الاحسان من معروف**
اما الاحسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الايمان اتباع
الاحسان بالاحسان وقيل اساءة المحسن ان يمنعك اذاه واحسان المسيء ان يكف
عنك اذاه **واصل** الاحسان ما اصاب مواضعه كما ان افضل المعروف ما
اصاب مواقعه **وقيل** اكرم الناس من اذا احسن الدهر اليه يلقى بالاحسان
والاحسان تجارة لا تبور • ومنبع لا يغور • فاحسن ما يحسن البلاء • وتجد عند
الله ثمرة تجارتك راجعة عليك **قال** الله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله وقال تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون **وقال**
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الاحسان في كل شيء حتى ان الرجل اذا ذبح
الشاة احد لها المدية ليعجل خلاصها **وسأل** حكيم حكيما ان يعظه فقال افعل
الخير ما دام هو ممكنا لك فان الاوقات الماضية لا ترجع وان طال عنها تحري
فقال واما المعروف فهو ما يحصل لكل ما ينل من اعطاء وغيره فالاعطاء للغني
الفقير احسان ومعروف وللفقير صدقة واحسان ومعروف **وقال** رسول الله
صلى الله عليه وسلم المعروف باب من ابواب الجنة فانه يمنع من مصارع السوء
وسئل فيثاغورس بماذا يمكن الانسان ان يقتدي به قال باصطناع المعروف

وقال الاحنف بن قيس ما ادخرت الاباء للابناء ولا ورثت الموتى للاحياء شيئا
افضل من اصطناع المعروف عند ذوي الاحساب **وقال** ابن عباس المعروف يجري
به ولد الولد **وقال الشاعر**

وما هذه الايام الا معارة • فما شئت من معروفها فتزود

وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف كاسمه واهل المعروف في الدنيا
هم اهل المعروف في الآخرة قال ابو سليمان الخطابي معناه ان من بذل معروفه
في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة **وقيل** في صاحب المعروف

له في ذوي النعماء نعمى كانها • مواقع ماء المزن في البلد القفر
اذا ما اتاه السائلون توقدت • عليه مصابيح الطلاقة والبشر

وقال عيسى عليه السلام من الكرم اسداء العوارف وللمعروف مواضع قال
الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم **وقال** علي رضي الله عنه ليس لواضع
المعروف في غير حقه وعند غير اهله من الحظ فيما اتى الا محمدة اللئام وثناء
الاشرار ومقالة الجهال ما دام منعما عليهم ما اجود يده وهو عن ذات الله
بخيل فمن آتاه الله مالا فليصل القرابة وليحسن منه الضيافة وليفك منه
الاسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم ابتغاء الثواب وليصبر نفسه
على الحقوق والنوائب فان فاز بهذه الخصال شرف **ويقال** الكيس يتخير الصلحاء
لمعروفه كما يتخير الزارع الحقول لبذره **وفي** التوراة من صنع معروفا الى غير
اهله كتبت عليه خطيئة ويقال افضل المعروف اغاثة الملهوف ويقال لا
خير في المعروف الى غير عروف **وقال الشاعر**

لعمرك ما المعروف في غير اهله • وفي اهله الا كبعض الودائع •
فمستودع ضاع الذي كان عنده • ومستودع ما عنده غير ضائع • صنع

وقال ابو فراس وابذل مالي للاضعفين وللشامخ الانف لا ابذله انتهى **ومن**
فعل المعروف مع غير اهله كان ذلك دليلا على قلة عقله وجهله فان فعل
المعروف مع اهله وجب الشكر والمدح ومع غير اهله يورث السب والقدح •
وقال بعضهم ومن يصنع المعروف مع غير اهله • يجازى كما جوزي مجير ام عامر •
تحكى قصة مجير ام عامر واما صلة القرابة في كلام علي رضي الله عنه **فهي صلة**
الرحم قال في الصحاح الرحم بكسر الحاء المهملة القرابة وسكون الحاء لغة والمراد من
صلة الرحم اكرامهم بالعطاء والزيارات والمساعدات على الخيرات والاحسان
اليهم بكل وجه يجوزه الشرع **قال** في آداب السياسة صلة الرحم منماة للعدد
مثراة للمال • محبة في الاهل منسأة في الاجل • دافعة لميتة السوء • نافية
للفقر • رافعة للقدر • معطرة للذكر زائدة في الاجر • وقطعها بعكس جميع
ذلك ويورث اللعنة وسوء الجزاء من الخالق والخلق قال الله تعالى والذين

ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم واشتققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته
ومن قطعها قطعته وقال عليه الصلاة والسلام صلة الرحم تزيد في العمر وقال
علي رضي الله عنه ليس مع قطيعة الرحم نماء ولا مع الفجور غنى وقال عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما من اتقى ربه ووصل رحمه انسأ الله في عمره واثرى له في ماله
واحبه اهله وقال علي رضي الله عنه اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به
تطير واصلك الذي به تصير ويدك التي بها تصول وقال ايها الناس انه لا
يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته وقال الشاعر

اغض من السوء لا افعله ... ومن موقف الضيم لا اقبله
وقرب القرابة ارعى له ... وفضل اخي الفضل لا اجهله

ولزهير ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

وعن جعفر بن محمد رضي الله عنهما انه قال لما ابتلع يونس عليه السلام الحوت
خرق به البحار اسرع من طرفة عين فمر الحوت بقارون ومعه ملك موكل بعذابه
فلما سمع قارون تسبيح يونس قال للملك الموكل بعذابه من هذا فاوحى الله تعالى
اليه ان ايذن له فقال قارون يا يونس ما فعل ابن اخي هارون فقال مات
فقال ما فعل ابن اخي موسى فقال مات فقال ما فعلت بنت اخي كلثوم بن عمران
فقال ماتت قال فبكى قارون وقال وا انقطاع رحماه فاوحى الله الى الملك الموكل
الموكل بعذابه ان ارفع عن قارون العذاب ايام الدنيا بذكره لرحمه وبكائه عليهم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع الرحم
وفي نوادر الاخبار انه كان في خلافة عمر بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن
بشير الاسدي وكان مقيما بالرقة وكانت له مودة ظاهرة وبر كثير بالاخوان
وكرم مشهور فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به دهره وناخ عليه بكلكله وألح
عليه الفقر فواسوه اخوانه قليلا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اختار لزوم بيته
وغلق بابه وانقطع عن الناس وكان عكرمة واليا على الرقة من قبل سليمان
فبينا هو في مجلسه وعنده جماعة من اصحابه اذ جرى ذكر خزيمة بن بشر فاعلموه
انه لزم بيته واغلق بابه فقال عكرمة اوما كان لخزيمة من يكافيه على مروته
ويسد خلته وامسك عكرمة عن الحديث فلما خلا المجلس ومضى من الليل
جانب قام عكرمة الى كيس وجعل فيه اربعة الاف دينار ثم امر بدابته وركب
وخرج سرا من اهله ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سار حتى اتى دار خزيمة
فاخذ الكيس ونزل عن الدابة وبعث الغلام الى مكان اخر وتقدم الى الباب فقرعه
فخرج وفتح الباب فناوله عكرمة الكيس وهم بالانصراف فمسك خزيمة بطرفه
وقال من انت قال ما جئتك هذا الوقت لتعرفني فقال خزيمة لا بد من معرفتك

قال انا جابر عثرات الكرام وتركه ومضى فاخذ خزيمة الكيس وهو يظنه فلوسا
فلما رجع عكرمة الى منزله وجد زوجته على اسوء حال لانها ظنت انه خرج الى زوجة
اخرى فقال لها ما هذه التهم والتجسس منذ الليلة انما اردت من فعل شيء لا يعلم
الا الله تعالى فلم تزل به صلة القرابة والرحم الا ان اعلمها بصورة الحال ثم ان
خزيمة اصلح شانه واشترى له ثيابا فاخرة ومركوبا حسنا وتجهز الى سليمان
ابن عبد الملك وكان يومئذ بفلسطين وكان عارفا فلما دخل عليه قال ما ابطاك
عنا يا خزيمة قال سوء الحال يا امير المومنين قال فما منعك من النهوض الينا قال
قلة ذات يدي قال فما اراك الا في احسن حال واجمل هيئة قال ان صورة امري
لعجيبة يا امير المومنين ثم قص عليه قصته من اولها الى اخرها فاهتز سليمان
طربا وجعل يقول جابر عثرات الكرام ويكررها وقال والله اشتقت الى جابر
عثرات الكرام والى معرفته ولو عرفته لاعنته على مروته فلله دره فما احسن
فعله واوفر عقله ثم دعا سليمان بقناة وعقد لخزيمة الولاية على الرقة والجزيرة
وهو العمل الذي كان بيد عكرمة وامره ان يقبض على ما له ويحاسبه
فخرج خزيمة يريد الرقة فلما قرب اليها خرج اليه عكرمة يتلقاه ومعه وجوه
الناس فتلقاه ودخل خزيمة دار الامارة واراد عكرمة الانصراف فمنعه خزيمة
ووكل عليه من يحفظه وامره باحضار المال التي تحت يده وعمل الحساب فبقي
عليه مال كثير فبعث به الى السجن وان يثقل بالحديد فاقام ثلثة ايام فبعثت
زوجته الى خزيمة وهي تقول بئس ما جازيت به جابر عثرات الكرام
يا خزيمة فلما سمع خزيمة هذا دهش عقله وطار لبه وقال وا سوءتاه وا خجلتاه
وا فضيحتاه من الله تعالى ومن جابر عثرات الكرام ومن امير المومنين وقام من
وقته الى السجن يمشي وهجم على عكرمة ورمى نفسه عليه وجعل يقبل يديه
ويعتذر اليه انه ما عرفه واخرجه ودخل به الحمام وامر باحضار ما يحتاج اليه
من ثياب وطيب واستبشر اهل المدينة بذلك واخذه وخرج به من يومه
الى سليمان فلما استاذن عليه الحاجب خرج سليمان وقال عامل الرقة يقدم
علينا من غير اذن فلما دخل قال له ما اقدمك يا خزيمة قال الظفر بجابر عثرات الكرام
قال او عرفته قال نعم قال من هو قال عكرمة الفياض قال لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم بئس ما جازيناه به عن مروته ثم اذن له فدخل فقال
بئس ما جازيناك عن كريم فعلك يا عكرمة وبئس ما فعل خزيمة قال عكرمة
هو معذور يا امير المومنين اذ لم يعرفني ونصيحة امير المومنين احب اليه فقال
سليمان ان اصطناع المعروف لا يكاد يخفى ولا يضيع وامر لعكرمة بمال جزيل
وسامحه بما كان عليه وعقد لهما الولاية على الرقة والجزيرة واضاف اليهما
الاعمال اقاليم كثيرة وفي الكتاب المذكور بسنده الى رجل انه قال كنت عند الحكم بن المطلب
ابن حنطب وهو في السياق فقلت اللهم هون عليه فانه كان وذكرت ما كانت

لہ من اصطناع المعروف ففتح عينيه وقال من المتكلم فقلت انا قال اذ مات الموت
يقول لى انى بكل سخى رفيق ثم احمر وجهه وضحك فوالله كانه سراج وانطفى وقد
الشاعر ليس فى كل ساعة واوان ٭ تتهيا صنايع الاحسان
فاذا امكنت فبادر اليها ٭ حذرًا من تعذر الامكان ٭ وقال
الآخر احسن اذا احسن الزمان ٭ وصح منه لك الضمان
بادر باحسانك الليالى ٭ فليس من غدرها امان ٭
رجع الى الشكر والشكر قيد النعم وتجارة رابحه جعله الله مفتاحا لخزاين
رحمته وبابا الى مزيد كرامته فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ٭ وقال
صلى الله عليه وسلم احق الناس بالنعم اشكرهم ٭ وقال عليه الصلاة والسلام
نعمة لا تشكر خطيئة لا تغفر وقال موسى عليه السلام الهى امرتنى بالشكر
على نعمك وشكرى لنعمك نعمة من نعمك ٭ فاوحى الله تعالى اليه الآن شكرتنى
ومن هنا اخذ محمود الوراق قوله
اذا عجزت عن شكر برك قوتى ٭ واقوى الورى عن شكر برك عاجز ٭
فان ثنائى واعتقادى وطاعتى ٭ لا فلاك يوما اولتنيه مراكز ٭
وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما ان لهذه النعم اجنحة طوا لا طيارة فقصوها
بالشكر وقيل الشكر يحيى المودة ويمنى المحبة قال
فلو كان يستغنى عن الشكر منعم ٭ برفعة شان او علو مكان ٭
لما امر الله العباد بشكره ٭ وقال اشكرونى ايها الثقلان ٭
ويقال الشكر على قدر الصنيعة وهى العطية ٭ والشكاية على قدر الظلامه
والشاكر اذا لم يكن عليه اثر النعمة ٭ كذبته حاله وكذلك اذا كفرها ٭ وقيل
من لا ظهر شكرك فيما لم تأت اليه فاحذره ان يكفر نعمتك فيما اسديت اليه
شعر اذا انا لم اشكر لذى الفضل فضله ٭ ولم اشتم الجبس اللئيم المذمما ٭
ففيم عرفت الحمد والشكر باسمه ٭ وشق الله المسامع والفما ٭
الجبس الجبان العيى الثقيل وقال الفقيه فى باب الدعوات من كتاب البستان
قال بعض المتقدمين من تظاهرت عليه النعم فليكثر من الحمد لله ومن
كثرت همومه فليكثر من الاستغفار ومن الح عليه الفقر فليكثر من لا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم انتهى اقول فالحمد فى مقابلة النعمة حمد وشكر ولا
يشترط فى الشكر ان يكون بلفظ الشكر بل كما يكون ثناء فى مقابلة نعمة من
الخالق سبحانه وتعالى ومن المخلوق فهو شكر واما الحمد فيكون فى مقابلة
النعمة وعند حدوث النعمة من الله تعالى وذلك معنى قول بعضهم الحمد لله
الذى لا يحمد على المكاره سواه اعتبار من كلام ابى العباس بن العريف قال
انظر الى الاغصان فى حركاتها ٭ ابشكرها ام شكرها تتأود ٭
فتقول ارباب البطالة تنثنى ٭ وتقول ارباب الحقيقة تسجد ٭

واذا رجعت الى اليقين فانها ٭ فى شكر خالقها تقوم وتقعد ٭ واعلم
انه كما تزاد النعم بالشكر تزال بتركه حكى ابن خلكان فى ترجمة الهيثم بن عدى
ان رجلا كان ياكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سايل فرده خايبا وكان
الرجل ذا مال عظيم فوقع ذات يوم بينه وبين زوجته فرقة فطلقها ثم انه
بعد مدة ذهب ماله وتزوجت زوجته فبينما زوجها الثانى جالس ياكل
وبين يديه دجاجة مشوية اذ جاء فقير فقال لامرأته ناوليه الدجاجة
فناولته ونظرت اليه فاذا هو زوجها الاول فاخبرت زوجها الثانى بقصته
مع الفقير فقال انا والله ذلك المسكين الاول خولنى الله نعمته واهله لقلة
شكره ومنعه الصدقة من بره وخولنى الله اى ملكنى رجع وحيث ان
الايمان راس الحسنات فلنذكر شيا منها مما لم يبوب له الفقيه بابا وين يحيى
فاعله اجرا وثوابا ٭ كالتوبة والاخلاص ٭ والتقوى والزهد ٭ والورع والعفاف
واصلاح ذات البين ٭ والخمول ٭ وعلو الهمة والجهاد ٭ والصدقة وابتدى
بالتوبة اذ الانسان ليس بمعصوم عما يوجبها ٭ وقد تقع الهفوة ولم يشعر
بها صاحبها قال فى اداب السياسة التوبة تمحص الذنوب وتطهر اهلها
وتجب ما قبلها وقد جعل الله التايب من احبابه ٭ ووصفه فى اماكن من
كتابه ٭ فمنها ان الله يحب التوابين واعلم ان شفيع الزاهد زهده ٭ والعابد
عبادته ٭ والمحسن احسانه ٭ والصايد وصدقه ٭ والتايب توبته قال
جل اسمه وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيات وقال تعالى
وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب فى اليوم مائة مرة وقال من تاب قبل موته
بنصف يوم تاب الله عليه وروى صاحب عقلاء القلوب عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الله ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعنه صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل ليغفر لعبده ما لم يقع الحجاب قيل
يا رسول الله ومتى يقع الحجاب قال ان تموت النفس وهى مشركة وسال رجل
الفضيل بن عياض ما يحجب التوبة فلا تقبل قال لما امر ابليس ان يسجد فابى
ارتجت السموات تخضع فلعن واهبط فسال النظرة فاعطاه فقال وعزتك
لا افارق قلب ابن آدم حتى يغرغر قال وعزتى لا احجب التوبة عن عبدى المومن
حتى يغرغر انتهى ووجدت فى بعض الكتب ما لفظه المنقول من كتاب الاستيعاب
عن عايشة رضى الله عنها قالت جاء حبيب بن الحارث الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى رجل مقراف للذنوب قال فتب الى
الله يا حبيب قال يا رسول الله اتوب ثم اعود قال فكلما اذنبت فتب
قال اذًا تكثر ذنوبى قال عفو الله اكثر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث هكذا ذكره
الدارقطنى فى حبيب انتهى قال ابن الجوزى رحمه الله فى جزء له فى الاسماء المفردة

فی حرف الجیم منه حبیب بن الحارث له صحبة انتهی وهو تصغیر حب انتهی قوله
اذا اکثر ذنوبی یعنی بعوده الی الذنب بعد التوبة فانه بعوده الیه یکون قد
کذب الله فی توبته فیکون عوده ذنبا له وفی شرح الانوار للطحاوی مما لخصه
قال الربیع بن خثیم لا یقول احدکم استغفر الله واتوب الیه ثم یعود فیکون کذبه
ویکون ذنبا ولکن لیقل اللهم اغفر لی وتب علی والحجة فی ذلک قوله صلی الله
علیه وسلم التوبة من الذنب ان یتوب الرجل من الذنب ثم لا یعود الیه فهذه
صفة التوبة وهذا غیر مامون علی احد غیر رسول الله صلی الله علیه وسلم
وانه معصوم واما ما روی عن المزنی انه قال خرج الینا رسول الله صلی الله
علیه وسلم رافعا یدیه وهو یقول یا ایها الناس استغفروا ربکم ثم توبوا الیه
فوالله انی لاستغفر الله واتوب الیه فی الیوم مایة مرة قالوا فهذا کان یقوله
لانه معصوم من الذنوب واما غیره فلا ینبغی ان یقول ذلک لانه غیر معصوم
من العود فیما تاب من الذنب والعود الیه وخالفه فی ذلک اخرون فلم یروا به
شیا ان یقول الرجل اتوب الی الله عز وجل وحجتهم ما روی عن عایشة رضی
الله عنها انها قالت ما کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یقوم من مجلس
الا قال سبحانک اللهم ربی وبحمدک لا اله الا انت استغفرک واتوب الیک
فقلت له یا رسول الله ما اکثر ما تقول هولاء الکلمات اذا قمت فقال انه لا یقولهن
احد حین یقوم من مجلسه الا غفر له ما کان فی ذلک المجلس فهذا رسول الله صلی
الله علیه وسلم ولا روی عنه ایضا ما ذکرناه وهو اولی القولین عندنا وذکر
بحثا حاصله انه لم یبح لهم ان یقولوا نتوب الی الله عز وجل علی انهم معتقدین
بالرجوع الی ما تابوا منه ولکن ابیحنا لهم ان یقولوا ذلک علی انهم یریدوا به ترک
ما وقعوا فیه من الذنب ولا یریدون العود فی ذلک فاذا جرا وعلموا ذلک واعتقدوا
هذا بقلوبهم کانوا فی ذلک ماجورین توابین ثم من عاد منهم بعد ذلک فی شیء
من تلک الذنوب کان ذلک ذنبا اصابه ولم یحبط ذلک اجره المکتوب له بقوله الذی
تقدم منه واعتقد معه ما اعتقده فاما من قال اتوب الی الله عز وجل وهو
معتقد ان لا یعود الی ما تاب عنه فهو بذلک القول فاسق معاقب علیه لانه
کذب الله فیما قال فاما اذا قال وهو معتقد لترک الذنب الذی کان وقع فیه
وعازم ان لا یعود الیه ابدا فهو صادق فی قوله مثاب علی صدقه ان شاء الله تعالی
وقد روی عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه قال الندم توبة باسانید عدیدة
بهذا اللفظ قال الشارح فهذا رسول الله صلی الله علیه وسلم قد جعل الندم
توبة فدل ذلک علی ان من قال اتوب الی الله من ذنب کذا وکذا فهو نادم ومتوب
من ذلک الذنب الذی انه محسن ماجور علی قوله ذلک انتهی ولا بد للتایب ان ینقطع
بقلع عن الذنب وانه لا یعود الیها وان یتخلص من ظلمه او غصبه شیا اما باعطایه
ما غصبه منه او بابرایه من ذلک فقد حکی عن الفضیل بن عیاض رحمه الله تعالی

انه لما تاب ورجع الی الحالة المشهورة من الاشتهار بالخوف العظیم وملازمة احوال
المراقبة توسل الی الله ان یریه هل قبلت توبته فنام ذات لیلة فرای فی منامه
کانه واقف بین یدی الله تعالی واذا الندا ینادیه یا فضیل تطلب ان تعلم انی
قد قبلت توبتک کیف اتوب علیک وقد اغتصبت لفلان الذمی بخراسان سبعماية
دینار وهو یبکی لها حتی ذهبت عیناه فانتبه من نومه وقد قطع الخوف نیاط
قلبه وفی ساعته خرج علی وجهه یام خراسان فلما دخلها الیه وساله وقال
ما لی اراک قد کف بصرک فقال کان لی شی من الدنیا اعوذ به علی زوقتی فاغتصبه
رجل من قطاع الطریق یقال له الفضیل وها قد کف بصری من بکای علیها
فلما سمع الفضیل کلامه غشی علیه وعلا شخیره وکادت نفسه تزهق فلما
افاق قال یا شیخ انا الفضیل وهذه سبعماية دینار قد عدت بها الیک وتعطف
علی بما قد لاقته من اخذ مالک وکف بصرک ولقد فعلت معک ما اعتقد انه
لن یغفر لی فقال یا فضیل وکیف رددت علی هذا المال بعد طول هذه المدة
فقال له قد کان من حالی انی تبت الی الله تعالی وکان من قصتی انی سالت
الله تعالی بعد عبادة کذا وکذا سنة ان یرینی الله هل قد تاب علی فرایت فی
منامی کانی بین یدی الله تعالی وهو یقول کیف اتوب علیک وفلان الذمی
قد اغتصبت ماله وهو یبکی علیه حتی ذهب بصره فبکی الذمی وقال یا فضیل
مد یدک فانا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله اذ کان الله
تعالی لا یهمل ظلمی مع شخص من اولیایه ولا یتوب علیه الا برضای وانا مخالف
لرضاه ودینه کیف لا اسلم وهذا صدقة من الله علی وقیل المذنب التایب اذا
تاب توبة نصوحا کان فضله علی من لم یذنب من ثلث وجوه الاول لانه مجارب
الذنوب والعیوب وعرف مداخل الشیطان فیکون اهدی الی الاحتراز فقد
قیل الحکیم فلان لا یعرف الشر فقال هو اجدر لان یقع فیه والثانی ان المذنب
التایب قد غلب الخوف علی قلبه فیاتی باب مولاه خزیان منکسرا خایفا ومن
لم یذنب ربما اعجب بنفسه وحصل عنده ادلال بفعاله ولیست خدمة عبد
عصی ملکا وخرج علیه ثم عاد الیه وجلا فعفا عنه کخدمة من یدل بطاعته
قال مورق العجلی ضاحک معترف بذنبه خیر من باک مدل علی ربه وفی هذا
المعنی ما قیل ان داود علیه السلام قال فی مناجاته الهی وسیدی ومولای
ما من انبیایک واولیایک احد ابتلیته ببلیة الا کانت له فیها فایدة فما
فایدتی فی قصة اوریا فاوحی الله تعالی الیه یا داود کنت تدخل علی قبل
الخطیئة دخول الملوک علی الملوک وصرت بعدها تدخل علی دخول العبید علی
الملوک وهذا خیر لک من ذلک والثالث ان الملک المذنب التایب قد حلب الدهر
اشطره حلوه ومره فهو ارفق بالمذنبین وارفق بهم واصلح للریاسة ممن یظن
ان الذنب خارج عن طبیعة الانسان فیعجب بنفسه ویزدری علی غیره قال

الجوهري فلان حَلَبَ الدهرَ اَشْطُرَهُ اي ضرب به خيرُه وشرُّه والتوبة انواع قال
بعض اهل التفسير في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
انه الذي يتوب من ذنبه وينوي ان لا يعود فيه وقال القشيري رحمه الله تعالى
من ندم على ما صنعه، وتدارك ما ضيعه، واصلح من امره ما افسده، اقبل
الله عليه بفضله وعفوه، وعاد عليه باللطف وجبره انتهى ومن كلام ابن
الجوزي رضي الله عنه، تبورنا تبنا، ونحن ما تبنا، يا ليتنا تبنا، من قبل ان
تبنى وقال الحافظ ابن حجر في المعنى

خليلي ولّى العمر منا ولم نتب . وننوي فعال الصالحين ولكنا
نحن متى تبني بيوتا مشيدة . واعمارنا منا تهد ولا تبنى

وقال ابرهيم الخواص رحمه الله تعالى الناس في التوبة على خمسة اوجه رجل
يسوف بالتوبة مدافعا بها قد اغتر بطول الامل ونسي هجوم الاجل فهذا ان
ادركه الموت ادركه على الاصرار وآخر تايب ما لم يجد شهوة فاذا وجد ركب
هواه واضاع المحاسبة لنفسه وهذا مستوجب العقوبة من الله تعالى
ورجل تايب بقلبه وذلك ان تدعوه نفسه الى شي يكره فهذا يحتاج الى
الادب لنفسه وفايدته على قدر مجاهدته ورجل قد قام مقام الخصم
فقد استوجب العصمة من الله ورجل قد هام من خوف فهو المتوحد بولاية
الله واما المستغفر باللسان المصر على الذنوب فقد ورد فيه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال المستغفر باللسان المصر على الذنوب كالمستهزي
بربه اجارنا الله من ذلك وقال الشاعر في طلب التوبة

فبادر للانابة قبل فوت . على ما فيك من عظم الجُناح

الجُناح هنا الاثم وهو بضم الجيم وفي تاخير التوبة

انك في دار لها مدة . يقبل فيها عمل العامل
اما ترى الموت محيطا بها . يقطع فيها امل الآمل
تعجل الذنب لما تشتهي . وتامل التوبة من قابل
والموت ياتي قبل ذا غفلةً . ماذا الا فعل الحازم العاقل

بغتة

وقد تكون خوفا من الله تعالى وعقابه كما حكي ان ابا محجن كان رجلا كميا شجاعا وكان
صحابيا الا انه كان مغرى بالخمر لا ينتهي عنها ويحد فيها وكان في جيش سعد بن
ابي وقاص في بعض غزواته فشرب واحده سعد وقيده وحبسه فلما كان يوما
سمع ضجة الحرب وصوت الفرسان قال لامراة الرجل الذي هو مسجون في بيته اخرجي
بحيث انظر الى الحرب فاني اشتاق اليها كما يشتاق الوالد الولد فابرزته الى ظاهر
البيت فبينما هو كذلك ينظر اذ لاحت على المسلمين جولة كشفتهم كشفة
فزع لها انسا الحي فقال ابو محجن والهفاه لو كنت لها وانشد

كفى حزنا ان ترحم الخيل والقنا . واصبح مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد واغلقت . مصاريع من دوني تصم المناديا

وقد كنت

وقد كنت ذا مال كثير واخوة . فاصبحت منهم واحدا لا اخا ليا

فلما سمعت الامراة التي هو محبوس عندها كلامه قالت هل لك ان اسرج لك هذه
الكميتا وامت الى فرس زوجها واعطيك هذا الرمح وهذه اللامة على ان
تعطيني عهد الله وعهد رسوله انك تعود الى قيدك ان سلمت قال نعم وحلف
لها انه يعود بعد مناجزة العدو ان سلم من القتل فحلت وثاقه واسرجت له
الفرس واستلام وحمل على المشركين فكشفهم فلما راى المسلمون ما صنع قالوا
الحملات حملات ابي محجن والفرس والامة لفلان يعنون الذي كان ابو محجن
محبوسا في داره ثم انه لما كسر العدو عاد الى الامراة فاعادته الى القيد ورجع
المسلمون بالظفر فسال الرجل امراته عن الخبر فاخبرته ان صاحب النصر كان
ابا محجن فاحضره سعد واستخبره فاخبره وانشد الابيات فقال سعيد
لله انت اي مسعر حرب ورب دم وحفيظة لولا شربك الخمر فقال ايها الامير
عادة جريت عليها من صغري والفتها فلا افارقها حتى اموت وانا القايل
فيها

اذا مت فادفني الى جنب كرمة . تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني . اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

فقال سعيد لك عهد الله وميثاقه انني لا احدك فيها ابدا فقال ابو محجن فلك
عهد الله وميثاقه ايها الامير انني لا اشربها فقال ولم مع حبك لها فقال انما
كنت اشربها وتحدني فاطهر واما اذ درات الحد عني فلا طاقة لي على حدها لك
فكانت توبته خوفا من عذاب الله تعالى المناجزه بالراي في الحرب المبارزة
والمقاتلة صحاح وقد تكون التوبة بالالهام ومحاسبة النفس على ما وقع منها
والرجوع عن الذنوب وقد تكون باسباب تحدث للشخص توجب الاقلاع عن
الذنوب وذلك لسبق السعادة في الازل فقد روي عن معروف الكرخي رحمه
الله تعالى انه قال بلغنا ان ذا النون المصري خرج ذات يوم يريد غسل ثيابه
فاذا هو بعقرب قد اقبل اليه كاعظم ما يكون من الاشيا، قال ففزع منها
فزعا شديدا واستعاذ بالله منها فكفي شرها فاقبلت حتى اتت النيل فاذا
هي بضفدع خرج من الماء فاحتملها على ظهره وعبر بها الى الجانب الاخر قال
ذو النون فاتزرت بميزر ونزلت في الماء ولم ازل ارقبها الى ان اتت الجانب الاخر
فصعدت ثم سعيت وانا اتبعها الى ان اتت الى شجرة كثيرة الاغصان كثيرة الظل
واذا غلام امرد نايم تحتها وهو مخمور فقلت لا قوة الا بالله اتت العقرب من
ذلك الجانب لتلدغ هذا الفتى فاذا بتنين اتى يريد قتل الفتى فظفرت العقرب
ولزمت دماغه حتى قتلته ورجعت الى الماء، وعبرت على ظهر الضفدع الى
الجانب الاخر فانشا ذا النون يقول

يا راقدا والجليل يحرسه . من كل شي يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك . تاتيك منه فوايد النعم

قال

قال فانتبه الفتى على كلام ذي النون فاخبره الخبر فتاب من وقته ونزع ثوب
اللهو ولبس اثواب السياحة وساح ومات على تلك الحال رحمه الله تعالى اعلم ان
لقبول التوبة علامات اولها ان ينقطع عن اصحاب السوء ويريهم هيبة في نفسه
ويخالط الصالحين والثاني ان يكون منقطعا من كل ذنب ويقبل على جميع الطاعات
والثالث ان يذهب عنه فرح الدنيا كلها من قلبه ويجري حزن الاخرة دايما في قلبه
والرابع ان يرى نفسه فارغا عما ضمن الله له يعني الرزق ومشتغلا بما امر به
فاذا وجدت هذه العلامات فهو من الذين قال تعالى فيهم ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ووجب له على الناس اربعة اشيا اولها ان يحبوه فان الله
تعالى قد احبه والثاني ان يحفظوه بالدعا ان يثبته الله تعالى على التوبة
والثالث ان لا يعيروه بما سلف من ذنوبه والرابع ان يجالسوه ويذاكروه
ويعينوه ويكرموه لان الله تعالى اكرمه باربع كرامات احدها انه تعالى اخرجه
من الذنوب وكانه لم يذنب قط والثاني انه احبه والثالث انه لا يسلط عليه
الشيطان ويحفظه منه والرابع ان يومنه من الخوف قبل ان يخرجه من الدنيا
لان الله تعالى قال تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا انتهى ومن
الحسنات الاخلاص وهو من شيم الخواص اعلم ان الايمان بالتصديق والتصديق
باليقين واليقين بالمعرفة والمعرفة بالعلم والعلم بالعمل والعمل بالاخلاص
والاخلاص غاية العبادة وهو من المنح اي العطايا التي منح الله بها خواصه
من الاولياء والانبياء عليهم السلام قال الله تعالى حكاية عن ابليس فبعزتك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال تعالى الا لله الدين الخالص
وقال النبي صلى الله عليه وسلم سالت اخي جبريل عن الاخلاص ما هو فقال
سالت رب العزة عن الاخلاص ما هو فقال تعالى سر من اسراري استودعه
قلب من اودعته من عبادي وقال عليه الصلاة والسلام المخلصون اصفيا
الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اخلص في العمل لله اربعين صباحا
تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والاخلاص صدق النية قال
ذو النون اذا فسدت النية وقعت البلية وقال النبي صلى الله عليه وسلم
رب صايم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ورب قايم ليس له من قيامه
الا العنا والسهر يعني اذا لم يكن ذلك خالصا وقال سفيان الثوري رحمه الله
تعالى اذا استوت السريرة والعلانية فذلك العدل واذا كانت العلانية افضل
من السريرة فذلك الجور واذا كانت السريرة افضل من العلانية فذلك هو الفضل
واعلم ان المرء قد يهفو ونيته سليمة ويزل وطريقته مستقيمة قال الشاعر

وكم عثرة قد عاقها الدهر عنكم ... وللدهر في بعض الامور حرانُ
على انني انوي وللمرء ما نوى ... الى ان توانى قدرة وزمانُ

ومنها التقوى وهي لباس الايمان كما تقدم في كلام وهب رضي الله عنه اعلم

أودعه

ان بتقوى الله هي الجنة الواقية والذخيرة الباقية وهي اس الاسلام ومجلبة
الانعام قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وقال والله يحب المتقين وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال تعالى
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وفي معنى ذلك

تاهب للذي لا بد منه ... فان الموت ميعاد العباد
تنام وقد دنا منك ارتحال ... فما للراحلين وللرقاد
يسرك ان تكون رفيق قوم ... لهم زاد وانت بغير زاد

وقد اعد الله تعالى خيرات للمتقين فقال تعالى ان المتقين في مقام امين
في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك
وزوجناهم بحور عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الله
وخاصته اولوا التقى والايمان وقيل نتيجة الحكمة من التقوى قال الله تعالى
واتقوا الله ويعلمكم الله وقال علي رضي الله عنه موصيا لولده رضي الله عنه
اوصيك بتقوى الله فانها منجاة من كل هلكة وعصمة من كل ضلالة
وبتقوى الله فاز الفايزون وظفر الراغبون ونجا الهاربون وادرك
الطالبون وبتركها خسر المبطلون وان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون اوصيكم بتقوى الله الذي ضرب لكم الامثال ووقت لكم الاجال
وقال بعض الحكماء من كانت التقوى راس ماله كلت الالسن عن وصف
ربحه وقال الشاعر اذا لم تعالج علة النفس بالتقى ... فانت عليها بالنجاة بخيل
خيول المنايا كل يوم وليلة ... لهن جواسيس عليك تجول

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا كرم اعز من التقوى وقال من سره
ان يكون اكرم الناس فليتق الله قيل لما انزل الله واتقوا الله حق تقاته عظم
ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله من يطيق ذلك فانزل الله تعالى فاتقوا
الله ما استطعتم وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اتق الله بعض التقوى
واجعل بينك وبين الله سترا وان رق شعر

ولست ارى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيدُ

واعلم ان لكل جارحة حظا في التقوى فالصمت تقوى اللسان وغض الطرف
تقوى البصر وعلى ذلك ساير الجوارح قال الله تعالى وتناجوا بالبر والتقوى
وقال تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال
النبي صلى الله عليه وسلم انما سمي المتقون متقين لتركهم ما لا باس به
حذرا مما به باس وقال ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون لنفسه
اشد محاسبة من الشريك لشريكه وسئل ابو هريرة رضي الله عنه عن التقوى
فقال هل اخذت في طريق ذي شوك فقال نعم قال كيف صنعت فقال كنت
اذا رايت الشوك عدلت عنه او قصرت قال كذلك التقوى وانشد القاضي الاكبر

رحمه الله شعر
وليس بتقوى الله طول عبادة ... ولكنما التقوى مجانبة الشبه
وان يخلص الانسان على ضميره ... وان يبرز الابريز في معرض الشبه

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ليس التقوى قيام الليل ولا صيام النهار والتخليط فيما بين ذلك ولكن التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض فمن رزق خيرا بعد ذلك فهو خير وقيل لحاتم الاصم على ما بنيت امرك قال على اربع خصال علمت ان رزقي لا ياكله غيري فلم اهتم به وعلمت ان عملي لا يعمله غيري فانا مشغول به وعلمت ان الموت ياتيني بغتة فانا مبادره وعلمت اني بعين الله في كل حال فاستحييت منه وقال البيضاوي في قوله تعالى في اخر سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه ومن الحسنات الزهد وهو ترك الدنيا قال في الصحاح الزهد خلاف الرغبة تقول زهدت بكسر الهاء في الشيء وعن الشيء تزهد بفتحها زهدا وزهادة وزهد يزهد بفتح الهاء فيهما لغة فيه قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل قال الواسطي هون الدنيا في اعينهم لئلا يشق عليهم تركها وسئل بعضهم عن الزهد فقال هو ميل النفس الى ما دعاها اليه بنسيان ما وقع فيه طباعها والانقطاع الى خدمة الله تعالى وقيل هو ترك الدنيا ولذاتها الفانية والاقبال على الاخرة واكتساب لذاتها الباقية وعدم الندم على ما فات من لذات الدنيا وقال مالك بن دينار لو علم ابناء الدنيا ان الزهد هي اللذة التي لا تعني لما شقي احدهم في طلب لذات الدنيا وذا لذات الزهد في الدنيا هو الزهد في الهموم واعظم الناس بلاء اكثرهم هما واكثرهم هما اكثرهم للدنيا حبا وقال بعض الحكماء اكثر الراحة وجدتها في الزهد وذكر ان ابراهيم بن ادهم كان يوما جالسا في قصر ملكه فنظر الى رجل قد استظل في القايلة بظل القصر فغشيته سنة من النوم ثم قام فاخرج رغيفا من الخبز فاكله ومعه ابريق ماء فشرب وقال الحمد لله كبد رويت وبطن شبعت فطلبه ابرهيم وقال يا فتى رايتك وقد وردت قصري وفعلت ما فعلت وقلت ما قلت فهل كفيت بذلك فقال لقد استظللت واكلت وشربت واكتفيت اطيب من عيشك يا ابرهيم فقال ابرهيم اذا حصل برغيف من الدنيا كفاية فعليها السلام فترك ما كان بملكه وخرج سايحا رضي الله عنه وقد ذكر ان عيسى عليه السلام لم يقتن من الدنيا غير قصعة صغيرة كان يشرب بها الماء فوقعت من يده يوما فانكسرت فحزن لكسرها ثم قال الغنيه بيت الاحزان وهذه الكلمة من جوامع الكلم في ترك الدنيا والزهد فيها وكلما كثرت مقتنيات اهل الدنيا كانت احزانهم على فقدانها اعظم وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يترك لبنة على لبنة وقال الرشيد للفضيل بن عياض ما ازهدك فقال له الفضيل انت ازهد مني لاني زهدت في الدنيا وهي فانية وزهدت انت

بعلمه

في الاخرة

في الاخرة وهي باقية وقال بعضهم رايت صوفيا في البادية فقلت له ما عندك زاد قال قدمته الى المعاد ودخل لص على بعض الزهاد فلم ير في داره شيئا فقال له يا هذا اين متاعك قال الى الدار الاخرى ودخل قوم منزل على زاهد فلم يجدوا شيئا يقعدون عليه فلما خرجوا قال لهم لو كانت دار مقام لاتخذت لها اثاثا قال معاذ اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها وللاخرة على قدر مكثك فيها ودخل الاسكندر مدينة فتحها فسال عن محل الملوك بها فقال اهلها بقي رجل منهم فساله فدعا به فاتاه فقال له ما دعاك الى هذا قال احببت ان اميز بين عظام ملوكهم وبين عظام عبيدهم فوجدتها سواء فقال له الاسكندر لك ان تتبعني فاحيي شرفك وشرف ابائك لان لك همة فقال همتي عظيمة فقال وما همتك قال حياة لا موت بعدها وشباب لا هرم معه وغنى لا فقر معه وسرور لا مكروه فيه قال ليس عندي هذا قال فدعني التمس ممن هو عنده وقال مطرف اني لاستلقي بالليل على فراشي فاتدبر القران كله فاعرض نفسي على اعمال اهل الجنة فاريما اعمالهم شديدة فالقي قليلا من الليل ما يهجعون يبيتون لربهم سجدا وقياما امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما تتجافى جنوبهم عن المضاجع فلا ارى صفتي فيهم ثم اعرض نفسي على اعمال اهل النار في سقر قالوا لم نك من المصلين واما كان من المكذبين الضالين فلا اراني فيهم ثم امر بهذه الاية واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا فارجوا ان اكون انا وانتم يا اخواننا منهم قال ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه ما غلبني احد كما غلبني شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له وما حد الزهد عندكم قال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا اثرنا وقال ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه الزهد ثلثة زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالاول الزهد في الحرام والثاني الزهد في الحلال والثالث الزهد في الشبهات وسئل الفضيل عن الزهد فقال هو حرفان في كتاب الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى افضل الزهد اخفاء الزهد ويروى ذلك عن علي رضي الله عنه وكان طاوس اليماني من الطبقة الثانية من التابعين قد جالس سبعين من الصحابة وحج اربعين حجة وكان من زهده انه يقول اللهم ارزقني الايمان والعمل واحرمني المال والولد فاختار الايمان والعمل على زينة الدنيا التي هي المال والبنون رضي الله عنه وكان عمر بن عبد العزيز من اعطر الناس والبس الناس واخيلهم في مشيته فلما استخلف ومات قوموا ثيابه باثني عشر درهما كمته وعمامته وقميصه وقباءه وقرطقه وخفيه ورداءه القرطق بفتح القاف وسكون الراء وفتح الطاء المهملة وقاف اخره شبه القبا فارسي معرب

من الكلام الاعجمى والجمع قراطق واخذر من عباد الكوفة الى البصرة لزيارة قوم من
متعبدى لنا بعين بالبصرة رضى الله عنهم فدخلوا عليه وحادثوه ثم قالوا
الغدا فاخرج لهم قفة فيها كسر من شعير سود فقالوا الملح فقال قد طرحنا
فى العجين ودخل رجل على بعضهم وهو ياكل خبزا يابسا قد بله فى الماء فقال
كيف تشتهى هذا قال ادعه حتى اشتهيه واذ قد ذكرنا حد الزهد فنذكر حد
الزاهد اختلف بحضرة الزهرى فى معنى قول القايل فلان زاهد فقال الزهرى
الزاهد الذى لا يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره وقال صاحب اداب
السياسة فيها ان الزاهد قد فكر فعلته السكينة • وسكن فتواضع •
وقنع فاستغنى • واستغنى فرضى • ورضى فلم يهتم • وخلع الدنيا فنجا من شرورها
ورفض الشهوات • فصار طاهرا • وتفرد فكفى الاحزان واطرح الحسد
فظهرت منه المحبة • وشحت نفسه عن كل فان فاستكمل العقل وامن
الندامه • ولم يخف الناس • ولم يذنب فسلم من الافات • ففاز بالخيرات •
وارتقى الى اعلا الدرجات • وقرب من الله رب السموات • لقوله تعالى •
والسابقون السابقون اوليك المقربون • فى جنات النعيم • ثلة من الاولين
وقليل من الاخرين • على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين • يطوف
عليهم ولدان مخلدون • باكواب واباريق • وكاس من معين • لا يصدعون
عنها ولا ينزفون • وفاكهة مما يتخيرون • ولحم طير مما يشتهون • وحور عين
كامثال اللولو المكنون جزاء بما كانوا يعملون • فجا فى التفسير ان السابقين هم
الزهاد قوله شيحت بالمحا وله وبادمننا تحتيه مكسورة اى اعرضت نفسه
عن كل فان قاله الجوهرى وقال النبى صلى الله عليه وسلم يدخل فقرا امتى
الجنة قبل اغنيايهم بخمسماية عام قيل ان هولا الفقرا هم الزهاد الذين
ادخلوا الفقر على انفسهم بعد ان كانوا اغنيا وقال فيلسوف الدنيا تطلب
لثلثة اشيا العز والغنى والراحة فمن زهد عز ومن قنع استغنى ومن قل
سعيه استراح شعر

ارى الزهاد فى روح وراحة • قلوبهم عن الدنيا مزاحه
اذا ابصرتهم ابصرت قوما • ملوك الارض شيمتهم سماحه

وقال على رضى الله عنه اجود الناس من زهد فى الدنيا ووهبها لغيره وفى
معنى ذلك يقول ابو الفضل الميكالى

مالك للحادثات ناهب • والذى حازه وراثه
اولك ان تتخذه ذخرا • فلا تكن اعجز الثلاثه

وقال نوف البكالى رايت على بن ابى طالب رضى الله عنه خرج فنظر الى النجوم فقال
يا نوف ارا قد ام راءق قلت بل راءق يا امير المومنين فقال يا نوف طوبى للزاهدين
فى الدنيا الراغبين فى الاخرة اوليك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا

ومآوها

وما دها والقرآن والدعا شعارا ودثارا يا نوف اوحى الله تعالى الى عيسى بن مريم
مر بنى اسرائيل ان لا يدخلوا ايليا من بيوتى الا بقلوب طاهرة وابصار خاشعة
وايد نقيه فانى لا استجيب لاحد منهم ولا لاحد من خلقى عنده مظلمة وقيل
لراهب كيف سمحت نفسك بترك الدنيا قال يقنت ان اخرج عنها كارها فاحببت
ان اخرج عنها طايعا وقال لقمان الحكيم كنت اسير فى طريق فرايت رجلا عليه مسح
اسود فقلت من انت ايها الرجل فقال آدمى فقلت ما اسمك فقال حتى انظر بماذا
اسمى فقلت ما تصنع فقال اترك الاذى فقلت ماذا تاكل فقال ما يطعمنى ربى
فقلت من اين يطعمك فقال من حيث يشا فقلت طوبى لك وقرة عين فقال
ومن الذى يمنعك عن هذه الطوبى وقرة عين ومن دلايل الزهد قصر الامل
وترك الحسد وقطع العلايق وعدم اكتسابا لذل من قبل الخلايق قال الشاعر

نصف رغيف مشبع لمن اكل • فالذل من اى الوجوه يحتمل
حوز عليك انما الدهر دول • اخرك الموت ولو طال الامل
فلا تغتر بالامل واحسن العمل

واجتهد فيما فيه عمارة الرمس • فان يومك ذاهب كما ذهب الامس
وغدا لا تعلم انك من اهله • فلا ركن عن اهلك نفسه بجهله
فاجتهد فى عمارة الرمس فالا • مس نقضى واليوم نحن وجود
وغدا نحن فى اشتباه وظن • هل لنا فيه مقعد ام نبيد

ولا يكون الانسان صوفيا حتى يعلم معنى التصوف ويعمل به فقد قيل معناه
ان التا ماخوذة من التوحيد وهو اثبات الوحدانية لله تعالى بقول لا اله الا
الله والصاد ماخوذة من الصوم ذات الركوع والسجود وهى مشتملة على الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم والواو ماخوذة من الوحدة وهى الانقطاع الى
الله تعالى بالذكر والصوم والصلاة والفا ماخوذة من فراغ القلب مما
سوى الله تعالى وهى ماخوذة من الفنا فمن افنى نفسه وفرغ قلبه مما
سوى الله تعالى ولزم الوحدة والانقطاع الى الله تعالى ودوام التوحيد والصوم
والصلاة ذات الركوع والسجود المشتملة على الصلاة على اشرف مولود محمد الذى
لاجله خلق الوجود وعلى قراة بعض كلام الله الودود الا فى وقت حرمة الصوم
والصلاة وكراهتها المعهود فذلك الذى بلغ درجة التصوف وعد صوفيا
وكان بما فرض عليه وفيا واعلم ان الصوفى الذى يطلب رضا مولاه ليس بصوفى
كامل ولكن يرجى له الكمال وانما الصوفى الكامل من يطلب مولاه ويترك مراد نفسه
عند مراد الله فكان لسان حاله يقول

فانى فى الوصال عبيد نفسى • وفى الهجران عبد للموالى • ومثله
اريد وصاله ويريد بعدى • فاترك ما اريد لما يريد

ومن هذا القبيل ما يقال ان القطب اذا اصبح كل يوم اصبحت بين العباد مالى مراد

سبحان من اقام العباد فيما اراد فالصوفي الذي يطلب رضا مولاه يكون عابد الهواه والذي يطلب مولاه يكون عابدا لله كذا وجدته في بعض كتب اهل التصوف وقال الفضيل بن عياض الزاهد في الدنيا القنوع وقال الشافعي رحمه الله تعالى في القناعة

اذا اصبحت عندي قوت يومي ... فخل الهم عني يا سعيد
ولم تخطر هموم غد ببالي ... فان غدا له رزق جديد
اسلم ان اراد الله امرا ... واترك ما اريد لما يريد
وما لارائي وجه لذاما ... اراد الله لي ما لا اريد

وما في القناعة في الباب ٦٥ وقال يحيى بن معاذ لا يبلغ احد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال عمل بلا علاقة • وقول بلا طمع • وعز بلا رياسة انتهى
واما من كان لعمله علاقة وطمع عن فاقة فليس بزاهد بل هو سايل جايع عود الى الزهد
وما احقه بقول القايل القايل

عجبت من شيخ ومن زهده ... وذكره النار واهوالها
يكره ان يشرب في فضة ... ويشرب الفضة ان نالها.

واما الصوفية الذين يمشون الى الولايم للاكل • ويلبسون لباس الفقر وفيهم الكبر والعجب • ويسعون في اخذ المناصب فما احقهم بقول محمد الكوفي ابي الفتح

اشكوا اليكم جور صوفية ... قد احرقوا بالاكل احشائي
مشوا على الخبز ومن عادة ال ... زهاد ان يمشوا على الماء

وقيل في صوفية الوقت صوفية الوقت فيهم • من البراغيث ترب
فيهم ثلث خصال ... اكل وشرب وذب وانا اسال الله ان ينفعني بالصوفية الذين تجنبوا اللبس وتركوا هوى النفس وقد رايت في النوم شا عليه سمت الصلاح فقلت وما التصوف قال ترك هوى النفس وانما ذكرت ما ذكرت ردعا لمن يدعي المشيخة وليس لها اهلا بل يدعيها افترا منه وجهلا اعاذنا الله من ذلك ونجانا من تلك المسالك ومن شعر المحسن بن ابي القاسم التنوخي في شيخ

ربنا استسقى بيمن دعايه ... وقد كاد هدب الغيم ان يلحق الارضا
فلما بدا يدعو تكشفت السما ... فما تم الا والغمام قد انفضا

ولغيره في المعنى

خرجوا ليستسقوا وقد نجمت ... غريبة قمن بها السّح
حتى اذا اصطفوا لدعوتهم ... وبدا لاعينهم بها رشح
كشف السحاب اجابة لهم ... فكانهم خرجوا ليستصحوا

وقيل من دعته نفسه الى ترك الدنيا فلينظر هل يجد احدا عليها فان حسد كان تركه عجزا لانه لو زهد فيها لما حسد عليها شعر

ما الزهد صوم يذوب الصايمون به ... ولا صلوة ولا صوف على الجسد
لكنما الزهد ترك الشر مضطهدا ... ونفض الصدر من غل ومن حسد

المضطهد المقهور المضطر كذا في الصحاح وحكى الدميري ان ذا القرنين اتى على

امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يتمتع الناس به من دنياهم قد احتفروا لهم قبورا فاذا اصبحوا تعهدوها وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما يرعى البهايم وقد قيض الله لهم معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقيل له اجب ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين وقال ارسلت اليك لتاتيني فلم تات وابيت فها انا قد جيتك فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة واستمتعتم بها قالوا انا كرهنا ها لان احدا لم يعط منها شيا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل واكثر منه قال فما بالكم احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها وكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا انا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا وذكرها ورويتها من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهايم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها قالوا انا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام فان جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كاينا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده من خلف ذي القرنين وتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما راى الله تعالى ذلك منه قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده وقد كان يرى ما يصنع الذي كان قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وتخشع لله تعالى وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى ايضا احصى الله عز وجل عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين وقال وهذه الجمجمة كانك بها وقد صارت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله عز وجل من هذا المال والملك قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال له ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يدك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به انتهى وقد ضرب للايماه مثل في الباب الخامس والاربعين من هذا الكتاب فليراجع وسياتي بالملحق بهذا الباب مسايل ابي حازم وقصة ازدشير مع ولده باب الزاهد ان شاء الله تعالى
ومن الحسنات الورع قال في اداب السياسة اعلم ان باستصلاح المعاش يصلح امر المعاد • وبصدق التوكل يستحق الرزق • وبالاخلاص يستحق الجزاء • وبسلامة

الصدر وتوضع المحبة في القلب وبالكف عن المحارم ينال رضا الرب وقد امر الله تعالى باستعمال الحلال ونهى عن الحرام فقال جل اسمه يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مومنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ملاك الدين الورع يعني اصله وقال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهة لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام وقال بعض العلما هذا الحديث من اجمع الاحاديث للمعاني الكثيرة وذلك لانه يشتمل على جل الاحكام الشرعية وقال بعض المشايخ لا تجد ضوء الانوار في قلبك حتى تكتسي حلالا وتاكل حلالا وقيل خيطت رابعة العدوية شقا في قميصها في ضوء مشعل السلطان ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت ففتقت قميصها فوجدت قلبها رضي الله عنها والصالح الورع يعود صلاحه وبركته على اهله ولله در من قال شعر في المعنى

رايت صلاح المرء يصلح اهله	ويعديهم منه الفساد اذا فسد
يعظم في الدنيا لفرط صلاحه	ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل ملك حمى وان حمى الله اجتناب محارمه وقال عمر رضي الله عنه الا واني ما وجدت صلاح المال الا بثلاثة اشيا اذ يوخذ من حق ويعطى في حق ويمنع من باطل وقيل الكريم من جاد بما له تبرعا وانقاد عن مال غيره تورعا وقيل من رغب في المكارم اجتنب المحارم وقيل ما امن بالقران من استحل محارمه وقيل الورع ثلثة اضرب واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس كافة وندب وهو الوقوف عند الشبها وذلك للاوساط وفضيلة وهي الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على اقل الضرورات وذلك للاطبا للنبيين والصديقين والشهدا والصالحين وقد روي عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى انه اتته زوجته بخبز قد خبز في بيت ولده عبد الله فقال والله لا اكلت خبزا قد خبز في تنور من ولي القضا يوما وكان ولده عبد الله المذكور قد ولي القضا يوما واحدا وعزل نفسه رحمهما الله تعالى وقال بعض الحكما طلبت العبادة واثر الصلاة فوجدتها في الورع وقيل الورع من يخمد خلايقه ويومن بوايقه الخلايق هنا جمع خليقة وهي الطبيعة والبوايق قال الجوهري وفي الحديث لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوايقه قال قتادة ظلمه وغشمه وقال الكسائي غوايله وشره ومن الحسنات العفاف وفيه النهي عن الزنا قال صاحب اداب السياسة اعلم ان العفاف تاج الاشراف وان من اعتقد غارب العفة وامتطاه واستنار فراش القناعة واستوطاه وتساوت لديه المطاعم وهانت عنده الدرام

ورأى

ورأى صون العرض اكبر غنيمة وحفظ ماء الوجه منحة من الله كريمة رفض الارتياد ولزم المراد والعفة تهذب العقل وتصون الدين وتنور القلب وترضي الرب وقد اجتمع المتشرعون والفلاسفة والاطبا على مدح العفة وذم ضدها واما المتشرعون فليحرسوا الاديان واما الفلاسفة فليحرسوا العقول واما الاطبا فليحرسوا الابدان والعفة من مكارم الاخلاق

الباب السابع عشر في العصا وفضلها وما قيل فيها

ذكرت هذا الباب تلو الايمان لان العصا علامة المومن قال الفقيه رحمه الله تعالى روى ميمون بن مهران عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال امساك العصا سنة الانبيا وعلامة المومن وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى في العصا وفي العكاز ست خصال سنة الانبياء وزين الصالحين وسلاح على الاعداء يعني الكلب والحية وغير ذلك وعون الضعفاء وبغض المنافقين وزيادة في الحسنات وقال اذا كان للمومن عصا يهرب الشيطان ويخشع منه المنافقون ويكون قبلته ان اصلى في الصحراء وقوته اذا اعي وفيها منافع كثيرة كما قال الله عز وجل في قصة موسى عليه السلام قال هي عصاي اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى انتهى بكماله اول قوله اتوكا اي اتكي واعتمد عليها اذا مشيت واذا اعييت واهش بها على غنمي اي اضرب بها الشجر ليتناثر ورقها فتاكلها والمارب جمع مارب بفتح الرا وكسرها وضمها هي الحاجة قال في اللباب كان طول عصا موسى عليه السلام عشرة اذرع ولها شعبتان وفي اسفلها سنان وكانت من اس الجنة وقال ابن الجوزي وقيل من العوسج وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان موسى يحمل عليها زاده وسقاه وتماشيه وتحادثه ويضرب بها الارض فتخرج ما ياكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء واذا ظهر له عدو حاربت وناضلت عنه واذا اراد الاستقا من البير ادلاها فكانت على طول البير وصارت شعبتها كالدلو حتى يستقي وكان يظهر على شعبتيها كالشمع بالليل يضي له ويهتدي به واذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها فاورقت تلك الشجرة ورقها واثمرت ثمرها حتى ياخذ منها انتهى وما احسن قول من بلغ الثمانين من العمر وزاد عليها

بعد الثمانين ليس قوة	لهفي على قوة الصبوة
كانني والعصا بكفي	موسى ولكن بلا نبوة

ويقال والعصا للشيخ رجل ثالثة وللشاب رجل زايدة يعني لا ينتفع بها الشاب بل تضره وفي ذلك يقول بعضهم

اعلم هداك الله يا ابا حارثة	ان العصا للشيخ رجل ثالثة
تعينه في مشيه اذا مشى	وهي له عند القيام غايثه

وقيل لرجل ما لك تدمن المشي على العصا ولست بكبير ولا مريض فقال لعلي انى

مسافر والعصا من آلة السفر وذكر ابن خلكان فى ترجمة ابى الحسن محمد الواسطى
انه كان قد تطعن فى السن وضعف عن المشى فصار يتوكا على عصا فقال فى
ذلك

كل امر اذا تفكرت فيه … وتاملته رايت ظريفا
كنت امشى على اثنين قويا … صرت امشى على ثلث ضعيفا

اقول ولما بلغت من العمر ثمانين … واحتجت الى اخذ العصا باليمين انشدت
فى ذلك ثلاثة ابيات حسان … وضمنت اخرها ببيتى ابى فراس بن حمدان

فقلت

ماكنت ارجوا اعيش عمرا … يحوجنى بالعصاة امشى
لكن دهرى قضى بهذا … والدهر يقضى بكل غشى
وحين عاينت ضعف حالى … ضمنت شعرى بقول منشى
ارعشنى الدهر اى رعش … والدهر ذو قوة وبطش
قد كنت امشى ولست اعيى … والآن اعيى ولست امشى

وقد سبك شيخنا العلامة السيد عبد الرحيم العباسى الحموى الاصل المصرى
المنشا كاتب السر بدمشق كان فسح الله فى اجله قول ابى فراس فى قالب آخر
وانشدنيه حال اقامته باستنبول سنة ثلاث واربعين وتسعماية واجازنى
به وبما يجوز له روايته فقال

ارعشنى الدهر اى رعاش … وصال بالجور صول بطاش
قد كنت امشى ولا ارى تعبا … فصرت اعيى ولست بالماشى

الرعش بالتحريك الرعدة وقد وقفت على جزء لطيف جدا اختصره الحسن
ابن احمد بن زفر الاربلى المتطبب رحمه الله تعالى من جزء الفه شيخ مورخى
العراق ودار الخلافة فى وقته تاج الدين ابى طالب على بن انجب الخازن
المعروف بابن الساعى رحمه الله تعالى سماه بشارة من بلغ الثمانين فاحببت
نقل شى من المختصر المذكور فمن ذلك ان ابا محلم بن عوف السعدى الحرانى كان
قد اسن فوقف عليه يوما عبد الله بن طاهر بن الحسين وساله عن حاله فلم
يسمع فقيل له ان الامير يسالك عن حالك فارتجز وقال

يا ابن الذى دان له المشرقان … طرا وقد دان له المغربان
ان الثمانين وبلغتها قد … احوجت سمعى الى ترجمان
وبدلتنى بالشطاط الجنى … وكنت كالصعدة تحت السنان
وقاربت منى خطا لم تكن … مقاربات وثنت من عنان
وجعلت بينى وبين الورى … عنانة من غير نسج العنان

قوله وجعلت صوابه وصيرت قال المختصر الشطاط انتصاب القامة والجنى
الاعوجاج والعنان بفتح العين المهملة الغيم فهو يشكو ان الثمانين قد اثقلت
سمعه وعوجت قامته وارخت رجليه وركبتيه وكسرت قوة نفسه الابية
اعاذلتها واضعفت بصره بحيث انه اذا نظر الى الورى يرى بينه وبينهم حاجزا

بشبه الغيم

يشبه الغيم والضباب فهو يرى ذلك امام بصره وان لم يكن سحاب وقوله من
عنان اراد من عنانى باثبات ياء المتكلم وانما سكنها لضرورة الوزن قال تاج الدين
صاحب الاصل ودخل نظام الدين هبة الله بن الدوامى مرة الى شيخنا ابى البقا
عبد الله العكبرى النحوى فلم يقم له فانكر ذلك منه وظنه مريضا فساله عن مرضه

فقال

مرضة سميت ثمانين عاما … منعتنى للمنعين القياما
فاذا عمروا تمهد عذرى … عندهم بالذى فعلت وقاما

وقال

ان الثمانين لها روعة … قد بدلتنى بعد نفعى بالضرر
اضعفت الاعضاء منى كلها … عند ذوق وسماع ونظر
واذا ما رمت سعيا خاننى … عظم ساق ورباطى ووتر
ترعش الاعضاء منى فانا … من صعودى وحدورى فى خطر

اقول وتسمى العصا منساة كما تقدم اشتقاقها بالباب السادس عند ذكر سليمان
عليه السلام وكماله الابيات السابقة هنا هذا البيت

واذا استنجدت عزمى قال لى … عندما ادعوه كلا لا وزر

ومات تاج الدين المذكور ببغداد فى رمضان سنة اربع وسبعين وستماية
وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى والمختصر وصاحب هذا المولف وجميع
المسلمين وسيأتى فى الباب السادس والثلثين فى حديث رواه عثمان بن
عفان رضى الله عنه فيما للمعمرين من الاربعين الى الماية ان ابن الثمانين
تكتب حسناته ولا تكتب سياته وفيما رواه الحافظ ابن حجر العسقلانى فى
كتابه مكفرات الذنوب ان العبد اذا بلغ ثمانين سنة اثبتت حسناته ومحيت
سياته فلله الحمد على ذلك الباب الثامن عشر فى الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر وانما ذكرت هذا الباب بعد باب العصا لانه مختص بالمومنين
كما ان العصا علامة المومن قال تعالى مخاطبا للمومنين كنتم خير امة اخرجت للناس
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال الفقيه رحمه الله تعالى الامر بالمعروف
واجب لان الله تعالى قال لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم
السحت لبئس ما كانوا يصنعون فقد ذمهم بتركهم الامر بالمعروف وقال
تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال
النبى صلى الله عليه وسلم لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن
الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم ثم ان الامر بالمعروف على
وجوه ان كان يعلم باكبر رايه انه لو امر بالمعروف لكان يقبل منه ويمتنعون
عن المنكر فالامر به واجب عليه فلا يسعه تركه ولو علم باكبر رايه انه لو امرهم
بذلك قذفوه وشتموه ولا يصبر فتركه افضل وكذلك لو علم انهم يضربونه ولا
يصبر على ذلك فتقع بينهم عداوة ويهيج منه القتال فتركه افضل ولو
علم انهم لو ضربوه صبر على ذلك ولا يشكو الى احد فهذا لا باس بان ينهى

عن ذلك وهو مجاهد فيه وهو عمل الانبياء ولو علم انهم لا يقبلون منه ولا يخاف
منهم ضربا ولا شتما فهو بالخيار ان شاء امرهم وان شاء ترك والامر بالمعروف
افضل وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
قال اذا راى احدمنكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه وذلك اضعف الايمان يعنى اضعف فعل اهل الايمان وقال بعضهم الامر
بالمعروف باليد على الامراء وباللسان على العلماء وبالقلب للعوام انتهى كلامه
اقول قال القاضى البيضاوى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى فى سورة النور يا ايها
الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر
بالفحشاء والمنكر قال بيان لعلة النهى عن اتباع الشيطان والفحشاء ما افرط
قبحه والمنكر ما انكره الشرع انتهى وفى اللباب فى قول لقمان لابنه وامر بالمعروف
اى ما رايته من معروف وحسن فى العقول قد ترك فامر به وقال الله تعالى ان
الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى يعظكم لعلكم تذكرون بالامر بالمعروف والناهى عن المنكر خليفة الله حتم
وخليفة انبيائه ربهما تستقيم الاديان وبتركهما وهنها وظهور الفساد وابا
الدما والعروج ولذلك اكد الله تعالى على الاتيان بهما قال تعالى والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون
الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله فقدمهما على ما ذكر من
الصلوة والزكوة وغير ذلك للاهتمام بالاتيان بهما وقال تعالى لعن الذين
كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون فاخبر تعالى
انهم انما استوجبوا اللعنة حين لم يتناهوا عن المنكر وقال ابن كثير فى تاريخه
فى قصة شعيب عليه السلام فى قوله لقومه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه اى لست امركم بامر الا وانا اول فاعل به ولا انهاكم عن امر الا وانا اول
تارك له وهذه هى الصفة المحمودة العظيمة التى قيل من يتلبس بها من العلماء
فضلا عن غيرهم وضدها هى الصفة الذميمة الرذيلة التى قد تلبس بها علماء
بنى اسرائيل وغيرهم من هذه الامة كما روى فى الحديث الصحيح يوتى بالرجل
فيلقى فى النار فتندلق اقتاب بطنه اى تخرج امعاؤه من بطنه فيدور بها
كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر
بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه
انتهى وروى ان الله تعالى اوحى الى يوشع بن نون عليه السلام انى مهلك من
قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا الهى هؤلاء
الاشرار فما بال الاخيار فقال تعالى لانهم واكلوهم وشاربوهم ولم يغضبوا
لغضبى قال الشاعر لو انكر المنكر لم يشتهر بين الورى فسق وعصيان

لودفع

لو دفع الباطل بالحق لم يعل لذى الباطل بنيان وقال الاخر
اصغ الى المعروف وامر به مواظبا فى السر والجهر
واجتنب المنكر وانه الورى عنه تفز بالاجر والشكر
واما قول الله تعالى [يا ايها] الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
قال ابن مسعود رضى الله عنه مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم
فان رد عليكم فعليكم انفسكم وقيل ابدع ما يظهره الزمان واشنع ما
يبصره الانسان ظالم ينظر فى المظالم وآثم يزجر عن المآثم ومسئ يحث
على الاحسان ومتعد يعاقب على العدوان وينبغى للآمر بالمعروف والناهى
عن المنكر ان يكون عالما بهما لان من لا يعلمهما ربما ينهى عن الحسن ويامر
بالقبيح وان يكون خبيرا باصنافهما ومواضعهما حتى لا يضع القول موضع
الفعل ولا الفعل موضع القول واللطف موضع العنف والعنف موضع
اللطف لئلا يغلظ القول على من ينتصح باللين ولا يلينه على من لا يلين
الا بالتغليظ وينبغى له ان يبدا بالرمز والاشارة ثم بالتلويح ثم بالتصريح
ثم بالتهديد والتشديد ثم بالتقريع وبالتعريك ثم بالضرب والحبس
والتقريع التعنيف كذا فى الصحاح والعنف خلاف الرفق كذا فى المغرب
والتعريك لعله النهى بالصوت المزعج فان من معانى العرك الصوت فصل
فى الغيرة وهى بفتح الغين المعجمة مصدر قولك غار الرجل على اهله كذا فى
الصحاح ولما كان النهى عن المنكر انما هو غيرة الله وغضب لغضبه اردت
ذكر ما ورد فيها قال الفقيه رحمه الله تعالى ينبغى للمؤمن ان يكون غيورا
فلا يرضى بالفاحشة فاذا علم ذلك من رجل او امراة فيمنعه من الفاحشة
ان استطاع منعه بيده فان لم يستطع فلينكره بلسانه وان لم يستطع
فلينكره بقلبه وروى زيد بن اسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
الغيرة من الايمان والبذاء من النفاق فالبذاء ان يعلم الرجل بالفاحشة
فى اهله ويرضى بها اقول البذاء بفتح الموحدة التحتية وذال معجمة ثم
همزة ممدودة الفحش بضم الفاء والفحشاء الفاحشة وكل سوء جاوز
حده فهو فاحش ويسمى الزنا فاحشة ولعل مراد الفقيه فى تفسيره
البذاء لما ذكره الكناية عن الزنا اذ هو الملائم بالغيرة والله اعلم ثم قال
الفقيه وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال من لؤم
الرجل اى من لامته ودناءة اصله وشح نفسه ان لا يكون غيورا الا ينبغى
احدكم ان تخرج امته او امراته تزاحم الناس فى الاسواق والمجالس وروى المغيرة
ابن شعبة ان سعد بن عبادة رضى الله عنه قال لو رايت رجلا مع امراتى
لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير منى ومن اجل ذلك حرم

الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال وما احد احب اليه العذر من الله تعالى ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين وما احد احب اليه المدحة من الله تعالى ومن اجل ذلك وعد الجنة وقال علي بن ابو طالب رضي الله عنه بلغني ان نساءكم يخرجن الى السوق يزاحمن العلوج فقبح الله رجلا لا يغار انتهى كلامه اقول وسياتي صفات اللئيم واللؤم بالباب التاسع عشر بالملحق بالتمهيد عقب من الباب الرابع عشر اقول وروى الخرايطي في كتابه اعتلال القلوب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس احد اغير من الله عز وجل من اجل ذلك حرم الفواحش وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يغار والمومن يغار وغيرة الله عز وجل ان يأتي المومن ما حرم الله انتهى

الباب التاسع عشر في العلم والادب

وفيه سبعة فصول وستذكرها الفقيه رحمه الله تعالى ينبغي للانسان ان يتعلم شيا من العلم والادب وان كان قليلا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لكل شي قيمة وقيمة المرء ما يحسن اي ما يعلم وروي عن الشعبي انه قال لو ان رجلا سافر من اقصى الشام الى اقصى اليمن وتعلم كلمة من العلم لم يضره سفره وروى ابو ايوب بن موسى عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما نحل والد ولدا افضل من الادب الحسن ويأتي اخر الباب معنى نحل وروي عن بعض المتقدمين انه قال لابنه يا بني تعلم العلم فان لم يكن لك مال كان لك مالا وان لم يكن لك جمال كان لك جمالا وذكر عن سفيان بن عيينه انه جاءه ابن اخيه فقال يا عم جيتك خاطبا قال المن قال لابنتك قال كفو كريم ثم قال له اجلس فجلس فقال يا بني اقرا عشر ايات من كتاب الله تعالى فلم يستطع فقال اذكر عشرة احاديث فلم يستطع فقال انشد عشرة ابيات شعر فلم يستطع فقال لا قرآن ولا احاديث ولا شعر فعلى اي شي اضع ابنتي عندك ثم قال لا اخيب مجيئك فامر له باربعة الاف درهم وقال بعض الحكماء العلم النافع والادب الصالح كسب لا يغصبكه غاصب ولا يسلبكه سالب وهما جمالك وزينتك وقوام دنياك واخرتك فاجتهد في تعلمهما وقال القايل

ساضرب في طول البلاد وعرضها • لاطلب علما او اموت غريبا •
فان تلفت نفسي فلله درها • وان سلمت كان الرجوع قريبا •

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربعين حديثا يستظهره الرجل خير له من اربعين الف دينار يتصدق به واعطاه الله تعالى بكل حديث مدينة وله بكل حديث نور يوم القيمة قال الفقيه لو لم يكن لاهل العلم فضيلة سوى ان الله تعالى قال قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون لكان فضلا عظيما لانه اخبر ان للعالم فضلا على الجاهل وامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بطلب زيادة العلم

بقوله

بقوله تعالى وقل رب زدني علما ثم مدح العلماء فقال تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقال تعالى يرفع الله الذين اوتوا العلم درجات فاخبر ان للعالم فضايل ودرجات وقال تعالى وعلم ادم الاسماء كلها فلما علمه الاسماء رفعه فوق الملايكة وامرهم بالسجود له انتهى كلامه اقول وقد عقد الفقيه بابا في الحث على طلب العلم وتفضيل الفقه كان هذا محله لكنني اخرته الى اخر الفصول لغرض ستقف عليه ان شاء الله تعالى ومما يدل على علو درجة العلماء ومن يطلب العلم ما رواه الخطابي في شرح السنن عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع ابي الدرداء فجاءه رجل فقال يا ابا الدرداء اني جيتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جيتك لحاجة قال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك به طريقا من طرق الجنة وان الملايكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر قال الخطابي رحمه الله تعالى قوله ان الملايكة لتضع اجنحتها يتاول على وجوه احدها ان تكون وضعها الاجنحة بمعنى التواضع والخشوع تعظيما لحقه وتوقيرا لعلمه كقوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقيل وضع الجناح معناه الكف عن الطيران للنزول عنده لقوله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملايكة وغشيتهم الرحمة وقيل معناه بسط الجناح وفرشها لطالب العلم لتحمله عليها فتبلغه حيث يؤمه ويقصده طلب العلم والله اعلم وقال صاحب اداب السياسة طلب العلم عبادة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله مثوبة وهو الانس بالله في الوحدة والصاحب في الخلوة به يطاع الله فيعبد وبه يعرف ويوحد وقال الخليل اخرج من منزلي فان رايت من ياخذ مني العلم اعلمه وان كان اعلم مني فهو يوم غنيمتي ورجلا مثلي فهو يوم مذاكرتي ومتعلما مني فهو يوم ثوابي ورجلا دوني في الحقيقة وهو يرى انه فوقي يجادلني ان يتعلم مني وكانه يعلمني فذاك لا اهم به ولا انظر اليه ويأتي بعض الصفات في الفصول الاتية ان شاء الله تعالى ولو لم يكن من مدح العالم وذم الجاهل الذي هو لنفسه ظالم الا ان العالم حي بعد الموت والجاهل ميت قبل ان يموت وفي ذلك يقول عبد الله بن سعيد

ان التقي اخو العلم حي خالد بعد موته • واوصاله تحت التراب رميم •
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى • يظن من الاحياء وهو عديم •

وللشافعي رحمه الله الجاهلون وان امولهم كثرت • لا يستوون باهل العلم والادب •

ان الكلاب اذا البستهم ذهبا — فلسن كالاسد العاري عن الذهب

ولابن الصابوني الاندلسي

قل للذي يدعي علما وليس له — عند الحقائق وصاف تصدقه
استر عوارك بين الناس معتمدا — على السكوت فقدر المرء منطقه

وقد بالغ علي بن عبد الواحد الشاعر المعروف بصريع الدلاء في قوله

من فاته العلم واخطاه الغنى — فذاك والكلب على حد سواء

فالعلماء على ما ذكر من شانهم، وعلو قدرهم ومكانهم، ينبغي امتثال
اوامرهم، وعدم معاداة اكابرهم واصاغرهم، لان لحومهم محشوة سما،
فمن اكل منها لم تبق له جسما ولا رسما قال الشاعر مخاطبا لانسان

قل لاهل العلم مهما — رمتموا سمعا وطاعه
لا تعادي اهل علم — فاذاهم سم ساعه

وقال آخر

لحوم اهل العلم مسمومة — ومن يعاديهم سريع الهلاك

وقال بعض العلماء
واعراضنا سم على من يردنا وفي اخر يريدنا بسوء فمن لم يصدق فليجرب ويعتدي
وفي مرآة الزمان انه كان ابو العالية الرياحي مولى لامراة من بني رياح فاعتقته
وكان من الطبقة الاولى من التابعين من اهل البصرة وكان من المخضرمين
ادرك الجاهلية والاسلام وكان عالما زاهدا فكان اذا دخل على ابن عباس
رضي الله عنهما اخذ بيده واجلسه معه على سريره وقريش تحت السرير يتغامزون
ويقولون هو مولى فيقول ابن عباس ان هذا العلم يزيد الشريف شرفا ويجلس
المماليك على الاسرة ثم انشد

يعد رفيع الناس من كان عالما — وان لم يكن في قومه بحسيب
اذا حل ارضا عاش فيها بعلمه — وما عالم في بلدة بغريب

وقال كنت ارحل الى الرجل مسيرة ايام فاول ما اتفقد من امره صلاته فان وجدته
يقيمها ويتمها اقمت عنده وسمعت منه وان وجدته يضيعها رجعت ولم
اسمع منه وقلت هو لغير الصلاة اضيع وقال آخر

العلم يرفع بيتا لا عماد له — والجهل يخفض بيت العز والشرف

وقيل العلم عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ويصدهم
عن الاذية ويعطفهم على الرعية فمن حقهم ان يعرفوا فضله ويعظموا
اهله والعلم لا يدرك ولا يترك قال الشاعر

ما حوى العلم جميعا احد — لا ولو مارسه الف سنه
انما العلم كبحر زاخر — فاتخذ من كل شيء احسنه

وقد اخذ هذا الشاعر ذلك من قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
العلم كثير فخذوا من كل شيء احسنه وقال الشاعر

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم — في العين فضل ولكن ناظر العين

حرفين من الف طومار مسوده — وربما لم تجد في الالف حرفين

يريد بذلك ان تاخذ من كل علم ما هو بمنزلة الناظر من العين وانواع العلوم
كثيرة فينبغي ان يعلم منها ما فيه نفع الدنيا والاخرة قال الامام الشافعي
رحمه الله تعالى من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه نبل مقداره ومن
كتب الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رايه ومن تعلم العربية رق
طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه ونقل من خط الخطيب ناصر الدين بن
عشاير السلمي انه ساق مسندا الى ابي عمرو بن العلاء انه قال من اراد العز فعليه
بتقوى الله ومن اراد المهابة فعليه بالقرآن ومن اراد الفصاحة فعليه بالعربية
ومن اراد الادب فعليه بالشعر ومن اراد الرواية فعليه بالحديث ومن
اراد القضا فعليه بالفقه ومن اراد السلامة فعليه بالصمت وانواع العلم
نوع يتعلق باللفظ ونوع يتعلق بالمعنى ونوع يتعلق بهما وفضيلته بشيئين
بشرف ثمرته ووثاقة دلالته وقيل قرن الله تعالى العلماء باسمه وبالملائكة
فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم ويكفيهم
بذلك شرفا لهم وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عَلِم وعمِل وعلّم فذاك الذي يدعى في ملكوت
السماء عظيما وقال صلى الله عليه وسلم يا علي كن عالما او متعلما او مستمعا
ولا تكن الرابع فتهلك وقال الخليل الرجال اربعة فرجل يدري ويدري انه يدري
فذاك عالم فاسالوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذاك ناس فذكروه
ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذاك جاهل فعلموه ورجل لا يدري
ولا يدري انه يدري فذلك الاحمق فارفضوه وكل عز دنيوي ذاهب
الا العلم فان عزه راسب وفي المعنى

ولكل عز دنيوي ذاهب — الا العلوم فعزها لك باقي

ودخل عروة بن الزبير بستانا لعبد الملك بن مروان فقال عروة ما احسن
هذا البستان فقال له عبد الملك انت والله احسن منه لان هذا يوتي اكله
كل عام مرة وانت توتي اكلك كل يوم وقد مدحهم الشاعر بقوله

مصابيح الانام بكل ارض — هم العلماء ابناء الكرام
ولولا علمهم في كل ناد — كنور البرق بين الغمام
لكان الدين يدرس بعد حين — كما درس الرسوم من الرهام

الرهام نوع من المطر وهو بكسر الراء وقال كميل بن زياد اخذ بيدي علي
ابن ابي طالب فاخرجني الى ناحية الجبان فلما اصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال
يا كميل بن زياد القلوب اوعية فخيرها اوعاها احفظ ما اقول لك الناس ثلثة
فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل
ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق العلم خير لك من المال العلم

بحرسك وانت تحرس المال العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة العلم حاكم والمال محكوم عليه وصحبة العالم دين يدان بها العلم يكسب العالم الطاعة فى حيوته وجميل الاحدوثة بعد موته وصنيعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون مابقى الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب موجودة ها ان ههنا واشار بيده الى صدره علما لو اصبت له حملة بل اصبت لقنا غير مامون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بحج الله على كتابه وبنعمه على عباده او معاندا لاجل الحق لا بصيرة له فى احيائه يقتدح الشك لقلبه باول عارض من شبهة لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذات سلس القياد للشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار ليسوا من دعاة الدين اقرب شبها بهم الانعام السايمة لذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بل لن تخلو الارض من قايم لله بحجة لكى لا تبطل حجج الله وبيناته هم الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها الى نظرائهم ويزرعوها فى قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا مااستوعره المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمنظر الاعلى اولئك خلفاء الله فى بلاده ودعاته الى دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم واستغفر الله لى ولك اذا شئت فقم انتهى قوله كميل هو ابن زياد النخعى صحابى روى عن عمر وعثمان وعلى ووثقه الجمهور منهم المزى وقوله ناحية الجبان هو والجبانة بتشديد الموحدة التحتيه فيهما الصحرا كذا فى الصحاح وسميت المقابر جبانة لكونها فى الصحراء وقوله فلما اصحرنا اى وصلنا الى الصحراء وقوله رعاع بفتح الراء والعين المهملة فى الصحاح يقال للرعاع من الناس الحمقى انما هم همج وقوله هاه بسكون الهاء بعد الالف كلمة يقولها المتحير فى الكلام من خوف كذا فى بعض شروح المصابيح وفى التقريب فى غريب الحديث ما ملخصه ان لها معانى منها انها تكون موضع آه من التوجع قوله لا ذا اى لا الذى اصبته معاندا الى اخره وقوله ولا ذاك ولا الغنى الذى اصبته غير مامون على العلم اى كلاهما لا يصلحان لحمل العلم وكذا من اصبته منهوما باللذات الى آخره اى مولعا بها وفى الحديث منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم وكذا من هو مغرى بجمع الاموال الى آخره اصبتهم انهم ليسوا من دعاة الدين ولا يصلحون لحمل العلم وقد انقسمت الناس فى فهم العلوم الى بليد لا يتفهم لتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكى يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث له من نفسه حقايق الامور دون التعليم ونسب هذا القول الى الغزالى رحمه الله والقسم الثالث هو العلم الوهبى يهبه الله لمن يشاء من عباده كالخضر عليه السلام وينبغى لمن يطلب العلم حسن الادب فقد قال منبع العلوم صلى الله عليه وسلم ادبنى ربى فاحسن تاديبى ولذلك

قيل

قيل لا ادب الا ادب الله ومن كان مودبه ربه عز وجل لا يغلبه احد اذ هو هو وهى والادب اشرف نسب وافضل نشب واجل مال واتم جمال وهو ادب حكمة يورث العصمة والهداية وادب خدمة يورث النعمة والولاية فعلى المرء ان يطلبه صغيرا او كبيرا ويوثره غنيا او فقيرا فمن حازه جهد وعظم ومن استعمله قرر وكرم وقال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا جاء فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما فقهوهم وادبوهم وقال بزرجمهر ليت شعرى اى شئ ادرك من فاته الادب واى شئ فات من ادرك الادب وفى الامثال حلى الرجال الادب وحلى النساء الذهب شعر

خيرما ورث الرجال بنيهم ... ادب صالح وطيب ثناء
هو خير من الدنانير والاوراق ... فى يوم شدة ورخاء
تلك تفنى والعلم والادب الصالح ... لا يفنيان حتى اللقاء
ان تادبت يا اخى صغيرا ... كنت يوما تعد فى النبلاء
واذا ما اضعت نفسك الفيت ... صغيرا فى جملة الغوغاء
ليس عطف القضيب اذ كان غضا ... واذا كان يابسا بالسواء

الغوغاء قال الاصمعى الجراد اذا صارت له اجنحة وكاد يطير قبل ان يستقل فيطير غوغاء وبه شبه الناس وقال ابو عبيدة الغوغاء شئ شبيه بالبعوض الا انه لا يعض ولا يوذى وهو ضعيف كذا فى الصحاح وقال على كرم الله وجهه الادب زين فى المحافل وصاحب فى الغربة وعون على المروة وقيل لحكيم من ادبك فقال نفسى رايت جهل الجاهل فاجتنبته فتادبت وقال ابن المبارك اختلف الناس فى الادب وما هو عندى الا ان يعرف الرجل قدره وقال صاحب آداب السياسة قد تكلم اهل المعرفة والعلم فى الادب بشئ كثير وقد اختصر ذلك جميعه فى اربع كلمات وهى الادب الوقوف عند الحدود وقال اعلم ان الادب على وجوه فاما الادب مع الله تعالى فباتباع اوامره واجتناب نواهيه وحسن ذكره والصبر على اقضيته واقداره ومع النبى صلى الله عليه وسلم فباتباع سنته وتعظيم اهل بيته واصحابه رضى الله عنهم ومع الصحابة رضى الله عنهم فبالكف عما شجر بينهم ومع المشايخ فبالخدمة والحرمة ومع الاولياء فبالاحترام والتصديق لهم فيما يخبرون به عن انفسهم ومشايخهم ومع الشعراء بان لا يحوجهم الى الذم والهجو ومع الملوك فبالطاعة فيما لا يخالف الدين والدعاء لهم بما يصلحهم ويصلح رعيتهم ومع الكرام فبان لا يحملهم ما لا يطيقونه ومع الاوساط والاقران فبالنصيحة والاعانة ومع الاصاغر والمريدين فبالارشاد ومع النساء فعلى ما يحتمله عقولهن انتهى وكان العلم يجلس المماليك على الاسرة كما تقدم فى قول ابن عباس فكذا الادب قال بعضهم عليك بالادب فانه يرفع العبد المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك وقال بزرجمهر

لكسري وعنده اولاده اى ولادك احب اليك قال ارغبهم فى الادب واجزعهم
من العار وانظرهم الى الطبقة التى فوقه وقال من كثر ادبه كثر شرفه وان كان
قبل وضيعا وبعد صوته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجات
اليه وان كان مقترا وقال الشاعر

لا خير فى رجل حر بلا ادب • نعم ولو كان منسوبا الى العرب

واما قوله صلى الله عليه وسلم اول الباب ما نحل والد ولدا الى اخره قال فى التقريب
انحل ولده مالا اى وهبه ونحلت الشئ انحل نحلا بالضم وهبته لك

ولنشرع فى فصول الباب فنقول الفصل الاول فى طلب العلم قال الفقيه
رحمه الله تعالى اعلم ان طلب العلم فريضة على كل مسلم على قدر ما يحتاج اليه من
امر دينه وما لا بد له منه من احكام الوضوء والصلاة وساير شرايع الاسلام
ولامور معاشه وما وراء ذلك ليس بفرض خاص فان تعلم الزيادة فهو
افضل وان تركها فلا اثم عليه وانما قلنا ان مقدار ما يحتاج اليه فريضة
لان الله تعالى قال فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال فى اية اخرى
وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فالله تعالى اخبر بانهم
صاروا الى النار بجهلهم وروى مكحول عن على بن ابى طالب رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال طلب العلم فريضة على كل مسلم وفى خبر
اخر قال اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم
وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال عليكم بالعلم قبل ان
يقبض وقبضه ان يذهب اصحابه وعليكم بالعلم فان احدكم لا يدرى متى
يفتقر اليه ثم الناس تكلموا فى طلب الزيادة قال بعضهم اذا تعلم مقدار
ما يحتاج اليه ينبغى ان يشتغل بالعمل ويترك تعلم العلم وقال بعضهم
اذا اشتغل بزيادة العلم فهو افضل بعد ان لا يدخل النقصان فى فرايضه
وهذا القول اصح اما حجة الطايفة الاولى فما روى عن جعفر بن برقان عن
ميمون بن مهران عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال ويل للذى يعلم ولا يعمل
سبع مرات وروى عن فضيل بن عياض انه قال من عمل بما يعلم شغله عما لا
يعلم ولان العمل لنفسه وطلب الزيادة لغيره فالاشتغال بامر نفسه اولى
لان فكاك رقبة نفسه اهم اليه من غيره واما حجة الطايفة الاخرى
فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا فى الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا بمعنى هلا وقال تعالى فى اية اخرى قل هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى ولكن كونوا ربانيين
قال اهل التفسير يعنى كونوا علماء فقهاء وروى ثوبان عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال فضل العلم خير من فضل العمل وملاك دينكم الورع اى
قوامه وسئل الحسن البصرى من العالم فقال ان يتعلم الرجل العلم فيعلمه الناس

رعن

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال مذاكرة العلم ساعة من الليل
احب الى من احيايها وعن عون بن عبد الله قال جاء رجل الى ابى ذر فقال
انى اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه ولا اعمل به فقال انك ان توسد
الجهل ثم ذهب الى ابى الدرداء فساله فقال ابو الدرداء ان الناس يبعث
من قبورهم على ما ماتوا عليه العالم عالما والجاهل جاهلا ثم ذهب الى
ابى هريرة فساله عن ذلك فقال ابو هريرة كفى بتركه ضياعا وعن على بن
ابى طالب رضى الله عنه قال الناس رجلان عالم ربانى ومتعلم على سبيل
نجاة وسايرهم همج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح والعلماء باقون
ما بقى الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب موجودة ولان
منفعة العمل لنفسه خاصة ومنفعة العلم ترجع الى نفسه والى
الناس جميعا وهذا افضل لان النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الناس
من ينفع الناس انتهى بكماله اقول والرعاع تقدم فى اول الباب والعلم لا
ينعزل صاحبه بالعزل بل يحصل له الثواب الجزل قال ابو البركات عبد الرحمن
الانبارى من اراد ولاية لا تقبل العزل فعليه بالعلم وقد قيل فى ذلك

ان الولاية لا تدوم لحاكم • ان كنت تنكر ذا فاين الاول
فاغرس من العلم النفيس غراسا • فاذا عزلت فانها لا تعزل

وفى النوازل سئل ابو القاسم عن العلم الذى يجب على الناس طلبه ما هو
ايقع ذلك على اجناس العلوم كلها من الاحكام والطب والحساب وتاويل
القرآن وغير ذلك او يقع على بعض ذلك فقال اول علم افترض الله على عباده
معرفة الله وتسل وما يجب من الايمان به ولا ينبغى ان يغلوا فى ذلك
حتى يخرج من حد الظاهر الى ما يخاف الضلال فيه فهذا علم يقع فيه على
الخاص والعام معرفته ثم شرايع الدين فذلك واجب على كل انسان ان يعلم
به ثم بعد ذلك خصايص علوم لا يحتملها الا اهل الفهم والحفظ فذلك
فرض عليهم ولا يسعهم تضييعه واذا قام بذلك بعضهم فقد قام
الفرض عن جميعهم الى ان قال وعلى كل انسان ان يتعلم امر معاشه ما يجوز
له وما لا يجوز له فى امر معاشه انتهى ولنذكر هنا مما يتعلق بالمعرفة واهلها
تبركا بذلك ولعل الله تعالى ان يسلك بنا تلك المسالك فاقول قال صاحب
اداب السياسة اعلم ان الله تعالى اختص العارفين بولايته ونور قلوبهم
بعنايته وكشف عن بصايرهم بهدايته فقال تعالى ومن لم يجعل الله نورا
فما له من نور وقال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال
النبى صلى الله عليه وسلم دعامة البيت اسه ودعامة الدين المعرفة بالله
واليقين والعقل والقامع وقال عليه الصلاة والسلام يقول الله من الهمته
طاعتى وعصمته عن معصيتى والقيت فى قلبه معرفتى فقد اعطيته كرامتى

العلم خير من ان توسدت صح

وروى عن سهل بن عطاء الله انه قال ان الله عز وجل حجب عقول الخلق عنه وحجب العلماء بالعلم وحجب الزهاد بالعمل وحجب الحكماء بلطايف الحكمة واما العارفون فانه اسكن قلوبهم من نور معرفته فلم يحجبهم عنه شي وقال البسطامي اطلع الله تعالى على قلوب اوليائه فمنهم من لم يصلح لحمل حرف من المعرفة فشغلهم بالعبادة وقال يحيى بن معاذ الزاهد يستطاب الخل والحرز لا انهما يشمان المسك والعنبر شعر

قلوب العارفين لها عيون   ترى ما لا يراه الناظرون
واجنحة تطير بغير ريش   الى ملكوت رب العالمين
والسنة بسر قد تناجي   تغيب عن كرام كاتبينا

مناجة

وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعرفكم بربه اعرفكم بنفسه وقال ابرهيم بن ادهم من علامة العارف ان تكون اكبر همته التفكر والعبرة واكثر كلامه الثناء والمدحة واكثر عمله الطاعة والخدمة واكثر نظره الى لطايف رب العزة واما علامة المعرفة والعارف فقد قال الاستاذ ابو احمد الدقاق من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته وقال المعرفة توجب السكينة في القلب كما ان العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته وسئل ابو يزيد البسطامي ما علامة العارف فقال ان لا يفتر عن ذكره ولا يمل حقه ولا يستانس بغيره وقال الجنيد العارف من نطق الحق عن سره وقال ذو النون المصري اشد الناس معرفة بالله اشدهم تحيرا فيه انتهى ومن اراد الاطلاع على اكثر من ذلك فعليه بكتب القوم نفعنا الله بهم ولنرجع الى ايضاح الاية الاولى التي استخرج بها الطايفة الاخرى في كلام الفقيه وهي قوله تعالى وما كان المومنون لينفروا كافة قال تاج القراء ان سبب النزول المانزل عيوب المنافقين لتخلفهم عن الجهاد قال المومنون والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سرية ابدا فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسرايا الى الغزو نفر المسلمون جميعا وتركوا رسول الله وحده بالمدينة انزل الله اي ما كان ينبغي لهم ان ينفروا جميعا فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة اي هلا خرج من كل قبيلة منهم جماعة واقام سايرهم ليتفقهوا في الدين اي ما يتجدد من احكام الدين بنزول القران ولينذروا بذلك قومهم الغايبين اذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون ما يجب اجتنابه وقال القاضي البيضاوي في ذلك امروا ان ينفر من كل فرقة طايفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا البواقي الفرق بعد الطوايف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوايف النافرة اي ولينذر البواقي

قومهم

قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم انتهى رسيا في قول اخر للقاضي في معنى الاية وارجاع ضمايرها في الفصل السادس من هذا الباب وينبغي ان يطلب العلم حيث كان فان زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما كان يجلس مع زيد بن اسلم فقال له نافع بن جبير انت سيد الناس وافضلهم تذهب الى هذا العبد فيجلس معه فقال ينبغي للعلم ان يتبع حيث كان وقيل في الاجتهاد في طلب العلم ومن يجتهد في كل امر يصطبر ينله والا بعضه ان تعسرا فما دمت حيا فاطلب العلم والعلى ولا تال جهدا او تموت فتعذرا وقال الاخر

بقدر الجد تكتسب المعالي   ومن طلب العلى سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا   يغوص البحر من طلب اللالي

ومما ينسب الى الامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى انه قال

تمنيت ان تمسي فقيها مناظرا   بغير عناء والجنون فنون
اذا كان كسب المال دون مشقة   محالا فكسب العلم كيف يكون

ويجوز للعالم ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه ذكره البيضاوي في تفسير قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام واتبعت ملة اباي ابرهيم واسحق ويعقوب قال كلام مبتدا لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبة الفتيين الطالبين منه تاويل رؤياهما في الاستماع اليه والوثوق عليه وكذلك قول يوسف عليه السلام للملك اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم اي كاتب حاسب في احد الاقوال فاعلم الملك انه كاتب حاسب يصلح ان يكون على الخزاين ضبطها بالكتابة والحساب وانما لم يعلمه بامانته لعلم الملك بها لقول الملك له انك اليوم مكين امين اي مامون في احد الاقوال وقال ابن الجوزي رحمه الله مكين امين اي قد مكنتك في ملكي وايتمنتك فيه وينبغي للعالم ان يصبر على الجاهل فانه عدو غافل ومن العجب ان العالم لا يهدا من كثرة الجهال من الاعداء وفي ذلك در في ذلك يقول ابو العباس محمد العاقولي

الرجل العالم في بلده   يصبح والناس له اعداء
لانهم بالجهل اضداده   والضد لا يحتمل الضدا
فانظر مع كثرة اعدايه   مع انه يهدي ولا يهدا من العدو

والعالم تحسده الجهال اذا لم ينالوا سعيه في تحصيل الكمال فهم اعداء له واضداد فلا بارك الله في الاعداء ولا في الحساد واستكتب بعض العلماء في محضر في ثبوت ما يجب استباحة دم ابي الحسن بن محمد بن سالم الثعلبي الامدي الشافعي فكتب

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه   فالقوم اعداء له وخصوم
كضراير الحسناء يقلن لوجهها   حسدا وبوسا انه لذميم

وقال ابو يوسف صاحب ابي حنيفة رحمهما الله تعالى

ساطلب علما او اموت ببلدة　　يقل بها قطر النبات على قبري
فان نلت علما عشت في الناس سيدا　　وان مت قال الناس بالغ لحدي

وللشافعي رضي الله عنه

يا لهف قلبي على شيئين لو جمعا　　عندي لكنت اذا من اسعد البشر
كفاف عيش يقيني ذل مسالتي　　وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

ولابي قاسم الزنجاني

ما تطعمت لذة العيش حتى　　صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس عندي شيء اعز من ال　　علم فلا ابتغي سواه انيسا
انما الذل في مخالطة النا　　س فدعهم وعش عزيزا رئيسا

وروى صاحب اداب السياسة حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قيل له يا نبي الله قد عرفنا مضرة الكذب وانه يحسن في ثلثة مواطن في الحرب فانها خدعة وعند زوجة الرجل حتى يرضيها وفي اصلاح ذات البين فهل لنا من تصدق ما لا يحسن فقال عليه الصلاة والسلام ان كان قد ابيح لكم الكذب في ثلثة فقد نهيتم عن الصدق في اربعة مواطن وهي الغيبة والنميمة والسعاية ومدح المرء نفسه من القبيح المنهي عنه فكيف يوسف الصديق نفسه فقال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فقال ذلك لم يقبح من يوسف لانه كان غريبا وحيدا ماله من يعرفه في ذلك الموضع فقصد بذلك التنبيه على استقلاله بما سال ان يفوض اليه انتهى فعلى هذا لا يحسن للعالم ان يمدح نفسه الا اذا لم يكن من يعرفه فيمدح نفسه لينتفع الناس به وقد مدح الله تعالى نفسه ليعرفه الانسان اذ لا يعرف كنهه تعالى الا هو فعرف نفسه ببعض صفاته فمن ذلك قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى ومنه ما تضمنه آية الكرسي وينبغي للانسان ان يتعاطى ما يوجب المدح ويتجنب ما يوجب الذم قال افلاطون توخ حمد الناس فان مديحهم اطول عمرا منك وقيل من لم يردعه الذم عن سيئه ولم يستدعه المدح الى حسنة فهو جماد او بهيمة ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال هشام الله قد نهى عن مدح الرجل في وجهه فقال لها مدحتك وانما ذكرتك نعمة الله عليك لتجدد الشكر له فقال هشام هذا احسن من المدح ووصله وينبغي ان لا يخون الانسان من يمدحه فقد حكي ان ابا فراس بن حمدان كان يعشق امراة فبذل لها ما كان يمكنه من مال وغيره فلم تطعه فبينما الامراة وزوجها ذات يوم جالسان اذ حمل باز على طيور فانهزمت منه ولحقت بمواضع بازائهم فقالت المراة لزوجها هل يكون في الرجال من ينهزم من الناس كما انهزمت هذه الطيور من هذا الباز فقال نعم ابو فراس بن حمدان فعل الكلام

في قلبها فتعطرت ذات يوم ومشت اليه فقال لها ما هذا العجب بذلت لك كل ما يمكنني وما اطعتني وجئت من ذات نفسك فاريد ان تعرفيني حديثك فاعادت عليه ما جرى لها ولم يلمسها وقال ارجعي الى بيتك فما ينبغي لمثلي ان يخون من يمدحه

الفصل الثاني في كتابة العلم قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض الناس كتابة العلم واباح ذلك عامة اهل العلم فاما حجة من كره ذلك فما روى الحسن البصري رحمه الله تعالى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا اناسا من اليهود يحدثون باحاديث افلا نكتب بعضها فنظر اليه نظرة عرف الغضب في وجهه قال متهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وسئل الحسن ما المتهوكون قال المتحيرون وروى عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري انه استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة العلم فلم ياذن له وروي عن الحسن بن مسلم انه قال كان ابن عباس رضي الله عنهما ينهى عن الكتابة ويقول انما ضل من كان قبلكم بالكتابة وروي عن ابي داود عن ابيه قال جاء اصحاب عبد الله بن مسعود وقالوا انا كتبنا عنك علما فنعرضه عليك فتبينه لنا واتوه بذلك فاخذ الكتاب فغسله بالماء ثم رده عليهم وقال لانهم اذا كتبوا اعتمدوا على الكتابة وتركوا الحفظ فيعرض للكتاب عارض فيفوت عليهم ولان الكتاب يزاد فيه ويغير والذي حفظ لا يمكن التغيير فيه ولان الحافظ يتكلم بالعلم والذي اخبر عن الكتاب اخبر بالظن من غير حفظ واما حجة من قال انه يجوز فما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال ما كان احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اكثر حديثا مني الا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فانه كان يكتب وانا لا اكتب وعن ابن جريج انه قال قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يا رسول الله انا نسمع منك الحديث افنكتبه قال نعم قلت في الرضى والسخط قال نعم فاني لا اقول فيهما الا الحق وقال معاوية بن قرة من لم يكتب فلا يعد علمه علما وقال الله تعالى خبرا عن موسى عليه السلام حين سالوه عن القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وعن ربيع بن انس عن جديه زيد وزياد انهما قدما على سلمان ليلا فلم يزل يحدثهما وهما يكتبان حتى اصبحا وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لا يعجزن احدكم ان يكون عنده كتاب من هذا العلم ولان فيه بلوى ولو لم يكتب لذهب عنه العلم ولو كتب لرجع اليه اذا نسي او يشكل عليه وهذا كما حكي ان ابا يوسف عاب محمدا في كتابة العلم فقال محمد اني خفت ذهاب العلم لان النساء لا يلدن مثل ابي يوسف ولان الامة قد توارثت كتابة العلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما راه المسلمون حسنا عند الله فهو حسن وقال عليه الصلاة والسلام لا تجتمع امتي على الضلالة انتهى بكماله اقول قد ذكر الجوهري التهوك في الصحاح كما ذكره الفقيه انه التحير بالحاء المهملة وساق

الحديث المذكور فيه ثم قال وهو كالتهور وهو الوقوع في الشيء بقلبه مبالاة والهوك الحمق وقد هوك بالكسر انتهى **ومما قيل** في حفظ العلم قول بعضهم

ليس بعلم ما حوى القِمَطْرُ ... ما العلم الا ما حواه الصدر

القمطر بكسر القاف وفتح الميم وسكون المهملة الاولى الكتاب والورق وقيل خزانة الكتب وقيل كل شيء يحفظ العلم غير الصدر **وقال** الخليل كن على مدارسة ما في فؤادك

احرص منك على حفظ ما في كتبك ... واجعل ما في كتبك راس مال وما في صدرك للنفقه

ويقال سوء الحفظ قد يكون طبعا من كثرة البلغم وقد يكون عارضا بسبب ارتكاب معصية وفي ذلك يقول الشافعي رضي الله عنه

شكوت الى وكيع سوء حفظي ... فارشدني الى ترك المعاصي

وذلك ان علم الله نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

وقد يكون وسياتي شيء مما يورث الفقر والنسيان بالباب السبعين ان شاء الله تعالى

الفصل الثالث في اخذ العلم من الثقات قال الفقيه رحمه الله تعالى لا تاخذ العلم الا من امين ثقة لان قوام الدين بالعلم فينبغي ان لا تأمن على دينك الا من يؤتمن عليه وروى عباد بن كثير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحدثوا عن من لا تقبلوا شهادته وعن محمد بن سيرين قال ان هذا العلم دين فانظروا دينكم عمن تاخذونه وعن الحسن قال من قال قولا حسنا وعمل عملا سيئا فلا تاخذوا عنه علما ولا تعتمدوا عليه فان قيل اليس قد روى انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العلم ضالة المؤمن حيثما وجده اخذه قيل له حيثما وجده اخذه اذا كان الذي اخبره به ثقة واما اذا كان الذي اخبره به غير ثقة فلا ياخذ منه ولو ان رجلا سمع حديثا او سمع مسيلة فان لم يكن القايل ثقة فلا يسعه ان يقبل منه الا ان يكون قولا يوافق الاصول فيجوز العمل به ولا يقع به العلم وكذلك لو وجد حديثا مكتوبا او مسيلة فان كان موافقا للاصول جاز له ان يعمل به والا فلا وروى عبد الرحمن بن ابي ليلى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكذابين وفي نسخة الكذابين انتهى بكاله **اقول** روى هذا الحديث الاخير في المصابيح عن مغيرة بن شعبة بلفظ من حدث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكذابين وهو من الصحاح وينبغي لمن ياخذ العلم ان لا يستعجل في اخذه فانه قال الزهري من الطبقة الرابعة من التابعين من اهل المدينة ان هذا العلم ان اخذته بالمكابرة غلبك ولم تظفر منه بشيء ولكن خذه مع الليالي والايام تظفر به **وقال** بعضهم

العلم لا يدرك بالتمني ... عليك بالتكرار والتأني
كم اعجمي الكن اخذ ... بالتكرار حصل كل فن

وقال الشيخ ابو حيان فيمن يريد اخذ العلم وتحصيله بلا شيخ

اتزعم

اتزعم ان الذهن يوضح مشكلا ... غدا مغلقا كلا لقد كذب الذهن

فان الذي تبغيه دون معلم ... كموقد مصباح وليس به دهن

الحزن ضد السهل والمصباح السراج **الفصل الرابع في اداب المتعلم** قال الفقيه رحمه الله تعالى اول ما يحتاج اليه المتعلم ان يصحح نيته لينتفع بما يتعلمه وينتفع به من ياخذ عنه وتصحيحها ان ينوي ثلاثة اشياء ان ينوي بتعلمه الخروج من الجهل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وان ينوي به منفعة الناس لان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس من ينفع الناس وان ينوي به احياء العلم لان الناس لو تركوا العلم لذهب كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا العلم قبل ان يرفع العلم ورفعه ذهاب العلماء **وقال** بعض المفسرين في قصة موسى والخضر عليهما السلام اول فوايد القصة ان اول اداب المتعلم ان يستاذن المعلم في التعليم لقوله تعالى حكاية عن قول موسى للخضر قال هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقال القاضي البيضاوي في تفسير هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسن فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه وقال قوله تعالى في سورة التوبة وما كان المؤمنون لينفروا الى آخر الآية انه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد انتهى **والجرم** بضم الجيم وسكون الراء الذنب **اقول** انما يحتاج الى تصحيح النية لقوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه **وقد** زعم ابن حجر العسقلاني رحمه الله معنى الحديث فقال بعض شيخ شيوخي انما الاعمال بالنيات في كل امر امكنه في صفته فانو خيرا واعمل الخير فان لم تطقه نفعت نيته **وبين** الفقهاء خلاف في النية اصلها ووقتها وكيفيتها فعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى انها عمل القلب فلو نوى بقلبه صلاة كالظهر مثلا وذكر بلسانه اخرى كالعصر مثلا فالمعتبر ما هو المنوي بقلبه وان نوى بقلبه ولسانه فهو افضل كذا في شرح مقدمة الفقيه ولان اللسان دليل على ما في القلب **قال الشاعر**

ان الكلام لفي الفؤاد وانما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وعند الشافعي رحمه الله تعالى لا بد من الذكر باللسان وليس في كلام الفقيه ما يدل على ذلك ولا في الحديث ما يدل على ذلك **وينبغي** للمتعلم ان يطلب به وجه الله تعالى والدار الآخرة لا طلب الدنيا لانه اذا طلب الدنيا لا ينال واذا طلب وجه الله تعالى ينال الامرين جميعا كما قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه

ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من كانت نيته الدنيا في طلب العلم فرق الله عليه
امره وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت نيته
الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتاه الله الدنيا وهي راغمة واما اذا
لم يقدر على تصحيح النية فالتعلم افضل من تركه لانه اذا تعلم العلم فانه يرجى
ان يصحح العلم نيته وقال مجاهد كنا نطلب هذا العلم وما لنا فيه كثير نية ثم رزقنا
الله فيه نية لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من طلب
العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى ياتي عليه العلم فيكون لله واذا اراد الخروج
الى الغزو والى الرحلة في طلب العلم فالاصل ان يخرج
باذن ابويه فان لم ياذنا له فلا باس بالخروج اذا كانا مستغنيين عن خدمته
ولا ينبغي للمتعلم ان يترك شيئا من الفرائض او يؤخرها عن وقتها فتذهب
بركة علمه ولا ينبغي ان يؤذي احدا لاجل التعلم فتذهب بركة علمه ولا ينبغي
ان يكون بخيلا بعلمه اذا استعار منه انسان كتابا او استعان به بتفهم
مسئلة منه او نحو ذلك اقول اطلق الفقيه عارية الكتاب لحسن اعتقاده
وظنه بالناس والذي ينبغي ان المعير اذا علم امانة المستعير وحرصه على
حفظ الكتب بالزمان والمكان وغيرها فليعره والا فلا فان فيه تضييع المال
والكتاب كزوجتك التي تهواها فربما يعشقها من راها فياخذها ويدعك
تطلب سواها وقال الشاعر الا يا مستعير الكتب دعني
دعني فان اعارتي للكتب عار فمحبوبي من الدنيا كتابي
فهل ابصرت محبوبا يعار وقال الآخر لا تعيرن ما حييت كتابا
فتقاسي من العواري عذابا كم كتاب اعرته لصديق
نقض العهد واستحل الكتابا وان كان لا بد من الاعارة فليكن برهان
سلمة وايمان مغلظة كما قال الشاعر
اني حلفت يمينا غير كاذبة ان لا اعير كتابي قط انسانا
الا برهن وايمان مغلظة بان يرد كتابي حيث ما كانا
حتى يعود كتابي اين ما كانا
وقد اخل هذا القايل بذكر الشاهدين في البيت الثاني وعندي ان يغير ذلك بقولي
الا بعدلين مع رهن وخطهما وان يضيفا لي ما قلت ايمانا
وادنى من ذلك قول بعضهم هذا كتابي نفيس لكشف همي ادخرته
وقد حلفت يمينا مغلظا لا اعرته الا برهن وثيق لصاحب قد عرفته
لمن اراد كتابي فالشرط ما قد ذكرته وقال الفقيه ولا ينبغي ان يبخل به
لانه يقصد بتعلمه منفعة الخلق فلا ينبغي ان يمنع منفعته في الحال
وقال عبد الله بن المبارك من يبخل بعلمه ابتلي باحدى ثلاث اما ان يموت
فيذهب علمه او يبتلى بسلطان او ينسى علمه الذي حفظه وينبغي له ان
يوقر العلم وان لا يضع الكتاب على التراب واذا خرج من الخلاء فاراد ان يمس الكتاب

يستحب

يستحب له ان يتوضا او يغسل يديه ثم ياخذ الكتاب وينبغي ان يرضى بالدون
من العيش وينزوي من النساء من غير ان يترك حظ نفسه من الاكل والشرب
والنوم وينبغي ان يقل معاشرة الناس فمخالطتهم ولا يشتغل بما لا يعنيه
ففي المثل من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه وقيل للقمان الحكيم بم نلت
ما نلت قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وينبغي له في
ان يدرس على الدوام ويذاكر المسايل مع اصحابه او وحده وقد روى يزيد الرقاشي
عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدثنا بحديث ثم يدخل بيته فنتذاكر بيننا فيخرج الينا وكانما زرع في قلوبنا
وذكر في قول الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة يعني بالدرس بجد ومواظبة
وفي المثل عليك بالدرس فان الدرس غرس وقال بعضهم
يا طالب العلم باشر الورعا وطلق النوم واهجر الشبعا
ودم على الدرس لا تفارقه فالعلم بالدرس قام وارتفعا
اقول وقيل ان العلم ميت وحيوته مذاكرته وفي ذلك يقول بعضهم
من حاز العلم وذاكره صلحت دنياه واخرته
فادم للعلم مذاكرة فحيوة العلم مذاكرته
ووجدت بخط بعض مشايخي ولم اعلم قايله ما صورته العلم ميت واحياؤه
بالدرس فاذا حيي فهو ضعيف وقوته بالمذاكرة فاذا قوي فهو محتجب
واظهاره بالمناظرة فاذا ظهر فهو عقيم ونتاجه بالعمل به انتهى وعن ابي
نصر انه قال العلم ميت وحيوته الطلب ثم اذا حيي فهو ضعيف وقوته الدرس
فاذا قوي فهو محتجب وكشفه المظاهرة فاذا انكشف فهو عقيم ونتاجه العمل
ثم قال الفقيه وهذا ماخوذ من الفراسة وسياتي شيء منها بالباب الخامس
والاربعين وقيل لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما بم ادركت هذا العلم قال
بلسان سؤول وقلب عقول وروي في بعض الاخبار زيادة همة وبدن في
السراء والضراء صبور وقال الشعبي من رق وجهه رق علمه اقول وقد ورد
لا ينال العلم مستحي ولا متكبر وعن علي رضي الله عنه يا ايها الناس خذوا عني
هذه الكلمات فلو ركبتم المطي حتى تنضوها اي تهزلوها وتضعفوها ما اصبتم
مثلها لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحي اذا لم يعلم ان
يتعلم ولا يستحي اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم كذا روي في عيون التواريخ
برواية الشعبي عنه وعن ابن دريد قال سمعت ابا حاتم يقول فاتني نصف
العلم فقلت وكيف قال تصدرت ولم اكن للتصدر اهلا واستحييت ان اسال
من دوني واختلف الى من فوقي فذلك الجهل الى اليوم في نفسي ثم قال
الفقيه وقيل لبزرجمهر بم نلت ما نلت قال ببكور كبكور الغراب وحرص كحرص
الخنزير وصبر كصبر الحمار وتملق كتملق الهرة وينبغي للمتعلم اذا وقعت بينه

وبين انسان منازعة وخصومة ان يستعمل الرفق والانصاف ليكون فرقا بينه
وبين الجاهل لان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما دخل الرفق فى شئ الا زانه
وما دخل الخرق فى شئ الا شانه الخُرق بضم الخاء المعجمة وسكون المهملة ضد الرفق
وسياتى شئ مما يتعلق بالرفق فى بابه وينبغى له ان يعظم استاذه فان بتعظيمه
تظهر فيه بركة العلم فاذا استخف به تذهب عنه بركة العلم ويقال انما ينتفع
المتعلم بكلام العالم اذا كان فى المتعلم ثلاث خصال التواضع فى نفسه
والحرص على التعلم والتعظيم للعالم فان بتواضعه ينجع فيه العلم اى يوثر
فيه وبحرصه يستخرج العلم وبتعظيمه العالم يستعطفه انتهى اقول
قد ذكر الحافظ برهان الدين الحلبى ثم الدمشقى المعروف بالناجى فى رسالته
فى موجب الفقر والنسيان استطرادا قال وقد جاء نهى الولد والمتعلم والتلميذ
ان ينادى اباه ومعلمه وشيخه باسمه وان يمشى امامه بل خلفه كالخادم
وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم راى غلاما
مع ابيه فقال لا تمش امامه ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه انتهى والحديث
ورد فى حق الاب الحقيقى لكن الحق به المعلم والشيخ لانهما بمنزلة الاب الحقيقى
وقال ابو اسحق ابرهيم بن حمزة ينبغى للاصاغر ان يتقدموا على الاكابر فى ثلاث
مواضع اذا ساروا ليلا او خاضوا سيلا او لقوا خيلا وسياتى فى الباب
الثامن والاربعين ان الكبير يمشى قدام الصغير وقد احسن من قال
فى المشى امام الشخص وخلفه فقال

ان سار عبدك اولا او آخرا	فى ظل مجدك ما تعدى الواجبا
فاذا تاخر كان خلفك خادما	واذا تقدم كان دونك حاجبا

ولذا جرت عادة السلاطين والامراء ان يكون ارقاؤهم خلفهم مشاة او
ركبانا ويكون اركان الدولة والاصحاب قدامهم كالحجاب انتهى كلامه
الفصل الخامس فى المناظرة فى العلم قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض
الناس المناظرة والجدل فى العلم واحتجوا بقول الله تعالى ما ضربوه لك الا
جدلا وقال تعالى وكان الانسان اكثر شئ جدلا فلامهم على المجادلة وذمهم
عليها وروت عايشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
ابغض الناس الى الله عز وجل الالد الخصم وروى ابو امامة الباهلى رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا
عليه الا اوتوا الجدل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال دع المراء وان
كنت محقا وروى برواية اخرى انه قال لا يجد احدكم حقيقة الايمان حتى يدع المراء
وهو محق وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تماروا فان المراء لا ياتى
بخير لان المراء يودى الى العداوة والعداوة بين المسلمين حرام وقال عامة
اهل العلم لا باس بالمناظرة اذا قصد بها ظهور الحق لقوله تعالى وجادلهم

بالتى هى احسن وقال تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا وقال تعالى الم تر الى
الذى حاج ابرهيم فى ربه الى قوله فبهت الذى كفر وروى عن طلحة بن عبد الله
انه قال تذاكرنا لحم صيد ياكله المحرم وقد ذبحه حلال والنبى صلى الله عليه
وسلم نايم فارتفعت اصواتنا فاستيقظ وقال فيما تتنازعون فاخبرناه
فامرنا باكله ولم ينكر عليهم جدالهم فى المسئلة ولان فى المناظرة ظهور الحق
من الباطل والنظر فى طلب الحق مباح والاثار التى وردت فى النهى معناها اذا
جادل بغير حق او اراد به المباهاة كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
قال من تعلم العلم لثلاث فهو فى النار ليباهى به العلماء او يمارى به السفهاء
او يصرف به وجوه الخلق الى نفسه انتهى كلامه اقول الالد الشديد الخصومة
والخصم بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة المكسورة الشديد الخصومة ايضا
والمراء الجدال ومما قيل فيمن يصرخ فى بحثه بالباطل ويوهم الناس انه من ذوى
الفضايل قول القايل

يا ذا الذى يصرخ فى بحثه	اغضض فما ذاك منك بالجيد
لو كان بالصرخة نيل المنى	لفضل البوم على الهدهد

والجدال بالباطل من الجهل قال بعضهم

لفرط الجهل قوم قد تصدوا	لمحو العلم واشتغلوا بلم لم
فلو ناظرتهم ما نلت منهم	سوى الحرفين لم لا نسلم

واعلم ان المناظر لاظهار الحق تعالى يحصل له بذلك اكتساب المعالى قال
اثير الدين ابو حيان وقيل ابن حبان

عداى لهم فضل على ومنة	فلا ابعد الرحمن عنى الاعاديا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها	وهم باحثونى فاكتسبت المعاليا

وحكى ان الزبادى ناظر مجبرا اى جبريا يقول ان العبد مجبور فى افعاله
فقال له بحضرة الخليفة المتوكل على الله اترضى بقضاء الله وقدره قال
نعم قال فانى دخلت الدار ورايت رجلا يفجر بامراتك الم يكن ذلك بقضاء الله
اترضى به فقال اما عندى جواب فانى ان قلت رضيت اكون ديوثا وان قلت
لم ارض اكون قدريا والديوث بفتح المهملة اوله وضم الياء التحتية مشددا
ثم واو ساكنة ثم ثاء مثلثة هو من لا غيرة له وقال ابن خلكان يقال ان
شيخ اهل السنة الشيخ ابا الحسن الاشعرى سال ابا على الجبائى احد ايمة المعتزلة
عن ثلث اخوة كان احدهم مومنا برا تقيا والثانى كافرا فاسقا شقيا والثالث
صغيرا فماتوا كيف حالهم فقال الجبائى اما الزاهد ففى الدرجات واما الكافر ففى
الدركات واما الصغير فمن اهل السلامة فقال الاشعرى ان اراد الصغير ان
يذهب الى درجات الزاهد ايوذن له قال الجبائى لا لانه يقال له ان اخاك انما
وصل الى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات فقال

الاشعري فان قال ذلك الصغير التقصير ليس مني فانك ما ابقيتني ولا اقدرتني
على الطاعة فقال الجبائي يقول الباري جل وعلا كنت اعلم انك لو بقيت لعصيت
وصرت مستحقا للعذاب الاليم فراعيت مصلحتك فقال الاشعري فلو قال الاخ
الكافر يا اله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي فلم راعيت مصلحته دوني
فانقطع الجبائي وهذه المناظرة دالة على ان الله تعالى خص من شاء برحمته
وخص آخر بعذابه وان افعاله غير معللة بشيء من الاغراض تعالى وتقدس انتهى
واول من وضع علم الخلاف الامام ابو زيد عبد الله بن عمر الدبوسي وناظره بعض
الفقهاء فكان كلما الزمه الشيخ الزاما تبسم ذلك الفقيه او ضحك فانشده
ابو زيد مالي اذا الزمته حجة ... قابلني بالضحك والقهقهه
ان كان ضحك المرء من فقهه ... فالدب في الصحرا ما افقهه
اقول وينبغي ان يقال فالقرد اذ الدب لا يضحك وانما الذي يضحك هو القرد كما
تقدم في الباب الثاني رجع قال ابو حاتم قال وقال ابو عبيدة لا تردن على احد خطأ
في حفل الحفل بسكون الفاء اي جماعة وعنده حفل من الناس اي جمع كذا في الصحاح
فانه يستفيد منك ويتخذك عدوا واما قوله تعالى وكان الانسان اكثر شيء
جدلا قال الكواشي جدلا اي خصومة اي الانسان اكثر شيء جدلا وخصومة
والجدال المنهي عنه هو الجدال بالباطل ليبطل به الحق واما الجدال لظهور الحق فلا
باس به كما ذكره الفقيه غير ان المجادل لظهور الحق ينبغي ان يحتاط في جداله
ان يخرج الى السباب الموقع في الخطاء المتجنب عن الصواب وقد عقد صاحب
اداب السياسة للسباب بابا فلنات ببعض منه ههنا استحبابا قال رحمه الله
تعالى السب في القرآن المجيد ونهى عنه فقال جل اسمه ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال عليه الصلاة والسلام من كف
لسانه عن اعراض الناس اقال الله عثرته يوم القيمة وقال علي رضي الله عنه
ذروا المراء والخصام تسلم لكم المروة والاحلام وشتم انكساغورس رجل فقيل له
الا تجيبه فقال لا ادخل في حرب الغالب فيها شر من المغلوب وفي المثل ما
استب اثنان الا غلب الامهما وقال الباقر رضي الله عنه قبيح الكلام سلاح
اللئام وقال بعض السلف علامة ما اعطى الله عبده من الخيرات اشتغاله
بالطاعات عن الخصومات وقيل فيمن ترك المخاصمة صيانة لعرض شعر
فتى يتقي ان يخدش الذم عرضه ... ولا يتقي حد السيوف البواتر غيره
احب الفتى ينفي الفواحش سمعه ... كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطا اذى ... ولا مانعا خيرا ولا قايلا هجرا
الفصل السادس في الحث على طلب العلم وتفضيل الفقه على غيره انما اخرت
هذا الفصل عن الفصل الاول لاتبعه ببعض ما يتعلق بالفقه في الملحق به ان شاء
الله تعالى قال الفقيه رحمه الله تعالى ينبغي للانسان ان يتعلم العلم ولا يقنع

بالجهل لان الله تعالى قال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فضل اهل
العلم على غيرهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في من لم يكن عالما ولا متعلما
وقال ابو الدرداء ما لي ارى علماءكم يموتون وجهالكم لا يتعلمون تعلموا قبل ان يرفع
العلم ورفع العلم بذهاب العلماء وقال عروة بن الزبير لبنيه يا بني تعلموا فان
تكونوا صغار قوم فعسى ان تكونوا كبار قوم آخرين وما اقبح على شيخ ليس عنده
علم وقال الشعبي لو ان رجلا سافر من اقصى الشام الى اقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه
فيما يستقبل من عمره لرايت ان سفره لم يضع وقال الفقيه ثم ان العلم على انواع
وكل ذلك عند الله حسن وليس كالفقه فينبغي للرجل ان يكون تعلم الفقه اهم اليه
من غيره لان من تعلم الفقه تيسر عليه ساير العلوم والفقه هو قوام الدين
وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما عبد
عبد الله بشيء افضل من الفقه في الدين وقال عليه الصلاة والسلام
الفقيه الواحد اشد على الشيطان من الف عابد وقال ابو هريرة رضي الله عنه
لان اجلس فاتفقه ساعة احب الي من ان احيي ليله وروى ابن عباس رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يرد الله به خيرا يفقهه في
الدين وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تفقهوا قبل ان تسودوا وايّ
معنى ذلك وما بعده واذا اخذ الانسان حظا وافرا في الفقه ينبغي ان لا يقتصر
على الفقه لكن ينظر في علم الزهد وفي كلام الحكماء وشمايل الصالحين فان الانسان
اذا تعلم الفقه ولم ينظر في علم الزهد والحكمة قسى قلبه وساء خلقه والقلب
القاسي بعيد من الله تعالى ولو تعلم من علم النجوم مقدار ما يعرف به الحساب فلا
باس به ولا يزيد عليه اذا تعلم مقدار ما يهتدي به امر القبلة وامر الحساب وقال
الله تعالى وهو الذي جعل النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقال في اية
اخرى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا
من النجوم مقدار ما تعرفون به امر قبلتكم وتعلموا من الانساب ما تصلون به
ارحامكم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن النظر في النجوم وقال
ابن عباس رضي الله عنهما لميمون بن مهران لا تتبع النجوم فانه يؤدي الى الكهانة
انتهى بكماله اقول وفي النوازل عن محمد بن الحسن انه قال لا ينبغي للرجل ان يعمل في
الشعر والنجوم واشباه ذلك حتى يعرف به وينسب اليه اي لا يجوز ان يعرف به
لانه صناعتهم مدح الناس وتاديب اولاد الملوك فيصير اخر امره الى مسئلة
الناس وتعليم الصبيان وكذلك الحساب والفرايض فيصير اخر امره الى مساحة
الارضين ونحوها وكذلك التفسير اخر امره ان يذكر الناس ويقص عليهم ولكن
ينبغي للرجل ان يكون اكثر علمه في الحلال والحرام وما لا بد منه من معالم الدين
والاحكام والناسخ والمنسوخ والاخبار انتهى وهذا يشكل لقوله صلى الله عليه وسلم
تعلموا الفرايض وعلموها فانها نصف العلم فامر بتعلمها وتعليمها وهي من مسايل

الفقه ولا تتم معرفتها الا بالحساب وينبغي للطالب الطامع ان لا يمنعه من تحصيل
العلوم مانع من بنين وزوجات وعبيد وقينات وثياب فاخرة واموال
وافرة ودار عامرة واصحاب متكاثرة بل يقدم التحصيل على جميع ذلك ولو
سلك فيه اضيق المسالك وان لا يمنعه من ذلك حر ولا برد ولا يشتغل
عنه بايام الزهور والورد كما قال احمد بن فارس صاحب مجمل اللغة

اذا كنت توذى بحر المصيف ❊ وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك طيب زمان الربيع ❊ فاخذك للعلم قل لى متى

واما العلم الذي لا ينفع فقد استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه
صاحب غنايل القلوب فيه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعو دبر كل صلوة اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع
وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع اللهم انى اعوذ بك من هولاء
الاربع وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم بالفقيه حقا الفقيه الذي لا يقنط
الناس من رحمة الله تعالى ولا يومنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم في معاصي
الله ولا يدع القرآن رغبة الى غيره انه لا خير في عبادة لا علم فيها ولا خير في علم
لا فقه فيه ولا خير في قراءة لا تدبر فيها وقال القاضي رحمه الله تعالى في تفسير
قوله تعالى في سورة التوبة وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة
منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم قال
فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة او اهل بلدة جماعة قليلة ليتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من
الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان
التذكير من فروض الكفاية وهذا احد القولين في معنى الاية باعتبار رجوع
الضمير في ليتفقهوا ولينذروا واذا رجعوا للطوايف النافرة كما نبه عليه
القاضي وقد تقدم قوله الاخر في الفصل الاول من هذا الباب وقال الشافعي
رحمه الله تعالى في مدح الفقه

اذا ما اعتز ذو علم بعلم ❊ فعلم الفقه اولى باعتزاز
فكم طيب يفوح ولا كمسك ❊ وكم طير يصيد ولا كباز

وقال ابن الوردي

انى تركت عقودهم وفسوخهم ❊ وفروضهم والحكم بين اثنين
ولزمت بيتي قانعا ومطالعا ❊ كتب العلوم وذاك زين الزين
وتركت نظم الشعر الا نادرا ❊ كالبيت في سنة وكالبيتين
ما الشعر مثل الفقه فيه نباهة ❊ الفقه فيه سعادة الدارين

واما قول عمر رضي الله عنه تفقهوا قبل ان تسودوا ومعناه تفقهوا قبل ان
تكبروا ويجعلكم الناس ذوي رفعة وسودد فتكبر انفسكم عن التفقه والتعلم
او تشتغلون بلوازم السيادة فلا تصلون حدا في التفقه والتعلم واما قول

الفقيه واذا اخذ الانسان حظا وافرا في الفقه ينظر في علم الزهد وكلام الحكماء
وشمايل الصالحين فاقول اما الزهد فقد تقدم منه شي في الباب السادس عشر
في الايمان واما كلام الحكماء فياتي ان شاء الله تعالى في بابه وهو الثامن والسبعون
واما شمايل الصالحين نفعنا الله بهم فكثيرة واما شمايلهم ما قال شيخ بعض
شيوخي الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني رحمهم الله تعالى

هنيئا لقوم لازموا طول دهرهم ❊ اوامر حكم الخالق الامر الناهي
فاول رجاهم سلامة دينهم ❊ واخر دعواهم ان الحمد لله

وانا القايل لك اشياء من رسالة في دابهم وصفاتهم تاليف الشيخ
تلميذ سيدي الشيخ العارف ابي مدين عاد الله علي وعلى المسلمين من بركاته
منه ما نقله بمعناه لغلط في النسخة المنقول عنها فمن ذلك انهم يتحملون اذى الخلق
ولا يوذونهم ويحملون كلهم ولا يلقون كل انفسهم على احد الكل الثقل صحاح
وفيه بانهم يعينون على اسباب البر ويغيثون الملهوف ويرشدون الضال
ويعلمون الجاهل وينبهون الغافل ولا يتخذون حجابا وكل من طلبهم
وجدهم وكل من رامهم وصل اليهم ولا يقولون لقاصدهم ان يرجع
عن ساعه ولا يمنعون سايلا ويقربون الضيف ويونسون
المستوحش ويومنون الخايف ويسقون العاطش ويشمتون
العاطس ويشبعون الجايع ويكسون العاري ويعينون الخادم
ولا يرجعون عن فضيلة ولا يقدمون على رذيلة ومنها التجافي اي
التباعد عما للنفس فيه غرض من الشهوات على الجهات التمني والتعني
في طلبها الا ان سيقت له من غير تعب ولا سوال فله اكلها الا ان يكون
في مقام المجاهدة وفي توفير مقام اللذة الى موطنها وهو الجنة مثل عمر بن
الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما فليس له في احدى هاتين
الحالتين ان يتناول شيا من الطيبات ومنها محاسبة النفس على حركاتها
وسكناتها وخواطرها وامنيتها وموازنة اعمالها عند الشرع فيها على
قانون الشرع ومنها المجاهدة وهي حمل النفس على المكاره البدنية من
الجوع والعطش والعري ولا بد من مقاساة الموتات الاربع الموت الابيض
وهو الجوع والموت الاحمر وهو مخالفة النفس والموت الاخضر وهو وضع
الرقاع بعضها على بعض والموت الاسود وهو تحمل الاذى نكتة معترضة
خارجة عن الرسالة ذكر الموتات الاربع في مراة الزمان ان ابا بكر الغزغاني
الصوفي مر براهب من رهبان الشام في صومعة فناداه يا راهب لمن تعبد
فقال للسيد المسيح قال ولم قال لانه اقام اربعين يوما لم ياكل ولم يشرب قال
فانا افعل ذلك فاقام تحت الصومعة اربعين يوما لم ياكل ولم يشرب ولم
ينم فنزل الراهب من الصومعة واسلم على يديه انتهى رجع ومنها وصايا فيهم

جهرم

الاغتراب عن المواطن وهجران الخلاديق من غير اعتقاد سوء فيهم وقطع
العلايق والعوايق ومنها السعي في قضاء حوايج المسلمين بعد الفراغ من
نفوسهم واما من سعى في ذلك قبل فراغه من نفسه فهو طلب رياسة
وذكر جميل فانهم يقبلون عليه ويخدمون بابه ويلازمون ركابه
والنفس تبطن عليهم بان هذه فضيلة عليهم وتقول له ما تفعله
ما يفعله الا الله وانا لا حظ لي في هذا ولو علم هذا المسكين لقدم قضاء
حاجة نفسه في تخليصها من اسر هواها وسحر شيطانها ومنها القناعة
وهي وقوف النفس عندما رزقت من غير ان تتشوف الى زيادة ومنها
الصبر على السراء والضراء وان لا يتجردون عن ثوب يعطونه لاحد الا
على طهارة لانهم يريدون ان لا يفارقهم شي الا وتركهم طاهرين
ومنها الدعا لله وفاء بمقام العبودية والالتجاء اليه سبحانه في جميع
الحوايج لا الى الخلق لتحقق ان الامور بيده تعالى فلا فايدة للتعرض لمن
ليس بيده خلق شي بل لله الخلق والامر جميعا ومنها الفقر والذلة
والمسكنة والخشوع والخضوع والتواضع كل ذلك لله تعالى ومنها
القبض عند مشاهدة ما لا يحمده الشرع والنظر في عيوب انفسهم والاشتغال
بانفسهم والتعامي عن عيوب الناس فلا يعتقدون في احد الا خيرا وقيل
النظر في العيب عيب في النظر ومنها ان لا يعودوا السنتهم الا الخير كما روي
ان عيسى عليه السلام راى خنزيرا فقال له اخ بسلام فقيل له في ذلك
فقال اني كرهت ان اعود لساني الا الخير ومن ذلك ما ورد ان النبي صلى الله عليه
وسلم مر بجيفة فقال الصحابة ما اشد نتنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما اشد بياض اسنانها ومنها الصمت الا عن الخير المحض فاذا اختبروا
نطقهم قبل ان ينطقوا فان تخلص لهم النطق من الشوايب المفسدة له
فحينئذ ينطقوا به وان لم يتخلص لهم ان يكون قربة او مثابة صمتوا ومنها
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند من يخاف ويرجى من السلاطين والملوك
والخلفاء لانهم لا ياخذهم في الله لومة لايم ولا يستحيون في الحق من احد
ومنها اصلاح ذات البين باحسن سياسة وتلطف ومنها الحياء من الله
تعالى حق الحياء وهو انه تعالى مطلع عليهم في حركاتهم فلا يراهم حيث نهاهم
ولا يفقدهم حيث امرهم وانه يطلع على قلوبهم فلا يجد فيها ربانية لغيره
ولا شوقا الا اليه ولا حبا الا فيه وله وانه تعالى يطلع على اسرارهم فلا يجد
فيها التفاتا لغيره ومنها سلامة الصدر لجميع الخلق والدعا للمسلمين
بظهر الغيب وحدة الفضل والرحمة والشفقة على عباد الله تعالى من ناطق
وغير ناطق وقيل كان ببخارا وال من اظلم الناس فركب يوما فراى كلبا اجرب وكان
ذلك اليوم فيه برد شديد فقال لبعض رجاله ارفع ذلك الكلب فرفعه الى داره

فتلطف

فتلطف به واحسن اليه فلما جاء الليل نودي في منامه يا فلان كنت كلبا
فوهبناك لكلب فهذه رحمة بكلب اثرت وحديث النبي صلى الله عليه وسلم
في اماطة الاذى عن الطريق من باب الرحمة بالسالكين عليه وورد ان رجلا
نحى غصن شوك عن الطريق فشكر الله فعله فغفر له ومن احوالهم لنشر
محاسن الخلق وستر مساويهم الا المبتدعين فيجب على كل مسلم ان يعرف الناس
بهم حتى يأخذوا احذرهم منهم وهو من باب الرحمة بالمسلمين فانهم اذى في
طريق الدين فيجب اماطته ومنها عدم الالتفات الى خلف وان التفت
التفت جميعا ونادى رجل الشبلي من خلفه فلم يرد وجهه ولم يجبه وقال
انهم لا يلتفتون الى الورى يجيبون من ناداهم من خلف القفا ومنها
العدل في جوارحهم وتصرفات اعضائهم وحالاتهم مع الخلق ومع
اهليهم ومن هذا الباب ازالة النبي صلى الله عليه وسلم نعله من رجله
حين انقطع شراك نعله الاخرى فسوى بين قدميه في الحفا ومنها انهم
لا يفعلون شيئا من ماكلهم ومشربهم ومركبهم ومنكحهم ومضجعهم
الا عن ضرورة ومن فعل شيئا من هذه الافعال الا عن ضرورة فقد فعل مباحا
وفعل المباح ليس من شانهم ومن اوصافهم الاخذ بالاحوط والاهم فالاهم
والخروج من الخلاف الى الاجماع وايثار الفقراء على الاغنياء وتقديم ابناء
الاخرة على ابناء الدنيا فهذه بعض اوصافهم نفع الله بهم ومحصل حال
الفقيه ان يكون ذا دين قال الشاعر

ان الفقيه هو الفقيه بدينه ... ليس الفقيه بنطقه ومقاله

ولا بد للعالم من التقى قال الشاعر

لو كان للعلم من التقى دون شرف ... لكان اشرف خلق الله ابليس

وسياتي بالملحق بهذا الفصل شي من اخبار الصالحين من محبي الله والعاشقين
العفيفين خوفا من الله تعالى الفصل السابع في معاريض الكلام كان
الفقيه قد عقد لذلك بابا بمفرده فاخترت ان اجعله هنا فصلا اذ هو من
مسايل الفقه قال الفقيه رحمه الله تعالى روي عن عمر رضي الله عنه انه قال
ان في معاريض الكلام لمندوحة من الكذب ومعاريض الكلام ان يتكلم الرجل
بكلمة يظهر من نفسه شيئا ومراده شي اخر اقول قال ابن خطيب الدهشة
الحموي في كتابه التقريب في علم الغريب المعاريض جمع معراض وهي التورية
بالشي عن الشي وهي كلام يشبه بعضه بعضا في المعاني نحو هل رايت فلانا
وقد راه فتقول ان فلانا ليرى ثم قال الفقيه وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما في قول الله عز وجل في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام
على لسان موسى قال لا تواخذني بما نسيت قال لم ينسى موسى لكنه من معاريض
الكلام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد سفرا ورى

واما ما يتعلق بالنجوم ومعرفة القبلة
فقد ذكرته في مختصر ان الباب الاول
وبالجملة والباب الخامس م

بعتيره يعني يظهر من نفسه انه يريد الخروج الى ناحية اخرى فكان يقول كيف الطريق الى موضع كذا وكذا ثم يخرج الى موضع آخر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استعينوا على قضاء حوايجكم بكتمان السر فان كل ذي نعمة محسود وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه كان اذا امر قومه بشيء فخالفوه في ذلك يرفع راسه الى السماء فيقول اللهم ما كذبت ولا كذبت فيظنوا انه سمع في ذلك شيئا من النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رخص الكذب في ثلاثة مواضع في اصلاح بين اثنين في الحرب وان يرضي الرجل زوجته انتهى بكماله اقول المعاريض كثيرة فمنها ما حكي عن عاصم الاحول عن الحسن ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد قتل حميما له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتاخذ الدية قال لا قال افتعفو قال لا قال اذهب فاقتله فلما جاوزه الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتله فهو مثله قال فلحق الرجل رجل فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا فتركه وهو يجر نسعة في عنقه والنسعة بكسر النون وسكون السين المهملة ما ضفر من الجلد كالحبل فاذا فتل فليس بنسعة قال ابن قتيبة لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مثله في المأثم واستيجاب النار ان قتله وكيف يريد هذا وقد اباح الله عز وجل قتله بالقصاص ولكن كره رسول الله صلى الله عليه وسلم له ان يقتص واحب له العفو عنه وكان مراده انه لا يقتل نفسا كما قتل الاول نفسا فهذا قاتل وهذا قاتل فقد استويا في قاتل وقاتل الا ان الاول ظالم والاخر مقتص ومنها ما روي عن عكرمة مولى ابن عباس ان عبد الله بن رواحة كان مضطجعا الى جنب امراته فخرج الى الحجرة فواقع جارية له فاستنبهت المراة فلم تره فخرجت فاذا هو على بطن الجارية فرجعت فاخذت شفرة فلقيها ومعها الشفرة فقال لها مهيم فقالت مهيم اما اني لو وجدتك حيث كنت لوجاتك بها قال واين كنت قالت على بطن الجارية قال ما كنت قالت بلى قال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يقرأ احدنا القرآن وهو جنب فقالت اقرأه فقال

اتانا رسول الله يتلو كتابه	كما لاح مشهور من الصبح ساطع
به موقنات ان ما قال واقع	يبيت يجافي جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالكافرين المضاجع	

اتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا

قالت آمنت بالله وكذبت بصري قال فغدوت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك حتى بدت نواجذه قوله مهيم معناه ما شانك وما حالك ووجاتك بها ضربتك بها كذا في الصحاح وقيل الوجئ القطع بالسكين ومنه اللغز المشهور وهو انى رايت عجبا في دياركم شيخا وجارية في بطن عصفور والمعنى رايت شيخا قطع بالسكين ربة في بطن عصفور ومعنى ابدا به صلى الله عليه وسلم نواجذه انه بالغ في الضحك لا انه ابداها حقيقة واما

مادوي

ما روي من انه انما كان يتبسم فقد حمله بعض شراح المصابيح على اكثر الاوقات وغالب الاحوال اقول وقد ذكرت ابيات عبد الله بن رواحه في التعريب غير الابيات التي تقدمت وهي

شهدت بان وعد الله حق	وان النار مثوى الكافرين
وان العرش فوق الماء طاف	وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملايكة شداد	ملايكة الاله مسومينا

ومنها ان عبد الملك قال لخالد بن يزيد وقد ابيضت عنفقته ما لك كانك عاض على صوفه فقال خالد انهن يلتمسني لا يكرهن ذلك يعرض ببخر عبد الملك وشيب عارضه ومنها دخل مطيع بن اياس على قوم وعندهم قينة فقالوا اسقوه ولم يكن اكل فاستحيا وشرب فلما اوجعه النبيذ قال لها تغنين

خليلي داويتما ظاهرا	فمن ذا يداوي جوى باطنا

فعلموا انه يعرض بالجوع فاطعموه ونظر الفرزدق الى ابن هبيرة وعليه ثياب تقعقع فقال تسبح اراد بذلك قول الشاعر

اذا لبست قيس ثيابا لزينة	تسبح من لوم الجلود ثيابها

ولما عزل اسمعيل بن حماد بن ابي حنيفة عن البصرة شيعوه فقالوا عففت عن اموالنا وعن دمائنا فقال وعن ابنائكم يعرض بيحيى بن اكثم في اللواط وكان جعفر بن يحيى يكني الفضل بن الربيع ابا روح وهي كنية الفرخ واهل المدينة يسمون اللقيط فرخا وكان الربيع لقيطا مجهول النسب مختلفا في نسبه فكان جعفر ياكل مع الرشيد يوما فوضعت بين ايديهم ثلاثة افراخ فقال الرشيد لجعفر يمازحه قاسمني هذه تستوي في اكلها قال قسمة عدل او قسمة جور فقال قسمة عدل فاخذ جعفر فرخين وترك فرخا واحدا فقال الرشيد اهذا العدل قال نعم معي فرخان ومعك فرخان قال فاين الاخر قال هذا واومى الى الفضل فتبسم الرشيد وقال يا فضل لو تمسكت بولاية لسقط هذا عنك ولم يفهم الفضل ما قال اقول كان الربيع يوالي عليا واهل بيته رضي الله عنهم وقال رجل لاخر مرحبا بابي المنذر فقال ليس هذه كنيتي قال نعم ولكنها كنية مسيلمة يعرض بانه كذاب وكان البراء بن قبيصة صاحب شراب فدخل الى الوليد بن عبد الملك وبوجهه اثر فقال ما هذا فقال فرس لي ركبته فكبا بي فقال لو ركبت الاشهب لما كبا بك يريد الماء وفي كتاب الاذكياء لابن الجوزي ان رجلا من اصحاب ابي حنيفة رحمه الله تعالى اراد ان يتزوج فقال اهل المراة نمشي بك الى ابي حنيفة فنساله عنك فاخبر الرجل ابا حنيفة بذلك فقال اذا دخلت على فضع يدك على ذكرك ففعل ذلك فلما سالوه عنه قال قد رايت في يده ما قيمته عشرة الاف درهم واراد بالرؤية العلم الا ابصار لانه لم يبصر عورته وسياتي بالملحق بهذا الباب مسايل شريفة وفوايد لطيفة والغاز طريفة من كل علم من العلوم المتداولة على ما ستراه ان شاء الله تعالى

الباب العشرون في اختلاف العلماء في المسايل والاجتهاد فيها قال

الفقيه رحمه الله تعالى تكلم الناس في مسئلة اختلف العلماء فيها على قولين
قال بعضهم كلاهما صواب وقال بعضهم احدهما صواب والآخر خطأ الا انه
رفع عنه الاثم وهذا القول اصح فاما حجة الطايفة الاولى فما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه امر بقطع نخيل بني النضير فكان ابو ليلى المازني
يقطع العجوة وكان عبد الله بن سلام يقطع اللين فقيل لابي ليلى لم تقطع
العجوة قال لان فيه كبتا للعدو وقيل لعبد الله بن سلام لم تقطع اللين
فقال لاني اريد ان النخيل تصير للنبي صلى الله عليه وسلم فاريد ان تبقى
له العجوة فنزل قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها
فباذن الله وقد رضي بما فعل الفريقان جميعا واما حجة الآخرين فما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعمرو بن العاص اقض بين هاذين
فقال اقضي وانت حاضر فقال نعم قال على ما اقضي قال على انك ان اصبت
فلك عشر حسنات وان اخطأت فلك اجر واحد فقد بين النبي صلى الله عليه
وسلم ان المجتهد في اجتهاده قد يخطي وقد يصيب ولان الله تعالى قال
وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى قوله تعالى ففهمناها سليمان
فمدح سليمان بفهمه انه ادرك ما لم يدرك به داود عليهما السلام ولو
كان كلا الحكمين سواء لكان سليمان لا يستوجب المدح بفهمه اذا كانت
احد القولين خطأ فقد دفع الاثم عنه لانه كان ماذونا له بالاجتهاد وروي
موسى الجهني عن طلحة بن مطرف انه كان اذا ذكر عنده الاختلاف قال لا تقولوا
الاختلاف ولكن قولوا السعة وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه
قال ما احب ان لي باختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم
يعني ان اختلافهم احب الي من حمر النعم لانهم لو لم يختلفوا لم يكن لاحد من
بعدهم الاختلاف واذا لم يجز الاختلاف لضاق الامر على الناس وروي عن
القاسم بن محمد انه قال اختلاف الصحابة رحمة للمسلمين انتهى بكماله اقول في
الصحاح اللون الدقل وهو ضرب من النخل قال الاخفش هو جماعة واحدتها
لينة كذا في الصحاح ولعلها لونة بكسر اللام وسكون الواو ليصح التعليل
بعدها ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت الواو ياء ومنه قوله تعالى ما قطعتم
من لينة وتمرها سمين والعجوة نواتها كبيرة والجمع لين انتهى قال الشهاب
السمين رحمه الله تعالى واللون ايضا النخل كله ما عدا البرني والعجوة يسميه
اهل المدينة الالوان وقيل اللون نوع منه وهو الدقل ومنه قول عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه فيما كتب به الى عماله يوخذ في البرني من البرني وفي اللون من اللون
واما الآية المذكورة في شان داود وسليمان عليهما السلام والكلام عليها فقد
قال تاج القراء الحرث الزرع وقيل الكرم تدلت عناقيده والنفش بالتحريك

الرعي

بالتحريك الرعي بالليل بلا راع كالهمل بالتحريك الرعي نهارا وليلا بلا راع والضمير في
لحكمهم راجع اليهما وجمع كما جمع في قوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس
وقيل اليهما والى الخصمين وقيل غير ذلك والقصة ان المفسرين اجتمعوا على ان
داود قضى بالغنم لصاحب الحرث وقيمة الغنم كانت مثل قيمة الحرث واذا
سليمان قال غير هذا ارفق بالفريقين تدفع الغنم الى صاحب الحرث لينتفع
بنسلها ودرها وشعرها ويدفع الحرث الى صاحب الغنم ليقوم بعمارته حتى
اذا عاد من القابل الى مثل حاله رد كل واحد الى صاحبه ما كان له ثم اختلف اذا كان
المفسرون في ذلك فقال بعضهم ان داود افتى في الاول ولما سمع من سليمان
حكم به وقال بعضهم كان ذلك بالاجتهاد دون الراي وللانبياء الاجتهاد كغيرهم
ليدركوا فضل الاجتهاد ايضا وكان حكم سليمان اشبه بالصواب فرجع داود
الى حكمه وكل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبما قال عليه الصلاة والسلام
اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله اجر
وقال بعضهم لا يجوز للانبياء الاجتهاد لان الاجتهاد عند عدم النص وهم
لا يعدمون النص وقالوا عمل داود بنص ثم نسخ ذلك بنص نزل على سليمان
عليهما السلام وقوله تعالى ففهمناها سليمان اي سليمان وداود بدليل
وكلا اتينا حكما وعلما وليس في الآية ما يدل على رد قول داود وخص سليمان
بالذكر تشريفا له ولابيه كونه ولي ابنه الحكم صبيا وكان له يومئذ احدى عشرة سنة
انتهى ملخصا

الباب الحادي والعشرون في صلاة الرجل في رحله عند

المطر قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا كان الرجل منزله بعيدا من المسجد فخاف
على نفسه عند المطر الخروج الى المسجد او يخاف على ثيابه الفساد فلا باس بان
يصلي في بيته وقد جاء في ذلك رخصة وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا ابتلت النعال فصلوا في الرحال وانما رخص لهم في ذلك لان
نعالهم كانت عربية فلو خرجوا في المطر لفسدت نعالهم وكان في ثيابهم قلة
وربما يوذيهم البرد فرخص لهم الصلوة في البيوت وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان موذنه كان يوذن في يوم مطر فقال له قل في اذانك الصلاة في الرحال
ففعل فجعل الناس ينظرون اليه فقال هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم
وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
وجد شدة البرد في سفره صلى في رحله وامر المؤذنين بان يؤذنوا بالصلاة
فيقولون في آخر اذانهم صلوا في الرحال في ليلة المطر وليلة ذات الريح انتهى
بكماله اقول الرحل معاد والمراد منه هنا مسكن الرجل ومنزله في حضره وسفره
وقد اطلق الفقيه الصلاة في الرحال عند المطر لاطلاق حديث اذا ابتلت النعال
وحديث ابن عباس المذكورين سواء كان المطر في الحضر او في السفر او في الليل
او في النهار لان حديث ابن عباس صريح في النهار لانه امر المؤذن في يوم مطر ان يقول

فی اذانه الصلاة فی الرحال فباللیل بالطریق الاولی انه علیه الصلاة والسلام
کان یامر بالندآء بالصلاة وفی حدیث بن عمران سبب الصلاة فی الرحال شدة
البرد فی السفر وبآخره انه علیه الصلاة والسلام انه کان یامر بالندا بالصلاة
فی الرحال فی لیلة المطر ولیلة ذات الریح وهذا یدل علی ان الصلاة فی الرحال
انما یکون بسبب الریح اذا کان فی لیلة مظلمة لاطفآء الریح الضوء فیها وحصول
الظلمة الشدیدة وعلی هذا لو لم یشق علی المصلی اتخاذ ما یمنع الریح من اطفآء
الضوء کالفانوس والفنیار فلا ینقطع عن الجماعة وقال الزیلعی فی شرح الکنز
فی باب الامامة بعد ان ذکر ان الجماعة سنة موکدة تشبه الواجب فی القوة
وانها تسقط بالاعذار حتی لا تجب علی المریض والمقعد والزمن ومقطوع
الید والرجل من خلاف ومقطوع الرجلین والمفلوج الذی لا یستطیع المشی
والشیخ الکبیر العاجز والاعمی عند ابی حنیفة وان ابا یوسف قال سالت
ابا حنیفة عن الجماعة فی طین وردغه فقال لا احب ترکها والصحیح ان الجماعة
تسقط بالمطر والطین والبرد الشدید والظلمة الشدیدة انتهی وفی بعض
نسخ شرح الکنز ومقطوع الرجل وقول ابی حنیفة فی طین وردغه ای صنآ
الطین الثوب قال فی الصحاح یقال به ردغ من زعفران او دم ای لطخ واثر ^خ^ یوسف
وردعته بالشیء فارتدع ای لطخته به فتلطخ انتهی الباب الثانی والعشرون
فی تشمیت العاطس قال الفقیه رحمه الله تعالی وروی انس بن مالک رضی
الله عنه انه عطس رجلان عند النبی صلی الله علیه وسلم فشمت احدهما
ولم یشمت الآخر فقیل یا رسول الله شمت هذا ولم تشمت الآخر فقال ان هذا
حمد الله تعالی وهذا لم یحمد الله تعالی قال الفقیه یستحب للعاطس ان یخفض
صوته بالعطاس ویرفع صوته بالحمد لیسمع الناس لان التشمیت انما یجب علیهم
بعد ما حمد الله وروی عن ابن عمر رضی الله عنه انه سمع رجلا عطس فقال
له ابن عمر یرحمك الله ان کنت حمدت الله تعالی وروی مالك عن عبد الله بن
بکر بن عمرو بن حزم عن ابیه عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال اذا عطس الرجل
فشمته ثم ان عطس ثانیا فشمته ثم ان عطس فشمته فقل له انك مضنود یعنی
مزکوم قال عبد الله لا ادری بعد الثالث او الرابعة الصحیح ان راوی هذا الحدیث
هو عبد الله بن ابی بکر بن محمد بن عمرو بن حبیب وفی الکمال حکاه حبیب بن حزم
عن ابیه ثم قال الفقیه قال ابو هریرة رضی الله عنه شمت العاطس ثلاثا فان
زاد فهو مزکوم وقال الشعبی رضی الله عنه تشمیت العاطس مرة کالسجود یسجدها
فان عاد لم یسجدها ویاتی الکلام علیه وروی عن النبی صلی الله علیه وسلم
صلی الله علیه وسلم انه اذا کان اذا عطس نکس راسه وخمر وجهه وخفض
صوته واذا عطس رجل فحمده غیره فهو حسن یعنی سبقه غیره بالتحمید والاحسن
ان یحمد العاطس وروی عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال من سبق العاطس

بالحمد لله

بالحمد لله امن من الشوص واللوص والعلوص وقال الفقیه فی باب الدعوات عن
بعض الصحابة انه قال من قال کلما عطس الحمد لله رب العالمین وفی نسخة علی
کل حال امن من وجع السن وقال علیه الصلاة والسلام اذا عطس العاطس
شاهد عدل وقال علیه الصلاة والسلام اذا عطس العاطس عند الحدیث
فان فیه تصدیقا وتحقیقا وفی بعض الاخبار عن النبی صلی الله علیه وسلم
انه قال من عطس ثلاث عطسات متوالیات فقد استقر الایمان فی قلبه انتهی کلامه
اقول فی الصحاح عطس بالفتح یعطس بالکسر وبالضم والتشمیت بالمعجم وبالمهملة
لغة وباخره تاء مثناة فوقیه وهو الدعا بالخیر وذکر الله تعالی وتشمیت العاطس
ان تقول له یرحمك قال ثعلب الاختیار فی التشمیت بالمهملة وقال ابو عبید بالمعجم
اعلی فی کلام اکثرهم واعنی التشمیت من الحقوق التی للمومن علی المومن روی فی
المصابیح عنه صلی الله علیه وسلم انه قال للمومن علی المومن ست خصال
یعوده اذا مرض ویشهده اذا مات ویجیبه اذا دعاه ویسلم علیه اذا لقیه
ویشمته اذا عطس وینصح له اذا غاب او شهد ای واذا حضر ویاتی بالباب
الذی بعد هذا حدیث نظیر هذا حدیث نظیر هذا بغیر هذا اللفظ والزکام
بالضم الزکام واما ما ذکره الشعبی فمعناه التشمیت یکون مرة واحدة اذا تکرر العطاس
فی مجلس واحد کما لو کرر القاری آیة السجدة فی مجلس واحد فانه تکفیه سجدة
واحدة لان السجود علی التداخل ما امکن وامکانه عند اتحاد المجلس والقاری
محتاج الی التکرار للحفظ والتعلیم والاعتبار اسقط الاختصار کذا ذکره
الزیلعی قال ومعناه ان تجعل التلاوة کلها کتلاوة واحدة تکون الواحدة منها
سببا والباقی تبع لها وهو الالیق بالعبادات دون الحدود انتهی ونکس من باب
نصر ینصر ای طاطا راسه وخمر بالتشدید ای غطا وجهه وخفض صوته وخفض
الصوت غضه کما ان غضه خفضه والانخفاض الانحطاط وفی المغرب الشوص
وجع الضرس واللوص وجع الاذن والعلوص اللوی وهو التخمة انتهی وفی الصحاح
وهو وجع فی الجوف تقول منه لوی بالکسر واول من عطس ادم وحمد الله تعالی
بعد وشمته الله تعالی لادم علیه السلام وذلك ما رواه الحافظ ابو الفرج
ابن الجوزی من المجلس الاول من الطبقة الاولی من کتابه تبصرة المبتدی وتذکرة
المنتهی عن انس رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال لما نفخ فی
ادم الروح فارت فطارت فصارت فی راسه عطس فقال الحمد لله فقال الله
تعالی یرحمك ربك وقال الکسائی لما وصلت الروح الی لسانه قال الحمد لله الذی
لم یزل فهی اول کلمة قالها فناداه الرب یرحمك الله ربك یا ادم لهذا خلقتك وهذا
لك ولذریتك ولمن قال مثل مقالتك قال ابن عباس ما من شیء اشد علی ابلیس من
تشمیت العاطس انتهی وقد تقدمت قصة بن الرحمن او ابن المرتعش فی الباب السابع
عند ذکر الخضر علیه السلام حیث عطس فشمته الخضر فرحمه الله بذلك واما ما یقول

العاطس وما يشمت به وما يرده على المشمت ففي شرح الاثار للطحاوي في حديث
سالم بن عبيد انه عطس رجل من القوم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام
عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك وعلى امك اذا عطس احدكم فليقل عليه
الحمد لله رب العالمين او على كل حال وليردوا عليك يرحمك الله وليرد عليهم
يغفر الله لكم قال ابو جعفر فذهب قوم الى هذا فقالوا هكذا ينبغي ان يقول
العاطس ويقال له على ما في هذا الحديث هكذي مذهب ابي حنيفة وابي يوسف
ومحمد وخالفهم في ذلك اخرون فقالوا بل يقول العاطس بعد ان يشمت
يهديكم الله ويصلح بالكم واحتجوا بما روي عن جعفر بن ابي طالب انه كان يقول
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس حمد الله فيقال له يرحمك الله
فيقول لهم يهديكم الله ويصلح بالكم في التعليم وبحديث روي عن عايشة رضي
الله عنها بالمعنى فرد ذلك من تمسك بحديث سالم بان قوله صلى الله عليه وسلم
لمن شمته يهديكم الله ويصلح بالكم انما هو لان من كان بحضرته حينئذ كانوا
يهودا واحتج بما روي عن ابي موسى قال كانت يهود يتعاطسون عند النبي
صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول يرحمك الله فكان يقول يهديكم الله ويصلح
بالكم ثم ذكر خلافا ثم روي عن ايوب الانصاري انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله وليقل اخوه او صاحبه يرحمكم الله
وليقل يهديكم الله ويصلح بالكم وصحح هذا ايضا **الباب الثالث والعشرون**
في التسليم وفيه فصلان هذا الباب يشتمل على ثلاثة ابواب من كتاب البستان
وكل فصل من الفصلين مشتمل على باب منه فاول الابواب الثلاثة قول الفقيه
رحمه الله تعالى تحية المسلمين فيما بينهم التسليم وهو تحية اهل الجنة **اقول**
ورد في قصص الانبياء الكسائي ان ادم عليه السلام لما قام خطيبا في الملائكة
وسلم على الملائكة فاجابته الملائكة وعليك السلام ورحمة الله وبركاته واتى
النداء يا ادم لهذا خلقتك وهذا السلام تحية لك ولولدك الى يوم القيامة **ثم**
قال الفقيه وينبغي للمسلم ان يفشي السلام على جميع المسلمين فان ذلك من اخلاق
المرسلين وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال له اذا خرجت من منزلك فلا يقعن بصرك على احد من اهل القبلة الا سلمت
عليه حتى تدخل حلاوة الايمان في قلبك واذا دخلت بيتك فسلم على اهلك
تكثر بركتك وبركة بيتك وذكر عن بعض الصالحين ان رجلا من اصدقائه
استقبله فقال له كيف اصبحت فقال له الرجل الصالح يا هذا ويحك ما هذا
فهلا قلت السلام عليكم تكون لك عشر حسنات فاذا رد عليك فتكون لي عشر
حسنات فاذا اجتمع عشرون حسنة يرجى عند ذلك نزول الرحمة وسئل بعض
الصالحين على قول الرجل لصاحبه اطال الله بقاك فقال هذه تحية الدهرية
وتحية المسلم السلام عليكم وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه كان يخرج الى

السوق فقيل له ايش تصنع انت في السوق لا تبيع ولا تشتري فقال انما خرجت
لاجل السلام فكان لا يمر على احد الا سلم عليه وقال لقمان رحمه الله تعالى
لابنه يا بني اذا اتيت نادي قوم فارمهم بسهم السلام يعني سلم عليهم ثم
اجلس ولا تنطق معهم ما لم تر هم قد نطقوا فان افاضوا في خير فادخل معهم
وان افاضوا في غير ذلك فتحول عنهم الى غيرهم والثاني من ابواب البستان
في رد السلام قول الفقيه واذا مررت بقوم فسلم عليهم فاذا سلمت عليهم
وجب عليهم رد السلام ثم اختلفوا في الافضل قال بعضهم اجر الراد افضل
لان الرد فريضة والتسليم سنة فاجر الفرض اكثر من السنة وانما قيل بان
الرد فريضة لان الله تعالى قال في اواسط النساء واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها او ردوها فامر الله تعالى برد السلام والامر من الباري فريضة
اقول افضلية السلام عاد وهو سنة على الرد وهو فرض بما ذكره الفقيه
ولقوله عليه الصلاة والسلام خيرهما من بدا بالسلام وقد نظم الجلال السيوطي
رحمه الله تعالى ذلك وفضيلة التطهر قبل الوقت وابراء المعسر في بيتين هما

العرض افضل من تطوع عابد ... حتى ولو قد جاء منه باكثر
الا التطهر قبل وقت وابتداء ... للسلام كذاك ابراء المعسر

هنا بمعنى حقا ثم قال الفقيه وقال بعضهم اجر المسلم اكثر لانه سابق والسابق
له فضل السبق وروي الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث قال اذا
سلم الرجل على القوم كان له فضل ودرجة فان لم يردوا عليه الملائكة ولعنتهم
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ادلكم على امر اذا فعلتموه تحابستم
افشوا السلام بينكم **اقول** ورد هذا الحديث في المصابيح بلفظ لا تدخلون
الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا اولا ادلكم على شيء اذا فعلتموه
تحاببتم افشوا السلام بينكم **ثم قال الفقيه** قال عطاء يسلم الماشي على القاعد
والصغير على الكبير والراكب على الماشي ويسلم الذي يأتيك من خلفك واذا
التقى الرجلان ابتدرا بالسلام وقال الحسن في قوم يستقبلون قوما يبدا
الاقل بالاكثر وروي زيد بن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يسلم
الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير قال الفقيه اذا دخل
جماعة على قوم فان تركوا السلام فكلهم اثمون في ذلك وان سلم واحد منهم جاز
عنهم جميعا وان سلموا كلهم فهو افضل فان تركوا الجواب فكلهم اثمون وان رد
واحد منهم اجزا عنهم فان اجابوا كلهم فهو افضل وقال بعضهم يجب الرد
عليهم جميعا وهذا القول يروى عن ابي يوسف قال لان الرد فريضة وقد وجب
الفرض عليهم جميعا وقال بعضهم يجوز اذا رد واحد وبه ناخذ وروى
الاعمش عن زيد بن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مر قوم بقوم
فسلم واحد اجزا عنهم وينبغي للمجيب اذا رد السلام ان يسمع جوابه لانه اذا رد

بجواب لم يسمع المسلم لم يكن ذلك جوابا الا ترى ان المسلم اذا سلم بسلام لم يسمع منه لم يكن ذلك سلاما كذلك اذا اجاب بجواب لم يسمع منه فليس بجواب وروى معاوية بن قرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمتم فاسمعوا واذا قعدتم فاقعدوا بالامانة ولا يرفعن بعضكم صوته على بعض وينبغي للرجل اذا سلم على واحد ان يسلم بلفظ الجماعة وكذلك في الجواب فان المسلم لا يكون وحده وقد روى الاعمش عن ابرهيم النخعي انه قال اذا سلمت على الواحد فقل السلام عليكم فان الملائكة معه وروى ابن مسعود الانصاري ان امراة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال هذا التسليم على الموتى ولكن قولي السلام عليكم قال الفقيه الافضل ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكذلك المجيب فان اجره اكثر ولا ينبغي ان يزيد على البركات شيئا وروى ابو امامة عن سهل بن حنيف عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال السلام عليكم كتبت له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتبت له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتبت له ثلثون حسنة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لكل شي منتهى وان منتهى السلام البركات وروى عن ابن عباس انه سمع رجلا يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فقال ابن عباس انتهوا حيث انتهت الملائكة من اهل بيت الصالحين رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت وقد ينبغي لمن دخل على قوم وسلم عليهم وجلس عندهم انه اذا قام من عندهم يسلم عليهم فانه ورد في المصابيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرى يعني ليست الاولى باحق من التسليمة الاخرى بل كلتاهما حق وسنة والثالث من ابواب البستان في التسليم على الصبيان قال الفقيه اختلف الناس في التسليم على الصبيان قال بعضهم لا ينبغي ان يسلم عليهم وقال بعضهم التسليم عليهم افضل من تركه وبه ناخذ اما من قال لا يسلم عليهم قال ذلك لان الرد فريضة والصبي لا يلزمه الرد وروى الاشعث عن الحسن انه كان لا يرى التسليم على الصبيان وكان يمر عليهم فلا يسلم عليهم وروى عن ابن سيرين انه كان يسلم على الصبيان ولكن لم يسمعهم واما من قال انه يسلم عليهم وروى عن انس بن مالك رضي الله عنه وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنت مع الصبيان اذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم فسلم علينا ثم دعاني فبعثني في حاجة وعن عنبسة بن عمار قال كان ابن عمر يمر علينا ونحن غلمان في الكتاب فيسلم علينا وعن الحكم كان شريح يسلم على كل صغير وكبير اقول قد تقدم في الباب الذي قبل هذا في تشميت العاطس حديث ورد في المصابيح ان للمومن على المومن ست خصال وعد منها ان يسلم المومن

على المومن اذا لقيه وورد حديث في المصابيح من الحسان بلفظ انه صلى الله عليه وسلم قال للمسلم على المسلم ست خصال بالمعروف يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويتبع جنازته اذا مات ويحب له ما يحب لنفسه انتهى ومعنى قوله اوله بالمعروف اي بالمعلوم من الشرع اقول وقال تاج القراء معنى السلام عليكم حفظكم الله وسلمكم من الآفات وقيل في حفظ الله وامانه وقيل السلام من اسماء الله والمعنى الله حفيظ عليكم والسلام مع البشر يطفيان نار المعانده ويسكنان هيجان المباغضة وفيهما منجى من الساعي وتحصين من الباغي وفي العرايس عن وهب انه لما فشا السلام في قوم الا امنوا العذاب وكان ابن عباس يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على شي ان فعلتموه دخلتم الجنة قالوا بلى قال اطعموا الطعام وافشوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وقال ابن عباس وان ابليس يبكي من سلام المومن على اخيه المومن ويقول يا ويلاه لم يفترقا حتى غفر الله لهما انتهى وحكي ان سليمان بن طراد كان من كبار الشطار فخرج مرة في اصحابه يريد بعض دور الصيارفة فلما اتوها راوا صاحبها قد مات تلك الليلة وارتفع الصراخ فرجعوا وقال له اصحابه اين تذهب وليس عندنا ما ننفقه غدا دعنا نقف على مفارق الطرق فلعل رجلا يمر فنصيب منه ما ننفقه اليوم فقال على ان لا تبسطوا اليه ايديكم فبينا هم كذلك اذ اقبل شاب ذو هيبة فلما كان بحذايهم سلم عليهم فرد عليه رجل منهم السلام فقام اليه بعضهم فقال سليمان ما تريدون قالوا ناخذ ثيابه ونحله معه كيسه قال وكيف لكم ذلك وقد رد فلان عليه السلام ووالله ما دعاه الى التسليم الا رجاء السلامة منكم قالوا فندعه قال اخاف عليه غيركم فمضى معه ثلثة من اصحابه حتى اوصلوه الى منزله فاعطاهم الثياب وملا الحجرين اتوه بذلك قال هذا اقبح من ذلك تاخذون على قضاء الذمام والوفاء بالعهد اجرة والله لا ابرح عن مكاني حتى تردوا عليه ما اخذتموه منه قالوا ان منزله بعيد وان عدنا فضحنا الصبح قال لان نفتضح بالصبح خير من ان نفتضح باللوم وهو الآمة فما برح حتى ردوا عليه ما اعطاهم فكان السلام حصنا له منهم ودفعا لشرهم قال الشافعي رضي الله عنه

اني احيي عدوي عند رويته … لادفع الشر عني بالتحيات

وينبغي للرجل اذا دخل على كبير وعنده من هو دونه ان يسلم على الكبير دون الصغير فقد دخل ابو مسلم الخراساني على الخليفة ابي العباس السفاح وعنده ولده ابو جعفر المنصور فسلم ابو مسلم على ابي العباس فقال له يا ابا مسلم هذا ابو جعفر فقال يا امير المومنين هذا موضع لا يقضى فيه الا حقك

والسلام يكره في احدى وعشرين موضعا نظمها الشيخ صدر الدين بن العز الحنفي رحمه الله تعالى فقال

سلامك مكروه على من ستسمع … ومن بعد ما ابدي يسن ويشرع
مصل وتال ذاكر ومحدث … خطيب ومن يصغي اليه ويسمع
مكرر فقه جالس لقضائه … ومن بحثوا في العلم دعهم لينفعوا
موذن ايضا او مقيم مدرس … كذا الاجنبيات الفتيات امنع
ولعاب شطرنج وشبه بخلقهم … ومن هو مع اهل له متمتع
ودع كافرا ايضا ومكشوف عورة … ومن هو في حال التغوط اشنع
ودع آكلا الا اذا كنت جائعا … وتعلم منه انه ليس يمنع

وقال بعض شيخ مشايخي بالاجازة ولي الله شيخ الاسلام شهاب الدين ابن رسلان المقدسي الشافعي تغمده الله بالرحمة والرضوان في الاماكن التي لا يجب فيها رد السلام ما لفظه

رد السلام واجب الا على … من في صلاة او باكل شغلا
او شرب او قرآءة او ادعيه … او في ذكر او في خطبة او تلبيه
او في قضاء حاجة الانسان … او في اقامة او الاذان
او سلم الطفل او السكران … او شابة يخشى بها افتتان
او فاسق او ناعس او نائم … او حالة الجماع او تحاكم
او كان في الحمام او مجنونا … فهي اثنتان بعدها عشرونا

قال قاضي القضاة شيخ الاسلام جلال الدين بن النصيبي الشافعي الحلبي تغمده الله بالرحمة والرضوان ومن خطه نقلت المذكور في الابيات المذكورات احد وعشرون مكانا الا ان يكون قرارا ديقوله او قرآءة نوعين تلاوة القرآن وقرآءة العلم المطلوب شرعا انتهى واعلم ان التسليم من التواضع في مختصر كتاب اداب السياسة انه حلية الشريف والتودد حلية الظريف والتواضع وسر من اسرار الله تعالى المخزونة عنده لا يهبها على الكمال الا لنبي او ولي وقد مدح الله اولياءه بالتواضع فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا يعني متواضعين وامر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتواضع فقال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين ومن تواضع لله رفعه الله وقيل للاحنف ما الانسانية قال التواضع في الدولة والعفو عند القدرة والعطاء بغير منه وقال ابن السماك افضل الناس من تواضع عن قدره وانصف عن قوة ولابي العتاهية في ذلك

يا من تشرف بالدنيا وزينتها … ليس التشرف رفع الطين بالطين
اذا اردت شريف الناس كلهم … فانظر الى ملك في زي مسكين
ذاك الذي عظمت في الناس نعمته … وذاك يصلح للدنيا وللدين

وقال اخر فتى زاده عز المهابة ذلة … وكل عزيز عنده متواضع

ولنرجع الى ذكر الفصلين فنقول الفصل الاول في التسليم على اهل الذمة قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس في التسليم على اهل الذمة قال بعضهم لا باس به وقال بعضهم لا ينبغي ان يسلم عليهم فاذا اسلموا ينبغي ان يرد عليهم الجواب وبه ناخذ اما من قال لا باس به فاحتج بما روي عن ابي امامة الباهلي انه كان لا يمر باحد يهودي او نصراني الا سلم عليه وقال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بافشاء السلام على كل مسلم ومعاهد وقال علقمة اقبلت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من السالحين بالسين والحاء المهملتين اسم موضع فصحبه دهاقين السالحين فلما دخلوا الكوفة اخذوا في طريق آخر فسلم عليهم فقلت لما تسلم على هولاء الكفار فقال نعم انهم صحبونا وفي الصحبة حق اقول الدهاقين جمع الدهقان بكسر اوله وهو عند العرب الكبير من كبار العجم وقد غلب على اهل الرساتيق منهم ثم قيل لكل من له عقار كثير دهقان واشتق منه الدهقنة وتدهقن ويقال للمرأة دهقانة كذا في المغرب والدهقان يومئذ يراد به مدعي المعرفة في الامور وكثرة التعقل والكلام في ذلك ثم قال الفقيه واما من قال بانه لا يسلم عليهم فقد ذهب الى ما روى عن سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تبدوا اليهود والنصارى بالتسليم واذا لقيتم في الطريق فاضطروهم الى اضيقها وقال علي بن ابي طالب لا تسلموا على اليهود والنصارى والمجوس وروى عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اليهود اذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم وقال نهينا ان نزيد على وعليكم يعني على اهل الكتاب قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا مررت بقوم فيهم مسلمون وكفار فانت بالخيار ان شئت قلت السلام عليكم وتريد به المسلمين خاصة وان شئت قلت السلام على من اتبع الهدى وقال مجاهد اذا كتبت الى اليهودي والنصراني في الحاجة فاكتب السلام على من اتبع الهدى انتهى بكماله اقول روى في مرآة الزمان عن طاوس بن كيسان اليماني من الطبقة الثانية من التابعين من اهل اليمن صاحب المناقب الحسنة انه قال اذا سلم عليكم الذمي فقل علاك السلام يعني بكسر السين وهي الحجارة قال الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى في نظم مثلثة قطرب

بدا وحيا بالسلام … رمى عدوي بالسلام … اشار نحوي بالسلام من كفه المختضب

فالسلام الاول بفتح السين التحية والثاني بالكسر ومد الحجارة الواحدة سلمة بفتح السين وكسر اللام قاله في المغرب والثالث بالضم عروق ظاهر الكف وقيل الاصابع وهي المراد في البيت وابتداء اليهود والنصارى بالسلام تعظيم لهم وقد امرنا باضطرارهم الى اضيق الطريق اهانة لهم وكانت

لابن سيرين رضي الله عنه منازل لا يسكنها الا اهل الذمة فقيل له في ذلك فقال
اذا جاء راس الشهر رعبت لساكن وكرهت ان اروع مسلما الفصل الثاني في
التسليم عند دخول البيت قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا دخلت بيتك فسلم
على اهل بيتك وان لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
لان الله تعالى قال في سورة النور فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فالآية
تقتضي الامرين جميعا وهو السلام على اهلك اذا كان فيه احد وعلى نفسك
اذا لم يكن فيه احد وروي عن شعبة بن قتادة قال اذا دخلت بيتك فسلم على
اهلك فهم احق من سلمت عليهم واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فانه كان يؤمر بذلك قال وذكر لنا ان الملائكة
ترد عليه وعن عطاء قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول اذا قال الرجل
ادخل فقل لا حتى تجي بالمفتاح فقلت المفتاح السلام عليكم قال نعم اقول وفي
المصابيح ان بعض الصحابة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم
ولم يستاذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أادخل
وقال صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك اذن وفي
رواية انه قال رسول الرجل الى الرجل اذنه وكان صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب
قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر فيقول
السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن يومئذ عليها ستور انتهى
ثم قال الفقيه وروى المغيرة عن ابراهيم قال اذا دخل الرجل بيته فسلم قال
الشيطان لا مقيل فيه فلم يبق له موضع قرار فاذا اتى بطعام فسمى قال الشيطان
لا مقيل ولا مطعم واذا اتى بشراب فسمى قال الشيطان لا مقيل ولا مطعم ولا مشرب
فيخرج الشيطان هاربا انتهى بكماله اقول وفي نسخة مكان هاربا خائبا وفي
نسخة منقلبا خاسرا وقال الفقيه في باب مداراة الناس ويستحب للرجل
اذا دخل منزله ان يسلم على اهله ولا يتكلم حتى يتمكن في الجلوس واذا تكلم تكلم
بالرفق والتودد لان النبي صلى الله عليه وسلم قال خياركم خيركم لاهله وقال تعالى
وعاشروهن بالمعروف وقال البيضاوي رحمه الله تعالى في قوله تعالى في سورة
النور فاذا دخلتم بيوتا اي من البيوت المتقدمة يعني على هذه الآية وهي قوله
تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم
ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم
ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا يعني اذا دخلتم بيتا منها فسلموا
على انفسكم اي على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة
بامره مشروعة من لدنه مباركة لانها يرجى بها الخير والثواب طيبة تطيب بها
نفس المستمع وعن انس انه عليه الصلاة والسلام قال اذا لقيت احدا من امتي

بالمفتاح

تسلم

تسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة
الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين انتهى وقال تاج القراء في الآية المذكورة يعني
فسلموا على انفسكم اي على من في البيوت المذكورة من المؤمنين والمؤمنون كلهم كنفس
واحدة وقيل على اخوانكم واقربائكم لانهم بمنزلة نفس واحدة وقيل اذا دخلتم
بيوتا خالية فقولوا السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين وقيل
اذا دخلتم بيوت الكفار فسلموا على انفسكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا
دخلتم المساجد فسلموا على من فيها وقيل اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اولادكم
وعيالكم واهليكم ومن في بيتكم وقال في قوله تعالى قبل هذا يا ايها الذين آمنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها اي بيوتا لستم
تملكونها ولا تسكنونها وسبب النزول انه جاءت امراة من الانصار فقالت
يا رسول الله اني اكون في بيتي على حال لا احب ان يراني عليها احد والد ولا ولد
فياتي الاب فيدخل علي وانه لا يزال يدخل علي رجل من اهلي وانا على تلك الحال
فكيف اصنع فنزلت هذه الآية ولما نزلت قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
يا رسول الله ارايت الخانات في طرق الشام ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى
ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة وفي قوله تعالى حتى تستانسوا
اقوال قال ابن عباس رضي الله عنه معناه حتى تستاذنوا وروي عنه انه
كان يقرا حتى تستاذنوا وكذلك عن ابي بن كعب والاستيناس بمعنى العلم
من قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا اي علمتم اي حتى تعلموا اهل البيت انكم
فتوذنونه انا داخلون وقيل بمعنى الابصار من قوله تعالى آنست نارا اي حتى
تبصروا وقال الزجاج معناه في اللغة تستاذنوا والاستيذان استعلام
حتى تستاذنوا ويقويه قوله تعالى حتى يوذن لكم وعن مجاهد التنحنح والتحمد
والتسبيح والتكبير يوذن اهل البيت وحكم الآية انه لا تدخلوا بيت الغير الا
بعد الاستيذان والسلام واختلفوا انه يقدم الاستيذان ام السلام روي
عن ابن عباس ان في الآية تقديما وتاخيرا تقديره حتى تسلموا وتستاذنوا اي
حتى تقولوا السلام عليكم اهل البيت اادخل وقد جاء مرفوعا انه عليه الصلاة
والسلام علم الرجل الاستيذان فقال له قل السلام عليكم اادخل والاكثرون
على ان السلام مسنون بعد الاذن على ظاهر الآية ولان السلام تحية اللقاء وهو
بعد الاذن والسلام ندب والاستيذان حتم وقيل وان وقعت العين على العين
قبل الاذن فالاولى تقديم السلام على الاستيذان والا قدم الاستيذان
على السلام ويستاذن على ذوات المحارم وان كانوا في دار تنحنح وتحرك ولا يستاذن
الرجل في دخوله منزله لقوله تعالى غير بيوتكم والافضل ان يعلم بدخوله بتنحنح
او غيره ثم قال تعالى ذلكم خير لكم من ان تدخلوا بغير اذن لعلكم تذكرون ما يجب
عليكم من طاعته فان لم تجدوا فيها اي في البيوت التي لغيركم احدا يأذن لكم في

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بزين الصدور عفي عنه
وكفى عبده

دخولها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا انصرفوا ولا تلحوا ولا يسوءكم ذلك ولا تقعدوا على الباب ملازمة فان للناس حاجات ولكن اذا حضر الرجل ولم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز وكان ابن عباس ياتي باب الانصاري لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستاذن فيخرج الرجل ويقول يا ابن عم رسول الله لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم ثم قال الله تعالى هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ثم قال تعالى ليس عليكم جناح اي اثم وحرج ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة يعني الخانات والمنازل التي ينزلها المسافرون بغير استيذان فيها متاع لكم استمتاع ومنفعة لكم تقيكم الحر والبرد والمطر بايواء المتاع والنزول فيها وقيل هي الخربات يدخل اليها للغايط والبول وهو المتاع وقيل هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالاسواق فيها امتعة الناس للبيع والشراء وهو المتاع وقيل بيوت مكة وقيل جميع البيوت التي لا ساكن بها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يريد اذا دخلتم بيوت غيركم فاتقوا الله فانه يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور

الباب الرابع والعشرون في معاملة اهل الكفر وفيه فصل في اطفال المشركين

قال الفقيه رحمه الله تعالى لا باس للمسلم ان يكون بينه وبين اهل الذمة معاملة اذا كان ممن لا بد له منه ولا باس بان يعوده وهو مريض ويلقنه كلمة التوحيد وقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم يهوديا وعرض عليه الاسلام فاسلم ومات فلما خرج قال الحمد لله الذي اعتق بي نسمة من النار ولا باس للمسلم اذا كانت له قرابة من اهل الذمة ان يهدي اليهم ويكرمهم وقد اهدى النبي صلى الله عليه وسلم الى خاله حارثه وهو كافر بكة وروي عن صفية زوجة النبي صلى الله عليه وسلم انها لما ماتت اوصت بثلث مالها لاخويها من اليهود وروي عن ميمون ابن مهران انه قال من الناس من احبه في الله وابغضه لنفسي ومن الناس من ابغضه في الله واحبه لنفسي ومنهم من احبه في الله واحبه لنفسي ومنهم من ابغضه في الله وابغضه لنفسي فاما الذي احبه في الله وابغضه لنفسي فمؤمن يؤذيني واما الذي ابغضه في الله واحبه لنفسي فكافر ينفعني يعني ابغضه لاجل كفره واحبه لاجل منفعته واما الذي احبه في الله واحبه لنفسي فمؤمن ينفعني واما الذي ابغضه في الله وابغضه لنفسي فكافر يؤذيني انتهى كلامه اقول قال تاج القراء في قوله تعالى في المائدة يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين المعنى انكم لا تعتمدوا عليهم ولا تطلعوهم على بواطن اموركم الدينية والدنيوية وقيل هو في باب الدين خاصة بعضهم اولياء بعض وكلهم اعداء لكم

فصل في القول في اطفال المشركين

قال الفقيه تكلم الناس في اطفال المشركين اذا ماتوا في حال صغرهم قال بعضهم

في الجنة

في الجنة وقال بعضهم في النار وقال بعضهم هم خدمة اهل الجنة وقال بعضهم بخلاف هذا وقد جاء فيها آثار مختلفة اما من قال انهم في الجنة فقد ذهب الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه اقول وبهذا الحديث اخذ الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى في اولاد الكفار حيث حكم من لم يبلغ الحلم من اولادهم في دين الاسلام عند موت آبائهم ثم قال الفقيه واما من قال انهم في النار فقد ذهب الى ما روي في الخبر ان خديجة رضي الله عنها سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن اولادها الذين ماتوا في الجاهلية من زوج كان لها قبله في الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم ان شئت اسمعك تغاغيهم اي صوتهم والاصل فيه صوت الشاة والمعز وما شاكلهما ثم لان الله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فاخبر تعالى انهم حين ولدوا كانوا كفارا وروي عن عايشة رضي الله عنها انها مرت بجنازة صبي طفل فقالت طوبى له عصفور من عصافير الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تدرين لو كبر ماذا يكون منه واما من قال انهم خدمة اهل الجنة احتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون من اللاهون من امتي قالوا الله ورسوله اعلم قال هم اطفال المشركين لم يذنبوا فيعذبوا ولم يعملوا حسنة فيثابوا هم خدمة اهل الجنة قال الفقيه فلما جاءت الآثار فيه مختلفة فالسكوت عنهم افضل ونقول الله اعلم قال هم اطفال المشركين لم يذنبوا فيعذبوا ولم يعملوا حسنة فيثابوا هم خدمة اهل الجنة قال الفقيه فلما جاءت الآثار فيه مختلفة فالسكوت عنهم افضل ونقول الله اعلم بامرهم وروي عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى انه سئل عن اطفال المشركين فقال انا اتوقف عند الاطفال فاني اعلم ان الله لا يعذب احدا بلا ذنب انتهى اقول قد توقف الامام في ثمان مسايل هذه منها ومجموعها ثمان توقف فيها الامام وقد عد ذلك دينا متينا اوان الختان وسور الحمار وفضل الملايكة والمرسلينا ودهر وخنثى وخلاله وكلب وطفل من المشركينا والكلام في ذلك كثير والاحاديث المرويات احتمالات لا تخفى من اهل العلم لكنني اتبع قول الفقيه الامام خوفا من الوقوع في الزلل والآثام والسلام والخبرني بعض الفضلاء ان المسايل تسعة منظومات في ابيات انشدني بها بيتين هما

حمد الامام ابا حنيفة دينه ... اذ قال لا ادري بتسعة اسيله
اطفال اهل الشرك اين محلهم ... وهل الملايكة الكرام مفضله

انتهى

الباب الخامس والعشرون في البكاء على الميت وفيه شيء من الصبر والنوح

قال الفقيه رحمه الله تعالى النوح حرام ولا باس بالبكاء والصبر افضل لان الله تعالى قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال النايحة ومن حولها من مستمعيها فعليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين وقيل انه لما مات الحسين بن الحسن رضي الله عنهما اعتكفت امرأة

امرأته فاطمة بنت الحسين على قبره سنة فلما كان راس الحول رفعوا الفسطاس فسمعوا
صوتا من جانب يقول هل وجدوا ما فقدوا وسمعوا صوتا من جانب آخر يقول
بل ايسوا فانقلبوا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما مات ابنه ابرهيم
دمعت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله الست نهيتنا عن البكاء
فقال انما كنت نهيتكم عن صوتين احمقين فاجرين صوت الغناء فانه لعب ولهو
ومزامير الشيطان وعن خمش الوجوه وشق الجيوب ورنة الشيطان ولكن هذه
رحمة جعلها الله تعالى في قلوب الرحماء ثم قال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول
ما يسخط الرب اقول وساق هذا الحديث صاحب داب السياسة فيه بلفظ
آخر قال دخل عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه
ابرهيم فوجده وكان عينيه تدرفان فقال يا رسول الله الست تنهانا عنه
فقال عليه الصلاة والسلام انما نهيت عن صوتين احمقين فاجرين صوت
بنغمة عند لهو ولعب وصوت عند مصيبة بخمش وجه وشق جيب ورنة
الشيطان وهذه رحمة من لا يرحم لا يرحم ثم ق ل الغفتيه وروى وهب بن
منبه عن كيسان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان عمر رضي الله عنه ابصر امراة
تبكي على قبر ميت فنهاها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا حفص
فان العين باكية والنفس مصابة والعهد قريب وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه مر ببني عبد الاشهل وهم يبكون قتلاهم بعد يوم احد فقال النبي
عليه الصلاة والسلام لكل قتيل باكية لكن حمزة لا بواكي له فلما سمعن بذلك جئن
الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن يبكين على حمزة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم في البيت يبكي حتى يسمع نشيجه انتهى بحاله اقول الفسطاط بالطاء
آخره لا بالسين قال في الصحاح هو بيت من شعر وفيه لغات فسطاط وفستاط
وفساط بضم الفاء فيهن والكسر فيها لغة وفي المغرب هو خيمة عظيمة والجيوب
جمع جيب وهو المقور والمراد به من الثوب مكان دخول الراس فيه كان الحزين
يشقه ليدخل ما منه ما يبرد قلبه الحرور والرنة الصوت ونشج الباكي ينشج
نشيجا من باب ضرب اذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب والنحيب رفع الصوت
بالبكاء وفي داب السياسة قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت اذا اصابتني
مصيبة وانا شاب لا ابكي فكان يؤديني ذلك حتى رايت اعرابيا ينشد

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد او يشفي نجي البلابل

فسألته عنه فقيل هذا الذي الرمة فكنت اذا اصابتني مصيبة بعد ذلك بكيت
فاسترحت وقال نجي البلابل اي مناجي البلابل وهي البلبال اي الهم ووسواس
الصدر كذا في الصحاح وقال لبيد

نجد داحزانا لذا كل هالك ... ونسرع نسيانا ولم ياتنا امن
فانا ولا كفران لله انما ... لكالبدن لا تدري متى يومها البدن

قيل ان لبيد

قيل لبيد لم يقل غير ذلك في الاسلام وقيل انه لم يقل في الاسلام الا قوله

الحمد لله اذ لم ياتني اجلي ... حتى لبست من الاسلام سربالا

وقيل لم يقل في الاسلام الا قوله

ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه القرين الصالح

وعاش لبيد مائة وعشرين سنة منها ستين في الجاهلية وستين في الاسلام
وقيل لم يقل لبيد في الاسلام غير بيتين وقيل بيت واحد والبدن بضم الموحدة
جمع بدنة وهي ناقة او بقرة تنحر بمكة كانوا يسمونها لذلك كذا في الصحاح
وقال في المغرب البدنة من الابل خاصة ويقع على الذكر والانثى ولنذكر
شيئا في الصبر وهو في اللغة الحبس يقال قتل فلان صبرا اي مسك
وحبس حتى قتل وهو من باب ضرب يضرب وفي الكفاية انه مثل قتل يقتل
وقال الجوهري هو حبس النفس عن الجزع وقال قوم هو جزع النفس لا ينفك
فحينئذ هو حبس النفس عن الشكوى على جزع كامن وزاد بعضهم انه
حبس النفس عن الجزع والسخط وعقل اللسان عن الشكوى وكف الجوارح
عن التشويش واحسن من هذا كله انه حبس النفس عن المساخط الزمانية
لله تعالى اي لا للرياء ولا لاظهار جلادة ولا نحو هذا والصبر في المحن
عنوان الفرج قال الشاعر

لا تياسن وان طالت مطالبة ... اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

وقد مدح الله تعالى الصبر في اماكن كثيرة فقال ان الله مع الصابرين
وقال تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وفي الصبر فضايل وله
اسماء باعتبارات فان كان في محاربة سمي شجاعة والشجاعة صبر ساعة
قيل اول من قال ذلك ابو محمد البطال وقيل عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه
وان كان الصبر في امساك النفس حالة الغضب سمي حلما وان كان في نائبة
مضجرة سمي سعة الصدر وان كان في امساك النفس الكلام في الضمير
سمي كتمان السر وان كان عن فضولات العيش سمي قناعة وعفة وزهدا
وقال ابن نباتة المصري

قلعوني على الزمان فاصبحت ... صبوا على مراد الزمان
حابسا للفظ واليراع عن النا ... س فلا مريدي ولا من لساني

مفرد
ولاصبرن على الزمان وجوره ... صبر الدعائم تحت حيط مائل

وقال بعضهم
تلق بالصبر ضيفا لم ترحله ... ان الهموم ضيوف اكلها مهج
فالخطب ما زاد الا وهو منتقص ... والامر ما ضاق الا وهو منفرج
فروح النفس بالتعليل ترضى به ... عسى الى ساعة من ساعة فرج

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا وجهت لعبد من عبيدي
مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه

يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا **وقال بعضهم شعر**

تقول اراه بعد عفراء ساليا ... وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبي اني تناسيت عهدها ... ولكن صبري يا اميم جميل

والصبر الجميل هو الصبر الذي لا شكاية معه كذا في بعض التفاسير في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا وفي تفسير الكواشي في سورة يوسف ما لا شكوى فيه الى الخلق وكذا الصبر الجميل وكذا الهجر الجميل هو الهجر الذي لا اذية معه وكذا الصفح الجميل هو الصفح الذي لا معاتبة معه او الرضى بغير عتاب وهو قول علي رضي الله عنه وسياتي بالباب التاسع والاربعين ان الهجر الجميل المداراة **وقيل** مكتوب على باب من صبر عبر وقيل من لم يعد الصبر لفجايع الامور يعجز **وافضل** العدة الصبر على الشدة

ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبري ... واصبر حتى يحكم الله في امري

واصبر حتى يعلم الصبر انني ... صبرت على شيء امر من الصبر

وذكر صاحب سلوة احزان نوايب الزمان فيه ان في الصبر عشر فوايد منها ما هو قلبي ومنها ما هو قالبي ومنها ما هو خارجي **الفايدة الاولى** ان فيه تبريد الحشا والربط على القلب واطفاء النهابه ومنع ازدياد الحرق ومن يصبر يصبره الله **ولله در القايل**

صبرت على اللذات حتى تولت ... والزمت نفسي صبرها فاستمرت

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ... فان طمعت تاقت والا تسلت

الفايدة الثانية ان فيه عزة النفس واشعارها ان ليس بها هوان وما احسن قول الشاعر

صبرت على بعض الاذى خوف كله ... ودافعت عن نفسي بنفسي فعزت

وجرعتها المكروه حتى تدربت ... ولو جملة جرعتها لاشمازت

فيارب عز ساق للنفس ذلة ... ويارب نفس بالتذلل عزت

وقال علي رضي الله عنه انك ان صبرت جرى عليك القضا وانت ماجور وان جزعت جرى عليك القدر وانت مازور انك ان لم تسل احتسابا سلوت غفلة كما تسلو البهايم وقد قال ابو تمام في معنى ذلك

اتصبر للبلوى عزاء وحسبة ... فتوجر ام تسلو سلو البهايم

الفايدة الثالثة ان فيه دفع تفتت الكبد وذوبان الحشى **شعر**

ولولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي

الفايدة الرابعة ان جمال الظاهر يزيل الجزع ويبدل به قبحا والصبر يبقي عليه جماله بل ويزيده حسنا **الفايدة الخامسة** ان الصبر كمال به الوجاهة عند الله وعند الناس والله يحب الصابرين **الفايدة السادسة** ان الصبر اعون على حفظ المروة واصون اللسان والاعضاء من فعل ما لا يعني والرعونة **الفايدة السابعة** ان الصبر ينظم الصابر في سلك الاكابر فاصبر كما صبر اولوا

العزم من الرسل **الفايدة الثامنة** ان الصبر الجميل يدفع من شماتة الاعداء ما يضاعفه من الجزع الشديد والتضاهر بالالم **ومن كلام** امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه في هذا الباب **قوله**

فان تسالني كيف انت فانني ... صبور على ريب الزمان صليب

يعز علي ان ترى بي كآبة ... فيشمت عاد او يساء حبيب

قوله صليب اي قوي والجزآن الاولان من البيت الثاني مقبوضان ووزنهما فعول مفاعلن فالقبض حذف الخامس الساكن **الفايدة التاسعة** ان الصبر الجميل وما سد قوم معناه توجع الاصدقاء واخراج قلوبهم **الفايدة العاشرة** ان الصبر يسد بعض نواعه ابوابا كثيرة من الشرور العظيمة وناهيك بذلك مرغبا فيه **واما حكمة** الصبر فعشر كل منها كالف **اولها** انه لها حصول محبة الله تعالى وما مثلها والله يحب الصابرين **ثانيها** ان به تحصل معية الصحبة والقرب ان الله مع الصابرين **ثالثها** ان به التاييد والعون والنصر لي ان تصبروا وتتقوا ويأتيكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة مسومين واعلم ان النصر مع الصبر **رابعها** ان به احراز احسن الجزاء ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون **خامسها** ان به احراز ما لا يكتب قدره انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب **سادسها** ان به الوصول الى السلامة من كل مرهوب والفوز بكل مطلوب والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار **سابعها** ان بالصبر واليقين تنال الامامة في الدين وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون **ثامنها** انهم مهتدون فقد اطلقت لهم البشرى مع الصلوات والرحمة وشرف الاضافة وبشر الصابرين الى قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واوليك هم المهتدون **تاسعها** انه يعين ويسهل تلقي العلوم النافعة وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور **عاشرها** انه يسهل تلقي الاعمال الصالحات والاخلاق الفاضلة ولا يلقاها الا الصابرون وما يلقاها الا الذين صبروا انتهى ملخصا **وهذا** يحسن بعد وقوع الامر الا المصبر قال بعضهم

ايتها النفس اجملي جزعا ... ان الذي تحذرين قد وقعا

وقال علي رضي الله تعالى عنه الصبر ثلاثة عند المصيبة وعلى الطاعة وعند المعصية فاما الصبر عند المصيبة فثلاثماية درجة واما الصبر على الطاعة فستماية درجة واما الصبر عند المعصية فتسعماية درجة وقال الصبر من كرم الطبيعة والمن من مفسدة الصنيعة وقيل يسلون احد انبياء اليونانيين ما اصعب الاشياء على الانسان قال ان يصبر على خيبة سعيه **وقال** رضي الله عنه اعلموا ان منزلة الصبر من الايمان كمنزلة الراس من الجسد فاذا ذهب الراس ذهب الجسد واذا ذهب الصبر ذهب الايمان وفي رواية اعلموا

الصنيعة اي العطية

ان الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا خير في جسد لا راس فيه
وقيل لسلوان احد انبياء اليونانيين ما اصعب الاشياء على الانسان قال ان
يصبر على خيبة سعيه ولما مات ايوب بن سليمان بن عبد الملك ودفن وقف ابوه على قبره
وانشد كنت لنا انسا ففارقتنا فالعيش من بعدك مر المذاق
فقال له عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بل الصبر فانه اقرب الى الله وسيلة
وليس الجزع يحيي من مات ولا يرد من فات وقال خالد بن صفوان صبرك في
مصيبات احمد من جزعك وجزعك في مصيبة اخيك احمد وقال المتنبي

وانا لنلقى الحادثات بانفس كثير الرزايا عندهن قليل

وما احسن من ان يكون الصبر للرجال كما قال بعضهم

خلقنا رجالا للتجلد والاسى وتلك الغواني للبكاء والماتم

وسياتي شي من الصبر في الباب الذي يلي هذا وفي الباب الواحد والاربعين ايضا

الباب السادس والعشرون في التعزية

قال الفقيه رحمه الله تعالى التعزية لصاحب المصيبة حسن وهو ماجور بها وقد جاء الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حق المسلم على المسلم ان يعزيه اذا اصابته مصيبة وروى معاوية بن قرة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اصحابه غاب عنه فسال عنه فقالوا انه قد مات له ابن فقال قوموا بنا نعزيه فقمنا فعزيناه ولا باس لاهل المصيبة ان يجلسوا في البيت او في المسجد ثلاثة ايام والناس ياتونهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بلغه خبر جعفر بن ابي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم جلس في المسجد والناس ياتونه ويعزونه ويكره الجلوس على باب الدار فان ذلك عمل اهل الجاهلية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك انتهى بكماله اقول اذا كان الموت مقدمة للتعزية فلنذكر شيئا من احواله اعلم ان الموت غاية كل شي وان الله تعالى حتمه على كل من انشاه وحتم الفناء لكل من اظهره وابداه وحكم ان ليس الدايم الباقي سواه بدليل قوله تعالى في افصح الكلام كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه ما ذكره احد في ضيق الا وسعه عليه ولا في سعة الا ضيقها عليه والهذم بالمعجمة القطع بسرعة كذا في التغريب لابن خطيب الدهشة وقال حكيم كيف نفرح بعمر تقطعه الساعات وسلامة تكون معرضة للافات وقيل لبشر بن الحارث اكرهت الموت فقال القدوم على الله شديد شعر

تهيا للمنية حين تغدو كانك لا تعيش الى الرواح
فكم من رايح فينا صحيحا اتته منية قبل الصباح

الغدو الذهاب والرواح العود وقال اخر

امر على المقابر كل يوم وما ادري باي الارض قبري
وافرح كلما يزداد مالي ولا ابكي على نقصان عمري

وللشيخ شرف الدين ابي سعيد بن ابي عصرون

اامل ان احيى وفي كل ساعة تمر بي الموتى تهز نعوشها
وهل انا الا مثلهم غير ان لي بقايا ليال في الزمان اعيشها

وليس للملك المطاع ولا ذي الجنود والاتباع عند نزول الموت بطش يدفعه ولا قدرة تمنعه ولا يقبل فدية فيفتدي ولا يجد عن تجرع كاس الردى

شعر
نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات وما ينجين من خبب الليالي

وتمثل عضد الدولة حين وفاته بقول القاسم بن عبيد الله

قتلت صناديد الرجال فلم ادع عدوا ولم امهل على ظنة خلقا
واخليت دور الملك من كل نازل فشردتهم غربا وبددتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة وصارت رقاب الخلق اجمع لي رقا
رماني الردى سهما فاخمد جمرتي فها انا ذا في حفرتي عاجلا ملقى
فاذهبت دنياي وديني سفاهة فمن ذا الذي مني بمصرعه اشقى

ونظر انوشروان في ملكه فاعجبه فقال هذا ملك لولا انه هلك ونعيم لولا انه عديم وغنى لولا انه عناء وسرور لولا انه غرور ومحمود لولا انه مفقود وارتفاع لولا انه اتضاع ويوم لو كان يوثق له بغد وقد وقع الاختلاف في سهولة خروج الروح وصعوبته فهونه بعض الحكماء وصعبه اخرون وهو الاقرب لانه قد ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند ادراك الموت واكرباه فكانت فاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا رسول الله فقال لا كرب على ابيك بعد اليوم وعن ابن عباس رضي الله عنه وعبد الله بن عمرو بن العاص ان عمرو كان كثيرا ما يقول اني لاعجب من الرجل ينزل به الموت ومعه عقله ولسانه كيف لا يصفه فلما نزل به الموت فقلنا له يا عمرو انك كنت تقول اشتهي ان ارى عاقلا يموت حتى اساله فقال الموت اعظم من ان يوصف ولكن ساصف لكما منه شيئا والله لكان على جبال رضوى وكان روحي تخرج من ثقب ابرة ولكنه يدخل في جوفي شوك الفراش ولكان السماء انطبقت على الارض وانا بينهما ثم قال اللهم امرت فعصينا ونهيت فركبنا فلا بري فاعتذر ولا قوي فانتصر ولكن لا اله الا انت ثلاثا ثم ذلك الفراش الزرع او الغضا انما اشرك احدهما ويصغر به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وهذا الحديث رواه جماعة من الصحابة بعضهم عن بعض حسبما اجاز في به صدر الدين قاضي القضاة محب الدين محمد ابو الفضل ابن الشحنة قال سمعت من لفظ شيخنا عز الدين

تجرع

الحاجز فائدة هي روى عبد الله بن عمر وعن عثمان بن عفان عن عمر بن الخطاب عن
ابي بكر الصديق عن بلال رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الموت كفارة لكل مسلم رجع الى التعزية هي في اللغة التصبير كان المعزي يصبر
اهل البيت بالمواعظ وغيرها قال في الصحاح العزاء الصبر وهو ممدود يقال
عزيته تعزية فتعزى وقد تقدم في الباب الذي قبل هذا شي من الصبر وسمي
يوم الموت يوم العزاء لان فيه يعزي اهل الميت اي يصبرون وقد ذكر الفقهاء
التعزية قال الزيلعي لا باس بتعزية الميت وترغيبهم في الصبر لقوله عليه الصلاة
والسلام من عزى مصابا فله مثل اجره ويقول له اعظم الله اجرك واحسن
عزاك وغفر لميتك هذا اذا كان الميت بالغا فاذا كان طفلا ينبغي ان يقال له
بعد واحسن عزاك وجعله لك فرطا وذخرا وما اشبه ذلك الفرط بالتحريك
المتقدم لعمل المصالح ومعناه هنا اجعله لنا اجرا يتقدمنا حتى نرد عليه ولا
يرتكب اهله ايام جلوسهم للتعزية محظورا من فرش البسط والاطعمة منهم
لانها تتخذ عند السرور وانما تكون الاطعمة من غيرهم لقوله عليه الصلاة والسلام
اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد اتاهم ما يشغلهم وفي اداب السياسة انه عليه
الصلاة والسلام قال من عزى اخاه في الله عن مصيبة كساه الله حلل الكرامة
في يوم القيامة وكان ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه اذا عزى رجلا قال
ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت اشد مما قبله واهون مما
بعده اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تذل عندكم مصيبتكم عظم
الله اجركم وفي المعنى قول الشاعر

تعز فكم لك من اسوة ... تبرد عنك غليل الحزن
بموت النبي وقتل الوصي ... وذبح الحسين وسم الحسن

وقيل دخل البلاذري على موسى الرضا رضي الله عنه يعزيه عن ابيه فقال له
انت تجل عن وصفنا ونحن نقصر عن عظتك وفي علمك ما كفاك وفي ثواب
الله ما عزاك وهلك ابن لعون بن عبد الله فكتب اليه عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه كتابا عنوانه هذا كتاب من ميت الى ميت يعزيه في ميت وعزى رجل
بموت ابيه فقيل له من كنت بقيته فموفور ومن كنت خلفه فمجبور ومن
كنت وليه فمنصور لازلنا نعزيك ولا نعزي احدا بك وجعل العوض لك
لا منك قوله موفور اي عرضه وماله تام ومجبور اي مسرور قال تعالى فهم
في روضة يحبرون اي ينعمون ويكرمون ويسرون وقيل لا تعزية بعد ثلثة
ايام قال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة تجديد للمصيبة والتهنيه بعد ثلاث
استخفاف بالمودة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا تواترت المصيبة
سقطت التعزية والتعازي ادوية الاحزان فمن عرف تقلب الدنيا وخبر تلونها
وسرعة انتقالها وعلم انه لا سبيل الى البقاء للمخلوق وانما هو للخالق لم

يحزن

يحزن على الراحل المفارق لتيقنه انه به لاحق وللحزن علامات بحسب الظاهر
من الفعال وقد نص على بعض ذلك ابن عبد الظاهر حيث قال

نسب الناس للحمامة حزنا ... ولعمري في الحزن ليست هنالك
خضبت كفها وطوقت الجيد ... وغنت وما الحزين كذلك

ولما اشتد جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه ايوب جاءه المعزون من الافاق
فقال رجل منهم ان امرا حدثت نفسه بالبقا في الدنيا ثم لحن ان المصائب
لا تصيبه فيها لغير جيد الراي وقال الشاعر

اعزز فلا شيا على الارض باقيا ... ولا وزرا مما قضى الله واقيا

ولما توفي العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم في سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة
وقيل سنة اربع اتى التميمي الى علي رضي الله عنه معزيا له في عمه فقال

اصبر نكن بك صابرين فانما ... صبر الرعية بعد صبر الناس
خير من العباس صبرك بعده ... والله خير منك للعباس

انتهى وكان مراد الشاعر بالناس الاكابر الذين هم اعلام الرعية او انه قال
الراس فبدله الناقل او الكاتب بالناس واعلم ان الرزايا وان راعت ابناءها
واغيت اداءها فهي مكسبة للاجر ومحبطة للوزر مجلبة لثواب
الصبر قال الله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
وفي قصص الانبياء للكسائي انه لما مات آدم عزى جبريل ولده شيث وقال له
اعظم الله اجرك وبارك لك فيما صار اليه من الكرامة فعند ذلك قال
شيث انا لله وانا اليه راجعون فقال جبريل احسنت يا هبة الله ووفقت
ووفق كل من قالها عند المصيبة انتهى وفي المثل من تسلى عن المسلوب فهو
كمن لم يسلب ومن صبر على البلية فكانه لم ينكب وما احسن قول بعضهم

تعز فان الصبر بالحر اجمل ... وليس على ريب الزمان معول
ولو كان يغني ان يرى المرء جازعا ... لحادثة او كان يغني التذلل
لكان التعزي عند كل مصيبة ... ونائبة بالحر اولى واجمل
فكيف وكل ليس يعدو حمامه ... وما لامرئ عما قضى الله مرحل
فان تكن الايام فينا تبدلت ... ببوس ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة طويلة ... ولا ذللتنا للذي ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة ... تحمل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا ... فصحت لنا الاعراض والناس هزل

وقيل ينبغي ان يكون العزا بقدر الميت واهله وهذا من المداهنة والا فالمسلمون
اخوان والمساواة بينهم في ذلك من الاحسان اذ المصيبة للكل واحدة
وليست واحدة منها على الاخرى بزايدة وللامام الشافعي رضي الله عنه

في التعزية اني معزيك لا اني على ثقة   من الخلود ولكن سنة الدين
فلا المعزى بباق بعد ميته   ولا المعزي ولو عاشا الى حين

تعزية مضحكة كتب بعضهم الى رجل يعزيه في ابنته بلغني مصيبتك وما هي بمصيبة وقد جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ماتت له بنت كان له من الاجر ذهب عني ما قال ومن توفيت له بنتان كان له من الاجر مثل الذي ذهب عني مرتين وبعد فقد ماتت عايشة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابنتك البظرا حتى لا تموت البظرا شي قطع في ختان الانثى بين وهو فضلة تعاب به المراة **ولنذكر شيا مما قيل في المراثي نثرا ونظما قال صاحب اداب** السياسة المراثي تحيي الميت وتعطره ٭ وتنشر محاسنه ٭ وترقق قلوب الاحياء وتحثهم على مكارم الاخلاق **وقد** ذكر الله تعالى الاسف على المفقود بقوله تعالى حاكيا عن يعقوب عليه السلام يا اسفا على يوسف انتهى **قال** الكواشي الاسف شدة الحزن واضافه يعقوب الى نفسه في قوله يا اسفي لان الفه منقلبة عن الاضافة وقلبت الفا لتكون اعانة للصوت لملازمة الاسف قال صلى الله عليه وسلم لم تعط امة ما اعطيت هذه الامة انا لله وانا اليه راجعون الا ترى ان يعقوب لما اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا على يوسف انتهى **رجع الى المراثي** وروي ان عليا رضي الله عنه كان يغدو ويروح الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويبكي تفجعا ثم يقول يا رسول الله ما احسن الصبر الا عنك ٭ واقبح البكا الا عليك ٭ ثم يتمرغ في التراب ويبكي ويندب ٭ ويذكر ما حل به بعد موته **ووقفت عايشة** رضي الله عنها على قبر ابي بكر رضي الله عنه فقالت نضر الله وجهك ٭ وشكر لك صالح سعيك ٭ فلقد كنت للدنيا مذلا ٭ بادبارك عنها ٭ وكنت للاخرة معزا ٭ باقبالك عليها ٭ وان كانت احدى الحوادث بعد النبي صلى الله عليه وسلم رزؤك ٭ واعظم المصايب بعده فقدك ٭ ان كتاب الله تعالى ليعد بحسن الصبر فيك ٭ وبحسن العوض منك **ولما دفن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه اقبل ابن مسعود وقد فاتته الصلاة عليه فوقف على قبره وبكى وقال والله لين فاتتني الصلاة عليك لا فاتني حسن الثنا ٭ اما والله لقد كنت سخيا بالحق بخيلا بالباطل ٭ ترضى حين الرضا ٭ وتسخط حين السخط ٭ ما كنت عيابا ٭ ولا مداحا ٭ فجزاك الله عن الاسلام خيرا **فلما توفي علي** رضي الله عنه قام الحسن رضي الله عنه فقال ايها الناس انه قبض فيكم الليلة رجل لم تسبقه الاولون ولا تدركه الاخرون لم يخلف الا سبعماية درهم **وقال الاصمعي** لاعرابي ما بال المراثي اشرف اشعاركم فقال لانا نقولها وقلوبنا محترقة وقيل احسن من ابتدا بمرثية ولده زبيل حيث قال ٭

قطعت رجاي منك يا قطعة مني ٭   ذهبت عن الدنيا واذهبتها عني ٭

وقال الاخر في النبي صلى الله عليه وسلم

سألت الندى والجود ما لي اراكما   تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد اصبح واهيا   خرابا فقالا لي لموت محمد
فقلت وهلا متما بعد فقده   وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا اقمنا كي نعزى بفقده   بقية يوم ثم نتلوه في غد

وقيل في حكيم

مضى طاهر الاخلاق لم تبق بقعة   من الارض الا تشتهي انها قبر

وللبحتري

مضى غير مذموم واصبح ذكره   حلي القوافي بين راث ومادح

وفي فقيه شاعر

ثوى الفقه في قعر الثرى مذ ثوى به   وغاضت بحار الشعر وانقطع النظم

انتهى الباب السابع والعشرون في عذاب الميت ببكاء اهله عليه قال الفقيه رحمه الله تعالى تكلم الناس في عذاب الميت ببكاء اهله عليه فقال بعضهم ان الميت ليعذب ببكاء اهله ويحتجون بظاهر الخبر وهو ما روي عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه وقال عامة اهل العلم ان الميت لا يعذب ببكاء الحي لان الله تعالى قال ولا تزر وازرة وزر اخرى وروى القاسم بن محمد ان عايشة رضي الله عنها قيل لها ان عبد الله بن عمر يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن ابن عمر انه روى هكذا فقالت عايشة رضي الله عنها انكم لتحدثون غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السمع يخطي وتاويل الحديث ان العادة قد جرت في ذلك الزمان ان الانسان اذا مات يوصي اهله بالنوح عليه فقال عليه الصلاة والسلام ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه لانه كان يامرهم بذلك وتاويل اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر يهودي واهله يبكون عليه فقال عليه الصلاة والسلام انتم تبكون عليه وهو ليعذب في قبره فظن الراوي انه يعذب ببكائهم وهذا كما روى عروة عن عايشة رضي الله عنها انه ذكر عندها حديث ابن عمر فقالت هل غفل ابو عبد الرحمن انما قال ان اهل الميت ليبكون وانه ليعذب بجرمه والله اعلم انتهى كلامه **اقول** روى في مراة الزمان عن عبد الله بن الامام احمد بن حنبل عن ابيه عن سفيان قال قال طاوس ان الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون ان يطعم عنهم في تلك الايام انتهى **الباب الثامن والعشرون في الهدية قال الفقيه** رحمه الله تعالى اذا اهدى اليك انسان بهدية فان لم يكن الذي اهدى اليك ظالما ولا يكون ما له من حرام فالافضل ان تقبلها وتكافيه بافضل منها او مثلها فان عجزت عن المكافاة بالمال فبالدعا وحسن الثنا

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وروى عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اهدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا فادعوا له حتى يعلم انكم قد كافأتموه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجيبوا الداعي ولا تردوا الهدية وروى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الهدية تذهب بالسمع والقلب وروى عطاء الخراساني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تصافحوا تذهب بالغل وتهادوا وتحابوا وتذهب بالشحناء وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشكر الناس لله تعالى اشكرهم لعباده ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اهدى اليه خير فليجزه فان عجز عن جزائه فليثن عليه فان لم يثن عليه فقد كفر النعمة وروى ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه قال الفقيه تكلم الناس في تأويل هذا الحديث قال بعضهم الخبر على ظاهره وكل من اهدى اليه بهدية فجلساؤه شركاؤه وقال اهل الفقه الخبر على وجه الاستحباب يستحب له ان يشاركهم على وجه الكرم والمروءة فان لم يفعل فلا شيء عليه وروى عن ابي يوسف القاضي رحمه الله تعالى انه اهدى اليه شيء فروى بعض اصحابه هذا الحديث فقال ابو يوسف ان هذا الحديث في الفواكه ونحوها لا في الخز والبز وذكر الفقيه ابو جعفر الهندواني رحمه الله تعالى عن ابي القاسم احمد بن حم انه اهدى اليه فذكر له الحديث فقال انهم شركاؤه في السرور لا في الهدية والله اعلم انتهى كلامه اقول الهدية واحدة الهدايا يقال اهديت له واليه وهي لقاح المودة ورباط المحبة واللقاح بفتح اللام من لقاح النخل يعني الهدية تنتج المودة وتثبتها كما يثبت اللقاح حمل النخلة ويمنعه من السقوط والانفكاك وقيل اربع كلمات معنوية اصل المحبة الهدية واصل البغض الاسية واصل العفة غض البصر واصل زوال النعمة البطر وقال الشاعر

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودا ... وتكسوهم المهابة والجلالا

وهي وصية الانبياء وسجية الحكماء وقد ذكرها الله تعالى فقال واني مرسلة اليهم بهدية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا وفي رواية تهادوا تزدادوا حبا قال الجوهري التهادي ان يهدي بعضهم الى بعض ذكر الحديث وقال عليه الصلاة والسلام الهدية رزق الله فمن اهدي اليه شيء فليقبله وقال ابن عباس رضي الله عنهما الهدية تورث المحبة وتجدد الاخوة وتذهب الضغينة وهي الحقد وقال كعب قرأت في بعض ما انزل الله على الانبياء الهدية تفقأ عين الحكيم ويقال الكريم يهدى اليه ويقبل الهدية ويثيب عليها بالاحسان واللئيم بعكس ذلك وقال عليه الصلاة والسلام لو اهدي الي ذراع

لقبلت

لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت الذراع من المرفق الى اطراف الاصابع ثم سمي به الخشبة التي يذرع بها والمراد به في الحديث ذراع الشاة والكراع بضم الكاف مادون الكعب من الدواب ومادون الركبة من الانسان وجمعه اكرع واكارع كذا في المغرب بالغين المعجمة وقال جعفر الصادق رضي الله عنه نعم الشيء الهدية امام الحاجة وفي المثل من قدم هديته نال امنيته ومن اهدى للملك ملك مرامه ومن قرع باب امام وجد العطية امامه وقيل اهدوا الولاة فانهم ان لم يقبلوا احتبوا ويجوز رد هدية الفاجر لقوله عليه الصلاة والسلام ردوا هدية الفاجر عليه لئلا يرى انكم ترضون عمله الفاجر الفاسق والكذاب ولعل المراد الاول والولاة لا يحل لهم قبول الهدية اذا كانت رشوة وفي مرآة الزمان ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اشتهى تفاحا فبعث الى بيته فلم يجدن شيئا يشترين به فركب فربدير فتلقاه غلمان الدير بطبق واطباق فيها تفاح فتناول تفاحة فشمها ثم اعادها فقيل له اشتهيت التفاح فلما اهدى اليك رددته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يقبلون الهدية فقال لا حاجة لي فيه ان اولئك كان لهم الهدايا وهي للعمال بعدهم رشوة وفي اداب السياسة انه ينبغي للبيب ان يحتاط في هديته على قدر حاله وحال المهدى اليه من الكثرة والقلة وما يليق بهما فانه قيل ثلثة تدل على عقول اربابها الهدية والرسول والكتاب وقيل الهدية الزرية تزري بثلثة المهدي والحامل والمهدى اليه وقيل في الاعتذار عن قليلها

قد بعثتو اليك اكرمك الله ... بشيء فكن له ذا قبول
لا تكله الجدا كفك الغمر ... ولا بذل الكثير القليل
واستجز قلة الهدية مني ... ان جهد المقل غير قليل

ولو قال في قوله قد بعثنا وفي آخر المصراع الاول من البيت الثالث منا مكان مني على ان الهدية والاعتذار من جماعة لكان اولى من ارتكاب جعل ضمة التاء من بعثت واوا الا ان يقال ان مقام المهدي التواضع فلو قال بعثنا ومنا لكان ذلك تعظيما لنفسه واما قوله بعثتو انما الواو فيه من اشباع الضم التي على التاء ومما احسن الابيات المشهورات في الاعتذار على لسان بعض الاطباء

اتت سليمان يوم العرض قنبرة ... اهدت اليه جرادا كان في فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة ... ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى للانسان قيمته ... لكان يهدى لك الدنيا بما فيها

وسبب قول ذلك على لسانها ان سليمان عليه الصلاة والسلام عرض عساكره من الانس والجن والطير فلما ان راى كثرتهم اعجب في نفسه وقال من يقدر يطعم هؤلاء غيري فارسل الله تعالى اليه قنبرة فقالت له يا نبي الله انت وعسكرك اليوم في ضيافتي فتقدم بهم الى جانب البحر حتى اتيك بالضيافة فلما تقدم بهم

الى جانب البحر التي تنيرة وفي فيها جرادة فرمتها في البحر وقالت يا نبي الله من يريد لا
انت وعسكرك على اسم الله ومن لم يصل الى اللحم فليشرب من المرقه فتحير سليمان
عليه السلام من فعلها وقولها وعلم ان ذلك تاديب له من الله تعالى بما حصل
في نفسه من الاعجاب واما المكافاه بالدعا والثنا عند عدم القدرة على
مكافات الهدية بهديه والاقتصار عن ذلك فقد قال الشاعر

لما نظرت فما وجدت هدية تهدى اجل من الدعاء الصالح
واصلته ومن الاله قبوله وقرنته لك بالثناء الفايح

وقال الاخر

هديتي تقصر عن همتي وهمتي تقصر عن مالي
فخالص الود وحسن الوفا احسن ما يهديه امثالي

والهدية تطلق غالبا على ما يرسل الى من له قدرة على التعويض عنها بهدية
واما ما يرسل لمن لا قدرة له على التعويض عنها فيقال له عطية وفي ذلك يقول
الشاعر تهدى الهدايا لمن ترجى هديته قرضا بقرض ولا تهدى لمسكين

وقال شاعر العرب

ايا عم دار الفقر لا يعتنى بها ودار الغنى يهدى لها وتزار

ولنذكر شيئا مما يتعلق بمطلق المكافاة اعلم ان المكافاة هي والجزا التعويض
عن شي ان خيرا فخير وان شرا فشر ولكن استعمالها في الهدية وافعال الخير اكثر
قال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال تعالى جزاء سيئة سيئة
مثلها ثم ما يمكن المكافاه والمجازاه عليه من المخلوق ثم ما لا يمكن المكافاه
والمجازاة عليه الا من الخالق جل وعلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
ثلثة اقدر ان اكافيهم ورابع لا يكافيه عني الا الله عز وجل فاما الذين اقدر
على مكافاتهم فرجل وسع لي في مجلسه ورجل سقاني على ظماء ورجل غبرت
قدماه في الاختلاف الي واما الرابع الذي لا يكافيه عني الا الله سبحانه
فرجل عرضت له حاجة فظل متفكرا بمن ينزل حاجته فاصبح فراني موضع
حاجته واني لاستحيي من الرجل ان يطا بساطي ثلاثا ولا يرى عليه اثر
من اثري ولنذكر شيا من المكافاة قال في اداب السياسة اعلم ان شر
الناس من كافى الاحسان بالاساءة وخيرهم من دفع السيئة بالحسنة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الى من اساء اليه فقد شكر
نعمة الله عليه ومن اسا الى من احسن اليه فقد بدل نعمة الله كفرا وقال
عليه الصلاة والسلام لا يجازي الاحسان بالاساءة الا الكفور اللئيم وقيل
مر عيسى عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له
انهم يقولون شرا وتقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال بعض الحكما
الايدي ثلاثة يد بيضاء وهي يد مبتدي بالعطا ويد خضرا وهي التي صاحبها

مكاف بالعطا ويد سودا وهي يد تمنع الجزا شعر

ارى الاحسان عند الحر حمدا وعند النذل منقصة وذما
كقطر صار في الاصداف درا وفي فم الافاعي صار سما

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الكرم مكافاة الاساءة بالاحسان
وقيل الصنيعة عند الكريم وديعة وعند اللئيم وضيعه اي العطية
وديعة عند الكريم يترقب ردها والمكافاة عليها وضيعة عند اللئيم
لا يرى ردها لانه يراها استحقاقا له وفي ذلك قال الشاعر

ان ذا اللوم اذا اكرمته حسب الاكرام حقا لزمك

وقال الاسكندر دفع الشر بالشر مجازاة ودفع الخير بالخير مكافاة وقال
الحريري جزيت من اعلق بي وده جزاء من يبني على اسه

وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل او بخسه
ولم اخسره وشر الورى من يومه اخسر من امسه
وكل من يطلب مني جنى فما له الا جنى غرسه

وقال علي رضي الله عنه اذا اسديت الى انسان معروفا وقابلك بعكسه
فقد دلك ذلك على خبث اصله فتجنبه شعر

ورب صنيعة ذهبت ضياعا وكان جزا صاحبها الندامه

الباب التاسع والعشرون في قتل العمد قال الفقيه رحمه الله تعالى

اختلف الناس فيمن قتل مومنا متعمدا قال بعضهم هو في النار ابدا وقال
عامة اهل العلم هو في مشية الله تعالى ان شاء غفر له وان شاء عذبه فاما من
قال انه في النار ابدا فقد ذهب الى ما روى عن سالم بن ابي الجعد قال كنت عند
ابن عباس رضي الله عنهما بعد ما كف بصره فجاءه رجل فقال له ما تقول فيمن قتل
مومنا متعمدا فقال جزاؤه جهنم خالدا فيها فقال له ارايت ان تاب وآمن وعمل
صالحا ثم اهتدى قال واني له الهدى فوالذي نفسي بيده ان هذه الاية انزلت
فما نسخها اية بعد نبيكم واما من قال ان له توبة فلقول الله عز وجل ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى الذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ثم قال في آخرها الا
من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات والجواب عن
قوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم انه قد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان هذه الاية في شان مقيس بن ضبابة قتل رجلا متعمدا
وارتد با رض مكة وجواب آخر ان معنى قوله تعالى فجزاؤه جهنم يعني جزاؤه
جهنم ان جازاه ولكن نرجوا ان لا يجازيه ان شاء وهذا كما روي عن انس رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا
فهو منجز له ومن وعده الله على عمل عقابا فهو بالخيار ولو ان رجلا قتل نفسا

معتمدا قال بعضهم هو في النار وقال بعضهم هو في مشيئة الله تعالى اما من قال
هو في النار ابدا فقد ذهب الى ما روى سفيان الثوري عن الاعمش عن ابي صالح
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قتل نفسه
بسم فسمه بيده يتحساه في النار خالدا مخلدا ومن قتل نفسه بحديدة في
يده فحديدته يوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيمة واما
من قال هو في مشيئة الله تعالى قال لان الله تعالى قال ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء والخبر انما ورد للتهديد كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لعن المؤمن كقتله وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر فكذلك هذا الخبر على وجه الوعيد المسلم
وهو في مشيئة الله تعالى انتهى كلامه اقول الآية المذكورة في اول الباب هي قوله
تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه
واعد له عذابا عظيما وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اعان على قتل مسلم ولو بشطر
كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله وفي الترمذي عن ابن عمر
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لزوال الدنيا اهون على الله من
قتل رجل مسلم فالقاتل يكفيه ما ذكر في الآية والحديث ولو لم يخلد في جهنم اعاذنا
الله من ذلك وقال تعالى في سورة النساء ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم
رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا اي لا يقتل بعضكم
بعضا وقيل نهي عن مثل قتل نفسه في حال غضب او ضجر وفي الترمذي ان اول ما يحكم
بين الناس في الدماء وبعض الطوائف لا يتعرضون لقتل ذي روح ولا يأكلون لحما
ويقولون لا نجعل بطوننا قبور الحيوان وقال الشاعر

اياك والقتل ظلما فهو مجلبة ‌ ‌ امرين ابلغ آثام واخطار
النار والثار لا تنفك بينهما ‌ ‌ ان فاتك الثار لم تسلم من النار

وكانت العرب تصبر على اخذ الثار ويزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يطلب بثاره
خرج من راسه طائر يسمى الهامة وصاح على قبره اسقوني اسقوني الى ان يطلب بثاره
قال ذو الاصبع يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي ‌ اضربك حيث تقول الهامة اسقوني
يعني اضرب راسك موضع خروج الهامة التي تقول اسقوني والهامة بالميم مخففة
هي ما علا الراس وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو اجتمعت امة
على قتل رجل مسلم لوجب قتلها جميعا وفيه دليل على قتل الجماعة بالواحد
وهذا الوعيد كله على قتل رجل مسلم فكيف بالحجاج الذي قتل مائة وعشرين الفا
صبرا نكتة اتي الحجاج باسرى فامر بضرب اعناقهم فقال له رجل منهم لا جزاك
الله يا حجاج عن السنة خيرا فان الله تعالى يقول فاذا لقيتم الذين كفروا
فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا

قول الله

قول الله تعالى في كتابه وقال شاعركم فيما يصف قومه من مكارم الاخلاق

وما يقتل الاسرى ولكن يفكهم ‌ ‌ اذا اثقل الاعناق حمل القلائد

فقال الحجاج ويحكم اعجزتم ان تخبروني عما اخبر به هذا المنافق ثم عفى عمن بقي

الباب الثلثون في النظر في بيت غيره قال الفقيه رحمه الله تعالى

لا يجوز لاحد ان ينظر في بيت غيره بغير اذنه فان فعل فقد اساء وهو آثم
فان نظر ففقا صاحب البيت عينه فقد اختلف الناس فيه قال بعضهم
لا شيء عليه وقال الآخرون عليه الضمان وبه ناخذ اما من قال لا شيء عليه
ذهب الى ما روي عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدي ان رجلا اطلع
في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه
وسلم مدرى يحك بها راسه فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لو اعلم انك تنظرني لطعنتك به في عينك انما جعل الاذن لاجل البصر وروى
ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم لو ان امرءا اطلع عليك بغير اذن فرميته بحصاة ففقات عينه
لم يكن عليك جناح واما من قال يجب الضمان فلان الله تعالى قال فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى فان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به فالخبر جاء مخالفا لكتاب الله تعالى فاحتمل ان الخبر منسوخ
او له معنى سوى معنى ظاهره والخبر اذا كان مخالف الكتاب فلا يجوز العمل به
ويحتمل ان الخبر كان قبل نزول قوله تعالى فان عاقبتم الآية ويحتمل ان الخبر على
وجه الوعيد لا على وجه الحتم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم
بالكلام في الظاهر ويريد به شيئا آخر كما جاء في الخبر ان عباس بن مرداس
السلمي لما مدحه قال لبلال قم فاقطع لسانه وانما اراد بذلك ان يدفع شيئا
اليه ولم يرد به القطع في الحقيقة فكذلك هذا احتمل انه ذكر فقء العين وانما
اراد به ان يعمل عملا لا ينظر بعد ذلك في بيت غيره والله اعلم انتهى كلامه

الباب الحادي والثلثون فيما قيل في المزاح قال الفقيه رحمه الله تعالى

لا باس بالمزاح بعد ان لا يتكلم بكلام يأثم فيه او يقصد به امرا يضحك
القوم فان ذلك مذموم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني
لامزح ولا اقول الا حقا وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يخالطنا فيقول لاخ لي يا ابا عمير ما فعل النغير وروي
ان عجوزا قالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال صلى الله عليه
وسلم ان الجنة لا يدخلها العجوز فجعلت تبكي فقالت عائشة رضي الله عنها
يا رسول الله انك لاحزنتها فقرا النبي صلى الله عليه وسلم انا انشاناهن
انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا فسرت بذلك وروى حماد بن سلمة عن جعفر
الخطمي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل يكنى ابا عمرة فقال فلمس الرجل فرجه

فقال يا رسول الله ما كنت ارى الا انى امراة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما انا
بشر امازحكم قال الفقيه لا تكثر المزاح فان فيه ذهاب المهابة ولانه يذهب ماء
الصلحاء ويجترى عليك السفهاء وتنسب الى الخفة ولا تمازح مع من لم يكن بينه
وبينك مخالطة ولا تعرف اخلاقه ولا باس ان تمازح مع اقربائك وجلسائك فى
غير ماثم ولا افراط فان خير الامور اوساطها لان ذلك احرى ان لا تنسب الى الثقل
ولا الى الخفة انتهى بكماله اقول المزح بالفتح ثم السكون المداعبة من باب علم يعلم
والمزاح بضم الميم اسم وبالكسر مصدر وحديث انس الذى رواه الفقيه ورد فى
المصابيح من الصحاح بلفظ عن انس قال ان كان النبى صلى الله عليه وسلم ليخالطنا
حتى يقول لاخ لى يا ابا عمير ما فعل النغير كان له نغر يلعب به فمات قال زين العرب
ان من ان كان ليخالطنا المخففة من المثقلة والنغير تصغير نغر بالنون
المضمومة والغين المعجمة مفتوحة وهو فرخ العصفور وقيل طاير كالعصفور
احمر المنقار واحدتها نغرة كهمزة وهو يدل على اباحة صيد المدينة وانه لا باس
باعطاء الصبى الطير ليلعب به بلا تعذيبه وعلى اباحة السجع وتصغير الاسماء
والدعابة وهى الممازحة ما لم تكن اثما وجواز تكنى الصبى ولا يدخل ذلك فى طلب
الكذب وحديث العجوز الذى رواه الفقيه ورد فى المصابيح من الحسان بلفظ
انه صلى الله عليه وسلم قال للعجوز ان الجنة لا يدخلها العجز فولت تبكى قال
اخبروها انها لا تدخلها وهى عجوز لان الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن
ابكارا والعجز بضمتين جمع عجوز كعجايز واما قوله صلى الله عليه وسلم لابى
عمر يا ام عمر يحتمل وجوها اقربها انه على حذف المضاف اى زوج ام عمره وفى
المصابيح عن انس ان رجلا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى طلب
ان يحمله على دابة فقال انى حاملك على ولد ناقة فقال ما اصنع بولد الناقة
فقال صلى الله عليه وسلم وهل تلد الابل الا النوق وسمى المزاح مزاحا لكونه
يزيح صاحبه من الحق الى الباطل ومن الخير الى الشر ومن الهزل الى الجد بكسر الجيم
ومن الصداقة الى العداوة فى تعليل المزاح بما ذكر نظر اذ لو كان ذلك سببا اقول فيه
للتسمية لكان ينبغى ان يكون اسمه المزيح اسم فاعل لان المزاح لانه اسم مفعول
وفى حديث انه صلى الله عليه وسلم قال اياكم والمزاح فانه يذهب بهاء المؤمن
ويسقط مروته ويجر غضبه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يقول
مزح النبى صلى الله عليه وسلم فصار المزح سنة وقيل لسفيان بن عيينه
المزح هجنة فقال بل سنة ولكن الشان فيمن يحسنه قال فى المغرب هجن هجانة
وهجنة ومنها قوله الصبى يمنع عما يورث الهجنة والوقاحة يعنى العيب
وقال على رضى الله عنه ما مزح امرئ مزحة الا مج من عقله مجة فى المغرب مج
الماء من فيه رمى به من باب طلب وقيل المزاح يبدى المهانة ويذهب المهابة
والغالب فيه واتر والمغلوب ثاير قال فى المغرب وتره حقه اذا انقصه فكانك

الغالب وتر حق المغلوب اى نقص مقداره فثار اى هاج غضبه لذلك وسياتى تفسير
الوتر فى الباب الثامن والثلاثين وقيل المزاح ياكل الهيبة كما تاكل النار الحطب وقال الشاعر
لا تمزحن فان مزحت فلا تكن … مزحا تضاف به الى سوء الادب
واحذر ممازحة تعود عداوة … ان المزاح على مقدمة الغضب
والهزل يكون من سخف او بطر والسخف رقة العقل من قولهم ثوب سخيف اذا كان
قليل الغزل والحاصل منع المزاح اذا كان فيه اثم واباحته اذا لم يكن فيه اثم
وكان محمد بن المنكدر يتعبد وهو غلام فكانت امه تقول له لا تمزح مع الصبيان
فتهون عليهم وسياتى بالباب الواحد والسبعين ما يتعلق بالفكاهات انتهى

الباب الثانى والثلثون فى دخول الرجل على اهله ليلا قال الفقيه

رحمه الله تعالى اذا رجع الرجل من سفره فانه يستحب له ان يدخل على اهله نهارا
ولا ينبغى ان ياتيهم ليلا فى حال غفلتهم وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا جاء احدكم من الغيبة فلا يطرقن
اهله ليلا وروى فى خبر آخر ان النبى صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة له
فقال لاصحابه لا يطوفن احدكم ليلا على اهله فطرق اثنان فوجد كل واحد مع امراته
رجلا وهذا النهى للاستحباب لا نهى التحريم فالافضل ان يعلم اهله حتى يتاهبوا
له فان لم يعلمهم ودخل بغير علم فذلك ترك السنة ولا يكون حراما انتهى بكماله
اقول فى عمدة الحفاظ كل من اتى ليلا او روى فيه سمى طارقا ومنه الحديث نهى
المسافر ان ياتى اهله طروقا اى ليلا واصله ان الطارق هو السالك للطريق سمى
طارقا لانه يطرق الارض والسبيل برجله اى يضربها بها عند سفره ومن ثم
سميت السبيل طريقا اى مطروقة بالارجل الا انه خص فى العرف بالآتى ليلا انتهى
وفى شرح السنن للخطابى عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى سفر فلما تهيانا لندخل قال امهلوا لكى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة
قوله تستحد اى تصلح من شان نفسها والاستحداد مشتق من الحديد ومعناه
الاحلاق بالموسى يقال استحد الرجل اذا احتلق بالحديد واستعان بمعناه
اذا احلق عانته انتهى قوله الشعث والشعثة المغبر الراس والمغيبة فى اصل
الشرح بفتح الميم ثم غين معجم مكسورة ثم آخر الحروف ثم موحدة بغيرها وفى
الصحاح اغابت المراة اذا غاب عنها زوجها فهى مغيبة بضم الميم بالهاء
ومشهد بلا هاء يعنى بالمشهد التى زوجها شاهد غير غايب

الباب الثالث والثلثون فى الفتوى قال الفقيه رحمه الله تعالى

كره بعض الناس الفتوى واجازه عامة اهل العلم اذا كان الرجل يصلح لذلك
فاما حجة الطايفة الاولى فما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اجراكم على النار اجراكم على الفتوى وروى عن سلمان انه راى ناسا كانوا
يستفتونه فقال هذا خير لكم وشر لى وعن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال ادركت مائة

نخ فلا يطوفن فى اهله ليلا
نخ لا يطرقن احدكم اهله ليلا

وعشرين نفراً من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فما كان منهم محدث الا ود
ان اخاه كفاه الفتوى وعن ابن سيرين قال قال حذيفة انما يفتي الناس احد
ثلثة من يعلم ما نسخ من القرآن او امير لا يجد بداً او احمق متكلف وكان ابن سيرين
اذا سئل عن شيء يقول لست باحد هذين واكره ان اكون الثالث واما حجة من
اباح ذلك فما روى في حديث ابي هريرة وزيد بن خالد وشبل بن معبد رضي الله
عنهم قالوا كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام رجل فقال انشدك الله
اقض بيننا بكتاب الله تعالى فقام خصمه وكان افقه منه فقال صدق اقض
بيننا بكتاب الله تعالى واذن لي فاقول فاذن له فقال ان ابني كان عسيفا
على هذا الرجل وانه زنى بامراته فافتديت منه بماية شاة وخادم ثم سالت
رجالا من اهل العلم فاخبروني ان على ابنك جلد ماية وتغريب عام وعلى امراته
الرجم ففي هذا الحديث دليل على جواز الفتيا لانه قال سالت رجالا من اهل
العلم فلم ينكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواهم وفي الخبر دليل
ان الفتيا يجوز وان كان غيره اعلم منه الا ترى انهم كانوا يفتون في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه سئل عن
محرم كسر بيض نعامة فامره علي رضي الله عنه بكل بيضة ان ينحر ولدنا قة فجاء
السائل الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم قد قال لك علي ما سمعت ولكن هلم الى الرخصة فعليك بكل بيضة اطعام
مسكين وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سئل بالبحرين عن الحلال اذا
ذبح صيدا فاكله محرم فقال يجوز فلما رجع ابو هريرة الى عمر رضي الله عنه انه سئل
اخبره بذلك فقال له عمر لو قلت غير هذا لفعلت بك كذا وكذا ولان الصحابة كانوا
يفتون في الحوادث وهكذا توارث المسلمون ولان الله تعالى قال فاسالوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون فلما امر الله تعالى الجهال بان يسالوا العلماء فقد امر
العلماء بان يخبروهم اذا سالوهم عن ذلك انتهى بكماله اقول قول ابن سيرين
لست باحد هذين اي لست اعلم ما نسخ من القرآن ولا انا امير وقوله واكره
ان اكون الثالث يعني ان اكون احمق متكلفا والرخصة في الامر خلاف التشديد
كذا في الصحاح ومما يدل لمن كره الفتوى ما ذكر في النوازل ان ابن عمر رضي الله عنهما
سئل عن مسئلة فقال لا ادري ثم قال اتريدون ان تجعلوا ظهورنا لكم
جسورا في جهنم تقولون افتانا ابن عمر بهذا الباب الرابع والثلثون
فيمن يصلح للفتوى قال الفقيه رحمه الله تعالى لا ينبغي لاحد ان يفتي الا
ان يعرف اقاويل العلماء يعني ابا حنيفة وصاحبيه ويعلم من اين قالوا ويعرف
معاملات الناس فان عرف اقاويل العلماء ولم يعرف مذاهبهم فان سئل
عن مسئلة يعلم ان علماءه الذين ينتحلون مذاهبهم قد اتفقوا عليه فلا باس
بان يقول هذا جائز وهذا لا يجوز ويكون قوله على سبيل الحكاية وان كان مسئلة

البعير اسم موضع

قد اختلفوا

قد اختلفوا فيها لا باس بان يقول هذا جائز في قول فلان ولا يجوز في قول
فلان ولا يجوز له ان يختار ويجيب بقول بعضهم ما لم يعرف حجته وروي
عن عصام بن يوسف انه قال كنت في ماتم فاجتمع فيها اربعة من اصحاب
ابي حنيفة رحمه الله زفر بن الهذيل وابو يوسف وعافية بن يزيد والحسن
ابن زياد وآخر فكلهم اجتمعوا انه لا يحل لاحد ان يفتي لاحد بقولنا ما لم يعلم
من اين قلنا وروي ابرهيم بن يوسف عن ابي يوسف عن ابي حنيفة رحمهم الله
تعالى انه قال لا يحل لاحد ان يفتي بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا وروي عن عصام
ابن يوسف انه قيل له انك تكثر الخلاف اي التردد لابي حنيفة فقال لان ابا حنيفة
اوتي من الفهم ما لم نوت فادرك بفهمه ما لم ندرك ونحن لم نوت من الفهم
الا ما اوتينا ولا يسعنا ان نفتي بقول ما لم نفهمه نقل انه كان بين قاضي
القضاة بالكوفة وبين ابي حنيفة وحشة يسيرة وكان يجلس للحكم بمسجد
الكوفة فيحكى انه انصرف يوما من مجلسه فسمع امراة تقول لرجل يا ابن الزانيين
فامر بها فاخذت ورجع الى مجلسه وامر فضربت حدين وهي قايمة فبلغ ذلك
ابا حنيفة فقال اخطا القاضي في هذه الواقعة في ستة اشيا في رجوعه الى
مجلسه بعد قيامه منه ولا ينبغي له ان يرجع بعد ان قام منه وفي ضربه الحد في
المسجد وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اقامة الحدود في المساجد
وفي ضربه المراة قايمة وانما تضرب النساء قعودا كاسين وفي ضربه اياها حدين لانما
يجب على القاذف اذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد ولو وجب ايضا حدان
لا يوالي بينهما بل تضرب اولا ثم تترك حتى تبرا من الم الاول وفي اقامة الحد عليها
بغير طالب قال الفقيه ينبغي لمن جعل مفتيا او تولى شيا من امور المسلمين
وجعل وجه الناس اليه ان لا يردهم قبل ان يقضي حوايجهم الا من عذر ويستعمل
الرفق والحلم وقد روى قاسم بن مخيمرة عن ابي مريم وكانت له صحبة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من ولي من امور المسلمين شيا فاحتجب دون
خلتهم وحاجتهم وفاقتهم احتجب الله تعالى منه يوم القيامة دون
خلته وحاجته وفاقته وينبغي للمفتي ان يكون متواضعا لينا ولا يكون
جبارا عنيدا ولا فظا غليظا لان الله تعالى قال فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك انتهى اقول
في نوازل الفقيه ان محمد بن الحسن سئل متى يحل للرجل ان يفتي قال اذا كان
صوابه اكثر من خطايه وقال نصر بن يحيى سالت شداد بن حكيم في مرضه
الذي مات فيه اذا نزلت بنا نازلة بعدك ونحن نعرف قول ابي حنيفة واصحابه
ايسعنا ان نعمل به ونفتي به قال نعم قلت فان اختلفوا قال ان كنتم تحسن
ان تختار فاختر من كلامهم وان لم تكن تحسن ان تختار فقول ابي حنيفة
احب الي وفيها قال ابو بكر الرجل وان حفظ جميع كتب اصحابنا فلا بد له ان

يتلمذ للفتوى حتى يهتدي اليه قال الفقيه لان كثيرا من المسايل اجاب اصحابنا
فيها على عادة اهل بلدهم ومعاملاتهم فينبغي لكل مفتي ان يفتي على عادة
اهل بلده في زمانه فيما لا يخالف الشريعة والمفتي اذا خالفه غيره فان علم انه
اعلم منه رجع الى قوله والا لا قال في مرآة الزمان كان الحسن البصري رضي
الله عنه اذا افتى بفتوى يقال له قد خالفك فلان وفلان لا يرجع عن
فتياه فاذا قيل له خالفك سعيد بن المسيب رجع الى قوله وترك قول نفسه
واذا نزل امر في حلال او حرام ولم يكن ذلك في كتاب الله تعالى ولا في السنة
ولا فيما اجتمع عليه المسلمون فلا بد من النظر في ذلك والمشاورة فيه
بمنزلة من اشتبهت عليه القبلة فيتحرى الصواب ولا يجب للمفتوى
اذا لم يسئل عن الاحتياج ولا يعجب بنفسه بينما هو معجب بنفسه اذ اتيته
مسئلة لا يحسنها قال ذلك محمد بن سلمة واراد الفقيه باستعمال المفتي
الرفق ان يعتذر الى المستفتي اذا الح عليه في الافتاء بان يقول له مثلا اتيت
من مكان بعيد او غير ذلك فيقول له اول الامر حتى افرغ من هذا الامر فان
الح عليه فيجيبه بما كان يجيب به ابو نصر السايل الملح وهو فلا نحن ناديناك
من حيث جئتنا ولا نحن عمينا عليك المذاهبا ولا يسع المتفقه ان
يشتغل بالعباده ويمتنع عن تعليم الناس الا اذا استغنوا عنه بغيره
وقال ابو يوسف لا ينبغي لاحد ان يفتي بالراي الا من عرف احكام الكتاب والسنة
والناسخ والمنسوخ واقاويل الصحابه والمتشابه ووجوه الكلام وفي
جامع الفصولين اجمع العلماء ان المفتي يجب ان يكون من اهل الاجتهاد اذ
يبين احكام الشرع وانما يمكنه ذلك لو علم الدلايل الشرعيه ونقل فيه عن
الملتقط انه حل له ان يفتي لو صوابه اكثر من خطائه فلو لم يكن مجتهدا لم
يحل له ان يفتي الا بطريق الحكايه فيحكي ما يحفظه من اقوال الفقهاء وفيه
ايضا عن قاضي خان انه قال المفتي في زماننا لو سئل فلو كانت المسئلة
مرويه عن اصحابنا في الروايات الظاهرة بلا خلاف بينهم يفتي بقولهم
ولا يخالفهم برايه ولو مجتهدا متقنا اذ الظاهر ان الحق مع اصحابنا ولا
يعدوهم واجتهاده لا يبلغ اجتهادهم ولا ينظر الى من خالفهم ولا يقبل
حجته لانهم عرفوا الادلة وميزوا بين ما صح وبين ضده ولنقتصر على ما
ذكرنا فان الاقوال كثيره في المفتي وحد الاجتهاد فمن اراد زيادة فليطلب
كتب الفتاوى ففيها المراد الباب الخامس والثلثون في القضاء قال
الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس في قبول القضاء قال بعضهم لا ينبغي
ان يقبل القضاء وقال بعضهم ان ولي بغير طلب منه فلا باس بان يقبل اذا كان
يصلح لذلك الامر وهذا قول اصحابنا رحمهم الله تعالى فاما من كرهه فقد احتج
بما روي عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء

بالقاضي

بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود انه لم يكن قضى بين
اثنين وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال
من جعل على القضاء فقد ذبح بغير سكين اقول ذكر هذا الحديث في البستان بلفظ
من جعل قاضيا وقيل من ولي القضا بغير علم فكانما ذبح بغير سكين وبذلك اخذ
ابن الوردي قوله

توليت القضا بغير علم ... وقاض الجور من كفى فيضا
ذبحت بغير سكين ولكن ... اريد الذبح بالسكين ايضا

وقد ورد القضاة ثلثة قاض في الجنة وقاضيان في النار وقال ابن الوردي
في قضاة زمانه وقيل انها للزمخشري رحمه الله تعالى

قضاة زماننا صاروا لصوصا ... عموما في البرايا لا خصوصا
يرون الغنم اموال اليتامى ... كانهم راوا فيها نصوصا
ونخشى منهم لو صار فحوانا ... لا خلوا من خواتمنا الفصوصا

ونظر شريح الى رجل قايم على راسه وهو يضحك فقال له ما يضحكك وانت
تراني اتقلب بين الجنة والنار ثم قال الفقيه وروى شريك عن الحسن البصري
قال كانت بنوا اسرايل اذا استقضي رجل منهم ايس من النبوة وروى ابو داود
ايوب قال دعي ابو قلابه للقضاء فهرب حتى اتى الشام فوافق ذلك عزل قاضيها
فهرب حتى اتى اليمامة فلقيته بعد ذلك فقال لما وجدت مثل القاضي الا
كمثل سابح في البحر فكم عسى ان يسبح حتى يغرق وروي عن سفيان الثوري رضي
الله عنه انه دعي الى القضاء فهرب الى البصرة واختفى فبعث امير المومنين
في طلبه فلم يقدروا عليه فمات وهو متوار وروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه
انه ابتلي بالحبس والضرب فلم يقبل فمات في الحبس اقول نقل عن الفخر الرازي
ان الامام الشافعي رحمه الله ولي القضا باليمن وقال النووي رحمه الله تعالى
في فتاويه الاربعه رضي الله عنهم لم يتولوا القضاء ثم قال الفقيه واما حجة
من قال انه لا باس به فما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من ابتغى القضا وسال عليه الشفعاء وكل الى نفسه ومن اكره
عليه نزل عليه ملك يسدده وروي عن الحسن انه قال كان يقال لاجر حكم
اي حاكم عادل في يوم واحد افضل من اجر رجل يصلي في بيته سبعين سنة
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعبد الرحمن بن سمرة لا تسال
الامارة فانك ان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اعطيتها من غير
مسالة اعنت عليها وروي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رجلين
دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلما وقالا استعملنا على بعض
اعمالك فان عندنا وفاء وامانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لا نستعمل
على عملنا من اراده وطلبه انتهى بكماله اقول نقل في جامع الفصولين عن الخلاصة
ان تولي القضا رخصه لو عدلا في نفسه عالما بالكتاب والسنة واجتهاد الراي

ولا يباح طلبه بحال عند اكثر العلماء ولو اعطى بلا طلب لا يحل له الشروع ما لم يجبر
عليه عند علماء العراق وهو قول ابي حنيفة وقال مشايخ بلادنا لا باس به للاصلاح
انتهى وفي التتارخانية الدخول مختارا رخصه والامتناع عزيمة وهذا كله لو لم
يطلب اما الطلب فحرام شرعا حتى لم يجز للسلطان ان يقلد من طلب انتهى وفي
الجامع المذكور عن الخلاصة لو قلد السلطان رجلا وهو من اهل القضاء
وغيره افضل منه فقد اساء ولم ياثم وكذا الوالي واما الخلافة فليس لهم ان
يولوها الا افضلهم وشرط كون القاضي مجتهدا ان يعلم من الكتاب والسنة
قدر ما يتعلق بالاحكام دون المواعظ وان يعلم باصول الشرع الكتاب والسنة
والاجماع والقياس واذا كان القاضي بهذه الصفات من العلم كان مستحقا
للقضاء وقيل المجتهد من يبذل المجهود في نيل المقصود وحُدّ بانه محدث
له فقه او فقيه له الحديث وقيل لا بد له من قريحة يعرف بها العرف وقيل
من كان عالما في مسئلة يعرف حقيقتها ولا يخفى عليه دقيقتها فهو مجتهد
في تلك المسئلة وقال ابن كمال باشا في كتابه الاصلاح والايضاح الاهل للشهادة
اهل للقضاء وشرط اهليتها شرط اهليته والفاسق اهل له يصح تقليده وياثم
المقلد كما يصح قبول شهادته وياثم القابل ولو فسق العدل استحق العزل في ظاهر
المذهب والاجتهاد للاولوية لا للصحة ولو قلد جاهل صح يريد الجاهل الذي
في مقابلة العالم لا الذي يقابل المجتهد ويختار الاقدر والاولى ولا يطلب القضاء
ولا باس بالدخول فيه لمن يثق عدله وكره لمن يخاف عجزه او حيفه انتهى والكلام
في القضاء وادابه كثير يطلب ذلك من كتب الفقه وفي فصل الامام القضاء منصب
شريف • خصوصا ان كان في يد عفيف • وقد وليه جماعة من الصحابة •
والتابعين • والعلماء الصالحين • فازداد وابه صلاحا • وحازوا اجرا •
وفلاحا • لحكمهم بما انزل الله • وامرهم بما امر الله • ونهيهم عما نهى الله •
واقامة حدود الله • على عباد الله • بما امر الله • لا بخلاف حكم الله • كما نقله
ابن خلكان عند اسم محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى القاضي بالكوفة واعلم ان
الخوف على القاضي من جهة الذي يرديه في الهلاك بحكمه بخلاف ما انزل
الله • وتضييع حقوق عباد الله • واتباع الهوى الذي نهى الله عنه بقوله
تعالى في ص يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق
ولا تتبع الهوى اي لا تمل الى هوى نفسك فتقضي بغير عدل فيضلك عن
عن سبيل الله • والهوى هو الميل الى الباطل وهو اقسام الاول هو خلق •
النفس وسجيتها بجمع ما تميل اليه الانفس من الاباطيل وسياتي بقية
اقسامه بالملحق بالباب الثامن وقال النبي صلى الله عليه وسلم العقل والهوى
ضدان لا يجتمعان وقال الفلاطون لم يحارب العقل شي كمحاربة الهوى وقالت
الحكماء الخطا في متابعة الهوى وفي المثل من اطاع هواه بلغ عدوه منه مناه

وقال الحسن رضي الله عنه لا يزال الدين متينا ما لم تظهر الاهواء في الملوك وقيل
كان مكتوب على غاشية التوراة ثلاثة وعشرين كلمة وكان يجتمع صلحاء بني
اسرائيل ويقرؤنها كل يوم وكان من جملتها لا كرم اكرم من ترك الهوى وقيل الهوى
عدو متبوع والعقل صديق مقطوع وقد قلت مخاطبا القاضي يريد الميل مع
شخص يقال له الهوائي

متابعة الهوى امر ذميم ... فعرج عن متابعة الهوائي
وللضعفاء ايد فاخش منها ... اذا رفعت الى رب السماء

وكان هشام بن عبد الملك ينشد دائما

اذا انت طاوعت الهوى قادك الهوى ... الى بعض ما للنفس فيه مقال

ولهذا البيت قصة تذكر عند اسم ذكر هشام في محله فمن طاوع الهوى كان
عبدا له ومن ملكه ولم يطاوعه كان سيدا له وبعث ملك الى عابد
ما لك لا تخدمني وانت عبدي فقال لو اعتبرت لعلمت انك عبد العبدي لاني
املك الهوى فهو عبدي وانت تتبع الهوى فانت عبده ولو لم يكن من فضل
القضاء وان كان متعبا الا قول الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى وهو

ان الولاية ليس فيها راحة ... الا ثلث يبتغيها العاقل
حكم بحق او ازالة باطل ... او نفع محتاج سواها باطل

ولنذكر بعضا ممن ولي القضاء ممن تقدم ذكرهم اجمالا فمنهم امير المؤمنين علي بن
ابي طالب رضي الله عنه على ما ذكره الخطابي في شرح السنن ان عليا قال بعثني رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قاضيا فقلت يا رسول الله ترسلني وانا
حدث السن ولا علم لي بالقضاء فقال ان الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك
فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الاخر كما سمعت من
الاول فانه احرى ان يتبين لك القضاء قال فما زلت قاضيا وما شككت في قضاء
بعد قال الخطابي فيه دليل على ان الحاكم لا يقضي على غايب وذلك انه اذا منعه
ان يقضي لاحد الخصمين وهما حاضران حتى يسمع كلام الاخر فقد دل على انه
في الغايب اولى لانه لم يحضر ولم يسمع قوله اولى بالمنع وذلك لامكان ان يكون معه
حجة تبطل دعوى الحاضر وتدحض حجته قال وممن ذهب الى ان الحاكم لا يقضي
على الغايب شريح وعمر بن عبد العزيز وهو قول ابي حنيفة وابن ابي ليلى وقال
مالك والشافعي القضاء على الغايب جايز وذكر دليلهما ثم قال وقد حكم ابو حنيفة
واصحابه على الغايب في مواضع منها الحكم على الميت وعلى الطفل وقالوا في الرجل
يودع الرجل وديعة ثم يغيب فاذا ادعت امراته النفقة وقدمت المودع الى
الحاكم قضى لها عليه بها وقالوا اذا ادعى الشفيع على الغايب انه باع عقاره
وسلم واستوفى الثمن كان يقضى له بالشفعة وهذا كله حكم على الغايب انتهى قلت
وحكم الحنفي على الغايب فيما ذكره وغيره له دلايل قاطعة في كتب الفقه والفتاوى

ليس هذا محلها ومن ولي القضاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن
جبل وناهيك بعلي ومعاذ رضي الله عنهما ذكرهما صاحب الشجرة النبوية ومنهم
القاضي شريح يأتي ذكره في فضل هذا الباب ومنهم الحسن بن ابي الحسن البصري
من الطبقة الثانية من التابعين من اهل البصرة وكان زاهدا وليها بعد اياس
ابن معاوية الآتي ثم استعفى وعن الحجاج بن الاسود قال تمنى رجل فقال ليتني
بزهد الحسن وورع ابن سيرين وعبادة عامر بن عبد قيس والشعبي وفقه ابن
المسيب فنظروا في ذلك فوجدوه كله في الحسن ومنهم اياس بن معوية بن
قرة المزني من الطبقة الثالثة من التابعين من اهل البصرة وكان ثقة ولي القضا
بالبصرة من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وله اخبار مدونة منها انه قال
اذكر ليلة ولدت وضعت امي على راسي جفنة وقدم الشام فقدم خصما له
الى قاضي عبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا فقال له القاضي يا غلام اما
تستحي تتقدم شيخا كبيرا فقال اياس الحق اكبر منه فقال له اسكت فقال ومن
ينطق بحجتي اذا سكت فقال ما احسبك تقول حقا فقال اشهد ان لا اله الا الله
قال فما اظنك صادقا فقال ما بالظن تبطل احكام الشرع وتذهب الحقوق فدخل
القاضي على عبد الملك فاخبره فقال اقض حاجته وامره ليلا يفسد علينا
الشام وقيل له فيك اربع خصال دمامة وكثرة كلام واعجاب بنفسك
وتعجيلك بالقضا فقال اما الدمامة فالامر فيها الى غيري واما كثرة الكلام
فبصواب اتكلم ام بخطأ قالوا بصواب قال فالاكثار بالصواب مثل واما
اعجابي بنفسي افيعجبكم ما ترون مني قالوا نعم قال فانا احق ان اعجب بنفسي
واما تعجيل القضا فكم هذه واشار بيده خمسة فقالوا خمسة قال عجلتم
الا قلتم واحد اثنان ثلاث اربعة خمسة قالوا ما نعد شيئا قد عرفناه قال
فالى احبس شيئا قد تبين لي الحكم فيه ومنهم ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم
الانصاري من الطبقة الثالثة من اهل المدينة ولي قضاء المدينة من عمر بن
عبد العزيز لما ولي المدينة ولم يطلع ابو بكر بن حزم على منبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسيف قط وقالت زوجته ما اضطجع على فراشي بالليل منذ اربعين
سنة وكان السجود قد اكل انفه وجبهته ومنهم الشعبي وكان مجاب
الدعوة ذكر في مراة الزمان انه تقدم رجل وامراته اليه في حكومة وهو قاض
فاظهرت المراة حجتها واثبتت بينتها وكانت جميلة فقضى الشعبي على
الزوج حيث لم تكن له بينة فقال الزوج

فتن الشعبي لما ◦ رفع الطرف اليها ◦ فتنته بدلال ◦ وبخطي حاجبيها
فمشت مشيا رويدا ◦ ثم هزت منكبيها ◦ قال للجلواز قدمها ◦
واحضر شاهديها ◦ فقضى جورا على الخصم ◦ ولم يقض عليها ◦

وسمعه الشعبي فقال ان كنت كاذبا فاعمى الله بصرك فعمي في الحال الجلواز بكسر الجيم

اوله وسكون ثانيه الشرطي بضم الجيم وسكون المهملة الاولى وكسر الثانية وهو
واحد الشرط مثل زحل وهم الذين جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها انهم
من اعوان الحاكم وحكي ان الشعبي عاش مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك
وممن ولي القضاء الزهري ينتسب الى زهرة احد اجداده تابعي من الطبقة
الرابعة من اهل المدينة ولي قضاء المدينة قال مالك بن انس رضي الله عنه
ما ادركت فقيها محدثا غير الزهري جمع بين العلم والرواية وكثرة الحديث وكان
يقول ما استودعت قلبي شيئا فنسيته قال المدايني كانوا يفضلون ابن
شهاب الزهري على الحسن البصري قال الزهري ما سمعت مثل اربع كلمات تكلم
بهن رجل عند هشام بن عبد الملك قال لا تعدن عدة لا تثق نفسك بانجازها
ولا يغرنك المرتقى وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعرا واعلم ان للاعمال
جزاء فاتق العواقب وان للامور بغتات فكن على حذر ثم ان الصدر الاول
لم يخل من القضاة وانما امتنع بعض العلماء العاملين عن القضا لما علموا
فساد خلفائهم بالقول بالقدر وبخلق القرآن وبقتل الانفس بغير حق وتعاطي
المنكرات فامتنعوا عنه خوفا على دينهم وانفسهم وان يكونوا شركاءهم
في ذلك مع علمهم انه تم في زمانهم من يصلح له وان كان دونهم في العلم
واما زماننا فان الناس يسالون في القضاء سواء كانوا اهلا له او غير
اهل ويجعلون ذلك حرفة لحسن المعيشة في الدنيا ولو شاركوا الحكام في
بعض ما هم فيه ويتاولون فيه تاويلات واسال الله المغفرة لي ولهم ولساير
المسلمين وان يعصمني من ذلك وان يسلك بنا احسن المسالك انه ولي ذلك
فصل في ادب القاضي قال الفقيه رحمه الله تعالى ينبغي للقاضي ان يسوي
بين الخصمين في المجلس وفي النظر وفي غيره كما جاء في الاثار وروت ام سلمة رضي
الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ابتلي احدكم في القضاء فليسو
بينهم في المجالس والاشارة والنظر ولا يرفع صوته على احد الخصمين اكثر مما على
الآخر وينبغي للقاضي ان يكون في قضائه فارغ القلب وقد روي عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقضي القاضي الا وهو شبعان
ريان وروي عن ابي بكرة رضي الله عنه كتب الى ابنه وكان قاضيا بسجستان
ان لا تقضي بين اثنين وانت غضبان فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان وقال الحسن البصري
اخذ الله تعالى على القضاة ثلاثة اشياء ان لا يتبعوا الهوى وان يخشوا الله
ولا يخشوا الناس ولا يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ثم قرا قوله تعالى يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله وقرا فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا
وقرا وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى قوله ففهمناها سليمان ثم قال

الحسن لولا ما ذكره الله من امر هذين يعني داود وسليمان لرايت ان القضاة قد هلكوا ولكن الله عز وجل اثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده اقول قد تقدمت اية حكم داود وسليمان والكلام عليها في الباب العشرين في الاختلاف في المسايل وفي الاجتهاد واما قوله تعالى ولا تشتروا باياتي الى اخر الاية الخطاب فيها لبني اسرايل قال تعالى في اوايل البقرة يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون اراد سبحانه وتعالى انكم لا ترتشوا على تبديل التورية قال تاج القرآن اليهود غيروا احكام التورية وحرفوا معناها وفسروها على خلاف مقتضاها وغيروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم واخذوا عليه الرشى من كبرايهم انتهى واول من اخرج الرشوة اليهود وهي بكسر الراء وضمها والجمع رشا بهما مقصورا ورشاه اعطاه الرشوة وارتشى اخذها واسترشى في حكمه طلب الرشوة عليه وفي سنا الامارة ان اول من رشا في الاسلام المغيرة وكان يقول لربما عرق الدرهم في يدي لادفعه لصاحب عمر ليسهل لي الحجاب واما الرشاء بالمد مع كسر الراء فحبل الدلو ومنه الرشوة لان فيها الاخذ والعطاء كما ان في الحبل اخذ الماء من البئر واعطائه لطالبه او لان فيها توصل المرتشي الى غرضه كما ان في الحبل التوصل الى حصول الغرض وهو اخذ الماء وفي مراة الزمان اذا دخلت الهدية او الرشوة من الباب خرجت الامانة او الايمان من الطاق وولي عبد الملك ابن مروان قاضيا على دمشق فبلغه عنه شي فكتب اليه عبد الملك يقول

اذا رشوة من دار قوم تقحمت ... على اهل بيت والامانة فيه
سعت هربا منه وولت كانها ... حليم تولى عن جواب سفيه

وقال بعض العلماء كنت في مكة فاذا اعرابي يختصم اليه الناس فيقضي بينهم كالناس بالحق فلما تفرقوا قلت له هل اخذت العلم عن احد قال لا فقلت ما هذا الفهم قال توفيق الله قلت ارايت لو تحاكم اليك اثنان فاهدى اليك احدهما اتقضي له قال اذا لا ينزل التوفيق وما احسن قول جدامي شيخ الاسلام قاضي القضاة فخر الدين ابي الفضل بن الشحنة الحنفي

سلوا عن محبات الرجال قلوبكم ... فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا
ولا تسالوا عنها العيون فربما ... تشير الى ما لم يكن داخل الحشا

اخذ ذلك من قول بقراط • سلوا القلوب عن المودات فانها • شهود لا تقبل الرشا وزاد عليه عدم قبول شهادة العيون واختصم رجلان الى القاضي شريح رضي الله عنه فقضى على احدهما فقال قد علمت من حيث اتيت فقال القاضي لعن الله الراشي والمرتشي والكاذب وفي شرح السنن عن عمر رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي قال الخطابي الراشي المعطي والمرتشي

الاخذ وانما تلحقهما العقوبة معا اذا استويا في القصد والارادة فرشا المعطي لينال به الى ظلم فاما اذا اعطى ليتوصل به الى حق او يدفع عن نفسه ظلما فانه غير داخل في هذا الوعيد وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه اخذ في شي وهو بارض الحبشة فاعطى دينارين حتى خلي سبيله وروي عن الحسن والشعبي وجابر بن زيد وعطا انهم قالوا لا باس ان يصانع الرجل عن نفسه وماله اذا خاف الظلم وكذلك الاخذ انما يستحق الوعيد اذا كان ما ياخذه اما على حق يلزمه اداوه فلا يفعل ذلك حتى يرتشي او على باطل يجب عليه تركه فلا يتركه حتى يصانع ويرتشي وقد تقدم في الباب السادس عشر ان الصنيعة العطيه •

فصل ولنذكر شيئا من اخبار القاضي شريح كان من الطبقة الاولى من التابعين من اهل الكوفة قال الشعبي ساوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا فرسا فركبه ليشوره فعطب فقال للرجل خذ فرسك فقال الرجل لا فقال عمر له اجعل بيني وبينك حكما فقال الرجل شريح فتحاكما اليه فقال يا امير المومنين خذ ما ابتعت او رده كما اخذت فقال عمر وهل القضا الا هكذا سر الى الكوفة قاضيا وانه لاول يوم عرفه وحكي ان ابناله قال له بيني وبين قوم خصومة فانظر فان كان الحق لي خاصمتهم وان كان الحق على تركتهم وقص قصته عليه فقال انطلق فخاصم فتخاصموا اليه فقضى على ابنه فقال له يا ابت فضحتني فقال يا بني لانت احب الي من ملء الارض مثلهم ولكن الله اعز علي منك وخشيت ان اخبرك ان القضا عليك فتصالحهم فتذهب ببعض حقهم وكان اذا خرج للقضا يقول سيعلم الظالم من نصر ان الظالم ينتظر العقاب وان المظلوم ينتظر النصر وكان اذا غضب وجاع قام وقال الشعبي جاءت امراة اليه تخاصمت وجعلت تبكي فقلت له ما اظنها الا مظلومة فقال يا شعبي ان اخوة يوسف جاوا اباهم عشاء يبكون وعن الشعبي قال خرج امير المومنين علي رضي الله عنه الى السوق فاذا بنصراني يبيع درعا فعرف امير المومنين الدرع فقال هذه درعي فانكر النصراني وقال بيني وبينك قاضي المسلمين فقدما على شريح فلما راى شريح امير المومنين قام من مجلس القضا واجلسه فيه وجلس شريح قدامه الى جنب النصراني فقال علي لو كان خصمي مسلما لقعدت الى جانبه واحتكما عنده فقال شريح يا امير المومنين الك بينة فسكت علي فقال النصراني اني اشهد ان هذه احكام النبيين امير المومنين يجي الى قاضيه وقاضيه يقضي عليه هي والله درعك يا امير المومنين سقط من جمل جمالك الاورق ليلة كذا وكذا فاخذتها ثم اسلم النصراني فوهب له امير المومنين الدرع وحمله على فرس لاسلامه فاصيب معه بصفين وتخاصمت اليه امراتان في ولد هرة فقال القوها مع هذه فان هي قرت ودرت واسبطرت فهي لها وان هي فرت وهرت واقشعرت فليست لها اسبطرت امتدت للرضاع وفي الصحاح اسبطرت اضطجعت وامتدت واستعدنا

من اخبار القاضي شريح ان القاضي لا يلقن الحجة لخصم ولا ياخذ بقول من يتظلم ويحكى
بالحجة القاطعة الباب السادس والثلثون في اباحة مجلس العظة وله ملحق
قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض الناس الجلوس للعظة وقال بعضهم لا باس
اذا اراد به وجه الله تعالى وهذا القول اصح فاما من كره ذلك فقد احتج بما روى
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا
يقص الا امير او مامور او مراء اقول ورد هذا الحديث في شرح السنة للخطابي
عن عوف بن مالك الاشجعي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يقص الا امير او مامور او محتال قال الخطابي بلغني ان ابن شريح كان يقول هذا
في الخطبة وكان الامراء يلون الخطب فيعظون الناس ويذكرونهم فيها فاما
المامور فهو من يقيمه الايمة خطيبا فيعظ الناس ويقص عليهم واما المحتال
فهو الذي نصب لذلك نفسه من غير ان يومر به ويقص على الناس طلبا للرياسة
فهو مراء في بذلك ومحتال وقد قيل ان المتكلمين على ثلثة اصناف مذكر وواعظ
وقاص فالمذكر هو الذي يذكر الناس الاء الله ونعماءه يبعثهم به على الشكر له
والواعظ يخوفهم وينذرهم عقوبته ويردعهم به عن المعاصي والقاص هو الذي
يروي لهم اخبار الماضين ويسرد عليهم القصص فلا يامن ان يزيد فيها او ينقص
والمذكر والواعظ مامون عليهما هذا المعنى والله اعلم انتهى ثم قال الفقيه
وعن تميم الداري رضي الله عنه انه استاذن عمر رضي الله عنه ان يقص الناس
في كل سبت يوما فقال لما تصنع بذلك فقال اذكر الناس فقال قل ما شئت واعلم
انه الذبح وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القاص ينتظر المقت والمستمع
ينتظر الرحمة وعن ابي قلابة انه انصرف عن الصلاة فجاء رجل يقص ويصيح فقال
له ابو قلابة انما استجها حمار نهاق وان عدت الينا لنوذينك وعن ابرهيم النخعي
انه قال كره القصص لثلاث ايات قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما
انهاكم عنه وفي الحديث ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام ان عظ نفسك
فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني واما حجة من قال انه لا باس به قول
الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وفي موضع اخر ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
قال يا معشر القصاص لا تقصوا فقد فقه الناس ففي هذا الخبر دليل على ان
القوم اذا لم يعلموا فلا باس به وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
انه كان يذكر الناس كل عشية خميس وهو قايم على رجليه يدعو بدعوات
وروي عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال من كتم علما يعلمه الجم بلجام
من نار يوم القيامة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وروي عن ابي
هريرة رضي الله عنه انه قال لولا اية ما جلست للناس وهي قوله تعالى ان الذين

يكتمون

يكتمون ما انزلنا من البينات الاية وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني
اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقال الحسن لولا
العلماء لصار الناس مثل البهايم انتهى بكماله اقول قال تاج القراء الوعظ النصح
بكلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد وقال في قوله تعالى في اواخر النحل ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة عن ابن عيسى ان الموعظة الحسنة
ان تختلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة وفي عيون التواريخ ان عليا
رضي الله عنه قال الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا
يؤمنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم في معاصي الله ولا يدع القران رغبة
عنه الى غيره ولا خير في عبادة لا علم فيها ولا خير في علم لا فهم فيه ولا خير في
قراءة لا تدبر فيها وقال الامام ابو بكر الخرايطي في كتاب اعتلال القلوب ولم ار
شيئا انجع في القلوب ولا اردع للنفوس من المواعظ الملايمة لصلاحها فيه الناشية اعظم
لفسادها فان المواعظ للنفوس كالمراهم للكلوم انتهى واعلم ان المواعظ ذكر
الموت وما بعده من نعيم او جحيم ولذلك جعل الامام عمر رضي الله عنه نقش
خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر فكانه جعله واعظا ملازما له في الاقامة
والسفر ورأى والدي رحمه الله في المنام قبل توليه وظيفة قضاء الحنابلة
بحلب انه قد وليها وانه جعل علامته الحمد لله كفى بالموت محذرا فوليها بعد
مدة يسيرة فكان يكتبها على المكاتيب التي تثبت عنده ولم يسبق اليها وانما
تبعه فيها بعد وفاته اخي الاكبر قاضي القضاة نظام الدين يحيى الحنبلي وعلمها
عند ولايته قضاء الحنابلة بحلب بعد ابيه في سنة تسعماية واعلم ان الوعظ
لا ينفع به السامع الا اذا كان على لسان واعظ خاشع وقيل لا يفيد الوعظ
الا فيمن اراد الله رشده ومنحه رفده وفي هذا المعنى قال علي رضي الله عنه

يا موثر الدنيا على دينه ... والتايه الحيران في قصده
اصبحت ترجو الخلد فيها وقد ... ابرز ناب الموت عن حده
هيهات ان الموت ذو اسهم ... من يرمه يوما بها يرده
لا يشرح الواعظ صدر امرء ... لم يعزم الله على رشده

وكان سبب قوله رضي الله عنه هذه الابيات انه راى رجلا من قيس يمشي
ويخطر بيده تكبرا فخاطبه بها كذا في عيون التواريخ واول من قص تميم الداري
ذكره ابن الجوزي في المنتخب واول من قص بمكة المشرفة على عهد عمر رضي الله
عنه عبيد بن عمير المكي وكان ورعا زاهدا قيل كانت امراة جميلة بمكة اخذت
المراة يوما فنظرت فيها وقالت لزوجها اترى يرى هذا الوجه احد ولا يفتتن
به قال نعم عبيد بن عمير قالت فاذن لي في اتيانه لافتننه فاذن لها فجاءت
اليه وهو قاعد في المسجد في صورة مستفتية فسفرت عن وجهها وكانه

فلعله قم فقال لها يا امة الله استترى فقالت انى قد فتنت بك فاقض حاجتى فقال لها فانى اسالك عن شئ فان صدقتينى قضيت حاجتك قالت اسال قال اخبرينى لو نزل بك المرض فغير ما ارى من صورتك وشغلك عما انت فيه هل كان يسرك ان اقضى حاجتك قالت لا قال فلو نزل بك الموت وجاء ملك الموت ليقبض روحك اكان يسرك ان اقضى حاجتك قالت لا قال ارايت لو جاءك منكر ونكير للمسئلة اكان يسرك اذا قضى حاجتك قالت لا قال ارايتك لو وقفت بين يدى الله تعالى للحساب ثم عدد عليها اهوال القيامة ودخول النار وهو يقول لها فى كل فصل ايسرك اذا قضى حاجتك وهى تقول لا فقامت من عنده باكية فدخلت على زوجها فقال ما لك فقالت نحن بطالون ولزمت الصلاة والصوم والعبادة فكان زوجها يقول ما لى ولعبيد بن عمير افسد على زوجتى كانت فى كل ليلة عروسا فصيرها راهبة واول من قص بمصر سليم بن عتر من الطبقة الاولى من التابعين كان يسمى الناسك وقص على الناس سعيد بن المسيب من الطبقة الاولى من التابعين من اهل المدينة فكان يخوف ويذكر وقص عطاء بن يسار من الطبقة الاولى من التابعين من اهل المدينة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الله تعالى ذكر المواعظ لتتذكر وضرب الامثال لتتفكر وقص احوال الماضين لتعتبر قال الله تعالى لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من حجرته وعبد الله بن رواحة يقص على اصحابه وهم يستمعون اليه فلما ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قص فقال بها الرجل فقال بابى انت نقص فقال قص وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر القوم حيث انتهى به المجلس فلما فرغ عبد الله من قصصه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى لم يتوفنى حتى ارانى من امتى من يذكرهم بايام الله بهذا امرت وبهذا بعثت وقال الشبلى رحمه الله تعالى اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص وينبغى للمورخ والقاصى ان لا يزيد فى مناقب من يحبه ولا فى مثالب من يبغضه وللمستمع ان لا يبالغ فيها مبالغة يفوته ما هو افرض منها وقد صنفت كتب لا تحصى فى الوعظ ولكنى اذكر بعضها من المواعظ المختصرات ثم اتبعها بفصل من الخطب البليغات ثم اتبعه بفصل فى آداب المذكورين والحمد لله رب العالمين فاقول ذكر فى مرآة الزمان عن بكر بن عبد الله المزنى انه قال دخل سابق البربرى على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له انشدنى فقال

- فكم من صحيح بات للموت آمنا ۔ اتته المنايا بغتة بعد ما هجع
- فلم يستطع اذ جاءه الموت بغتة ۔ فرارا ولا منه بقوته امتنع

كذا

لعله نجبير توفى سنة ثلاث وعشرين ومائة ولم اعلم اسمه سليم تصغير او سليم تنبل فليحرر

فاصبح

- فاصبح تبكيه النساء مقنعا ۔ ولا يسمع الداعى وان صوته رفع
- وقرب من لحد فصار مقيله ۔ وفارق ما قد كان بالامس قد جمع
- فلا يترك الموت الغنى لماله ۔ ولا معدما فى المال ذا حاجة يدع

المعدم الفقير وقال مورق العجلى من الطبقة الثانية من التابعين من اهل البصرة ما وجدت للمؤمن مثلا فى الدنيا الا كمثل رجل على خشبة فى البحر وهو يقول يا الله لعل الله ينجينى وفى مرآة الزمان بانه وجد فى حجر بحايط جامع دمشق مكتوب بالمسند فحله وهب بن منبه واذا فيه يا ابن آدم لو عاينت ما بقى من يسير اجلك لزهدت فيما بقى من طويل املك وانما يستوى عليك ندمك اذا زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وانصرف عنك الحبيب وهجرك القريب فلا انت الى اهلك عايد ولا فى عملك زاهد فاغتنم الحياة قبل الموت والمبادرة قبل الفوت قبل ان يوخذ منك بالكظم ولا ينفعك الندم وفى الصحاح اخذت بكظمه بسكون الظاء اى بمخرج نفسه وقال البيضاوى فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قيل كان لوحا من ذهب مكتوب عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وجربا لدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقال ابن الجوزى وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها قال ومكتوب فى الشق الآخر انا الله الذى لا اله الا انا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه الكنز على ما ذكر القاضى البيضاوى فى تفسير قوله تعالى فى التوبة الذين يكنزون الذهب والفضة عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه انه قال اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز اقول والمراد من الدرهم هو الذى وقع عليه الاجماع فى ايام سيدنا عمر رضى الله عنه وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل والله اعلم وذكر السهيلى فى الروض الانف ان عبد الله بن جدعان كان فى بدء امره صعلوكا ترب اليدين وكان مع ذلك شريرا فانه كان لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه ابوه وقومه حتى ابغضته عشيرته ونفاه ابوه وحلف ان لا يؤويه ابدا لما اثقله به من الغرم وحمله من الديات فخرج فى شعاب مكة حايرا بايرا يتمنى الموت ان ينزل به فراى شقا فى جبل فظن فيه حية فتعرض للشق يرجو ان يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئا فدخل فيه فاذا فيه ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فافرج له فانساب عنه مستديرا بدارة عندها بيت فخطى خطوة اخرى فصفر به الثعبان فافرج له فانساب عنه مستديرا عنه قدما لا ينظر اليه فوقع فى نفسه انه مصنوع فامسكه بيديه فاذا

زايد

هو مصوغ من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره واخذ عينيه ثم دخل البيت
فاذا جثث طوال على سرير لم ير مثلهم طولا وعظما وعند رؤسهم لوح من خشبة
فيه تاريخهم واذا هم رجال من ملوك جرهم واخرهم موتا الحارث بن مضاض
صاحب الغربة الطويلة واذا عليهم ثياب لا يلبس شيئا منها الا انتثر كالهبا
من طول الزمن وشعر مكتوب في اللوح فيه عظات وقال ابن هشام اللوح من
رخام وكان فيه انا بقيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم
ابن قحطان بن هود نبي الله عشت خمسماية عام وقطعت غور الارض باطنها
وظاهرها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجيني من الموت
وتحته مكتوب شعر

قد قطعت البلاد في طلب الثروة … والمجد قالص الاتواب
وسريت البلاد قفرا لقفر … بقناتي وقوتي واكتسابي
فاصاب الردى بنات فوادي … بسهام من المنايا صياب
فانقضت شرتي واقصر جهلي … واستراحت عواذلي عن عتابي
ودفعت السفاه بالحلم لما … نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل ريت او سمعت براع … رد في الضرع ما قرى في الحلاب

لغة الحكاية جدعان بضم الجيم وسكون المهملة الاولى وترب الرجل بالمثناة الفوقية
مفتوحة وكسر المهملة افتقر وتربت اليدين فقيرهما لم يقع فيهما خير فاتكا قاتلا
يعقل عنه ابوه بالمهملة والقاف مثل يضرب اى يعطي عنه دية جناياته
والحاير البائر الذي لا يتجه لشيء جرهم بضم الجيم والهاء وساكن المهملة حي من
العرب اصهار اسمعيل بقيلة تصغير بقلة بالموحدة التحتية والقاف قال
السهيلي احسبه بالنون مضموما والفاء لان بني نفيلة بالنون الموحدة
والقاف كانوا ملوك الحيرة وهم غسان لا من جرهم والله اعلم المدان قال
ابن دريد احسبه صنما الثروة بفتح المثلثة وسكون المهملة كثرة العدد
من الناس والمال كذا في القاموس المجد الكرم قالص رافع بنات الفواد
الفواد القلب وبناته علائقه صياب جمع صايب الشرة الحرص والنشاط
السفاه السفه ضد الحلم واصله الخفة والحركة وسفه فلان بالضم
سفاهة وسفاها بفتح السين فيهما صاح اى يا صاحبي مرخما قال الجوهري
ولا يجوز ترخيم المضاف الا في هذا وحده سمع من العرب مرخما ريت اصله
رايت اى ابصرت في الضرع اى الى الضرع وهو لكل ذات ظلف وخف كالثدي
للمراة ما قرى ما جمعه في الحلاب بكسر الحاء المهملة هو الاناء الذي يحلب فيه اللبن
كالمحلب بكسر الميم ويروى في العلاب بعين مهملة مكسورة جمع علبة بضم العين
وهي محلب من جلد ولما مات هشام بن عبد الملك واخذوا في غسله نظر
ابن عبد الاعلى الى البيت الذي فيه هشام وقال وما سالم عما قليل يسالم

لعلها نشاط وباقي تفسير في هذا الباب وليس ذلك في الصحاح

ولو كثرت

ولو كثرت احراسه وكتايبه … ومن يكن
ومن بات ذا باب شديد وحاجب … فعما قليل يهجر الباب حاجبه
ويصبح بعد العز تقصيه اهله … رهينا بلحد لم تمهد جوانبه
فما كان الا الدفن حتى تفرقت … الى غيره اجناده ومواكبه
واصبح مسرورا به كل شامت … واسلمه اصحابه واقاربه
فنفسك فاكسبها السعادة والتقى … فكل امرئ رهن بما هو كاسبه

واعلم ان لكل اجتماع فرقه وان للموت حرقة واي حرقه فكم من خليل
فارقه الخليل فلم يرده البكاء والعويل بل انه يتركه وينسا اذا سكن
بعد موته رمسا ووقف علي رضي الله عنه على قبر فاطمة رضي الله عنها
فقال متمثلا ذكرتك يا اروى فبتّ كانني … برد الهموم الماضيات كفيل
لكل اجتماع من خليلين فرقة … وكل الذي قبل الممات قليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد … دليل على ان لا يدوم خليل
سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتي … ويعرض بعدي للخليل خليل
اذا انقطعت يوما من العيش مدتي … فان غنا الباكيات قليل

ومن كلامه رضي الله عنه

حقيق بالتواضع من يموت … ويكفي المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم … وحرص ليس تدركه النعوت
صنيع مليكنا حسن جميل … وما ارزاقه عنا تفوت
فيا هذا سترحل عن قريب … الى قوم كلامهم سكوت

انتهى من عيون التواريخ وقال بعضهم

مضى الدهر والايام والذنب حاصل … وانت لما تهوى عن الحق غافل
نعيمك في الدنيا غرور وحسرة … وعيشك في الدنيا محال وباطل
الا انما الدنيا كمنزل راكب … اناخ عشيا وهو بالصبح راحل
ستترك للاعداء ما قد جمعته … وانت غدا في عسكر الموت نازل

وكانت حيوة عابدة البصرة تقول من احب انس ومن انس طرب ومن
طرب اشتاق ومن اشتاق وله ومن وله خدم ومن خدم وصل ومن
وصل اتصل ومن اتصل قرب ومن قرب سهر ومن سهر توالت عليه
الهموم والاحزان وكانوا اذا قربوا اليها طعاما قبل افطارها تبكي وتقول
كيف يشتغل المحب عن حبيبه باكل الطعام يوشك ان يقدم رسول الحبيب
وهو مشتغل بالاكل عن حبيبه فلا تقر عينه بلقايه ثم تبيت طاوية ويروى
عن عبد الرحمن بن زيد انه قال مررت بصومعة راهب من رهبان الصين
فناديته يا راهب يا راهب فلم يجبني ثم ناديته الثالثة فاشرف علي وقال
يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الى الله في سمائه وعظم في كبريايه

وشكره على نعمائه • وصبر على بلائه • ورضي بقضائه • وحمده على آلائه • وشكره
على نعمائه • وتواضع لعظمته • واستسلم لعزته • وخضع لهيبته • وفكر في
حسابه وعقابه • فنهاره صايم • وليله قايم • قد اسهره ذكر النار •
ومسايلة الجبار • فذاك هو الراهب • وانما انا كلب عقور حبست نفسي في
هذه الصومعة لئلا اوذي الناس بلساني قال فقلت له يا راهب ما الذي
قطع الخلق عن الحق عز وجل بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم يقطع الخلق عن الله
تعالى الا حب الدنيا وزينتها • لانها محل المعاصي والذنوب • والعاقل من رماها
عن قلبه • وتاب الى ربه من ذنبه والسلام • فقلت يا راهب لاي شي قست
قلوبنا • وكثرت ذنوبنا ولا نتوب • قال لانكم تركتم الآخرة • وعملتم اعمالا
خاسرة • وتركتم العلم • وظهر فيكم الظلم • وضيعتم الامانات • وظهرت فيكم •
الخيانات • ودخلكم الكبرياء • وظهر فيكم الغدر والرياء • وضيعتم الزكوات •
وقطعتم الصدقات • وعصيتم الرحمان • واطعتم الشيطان • واكلتم الربا
واطعتم النساء • وتعاملتم بالفجور • وشهدتم شهادات الزور • وتواضعتم
للاغنياء • وتكبرتم على الفقراء • فقست قلوبكم • وكثرت ذنوبكم • فلا واعظ
زاجر • ولا خايف حاذر • كلامكم حلو • وفعلكم مر • ووجوهكم باشة • وقلوبكم
غاشة • فلا من الله تستحيون • ولا اليه تتوبون • فعما قليل تموتون
ثم تبعثون • ثم تسألون • اين القرون الماضية • والامم الخالية • لم يخرجوا
من القصور • صاروا الى اضيق القبور • وتغيرت وجوههم الحسان
وسالت اعينهم في الاكفان • واكلت لحومهم الديدان • وصارت عظامهم
رفات • واصبحت منازلهم خرابات • لا يسمعون من ناداهم • ولا يجيبون
من دعاهم • ابدانهم قد بليت • وآثارهم قد نسيت • فاسال الله في انفسكم
فكان الامر وقد نزل بكم وانشد

خلق المعروف بالتشمير ... فاين السرور واين السرير
واين القصور التي عمروها ... فاذ تعجبن لما قد ترى
فلا خير في كلما تبصر ... وهون عليك كثير الحياة
فسكناك في قبرك الاكثر

ومن مواعظ وهب بن منبه التابعي رضي الله عنه يا ابن ادم لا اقوى
من خالق • ولا اضعف من مخلوق • ولا اقدر من طالب • ولا اضعف من
مطلوب • في يد طالبه • يا ابن آدم انه قد ذهب منك ما لا يرجع اليك • واقام
معك • ما سيذهب عنك • اقصر عن تناول ما لا تنال • وعن طلب ما لا تدرك
وعن ابتغاء ما لا يوجد يا ابن ادم انظر الى الدهر تجده ثلاثة ايام • يوم
مضى لا ترتجيه • ويوم لا بد منه • ويوم نحن فيه • فامس شاهد مقبول
وامين مؤدي • وحكم نافذ الحكم • واليوم صديق مودع وهو سريع الظعن

زعد

وعد مظنون • يا ابن آدم • قد مضت اصول نحن فروعها • فما بقى الفروع
بعد الاصول • يا ابن آدم • انما اهل هذه الدنيا او الدار سفر لا يحلون عقد
الرحال الا في غيرها • وانما يتبلغون بالعواري • فما احسن الشكر للمنعم والتسليم
للمقتر قوله سَفْر بفتح السين المهملة وسكون الفاء هو الخروج الى السفر من
سافر وقوم سَفْر مثل صاحب وصحب وقال قرات في بعض الكتب ان مناديا
ينادي في السماء الرابعة كل صباح ابناء الاربعين زرع قد دنا حصاده ابناء
الخمسين ماذا قدمتم وماذا اخرتم ابناء الستين لا عذر لكم ليت الخلق لم يخلقوا
واذا خلقوا علموا لما خلقوا قد اتتكم الساعة فخذوا حذركم اقول هذا ما ورد
من النذارة للمعمرين واما ما ورد من البشارة لهم فما رواه الامام عثمان بن
عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من استكمل
الاربعين وطعن في الخمسين امن من ثلثة ادواء من الجذام ومن الجنون
ومن البرص وابن الخمسين يحاسب حسابا يسيرا وابن الستين يعطى
الانابة الى الله تعالى وابن السبعين تحبه الملائكة ملائكة الله وابن الثمانين
تكتب حسناته ولا تكتب سياته وابن التسعين يغفر له ما تقدم من
ذنبه ويشفع في سبعين من اهل بيته وتكتبه ملايكة سماء الدنيا
اسير الله في ارضه وروى في كتاب مكفرات الذنوب لشيخ مشايخ الحافظ
شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا بلغ اربعين سنة امنه
الله من الخصال الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة
خفف الله عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة اليه
فيما يحبه فاذا بلغ سبعين سنة احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة
اثبتت حسناته ومحيت حسناته فاذا بلغ تسعين سنة غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر وشفع في اهل بيته وسماه اهل السماء اسير الله فاذا
بلغ مائة سنة سمي حبيب الله في الارض حق على الله ان لا يعذب حبيبه في
الارض انتهى نقلت ذلك من خط خالي قاضي القضاة لسان الدين الحنفي ذكره
في خطبة من خطبه وقال وهب رضي الله عنه قرات في التورية ايما دار
بنيت بقوة الضعفا جعلت عاقبتها الخراب وايما مال جمع من غير حله
كانت عاقبته الى الفقر ووعظ عطاء الخراساني فقال ارض بالدون من
الدنيا مع سلامة الدين ولا ترض بالكثير من الدنيا مع ذهاب الدين ان كان
يغنيك ما يكفيك فان ادنى ما في الدنيا يكفيك وان كان لا يغنيك ما يكفيك
فليس في الدنيا شي يكفيك انما بطنك بحر او واد وليس يملاوه الا التراب
وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري التابعي يقول ان هذا الموت قد نغص
على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه يعني الجنة وكان يقول

اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا فان المولى قد يعفو عن عبده
وهو غير راض عنه وكان يقول اذا استوت علانية العبد وسريرته قال الله
تعالى هذا عبدي حقا وكان مجاب الدعوة رضي الله عنه وقال ابن عمران الخياط
دخلنا على ابرهيم النخعي التابعي الكوفي رضي الله عنه نعوده فرايناه يبكي قلنا
ما يبكيك يا ابا عمر قال انتظر ملك الموت يبشرني بالجنة ام بالنار وقال رجل
ليزيد بن مزيد وكان من الصالحين البكائين ما يبكيك قال لو ما سوالك
عن هذا قال لعل الله ان ينفعني به فقال لو توعدني ان يحبسني في حمام ان
انا عصيت لقد كان ينبغي ان لا تجف لي دمعة فكيف وقد توعدني ان
يحبسني في نار جهنم قال فانت في خلواتك كذا فقال والله اني لا اكون في
خلوتي مع اهلي فاريد ان اصيب منها فاذكر حالي فامتنع من ذلك ويغلبني
البكاء وكذا عند الطعام فتقول امراتي ماذا ابليت به معك من بين نساء
المسلمين وتبكي وتبكي صبياننا وما يدرون ما بنا وعن زيد الخثعمي عن
اسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول بئس العبد عبدا سها ولها ونسي المقابر والبلا
بئس العبد عبد ابغى وعتا ونسي المبتدا والمنتها بئس العبد عبدا
تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد اتخيل واختال ونسي
الكبير المتعال وبنى عروة بن الزبير رضي الله عنهما قصرا بالعقيق ونقل اهله
وولده اليه فقيل له جفوت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ثم رايت مساجدهم لاهيه واسواقهم لاغيه والفاحشة في فجاجهم
فاشية فكان في البعد عنهم العافية ولعله اراد بالمساجد اللاهية
انها تلهي بزخارفها او ان مساجدهم اي اعضاء سجودهم المذكورات في باب
الجنايز الجبهة واليدين وغيرها لا تدري محال وضعها للهوها استعارة
او اراد اهل المساجد اللاهية قلوبهم وابصارهم عن الطاعة كما ان اهل
اسواقهم لاغية السنتهم وقد تقدم ان اللغو الباطل من الكلام وهذا
احد الفقهاء السبعة من اهل المدينة من الطبقة الثانية من التابعين
ولما مرض عروة قيل له الا نحمل الى البقيع فتدفن فيه قال لا انما هو احد رجلين
اما الظالم فلا احب ان ادفن معه واما صالح او مظلوم فلا احب ان تنبش
عظامه بسببي وبكى الحسن البصري حتى ارتعدت منكباه ثم قال لو ان بالقلوب
حيوة لبكيتم من هول ليلة تمخض عن يوم القيمة ما سمع الخلايق بيوم قط اكثر
من عورة بادية ولا عين باكية من ذلك اليوم وسمع هشام بجارية بالكوفة
مشهورة بالجمال والفضل قارية لكتاب الله تعالى راوية للاشعار فارسل اشتراها
بمايتي الف دينار وحديقة نخل يحصل منها في كل سنة خمسماية دينار وحملت
اليه فاعجبته واغدق عليها بالعطايا فبينما هو ذات يوم قد خلا بها في مستشرف

له واذا بصوارخ في جنازة وورا الجنازة ناد به بين النساء وهي تقول
يا ايها المحمول على الاعواد المنطلق به الى محلة الاموات المخلى في قبره وحيدا
فريدا ليت شعري هل انت ممن ينا شد حملته اسرعوا بي ام انت ممن ينا شدم
ارجعوا بي قال فهملت عينا هشام ولها عن لذته وجعل يبكي ويقول
كفى بالموت واعظا فقالت الجارية قد قطعت هذه النادبة نياط قلبي هو عرق
علق به القلب من الوتين فاذا قطع مات صاحبه وهو النيط ايضا بفتح النون
فقال لها هشام الامر جد ثم نزل من مستشرفه وقامت الجارية في مكانها فاتاها
آت في منامها فقال لها انت المفتنة بشبابك واللاهية بدلالك كيف
بك اذا نقر في الناقور وبعثر ما في القبور وخرجوا منها للنشور ووقفوا
بالاعمال التي قدموها فاستيقظت مرتاعة ودعت بماء واغتسلت والقت
عنها لباسها وحليها وتدرعت بمدرعة من صوف وحزمت وسطها بخيط
وتناولت عصى والقت في عنقها جرابا واقتحمت مجلس هشام فلما رآها
انكرها فنادت انا جاريتك غضيض اتاني النذير فقرع مسامعي وعيده وقد
قضيت منى وطرا وقد اتيتك لتعتقني من رق الدنيا فبكى هشام وقال الى
مكان تقصدين قالت الى البيت الحرام قال انت حرة لوجه الله تعالى فخرجت
من قصر الخلافة زاهدة في الدنيا راغبة في الاخرى سايحة على وجهها
حتى قدمت مكة فاقامت بها صايمة قايمة تعود على نفسها بالمغزل في قوتها
فاذا امست طافت بالبيت ثم تدخل حجرتها فتبكي وتنوح على نفسها وتقول
يا ذخري انت عدتي لا تقطع منك رجائي واللهم مناي واحسن منقلبي
ومثواي ولم تزل على ذلك حتى توفيت رحمها الله تعالى وما احسن موعظة
الحريري العلية الالفاظ الكثيرة الوعظ لمن اراد الاتعاظ المثبته بالمقامة
الحادي عشر من مقاماته المشحونة باللغات الفصيحة وانواع من البديع و عانة
وهي ايا من يدعي الفهم الى كم يا اخا الوهم تعبي الذنب والذم وتخطي الخطا
الجم اما بان لك العيب اما انذرك الشيب وما في نصحه ريب ولا سمعك
قد صم اما نادى بك الموت اما اسمعك الصوت اما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتم فكم تسدر في السهو وتختال من الزهو وتنصب الى اللهو
كان الموت ما عم وحتام تجافيك وابطا تلافيك طباعا جمعت فيك
عيوبا شملها انضم اذا اسخطت مولاك فما تقلق من ذاك وان اخفق
مسعاك تلظيت من الهم وان لاح لك النقش من الاصفر تهتش وان
مر بك النعش تغاممت ولا غم تعاصي الناصح البر وتعتاص وتزور
وتنقاد لمن غر ومن مان ومن نم وتسعى في هوى النفس وتحتال على
الفلس وتنسى ظلمة الرمس ولا تذكر ما ثم ولو لاح لك الحظ لما طاح
بك اللحظ ولا كنت اذا الوعظ جلا الاحزان تغتم ستذري الدم لا الدمع

اذا عاينت لاجم • ينجى من عرصة الجمع • ولا خال ولا عم • كانى بك تنحط • الى
اللحد وتنغط • وقد اسلمك الرهط • الى اضيق من سم • هناك الجسم ممدود
ليستاكله الدود • الى ان ينخر العود • ويمسى العظم قد رم • ومن بعد فلا بد
من العرض اذا اعتد • صراط جسره مد • على النار لمن ام • فكم من مرشد ضل •
ومن ذى عزة ذل • وكم من عالم زل • وقال الخطب قد طم • فبادر ايها الغمر
لما يحلو به المر • فقد كاد يهى العمر • وما اقلعت عن ذم • ولا تركن الى الدهر •
وان لان وان سر • فتلفى كمن اغتر • بافعى تنفث السم • وخفض من تراقيك
فان الموت لاقيك • وسار فى تراقيك • وما ينكل ان هم • وجانب صعر الخد
اذا ساعدك الجد • وزم اللفظ ان ند • فما اسعد من زم • ونفس عن اخى البث
وصدقه اذا بث • ورم العمل الرث • فقد افلح من رم • ورش من ريشه •
انحص • بما عم وما خص • ولا تاس على النقص • ولا تحرص على اللم • وعاد الخلق
الرذل • ولا تسمع العذل • وعود كفك البذل • ونزهها عن الضم • وزود
نفسك الخير • ودع ما يعقب الضير • وهيئ مركب السير • وخف من لجة اليم •
بذا اوصيت يا صاح • وقد بحت كما باح • فطوبى لفتى راح • بآدابى يأتم • ثم
تذكر لغة هذه الموعظة قوله لبعض ابيات الحريرى من المختار من شرح المقامات
لعبد الكريم البعلبكى السلمى الوهم الغلط والسهو واذا اكثر الانسان من فعل شئ
ولازمه قيل له لهج بذلك الشئ نعيى نهى الخطأ الجم الكثير الانذار الاعلام مع
تخويفه التحذير من مخوف الريب الشك واصل الصم السد العوت الموت تخاط
منصوب بالفاء الواقعة فى جواب الاستفهام السادر الذى يركب هواه ولا
يسمع قول احد والذى على بصره غشاوة او المتحير والذى لا يبالى ما صنع وزهى
الرجل اذا تجبر والزهو التيه والاختيال فى المشية والتجافى التباعد عن الخير
والتوبة والتلافى التدارك وانتصب طباعا بتلافيك وكذا عيوبا بدلا من
طباعا وتفسيرا له والاسخاط ضد الارضاء بترك الطاعة وعصيان الامر
مسعاك سعيك وتلظيت تلهبت من لظى النار تلهبها والهم الفكر الذى يغم
والاصفر الدينار تنهش اى ترتاح الى الدينار والنعش السرير ولا يسمى نعشا
الا اذا كان عليه الميت تعامى وتعصى بعمى والبر العطوف والرفيق
وتغاص تلتوى وتزور تنحرف وتنقاد تطيع لمن غرا اى خدع والطمع بالباطل
ومان كذب والرسل التبر لاحظك الحظ راعاك الجد فى العلة حظ وفى الكثرة
حظوظ تستذرى بضم التاء تلتجى ولا يجوز فتحها لانه يصير من ذرى الشئ
اذا نسفه وليس هذا موضعه والجمع الاول اسم اى الاول والثانى مصدر
وعرصة الجمع يكون الرا يوم القيامة فتحط انزلت من علو الى سفل الى
اللحد تنغط تغطس فى التراب وانما يقال انغط فى الماء والرهط الرجل قومه
وقبيلته والرهط ما دون العشرة من الرجال ويريد الذين يتولون الرفق

وسموم

وسموم الانسان فمه ومنخره واذناه اقول والمراد الثقب استاكله واكله واحد
وينخر العود اذا بلى وهو هنا كناية عن الجسد لابد اى لا محالة من العرض على
الله تعالى للمحاسبة والمسألة اذا اعتد صراط اصله الطريق والصاد فيه
بدل عن السين وهو جسر ممدود على متن النار اى ظهرها لمن ام اى لمن قصد
العبور عليه ويقال ام اذا تقدم المرشد العالم الذى كان يدل على الرشاد
فى الدنيا ضل ضاع وهلك وذوى العزة الملوك والاغنياء وزل عن الصراط
فسقط فى جهنم والخطب الامر العظيم فطم عظم وغلب وكل ما علا وغلب فقد
طم الغمر بضم الغين وفتحها من لا يجرب الامور وما يحلو به المر كناية عن الطاعة
بالحلاوة وعن المعصية بالمرارة وكاد قارب ويهى يذهب يقال وهى الحائط
اذا هم بالسقوط وعن ذم اى عن ذى ذم او حال ذم فتلقى بالفاء توجد
واغتر خدع بافعى لينة اللمس مهلك وكذلك لين الدهر فى ضمنه العطب
خفض من الخفض ضد الرفع اى ضع من ترقيك وتراقيك الثانية
قال الكواشى جمع الترقوة وهى العظام للكتف من ثغرة النحر وما ينكل من
باب علم يعلم بمعنى يوخر يعنى اذا هم بالموت بالانسان لا يوخر وجانب صعر
الخد اى اترك التكبر على الناس فتحقرهم وتعرض عنهم بوجهك قال الله
تعالى ولا تصعر خدك وفى قراءة تصاعر والاصل فيه الميل وزم اللفظ
ان ند اى اجعل له زماما يمنعه ان يند اى يذهب كيف يشاء ويحتمل ان
يريد به السكوت وقد اسقط الشارح بيتين من الابيات والى ساقها
فقال وعاد الخلق الرذل اى الردى وكانه يريد السخا لقوله بعده وعود
كفك البذل اى العطا ولا تسمع العذل فى العطا اى لا تقبل عذل من
يعذل ونزهها اى يدك باعدها عن الضم اى عن جمع المال والنزاهة
البعد عن السوء وزود نفسك الخير اى اصحبها افعال الخير التى هى الزاد فى
طريق الاخرة ودع ما يعقبها الضير وهو ضد النفع مثل الضر واللجة معظم
الماء واليم البحر الذى لا يدرك قعره وقال الزجاج هو البحر بذا اشارة الى
الوعظ الذى ذكره ويا صاح اى يا صاحب وطوبى اسم الجنة بالهندية
وقيل شجرة فيها يأتم اى طوبى لمن يقتدى بادابى ومواعظى انتهى ملخصا
واما شرح البيتين الذى تركهما الشارح اولهما ونفس عن اخى البث فاقول
العبد الفقير مولف هذا الكتاب عفا الله عنه انى اروى كتاب المقامات
بالاجازة عن شيخى شيخ الاسلام جمال الدين يوسف بن شاهين سبط
الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى وهو يرويه عن المسند المحدث
تاج الدين محمد بن الحافظ ابى الفدا اسمعيل بن محمد بن بردس البعلى عن
المسند ابى عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن الخباز العبادى بضم المهملة
وفتح الموحدة المخففة عن الكمال ابى عبد العزيز بن عبد المنعم بن عيد

باليا، اخر الحروف الجارفي عن ابى طاهر بركات بن ابرهيم الخشوعي عن مولفه رحمه الله ورحمهم اجمعين وقد تقدمت موعظة بليغة مع الاختصار فى الباب الثالث عشر فى الخلفاء الاخيار، من كلام الحسن بن على الكرار، فان اردتها فاطلبها هنالك، وبلغ بقرائتها وبركتها منالك، وكان الفضيل يعظ ابنه كثيرا على الزهد ويقول يا بنى ارفق بنفسك وكان يوما خلف الامام يصلى وسمع سورة الانعام فجعل يتلوى وابوه ينادى اما سمعت قوله حور مقصورات فى الخيام فيقول ابنه لا يا ابة لكنى سمعت قوله يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصى والاقدام ويندب اباه، ويقول يا ويلاه شعر

لعاينت من قبح المنية منظرا … يهال لمراه ويرتاع ناظر
اكابر اولاد يهيج اكتيابهم … اذا ما تناساه البنون الاصاغر
ورنة نسوان عليه جوازع … مدامعهم فوق الخدود عوادر

ثم اخرج من سعة قصره، الى ضيق قبره، وحثوا عليه التراب، واكثروا التعدد والانتحاب، وحثوا بايديهم التراب، فلما استقر فى القبر، وهيئ اللبن عليه وحثوا التراب نسوا النظر اليه شعر

فولوا عليه معولين وكلهم … عثل الذى لاقى اخوه يحادر
كشاء رتاع آمنان بدالها … بمديته بادى الذراعين حاسر
فريعت ولم ترتع قليلا وجفلت … فلما نئ عنها الذى هو حاذر

عادت الى مرعاها ونسيت الى ما فى اختها دهاها ابا فعال البهايم اقتدينا ام على عادتها جرينا عد الى ذكر المنقول الى الثرى المدفوع الى هول ما يرى شعر

ثوى مفردا فى لحده وتوزعت … مواريثه ارحامه والاوامر
واحنوا على امواله يقسمونها … فلا حامد منهم عليها وشاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعيا لها … ويا آمنا من ان تدور الدوائر

كيف امنت هذه الحالة، وانت صاير اليها لا محالة، ام كيف تتهنى بحياتك وهى مطيتك الى مماتك ام كيف تسيغ طعامك وانت تنتظر حمامك شعر

ولم تتزود للرحيل وقد دنا … وانت على حال وشيك مسافر
فيا لهف نفسى كم اسوف توبتى … وعمرى فان والردى لى ناظر
وكل الذى اسلفت فى الصحف مثبت … يجازى عليه عادل الحكم قادر

فكم ترقع باخرتك دنياك، وتركب فى ذلك هواك، اراك ضعيف اليقين موثر الدنيا على الدين، ابهذا امر الرحمن، ام على هذا نزل القرآن شعر

تخرب ما يبقى وتعمر فانيا … فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
وهل لك ان وافاك حتفك بغتة … ولم تكتسب خيرا لدى الله عاذر
ارضى بان تفنى الحيوة وتنقضى … ودينك منقوص ومالك وافر

فانظر رحمك الله تعالى هذه الموعظة العظيمة من هذا السيد الجليل واعتبر بها

ونعم قرب يكون الرحيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين ولنختم هذا الباب بما رواه الشيخ جمال الدين يوسف بن حسن ابن عبد الهادى الحنبلى المقدسى القاطن بدمشق الشهير بابن المبرد من الموعظة ونظم ومنثورها فى كتابه المسمى بفنون المنون فى الطاعون قال روينا عن الزهرى كما تقدمت فى الصفحة الاولى قبل هذه فلتنظر اللهم اجعلنى والمسلمين ممن وعظ فاتعظ ولا تجعل فى قلوبنا غشا للذين امنوا ولا مرض ووفقنا للاعمال الصالحة واجعل لنا الجنة عنها العوض بعد ان تكفينا شر كل دابة انت اخذ بناصيتها يا رب العالمين فصل فى الخطب وانما اتبعت هذا الباب بالخطب لانها مشتملة على الحمد والثنا، والتصلية والدعاء والمواعظ البالغة النافعه والآيات الشريفه التى انوار اسرار انوارها لامعه اقول سياتى فى الباب الخامس والتسعين عدد درجات منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم زاد فيه معاويه رضى الله عنه درجة وقال صاحب آداب السياسة ان اول خطبة خطب بها ما خطب به الله تعالى حين زوج من حوا من ادم عليه السلام فقال عز من قايل الحمد ثنائى والعظمة ازارى والخلق عبيدى ومحمد نبيى اشهدوا يا ملائكتى وسكان سمواتى انى قد زوجت حواء امتى لبديع فطرتى وصنع يدى آدم على مهر تسبيحى وتمجيدى آية الكرسى يا آدم ادخل جنتى وكل ثمرتى ولا تقرب شجرتى والسلام عليكما ورحمتى وقد تقدمت انتهى اقول ولا بد للخطيب من معرفة شى من احكام صلاة الجمعة والعيدين والخطبة فالجمعة واجبة وشرط وجوبها الاقامة والذكوريه والصحة والحرية وسلامة العينين والرجلين والبلوغ والعقل فلا تجب الجمعة على المسافر والنساء والمريض والعبد والاعمى وان وجد قايدا على قول ابى حنيفة رضى الله عنه ومن لا يقدر على المشى كالمقعد والمفلوج ومقطوع الرجل ولا على الصبى والمجنون والمختفى من السلطان الظالم وفى الشيخ الفانى واختلفوا فى المكاتب والعبد المادون فى صلاة الجمعة والعبد الذى حضر باب الجامع ليحفظ دابة مولاه وامكنه الاداء من غير ان يخل بالحفظ والاجير للمسافر والعبد والمريض ان يوم فى الجمعة وقال زفر لا يجوز لان الجمعة غير واجبة عليهم وانما جازت صلاتهم على سبيل التبع فلا تكون اصلا ولنا انهم اهل للامامة وانما سقط عنهم الوجوب تخفيفا للرخصة فاذا حضروا تقع فرضا بخلاف الصبى لانه مسلوب الاهلية وبخلاف المراة لانها لا تصلح اماما للرجال وتنعقد الجمعة بحضورهم حتى لو لم يحضر غيرهم جازت لانهم صلحوا للامامة فبالاولى ان يصلحوا للاقتداء ولادائها شروط فمن شروط آدابها المصر ومصلاه وهو كل موضع له امير وقاض ينفذ الاحكام ويقيم الحدود وهذا احد الروايات عن ابى يوسف فى المصر وفيه اقوال كثيرة وعن ابى حنيفة رضى الله عنه هو كل

بلدة فيها سكك واسواق ولها رساتيق ووال ينصف المظلوم من ظالمه وعالم يرجع اليه في الحوادث قال الزيلعي وهو الاصح فليس على اهل القرى جمعة وهو قول حذيفة رضي الله عنه قال الجوهري في الصحاح الرستاق فارسي معرب ويقال رزداق ورسداق والجمع الرساتيق وهي السواد وانشد

هلا اشتريت حنطة بالرستاق ... سمراء لا درس ابن مخراق

وهو معرب من رسته وتؤدى في مصر واحد في مواضع كثيرة منه وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه وهو الاصح فان اديت في موضعين او اكثر فالجمعة للاولين تحريمة وقيل فراغا وقيل بينهما جميعا ومن شروط ادائها السلطان او نائبه ووقت الظهر فتبطل بخروجه وهو في الصلاة ولا يبنى عليها الظهر لاختلاف الصلاتين والجماعة واقلهم ثلاثة سوى الامام عند الامام ومحمد وعند ابي يوسف اثنان سوى الامام لان في المثنى معنى الاجتماع والخطبة قبلها بعد دخول الوقت بحضرة جماعة تنعقد بهم الجمعة وان كانوا صما او نياما وتسن خطبتان بجلسة بينهما وطهارة قايما ولو خطب خطبة واحدة او لم يجلس بينهما او بغير طهارة او غير قايم جازت لحصول المقصود وهو الذكر والوعظ الا انه يكره لمخالفته التوارث ويستحب اعادتها اذا كان جنبا كالاذان وهي عندنا لا تقوم مقام ركعتين على الاصح لانها ليست في الصلاة باستدبار القبلة والكلام فلا يشترط لها شرائط الصلاة وروى عن عدة من الصحابة انهم خطبوا خطبة واحدة منهم علي والمغيرة وابي رضي الله عنهم ولم ينكر عليهم احد وجلوسه وكان جلوسه عليه الصلاة والسلام للاستراحة وكفت تحميدة او تهليلة او تسبيحة لاطلاق قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وعن عثمان رضي الله عنه انه قال الحمد لله فارتج عليه فنزل وصلى بمحضر من الصحابة وقال ابو يوسف ومحمد لا بد من ذكر طويل يسمى خطبة واقله قدر التشهد الى قوله عبده ورسوله يثني بها على الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمسلمين لان الخطبة هي الواجبة وما دون ذلك لا يسمى خطبة عرفا واما تسليم الامام على الناس اذا صعد المنبر واستقبل فقد تقدم في الباب الثالث والعشرين ان آدم عليه السلام لما قام خطيبا في الملائكة سلم عليهم وان النداء يا آدم لهذا خلقتك وهذا السلام لك ولولدك الى يوم القيامة واما الحمد في اول الخطبة فان آدم عليه السلام لما قام خطيبا كان اول ما بدأ به ان قال الحمد لله فصار ذلك سنة في اولاده ذكره الكسائي في قصصه وسيأتي في الباب الخامس

اقول ان خطبة بليغة في الباب العاشر مشتملة على عدد سور القرآن العظيم وانا اذكر هنا لك بعض خطب جمعية وعيدية ينتفع بها عند الاحتياج اليها وابتدي الآن بخطبة يخطب بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيها من اصلح آخرته اصلح الله له دنياه ومن اصلح سريرته اصلح الله علانيته

ومن اصلح ما بينه وبين الله اصلح ما بينه وبين الناس ومن انصف من نفسه كف الله عنه الظلم ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ ومن استبطأ الرزق فليكثر من الاستغفار ومن اصبحت من الله عليه نعمة فليكثر من الحمد لله رب العالمين واكثروا من لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة والسلام وقيل الخطبة التي كان يخطب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع سنين كل جمعة قوله يا ايها الناس لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم فان العبد بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فلينظر العبد من نفسه لنفسه ومن حيوته لموته ومن دنياه لآخرته فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة او النار وكان صلى الله عليه وسلم يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويقال اطالة الخطبة وتقصير الصلاة دليل على قلة فقه الخطيب وقام خطيبا بين يدي الاسكندر فخطب خطبة واطالها فزبره الاسكندر وقال ليست الخطبة على قدر طاقة المتكلم بل على قدر طاقة المستمع ومن خطبه المختصرات عليه افضل الصلوات والتحيات قوله اما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله واوثق العرى كلمة التقوى وخير العمل ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير ما القي في القلوب اليقين وخطب ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله وان تثنوا عليه بما هو اهله وان تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الالحاف بالمسئلة فان الله تعالى اثنى على زكريا وعلى اهل بيته فقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ثم اعلموا عباد الله ان الله قد ارتهن بحقه انفسكم واخذ على ذلك مواثيقكم واشترى منكم القليل الفاني وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يطفى نوره فصدقوا قوله وانتصحوا كتابه واستضيئوا به ليوم الظلمة فانما خلقكم لعبادته ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ثم اعلموا عباد الله انكم تغدون وتروحون في اجل قد غيب عنكم علمه فان استطعتم ان تنقضي الآجال وانتم في عمل الله فافعلوا وان تستطيعوا ذلك الا بالله فسابقوا في مهل اعمالكم قبل ان تنقضي آجالكم فتردكم الى سوء اعمالكم فان اقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا انفسهم فانهاكم ان تكونوا امثالهم الوحا الوحا النجا النجا ان وراءكم طالب حثيث امره سريع وخطب عمر الفاروق رضي الله عنه فيما رواه الشعبي انه لما ولي الخلافة صعد المنبر فقال ما كان الله ليراني اذا ري نفسي اهلا لمجلس ابي بكر فنزل مرقاة فحمد الله واثنى عليه ثم قال اقرؤا القرآن تعرفوا به واعملوا به

سيأتي في القسم الثاني من خاتمة هذا الكتاب الخطبة من خطبه عليه الصلاة والسلام

تكونوا من اهله ٭ وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا ٭ وتزينوا للعرض الاكبر يوم
على الله ٭ لا تخفى منكم خافيه ٭ انه لم يبلغ حق ذي حق ان يطاع في معصية
الله الا واني انزلت نفسي من مال الله ٭ بمنزلة ولي اليتيم ٭ ان استغنيت
عففت ٭ وان افتقرت اكلت بالمعروف وقد رايت في اداب السياسة انه رضي
الله عنه انه قال خليلي لا والله ما من ملمة ٭ تدوم على حر وان هي جلت ٭
فكم من كريم قد بلي بمصايب ٭ فصابرها حتى مضت واضمحلت ويقال انهما
لينساله وانما تمثل بهما ٭ الا في المنتخب من عيون التواريخ تتبان في غنى النفس
سا ثبتها في الباب السادس والخمسين وقيل ان اول خطبة خطبها هي الخطبة
المختصر المذكوره عند اسمه في الباب الثالث عشر ولعلهما خطبة واحدة
وكان يقول في خطبته ايها الناس تعلمون ان الطمع فقر ٭ وان الياس غنا
وان المرء اذا ايس من الشي استغنى عنه وكتب الى ولده عبد الله يعظه اما بعد
فان من اتقى الله وقاه ٭ ومن توكل عليه كفاه ٭ ومن اقرضه جزاه ٭ ومن
شكره زاده ٭ فلتكن التقوى عماد عملك ٭ وجلا قلبك فانه لا عمل لمن لا نية له
ولا مال لمن لا رفق له ولا جديد لمن لا خلق له واما عثمان بن عفان رضي
الله عنه فقال من جمع كلام الخلفاء الاربع رضي الله عنهم لم نجد لعثمان
كلاما يدون عنه وقد رايت في اداب السياسة انه رضي الله عنه انه قال
خليلي لا والله ما من ملمة تدوم على حر وان هي جلت فكم من كريم قد بلي
بمصايب فصابرها حتى مضت واضمحلت ٭ ويقال انه ليسالم وانما تمثل بهما
واما علي بن ابي طالب رضي الله عنه فله خطب كثيرة اذكر بعضها فمن خطبه
على منبر الكوفة انه قال بعد ما حمد الله تعالى واثنى عليه ايها الناس ان اخوف
ما اخاف عليكم طول الامل ٭ واتباع الهوى ٭ فاما طول الامل فينسي الاخرة
واما اتباع الهوى فيصد عن الحق ٭ الا ان الدنيا قد ولت مدبره ٭ والاخرة
مقبلة ٭ ولكل واحدة منهما بنون ٭ فكونوا من ابناء الاخرة ٭ ولا تكونوا
من ابناء الدنيا ٭ فان اليوم عمل ولا حساب ٭ وغدا حساب ولا عمل وقال
علي بن الحسين رضي الله عنهما ان عليا رضي الله عنه شيع جنازة فلما وضعت
في لحدها ضج اهلها وبكوا فقال ما يبكون اما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم
لاذهلتهم معاينتهم عن ميتهم وان لهم فيه لعودة ثم عودة حتى لا يبقى
منهم احدا ثم قام فقال اوصيكم عباد الله ٭ بتقوى الله ٭ الذي ضرب لكم الامثال
ووقت لكم الاجال وجعل لكم اسماعا ٭ تعي ما عناها ٭ وابصارا تتجلى عن غشاها
وافيدة تفهم ما دهاها ٭ ان الله لم يخلقكم عبثا ٭ ولم يضرب عنكم الذكر صفحا
بل اكرمكم بالنعم السوابغ ٭ ورفدكم بارفاد الروافد ٭ وارصد لكم الجزاء في السرا
والضرا ٭ فاتقوا الله عباد الله ٭ وجدوا في الطلب ٭ وبادروا بالعمل هادم
اللذات ٭ فان الدنيا لا يدوم نعيمها ٭ ولا تؤمن فجايعها ٭ غرور قاتل ٭ وسناد

يئس

وان للموت فيهم عودة ثم عودة

مايل فاتقوا عباد الله بالبصر ٭ واعتبروا بالايات والنذر ٭ واتعظوا
بالمواعظ فكانكم علقتكم مخالب المنيه ٭ وضمنتكم بيت التراب ٭ ودهمتكم
مقطعات الامور بنفخة الصور ٭ وبعثرت القبور ٭ وسياقة المحشر
وموقف الحساب ٭ باحاطة قدرة الجبار ٭ كل نفس معها سايق يسوقها
لمحشرها ٭ وشاهد يشهد عليها بعملها ٭ واشرقت الارض بنور ربها ٭ ووضع
الكتاب ٭ وجي بالنبيين والشهداء ٭ وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون
فارتجت لذلك اليوم البلاد ٭ ونادى المناد ٭ وكان يوم التلاق ٭ وكشف عن
ساق ٭ وكسفت الشمس ٭ وحشرت الوحوش ٭ وبدت الاسرار ٭ وهلكت الا
وابرزت الجحيم لها تصيف رعد ٭ وتغيظ ووعيد ٭ تاجج
جحيمها ٭ وغلا حميمها ٭ وتوقد سمومها ٭ فلا ينفس ساكنها ٭ ولا تنقطع
حسراتها ٭ ولا تنفصم كبولها ٭ معهم ملايكة يبشرونهم ٭ بنزل من حميم
وتصلية جحيم ٭ هم عن الله محجوبون ٭ واوليايه مفارقون ٭ والى النار منطلقون
عباد الله اتقوا الله ٭ تقية من كنع بالنون اي خضع وكان صحاح تخشع ٭
ووجل فحذر ٭ وابصر فازدجر ٭ فاحث طلبا ٭ ونجا هربا ٭ وقدم للمعاد ٭
واستظهر بالزاد ٭ وكفى بالله منتقما وبصيرا ٭ وكفى بالكتاب خصيما وحجيجا
وكفى بالجنة ثوابا ٭ وكفى بالنار وبالا وعقابا ٭ واستغفر الله لي ولكم ومن
خطبه ما ذكر في عيون التواريخ انه قال بعد الحمد والثنا عباد الله الموت ليس
منه فوت ٭ ان اقمتم له اخذكم ٭ وان فررتم منه ادرككم ٭ فالنجا النجا ٭ والوحا الوحا ٭
وراكم طالب حثيث القبر ٭ الا وهو القبر ٭ فاحذروا ضغطته ٭ وظلمته ووحشته
الا وانه حفرة من حفر النار ٭ او روضة من رياض الجنة ٭ الا وانه يتكلم في كل يوم
ثلاث مرات ٭ فيقول انا بيت الظلمة ٭ انا بيت الوحشة ٭ انا بيت الدود ٭ الا
وان وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ٭ ويسكر فيه الكبير ٭ وتضع كل ذات
حمل حملها ٭ وترى الناس سكارى ٭ وما هم بسكارى ٭ ولكن عذاب الله شديد
الا وان وراء ذلك ما هو اشد منه ٭ نار حرها شديد ٭ وقعرها بعيد ٭ وحليها
حديد ٭ وخازنها مالك ٭ ليس فيها رحمة ٭ الا وان وراء ذلك جنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين ٭ جعلنا الله واياكم من المتقين ٭ واجارنا
واياكم من العذاب الاليم وله رضي الله عنه من خطبه اتقوا الله عباد الله ٭
وبادروا اجالكم باعمالكم ٭ وابتاعوا ما يبقى لكم ٭ بما يزول عنكم ٭ وترحلوا فقد
جد بكم ٭ واستعدوا للموت فقد اظلكم ٭ وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا ٭
واعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ٭ فان الله لم يخلقكم عبثا
ولم يترككم سدى ٭ وما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ٭ ان ينزل به
وان غاية تنقصها اللحظة ٭ وتهدمها الساعة ٭ لجديرة بقصر المدة
وان غايبا يحدوه الجديدان الليل والنهار ٭ لحري بسرعة الاوبة ٭ وان قادما

يقدم بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل الغرة اتقى عبد ربه ونصح نفسه
قدم توبته غلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له
والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها
حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها فيا لها حسرة على كل ذي غفلة
ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة نسأل الله ان العفو

وخطب رضي الله عنه خطبة بليغة خالية من حرف الالف فقال

حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وتمت كلمته ونفذت
مشيته وبلغت حجته وعدلت قضيته وسبقت غضبه رحمته حمدت
حمدته حمد مقر بربوبيته متخضع بعبوديته متنصل من خطيئته
معترف بتوحيده مستعيذ من وعيده مؤمل من ربه مغفرة تنجيه
يوم يشغل كل عن فصيلته وبنيه ونستعينه ونسترشده
ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له تشهد عبد مخلص موقن وفردته
تفريد مؤمن متقن ووحدته توحيد عبد مذعن ليس له شريك في
ملكه ولم يكن له ولي في صنعه جل عن مشير ووزير وعن عون ومعين
ونظير علم فستر وبطن فخبر وملك فقهر وعصي فغفر وعبد
فشكر وحكم فعدل وتكرم وتفضل لم يزل ولم يزل ليس كمثله شيء
وهو قبل كل شيء وبعد كل شيء رب متفرد بعزته متمكن بقوته
متقدس بعلوه متكبر بسموه ليس يدركه بصر ولم يحط به نظر قوي
منيع بصير سميع رؤف رحيم عجز عن وصفه من وصفه وضل
عن نعته من عرفه قرب فبعد وبعد فقرب يجيب دعوة من يدعوه
ويرزقه ويحبوه ذو لطف خفي وبطش قوي ورحمة موسعة
وعقوبة موجعة رحمته جنة عريضة مونقة وعقوبته جحيم
ممدودة موبقة وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله ونبيه
وصفيه وخليله بعثه في خير عصر وحين فترة وكفر رحمة لعبيده
ومنة لمزيده ختم به نبوته ووضحت به حجته فوعظ ونصح وبلغ وكدح
رؤف بكل مؤمن رحيم سخي رضي ولي زكي عليه رحمة وتسليم وبركة
وتعظيم وتكريم من رب غفور رحيم قريب مجيب حليم وصيتكم
ونفسي معشر من حضر بوصية ربكم وذكرتكم سنة نبيكم فعليكم برهبة
تسكن قلوبكم وخشية تذري دموعكم وتقية تنجيكم قبل يوم
يذهلكم ويبتليكم يوم يفوز من ثقل وزن حسنته وخف وزن
سيئته وعليكم بمسئلة ذل وخضوع وتملق وخشوع وتوبة ونزوع
وندم ورجوع وليغتنم كل منكم صحته قبل سقمه وشبيبته قبل هرمه
وسعته قبل فقره وفرغته قبل شغله وحضره قبل سفره وحيوته

حمدت

قبل موته قبل ان يهرم ويمرض ويسقم ويمله طبيبه ويعرض عنه
حبيبه وينقطع عمره ويتغير عقله ثم قيل هو موعوك وجسمه
منهوك ثم جد في نزع شديد وحضره كل قريب وبعيد فشخص
ببصره وطمح بنظره ورشح جبينه وخطف عرنينه وسكن حنينه
وجذبت نفسه وبكته عرسه وحفر رمسه ويتم منه ولده
وتفرق عنه عدده وقسم جمعه وذهب بصره وسمعه وجرد وغسل
ونشف وسجي وبسط له وهيئ ونشر عليه كفنه وشد منه
ذقنه وقمص وعمم وودع وعليه سلم وحمل فوق سرير وصلي
عليه بتكبير بغير سجود وتعفير ونقل من دور مزخرفة وقصور
مشيدة وفرش منجدة فجعل في ضريح ملحود ضيق موصود بلبن
منضود مسقف بجلمود وهيل عليه عفره وحثي عليه مدره
وتحقق حذره ونسي خبره ورجع عنه وليه ونديمه ونسيبه
وحميمه وتبدل به قرينه وحميمه فهو حشو قبر ورهين حشر
يدب في جسمه دود قبره ويسيل صديده على نحره وصدره وتسحق
تربته لحمه وتنشف دمه وترم عظمه حتى يوم حشره فينشر من
قبره وينفخ في صوره ويدعى لحشره ونشوره فثم بعثرت قبور
وحصلت سريرة صدور وجيء بكل نبي وصديق وشهيد ونطيق
وقصد لفصل حكمه قدير بعباده خبير بصير فكم زفرة تعنيه
وحسرة تضنيه في موقف مهيل ومشهد جليل بين يدي ملك
عظيم بكل صغير وكبير عليم فحينئذ يلجمه عرقه ويحصره قلقه فعبرته
غير مرحومة وصرعته غير مسموعة وحجته غير مقبولة وبرزت صحيفته
وتبينت جريرته فنظر في سوء عمله وشهدت عينه بنظره ويده
ببطشه ورجله بخطوه وجلده بلمسه وفرجه بمسه ويهدده
منكر ونكير وكشف له حيث يصير فسلسل جيده وغلت يده وسيق
يسحب وحده فورد جهنم بكرب شديد وظل يعذب في جحيم ويسقى
شربة من حميم تشوي وجهه وتسلخ جلده يضربه ملك بمقمع من حديد
يعود جلده بعد نضجه بجلد جديد يستغيث فتعرض عنه خزنة
جهنم ويستصرخ فيلبث حقبه بندم حين لا ينفعه ندمه فيلبث حقبه
نعوذ برب قدير من شر كل مصير ونسئله عفو من رضي عنه ومغفرة
من قبل منه وهو ولي مسئلتي ومنجح طلبتي فمن زحزح عن تعذيب ربه
فهو في جنته بقربه وخلد في قصور مشيدة وملك حور عين وحفدة
وطيف عليه بكؤوس وسكن حظيرة قدس في فردوس وتقلب في نعيم
وسقي من تسنيم وشرب من عين سلسبيل قد مزج بزنجبيل وختم بمسك

فقر بشی

وعنبر • مستديم السرور • سرب من خمر ليس تشرق في شربه • هذه منزلة من خشي ربه • وحذر نفسه • وتلك عقوبة من عصى منشيه • وسولت له نفسه ما يعصيه • هو قول فصل • وحكم عدل • خبر قصص قص • ووعظ نص • تنزيل من عزيز حكيم • نزل به روح مقدس امين • على قلب نبي مهتد رشيد صلت عليه سفره • مكرمون بررة • وعذت برب عليم حليم • من شر عدو لعين رجيم • نستضرع بتضرعكم • ونبتهل مبتهلكم • ونستغفر رب كل مربوب لي ولكم ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقد رايت على نسخة بهذه الخطبة ما لفظه روينا في مشيخة الخفاف لابي الفتوح يوسف بن بن كامل الخفاف قال حدثني هشام بن محمد عن ابيه محمد بن السايب الكلبي عن ابي صالح قال جلس جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون اي الحروف ادخل في الكلام فاجمعوا على الالف انها اكثر دخولا من سايرها فقام امير المومنين علي بن ابي طالب فخطب هذه الخطبة على البديهة واسقط منها الالف وسماها الموبقة اقول قال عن بعض مشايخنا انه قال روينا عن الزهري انه قال سمعت علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهما يحاسب نفسه ويناجي ربه ويقول يا نفس حتام الى الدنيا ركونك • والى عمارتها سكونك • اما اعتبرت بمن مضى باسلافك ومن وارته الترب من الافك • ومن فجعت به من اسلافك واخلافك ونقل الى البلى من اقرانك شعر

• فهم في بطون الارض بعد ظهورها • محاسنهم فيها بوال دواثر •
• خلت دورهم منهم واقوت عراصهم • وساقتهم نحو المنايا المقادر •
• وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها • وضمتهموا تحت التراب الحفاير •

كم تخرمت المنون • من قرون بعد قرون • وكم غيرت الارض ببلاها • وغيبت ثراها • مما عاثرت من صنوف الناس • وشيعتهم الى الارماس شعر

• متى وانت على الدنيا مكب منافس • لخطابها فيها حريص متكاثر •
• على خطر تمسي وتصبح لاهيا • اتدري بماذا لو عقلت تخاطر •
• وان امرا يسعى لدنياه دايما • ويذهل عن اخراه لا شك خاسر •

فحتام على الدنيا اقبالك • وبشهواتها اشتغالك • وقد خطك القتير ووافاك النذير • وانت عما يراد بك ساه • وبلذة نومك لاه شعر منه

• وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى • عن اللهو واللذات للمرء زاجر •
• ابعد اقتراب الاربعين تربص • وشيب تبدى منذر لك كاسر •
• كانك معنى بالذي هو صاير • لنفسك عمدا وعن الرشد حاير •

انظر الى الامم الماضية • والملوك الفانية • كيف انتسفتهم الايام ووافاهم

الحام • فانمحت من الدنيا اثارهم • وبقيت فيها اخبارهم • شعر منه

واضحوا رميما في التراب وعطلت   مجالس منهم اقفرت ومقاصر
وحلوا بدار لا تزاور بينهم   واني لزوار القبور تزاور
فلست ترى الا جثا قد ثووا بها   مسطحة تسفي عليها الاعاصر

كم منقبة وسلطان • وجنود واعوان • تمكن من دنياه • ونال منها ما يتمناه • وبنى القصور والدساكر • وجمع الاعلاق والذخاير شعر

فما صرفت كف المنية اذ انت   مبادرة تهوي اليه الذخاير
ولا دفعت عنه الحصون التي بني   وحفت بها انهاره والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة   ولا طمعت في الذب عنه العساكر

اتاه من الله ما لا يرد • ونزل به من قضايه ما لا يحد • فتعالى الله الملك الجبار • المتكبر القهار • قاصم الجبارين • ومبيد المتكبرين شعر

مليك عزيز لا يرد قضاؤه   حكيم عليم نافذ الامر قاهر
عنا كل ذي عز لعزة وجهه   فكل عزيز للمهيمن صاغر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت   لعزة ذي العرش الملوك الجبابر

فالبدار البدار • والحذار الحذار • من الدنيا ومكايدها • وما نصبت لك من مصايدها • وتحلت لك من زينتها • واظهرت لك من بهجتها شعر

وفي دون ما عاينت من فجعاتها   الى رفضها داع وبالزهد امر
فجد ولا تغفل فعيشك زايل   وانت الى دار المنية صاير
ولا تطلب الدنيا فان طلابها   وان نلت منها غبه لك ضاير

وهل يحرص عليها لبيب • او يسر بها اريب • اذ هو على ثقة • من فنايها وغير طامع في بقايها • ام كيف تنام عينا من يخشى البيات • وتسكن نفس من يتوقع الممات شعر

الا ولكنا نغر نفوسنا   وتشغلها اللذات عما تحاذر
وكيف يلذ العيش من هو موقن   بموقف عدل يوم تبلى السراير
كانا نرى ان لا نشور وانا   نرى ما لنا بعد الممات مصاير

وما عسى ان ينال صاحب الدنيا من لذتها • ويتمتع به من بهجتها مع صنوف عجايبها • وكثرة مصايبها • وما يكابده من اسقامها واوصابها والامها شعر

وما قد نرى في كل يوم وليلة   يروح علينا صرفها ويباكر
تعاورنا افاتها وهمومها   وكم قد نرى يبقى لها المتعاور
فلا هو مغبوط بدنياه امن   ولا هو عن طلابها النفس قاصر

كم غرت الدنيا من اخلد اليها • وصرعت من اكب عليها • فلم تنعشه من عثرته • ولم تقمه من صرعته • ولم تشفه من المه • ولم تبره من سقمه شعر

بلى اوردته بعد عز ومنعة   موارد سوء ما لهن مصادر

فلما راى ان لا نجاة وانه   هو الموت لا ينجيه منه المحاذر
تندم اذ لم تغن عنه ندامة   عليه وابكته الذنوب الكبائر

يبكي على ما سلف من خطاياه ويتحسر على ما خلف من دنياه حين لا ينفعه الاستعبار ولا ينجيه الاعتذار عند هول المنيه ونزول البليه شعر

احاطت به احزانه وهمومه   وابلس لما اعجزته المعاذر
فليس له من كربة الموت فارج   وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت خوف المنية نفسه   ترددها منه اللهى والحناجر

هنالك خف عنه عواده واسلمه اهله واولاده فارتفعت الزفرات بالعويل وايسوا من برء العليل فغمضوا بايديهم عينيه ومدوا عند خروج روحه رجليه شعر

فكم موجع يبكي عليه مفجع   ومستنجد صبرا وما هو صابر
ومسترجع داع له الله مخلصا   يعدد منه خير ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته   وعما قليل كالذي صار صاير
فشق جيوبهن نساؤه   ولطم خدودهن اماؤه   واعول لفقده جيرانه
وتوجع لرزئه اخوانه   ثم اقبلوا على جهازه   وشمروا اذ يالهم لابرازه
وظل احب القوم كان لقربه   يحث على تجهيزه ويبادر
وشمر من قد احضروه لغسله   ووجه لما قام للقبر حافر
وكفن في ثوبين واجتمعت له   مشيعة اخوانه والعشاير

فلو رايت الاصغر من اولاده وقد غلب الحزن على فؤاده وغشي من الجزع عليه وخضبت الدموع خديه وهو يندب اباه ويقول باويلاه فانظر رحمك الله هذه الموعظة من هذا السيد الجليل واعتبر بها فعن قريب يكون الرحيل والحمد لله رب العالمين ولوالدي قاضي القضاة جمال الدين ابي المحاسن يوسف الحنبلي بحلب المحروسة تغمده الله والمسلمين برحمته من النمط الذي لا الف فيه ما كتبه للمقام الشريف السلطان الملك الاشرف ابي النصر قايتباي وما كتبه للمقر الزيني ابي بكر بن ابن مزهر صاحب دواوين الانشاء الشريف بالقاهرة وممالكها الاسلاميه فاما ما كتبه للمقام الشريف المشار اليه بسم رب عم كل حي برفده وسبح كل شي بحمده • ينتزك عبد مسكين • كئيب حزين • ليس له مسعف ومسعد ومعين • سوى ملك يوم يظهر فيه مخبو كل كمين • جل ذكره وعز وجهه وتقدس مجده • وعدم شبهه • رب رؤوف • وملك عطوف سبقت رحمته غضبه • وكتب سجل كل • وفي حريم عرشه نصبه • يعفو ويصفح فطوبى لمن بعينه يلمح كم كرب فرجه • وكم صدر محرور ثلجه • غير مسؤول عن فعله وغير مشكوك في فضله • يضر وينفع • ويضع ويرفع • ليس له شريك في ملكه

بل كل

بل كل مخلوق تحت قهر ملكه • كل كلم طيب يصعده • وكل عمل منصلح يرفعه خيره معروف • وبره موصوف • لطفه خفي • ووعده وفي • حليم كريم رؤوف رحيم • من حط رحله بحرمه نجح • ومن تمسك بعروة كرمه صلح • كل مضطر في ذروة كرمه يلتجي • وكل معدم من فيض فضله يرتجي تنزه عدله عن ظلم وحيف • وتوحد بعزه عن مثل وكيف • نصب من ملكه ليغيث من قهر • ويجبر بسديد نظره من كسر • وجعله خير ملوك بسيطته ومن حكمه على رعيته • من شرفه بخدمه حرمه عز وجل • وحرم نبيه خير من حج وحل • وهو ملك مصر عز نصره • وشرف قدره • وكمل بدره • وعم رفده وبره • ليس له نظير في عدله • وليس له شبيه • في حسن شكله ذو همة قسوريه • ورتبة عليه • وهيبة سنيه • وبصيرة جليه وفكرة صقيله • ومزية جليله • ومنقبة جميله • وخلق بهي • وخلق رضي • وكف سخي • وسر هني • من شمله نظره تم سروره • ومن دخل في رقه كمل حبوره • ومن حل في حرمه تشرف • ومن لمحه بشريف عطفه تعرف صفحه جميل • وبره جزيل • وليس له في وقته مثيل • توحد موجده • وتمجد مرشده • يعجز من يصفه عن وصفه • وكل ذي لسن عن تحقيق لطفه خلد ملكه وجرى في بحر مملكته فلكه وينهي ترجمة قصته • وشرح قضيته لتفريج غصته هذا ما وجدته في مسودتها واما ما كتبه من ذلك لابن مزهر ففيه تطويل لا يسعه هذا المحل ومن خطب سليمان بن عبد الملك ايها الناس ابن الوليد وابو الوليد وجد الوليد • اسمعهم الداعي • واسترد الدواعي العوادي • فاضمحل ما كان ولم يكن • وذهب عنهم طيب الحياة • ففارقوا القصور • وسكنوا القبور • واستبدلوا من الوطا خشن التراب • فهم رهاينه الى يوم الماب • فرحم الله امرا مهد لنفسه • واجتهد لدينه • واخذ من الاستعداد لحظه • وعمل في حيوته • وسعى لصلاحه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا • وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا • ويحذركم الله نفسه • وقد حسن عندي ان اذكر خطبتين للعيدين وبعضا من الخطب للجمعات الوعظيات لاحتمال مساس الحاجة اليها ولم اتعرض لما فيها فضائل الايام والشهور والمواسم فان ذلك يطلب من دواوين الخطب التي لا تختص وابتدي بخطبة عيد النحر من تاليف جدي الادنى قاضي القضاة شيخ الاسلام محب الدين ابي الفضل محمد بن الشحنه الحنفي الحاكم بحلب وبالديار المصرية وساير ممالكها الاسلاميه قال رحمه الله عباد الله ان يومكم هذا يوم معظم • وعيد محرم • في ليلته ينصرف وفد الله وقد نالوا المنى • وتمحصوا من الذنوب بعرفات وعادوا الى منى • ويعود الشيطان وهو اخزى

الخلايق لذلك وادخره ويكلون فيه النسك فهو يوم حج الاكبر • وفي مثله
ابتلى رب الارباب • ابا كم الخليل لاجزل الثواب • فاراه في منامه ذبح ولده
انجب الانجاب • وعرض عليه الرويا فسمع واجاب • فبادر الى امتثال امر ربه
وسارع الى ذبح ثمرة فواده ومهجة قلبه • ولما اسلما وتله للجبين • واتكاء ووضع
على عنقه السكين • ورفت لها رحمة ملايكة السموات • ووحوش الارضين
في الفلوات • وجادلها الروف الرحيم • وفداه بذبح عظيم • فصارت سنة
واجبة على المومنين من اولاده • وكرامة جعلها تشريفا للمومنين من عباده
الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد واعلموا رحمكم الله
ان الاضحية واجبة على الحر المسلم المالك لمقدار النصاب من المال • وهي شاة تجزي
لفرد وبقرة او بعير لاثنين وثلاثة الى سبعة من النساء والرجال • فان اشتري
فيها فيستحب ان تكون قبل الشراء • وصح ايضا بعد الشرا بلا امترا • ويقسم اللحم
وزنا غير جزاف • الا اذا انضم اليه شي من الجلد والاطراف واول وقت الذبح
في الامصار بعد صلاة العيد • وفي القرى بعد طلوع الفجر من هذا اليوم
السعيد • والمجزي في الاضحية هو ابن سنة من الضان وسنتين من البقر
وخمس من الجمال • وشرط ان تكون سليمة من العور والعرج والعجف وقطع
الاذن والذنب والالية من مال حلال • وحب نحر الابل وذبح البقر والغنم
وترك التسمية للمذبوح محرم وللذابح محرم • وندب احداد الشفرة قبل الاضجاع
وكره بعده • والجر برجلها الى المذبح والنخع • والسلخ قبل ان يبلغ البرد حده •
والاولى ان يذبح بنفسه ان كان يحسن الذبح • وحرمت ان كان مجوسيا وكره
توكيل ذمي على الاصح ومدة الذبح يومان بعد يوم النحر على التحقيق • والتكبير
عقيب صلاة الجماعة واجب من فجر عرفة الى اخر ايام التشريق الله اكبر الله
اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد • وتكمل الخطبة الثانية
الاتيه خطبة عيد الفطر للمنار اليه انزل الله تعالى علينا الرحمة وعليه
الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله
اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله وبحمده بكرة واصيلا
سبحان جامع الشتات • ومميت الاحيا ومحي الاموات • وخالق الارضين
والسموات • سبحان من حي لا يموت • وملك لا يزول ولا يفوت • ومتكبر
لا تحيط به الاوهام ولا تبلغه النعوت • وصمد تنزه عن القيام والنيام
والشراب والقوت • سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر
لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الحمد الذي خلق السموات والارض
وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي

لولا ان هدانا الله الحمد لله فاطر الخلق بقدرته على اختلاف الالوان وباسط
الرزق برافته لاهل الطاعة والعصيان • ومقدر الارزاق قبل الاجال
فهو قديم الاحسان • منشئ الوجود من العدم بتالف الازمان • والعالم
بما يصير كعلمه بما قد كان • وهو الله الواحد الملك الديان احمده بجميع محامده
على جميع نعمه الحسان واشكره واني يستطيع شكر نعمه الانسان الله اكبر
الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر ولله الحمد الحمد لله اللهم انا نشهد لك
بما شهدت به لنفسك في القدم • وننزهك عن الحدوث ونسبحك عن
العدم فانت الله الواحد الاحد الصمد • لا صاحبة لك ولا والد ولا
ولد تقدس ذاتك • وجلت صفاتك • وتعاليت في وحدانيتك عن مشابهة
الاشكال وتفردت في صمدانيتك عن مشاكلة الامثال لا تتحرك ذرة
في ملكك الا باذنك الكريم • ولا يعزب عن علمك شي في الارض ولا في السماء
وانت السميع العليم واشهد ان سيد البشر وافضل الخلايق • واكرم
الرسل واشرف الخلايق • دامغ رؤس الاباطيل بالحق القاطع • ودافع شبه
الاضاليل بالنور الساطع • القاضي على الجميع بكلمة التوحيد لدفع الخلاف
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف • عبدك ورسولك وصفيك
وخليلك • انتخبته لديمومية قدسك • واستخلصته من عباد اليفسك
ورفعت له على ساير الانبياء قدرا عظيما • وجعلته اشرف المخلوقين
حديثا وقديما • واشتققت له اسما من اسمايك تكريما • فسميته صلى
الله عليه وسلم روفا رحيما • فصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه
خير العرب محتدا واشرفهم صميما • وازكاهم نفسا • واطيبهم
خيما هو بكسر الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية السجية والطبيعة
كذا في الصحاح ايها الناس ان يومكم هذا يوم شرفه الله فجعله عيدا
واعلا رتبته فختم به شهرا معظما حميدا • وافتتح به اشهر حج البيت
العتيق • المقصود على كل ضامر من كل فج عميق • وجعله يوم اكل وشرب
وبعال • وخصه بانواع التعظيم ومزايا الافضال • فروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان
الف الف عتيق من النار لشرف رمضان ومآثره فاذا كان ليلة العيد
اعتق بقدر ما اعتق من اول الشهر الى اخره فاكثروا من نعم الله تستوجبوا
المزيد واعلموا انه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الله اكبر الله اكبر
لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد حافظوا على الصلوات •
لاوقاتها فهي عماد الدين • وادوا الزكوة بطيب الانفس وحسن اليقين
وصوموا رمضان دللرفث وقول الزور تاركين • وحجوا البيت الحرام حال
كونكم قادرين • وشمروا عن ساق الاجتهاد في جهاد اعداء الدين • فان

ان الله عز وجل يعتق من النار في كل ليلة
من شهر رمضان الف الف من العبيد وانه
يعتق بقدر ما اعتق من اول الشهر الى اخره
ليلة العيد م

هذه الخمسة اركان الاسلام التي يبنى عليها • واصول الايمان المشار في
الكتاب والسنة اليها الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر
ولله الحمد واد وا الفطرة عمن تمونون من الصغار والكبار المسلمين من
عيالكم والكفار • نصف صاع من حنطة او صاعا من شعير وعدلهما
من الدقيق او صاعا من تمر او زبيب او اقط او سويق والصاع ثمانية
ارطال برطل العراق • وهو بالرطل الحلبي نحو تسع اواق • وجاز دفع القيمة
عند الاصناف اجمع • وهو افضل حيث الدراهم للفقير انفع • ويجب بطلوع
الفجر من هذا اليوم • ومن عجلها او اخرها فلا حرج عليه ولا لوم • الله
اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد واطيعوا الله
فيما امركم به من انواع الطاعات وملازمة الجمع والجماعات والعدل
في القضايا والمحاكمات • واجتناب المحارم والمنهيات • والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واكثروا ذكر الله ولذكر الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا
الله والله اكبر ولله الحمد اللهم انا نسالك ان تعمنا برحمتك اجمعين
وان تمن علينا بصلاح الاسلام والمسلمين وان توفقنا لما يرضيك عنا
يوم الدين برحمتك يا ارحم الراحمين • ان احسن العظات • وابلغ المواعظ
كلام الصمد المهيمن الحافظ القراءة شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه
ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
خطبه للمشار اليه في وعظ النفس الحمد لله العالم بمكتمات الاسرار
ومخبآت الضماير • القايم على كل نفس بما كسبت من ظواهر الاحوال وبواطن
السراير • الفرد الذي لا تكيفه العقول • ولا تمثله الخواطر • الباقي بعد فناء
الخلق ونفادها بالوجود فهو الاول والاخر • سبحانه وتعالى لا اله الا هو
يحيي ويميت • ويعيد العظم الناخر احمده واشكره وقد افلح الحامد والشاكر
واستهديه واستنصره وهو لعباده المومنين نعم الناصر • واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تحرسني في الحياة من المحن والجواير
وتونسني بعد الممات عند الوحدة في ظلم المقابر • واشهد ان سيد البشر
محمدا عبده ورسوله • اشرف الخلق واكرم العناصر • ولباب المعادن •
وخلاصة الجواهر • شرفه بالاسراء • وكرمه بالكلام • وفضله بالمحبة
وجمع له بين معجزات الاوايل والاواخر فما اوتي نبي من الانبياء معجزة الا اوتي
محمد صلى الله عليه وسلم مثلها واستاثر بالايات البينات والمعجزات
الظواهر اللهم فصل وسلم على هذا النبي الكريم سيدنا محمد وعلى اله واصحابه
ما تقلقل الفلك الداير والكوكب السايرايها الناس كم تكرر المواعظ فتدخل

فالاذان

فالاذان ولا تنفعل القلوب • وكم تجدد الزواجر فتحرك الروس ولا تقلع
عن الذنوب • فالله الله من هذه الغفلة الشنيعة • والرقدة المهلكة
الفضيعة • نذكركم الجرايم • ونحذركم العظايم • فيظهر التاثير من الطاعة
في الفتض ومن المعصية في الزيادة • ونجدد التوبة في الجامع ونرجع في
البيت الى العادة • وما اظن الافة الا مشتركة بين القايل والمستمع فلا
القايل يعظ نفسه • ولا السامع بوعظه ينتفع • واقسم بالله لو خرج الوعظ
من قلب الواعظ لدخل في قلب السامع • ولكنه يخرج من اللسان ولا يدخل الا
في المسامع فانى للاغفله طبع طابعها على القلوب وفترة طمست
الابصار عن ابصار العيوب • ومهلة شملت الخطيب والمخطوب • طوبى
لمن وعى الوعظ ولم يلتفت الى فعال الواعظ • فان كلا مطالب بعمله • وان
كل نفس لما عليها حافظ • هذا وانا والله احوج منكم الى الموعظة ولكن
عميت عن عيوب نفسها العيون • وفي انفسكم افلا تبصرون فما احقني
بقوله تعالى في كتابه المكنون • اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم
تتلون الكتاب افلا تعقلون • فاسالوا الله لي ولكم المغفرة ودوام التوفيق
انه بالتوبة جدير • وبالاجابة حقيق • ارشدني الله واياكم لما يرضيه عني وعنكم
وجنبنا ما يسخطه من العمل مني ومنكم • ان احسن ما يتلى على المنابر كلام الملك
القاهر القراءة اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب
افلا تعقلون خطبة من تاليف خالي قاضي القضاة الحنفي بحلب وخطيب
جامعها الكبير احمد لسان الدين بن قاضي القضاة اثير الدين ابي اليمن محمد بن
قاضي القضاة محب الدين ابي الفضل بن الشحنة المتقدم ذكره تغمدهم الله
برحمته والمسلمين الحمد لله الحميد المجيد • القوي الشديد • الذي له ملك السموات
والارض وهو على كل شي شهيد • لا يدخل في الاجناس • ولا يدرك بالحواس
ولا يقاس بالناس جل عن التشبيه والتحديد • علا فارتفع • وعز فامتنع
واعطى ومنع • لا معارض له فيما صنع • وهو الفعال لما يريد احمده وهو بالحمد
جدير • والوذ به ملاذ البايس الفقير • وانزهه عن الضد والنظير • حمدا
يوجب من فضله المزيد واشكره على جليل الكرم • واعوذ به من حلول النقم •
شكرا يسهل الصعب ويقرب البعيد واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له في ملكه العظيم وكل ما بان ومل يفنى وهو الدايم المقيم شهادة
يقين لا يبعد لعنها العهد ولا يحيد • واشهد ان سيد البشر محمدا عبده •
ورسوله وامينه وخليله • الناطق بالحق عن المبدي والمعيد • المبعوث
باوضح الطرق وانفع المقال • المنعوت باحسن الخلق وازين الجمال • ارسله الله
الى كل قريب وبعيد اللهم صل وسلم على هذا النبي الكريم سيدنا محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد ابن ادم اتق الله

كم من الموت تفر وعلى قبيح عملك تصر كانك تطمع بالتخليد هيهات هيهات
لابد من الممات ولكل حي ميقات والى الفناء كل جديد اين الملوك والاكاسره
اين العتاة والجبابره اين من كان ركنه بجنده شديد اين من عمر الحصون
العاليه اين من سكن القصور الغاليه اين اصحاب الحشم والعبيد
خسروا والله اعمالهم ولقوا بالرغم آجالهم وفارقوا معتبرينا اموالهم
وجاوروا الدود والصديد فتلك المنازل من محاسنهم خاليه وبيوتهم
على عروشها خاويه اليس في ذلك ذكرى لمن كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد فاستيقظوا رحمكم الله من وسن الغفلات واغسلوا
درن الذنوب بفيض العبرات قبل هجوم الممات فالموت اقرب من حبل
الوريد يرخي احدكم ستور المعصية عن عيون الخلايق ويحتجب عن ابصار
المخلوقين ولا يحتجب عن الخالق كلا والله بل عليه كاتب وشهيد بينما
انت مشغول بشبابك اذ اتاك ما لم يكن في حسابك واختطفت من
اهلك واحبابك وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت عنه تحيد
فنقلت من سعة الدور والقصور الى ظلمة اللحود والقبور واصبحت
لا تزار ولا تزور ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد فانكرت الاباء الاولاد
واختصمت الارواح والاجساد وقال الله الملك الجواد لا تختصموا لدي
وقد قدمت اليكم بالوعيد فهولاء في النار يحشرون وعلى جمرها يتقلبون
يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد وهولاء على الارائك ينظرون
وفي روضات الجنان يتنعمون لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد جعلني
الله واياكم ممن تفكر في يوم الحساب وتزود قبل الرحيل والذهاب ان
احسن ما وعظت به قلوب ذوي الالباب كلام المبدي المعيد القراءة
نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
خطبة الفقير مؤلف هذا الكتاب لما توالت عليه المحن وفارق
الاهلين والوطن الى بعض القرى وطلب اهلها صلاة الجمعة بهم بعد
ان ابتداوه بالقرى نقلت الحمد لله الذي حكم بالموت على العباد وفرق به
بين الاباء والاولاد وشتت بقهره شمل الابناء والاجداد فلا مرد لحكمه
ولا مدفع الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا فلا تقعدوا
عن العمل الصالح تهاونا منكم وكسلا وتوبوا الى الله توبة نصوحا واملوا
القبول املا فهي التي تجب ما قبلها من الذنوب وتنفع احمده حمد من صبر
على المحن وفارق الاهلين الوطن ولجا الى الله تعالى والى جنابه الشريف
سكن وازال من قلبه الشبهات ورفع واشكره على نعمه التي لا تعد
وتفضلاته التي لا تحد ولا تحصر بحساب ولا بعد شكر من لباب المزيد
قرع واشكره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نظير له

ولا ند له

ولا ند له ولا صاحبة له ولا ولد له شهادة اتقي بها وجهه الكريم
يوم الفزع واشهد ان سيدنا محمدا عبده الامجد ورسوله الارشد
ونبيه المويد الذي في امته يوم القيمة يشفع صلى الله عليه وعلى اله
واصحابه والتابعين لهم باحسان اجمع وشرف وكرم وبجل وعظم ابن ادم
الى كم تغدوا وتروح والى متى تخفي وتبوح اما آن لك ان تبكي وتنوح على
نفسك وتخشى وتخشع فكيف بك اذا نزلت بك المنون واجتمع حولك
الاقربون وهم يبكون عليك وينحبون وليس فيهم احد عنك يدفع
واشتد الانين وعرق الجبين ورق لحالك الحنين وضاقت عليك الجهات
الاربع ووقعت في السياق وبلغت النفس التراق وتجلى عليها الملك
الخلاق ونقبض الروح منك وتنزع فمنها لك يعانقك الصديق ويتفجع
منك الرفيق ويقسى عليك الشفيق وتغسل وتكفن وترفع ويأتون
بك الى المقابر وكل من احبابك على دفنك مثابر وتحجل عليك اصحابك
والعشاير وتنزل في قبرك وعليك التراب يوضع ويأتيك الملكان
هما منكر ونكير اللذان لا يرحمان الكبير ولا الصغير ويسألانك عن الفتيل
والنقير فان لم تجبهما بالحق فبالمقامع الحديد تقمع فتوبوا الى الله
ايها الناس قبل حلول البوس والباس وقبل ان ينقطع منكم الياس
وانيبوا الى الله فهو الذي يضر وينفع جعلني الله واياكم ممن وعظ فتاب
واستغفر واناب واخلص عمله ولداعي الله اجاب واذل نفسه في
طاعة مولاه وخضع ان ابدع كلام وعظ به الواعظ واشرف نظام
تلفظ به اللافظ وانفع شي حفظه الحافظ كلام من وعظ على لسان
نبيه فصدع القراءة
خطبة للزمخشري رحمه الله تعالى الحمد لله المخوف الذي لا يخاف المعروف
الذي لا ينسب ولا يضاف الموصوف بكمال الاوصاف الموقوف مراده
على النون والكاف سبحانه ليس لوجوده مناف ولا لجوده مكاف
احمده على اللطايف الطاف حمد من عواطفه عليه دايمة الانعطاف
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي يعظم على حمله عظيم ولا
يخفى عن علمه خاف واشهد ان محمدا عبده ورسوله سيد بني هاشم بن عبد
مناف ارسله الله تعالى حين عنيت مفارق العفاف وحنيت
معالم الاسعاف والاعناف فارتفعت ببيانه معالم الانصاف وانقطعت
ببرهانه سبل الخلاف حتى اصبحت عهاد الايمان دارة الخلاف وعادت
عداة البهتان متباينة الاخلاف صلى الله عليه وعلى اله واصحابه اولي
الماثر النامية الغرف والمفاخر السامية الاعراف سيما ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي ما وقف محرم وسعى وطاف ايها الناس من كان الدهر مصارعه فليحذر

مصارعه • ومن كان الموت مطالعه فليرتقب مطالعه • الا وان ركاب
الحمام تنتظركم فتزودوا • وان كتاب العلام قد احصى عليكم فاتيدوا •
وان ارباب الاحلام • قد علمتم مسلكهم فقاربوا وسددوا • وجدوا في
جهاد انفسكم واجتهدوا • وقوموا باوامر ربكم قبل ان تو تقدوا فلا
تقعدوا • ان اكمل الاشياء بالتبيين • واشمل الانباء لقصص الخاليين
كلام العالم بما يكون قبل التكوين القرآءة وكلا نقص عليك من انباء الرسل
ما نثبت به فوادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين خطبة
مختصرة للرشيدي الحمد لله الذي تسبحه الذاريات ذروا والمرسلات
عرفا • وتقدسه التاليات ذكرا • والعاصفات عصفا • قدر ما كان
وما يكون • واحاط علما بالحركات والسكون • ومن بالفضل والطول
براحمته ولطفا • وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى • واقدم بين يدي
توحيده حمدا وشكرا • على نعم لا تحصى • فكم من عبد يصبح ويمسى من فضله
في اشمله معافى ومكفى واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
من شهدها قربه اليه زلفا • ومن جحدها اختطفته ملايكة العذاب خطفا
واشهد ان سيد البشر محمدا عبده ورسوله جامع اوصاف الكمال حرفا حرفا
وحائز محاسن الجمال خلقا وخُلقا وعلما وحلما وعُرفا وعَرفا • واوتي جوامع
الكلم فاخبر عن الحقايق كشفا • وسعى من كان على شفا حفرة من النار واشفى
ولم يزل عليه الصلاة والسلام يجاهد ويجادل حتى فتح الله به اعينا عميا وآذانا
صما وقلوبا غلفا • فمن صلى مرة صلى الله عليه عشرا ومن صلى عليه عشرا
صلى الله عليه مائة ومن صلى عليه مائة صلى الله عليه الفا • اللهم صل
وسلم على هذا النبي الكريم • سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ما القت الاذن سمعا
وارسلت العين طرفا • صلاة وسلاما بهما ندفع اهوال يوم القيامة
ونكفى فمن اخطا الصلاة على هذا النبي الكريم اورأى في ذلك خلفا كان في
الدارين خلفا ايها الناس ما لنا كلما ازددنا في الابدان والاجسام ضعفا
زدنا في العصيان والآثام ضعفا • وكلما فقدنا من الاخوان الفا • سكنا
كانا نقيم بعده من السنين الفا • فالى متى نمد ايدينا للدنيا الدنية ولا
نكف كفا • اما يخشى من يكرع من حياض حرامها صرفا • ان القادر المقتدر
لا يقبل منه عدلا ولا صرفا • فكيف بالعاقل اذا سيق للمحشر مشيا ولم يجد
للمركوب حافرا ولا خفا • حاسرا عن راسه وقد تعرى وحفا • ينادي والهفا
على ما فرطت في جنب الله والهفا • والسماء انفطرت والنجوم انكدرت •
والبحار سجرت • وخسف الشمس والقمر خسفا • ودكت الارض دكا وجاء ربك
والملك صفا صفا • وجيء بجهنم تقاد من الازمة بسبعين الفا • وقد
نشرت الدواوين ونصبت الموازين واظهرت ثقلا وخفا • يوم يفر المرء

من اخيه • وامه وابيه • وصاحبته وبنيه • ومن كان له خلفا فلجأوا
رحمكم الله الى كهف رحمة الله اعظم به كهفا • ولتتزود خير الزاد ليوم المعاد
من اراد ان يرحم وعنه يعفى • واكثروا من التوحيد لتغترفوا من بحر المزيد
غرفا • فبالتوحيد الجنة تقرب للعبد زلفا • وبه النار عنه تطفى • اللهم
انا نسالك يا من ليس عنه شيء يحتجب ولا يخفى • ويا من عم الوجود براحمته
ولطفا • اغننا بحلالك عن حرامك حتى بفضلك عمن سواك نكتفي • وادخل
كلا منا الجنة وهو من سابقة العذاب مكفي القرآ • ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
خطبة مختصرة الحمد لله الذي ان وعد انجز وفا • وان اوعد تجاوز وعفا
احمده على ما خفي من نعمه • واشكره على ما اولى من كرمه • واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له شهادة من دفع عن ربه الشبهات ونفى • واشهد
ان محمدا عبده ورسوله المصطفى • فصلى على سيدنا محمد وعلى آل محمد صلاة
تزيدهم بها يوم القيامة شرفا ايها الناس حاكموا انفسكم الظالمة اليها
وذكروها اهوال ما بين يديها • واعلموا ان الموت منصوب بروسكم • ومنشب
مخالبه في نفوسكم • فالعجب كل العجب لمن تخرب الايام عمره وهو يعمر دارا • ولمن
يوقن بحلول الموت وهو يلذ قرارا • فرحم الله امرأ محض نفسه النصيحة
وجنبها العار والفضيحة • قبل سلوك سبل الاولين • والحصول في سنن
جرايد الراحلين • الذين عمروا الدنيا زمانا • فاخرجوا منها وحدانا •
سكنوا بطون الارض بعد ظهورها • وعوضوا قبورها عن قصورها •
فيا خراب ما عمروه • ويا وحشة ما آنسوه • جعلني الله واياكم ممن ظفر
بالامان • واستوجب الجنان • بجوار الرحمن القرآءة

خطبة نباتيه مختصره في ذكر الموت الحمد لله الملك الجبار • العظيم
القهار • الكريم الستار • احمده على تضاريف الاقدار • واعوذ به
من اجتراح الاوزار • واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة تومن من العثار بكسر العين السقوط من قولهم عثر من كذا فسقط
واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله الى جميع الاقطار • وارغم من
عانده ومكن سيوفه من قمم الكفار • فصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله واصحابه والانصار • صلاة دايمة بالاصال والابكار ايها الناس
قربت الآجال وانتم غافلون • ووجب السوال فما انتم قايلون • اعددتم
لذلك المقام مقالا • ام قدمتم فيما يصلحكم اعمالا • ام اغفلتم التزود
انظارا وامهالا • كلا ولكن شملت الغفلة فالهتكم عن الاستعداد •
وانستكم المهلة التاهب ليوم المعاد • فكانكم بالموت وقد كشر عن انيابه

فاذهل كل عن اهله واحبابه • فرحم الله امرءًا امعن النظر لنفسه • وذكر
ما اجترحه من امسه • قبل ذهوله لهول اليوم العظيم • وفرقه من لفحات
حر الجحيم • قبل ان تطوى السماء كطى السجل للكتاب • ويطول الندم على
مذموم الاكتساب • ويسمع الندا من قبل مسبب الاسباب • اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب • جعلنى الله واياكم
ممن استمع العظات فوعاها • وقمع نفسه عن السعى من هواها • ان
انفع ما سطر فى الاوراق • كلام العزيز الخلاق القراءة

خطبه مختصره له الحمد لله ولى الحمد ومستحقه • واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة من قام بحقه • واشهد ان محمدا عبده المؤيد
بصدقه • ورسوله الدال على احمد طرقه • فصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله افضل ما صلى على احد من خلقه ايها الناس اتقوا الله وحده •
واعتصموا بحبله • واحفظوا عهده • وشمروا فى اكتساب ما يزلفكم عنده
واستديموا بادمان شكره احسانه ورفده • واستنجزوا بمواصلة ذكره
ودعايه وعده • واعلموا ان الموت بحر لا بد ان تلجوا مده • ومنهل كتب الله
على كل حى ورده • فرحم الله امرا جدد فى دار الغرور زهده • وراقب
الرقيب عليه جهده • واستقال خطاه وعمده • وانفق فى طاعته
سعيه وكده • وجعل شعاره ذكر الموت وما بعده • جعلنى الله واياكم
ممن اخلص على التوبة عقده • وابان عن الحوبة بعده • ان احق الكلام
واجده • واقوم القول واسده • كلام من لا تبلغ الاوهام حده القراءة

خطبه له ايضا فى ذكر الموت الحمد لله خالق السموات وسامكها • وبارى
البريات ومالكها • الذى ليس له مثل ولا شبيه • ولا فى قوله بطل ولا
تمويه احمده بما يوجب حمده عليه • وابرؤ من الحول والقوة اليه • واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من اعترف فاغترف • وحاد
من انحرف عنها وصدف • واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بكتاب
اوضحه ولسان افصحه • فلم يدع صلى الله عليه وسلم فسادا الا اصلحه
ولا عنادا الا ازحزحه • ولا مغلقا من الدين الا فتحه • فصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله ما هاله ملك وسبحه ايها الناس الى كم تماطلون
بالعمل • وتطمعون فى بلوغ الامل • وتغترون • بفسحة المهل ولا تذكرون
هجوم الاجل • فرحم الله امراءً قدم الحذر • وانعم النظر • قبل ان يبادر والا وان
ويعدم الامكان • ويدخل فى خبر كان • قبل الاخذ بالكظايم جمع كظم وهو
مخرج النفس بفتح الفاء • والاسف على اكتساب الجرايم فجنبذ تضيق
الانفاس • وتفتر الحواس • ويقع الاياس • ويحل بالمغرور الحذور والباس
بال مشغولا عن اقاربه واحبابه • ضربعا مسلما لما به • يبسط يمينا

ويقبض شمالا • ويعالج من سكرات الموت اهوالا • يسال فلا يرد سؤلا
ويلتمس من الاقالة والرجعى محالا • فرصا والخبر عنده عيانا • وعاد
الشك فى الرحيل ايقانا • ثم سلب روحه • واسكن ضريحه • وهيل
عليه التراب • وعدم منه الاياب ايقظنا الله واياكم من سنة
الطبع وهو بالمتحرك الدنس والكسل وصدى السيف يعنى من غلة
صدى القلب • وآمننا واياكم يوم الفزع • ان اولى ما انذر به ووعظ
كتاب الله المبين • الذى نزل به الروح الامين القراءة كلا اذا بلغت
التراقى وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق
الى ربك يومئذ المساق خطبة يذكر فيها التاهب للآخرة الحمد لله
السميع البصير • فلا توارى عنده سماء سماءً ولا ارض ارضا • الحكيم
القدير • الذى حكم فابرم وقضى فامضى • جل عن تكييف الخواطر وتعالى
عن ادراك النواظر • فهو الملك الذى لا تصف عظمته الواصفون •
والرب الذى يعلم ما لم يكن كيف يكون احمده حمدا هو من جملة نعمته • واقر
له اقرار عبده وابن امته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
الملك العظيم الخالق المالك القديم الرازق واشهد ان سيد البشر
محمدا عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الخوارق • سبح الحصى فى كفه باللسان
الناطق وجرت اصابعه الشريفة بالماء الدافق • وزويت له مغارب
ارضها والمشارق • فبلغ امته ما زوى له من ذلك • وعلا دينه الشريف
وملكه المنيف • على كل الاديان وساير الممالك • فصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله صلاة تملا اقطار السموات والارض • وتكون لمصليها
ورعا سابغا يوم العرض ايها الناس وقع السفر وفاز المخفون بالظفر
ونادى منادى الرحيل • واوضح لكم السبيل • واراكم الدهر الاحوال •
وصدقكم الموت الاقوال اراكم ما هو صانع بالاباء والامهات • وبصركم
بعد الجمع بالشتات • فما ذرفت الجفون • ولا ارتاعت القلوب • بل
عميت العيون • وغطى على العيوب • كان الدهر ما احذركم • وكان الشيب
ما انذركم وكان الموت ما حل بناديكم • وكان ايدى المنون ما ولعت
فيكم • فان لم تكونوا من هذا الخبر فى حساب • او نالكم فيه شك او داخلكم
ارتياب • فاين الاصدقا واين الاحباب • واين الاخوان واين الاتراب •
واين الابناء واين الاحفاد • واين الاباء واين الاجداد • رحلوا وعميت
عليكم انباؤهم • وتايمت نساؤهم • وتيتمت اولادهم • فيا لها من عبرة
نحن عنها غافلون • وحسرة نحن عن مصيبتها ذاهلون • واقسم بالله لو
كان الموت الغنيمة لهانت البليه • ولو ترك الانسان سدى لسهلت القضية
لكن بعد الموت اهوالا لا منتهى لها • اذا زلزلت الارض زلزالها • وعرضت الخلايق

على الملك الجبار • واعطيت الكتب باليمين او باليسار • وتغظيت النار وزفرت
واججت جهنم واستعرت • هنالك تضع الحامل حملها ويشيب الوليد • وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد اجارني الله واياكم
من اهوال يوم القيامة • واحلني واياكم برحمته دار الكرامة القراءة يوم نقول
لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد خطبة في الاقبال على الطاعة والتوبة
الحمد لله مالك من خلق وخالق من هلك • وجاعل السماء المباركة مسجد السجود
الملائكة فما فيها موضع اربع اصابع الا وبها جبهة ملك • خلق الليل والنهار
والشمس والقمر لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في
فلك • فعليك بالاحسان • ايها الانسان • فان اسأت فعليك وان احسنت
فلك • يا ربنا انا نوجه الحمد والشكر لك • ونعلم ان الفضل والملك لك • •
ونشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك • ولا ضد لك ولا ند لك •
ونشهد ان سيدنا محمدا عبدك ورسولك • يا محمد سبحان من بالحق قد
ارسلك • وعلى سائر الخلايق فضلك • وبمحاسن الاوصاف جملك • وبمكارم
الاخلاق كملك • وايدك بالمعجزات الباهرات فالقمر نصفين انشق لك •
والجذع عند الفراق حن لك • وانطق الله بشهادة الرسالة الضب لك
اللهم فصل وسلم على هذا النبي الكريم سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وازواجه
وذريته صلوة وسلاما ننال بها سبل الخيرات مع من سلك ابن آدم
اقبل على طاعة مولاك لعل ان يقبلك • واعرض عن العرض الزايل مخافة
ان يفتنك فيذهلك • ولا تتعب نفسك في تحصيل دنياك فانها لا تتم
لك • وما زاد عن القوت وما لا بد منه لا يصلح لك الا ما قدمت لك • •
فقل للغافل من ذا الذي يجمع الحطام الزايد وكلك • ومن ذا نهماك ان الحظ
الوافر لمن على دنياه انهماك • حتى جعلت ذاتك دينارك ودرهمك • ان كان
هذا العمل عملك فعن المقصود ما اغفلك • وفي المعرض من الطاعة
ما اكسلك • اما تخشى ان نزعت لباس التقوى في المعترك • ان يصيب
سهم الهوى مقتلك • فبالله يا عبد الله تب لمولاك فان تبت اليه
قبلك • ومحا جميع ما كان من الخطايا قبلك • اللهم انما نحن عبيدك
وملك لم يشارك في خلقنا ملك ولا مالك • قد كتبت علينا الموت الذي لو
تعلم البهايم ما علمنا منه لم تعرف منها بشحم ولا ودك • فنور ابصارنا واسلك
بنا سبل الخيرات مع من سلك خطبة في كل جمعة الحمد لله على احسانه •
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له تعظيما لشانه • واشهد ان
سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه واعوانه •
اوصيكم عباد الله واياي بتقوى الله • فانها شعار المؤمنين • ودثار
المتقين • ووصية الله فيكم اجمعين • واعلموا ان الله تعالى امركم بامر بدأ

فيه

فيه بنفسه • وثنى بملائكة قدسه • واثبت بالمؤمنين من بريته جنه وانسه
فقال تعالى مخبرا وآمرا • اجلالا لنبيه وتكريما • وتنبيها لكم وتعليما • ان
الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما اللهم صل على سيدنا محمد ما تعاقبت الاوقات وعلى آل محمد اللهم
صل على سيدنا محمد ما دامت الارض والسموات وعلى آل محمد اللهم صل على
سيدنا محمد عدد الاسماء والصفات وعلى آل محمد اللهم صل على ملائكتك
المقربين • وانبيائك المرسلين • وعلى اهل طاعتك اجمعين • من اهل السموات
والارضين • واخصص اللهم محمدا وآله بافضل الصلاة • واشرف التسليم
اللهم وارض عن شيخ ملته • وامام قبلته • المقاتل عن فرض دينه وسنته
شيخ التحقيق • والمسارع الى التصديق • الذي قال في حقه سيد كل قبيلة
وفريق • لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر الصديق اللهم وارض
عمن ايد الدين ونصره • وبدد الشرك وقهره • وهزم كسرى وقيصره • منير المصابيح
ومصلي التراويح • الذي عدل فاصاب • ودعا الى الاسلام فاجاب • الذي قال
في حقه رسول الملك الوهاب • لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب اللهم
وارض عن صاحب الاوراد والعبادات • والاجتهاد في الخلوات • رافع الرايات
المحمديات • وتالي الآيات البينات جامع القرآن • وحافظ الايمان • الذي قال
في حقه رسول الملك الديان لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان بن عفان
اللهم وارض عن الليث الهمام • والاسد الضرغام منكس الاصنام • ورافع
رايات الاسلام • فارس المشارق والمغارب • وقاتل كل زنديق ومارق • الذي
قال في حقه رسول الملك الخالق • يا علي بن ابي طالب لا يحبك الا مؤمن ولا
يبغضك الا منافق اللهم وارض عن الستة الباقين من العشرة • الكرام البررة
انك انت اهل التقوى واهل المغفرة اللهم وارض عن عمي نبيك حمزة والعباس
المطهرين من الدنس والارجاس • وعن السبطين الشهيدين ابي محمد الحسن
وابي عبد الله الحسين وارض عن التابعين وتابعي التابعين لهم باحسان الى
الدين اللهم واصلح الخليفة امير المؤمنين بما اصلحت به الخلفاء الراشدين
والائمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون اللهم وايد
الاسلام والمسلمين • واخذل الكفرة المشركين اعداء الدين • ببقاء عبدك
وابن عبدك الخاضع لجلالك ومجدك السلطان بن السلطان بن السلطان
السلطان سليمان خان بن سليم خان بن بايزيد خان اللهم انصره وانصر
عساكره • وكن اللهم مؤيده وناصره • وامحق بسيفه الطايفة المارقة
الفاجرة • يا من بيده ملكوت الدنيا والآخرة يا رب العالمين اللهم انصره
نصرا عزيزا • وافتح له فتحا مبينا • والهم وجماعته الشفقة والرحمة • والرأفة
فينا • رب العالمين عباد الله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي

ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون • اذكروا الله
يذكركم • واشكروه يزدكم • واستغفروه يغفر لكم • ولذكر الله اكبر والله
يعلم ما تصنعون **فصل في ذكر آداب المذكرين** قال الفقيه رحمه الله تعالى
اول ما يحتاج اليه ان يكون صالحا في نفسه لانه لو لم يكن صالحا في نفسه تمج
منه العقلاء وتقتدي به السفهاء فيكون فيه فساد العلم وكلامه لا يرسخ
في قلوب الناس وينبغي للمذكر ان يكون ورعا ولا يحدث الناس بحديث لم يصح عنده
لانه روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين ولا ينبغي ان
يطول المجلس فيمل الناس لانه يذهب بركة المجلس وروي عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه انه قال ان للقلوب نشاطا واقبالا وان لها توليا
وادبارا فحدث القوم ما اقبلوا عليك وروى الزهري عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال روحوا القلوب ساعة فساعة وروى زيد بن اسلم عن
ابيه قال كان قاص في بني اسرائيل يطول المجلس فطول عليهم فاملهم فلعن
ولعنوا وينبغي للمذكر ان يكون متواضعا لينا ولا ينبغي ان يكون متكبرا فظا
غليظا لان التواضع واللين من اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم قال الله
عز وجل فبما رحمة لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك واذا
اراد ان يخبر الناس بشيء من الفضايل من الصوم والصلاة والصدقة
فينبغي ان يعمل به اولا حتى لا يكون من اهل هذه الآية اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وقال ابرهيم النخعي اني اكره القصص لثلاث آيات من كتاب الله
تعالى وقد ذكرناه يعني في الباب وينبغي للمذكر ان يكون عالما بتفسير القرآن
والاخبار واقاويل الفقهاء وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه راى
رجلا يقص فقال له اتعرف الناسخ والمنسوخ فقال لا فقال علي هلكت واهلكت
وينبغي للمذكر اذا حدث الناس ان لا يقبل بوجهه على رجل واحد ولكنه يعم وقد
روي عن حبيب بن ابي ثابت انه قال من السنة ان لا يقبل على رجل واحد ولكن
يعم ولا ينبغي للمذكر ان يكون طماعا لان الطمع يذل الانسان ويذهب بهاء
الوجه ولو اهدى اليه انسان بغير مسئلة فلا باس بان يقبل هديته وينبغي
ان يكون في مجلسه الخوف والرجاء ولا يجعل كله خوفا ولا كله رجاء لانه نهى
عن ذلك وان كان المذكر يحتاج الى تطويل المجلس فيستحب له ان يجعل في خلال
مجلسه كلاما يستظرفونه ويشتهون في ذلك فان ذلك يزيد نشاطا واقبالا
على السماع وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه كان اذا جلس رغب الناس في
الاخرة وزهدهم في الدنيا فاذا راهم قد كسلوا وتثاءبوا اخذ في ذكر الغرس
والبناء والحيطان فاذا راهم قد نشطوا اقبل في ذكر الآخرة انتهى كلامه **اقول**
وفي اعتلال القلوب عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه اجموا هذه القلوب واطلبوا

لها

لها طرف الحكمة فانها تمل كما تمل الابدان **وقد روي** ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يحدث اصحابه عن امر الآخرة فاذا راهم قد كسلوا نعرف ذلك
في وجوههم اخذ بهم في حديث الدنيا **وروي** عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا احدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم ويشق عليهم
وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال ساعة للدنيا وساعة للآخرة وبين ذلك
اللهم اغفر لنا ودخل ابن مسعود رضي الله عنه المسجد وقاص يقص ويذكر
النار والاغلال فجاء حتى قام على راسه وقال يا مذكر لا تقنط الناس وتلا
قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله **وعن**
حنظلة الكاتب انه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
اذا كنا عندك تذكرنا الجنة والنار فكانا رأي العين فقمت الى اهلي فضحكت
ولعبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حنظلة ساعة وساعة
لو كنتم تكونون في بيوتكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملايكة في بيوتكم او قال
على فرشكم **وذكر** اسلم الكوفي ان امراة من عابدات البصرة وقفت على عبد الواحد
وهو يعظ فصاحت به ايها المتكلم عن غيره تكلم عن نفسك والا فاصمت
ما اشبهك الا بمعلم الصبيان يعلمهم نهارا فاذا عادوا الى منازلهم
نسوه وانما ينبغي ان تعظ بلسان فعلك لا بزخارف عباراتك والله لو مت
ما صليت عليك قال فدهش عبد الواحد من كلامها ونزل من المنبر واجما
اي ساكتا شديد الحزن فجلس في بيته فلم يخرج للناس سنة كاملة واسم
هذه العابدة جويرية وقد تقدم ذكرها اول الباب **الباب**
السابع والثلثون في طاعة الوالي قال الفقيه رحمه الله تعالى
يجب على الرعية طاعة الوالي ما لم يامرهم بالمعصية فلا يجوز لهم ان
يطيعوه ولا يجوز الخروج عليه الا ان يظلمهم فيمتنعوا من ظلمه وانما
قلنا ان طاعة الوالي واجبة لقول الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم قال بعض اهل التفسير يعني الامراء وروى انس بن مالك رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسمعوا واطيعوا ولو استعمل
عليكم عبد حبشي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من راى من اميره شيئا فكرهه فليصبر فانه ليس احد يفارق
الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية وروي عن عمر رضي الله عنهما
انه لما بلغه انه ولي يزيد بن معاوية قال ان كان خيرا رضينا به وان كان شرا
صبرنا وقال بعض الصحابة رضوان الله عليهم اذا عدلت الايمة في الرعية
كان الشكر على الرعية والاجر للايمة واذا جارت الايمة في الرعية كان الصبر
على الرعية والوزر على الايمة واما اذا امروا بالمعصية فلا تجوز الطاعة
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق **اقول**

وبهذا الحديث تمسك الحسن البصري فيما رواه صاحب مراة الزمان فيها عن
عامر الشعبي انه قال لما ولي عمر بن هُبَيرة العراق ليزيد بن عبد الملك واجتمع قراء
الامصار عنده فسالهم عن مسايل ثم اخرجهم جميعا فلم يبق عنده غيري وغير
الحسن البصري وابن سيرين فالتفت الى ابن سيرين فقال يا ابا بكر ما رايت من
امرنا منذ قدمنا فقال رايت ظلما فاشيا ومنكرا قبيحا فغمزه ابن اخيه في
منكبه فقال له محمد انا الذي اسال لا انت قال الشعبي فالتفت الي وقال ما تقول
انت يا عامر قال فقلت الامير وفقه الله مجتهد والتوفيق من الله فالتفت
الى الحسن فقال ما تقول انت يا ابا سعيد ان امير المومنين يزيد يكتب الي
في اشياء ليست من طاعة الله هل ترى لي رخصة اذ امضيها قال عامر
فتلوى الحسن وجلس على ركبتيه وقال لهذا الشعبي فقيه اهل العراق او
المشرق فاساله قال فاحال الجواب علي فقلت قارب وسدد وارفق فاني
ارجو ان لا يكون عليك باس فقال للحسن اريد جوابك انت يا ابا سعيد
فقال له الحسن وقد احمرت عيناه اني يا ابن هبيرة خف الله في يزيد
ولا تخف يزيد في الله يا ابن هُبَيرة اعرض كتاب يزيد على كتاب الله فان وفق
فامضه وان خالف فاضرب به عرض الحايط يا ابن هبيرة يوشك والله ان
ينزل بك ملك الموت فينزلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق
لحدك ثم لا يوسعه عليك الا عمالك يا ابن هبيرة ان لله سطوات ونقمات
وما هي من الظالمين ببعيد يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
فبكى ابن هبيرة بكاء شديدا وقال الحق والله فيما قال الشيخ ثم قمنا فخرجنا
ولحقنا رسوله بالبدر والهدايا الى الحسن دوننا فلم يقبلها وبعث الينا
بالغنين الغنين فقلنا رفعنا فرقوا لنا وشد دغيرنا فكثر له قال الشعبي
لما خرجنا قلت للحسن يا ابا سعيد ما كنا نعرف لك الفضل حتى اليوم اردنا
الدنيا واردت ما عند الله قال فضرب بيده في صدري وقال ويحك يا عامر
تدري متى هلك بنو اسرائيل بما هلكوا حين رخص لهم علماؤهم في محارم الله
تعالى انتهى وهذا معنى قول سعيد بن جبير رضي الله عنه هلاك هذه الامة
من علمائها والبدر جمع بدرة وهي عشرة الاف درهم وعن طاوس بن كيسان
قال واخبرني بعض الاصحاب حفظه الله انه راى ببعض الكتب ان ابن طولون
لما حكم بمصر زاد ظلمه وسفكه للدماء فطلب اهلها من السيدة نفيسة
المدفونة بمصر رضي الله عنها صاحبة الاسرار الواضحة ان ترسل الى ابن
طولون وكان غيره من الظالمين تزجره عن الظلم فكتبت اليه تعظه قدرتم
فاسأتم • وملكتم فبخلتم • وردت عليكم الارزاق فقطعتم ارزاق العباد •
واشتغلتم بصفو ايامكم • ولم تفكروا في سوء عواقبكم • وارتكبتم الشهوات
واغتنام اللذات • ونهاديتم بالمنايا وهي صايبات • لا سيما ان خرجت

من

من قلوب جرحتموها واكباد جوعتموها واجساد عريتموها لو تاملتم
حق التامل لانتبهتم لانفسكم او ما علمتم انه لو دامت الدنيا للعاقل ما وصل
اليها الجاهل ولو دامت لمن مضى ما وصل اليها من بقي فاعلموا ما شئتم فانا
بالله واثقون واتقوا الله بغدركم فانا لله وانا اليه راجعون وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وعن ابن كيسان اليماني من الطبقة
الثانية من التابعين رضي الله عنه انه قال بينا انا بمكة بعث الي الحجاج بن
يوسف فاتيته فاجلسني الى جنبه واتكاني الى وسادته اذ سمع ملبيا
حول البيت رافعا صوته بالتلبية فقال علي بالرجل فاتي به فقال ممن
الرجل فقال من المسلمين قال ليس عن هذا سالتك انما سالتك عن البلد
قال من اليمن قال كيف تركت محمد بن يوسف يعني اخاه قال تركته جسيما لباسا
ركابا خراجا ولاجا قال ليس عن هذا سالتك انما سالتك عن سيرته قال
تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق فقال له الحجاج ما حملك
على ان تتكلم بهذا الكلام وقد علمت مكانته مني فقال الرجل اتراه بمكانه
منك اعز مني بمكاني من الله تعالى وانا وافد بيته ومصدق نبيه صلى
الله عليه وسلم فسكت الحجاج ولم يحر جوابا وقام الرجل من غير اذن وانصرف
ثمرة الفقيه وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب وكره ما لم يومر
بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وروى عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشا وامر عليهم رجلا فغضب
عليهم يوما فاوقد نارا فقال ادخلوها فاراد بعضهم ان يدخلوها فقال
الاخرون انما فررنا منها فلا ندخلها وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لو دخلوها ما خرجوا منها ابدا لا طاعة في معصية انما الطاعة في
المعروف قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى ليويد الدين بالرجل
الفاجر اقول روى الخطابي حديث على هذا اللفظ انه صلى الله عليه وسلم بعث
جيشا وامر عليهم رجلا وامرهم ان يسمعوا له ويطيعوا فاجج نارا وامرهم ان
يقتحموا فيها فابى قوم ان يدخلوها لم يزالوا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لو دخلوها لم يزالوا فيها وقال لا طاعة في معصية الله انما الطاعة
في المعروف قال الخطابي هذه القصة وما ذكر فيها من شان النار والوقوع
فيها يدل على ان المراد به طاعة الولاة وانها لا تجب الا في المعروف كالخروج
في البعث اذا امر به الولاة والنفوذ لهم في الامور التي هي طاعات ومعاون للمسلمين
ومصالح لهم فاما ما كان فيها معصية كقتل النفس المحرمة وما اشبهه فلا
طاعة لهم في ذلك وقد يفسر قوله لا طاعة في معصية الله تفسيرا اخر وهو
ان الطاعة لا تسلم لصاحبها ولا تخلص اذا كانت مشوبة بالمعصية وانما

تصحح الطاعات مع اجتناب المعاصي انتهى وقال الفقيه وقال حذيفة بن اليمان ليبعثن الله عليكم امراء يعذبونكم ويعذبهم الله تعالى وروى موسى بن عبيدة عن ايوب بن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون بعدي امراء يعملون بما ينكرون ويامرونكم بما لا يعلمون فاولئك لا طاعة لهم وروى عن الزبير بن عدي قال اتينا انس بن مالك رضي الله عنه فشكونا اليه ما لقينا من الحجاج فقال اصبروا فانه لا ياتي عليكم زمان الا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم انتهى كلامه اقول وكان الحسن البصري ينهى عن الخروج على الحجاج ويامر بالكف عنه ويقول والله ما سلطه الله عليكم الا عقوبة فلا تعارضوا الله عقوبة الله بالسيف ولكن عليكم بالسكينة والتضرع ولنذكر شيئا يتعلق بالسلاطين والامرة من عدل وغيره فاقول للسلطان مزية على السوقة وهم ما عداه ومزيته عليهم بخصال رحمة تشمل رعيته ويقظة تحوطها وصولة يذب بها عنهم وليانة يكيد بها الاعداء وحزامة ينتهز بها الفرص فهذه فضيلة ذاته واما فضيلة ادواته فوفور امواله وكثرة اجناده وحصانة معاقله وباتخاذ المباني الوثيقة العلية والملابس الانيقة السوية والذخاير النفيسة السنية والمطاعم اللذيذة الشهية والمراكب الوطية البهية وقال في اداب السياسة السلطان زمام الامور ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطب الذي عليه مدار الدين والدنيا وهو حمى الله في بلاده وامينه على عباده به تمتنع حريمهم وينتصف مظلومهم وينقمع ظالمهم ويامن خايفهم وهو خليفة الله في ارضه والحاكم في حدود دينه وفرضه وقد خصه الله بتاييده واحسانه ومنحه من عزه وسلطانه وندبه لرعية خلقه ونصبه لنصرة حقه فان اطاعه تكفل له بنصره وان عصاه وكله الى نفسه وفي سنا الاماره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة لا يبقى ظل ولا ملجا الا ظل الله تعالى ولا يستظل بظله الا سبعة اناس سلطان عادل في رعيته وشاب نشا في عبادة ربه ورجل يكون في السوق وقلبه في المسجد ورجلان تحابا في الله تعالى ورجل ذكر الله في خلوته فذرت من مقلته دمعه ورجل دعته امراة ذات جمال فقال اخاف الله رب العالمين واقربهم اليه السلطان العادل وابعدهم السلطان الجاير واعلم ان بركة العدل شامله ودياناعله آهله واعمار معتمديه فسيحة المهل وممالكهم آمنة العطل فاما اعمارهم وفسحة آجالهم لا لهاج انفس الرعايا بجهد ودوام الوسيلة الى الله تعالى في بقايهم ولان لا صراف النفوس الى ما تحب وتكره تاثيرا عظيما وقد ذكر ان بعض الاكاسرة انفذ رسولا الى ملك الصين يساله لم طالت اعمار ملوككم وقصرت اعمار ملوكنا فلما وصل الرسول وساله ذلك امره

فانزل الى شاطي نهر عظيم والى جانبه شجرة عظيمة وقال له جوابك انما يكون اذا نضب ماء هذا النهر اي غار وانقعرت هذه الشجرة اي انقلعت وسقطت فحزن لذلك الرسول وترددت فكرته في ذلك لانه غير ممكن الا في انقضاء دور من الادوار وحل به الحزن الطويل واقام على النهر تحت الشجرة سنينا مصرفا همته الى ما ارتبطت به نفسه فما ان كان في يوم الا وقد انقعرت الشجرة ونضب الماء من النهر فاستبشر لذلك ووصل الى باب الملك فرحا وطلب الاذن عليه فقال يا ملك لقد تصدق الله بفكاكي الشجرة قد انقعرت والنهر قد نضب ماؤه فاذن لي في ردما وصلت فيه لاعود الى صاحبي فقال له جوابك ما رايت نحن انما طالت اعمارنا لانا نعدل في رعايانا فهممهم مصروفة الى بقاينا عليهم وانتم تظلمونهم فهممهم مصروفة الى انقضاء اعماركم واقتراب آجالكم الا ترى الى همتك وانت رجل واحد صرفتها الى ما ارتبطت به من شجرة عظيمة ونهر جار ففعلت في قلعها ونضوب ماء النهر الجاري فكيف لا تؤثر همم الرعايا وهي اسرع قبولا من ساير الموجودات انتهى والسلطان امام متبوع فان ظلم لم يعدل احد في حكم وان عدل لم يجسر احد على ظلم وقد قرن الله طاعتهم وطاعة نبيه بطاعته حيث قال تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله في ارضه ياوي اليه كل مظلوم وفي رواية كل ملهوف وهو بمنزلة الراس من الجسد والقطب من الرحا والظل من الشمس ان صلح صلحوا وان فسد فسدوا وكان عليه مثل وزرهم وقال عليه السلام زين الله السماء بثلاثة الشمس والقمر والنجوم وزين الارض بثلاثة بالماء والمطر والسلطان العادل وقال بزجمهر لا ينبغي للعاقل ان يسكن بلدة ليس فيها خمسة سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قايمة ونهر جار وطبيب عالم وقال النبي صلى الله عليه وسلم سبع اكول خير من وال غشوم ظلوم ووال غشوم ظلوم خير من فتنة تدوم وقال الشاعر في بعض الملوك الاجواد

ترى الناس افواجا الى باب داره ۞ فهذا له فن وهذا له فن

فللطالب الجدوى وللامل الندى ۞ وللمذنب العتبى وللخايف الامن

قال في الصحاح اعتبني فلان اذا عاد الى مسرتي راجعا عن الاساءة والاسم منه العتبى ودخل الرشيد على شقيق البلخي رحمه الله تعالى فقال له انت شقيق الزاهد فقال انا شقيق ولست بزاهد فقال له اوصني فوعظه بشيء ثم قال له زدني فقال له ان مثلك مثل معين الماء ومثل العلماء وفي رواية العمال في العالم كالسواقي فان صفت العين صفت السواقي وان لم يكن هذا فلا مطمع فيك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الارض لتتزين في اعين الناس اذا

كان عليها امام عادل وتنتج اذا كان عليها امام جاير وقال سقراط ينبوع فرح
العالم السلطان العادل وينبوع حزنهم السلطان الجاير وقال موسى عليه
السلام يا رب ما علامة رضاك على الناس ان اولى خيارهم فقال وما علامة سخطك
عليهم قال ان اولى اشرارهم فاسعد الملوك من سعدت به رعيته واشقا
الملوك من شقيت به رعيته ولذا كان بعض الملوك الصلحاء يقول اللهم اجعلني
رحمة ولا تجعلني نقمة وقيل شيئان صلاح احدهما بالآخر الرعية والسلطان
وقال النبي صلى الله عليه وسلم كما تكونوا يولى عليكم فينبغي لرعية قد ولى عليهم
ظالم ان ينتهوا عن قبايح فعالهم ويتوبوا ثم يتضرعوا الى الله تعالى ليصلح اليهم
او يبدلهم بخير منه وعن عطاء الخراساني انه مكتوب في التورية انا الله قلوب
الملوك بيدي اقلبها كيف شئت فمن كان على الطاعة جعلت الملوك عليهم
رحمة ومن كان على المعصية جعلت الملوك عليهم نقمة والحديث المروي عن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما اعم من ذلك وهو انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها
كيف يشاء ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلبي الى
طاعتك وفي رواية كان يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك
وسياتي في الباب الثاني من خاتمة الخاتمة شي من ذلك وقيل شر الملوك من
يخافه البري وشر البلاد ما ليس له خصب ولا امن وشر الاخوان الخاذل وشر
المال ما لا ينفق منه الخصب بكسر اوله وسكون المهملة بعده ضد الجذب بفتح
الجيم ودال مهملة وقال المغيرة بن شعبة احب الامرة لثلاث واكرها لثلاث
احبها لرفع الاولياء ووضع الاعداء واسترخاص الاشياء واكرهها لروعة
البريد ومونة العزلة وشماتة العدو وقال حبذا الامارة ولو انها على الحجارة
وينبغي للملك ان يتجسس احوال مملكته فان ذلك حزم له لاسيما في الثغور وبلاد
العدو وساير البلدان وعلى العمال والاتباع ليعلم احسان المحسن فيجازيه
عليه واساءة المسي فيقومه وانما يقبح عليه التجسس اذا كانت نيته في ذلك
غير صالحة بان يريد بذلك الاطلاع على حرم الناس وما اشبه ذلك قال
كساي في تفسير قوله تعالى على لسان يعقوب فتحسسوا من يوسف واخيه
اي تطلبوا الخبر وقرئ بالجيم ومعناها التطلب والمعرفة ومنه حواس الانسان
وحواسه لمشاعره وقال بعضهم بالجيم الخبر الشر وبالحاء الخبر الخير انتهى وقال
بعض الحكماء ينبغي للملك ان يكون بامور الناس خبيرا والى احوالهم متطلعا ليعلم
ما فيهم من فضل ونقص وعلم وجهل وخير وشر فيتحرز من غرر المتشبه
وتدليس المتصنع ويعطي كل واحد حقه ولا يقصر بذي فضل ولا يعتمد
على ذي جهل فان من الجهل صحبة ذوي الجهل وان يسوس الكرام بالرفق
ويبذل لهم المال ويسوس اللئام بالاهانة والاذلال كما حكي ان معاذا دخل

على الخليفة

على الخليفة المتوكل حين استخلف فانشده

اذا كنت للناس اهل سياسة ... فسس كرام الناس بالرفق والبذل
وسس لئام الناس بالذل يصلحوا ... على الذل ان الذل يصلح للنذل

وسئل بعضهم عن سيرة بعض امراء المومنين فقال كان اذا ولى لا يطابق
بين جفونه وارسل العيون على عيونه فهو غايب عنهم شاهد معهم
فالمحسن راج والمسي خايف فالملك العظيم القدر الواسع السلطات
يحتاج الى ان تكون له عيون كثيرة وآذان كثيرة يعني امناء يعاينون امور
الرعية ويسمعون اقاويلهم فيؤدونها الى الملك وان يكونوا اتقياء فانه
كما انه ينتفع بالعيون والاذان اذا صحت وسلمت من العاهات كذلك ينتفع
بالامناء اذا صدقت اقاويلهم وخلصت نصايحهم والناس ثلاثة
خاصة وعامة ووسط فالخاص هو الذي يسوس ولا يساس والوسط هو
الذي يساس من فوقه وهو يسوس من تحته والعام هو الذي يساس ولا
يسوس فينبغي للملك ان يطلع على جميع تلك الطوايف ليكون معظما عندهم
وكان عمر رضي الله عنه يطوف مع العسس فاذا راى خللا تداركه وقال الشاعر في ذلك

كم في التجسس من اثم ومنقصة ... الا على اثنين فهو الحزم ان حصلا
على العدو الذي تخشى غوايله ... او الاجير الذي قلدته عملا

واما التجسس للسعاية على المسلمين الى السلطان او الى ظالم للاخذ من
اموالهم واعراضهم او دمايهم المحرمة بقول النبي صلى الله عليه وسلم كل المسلم
على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه فقد نهى الله تعالى عنه وفي سنا الامارة
ان الزهري سعي به الى عبد الملك بن مروان حتى غضب عليه ومنعه من الدخول
عليه فاحتال الزهري حتى لقيه فاعرض عنه فقال يا امير المومنين تجد علي
من غير خيانة وتعرض عني بلا جناية فقال قد اخبرني الثقة عنك فقال
يا امير المومنين اذا اقمنا البينة على كذبه اتقبل عذري ويصلح لي ديك امري فقال
وما بينتك قال كتاب الله العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه فقال هات فقال نعم يا امير المومنين قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اذا جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فسمى الله تعالى الساعي
فاسقا والفاسق يا امير المومنين مردود الشهادة غير وجيه عند الله تعالى
فاحسن عبد الملك اليه وقربه واجازه فقد نهى الله تعالى عنه بقوله تعالى
ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
فكرهتموه وكذلك نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا تحاسدوا
ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تباخسوا وكونوا عباد الله اخوانا وفي ادب
السياسة السعاية رداءة كما ان النميمة دناءة لانهما يهتكان العورة ويضيعان
الحرمة وتفسدان المودة ويفرقان الجماعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم

من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يرفعن الينا عورة اخيه المومن وقال كعب الاحبار رضي الله عنه اعظم الناس خطيئة الثالب قيل من الثالب قال الذي يسعى باخيه الى السلطان وقيل لسقراط اى شي احد من السيف قال السعاية وينبغي للسلطان ان لا يقبل كلام الساعي لانه فاسق وفي سنا الامارة ان الزهري سُعِيَ به الى عبد الملك بن مروان وقد نقل سابقا وسعى واش برجل الى الاسكندر فقال له اتحب ان تقبل منك ما قلت فيه بشريطه ان نقبل منه ما يقول فيك قال لا فقال كف عن الشر يكف عنك الشر والساعي يتلف نفسه ويتلف غيره قال الشاعر

سعوا بنا لا سعت بهم قدم ... فادلنا اصلحوا ولا لهم

ان افسدوا عيشنا فانهم ... قد افسدوا قبل ذاك دينهم

وقال سلطان لشخص قد سعى بك الى رجل فما ذا افعل بك فقال ان كان سعى بي واحد اليك فعليك في كل يوم ساعيان يسعيان بك الى سلطان السلاطين فافعل بي ما تريد ان تفعل وان يسعى بك الساعيان الى من اعطاك السلطنة فتركه ولم يقبل منه فيه قولا وقال رجل للمنصور في شي سُعِيَ به اليه يا امير المومنين لا تقبل على قول فلان فوالله لو كان بينك وبين احد لسعى بك اليه يقال سَعَى به الى الوالي اذا وشى به ووشى به سعى به قال في التعريب وشى الثوب زينه والوشي خلط لون بلون ووشى الساعي سعى عليك والنمام يشي الكذب ويلونه وزينه الثالب من ثلبه ثلبا اذا صرح بالعيب وتنقصه والمثالب العيوب الواحدة مثلبة كذا في الصحاح رجع الى ما يتعلق بالسلاطين وينبغي للسلطان ان يكون صادقا عادلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد افضل عند الله من امام ان قال صدق وان حكم عدل وقال عليه الصلاة والسلام اقبح الاشياء الكذب من الملوك وقيل لا ينبغي ان يكون الملك كذابا فانه ان وعد خيرا لا يرجى او شرا لا يخاف ولا يكون غادرا وما احسن قول افلاطن كذب الملك وغدره دليل على حادث يحدث في ملكه وفساد لنظامه لانه يشبه تخليط العليل عند قوة مرضه وقال الكذب آفة الصدق والهزل آفة الجد وفيهما فساد الملك وسال ملك الهند الاسكندر وقد دخل الى بلاده ما علامة ثبوت الملك فقال الجد في كل الامور قال فما علامة زواله قال الهزل فيها واعلم ان الغدر والمكر والمكيدة والخديعة والحيلة متقاربات ويأتي الغدر في الباب ويقال ان السلطان ينبغي ان يكون له حيلة فانها سلاح العاقل وحتف الجاهل وعدو الشرير والفضل العدة والمكر مضراب تحت الثياب وسيفه لا يقطع الا وهو في القراب ومن شان صاحبه ان يلقى الاعداء بوجه الاحباب ويرى وهو كالجبل الذي يحسب جامدا وهو يمر مر السحاب فاذا لاقته الجموع فرقها وقد كادت تكون عليه لبدا اي مجتمعون وجعل

قوتها

قوتها اقل ناصرا واكثرها اقل عددا وقال النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال في اداب السياسة من الخديعة ما يذم ومنها ما يحمد فما قيل في ذمها انها شوم وهي من المكر من اخلاق اللئام وقد ذم الله تعالى المخادع وتوعده بسوء الجزاء في قوله جل وعلا يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة في النار وقيل من خادع الله خدع ومن صارع الحق صرع وقال علي رضي الله عنه لا تعمل بالخديعة فانها خلق اللئيم وكل خداع يحرم فهو مذموم ومن الخداع ما هو محمود كخداع المراة ولدها عند فطامه بصبغ ثديها بالسواد وبالمر الطعم وكالخداع في الحرب قال صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة انتهى وقد تقدم في الباب الثالث عشر خداع معاوية لعلي وما قاله غيره وقال اللطائف في الحيلة اجدى من كل وسيلة وقد اجمع الحكماء ان الظفر ماسور بالصبر والادراك موصول بالتأني والقدرة مقرونة بالحيلة وقيل المكر ابلغ من النجدة ورب مكيدة اغنت عن السيوف ودهاء قام مقام الزحوف ورب حيلة انفع من قبيلة شعر

وحيلة ذي الراي الاصيل برايه ... لا نكا في صدر العدو وانجع

وسئل ملك كيف زال ملكك فقال اعتزازي بالدول والقوة ورضائي براي وعلمي وغفلتي عن المشورة وتوليتي اصاغر العمال اكابر الاعمال وتضييعي الحيلة في وقتها وقلة تفكري فيها وقيل الوالي الذي يسدد طاعة رعيته بالحيل ويفرق كلمة عدوه بالمكايد احكم عملا والطف نظرا واحسن سياسة من الذي لا يبال ذلك الا بالقتال واتلاف الاموال والتغرير والمخاطرة والحيلة افتنان رضيه تحصل من قلة التدبير وضعف الراي وسماته وهي تعمل في ايام القطوع والنحوس قال الامام علي رضي الله عنه مكابرة ايام النكبات بالحيلة زيادة في مكروهها وفي رواية للمكروه غايات لا بد ان تنتهي فينبغي للعاقل ان ينام لها فان عمل الحيلة فيها قبل تصرمها زيادة في مكروهها ولا حيلة في القضاء ومن لم يتامل في حيلته بعين قلبه لم يقع سيف حيلته الا على مقاتله ومن لم يتثبت في امره اوقعته حيلته في اشد مما يحتال وسياتي شي من ذكر الامراء الكذابين في ذكر النوادر والتواريخ باخر الملحق بالباب الثالث عشر واعلم ان ظهور العدل من كمال العقل لان من عدل في حكمه وكف عن ظلمه نصره الحق واطاعه الخلق وصفت له النعماء واقبلت عليه الدنيا وتهنى بالعيش واستغنى عن الجيش وملك القلوب وامن الحروب وصارت طاعته فرضا وظلت رعيته جندا وقال ابو الحسن الاهوازي العدل اقوى جيش والامن اهنى عيش وسال الاسكندر حكماء اهل بابل ايما ابلغ عندكم الشجاعة ام العدل فقالوا اذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة وقد مدح الله

الله العدل كثيرا وامر به وقدمه على الاحسان في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العدل عز الدين وفيه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام وفيه خير الرعية وامنهم وكل الاعمال توزن بميزان العدل وقال النبي صلى الله عليه وسلم عدل يوم في حكومة خير من عبادة سبعين سنة وقال افلاطن بالعدل ثبات الاشياء وبالجور الهلاك وقال اياكم والجور فانه اداة العطب اي آلته وعلة البلاء ومن استعمل العدل حصن الله ملكه ومن استعمل الجور عجل الله هلكه وقال ابن عباس رضي الله عنهما الظلم يخرب الديار لان الله تعالى يقول فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقيل ليس للجاير جار ولا تعمر له دار وقال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون تنزه سبحانه عن ان يكون غافلا عمن كان بالظلم عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يا علي ان في قول الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وعيد للظالم وتعزية للمظلوم وقيل الظلم يزيل النعم ويجلب النقم ويهلك الامم والظالم نادم والمظلوم سالم اقرب الاشياء صرعة الظلوم وانفذ الاشياء دعوة المظلوم العدل عصمة والجور ظلمة وقال الشاعر

بشر اولي العدل والانصاف بالنعم | والجايرين بعقبى السوء والنقم
فالعادلون غدا في نور عدلهم | والجايرون غدا في الحشر في الظلم

وقد قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وفي سناء الامارة ان داود عليه السلام كان ينظر يوما الى السماء فراى شيئا ينزل من السماء مثل الظلة فقال الهي ما هذه فقال يا داود هذه نقمتي انزلها على بيوت الجبارين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة السلطان الظالم وفي مرآة الزمان عن هشام بن محمد عن مالك بن انس انه قال لما ولي ابو جعفر المنصور الخلافة بعث الي والى عبد الله بن طاوس فدخلنا عليه وبين يديه انطاع قد فرشت وجلاوزه بايديهم السيوف يضربون الاعناق فجلسنا وهو مطرق فرفع راسه وقال يا ابن طاوس حدثني فقال حدثني ابي عن جدك ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله في حكمه فادخل الجور في عدله قال مالك فضممت ثيابي خوفا ان ينتضح عليها من دمه فاطرق ابو جعفر ورفع راسه ثم قال ايه يا ابن طاوس عظني فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد فقال له ابو جعفر ناولني الدواة فقال

لاواله

لا والله قال ولم قال اخوفا ان تكتب بها مظلمة او اراقة دم مسلم فاكون شريكا فيه فقال قوما فاخرجا عني فقمنا وخرجنا ووالله ما زلت اعرف لفضل لابن طاوس على انتهى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان العادل تكون جميع رعاياه شفعاءه والسلطان الجاير جميع رعاياه خصماءه وكان على تاج الملك العادل كسرى مكتوب بالذهب الملك بالرجال والرجال بالمال والمال بالرعيه والرعية بالعماره والعمارة بالعدل وقيل بالراعي تصلح الرعيه وبالعدل تملك البريه ومن عدل في سلطانه استغنى عن اعوانه قال الشاعر

ان الامير هو الامير بعدله | ليس الامير بخيله ورجاله

وقال آخر

عن العدل لا تعدل وكن متيقظا | وحكمك بين الناس فليك بالقسط
وبالرفق عاملهم واحسن اليهم | ولا تبدلن وجه الرضى منك بالسخط

وقيل اذا ظلم المرء من هو اضعف منه وهو قبح الظلم انتقم الله له بمن هو اقوى منه وفي المعنى قول الشاعر

تان ولا تعجل لامر تريده | وكن راحما للناس تدعى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها | ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وروى الاشبيلي ان اول ظلم ظهر في الاسلام قولهم تنح عن الطريق ويقال كان ذلك في ايام عمر رضي الله عنه ذكره ذلك في سناء الامارة واظلم الظالمين من يظلم لغيره وقيل لا ظلم اعظم عند الله تعالى من سن السنن السيئة في احوال الناس والتقرب بها الى نار جهنم فهي النار التي لا تطفا لانها تبقى على الناس موسومة الى الابد ياخذها خالف عن سالف ويتوارثها ملوك الناس وولاتهم وقد ورد في الحديث ان آخر من يبقى في النار رجل من امتي يقال له هناد العشار يقول الله لجبريل امض فاخرج هذا النفس المتردد بالانين في احد اطباق الجحيم فيمضي فيسال لحالكا عنه فيقول لا اعلم ابن هو ولا اعلم ان في النار احدا من المسلمين فيقول الله تعالى لجبريل هذا رجل عشار هو بالوادي الغلاني بالجب الغلاني في تابوت من النار وانما تركته آخر من اخرجه من النار لانه كان عشارا ولا ظلم عند الله اعظم ممن سنه مثل ذلك على خلق الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة والظالم كما قال الله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسالن يوم القيامة عما كانوا يعملون وقد ورد عن موسى عليه السلام ان الله اوحى اليه يا موسى اني اجازي الظالم الى سبعة والظالم مرتعه وخيم يرد به سرعة واما اذا طال عمره ولم يرده ظلمه فعلى

صوابه بخيله ورجله

قولين الاول ان الله تعالى سخط على من حكمه عليهم فيكون سخطا عليهم وبكفيه
ذلك والثاني ان يكون قد استدرجه الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا رايت الله يعطي العبد ما يحبه وهو مستديم لمعاصيه فانما ذلك استدراج
منه ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون قال الشاعر

انظر وفكر هل ترى من ظالم ... الا وصفو نعيمه يتكدرُ

وقال آخر

الله يمهل ثم ياخذ بغتة ... والباس منه معجل وموخر

وقال آخر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم آخره ياتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

واعلم انه لو تركت النفس وما هي عليه لكان كما قال الله تعالى ان الانسان لظلومٌ
كفار وقد ورد في ان الظلم كمين في النفس القدرة تظهره والعجز يخفيه
وقال المتنبي في معنى ذلك

الظلم من شيم النفوس فان تجد ... ذا عفةٍ فلعلة لا يظلم

وقيل ان العلة اما سلطان يمنع او دين يحجز والدين بكسر الدال وفي فتحها
وجه لان المديون قد يحجزه ما عليه من الدين عن الظلم واعلم انه متى تركت
النفس وما طبعت عليه من الظلم افسدت وفسدت بل ينبغي ان تردع
وعن الظلم تمنع واما اعوان الظالمين فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اعان ظالما على ظلمه او لقنه حجة يدحض بها حق امرئ مسلم فقد باء بغضب
من الله وعليه وزرها ومن اعان ظالما سلط عليه ويروى ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه تبع جنازة فتقدم رجل فصلى عليها فلما دفن الميت وضع ذلك
الرجل يده على قبره وقال اللهم ان عذبته فبحق لانه عصاك وان رحمته
فانه فقير الى عفوك وطوبى لك ايها الميت ان لم تكن اميرا او عريفا او كاتبا
او عوانيا او جابيا فلما تكلم بهذه الكلمات غاب شخصه عن عيون الناس فامر
عمر بطلبه فلم يوجد فقال عمر رضي الله عنه هذا الخضر عليه السلام واعلم ان
اعوان الظالمين كل من اعانهم على الظلم وقوام عليه ولو لم يكن الا قوله تعالى
يوم يعض الظالم على يديه لكفى ودخل متظلم على سليمان بن عبد الملك فقال
اذكر يا امير المومنين يوم الاذان فقال وما يوم الاذان قال اليوم الذي قال الله
فيه فاذن موذن بينهم ان لعنة على الظالمين فبكى سليمان وازال ظلامته

وقال الشاعر

كن منصفا واسلك سبيل التقى ... فالبغي ليل جنحه مظلم
واجتنب الظلم ولا تاته ... والله لا يفلح من يظلم

وحيث تقدم ذم الطغيان في هذا الباب في قصة ابن طاووس وذم البغي في
هذين البيتين المذكورين فتعين ان اذكر شيئا مما قيل في ذمهما فاقول
اما البغي فقد يقال انه قال صاحب اداب السياسة اعلم ان البغي يصرع الرجال
ويقرب الاجال ومن شيم الانذال قال الله تعالى في سورة الحج ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله وقال تعالى انما بغيكم على انفسكم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما رايت اسرع دركا من البغي وقال
صلى الله عليه وسلم لا بغي على الناس الا ولد بغي وقال ويل للباغين من
ديان يوم الدين وقال علي رضي الله عنه ما اقرب النقم من اهل البغي وقال
بعض الحكماء البغي سائق الى الحين اي الموت وقال ابن عباس رضي الله عنه
لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما وقال الشاعر

• اجزع الباغ لا تطيق عناده يوما وداره •

• فالله ربي واعد بوار عرصته وداره •

واما الطغيان فقد قال الله تعالى وان للطاغين لشر ماب جهنم يصلونها
وبئس المهاد وفيما روي عن النمرود كفاية وذلك انه لما طغى وادعى الالهية
نقمه الله تعالى وقهره باخس حيوان وهو بقة دخلت في منخره ثم صعدت
الى راسه ولم تزل تاكل من دماغه حتى صارت كفرخ طير وصار النمرود
من شدة الالم يامر اعز من عنده ان يضرب في راسه لتسكن البقة عن اكل
دماغه وهكذا الى ان تلف وعدوان الحاكم دليل عزله شعر

اذا كنت ذا جاه فلا تستطل به ... على احد ان كنت ممن له عقل
فكم من فتى امسى واصبح واليا ... فلما تعدى طوره جاءه العزل

ولنذكر شيئا من صفات العدل وسير بعض الملوك العادلين اعلم انه
لا يكون الملك عادلا حتى ينصف اولا من نفسه ثم من الادنى من اهله
وخاصته ثم الاقصى منهم قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وانذر عشيرتك الاقربين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس مع العدل
ظلم وليس مع الفتك عدل وقال ازدشير بن بابك اذا كان السلطان
عاجزا عن رد خواصه ومنعهم من الظلم كيف يقدر ان يرد العوام الى
الصلاح وقال الاسكندر الواجب على السلطان ان يعدل وينظر غاية
النظر فيما يمر به من السياسة لينهى بذلك اصحابه وخواصه مثل وزيره
وكاتبه وحاجبه وعامله فان كثيرا من الملوك تغطى عليه اموره بالبراطيل
والرشى وكان ازدشير وكسرى ملكي الفرس قبل ان يجلسا للحكم يقعدان موبذ
موبذان اي اعلم العلماء على يمين كسرى على كرسي المملكة ويامران ان تنادي
الحجاب ايها العالم كل من له مظلمة او قضية تتعلق بنفس الملك وهكذا حتى
لا يبقى عليه دعوى ثم بعد ذلك يقوم الملك ويلبس تاجه ويجلس على سرير الملك

وقال الشاعر
اما والله ان الظلم لوم ... وما زال المسي هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم

ليتقدم من له حاجة فاذا تقدم احد تقدم مع الملك بين يدي الموبذ بالسوية قبل ان يلبس تاجه ويتعيد نسخه

للعدل ويقول ما ينبغي لمن يعدل بين الناس الا انه يبتدي بنفسه ثم ينصف
الناس منه وبعد ذلك يحكم بين الناس ثم يقول لخواصه اعتبروا فاني ما
بدات بنفسي الا حتى تعتبروا بي وتزيلوا طمعكم عن الرعية ولهذا قيل ما
عدل من جارت قضاته ولا صلح من فسدت كفاته لان نظم الاتباع مضاف
الى المتبوع والموبد والموبذان هو على ما اخبرني به بعض افاضل العجم انه بفتح
الميم وسكون الواو وكسر الباء الموحدة ثم دال مهملة في الكلمة الاولى وكذلك الثانية
مزاد في اخرها الف ونون بمعنى اعلم العلماء وكان الملك العادل انوشروان
يقيم رجلين عن يمينه وشماله اذا قعد للنظر في امور الناس فكان اذا زاغ
حركاه وقالا له والرعية تسمع ايها الملك انتبه انت مخلوق لا خالق وعبد
لا مولى ليس بينك وبين الله قرابة انصف الناس وانظر لنفسك وروى
في سنا الاماره انه لما ولي المامون الخلافة سلم الى ثلاث رقاع وقال اذا
غضبت على احد فالق واحدة من هذه الرقاع الي فان لم يسكن غضبي فالق
الثانيه الي فان لم يسكن فالق الثالثه وكان في الاولى منها يا عبد الله ارفق
بخلق الله وفي الثانيه ان لك ولهم موقفا انت وهم فيه بسواء وفي الثالثه
انت فان وذكرك باق فانظر ما ذا يبقى اذا فنيت فذكر انه الى يوم مماته لم تلق
اليه الثالثه وذكر في التواريخ ان الفرس ملكت اربعة الاف سنة وكانت
المملكة في ايديهم وانما دامت لهم لعدلهم في الرعية وحفظهم الامور بالسوية
وانهم ما كانوا يرون الجور والظلم في مملكتهم وروى في الاخبار ان الله تعالى
اوحى الى داود عليه السلام وقال له انه قومك عن سب ملوك العجم فانهم
عمروا الدنيا واوطنوها عباده وينبغي ان تعلم ايها الملك المالك ان عمارة
الدنيا وخرابها من الملوك والحكام لانه اذا كان الملك والحاكم عادلا امنت
البلاد كما كان في ايام اردشير وبهرام جور وكسرى انوشروان واذا كانت
الملوك والحكام جايرين خربت البلاد وهلكت العباد كما كانت في عهد الضحاك
والحجاج وامثالهما واعلم ان المذكورين من الاخيار والاشرار كانوا اصحاب
الدنيا وملوك الارض فبلغوا منها مرادهم وضيعوا باللذات اوقاتهم
ومضوا وبقيت اسماؤهم ليعلم الناس تمام الحديث الذي يبقى بعدهم فكل
انسان يذكر بما كان يفعله وينسب الى ما كان يعمله ان خيرا فخيرا وان
شرا فشرا فيجب على اللبيب ان يزرع بذر الاحسان ليحصد شكر اللسان
والذكر الجميل على ممر الزمان وينفي عن نفسه العيوب الفاحشات والخطايا
الموبقات لا سيما الملوك ليبقى بعدهم حسن الاسم وصالح الرسم لكيلا يذكروا
بالقبيح ويدخلوا في السب الصريح فاسعد الملوك من اتعظ بهذه المواعظ
واشقاهم من لم يكن لنفسه عن السب حافظا وليكن عالما بتقلب الدنيا
باهلها ولا يغر نفسه بها وبملكها فيرديها في شقاوتها وهلكها وقد

تقدم

تقدم الاحسان والمعروف والشكر في الباب السادس عشر وينبغي للملك ان
يستعمل الفكرة الصالحة في تعاطي التجارة الرابحة بان يتخذ وزيرا
وصاحبا ومشيرا ويتجنب الميل والمحاباة الجالبة للويل ويعلم ان
اولى ما كلف به الملوك والحكام وافترض عليهما العدل في الاحكام لان لهم
به في الدنيا دوام الملك وطيب الزمان وفي الآخرة الخلاص من النيران
والخزي والهوان والفوز بالجنان ومجاورة الرحمان واذا لم يقتدر
الحاكم على حسن السلوك كمن تقدمه الصلحاء من الملوك فليجتهد على
على بجهده بقدر طاقته ليكون له ذخيرة يوم فقره وفاقته يوم
يحاكمه المظلوم بين يدي الحاكم المعلوم وقال ميمون بن مهران في قوله تعالى
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون تعزية للمظلوم ووعيد للظالم
وسيل الاسكندر باي الاشيا انت اشد سرورا بما اسرته من اعدايك
ام بما بلغته من سلطانك فقال بالامرين جميعا واقدم على ذلك ما سننت
من السنن الصالحه والشرايع الحسنه وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله
عنه لما ولي الخلافة الى الحسن بن ابي الحسن البصري رضي الله عنه ان يكتب
له صفة الامام العادل فكتب اليه الحسن اعلم يا امير المومنين ان
الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مايل وقصد كل جاير وصلاح
كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف
وهو كالراعي الشفيق الحازم الرفيق الذي يرتاد لها اطيب المراعي
ويذودها عن مراعي الهلكة ويحميها عن السباع ويكنفها من اذى
الحر والقر ويكون كالاب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم
كبارا يكسب لهم في حيوته ويذخر لهم بعد وفاته ويكون كالام الشفيقة
البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا
تسهر لسهره وتسكن لسكونه فترضعه تارة وتفطمه تارة اخرى
وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته والامام العادل يا امير المومنين
وصي اليتامى وخازن المساكين يربي صغيرهم ويمون كبيرهم وهو
كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده وهو
القايم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر الى
الله ويريهم وينقاد لله ويقودهم ولا تكن يا امير المومنين فيما
ملكك الله كعبد ايتمنه سيده فخانه واستحفظه ماله وعياله
فبذل المال وشرد العيال فافقر ماله وشرد عياله واعلم يا امير المومنين
ان الله تعالى انزل الحدود ليزجر بها عن الخبايث والفواحش فاذا اتيها
من يليها وان الله انزل القصاص حيوة للعباد فكيف اذا قتلهم من
يقتص لهم واذكر يا امير المومنين الموت وما بعده وقلة اشياعك عنده

مطلب

وانصارك عليه • فتزود له ولما بعده من الفزع الاكبر واعلم يا امير المؤمنين
ان لك منزلا غير منزلك الذي انت فيه يطول فيه ثواؤك ويفارقك
احباؤك • ويسلمونك في قعره • فريدا وحيدا • فتزود له ما يصحبك
يوم يفر المرء من اخيه • وامه وابيه • وصاحبته وبنيه • وفصيلته
التي تؤويه واذكر يا امير المؤمنين اذا بعثر ما في القبور • وحصل ما في
الصدور • والاسرار ظاهره • والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
احصاها فالآن يا امير المؤمنين وانت في مهل • قبل حلول الاجل وانقطاع
الامل • لا تحكم فيهم بحكم الجاهلين • ولا تسلك بهم سبيل الظالمين
ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين • فانهم لا يرقبون الا ولا ذمة
فتبوأ باوزارك • واوزار مع اوزارك • وتحمل اثقالك مع واثقالا مع •
اثقالك • فلا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك • ويأكلون الطيبات
في دنياهم باذهاب طيباتك في آخرتك • ولا تنظر الى قدرك اليوم •
ولكن انظر الى قدرك غدا • وانت ماسور في حبائل الموت • وموقوف
بين يدي الله تعالى في مجمع الملائكة والمرسلين • وقد عنت الوجوه للحي
القيوم واني يا امير المؤمنين لم ابلغ في عظتي ما بلغه اولو النهى قبلي فلم
آلك شفقة ونصحا • فانزل كتابي اليك كمداوي حبيبه • يسقيه الادوية
الكريهة لما يرجو بذلك من العافية والصحة والسلام عليك يا امير المؤمنين
ورحمة الله وبركاته وما ورد في تمثيل الرعية بالغنم والسلطان بالراعي
ما ذكر ان الرشيد لما حج طاف بالبيت فوطئ جرادة فلم يدر ما عليه فيها
فبعث بالمامون الى الفضيل بن عياض فسلم عليه وقال امير المؤمنين يقرأ
عليك السلام ويقول لك ان لنا اليك حاجة فاحب ان تصير الينا فلم يجب
الفضيل بشيء فرجع المامون وقال رايت رجلا ليست به اليك حاجة فقام
الرشيد مغضبا حتى تخوفنا على الفضيل منه قال فوقف عليه فلما جلس
اقبل على الفضيل فقال رحمك الله قد كان الواجب ان تاتينا وتعرف حقنا
اذ ولانا الله اموركم وصيرنا الحكام في دمائكم والذابين عن حريمكم واذ لم
تاتنا فقد اتيناك اني وطئت الآن في الطواف على جندبة فما ديتها قال
فبكى الفضيل بكاء شديدا حتى علا صوته وقال اذا كان الراعي يسأل
الغنم هلكت الغنم وانما يجب على الراعي ان يرتاد لغنمه الرعي وجيد الكلا
وعذب الماء فاذا كنت يا امير المؤمنين تسالني عن معالم الدين فباي شيء
تسوس رعيتك قال فخجل الرشيد حتى عرق وانصرف وفي شرح السنن
للخطابي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته فالامير الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم والرجل
راع على اهل بيته وهو مسئول عنهم والمراة راعية على بيت بعلها وولده

وهي مسئولة

وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عن رعيته قال
الخطابي معنى الراعي ههنا الحافظ المؤتمن على ما يليه يامرهم بالنصيحة فيما
يلزمهم ويحذرهم ان يخونوا فيما وكل اليهم منه او يضيعوا واخبر انهم
مسئولون عنه مواخذون به وفي قوله المراة راعية على بيت بعلها دليل
على سقوط القطع عن المراة اذا سرقت من مال زوجها وفي قوله الرجل راع
على اهل بيته دلالة على ان للسيد ان يقيم الحد على عبيده واماته وقد جاء
اقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم انتهى وسياتي بالباب الحادي والاربعين
شيء مما يتعلق بالشجاعة والحروب واعلم ان من العدل اقامة الحدود الشرعية
روي في آداب السياسة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقامة حد الله
في الارض ازكى من مطر اربعين صباحا وقال افلاطون العفو يفسد من
الوضيع بقدر ما يصلح من الرفيع وفي المثل من عفا عن مستحق العقوبة
كمن عاقب مستحق الاحسان وقال الشاعر

بسفك الدما يا جيرتي تحقن الدما   وبالقتل تنجو من مخافة من القتل

وسال عبد الرحمن بن عوف امير المؤمنين عمر رضي الله عنهما ان يلين للناس
فقال ان الناس لا يصلح بهم الا هذا ولو علموا ما لهم عندي لاماراوا ثوبي من
عاتقي وضرب ولده على الحد حتى مات طاعة لله تعالى في اقامة حده وروي
انه احضر اليه رجل سكران فامر ان يحد فشتمه ذلك السكران فرجع عمر رضي الله
عنه عن ضربه فقيل له لم تركته حين شتمك قال انه لما شتمني غضبت فلو ضربته
لكان ذلك لغضبي لا لربي واتي المامون برجل قد وجب عليه الحد فقال
وهو يضرب قتلتني يا امير المؤمنين فقال الحق قتلك فقال ارحمني فقال له
لست ارحم بك ممن اوجب عليك الحد وينبغي ان لا يزاد على قدر العقوبة
في الحدود ولا ينقص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيمة
بالوالي الذي انتقم باقل من الحد فيقول له الله تعالى لم ضربت اقل من الحد
فيقول يا رب رحمته فيقول له انت كنت ارحم مني ويؤتى بالذي زاد فوق الحد
فيقول لم عاقبت كذا فوق الحد فيقول يا رب عزت على عصيانك فيقول انت
كنت اغير مني فيامر بهما فيحشرون في زوايا جهنم وفي نوادر الاخبار ان شابا
سرق سرقة فاتي به الى المامون فامر بقطع يده فلما قدم لقطع يده انشد يقول

يدي يا امير المؤمنين اعيذها   بعفوك ان تلقى نكالا يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها   اذا ما شمالي فارقتها يمينها

وكانت ام الشاب واقفة على راسه فبكت وقالت يا امير المؤمنين ولدي وو
ناشدتك الله الا رحمت قلبي وهدئت لوعتي وجدت بالعفو عمن استحق
بالعقوبة فقال المامون هذا حد من حدود الله تعالى قالت يا امير المؤمنين
اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التي تستغفر الله منها فرق لها وعفى

عن ولدها وقد ذم بعض الناس الولايات والمناصب والمراتب ومن احسن ما قيل
في ذلك قول الحريري في المقامه • لجوب البلاد مع المتربه • احب الي من المرتبة •
لان الولاة لهم نبوه • ومعتبة يا لها معتبه • وما فيهم من يرب الصنيع •
ولا يشيد ما رتبه • فلا يخدعنك لموع السراب • ولا تأت امرا اذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلمه • وادركه الروع لما انتبه وسيأتي في الملحق بهذا الباب شي
مما يتعلق بصحبة الملوك واتخاذ الوزرا والحجاب والعمال والندما والمشوره
وغير ذلك ويأتي شي مما يتعلق بهم من صدقهم ووفايهم وغدرهم في الباب
السابع والخمسين في المروة ان شا الله تعالى وقد تقدم في اوايل الباب الثالث
عشر شي من كلام امير المومنين علي كرم الله وجهه فيمن يصلح للامامه فليراجع

الباب الثامن والثلثون في التشفع قال الفقيه رحمه الله تع

افضل الاعمال بعد ادآء الفرايض شفاعة حسنة اذا كان لرجل حاجة الى
انسان فليشفع في ذلك او يشفع لدفع مظلمة عنه لان النبي عليه الصلاة
والسلام قال خير الناس من ينفع الناس وروى سفيان بن عيينه عن عمرو بن
دينار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشفعوا توجروا فان الرجل منكم يسألني
فامنعه كيما تشفعوا فتوجروا وقال الحسن البصري رحمة الله عليه الشفاعة
يجري اجرها لصاحبها ما جرت منفعتها وقال مجاهد في قوله تعالى في او اسط النسا
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها هي شفاعة الناس بعضهم
لبعض وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه وسأله بعيرا
ليخرج الى الغزو فلم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بعير فبعثه الى
رجل من الانصار فذهب الى الانصاري فاعطاه بعيرا فجاء بالبعير الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الدال على الخير
كفاعله ويقال لكل شي صدقة وصدقة الرياسة الشفاعة واعانة الضعفا
اقول نقل الصاحب كمال الدين بن العديم الحلبي في تاريخه بغية الطلب في
تاريخ حلب عن يحيى بن خاقان انه قال حضرت الحسن بن سهل وقد جاءه رجل
في حاجة فقضاها فاقبل الرجل يشكره فقال له الحسن علام تشكرنا ونحن نرى
ان للجاه زكوة كما ان للمال زكوة ثم انشا يقول

فرضت علي زكوة ما ملكت يدي   وزكوة جاهي ان اعين واشفعا
فاذا ملكت فجد فان لم تستطع   فاجهد بفضلك كله ان تشفعا

واعلم ان لكل شي زكوة تناسبه • فزكاة المال منه وزكوة العلم العمل وزكوة
الجسد الصوم • وزكوة الاعضا الصلاة الى غير ذلك وقيل في كل عضو من
الاعضا زكوة فزكوة العين النظر بالعبرة وزكوة الوجه تعفيره بالسجدة
وزكوة اليدين برفعهما للطاعة وزكوة الرجلين المشي الى الطاعة وزكوة القلب
الوفا بشرايط المعرفة وحفظ حدود المحبة وزكوة ارباب المناصب ان يعينوا

ذوي الحاجات بقدرتهم وجاههم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض
عليكم زكوة جاهكم كما فرض عليكم زكوة مالكم وقال من اتاه الله مالا وكمالا ومنطقا
وسلطانا فاخرج حقوق الله من ماله وعف في جماله وعدل في سلطانه
كان من خالصة الله تعالى شعر

واد زكوة الجاه واعلم بانها   كمثل زكوة المال تم نصابها

اي اذا تم نصابه فانه تجب فيه الزكوة ثم قال الفقيه وقال بعض الادبا
من كان داخلا على الامرآء ولا يكون متشفعا فهو دعي وهو الذي يدعي بغير
ابيه اي ولد الزنا وروى عن جعفر بن محمد رضي الله عنهما قال اوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام ان عبدي من عبادي يأتي بحسنه فادخله الجنة
قال وفيما تلك الحسنة قال من فرج عن مومن كربته ولو بشق تمرة انتهى اقول
قال تاج القرآء اصل الشفاعة من الشفع لان الواحد الفرد اذا استغاث
بغيره صار معه شفعا وفي اداب السياسة الشفيع جناح الطالب وهو من
كلام علي رضي الله عنه والشفاعة من الكرم المعروف والبر المالوف وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا فلتوجروا وليقضي الله على لسان
نبيه ما احب وقال من مشى مع مومن في شفاعة يتيسر له فيها خير
او يدفع عنه شرا اجاره الله تعالى في الدنيا والاخرة وقيل الشفاعات
مفاتيح الطلبات وهي جمع طلبة بفتح الطآء وكسر اللام ما طلبته من شي
وفي المثل بذل الجاه في عود المطر كبذل المال بل اوفر وقال الشاعر

اذا كنت لا ترجى لدفع ملمة   ولا انت يوم الحشر ممن يشفع
فموتك عندي والحيوة سوية   وعود خلال منك في البيت انفع

وقال الاخر

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا   ولا انت ذو دين فنرجوك للدين
ولا انت ممن يرتجى لكريهة   جعلناك مثلا شخصك من طين

ولما كانت الشفاعة من شيم الكرما خص بها صلى الله عليه وسلم بها رب
الارض والسمآء واعلم من يتشفع به الرب سبحانه وتعالى وقال الشاعر

شفيعي اليك الله لا رب غيره   وليس الى رد الشفيع سبيل

والشفيع المتخلف عدو صاحب الحاجة ولكن في الناس من لا يستحق الشفاعة
قال الله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وقال تعالى من يشفع
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها وقال تعالى اي من ثواب الشفاعة او
من الحسنة ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها اي كذلك اذا سال
ان يناله مكروه يكن له من ذلك كفل اي نصيب وافر وقيل الكفل الوزر والاثم
قاله الكرماني الحنفي فبين سبحانه وتعالى ان من الشفاعة ما هو محمود ومنها
ما هو مذموم وبيان ذلك بحال المشفوع له واعلم انه ينبغي للمشفوع له ان

ان يشكر الشافع اذا كان ناصحا له ولو لم تقض حاجته لانه اتى بما عليه قال الشاعر

شفيعي شفيع ليس يعصى لامر | فياليت شعري هل يساعده الدهر
اذا الشافع ستقصى لك الجهد كله | وان لم ينل نجحا وجب الشكر

وقيل فيمن طلب حوايجه مرارا من شخص ولم يقضها له شعر

اروح واغدو كي في حوايجي | فاصبح منها غدوة مثل ما امسى
وقد كنت ارجو للغريب شفاعتي | فقد صرت ارضى ان اشفع في نفسي

وقال الامام علي رضي الله عنه فيمن تطلب منه الحاجة فلا يقضيها

لغرط القزاز ووطي الرمال | وحصد القتات بلا منجل
ومشي العليل على راسه | من القيروان الى الموصل
لايسر من حاجة عند من | له القول تبدي ولم يفعل

وللشفاعة شروط منها ان يكون المشفوع عنده كريم الطباع بعيد الامتناع وان يكون الشفيع متشمرا عن ساق الجد وان يبذل في قضاء الحاجة غاية الجهد واذا عجز عنها مع حسن سيره يستعين في قضائها بهمة غيره وفي ذلك قال الحريري

وانجد الموتور ظلما فان | عجزت عن انجاده فاستجش
وهاك كاس النصح فاشرب وجد | بفضله الكاس على من عطش

والموتور الذي هاج غضبه من ظلم اصابه وفي عمدة الحفاظ يقال وترته اي اصبته بمكروه وقد تقدم تفسيره في الباب الواحد والثلثين وقال رجاء بن حيوة كنت واقفا على باب سليمان بن عبد الملك فجاءني رجل لم اره قبل ذلك فقال يا رجاء انك قد ابتليت بهذا وابتلي بك وفي دنوك منه الوتغ فعليك باغاثة الملهوف والضعيف فان من رفع حاجة ضعيف الى سلطان لا يقدر على رفعها ثبت الله قدمه في الاخرة اذا زلزلت الاقدام ثم غاب عني ويقال ان الرجل كان هو الخضر عليه السلام والوتغ الهلاك وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين

اقض الحوايج ما استطعت | وكن لهم اخيك فارج
فلخير ايام الفتى | يوم قضى فيه الحوايج

وقال ابرهيم لعله بن اسحق النديم قلت لرجل من الكوفة من وجوه اهلها كان لا يجف كبده ولا يستريح قلبه ولا تسكن حركته في طلب حوايج الناس اخبرني عن الحال التي خففت عنك النصب وهونت عليك التعب في القيام بحوايج الناس ما هي فقال لقد والله سمعت اوتار العيدان وترجيع اصوات القيان فما طربت من صوت قط طربي من صوت ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد احسن ولقد رايت ازاهير الربيع وسمعت نغمات الاطيار فما رايت احسن من شكر حر لمنعم حر ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر فقال ابرهيم لله ابوك

فقد

فقد خشيت كرما وقال النبي صلى الله عليه وسلم من نعم الله عليكم حوايج الناس اليكم وقال علي رضي الله عنه من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفس عن المكروب شعر

لست ادري ما حيلتي غير اني | ارتجي من جميل جاهك نفعا
والفتى ان اراد نفع صديق | هو يدري في نفعه كيف يسعى

من اداب السياسة وفي نوادر الاخبار ان رجلا من اهل الكوفة سعى في فساد دولة المنصور فعلم به وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فاقام الرجل حينا مختفيا حتى مضته الاختفاء ثم ظهر في مدينة السلام فبينما هو يمشي في بعض الشوارع اذ راه رجل من اهل الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع ثيابه ونادى هذا طلبة امير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع عليه الناس اذ سمع وقع حوافر خيل من ورائه فالتفت فاذا هو معن بن زايدة فقال يا ابا الوليد انا في جيرتك فوقف وقال للرجل الذي تعلق بثيابه ما شانه قال هذا بغية امير المؤمنين الذي هدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فصرخ معن وقال دعه ثم قال يا غلام اردفه وسق فصاح الرجل الحال بيني وبين طلبة امير المؤمنين فنادى باعلى صوته نصيحة لامير المؤمنين

ولم يزل عابطا الى ان اتى باب امير المؤمنين م

فامر المنصور بحضوره فدخل عليه واخبره الخبر فامر باحضار معن فاتته الرسل فدعى معن بنيه وعبيده وقال لا تسلموا هذا الرجل ومنكم احد يعيش ثم سار الى المنصور فدخل وسلم فلم يرد عليه وقال يا معن او تجير علينا عدونا قال نعم يا امير المؤمنين قال وتعتذر بنعم ايضا واشتد غضبه فقال يا امير المؤمنين بالامس بعثتني الى اليمن مقدم الجيش فقتلت في طاعتك في يوم واحد عشرة الاف رجل ولي مثله ايام كثيرة ما رايتموني اهلا ان تجيروا لي رجلا واحدا استجار بي ودخل منزلي فسكن غضب المنصور وقال قد اجرنا من اجرت يا ابا الوليد قال معن فان راى امير المؤمنين ان يصله بشيء يعلم بها موقع الرضى عنه فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد امرنا له بخمسين الف درهم قال يا امير المؤمنين ان صلة الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له العطية قال قد امرنا له بمائة الف درهم قال عجلها يا امير المؤمنين فان خير البر عاجله فامر المنصور بتعجيلها فاحضر معن الرجل وقال خذ صلة امير المؤمنين وقبل يده واياك ومخالفة الخلفاء في ارض الله تعالى قال فاخذ الرجل المال واستغفر الله تعالى وذهب وقد تقدمت لمعن بن زايده اخبار في الرابع عشر ودخل رجل على سالم بن قتيبة فسأله عن حاجة ووضع نعل سيفه على اصبع سالم واتكأ على سيفه ولم يزل يكلمه في حاجته الى ان رض اصبع سالم فادماها وسالم صابر فلما قضى حاجة الرجل وخرج من عنده جعل سالم يمسح الدم من اصبعه بمنديل

وشدها فقيل له لم لا رفعت سيفه عن رجلك بيدك قال خفت ان افعل ذلك فيجعل فيني شيئا من حاجته وانشد علي بن قريش في الصاحب اذا لم يعطف على صاحبه الا بشفيع فقال

شكوت بلاء لا اطيق احتماله ... وقلبي مطيع للهوى غير دافع
فاقسم ما تركي عتابك عن قلي ... ولكن لعلمي انه غير نافع
واني متى لم الزم الصبر طايعا ... فلا بد منه مكرها غير طايع
اذا انت لم تعطفك الا شفاعة ... فلا خير في ود يكون بشافع

وكتب هذه الابيات للعباس بن الاحنف وقد منع بعضهم التشفع الى لئيم لا يقبل الشفاعة وفي ذلك يقول محمد بن يوسف بن جيش

اذا ما شئت ان تحيى هنيا ... رفيع القدر ذا نفس كريمه
فلا تشفع الى رجل لئيم ... ولا تشهد ولا تحضر وليمه

الباب التاسع والثلثون في الاخذ من الامرآء والسلطان قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس في اخذ الجايزة من السلطان قال بعضهم يجوز ما لم يعلم انه يعطيه من حرام وقال بعضهم لا يجوز اما من اجازه فقد ذهب الى ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ان السلطان يصيبه من الحلال والحرام فما اعطاك فخذ فانما يعطيك من الحلال وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى شيئا من غير مسئلة فليأخذ فانما هو رزق رزقه الله تعالى وروي الاعمش عن ابرهيم النخعي انه لم ير باسا بالاخذ من الامرآء وحبيب بن ابي ثابت قال رايت هدايا الامرآء وروي محمد بن سيرين عن محمد بن الحسن عن ابي حنيفة عن حماد رحمهم الله تعالى عن ابرهيم النخعي رضي الله عنه انه خرج الى زهير ابن عبد الله الازدي وكان عاملا على حلوان يطلب جايزته وهو رزؤه الهمداني قال محمد وبه ناخذ ما لم نعرف حراما بعينه وهذا قول ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى واما من كرهه فقد ذهب الى ما روي حبيب بن ابي ثابت قال ارسل امير من الامرآء الى ابي ذر بمال فقال ابو ذر اكل المسلمين ارسل اليه مثل هذا قال لا فقال رده ثم قال كلا انها لظى نزاعة للشوى وروي عن عثمان رضي الله عنه انه مر بابي ذر وهو نايم على حايط المسجد فقال لغلامه خذ هذه الدنانير واقعد هاهنا حتى اذا استيقظ هذا الرجل فادفع هذه الدنانير اليه فان قبلها منك فانت حر فلما استيقظ اعطاها اياه فابى ان يقبل فقال له الغلام خذها فان فيه فكاك رقبتي من الرق فقال لا اخذها فان فيه استرقاق رقبتي وروي عن ابي وايل انه قال درهم من تجارة احب الي من عشرة من عطاء وروي عبد المنعم بن ادريس عن ابيه عن وهب قال جاء رجل الى ابي الدرداء رضي الله عنه فقال يا ابا

الدرداء رضي الله عنه فقال يا ابا الدرداء ان فلانا شتمني وظلمني فقال له ابو الدرداء ان كنت صادقا فلا تمر بك الايام حتى يعاقبه الله تعالى فما مرت به الايام حتى دخل فلان على الامير فاجازه بعشرة الاف فارسل ابو الدرداء الى صاحبه فقال صدقت يا اخي فقد عاقبه الله تعالى عقوبة عظيمة فقال يا ابا الدرداء او بعد ذلك عقوبة قال والله لو جلد على ظهره عشرة الاف سوط كانت ارجى من جايزة عشرة الاف درهم قال الفقيه قبول الجايزة عندنا على وجهين فان كان الامير غالب امواله الرشوة والاخذ ظلما بغير حق فلا يجوز قبول جايزته الا ان يعلم ان الذي بعث اليه اصابه من حلال ولو كان الامير غالب امواله الميراث ورثه من حلال او من تجارة اكتسبها فلا باس بان يقبل ما لم يعلم ان الذي بعث اليه من حرام او شبهة وتركه افضل في الوجهين جميعا والله اعلم انتهى بكماله الباب الاربعون في الفروسية والرمية قال الفقيه رحمه الله تعالى روي عن عمر رضي الله عنه انه قال علموا اولادكم السباحة والفروسية ومروهم بالاختفاء بين الاغراض اقول قال الجوهري الغرض الهدف الذي يرمى فيه وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال علموا اولادكم السباحة والرمي وللمرأة الغزل وروي عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا وكل شيء يلهو به الرجل فهو باطل الا الثلاث رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته مع اهله فانهن من الحق انتهى بكماله اقول قد روى الخطابي في شرح السنن حديث عقبة بن عامر بلفظ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر في الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والذي ومنبله وارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا ليس من اللهو الا ثلاث تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه ونبله ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او قال كفرها وعن علي رضي الله عنه انه قال من خط وعام ورمى بالسهام فنعم الغلام وروى الفقيه حديثا في الباب الثاني والثمانين من كتابه انه صلى الله عليه وسلم قال كل لهو للمومن باطل الا ثلاث تاديبه فرسه ورميه عن قوسه وملاعبته مع اهله وفي كتاب ثمار القلوب للثعالبي ان بهرام جور لم يكن في العجم ارمى منه ومن غريب ما اتفق له انه خرج يوما يتصيد على جمل وقد اردف جارية له كان يعشقها فعرضت له ظباء فقال للجارية في اي موضع تريدين ان اضع السهم من هذه الظباء فقالت اريد ان تشبه ذكرانها باناثها واناثها بذكرانها فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين اثبتهما في موضع القرنين ثم سالته ان

بجمع ظلف الظبي واذنه بنشابه واحدة فرمى اصل اذن الظبي بندقه فلما اهوى
بيده الى اذنه ليحكها رماه بنشابه فوصل اذنه بظلفه ثم اهوى الى الجارية
فرمى بها الارض واوطاها الجمل بسبب ما استنبطت عليه وقال ما اردت
الا اظهار عجزى فلم تلبث كثيرا الا وماتت الباب الحادى والاربعون في

المسابقة بالخيل والابل ومسابقة بنى ادم قال الفقيه رحمه الله تعالى

لا باس بالمسابقة والمسابقة بجرى الخيل لينظر ايهما يسبق صاحبه فان
كان ذلك بغير عوض فلا باس به وان استبقا على شرط العوض فهو على وجهين
ان قالا اينا سبق نعليه كذا هذا لا يجوز وهو قمار وان قالا ان سبق فرسى
فلى كذا وان سبق فرسك فلا شى لك هذا جايز اذا كان العوض في احد
الجانبين وان كان في الجانبين جميعا لا يجوز وان ارادا ان يجوز العوض
من الجانبين جميعا فليدخلا بينهما محللا وليقولا ان سبق فرسى فلى عليك
كذا وان سبق فرسك فلك على كذا وان سبق هذا الثالث فلا شى فهذا جايز
اذا كان الثالث يعدو معهما وله قوة وروى مجاهد عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تحضر الملايكة شيا من لهوكم الا النبال والرهان يعنى الرمى وسبق
الخيل وروى عن الزهرى رحمه الله تعالى انه قال كانوا يستبقون على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل والركاب ويستبق الرجال على ارجلهم
وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال كانت للنبى صلى الله عليه وسلم
ناقة تسمى العضبا بعين مهمله وضاد معجمه كانت لا تسبق فجا اعرابي
على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين فقال النبى صلى الله عليه
وسلم حق على الله ان لا يرتفع شى من الدنيا الا وضعه وروى هشام بن عروة
عن ابيه ان النبى صلى الله عليه وسلم سابق مع عايشة رضى الله عنها
فسبقته فلما شبت واخذها اللحم سابقها فسبقها فقال يا عايشة هذه
بتلك وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال
ليس برهان الخيل باس اذا دخل فيها المحلل قال الفقيه الفايدة في المسابقة
ان القوم اذا كانوا يحتاجون الى الغزو كان في المسابقة اظهار الجلاده
ورياضة النفس واستعداد امر القتال وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه سابق مع ابى بكر وعمر فسبق النبى صلى الله عليه وسلم فصلى ابو بكر
وثلث عمر ومعنى قوله فصلى ابو بكر يعنى كان راس فرسه عند صلوى فرس
النبى صلى الله عليه وسلم والصلوان موضع العجز انتهى كلامه اقول
اعلم للخيل اسماء على قدر مراتبها في السبق فاولها المجلى وهو السابق كفرس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم المصلى كفرس ابى بكر رضى الله عنه ثم
المسلى كفرس عمر رضى الله عنه ادنى من السابق والذى بعده ثم التالى ثم
العاطف ثم المرتاح ثم المومل ثم الحظى ثم السكيت وهو الفسكل والقاشور

والفسكل

والفِسْكِل بكسر الفاء وسكون السين المهمله وكسر الكاف يتلوها لام هو الذى
يجى في الحلبة آخر الخيل ومنه قيل رجل فِسْكِل اذا كان رذلا والعامة تقول
فُسْكُل بالضم قال ذلك ابو الغوث وقد تقدم في الباب الذى قبل هذا ما يتعلق
بالفروسية والرمية وذكر في هذا الباب المسابقة بالخيل والجمال ومسابقة
الرجال وكل ذلك من لوازم الشجاعة فلنذكر شيا من لوازمها قال في اداب
السياسة ان الشجاعة سداد الدين وحجاب الافات والشجاع يحبه المخلوق
والخالق قال الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم
بنيان مرصوص وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الشجاع ولو بقتل
حية او عقرب وفى المثل من لم يركب الاهوال لم ينل الرغايب ومن كره النطاح
لم ينل النجاح ومن اقتحم الامور نال السرور وبلوغ الامال في ركوب الاهوال
وقيل لا تنال العليا الا بالعنا شعر

اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة	فلا تستعد الحسام اليمانيا
فما ينفع الاسد الحيا من الطوى	ولا تتقى حتى تكون ضواريا

وقال الآخر

ذرينى انل ما لا ينال من العلا	فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل
تريدين ادراك المعالى رخيصة	ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وكان على رضى الله عنه يخرج يوم صفين حتى يقف بين الصفين ويقول

من اى يومى من الموت افر	ايوم لا يقدر ام يوم قدر
يوم لا يقدر لا ارهبه	ومن المقدور لا ينجى الحذر

ويقال من طلب الممالك هجم على المهالك ومن خاطر بنفيس نال نفيسا
وعوتب الاسكندر على مباشرته الحرب بنفسه فقال ليس من الانصاف
ان تقاتل قومى عنى واترك القتال عنهم وقيل القوة الغضبية اذا
افرطت كانت تهورا وان نقصت كانت جبنا ويأتى ما قيل في الجبن
واذا توسطت كانت شجاعة وللشجاعة دلايل منها الصدق قال على كرم الله
وجهه لو تميزت الاشيا لعلمنا ان الكذب مع الجبن والصدق مع الشجاعة
وقيل لو صور الصدق لكان اسدا ولو صور الكذب لكان ثعلبا وسيأتى شى
مما يتعلق بالكذب في الباب السابع والخمسين ومنها الصبر قال على رضى
الله عنه العجز آفة والصبر شجاعة وقيل لعمرو بن معدى كرب ما الشجاعة
فقال الصبر ساعة وقد تقدم الصبر في الباب الخامس والعشرين وقيل
قايل ذلك ابو محمد بسطامى ومنها الانفة وهى المروة قال النبى صلى الله عليه
وسلم صدق المرء على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته ومنها الفتوة
قيل لعلى رضى الله عنه انت محارب اى صاحب حرب فلو اتخذت فرسا اى حصانا
فقال لا افر عمن كر ولا اكر على من فر فالبغلة تكفينى وقيل عنه انه ما ثنى ضربة

ولا تتبع موليا ولا تسبا حرمة ويأتي شيء من الفتوة في الباب السابع والخمسين والباب التاسع والخمسين ومنها المروة فليس من الشجاعة والمروة ان يغتال المرء اقرانه وقيل اشار على الاسكندر اصحابه ان يبيت الفرس فقال ليس من الانصاف ان اجعل غلبتي سرقة وقيل في مدح قوم

اذا انتقموا اعلنوا امرهم ... وان انعموا انعموا باكتتام

ومنها الانذار ما زالت الملوك الاوايل والشجعان من الاعراب وغيرهم ينذرون من يقصدونه وينبهونه وكانت العرب تقول نسير مجاهرة ولا نسير مساترة وكان بنو سليم لا يغزون قوما وهم غازون حتى يهيجوا ويأخذوا حذرهم واسلحتهم ومنها شرف النفس ومثل ما حكي انه بعث خنزير الى الاسد وقال قاتلني فقال الاسد لست بكفوي ومتى قتلتك لم يكن فخر ومتى قتلني لحقني وصم عظيم فقال الخنزير لاخبرن السباع بنكولك فقال الاسد احتمال العار خير من التلطخ بدمك ومنها الحلم قال علي رضي الله عنه اشجع الناس من رد جهله بحلمه وقال افلاطن الشجاع هو الذي اتخذ الحلم صديقه ومنها العفة وقيل الشجاع من لا تقهره شهوته على تناول ما لا يجوز تناوله وعلى ظلم غيره وقيل الشجاعة ضرب عنق الشهوة ورد النفس عما تهوى وقال الشاعر

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته ... يوم النزال ونار الحرب تشتعل
لكن فتى غض طرفا او حمى بصرا ... عن الحرام فذاك الفارس البطل

ومنها ترك الهوى قال الشاعر

والفارس الممدوح منا ذو الكلا ... يعصي الهوى والنفس والشيطانا

والجود والكرم ضرب من الشجاعة لانه يجود ولا يخاف الفقر وقد قيل الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل والفارس الذي يشد اذا شدوا والشجاع الداعي الى البراز والمجيب لمن يدعوه اليه والبطل الحامي لظهورهم ومما ينافي الشجاعة التعدي على الضعيف فانه قيل بغي القوي على الضعيف ضعف في القوي ولنذكر شيئا مما يتعلق بالحروب قال في آداب السياسة اعلم ان الحرب قطبها المكر ونظامها الصبر ومدارها الاجتهاد وثقافها الاناة وزمامها الحذر ولكل شيء من هذه ثمرة فثمرة المكر الظفر وثمرة الصبر التأييد وثمرة الاجتهاد التوفيق وثمرة الاناة اليمن وثمرة الحذر السلامة وقال ارسطاطاليس للاسكندر لا تقدمن في الحرب حدثا فان جبنه يمنعه من اللقاء ولا شيخا فانيا فان البرودة والرطوبة يمنعانه من الحمية ولا من كان له مال جسيم فان حب ماله يمنعه من اللقاء ولا تقدم عبدا ولا من ولد على العبودية فانه لا انفة له وقدم اهل الحمية والحسب ومن له اول في الغلبة فانه يحامي عن ذلك وقدم اصحاب المرة السودا فانهم اصبر

من غيرهم

من غيرهم واستكثر من الكمين واجعل في كل كمين رجالة فانه حصن الحرب واذا صعب عليك الحرب فعول على المكيدة فاذا ظفرت فاحذر كل الحذر فان النكبة بعد الظفر كالنكسة بعد البرء من المرض ولا تقتل صديقا ولا تطلب منهزما اكثر من ليله وامنع ان يظهر الفجور والسكر في عسكرك فانهما مفتاح الوهن ودفاع شغب الجند فان نارهم شديدة الوهج واياك واللقاء بنفسك فانك ان سلمت كنت مخاطرا وان ظفر بك كنت قتيل الحزق وقال له اذا انشأت حربا فيقظها فاذا اشعلت نارا فالهبها واجر الرزق على ولد الشهيد ومن جرح في وجهه فكافئه بجائزة ومن جرح في ظهره فوبخه بالكلام فقط ومن بطلت له في الحرب جارحة فقد وجب عليك رزقه بقية عمره واستشار قوم اكثم بن صيفي في قوم آذوهم وسألوا ان يوصيهم فقال اقلوا الخلاف على امرايكم واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محالة فتثبتوا فان احزم الفريقين الركين وقد تقدم في الباب الثالث عشر ان كثرة التكبير عند القتال من الفشل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن معدي كرب اخبرني عن الحرب قال مر المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف تلف وهي كما قال الشاعر

الحرب اول ما تكون فتية ... تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها ... عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت شعرها وتنكرت ... مكروهة في الشم والتقبيل

وقال الاخر

والحرب تركب راسها في مشهد ... عدل السفيه به بالف حليم
في ساعة لو ان لقمانا بها ... وهو الحكيم لكان غير حكيم

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا لقي امراء الجيوش اوصاهم بتقوى الله وعلى عون الله امضوا بتأييد الله بالنصر ولزوم الحق والصبر وقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين لا تجبنوا عند اللقاء ولا تميلوا عند الغارة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا وتوقوا قتلهم اذا التقى الجمعان وعند حمة النهضات وفي شن الغارات ولا تغلوا عند الغنايم ونزهوا البيع الذي بايعتم وذلك هو الفوز العظيم وينبغي ان لا يبتدأ بالقتال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتلنا قاتلناه ومن سالمنا سالمناه وقال علي رضي الله عنه لولده الحسن لا تدعون احدا الى البراز ولا يدعونك اليه احد الا اجبته فانه باغ واعظم السلاح السيف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن معدي كرب اخبرني عن السلاح فقال سل عما شئت منه قال الرمح فقال اخوك وربما خانك قال النبل فقال منايا تخطي وتصيب قال

الترس فقال ذلك المجن عليه تدور الدواير قال الدرع فقال مشغلة للراجل متعبة للفارس وانها الحصن حصين قال السيف فقال قال علي رضي الله عنه السيف انمى عددا واكثر ولدا ويقال لا مجد اسرع من مجد السيف وروى ان فتى من الازد رفع الى المهلب بن ابي صفرة سيفا له وقال يا عم كيف ترى سيفي قال جيد الا انه قصير قال اطوله بخطوة قال ابن اخي ان المشي الى الصين على انياب الافاعي اسهل من تلك الخطوة وقد وعدت بالاتيان بما قيل في الجبن فاقول الجبن بعد الشجاعة وقال صاحب اداب السياسة في الجبن ام الذل والحرمان وقد ذم الله تعالى الجبناء التاركين الجهاد في مواضع من القرآن فمنها قوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بالله من جبن خالع وشح هالع وقال علي رضي الله عنه الجبن منقصة وقال ارسطاطاليس الجبن ذلة جامعة في النفس وقال زيد بن علي رضي الله عنهما حين خرج من عند هشام مغضبا ما احب الحيوة احد الا ذل قال الشاعر

يفر جبان القوم من ام نفسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

وكان زيد كثيرا يتمثل بهذين البيتين

كان الجبان يرى انه سيقتل قبل انقضاء الاجل

فقد تدرك الحادثات الجبان ويسلم منها الشجاع البطل

الاعتدال الاحجام في موطنه كالاقدام في مواقعه وقيل الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم شعر

شجاع اذا ما امكنتني فرصة وان لم تكن لي فرصة فجبان

وقال الاخر

الا فاخش ما تخشى وجدك هابط ولا تخش ما تخشى وجدك رافع

انتهى ولنرجع الى ما يتعلق بالخيل قد تقدم شيء من صفات الخيل الجياد بالباب السادس عند اسم سليمان عليه السلام وثاني شيء منها بملحقه عند اسم اسمعيل عليه السلام وقد ذكر صاحب ثمرات الاوراق في كتابه المسمى في باب طبايع الخيل ما ملخصه ان الفرس قريب من الاعتدال واحسن ذوات الاربع صورة وافضل من سايرها واشبهها بالانسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة وغير ذلك وهو جنسان الجنس والنوع شيء واحد باعتبار اللغة بخلاف اصطلاح المنطقيين عتيق وهو المسمى فرسا وهو بمنزلة اليماني لدنه والنجيب من الابل وهجين وهو المسمى برذونا وهو بمنزلة العراقي من الابل واما البختي من الابل فبمنزلة البغل والفرق بين البرذون والفرس ان عظم البرذون اخشن من عظم الفرس وعظم الفرس اصلب

وانثل

وانثل من عظم البرذون والبرذون احمل من الفرس والفرس اسرع من البرذون والعتيق الذي هو الفرس بمنزلة الغزال تنبيه اعلم انك لا تستغني عن السوط والعصا للفرس السريع قال بزرجمهر افره ما يكون من الدواب لا غنى له عن سوط او عصا واعقل ما يكون من الرجال لا غنى له عن راي ذي لب ومشاورة ذي عقل والبرذون بمنزلة الشاة ولكل واحد منهما انفس تليق به والات مراتبه له وفي طبع الفرس الزهو اي الكبر والخيلاء والعجب والسرور بنفسه والمخالطة لصاحبه ومن اخلاقه الدالة على شرف نفسه انه لا ياكل بقية عليق غيره والانثى من الخيل ذات شبق شديد ولشدة شبقها تطيع الفحل من غير نوعها ويقال انه اذا اشتد شبقها وقص من عرفها سكن عنها الشبق شدة الغلمة بضم اولها وهي شهوة الضراب بكسر الضاد المعجمة يقال لضرب الفحل الناقة ضرابا والذكر يشتد به الشبق ويزيد وربما اقتتل الفحلان بسبب الانثى حتى يكون لمن يغلب منهما والاناث منها في زمان السفاد تطاطي رؤسها وتحرك اذنابها ويسيل من قبلها شيء يشبه المني فيرا انه رقيق يعرض لها الطمث لكنه اقل من طمث النسا والذكر ينزو اذا تمت له سنتان وكذلك الاناث وتحمل الانثى احد عشر شهرا وتضع في الثاني عشر وتضع ولدا واحدا وربما وضعت في النادر اثنين والذكر ينزو الى تمام اربعين سنة وربما عمر الى تسعين سنه والانثى تانف ان ينزو عليها الحمار فاذا اريد ذلك اخذ بعرفها فتذل وتسكن وكذلك الفحل يانف ان ينزو على اخته او امه النزو صله الفحل الرمكة يقال ذلك في الحافر والظلف والسباع هو نزا ينزو نزوا ونزوانا وحكي انه يريد ان يحمل على رمكة ولدها يريد وريد بذلك العتق فانف فلما سترت نزا عليها فلما رفع الثوب وراها الغي بنفسه في واد فهلك والخيل قد ترى الاحلام وتحتلم كبني ادم وغالب اوجاعها شبيهة باوجاع بني آدم وسياتي بملحق الباب السبعين في الطب شيء من اوجاعها وادويتها ان شاء الله تعالى ومتى حبلت الانثى او هلكت وكان لها فلو ارضعته الاناث وربته واذا لم يكن فيها ما يرضع عطف عليه العواقر وتعاهدته ولكنه يهلك اذ ليس فيها لبن ويعتري الفرس داء شبيه بالكلب وعلامته استرخاء اذنيه الى ناحية عرفه وامتناعه من العلف وليس له علاج الا السكين وفي طبع الفرس انه لا يشرب الماء الا كدرا حتى انه يرد الماء وهو صاف فيضربه بيده حتى يكدره ويبين عكره وربما ورد الماء الصافي وهو عطشان فيرى فيه خيالا له ولغيره فلا يشربه لفزعه مما يراه ويوصف بحدة البصر حتى ان بعض المغالين فيه يقول الواجري فرس من شرط بعيد في يوم ضباب واعترضت بين يديه شعرة لتوقف عندها ولم يتعدها ومن طبعه انه اذا وطي على اثر الذيب خدرت قوايمه حتى لا يكاد يتحرك ويخرج الدخان من جلده واذا وطيته الحامل منها ازلقت وفي المغرب ازلقت الانثى القت

ولدها قبل تمامه والله اعلم نكته اشترى رجل من رجل برذونا فقال له المشترى
سالتك بالله هل فيه عيب قال لا الا انه فيه قليل مشش كانه سفرجله وقليل
جرد كانه قنابة وقليل دبر كانه بطيخة فقال له المشترى يا ابن الفاعله
جينا نشترى منك برذونا او بستانا لطيفه كتب الوهرانى على لسان
بغلته ريحانه الى الامير عز الدين موسك ما صورته المملوكه ريحانه بغلة
الوهرانى تقبل الارض بين يدى الامير عز الدين • حسام امير المؤمنين •
نجاه الله من حر السعير • وعطر بذكره قوافل العير • ورزقه من القرط والتبن
والشعير • وستمائة الف بعير • واستجاب فيه صالح دعية الجم الغفير
من الخيل والبغال والحمير وتنهى اليه ما تقاسيه من مواصلة الصيام •
وسوء القيام • والتعب فى الليل والناس نيام • فقد اشرفت مملوكته على
التلف • وصاحبها لا يحتمل الكلف • ولا يوقن بالخلف • ولا يقوم بالعلف
لانه فى بيته مثل المسك والعنبر • والاطريفل الاكبر • اقل من الامانه فى
الانباط • والعقل فى راس قاضى سنباط • فشعيره ابعد من الشعرى العبور
لا وصول اليه ولا عبور • وقرطه اعز من قرط ماريه • لا تخرجه صدقة ولا
هبة ولا عاريه • والتبن احب اليه من الابن • والجلبان اعز عليه من
دهن البان • والقصيم بمنزلة الدر النظيم • والعضه • اجل من سبايك
الفضه • واما الفول • فمن دونه الف باب مقفول • فما يهون عليه ان
يعلفنا الدواب • الا يفنون الاداب • والسوال والجواب • وما عند الله من
الثواب • ومعلوم يا سيدى ان البهايم لا توصف بالحلوم • ولا تعيش
بسماع العلوم • ولا تطرب الى شعر ابى تمام • ولا تعرف الحارث بن همام •
ولا سيما البغال • التى تشغل فى جميع الاشغال • شبكة من القصيل • احب
اليها من كتاب التحصيل • وقفة من الدريس • اشهى اليها من فقه ابن ادريس
لو اكل البغل كتاب المقامات • مات • وان لم يجد الا كتاب الرضاع • وكذلك
الجمل • لا يتغذى بشرح ابيات الجمل • وحزمة من الكلا • احب اليه من شعر
ابى العلا • وليس عنده بطيب • شعر ابى الطيب • واما الخيل فلا تطرب
الا لسماع الكيل • واذا اكلت كتاب الذيل • ماتت فى النهار قبل الليل • والويل
لها كل الويل • ولا تستغنى الا كاديش • عن الحشيش • بكل ما فى الحماسه
من شعر ابى الحويش • واذا اطعمت الحمار • شعر ابى عمار • حل به الدمار •
واصبح منفوخا كالطبل • على باب الاسطبل • وبعد هذا كله • راح صاحبها
الى العلاف • وعرض عليه مسايل الخلاف • فقام اليه بالخفاف • •
فخاطبه بالتقنير • وقرا عليه اية التعبير • وطلب منه ثمنه شعير
فحمل على عيال الف بعير • فانصرف الشيخ منكسر القلب • مغتاظا من الكلب
والتفت الى المسكينه • وقد سلبه الغيظ السكينه • وقال لها ان شئت

ان نكدى

ان نكدى فكدى لا ذقت ما دمت عندى • فبقيت المملوكه حايره • لا قايمه
ولا سايره • فقال لها العلاف • لا تجزعى من خياله • ولا تلتفتى الى مقاله
ولا عليك من سباله • هذا الامير عز الدين • اندى من الغمام • وامضى
من الحسام • وابهى من البدر ليلة التمام • يرثى للمحروب • ويفرج عن المكروب
لا يرد سايلا • ولا يخيب املا • فلما سمعت المملوكه هذا الكلام • جذبت
الزمام • ورفصت الغلام • وقطعت اللجام • وسبقت الزحام حتى
طرحت خدها على الاقدام • ورايك العالى والسلام فايده ذكر
الكسائى فى قصصه ان نمرود لما اراد ان يحرق ابرهيم عليه الصلاة
والسلام اخذوا فى جمع الحطب على الدواب فامتنعت الدواب من ذلك
الا البغال فاعقمها الله تعالى عقوبة لذلك انتهى وقد تقدم فى الباب
الثالث ان بعض الملوك اهدى اليه بغله معها فلو وهى من العجايب
وفى بعض قصة بغلة الوهرانى قول الصفى الحلى مضمنا قول امرئ
القيس فى معلقته وهو

راى فرسى اسطبل عيسى فقال لى ... قفا نبكى من ذكرى حبيب ومنزل
بم لم اذق طعم الشعير كاننى ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتا اضالعى ... لما نسجتها من جنوب وشمال
اذا سمع السواس صوت تحمحمى ... يقولون لا تهلك اسى وتجمل
اعول فى فقد العليق عليهم ... وهل عند رسم دارس من معول

وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس كان للشيخ شرف الدين البوصيرى
حمارة استعارها منه ناظر الشرقيه من بلاد مصر فاعجبته فاخذها
وسير له ثمنها مايتى درهم فكتب الشيخ شرف الدين الى الناظر على لسانها
المملوكة حمارة البوصيرى تقول

يا ايها السيد الذى شهدت ... اخلاقه لى بانه فاضل
ما كان ظنى يبيعنى احد ... قط ولكن صاحبى جاهل
لو جرصوه على من سفهه ... لقلت غيظا عليه يستاهل
اقضى مرادى لو كنت فى بلدى ... ارعى بها فى جوانب الساحل
وبعد هذا فما يحل لكم ... اخذى لانى من سيدى حامل

بانثى

فردها الناظر اليه ولم ياخذ الدراهم منه

الباب الثانى والاربعون فيما قيل فى الخاتم قال الفقيه رحمه الله تعالى
الخاتم فى اليمين والشمال جايز وكل ذلك مباح وقد جاء الاثر بهما جميعا
ولا يجوز للرجل خاتم ذهب وكره بعض الناس خاتم حديد ورخص بعضهم
وروى عن نعمان بن بشير انه قال اتخذت لى خاتما من ذهب فدخلت
على النبى صلى الله عليه وسلم قال ما لى ارى عليك حليه اهل الجنة قبل

دخولها فانتزعته واتخذت خاتما من حديد فدخلت عليه فقال ما لي ارى
عليك حلية اهل النار فانتزعته واتخذت خاتما من شبه فدخلت
عليه فقال ما لي اجد منك ريح الاصنام فقلت ما اصنع يا رسول الله
قال اتخذه من ورق ولا تبلغ منه مثقالا وتختم به في يمينك وروى
جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم
بيده اليمنى ويلبس نعله اليمنى قبل اليسرى ويخلع اليسرى قبل اليمنى وقال
محمد بن سيرين ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
كانوا يتختمون في شمايلهم وروى عمرو بن شعيب قال ابصر النبي صلى الله
عليه وسلم رجلا في يده خاتم من ذهب فامره ان يطرحه فطرحه وجعل
في يده حلقة من حديد فقال الذهب اطرحه هذا شر من هذا هذا
حلية اهل النار فطرحه وجعل في يده خاتما من ورق فلم ينهه اقول
وهذا الحديث منقول في شرح الاثار للطحاوي عن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده بلفظ ان رجلا جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
خاتم من ذهب فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس خاتم
حديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اشر منه هذه لبسة
اهل النار فرجع فلبس خاتم ورق فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
وروى في باب المصيب عنه صلى الله عليه وسلم قال التختم بالذهب احاديث
كثيرة في اباحة التختم بالذهب وان كثيرا من الصحابة تختمت بالذهب واحاديث
كثيرة في النهي عنه ثم قال فثبت بهذه الاثار ان خواتيمهم الذهب قد كان
لبسها مباحا ثم نهي عنه بعد ذلك فثبت ان ما فيه تحريم لبسها هو الناسخ
لما فيه اباحة لبسها وقال الفقيه وروى عون بن جحيفه عن ابيه قال
راى عمر رضي الله عنه على يد رجل خاتما من حديد فجعل يحيل حتى اخذه
ورمى به وقال عليكم بخاتم من ورق وروى الاعمش قال رايت في يد ابرهيم
النخعي رحمه الله تعالى خاتما من حديد وقال ابرهيم اخبرني من راى على يد ابي
مسعود خاتما من حديد قال الفقيه قد كره بعض الناس اخذ الخاتم واجاز
عامة اهل العلم فاما من كرهه فقد احتج بما روي في بعض الاخبار عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن لبس الخاتم الا لذي سلطان وروى
عن بعض التابعين انه قال لا يتختم الا ثلثة اميرا وكاتبا واحمق وروى
في الخبر ان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم كان في يد ابي بكر ثم اخذه عمر حين
ولي فكان في يده ثم اخذه عثمان حين ولي فكان في يده عامة خلافته
حتى سقط منه في بئر كذا وجدته وتقدم في الباب الثالث عشر في ذكر الخلفاء
الاربع والحسن رضي الله عنه عند ذكر عثمان رضي الله عنه انه سقط منه
في بئر اريس ثم قال الفقيه واما من قال انه يجوز للسلطان ولغيره فاحتج

بما روي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم كانوا يتختمون ولم
يكن لهم امارة وهو ما روى جعفر بن محمد رحمه الله تعالى عن ابيه ان الحسن
والحسين رضي الله عنهما كانا يتختمان في يسارهما وكان في خواتيمهما ذكر الله
تعالى وروى يعلى بن عبيد عن راشد بن كريب وروى يعلى بن عبد الله عن ابن
سيرين قال رايت ابن الحنفيه رضي الله عنه يتختم في يساره وعن يونس بن
اسحاق قال رايت قيس بن ابي حازم وعبد الرحمن بن الاسود والشعبي وغيرهم
يتختمون في يسارهم فهولاء لم يكن لهم سلطان ولان السلطان يلبس للزينة
ولحاجته الى الختم هو وغيره في الختم والزينة سواء فلما جاز للسلطان جاز
لغيره وبه ناخذ انتهى اقول

الباب الثالث والاربعون في نقش الخاتم

قال الفقيه رحمه الله تعالى
روى انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تستضيئوا بنيران المشركين ولا تنقشوا خواتيمكم عربيا فسئل الحسن رضي
الله عنه عن تفسير ذلك فقال معناه لا تنقشوا محمدا اقول وقد تقدم في
الباب الثالث عشر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم به ويختم به الكتب التي كان
يكتب بها الى الملوك ثم تختم به بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان الى ان سقط منه في
بئر اريس قال الفقيه اهل الشرك في اموركم ولا تكتبوا في خواتيمكم محمد رسول
الله وروى ابو ثمامة عن انس رضي الله عنه قال كان نقش خاتم النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاثة اسطر سطر منها محمد وسطر منها رسول وسطر منها الله
وكان نقش خاتم ابي بكر رضي الله عنه نعم القادر الله وكان نقش خاتم
عمر رضي الله عنه كفى بالموت واعظا يا عمر وكان نقش خاتم عثمان رضي الله عنه
النصر من الله وفي نسخة لنصبرن او لنندمن اقول وفي سنا الامارة ان
نقش خاتمه امنت بالله الذي خلق فسوى قال الفقيه وكان نقش خاتم علي
رضي الله عنه الملك لله وفي سنا الامارة كان نقشه الله الملك الحق قال
الفقيه ولو كان خاتم في فصه تماثيل لا يكره وليس كالتماثيل في الثياب لان
التماثيل في فص الخاتم صغير تقصر العين عنه فلا تبين وانما كره التماثيل
في الخاتم وروي ابو هريرة رضي الله عنه انه كان على خاتمه عليه الصلاة والسلام
ذبابان وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان في فص خاتمه كركيان وروي

عن ابي حذيفة رضي الله عنه هكذا وعن انس بن مالك رضي الله عنه انه كان
على خاتمه اسد بين رجلين او رجل بين اسدين اقول وفي شرح الآثار للطحاوي
عن الحسن انه كان يكره ان ينقش الرجل على خاتمه صورة وقال اذا اختمتم
بها فقد صورتم بها انتهى ثم قال الفقيه ولو كان على فصه اسم الله تعالى او
اسم نبي من الانبياء عليهم السلام فانه يستحب له اذا دخل الخلاء ان
يجعل الفص في كفه واذا اراد ان يستنجي يستحب له ان يجعله في يمينه لانه
اذا استنجى مع ذلك كان ذلك فيه ترك التعظيم انتهى كلامه اقول
وكان مكتوبا على خاتم عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي
الله عنه اسمه واسم ابيه نكتة وكتب بعض المغفلين على خاتمه انا فلان
ابن فلان رحم الله من قال آمين ونقش بعضهم اللهم ارخص الحنطة وكتب
ابنه آمين وفي المغرب انه وجد خاتم دانيال عليه السلام في عهد عمر رضي الله
عنه وكان على فصه اسدان وبينهما رجل يلحسانه وذلك ان بخت نصر
لما اخذ في تتبع الصبيان وقتلهم وولد هو القته امه في غيضة رجاء
ان ينجو منه فقيض الله له اسدا يحفظه ولبوة ترضعه وهما يلحسانه
فلما كبر صور ذلك في خاتمه حتى لا ينسى نعمة الله عليه وقال هشام بن عبد الملك
يعرف حمق الرجل باربعة اشيا بطول لحيته وكنيته وافراط شهوته ونقش
خاتمه فدخل رجل شيخ طويل اللحية فقال هشام اما هذا فقد اتاكم بواحدة
فانظروا اين هو من الثلاثة فقيل له ما كنيتك فقال ابو الياقوت قيل فاي
الطعام تحب قال الخلنجبين قيل فما تنقش خاتمك قال وتفقد الطير
فقال ما لي لا ارى الهدهد فقال هشام حسبك قوله حسبك اي كفايتك
ما قلته من علامات الحمق لا تحتاج الى غير ذلك وقوله المذكور في الباب
السبعين هو نوع من السمم وهو الاسود وفي الصحاح هو شجرة الكزبرة
وقال ابو الغوث هو السمسم في قشره قبل ان تحصد واللبوة بضم الباء الموحدة
بعدها همزة مفتوحة انثى الاسد واللبوة ساكنة الباء الموحدة غير
مهموز لغة فيها كذا في الصحاح وفي زبدة الزبد في اخبار الاسد تسع لغات
فيها منقولة عن كتاب النادمة للشادن للشريف علاء الدين علي الموسوي
المعروف بدختر خوان السلطان ابي بكر بن ايوب وسياتي الملحق بالباب الثالث
عشر في ذكر الخلفاء ما كان منقوشا على خاتم كل منهم

الباب الرابع والاربعون في الرسالة

قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا كتب الرجل
الرسالة ينبغي ان تختم لانه ابعد من الريبة وعلى هذا جرى الرسم وبه جاء
الاثر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كرامة الكتاب ختمه وروي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ايما كتاب لم يكن مختوما فهو اغلف
وروي ايضا عنه قال ايما صحيفة ليست بمختومة فهي معلوفة اقول وفي سنا

الامارة

الامارة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كل كتاب غير مختوم فهو اغلف بالقاف
يعني قال الفقيه كان رسم الكتب في زمن المتقدمين ان الكاتب يبدا بنفسه
من فلان الى فلان وبذلك جاء الاثر وروي عن عمر رضي الله عنه كان اذا كتب
الى الخليفة من خلفائه بدا بنفسه وكان يكتب الى عماله ابدؤا بانفسكم
وروى وكيع عن ابي داود عن عبد الله بن محمد بن سيرين انه اراد سفرا
فقال له ابوه يا محمد بن سيرين اذا كتبت الي فابدا بنفسك فان بدات بي
لم اقرا لك كتابا وعن ربيع بن انس قال ما كان احد اعظم حرمة من النبي
صلى الله عليه وسلم وكان اصحابه اذا كتبوا اليه بدؤا بانفسهم وقال
ابن سيرين ان اهل فارس اذا كتبوا بدؤا بانفسهم على عظمائهم فاذا
كان كذلك فلا يبدا الرجل الا بنفسه قال الفقيه ولو بدا نا بالمكتوب
اليه جاز لان الامة قد اجتمعت عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تجتمع امتي على الضلالة فلما اتفقت الامة على ذلك ثبت انهم فعلوا ذلك
لمصلحة راوا في ذلك ونسخ ما كان قبل وروي عن الحسن انه كان لا يرى
باسا بان يبدا بالذي يكتب اليه قال الفقيه فالاحسن في زماننا هذا ان
نبدا بالمكتوب اليه لان البداية بنفسه يعد منه استخفافا وتكبرا الا ان
يكتب الى عبد من عبيده او غلام من غلمانه فيبدا بنفسه قال واذا ورد على
انسان كتاب بالتحية او نحوها فينبغي ان يرد الجواب لان الكتاب من الغايب
كالسلام من الحاضر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يرى جواب
الكتاب واجبا انتهى كلامه اقول وقد قال الشاعر في الحث على وجوب الكتاب

شعر

اذا كتب الخليل الى الخليل — فحق واجب رد الجواب
اذا الاحباب فاتهم التلاقي — فاصلة باحسن من كتاب

واذا ارسل انسان الى انسان السلام على لسان رسول فينبغي ان يرد المسلم
عليه السلام على الرسول والمرسل ففي المصابيح ان رجلا قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ابي يقريك السلام فقال عليك وعلى ابيك السلام وكتب
بعضهم لصاحب له اما بعد فان خير الناس الواصل لمن قطعه وشرهم
القاطع لمن وصله فقد قاطعتنا فواصلناك ولم تواصلنا والسلام فاراد
هذا الكاتب انه خير الناس والمكتوب اليه شر الناس ومن اعظم الادلة
على تقديم اسم المرسل بعد تسمية الله تعالى ما كتبه النبي صلى الله عليه وسلم
الى هرقل عظيم الروم وهو بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد
فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان
توليت فان عليك اثم الاريسيين يعني الاكرة ويا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا

من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قوله الاريسيين ذكر ابن
الاثير في ذلك لغات منها هذه قال قال ابو عبيد يقولون الاريسيين
منسوبا مجموعا والصحيح الاريسيين يعني بغير نسب بوزن كريمين ورد
الطحاوي عليه وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس رجل كان في الزمن الاول
قتلوا نبيا بعثه الله اليهم وقيل الاريسون الملوك واحدهم اريس
وقيل هم العشارون انتهى ملخصا وقد فسرهم الفقيه بالاكره وهو جمع
اكار قال ابن الاثير في النهاية في حديث قتل ابي جهل فلو غير اكار قتلني
الاكار الزراع اراد به احتقاره وانتقاصه كيف مثله يقتل مثله انتهى
ففي هذه الرسالة اعني رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل دليل
على تقديم اسم المرسل بعد تسمية الله تعالى وفيها ذكر المرسل اليه والسلام
والمطلوب اجمالا والجزاء على فعله وعلى الامتناع عنه ثم التاكيد على فعل
المطلوب وتفصيله وفيها الاقتباس من كلام الله تعالى وما ذكره الله
حاكيا من سليمان عليه السلام فيما كتبه الى بلقيس وقومها وهو انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين تجمع في هذه
الكلمة الموجزة المعجزة العنوان وتقديم اسم المرسل والحاجة المطلوبة غير ان
التسمية هنا تاخرت عن اسم المرسل وربما كان تقديم البسملة غير المشروع في
زمن سليمان عليه السلام واما امر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها
في اول كل كتاب فمذكور في الباب الاول والعنوان بضم العين هي اللغة
الفصيحة وقد تكسر وفيه لغات عينان بكسر اوله وسكون ثانيه وعنوة
الكتاب عيونه وعننته بتشديد النون الاولى وقد تقدم في الباب
الاول ذكر شيء مما يتعلق بالفصاحة والبلاغة وان الكتبة خمسة منهم
المنشي وهو كاتب الرسايل فلنذكر شيا من الرسايل البليغة فمنها
ما كتبه الوزير ابن العلقمي الى ابن طاوس نقيب العلويين لما نهب الكرخ
كتب ينهي انه قد دنس البساط المعظم ونهب الكرخ المكرم وقد عزموا
لا اتم الله لهم عزما انهم ياتون الحلة والنيل فلا عمتن قلبي كما قال المتنبي

قوم اذا اخذوا الاقلام عن غضب ... ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من اعاديهم وان بعدوا ... ما لا ينال بحد المشرفيات

فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون
فكن لهذا الامر بالمرصاد وتوقع اول النحل واخر صاد اراد باول النحل قوله
تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وباخر صاد ولتعلمن نباه بعد حين
ومنها انه لما وقع بخراسان قحط شديد فكتب الجنيد بن عبد الرحمن والي
خراسان الى الكور ما صورته اعلموا ان مروا كانت امنة مطمئنة ياتيها
رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله تعالى فاحملوا اليها المادة فحملوا

الطعام اليها

الطعام اليها والاية التي اقتبس الجنيد منها هذه الرسالة قوله تعالى في اواخر
النحل وضرب الله مثلا قرية كانت مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وبلغ
الرغيف الخبز في ذلك القحط درهما فقال الجنيد الشكوا الجوع ولقد وقع بهم
جوع فبلغت الحبة من الحنطة درهما وينبغي ان يترب الكتاب فقد تقدم
في الباب الخامس عشر حديث رواه الفقيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا كتبتم الكتاب فتربوه فانه اسرع للحاجة وانجح للطلبة والبركة في
التراب وينبغي للمسلم ان لا يستكتب يهوديا رسالة فقد روي في المصابيح
عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اتعلم السريانية ويروى انه امرني ان اتعلم كتاب يهود وقال اني ما امن
يهود على كتاب قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمت فكان اذا كتب الى يهود كتبت
واذا كتبوا اليه قرات له كتابهم والمعنى اني اخاف ان امرت يهوديا بان
يكتب من لساني كتابا الى قوم بني اسرايل ان يكتب فيه شيئا ما قلته له او
اخاف ان كتبوا الي كتابا واعطيته يهوديا ان يقراه علي ان يزيد فيه او ان
ينقص منه شيا ولم يذكر الفقيه الرسول في هذا الباب وانا اذكر شيئا
من ذلك قال صاحب اداب السياسة فيها ما ملخصه ينبغي ان يتخير الرسول
فانه يواسي جميع ما استعد به المرسل اليه المحارب لانه متى خان او عجز
عن الجواب فسد ما قصد اصلاحه ولهذا يقال اذا خان السفير بطل
التدبير ويقال الرسول يرفق القلب اذا رقق كلامه ويغلظ القلب اذا
غلظ من القول وعقل الرسول دليل على عقل مرسله وقال الشاعر

تخير اذا ما كنت في الامر مرسلا ... فمبلغ اراء الرجال رسولها

وقيل خير الرسل له جمال وعقل وسرعة جواب فمن ذلك ما ذكر في سنا الاسماع
ان المهلب بن ابي صفرة لما هزم قطري بن الفجاءة صاحب الازارقة بعث
الى مالك بن بشير فقال له اني موفدك على الحجاج فسر فانما هو رجل مثلك
وبعث اليه بجايزة فردها وقال انما الجايزة بعد الاستحقاق فتوجه
اليه فلما دخل على الحجاج قال له ما اسمك قال مالك بن بشير فقال ملك
وبشارة كيف تركت المهلب قال ادرك ما امل وامن ما خاف قال كيف هو
لجنده قال والد رؤوف رحيم فقال كيف جنده له قال اولاد بررة قال
كيف رضاهم عنه قال وسعهم بالفضل وعمهم بالعدل قال كيف تصنعون
اذا لقيتم العدو قال نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ويلقونا بجدهم فيطمعون
فينا قال كذلك لقي الجد الجد قال كيف قطري قال كادنا بمثل ما كدناه قال فما
منعكم من اتباعه قال راينا المقام من ورايه خيرا لنا من اتباعه قال فاخبرني
عن ولد المهلب قال اعباء القتل بالليل اي لا يبالون بالقتل لبلا حماة السرح

بالنهار قال ايهم افضل قال ذلك الى ابيهم قال النعول لن قالوا كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها قال اقسمت عليك اهل رويت في هذا الكلام قال ما اطلع الله على غيبه احدا فقال الحجاج لجلسائه هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع قوله رويت بالراء قبل الواو المشددة اذا نظرت في الامر وفكرت فيه كذا في الصحاح ووَرَّيت بتقديم الواو على الراء المشددة من التورية وهي ذكر شيء وارادة غيره ومثل هذا البديه يطلب من عقول الرجال ومن يصلح للارسال لان المنطق عنوان العقل فمتى فسد العقل فسد المنطق وقال ابو الفرج البغوي

شعرا الا كان نطق المرء عنوان عقله … فكيف يصح النطق والعقل فاسد

ومن شرايط من يصلح للرسالة ان يكون كلامه وجيزا ويقول فلا يخطي وكلام ارباب العقول يحصل به المامول فان كل كلمة منهم تقابل جيشا فتغلبه او جبارا فتذله او ضغنا فتخرجه او محبة فتزيدها او كلمة متفرقة فتجمعها واما شيء على الملك الرسول الكذوب الخاين وسئل انوشروان اي الاشرار شر فقال الرسل الخونة الذين يخونون في الرسالة لاجل اطماعهم فكل خراب المملكة منهم كما قال ازدشير في حقهم كم سفكوا من الدماء وهزموا من الجيش وهتكوا من ذوي الحرمات الاحرار وكم يمين كذبوها بخيانتهم وكم عهود نقضوها بقلة امانتهم انتهى وفي سن الامارة انه ينبغي ان يكون كهلا قد بلغ اشده بقطع الاربعين من العمر وان كان مشهورا بالعقل قبل الاربعين لان الله تعالى قال في شوطة الرسالة في قصة موسى عليه السلام ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما ومبلغ الاشد بعد الاربعين سنة لانه ينقص عن شدة الشباب وتمضي شعب الجنون المتعلقة به بقوله عليه الصلاة والسلام الشباب شعبة من الجنون فما بعد الاربعين هو عصر الكهول ومقام فيض الخير على الشر فاذا في الانسان امارات الكمال ولا زيادتها تكون فيما بعد مبلغ الاشد او في ولذلك لم يرسل الله تعالى الى عباده رسولا الا بعد الاربعين سنة انتهى

الباب الخامس والاربعون في الآداب وفيه اثنى عشر فصلا

قال الفقيه رحمه الله تعالى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تأدبوا ثم تعلموا وقال ابو عبيدة البلخي ادب النفس اكثر من العلم وقال عبد الله بن المبارك اذا وصف لي رجل له علم الاولين والآخرين لا اتأسف على فوت لقائه واذا سمعت ان رجلا به ادب النفس اتمنى لقاءه واتأسف على فوته ويقال مثل الايمان كمثل بلدة فيها حصون خمسة الاول من ذهب والثاني من فضة والثالث من حديد والرابع من آجر والخامس من لبن فما دام اهل البلدة يتعاهدون الحصن الذي من اللبن لا يطمع فيهم العدو واذا تركوا التعاهد حتى خرب الحصن طمع العدو في الثاني ثم في الثالث ثم في الرابع حتى خربت الحصون كلها فكذلك الايمان في خمسة من الحصون اولها اليقين ثم الاخلاص ثم اداء الفرايض ثم اتمام السنن ثم حفظ الآداب فما دام العبد يحفظ الآداب

ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه واذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن ثم في الفرايض ثم في الاخلاص ثم في اليقين فينبغي للانسان ان يحفظ الآداب في جميع اموره من امر الوضوء والصلاة والشراء والبيع والصحبة وغير ذلك فقد بينا ههنا من الآداب ما لا بد منها فاول ما يبدأ بامور الوضوء قوله قد جعله الفقيه هذا بابا بمفرده ثم اتبعه بابواب تصلح ان تكون فصولا فجعلتها وبعض ابواب من الكتاب فصولا لهذا الباب وتأسيت بينها بالتقديم والتاخير على ما تراه فاقول

الفصل الاول في آداب الوضوء والصلوة

قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا اراد الرجل ان يتوضأ فاذا دخل الخلاء ينبغي ان يبدأ برجله اليسرى ويقول بسم الله ثم يقول اللهم اني اعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذه الحشوش محتضرة يعني يحضرها الشيطان فاذا دخلها احدكم فليتعوذ من الشيطان الرجيم ويأتي آخره معنى الحشوش ويكره الاستنجاء باليمين لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وروي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليسرى لخلائه وما كان من اذى وكان يمينه لطعامه وعن حفصة رضي الله عنها انها قالت كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعامه وشرابه وثيابه وطهوره وصلوته وكانت شماله لما سوى ذلك وعن ابرهيم النخعي انه قال كان يقال اليمين للرجل لطعامه وشرابه لا لاستنجائه وللمخاطة فبهذه الاخبار لا ينبغي ولا يتمخط بيمينه الا ان يكون بيده اليسرى علة ولا ينبغي ان يكشف عورته للشمس والقمر ولا يستقبل القبلة الا ان يكون كنيفا جعل نحو القبلة فلا باس به ويأتي آخره معنى الكنيف ولا ينبغي ان يتكلم في حاجته لان الملايكة يتنحون عنه ويستترون عنه فاذا تكلم في ذلك الوقت فقد اتعبهم بالعود اليه ليكتبوا قوله وينبغي للانسان ان يتنزه عن البول فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه وينبغي للانسان اذا اراد ان يقعد لحاجته ان لا يرفع ثوبه ما لم يدن من الارض ويستتر ما استطاع فان النبي صلى الله عليه وسلم امر بهذا فقيل يا رسول الله ارايت ان لم يكن معه احد قال الله تعالى احق ان يستحيى منه ولان معه صاحبين لا يؤذيانك فينبغي ان لا تؤذيهما فاذا خرجت من الخلاء فابدأ برجلك اليمنى فقل الحمد لله الذي اخرج عني ما يؤذيني وامسك علي ما ينفعني واذا اردت الوضوء فقل بسم الله الحمد لله الذي جعل الماء طهورا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سمى الله تعالى عند الوضوء فقد اسبغ وضوءه وطهر جسده ومن لم يسم لم يسبغ وضوءه ولم يطهر جسده والاسباغ هنا الاتمام لانه اذا لم يسم في اوله فهو ناقص البركة لقوله عليه الصلاة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ ببسم الله

فهو ابتروقال صلى الله عليه وسلم من توضأ وذكر اسم الله تعالى كان طهورا لجميع
بدنه الحديث قال الزيلعي نسي التسمية ثم ذكرها بعد غسل البعض وسمي لا يكون
متيما للسنة بخلاف الاكل وغيره والفرق ان الوضوء كله شيء واحد لا يتجزى
فيشترط ابتدائه وقد فات وكل لقمة من الاكل فعل مبتدأ وفلم يفت انتهى
واذا استنجى الرجل فانه يستحب له بعد الاستنجاء ان يضرب بيده على الحائط او
على الارض ثم يغسلها ليزول الاذى عنها فان ذلك من السنة ويستحب
للمتوضئ ان يخلل بين اصابعه ويتعاهد عرقوبه بالماء فقد جاء التشديد
بترك ذلك وروى ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال حبذا المتخللون قالوا يا رسول الله وما المتخللون قال المتخللون
من الطعام والمتخللون بالماء في الوضوء فاذا فرغ من الوضوء يستحب ان
يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت وان محمدا عبدك
ورسولك واستغفرك واتوب اليك فقد روي في هذا فضل كثير وروى
ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا فرغ احدكم من
الوضوء فليشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم ليصل علي واذا
قال ذلك فتحت له ابواب الرحمة وينبغي ان يكون في وضوئه مقبلا عليه ولا
يتكلم فيه بشيء من الفضول لانه يريد زيارة ربه واذا دخل المسجد ينبغي ان
يدخل بالتعظيم ويبدأ برجله اليمنى ويقول بسم الله اللهم افتح لي ابواب
رحمتك واذا خرج يقول اللهم افتح لي ابواب فضلك وينبغي ان يكون في
صلاته خاشعا لان الله تعالى قال قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون ولا يلتفت يمينا وشمالا فانه في مكان عظيم بين يدي الله عز وجل
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مدح صلوة رجل يقال له ابو سلمة
ابن عبد الرحمن فقال الا ترون كيف لا يجاوز بصره عن موضع سجوده واذا
اراد افتتاح الصلوة ينبغي ان يحضر النية فان الصلاة لا تجوز الا بالنية
واذا فرغ من صلوته ينبغي ان يدعو الله تعالى لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين
والمؤمنات وينبغي ان يعظم المسجد فان الله تعالى قال في بيوت اذن الله
ان ترفع ويذكر فيها اسمه يعني تعظم ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البيع
والشراء ورفع الصوت في المسجد ويكره الكلام والفضول واللغو والشغب
واتى معناه والخصومة فيه واذا اراد الرجل المسجد ينبغي ان يتعاهد النعل
والخف من النجاسة ثم يدخل فيه انتهى كلامه اقول لغة الفصل الحش بفتح الحاء
المهملة وبضمها البستان والجمع الحشان بالتشديد مثل ضيف وضيفان
وهما ايضا المخرج لانهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين والجمع حشوش
بضم اوله والكنيف المستراح والتنزه التباعد يقال فلان يتنزه عن الاقذار
وينزه نفسه عنها اي يباعدها عنها والشغب بسكون الشين المعجمة تهييج

النثر الفصل الثاني في ذكر الحفظة قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس
في امر الحفظة وهم الكرام الكاتبون قال بعضهم يكتبون جميع افعال بني آدم
واقوالهم وقال بعضهم لا يكتبون الا ما فيه اجر او اثم وقال بعضهم يكتبون
الجميع فاذا صعدوا الى السماء حذفوا منه ما لا اجر فيه ولا اثم فيه قال
ومعنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت يعني يمحو ما لا اجر فيه ولا اثم فيه
ويثبت ما فيه اجر واثم وروى هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تعالى في سورة ق ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد قال يكتب من قول ابن آدم الخير والشر ولا يكتب ما سوى ذلك قال
هشام نحو قولك يا غلام اسقني ماء يا غلام اعلف الدابة وقال الحسن البصري
رحمة الله عليه يكتب جميع ما يلفظ به وقال ابن جريج هما ملكان احدهما عن
يمينه والآخر عن يساره فالذي عن يمينه يكتب بغير شهادة صاحبه والذي
عن يساره لا يكتب الا بشهادة صاحبه ان قعد فاحدهما عن يمينه والآخر
عن شماله وان مشى فاحدهما امامه والآخر خلفه وان نام فاحدهما عند
راسه والآخر عند رجليه وقال بعضهم هم اربعة اثنان بالليل واثنان
بالنهار وقال عبد الله بن المبارك هم خمسة اثنان بالنهار واثنان بالليل
والخامس لا يفارقه ليلا ولا نهارا واختلف الناس في الكفار هل يكون عليهم
حفظة ام لا قال بعضهم لا يكون عليهم حفظة لان امرهم ظاهر وعملهم
واحد قال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال الفقيه لا ناخذ بهذا القول
بل يكون عليهم حفظة والآية نزلت بذكر الحفظة في شان الكفار الا ترى الى
قول الله تعالى كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون وفي آية اخرى فاما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني
لم اوت كتابيه وقال تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر الله تعالى
ان الكفار لهم كتاب وتكون عليهم حفظة فان قيل الذي عن يمينه ايش يكتب
اذا لم يكن له حسنة قيل الذي هو عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون شاهدا
على ذلك وان لم يكتب انتهى كلامه اقول الحذف بالمهملتين تقدم في الباب السادس
عند اسم لوط عليه السلام انه هو الرمي بالحصاة والنواة ولعله هنا بالجيم
المهملة الا ان يراد من الاول الرمي لا صورته وقوله ايش بمعنى اي شيء وفي
الاقليد شرح المفصل في بحث حروف التخصيص ان سائلا دخل على النبي صلى
الله عليه وسلم وانشد شعرا فقال عليه الصلاة والسلام لعمر رضي الله عنه
اقطع لسانه فاذهبه عمر ليقطع لسانه فلقيه علي رضي الله عنه وقال له ما تريد
بهذا الرجل فقال اقطع لسانه فقال علي احسن اليه فان الاحسان يقطع
اللسان فرجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ايش يعني بالقطع
يا رسول الله فقال الاحسان فقال لولا علي لهلك عمر انتهى ونظر بعضهم

الى رجل يتخشع فقال له يا هذا انما تملى على حافظيك كتابا الى ربك فانظر ما تقول
الفصل الثالث في آداب النوم قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا اراد الرجل
النوم ينبغي انه ينام على الوضوء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من بات
طاهرا بات في شعاره ملك لا يستيقظ ساعة من الليل الا قال الملك اللهم
اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا واذا استطاع الانسان ان يكون ابدا
على الطهارة فليفعل وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لانس
ابن مالك رضي الله عنه ان اتاك الموت وانت على وضوء لم تفتك الشهادة
قال وبلغنا ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى اذا اصابتك
مصيبة وانت على غير وضوء فلا تلومن الا نفسك ويقال ان ارواح المؤمنين
تعرج الى السماء اذا ناموا فما كان منها طاهرا اذن له بالسجود وما كان غير طاهر
فلا يؤذن له بالسجود وما كان غير طاهر فلا يؤذن له ويستحب له عند نومه
ان يضطجع على يمينه مستقبل القبلة عند اول اضطجاعه فان بدا له ان ينقلب
الى الجانب الآخر فعل ويستحب له ان يقول حين يضطجع بسم الله الذي لا يضر
مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ويدعو من الدعوات
ما يشاء ويستحب له اذا اصبح ان يقول حين يستيقظ الحمد لله الذي احيانا بعد
ما اماتنا واليه النشور فاذا قال ذلك فقد شكر ليله ويستحب له عند
دخول البيت ان يبدأ برجله اليمنى وفي الخروج ان يبدأ برجله اليسرى ويستحب
للرجل ان يعود لسانه بقول بسم الله الرحمن الرحيم في جميع حركاته ويقول
الحمد لله بعد فراغ كل شيء لتدخل حلاوة الايمان في قلبه ويكره النوم في اول
النهار وفيما بين المغرب والعشاء ويستحب في وسط النهار وروى عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى بعض ولده وهو نائم نومة الصبيحة فركضه
برجله فقال قم لا انام الله عينك اتنام في الساعة التي تقسم فيها الارزاق
اما علمت ان النومة التي قالت العرب مكرهة مكسلة مهرمة منساة للحاجة
ثم قال النوم ثلاث خرق وخلق وحمق فاما الخلق فنومة الهاجرة واما الخرق
فنومة آخر النهار واما الحمق فنومة اول النهار ولا ينامها الا احمق او سكران او
مريض انتهى كلامه اقول الشعار بالكسر ما ولي الجسد من الثياب والمعنى يبيت
الملك معه في ثيابه حتى لا يخفى عليه استيقاظه والحلوى بضم الحاء المهملة
وسكون اللام وفتح الواو وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة نقيض المر والركض
بفتح اوله وسكون الكاف بعده ضاد معجمة تحريك الرجل وركضت الفرس برجلي
استحثثته ليعدو ومكرهة بتشديد المهملة اسم فاعل من باب التفعيل اي
تكره نائمها في العمل والسعي وتكره الناس فيه وكذا مكسلة اي عن العمل والسعي
ومهرمة اسم فاعل من باب الافعال اي تهرم الجسد والحمق بضم المهملة
وسكون الميم وضمه قلة العقل فالنائم اول النهار احمق اذا كان بلا سبب مثل

لعله لانس

تهجد

تهجد في الثلث الاخير او عمل صنعة فيه والخرق بضم الخاء المعجمة وراء مهملة
ساكنة الدهش يعني كما ان نومة اول النهار تورث الكسل فكذلك نومة
آخر النهار تورث الدهش قال شاعر العرب
الا ان نومات الضحى تورث الفتى خبالا ونومات العصير جنون
الخبال هنا بفتح المعجمة الفساد اي تفسد حاله والدهش شبيه بالجنون
وسيأتي في الباب الثامن والستين ما يتعلق بالحمق والاحمق الفصل الرابع
في الرؤيا الصالحة وحسن العبارة قال الفقيه رحمه الله تعالى روى هشام
ابن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها انها قالت اول ما بدئ به رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت
مثل فلق الصبح وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانما هو من عند الله تعالى
واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها
ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وروى ابو قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الرؤيا الصالحة من الله عز وجل والحلم من الشيطان فمن راى شيئا
يكرهه فلينفث عن شماله ثلثا وليتعوذ من الشيطان فانها لا تضره اقول
وروى الفقيه في باب الدعوات في آخر البستان عن الاعمش عن ابرهيم
قال اذا راى احدكم في منامه شيئا يكرهه فلينفث عن يساره ثلث مرات
وليقل اعوذ بالله بما استعاذت به ملايكة الله ورسله من شر رؤياي
هذه التي رايت هذه الليلة ان تضرني في دنياي وفي اخرتي فانه لا يضره
ذلك باذن الله تعالى اقول لم يرو الاعمش عن ابرهيم الا عن اثنين احدهما
ابرهيم بن يزيد بن شريك التيمي العابد الكوفي روى عن عايشة رضي الله عنها
وعن انس وغيرهما وقال الاعمش سمعته يقول اني لامكث ثمانين يوما لا اكل
قال وما اكلت منذ اربعين ليلة الا حبة عنب وقال العوام بن حوشب
ما رايته رافعا طرفه الى السماء قط وقال الثوري قال ابرهيم التيمي كم بينكم
وبين القوم اقبلت عليهم الدنيا فهربوا منها وادبرت عنكم الدنيا فاتبعتموها
قتله الحجاج ظلما رضي الله عنه وعامل الحجاج بما يستحقه وابرهيم الآخر
يزيد بن قيس الاسود النخعي فقيه الكوفة وكان عجبا في الورع مات كهلا
مختفيا من الحجاج سنة ست وتسعين رضي الله عنه فعن ايهما كانت رواية
الاعمش كفت وروى الفقيه في الباب المذكور عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حلم احدكم حلما فليبزق عن شماله ثلاث
مرات وليستعذ بالله من الشيطان فانه لا يضره ثم قال الفقيه وعن عايشة
رضي الله عنها انها قالت رايت ثلاثة اقمار سقطت في حجري فقصصت على
ابي بكر رضي الله عنه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن في

جيتها قال لها ابوبكر هذا احدا فمارك رحو خيرها ولما مات ابوبكر رضي الله عنه ودفن فيها قيل لها هذا القمر الثاني فلما مات عمر رضي الله عنه ودفن فيها قيل لها هذا هو القمر الثالث وروى عن محمد بن سيرين انه كان يكره الغل في النوم وكان يعجبه القيد وقال القيد ثبات في الدين وروى ذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه قال محمد بن سيرين كان يقال الرؤيا ثلاثة حديث النفس وتخويف الشيطان وبشرى من الله تعالى فمن راى شيئا يكرهه فلا يقصه على احد وليقم فليصل وروى عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عطاء قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم وزوجها غايب فقالت رايت كان جايزة بيتي انكسرت فقال خيران شاء الله تعالى غايبك فرجع زوجها ثم غاب فرات مثل ذلك فخبرها بمثل ذلك فرجع زوجها ثم غاب فرات مثل ذلك فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجده فوجدت ابابكر وعمر رضي الله عنهما فاخبرتهما بذلك فقالا لها يموت زوجك فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل عرضتها على احد فقالت نعم فقال هو كما قيل لك قال العطار يقال الرؤيا على ما أولت وكان يقال لا تقص الرؤيا الا على حكيم او واد فقد احتج بعض الناس بهذا الحديث ان الرؤيا على ما اولت وقال اهل التحقيق ان حكم الرؤيا لا يتغير بتغير جاهل عبرها كما ان مسئلة من الفقه اذا اجاب بها جاهل لا يكون لذلك الجواب حكم فكذلك الرؤيا فانما تغيرت لك بتأويل رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى صدق قول رسوله عليه الصلاة والسلام لكرامته وروى جابر رضي الله عنه ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم انى رايت كان راسي سقط مني فاتبعته فاخذته فقال عليه الصلاة والسلام باى عينيك رايت اذ لسقط الرأس عنك اذ لعب الشيطان باحدكم فلا يخبر الناس به وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اصدق الرؤيا ما كان بالاسحار وقال عليه الصلاة والسلام الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من راني في المنام فقد راني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وقال صلى الله عليه وسلم من راني في المنام فسيراني في اليقظة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تحلم بحلم لم يره كلف ان يعقد بين شعيرتين ولن يفعل انتهى بكماله يقول الفقير مؤلف هذا الكتاب عفا الله عنه روى عن جابر بن عبد الله الانصاري الصحابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا انها الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح او ترى له وحديث هشام اول الباب رواه البخاري عن عروة بن الزبير وزاد فيه في النوم قول عايشة رضي الله عنها الرؤية

الصالحة

الصالحة وحديث قتادة ورد في المصابيح بلفظ الرؤية الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث به الا من يحب واذا راى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها احدا فانها لن تضره قوله فلا يحدث به الا من يحب لان المحب يأولها تأويلا حسنا والمبغض يأولها تأويلا غير حسن وقد تقدم فيما نقله الفقيه ان الرؤيا على ما اولت ورد ذلك الفقيه كما تقدم والمراد بالرؤيا الصالحة في الحديث المذكور ان يرى في المنام شيئا فيه بشارة او تنبيه من الغفلة او يرى نفسه مع الصالحين او في الجنة وما اشبه ذلك والمراد فيه بالحلم ما كان من وساوس الشيطان مثل ان يرى انه يشرب الخمر او يزني او يقتل مسلما او يقول له اجمع المال لتكن من الاغنيا وما اشبه ذلك كذا في بعض شروح المصابيح وحديث جابر ورد في المصابيح بلفظ قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رايت في المنام كان راسي قطع قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال اذا لعب الشيطان باحدكم في منامه فلا يحدث به الناس وقوله عليه الصلاة والسلام فان الشيطان لا يتمثل بي نقل في بعض شراح المصابيح عن محي السنة انه قال رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام حق ولا يتمثل الشيطان به وكذلك جميع الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام وكذلك الشمس والقمر والنجوم والسحاب الذي فيه الغيث لا يتمثل الشيطان بشيء منها ومن راى نزول الملائكة بمكان فهو نصرة لاهل ذلك المكان وفرج ان كانوا في كرب وخصب ان كانوا في ضيق وقحط وكذلك رؤية الانبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى واما قوله عليه الصلاة والسلام من راني في المنام فسيراني في اليقظة قال بعض شراح المصابيح يعني فسيراني يوم القيمة ويكون معي على الحوض في الجنة ويحتمل ان يكون معناه فسيراني في الدنيا اذا كان له حالة ونقل عن بعض الصالحين انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في حالة الشوق والذوق انتهى **الفصل الخامس في جواز عبارة الرؤيا وما وقع منها وفي الفال والتفاؤل** قال الفقيه رحمه الله تعالى من تعلم علم الرؤيا فلا باس به بعدما تفقه في الدين وهو علم حسن وقد من الله تعالى على يوسف عليه السلام بعلم الرؤيا وهو قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث يعني علم الرؤيا وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال عليكم بالتفقه في الدين والتفهم في العربية وحسن العبارة يعني عبارة الرؤيا ولو كان ذلك يشغله عن علم الفقه فالكف عنه والاشتغال بعلم الفقه افضل لان علم الفقه احكام الله تعالى وعلم الرؤيا بمنزلة فال يتفاءل به وروى عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى

انه كان ربما تقص عليه الرؤيا فيقول اتق الله في اليقظة فانه لا يضرك ما رأيت
في النوم وروى اسمعيل بن علية عن ايوب قال بلغ محمد بن سيرين ان الناس
يقولون انه يقول في الرؤيا ولا يقول في الفتوى فامسك عن القول في الرؤيا
ثم قال انما هو ظن اظنه فمن ظننت له في رؤيا خيرا احدثته اياه وروى قتادة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اصدقكم رؤيا اصدقكم
حديثا ففي هذه الاخبار دليل ان تركه لا تضره وانما هو بمنزلة الفال انتهى كلامه
اقول اعلم ان التعبير علم براسه ومأخذه من كلام الله تعالى كمن رأى انه داخل
سور فانه رحمة او رأى انه خارج سور فانه يدل على نوع من العذاب من هم
او غم او غيرهما مأخوذ ذلك من قوله تعالى في سورة الحديد فضرب بينهم
بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وكذلك هو مأخوذ
من كلام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن الامثال السائرة ومن الفراسة
فان الرؤيا الواحدة تدل على معان باعتبار الرائي والمرئي له والزمان والمكان
فاذا سأل الانسان عن رؤيا فيأخذ لها المعبر تعبيرا مما ذكر باعتبار ما ذكر
حتى ان بعض الناس اذا قص رؤيا يقول المعبر لم تر انت هذه الرؤيا وانما
الذي راها غيرك وقد نبه على ذلك في بعض كتب التعبير وقد صنفت
فيه كتب كثيرة فمن اراد شيئا من ذلك فليرجع اليها واما تعبيرات محمد
ابن سيرين الصادقة فانما كانت من قبيل المكاشفة وقيل انه اخذ التعبير
عن امه صفية مولاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان الحسن البصري
رحمة الله عليه اذا سئل عن شيء من التعبير يقول عليكم بالذي كان من آل
يعقوب يعني ابن سيرين كانه يوسف بن يعقوب عليه السلام في تعبيره
فمن تعبيراته ان رجلا قال له رأيت طائرا اخذ حصاة من المسجد فقال ان
صدقت رؤياك مات الحسن البصري فلم يلبث قليلا حتى مات ومنها
ما ذكر في مرآة الزمان ان مغيرة بن حفص قال كان الجوزا تقدمت الى الثريا
فقال لي ابن سيرين ان صدقت رؤياك مات الحسن ثم اموت بعده فكان كذلك
وقيل ان ابن سيرين هو الرائي لذلك وانه اوصى وقال يموت الحسن واموت
بعده وهو افضل مني فمات الحسن ومات محمد بعده بمائة يوم وكتب التعبير
مشحونة بتعبيراته ومن التعبيرات الصادقة ما ذكره خارجة بن زيد بن
ثابت الانصاري احد الفقهاء السبعة بالمدينة رضي الله عنهم قال
رأيت في منامي كأني بنيت سبعين درجة فلما فرغت منها تهورت وهذه
السنة لي سبعون سنة قد اكملتها فمات فيها بالمدينة في سنة مائة في
خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وقال ابو عبيدة رضي الله عنه استعمل
عمر بن الخطاب رضي الله عنه حابس بن سعد الطائي على قضاء حمص ودفع
اليه عهده فاتاه من غد فقال يا امير المؤمنين اني رأيت رؤيا فاتيتك لاقصها

عليك قال وما هي قال رأيت الشمس والقمر اقتتلا قال مع ايهما كنت قال مع الآية
الممحوة اردد علي عهدي فقتل بصفين مع معاوية وفي قوله في سورة
الصافات على لسان ابرهيم عليه السلام يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك فانظر ماذا ترى قال البيضاوي رحمه الله تعالى يحتمل انه رأى في
المنام ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا
يقول له ان الله يأمرك ان تذبح ابنك فلما روى انه من الله او من الشيطان
فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم
بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية الثامن وعرفة والنحر
والاظهر ان المخاطب به اسمعيل لانه هو الذي وهب له اثر الهجرة ولقوله
النبي صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر
ابوه عبد الله وقد تقدم ذكره في الباب السابع في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
وذكروا قول الاخر ثم قال وما روي انه عليه الصلاة والسلام سئل اي النسب
اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله
ابن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم
يثبت انتهى وفي مرآة الزمان ان عبد الملك بن مروان رأى في منامه انه ام
هشام لطعت رأسه عشرين لطعة فبعث الى ابن المسيب فسأله فقال
تلد غلاما يملك عشرين سنة فولدت هشاما واعلم ان الرؤيا قد تقع بما تفسر
به سريعة وقد تقع بعد حين كما في رؤيا يوسف عليه السلام لما رأى العزيز
في منامه سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا
قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن
الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام اي السنة الثامنة فيه
يغاث الناس اي يمطرون وفيه يعصرون اي يعصرون الثمار والاعناب والسمسم
والزيتون فيستخرجون منها الاشربة والادهان فاخبر بحصول الخصب بعد
محل سبع سنين ومن ذلك ما ذكره البيضاوي من اقوال في تفسير قوله
تعالى في سورة بني اسرائيل وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة
للناس انه قيل رأى النبي صلى الله عليه وسلم قوما من بني امية يرقون منبره وينزون
عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم فكان ابتداء
مدتهم حين سلم الحسن رضي الله عنه الامر لمعاوية في شهر ربيع الاول سنة
احدى واربعين من الهجرة وقيل في جمادى الاولى من السنة المذكورة فوقع
ما رآه صلى الله عليه وسلم في منامه وفسره بعد موته بنحو ثلاثين سنة وقيل
لجعفر الصادق رضي الله عنه كم تتأخر الرؤيا فقال رأى رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان كلبا ابقع يلغ في دمه فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين هو ذلك الكلب وكان ابرصا فكان تاويل الرويا بعد ستين سنة **وقد** احج فقيل له احفر مكان كذا وكذا ففيه درع فبعها بثمنها ففعل الرجل قال فلما قضيت مناسكي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يمشي بين ابي بكر وعمر فقال الحا قرا عمر بن عبد العزيز السلام وقل له انا اسمك عندنا المهدي وابو اليتامى فشد يدك على العريف والمكاس واياك ان تحيد عن طريق هذين فيجاديك عني قال فانتهيت وانا ابكي وقدمت الشام فاتيت عمر وهو بدير سمعان فاخبرته فقال اعطوه كذا وكذا فقلت لا اخذ على رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجرا ونام عمر ثم انتبه وهو يبكي ويقول صدق الرجل رايت الساعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول كما قال البصري

نكتة جاء رجل الى معبر فقال رايت في المنام كاني هودا اقلي بعر الجمل على مقلاة فقال المعبر هات قطعة حتى اعبرها لك قال لو كانت معي قطعة كنت اشتري باذنجان واقليه ولا اقلي البعر **ومن** التعبير الغريب ان رجلا اتى الى معبر فقال رايت في المنام كان على حر امراتي كلبين بينها رشان فقال تاويله انها طلبت دبقا تنتفه فلم تجده فحزته بمقراض فكان الامر كما قال والحر بالحاء المهملة مفتوحة وراء مهملة غير مشددة هو فرج الامراة واصله حرح بحاء مهملة **واما كون** التعبير بمنزلة الفال فقد ورد في الفال والطيرة ما ذكر في كتب الحديث وغيرها **فاما** الفال ففي الصحيحين من الصحاح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طيرة وخيرها الفال قالوا وما الفال قال الكلمة الطيبة الصالحة يسمعها احدكم وقال بعض شراح المصابيح ان الفال فيما يحسن ويسوء والطيرة لا تكون الا فيما يسوء وقال زين العرب في شرح المصابيح قال الخطابي قد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان الفال انما هو ان يسمع الانسان الكلمة الحسنة فيتفاءل بها يتبرك بها ويتاولها على المعنى الذي يوافق اسمها وقال الزهري الفال ان يكون الرجل مريضا فيسمع آخر يقول يا سالم او يكون طالبا فيسمع اخر يقول يا واحد انتهى وقوله صلى الله عليه وسلم وخيرها الفال قال في شرح المصابيح يعني الفال خير من الطيرة وليس معنى هذا الكلام ان الطيرة فيها خير والفال خير منها بل لا خير في الطيرة اصلا وهذا مثل قوله تعالى اصحاب الجنة خير مستقرا واحسن مقيلا يعني اصحاب الجنة خير من اصحاب النار ومعلوم ان لا خير في اصحاب النار اصلا انتهى **وكان** النبي صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة رضي الله عنهم يتفاءلون كما في بعض ذلك بالباب الخامس والستين وكانت الاولياء نفعنا الله بهم يتفاءلون فمن ذلك ما ذكره الشيخ

كميز

الشيخ العارف ابو مدين اعاد الله على المسلمين من بركاته في رسالته المختصرة في اداب اهل الطريق واوصافهم ان الشبلي رضي الله عنه دخل يوما على قوم فقالوا اغلق الباب فقال لان الصوفية يفتحون الابواب المغلقة ولا يغلقون الابواب المفتحة وقال صاحب الرسالة المذكورة فيها وقرع رجل على شيخنا ابي مدين الباب فخرج اليه ولم يكن في نية الشيخ ان يدخله في ذلك الوقت فقال له الشيخ ما اسمك فقال له الرجل احمد الفايدة فقال له الشيخ ادخل فان العاقل لا يطرد الفايدة من بابه وهو يطلبها وكان احمد الفايدة هذا من سادات القوم نفعنا الله بهم **وكانت** العرب تتشاءم من الاخيل وهو الشقراق وكانت تتطير فمن ذلك ما حكي عن الزبير بن بكار قال بلغ كثير عزة انها مريضة بمصر وانها مشتاقة فخرج يريدها فلما صار ببعض الطريق اذا هو بغراب على بانة ينتف ريشه فتطير من ذلك فبينا هو يسير اذ لقي رجلا عارفا زاجرا فاخبره بما قصد له وبما راى في طريقه فقال له لقد ماتت هذه الامراة واستبدلت بديلا فقدم مصر فوجد الناس منصرفين من جنازتها فانشا يقول

فما اعرف النهدي لا در دره	واعلمه بالزجر لا عز ناصره
رايت غرابا واقفا فوق بانة	ينتف اعلى ريشه ويطايره
فاما غراب فاغتراب من النوى	وبان فبين من حبيب تعاشره

وانما تطيرت العرب من الغراب اذ كان اسمه مشتقا من الغربة وفي ذلك يقول الشاعر

اشاقك والليل ملقي الجران	غراب ينوح على غصن بان
وفي نعبات الغراب اغتراب	وفي البان ناي وبعد التداني

وهذان البيتان مذكوران في مصارع غربان النوى من كتاب السلسل الرايق المنتخب من الفايق للمتعطش من مصارع العشاق واخبر المداينى عن اشياخه ان شيرويه بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم مصورا وزاجرا فاتياه وصورا صورته ولم يجد الزاجر شيئا يزجر عليه فلما دخلا على شيرويه اخذ الصورة فوضعها على وسادتها وقال للزاجر ما زجرت قال لم ار هنالك شيئا ازجر عليه وقد زجرت هنا الرجل ظاهر مظفر وذلك انك اخذت صورته فوضعتها على وسادتك وياتي معنى الزجر بهذا الباب **ولنذكر شيئا** من الفال فمن ذلك اخذ الفال من كلام الله تعالى وهو اللهم اني تباركت بكتابك العزيز فارني هو المكتوب في سرك المكنون في غيبك المخزون في علمك وليكن بنية صالحة واعتقاد صحيح فاي حرف ظهر في اول الكلمة من اول السطر السابع فينظر على ما يدل فهو فاله وهذه دلايل الحروف **الالف** لم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين اعلم ايها السايل ان فال مبارك سالت عن امر قريب لا شك في نجاحه فاطلب بنية طيبة لا تخف فان فيه اشارة ونعمة وراحة **ب** وباركنا عليه وعلى اسحق اعلم ايها السايل ان هذا فال مبارك فاطلب ولا تخف فانك

تظفر على اعدآئك والله ناصرك ومعينك وعاقبتك محمودة ج وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى يأتي الله بامره اعلم ايها السايل انك اجتهدت في هذا الامر فانك
تصل اليه فقد قرب نجاحه والله ناصرك ومعينك بمنه وكرمه د كيلا يكون
دولة بين الاغنياء منكم اعلم ايها السايل انك لا تترك هذا الامر فان فيه دولة
وسعادة وبشارة فافعل ولا تحزن فان الله ناصرك ومعينك وعاقبتك محمودة
لا هدىً وبيان للناس قد بان في هذا الفال ان تكبان في خوف وحزن فلا تخف
ان في هذا الرنقا وراحة ودولة فاذا وصلت فاحمد الله تعالى على نعمايه وكن
دايما في دعايه وتوكل على الله حتى تجد من كل هم وغم خلاصا و ووالد وما ولد
فان اردت الولد يرزقك الله وان اردت بقاء النية يرزقك الله وان
اردت علما يرزقك الله من كرمه فعليك بالصلاة وتصدق بشي حتى يغفر
الله لك السيآت وتصل الى كل مقصودك من الخيرات بقوة خالق الارض
والسموات وفي هذا الامر ما هو خير من الدنيا وما فيها ز زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسقون اعلم ايها السايل ان فالك لا ينال الا بالصبر
وبصحة النية فان عجلت في هذا الامر لا تصيبك الا التعب والشقاوة ح
الله يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحي الموتى انه على كل شي قدير اعلم ايها
السايل انك سالتني عن امر ميت احياه الله تعالى في يدك فابشر فان حاجتك
مقضية عند الله تعالى وعند الناس بعون الله تعالى طه ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى اعلم ايها السايل بانك تظفر على اعدآئك وتصل الى مرادك وفي
هذا الامر نعمة وبشارة في الدنيا والآخرة وعاقبتك محمودة ى يد الله فوق
ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه فقد فتح الله عليك باب الغنى وقد
استقام امرك من كل بلية وصار الى الصلاح فاحمد الله تعالى فان في هذه
النية السرور واذهب الله عنك الحزن انه هو الملك الغفور ك وكنتم
على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ببلوغ المسايل كنت في امر تخيب قد
اسس على الهلاك وقد نجاك الله منه فاحمد الله تعالى وذلك قربانا واكسي عريانا
تدفع عنك الآفات وقد خرجت من الجفا الى الصفا ببركة المصطفى فاشكر الله
تعالى على نعمايه انه مجيب ل لقد سمع الله قول الذين قالوا ابشر ببلوغ الآمال بانك
قد وصلت الى مرادك فلا تعجل في امرك واصبر واحذر من اهل العواقب وكن
بعيدا عنهم ولا تفش سرك لاخيك ولا لاحد من الناس فانهم لا يريدون لك
خيرا واجتهد على طاعة الرحمن واخلص نيتك مع مولاك ظهرا ولا لك من البشر
سوالك ومن كل داء شفاك وفي كل حال كفاك وتوكل على الله فان في هذا الامر
اتمام كل عيب ولا تخف ولا تحزن قد وصلت الى مقصودك والعاقبة للمتقين
ولا عدوان الا على الظالمين م مزدجر حكمة بالغة اخلص نيتك مع الله
هو فالق الحب والنوى فان اصحاب رسول الله رادوا لكل امرء ما نوى ايها

السايل ارجع من هذا الامر وتب الى الله بالاخلاص حتى تخرج نفسك الى الخلاص
وتجد من كل هم وغم خلاص ولات حين مناص ولله عاقبة الامور ن نصر من
الله وفتح قريب قد جاء النصر والفرج وزال عنك الهم والترح واقبل السرور
والفرج ان في نيل ايامك وصولا ورحمة ونعمة وحصول ما تشتهي من مرادك
فهو موصول فاشكر الله تعالى على كل حال ونعمة حتى تذهب عنك كل محنة فاستعن
بالله انه سميع عليم س سفرا قاصدا ولكن بعدت عليهم الشقة اعلم ايها
السايل انك سالتني عن امر صعب لا تصل اليه الا بعد ان تخرج الى سفر في
حفظ الله تعالى واخلص نيتك مع الله تعالى فانه يسرك وتفرح به وتظفر
بحاجتك ع عسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اعلم ايها السائل ان هذه النية
لا تفيدك الا بالهلاك والشدة وليس فيها الا العنا والتعب فاستغفر الله
عن هذه النية وطهر قلبك مع الله والله تواب رحيم ف ففروا الى الله اني لكم
نذير مبين سالتني عن امر سهل فاسال حاجتك من الله فانها مقضية عنده
انه على كل شي قدير وبشارة في هذا الامر قد خرجت من الظلمات الى النور بعناية
الملك الغفور ص ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اعلم ايها السائل
ان حاجتك مقضية عند الله تعالى من غير تعب ولا نصب وكلما تريده
تناله من الخير فاطلب فان طلبها خير وراحة ق ق والقرآن المجيد اعلم
نيتك هذه لا تصل اليها وان اجتهدت اتعبت نفسك في امر لا تنال
منه الا المشقة والتعب اتركه فانه لا خير فيه واصبر وتوكل على الله تعالى
فان في الصبر نجاة ونيل المرام ونعمة وسعادة وعاقبتك محمودة ر الرحمن
علم القرآن خلق الانسان علمه البيان اعلم ايها السايل انك قد سالتني
عن امر سهل قريب واعلم ان هذه النية خير وراحة فلا تتوانا فان في
التواني آفات للمرء ش شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا اعلم ايها
السايل انك استغلت بالامر لا ترى فيه ما تحب وفيه ذل ومشقة فلا
تطلبه واتركه ففي تركه خير وسعادة وان طلبته لا تنال الا الصعوبة
فاتركه وتوكل على الله فان بعد العسر يسرا ت اتى امر الله فلا تستعجلوه اعلم
ايها السايل انك سالتني عن امر صعب ان صبرت ظفرت وان استعجلت
ندمت ففيه خوف وشر فاصبر وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
ث واذا ما وقع القول عليهما اعلم ايها السايل ان امرك عاجله وبشارة
في آخره وراحة فابشر فان الفرج قد قرب خ ولا تكن للخاينين خصيما واستغفر
الله اعلم ايها السايل انك سالتني عن حاجة ان اردت ان يقضى لك هذا
الامر فاخلص قلبك مع الله تعالى وتصدق فانك تصل الى مرادك فان خير
الاشيا في نية الخير ذ وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شي قدير
ارجع ايها السايل عن هذا الامر فانك تندم في الحال فان في النية ذلة وتعبا

كثيرا اخلص نيتك مع الله تعالى حتى تكون من المخلصين من وخلق الانسان
ضعيفا ابشر ايها السايل فان الله قد اخرجك من الظلمة الى النور فاسال
الله حاجتك فان وصول الخير قد قرب ووصلت الى مرادك وراحة وعن في
هذا الامر ط وظاهروا على اخراجكم اتق الله ايها السايل في هذا الامر ولا تخرج
من امره فان في هذه النية صعوبة وشرا وآفات فاتق الله تعالى واخلص
نيتك لعل الله تعالى ينجيك من الآفات ومن كل هم وغم والعاقبة للمتقين
غ ولا يغتب بعضكم بعضا اعلم ان نيتك نية المنافقين فاستغفر الله
وتوكل عليه ان الله يحب المتوكلين وقال الشيخ عبد الرحمن الانطاكي البسا
البسطامي رحمه الله تعالى في كتابه الدرة الناصعة في كشف علوم الجفر
الجامعة فايدة اذا اراد مريد العمل بالفال عن اشارة الحال فليجمع همته عن
اللهو وخاطره عن السهو وليقل بقلب حاضر ولسان شاكر اللهم بين لي
فالي في امر كذا وكذا وما يكون على لسان بعض مخلوقاتك واشارة حال موجوداتك
ثم يصغي الى ما يتحرك من ناطق الوجود باذن الملك المعبود وما يحدث فيه من
حس طاير وصياحه وكلام انسان وصراخه او عبور دابة او انسان او
نباح كلب وحيوان او هلال يلوح او مسافر بفوح او حس طبل ومزمار او
ضرب عود واوتار وغلام صبيح او كلام مليح او رقص وغنا او سرور وهنا
او شيء من المحسوسات الموبقات او المسموعات الحادثات واول حادث يكون
هو المراد لا الثاني ثم يرسم حروف ذلك اللفظ او اسم الدابة او اللحظ او صورة
الحادث او فعل الطاير او اسم حس المحسوس وصفة التاثير ثم تفصل الحروف
على النمط المعروف اعني ان تفصل اعدادها وتقيم منها حروفا اخر والتفصيل
يكون بالثلث وبالربع وبالخمس الى العشر ولا يكون بالنصف لان النصف
حروفه متكررة مثلا العشرة كل نصف منها خمسة وقيل ان العدد الاصم
يترك على حاله وهو ما لا كسر له طبيعيا كالاحد عشر فان اجزاءه لا توصف بالنصف
والثلث الى العشر وانما يقال له جزء من احد عشر او جزآن من احد عشر الى
اخره ويقال للاصم بسيط ايضا وللاول عدد منطق لان اجزاءه تنطق
عن النصف والثلث والربع الى العشر وها انا اضع لك تفصيل الحروف
على ما ذكرنا

ي	ط	ح	ز	و	ه	د	ج	ب	ا
بح	بز	بو	دج	بد	بج	اج	اب	ب	ا

ق	ص	ف	ع	س	ن	م	ل	ك
مس	حزو	اطع	يس	كم	كل	يل	يك	دي

غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت	ش	ر
قرد	قضر	كاذز	قخع	رت	قث	كاغش	قر	لعق

انتهى كلامه وانا ازيدك بيانا في تعريف العدد الاصم والمنطق فاقول

قال علماء الحساب ان الكسر على قسمين منطق واصم فالمنطق هو الذي يمكن التعبير
عنه بغير لفظ الجزئية كالواحد من العشرة فيقال فيه عشر وجزء من عشرة
والاصم هو الذي لا يمكن التعبير عنه بغير لفظ الجزئية كجزء ومن احد
عشر وللمنطق تسعة اسماء هي النصف والثلث والربع والخمس والسدس
والسبع والثمن والتسع والعشر وللاصم اسم واحد وهو الجزء وقد
وضع قطب زمانه الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن علي الشهير بابن الشماع الحموي
الاصل الحلبي الوطن تغمده الله والمسلمين برحمته وترا يقال انه استخرجه
من الزايرجة السبتية غير انه لم يخرج منه كل سوال بعينه وانما يخرج
منه احد وعشرون بيتا على سبيل التفاول ووضع ذلك في خمس دواير بها
حروف مقطعة وجعل سطورا متصلة بالدواير فيها وفي الدواير
حروف مقطعة ايضا يستخرج الفال منها كما تراه فحليت هذا الوتر
واستخرجت ابياته بحيث لا يحتاج السايل الى لقط الحروف بالعدد لاستخراج
بيت منها والابيات التي استخرجتها هي هذه على ما في بعضها من كسر
ونرحاف فاولها ارى الرشد في امر تروم حصوله وحقا تراه عند مستقبلا
مثل الاول

اصبر على الامر لا تامله من طمع   واقصد سواه فهذا لا يتم ولا
يتم لقصدك واظفر نلت عاقبة   من حاجة نلتها بالعز ضمن علا
لا تقصدن فيها لكم ضرر   دع ما تروم واخلص يا فتى عملا
يكمل الله هذا الامر في دعة   فاشكر الهك واحسن بالتقى عملا
تروم امرا عظيما لست تدركه   باليسر انما بعسر بعضه حصلا
ابشر بنجح امور انت مدركها   عما قليل ولا تضجر وخذ املا
لا شيء تدركه من هذا فلا ترمن   شيئا فعلت ولا تدركه قط ولا
الامر يوقف في هذا على عمل   يزيله عالم قد اوضح السبلا
كنوز مطلوبكم ضاعت مفاتحها   فاصبر وحاول سواه واتخذ بدلا
سوابغ في صدور القصد يدفعها   يزيله الغم يا هذا فكن رجلا
تروم مجدا اثيلا انت نايله   في باطن الغيب يبديها الجليل علا
انا له نا قريب والشفا عجل   والخير يحصل هذا القصد قد كملا
لو ملت شيئا عن المامول جلتفتا   عما تروم من الموهوم نلت علا
تروم عزا عليا من منزلة   وانت في قصدها كسلان كن رجلا
اسعا الى غير هذا الامر تلق هنا   هذا عزيز فلا تقصده قط ولا
حرر موازين قصد انت طالبه   لا انت منه قريب فضل العلا
دع عنك هذا الذي يممت غايته   الله خير فكن بالله مشتغلا
ارا الدنيا لقرب مما رمت في دعة   والخير من واهب الخيرات قد حصلا

حاجة م

الصبر خير لذي فضل وذي ثقة   تالله والله ما قد شاده فعلا
وطريقة العمل بذلك ان تاخذ عدد اسم السايل وعدد يوم السوال وعدد
اسم يوم الشهر وعدد السوال وعدد الطالع وتجمع الجميع ثم تسقطه واحد
وعشرين بعد احد وعشرين الى ان يبقى معك احد وعشرون فما دونها الى
الواحد فالجواب هو البيت المقابل لذلك الباقي بعد الاسقاط واعلم ان
اول الابيات للباقي الذي قدره احد وعشرون واخرها للواحد فيتقط
لبلا تزول المرقوم التي في مقابلة الابيات فتظن ان البيت الاول للواحد
من العدد الباقي والثاني للثاني منه الى الاخر وقد ذكر لي من شاهدته
يجل السنبيه ان اخذ الطالع ليس بلازم وكذا رايت في بعض رسايل
هذا الفن والظاهر ان اخذ الطالع يوكد صحة الجواب والله اعلم ووجدت
في بعض كتب النجوم في معرفة الطالع بالحساب ما صورته اذا اردت ان
تعلم ما الطالع اي يوم كان فخذ ما مضى من ساعات النهار واضربه في خمسة
عشر اصلا مستمرا فما بلغ فرد عليه ما سارت الشمس في برجها يومئذ
درجا فما اجتمع فاطرحه على ثلاثين ثلاثين لكل برج وابدا بالبرج الذي
فيه الشمس يومئذ فما بقي دون الثلاثين فهو البرج الطالع وقد مضى منه
عدد ما بقي في يدك درجا والله اعلم مثال ذلك اذا كان قد مضى من النهار
ثلاث ساعات فتقول ثلاثة في خمسة عشر خمسة واربعين ثم تزيد عليه
ما سارت الشمس في برجها وهي يومئذ في الحمل لها فيه عشرون يوما فيصير
الجميع خمسة وستين فالستون برجا الحمل والثور والخمسة خمس درج
في الجوزا فتقول قد طلع من الجوزا الان خمسة درج والله اعلم فهذا اصل
لا يتغير ابدا والشيخ شمس الدين الشماع المتقدم ذكره انفا صاحب الوتر
المذكور كان صاحب الحال والقال ولم يكن له في زمنه مثال وكان سالكا
سلوك اهل الطريقة والشريعة والحقيقة وكان ذا ثروة فقيل له اهذه
الثروة من الكيميا قال لا وانما اعطاني رجل في سياحتي ثلاثة فلوس فاعطيت
منها فلسا لبعض اصحابي وضاع منها فلس وبقي معي فلس ثروتي منه
وذكر له الحافظ السخاوي ترجمة عظيمة في كتابه الضوء اللامع في اعيان
القرن التاسع منها انه ولد بحماة في مستهل سنة احدى وتسعين وسبعماية
واستوطن حلب في سنة ثلاثين وثمانماية متصديا لتربية المريدين
وارشاد القاصدين وانه دخل العجم حتى العراق ورايت في مكان انه دخل الهند
وساح ولقي العلما والاوليا واخذ عنهم وسياتي شي من اخباره ومناقبه
واما الطيرة فقال زين العرب في شرح المصابيح هي ماخوذة من زجر
بالطير وهو ان عادة العرب ان الواحد منهم اذا ذهب في حاجته فان طار
طير او جا صيد بحيث يكون جانب يسار ذلك الطير والصيد اليه يعد ذلك

السفر حسنوما وان كان جانب يمين ذلك الطير والصيد اليه يعد ذلك
السفر مباركا فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الطيرة ورخص في
الفال يعني لو راى الشخص شيا يظنه حسنا ويحرضه على طلب حاجته وتمامها
فليفعل ذلك وان راى ما يعده ميشوما عن المضي بحاجته فلا يجوز قبوله
ولا يرجع عن اتمام شغله بل ليمض الى شغله ولا يلتفت الى ذلك انتهى فاصل
الطيرة ما ذكر من زجر الطير وقد تكون بالتشام بغير الطير كما سياتي
والزجل العيافة وهو ضرب من التكهن تقول زجرت انه يكون كذا وكذا ذكره
الجوهري فمن ذلك ما حكاه صاحب سنا الامارة ان عبد الله بن طاهر
خرج يوما متنزها في ظاهر بغداد اذ عارضه اعرابي على ناقة له فلما نظر اليه
عبد الله قال اللهم اري الاعرابي قاصدنا امادحا فاذا سلم بالامارة فردوا عليه
اجمعون حتى لا يعرف اينا الامير فاقبل الاعرابي حتى دنا منهم فقال السلام
على الامير فقالوا باجمعهم وعليك السلام فقال الا زلتم بخير وكان عالما بزجر
الطير والفال فاطرق ساعة ثم رفع راسه وتصفح وجوه القوم ساعة
ثم التفت الى الكاتب فقال

اري كاتبا زهو الكتابة بين   عليه وتاديب العراق منير
لحركات قد حكمن بانه   عليم بتقسيط الخراج بصير

ثم التفت الى الوزير فقال

ومظهر نسك ما عليه ضميره   يحب الهدايا بالرجال مكور
اظن به جبنا وبخلا وسمته   يخبر عنه انه لوزير

ثم التفت الى النديم فقال

وانت خليل للامير ومونس   يكون له بالقرب منك سرير
اخالك للاشعار والشعر راويا   فانت نديم تارة وسمير

ثم التفت الى عبد الله بن طاهر وقال

وهذا الامير المرتجى سيب كفه   فليس له فيمن رايت نظير
عليه رداء من جلال وهيبة   ووجه بادراك النجاح منير
لقد عصم الاسلام منه بذايل   به عاش معروف ومات نكير
الا انما عبد الاله بن طاهر   لنا والد بر بنا وامير

قال فضحك عبد الله بن طاهر والقوم وغضب الوزير لما نسبه اليه من
البخل فقال عبد الله يا اخا العرب ما رايت اصدق فراسة منك وما اظنك
الا ابليس فقال الاعرابي ما اقرب ما حدس على الامير لست بابليس وانما
انا قرابة فضحك وامر له بجايزة والف دينار فاخذها وانصرف ومما ورد
في الطيرة ما حكاه صاحب نشر الدر فيه عن ابرهيم بن المهدي انه قال لما
حضر طاهر المدينة يعني بغداد كنت معه فدعاني ليلة فقال اما ترى طيب هذه

الليلة وحسن القمر وضوءه في الماء فقلت له انه لحسن فاشرب فشرب رطلا وسقاني مثله وابتدات وغنيت بما اشتهاه علي فقال لها هلك فيمن تقرب عليك فقلت ما استغني عن ذلك فدعا بجارية يقال لها ضعف فتطيرت من اسمها فلما جاءت قال لها غني فغنت

كليب لعمري كان اكثر ناصرا … وايسر ذنبا منك ضرج بالدم

فاشتد عليه ذلك وعلي فقال لها غني غير هذا فغنت

ابكي فراقهم عيني وارقها … ان التفرق للاحباب بكاء
ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم … حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لعنك الله اما تعرفين من الغناء غير هذا فقالت ما تغنيت الا بما كنت تحبه ثم غنت

اما ورب السكون والحرك … ان المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا … دارت نجوم السماء في الفلك
الا لنقل السلطان من ملك … عان بحب الدنيا الى ملك

فقال لها غضب الله عليك قومي فقامت وكان له قدح بلور حسن يحبه فعثرت به فكسرته فقال لي ما ترى ظن امري قد قرب فقلت بل يطيل الله بقاك ويكبت عدوك فسمعنا قايلا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال اما سمعت يا ابرهيم قلت ما سمعت وكنت قد سمعت وكان اخر عهدي به وفي الكتاب المذكور ان رجلين دخلا على عايشة رضي الله عنها فقالا ان ابا هريرة رضي الله عنه يحدث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الطيرة في المراة والدار فطارت شفقا وقالت كذب والذي انزل القرآن على ابي القاسم عليه الصلاة والسلام انما قال كان اهل الجاهلية يقولون ان الطيرة في الدابة والمراة والدار ثم قرات ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها انتهى واما علم الفراسة التي هي من اصول التعبير وهي بكسر الفاء لا الفتح فقد صنفت فيه كتب وهو علم نفيس قال محمد بن ابي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي رحمه الله تعالى في اوايل رسالته في الفراسة ما ملخصه ان الدليل على فضيلة هذا العلم من كلام الله تعالى ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن العقل فاما الدليل من كلام الله تعالى فقوله تعالى في اواخر سورة الحجر ان في ذلك لايات للمتوسمين واما الدليل من العقل فان الانسان لا ينفك عن مخالطة الناس فالخير والشر فاش فيهم فاذا كانت هذه الصناعة تفيدنا معرفة اخلاق الناس في الخير والشر كانت المنفعة بها جليلة وقال واصوله مستندة الى العلم الطبيعي وتفاريعه متقررة بالتجارب فكل طعن يذكر في هذا العلم فهو متجه على علم الطب وينقسم هذا العلم على قسمين احدهما ان يحصل خاطر في القلب بان هذا الانسان من صفته كيت

وكيت

كيت من غير حصول امارة جسمانية ولا علامة محسوسة والسبب فيه ما ثبت ان جواهر النفوس الناطقة مختلفة بالماهيات فمنها ما يكون في غاية الاشراق والتجلي والبعد من العلايق الجسمانية ومنها ما لا يكون كذلك وثانيهما هو الاستدلال بالاحوال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وهذا هو حد الفراسة وهو علم يقيني الاصول ظني الفروع وسيل بعض الصوفية عن الفرق بين هذين القسمين فقال الظن يحصل بتقلب القلب في الامارات والفراسة تحصل بتجلي نور رب السموات فالقسم الاول فراسة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء الكرام ومن ذلك تعبير يوسف ومحمد عليهما الصلاة والسلام وتعبير ابي بكر وعمر وخارجة وابن سيرين فيما تقدم رضي الله عنهم وتعبير غيرهم من الاولياء نفعنا الله بهم اقول وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال اردت زيارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرايت في طريقي امراة جميلة فاطلت نظري اليها ودخلت على عمر فسلمت عليه فنظر الي مغضبا وقال اما قلنا لا يدخل علينا احد وهو زان فقلت يا امير المومنين اوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن المومن ينظر بنور الله وفي اداب السياسة ان الفراسة ادراك الشي على حقيقته وهي على ثلاث مراتب بالنظر والسمع والعقل واجل من ذلك الكشف لمن اوتيها فتكون فراسته غايبا وحاضرا واما ما يفتح منه الفراسة فيحكى عن شاه الكرماني انه كان حاد الفراسة وقلما تخطي فراسته وكان يقول من غض بصره عن الحرام وامسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه اكل الحلال لم تخطي فراسته والقسم الثاني الفراسة التي يجري فيها التعليم والتعلم كالاستدلال بالخطوط التي بالاكف والاقدام والتي في اكتاف الضان ودلالتها على الحروب والجدب فقط ويسمى علم اللوح وعلم الكتف ويأتي تفصيله بهذا الباب وكالقيافة وهي الحاق الولد باحد رجلين كل منهما يدعيه لنفسه وتسمى قيافة البشر لانها تعرف بمشابهة بشرات الناس وجلودهم واعضايهم خصوصا الاقدام وهي موجودة في قبايل معينة من العرب منهم بنو اسد ومنهم بنو مدلج بضم الميم واعرف الناس بنو كرز من خزاعة وقد تقدم شي من ذلك في الباب السادس في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكالريافة وهي تعريف الرايف بالماء المستكن في الارض قريبا او بعيدا بشم رايحة تراب تلك الارض او رؤية نبات وكالعيافة بالعين المهملة والفاء هي تتبع آثار الاقدام والاخفاف والحوافر في الطريق القابلة وهي الارض التي تتشكل بشكل ذلك فيحصل بذلك معرفة الاماكن التي ذهب اليها الهارب من الناس

والحيوان ومنها ماهو زجر وقد تقدم ان الزجر العيافة وانه ضرب من التكهن
فمن العيافة التي تلحق الزجر ما اخبر المدايني عن ابن ابي ليلى قال تمارت الجن
ايهم اعيف فاتوا بني اسد فوجدوا الحي خلوا فقالوا ابعثوا معنا
من يخبرنا عن لقاح ذهبت لنا فقال النساء ليس عندنا غير هذا الغلام فان
شئتم لنا ان تردوه علينا بعثنا به معكم ففعلوا فلما خرجوا راى الغلام عقابا
فبكى فقالوا ما يبكيك قال رفعت جناحا وخفضت جناحا وحلفت بالله
صراحا ما انتم بانس ولا تطلبون لقاحا فردوه والحاصل ان القيافة والزجر
والعيافة شي واحد من حيث الاستدلال بها على ما ذكر غير ان بعض طوايف
العرب المختصين بذلك قد اشتهر ببعض هذه الانواع مع اشتراكه بالبقية
ومن الاستدلال بخطوط الكف والاقدام

ومن الاستدلال بكتف الضان ما ذكر في الدرة الناصعة انك اذا اخذت
لوح الكتف لتنظر فيه فان رايته صافيا فيكون من المعز وان رايته متغير ابين
البياض والخضرة والسواد والغبرة فاعلم انه ضان وان كان اسود مظلما
فان ذابحه غلام امرد وامراة او رجل جنب ويكون اشارة الى غم شديد
يكون للناس وان كان اصفر فانه علامة ريح شديد تحدث وان كان بين الحمرة
والصفرة فانه يكون بالناس مرض شديد ووباء وان كان نمشا محببا فانه
اشارة الى شر وقتال يقع بين الناس وان كان احمر شديد الحمرة فانه اشارة
الى دم يراق وان كان ابيض صافيا املس نقيا فانه اشارة الى امان ورخاء
وصلح وفرح وهدو بين الناس وسرور داخل عليهم والله اعلم ومن الفراسة
التفرس في الانسان اذا اشبه بعض الحيوان او الطير في شي من صفاته او
شي من طبايعه بان يحكم عليه بطباع ذلك الحيوان او الطير المنسوب اليه ذلك
الطبع او تلك الصفة ومن هذا ما قيل في النساء انهن على عشرة اصناف بسبب

مشاركتهن

مشاركتهن لبعض الحيوانات والطيور في طباعها واوصافها فالاول كالخنزير
وهي التي لا تحسن غير الاكل وحشو البطن وكسر الآنية ولا تبالي الى اين مضت
ولا تهتم بالدين والصوم والصلوة ولا تفتكر الموت والوعد والوعيد والثواب
والعقاب والامر والنهي بل تكون غافلة عن ذكر الله تعالى ورضاه وسخطه
ولا تشتغل بحفظ الاولاد وتاديبهم وتلبس الثياب القذرة وتظهر الرايحة
الكريهة منها والثانية كالقرد وهي التي عادتها وهمتها في لبس الثياب
الملونة واللولو والجواهر والتحلي بالذهب والفضة وتفتخر على اترابها وتعظم
منزلتها عند زوجها والثالثة كالكلب وهي التي اذا كلمها زوجها وثبت
اليه وصاحت عليه وخاصمته وهرت عليه كالكلب ومتى انقرض
كيس زوجها ما دونا من الذهب والفضة وبيته مشحونا من الخير والنعمة
والحنطة اكرمته وتقربت اليه وقالت روحي لك الفدا وما اشبه ذلك
من التملقات كالكلب ومتى كانت حالته بخلاف ما ذكرناه وثبت كالكلب
في وجهه وشتمته ونقصت بحسبه ونسبه وعيرته بالفقر والرابعة
كالحية وهي التي لين لمسها قاتل سمها والخامسة كالبغلة وهي التي عادتها
كالبغلة على الجسد لا تبرح تضرب من قرب منها وتكون لجوجة منفردة برايها
معجبة بنفسها والسادسة كالعقرب وهي التي تدور في بيوت الجيران
بالنميمة والغمز والتتبع لاحاديثهم لتنم بها وتوقع بينهما العداوة
والخصومة مثل العقرب اينما وصلت ضربت والسابعة كالفارة وهي
المراة السارقة التي تحل كيس زوجها وتسرق منه وتسرق من بيته وتخبيه
في بيوت الجيران والثامنة كالطير وهي التي تدور طول نهارها ولا تستريح
من دورانها وتقول لزوجها اين تمضي ولا شك انك ما تريد لي وانك تحب
غيري ولست معي مستقيما ولا علي مشفقا والتاسعة كالثعلب وهي التي
تخرج زوجها من البيت وتنام وتعلل نفسها واذا دخل البيت له باب
الخصومة وابتدأته بالانتقاد وتقول له تركتني بالبيت وحيدة مريضة
والعاشرة كالغنيمة وهي المباركة الرحيمة كل شي منها فيه منفعة كذلك
المراة الصالحة الكثيرة النفع لزوجها وقرابتها وقرابته وجيرانها واولادها
المطيعة لله تعالى والذيب للتجار والثعلب للفقراء المخادعون والضان
المؤمن ينهشه كل من راه انتهى وسياتي بالباب الحادي والسبعين تشبيه
بعض الانسان ببعض الحيوانات كحرص الخنزير وصبر كصبر الحمار وتملق كتملق
الهرة ومن الفراسة الحكم على العيون فاذا كان الخال على النغم كان صاحبه
مغبوطا به ابدا واذا كان بين العينين لم يمت صاحبه حتى يحوز بانسان
يقتله واذا كان على الحاجب والاشفار لم يزل صاحبه ينظر في خير ابدا وان
كان على الشفة كان صاحب شراب وان كان في الحلق كان معطا وان كان

في العضد لم يزل ذا عضد من مال وقرابة وان كان في الظهر كان ذا ظهر من مال وولد وان كان في البطن كان مبطونا ذا اولاد واذا كان على الكشح لم يزل بارايه كاشح حيث ينظر اليه وان كان على ظهر الكف كان ممسكا وان كان في باطنها كان متلافا وان كان في الارفاغ والمذاكير فهو كثير الجماع وان كان في الالية لم يزل مجهولا وان كان تحت القدم فكذلك وان كان على اللسان فانه يلغ دما

الفصل السادس في اداب الاكل اقول هذا الفصل يحتوي على احاديث ولغات وربما ورد بعض احاديثه بلفظ آخر في المصابيح او في غيره فسنح لي ان اذكر ما اقف عليه من حديث ولغة تتميما من كلام الفقيه وافرق بين قوله وبين ما اذكره بقال واقول والله الموفق

الاكل احد الاطيبين والاخر الجماع قال الفقيه رحمه الله تعالى يستحب غسل اليدين قبل الطعام وبعده فان فيه بركة وروى زاذان عن سلمان قال قرات في التوراة الوضوء قبل الطعام بركة فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الوضوء قبل الطعام وبعد الطعام بركة يعني غسل اليدين اقول وفي المصابيح ان سلمان قال قرأت في التوراة ان بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده ثم قال الفقيه ولا ياكل طعاما حارا لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابردوا بالطعام فان الحار غير ذي بركة ولا يشم الطعام فان ذلك عمل البهائم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تشموا كما تشم البهائم ولا ينفخ في الطعام والشراب فان ذلك من سوء الادب وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان ينفخ في الطعام ويتنفس فيه ويأتي في الفصل التاسع من هذا الباب النهي عن التنفس في الاناء والنفخ فيه وفي الشراب واذا بدأت فقل بسم الله وليكن طعامك من حلال لانه يقال من كان طعامه من حرام فاذا قال بسم الله يقول الشيطان كلا اني كنت معك حيث اكتسبته فاني شريكك فيه فلا افارقك الان واذا كان طعامك حلالا وذكرت بسم الله هرب الشيطان منك واذا لم تسم شاركك فيه وذلك قوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد واذا قلت بسم الله فارفع صوتك حتى تلقن من معك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اكل احدكم طعاما فليذكر اسم الله عليه وليأكل بيمينه واياكم والذروة فان البركة تنزل من اعلاها اقول الذروة بالذال المعجمة مكسورة وراء ساكنة واحدة الذرى بضم الذال وفتح الراء وهي اعالي الشيء ثم قال الفقيه ولا ياكل احدكم بشماله فان الشيطان ياكل ويشرب بشماله واذا وضعت مائدة بين يدي احدكم فلا يقم حتى ترفع واجتمعوا على طعامكم يبارك

لكم

لكم هذا كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروت عايشه رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اكل احدكم طعاما فليقل بسم الله في اوله فان نسي فليقل في اخره اقول وفي المصابيح انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم فنسي ان يذكر الله على طعامه فليقل بسم الله في اوله واخره ثم قال الفقيه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا دخل الرجل بيته فاكل ولم يسم اكل معه الشيطان فان ذكر اسم الله منع الشيطان عن بقية طعامه ويتقيا ما اكل ويستانف طعاما جديدا اقول وفي المصابيح ان رجلا كان ياكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه الا لقمة فلما رفعها الى فيه قال بسم الله اوله واخره فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ما زال الشيطان ياكل معه فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه قال بعض الشراح اي صار ما كان حظا له من الطعام على الوجه الذي ذكرناه مستردا مستلبا عنه بالتسمية وهذا تاويل على سبيل الاحتمال غير موثوق به انتهى ثم قال الفقيه ومن السنة ان ياكل بيمينه لما روى اياس بن سلمة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى رجلا من اشجع ياكل بشماله فقال له لا استطيع فقال لا استطعت قال فما وصلت يده الى فيه ومن السنة ان لا ياكل الطعام من وسطه روى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تنزل البركة في وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تاكلوا من وسطه اقول قال في المغرب الوسط بالتحريك اسم لعين ما بين طرفي الشي كمركز الدايرة وبالسكون اسم مبهم لداخل الدايرة مثلا ولذلك كان ظرفا فالاول يجعل مبتدا وفاعلا ومفعولا به وداخلا عليه حرف الجر ولا يصح شي من هذا في الثاني تقول وسطه خير من طرفه واتسع وسطه وضربت وسطه وجلست في وسط الدار وجلست وسطها بالسكون لا غير ويوصف بالاول مستويا فيه المذكر والمونث والجمع والاثنان قال الله جعلناكم امة وسطا وفي مسئلة الجامع لو قال علي ان اهدي شاتين وسطا الى بيت الله او اعتق عبدين وسطا

وقد بني منه افعل التفضيل فقيل للمذكر الاوسط وللمونثة الوسطى قال تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم يعني المتوسط بين الاسراف والتقتير وقال تعالى والصلاة الوسطى انتهى ثم قال الفقيه وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تاكلوا الطعام من فوقه فان البركة تنزل من فوقه ولا تاكلوا الطعام من فوقه فان البركة تنزل من فوقه فان قيل روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اكل وسط الطعام فقال كل البركة ولا ادعها قيل له احتمل انه فعل ذلك بعد ما اكل حافتيه اقول وفي المصابيح انه صلى الله عليه وسلم قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه قال الشارح الغرض من كيل الطعام معرفة مقدار ما يصرفه الرجل على عياله وما يستقرض وما يبيع ويشتري فانه

ان لم يكله يكن ما يبيعه ويشتريه ويقرضه ويستقرضه مجهولا ولا يجوز في العرض الجهالة واذا لم ياكل ما ينفق على عياله وربما يكون ناقصا عن قدر كفايتهم فيكون النقصان ضررا عليهم وربما يكون زايدا فتكون الزيادة اسرافا واذا اكتال يعرف ما بقي لتمام السنة مما ادخره ولهذا كله امر عليه الصلاة والسلام امته بكيل الطعام ليكونوا على علم ويقين على ما يعملون فمن راعى سنته عليه الصلاة والسلام وجد البركة العظيمة في الدنيا واجرا عظيما في الاخرة انتهى ملخصا والمراد بالطعام هنا البر ويلحق به ما يدخر في البيوت للنفقة على العيال مما يكال او يوزن ويقال من اراد ان ياكل ما يدخره فلياكله بالكيل والميزان او العدد والا فالمدخر ياكل صاحبه بان يفرغ على غفلة فيتحير ولا يقدر على استخلافه قال الفقيه ومن السنة ان يلعق اصابعه قبل ان يمسح بالمنديل وتركه من امر العجم وامر الجبابرة وكذلك لعق القصعة اى تركه من امر العجم والجبابرة ويقال ان القصعة تستغفر لمن يلحسها اى يلعقها وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي الذين يلعقون اصابعهم وروى عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اكل احدكم فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه وروى جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلعق الاصابع والصحفة وقال انكم لا تدرون في اية البركة اقول كذا في المصابيح والصحفة بفتح الصاد المهملة وسكون الحاء المهملة واحدة الصحاف بكسر الصاد وهي قصعة بفتح القاف كبيرة منبسطة تشبع الخمسة كذا في المغرب ثم قال الفقيه وعن عبد الله بن ابي زيد قال رايت ابن عباس رضي الله عنه يلعق اصابعه اذا اكل اقول وفي المصابيح كان صلى الله عليه وسلم ياكل بثلاث اصابع ويلعق يده قبل ان يمسحها قال في الصحاح لعقت الشيء بالكسر العقه لعقا اى لحسته ثم قال الفقيه وروى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم فلا يمسح حتى يلعق ما فاته فانه لا يدري في اى طعام يبارك له ومن السنة ان ياكل ما سقط عن المايدة لما روى حجاج السلمي ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكل ما سقط من المايدة لم يزل في سعة من الرزق ووقي الحمق عنه وعن ولده وولد ولده وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سقط لقمة احدكم فلياخذها وليمط عنها الاذى وياكلها ولا يتركها للشيطان اقول وفي المصابيح عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان يحضر احدكم عند كل شيء من شانه حتى يحضر عند طعامه فاذا سقطت من احدكم اللقمة فليمط ما كان بها من اذى ثم لياكلها ولا يدعها للشيطان فاذا فرغ فليلعق اصابعه فانه لا يدري في طعامه تكون البركة انتهى والمراد من الاذى ما لم يكن

نجسا فان كان نجسا فلا يجوز اكله بل يطعمه لهرة او كلب ثم قال الفقيه ومن السنة ان لا يجمع بين الفاكهة الثفل في طبق واحد وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الجمع بين التمر والنوى على طبق واحد ومن السنة ان يحمد الله تعالى اذا فرغ من الاكل وروى ابو بكر الهذلي عن عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان في الطعام اربع خصال فقد كمل شانه اوله اذا كان من حلال واذا اكل ذكر اسم الله عليه ثم يكثر عليه الايدي واذا فرغ منه يحمد الله تعالى والاصل في التحميد ما ذكره الكسائي في قصصه ان ادم عليه السلام اول شيء اكله في الجنة العنب فلما فرغ فقال الحمد لله فقال الله تعالى لهذا خلقتك وهو سنة لك ولولدك الى اخر الدهر وفي المصابيح انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه واذا سقي لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب الا اللبن قال الشارح اى لا يدفع الجوع والعطش كليهما معا شيء واحد الا اللبن ثم قال الفقيه ولا ينبغي ان يرفع صوته بالحمد الا ان يكون جلساؤه قد فرغوا من الاكل لان في رفع الصوت منعا لهم عن الاكل ولا يستحب له ذلك ويستحب ان يبدا الطعام بالملح ويختم به فان ذلك من السنة ويقال فيه شفاء من سبعين داء ويستحب ان ياكل الطعام مما يليه اقول وفي المصابيح ان عمر بن ابي سلمة قال كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بيمينك وكل مما يليك وقال في المغرب حجر الانسان بالفتح والكسر حضنه وهو ما دون ابطه الى الكشح وهو ما بين الخاصرة الى الجنب ثم قالوا فلان في حجر فلان اى في كنفه ومنعته ومنه قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم وام عمر هي ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فكان عمر في حجره عليه الصلاة والسلام وربيبه وطاش السهم عن الهدف اى عدل عنها اى كانت يده تعدل عن المكان الذي يليه الى غيره من الصحفة فامره عليه الصلاة والسلام ان ياكل مما يليه ثم قال الفقيه والاجتماع على الطعام افضل من الفرادى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال شر الناس من اكل وحده وضرب عبده ومنع رفده ويحتمل ان شر الناس فعل شيئا من هذه الثلاثة بغير سبب الرفد بكسر المهملة وسكون الفاء العطاء ويقال احب الطعام الى الله تعالى ما كثرت فيه الايدي ويكره للانسان ان يكثر الاكل حتى يملا بطنه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه وان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ويقال في قلة الاكل منافع كثيرة منها ان يكون الرجل اصح جسما واجود

حفظا واذكا فهما واقل نوما واخف نفسا وفي كثرة الاكل تخمة وتتولد منه
الامراض المختلفة ووبالا اذا كانت العلة من قلة الاكل صحت بمؤنة قليلة
واذا كانت العلة تولدت من كثرة الاكل تحتاج الى مؤنة كثيرة وقال بعض الحكماء
ثلاثة اصناف من الناس يبغضهم الناس من غير ان يكون لهم منهم اذى
البخيل والمتكبر والاكول انتهى كلامه واقول وفي المصابيح انه صلى الله عليه وسلم
قال لا آكل متكئا قال الخطابي الاتكاء ان يقعد متمكنا مستويا جالسا بل السنة
ان يقعد عند الاكل مائلا الى الطعام منحنيا وفي باب الكراهية من كتاب النوازل
انه سئل محمد بن مقاتل عمن اكل متكئا قال لا باس فيه وقد روى بعضهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اكل يوم خيبر متكئا وكرهه بعضهم مخافة
البطنة وروى عن ابرهيم النخعي انه قال كانوا يكرهونه مخافة ان تعظم
بطونهم وكانوا يكرهون ان يتعرض الرجل للبطنة والبطنة بطنتان احدهما
لان ذلك يثقله ويكسله عن الصلاة وساير الطاعات فاما من رزق
بطنا عظيما وكان ذلك خلقة من غير ان يتعمد السمن فلا اثم عليه فاذا اكل
الرجل الطعام مقدار حاجته فلا باس به وكذلك لو اكل اكثر من مقدار حاجته
اذا اراد به مصلحة للبدن انتهى وفي المصابيح عن قتادة عن انس قال ما اكل
النبي صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سُكُرُّجة ولا خبز له مرقق قيل
لقتادة على ما ياكلون قال على السُفَر الخوان فيه ثلاث لغات منها اثنتان
جيدتان هما اللتان بكسر الخاء المعجمة وبضمها والثالثة دونهما وهي اخوان
بكسر الهمزة اوله وسكون الخاء وهو المائدة عليها الطعام كذا في لباب
التفاسير فاذا لم يكن عليه طعام فهو مائدة لا خوان والفرق بين الخوان
والسُفر ان الخوان له قوايم على ما ياتي في السكرجة ففيه تعظيم وتكبر ولذلك
لم ياكل النبي صلى الله عليه وسلم والسفر جمع سفرة وهي مبسوطة مستديرة
من جلد وهي في الاصل اسم للطعام الذي يتخذ المسافر فيوضع فيها غالبا
فسميت به كما سميت الراوية التي يرفع فيها الماء من الجلد باسم البعير الذي
يستقى عليه والسُكُرُّجة بضم السين المهملة والكاف وفتح الراء المهملة
مشددة اعجمية معربة قال في مطالع الانوار وهي قصاع صغار يوكل
فيها ومنها كبيرة وصغيرة فالكبيرة تحمل قدر ستة اواق وقيل اربعة
مثاقيل وقيل ما بين ثلثي اوقيه ومعنى ذلك ان العجم كانت تستعملها في
الكوامخ وما اشبهها من الجوارشنات على الموايد حول الاطعمة للتشهي والهضم
فاخبر يعني انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ياكل على
هذه الصفة قط وقال الداوودي هي قصعة صغيرة مدهونة قلت
ورايت لغيره انها قصعة ذات قوايم من عود كمائدة صغيرة انتهى وسياتي
بالملحق بالباب السادس عند اسم شعيب عليه السلام قول انتخاب السمرقندي

تلميذ

تلميذ صاحب الاسباب والعلامات ان السكرجة الكبيرة سبعة دراهم
والصغيرة ثلاثة دراهم ونصف والسكرجة مطلقا من غير تقييدها بالكبيرة
والصغيرة ثلاثة اساتير وسُبُعٌ والاستار على قوله ستة دراهم وثلث
وفي الصحاح انه اربعة دراهم الفصل السابع في تقديم العَشا بفتح العين
على العِشا بكسرها قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا وضع الرجل الطعام بين يديه
واقيمت الصلاة فلا باس بان يفرغ من الاكل ثم يصلي اذا كان لا يخاف فوات
الوقت لانه لو قام الى الصلاة بعد ما اخذ في الطعام قبل ان ياكل يكون قبله
قلبه مشغولا وقلبه في الصلاة كان افضل من ان يكون في الصلاة وقلبه مع
الطعام وروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه حضرت الصلوة ولحضر العشا
فقال نبدا بالنفس اللوامة وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان احدكم على الطعام فلا يعجلن حتى يقضي
حاجته منه وان اقيمت الصلاة وروى عبد الله بن ارقم عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا حضر احدكم الصلاة والغايط فابدؤا بالغايط وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصلي احدكم وهو زَنّاءٌ يعني به بولا
والمعنى في ذلك كله ان قلبه يكون مشغولا في الصلوة انتهى كلامه اقول في الصحاح
الزَنّاءُ الحاقن تقول زَنَأ ببوله يزنأ زُنُوءًا احتقن وفي المغرب زنأ المكان
ضاق والزَنّاء الضيق والضيّق ايضا ومنه نهى ان يصلي الرجل وهو زَنّاءٌ
وروى لا تقبل شهادة زانئة مهموزا وهو الحاقن انتهى

الفصل الثامن في الشرب قال الفقيه رحمه الله تعالى يستحب الانسان
ان يشرب بثلاثة انفاس وهو قاعد ولو شرب بنفس وشرب قايما فلا باس
به وقد جاءت الاثار بالاباحة وقد جاءت بخلافها وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا تشربوا واحدة كشرب البعير واشربوا مثنى وثلاث وسموا
الله عز وجل اذا شربتم اقول وفي المصابيح انه صلى الله عليه وسلم كان يتنفس
في الشراب ثلاثا ويقول انه اروى وابرأ وامرأ يعني اكثر ريا واكثر برءا اي
صحة للبدن وامرأ اي اكثر على المعدة انهضاما ثم قال الفقيه وروى قتادة
عن انس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الشرب قايما
وروى عن النزال بن سبرة تلميذ علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال رايت

رأيت عليا رضي الله عنه يشرب فضل وضوئه قائما قال ان ناسا يكرهون ان يشربوا قائما وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ما فعلت وروى عن عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب قائما وقاعدا وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم قال كنا نشرب ونحن قيام ونأكل ونحن نمشي وفي المصابيح قال ابن عمر كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام وروى عن ابي هريرة انه قال لو يعلم الذي يشرب قائما ماذا عليه لم يفعل قال الفقيه اذا شرب قاعدا فهو احسن في الادب وابعد من الضرر والاذى وروى عن الشعبي انه قال انما كره الشرب قائما لانه داء وانما كره الاكل متكئا مخافة ان يعظم البطن يعني ان النهي نهي الشفقة لا نهي التحريم كما انه نهى عن الشرب من فم القربة فان ذلك يجوز اقول وورد في المصابيح عن كبشة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من فم قربة معلقة قائما فقمت الى فمها فقطعته واتخذته سقاء للتبرك به ثم قال الفقيه وروى عن مجاهد انه لا تشربوا من قبل العروة والثلمة فان الشيطان يقعي انتهى كلامه اقول وفي المصابيح انه صلى الله عليه وسلم نهى عن اختناث الاسقية قال في الصحاح الاختناث بالمثلثة آخره التكسر والتثني وخنثت السقاء واختنثته اذا ثنيته الى خارج فشربت منه فان كسرته الى داخل فقد قبعته وانما نهى عن الشرب من السقاء المكسور الفم لان غطاءه لا ينضبط عليه وربما دخل فيه شيء يضر الشارب منه ولان الماء ينحدر الى الثلمة بكثرة فيفيض منه على لحية الشارب وثيابه وربما حصل له الشرق بفتح الراء وفي المصابيح عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة يعني ان صحاف الذهب والفضة للكفار في الدنيا وسيأتي الكلام على الحرير والديباج والابريسم والخز في الباب الستين ويأتي في الفصل الذي يلي هذا شيء من تعلق الشرب وان الحق في الشرب لليمين

الفصل التاسع في فضل اليمين في الشرب وغيره وفيما يتعلق بالشرب ايضا

قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا شربت شرابا وعندك اقوام يمينا وشمالا فابدأ بمن عن يمينك لان لليمين فضلا على الشمال لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب التيامن في كل شيء وقال صلى الله عليه وسلم اذا اعترض لكم طريقا فتيامنوا وروى سهل بن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بقدح فشرب منه وعلى يمينه غلام وهو احدث القوم والاشياخ عن يساره فقال عليه الصلاة والسلام يا غلام أتأذن لي ان اعطي الاشياخ فقال الصغير لا ما كنت لاوثر من نصيبي منك احدا يا رسول الله صلى الله عليك فاعطاه اياه وروى انس بن مالك رضي الله عنه

اعطيه

ان

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عن يساره ابو بكر رضي الله عنه وعن يمينه اعرابي فلما شرب ناول الاعرابي قبل ابي بكر رضي الله عنه فقال الاعرابي يا رسول الله ناول ابا بكر فقال الرسول عليه الصلاة والسلام الايمن فالايمن وقد ورد هذا الحديث في المصابيح عن انس قال حلبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة داجن وشيب لبنها بماء من البئر التي في دار انس فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القدح فشرب منه وعلى يساره ابو بكر وعن يمينه اعرابي فقال عمر اعط ابا بكر يا رسول الله فاعطى الاعرابي الذي على يمينه ثم قال الايمن فالايمن انتهى وفي رواية الايمنون الايمنون فيمنوا ويجوز في الايمن النصب والرفع فالاول على المفعولية يعني قدموا الايمن والثاني على انه مبتدا خبره محذوف وهو اولى والداجن الحلوب الربانة الكثيرة اللبن والدجن المطر الكثير وسحابة داجنة اي كثيرة المطر وشيب خلط وقال القائل

صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا

وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انتعلت فابدأ باليمنى واذا انزعت فابدأ باليسرى وقال صلى الله عليه وسلم لا يمشي احدكم في نعل واحد وليكن لينتعلهما وليخلعهما جميعا وروى عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تمشي في الطريق فاصاب الخف رجلها فخلعت خفها وحولت تمشي في خف واحد اي انقلبت وتحولت عن مكانها وقالت لاحنثن ابا هريرة خالفه فيما يقول لانه كان نحلف ان هذا الخبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الفقيه ان كان بعذر فلا بأس به وان كان بغير عذر لا حتى يكون جميعا بين الخبرين انتهى كلامه اقول وفي المصابيح انه صلى الله عليه وسلم قال ساقي القوم آخرهم شربا وانه نهى عن ان يتنفس في الاناء او ينفخ فيه وانه نهى عن الشرب من ثلمة القدح وان ينفخ في الشراب والثلمة الموضع المنكسر من طرف الاناء وفي الصحاح الثلمة بفتح المثلثة وسكون اللام وفي الاناء ثلم اذا انكسر من شفته شيء وبضم الثاء الخلل في الحائط والنهي فيما ذكر للتنزيه اما التنفس فلانه يغير طعم الاناء واما النفخ فلذلك وربما خرج من الفم ريق الى الاناء ودون ذلك مما تعافه النفس واما الثلمة فتقدم الكلام عليها في الفصل الذي قبل هذا وفي المصابيح انه كان احب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد ولانه كان يستعذب له الماء من السقيا قيل هي عين بينها وبين المدينة يومان وهو بضم السين على ما وجدته في المصابيح والمعنى انه صلى الله عليه وسلم كان يجاء بالماء العذب لملوحة ماء المدينة وحرارته ولذلك كان ينبذ له عليه الصلاة والسلام تمرات في الماء ليحلوا

الفصل العاشر في اجابة الدعوة

قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا دعيت الى وليمة فان لم يكن ماله

حراما ولم يكن فيها فسق فلا باس بالاجابة فان كان ماله حراما فلا تجبه وكذلك
ان كان فاسقا معلنا فلا تجبه ليعلم انك غير راض بفسقه واذا اتيت وليمة
فرايت فيها منكرا فانههم عن ذلك وان لم ينتهوا عن ذلك فارجع لانك لو
جالستهم يظن انك راض بفعلهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من تشبه بقوم فهو منهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من لم يجب الدعوة فقد عصى ابا القاسم وقال بعضهم اجابة
الدعوة واجبة لا يسع تركها واحتجوا بهذا الحديث وقال عامة العلماء
ليست بواجبة ولكنها سنة والافضل ان يجيب اذا كانت وليمة يدعى
فيها الغنى والفقير لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو دعيت الى كراع
لاجبت ولو اهدى الى ذراع لقبلت وقد تقدم ذكر الكراع والذراع فى
الباب الثامن والعشرين واما الخبر الذى ورد من لم يجب الدعوة فقد
عصى ابا القاسم فلان القوم كان بينهم عداوة فى الجاهلية فكانت
فى الاجابة الفة وفى تركها اغراء اى تسليط على من لم يجب بما يوذيه
فاوجب عليهم الاجابة وان لم يخف من هذا المعنى فالرجل بالخيار ان
شاء اجاب وان شاء ترك والاجابة افضل لان فيه ادخال السرور فى
قلب المومن اقول وقد فسر هذا الحديث سفيان بن عيينه فقال كان بين
القوم عداوة فى الجاهلية وفى اول الاسلام يعنى بين الاوس والخزرج
واذا لم يجب الدعوة كان فى ذلك زيادة عداوة وفى الاجابة رفع العداوة
فاما اليوم اذا لم يكن هذا المعنى فان اجاب فحسن ومن لم يجب فلا شى عليه
كذا فى كتب شرح الحديث وقال بعض الحكماء شعر

من دعانا فابينا فله الفضل علينا
واذا نحن اجبنا رجع الفضل الينا

واذا دعاك انسان فاجبته فاياك ان تمتنع من الحضور الا بعذر ظاهر
لان الامتناع بعد الاجابة جفاء بالمد وفيه ايضا اخلاف للوعد واذا
دعيت الى وليمة وانت صايم فاخبره بذلك فان قال لا بد لك من الحضور
فاجبه واذا دخلت المنزل فان كان صومك تطوعا فان كنت تعلم انه لا
يشق عليه ذلك فلا تفطر فان علمت انه يشق ان لا تفطر ويشق عليه امتناعك
من الطعام فان شئت فافطر واقض يوما مكانه وان شئت فلا تفطر
والافطار افضل وقال ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه اضافه رجل مع اصحابه وكان فيهم رجل صايم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اجب اخاك وافطر واقض يوما مكانه وروى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دعى احدكم الى طعام فليجب فان كان
مفطرا فليا كل وان كان صايما فليصل يعنى يدعو له بالبركة وروى عن عمر

ابن الخطاب رضى الله عنه انه اذا دعى الى طعام فجلس ووضع الطعام فمد يده
فقال كلوا بسم الله ثم قبض يده فقال انى صايم ويقال ان الافطار افضل
لان فى ذلك ادخال السرور على المومن انتهى بكماله اقول اجابة الدعوة من حقوق
المومن على المومن وقد تقدم فى الباب الثانى والعشرين انه عليه الصلاة والسلام
قال للمومن على المومن ست خصال فعد منها اجابة الدعوة شعر

دعوناكم ابتغى السرور بقربكم ونحظى بكم فى طالع السعد والهنا
فان زرتمونا كان منكم تفضلا وان لم تزوروا كان من سوء حظنا

وقد تقدمت بيتان فى الباب الثامن والثلاثين فيهما المنع من حضور الوليمة
ولعلها التى تكون من مال حرام وفيها فسق كما اشار اليه الفقيه اول الفصل

الفصل الحادى عشر فى آداب الضيافة والزاير والمزورة لـ الفقيه

رحمه الله تعالى يستحب للضيف ان يجلس حيث يجلس لان صاحب الدار اعرف
بعورة بيته من غيره ويقال يجب على الضيف اربعة اشياء اولها ان يجلس
حيث يجلس والثانى ان يرضى بما قدم اليه والثالث ان لا يقوم الا باذن رب
البيت والرابع ان يدعو له اذا خرج وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خرج
يقول افطر عندكم الصايمون وصلت عليكم الملايكة وتنزلت عليكم الرحمة
ولا ينبغى للضيف ان يشتهى على رب البيت الا الماء والملح ولا يعيب طعاما
فما وجد اكل وحمد الله تعالى وهو الادب الصالح ويقال فى المثل شعر

ليس للضيف ما اشتهى وتمنى ان للضيف ما اليه يقرب

واذا كان على المايدة من هو اكبر منك فلا تبدا قبله فانه يقال التقدم
للسلطان والبداية لذى سن وذكر ان حكيما دعى الى طعام فقال اجيبك
بثلثة شرايط ان لا تتكلف ولا تخون ولا تجور قال ما التكلف قال ان تتكلف
ما ليس عندك قال وما الخيانة قال ان تبخل بما عندك فلا تقربه الى الضيف
قال وما الجور قال ان تحرم عيالك واذا دعوت قوما الى طعام فان كان القوم
قليلا جلست معهم فلا باس لتخدمهم على المادة لان خدمتك اياهم على المايدة
من المروة وان كان القوم كثيرا فلا تقعد معهم واخدمهم بنفسك فاذا
اكرام الضيف ان تخدمهم بنفسك اقول الضيف اسم جنس يطلق على الواحد
والاثنين والجماعة تمت لـ الفقيه وذكر فى قول الله تعالى هل اتاك حديث
ضيف ابرهيم المكرمين قال كان ابرهيم عليه السلام خدمهم بنفسه ويستحب
ان يقول للضيف احيانا كل من غير الحاح لان العزيز قد تشرب بغير صفير
ومع الصفير اكثر شربا والبعير يشرب حدآء ومع الحداء اكثر شربا فكذلك
الضيف اذا قلت له كل كان اكله اهنا واشهى ولا تلح عليه فان الالحاح
مذموم ولا تكثر السكوت عند الاضياف فان قد تدخل عليهم الوحشة ولا تغيب
عنهم فان ذلك من الجفا ولا تغضب على الخادم عند الاضياف لانه يقال

افضل ما يبذل للضيف الوجه الطليق والقول الرفيق ولا ينبغي ان تجلس معهم
من يثقل عليهم فان الثقيل ينغص الطعام فاذا فرغوا من الطعام واستاذنوا
ينبغي ان لا تمنعهم فان ذلك مما يثقل عليهم وروى عن محمد بن سيرين انه قال
لا تكرم اخاك بما يكره وذكر ان حكيما اضافه رجل فقال اجيبك بثلاثة شرايط احدها
ان لا تطعمني سمًا ولا تجلس معي هو احب اليك وابغض الي ولا تجلسني في السجن
قال نعم فلما دخل عليه اجلس معه صبيًا صغيرا ولما قدم الطعام وفرغ من
الاكل جعل يلح عليه في الاكل فلما اراد الخروج قال امكث ساعة فقال له الحكيم
انك قد تركت العهود كلها واذا احضر قوم وابطا آخرون فالحاضر احق ان يقدم
اليه من المتخلف ويقال ثلاثة يورثن السل رسول بطي وسراج لا يضي وطعام
ينتظر اليه من يجي وقال الحكيم شعرًا

رسم جرى في الناس ليس بحامد ... جوع الجماعة في انتظار الواحد

وينبغي لصاحب الضيافة ان لا يقدم الطعام ما لم يقدم الماء ليغسلوا
ايديهم فاذا اراد ان يقدم الغسل الايدي قبل الطعام كان القياس ان يبدا
بمن هو في آخر المجلس ويوخر صاحب الصدر لان في ذلك حبسا عن المس
والتناول فالبر في تاخيره ولكن الناس استحسنوا البداية بصاحب الصدر
وان كان ذلك قبل الطعام ويعدون ذلك من البر به فان فعل ذلك فلا باس
واذا اغسلوا ايديهم قبل الطعام كان القياس لا يمسح الغاسل يده بالمنديل
لانه غسل يده عن لمس فلا يمس بعد الغسل ولكن الناس قد استحسنوا مسح
اليد بالمنديل فاذا فعل ذلك فلا باس به واذا ارادوا اغسل ايديهم بعد الطعام
فقد كره بعض الناس افراغ الطست في كل مرة وذهب الى ما روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال املوا الطسوس ولا تتشبهوا بالمجوس وفي خبر آخر
اجمعوا وضوءكم يجمع الله شملكم ويقال افراغ الماء في كل مرة من فعل العجم وقال
بعضهم لا باس به وهو المروة لان الدسومة اذا سالت في الطست فربما
ينتضح على ثيابه فيفسد عليه ثيابه اقول والاولى العمل بالقول الاول للحديثين
وليكن ذلك بحيث لا يفسد ثيابه فان ذلك باعتبار ضيق الطست فيفرغه
في كل مرتين واكثر بحسب لا يفسد عليه شيئا قال الفقيه وكان في الزمن
الاول غالب طعامهم الخبز والتمر وطعام فيها الدسومة واما اليوم اذا
اكلوا السكباجات والالوان فيصيب ايديهم بذلك فلا باس به ويكره للرجل
ان ينظر الى لقمة غيره لان في ذلك سوء ادب ولا ينبغي للضيف ان يكثر الالتفات
الى الموضع الذي فيه الطعام لان ذلك مكروه عند الناس انتهى كلامه اقول
الضيف اسم جنس كما تقدم وطليق الوجه بالياء وطلق الوجه بلا ياء مع سكون
اللام سمح البشوش وقد تقدم الطست بالمهملتين مع فتح الاول وسكون الثاني
في الباب السادس قال في المغرب الطست مونثة وهي عجمية والطس تعريبها

والجمع طساس وطسوس بكسر الطاء من الاول وضمها من الثاني وقد يقال الطسوت
بالتاء المثناة الفوقية بدلا عن السين الثانية وفي كتاب المعرب من الكلام
الاعجمي للجواليقي عن الفراء ان طياء تقول الطست وجمعها طسوت كما تقول
اللصت في اللص بتثليث اللام وجمعه لصوت والسكباجات جمع سكباج قال
في المغرب هو بكسر السين المهملة يعني مثل قرطاس مرق معروف اصفر وفيه
الزعفران وقد ذكر الفقيه بعض آداب الضيافة ولم يذكر شيئا من فضايلها
وما قيل فيها فاعلم ان اول من اضاف الضيوف ابرهيم الخليل عليه الصلاة
والسلام كما تقدم عند اسمه في الباب السادس قال الله تعالى في الذاريات
هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال
سلام قوم منكرون فراغ الى اهله اي مال اليهم من حيث لا يعلم فجاء بعجل
سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون وقال تعالى في سورة هود ولقد جاءت
رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
والحنيذ فعيل بالحاء المهملة والنون آخره ذال معجمة قال في عمدة الحفاظ
الحنيذ المشوي بالرضف بالراء المهملة والضاد المعجمة وهي الحجارة المحماة
يشوى عليها اللحم وفي الصحاح حنذت الشاة احنذها اي شويتها وجعلت
فوقها حجارة محماة لتنضجها فهي حنيذ بين الروايتين شيء فليتدبر وقيل
الحنيذ السميط وقيل السمين ويويده اية الذاريات وفي الاية الاولى دليل
على انه لا يكتفي بوضع الضيافة قدام الضيف بل يامره بالاكل بعد الوضع
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا الطعام وافشوا السلام وقال
من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وفي نوادر الاخبار ان معن
ابن زايدة قدمت اليه اسرى فعرضهم على السيف فقام اليه رجل منهم وقال
ايها الامير نحن اسراك ونحن والله جياع من اثر الطريق فان رايت ان تطعمنا
فلكل كبد حراء اجر فامر معن باطعامهم فاجتمعوا واكلوا ومعن ينظر اليهم
فلما فرغوا قام ذلك الرجل وقال ايها الامير كنا اسراك وقد صرنا ضيوفك فانظر
ما يصنع مثلك باضيافه فخلى سبيلهم رحمه الله تعالى وقال علي رضي الله عنه
اذا نزل الضيف على قوم نزل برزقه واذا ارتحل عنهم ارتحل بذنوبهم وقال
ثلاث لا يحاسب العبد عليهن يوم القيمة ما انفق في مرضه وفي افطاره وفي
قرى ضيفه وفي المثل من بذل الزاد والمال لو اراد ان ينال الثريا لنال ويقال
ما حط رجل يده في قصعة رجل الا ذل له ويقال لما اكلته راح وما اطعمته
فاح وقيل للملك بما استقام لك الملك قال بطعام مبذول وسيف مسلول
ووعد لتطمين به القلوب شعر

اما والذي لا يعلم السر غيره ... ويحيي العظام البيض وهي رميم
لقد كنت اختار القرى طاوي الحشا ... محافظة من ان يقال لئيم

والضيافة ثلاثة ايام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة ايام
وما كان فوق ذلك فهو صدقة والضيف اذا زاد على ثلاثة ايام يثقل قال
ابو الفضل احمد بن الحسين بديع الزمان من رسالة الضيف يسمج لقاؤه
اذا طال ثواؤه ويثقل ظله اذا انتهى محله والسلام وقد نظم الشيخ
الامام العالم العامل احمد بن يوسف التيفاشي رحمه الله تعالى قصيدتين
سماها بالروض الممطور في آداب الزاير والمزور وقد صح لي اثباتهما
فالاولى في آداب الزاير وهي اربعون ادبا في تسعة وثلاثين بيتا وهي

يا زايرا ان الزيارة سنة … مبرورة للسادة الاعلام
ولها شروط ان فهمت جميعها … ولزمتها وادخل حفظ ذمام
واذا اردت تجاوزا عن قصدها … وحدودها فارجع بغير ملام
لا تسترق سمعا بباب تكتسب … صفة البغيض الشكل للاقوام
والباب لا تقرع عنيف القرع … واستاذن ولو قد زرت دار علام
وتاه ان تؤذن يسيرا انه … اولى من الفجاءة كالهجا … م
واحفظ الآداب لدخول شرطها … تظفر من العليا بكل مرام
من حاجة تقضى او حاجة … كي ترتضي ولا تمحض سلام
واهم شيء في الجميع تجنب … لزيارة تدعى فضول كلام
لا تقصدن ان زرت قصد مجادل … في العلم جاء مهينا لخصام
ان الجدال له مواضع ميزت … مخصوصة بالفهم والافهام
واسال سؤال مهذب متادب … لا قاصد لتعنت الافحام
والكتب والاوراق لا تمدد لها … كفا لتقراها بلا استعلام
وكذا الدواة بغير اذن وقتها … مسامع السكين والاقلام
واغضض لحاظك عن انامل كاتب … في الطرس تعف ملامة اللوام
واذا اتيت لحاجة فقضيتها … خفف ونكب عن جلوس زحام
ان الجلوس بغير اسباب له … مستثقل فلتسرعن بقيام
ليخف ظلك ولياذن آذن … باقامة فتقم بخير مقام
لا تنقلن عن مجلس اخباره … فتكون ملفوظا به كتمام
غض اللحاظ اذا دخلت بمنزل … عن سترة او اوجه الخدام
واشكر على البر اليسير تناله … واعذر على التقصير في الاكرام
لا تطلبن ممن تزور تكلفا … مهما تزره ملازما مدوام
واعذر اذا لم تعط اذنا مرة … فالعذر للاخوان خلق كرام
فلربما حجب الصديق صديقه … لضرورة لا عن قلى وصرام
ولتتشبثن مهما طمعت خان تقم … تعذر به قدما من الاقدام
والحر لا تطعمه واحذر ان ترى … مستدعيا خدم امره لطعام

لعله تعدد

لا تنقطع من كل من عودته … وصلا ولا تملله بالالمام
فالغب فيه الحب قول المصطفى … وترادف الالمام كالابرام
لا تجلسن فوق امرء ذي حشمة … فتخص دست البيت بالاحشام
والاتكاء ومد رجلك فاحذرن … والنوم والجلساء غير نيام
والصمت اذن بالقيام فراعه … وكذلك الاطراق عند همام
لا تطرقن بيتا مساء زايرا … او بائتا في البيت كالالزام
كذلك التغليس لا تلمم به … مستعجلا خلا لذيذ منام
وكذا المقيل اذا الهجيرة هجرت … ان الزيارة فيه حد آثام
ودع الزيارة يوم غيث راجلا … للطين في الاذيال والاقدام
والجمعة الغراء قبل صلوتها … ترك الزيارة حرمة الاسلام
والظرف كل الظرف ترك زيارة … للخل اذ ياتي من الحمام
هذه الشروط فان اقمت رسومها … زرنا وواصلنا مع الايام
واذا اتيت تجاوزا لحدودها … كنت اللئيم فزر بيوت لئام

تمت وفي باب الكراهية من كتاب النوازل انه سئل ابو بكر عن الاضياف
اذا اعطى اللقمة بعضهم لبعض او اعطى احدهم اللقمة لمن هو قائم على
الخوان فقال لا يعتبر فيه تعامل الناس ويجوز بالاستحسان ويترك القياس
لا يجوز ان يعطى سائلا والقصيدة الثانية في آداب المزور وهي اربعون
ادبا ايضا في خمسة واربعين بيتا وهي ادب الزيارة اولها

ادب الزيارة واجب لا ينكر … وعلى المزور لها حقوق اكثر
ياتيك مثلك زايرا متفضلا … او من يفوقك قدره او يصغر
وعلى اللبيب بكل قسم منهم … يوره حسن سياسة يستحضر
وعليه آداب تعم جميعهم … فاسمع نظام جواهر تتخير
لا تتركن بابا عليك مسيبا … من دون حاجبك الذي يستامر
وكذلك لا تغلقه وقت زيارة … فالغلق في وقت الزيارة ينكر
واهم آداب المزور باسرها … في الباب بواب اديب خير
شيخ ظريف دين متورع … بجميع ما يغزو اجنابك يخبر
لمقدم في النفس منك مقدم … ومؤخر في النفس منك مؤخر
متعذر في وقت عذرك عن … للواردين عليك حلو سكر
لا غاضب متهجم متبرم … كثرة الغاشي نكير منكر
عنوان وجهك وجهه فمن اجله … هذا يذمك ظالما ويشكر
وابسط جبينك ان وقت زيارة … فالكلب من زواره يتنمر
لا تضجرن من قرع بابك دايما … فلانت مهما يخل بابك اضجر
والق الرئيس بما يليق بمثله … واخفض جناحك ان اتاك الاحقر

والكفو زده ان يزرك تواضعًا   ان الخسيس ببيته يتآمرُ
واحذر يراك الله او بشر ترى   فى صدر بيتك جالسا تتصدر
وهو الفضيحة والبوار وانما   للتصدر بيتك حيثا املك حجز
ومن الجماعة انت عندك واحدٌ   فالاتكاء ومد رجلك يحظرُ
الا من الحاذق حيث صنيعهم   فيه صنيعك فهو لا يستنكر
واخصص صديقك ان يزرك بطعمة   مما يليق بقدره يتيسرُ
واغضض عيونك عنه عند طعامه   لا يرمقنه منك طرف ازورُ
والطيب او لطف الحديث مكانه   ان كان ذاك لاحضوره يتعذر
واجعل نصيبا للغلام فانهُ   يرضى به مولى الغلام وتوجرُ
وكذلك المركوب لا تخايل به   فهو الدليل على علاك الاكبر
والحمق كل الحمق غسل موا كل   واكيله بيده بدهن تتقذر
والماء قربه وارصد نحوه   فطنا لبيبا بالاشارة يشعر
واقسم لحافظك فى الجلوس وسمعًا   يصغى لهم طرا ولا يتكبّرُ
اعدد جنيبا للفراش لطارق   اوصى بذاك المصطفى المتخيّرُ
واد لله عند دخوله ابدا على   بيت الوضوء فلا يرى يتحير
واصنع له ما كان يصنع وحده   فى بيته لو كان فيه يحضر
نومه مهما شاء نوما عاجلا   واسهر له ان كان ممن يسهر
وتوار عن اعراضه لرحيله   كى لا يرى بفراقه تستبشر
لا يسرقن بغناك نعل بتة   نعما له ان غلت بذلك تكفر
واجعل غلاما للنعال يقدم له   اولى بتقديم له ويؤخرُ
واوص الغلام بخدمة مرضية   والذنب منه فى مقاملك يغفر
فلربما ضجر الرئيس بعبده   فيظنه من زار منه يضجر
واذا تفضل زائر بزيارة   فحذار عن امثالها تستعذر
زره كما قد زار او افضل له   فالفضل متجر ربه لا يخسر
واكفف لسانك عن فضول مقاله   واوص الجليس به فذلك اوقر
واذا ابتليت بزائر مستثقل   يأتيك من احواله ما ينكر
فاصبر له فى عفو دارك واحتمل   حتى تفارقه ووجهك مسفرُ
واجعل له ان عاد عذرا حاجزا   عن اذنه او يستقيم يزورُ
ان الرياسة طعمها صبر فلا   يحظى بها فى الناس من لا يصبر
والزهد سلم ان قدرت ووحدة   كى لا تزور ولا يزورك مبصر

تمت رحم الله ناظمها وكاتبها وقاريها وجميع المسلمين وسياتى بالباب التاسع والاربعين شئ يتعلق بالزيارة وقيل لا يزال من خدم اضيافه كما لا يعز من استخدمهم وكانت ملوك الهند تواكل اضيافها وملوك الفرس ياكلون

بعدم

بعدهم واما اكل العرب مع اضيافهم وعدمه فقد تقدم فى كلام الفقيه فى هذا الفصل انه باعتبار قلة الاضياف وكثرتهم ويروى عن النعمان بن بشير انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتماع رحمة والفرقة عذاب فالاجتماع يطلق على اشياء منها الاجتماع للضيافة فان الاجتماع لها فيه بذل الطعام وتلقى الاضياف بالاكرام والاحترام واطعام الجايع واستعطاف الخواطر من قبل صاحبها وفيه ادخال السرور عليه من قبيل الاضياف بالشكر والدعاء له وقد ورد فى الوجه الطليق قوله عليه الصلاة والسلام البشاشة خير من القرى وقال فى ذلك بعض الاجواد

اضاحك ضيفى قبل انزال رحله   فيخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى   ولكنما وجه الكريم خصيب

ومدح بعضهم دار المصنف وصاحبها بقوله

دار حللت بها حرا فصيرنى   احسان صاحبها عبدا بلا ثمن

وقد وقفت على كراسة لطيفة فى داب المواكلة قال فيها قال بعض الحكماء والعيوب التى من علمها كان خبيرا باداب المواكلة خمسة وخمسون بعدها جملة وتفصيلا وساذكرها ان شاء الله تعالى فى الملحق بهذا الباب اذ ليس لذكرها هنا محل لان الحديث ذا طال وكثر يمل واتبع ذلك باخبار الطفيلية اذ الطفيلى من جملة العيوب واستغفر الله مما اكتبه واليه ايوب واعلم ان بعضهم رجح زيارة الخليل والمعاشر على مجاورتهما فزرهما ولا تجاور وفى ذلك يقول الشاعر

لا تطلبن دنو دار   من خليل او معاشر
ابقى لاسباب المودة ان   تزور ولا تعاشر

ولنذكر شيئا يتعلق بالجار قال الله تعالى وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى فى سورة النساء واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا اى واحسنوا الى هؤلاء قال الكواشى الجار ذى القربى اى ذى القرابة والجار الجنب القريب المنزل منك والصاحب بالجنب هى المراة تكون معك والرفيق فى السفر والذى يصحبك طلب نفعك اى احسنوا الى جميع المذكورين تثابوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه يورثه وقال عليه الصلاة والسلام من كانت له جيرة ثلاثة واضيون عنه غفر له وكانت العرب ترى حفظ الجوار وحمى الذمار دينا يدعوا اليه وحقا تحافظ عليه وقيل ما سمى الجار جارا الا لتجيره والرفيق رفيقا الا لترفق به والصديق صديقا الا لتصدقه وحسن الجوار من شيم الاجواد وسوء الجوار من شيم الاشرار قال الشاعر

ليس الكريم الذي يؤذي مجاوره — بل الكريم الذي يؤذى فيصطبر

قال صاحب آداب السياسة ليس المراد مجاورة الدار فقط بل مجاورتها والاماكن والبلاد والتخوم وقال الشاعر

للجار حق على الدهر احفظه — والله يسألني عن حق جيراني
لا اشتم الدهر جاري حين يشتمني — ولا اراه الذي يلحاه يلحاني
ولا ابوح بسر الجار اعلنه — حتى يوسد تحت الترب جثماني
ولا اطيله بناء فوق منزله — ليستر الريح عنه طول بنياني
سيجد الجار مني ما بقيت له — في السر سري وفي الاعلان اعلاني

الفصل الثاني عشر في استعمال الخلال قال الفقيه رحمه الله تعالى روى ابن عون عن ابن سيرين انه قال كان ابن عمر رضي الله عنه يأمر بالخلال ويقول اذا تركه وهن الاضراس وروى عن جابر بن عبد الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لا تغسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص ولا تخللوا بالقصب فانه يورث الآكلة وقال الاوزاعي لا تخللوا بالآس فانه يورث عرق النسا قال الفقيه اذا تخلل الرجل فما خرج من بين اسنانه من الطعام فان ابتلعه جاز وان القاه جاز وقد جاء في الاثر في الوجهين جميعا وهو ما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكل طعاما فما تخلل فليلفظه وما لاك بلسانه فليبتلع فمن فعل فقد احسن ومن لا فلا حرج ويستحب له ان اراد اكل اللحم ان يأكل قبله لقمتين او ثلاثا من الخبز حتى يسد الخلل به ويكره الخلال بالريحان وبالآس وبخشب الرمان ويستحب ان يكون الخلال من الخلاف الاسود وان كان الرجل ضيفا عند انسان فلا ينبغي ان يرمي بالخلال وبالطعام الذي خرج من بين اسنانه لان ذلك يفسد ثيابهم ولكنه يمسكه فاذا اتى بطست لغسل اليد القاه فيه ثم يغسل يده فان ذلك من المروءة انتهى كلامه اقول عرق النسا بفتح النون مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ القدم وقال الاصمعي هو النسا ولا تقل عرق النسا كما لا تقل عرق الاكحل ولا عرق الابجل وانما هو الاكحل والابجل واما اكل الخارج من بين الاسنان بالتخلل فيجوز اذا لم يكن عليه دم وان كان عليه دم فلا يجوز لتنجسه بالدم وينتقض به الوضوء واما اذا وجد على الخلال اثر الدم فقد قال صدر الشريعة رحمه الله تعالى ينتقض وضوءه خلافا لزفر واما الخلاف بفتح اللام وكسرها قبله فهو شجر الصفصاف عند الحكماء وماء الخلاف عندهم هو الماء المستخرج من حمل الصفصاف الكثا الذي يكون باسفل القضبان لا زهره المستطيل الذي يشبه زهر الجوز ولا اعلم ان له خشبا اسود وانما هو نوعان احدهما يكون قضيبه الجديد اخضر والآخر قضيبه احمر كلون العناب وتكون برنته

طويلة

طويلة ويسمى عندنا ببساتنه بالسلطاني ولعله هو المراد بالاسود وقد تقدم في الفصل الاول من هذا الباب حديث ابي ايوب الانصاري في فضل الخلال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حبذا المتخللون قالوا يا رسول الله وما المتخللون قال المتخللون من الطعام والمتخللون بالماء في الوضوء

الفصل السادس والاربعون في اكرام اهل الشرف والفضل قال الفقيه رحمه الله تعالى يستحب للرجل ان يكرم اهل الفضل من غير افراط ولا يجوز ان يكرم رجلا لاجل دنياه لينال دنياه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تضعضع لغني ذهب ثلثا دينه ولكن يكرم اهل الفضل لفضلهم ولشرفهم وروى هشام بن حسان عن الحسن البصري رحمه الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا ومعه اصحابه فجاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه ولم يكن له مجلس فرآه ابو بكر فتزحزح له عن مكانه ثم قال ههنا يا ابا الحسن فسر النبي صلى الله عليه وسلم بما صنع فقال اهل الفضل اولى باهل الفضل ولا يعرف الفضل لاهل الفضل الا اهل الفضل وقال سفيان بن عيينة كان يقال من تهاون بالاخوان ذهبت مروءته ومن تهاون بالسلطان ذهبت دنياه ومن تهاون بالصالحين ذهبت آخرته وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم الا حدا من حدود الله عز وجل وعن عائشة رضي الله عنها انها مر بها سائل فامرت له بكسيرة ومر بها رجل ذو هيئة فاقعدته وامرت له بالمائدة فقيل لها في ذلك فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا بان ننزل الناس منازلهم وعن طارق بن عبد الرحمن قال كنت عند الشعبي فاتاه بلال بن جرير فطرح له وسادة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه اقول وفي عيون التواريخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لجرير بن عبد الله البجلي ثوبا ليجلس عليه وقت مبايعته له وقال لاصحابه اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وكان جرير طويلا يصل الى سنام البعير وكان نعله ذراعا وكان سيدا في قومه بديع الجمال حتى قال عمر رضي الله عنه جرير يوسف هذه الامة ثم قال الفقيه لا يستحب الافراط في الاكرام ولا في الحب لان الافراط في كل شيء تخلق منه الآفة وقال علي رضي الله عنه

احبب حبيبك هونا ما — عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وابغض بغيضك هونا ما — عسى حبيبك يوما ما

وروي نحو هذا مرفوعا وقد افرط النصارى في حب عيسى عليه السلام حتى اتخذوه الها وافرط الروافض في حب علي رضي الله عنه حتى بغضوا غيره فينبغي للعاقل ان يحب اهل الفضل ويعرف حقوقهم من غير افراط ولا تعد انتهى كلامه اقول الافراط ههنا مجاوزة الحد في الامر والتفريط والفرط التقصير

والتضبيع يقال من غير افراط في الامر ولا تفريط ويقال وقع من فلان التفريط
في كذا اى قصر فيه وتضعضع قال في الصحاح اى خضع وذل وفي الحديث
ما تضعضع امرؤ لآخر يريد به عرض الدنيا الاّ ذهب ثلثا دينه انتهى وتزحزح
عنه اى تنحى عنه وعزّا تهدّ زلّا تهدم والوسادة والوسادة بكسر الواو
فيهما المخدة كما تقدم والجمع وسايد ووُسُدٌ والهَوْن بفتح الها وسكون
الواو السكينة والوقار اى حبّ وابغض بسكينة ووقار اى ببعض منهما
وقد تقدم الحديث في الفصل السابع من الباب السابع فيما جرى من الاحاديث
النبوية مجرى الامثال على السنة الناس وهل هو من كلام على رضى الله عنه
او هو حديث عن على موقوف وورد هذا الحديث في رواية بلفظ يكن مكان
عسى ان يكون والرواية الاولى صححها صاحب الشفا وذكر بعض شراحه
ان الهَوْن التوسّط والقصد وعدم الافراط ولنذكر شيا مما يتعلق بالتوسط
في الامور اعلم انه قد قيل اذا زيد الشي في حده انقلب لضده فلان يعمل
الانسان عملا متوسطا من اعمال الخير ويدوم عليه خير من ان يعمل عملا
مفرطا يقهره او يكله ويمله او يعجب به وجميع الاشيا المحمودة تظهر من
التوسط والعدالة وقد امر الله تعالى بالتوسط في مواضع من كتابه العزيز
فمنها قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا
ومنها قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وكثير من الايات وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة الاوساط واكثر اهل النار الاغنياء
والفقراء وقال خير الامور اوساطها وقال اللهم لا غنى يطغى ولا فقراً
ينسى وقال الشاعر • خير الامور الوسط • حب التناهي غلط • وقال
الآخر • خير الامور عندنا الاوساط • ويكره التفريط والافراط •
وقيل للملك كيف زال ملكك فقال بمنع اضغن اى ولّد الحقد والعداوة
وبذل البطر وقال على رضى الله عنه كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن مقدرا
ولا تكن مقترا ويقال الاعتدال اعدل والطريق الوسطى امثل قال صاحب
اداب السياسة ان لنا من التوسط ما هو مذموم منه قوله تعالى مذبذبين
بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء وقد تقدم في الفصل الاول من الباب
الرابع عشر ان الافراط يجوز في الحق بدليل قوله تعالى في الماىدة قل يا اهل
الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اى غير محقين او الا الحق فيجوز الغلو فيه
قال تاج القراء وقد افرط اليهود في عزير عليه السلام فقالوا هو ابن الله
واما افراط الروافض وهم فرقة من اربع عشر فرقة هى شيعة على رضى الله
عنه اعنى اتباعه وانصاره فما ذكره الفقيه واما افراط غيرهم من شيعته
فمنهم من ادعى انه هو النبى صلى الله عليه وسلم وان جبريل عليه السلام امر بالنزول بالوحى
عليه فغلط ونزل به على محمد صلى الله عليه وسلم لعنهم الله تعالى وهولاء

الذين

الذين اذا ذكر على او كتب اسمه يقولون صلى الله عليه وسلم ومن شيعته من ادعى
فيه الالوهية وهم النصيرية لعنهم الله تعالى ومن اراد الاطلاع على
مذاهبهم واعتقادهم فعليه بكتاب الملل والنحل واما قول عايشة رضى الله
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان ننزل الناس منازلهم
فقد قال صاحب عيون التواريخ فيه روى الحافظ ابن عساكر يرفعه الى
الاصبغ بن نباتة عن على رضى الله عنه انه جاءه رجل فقال يا امير المومنين
ان لى اليك حاجة فرفعتها الى الله قبل ان ارفعها اليك فان انت قضيتها
حمدت الله تعالى وشكرتك وان انت لم تقضها حمدت الله وعذرتك فقال
على رضى الله عنه اكتب على الارض فانى اكره ان ارى ذل السوال فى وجهك
فكتب انى محتاج فقال على بحلة فاتى بها فاخذها الرجل فلبسها وانشا يقول

كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن ثنائى نلت مكرمة ... ولست تبغى بما قد قلته بدلا
ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه ... كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى خير تواقعه ... فكل عبد سيجزى بالذى عملا

فقال على رضى الله عنه على بالدنانير بماية دينار فدفعها اليه قال
الاصبغ فقلت يا امير المومنين حلة ومائة دينار قال نعم سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انزلوا الناس منازلهم وهذه منزلة اخرى عندى
وانما خص اهل الشرف والفضل بالاكرام لانهم يصلحون به ويشكرون
المكرم على الدوام واما الوضيع والجاهل • وقيل كن حازما كالذيب كما قيل
• ينام الرجل باحدى مقلتيه وتبقى • باخرى المنايا فهو يقظان نايم • ومن
لم يشاكل فتقدم الكرامة وتصلحهم الاهانة وقال مذهب الدين

البطايحى دهرى بالحادثات رشقنى • حتى كانى لنبله هدف •
• ما انعم الجاهل الغبى وما اشقى • رجالا بالفضل قد عرفوا • ويقال
• ان الكريم اذا اكرمته ملكته • واللئيم اذا اكرمته تمرّدا
وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى من بَرّك فقد اوثقك ومن جفاك
فقد اطلقك • ويقال ان من الحزم اكرام الاراذل وقيل فى ذلك وقال
الامام الشافعى رحمه الله تعالى شعر
• من الحزم ان تكرم الارذلين • وان تستهيب الذى يهاب •
• فلا يخرج الاسد من غاباتها • لتلقى المنية الا الكلاب •
وانما امر بالحزم لان عاقبته السلامة قال فى اداب السياسة الحزم تيقظان
وثمرته السلامة والعجز نايم وثمرته الندامة وقال الخليل من استعمل الحزم
فى وقت الغنى عنه استغنى عن الاحتيال فى وقت الحاجة اليه شعر
على كل حال انا جعل الحزم عدة ... اذ كنت باغيه وعونا على الدهر

مهذب

• فان نلت امرا نلته عن عزيمة • وان قصرت عنك الحظوظ فعن عذر •
وقال الحكيم ما لمت نفسي على خطاء اقتحمته بحزم • ولا حمدتها بصواب
اصبته بعجز • وقال بعضهم الخير كل الخير في ستة • لم نلقى الا في كرام
الرجال الحزم والحلم وحمل الاذى • والصبر والصدق وصمت المقال • •
وقال النبي عليه السلام الحزم سوء الظن • وقيل هو الوقوف عند الشبهة
وقيل حسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة • وقيل الحكيم لم اسأت الظن
فقال لما امتلأت الدنيا مكارة وجب على العاقل ان يملأها حذرا شعر
• الم تر ان حسن الظن عجز • وسوء الظن يأخذ بالوثيق • وقد
ذم بعضهم سوء الظن ومدح حسن الظن فقال اعلم ان الظن الحسن
من خلوص النية • وسلامة الطوية • وسوء الظن من قبح النية وفساد
السريرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رب العزة يقول •
انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وقيل العمل موكل بالظن فيحسن
اذا احسن ويسوء اذا ساء • ويقال لما تظن بالناس دليل على ما تفعلت فظن
ما شئت وحسن الظن بالله يورث الجود والكرم وسوء الظن بالله يوجب
البخل الموجب للندم قال الشاعر

من ظن بالله خيرا جاد مبتديا والبخل من سوء ظن المرء بالله

واعلم ان في الناس من ينبغي ان يحسن به الظن وفيهم من لا ينبغي قال
الشاعر ظننت به خيرا فقصر دونه فيا رب مظنون به الخير يخلف

وفي اداب السياسة ان حقيقة حسن الظن عبارة عن التصريف الحسن فقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يحمل كلام اخيه على شر
ما وجد له على الخير محملا وقال ابن المبارك لا تخف ممن تحذر بل احذر ممن تامن
وقيل احذر ممن تامنه فان ودايع الناس لا تذهب الا عند الثقات وقيل •
كن من الكريم على حذر ان انت اهنته • ومن اللئيم ان اكرمته • ومن الاحمق
اذا ما جنته • ومن العاقل ان احرجته • اي ضيقت عليه رجع • •
والاحق بالاكرام من اكرمه الله تعالى في قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم •
وقال فيثاغورس من استخف بالاتقياء اهلك دينه • ومن استخف •
بالملوك اهلك دنياه • ومن استخف بالاخوان اهلك مروته • والاحق •
بمنع الاكرام من اهانه الله تعالى لقوله عز وجل ومن يهن الله فما له من مكرم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اكرم فاسقا او اثنى على ظالم فقد اعان
على هدم الاسلام وقال ارسطاطاليس ليس اعظام الفاجر تقوية له على
فجوره • والكريم من اكرمه الناس لخيره • واللئيم من اكرمه الناس لاتقاء شره •
والاعتماد على اكرام الكرام لك ولو اهانك اللئام والخوف من اكرام اللئام
لك اهانة الكرام لك فقد قال الشاعر اذا اهل الكرامة اكرموني فلا

اخشى الهوان من اللئام • ولست ارى هوانهم هوانا • ولكن الهوان من
وينبغي لك ان تكرم من اكرمك • وتهين من اهانك • قال الشاعر •
• اذا المرء اولاك الهوان فاوله • هوانا وان قدر وانت لبس قادر •
• واصبر على هونه لا تضق ذرعا • وذره الى اليوم الذي انت قادر •
الاواصر قال الاصمعي ما عطفنا على رجل من رحم او قرابة او صهر او معروف
وجمع الاواصر كذا في الصحاح واهانة اللئام لك كمن ضبب اللؤلؤ والياقوت
بالرصاص فليس ذلك بتصغير واهانة لها ولكنه جهل وحمق لمن فعل ذلك

الباب التاسع والاربعون في مداراة الناس قال المغنيه رحمه الله تعالى

يستحب للرجل ان يداري الناس ويترك المنازعة والخصومة ما امكنه وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما نهاني ربي بعد عبادة الاوثان
عن ملاحاة الرجال وشرب الخمر وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مداراة الناس صدقة وروى سعيد بن
المسيب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال راس العقل بعد الايمان
بالله مداراة الناس قول وروى هذا الحديث صاحب اعلال القلوب بلفظ
التودد الى الناس ثم قال المغنيه وقال بعض الحكماء من عق والديه لم ير
السرور في ولده ومن لم يستشر في الامور لم يصل الى حاجته ومن لم يدار
مع اهله ذهبت لذة عيشه قول قيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما
انك ابر الناس ولسنا نراك تاكل مع امك في صحفة واحدة فقال اخاف
ان تسبق يدي الى ما قد سبقت عينها اليه فاكون قد عققتها وفي المشورة
يقول ابو بكر احمد الارجاني شاور سواك اذا نابتك نائبة • يوما وان
كنت من اهل المشورات • فالعين تنظر منها ما نأى ودنا • ولا ترى
نفسها الا بمرآت • وفي اداب السياسة راس الحزم قال الله تعالى لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما شاور قوم الا هدوا الرشدهم وقال علي رضي الله عنه من اعجب برايه
ضل ومن استغنى بعقله زل وقيل الرجال ثلاثة تام ونصف ولا شيء
فالتام الذي له راي ويستشير والنصف الذي ما له راي ويستشير
ولا شيء الذي ما له راي ولا يستشير وقال خاقان ملك الترك اذا
استشرت العاقل صار عقله لك واذا استشرت الكريم افادك برايه كما
يفيدك بماله وينبغي ان لا يفرط الانسان في المشورة فانه يكشف السر
ويعقب النقص وقال بعض الحكماء ما شاورت احدا قط الا تكبر علي
وتصاغرت له ودخلته العزة وادركتني الذلة ويأتي في الباب الذي
يلي هذا كتمان السر ومن شروط الاستشارة ان لا يستشار من هو مهموم
فان الهم آفة العقل وقال الحكيم انما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار

لنفسه وللمستشار شروط قد اجتمع اكثرها فى قول الشاعر

لا تستشر غير ندب حازم يقظ … قد استوى فيه اسرار واعلان

فللتدابير فرسان اذا ركضوا … فيها ابروا كما للحرب فرسان

وقال آخر

خصايص من تشاوره ثلاث … لتأخذ منها جميعا بالوثيقه

وداد خالص ووفور عقل … ومعرفة بحالك فى الحقيقه

فمن حصلت له هذى المعانى … فتابع رايه والزم طريقه

وقال آخر

وافضل من شاورت اهل التجارب وفى المثل اذا استشرت اختار لك الباطل ومن استشار غويا زل ومن استجد ضعيفا ذل والاستشارة امانة المستشار وقد حث الله تعالى على اداء الامانة بقوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال النبى صلى الله عليه وسلم المستشار مؤتمن وقال من اشار على اخيه بشى يعلم الرشد فى غيره فقد خانه ولا يزال المرء يزداد فى رايه ما نصح من استشاره والمستشار بالخيار ان شاء قال وان شاء سكت انتهى والاستشارة اخذ راى المستشار وقال بزرجمهر افره ما يكون من الدواب لا غنى لك معه من سوط او عصا واعقل من يكون من الرجال لا غنى له عن راى ذى لب ومشاورة ذى عقل ثم قال الفقيه ويستحب للرجل اذا دخل منزله ان يسلم على اهله ولا يتكلم حتى يستمكن من الجلوس واذا تكلم تكلم بالرفق والتودد لان النبى صلى الله عليه وسلم قال اخياركم خيركم لاهله وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وروى عن سفيان الثورى رحمه الله تعالى انه قال اذا عضبت عليك امرأتك وحملت عليك فاضرب كفك بين كتفيها وقل اخرج ايها الرجل البخيل الخبيث المخبث من جسد طيب فيخرج باذن الله تعالى وقال عمر ابن ميمون ثلاثة من الفواقر وثلاثة لا يستجاب لهم وثلاثة لا يدخلون الجنة فاما الفواقر فامير ان احسنت اليه لم يشكر وان اسأت لم يغفر وجار ان راى منك حسنة لم يفشها وان راى سيئة لم يدفنها وزوجة ان شهدتها لم تقر عينك بها وان غبت عنها لم يطمئن قلبك اليها واما الذين لا يستجاب لهم فرجل دعا على ذى رحم ورجل داين بدين الى اجل ولم يشهد عليه ورجل يقول لزوجته اللهم ارحنى منها ويقول الله قد جعل امرها فان شئت فطلقها وان شئت فامسكها واما الذين لا يدخلون الجنة فعاق والديه ومدمن الخمر ومنان اى نمام انتهى بكماله اقول الملاحاة المنازعة والمداراة للناس بهمز ولا يهمز وهى المدجاة والملاينة وعق والديه استخف بهما ولم يطعهما والفواقر جمع فاقرة وهى الداهية يقال فقرته الفاقرة

ای کسرت

اى كسرت فقار ظهره فكان كل واحدة من الفواقر الثلاثة اذا اصابت الانسان بمنزلة الداهية تصيبه ويقال المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا او الدين وهى مباحة مستحسنة فى بعض الاحوال بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهى محرمة والاصل فى جواز المداراة ما روته عايشة رضى الله عنها ان رجلا استاذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ايذنوا له فبيس ابن العشيرة فلما دخل عليه الان له القول قالت عايشة رضى الله عنها فقلت يا رسول الله قلت الذى قلت ثم النت له القول قال يا عايشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس اتقاء فحشه اى تركه الناس وقد روى الفقيه هذا الحديث برواية عروة عن عايشة فى باب الرفق وهذا المكان احق به والمداراة سياسة رفيعة وجنة منيعة تجلب المنافع وللعناد تدافع غير انها الموت الاحمر والعذاب الاكبر تترك الاحرار عبيدا والاسود صيدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم من عاش مداريا مات شهيدا وقيل من عاش ممارايا مات سقيما ولكنها تقطع اسباب المكايد ويستعان بها على الضد المعاند قال الشاعر

ودارهم ما دمت فى دارهم … وحيهم ما دمت فى حيهم

واحسن العشرة مع بعضهم … يعينك البعض على بعضهم

وقد احسن الحريرى حيث قال ولم ينسج له على منوال وهو

لا تبتئس لقا ناى ولا دار … ودر مع الدهر كيفما دارا

واتخذ الناس كلهم سكنا … ومثل الارض كلها دارا

واصبر على خلق من تعاشره … وداره فاللبيب من دارا

ولا تضيع فرصة السرور فما … تدرى يوما تعيش ام دارا

واعلم بان المنون جائلة … وقد ادارت على الورى دارا

واقسمت لا تزال قانصة … ما كر عصر الحيا وما دارا

فكيف ترجو النجاة من شرك … لم ينج منه كسرى ولا دارا

وقد علمت ان البيت المقصود من هذا الدر العقود هو البيت المشتمل على المداراة وعدم الملاحاة والمماراة وانما اتيت بالقصيدة بكمالها لحسن وصفها واشتمالها ولنذكر لغاتها

رجع وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتى هى احسن وقال تعالى فى حم السجدة ولا تستوى الحسنة ولا السيئة

ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وقال
تعالى فى سورة العنكبوت ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا
الذين ظلموا منهم ولبعضهم

صن العرض وابذل كلما قد ملكته فان ابتذال المال للعرض اهون
ولا ينطلق منك اللسان بسوءة فللناس سوآت وللناس السن
وعيناك ان ابدتا اليك معايبا من الناس قل يا عين للناس اعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ونديتك وادفع بالتى هى احسن

وقال بعض المفسرين ما من شى الا وفى القرآن منه فقيل له اين موضع المداراة
فقال قوله تعالى واهجرهم هجرا جميلا هو الهجر الجميل الا المداراة وقد تقدم
الهجر الجميل بالباب الخامس والعشرين وقال النبى صلى الله عليه وسلم
امرنى ربى بمداراة الناس كما امرنى باقامة الفرايض وقال عليه الصلاة
والسلام المداراة نصف المعيشة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان حلم يرد به جهل الجاهل
وورع يحجزه عن المحارم وخلق يدارى به الناس وقال محمود بن حازم اجتنب

مكارم الاخلاق جهدى واكره ان اعيب وان اعابا
واصفح عن ذنوب الناس حلما وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال يهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا
ومن قضت الرجال له حقوقا ولم يقض الرجال فما اصابا

وقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف
ومن لم يجد من معاشرته بدا حتى ياتى الله بالفرج والمخرج وقال حكيم اكثر
من دارى لم يسلم فكيف يجد السلامة من لم يدار وقال الطائى

ما دمت حيا فدارى الناس كلهم فانما انت فى دار المداراة
دنياك ثغر فكن منها على حذر فالثغر ما وى مخافات وافات

قال ابن الاثير فى النهاية الثغر الموضع الذى يكون حدا فاصلا بين المسلمين
والكفار وهو موضع المخافة من اطراف البلاد وفى المثل اتسعت دار من
يدارى ۰ وضاقت اسباب من يمارى ۰ اى يجادل ويخاصم وقال الشاعر

لا تكن فظا غليظا ليكن امرك نافذ
لابن الناس والا تجد الناس منا فذ

وقيل لا تكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر وفى كتاب الهند ليس لعدو
لا يطاق دواء مثل المداراة والخضوع والهرب منه وقال الشافعى رضه

بقول لى العقل الذى زين الورى اذا لم تطق دفع العدو فداره
وقبل يدى الجانى الذى لست قادرا على قطعها وارقب سقوط جداره

ويقال ما احسن بالعاقل ان يحسن مداراة عدوه حتى يطفى سورة ناره

اى حاربتها وقال ابو سليمان الخطابى رحمه الله تعالى

ما دمت حيا فدار الناس كلهم فانما انت فى دار المداراة
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى عما قليل نديما للمداراة

والامثال من لم يدار المشط ينتف لحيته ويقال من عدم المداراة عدم التوفيق
وقال بعض الحكماء احسن ما دارى الانسان فى منزله لا يستحقها السماحة
وحسن المراعاة والتواضع مع النزاهة انتهى وكل ما ذكرناه فهو فى مداراة
المبغض الحقود واما اللئيم فليس لمداراته وجود قال الشاعر

وكل اداريه على حسب حاله سوى حاسدى فهى التى لا انالها
وكيف يدارى المرء حاسد نعمة اذا كان لا يرضيه الا زوالها

ولو قال اوله لكل مداراة الى آخره لكان اوضح مع جواز ما قاله وقوله سوى حاسدى
اى سوى مداراة حاسدى وقال قاضى القضاة بمصر سرى الدين عبد البر
ابن ابى الفضل محمد بن الشحنة الحنفى رحمه الله تعالى فى الحساد

عجبا لحسادى يزيد اذاهم شرا ويعظم مكرهم وغرورهم
واذا راونى يظهرون تحببا والله يعلم ما تكن صدورهم

الباب الثامن والاربعون فى حسن المعاشرة ومعرفة الحقوق

قال الفقيه رحمه الله تعالى ينبغى ان يكون قول الرجل للناس قولا لينا ووجهه
منبسطا مع البر والفاجر والسنى والمبتدع من غير مداهنة ومن غير ان
يتكلم معه بكلام يظن انه يرضى بسيرته ومذهبه لان الله تعالى قال
لموسى وهارون عليهما السلام فقولا له قولا لينا وانك لست بافضل
من موسى وهارون والفاجر ليس باخبث من فرعون وقد امرهما الله باللين
القول مع فرعون وروى ابرهيم بن حمزة العامرى عن طلحة بن عمرو قال
قلت لعطاء بن ابى رباح انك رجل يجتمع عندك الناس ذووا اهواء مختلفة
وانا رجل فى حدة فاقول لهم بعض القول الغليظ فقال لا تفعل اذ يقول
عز اسمه وقولوا للناس حسنا فدخل فى هذه الآية اليهود والنصارى
فكيف الحنيفى وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال انكم لن تسعوا الناس باموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق
وقال عمر رضى الله عنه من اراد ان يصفو له ود اخيه فليدعه باحب
اسمائه اليه ويسلم عليه اذا لقيه ويوسع له فى المجالس وروى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال لعايشة رضى الله عنها لا تكونى فحاشة
فان الفحش لو كان رجلا لكان رجل سوء وقال الاحسان فضل الاحسان
فضل والاحسان بعد الاحسان مجازاة والاحسان بعد الاساءة كرم
والاساءة قبل الاساءة جور والاساءة بعد الاساءة مكافاة والاساءة
بعد الاحسان لوم وشوم وينبغى للانسان ان يعرف حق من هو اكبر منه ويوقره

لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما وقر شاب شيخا الا قيض
الله شابا عند كبر سنه فيوقره وعن ليث بن ابى سليم قال كنت امشى مع طلحة
ابن معرف فتقدمنى وقال لو علمت انك اكبر منى سنا بليلة ما تقدمتك
وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا
فليس منا انتهى بكماله اقول قد تقدم الفصل الرابع فى اداب المتعلم
من باب التاسع عشر ما يتعلق بالمشى امام الرجل وخلفه وما ورد فيه وما
قيل فيه من الشعر وقد اثنى الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
بحسن الخلق بقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ووصفه بحسن العشرة بقوله
تعالى فى اواخر ال عمران ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ونقل
صاحب اداب السياسة عن بعض المفسرين ان الخلق العظيم فى قوله تعالى فى
اوائل سورة المومنين قد افلح المومنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون والذين هم
عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء
ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم
على صلوتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها
خالدون وقال اخر الخلق العظيم فى قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وقال النبى صلى الله عليه وسلم تفسير ذلك هو ان تعفو عمن
ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك فالعفو عمن ظلمك نهاية الحلم
والشجاعة واعطاء من حرمك نهاية الجود ووصل من قطعك نهاية
الاحسان قال الشاعر

قابلت بالاحسان من ساءنى ميلا لتحصيل الثناء المقيم
وتمت بالمواجب من شكره اذا عرفا الناس بانى حليم

وقال ابن عباس رضى الله عنه الخلق العظيم هو الدين العظيم وقالت
عايشة رضى الله عنها الخلق العظيم هو القرآن لان من تادب باداب
القرآن فقد تخلق بخلق عظيم وقال الحسن هو العفو والاحتمال وبذل
الندى وكف الاذى وقال العتبى اخبرنى رجل من منبج قال قدم علينا الحكم بن
حنظب وهو مملق فاغنانا فقلت وكيف اغناكم وهو مملق قال علمنا المكارم تملق
وقال الشاعر ان المكارم اخلاق مطهرة • والعقل اولها والدين ثانيها •
• فالعقل اولها والدين ثانيها • والعلم ثالثها والحلم رابعها • والجود
• خامسها والعرف سادسها • والبر سابعها والصبر ثامنها •
والجود تاسعها واللين عاشرها واعلم ان مكارم الاخلاق من مناح
الخلاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احسن الله خلق رجل
وخلقه فيطعمه النار وقال افضل ما يعطى العبد الايمان بالله وخلق

حسن

حسن وقال الشاعر كل الامور تزول عنك وتنقضى الا الثناء فانه لك باقى
ولو اننى خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الاخلاق
والكرم ثلاثة اقسام كرم النفس وكرم الاخلاق وقد تقدمت اواخر الباب
الذى قبل هذا ابيات حسنة فى مكارم الاخلاق لمحمود بن حازم ومكارم
الاخلاق تورث الثناء الحسن الباقى وفى اداب السياسة عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال اذا اردتم ان تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا الى
ما يتبعه من حسن الثناء وسئل صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نعرف اهل
الجنة من اهل النار فقال بالثناء الحسن وقيل لبعض الحكماء ما احمد الاشياء
قال ان يبقى الانسان احدوثة حسنة بعده وفى المثل الذكر الحسن فى الكتب
عمر لا يبيد • وهو فى كل يوم جديد وقيل السعادة سبعة اقسام قسم
منها الثناء الحسن وقال الشاعر من اشترى بماله حسن الثناء ما غبنا
وقال اخر فى وصف رجل

فتى يشترى حسن الثناء بماله ويعلم ان الدايرات تدور

وقال اكثم بن صيفى انما انتم خبر فطيبوا اخباركم واخذ حبيب الطاى
هذا المعنى فقال

وما ابن آدم الا ذكر صالحة او ذكر سيئة تجرى به الكلم
اما سمعت بدهر بادامته جاءت باخبارها من بعدها امم

وقال اخر

عمر الفتى آخره لا طول مدته وموته خزيه لا يومه الدانى
فاحى ذكرك بالاحسان تزرعه يجمع به لك فى الدنيا حياتان

وقال النبى صلى الله عليه وسلم قسم الثناء كما قسم الرزق وقال الشاعر

فاسمع احاديث الذين احسنوا ابناءهم كيف غدت تستحسنوا

للمديح والهجاء السن فكن حديثا للرواة يحمد انتهى وقال النبى صلى
الله عليه وسلم ان احبكم الى واقربكم منى فى الاخرة احسنكم اخلاقا وان
ابغضكم الى وابعدكم منى فى الاخرة اسوأكم اخلاقا الثرثارون المتفيهقون
المتشدقون فالاول الذين يكثرون الكلام تكلفا ويترددون فيه وهو
بثاء بين راءين مهملتين والثانى الذين يتوسعون فى الكلام ويفتحون
افواههم ماخوذ من الفهق وهو الامتلاء يقال فهقت الاناء اذا املاته
والثالث الذى يلوى شدقه للتفصح وفى اعتدال القلوب قال معاذ بن
جبل اذا احببت رجلا فلا تماره ولا تماره ولا تسال عنه غيره فلعلك
ان تلقى عدوا فيخبرك بما ليس فيه فيقطع الذى بينك وبينه وينبغى
للانسان اذا احب اخاه ان يعلمه لما روى عبد الله بن سرجس ان رجلا
قال يا رسول الله انى احب اباذر قال فاعلمه وانه احدكم اخاه فليعلمه

وفي اداب السياسة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كرم العشرة حسن الصحبة والموافقة وشروط الصحبة وادابها قلة الخلاف وحفظ الصحبة الصاحب في جميع احواله واذا راى من صاحبه حسنة اظهرها ونشرها واذا راى منه سيئة سترها وكتمها شعر

ان الوفاء على الكرام فريضة   واللوم مقرون بذى الاخلاق
وترى الكريم لمن يعاشر منصفا   وترى اللئيم مجانب الانصاف

ولبعضهم

اذا ما المرء لم يحفظ ثلاثة   فبعه ولو بكف من رماد
وفاء للعهود وبذل مال   وكتمان السرائر في الفؤاد

وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر مفتخرا

ما ودني احد الا بذلت له   صفو المودة مني آخر الابد
ولا قلاني وان كنت المحب له   الا دعوت له بالرشد والراشد
ولا ائتمنت يوما فاتبعها   بالاد ولو ذهبت بالمال والولد
لا اخون خليلي في حليلته   حتى اغيب في الاكفان واللحد
ولا كتمت على سر فبحت به   ولا مددت الى غير الجميل يدى

ولنذكر شيئا في السر قيل السر سران احدهما سرك وكتمانه حزم والثاني سر غيرك وكتمانه كرم فاما الحزم فان من كتم سره حفظ سره ونفسه وفي رواية ماله واجره ومن ضيع سره ضيع نفسه وقد ذكر الله تعالى فائدة كتمان السر في قوله تعالى على لسان يعقوب لولده يوسف لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على امورکم بالكتمان فان لكل ذي نعمة حاسدا وفي رواية استعينوا على قضاء الحوائج او الحاجات بالكتمان او كما قال عليه الصلاة والسلام وقال رضي الله عنه من كتم سره كانت الخيرة بيده وكان يتمثل بهذين البيتين

ولا تفش سرك الا اليك   فان لكل نصيح نصيحا
فاني رايت غواة الرجال   لا يتركون اديما صحيحا

وقال بعضهم • اسيرك سرك ان صنته • وانت اسير له ان ظهر
وفي كتاب الهند انما تصيب الملوك الظفر بالحزم والحزم باجالة الراى واجالة الراى بتحصين الاسرار فمن حصن سره فله من تحصينه امران اما الظفر بما يريده والسلامة من عيبه وقيل نعم من يكتم سره مفرد

كريم يميت السر حتى كانه   اذا سالوه عن حديثك جاهل

ولا يكتم السر من كل احد ففي كتاب الهند من كتم الاطباء مرضه والاخوان بثه والسلطان نصيحته فقد اخطأ على نفسه وقال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذي حفيظة   يواسيك او يسليك او يتوجع

ومن اراد حفظ سره فليتوق ممن ذكرهم الشاعر في قوله

فحصن السر عن رسل وعن ثقة   من النساء وعن ذي الراي والحشم

ويستخرج السر في ثلاثة مواضع عند الاضطجاع على الفراش وخلوه بعرسه وفي حال سكره وفي حال المسايرة اذا كان على ظهر جواده وقال الشاعر

يخرج اخبار الفتى جليسه   رب امرئ جاسوسه انيسه

عودا الى الصحبة وادابها قال الجنيد رحمه الله تعالى لابي حفص ادبت اصحابك ادب الملوك فقال يا ابا القاسم ولكن حسن الادب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن وقال بعضهم كن لاصحابك كما يكونون لك ان خيرا فخير وان شرا فشر وعن التاج السبكي ان في الاوسط للطبراني في ترجمة احمد علي الابار عن انس مرفوعا ياتي على الناس زمان هم ذئاب فمن لم يكن ذئبا اكلته الذئاب وقال بعضهم من لم يكن كلبا عقورا عقرته الكلاب وسياتي في الباب المائة الذي هو في علامات الساعة حديث نقل من باب الريا والسمعة من المصابيح انه يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب وقال الشاعر

ومن لم يكن عقربا يتقى   سعت بين اثوابه العقرب

وقيل في مكافاة الخير بالخير والشر بالشر شعر

واذ كتموا عيبي كتمت عيوبهم   وان بحثوا عني ففيهم مباحث

وما احسن قول بعضهم في الاصحاب

رعى الله ارعانا ووداد الصحبة   وبل من الاشواق شجان اشجانا
ولا بلغ الامال منا املنا   ولا اكتحلت بالغمض اجفان اجفانا

ومن هذا المعنى

لا للذت بالجفا اجفان اجفانا   ولا رنت بالجفا انسان انسانا
وخضبت بالدما اردان اردانا   وغيرت بالنوى الوان الوانا

وينبغي للعاقل ان لا يصاحب الجاهل لما روى في عيون التواريخ عن الشعبي عن علي رضي الله عنه انه قال لرجل راه يصحب رجلا جاهلا كرهه له ابياتا هي

لا تصحب اخا الجهل واياك واياه   فكم من جاهل اردى حكيما حين واخاه
يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه   وللشيء على الشيء مقاييس واشباه

وذو الغفلة مغرور ريب الدهر يرديه   ومن يعرف صروف الدهر لا تبطرنه ماه

وقد تقدم في الباب التاسع عشر شيء من تعلق الصحبة وياتي في الباب الذي يلي هذا شيء من ذلك ان شاء الله تعالى

الباب التاسع والاربعون في زيارة الاخوان والاصحاب والاصدقاء

قال الفقيه رحمه الله تعالى زيارة الاخوان والاصدقاء في الله حسن وهو ما جور فيها وفيها زيادة الفة وقال ابو امامة الباهلي امشي ميلا وعد مريضا امش ميلين وزر اخا في الله امش ثلاثة اميال واصلح بين اثنين وقال بعض الحكما لا تتردد الى

فينسوك ولا تكثر الزيارة فيملوك اقول وفي معنى ذلك قول الشاعر

عليك باقلال الزيارة انها   اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا

الم تر ان الغيث يسام دائبا   ويطلب بالايدي اذا هو امسكا

ثم قال الفقيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه يا ابا هريرة زرغبا تزدد حبا اقول قال في الصحاح الغب ان ترد الابل الماء يوما وتدعه يوما وكذا الغب في الحمى قال الكسائي اغببت القوم وغببت عنهم ايضا اذا جئت يوما وتركت يوما والغب في الزيارة قال الحسن في كل اسبوع يقال زرغبا تزدد حبا انتهى ملخصا وفي ذلك يقول القائل

ان شئت ان تلقى فزر متواترا   وان شئت ان تزداد حبا فزر غبا

وقال بعض الحكماء اغباب الزيارة امان من الملال ثم قال الفقيه وعن بكر بن عبد الله المزني انه قال المريض يعاد والصحيح يزار وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كتب الى موسى الاشعري رضي الله عنه انظر الى من قبلك من وجوه الناس فاكرمهم فانه لن يعدم الناس ان يكون لهم وجوه يذكرون بحوائج الناس وعن ابي جعفر قال طرحت لعلي رضي الله عنه وسادة فجلس عليها وقال لا يابى الكرامة الا الحمار وعن طارق بن عبد الرحمن قال كنت عند الشعبي فاتاه رجل يعني من جرير فطرح له وسادة وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وقد تقدم تفسير الوسادة ولغاتها في الباب السادس والاربعين وروي سلمة بن كهيل عن ابي جحيفة قال كان يقال جالسوا الكبراء وخالطوا العلماء وخالوا الحكماء وروي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرجل على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل قال الفقيه وقد اختار بعض الناس ترك المخالطة واحبوا العزلة وقالوا السلامة في العزلة والذي تقول في ذلك ان الرجل ان كان بحال لو اعتزل لكان اسلم لدينه فالعزلة له افضل ولو كان بحال لو خلا بنفسه اشتغل بالوسواس فالمخالطة له افضل بعد ان يعرف حقوقهم ويعظمهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لولا الوسواس ما باليت ان لا اكلم الناس وقال بعض الحكماء لابنه يا بني اصحب من شئت من الناس الا خمسة فاياك ان تصحبهم لا تصحبن كذابا فان الكذب كلامه بمنزلة السراب يبعد القريب ويقرب البعيد ولا تصحبن احمق فان الاحمق يرى ان ينفعك وهو يضرك ولا تصحبن طماعا فانه يبيعك باكلة او بشربة ولا تصحبن البخيل فانه يخذلك حين ما كنت احوج اليه اي لا يعاونك ولا ينصرك ولا تصحبن جبانا فان الجبان يسلم والديه ولا يبالي انتهى كلامه اقول اعلم ان للزيارة شمايل كما ان للاخاء والصحبة فضايل فاما الشمايل الزيارة فقد تقدمت في الفصد [?] المتبين في اداب الزاير والمزور بالباب الخامس والاربعين واما الاخوة

طماعا

الاخاء فقد قال في الصحاح ما ملخصه الاخوة والاخوان جمع والاكثر ما يستعمل الاخوان في الاصدقاء والاخوة في الولادة واخاه بالمد مواخاة واخاء والاخية بالمد الحرمة والذمة وقد اخا النبي صلى الله عليه وسلم بين الصحابة رضي الله عنهم فالاخاء صحبة وحرمة وذمام وهو الفة ونعمة من الله تعالى قال سبحانه وتعالى واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احدث عبد اخا في الله تعالى الا احدث الله له درجة في الجنة وقال الحكيم لولده وليكن اول شيء تكتسبه بعد الايمان اخا صالحا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم والمراد من الاخوان ان لا يكن فيهم خوان كما قيل

وكنت اخي والدهر موج سيوله   علي فلما نابني بالمغايظ

تبرات مني واستترت بعلة وما   هكذا اهل الوفا والحفايظ

ويقال محل المودة والاخاء حال الشدة لا الرخاء قال الشاعر

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة   بل في الشدايد تعرف الاخوان

وكتب الوزير علي بن مقلة الى بعض اصحابه وهو في السجن ايام محنته في خلافة الراضي بن المقتدر فقال

ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم   ابن لي ام القرطاس اصبح غاليا

فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا   وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا

اخوك الذي يرعاك عند شديدة   وكل تراه في الرخاء مراعيا

فهبك عدوي لا صديقي فربما   تكاد الاعادي يرحمون الاعاديا

فالاخ المساعد كالعضد للساعد او كالساعد للكف اذ يساعده في الدرز والكف وقال تعالى سنشد عضدك باخيك وقال الشاعر

وما المرء الا باخوانه   كما يقبض الكف بالمعصم

ولا خير في الكف مقطوعة   ولا خير في الساعد الاجذم

ويقال الاخوان نعم الاعوان • وكتب بعضهم الى صديق له ما احوجني الى اخ كريم الاخوة • كامل المروة • اذا غبت خلفني • واذا حضرت كنفني • واذا لقي صديقي استزاده من المودة • واذا لقي عدوي كف عني اذاه ولو بالعدة • وقيل من يستظهر الاخوان عضه الزمان • وقال لقمان اذا اردت مواخاة رجل فانظر فان كانت محاسنه اكثر فارتبطه شعر

• احب من الاخوان كل مواتي • وكل غضيض الطرف عن عثراتي •

ولا اتصاحب من قيل فيه شعر • صحبت اذ عيني عليها عشاوة •

فلما انجلت راجعت نفسي الومها • وقال بلال بن سعد السكوني من الطبقة الرابعة من اهل الشام اخ لك كلما لقيك اخبرك بعيب فيك

خير من اخ كلما لقيك   وضع في كفك دينارا والاخ الكريم من اذا نال مالا
او جاها من السلطان يكرم من له من الاهل والاخوان ولا يتيه عليهم فيورثهم
الذل والهوان وفي ذلك قال الشاعر

ليس الكريم الذي نال مكرمة   او نال مالا على اخوانه تاها
الحر يزداد للاخوان مكرمة   ان نال مالا من السلطان او جاها

وقال شبيب بن شبة اخوان الصدق خير مكاسب الدنيا هم زينة في الرخاء
وعدة في البلاء ومعونة على حسن المعاد والمعاش وقال الشافعي رضي
الله عنه من صدق اخاه في اخوته قبل علله وسد خلله وغفر زلله وسال
بعض الحكماء تلامذته عما خير ما يقتنيه المرء فقال قايل الذهب والفضة
فقال ان في ذلك صيانة للعرض وقضاء للحق وصلة للرحم وتوفير المروة
ومعونة على المعيشة غير انهما حجران ان اخفيا بطل نفعهما واذا انفقا لم
ان ينفدا وقال آخر الضياع قال انها توتي اكلها كل عام وهي ابدا قايمة
على اصولها محفوظة في مواضعها غير ان صولة العدو وغيرها مونة
عليها واصحابها رهينة بها لا يستطيعون ان يزيلوها ويزهوا بها مع
ساير اخوانهم وقال آخر الشاة اي الغنم قال انها حسنة المرقد كثيرة الود
لاهلها البانها وسمانها وسخالها واصوافها على انها تقبل مع الخصب وتدبر
مع الجدب وقال آخر الابل قال انها ترحل برحلك وتحمل ثقلك ونسلها مال
واوبارها اثاث غير ان ربها ان حضر معها شقي وان غاب عنها اضاعها وهي
سريعة الفقد خذولة عند الجهد وقال آخر الخيل قال لها فضلها وعتادها
ونسلها وهي حصون عند البلاء وزينة على حالة السرا لكنها عيال وما لا
يحتاج الى مال ان اصلحتها افسدتك وان افسدتها فكلتك وقال آخر الجواهر
قال انها زينة الاثمان خفيفة الحمل لا تتغير في قيمتها ولا تحول في هيئتها
لكنها عين مليك العدو ان حبستها لا تنفعك وان اظهرتها غرتك
لا نفاق لها الا على الملوك تكسد بكسادهم وتنفق بنفاقهم وقال آخر الرقيق
قال انهم قوة في العضد زيادة في العدد غير انهم مال ياكل بعضهم بعضا
ثم يصير آخرهم جرما ان احسنت اليهم استفسدوك وان قصرت بهم حاربوك
قالوا فيا ايها الواسع العلم قل ولنا هذه العقدة النفيسة بعض ما في
كلام الحكيم من اللغة يوشك بكسر الشين المعجمة وفتحها من لغة العامة
وهي لغة رديئة قدا وشك فلان يوشك ايشاكا اي اسرع السير ومنه
قولهم يوشك ان يكون كذا يعني يحتمل سرعة كون كذا اعتادها يقال فرس
عتد وعتد بفتح التاء المثناة الفوقية وكسرها اي المعدة للجري انتهى
وتكلتك ان كان اوله المثلثة فالمعنى لحزنتك من الحزن لان الثكل فقدان
المرأة ولدها وحزنها عليه وان كان اوله النون فالمعنى قيدتك واعلم

ان

ان من رزايا الزمان فقد الاخوان قال لبيد بن ربيعة احد شعراء النبي
صلى الله عليه وسلم ان الرزية لا رزية مثلها فقدان كل اخ كمثل الكوكب
ذهب الذين يعاش في اكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الاجرب
ومما قيل في التقليل منهم والانفراد عنهم الاخوان كالنار قليلها
متاع وكثيرها بوار وقال اعرابي شر الاخوان الخاذل في الشدايد
وسياتي بالملحق بالباب السادس عشر شيء من ذم الاخوان والتفرد عنهم
واما الاصحاب والاصدقاء فقد قيل في الصحبة انها من شعاير الانبياء
والاولياء فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع جلالة قدرهم شغفوا
بالاصحاب والمصاحبة قال الله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول
لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وقال النبي صلى الله عليه وسلم صحبة
يوم مودة وصحبة شهر قرابة وصحبة سنة رحم وصل الله من
وصلها وقطع الله من قطعها وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام
لا تستقل ان يكون لك عدو واحد ولا تستكثر ان يكون لك الف صديق
واعلم ان في الاصحاب اخيارا واشرارا فمصاحبة الاخيار تورث خيرا كالريح ع
اذا مرت بالطيب حملت طيبا ومصاحبة الاشرار تورث شرا كالريح اذا مرت
بالنتن حملت نتنا ويقال انه ينبغي ان يصحب الشريف للاستعانة به على مثله
وعلى غيره قال الشاعر

صاحب اخا الشر تسطو به   يوما على بعض صروف الزمان
فالريح لا يرهب انبوبة   الا اذا ركب فيه السنان

وفي كتاب الهند المودة بين الصالحين سريع اتصالها بعيد انقطاعها
كمثل الكوز الذهب بطيء الكسر سريع الجبر والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها
بطيء اتصالها كالكوز من الفخار يكسره ادنى سبب ثم لا رجوع له ابدا وقيل
لا تصاحب الا رجلا ترجو ثوابه او تستفيد من علمه واياك من مصاحبة
الشرير فان طبعك يسرق من طبعه وانت لا تدري واصحب من تبقى مودته
ولا تفوتك مروته كما قال الشاعر

اصحب من الناس من تبقى مودته   فاكثر الناس جمع غير موتلف
منهم صديق بلا قاف ومعرفة   بغير فاء واخوان بلا الف

وينبغي للمرء ان تنتخب صاحب دين يكون من اهل العفة وسلامة الصدر
للناس امين الغيب نقي الجيب وفيا بالعهد موفيا للوعد ليس بحسود
ولا حقود وقافا عند كل شبهة تذكر سيرته كالمسك والعنبر او
صاحب دنيا يكون سمح الصحبة كريم العشرة كثير الاخوان ليس بذي الوان
صادق المودة لا يبالي وتك غدا الشرة لا البخل شيمته ولا الكذب خليقته
ولا الشر طبيعته ولا المكر صنيعته شعر لبعضهم

ما تاقت النفس الى شهوة	الذ من حب صديق امين
من فاته وداخ صالح	فذلك المغبون حق اليقين

وقال علي رضي الله عنه صديق مساعد • عضد فيه ساعد • شعر

ولا يبسط الكف بغير ساعد	والمرء محقور بلا مساعد

وقيل المرء بلا معين • كالشمال بلا يمين والصديق الصدوق خير من الاخ الشفوق وقيل الصاحب الصديق خير من الاخ الشقيق وصديقك مرآتك يظهرك على ما فيك من العيوب ويساعدك اذا وقعت في الخطوب قال الجعبري رحمه الله تعالى في شرح الشاطبية ما لفظه روى ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن وروي ان احدكم مرآة اخيه فاذا رأى شيئا فليمطه ونظمه بعضهم فقال

صديقي مرآتي اميط به الاذى	وعضب حسام ان منعت حقوقي
وان ضاق امر او المت ملمة	لجأت اليه دون كل شقيق

انتهى وسئل سقراط اي شيء انفع مما اقتناه الانسان فقال صديق مخلص وسئل ديوجانس ما الاصدقاء قال نفس واحدة في اجساد متفرقة وقال علقمة بن لبيد العطاردي لابنه اذا نازعتك نفسك الى صحبة الرجال فاصحب من ان صحبته زانك وان خدمته صانك وان تحركت بك مؤنة اعانك واصحب من ان قلت صدق قولك وان صلت شد صولك اصحب من ان مددت يدك بفضل مدها وان بدت منك ثلمة سدها • وان رأى منك حسنة عدها • اصحب من ان سألته اعطاك وان سكت عنه ابتداك • اصحب من لا تاتيك منه البوائق • ولا تختلف عليك منه الطرائق • لا يخذلك عند الحقائق والموصوف من الاصحاب بهذا الوصف العزيز اعز من الكبريت الاحمر والذهب الابريز فاذا حصل لك مثل ذلك فعض عليه بالنواجذ وقل كما قال الشاعر الماجد

واذا صفا لك من زمانك واحد	فهو المراد واين ذاك الواحد

واخلص له محبة وودا • وكن له خادما وعبدا • فقد قال من عرف حق الصاحب • وهو الاديب نطاحة الكاتب • اذا كنت تطلب فضلا • اذا ذكرت ومجدا • فكن لعبدك خلا • وكن لخلك عبدا • ولبعضهم

اذا ما ظفرت بود امرئ	قليل الخلاف على صاحبه
فلا تعدلن به نعمة	وعض بيمينك يا صاح به

ولابي اسحق الشيرازي

سألت الناس عن خل وفي	فقالوا ما الى هذا سبيل
تمسك ان ظفرت بود حر	فان الحر في الدنيا قليل

وما قيل في الاقلال من الاصدقاء قول ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالرجل دليلا على سخافة دينه كثرة صديقه ويفسر ذلك قول الثوري رحمه الله تعالى اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط فانه لو نطق بالحق لابغضوه وقول آخر اذا رأيت المرء كثير الاصدقاء فاعلم انه منافق ومنع بعضهم وجود الصديق فقال

صاد الصديق وكاف الكيمياء معا	لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحدث قوم عن وجودهما	وما اظنهما كانا ولا اجتمعا •

وقال بعضهم

اذا ما طلبت اخا مخلصا	فهيهات منك الذي تطلب
فكن في انفرادك ذا غبطة	فما في زمانك من يصحب

وان من بعض شيخ مشايخي الشيخ العالم العارف بالله الشيخ شهاب الدين ابن رسلان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان فقد نعى انقضاء الحرف والخل المصافي فقال

اغسل يديك من الزمان واهله	واهجرهم تفز بقلة ظهيره
ولقد صحبت فما وجدت موافيا	في الله اصحبه ولا في غيره

وسمع المامون ابا العتاهية ينشد

واني لمحتاج الى ظل صاحب	يروق ويصفو ان كدرت عليه

فقال المامون خذ مني الخلافة واعطني هذا الصديق وقال محمد بن سعد الواسطي المورخ شعر

خبرت بني الايام طرا	فلم اجد صديقا صدوقا

• مسعفا في النوائب • واصفيتهم مني الوداد فقابلوا صفاء ودادي بالقذى والشوائب • وما اخترت منهم صاحبا وارتضيته فاحمدته في فعله والعواقب ولابي يحيى بن محمد بن معن التجيبي المنعوت بالمعتصم في المعنى والوزن والقافية قوله

وزهدني في الناس معرفتي بهم	وطول اختباري صاحبا بعد صاحب
فلم ترني الايام خلا يسرني	بواديه الا ساءني في العواقب
ولا صرت ادعوه لدفع ملمة	من الدهر الا كان احدى النوائب

ولابي الحسين محمد بن طاهر ذي المناقب احمد بن الحسين بن موسى الموسوي في معنى ذلك قوله

تجاذبني يد الايام نفسي	ويوشك ان يكون لها الغالب
ويغدرني الاقارب والاداني	فلا عجب اذا غدر الصحاب
نهضت وقد قعدن بي الليالي	فلا خيل اعن ولا ركاب
وما ذنبي اذا اتفقت خطوب	حقالة وايام غضاب

وآمل ان تبقى الايام نفسى … وفى جنبى لها ظفر وناب
تمالى والمقام على رجال … دعتهم المطامع فاستجابوا
ولم اركا لرجال اليوم سيئا … تذل له الجماجم والرقاب
وكان الغبن لو دلوا ونالوا … فكيف ذا اذا ذلوا وخابوا
يريدون الغنا والفقر خير … اذا ما الذل اعقبه الطلاب
وبعض العدم مأثرة وفخر … وبعض المال منقصة وعاب

ولـه من قصيدة

لا تشكون من الزمان غريبة … ان الخطوب قليبها لا ينزح
للذل بين الاقربين مضاضة … والذل ما بين الاباعد اروح
واذا رمتك من الرجال قوارص … فسهام ذى القربى القريبة اجرح
قومى الاولى ضمنت لهم احسابهم … ان الزمان بمثلهم لا يسمح

واخبث الاصحاب والاخوان والاصدقاء من اذا اتيته احتجب وان غبت عنه عتب واذا عاتبته غضب وغضب المعتوب دليل على جهله وقلة عقله والا فالعتاب حياة المودة وحديث المتحابين وثمار الاوداء كما ان الجفا رسول القطيعة وداعى القلا وسبب السلو وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا عوتبتم فاستعتبوا وقال اذا عاتبتم فارفقوا ولعل الرفق فى العتاب ما قاله افلاطن اذا عاتبت الحدث على جرم فاترك له موضعا لجحود ذنبه لئلا تحمله على المكابرة وقال الشاعر

لولا كراهية العتاب وانتى … اخشى القطيعة ان ذكرت عتابا
لذكرت من عثراتكم وذنوبكم … ما لو يمر على الوليد لشابا

وقال على رضى الله عنه

لا تصرمن اخاك على ارتياب … ولا تقطعنه دون استعتاب
وقل عاتب اخاك بالاحسان اليه … واردد شره بالانعام عليه

والعتاب دليل على صدق الاخوة وترك المعاتبة دليل على قلة الاكتراث بالصديق قال الشاعر

عاتب اخاك اذا ما كنت ذا ارب … فى وده ولما تهواه ملتمسا
ففى العتاب حياة للوداد كما … يحيى الغراس بغيث بعد ما يبسا

وترك المعاتبة دليل على كثرة السخط وشدة الهجر وقلة الاكتراث وفى المثل عتاب العاقل برشده وعتاب الجاهل بحقده والاعتذار يقطع العتاب كما قيل ما عوتب من اعتذر ولا اذنب من استغفر وقال الشاعر وعودتنى منك الجميل فان يكن … جناك لامر موجب لجميل
والذنب لى فى ذاك ذنب فنطقى … قصير والا فالعتاب طويل

وللصفى

وللصفى الحلى القراح بفتح اوله المزرعة التى ليس عليها بناء ولا فيها شجر قاله الجوهرى وقال الشاعر

اذا ما اعتذر الصديق اليك يوما … من التقصير عذر اخ مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه … فان الصفح شيمة كل حر

واعلم ان سيف الاعتذار يقطع الذنب والمعاذير تزيل عتب اللائم وتسلى الحقد والضغينة وهى الطف ما يستدعى به الرضا بعد السخط وتحسن الظن وقال النبى صلى الله عليه وسلم المعترف بالذنب كمن لا ذنب له وقال الاعتراف يهدم الاقتراف ويقال شفيع المذنب اقراره وتوبته اعتذاره والمعتذر ان كان صادقا فعذره مقبول وان كان كاذبا فانه لا يتكلف الكذب الا لنفاسة صاحبه عنده ومن كان بهذه المنزلة قبل عذره ووجب شكره وقال الشاعر

اذا شئت ان تدعى كريما مهذبا … عفيفا لطيفا عاقلا فطنا حرا
اذا ما بدت من صاحب لك زلة … فكن انت محتالا لزلته عذرا مختاراً

وقيل شر الناس من لا يقبل الاعتذارات ولا يقيل العثرات ولا يستر الزلات وينبغى للمعتذر ان يعتذر بكلام حسن موجه قال الشاعر

اذا كان وجه العذر ليس ببين … فان اطراح العذر خير من العذر

وان اعتذر بكلام قبيح فهو ممن قال فيه المثل عذره اقبح من ذنبه ورب اضرار احسن من اعتذار وينبغى ان لا يكثر الاعتذار وعنده صغاير الذنوب كالكبار فلا يبتدى الاعتذار اليه ولا يعول فى العفو والصفح عليه قال الشاعر اذا محاسنى اللاى اذل بها عدت ذنوبا فقل لى كيف اعتذر واللايق بمن يعتذر اليه الصفح والعفو ليستفيد بذلك اجرا ويكسب به مدحا وشكرا وقال الخليل بن احمد

سالزم نفسى الصفح عن كل مذنب … وان كثرت منه على الجرايم
وما الناس الا واحد من ثلاثة … شريف ومشروف ومثلى معادم
فاما الذى فوقى فاعرف فضله … واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذى مثلى فان زل اوهفا … تفضلت ان الفضل بالعز حاكم
واما الذى دونى فان قال صنت عن … اجابته عرضى وان لام لايم

وقال صاحب اداب السياسة اعلم ان من صفح عن جريمة وعفا عن كبيرة وحلم عن خطيئة وتجاوز عن فعلة غير مرضية كان لاخلاق القادر الحليم مشابها لحدوده فى اسباغ العفو عن المجرمين سالكا وكفى بهذه الخلايق شرفا وفخرا وبموافقة البارى جلت عظمته نباهة وذكرا لان الله تعالى مدح العافين وفضل الكاظمين فقال جل جلاله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال

وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عفا عن الناس عفا الله عنه وقال على رضى الله عنه اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ثلاث من كن فيه كمل من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ومن لم يثنه رضاه عن معصية الله واذا قدر عفا وقال الشاعر

واحسن ما تحلى المرء يوما … بعفو عند قدرته جميل
فان ذوى المراتب والمعالى … يرون الصفح عن خطا جليل

وفى سنا الامارة ان الحسين بن على رضى الله عنهما اتته جارية بطعام فلما قربته منه عثرت فالقت الطعام على راسه فنظر اليها مغضبا فقالت يا ابن بنت رسول الله والكاظمين الغيظ قال قد كظمت قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت قالت والله يحب المحسنين فقال وانت حرة لوجه الله تعالى وقيل عفو الملوك ابقى للملك والاصاغر يهنون والاكابر يعفون ودخل ابن خزيمة على المهدى وقد اراد ان يجهز جيشا الى الشام ليغزوهم فقال يا امير المومنين عليك بالعفو عن المذنب والتجاوز عن المسيء ولان تطيعك العرب طاعة محبة خير من ان تطيعك طاعة خوف وقال ابن فضالة كنت جالسا عند ابى جعفر المنصور اذ امر بقتل رجل فقلت يا امير المومنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد بين يدى الله الا من كانت له يد عند الله فليتقدم فلا يتقدم الا من عفا عن مذنب بامر باطلاقه وقيل لابى مسلم الا تضرب عنق فلان فان الرجل كان يشتمه ايام المحاربة فقال اكره ان اكون لئيما كالحجاج فانه كان يضرب الاعناق بعد الظفر وانا قوم اذا نوزعنا نازعنا واذا غلبنا عفونا وقيل للاسكندر اى شيء انت به اسر مما ملكت قال عفوى عمن اساء الى بعد قدرتى عليه ومكافاتى من احسن الى باكثر من احسانه وقيل العفو عن المقر لا عن المصر وقيل من عفا عن مستحق العقوبة كان كمن عاقب مستحق الاحسان وقيل انما يستحق الجانى العفو على اساءة مخصوصة بالعافى كمن اخذ ماله او شتم عرضه اما اذا كانت الاساءة عايدة على الشرع او على الناس فليس له العفو والفرق بين العفو والصفح والحلم ان الحلم امساك النفس عن هيجان الغضب والتحلم امساكها عن قضاء الوطر منه اذا هاج واما العفو والصفح فهما صورتا الحلم فالعفو ترك المواخذة وترك التثريب اقول اى العتب مشتق من الثرب بفتح المثلثة اوله وفتح الراء وسكونها وهو الشحم يكون غشاوة للكرش فكان العتب واللوم يذيبا جسم الكريم ويثربه لشدتهما عليه والصفح يمنع عنه ذلك قال واشتقاق الصفح من تجاوز الصفحة التى اثبت بها ذنوبه والاعراض بصفحة الوجه عن التبث وهو محمود اذا كان على الوجه الذى يجب ولهذا قال الله تعالى فاصفح الصفح الجميل لحفوذ للاتبيها

على ما

على ما يجد منه وفى التفسير ان الصفح الجميل هو الخالى من التقريع والتعريع ولا توبيخ ولا معاتبة ومما قيل فى طلب العفو من الله تعالى شعر

اصبحت من سياتى خايفا وجلا … والله يعلم اعلانى واسرارى
اذا تعاظمنى ذنبى واتيته … رجوت عفو عظيم العفو غفار

وقد يتوجع لك الصديق فى الظاهر وهو فى الباطن سبع كاسر فاحذر منه قطعا ولا تبرز له ضرا ولا نفعا قال الشاعر

لا تشكون الى الصديق حالة … ما تيك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة … فى القلب مثل شماتة الاعداء

رجع الى الاخوة ومن لم يجد اخا مواخيا ولا خليلا صادقا فالعزلة له اسلم من العشرة واستر لعرضه من اظهار ما له من عيب وعثرة كما قال الشاعر

راحتى يا اخوتى فى خلوتى … وبلاى كله فى عشرتى
كلما عاشرت قوما مدة … اظهروا عيبى وابدوا زلتى
ما انقطاعى عنهم من ملل … بل رايت العز لى فى عزلتى
لم اجد منهم خليلا صادقا … يحفظ الود ويرعى حرمتى

وقال آخر

من كان فى العزلة رغبة … فان فى العزلة عزا له

وقيل لبقراط مالك لا تشاهد الناس قال لانى وجدت الانفراد بالخلوة اجمع لدواعى السلوة وعز فى الوحدة خير من ذل فى الجماعة والوحدة اسهل من مداراة الخلطة وكتب ولى الله الشيخ على الهروى الذى ساح غالب الربع المعمور على حايط تربته التى انشاها له الملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين يوسف بن ايوب مدرسة بظاهر حلب من جهة القبلة ما صورته طفت البلاد وعاشرت العباد فلم ار صديقا صافيا ولا خليلا موافيا فبالله عليك يا قارى هذا الخط لا تصاحب احدا قط ومن كلامه رحمه الله تعالى

تجنب من صديقك كل يوم … وبالاسرار لا تركن اليه
سلمت من العدو وما دهانى … سوى من كان معتمدى عليه

وقد حذر بعضهم من الصديق فقال

احذر عدوك مرة • واحذر صديقك الف مرة • فلربما هجر الصديق • فكان ادرى بالمضرة • والصديق لا يخلو من عيب • فكن فى شك منه وريب • وقال بعضهم • صديق بلا عيب قليل وجوده • وكشف عيوب الاصدقاء قبيح وفى المثل اذا انقطع رجاوك من صديقك فالحقه بعدوك وقال ابن الرومى عدوك من صديقك مستفيد فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب وقال كسرى لبزرجمهر ما بال معاداة الصديق اقرب ماخذا من مصادقة العدو فقال لان انفاق

المال اهون من كسبه وهدم البنا اهون من رفعه وكرالانا اهون من اصلاحه
الباب الخمسون في الخروج من المنزل قال الفقيه رحمه الله تعالى
يستحب للرجل ان يقول عند خروجه بسم الله توكلت على الله لاحول ولا
قوة الا بالله فانه اذا قال بسم الله يقول له الملك هديت واذا قال توكلت
على الله يقول له الملك كفيت واذا قال لاحول ولا قوة الا بالله يقول له الملك
وقيت ويستحب للرجل اذا خرج من المنزل ان يغض بصره ولا ينظر يمينا ولا
شمالا من غير حاجة يجعل بصره حيث يضع قدمه لان النظر يورث الشهوات
واذا نظر يغفل عن اذى الطريق فيصيبه وهو لا يشعر واذا استقبل المسلم
فابدأ بالسلام واستقبله بالبشاشة فان كان صديقك فصافحه ولا تنزع يدك
من يده قبله وتبسم في وجهه فانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان من فعل ذلك تحاتت ذنوبه ويستحب للرجل مشيه في جانب الطريق وللراكب
في وسط الطريق اذا كان في المصر ولو كان في القفار وسط الطريق للراجل
وجانبا للراكب ويستحب للمتنعل ان يوسع للحافي عن اسهل الطريق فاذا
استقبله الكافر او المرأة يجنا سرارة الطريق وقد جاء في ذلك اثر وروى
سهل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا لقيتم اليهود والنصارى في الطريق فاضطروهم الى اضيقها
وروى معمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس للنساء نصيب في سراة
الطريق ولا ينبغي ان يتمخط او يبزق في طريق الناس لئلا يصيب اقدامهم
ويستحب للرجل مجالسة المشايخ واهل الخير ويكره مجالسة الاحداث والصبيان
والسفهاء لانه يذهب بالمهابة ويستحب المجالسة مع من يرغب في الاخرة
ويذكر الموت ويكره المجالسة مع اهل الدنيا الحراص عليها فانهم يفسدون
على الرجل قلبه وعيشه ودينه واذا استغنيت عن دخول السوق فاترك
الدخول فيها فانه يقال فيها مردة الشياطين والانس ويقال فيهن ذباب
عليهن ثياب واذا كان لا بد فالمستحب له اذا دخل السوق ان يقول لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير فانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال
هذا فله بعدد من في السوق حسنات انتهى بكماله اقول المصافحة

وسرارة

الطريق

الطريق افضل موضع فيه قال في الصحاح وسر الوادي افضل موضع فيه والجمع
اسرة وكذلك سرارة الوادي والجمع سرار الباب الحادي والخمسون في الكسب
والعمل والتوكل والرضا قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض الناس
الاشتغال بالكسب وقالوا الواجب على كل انسان الاشتغال بعبادة ربه
والتوكل عليه اقول قد نقل في باب الكراهية من كتاب النوازل عن ثابت
البناني انه قال بلغني ان العبادة عشرة تسعة في طلب المعيشة وواحدة
في العبادة ثم قال الفقيه قال عامة اهل العلم الكسب بمقدار ما يكفيه
ولعياله واجب فان زاد على ذلك فهو مباح والاشتغال بالعبادة اولى واذا
اشتغل بطلب الزيادة لا يكون نحو اما اذا لم يرد به الفخر والريا واما من قال
بانه لا ينبغي ان يشتغل بالكسب لان الله تعالى قال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وقد اخبر الله تعالى انه خلق الخلق لعبادته فينبغي لهم ان يشتغلوا
بعبادته وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله الي بان اجمع المال
واكون من التاجرين ولكنه اوحى الي بان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين واما حجة من قال ان مطلب قوته وقوت
عياله واجب لان الله تعالى فرض الفرايض وامر باداءها ولا يتهيا للعبد
اداء الفرايض الا باللباس وقوت النفس وهو لا يقدر عليه الا بالكسب وذلك
قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
وقال النبي صلى الله عليه وسلم تبايعوا بالبز فان اباكم ابرهيم كان بزازا
اقول البز له معان منها ما رواه محمد بن الحسن في السير ان البز عند اهل
الكوفة ثياب الكتان والقطن كذا في المغرب ولعله المراد هنا ثم قال الفقيه
وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى من ترك الكسب ذهبت مروته وساء
خلقه وقال ابرهيم ابن يوسف عليكم بالسوق فانه عز لصاحبه وفي باب
الكراهية من النوازل عن شقيق بن ابرهيم في قوله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض قال لو ان الله تعالى رزق لعباده من غير كسب لتفرغوا
وتفاسدوا ولكن شغلهم بالكسب كي لا يتفرغوا للفساد ثم قال الفقيه
ويقال ترك الكسب على ثلاثة اوجه للكسل وللتقوى وللعار فمن تركه كسلا فلا
بد له من السؤال ومن تركه تقى فلا بد له من الطمع والفاقة ومن تركه عارا او حمية
فلا بد له من السرقة ويقال ثلاثة اشيا لا علاج لها احدها المرض اذا خالطه
الهرم والثاني العداوة اذا خالطها الحسد والثالثة الفقر اذا خالطه
الكسل وسياتي الهرم في الباب الرابع والسبعين والعداوة تقدمت في
الباب الثاني وتاتي في ملحقه والكسل ياتي في هذا الباب ثم قال الفقيه
وقال ابو القاسم الحكيم كسب الحلال يحمل لذي الفاقة العفيف وستر للمستقري
الضعيف وقطع للسان ذي الاحنة السخيف الاحنة الحقد ويقال لكل شيء

حلية وحلية الشاب وزينته ان يكون ورآء عمله ويقال ست خصال اذا كان
في الرجل يكون سيد الرجال ثلاثة من خارج البيت وثلاثة من داخله فاما اللواتي
من خارج البيت اولها الاستفادة من العلماء والثانية مخالطة اهل الورع
والثالثة ان يطلب قوته وقوت عياله من وجه ما يحل ويجمل واما اللواتي في داخل
البيت اولها المذاكرة مع اهله ما سمع من العلماء والثانية استعمال النفس
بما راى من اهل الورع والثالثة ان يوسع على اهله من اللباس والطعام مقدار
طاقته انتهى بكماله اقول قد امر الله تعالى بالسعي فقال تعالى فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه وقال شقيق بن ابرهيم في قوله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض قال لو انزل الله رزق العباد من غير كسب لتفرقوا
وتفاسدوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كسب الحلال فريضة بعد
فريضة وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب كل مومن محترف
وقال من سعى على نفسه ليعفها فهو في سبيل الله ومن سعى ليكاثر فهو
في سبيل الشيطان وقال ابو الاسود الدؤلي الذي وضع النحو واسمه ظالم شعر

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن الق دلوك في الدلاء
تجئ بملئها طورا وطورا تجئ بحمأة وقليل مآء

وقيل متى كان سعي العبد على الوجه الذي يجب وكما يجب كان سعيه عبادة
وجهادا في سبيل الله ومتى لم يكن على ذلك فسعيه هباء منثورا ويكون
ممن قال الله تعالى في حقهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا وقال بعض الحكماء الظلمة ثلاثة ظالم
اعظم وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله تعالى وظالم اوسط وهو الذي
لا يلتزم حكم السلطان وظالم اصغر وهو الذي يتعطل من المكاسب والاعمال
فياخذ منافع الناس ولا يعطيهم منفعته وقيل من احترف اعتلف
ومن جال نال ومن سعى رعى ومن لزم المنام راى الاحلام وقال الشاعر

فاسع تدرك بقدر سعيك مجدا ان مجد الفتى بقدر المساعي

وقال الاصمعي مررت بكناس في بعض طرق البصرة وهو ينقل العذرة وينشد

واكرم نفسي انني ان اهنتها وحقك لم تكرم على احد بعدي

فقلت وعن اي شي اكرمتها وهذه العذرة على رقبتك فقال عن الوقوف
بباب مثلك وقيل لرجل يعمل في المعادن ما اشد عملك فقال استخراج الماء
من الجبال اهون من استخراج من ايدي الرجال والتكسب لا يصلح للملوك
فانهم اشرف الناس وقد خصوا بمواد السلطنة وهي مواد الشرف فاذا زاحموا
العامة في رذايل مكاسبهم اوهنوا الرعايا ودمروا الممالك وعادوا هم
عليها فاختل نظامها وعيل مرامها الرمث لكان اللبن فتكون دعائم
الممالك اضعافها بالتكسب وتركها ضعيفة لينة غير صحيحة قوية والله اعلم

وقال ارسطو اي ملك نازع السوقة هتك شرفه قال صاحب اداب السياسة
هذا اذا كان الملك متمكنا في قدرته واخراج ودخل يكفيه ويقوم بما هو
مكلف به واما اذا لم يكن له ما يكفيه في تدبير ملكه فاذا اتجر فهو اصلح من
ان ياخذ اموال الناس او ينقهر عن القيام باسباب الملك وقيل ترك التجارة
عند الخسارة تجارة خصوصا اذا كان فيها خسارة الدين بكسب الحرام قال الشاعر

لعمرك ما كل البطالة صابر ولا كل شغل فيه للمرء منفعة
اذا كانت الارزاق في القرب والنوى عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

وينبغي ان لا يستبطي الرجل الرزق فيطلبه بالمعاصي فانه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوه بمعاصي الله
فانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولا بد للرجل ما دام حيا من معين
واكتساب قال الشاعر

وقالوا اضطرب في الارض فالرزق واسع فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
اذا لم يكن في الارض حر يعينني ولم يك لي كسب فمن اين ارزق

فصل خير الاكتساب الصنعة باليد قال الله تعالى في حق داود عليه السلام
وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم يعني تحفظكم من حربكم فاختر لنفسك
الصنعة كما اختارها الله تعالى لداود عليه السلام وقال النبي صلى
الله عليه وسلم خير ما اكل المرء من كسب يده مثل قيل للدجاجة لاي شي
لا تاكلي حتى تبحثي الارض قالت لانني اريد ان لا اكل الا من كسب يدي وقال
علي رضي الله عنه قيمة كل امرء ما يحسنه وقيل صنعة في الكف وفي اليد
امان من الفقر قال الشاعر

عليك بالصنعة يا ذا الحجى فانها امن من الفقر
ولا يغرنك مال ولا اهل ترى الرزق بهم يجري
فربما زالا جميعا ولم تلق سوى الصنعة من ذخر

ويقال العاقل اذا لم يعرف صنعة كان كمن لا عقل له وهي عبادة قيل
عبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية عيسى عليه الصلاة والسلام
على رجل منقطع يتعبد فقال له من يعولك فقال اخي وهو صانع يعمل
ويعينني فقال له اخوك اعبد منك وروي ان جماعة من الاشعريين
رافقوا رجلا في طريق فلما وصلوا قالوا يا رسول الله ما راينا اعبد من رجل
معنا كان يصوم النهار ويقوم الليل جميعه فقال من كان يمهد له قالوا
كلنا قال كلكم اعبد منه وينبغي للملوك ان يعلموا اولادهم الصنعة خوفا من
نكبات الزمان وان لا تختفي عليهم محاسن الصنايع من مساويها فاذا
تمكنوا في الملك فلا ينبغي ان يشتغلوا بغير التدبير ويقال من لم يعمل لنفسه

عمل الناس ولم يصبر على كده صبر على الافلاس وقال عمر رضي الله عنه ان كان
الشغل مجهدة فان الفراغ مفسدة خصوصا اذا اجتمع مع ذلك شباب
وجدة قال الشاعر ان الفراغ والشباب والجدة * مفسدة للمرء اى مفسدة *

فصل ومن اعظم الاسباب الاكتساب السفر قال الله وآخرون يضربون في
الارض يبتغون من فضل الله وقال تعالى وامشوا في مناكبها وكلوا من
رزقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافروا تغنموا فانكم ان لم
تغنموا مالا افدتم اى استفدتم عقلا وقال الشاعر

تغرب عن الاوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الاسفار خمس فوايد
تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

وقال آخر

اذا الزم الناس البيوت رايتهم ... عماة عن الاخبار خرق المكاسب

وقال ابن قلاقس الشاعر لعله قلاقس

فتقلقل ركابك في الفلا ... ودع الغواني للخدور
فمحالفوا اوطانهم ... امثال سكان القبور
لولا التنقل ما ارتقت ... درر البحور الى النحور

وقال ابو الفضل احمد بديع الزمان في ذم المكث من رسالة الماء اذا طال
مكثه * ظهر خبثه * واذا سكن متنه * تحرك نتنه * وقال ابو الفرج
ابن هندو الطبيب

تورض خيامك عن ارض تضام بها ... وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة ... فالمندل الرطب في اوطانه حطب

ويقال في المثل من آثر السفر على القعود * فاحرى به ان يعود مورق العود
ويقال ربما اسفر السفر * عن الظفر * وتعذر في الوطن * قضاء الوطر *
وللسفر آداب منها الرفيق قيل ان مما يسكن وجد الغريب ويعين المسافر
على مشقة طريقه رفيق تطيب صحبته فالواجب على من اراد سفرا ان
ينتخب له رفيقا موافقا شفيقا قيل ما سمي السفر سفرا الا لانه يسفر عن
الاخلاق الحميدة والذميمة ولذلك قيل لا تحمدن احدا حتى تجربه في معاملة
او سفر وقيل في اكرام الرفيق

اكرم رفيقك حتى ينقضي السفر ... ان الدنايات توليه سينتشر
ولا تكن كلئام اظهروا ضجرا ... ان اللئام اذا ما سافروا ضجروا

ومنهم من ذم السفر قال الله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع
احدكم من نومه وطعامه وشرابه وفي المثل السفر سقر وقيل للمعتصم
السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر والسفر غربة

وقد قيل فيها * الغربة كربة * وذلة والذلة قلة * والغريب كالغرس الذي
فارق ارضه * ومنع شربه * فهو ذاو لا يثمر * وذابل لا ينضر * وقد ذكر
الله تعالى صعوبة مفارقة الوطن ومضرتها فقال تعالى ولو انا كتبنا عليهم
ان اقتلوا او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم فقرن الجلاء
عن الوطن بالقتل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن
عقوبة وقال حب الوطن من الايمان وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم
ارضه وقال الشاعر

ولي وطن آليت الا ابيعه ... وان لا ارى غيري له الدهر مالكا
شهدت به شرخ الشباب ونعمة ... بنعمة قوم اصبحوا في ظلالكا
وقد الفته النفس حتى كانه ... له جسد ان غاب غودرت هالكا
وحبب اوطان الرجال اليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

وقيل اسم الغربة مجموع من اسماء تدل على مضرتها فالغين من الغيبة و
وغبن وغم وغل وهو حرارة الحزن والظما والراء من رزء وروع
ورعب وردى وهو الهلاك واشباه لهذه الاسماء والباء من بلوى
وبؤس وبعد وبوار وهو الهلاك واشباه لها والهاء من الهلاك وفيه
كفاية وقال الشاعر

كفى بعيد الدار ان ادرك الغنى ... ونال الثراء ان يقال غريب

وقال آخر

لو انه ملك تسري الجيوش به ... ما كان الا غريبا اين ما سلكا

وقال آخر

ان الغريب وان اقام ببلدة ... يجبى اليه خراجها لغريب

قيل لما اسر سابور ملك الفرس ضعف فقالت له ابنة ملك الروم وقد
عشقته ما تشتهي فقال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر
فحمل اليه فشفي من علته والغربة لا تصلح الا لمن انضام في ارضه ولم
ينصفه احد فمن اخذ من عرضه كما قال الشاعر

اذا كنت في ارض وضامك اهلها ... ولم تك ذا جاه بها فتغرب
فان رسول الله لم تستقم له ... بمكة حال واستقامت بيثرب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العباد عباد الله والبلاد بلاد
الله فحيث وجدت خيرا فاقم واتق الله والعاقل اللبيب ليس في بلدة
بغريب وقال الشاعر

يعد رفيع القوم من كان عاقلا ... وان لم يكن في قومه بحسيب
فان حل ارضا عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدة بغريب

وقد ذكر الفقيه رحمه الله تعالى في اول هذا الباب التوكل والعمل ولم يذكر شيا من تعلقاتهما اختصارا وانا اذكر لك شيا من ذلك واما التوكل فقيل هو نظام الايمان وقرين التوفيق والسبب المؤدي الى نفي الفقر ووجود الراحة وازالة الهم والكلف وحد التوكل انسان حط بنية خالصة ويقين صادق على الله تعالى الا اغناه الله تعالى قال الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال بزرجمهر اذا كان قاسم الارزاق هو الله تعالى وما قد قسمه فليس بغيره فلم احتمل مؤنة الخلايق وفي المثل من اخلص التوكل كفي مؤنة التحمل وفي باب الكراهية من كتاب النوازل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه راى اناسا من اهل اليمن فقال ما انتم فقالوا نحن المتوكلون فقال كذبتم بل انتم متكلون وقال بل انتم متاكلون الا اخبركم بالمتوكلين الرجل الق حبه في بطن الارض فتوكل على ربه وقال محمد بن يوسف بن حبيش

اني لاعلم حيانا فتدركني بشرى من الله ان العسر قد زال لا
يقول خير الورى في سنة ثبت انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا

وقيل رب حظ ادركه غير طالبه ودر احرزه غير حالبه وقال علي رضي الله عنه الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم وقال محمد بن ادريس المعروف بمرج كحل الاندلسي

مثل الرزق الذي تطلبه مثل الظل الذي يسعى معك
انت لا تدركه مستعجلا واذا وليت عنه تبعك

وقال الاخر

رايت الرضى بالقسم داعية الغنى وغير الرضى بالقسم داعية الفقر
فاصبحت قد ايقنت ذلك مدركا يسعى سوى قسمي تخف له ظهري

واعلم ان الرضى درجة العارفين والصبر زاد المضطرين ما احسب شيا يتقدم الصبر الا الرضا لان اول درجة الصبر الاهتمام ثم التيقظ ثم التثبت ثم الصبر ثم الرضا وهو النهاية في الحالات وهو باب الله الاعظم فمن اكرم به فقد لقي بالترحيب الاوفى واكرم بالتقريب الاعلا لان العبد لا يكاد يرضى عن الحق تعالى الا بعد رضى الحق عنه لان الله تعالى يقول رضي الله عنهم ورضوا عنه فجعل احد الرضايين مقرونا بالاخر فمن بلغ هذه الدرجة فقد عرف خساسة الدنيا واطلع على جنة المأوى وخوطب بمودة الملا الاعلى وقال الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام وطن نفسك على الرضا تنل الحلم واسعر زند قلبك بالتقوى تنل العلم وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى احق الناس بالرضا عن الله اهل المعرفة به وقال بعض الحكما بالصبر على ما تكره

تنال

تنال ما تحب وبالصبر عما تحب تنجو مما تكره وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذا الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضا انتكس قال الشاعر

وما يغني التاوه اذ تولى وهل ما كان مرتجع باه
فاقرارا وتسليما وصبرا على ما كان من قدر الاله

وقال اخر

واني لارضى مسيئا ومحسنا واقضي على قلبي له بالذي يقضي
فحق متى روح الرضا لا ينالني وحق متى ايام سخطك لا تمضي

وكان عروة ابن اذينة محدثا شاعرا من اهل المدينة فقدم على اهل الشام ابن عبد الملك فدخل من الشعراء فقال هشام من انت فانتسب له فقال له انت القايل لقد علمت وما الاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف ياتيني

اسعى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت اتاني لا يعنيني

قال نعم وقد جيت لبيك وانا اعلم ذلك فقال له هشام تقول هذا وتاتي من المدينة الى الشام هلا قعدت في بيتك حتى ياتيك رزقك فقد اكذبتك نفسك فقال يا امير المومنين جابني احدى امرين تحريك رزق واجل فجزاك الله خيرا فلقد وعظت فابلغت فتعجب هشام من فصاحته ثم قام عروة من وقته فخرج وركب راحلته وقصد المدينة فلما كان في الليل ذكره هشام وقال رجل من قريش وفد على فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع ذلك شاعر ولا امن انه يهجوني فلما اصبح سال عنه فقيل توجه الى المدينة فقال هشام لا جرم والله ليعلمن ان رزقه ياتيه وهو في بيته فدعا مولى له فاعطاه الف دينار وفرض له فريضتين وقال الحقه واعتذر اليه فسار خلفه اياما فلحقه فقال امير المومنين يقول اردت ان تكذبنا وتصدق نفسك هذه جايزتك مضيا عنه فقال قل لامير المومنين قد صدقني الله وبعث برزقي والله لا سالت احدا بعدها حاجة ابدا فكان صوطه يسقط من يده فينزل فياخذه ولا يستعين باحد على تناوله وقال الحريري في درة الغواص في اوهام الخواص رويت هذه الحكاية من عروة وضبط اذينة بضم الهمزة والدال المهملة مفتوحة والبا اخر الحروف مشددة وروى بعضهم الاسراف بالسين المهمل ورواه بعضهم بالشين المعجمة ليكون معناها التطلع الى الشي والاستشراف انتهى وهذان البيتان المتقدمتان من ابيات حسنة منها

لا خير في طمع يدني لمنقصة وبلغة من كفاف العيش تكفيني
لا اركب الامر تزري بي عواقبه ولا يعاب له عرضي ولا ديني
اقوم بالامر وما كان من اربي واكثر الصمت عما ليس يعنيني

كم من فقير غني النفس تعرفه ... ومن غني فقير النفس مسكين
ومن اخ لي طوى كشحا فقلت له ... ان انطواءك عني سوف يطويني
لا ابتغي وصل من يبغي مفارقتي ... ولا الين لمن لا يشتهي ليني

وحكى ابن خلكان عن ابن بابشاذ النحوي الديلمي المصري انه كان يوما في سطح جامع
مصر وهو ياكل شيئا وعنده ناس فحضره قط فرموا له لقمة فاخذها في فمه
وغاب عنهم ثم عاد اليهم فرموا له شيئا آخر ففعل كذلك وتردد مرارا كثيرة
وهم يرمون له ويذهب ويعود حتى عجبوا منه وعلموا ان مثل هذا الطعام لا
ياكله وحده لكثرته واسترابوه وتبعوه فوجدوه يذهب الى بيت خال خراب
فيه وفيه قط اعمى ويضع ما ياخذه بين يديه وهو ياكله فتعجبوا من ذلك
وقال ابن بابشاذ اذا كان هذا حيوانا اخرس قد سخر الله له هذا القط وهو
يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف بضيع مثلي ثم قطع الشيخ علايقه واستعفى
من الخدمة ونزع عن راتبه ولازم بيته واشتغاله متوكلا على الله سبحانه
وتعالى وما زال محروسا محمول الكلفة الى ان مات رحمه الله تعالى ويروى ان
الخليل بن احمد كتب لسليمان بن حبيب والي فارس والاهواز لما قطع مرتبة
الذي جعله له قوله

ان الذي شق فمي ضامن ... للرزق حتى يتوفاني
حرمتني خيرا قليلا فما ... زادك في مالك حرماني

فبلغت سليمان فاقامته واقعدته وكتب الى الخليل يعتذر اليه واضعف
راتبه رجع الى التوكل وقال الله تعالى واذا عزمت فتوكل على الله فقد امر
بالتوكل عند العزيمة على الامر وهو اكرم الاكرمين لا يخيب من اتكل عليه قال
الشاعر واذا اتكلت على الكريم فثق به ... ان الكريم لمن رجاه كافي
وقال الفضيل يا رب اني لاستحيي ان اقول توكلت عليك لما خفت ولا
رجوت غيرك وقال بعض اهل الطريق نفعنا الله تعالى بهم لا بد للمتوكل
من السعي لطلب القوت لكنه اذا احتاج الى ذلك فيطلب قوته من باب
فان اعطي اخذ ورجع الى مكانه وان لم يعط فيقصد بابا ثانيا فان اعطي
اخذ ورجع الى مكانه ايضا وان منع قصد بابا ثالثا فان اعطي اخذ ورجع
الى مكانه وان منع رجع ايضا الى مكانه ويعلم انه لم يقسم له شئ في تلك
الساعة وباب التوكل واسع فمن اراده فليقصده في كتب اهل التصوف
اعاد الله علينا من بركاتهم واما العمل في قول الفقيه ان زينة الشاب
ان يكون وراء عمله فقد قيل ان العطلة موت والعمل حياتها لان العطلة
سكون والعمل حركة وشتان ما بين الموت والحيوة قال الله تعالى لا يستوي
الاحياء والاموات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الرجل
البطال الذي لا يسعى في امر دينه ولا دنياه وقال عليه الصلاة والسلام

يقول الله

يقول الله تعالى يا ابن ادم خلقتك من الحركة للحركة فتحرك وانا معك وفي بعض
الكتب ابن ادم مد يدك الى باب من الطلب افتح بابا من الرزق وقيل تراب العمل
خير من زعفران البطالة قال الشاعر

بقدر الجد يكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلي

وقد ذكر الفقيه طرفا مما قيل في الكسل وانا اذكر لك شيئا من ذلك ليتجنبه
الانسان فلا يقال في حقه كسلان قال في آداب السياسة ما ملخصه الكسل
مفتاح المتربة ولقاح المتعبة لان من عطل وبطل صار من جنس الموتى
ومن اعتاد الكسل والفشل والاضطهاد وغلبة الرجال وقال عليه الصلاة
والسلام اياكم والكسل فانه يثبط عن العبادة وانه لشر العادة شعر

صح
القهر والاضطرار

لا تصحب الكسلان في حاجاته ... كم صالح بفساد آخر يفسد

وقيل اياك والكسل والتواني فتقذفك الرجال خلف عقابها وقال الشاعر
وان التواني انكح العجز بنته ... وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي ... فقصراكما لا بد ان تلدا فقرا
وفي كتاب الهند وقيل التواني والعجز ينتجان الهلكة والراي يهلك بين التواني
والعجز والعجز يقبح في امرين في التقصير في طلب الامر وقد امكن وفي الجد
في طلبه وقد فات وفي الحماسة البخل يتلف بين العجز والضجر وقال عبد
الملك بن مروان لابنه الوليد وكان ولي عهده ليس بين الملك وبين ان يملك
الرعية او تملكه الرعية الا حزم او توان وقيل لبزرجمهر من الاجتهاد
ما هو شر من التواني قال نعم ما كان في غير حينه وسياتي شئ من التواني في
الباب السادس والستين ان الله تعالى الباب الثاني والخمسون في البيع
والشراء قال الفقيه رحمه الله تعالى لا ينبغي للرجل ان يشتغل بالتجارة
ما لم يعرف احكام البيع والشراء وما يجوز وما لا يجوز وروى عن عمر رضي الله
عنه انه قال لا يبيعن في اسواقنا من لم يتفقه في الدين وروى عن علي رضي
الله عنه انه قال من اتجر قبل ان يتفقه فقد ارتطم وروى سهل عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله رجلا سهل البيع والشراء سهل القضاء
سهل التقاضي وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من انظر معسرا
او وضع عنه اظله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله اقول
قد تقدم في الباب الثالث والعشرين بيان في فضيلة ابراء المعسر وهو
سنة او مستحب على الصبر عليه ثم قال الفقيه وروى عن محمد بن السماك
انه كان يدخل في السوق ويقول يا اهل السوق سوقكم كاسد وبيعكم فاسد
وجاركم حاسد وما واكم النار يعني اذا كان التاجر جاهلا واذا كان التاجر
قد تعلم الفقه ويكون تقيا في حال تجارته فهو في جهاد الجهاد لانه روى في الخبر

ان كسب الحلال افضل من الجهاد وقال قتادة بلغنا ان التاجر الصدوق تحت
ظل العرش يوم القيامة واذا باع الرجل شيئا واشترى فندم صاحبه وطلب
الاقالة ينبغي ان يجيبه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اقال نادما بيعته
اقال الله عثرته يوم القيمة وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى ان رجلا اشترى
منه خزا ثم ندم الرجل على ذلك فجاء اليه وطلب منه الاقالة فاقاله البيع ثم
قال ابو حنيفة لخادمه قم وارفع الثياب حتى تذهب الى المنزل فانما كانت
حاجتي الى البيع والشراء لكي ادخل تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم من اقال
نادما بيعته اقال الله عثراته يوم القيمة وقد دخلت تحت الخبر الآن واذا
اشتريت شيئا من السوق فقال لك صاحبه قبل الشراء ذق وانت في حل فلا
تاكل منه لانه اذن بالاكل لاجل الشراء فربما لا يرتفع بينكما بيع فيكون ذلك الاكل
بشبهة ولكن لو وصف لك صفة فاشتريته فلم تجده على تلك الصفة فانت
بالخيار ويكره للتاجر ان يحلف لاجل ترويج السلعة ويكره ان يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم في عرض سلعته وهو يقول صلى الله على محمد ما اجود هذا
ويستحب للتاجر ان لا تشغله تجارته عن اداء الفرائض فاذا جاء وقت
الصلاة ينبغي ان يترك تجارته حتى يكون من اهل هذه الآية رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال
بعضهم هم الذين تركوا التجارة فاشتغلوا بالعبادة مثل اصحاب الصفة
ومن كان مثل حالهم وقال بعضهم هم الذين يتجرون ولا تشغلهم تجارتهم
عن الصلوات لميقاتها وروى عن الحسن البصري رحمه الله تعالى انه قال
كانوا يتجرون فلا تلهيهم تجارتهم عن ذكر الله عز وجل وقال الفقيه دخل
في الآية كلا الفريقين وهي محتملة للتفسيرين جميعا انتهى كلامه

الباب الثالث والخمسون في الاستدانة قال الفقيه رحمه الله تعالى

لا باس بان يستدين الرجل اذا كانت له حاجة لا بد منها وهو يريد قضاءها
ولو استدان دينا وقصد ان لا يقضيه فهو اكل السحت وروى عن عائشة
رضي الله عنها انها كانت تستدين فقيل لها ما لك وللدين قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان عليه دين ينوي قضاءه كان معه
من الله عز وجل عون فانا التمس ذلك العون وروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال تعرضوا للرزق فاذا غلب احدكم فليستدن على الله وعلى رسوله
وروى عن محمد بن علي رضي الله عنهما انه كان يستدين فقيل له لم تستدين
ولك كذا وكذا من المال قال لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله مع
الداين حتى يقضي دينه فاحب ان يكون الله عز وجل معي ولما اذا استدان
ونيته ان لا يودي فهو اكل السحت لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من تزوج امراة ونيته ان يذهب بصداقها جاء يوم القيمة زانيا
ومن اشترى شيئا ونيته ان يذهب بثمنه جاء يوم القيمة سارقا وروى
ابو قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قيل يا رسول الله من يقتل في
سبيل الله هل يكفر عن خطاياه قال نعم اذا قتل محتسبا صابرا مقبلا غير
مدبر الا الدين فانه ماخوذ به وقال لقمان الحكيم حملت الجندل والحديد
فلم احمل شيئا اثقل من الدين انتهى كلامه قوله السحت والسحت بسكون
السين المهملة وضمها الحرام والداين قال في الصحاح دنت الرجل اقرضته
وهو مدين ومديون ودان فلان يدين دينا استقرض وصار عليه دين
فهو داين والجندل الحجارة وينبغي لمن يستدين وهو ضاحك ان يوفي دينه
وهو ضاحك كما حكي ان رجلا جاء الى صديق له من اهل السوق فشكى اليه
اضافة وساله ان يقرضه دراهم فقال نعم حبا وكرامة يا غلام هات الكيس
والميزان والمرآة فوزن له من ماله ما التمسه فاخذه الرجل واثنى عليه
وقام ليقبل راسه فقال يا اخي لا احب تقبيل راسي ولكن لي اليك حاجة
قال وما هي قال انظر في هذه المرآة كيف تبصر وجهك في الفرح ناضرا مشرقا
فاحب ان يكون وجهك اذا سالتك رده ما قبضت ها هو الساعة وقال
بعضهم ان الانسان لا يستدين بل يصبر على نفسه قال سفيان الثوري
رضي الله عنه كان حبيب بن ثابت الاسدي من الطبقة الثالثة من
التابعين من اهل الكوفة من ارباب الزهد والورع والفتوى وكان يقول
ما استقرضت من احد شيئا احب الي من نفسي اقول لها امهلي حتى يجيء
من جهة احب وللخباز البلدي شعر

اذا استثقلت او ابغضت خلقا ... وسرك بعده حتى التنادي
فشرده بقرض دريهمات ... فان القرض داعية الفساد

الباب الرابع والخمسون في الرفق والتواضع من غير ذل قال

الفقيه رحمه الله تعالى ينبغي للمسلم ان يستعمل الرفق في كل شيء ويستعمل
التواضع من غير ذل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما دخل الرفق
في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه وروى مجاهد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لو نظر الناس الى خلق الرفق لم يروا مما خلق الله
تعالى مخلوقا احسن منه ولو نظروا الى خلق الخرق لم يروا مما خلق الله مخلوقا
اقبح منه وقال ابو الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه اقوام وان
قلوبنا لتلعنهم قال النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع من غير منقصة
وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل
الفقه والحكمة وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها
ان رجلا خاصم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال وهو يخاصم حسبي الله ونعم
الوكيل وقال لقمان لابنه يا بني لا تكن مرا فتعقى ولا حلوا فتبتلع ومثله
قول بعض الشعراء

فلا تكن سكرا فتاكلك الناس ولا حنظلا تذاق فترمى

وقال ابرهيم النخعي في قول الله عز وجل والذين اذا اصابهم البغي هم
ينتصرون قال وكانوا يكرهون للمؤمن ان يذل نفسه وروي عن عائشة
رضي الله عنها ان امرأة سألتها فقالت ان لي جيرانا يهينوني ويكرمونني
فقالت عائشة اهيني من اهانك واكرمي من اكرمك قال الفقيه هذا الذي
قالت عائشة هو العدل والانصاف واما من اخذ بالفضل ويحسن الى
من اساء اليه فهو افضل لان الله عز وجل قال وجزاء سيئة سيئة مثلها
ثم قال فمن عفا واصلح فاجره على الله ويقال ثلاثة من اخلاق اهل
الجنة لا توجد الا في الكريم الاحسان الى من اساء اليه والعفو عمن ظلمه
والبذل لمن حرمه وهذا موافق بقول الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وروي عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال راس العقل بعد الايمان بالله
مداراة الناس واهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة ولن
يهلك امرؤ بعد المشورة انتهى اقول الرفق بكسر الراء ضد الخرق بضم الخاء
المعجمة كما ان الخرق ضد الرفق والتكشر التبسم وتلعنهم تبغضهم
وتعقى بتقديم العين على القاف تقول عقيت الشيء اذا ازلته من فيك
لمرارته وفي المثل مرا فتعقى ولا حلوا فتسترط اي تبتلع وقد ذكر الفقيه
في هذا الباب حديثا عن عروة عن عائشة رضي الله عنها فاسقطته كوني
انني ذكرته في الباب السابع والاربعين في مداراة الناس لانه اليق به
وفي آداب السياسة الرفق كالوالد الشفيق وهو مطية الالباء وشيمة

الاولياء ما استطاعه الحذر الا فاز بما آربه والظفر ولا تعداه انسان الا خسر
وانقهر وقد امر الله تعالى في اماكن منها قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من
القرآن وقوله تعالى يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله رفيق يحب كل رفيق وقال علي رضي الله عنه حسن
التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الاسراف وقالت عائشة رضي الله عنها
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن
اثما شعر فان الرفق فيما قيل يمن وان الخرق في الاشياء شوم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم الطف بكل وال يلطف برعيته
واعسف بكل وال يعسف برعيته وقال صلى الله عليه وسلم كل وال
لا يرفق برعيته لا يرفق به في يوم القيمة وقال الاسكندر لحكيما ما اصلاح
الملك فقال الرفق بالرعية واخذ الحق منها بغير عنف والتودد اليها
بالعدل وامن السبيل وانصاف المظلوم شعر

بالرفق يمارس ولا يرى من تخالطه وما الظن اذا لم ينفع اللين

وقال ابو العيناء يوما لعبيد الله بن يحيى الوزير ايها الوزير اشتد
الحجاب وانسدت الابواب وتحتش الحرمان وجفانا السلطان
فقال ارفق يا ابا عبد الله فقال لو رفق بي فعالك رفق بك قولي انتهى
ملخصا

الباب الخامس والخمسون في زوال الدنيا عن المؤمن قال

الفقيه رحمه الله تعالى قال معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه اما ابو بكر
رضي الله عنه فلم يرد الدنيا ولم ترده واما عمر رضي الله عنه فقد ارادته
ولم يردها واما عثمان رضي الله عنه نال منها ونالت منه واما نحن فقد
تمرغنا ظهرا لبطن فلا ندري الى ما يصير الامر وقال زيد ابن ارقم كنا
عند ابي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه
بكى فبكينا ببكائه فسكتنا ولم يسكت ثم مسح عينيه فقلنا ما اصابك
يا خليفة رسول الله فقال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع
عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله اراك تدفع عن نفسك
شيئا ولم ار احدا معك فقال هذه الدنيا تمثلت لي فقلت لها اليك عني
فتنحت فقلت اما انك انفلت عني فلا ينفلت عني من بعدك فخشيت ان تلحقني
ثم وضع الاناء من يده ولم يشرب قال الفقيه من اصاب شيئا من الدنيا
من الحلال فلا يكن آثما في اخذه ولكن لو تركه كان انفع لآخرته لان النبي
صلى الله عليه وسلم قال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما من اصاب شيئا من الدنيا نقص من آخرته وان كان
كريما على الله عز وجل انتهى بكماله اقول الدنيا والدهر والزمان والايام
متقاربات في انتساب ما يحصل على الانسان فيها من المصائب فاما الدنيا

فتدق لخ اداب السياسة الدنيا ظل الغمام ، وحلم المنام ، والعسل المشوب
بالسم ، والفرح الموصول بالغم ، سالبة النعم ، اكالة الامم ، اولها عناء ،
واخرها فناء ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، شبه الدنيا
بظل الغمام وحلم المنام لانه لا ثبات لهما كما انه لا ثبات لخلة الاشرار وعشق
النساء والمال الكثير والسلطان الجاير والثناء الكاذب والله تعالى ضرب
الدنيا مثلا والنبي صلى الله عليه وسلم ضرب لها مثلا والحكماء ضربوا لها
مثلا والاشياء انما تتضح بالامثال قال الله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى
اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها
اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان رجلا قدم عليه من ارض قومه فسأله عن
ارضه فاخبره عن سعتها وكثرة الخير بها فقال له وكيف تفعلون فقال
اننا نتخذ الوانا من الطعام وناكله فقال له ثم يصير الى ماذا فقال الى ما
يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بولا وغائطا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم وكذلك الدنيا الا وان الدنيا دفر نتن الدفر بالدال المهملة
وسكون الفاء النتن بسكون الوسط يقال دفرا له اى نتنا ومنه قيل
للدنيا ام دفر كذا في الصحاح وقال صلى الله عليه وسلم بروق الدنيا
خُلَّبٌ ونعيمها قُلَّبٌ وصحتها سقام ولذاتها تنغيص والام الخلب
بالخاء المعجمة مضمومة ولام مشددة مفتوحة السحاب الذي لا غيث
فيه ولا خير كانه خادع لان الخلابة بكسر الخاء الخديعة باللسان ويقال
برق خُلَّبٌ بالاضافة والقُلَّبُ بضم القاف وفتح اللام مشددا يقال
هو حُوَّلٌ قُلَّبٌ بضم الاول وفتح الثاني مشددا فيهما اى محتال بصير
بتقلب الامور وسقام بفتح اوله وهو المرض وكذلك السُقم والسَقَم
بضم السين وسكون القاف في الاول وبفتحها في الثاني والتنغيص
التكدير يقال نغص الله عليه العيش اى كدره وقال سقراط طالب
الدنيا ان نال ما امل تركه لغيره وان لم ينل ما امل مات بغصته وقال
الاصمعي سالت اعرابيا عن الدنيا فقال ان الامال قطعت اعناق الرجال
كالسراب غر من رآه واخلف من رجاه ومن كان الليل والنهار مطيته
اسرعا السير به والبلوغ ثم انشأ يقول

المرء يفرح بالايام يدفعها   وكل يوم مضى يدني من الاجل

وقال سقراط الدنيا تنصح تاركها وتغش طالبها فنصيحتها لتاركها عنها
ما تريه من تغيرها باهلها وغشها لطالبها ما تذيقه من لذة
ثم تعقبه مرارة طعمها وسوء منقلبها وقيل لبعض الحكماء كيف ترى الدنيا

فقال سلوا وشوبا سلوا بالما وهبت وهو بالمن سلبت كالصبي اذا لعب
وقيل للمديني كيف ترى الدنيا فقال اراها قحبة يوما في دار عطار ويوما في
دار بيطار وقيل الدنيا كفخ منصوب فيه طعام يسير مر عليه طير كثير فلم
يقع في ذلك الفخ الا طير شرهت نفسه الى طعمه فكان شرهه سببا لحتفه
الشره غلبة الحرص شعر

قد نادت الدنيا على نفسها   ان كان في العالم من يسمع
كم واثق في الارض واريته   وجامع بددت من يجمع

وقال المتنبي

تفانى الرجال على حبها   وما يحصلون على طائل

وقال آخر

ومكلف الايام ضد طباعها   متطلب في الماء جذوة نار

وفي كليله ودمنه الدنيا كالماء المالح التي متى يزدده شاربه يزدد به ظمأ
وعطشا وهي تسمى ابا العجب لانها ترفع الوضيع وتملكه وتضع الرفيع
وتهلكه وتدحض من له اصل وتقيم من لا اصل له وتعطي من لا يستحق
وتمنع من يستحق الدحض الزلق اي تزلق الاصل فترميه الى الارض وقال
الامام الشافعي رحمه الله تعالى

اني تاملت الزمان واهله   فوجدته في فعله كالمنخل
يُعلي النخال على الدقيق سفاهة   ويحط لب لبابه من اسفل

وفي معناه مفرد لابي عبد البكري فقال

وما ذا لهذا الدهر يلحن في الورى   فيرفع مجرورا ويخفض مرفوعا

ومثله قول الشاعر

اني رايت الدهر يقهر اهله   في خفض ذي شرف ورفع ارذل
فالدهر كالميزان في حركاته   يضع الرفيع وذو النواقص تعتلي

وفي وصف الدهر مفرد

وكانه الميزان في حالاته   يحط راجحه ويعلو الناقص

ومثله

الدهر يرفع محفوظا ويخفض مر   فوعا من الناس عمدا فهو لحان
فالفضل ينحط والنقصان مرتفع   كذا الدهر في الحكم ميزان

وفي معناه

كالدهر كالميزان يرفع ناقصا   ابدا ويخفض راجح المقدار
ولذا انتحى الانصاف ساوى كونه   في الوزن بين حديدة ونضار

ومثله

الدهر كالميزان يرفع ناقصا   ويحط للارض الرزين الراجحا

واعلم ان الدنيا تعطي من له حظ وان كان فظ وترفع من يستحق الحط وتضع المهذب ولو كان يحسن الخط وقيل في المعنى

هو الحظ لا حيل لديك ولا ربط … ولا ادب يعطيك شيئا ولا خط
تحاصروا الدهر كل مهذب … وترفع شخصا يستحق له الحط
فيا موت زر ان الحياة ذميمة … اذا انحطت البازات وارتفع البط

وكل ذلك تفعله بغير سبب ظاهر وهو العجب وقد سال افلاطون تلامذته عن العجب فقال كل منهم قولا حتى انتهى الى بقراط وكان اصغرهم فقال العجب ما لا يعرف سببه وقيل الدنيا سريعة الاستحالة لا تبقى احد على حاله فلذلك ينبغي ان لا يركن اليها ولا يعول في امر عليها وقال الجاحظ

لئن قدمت قبلي رجال فطالما … مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تاتي صروفه … فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

وللقاضي ناصر الدين البارزي رحمه الله تعالى

هو الزمان فلا تلقاه بالرهب … سلامة المرء فيه غاية العجب
والدهر من طبعه ما زال ممتحنا … بالنائبات ذوي العليا والرتب
يسقيهم بكوس المصائب اذ علوا … ومن معين لاهل الجهل من ذهب
فليتني ثم لا منه لينقذ في … حرفة المتعبين العلم والادب
يا دهر مهلا فقد صيرتني غرضا … يا دهر كف فقد اودت سهامك بي
عذب بما شئت الا رفع مستفل … حديث مجد والا غير ذي حسب
اوفاقض ما انت قاض فالممات اذا … اشهى من الشهد او احلى من الضرب

وقال اخر

اني احب الشتات لي وطنا … ولم ازل بالفراق موجوع
ولا احب المقام في بلد … يكون فيه الوضيع مرفوع
يا نفس جدي على المسير فقد … اضحى كلام السفيه مسموع
واضحت الاسد عند سطوتها … يقودها في الفلاة جربوع

وينبغي للانسان ان يحتمل مضض الدهر قال الشيخ زين الدين بن شيخ العينيه الموصلي وفي معنى ذلك عضضنا الدهر بنابه ليت ما حل بنا به بنابه ليس من لم يتحمل مضض الدهر بنابه اي بنبيه

وللقاضي حسين

اذا ما رماك الدهر يوما بنكبة … فاوسع لها صدرا واحسن لها صبرا
فان اله العالمين بفضله … سيبعث بعد العسر من فضله يسرا

ولبعضهم شعر فقال

سالت عن الدنيا الدنية قيل لي … هي الدار فيها الدايرات تدور
فان ضحكت ابكت وان احسنت اساءت … وان عدلت يوما فسوف تجور

وقال علي رضي الله عنه حب الدنيا راس كل خطيئة وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى الدنيا ان حلت اخلت • اوجلت اوجلت • او هنت او هنت • اوكست اوكست • تسلب العز الاهي • في الملاهي • وتشغل القلب اللاهي عن الله • فالسعيد من خرب رباعها • كم من قبر تبنى • ونحن ما تبنا كم من مريض عدنا • وما عدنا • يا مغتر بالسلامات • كم من عاشق سلامات كم من ملك دقت على راسه الطبول • ونشرت على راسه العلامات • فلما علامات وابنا الدنيا سايرون معها اقبالا وادبارا سرا وجهارا فقد قيل انه لما نكب علي بن عيسى بن مقلة الوزير جفي جفاء عظيما وهجره الناس قاطبة فلما رشح ثانيا تزاحم الناس عليه وانشا يقول

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها … وكيفما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون اخا الدنيا فان وثبت … عليه يوما بما لم يشتهي وثبوا

اي طغروا بالطاء المهملة وقاموا عليه وظفروا وعما يناسبه

عاند في الدهر نصفا يوم … وانتضم الخلق لي وبانوا
يا ايها المعرضون عنا … عودوا فقد عاود الزمان

فينبغي للانسان ان يتجنب بنيها ليسلم من الضر ولو تجرع بتجنبهم المر وقال الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ثلاث من

فلن

الدنيا اذا هي حصلت … لشخص فلا يخشى من الضر والضير
غنى عن بنيها والسلامة منهم … وصحة جسم ثم خاتمة الخير

وقال التهامي

واذا جفاك الدهر وهو ابو الورى … طرا فلا تعتب على اولاده

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اصلح ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي فيها معادي والدنيا حقيرة جدا ولو انها تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة لما سقى منها الكافر شربة ماء وانما يملي له بالمال قال الامام علي رضي الله عنه • كم كافر بالله امواله تزداد امواله اضعافا على كفره • ومؤمن ليس له درهم يزداد ايمانا الايمانه • وروي عنه رضي الله عنه انه قال تحقيرا لها • اشرف لباس ابن ادم فيها لعاب دودة • واشرف شرابه رجيع نحلة • قال الدميري والمعروف عنه رضي الله عنه انه قال الدنيا ستة اشيا • مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب • ومنكوح ومشموم • فاشرف المطعوم العسل وهو مذقة ذبابة • واشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر • واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة • واشرف المركوبات الفرس وعليها تقتل الرجال • واشرف المنكوحات المراة وهو مبال في مبال • واشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان انتهى ملخصا اقول

ت

نا لعسل على الرواية الاولى انه من دبرها وعلى الثانية انه من فمها ويحتمل ان
تسمية العسل رجيعا باعتبار ان النحلة تجنيه من اماكن وترجع به الى بيوتها
فتدخره واحتقاره كونه جنى ذبابة صغيرة ولنذكر شيا مما قيل فى النحل
والعسل قال الله تعالى فى سورة النحل واوحى ربك الى النحل اى امرها والهمها
او ارسل اليها ان اتخذى من الجبال بيوتا اى فيها ومن الشجر ومما يعرشون
من كرم او نبات وسقف ويعرشون بضم الراء وكسرها ثم كلى من كل الثمرات وكل
هنا ليست على العموم ومثله قوله تعالى تدمر كل شئ فهى تاكل من حلو الثمرات
والزهرات ومرها وحامضها وما لا يوصف طعمه فتحيل الله تعالى من ذلك
عسلا ثم قال تعالى فاسلكى سبل ربك ذللا اى امضى فيما سخر لك الله من
جمع العسل والسبل جمع سبيل وهو الطريق ثم قال الله تعالى يخرج من بطونها
شراب مختلف الوانه يعنى العسل منه ابيض تلقيه الشبان من النحل واصفر
تلقيه الكهول منها واحمر تلقيه الشيب منها يخرج ذلك من افواهها
وانما قال الله تعالى من بطونها لان استحالة الاطعمة لا تكون الا فى البطن
فيخرج كالريق الدايم من فم ابن آدم وروى عن الحسن رضى الله عنه انه قال
لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عابه مسلم فجعله لعابا وقيل سمى
الفم بطنا لانه فى حكم البطن ولانه مما يبطن ولا يظهر ويقال للنحل زنابير
العسل وذبابه انتهى ملخصا من الزاد واللباب اعنى زاد المسير لابن الجوزى
ولباب التفاسير لتاج القرآء الكرمانى واما قوله تعالى فى هذه الاية فيه
شفاء للناس فيأتى الكلام عليه فى الباب الثانى والسبعين وقد شبه
الشعرآء كثيرا خصر المحبوب بخصر النحلة وان ما تجنيه من ريقه ولوالدى
العلامة رضى الدين محمد فى ذلك قوله

اذا طرت يا نحل ذكرتنى	بمن لم ازل فى هواه نحيلا
لانك من ريقه تجتنى	ومن خصره تستعير النحولا

ولنرجع الى ما يتعلق بالدنيا قال فرقد من التابعين من اهل البصرة ان
ملوك بنى اسرايل كانوا يقتلون علماءهم على الدين وان ملوككم انما
يقتلونكم على الدنيا فدعوها لهم وقال قرات فى التوراة من اصبح حزينا
على الدنيا اصبح ساخطا على ربه ومن جالس غنيا فتضعضع له ذهب
ثلثا دينه ومن اصابته مصيبة فشكاها الى الناس انما يشكو ربه تعالى
وقد تقدم التضعضع فى الباب السادس والاربعين وقال مالك ابن
دينار من الطبقة الثالثة من اهل البصرة ان البدن اذا سقم لا ينجع فيه
طعام ولا شراب اى لا يؤثر فيه ذلك كذلك القلب اذا علقه حب الدنيا
وقال يقول الله تعالى فى بعض الكتب ان اهون ما انا صانع بالعالم اذا
احب الدنيا ان اخرج حلاوة ذكرى من قلبه وقال اتقوا السحارة فانها

تسحر قلوب

تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال لرجل من اصحابه انى لاشتهى رغيفا بلبن
فجاءه الرجل به فجعل يقلب الرغيف وينظر اليه ويقول اشتهيتك منذ
اربعين سنه وغلبتك حتى اليوم تريد ان تغلبنى وابى ان ياكله ووقع
حريق بالبصرة فاخذ كساه وخرج من بيته وقال هلك اصحاب الاثقال
ونجا المخفون وروى عنه انه قال خرج سليمان بن داود عليهما السلام
يوما فى موكبه فمر ببلبل على غصن فصفر وضرب بذنبه الارض فقال
سليمان اتدرون ما يقول هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال انه يقول قد
اصبت نصف تمرة فعلى الدنيا واهلها العفاء قال فى الصحاح العفاء
بالفتح والمد التراب وقال صفوان بن محرز اذا دخلت بيتى فاكلت رغيفا
وشربت عليه ماء فعلى الدنيا العفا وقال السلطان ابرهيم بن ادهم
الحزن حزنان حزن لك وحزن عليك فالاول حزنك على الاخرة والثانى
حزنك على الدنيا وقال ابو بكر الدانى من قصيدة

لكل شئ من الاشياء ميقات	وللمنا من مناياهن غايات
والدهر فى صبغة الحرباء منغمس	الوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج فى يده	وربما قمرت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا فالارض	وساكنها قد قفرت والناس قد ماتوا

وقال بزرجمهر من عيب الدنيا انها لا تعطى احدا استحقاقه اما ان تزيده
واما ان تنقصه وقال آخر

يا طالب الدنيا امالك واعظ	فى الذاهبين من القرون الخاليه
دنياك فانية وانت تحبها	كيف تظن بانها لك باقيه

وقال لقمان من يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولا يصيب الآخرة
وقال الذل فى الدنيا خير من الشرف فيها وقد مدحت الدنيا وورد
فى ذلك الدنيا مزرعة الاخرة وفى رواية مزرعة الله فواحد يزرع الحسنات
وآخر يزرع السيات وآخر يزرع الدرجات وآخر يزرع الدركات وآخر
يزرع السعادة وآخر يزرع الشقاوة وآخر زرعه الوصال وآخر زرعه
الانفصال وآخر يزرع فيحصد وآخر يزرع فيطرد قال الله تعالى من يرد ثواب
الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين
وذم رجل الدنيا بحضرة على رضى الله عنه فقال اسكت الدنيا دار صدق
لمن صدق فيها ودار غنى لمن تزود منها ودار عافية لمن فهم عنها
مسجد انبياء الله ومهبط وحيه ومتجر اوليايه فاكتسبوا فيها الرحمة
وادخروا منها الجنة وقيل الدنيا دار تجارة فالويل لمن تزود منها الخسارة
وقال لقمان لابنه يا بنى ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثيرون فاجعل
سفينتك فيها تقوى الله والاعمال الصالحة بضاعتك التى تحملها فيها

وترك الحرص نجاة والايام موجاتها والتوكل ظلها وكتاب الله دليلها وردّ
النفس عن الهوى حبالها والموت ساحلها والقيامة ارض المتجر التي تخرج السها
والله تعالى مآلها وقال سقراط الدنيا كنار مضرمة على محجة وهي جادة الطريق
اي معظمها فمن اقتبس منها ما يستضي به في طريقه سلم من شرها ومن جلس
فيها ليحتكم احرقته بحرها وقال علي رضي الله عنه خذ من الدنيا ما اتاك
وتولى عما تولى عنك فان انت لم تفعل فاجمل في الطلب واعلم انه ان ابقت الدنيا
عليك دينك فما يفوتك منها لن يشينك شعر

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضاير
وكل فتى لم يرتحل بتجارة الى داره الاخرى فليس بتاجر
واي امرئ يبتاع دنيا بدينه فتنقلب منها بصفقة خاسر

وقيل اوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه
وقد عقد صاحب داب السياسة بابا في الزمان فاحببت ان اذكر شيئا
من ذلك قال الزمان عدو لا يرضى عن احد ومصارع لا يغلب فرحاته
ممزوجة بالترحات ونعمه موصولة بالنقمات كم من محسن غير الزمان
حسنه وكم من صحيح اسقم الزمان جسمه وقال سقراط لتلامذته لا
تركنوا الى الزمان فانه سريع الخيانة لمن وثق به وقال علي رضي الله عنه من
امن الزمان خانه ومن عظمه اهانه ويقال ثلاثة لا امان لهم الزمان والسلطان
والبحر ودخل رجل على معاوية فقال له كيف الزمان عليك فقال الرجل انت
الزمان يا امير المومنين ان صلحت صلح وان فسدت فسد وقال معاوية او غيره
نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع وقيل الانسان عبد
الزمان والزمان عدو الانسان وقيل اذا لم يمش معك الزمان كما تريد
فامش معه كما يريد وقال ارسطاطاليس الدنيا دول مرة لك ومرة عليك
فاذا توليت فاحسن واذا تولوك فلين والغرض من هذا ان الزمان فيه
خير وشر وصفاء وكدر وقيل صلاح الدين بصلاح الزمان وصلاح
الزمان بصلاح السلطان انتهى وبالزمان ذكر وفخر قال الشاعر

تولى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا يلعب

واعلم ان الزمان يتغير بتغير اهله فيفعل فيهم ما يفعل الواحد منهم
بجهله فيتغير جميعا ويفسد سريعا قال الشاعر

زماننا كاهله واهله كما ترى وانه الى ورى الى ورى

واما الامام الشافعي رضي الله عنه فانه جعل العيب في اهل الزمان لا فيه
فقال

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو الزمان بغير جرم ولو نطق الزمان اذا هجانا

الباب السادس والخمسون في تفضيل الفقر على الغنى وذكر القناعة

اقول

اقول الغنى مقصور يكتب بالياء قال الفقيه رحمه الله تعالى ورضي عنه اختلف
الناس في تفضيل الفقر على الغنى قال بعضهم الفقر افضل وقال بعضهم
الغنى افضل وحاصل الاختلاف ان الغنى الصالح افضل وقال بعضهم الفقير
الصالح افضل وبه ناخذ فاما من قال الغنى افضل فلقول الله عز وجل ووجدك
عايلا فاغنى فمن عليه بالغنى فلو لم يكن الغنى افضل لما من عليه بذلك
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما احسن الغنى مع التقى اقول
وفي ذلك يقول القايل

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس في الرجل

واذا كان مع الغنى امن وعافية فهي النعمة الوافية قال الشاعر

ثلاثة من غيرها كافيه هي الغنا والامن والعافيه

ثم قال الفقيه وروي عن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم
نعم المال الصالح للرجل الصالح وروي عطاء بن عمر رضي الله عنه انه قال
كرمكم تقواكم وشرفكم غناكم واحسابكم اخلاقكم وقال بعض المتقدمين
المال في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة وقال محمد بن كعب القرظي
ان الغني اذا كان تقيا يضاعف الله الاجر مرتين ثم قرا هذه الآية وما
اموالكم ولا اولادكم الى قوله جزاء الضعف بما عملوا وعن سعيد بن المسيب
قال لا خير فيمن لا يجمع المال من حله يخرج منه حقه ويصون به عرضه
وروي هشام بن عروة قال قسم ميراث الزبير بن العوام رضي الله عنه اربعين
الف الف درهم وروي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه كان له
ثلاث نسوة فطلق احدى نسايه في مرضه فصالحوها بعد موته بحقها
من ميراثه من ثلث الثمن على ثلاثة وثمانين الفا وروي سفيان
ابن عيينة عن عمر بن دينار قال كانت غلة طلحة بن عبيد الله كل يوم
الف اوقية واما حجة من قال الفقر افضل لقول الله تعالى ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى فاخبر الله تعالى ان الغنى يحمله على الطغيان وقال
تعالى وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي فاخبر ان الفقراء
كانوا هم الذين يتبعون الاغنياء اقول وروي عن مجاهد في قوله تعالى
اتبعك الارذلون انه قال هم الحاكة والحاكة مشهورون بقلة العقل
قال ميمون بن مهران السلام على الحايك يوهن العقل الذكين وقالوا
في الحاكة انهم سرقوا نعل النبي صلى الله عليه وسلم وعمامة يحيى بن زكريا
عليهما السلام وجراب الخضر وعصا موسى وغزل سارة وشاة دانيال
وقصعة هود وفاس عمر وسكة عايشة من التنور واستدلتهم مريم
فدلوها على غير الطريق فدعت عليهم ان يجعلهم الله تعالى سخرية للناس
ولا يبارك في كسبهم نقل من نثر الدر ثم قال الفقيه وروي ابان عن

انس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل احد حرفة وحرفتي اثنتان الفقر والجهاد فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم من احبني فارزقه العفاف والكفاف ومن ابغضني فاكثر ماله وولده وروى مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال لما اصاب عبد من الدنيا الا نقص من درجاته عند الله تعالى وان كان كريما على الله تعالى وروى عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال الفقر مشقة في الدنيا مسرة في الآخرة الغنى مسرة في الدنيا مشقة في الآخرة وعن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم احيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين قيل له لم ذلك يا رسول الله قال لانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء باربعين خريفا ولان الغني يتمنى عند موته انه لو كان فقيرا ولا يتمنى فقير انه لو كان غنيا فلو لم يكن الفقر افضل لما كان يتمنى ولانه لو لم يكن للفقير فضيلة سوى ان حسابه في الآخرة اقل لكانت حجة كافية ويقال قال في كتاب المغرب بالغين المعجمة اراد صلى الله عليه وسلم بقوله انه اللهم احيني مسكينا الحديث الى آخره التواضع وان لا يكون من الجبابرة انتهى ثم قال الفقيه ويقال اعظم منة الله تعالى على عبده يوم القيمة ان يقول له لم احمل ذكرك وقال القايل

يا عايب الفقر الا تنزجر عيب الغنى اكثر لو تعتبر
انك تعصي لتنال الغنى ولست تعصي الله كي تفتقر

وقال آخر

دليلك ان الفقر خير من الغنى وان قليل المال خير من المثري
لقاؤك مخلوقا عصى الله للغنى ولم تر مخلوقا عصى الله للفقر

قال الفقيه الفقر افضل من الغنى ولكن لا عيب في الغنى الا ترى ان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اغنياء ولم يأمرهم بتركه ولو كان ذلك مذموما لنهاهم عن ذلك وامرهم بترك المال فلما لم يأمرهم بتركه ثبت انه لا عيب فيه وانما العيب على صاحبه اذا عمل في غناه بغير ما امر ويقال انما كان الاختلاف في الصدر الاول ان الغنى افضل ام الفقر لان غالب اموالهم الحلال فاذا اخذه من حله ووضعه في حقه قال بعضهم هذا افضل واما في هذا اليوم غالب اموالهم الحرام والشبهة فلا معنى لهذا الاختلاف الفقر افضل بالاتفاق انتهى بكماله اقول وقال بعضهم لسقراط ما افقرك فقال لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لي فالفقر ملك ليس عليه محاسبة وممادرد في مدح المال • ان به تنال الآمال • وتملك القلوب • وبدرك المطلوب •

وتقل الخطوب • ويستعان على صيانة العرض ورضى الرب • وقضاء الحقوق وصلة الارحام • وتألف الاهل والاخوان • وقد فضله الله تعالى على الولد بتقديمه عليه في قوله تعالى • المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وقال علي كرم الله وجهه نعم العون على تقوى الله المال وقال رجل للحسين رضي الله عنه ما تقول في الغنى فقال نعم الشيء الغنى يوصل به الرحم وينفس به عن المكروب ويفعل فيه المعروف وروى حكيم بن قيس بن عاصم ان اباه لما احتضر اوصى بنيه وهم اثنان وثلاثون ذكرا فجمعهم وقال يا بني سودوا عليكم اكبركم خلفوا اباءهم واذا سودوا اصغرهم ازرى بهم عند اكفائهم وعليكم بالمال واصطناعه فانه ابقة الكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم ومسألة الناس فانها اخس مكسبة الرجل ولا تنوحوا علي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه وقال بعضهم نعم الخل الشريف درهم يغنيه عن اللئام ويتجمل به في الكرام وقيل من حفظ ماله حفظ الاكرمين الدين والعرض وقال الشاعر

المال الحسن ما ادخرته فلا تكن سمحا به وتأن في تفصيله
ما صنفت اهل العلوم علومهم الا ليحتالوا على تحصيله

فينبغي للانسان ان لا يضيع ماله واضاعته بوجوه قال النجاني في كتابه الوفا ببيان فوايد الشفا واضاعة المال قد يكون بتعطيله وترك القيام عليه وعدم حفظه وتثميره وقد يكون في انفاقه في غير وجهه من السرف وحكى ابو الوليد الباجي عن مالك انه قال اضاعة المال ان يرزقك الله رزقا فتنفقه فيما حرمه عليك وههنا وجه آخر في معنى اضاعة المال وهوان تكون اضاعته بحبسه وعدم صرفه في المواضع اللايقة به فيكون ذلك نحو قول الشاعر وما ضاع مال اورث المجد اهله • ولكن اموال البخيل تضيع • انتهى وقيل لبعض النساك لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال ان ادنتني منها فقد صانتني عنها وقال الشاعر

احتل لنفسك ايها المحتال فمن المروة ان يرى لك مال
اني رايت الموسرين اعزة والمعسرين عليهم اذلال

والمال يسود غير السيد • ويؤيد غير الايد • اي غير القوي • وهو آلة المكارم وقيل نعم العون على طاعة الله المال اذا كان مع كريم • وبئس العون على معصية الله اذا كان مع لئيم • وقال كسرى اجتماع المال عند الاسخياء احد الخصبين واجتماعه عند البخلاء احد الجدبين وقال الشاعر

كريم راى الاقتار عارا فلم يزل اخا طلب للمال حتى تمولا
فلما استفاد المال جاد بفضله على كل من يرجو جداه مؤملا

وكل ما مدح به المال فباعتبار حله • وصرفه في محله • وعدم حرص صاحبه الموجب

لاظهار مثالبه وقال اعرابي شر المال ما لا ينفق منه وقد مدح الله تعالى
من تنزه عن الحرص والشح بقوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
والشح اشد الحرص وهو بالحركات الثلاث للشين والنفوس قد جبلت عليه
اى طبعت فهى حاضرة لا تفارقها ابدا كذا فى تفسير الكواشي وقال كسرى
لاصحابه اى شئ اضر على الانسان قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر منه
لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع وان وجد وقال النبى صلى الله
عليه وسلم الحرص والشره داء عضال اى شديد اعيا الاطباء والشره
شدة الحرص كما تقدم فى الباب الذى قبل هذا والحريص اسير شهوته وعبد
بطنته يبيت منكرا فيمن يرتضى استعباده ويقضى نهاره بالخضوع
لمن يؤمل اسعاده • وهو من شدة رغبته وقلقه وسوء اعتقاده •
وخلقه واشراكه فى رزقه ورازقه • ولا تقنعه معيشة • ولا تصفو
له عيشه • لان الحرص توام الحسد • والحسد هادم الجسد • والقانع
استغنى عن الاشياء بقناعته • فالحسد منزوع من طبيعته وفى
كتاب الهند لا فقر ولا بلاء كالحرص قال الشاعر

سكون النفس يعقبها رواحا	وحرص النفس يدنى للهوان
وليس بزايد فى الرزق حرص	وليس بناقص منه التوانى
اذا ما الله سبب رزق عبد	اتاه فى التباعد والتدانى

واصل الحرص الامل قال حكيم الحريص شغله طلب ما امل عن التمتع بما
خول • وسيأتى بالملحق بهذا الباب ما قيل فى الرجا والامل والحرص الشره
وقال فى ادب السياسة اعلم ان الرجا محمود والامل مذموم لان من
طال امله • ساء عمله • والامال مصايد الاجال • ولا تخرج النفس من
الامل حتى تدخل فى الاجل فمن قصر امله اكرمه الله تعالى باربع كرامات •
اولها تقويته على طاعته • لانه اذا علم انه يموت عن قريب اجتهد فى الطاعة
واكثر من العمل • ثانيها تقل همومه لانه اذا علم انه يموت عن قريب لا يهتم
لما يستقبله من المكروه • ثالثها يجعله راضيا بالقليل لانه اذا علم انه
يموت عن قريب لا يطلب الكثرة وانما تكون همته فى امر آخرته • رابعها يلين
قلبه لانه يقال ان القلب يلين من اربعة اشيا احدها قصر الامل • وقد
امر الله تعالى بقصر الامل فى قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى
احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها • وحذر من طول الامل فى قوله تعالى فى
سورة ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون قال ابن
مسعود رضى الله عنه فى تفسير ذلك ذرهم يأكلوا الربا ويتمتعوا فى الزنا
ويغرهم الامل فى لبنا فسوف يعلمون لمن الصراط السوى ومن اهتدى وقال

البنى

النبى صلى الله عليه وسلم كلما قصرت اما لا احسنت تزودا وقال على رضى الله عنه
لو راى العبد الاجل ومسيره لابغض الامل وغروره شعر

يا من بدنياه اشتغل	وغره طول الامل
الموت يأتى بغتة	والقبر صندوق العمل

وقال آخر

لا يذهبن بك الامل	حتى تقصر فى العمل
انى ارى لك ان تكون	من الحيوة على وجل
واعلم بان الموت ليس	بغافل عمن غفل
اين الجبابرة الاكا	سرة البطارقة الاول
وذووا المجالس والتكبر	والتبختر فى الحلل
لم يبق منهم بعدهم	الا حديث او مثل
علل الزمان كثيرة	والموت من احدى العلل
واذا اتقى الله الفتى	فيما يجب فقد كمل

وقال على رضى الله عنه اخوف ما اخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع
الهوى فان طول الامل ينسى الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وقال
بعض الشان عجبت لمن لا يملك اجله كيف يبسط امله ولمن يعجز عن دفع
ما عراه كيف يقع له الامان مما يخشاه وَوُجِدَ بدمشق مكتوب على حجر يا ابن
آدم لو علمت ما بقى من اجلك لزهدت فى طول املك وقد تقدم فى فصل
القدر من الباب الحادى عشر ان الاجل يضحك من الامل يعنى ضحك متعجب
وقال كمال الدين بن ابرهيم بن فهد الحلبى شعرا

لا تفكر فى هموم سلفا	وتفكر فى ذنوب سلفت
واترك الاخذ واطلب توبة	ادرك النفس والا تلفت

ومما ورد فى ذم المال وانه عدو لصاحبه قول الله تعالى انما اموالكم
واولادكم عدو لكم فاحذروهم وقيل لبعضهم ما الشر المحبوب فقال
الغنى وقال عيسى عليه الصلاة والسلام فى المال ثلاث خصال قالوا وما
هى قال يكسب من غير حله قالوا فان كسبه من حله قال يمنعه من حقه
قالوا فان وضعه فى حقه قال يشغله اصلاحه عن عبادة ربه وقال
بعض الزهاد لرجل تامل الغنى ما ادوم نصبه واقل راحته واخزن ماله
حظه واشد من الايام حذره ثم هو بين سلطان يهتضمه وعدو يبغى
عليه وحقوق تلزمه واكفاء يسوؤنه وولد يود فراقه قد بعث عليه الغنى
من سلطانه العبث ومن اكفائه الحسد ومن اعدائه البغى ومن ذوى الحقوق
الذم ومن الولد الملامة وقيل ان قول على رضى الله عنه فى الباب الذى قبل
هذا الدنيا راس كل خطيئة انما اراد به التصحيف الدينار راس كل خطيئة وفى

ذلك يقول الشاعر ولعله شهاب الدين احمد بن سراج قاضي الباب

النار آخر دينار نطقت به والهم آخر هذا الدرهم الجاري
فالمرء مازان يشغوفا بحبهما معذب القلب بين الهم والنار

وقال يعقوب الكندي فيلسوف العرب الدينار محموم فان اصرفته مات والدرهم محبوس فاذا اخرجته فر ولوالدي الشيخ رضي الدين في ذلك

المال يجمعه خصال اربع لكن تجارة من حواها خاسر
الحرص والامل الطويل كلاهما والشح مع نسيان دار الاخره

وراى الاسكندر طايفة قد زهدوا في الدنيا فاجتمع بملكهم وساله عن زهدهم فاجابه ووعظه فقال له الاسكندر هل لك في صحبتي فاتخذك وزيرا وشريكا فيما اتاني الله قال انما اصلح ان اكون انا وانت في مكان جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم يعادونني قال لما في يدك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشي فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه وخطب رجلان الى الحكيم بنته وكان احدهما فقيرا والآخر غنيا فاختار الفقير فساله الاسكندر عن ذلك فقال لان الغني كان جاهلا فكنت اخاف عليه الفقر والفقير كان عاقلا فرجوت له الغنى وانما قال رجوت له الغنى لان العقل والمال لا يجتمعان الا نادرا وفي ذلك يقول ابو الخير محمد المروزي الضرير شعر

تنافى المال والعقل فما بينهما شكل
هما كالورد والنرجس لا يحويهما فصل
فعقل حيث لا مال ومال حيث لا عقل

وقال حكيم الفقير مخف آمن لا عدو له والغني مثقل خايف لا تحصى كثرة اعدايه وكما ان الغني له اعدآء فكذلك ما للفقير اعدآء وفي ذلك يقول الشاعر

يمسي الفقير وكل شي ضده والارض تغلق دونه ابوابها
ويظل ممقوتا وليس بمذنب ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رات ذا بزة هشت اليه وحركت اذنابها
واذا رات يوما فقيرا معدما هرت عليه وكشرت انيابها

ويقال اذا لم تاكل مالك اكلك بتسليط الاعدآء عليك لاخذ ما وصل من المال اليك وقال اعرابي لاخيه ان لم يكن مالك لك كنت له وان لم تفنه افناك فكله قبل ان ياكلك وقال بعض الحكمآء الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة طعام موضوع على قبر وقال الفضيل ما اعطي احد شيا من الدنيا الا ويقال هاك بمثله من الحرص ومثليه من الشغل من الهم وروى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى عليه السلام فانطلقنا فانتهينا الى شط نهر فجلسا يتغذيان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى

الى النهر

الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال من اخذ الرغيف فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية معها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو والرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسالك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادري ثم انتهينا الى واد به مآء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشينا على المآء فلما جاوزاه قال اسالك بالذي اراك هذه الآية الاخرى من اخذ الرغيف قال لا ادري فانتهينا الى مفازة فجلسنا فاخذ عيسى عليه السلام ترابا فجمعه كثيبا عاليا ثم قال له كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اقسام فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف فقال انا اخذته فقال عيسى عليه السلام فكله اذا لك وفارقه عيسى فانتهى اليه رجلان وهو في المفازة وهو معه المال فاراد ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدنا الى القرية حتى يشتري لنا طعاما فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شي اقاسم هذين هذا المال لكني اضع في هذا الطعام سما فاقتلهما واخذه جميعا ففعل ذلك ورجع ومعه الطعام المسموم وقال الرجلان لاي شي نجعل له ثلث المال لكنا اذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا وبقي المال في المفازة واولئك قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام وهم على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها وقال الشاعر

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المكثرون هم الاسفلون قال في تاويلات النوازل معناه ان كان الغني مسلما فهو في اسفل درجة في الجنة وان كان كافرا فهو في اسفل دركة في النار ومما قيل في الفقر والفقير ان الفقر مشتق من الفقار تقول فقرته اذا اصبت فقاره وهو اصل الظهر فكان الفقير كسر ظهره من قلة المال قال الشاعر

هو الفقر من كسر الفقار اشتقاقه تقارب به تخفى وجوه المناقب

والفقر بضم الفا وسكون القاف لغة في الفقر بفتح الفآء وسكون القاف مثل ضُعف وضَعف كذا في الصحاح وقيل الفقر الموت الاحمر قال الحريري قد غاب عني المحبوب الاصفر ٭ اغبر عيشي الاخضر ٭ وابيض فودي الاسود ٭ واسود قلبي الابيض ٭ حتى رثا لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر ٭ الفَود جانب الراس وهو بفتح الفآء وسكون الواو ويوصف العدو بالازرق لان ازرق العين يكون نحسا غالبا ويوصف الفقر بالموت الاحمر لانه الشدة وقال صاحب اداب السياسة الفقر الموت الاصغر ٭ ومسئلة الناس العار الاكبر ٭ وانما كان الفقر موتا لما فيه من ذل السوال

قال الشاعر لاتحسبن الموت موت البلى   فانما الموت سوال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا   اشد من ذاك لذل السوال
وقد تقدم بالباب التاسع عشر ان الموت اربعة وابيض واحمر واخضر واسود
وقال اكثم ابن صيفي كل سوال وان قل اكثر من نوال وان جل وقال الشاعر
تجنب خيار الناس واستغن عنهم   ولا تلتمس ما عشت فضل كريم
لان يد الحر الكريم منة له   فكيف اذا كانت يدا للئيم
والمراد باليد هنا العطية لا الجارحة وسال المهلب بن ابي صفرة ولده
يزيد وهو صغير فقال له يا بني ما اشد البلا قال معاداة العقلا قال فهل
غير ذلك قال نعم مسألة البخلا قال فهل غير ذلك قال نعم اللوم على الكرماء
وقال شريح من سال حاجة فقد عرض نفسه للرق وقال الشاعر
لا تطلبن الى صديق حاجة   من عف خف على قلوب العالم
انت المسود ما رزقت كفاية   فاذا افتقرت ذللت ذل الخادم
وفي التوراة يا ابن آدم لا تسال الناس فان كنت فاعلا فاسال معادن الخير
ترجع مغبوطا محمودا ۔ وسوال الوالدين ليس فيه شين ۔ ومثله
سوال السلطان ۔ قال علي رضي الله عنه مسئلة السلطان كمسئلة الوالدين
لا تنقصه ولا تشينه واعلم انك اذا احتجت الى السوال فاسال الله الكريم
المتعال وفي ذلك يقول بعض الرجال شعرا
واذا ابتليت ببذل وجهك سائلا   فابذله للمتكرم المفضال
ان الكريم اذا حباك بنائل   اعطاكه سلسا بغير مطال
وسياتي اخر هذا الباب نبذة من السوال وقال الشاعر
يقولون لي انت بين الورى   بعلمك كالليلة المقمره
فقلت دعوني عن عذلكم   فلا علم الا مع المقدره
فلو رهنوني وعلمي معي   وكيس الدفاتر والمحبره
على قوت يوم لردوا الرهان   وراموا الى الفضة المحضره
فاما الفقير وحال الفقير   وعيش الفقير فما اكدره
تقوم عليه كلاب الطريق   وكل لئيم يرا ينهره
ترى الصيف يعجز عن قوته   ووقت الشتا تحته مجمره
اذا كان هذا حياة الفقير   فاحسن ما كان في المقبره
وقال آخر
فصاحة حسان وخط ابن مقلة   وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
ونغمة داود وعفة مريم   اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس
ونودي عليه لا يباع بدرهم
وقال الشهاب ياقوت   وقفت وقوف الشك ثم استمر بي   يقيني بان الموت

خير من الفقر   فودعت اصحابي وبالقلب ما به   وسرت عن الاوطان في طلب اليسر
وباكية للبين قلت لها اصبري   فللموت خير من حيوة على عسر
ساكسب مالا او اموت ببلدة   يقل بها فيض الدموع على قبري
وقال ذو الوزارتين
تقيم الرجال الموسرون بارضهم   وترمي النوى بالمقترين المراميا
عن الاهل والاوطان لا عن ملالة   ولكن حذارا من شمات الاعاديا
والمفلس تهجره الاخوان ومن لا معه   درهم فعيشته هم واخوات
وقيل في المعنى
جملة امري انني مفلس   وليس للمفلس اخوات
وكل من عاش بلا درهم   فعيشه هم واحزان
وقد خوف الله تعالى قوما بالفقر فقال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف
والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا ذكر في جوامع الكلم ومعناه ان الله
تعالى اذا رزق عبده الفقر ينبغي ان يعرف ذلك منة من الله تعالى عليه
حيث اعطاه شعار الصالحين وهو شعار الانبياء عليهم الصلاة والسلام
فاذا لم يعرف المنة وجزع يخاف ان يقع في الكفر كذا في تاويلات النوازل وقال
علي رضي الله عنه بارزت كل شدة فغلبتها وبارزت الفقر فغلبني ان
كتمته قتلني وان اظهرته فضحني وقال شيئان لا ادري ايهما امر حيوة
الفقير او موت الغني وقال الشاعر
ولم ار بعد الدين خيرا من الغنى   ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر
وقال اكثم بن صيفي الفاقة تضع الشرف وتخمل الذكر وتوجب المذلة
وانشد كم من كريم سيد ماجد   شيمته رفد وافضال   اى جعله يستبد
اخمله العسر فازرى به   وباخل سوده المال
واتي عبد الله بن جعفر برجل قد استحق القتل واقيم بين يديه لتضرب
عنقه ودعا بالسياف فقال رجل من جلسائه هذا والله جهد البلا
فقال عبد الله لا تقل ما هذا وشرطة حجام بمحجم الاسود ولكن جهد البلا
فقر مدقع ۔ بعد غنى موسع ۔ المدقع الملصق صاحبه بالتراب ۔ وقال
الجاحظ في معنى ذلك جهد البلا ان تظهر الخلة اى الحاجة والفقر
وطول المدة وتعجز الحيلة ثم لا تعدم وجهد البلاء هو ابن عم شامتا
وجارا حاسدا ، ووليا قد تحول عدوا ، وزوجة مختلفة ، وجارية
مختلفة ، وجارية مستشعبه ، وعبدا يكفرك ، وولدا ينهرك ، انتهى
وقيل جهد البلاء عشرة ، رسول بطيء ، وخادم مذموم ، وسنور يعوي ،
وخف ضيق ، ومائدة تنتظر ، وبيت يكف ، وحطب رطب ، ولمراة مناقرة

وسراج مظلم وجار حسود فمن وقع في هذا الضيق عرف العدو من الصديق
كما قال الشاعر

صديقك حين تستغني كثير وما لك عند فقرك من صديق
فلا تعتب على احد اذا ما طوى عنك الزيارة عند ضيق
جزى الله الشدايد كل خير كما كانت تغصصني بريقي
وما شكري لها الا لاني عرفت بها عدوي من صديقي

وقيل الفقر فضّاح كما قال الشاعر

المال يرفع بيتا لا عماد له والفقر يهدم بيت العز فضّاح

وقال اذا قل مال المرء قل حياؤه وضاقت عليه ارضه وسماؤه وقال جعفر من نزل به الفقر لم يجد بدا من ترك الحيا ومن ذهب حياؤه مقت ومن مقت حزن ومن حزن فقد عقله ومن فقد عقله كان اكثر كلامه فيما عليه لا له وقال الشاعر

تجنوا على الذنب اذ كنت معدما ومالي ذنب غير فقري وافلاسي
وقالوا فقير انت فينا ومن يكن فقيرا يعب من غير عيب ولا باس

وقال آخر

الى الله اشكو قبح عشرة معشر كسرت لهم نفسي فما لوا على كسري
صحبتهم جهلا بصحبة مثلهم فعادوا الى نفع وصرت الى ضر
وما نالهم مني منال سوى الغنى وما نالني منهم منال سوى الفقر
وقد عيروني بعد ذا الشماتة بفقري ولم يدرون انه فخري

وقال آخر

الناس اخوان ما دامت له النعم والويل للمرء ان زلت به القدم
لما رأى اخواني وخالصتي والكل منقبض عني ومحتشم
ابدوا جفاء واعراضا فقلت لهم اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

والفقر مذموم اذا زرى بصاحبه قال الشاعر

وللفقر خير من غنى في دناءة وللموت خير من حيوة على فقر

واما الفقير المسكين فلم يذكر الفقيه حدهما لان محلهما كتاب الزكاة ولكني اذكرهما بالاستطراد فاقول قال تاج القراء الحنفي في لباب التفاسير ما ملخصه ان في ذلك ثلاثة اقوال احدها ان الفقير هو الذي له ادنى شيء والمسكين هو الذي لا شيء له وانضم الى فقره ذلة وعدم هداية الى المعاش بدليل او مسكينا ذا متربة اي لصق بالتراب من فقره وليس بينه وبين التراب حايل والثاني ان المسكين من له ادنى شيء وهو احسن حالا من الفقير بدليل قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وان الفقير هو الذي لا شيء له وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الفقر ويسأل

المسكنة

المسكنة فيقول اللهم احيني مسكينا الحديث نقل الى اوايل هذا الباب اشتقاق المسكنة من السكون وسمي المسكين مسكينا لانه لا يتحرك الى ما يتحرك اليه الغني وقيل لانه اسكنه الفقر والثالث انهما اسمان مترادفان لقوم واحدة فكل فقير مسكين وكل مسكين فقير والله تعالى سماهم باسمين ليكون لهما سهمان من الصدقة نظرا اليهم ورحمة عليهم وقيل المسكين من المسكنة وهي الذلة من الفقر ومن الحال ومنه قول علي رضي الله عنه مسكين ابن آدم ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم مستور الاجل مكنون العلل محفوظ العمل تولمه البقه وتقتله الشرقه وتميته العرقة انتهى وقال القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى سال النبي صلى الله عليه وسلم المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وقد عرفت حد الفقير والمسكين فالغني بخلافهما وقد ورد في جوامع الكلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الغنى غنى النفس وفي رواية نقلها ابو عروبة عن ابي ذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابا ذر ترى ان كثرة المال هو الغنى قلت نعم قال او ترى ان قلة المال هو الفقر قلت نعم قال ليس كذلك انما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب وفي رواية ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال بعضهم وهو اول اربعة ابيات ان الغني هو الغني بقلبه ليس الغني برحله وبماله وفي عيون التواريخ من شعر عثمان رضي الله عنه

غنى النفس يغني النفس حتى يكفها وان عضها حتى يضر بها الفقر
وما عسرة فاصبر لها ان تتابعت بباقية لا بد يتبعها اليسر

وقال الشاعر

اذا المرء لم يقنع ولو كان مثريا فذاك حقير في الانام فقير
وان كان ذا قنع وراض بعيشة وليس له مال فذاك امير

وفي المعنى لنصر بن شيث

يكفي الفتى من عيشه عيش يبلغه المحلا
خبز وماء بارد والظل حيث يصير ظلا

واعلم ان الذي يدفع الفقر ومساويه القناعة وهي كنز لا يفنى ونعمة جسيمة ورزق واسع وحصن حصين ولذة دايمة وراحة عظيمة وعيش صاف ودعة للبدن وعز للنفس وصيانة للعرض وسلامة وعافية قال الله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير ذلك انها القناعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يعيش مسرورا فليقنع وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو وقال بعض الحكماء لابنه

يا بنى ان العبد حر اذا قنع والحر عبد اذا طمع وقال الشاعر

للناس مال ولي مال الا انما لها   اذا تحارس اهل المال لحراس
مالي الرضا بالذي اصبحت املكه   ومالي الياس عما يملك الناس

وقال على بن موسى الرضا رضي الله عنهما لا يسلك طريق القناعة الا رجلان اما متقلل يريد الاخرة واما كريم يتنزه عن لئام الدنيا وقيل بكريم من لم يقنع بماحض وقال الشاعر

لنا عوض عن كل شي يفوتنا   من العيش في الدنيا القناعة والصبر

وقيل ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة وقد ذم القناعة اناس نثرا ونظما هربا من الانحطاط في الدنيا وطلبا للارتفاع فيها كقول بعض المهالبة من اتخذ القناعة صناعة تلحف بالخمول وفاتته معالي الامور وقول بعض الحكما لابنه ان القناعة من صغر النفس وقصر الهمة وضعف الغريزة فلا ترضى لنفسك الا غاية عالية وقول بعض الشعرا فانهض بنى الى العليا وكن رجلا تسمو به همم منه ونهار حل

لا تقنعن بالاماني والخمول فما   نال المعالي قديما معشر خملوا
ولا حوى السبق في الغايات منسدر   مواظب في الملاهي عاجز وكل
ولا تقيمن بدار الذل مقتنعا   ببلغة فالمعالي اصلها النقل

وليس ذلك بصواب وانما الصواب ما قاله الامام عمر رضي الله عنه هو ابن عبد العزيز وهو انه كان يقول في بداية امره ان لي نفسا توآقة فلما ولي الخلافة قال ان نفسي تاقت الى اشرف منازل الدنيا فلما بلغت ذلك وجدتها تتوق الى اشرف منازل الاخرة وتاقت نفسه اي اشتاقت من باب طلب والمراد من القناعة ان يقنع الانسان بما له وعن مال غيره وربما يجل ويجد عما لا يحل ولا يجد ويقال من قنع عف قال صاحب آداب السياسة العفة خلة الشريف لان المنن اطواق الاجياد والاعناق ولحل بثياب بما الجفون والاماق فاللبيب من صان عنها نفسه وعرضه وادى في اجتنابها سنته وفرضه وانتقد الاحوال بعين البصيرة والبصر وسلم اموره الى مجري القضاء والقدر فلا يسامه صديق ولا يجفو صحبته رفيق وقد مدح الله تعالى يوما بالتعفف فقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا وقال الشاعر

من عف خف على الوجوه لقاؤه   واخو الحوائج وجهه مملول

وقال ابو البركات عبد الرحمن الانباري من اراد غنا لا يقبل الفقر فعليه بالقناعة وقال بعضهم

اذا الرزق عنك تانى اصطبر   ومنه فقنع بالذي قد حصل

ولا تتعب النفس في وصله   فان كان ثم نصيب وصل

وهي عزة قال بدر الدين بن حبيب شعر

اياك من ذل السوال وملّ الى   عز القناعة واجتنب اهل الربا
واذل اذا ما الجا تك ضرورة   ماء الحيوة ولا تزل ماء الحيا

وفي المعنى قال بعضهم

اذا اظمتك اكف اللئام   كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى   وهامات همته في الثريا
فان اراقة ماء الحيوة   دون اراقة ماء المحيا

وقال آخر

رايت الجوع يطرده رغيف   وملء الكف من ماء الفرات
فمالي لا اصون بذا وجهي   واقنع بالقليل الى الممات

وقال آخر

اقنع بماء وملح وماء وجهك صنه   فالرزق ياتيك حقا والموت لابد منه

ولعلي بن عثمان التغلبي الزرعي المعروف بابن شمروخ

احسن الى من اسا ما استطعت   واغفر اذا قدرت واصبر على رزء البليات
وماء وجهك خير السلعتين فلا تبعه بخسا ولو باليوسفيات
فكل ما كان مقدورا ستبلغه وكل آت على رغم الغنى يات

ومما يناسب للسلطان ابرهيم بن ادهم رحمه الله تعالى ورضي عنه كسرة

خبز وقعب ماء   وسحق ثوب مع السلامه   خير من العيش في نعيم   يكون من بعده ندامه

واخبرني والدي رحمه الله تعالى ان شيخه في الكتابة كان يكتب الامثلة للشق من ابيات لامية العجم ومن جملتها بيت لم يشتهر انه منها ولا تعرض اليه شارحها وهو بيت عظيم وهو هذا

اقنع تعز ولا تطمع تذل   ولا تكثر تمل ولا تغتر بالامل

وقال بعضهم انت اخو العز ما التحفت بالقناعة   واخو الذل ما جعلت الطمع لك بضاعه وللمجد الكردي المقدسي نزيل القاهرة

لم يزل الطامع في ذلة   قد شبهت عندي بذل الكلاب
وليس يمتاز عليهم سوى   بوجهه الكالح ثم الثياب

وعن الخليل بن احمد ان سليمان بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة ارسل اليه بالف دينار وان يتردد الى ولاده يقريهم الادب فاخرج للرسول جرة فيها كسر يابسة ثم قال من يقنع بهذا لا يحتاج الى سليمان ورد المال وقال للرسول ابياتا اولها

ابلغ سليمان اني عنه في سعة   وفي غنى غير اني لست ذا مال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه   ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

والرزق عن قدر لا العجز ينقصه   ولا يزيد لا فيه حول محتال
وكان رحمه الله تعالى يعيش من بستان خلفه له ابوه وقد تقدم شيء من
القناعة في الباب السادس عشر وسيأتي شيء من العفاف بالملحق بالباب
المذكور وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه كان يقول عليك باليأس
مما في ايدي الناس فانه الغنى الاكبر واياك وما يعتذر منه فانه لا يعتذر
من خير وقال ايوب السختياني من الرابعة من التابعين من اهل البصرة
رضي الله عنه لا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان العفة عما في ايدي
الناس والتجاوز عن زلاتهم وفي الصحاح النبل بضم النون وسكون
الباء الموحدة النبالة بالفتح والفضل وقد نبل بالضم فهو نبيل وما ذكرته
من احوال الفقير انما هو الفقير الذي هو في مقابلة الغني واما الفقير السالك
فاوصافه في كتب القوم نفعنا الله تعالى بهم وقيل ان صفاته ماخوذة من
اسمه وذلك قول بعضهم

فاء الفقير فناؤه عن ذاته   وفراغه عن نعته وصفاته
والقاف قوة قلبه بحبيبه   ورجوعه لله عن شهواته
والياء يرجو ربه ويخافه   ويقوم للتقوى بحق تقاته
والراء رقة قلبه لحبيبه   ويقوم جنح الليل في مرضاته

وسيأتي في الباب السبعين ذكر ما يورث الفقر ان شاء الله تعالى

الباب السابع والخمسون فيما قيل في المروة والفتوة والصدق والكذب

قال الفقيه رحمه الله تعالى روي عن علي رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من عامل الناس فلم يظلمهم •
وحدثهم فلم يكذبهم • ووعدهم فلم يخلفهم • فهو ممن كملت مروته
وظهرت عدالته • ووجبت اخوته وقال ابن زياد لرجل من الدهاقين
ما المروة فيكم فقال اربع خصال اولها ان يعتزل الرجل الذنب فانه
اذا كان مذنبا كان ذليلا ولم تكن له مروة والثاني ان يصلح ماله فلا
يفسده فان من افسد ماله واحتاج الى غيره فلا مروة له والثالثة ان
يقوم لاهله بما يحتاجون اليه فان من احتاج اهله الى الناس فلا مروة
له والرابعة ان ينظر الى ما يوافقه في الطعام والشراب فيلزمه ولا يتناول
ما لا يوافقه فان ذلك من المروة اقول الدهاقين جمع دهقان بكسر اوله
تقدم تفسيره في الباب الثالث والعشرين ثم قال الفقيه وروي عن
قس بن ساعدة انه كان يقدم على قيصر فيكرمه فقال له قيصر ما افضل
العقل قال معرفة المرء نفسه قال فما افضل العلم قال وقوف المرء عند علمه
قال فما افضل المروة قال استبقاء الرجل ماء وجهه قال فما افضل المال
قال ما قضي منه الحق اقول قد تقدم في الباب الذي قبل هذا ابيات

حسنة في صون ماء الوجه ثم قال الفقيه وقال ربيعة الرازي المروة ست
ثلاث في الحضر وثلاث في السفر فاما التي في الحضر فتلاوة القرآن وعمارة
مساجد الله تعالى واتخاذ الاخوان في الله تعالى واما التي في السفر
فبذل الزاد وقلة الخلاف لاصحابه والمزاح في غير معاصي الله تعالى
وقال بعض افضل المروة ان يكون الرجل صادقا بقوله • وافيا بعهده •
باذلا لنفعه وروي عن الحسن البصري رضي الله عنه ان حجاما قص
شاربه فاعطاه درهما وسئل عن ذلك فقال لا تدنقوا فيدنق عليكم وكان
الحسن يقول لا تضيقوا فيضيق عليكم اذا سمع رجلا يتكلم بالدانق فيقول
لعن الله الدانق ومن تكلم بالدانق فلا مروة له فلا دين له اقول الدانق
بفتح النون وكسره قيراط والجمع دوانق ودوانيق وعن الحسن البصري
انه قال لعن الله الدانق ومن دنق به ويروى ان اول من احدث الدانق
يعني الحجاج كذا في المغرب ثم قال الفقيه وقال محمد بن الحسن رحمه الله
تعالى ثلاثة اشياء من الدناءة مشارطة اجر الحجام والنظر في مرآة الحجام
واستقراض الخبز موازنة ويقال والقعود في الطرقات والوقوف في
جوانب الناس للحديث ليس من المروة وقيل لبعض الحكماء ما المروة قال
باب مفتوح وطعام مبذول وازار مشدود يعني قائما في حوائج الناس
وقال الحسن البصري مروة الرجل صدق لسانه واحتماله اخوانه وبذله
المعروف لاهل زمانه وكفه الاذى عن اباعده وجيرانه وروي عن
الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال انا اعلم متى تهلك العرب فقيل
له متى تهلك فقال اذا ساسهم من ليس له تقى الاسلام ولا كرم الجاهلية
قال الراوي صدق امير المؤمنين فما دام ساسهم الذين لهم تقى الاسلام
مثل عثمان رضي الله عنهما ومن له كرم الجاهلية مثل معاوية لم يهلكوا
وقال بعض الحكماء تمام المروة في شيئين العفة عما في ايدي الناس والتجاوز
عما يكون منهم وقال الامام علي رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله
تعالى عنهما ما المروة فقال العفاف وملك النفس والبذل في العسر واليسر
قال فما اللؤم قال احراز المرء ماله وبذله عرضه وان يرى ما في يده شرفا
وما انفقه تلفا ويقال جماع المروة في قول الله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال
عبد الواحد بن زيد جالسوا اهل الدين فان لم تقدروا عليه فجالسوا اهل
المروات في الدنيا فانهم لا يرفثون في مجالسهم يعني لا يتكلمون بالفحشاء
قال في الصحاح الرفث الجماع والفحش من القول وكلام النساء في الجماع
وقال الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى لا راحة لحاسد ولا مروة لكاذب
ولا وفاء للملول ولا سودد لسيئ الخلق ولا اخاء للملوك انتهى كلامه

اقول قد ابتدا الفقيه هذا الباب بالحديث الذي رواه علي رضي الله عنه في ترك الظلم والكذب وعدم الخلف فاما الظلم فقد تقدم في باب طاعة الوالي واما الكذب فهو نقيض الصدق وهو الاخبار عن الشي بخلاف ما هو عليه والتكذيب نسبة المخبر بكسر الباء الموحدة الى الكذب والصدق هو عين عدم الخلف وقد قيل فيهما لو تصور الصدق لكان اسدا ولو تصور الكذب لكان ثعلبا وقيل فيهما شعر

بالصدق ينجو الفتى من كل معضلة … والكذب يزري باقوام وان سادوا

وقيل الصدق سجية الكرام والكذب سجية اللئام وقال بعضهم

تحر فديتك صدق الحديث … ولا تحسب الكذب امرا يسيرا
فمن آثر الصدق في قوله … يلقى سرورا ويرقى سريرا
ومن كان بالكذب مستهزئا … سيدعو ثبورا ويصلى سعيرا

وقال سفيان للكذب منازل فاسوؤها اثراه واعظمها خطرا اخلاف المواعيد واتهام البراء وسياتي شي من اخبار الكذابين في ذكر نوادر وتواريخ والكذاب ليس له صديق والصادق سالك احسن الطريق وفي ذلك يقول الشاعر

الصدق يورث قايليه مهابة … سنخوه نعم الطريق طريقه
واحفظ به عهد الصحاب فانه … من قل منه الصدق قل صديقه

واذا اشتهر الانسان بالكذب فلا ينفك عنه وان صدق قال الشاعر

اذا عرف الانسان بالكذب لم يزل … لدا الناس كذابا وان كان صادقا
فان قال لم ينصت له اصدقاؤه … ولم يسمعوا منه اذا كان ناطقا

ولقد رايت بيتا يتلو هذا البيت الثاني وهو

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه … وتلقاه اذا احفظ اذا كان حاذقا

نكتة لطيفة قيل ان كذابا كان يصاحب جماعة وكانوا قد عجزوا من كذبه وكلما مشوا في كلام يجعل انه يعرفه ويمشي معهم فيه بالكذب فقالوا كيف نصنع حتى نبين كذبه فاتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم حرفا من حروف الهجاء ويركبوا من ذلك كلمة لا معنى لها ويسالوه عنها فاخذوا حروفا وجمعوها فحصل منها خنفشار فسالوه عن ذلك فقال هذا عشب يخرج في بلاد الهند من خاصيته اذا وضع في اللبن الحليب عقده وفي ذلك يقول الشاعر

لقد عقدت محبتكم بقلبي … كما عقد الحليب الخنفشار

فقالوا له انت سلطان الكذابين فانك كذبت واسندت وابعدت واستشهدت فالكذاب لا حيلة في التحرز منه بخلاف النمام اذا يحترز منه بعد الكلام عنده فلا ينقل كلاما ما لم يسمعه وفي ذلك يقول بعضهم

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة … من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة

والمراد بالخلق هنا الافتراء واما الصدق فهو اصل المحمودات وهو حلية اللسان وراس الايمان وراس الدين واساس اليقين واصل الفتوة وذروة المروة وسجية الابرار وزينة الاخيار ونور الهدى والمنجي من الردى قال الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ومدح الله تعالى اسمعيل عليه السلام بقوله واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وقال النبي صلى الله عليه وسلم مروة الرجل صدق لسانه وقال اعظم الخطايا والذنوب اللسان الكذوب ومر رجل بلقمان الحكيم قد اجتمع عليه الناس فقال الست عبد بني فلان الراعي فما بلغ بك ما ترى فقال صدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني خبراه بالصدق وهو ثلاثة انواع صدق قول وصدق فعل وصدق ضمير فصدق القول خبر ما يجوز خبره وصدق الفعل كقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي وفوا بافعالهم وصدق الضمير هو التصديق وهو وفاء السر مع العلانية واول التشري الذي هو من اسرار الصالحين استوى السر والعلانية والصادق التام من صدق في اقواله وافعاله واحواله والصديق بتشديد الدال للمبالغة في الصدق ومن اللازم وهو الكثير الصدق وقيل الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة وقال الجنيد رحمه الله تعالى حقيقة الصدق ان تصدق في موطن لا ينجيك منه الا الكذب وقيل الصدق والوفاء اخوان توءمان فما يكون الصادق الا وافيا ولا الوافي الا صادقا والوفاء بالعهد من الايمان وقد مدحه الله تعالى بقوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من وعد وعدا فكانما عاهد عهدا ورد في نوادر الاخبار عن انس رضي الله عنه انه قال كنت في عسكر المسلمين ونحن نحارب الروم فبرز الي المشركين من الروم فتعاركنا طويلا ثم قال لي يا مسلم هذا وقت صلاتي عاهدني لا تخن حتى اصلي قلت نعم فنزل عن فرسه وسجد للشمس فهممت بقتله واذا بصوت يقول واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا فامسكت عن قتله فلما فرغ من صلاته قال لما منعك عن قتلي فاخبرته القصة فقال نعم هذا الرب يعاتب وليه في عدوه امدد يدك انا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ورجع معي الى عسكر المسلمين وقيل الصدق صدقان فاعظمهما صدقك فيما يضرك والوفاء وفاءان فاسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه وقيل من دلايل الدناءة نقض العهود وخلف الموعود وقال الحريري والله ما يخيس بالوعد الا الخسيس ولا يركب غدير الغدر الا الوضيع القدر وقد يخيس

بخيس قال الجوهري يقال خام فلان بالعهد اذا نكث والخسيس الدني في الوعد
الرجل الادني الذي يخدم بطعام بطنه والغدير القطعة من الماء يغادرها
السيل والغدر ترك الوفا والوضيع الدني من الناس والمخط العذر الذي لا يتم
له وقال النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمن ثلث علامات وللمنافق ثلث
علامات اذا قال المؤمن صدق واذا وعد انجز واذا اؤتمن لم يخن والمنافق اذا
قال كذب واذا وعد اخلف واذا أتمن خان وكان جعفر وهو بيت السودد
لا يقضي حاجة الا عن موعد ولو مقدار فواق الناقة ليتنعم الموعود له بروح
الوعد وثانيه حلاوة الانجاز وفواق الناقة بفتح الفا وضمها هو ما بين
الحلبتين من الوقت لانها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر
ثم تحلب يقال ما اقام عنده الا فواقا وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة
كذا في الصحاح ويقال المواعيد رؤس الحاجات والانجاز ابدانها ويقال بذل
الموعد سحابة والانجاز مطر فبذلها تاالصنايع ليس لها مواقع من النفوس
وان كان فيها المروة والغنا كما ان المطر الطخوي لا يكون به النما فان بلوزنزى
وكان يحيى البرمكي يقول المواعيد من شباك الكرام يصيدون بها محامد الرجال
الاحرار الا ترى انهم يقولون فلان ينجز المواعيد ويفي بالضمان ويصدق في
المقال ولو كان مقتدر كان يفعل ولا يقول ويعطي ولا يعد لارتفعت
مفاخر انجاز المواعيد عن الناس وليبطل صدق المقال عندهم وسئل بعضهم
عن عبد الواحد بن عبد الملك فقال كان وعده وانجازه مقدار ما يعطف
الف على لام وكان خالد بن برمك لا يقضي حاجة الا بموعد يقدمه ويقول
من لم يبت ليلة على سرور الموعد لم يجد للصنيعة طعما عند وصولها اليه
الصنيعة العطية ومخلف الوعد كذاب وفي ذلك يقول محمد بن عبد الله بن
الفرا الجزيري الاندلسي شعر

وعدتني وظننت وعدك صادقا ... وظللت من طمع اجي واذهب
فاذا اجتمعت انا وانت بمجلس ... قالوا مسيلمة وهذا اشعب

وفي سنا الامارة ان ابا عبد الله الخزاعي قال دخلت على المهدي يوما وعنده
ابن داب فقال هل تنشد من الشعر شيئا فانشدته قول السموءل
ابن عاديا الغساني

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

وانشدته الى قوله

سلي ان جهلت الناس عنا وعنكم ... وليس سواء عالم وجهول
اذا كنت في القوم الطوال فضلتهم ... بعارفة حتى يقال طويل
ولا خير في حسن الجسوم وطولها ... اذا لم يزن حسن الجسوم عقول
ولم ار كالمعروف اما مذاقه ... فحلو واما وجهه فجميل

فقال

فقال لي اجلس فبهذا بلغتم يا ابا العباس ثم قال حاجتك فقلت يا امير المؤمنين
تثبت لي في ثلاثين رجلا من اهل بيتي فقال نعم فرض علي اذا وعدت ان افعل
فقلت يا امير المؤمنين انك متمكن وليس دونك حاجز من الفعل فما معنى
العدة فنظر الى ابن داب نظرة علم انه يريد منه كلاما يؤكد فضل الموعد فقال

حلاوة الفعل بوعد ينجز ... لا خير في العرف كنهب ينتهز

قال فضحك امير المؤمنين وقال احسن ما يكون الفعل اذا تقدمه ضمان
وقيل من ابيات

يا ايها الناكث في عهده ... قد علم الله من الخاسر
غدرت بي بعد عهود جرت ... يكفيك قول الناس يا غادر
فعلت فعلا غير مستحسن ... ما لك فيه احد شاكر

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما نقض قوم الا ابتلاهم الله بالقتل
ونقض العهد هو الغدر وقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل غادر
لواء يعرف به يوم القيمة بقدر غدره ونار الغدر التي يضرب بها المثل
هي نار كانت توقد في الجاهلية على اعلا جبل في الموسم وينادي عليها
مناد الا ان فلان قد غدر وهذه نار غدره فالعنوه فيلعنه اهل الموسم
وتفاخرت صفية بنت عبد المطلب وعرضت ببعضهم فقالت لنا

لنا السلف المقدم قد علمتم ... ولم توقد لنا بالغدر نار
وكل منا قب الخيرات فينا ... وبعض القول منقصة وعار

وفي كتاب الهند الغادر ماخوذ بغدره • وان قصرت عنه عقوبة العاجل •
لم تقصر عنه عقوبة الآجل • حتى ان العقوبة لتدرك الاعقاب واعقاب
الاعقاب • واعلم ان من الصدق ما يقبح مثل الغيبة والنميمة والسعاية
ومدح المرء نفسه فاما النميمة فقد تقدمت في الباب الثاني واما
السعاية فتقدمت في الباب السابع والثلثين واما الغيبة فتقدمت
عند اسم عليه السلام بالباب السادس وفي اداب السياسة الغيبة
فجور وصاحبها كآكل الجيفة قال الله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه
ميتا فكرهتموه واتقوا الله • وهي اشد من الزنا لان الزاني اذا تاب
يتوب الله عليه وصاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبها
وقيل لفيلسوف ان فلانا يحكي عنك الشر فقال لانه لا يهتدي الى الخير
وقال خالد الربعي كنت في المسجد الجامع فتناولوا رجلا فاغتبتهم
عليه فرايت تلك الليلة في المنام كان رجلا اتاني بطبق عليه بضعة
من لحم خنزير فقال كل فقلت لا اكل فقال لحيبي فادخله في فمي فكنت
اربعين يوما وما ذهب نتنه من فمي وقال جعفر بن نصير قال الجنيد
رحمه الله تعالى كنت جالسا في مسجد الشونيزي انتظر جنازة اصلي عليها

واهل بغداد جلوس على طرقاتهم ينتظرون الجنازة فرايت فقيرا عليه اثار النسك يسال الناس فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان اجمل به فلما انصرفت الى منزلى وكان لى شى من الورد بالليل حتى البكا والصلاة وغير ذلك فثقلت على جميع اورادى وسهرت وانا قاعد ثم غلبتنى عيناى فرايت ذلك الفقير جا وابه على خوان ممدود وقالوا كل لحمه فقد اغتبته وكشفوا لى عن الخوان فقلت انا ما اغتبته انما قلت فى نفسى شيا فقالوا ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب فاستحله ولم ازل اتردد حتى رايته يلتقط من الماء اوراقا من البقل مما يتساقط فسلمت عليه فقال العود لمثلها يا ابا القاسم قلت لا فقال غفر الله لى ولك قال الشاعر

النغل يعتاب الكرام بجهله ... ومحاضر الرجل اللئيم كاصله
لا تستغيبن احدا بامر يسىء ... واحذر رليلا تستغاب بمثله
واذا اخو النقص استغاب الفاضل ... فهو الدليل على زيادة فضله

النغل بالغين المعجم تقول نغل الاديم بالكسر اى فسد فهو نغل بسكون الغين ونغل قلبه على اى ضغن فقال نغلت نياتهم اى فسدت كذا فى الصحاح والحاصل انه الفساد وقال رجل لاخر كنت عند اصحابك ورايتهم قد اغتابوك حتى رحمتك فقال هل رايتنى اذكرهم فقال لا قال فاياهم فارحم وقد اجيزت الغيبة فى اماكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحيا فلا غيبة له قيل هو الذى يعمل المعصية ويحدث بها عنها للناس وقال الحسن البصرى لا غيبة فى ثلثة فاسق مجاهر بالفسق وذى بدعة وامام جاير وقد جوز العراقى الشافعى الغيبة فى ستة اماكن فقال بيت

بست غيبة جوز وخذها منظمة كامثال الجواهر
تظلم واستعن واستفت حذر وعرف واذكر فسق المجاهر

وقد ذكر صاحب الانوار من الشافعية رحمه الله تعالى الاماكن الستة المذكورات وزاد عليها النصيحة قال الغيبة تباح لاسباب التحذير لمن يتزوج او يشترى دارا او استشار فيحذره المستشار والتظلم لسلطان او قاض وغيرهما ممن له ولاية او قدرة على الانصاف ممن ظلمه فيقول فلان ظلمنى او فعل بى كذا والاستعانة على تغيير المنكر ورد المعاصى كقوله المرجو القدرة على الدفع فلان يعمل كذا فازجره والاستفتا بان يقول للمفتى ظلمنى فلان وفعل بى كذا فما طريقى فى الخلاص والتجاهر بالفسق كالظلمة وشربة الخمر فيجوز ذكره بما يتجاهر به لا بغيره والتعريف لمن هو معروف بلقب كالاعمش والاعور بقصد التعريف لا التعيير والنصيحة كجرح الرواة والشهود والمصنفين صونا للشريعة بل بعض

المذكورات

المذكورات واجب انتهى واما مدح الانسان نفسه فقد اجيز لبعض الناس ان يمدح نفسه فى بعض الاماكن بشروط وقد تقدم شى من ذلك فى الفصل الاول من الباب التاسع عشر فى العلم والادب رجع الى ما يتعلق بالمروة فاقول قد فسر الفقيه المروة بما تقدم ولم يذكر تعريفها اللغوى الداخل فيه ذلك قال فى المغرب المروة كمال الرجولية ومنها تجافوا عن عقوبة ذى المروة وفى الصحاح هى الانسانية ولكن ان تشدد يعنى الواو من المروة وقال ابو زيد مرؤ الرجل صار ذا مروة فهو مرئ على فعيل وتمرؤ تكلف المروة انتهى وفى اداب السياسة ما ملخصه ان المروة من الفتوة والمروة درجة عالية منيفة ورتبة سامية شريفة واصل كبير فى الدين والمناقب والاخلاق الشريفة المذاهب وفى قول الله تعالى خذ العفو وامر بالمعرف واعرض عن الجاهلين ما يقتضى المروة وقال النبى صلى الله عليه وسلم تجاوزوا لذوى المروات عن عثراتهم فو الذى نفسى بيده ان احدهم ليعثر وان يده بيد الله تعالى وقالت الحكما لا تصحبن اخا مودة ولا اخا قرابة ولا ولدا ولا والدا وان استانست به الا بالمروة فان من فقدت من صاحبه المروة ووقارها احدث ذلك فى قلبه رقة شان وسخف منزلة وذو المروة قد يكرم على غير مال كالاسد الذى يهاب وان كان رابضا والغنى الذى لا مروة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذى يدور على الناس وان طوق وخلخل وقال ابن المقفع الناس على دين الملك الا القليل فان يكون عنده للبر والمروة نفاق والا سيكثر بذلك الفجور والدناءة فى الافاق وقيل السخا هو المروة ولا كرم الا بها اقول واذا كان الكرم بلا مروة فهو من قبيل قول الشاعر

يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما ... وانما فلتات من وساوسه

وقال سقراط الشريف الكريم هو الذى يصون اهل المروة والحرية من المسالة وقيل ذو المروة من غلب خيره على شره وفى كتاب الهند اربعة اشيا يهلكهم فضلهم الشجرة الحسنة الكثيرة الحمل كان فسادها فى حملها فتدلت اغصانها وامتدت اطرافها حتى تتكسر وتتساقط والطاوس الذى ذنبه احسنه فربما طلب فاخذ وكان ذلك وبالا عليه والفرس الجواد ربما اهلكته شدة جريه فاستعمل فى الحروب وغيرها حتى يهلك والرجل ذو المروة ربما اهلكته مروته فان من لا مروة له اكثر ممن له مروة والاشرار اكثر من الاخيار بكل مكان فربما تعاون عليه الاشرار حتى يهلكوه اقول ومصداق ذلك ان امرؤ القيس وقع فى حرب فولى فقال له عبده البيت القايل

الخيل والليل والبيدا تشهد لى ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرجع الحرب فقتل فقد قتل نفسه بالمروة وهى عدم تكذيبه نفسه فيما

اقاله واعان عليه عبده بتذكيره بما قاله وفى ذلك يقول الشاعر

تلذ له المروة وهى توذى   ومن يعشق يلذ له الغرام

وقال ابن المقنع لا يعجبك اكرام من اكرمك بمنزلة سلطان فان السلطان اسرع امور الدنيا زوالا ولا من اكرمك للمال فانه الذى يتبع السلطان فى سرعة الزوال ولا من اكرمك للانساب فانها اقل مناقب الخير غنى من اهلها ولكن من اكرمك لدين او مروة فليعجبك فان المروة لا تزايلك فى الدنيا والدين لا يزايلك فى الاخرة وقيل للعتابى ما المروة فقال ترك اللذة قيل فما اللذة قال ترك المروة قال الشاعر

اخلو به فاعف عنه كاننى   حذر المروة لست من عشاقه

كالماء فى يد صايم يلتذه   نظرا ويعرض عن لذيذ مذاقه

وقال معاوية لزياد المروة فقال العفة والحرفة واما الفتوة التى المروة منها وهى المروة فقد قال فى الصحاح الفتى السخى الكريم يقال هو فتى بين الفتوة وقد تفتى والجمع فتيان وفتية انتهى والمراد بقوله الكريم كريم الاخلاق لما سياتى وقيل لبزرجمهر ما الفتوة فقال حفظ العشرة والمودة وترك ما يعاب به وقال الشاعر

عليك بالنفس فاستكمل فضايلها   فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وقيل المروة الانصاف والفتوة التفضل على الاخوان والصدق ملاك ذلك كله وملاك الشى بكسر الميم وفتحها ما يقوم به بمعنى ان ما ذكره لا يقوم الا بالصدق وقد تقدم معنى الملاك بالفصل الاول من الباب الثانى وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان وجعل كلامه على ستر زلات الناس وسال معاوية الحسن رضى الله عنهما عن المروة والفتوة فقال رضى الله عنه المروة حفظ الرجل دينه واحرازه نفسه من الدنس وقيامه لضيفه واما الفتوة فصدق القول واداء الحقوق وافشاء السلام وحفظ النفس مما لا يجوز فعله وقوله وقيل مما يستحى منه اذا ظهر انتهى كلامه رضى الله عنه والكلام على النفس التى لا يحرزها الانسان عن المكاره والمعايب ووصفها قول بعض الزهاد وهى قصيدة مفيدة سبعة وستون بيتا وهى

ما بال نفسى تطيل شكواها   الى الورى وهى ترتجى الله

مفسد اخلاصها شكايتها   ذا الذى راعها واوداها

لو وثقت بالاله انقذها   من كل من ساها ونجاها

لو انها من مليكها اقتربت   واخلصت ودها لادناها

لكنها اثرت بريته   عليه جهلا به فاقصاها

افقرها للورى ولو لجات   اليه من دونهم لاغناها

تشكو الى خلقه كانهم   قد ملكوا نفعها وضراها

لو فوضت امرها لخالقها   وصححت صدقها وتقواها

عوضها من همومها فرجا   ولم يدعها بطول عمياها

تسخطه فى رضى بريته   تبا لها ما اجل بلواها

لو انها للعباد مسخطة   مرضية ربها لارضاها

لدى نفس احب نعتها   لتعرفوا نعتها واسماها

فاسمع صفاتى لها لعلك ان   تفهم ذا اللب سر معناها

تسعى الى اللهو وهو غايتها   يا ويلها ما اضل مسعاها

ازجرها وهى لى مخالفة   كاننى لست من اوداها

تنظر فى عيب غيرها سفها   وكم عيوب لها تنساها

قد ظلمتنى بسوء عشرتها   ولم تدع لى تقا ولاجاها

كثيرة اللغو فى مجالسها   قليلة الذكر فى مصلاها

قليلة الشكر عند نعمتها   ضعيفة الصبر عند بوساها

بطيئة السعى فى مصالحها   سريعة الجرى فى بلاياها

كثيرة المطل فى مواعدها   كذوبة فى جميع دعواها

بصيرة بالهوى وفتنته   عمية عن امور اخراها

نشيطة عند وقت لذتها   كاسلة عند وقت ذكراها

نومت العين عن عبادة من   اتقن تصويرها فسواها

قليلة الامن عند صحتها   عظيمة الخوف عند ضراها

حليفة الكبر والزياد فقد   افسدها كبرها واطغاها

عظيمة المدح والثنا لمن   يرفع مقدارها ويصغاها

مطيلة الذم والغيبة لمن   عرفها قدرها فغطاها

تفرح فى اكلها ومشربها   وحبها للمنام اغراها

ذاكرة للورى مساويهم   ناسية ما جنته كفاها

كم بين نفسى وبين نفس فتى   طهرها بالتقى وتقاها

علمها رشدها وبصرها   ثم بقوت الحلال غذاها

انامها الى الدجا على قدم   فانهملت بالدموع عيناها

اذا اشتهت شهوة يعوذها   بخوف معبودها فسلاها

وراضها بالصيام فانقمعت   بالرغم عن غيها واغواها

ذاكرة للاله شاكرة   مخلصة سرها ونجواها

امرضها خوفها لخالقها   وذكر يوم الحساب اضناها

لله نفس امرء موفقة   اوت الى ربها فاواها

شرفها ربها وكرمها   ومن مياه اليقين اروها

سمت اليه بحسن فكرتها   ثم صفنا وذها فصفاها
تلك التي ان دعت لحاجتها   اجابها مسرعًا ولبّاها
ان بليت بالخطوب صبّرها   اوسألت ما تريد اعطاها
لبست كنفس لدى عاصية   امرها جاهدًا وانها ها
اف لنفس ابغي كرامتها   وان تكون الجنان ماواها
وهي لامر الاله عاصية   ويلها قد جنت وويلاها
كيف الى ربها تتوب وقد   ذلت لشيطانها فاغواها
فكلما قلت نفسي ازدجري   وراقبي في امورك الله
صمت عن الحق وهي سامعة   كانني ما اريد ايتاها
لو علمت بعض ما له خلقت   احزنها علمها وابكاها
لو تعرف الله حق معرفة   لصححت صدقها وتكلاها
لكنها جهلها بحالفها   اغفلها رشدها والهاها
يا ويح نفسي والويح حق لها   ان صدها ربها واردها
يغرها لذة الحياة وما تد   ري الى ما يكون عقباها
قد ضقت ذرعا بها وحسبي   لم كنت اعصي الاله لولاها
اذا انا حاولت طاعة فترت   واظهرت وحشة واكراها
صرت مع النفس في محاربة   تامرني بالهوى وانهاها
نحن كقرنين في محاربة   ادرع الصبر عند لقياها
وهي بجند الهوى مبارزتي   واي صبر يطيق هيجاها
ان جبنت للقتال شجعها   او ضعفت في القتال قواها
اصرعها تارة وتصرعني   لكن لها السبق حين القاها
احبها وهي لي معادية   كانني لست من احباها
عدوة لا اطيق ابغضها   يا ليتني استطيع انساها
سابحة في بحار فتنتها   جائبة في سدول ظلماها
احسبها ان انت موافقتي   خاسرة دينها ودنياها
يا رب عجل لها بتوبتها   واغسل بماء التقى خطاياها
ان تك يا سيدي معذبها   من ذا الذي ترتجي لرحماها
فالطف بها واغتفر خطيئتها   فانت مولى الورى ومولاها

والمتقدمون كانوا يسألون عن المروة والفتوة ويستدلوا بذلك على اصحابهم لقلتهم وقال بعضهم ان اهل المروة قدماتوا وانشد

مررت على المروة هي تبكي   فقلت لها ما تبكي الفتاة
فقالت كيف لا ابكي واهلي   جميعا دون خلق الله ماتوا

فرحم الله هذا القايل واصحاب تلك الشمايل والفتوة باب الديانة وطريق

الصيانة

الصيانة ما تدرع بها الاولى ولا تقمص بها الاكمى وصف بها الصدقون والاولياء والصالحون وهي اسم جامع لخصال الخير والكمى الشجاع المتكمي في سلاحه لانه كمى نفسه اى سترها بالدرع والبيضة وقد ذكر الله تعالى ابرهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بالفتوة فقال تعالى سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وكذا ذكر اهل الكهف بقوله انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وروى عن الحسين وقيل عن علي رضي الله عنه ان الله تعالى جمع الفتوة والمروة في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال النبي صلى الله عليه وسلم من مروة الرجل صيانة وجهه ومن فتوته رعاية آخرته فمن بذل وجهه سقطت مروته ومن ارتكب المعاصي بطلت فتوته ولمحمد بن جرير الطبرى رحمه الله تعالى شعر

اذا عسرت لم اعلم شقيقي   واستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظ لي ماء وجهي   ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو اني سمحت ببذل وجهي   لكنت الى الغنى سهل الطريق

وللفتيان علامات روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه يا علي ان للفتيان امتي عشر علامات فقال علي يا رسول الله اذ لامتك فتيانا قال نعم واى فتوة ادلى من فتوة امتي فقال علي يا رسول الله ما هي قال صدق الحديث واداء الامانة والوفاء بالعهد وترك الكذب والرحمة لليتيم واعطاء السايل وبذل النايل واكثار الصنايع وقرى الضيف وراسهن الحياء والمراد بالصنايع جمع صنيعة قال في المغرب اصطنع عنده صنيعة اذا احسن اليه وسياتي بالباب التاسع والخمسين شئ من المروة والفتوة ان شاء الله تعالى الباب الثامن والخمسون في الجمال قال الفقيه رحمه الله تعالى يستحب للرجل اذا كان ذا مروة او كان ذا علم ان تكون ثيابه نقية من غير كبر وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال من حسب المرء نقاء ثوبه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما على الرجل حرج ان يتخذ ثوبين سوى ثوبي مهنة ويقال لا جديد لمن لا خلق له وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما طابت رايحة عبد قط الا قل همه ونقيت ثياب عبد الا قل همه وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال اني لاحب ان انظر الى القارى ابيض الثوب وقال اذا اوسع الله عليكم فوسعوا على انفسكم وروى عامر بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى نظيف يحب النظافة جميل يحب الجمال جواد يحب الجود طيب يحب الطيب كريم يحب الكرم وروى زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فدخل رجل ناشر الراس

اى العطايا والاحسان

والحية فاشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ان اخرج واصلح
راسك ولحيتك ففعل ثم رجع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اليس هذا
خيرا من ان ياتي احدكم ثائر الراس كانه شيطان وروى زيد بن اسلم عن جابر
ابن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة انمار فبينما
انا نازل تحت الشجرة اذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
هلم الى الظل فنزل فقمت الى غرارة لنا فوجدت فيها خبزا وقثاء فكسرته وقربته
الى النبي صلى الله عليه وسلم وعندنا صاحب لنا قد ذهب يرعى ظهرنا
فرجع وعليه ثوبان له قد خلقا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اما له ثوبان غير هذين فقلت بلى له ثوبان في العيبة كسوته اياهما
فدعوته فلبسهما ثم ولى يذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماله ضرب الله عنقه اليس هذا خيرا له فسمعه الرجل فقال يا رسول الله
في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم في سبيل الله فقتل الرجل في سبيل
الله وقال الشاعر

تجمل بالثياب ولا تبالي ... فان العين قبل الاختبار
فلو جعل الثياب على حمار ... لقال الناس يا لك من حمار

انتهى كلامه اقول العيبة بالمهملة المفتوحة وسكون الياء المثناة التحتية
مكان يوضع فيه الشيء وقوله الا قل طمه بفتح المهملة وتشديد الميم اي
كل ما علاه من همه وغم وفي اعتدال القلوب عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه على الباب
فخرج يريدهم وفي الدار ركوة فيها ماء فجعل ينظر في الماء ويسوي شعر راسه
ولحيته فقلت يا رسول الله انت تفعل هذا قال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه
يفعل هذا فليهيئ من نفسه فان الله جميل يحب الجمال وعن ابن مسعود رضي
الله عنه قال جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني ليعجبني
ان يكون ثوبي غسيلا وراسي دهينا وشراك نعلي جديدا وذكر اشياء حتى
ذكر علاقة سوطه افمن الكبر هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا هذا من الجمال والله يحب الجمال ولكن الكبر من سفه
الحق وظلم الناس وتاتي في ذلك رواية اخرى بعد هذه وقال صاحب
آداب السياسة الكبر راس الحمق . والاعجاب ضد الصواب . وآفة الالباب
لان العاقل لا يبطر . ولا يتكبر بمنزلة نالها . وان كبرت وجلت كالجبل
لا يتزعزع من الريح . وان عصفت واشتدت . والسخيف الدني بمنزلة
تبطره . كالحشيش تحركه ايسر ريح وقد ذم الله تعالى المتكبرين ومقتهم
في اماكن من كلامه القديم وتوعدهم بالعذاب الاليم فقال تعالى كذلك يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى اليس في جهنم مثوى للمتكبرين

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ازاري والعظمة
ردائي والعزة لي لا لغيري فمن نازعني في شيء منها ادخلته نار جهنم خالدا
فيها مُصغرا قِمئا مهموز هو الصغير الذليل واقمأته صغرته وذللته
وقال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة
من كبر قيل لما قال صلى الله عليه وسلم ذلك قال رجل يا رسول الله اني
ليعجبني نقاء ثوبي وشراك نعلي وعلاقة سيفي فهذا من الكبر فقال صلى
الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال ويحب اذا انعم على عبد ان يرى
عليه اثرها ويبغض البؤس والتباؤس ولكن الكبر ان تسفه الحق
وتغمص الخلق ودخل جعفر بن خالد على ابيه وهو يتبختر وعنده سعيد الشاعر
فلما سلم على ابيه وخرج قال ابوه لسعيد ما احسن ما قال بعض الحكماء ان
التواضع مع البخل والجهل ازين بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم فيا لها
من حسنة غطت على عيبين عظيمين ويا لها من سيئة عفت على حسنتين
كبيرتين وقال الخليل اشتهي ان اكون عند الله من ارفع الناس وعند الناس
من اوسطهم وعند نفسي من اسفلهم وقال علي رضي الله عنه لا شرف
مع الكبر وقيل الكبر قبيح وهو في البخيل والجاهل واللئيم اقبح قال الشاعر

اتجمع بخلا فاحشا وتكبرا ... وما جر ذما كالتكبر والبخل
فلو كان عقبى البخل منك تواضعا ... او الكبر جودا كنت من ذا الذي عدل

وقال آخر

ما اقتل الحرص في الدنيا لصاحبه ... واسمج الكبر فيمن صيغ من طين

وقيل اذا تواضع عظيم الارض لعظيم السماء نزلت البركات ودرت الخيرات
واذا تكبر ارتفعت وقلت واول من تجبر في نفسه الوليد بن عبد الملك
فانه خالف سيرة من قبله وان رجلا من بني مرة قال له اتق الله يا وليد
فان الكبرياء لله فامر به فوطئ حتى مات وفي آداب السياسة الملابس الحسنة
تزيد الجمال . وتكثر الاجلال . وتستر مساوي الرجال كما تستر الاعمدة
الحسنة مساوي النصال . وقد امر الله تعالى بالتجمل فقال في سورة الاعراف
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد . قال تاج القراء في سبب النزول
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان ناس من الاعراب يطوفون بالبيت
عراة حتى كانت المراة تطوف بالبيت عريانة فتعلق على سفلها سيورا مثل
السيور التي تكون على وجه الحمر فعا للذباب وهي تقول اليوم يبدو بعضه
او كله . فما بدا منه فلا احله . فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس قالوا
ان الثياب قد دنستها المعاصي فتجردوا منها وقال ايضا فعلوا ذلك تفاولا
للتعري من الذنوب وقال الكلبي كانوا لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون
في حجهم لحما ودسما يعظمون بذلك حجهم فانزل الله هذه الآية ومعنى زينتكم

لبس الثياب وستر العورة فى الطواف وعند الصلاة وقيل هو التزين باحسن اللباس فى الجمع والاعياد وقيل هو التزين لكل صلاة ولدخول كل مسجد لقوله سبحانه عند كل مسجد ثم قال تعالى • وكلوا واشربوا • اى اللحم والدسم واللبن ولا تسرفوا فى الامتناع عن الحلال وقيل بالشروع فى الحرام امر تعالى بالتزين بالملابس وتقوية الابدان بالغذا وان يكون ذلك من حله قال ابن عيسى الاسراف الخروج عن الاستوآء • انه لا يحب المسرفين • ومن لا يحبه الله فهو فى النار ثم قال تعالى • قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق اللذيذات والحلالات • قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا • اى للمؤمنين دون الكافرين • خالصة يوم القيمة • اى لا يشاركهم فيها يوم القيامة من ليس بمؤمن وقيل هى للمؤمنين فى الدنيا مشوبة بالكد والحزن خالصة خالصة يوم القيمة من التعب والنصب والحزن • كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن • اى الكباير سرا وجهرا والاثم الذنوب كلها والبغى بغير الحق التسلط على الناس وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا • اى حجة وبرهانا • وان تقولوا على الله ما لا تعلمون • من تحريم هذه الاشياء والتعرى فى الطواف انتهى وسياتى الكلام على قوله تعالى فى المائدة يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الى قوله واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون وقال تعالى مخبرا عن نعيم اهل الجنة يلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاك اسراف ومخيلة وياتى فى الباب الذى يلى هذا رواية الفقيه عن ابن عباس هذا القول بلفظ آخر وتفسير المخيلة وقيل المروة الظاهرة فى الثياب الطاهرة وقال بعض الحكماء اذا كان الفتى طاهر الاثواب كثير الآداب حسن المذهب تادب باديه وصلح بصلاحه جميع اهله وولده • وللملابس آداب منها غسلها وطيبها وافتقادها فيما تحتاج اليه من خياطة وغيرها فقد قيل يقول الثوب اخدمنى لاخدمك وجملنى لاجملك

الباب التاسع والخمسون فيما يستحب من اللباس

قال الفقيه رحمه الله تعالى ينبغى للرجل ان يكون فى لباسه موافقا لاقرانه ولا يلبس لباسا مرتفعا جدا ولا رديا فانه لو فعل ذلك ارتكب النهى واوقع الناس فى الغيبة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الشهرتين فى اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال الشعبى البس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء ولا يعتبك الفقهاء وقال محمد بن سيرين كانت الشهرة فى تطويل الثياب ثم صارت الشهرة فى تجديدها واختار بعض الناس

الاقتصاد

الاقتصاد فى اللباس واحتج بما روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه خرج الى السوق مع غلامه قنبر فاشترى قميصين غليظين فخير قنبر فاخذ قنبر احدهما ولبس الآخر على بنفسه وروى عن بعض التابعين قال رايت عمر رضى الله عنه يخطب وعليه قميص عليه سبع رقاع وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال اخشوشنوا واخلولقوا وتمعددوا واجعلوا الراس راسين يعنى البسوا الخشن والخلق من الثياب وتشبهوا بمعد واشتروا عبدين اذا هلك احدهما بقى لكم الآخر ويستحب البيض من الثياب وروى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال البسوا من ثيابكم البيض وكفنوا فيها موتاكم فانه من خير ثيابكم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق الجنة بيضاء وخير ثيابها البياض ليلبسونه احياؤكم وتكفن به موتاكم والله يحب البياض اقول قال البيضاوى فى قوله تعالى فى سورة الكهف ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة وهذا لا ينافى ما ذكره الفقيه فى الابيض فتامله ثم قال الفقيه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كل ما شئت والبس ما شئت اذا اخطاك اثنان سرف ومخيلة انتهى بكماله اقول قوله ولا يعتبك الفقهاء بعين مهملة من العتاب اى لا تلبس محرما ولا مكروها يعتبك الفقهاء عليه لمعرفتهم بالمحرم والمكروه وقوله فى تجديدها بالجيم من الجد وهو القطع اى فى تقصيرها والاقتصاد التوسط بين الاعلى والادنى يقال اقتصد فى النفقة يعنى بين الاسراف والتقتير واقتصد فى اللباس اى قصد ما دون المرتفع وما فوق المنخفض منه وقوله والخلق من الثياب بفتح اوله وثانيه يقال ثوب خلق اى بال ويستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع خلقان بضم المعجمة وسكون اللام وخلق الثوب بالضم خلوقة بضم اوله وثانيه اى بلى وكذا اخلق الثوب على وزن افعل التفضيل وقال فى الصحاح فى قول عمر رضى الله عنه تمعددوا قال ابو عبيدة فيه قولان يقال هو من الغلظ ومنه قيل للغلام اذا شب وغلظ تمعدد ويقال تمعددوا تشبهوا بعيش معد وكانوا اهل تقشف وغلظ فى المعاش يقول فكونوا مثلهم ودعوا التنعم وزى العجم قال وهكذا هو فى حديث عليكم باللبسة المعدية وقال ابن دريد فى الاشتقاق التمعدد تمام الشدة والقوة واستشهد بقول الراجز

ربيته حتى اذا تمعددا ... وصار نهدا كالحصان اجردا

كان جزائى بالعصا ان اجلدا

ثم روى قول عمر بلفظ اخشوشنوا واخشوشنوا وتمعددوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا اى اركبوا وثبوا ومن هذا اشتقاق المعدة لصلابتها

خ ثيابكم

انتهى والنهد في الراجز حتى صار كالحصان النهد وهو الفرس الجسيم المشرف
ومخيلة فعيلة كحليمة تقول اختال فهو ذو خيلاء بضم الخاء وذو مخيلة
اى ذو كبر ومنه سمى الشقراق اخيل لخيلائه بلونه الحسن والخيلاء هي المرح
قال الله تعالى في سورة بني اسرائيل وهي سورة الاسراء ولا تمش في الارض
مرحا قال البيضاوي اى ذا مرح وهو الاختيال انك لن تخرق الارض لن تجعل
فيها خرقا بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال
وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى الجدوى العطية
يعني لا يعود الاختيال على صاحبه بعطية والخيلة اشارة الى الخصال
الخمسة والعشرين المذكورة من قوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى عليه السلام كان سيئة
يعني المنهي عنه فان المذكورات مامورات ومنهيات وقرا الحجازيان والبصريان
سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة
وعلى هذا كله قوله عند ربك مكروه بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى
فانه بمعنى سيئا وقد قرى به انتهى غالب كلامه في ذلك ولنذكر الايات المشتملات
على الخصال الخمسة والعشرين قال الله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد
مذموما مخذولا وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما
يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا •
ربكم اعلم بما في انفسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا • وآت ذا
القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا • واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من
ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا • ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا • ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا • ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن
نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا • ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وساء سبيلا • ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد
جعلنا لوليه سلطانا ولا يسرف في القتل انه كان منصورا • ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان عنه
مسؤلا • واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن
تاويلا • ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان
عنه مسؤلا • ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا
كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها عودا الى اللباس قال خالد البسوا من الكسى
ما تستحسنه الملوك والسوقة يعني وغير الملوك فان تغير باحدكم حال الا يلومه احد

وقال دهقان لابنه يا بني اياك اذا نزلت متنزلا من السلطان ان تلبس ما يديم
نظره اليك قال صاحب آداب السياسة الاوفق ان يلبس كل انسان على قدر
حاله في جميع الاحوال فلا يليق بالغني ان يلبس دون حاله ولا بالفقير فوق
حاله ولا بالعالم ان يتزيا بزي الجاهل ولا بالجاهل ان يتزيا بزي العالم ولا يتحلى
الانسان بحلية لا يقوم بواجبها ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تشبهوا الزي
بالزي حتى تشبه القلوب بالقلوب قول ولما تشبه بعض اهل زماننا قلوبهم
بقلوب الامناء واتباعهم واهل الديوان والعمال واشياعهم شبهوا زيهم
بزيهم ليوذوا المسلمين بظلمهم وغيهم فهم الشياطين الذين ينسبون الظلم
الى السلاطين ولو تحقق السلطان احوالهم لاخذ ارواحهم واموالهم ولكن الله
امهلهم ليزدادوا اخسارا ويدخلهم بذنوبهم نارا فلا يجدوا لهم من دون
الله انصارا وسئل ابو عبد الله [illegible] لم لا تلبس المرقعة فقال من النفاق وان
يلبس الرجل لباس الفتيان ولا يكون في جملة حملة اثقال الفتوة انما يلبس لباسهم
من يصبر على حمل اثقالهم قال خالد بن صفوان ان الفتوة والمروة لم تشتد
مونتهما ولم يثقل حملهما ما حاد عنهما اللئام واحتملهما الكرام وقال تقدم
في الباب التاسع والخمسين شيء من الفتوة وينبغي ان يكون اللباس والكلام
متلازمان ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح ونظر ارسطاطاليس الى رجل
حسن اللباس سيء الكلام فقال ايها الرجل تكلم على قدر لباسك والبس على
قدر كلامك واما خلفاء الاسلام وملوكه كعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز
رضي الله عنهما فكانوا لا يتغالون في الثياب راجين بذلك عند الله حسن الثواب
فكانوا يلبسون اخلها لا اجلها ويتركون الثياب الفاخرة زهدا في الدنيا ورغبة
في الآخرة وقال حبيب بن جرير رايت طلحة بن عبد الله وقد فرق مائة الف
درهم في مجلس واحد وهو يخيط اخراقا في ازاره وقال الاصمعي عاينت سليمان
ابن عبد الملك في اقتصاده في ملبسه فقال اعلم ان من كثرت مونته على نفسه
قل فضله على غيره انتهى بكماله وقد تقدم شيء مما يتعلق باللباس في الباب الثامن
والخمسين في الجمال

الباب الستون في ما يجوز من الثياب وما لا يجوز قال الفقيه رحمه الله

تعالى يجوز لبس الخز للرجال والنساء لان الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين كانوا يلبسونه وقد كره بعض الناس لبسه وروى عن الحسن
رضي الله عنه انه قال لان اتقلد بساطي عنقي حتى ينقطع احب الي من
من ان البس الخز ولكن نحن نقول يجوز ان يكون كراهيته لنفسه خاصة
واختار التواضع ولم يحرمه على غيره وروى عن خيثمة انه قال ادركت
ثلاثة عشر نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يلبسون الخز وعن
عكرمة انه قال كان لابن عباس رضي الله عنهما كساء خز يلبسه وعن
وهب بن كيسان قال رايت على جابر بن عبد الله كساء خز وروى عن ابي
هريرة رضي الله عنه انه كان له كساء خز يلبسه قال الفقيه لا يجوز
للرجال لبس الحرير ولا الابريسم والديباج ويجوز للنساء وروى انس
ابن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير
في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي احدى يديه ذهبا وفي الاخرى
حرير فقال هذان محرمان على ذكور امتي حل لاناثهم وروى عن محمد بن
سيرين انه كان يكره لبس الحرير للرجال والنساء وحجته ما روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال انما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في
الاخرة ولم يفصل بين الرجال والنساء الجواب عن الخبر انه انصرف الى
الرجال لانه قد فسر في خبر آخر قال لا حل لاناثهم واختلفوا في لبس
الحرير في الحرب قال بعضهم لا يجوز وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه
وقال بعضهم يجوز وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى اما حجة
من كرهه قال لان النهي عنه قد ورد عاما في لبسه فاستوى حالة الحرب
وغيره وروى عن عكرمة انه كره لبس الحرير والديباج في الحرب وقال كانوا
يردون شهادة من يلبس الحرير وروى عن الحسن رضي الله عنه انه
كان يكره لبس الحرير في الحرب واما من اجاز ذلك فذهب الى ما روى عن
عمر رضي الله عنه انه قيل له اذا لقينا العدو ورايناهم قد كفروا على سلاحهم
بالحرير والديباج الاحمر في الحرب بانا انتهى بكاله اقول الخز واحد الخزوز
من الثياب كذا في الصحاح وقال في المغرب هو اسم دابة ثم سمي الثوب المتخذ
من وبره خزا ويقال انه كلب الماء وقال ابن الاثير في النهاية الخز بالخاء
المعجمة والزاي ضرب من ثياب الابريسم ذكره في اخر الخاء المهملة والراء
وقال الزيلعي في جواز لبس ما سداه حرير ولحمته قطن وخز قال لان الصحابة
كانوا يلبسون الخز وهو اسم للمسدى بالحرير انتهى واما الحرير والابريسم
والديباج فهي اسماء مترادفة ذكرها الفقيه لئلا يتوهم ان كل واحد منها

نوع له حكم بمفرده فاما الحرير قال في الصحاح هو معرب منصرف وقال السمين
الحرير معروف وسمي بخلوصه والحر الخالص وفي السفينة الصغيرة الحرير
من الابريسم ولعل الابريسم الخام والحرير الممنوع منه واما الابريسم فهو
الحرير بالعجمي يدل على ذلك ما ذكره الفقيه في الباب الذي يلي هذا انه كره
بعضهم العلم في الثوب من الحرير والابريسم واباحه آخرون ولم يذكر الابريسم
في حجة احد من الفريقين وانما ذكر في حجتهما الحرير فقط وقال تاج القراء
الكرماني في تفسير قوله تعالى في سورة الحج ولباسهم فيها حرير اي ثيابهم
من ابريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال واما الديباج فهو الحرير
ايضا قال صاحب كتاب المعرب من اللسان الاعجمي الاستبرق غليظ الديباج
فارسي اصله استفره وقال تاج القراء الاستبرق ما غلظ من الحرير فكانا
شيئا واحدا وسياتي في الباب الثاني والستين ما يدل على ان الديباج
غير الحرير وقوله قد كفروا على سلاحهم اي ستروا سلاحهم لان الكفر
في الاصل الستر

الباب الحادي والستون في العلم في الثوب

قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض الناس العلم في الثوب من الحرير
والابريسم واباحه آخرون وبه ناخذ فاما من كرهه فقد ذهب الى ما روى
الاعمش عن مجاهد ان ابن عمر رضي الله عنهما اشترى عمامة فراى عليها علم حرير
فقطعه وروى موسى بن عبيدة بن خالد بن يسار عن جابر بن عبد الله الانصاري
رضي الله عنه قال كنا نقطع الاعلام وقال ابن عمر رضي الله عنه اجتنبوا
ما خالط الثياب من الحرير ولان النبي صلى الله عليه وسلم حرم الحرير على
الرجال فاستوى القليل فيه والكثير واما حجة من قال انه لا باس به ما روى
ابو امامة الباهلي قال قالوا يا رسول الله نهيتنا عن لبس الحرير فما يحل لنا منه
قال ثلاثة اصابع وذلك لا خير فيه وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال لا باس بالعلم انما يكره المصمت وروى منصور عن ابراهيم انه قال كانوا يرخصون
في الاعلام وروى عن سويد بن غفلة عن عمر رضي الله عنه انه قال لا باس
بالاصبع والاصبعين والثلاثة والاربعة ولان القليل في حد العفو كما ان
عمل القليل في الصلاة لا يقطع الصلاة وقليل النجاسة لا يمنع جواز الصلاة
والصيام اذا دخل الغبار حلقه لا ينقض صومه لان هذا قليل كذلك ههنا
انتهى بكماله اقول ما رواه سويد ورد في شرح الآثار للطحاوي في باب لبس
الحرير بلفظ عن سويد بن غفلة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب
بالجابية قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير الا موضع
اصبعين وثلاثة واربع هكذا بياض في الاصل

الباب الثاني والستون في افتراش الديباج قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلفوا في جواز افتراش الديباج والحرير قال بعضهم لا باس به وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه وقال بعضهم يكره وهو قول محمد بن الحسن رحمه الله تعالى وبه ناخذ اما حجة من اجازه ما روي ابرهيم عن مسعر عن ابي راشد قال رايت على فراش بن عباس ومجاسه مرفقة من حرير وروي الحسن انه شهد عرسا فجلس على وسادة حريرا وديباج وروي عن انس رضي الله عنه انه حضر وليمة فجلس على وسادة حريرا وديباج عليها صور واما من كرهه فقد ذهب الى ما روي عن سعد بن مالك انه قال لان اتكي على جمر احب الي من ان اتكي على مرافق من حرير وعن ابن سيرين انه قال قلت لعبيدة السلماني افتراش الديباج كلبسه قال نعم انتهى كلامه اقول قد تقدم ذكر الديباج والحرير في الباب الستين والمرفقة بكسر الميم المخدة

الباب الثالث والستون في لبس الحمرة قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض الناس لبس الثوب المصبغ بالعصفر والزعفران والورس للرجال وقال بعضهم لا باس به اما حجة من كرهه ما روي ايوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس المعصفر وعن القسي يعني الثوب الرقيق وعن القراءة في الركوع اقول القسي بفتح القاف نسبة الى بلاد يقال لها القس قال ابو عبيدة واصحاب الحديث يقولونه بكسر القاف واهل مصر بالفتح كذا في الصحاح ثم قال الفقيه وروي الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والحمرة فان الحمرة من زينة الشيطان وان الشيطان يحب الحمرة وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي ملحفة مبزورة بالعصفر فاعرض عني فذهبت فاحرقتها ولبست غيرها ثم جئت فقال ما فعلت بالملحفة فقلت رايتك اعرضت عني فاحرقتها فقال هلا اعطيتها لبعض نسائك قلت وفي قوله صلى الله عليه وسلم فهلا

اعطيتها

اعطيتها لبعض نسائك دليل على ان الالوان المكروهة المذكورة ليست مكروهة على النساء كما ان الذهب والحرير محرمان على الرجال دون النساء ثم قال الفقيه واما حجة من اباح ذلك ما روي عن وكيع عن سفيان عن ابي اسحق عن البراء بن عازب قال ما رايت ذا لمة احسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن ابي كعب بن عجرة قال لقيت اربعة او خمسة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسون المعصفر وروي وكيع عن مالك بن مغول قال رايت على الشعبي ملحفة حمراء قال الفقيه رحمه الله تعالى القول الاول اصح وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه وبه ناخذ ويحتمل ان لبس النبي عليه الصلاة والسلام كان قبل النهي واما الذي روي من الصحابة فانه لا يلزم فانه لم يتبين من كبار الصحابة وقد روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما النهي عنه فهو اولى بالاخذ واما الذي روي عن الشعبي فانه فعل ذلك فرارا من القضاء وكان يلبس المعصفر ويلعب بالشطرنج ويخرج مع الصبيان لرؤية الفيل انتهى كلامه اقول قد ذهب بعض المفسرين في قول الله عز وجل اخبارا عن قارون فخرج على قومه في زينته انه لما قال للبغي في قصته مع موسى عليه السلام ادعي على موسى انه راودك عن نفسك كما تقدمت القصة في الباب السادس كان خروجه على قومه في لباس احمر متجبرا فاخزاه الله تعالى كما تقدم وقد تقدم في الباب التاسع والخمسين ان خير الثياب البيض واحسن الالوان الخضرة وسئل اعرابي عن وصف الالوان فقال الاصفر اشكل والاحمر اجمل والاخضر انبل والاسود اهول والابيض افضل ثم ان قوله في الاخضر انبل بالنون اوله ولا ابل بالباء ولا بالتاء بمعنى لازم الاخضر ولعله بالقاف من القبول قال الجوهري تقول على فلان قبول اذا قبلته النفس انتهى والاخضر مقبول لحسنه كما تقدم وروي ذلك بلفظ الصفرة والحمرة والخضرة والسواد والبياض ولذلك قيل لو كان البياض صبغا لكان اعلا الاصباغ ومما قيل في لابس الابيض

صنم من الكافور تحت غلائل ... من فضة ترك القلوب مراضا
لبس البياض ولم يكن ذا عادة ... بلباسه فكسي البياض بياضا

وفي لابس الاصفر فقال

انظر الى لابس وانظر الى وكن ... من مثل ما حل بي منه على خطر
هذا اصفرار يراه الناظرون وما ... في القلب من حبه يخفى عن البصر

وقال ايضا

لبست صفرة فكم فتنت من ... اعين اذ رأينها وعقول
مثل شمس في الغرب تسحب ذيلا ... صبغته بزعفران الاصيل

وقال ايضا في الاحمر يا رب غانية حمر غلائلها كانها قمر في حمرة الشفق

كان عزتها من تحت طرتها ... بدر التمام بدا في ظلمة الغسق

وقال في الاخضر ايضا

ومهفهف فاق الهلال جماله ... وقوامه زرى بغصن الباذ
انكرته لما بدا في خضرة ... فاجاب تلك ملابس الاغصان

وقال في الاسود ايضا

يا من بقوته على عشاقه ... ضعفت قوى صبري وقل تجلدي
ما قلت ان الشمس تطلع في الدجا ... حتى رايتك في قباء اسود

الباب الرابع والستون في جلود السباع قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس في جلود السباع قال اصحابنا رحمهم الله تعالى لا باس بجلود السباع كلها والصلاة عليها وفيها اذا كانت مدبوغة او ذكية ما خلا الخنزير وكرهه بعض الناس واحتجوا بما روى ابو المليح الهذلي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم على لبس جلود السباع وعن افتراشها وروى عن عمر رضي الله عنه انه راى على راس رجل قلنسوة من جلود الثعالب فاخذها ففتقها وعن الحسن انه كان يكره الصلوة في جلود الثعالب واما الحجة لاصحابنا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما اهاب دبغ فقد طهر وروى عن ابن عون عن ابن سيرين انه ذكر عنده جلود النمور فقال ما اعلم احدا ترك هذه الجلود تاثما فيها اي ليس في لبسها اثم لكونها نجسة وروى عن ابن الحسن قال دخلت على عمار بن ياسر وعنده خياط يظهر له لحاف ثعالب وعن ابرهيم النخعي انه كان له قلنسوة ثعالب فاما الامر الذي جاء في النهي احتمل ان النهي ورد في الذي لم يدبغ ويحتمل ان النهي على سبيل الاستحباب لترك زينة الدنيا من غير تحريم لانه كان بالناس شدة في العيش الا ترى الى ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال انما كان طعامنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الاسودين التمر والماء ما كنا نرى سمراءكم هذه وانما كان لباسنا هذه النمار يعني الصوف الا ترى انه ورد في الخبر انه نهى عن اكل الخليطين لاجل شدة الناس في العيش فكذلك امر اللباس نهى لذلك اقول النمرة الحنطة والنمار جمع نمرة مثل ثمار وثمرة وهي بردة من صوف تلبسها الاعراب كذا في الصحاح والقلنسوة قال الجوهري اذا فتحت القاف ضممت السين وان ضممت القاف كسرت السين وقلبت الواو ياء فاذا جمعت وصغرت فانت بالخيار لان فيه زيادتين الواو والنون ان شئت حذفت الواو وقلت قلانس وان شئت حذفت النون قلت قلاس وتقول في التصغير قلينسة وان شئت

قُلَيْسِيَةٌ انتهى ملخصا وهي ما يلبس بالراس والخليط فعيل بمعنى مفعول اي مخلوط قال السمين في العمدة واصل الخلط الجمع بين الشيئين فاكثر سواء كانا مايعين او جامدين او احدهما جامدا والاخر مايعا وهو اعم من المزج فانه يختص بالمايعات الباب الخامس والستون فيما يستحب من الاسماء قال الفقيه رحمه الله تعالى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما بعث الله تعالى رسولا الا كان حسن الوجه حسن الاسم حسن الصوت وكان يكتب الى الافاق اذا ابردتم الي فابردوا احسن الوجه حسن الاسم وروى عن علي رضي الله عنه انه قال كنت احب الحرب فلما ولد لي الحسن سميته حربا فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال بل هو الحسن فلما ولد الحسين سميته حربا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو الحسين ثم قال سميتهما باسم ابني هارون شبر وشبير وروى سعيد بن المسيب ان جده حزن بن بشير دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما اسمك فقال حزن فقال بل انت سهل فقال لا اغير اسمي عما سماه ابواي قال سعيد لم تزل تلك الحزونة فينا الى اليوم وروى عن المهلب بن ابي صفرة عن ابيه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن اسمه ونسبه فقال انا سارق بن ظالم بن قاطع بن فلان بن فلان حتى انتهى الى جلندا الملك الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا قال المهلب وكان على ابي صفرة ازار قد صبغه بزعفران فقال عليه الصلاة والسلام دع السارق والقاطع فانت ابو صفرة فقال يا رسول الله لم يكن احدا الي ابغض منك والان ليس احد احب الي منك وانه قد ولدت لي امس ابنة وقد سميتها صفرة حتى تكون كنيتي موافقة لاسمها وكانت اذا ولد لاحدهم اول ولد يكنى به وامراته ايضا تكنى به فيقال للزوج ابو فلان ولامراته ام فلان كما قيل ابو سلمة وام سلمة وابو الدرداء وام الدرداء وابو ذر وام ذر فكان الرجل ما يكنى ما لم يولد له ولد وروى عن معمر بن خيثم قال قال لي ابو جعفر بن محمد بن علي ما يكنيك يا معمر فقلت ما اكتنيت وما ولد لي ولد قال ما يمنعك ان تكنى قلت حديث بلغني عن علي رضي الله عنه انه قال من اكتنى ولم يولد له فهو ابو جعر قال ليس هذا من حديث علي انا لنكني اولادنا في صغرهم مخافة النبز ان يلحق بهم وروى يعني معمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي واكنوا بكنيتي ولا تسموا باسمي فقال هذا منسوخ لان عليا رضي الله عنه سمى ابنه محمدا وهو ابن الحنفية وكناه ابا القاسم وقد كان استاذن النبي صلى الله عليه وسلم اقول فحديث معمر يقتضي النهي عن الجمع بين اسمه وكنيته صلى الله عليه وسلم وقد نسخه ما روى عن علي رضي الله عنه

انه قال قلت يا رسول الله ان ولد لى ولد اسميه باسمك واكنيه بكنيتك قال
نعم قال الطحاوى رحمه الله تعالى ما ملخصه فذهب قوم بهذا الحديث الى انه
لا بأس بان يكتنى الرجل بابى القاسم وان يتسمى مع ذلك بمحمد واما قبل ان
ذلك رخصة لعلى فلم يذكر ذلك فى الحديث ولا عن على رضى الله عنه ان ذلك
كان رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو قول ممن بعد على
وقد كان فى زمن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو مسمى بمحمد مكنى
بابى القاسم منهم محمد بن طلحة ومحمد بن الاشعث ومحمد بن ابى حذيفة فلو كان
ذلك رخصة لعلى خاصة به لانكر على فاعله وانكره معه من كان بحضرته
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت قد ورد حديث فى
رجاله ايوب بن واقد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى ان ولد
لك ولد بعدى ولد فسميه باسمى وكنيه بكنيتى وهو لك خاصة دون الناس
قلت لم يثبت هذا الحديث عندنا لان ايوب بن واقد لا يقوم مقام من خالفه
فى حديث على الاول انتهى ومن اراد بسط ما ذكرته فليراجع شرح الآثار
للطحاوى واما النهى عن التكنى بكنيته فقط صلى الله عليه وسلم فروى
الطحاوى رحمه الله تعالى ان انس بن مالك قال كان النبى صلى الله عليه وسلم
فى السوق فقال له رجل يا ابا القاسم فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الرجل انما ادعو ذاك فقال النبى صلى الله عليه وسلم تسموا باسمى ولا
تكتنوا بكنيتى قال وقد يجوز ان يكون كره ان تكتنوا ايتسمى بالقاسم لانهم او
اكثرهم كانوا يكنون الآباء باسماء الابناء وعن ابن المنكدر انه سمع جابر بن
عبد الله يقول ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم فقلنا لا نكنيك ابا القاسم
ولا ننعمك عينا فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال اسم ابنك
عبد الرحمن وفى رواية عن جابر ايضا قال ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم
وكنى به فابت الانصار ان تكنيه بذلك فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال احسنت الانصار تسموا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى ففى الحديث ما قد
دل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما حول اسم ذلك الصبى لان اباه
يكنى به فحوله الى اسم يجوز لابيه التكنى به وفيه ما يدل على ان النهى انما قصد
به الى الكنية خاصة لا الجمع بينها وبين الاسم انتهى شرقال الفقيه وروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سموا اولادكم باسم الانبياء واحب
الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم اقول فائدة لما ان جعل
الله تعالى هذه الاسماء الثلاثة اعنى اسم الذات والصفتين فى
بسم الله الرحمن الرحيم التى يتبرك بها فى كل امر ذى بال اخبر النبى صلى الله
عليه وسلم ان احب الاسماء الى الله لفظ عبد المضاف الى احد هذه الاسماء الثلاثة
وروى صاحب شرعة الاسلام عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سموا اولادكم اسماء

الانبياء واحسن الاسماء عبد الله وعبد الرحمن واقبحها حرب ومرة ثم قال
الفقيه لا احب للعجم ان يسموا عبد الرحمن وعبد الرحيم لان العجم يعرفون
تفسيره فيسمونه بالتصغير فصار ذلك مستنكرا فاذا كان كذلك لا ينبغى
ان يسموا بمثل ذلك الاسم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه يسمى المملوك
نافعا او يسارا او بركة قال الراوى لانه اذا طلبه انسان يقال ههنا بركة
وههنا يسار وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال لرجل ما اسمك فقال
جمرة فقال ابن من فقال ابن شهاب قال ممن اين قال من الحرقة قال اين تسكن
قال بالحرة فقال عمر رضى الله عنه ويحك ادرك اهلك فقد احترقوا فرجع الرجل
الى اهله فوجدهم قد احترقوا جميعا اقول وهذه القصة مذكورة فى نثر الدر
بلفظ آخر قال هشام خرج عمر الى حرة واقم فلقى رجلا من جهينة فقال له ما
اسمك قال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال وممن انت قال من الحرقة قال
ثم ممن قال من بنى ضرام قال واين منزلك قال بحرة ليلى قال فاين تريد قال لظى
وهو موضع قال عمر ادرك اهلك فما اراك تدركهم الا وقد احترقوا قال فادركهم
وقد احاطت بهم النار وفى موطأ مالك بن انس رضى الله عنه ان عمر رضى الله عنه
سأل رجلا عن اسمه فقال شهاب بن حرقة فقال ممن فقال من اهل حرة النار
قال واين مسكنك قال بذات لظى فقال ادرك اهلك فقد احترقوا فكان الامر
كما قال عمر رضى الله عنه وكتب رجل كتاب عناية لابى عبد الله العاقل الى رجل
فكتب فى عنوانه لابى الفياض بحر بن الفرات فقال له العاقل زن كرى الزورق
والا غرقت قبل ان اصل الى الرجل ورأيت هذه الحكاية بلفظ آخر وهو انه
حكى ابو مسعود قال قال لى ابو داود المسيحى ما اسمك قلت سعد قال ابن من قال
ابن مسعود قال ابو من قلت ابو مسعود فقال لى مسألتك حتى اعرابى لقى
آخر فقال له ما اسمك فقال فياض قال ابن من قال ابن الفرات قال ابو من قال
ابو بحر فقال ليس لنا ان نلقاك الا فى زورق والا نغرق وكان ابو العاج على
جوالى البصرة فاتى برجل من اهل الذمة فقال ما اسمك فقال بناذ شهر بناذ
فقال الاسم ثلاثة والجزية واحدة لا والله العظيم واخذ منه ثلاث جزيات
وقال ابو سميع البصرى كنا نجالس ابا الهذيل فى مجلسه فجاء شاب رواء ومنظر
وسمت فقعد فاجللناه لظاهره فقال ابو الهذيل ليس للعجم كتاب اجل من
الكتاب المترجم بجاودان وقد استفتح مؤلفه بثلاث كلمات ليس لهن نظير
منها انه قال من اخبرك ان عاقلا اساء الى من احسن اليه فلا تصدقه ومن
اخبرك ان حماة تحب كنة فلا تصدقه ومن اخبرك ان
فابرى الغلام وجثا وقال حدثنى ابى عن جدى بثلاث هن احسن منهن فقال
ابو الهذيل من علينا بهن فقال قال جدى رحمه الله تعالى من اخبرك ان الجائع
مثل الشبعان فلا تصدقه ومن اخبرك ان النائم كاليقظان فلا تصدقه

ومن اخبرك ان المكتسي كالعريان فلا تصدقه فقلنا له امن العرب انت ام من العجم قال من بينهما قلنا فمن اى بلد انت فقال من دون السماء وفويق الارض فقال له الجاحظ ما اسمك قال الجام قال فما الكنية قال ابو السراج فقال له فمالك ما تنهق وانت حمار فقام الغلام مغضبا يجر ازاره وهو يقول ليس الذنب لكم حين اجالس مثالكم وانتم لا تدرون ما طحاها ثم قال الفقيه وروى عن مالك بن انس عن يحيى بن سعيد رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من يحلب هذه اللقحة يعنى الناقة فقام رجل فقال انا قال ما اسمك قال حرب قال اجلس ثم قال من يحلب هذه اللقحة فاجاب رجل فقال انا فقال ما اسمك قال مرة قال اجلس ثم قال من يحلب هذه اللقحة فقال رجل انا فقال له ما اسمك قال يعيش قال له احلب فحلب اسنى بكا له اقول اللبن بكسر النون وسكون الموحدة يتلوها راء مهمله دويبة شبيهة بالقراد اذا اربت على البعير تورم مدبها بفتح الميم وكسر الدال المهملة والموحدة التحتية مشددة يعنى مكان مشيها ودبيبها ومعنى مخافة النيران يلحق بهم والجعل دويبة كذا فى الصحاح فقط وفى نهاية ابن الاثير حيوان معروف كالخنفسا ومعنى من اكتنى ولم يولد له فهو ابو جعل

وقوله صلى الله عليه وسلم اذا ابردتم الى فابرد واحسن الوجه اى اذا ارسلتم الى رسولا ويقال للرسول بريد كما سياتى فى الملحق بالباب السادس عند ذكر ابرهيم عليه السلام وما اورده الفقيه من تسمية الحسن والحسين رضى الله عنهما بحرب اولا وغير ذلك فهو من التفاول وقد مر شئ من ذلك ومن الفال من القرآن وغيره فى الفصل الخامس من الباب الخامس والاربعين ومن ذلك ما نقله الاصمعى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اتى المدينة نزل على رجل من الانصار فصاح الرجل بغلاميه يا سالم يا يسار فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار فى يسر وسال عمر رضى الله عنه رجلا اراد ان يستعين به على اسمه واسم ابيه فقال ظالم بن سارق فقال عمر تظلم انت ويسرق ابوك فلم يستعن به وخرج الرشيد يوما فراى سعيد بن سالم فقال له من انت فقال سعيد اسعدك الله فقال ابن من فقال ابن سالم سلمك الله فقال ابو من قال ابو عمر عمرك الله فقال بارك الله فيك واكرمه والمراد من التفاول التفاول بمجرد الاسم الحسن واما ما نقله الفقيه عن راوى الحديث الذى فى تسمية المملوك نافعا ويسارا وبركة انه قال لانه اذا طلب انسان ههنا بركة ههنا نافع فمنقوض بان يجاب الطالب بليس ههنا بركة ولا نافع فعند طلبهما يتفاول المسئول عنهما بالخير وعند الجواب عنهما بليس يتفاول الطالب بالشر والسوء واما الكنية فقال عمر رضى الله عنه شيعوا الكنيه فانها منبهة وقيل كنية الرجل احدى شواهد

عقله واسمه احدى شواهد عقل ابيه وقيل كنية الرجل وقال ابن ابى البغل لرجل ولد لى مولود فما اسميه فقال لا تخرج من الاسطبل وسم ما شئت وقد تقدمت حكاية لطيفة فى الكنية بالباب الثالث والاربعين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدح الاسم الحسن من اتاه الله وجها حسنا وجعله فى موضع غير شاين فهو من صفوة خلقه اى خالصتهم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان احبكم الينا احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحسن منظرا فاذا اختبرناكم فاحسنكم مخبرا وكانت العرب كما تتفاءل بالاسم الحسن كانت تتشاءم بالاسم الردى وتتطير منه وانما تطيرت من الغراب اذ كان اسمه مشتقا من الغربة كما تقدم فى الفصل الخامس من الباب الخامس والاربعين وقال الشاعر

ماذا الذى اهدى لنا السوسنا ... ما كنت فى هداية محسنا
شطر اسمه سوء فقد سوتنى ... ياليتنى لم ارى السوسنا

وقد تقدم فى الباب التاسع والخمسين انه ينبغى ان يكون اللباس والكلام متلازمين حسنا وقبحا فكذا ينبغى ان يكون الاسم والسيرة متلازما دكل واحد منهما يشبه الاخر كما حكى عن الاسكندر انه راى رجلا ردى السيرة اسمه اسكندر فقال له ابدل سيرتك واسمك وكتب الحريرى الى صاحب له مطهر وقد شرب الخمر ما لفظه

ابا زيد اعلم من شرب الطلا ... تدنس فافهم كنه قولى المهذب
ومن قبل سميت المطهر والفتى ... يصدق بالافعال تسمية الاب
فلا تحسبها كيما تكون مطهرا ... والا فغير ذلك الاسم واشرب

ومما قيل فيمن خالف فعله اسمه سمتك

سمتك امك صالح لا اصلح شانها ... ضاقت عليها الاسامى سمت
فسادا صالح

وما فى هذا الكلام من اللحن جائز لانه من كان وكان من الفنون السبعة التى لا يحسن فيها الاعراب واما سكون الهاء من الله فمثله جائز فى ضرورة الشعر واورد البيضاوى على ذلك قولهم

الا بارك الله فى سهيل ... اذا ما الله بارك فى الرجال

ولقى واحد اعرابى فقال له ما اسمك فقال قراد فقال قبح الله بلادا ضيقت عليه الاسامى حتى سماك قرادا فان كان ضيق الاسم فقد وسع الكنية قال ابو من قال ابو الصحارى ووقف اعرابى على قوم فسالهم عن اسمائهم فقال احدهم اسمى محرز وقال اخر ثابت وقال اخر شديد فقال الاعرابى قبحكم الله تعالى ما اظن الاقفال عملت الا من اسمائكم والله اعلم

الباب السادس والستون فيما قيل فى العقل والجهل

قال الفقيه رحمه الله تعالى روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال العلم خليل الرجل والعقل

دليله والحلم وزيره والعمل قيمه والصبر امير جنده والرفق والده والبر اخوه
ثم قال لابنه الحسن رضى الله عنهما يا بنى لا تستحقر رجلا تراه ابدا فان كان
اكبر منك فاحسبه انه ابوك وان كان مثلك فاحسبه انه اخوك وان كان
اصغر منك فاحسبه انه ولدك وقيل لبعض الحكماء من العاقل قال الذى
لا يصنع فى السر شيئا يستحى منه فى العلانية قال الفقيه فهذا موافق
لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال آخر ما بقى من كلام النبوة
اذا لم تستحى فافعل ما شئت وفى نسخة فاصنع ما شئت يعنى اذا كان
عملا لا تستحى منه فافعل ذلك العمل ما شئت وفى نسخة يعنى اذا كان
كل عمل لا يستحى منه فاصنع ما شئت وروى عن لقمان الحكيم انه قال
لابنه يا بنى حسن طلب الحاجة نصف العلم والتودد الى الناس نصف
العقل والتدبير فى المعيشة نصف الكسب يا بنى ارسل حكيما ولا توصه
فان لم يكن رسول حكيم فكن انت رسول نفسك اقول قيل الرسول الذى يقضى
الحاجة هو الدرهم وفى ذلك يقول ابو الخير احمد الرازى اللغوى المعروف بابن
فارس شعر

اذا كنت فى حاجة مرسلا ... رسولا وانت بها مغرم
فارسل حكيما ولا توصه ... وذاك الحكيم هو الدرهم

وهو ماخوذ من قول ابى بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى المالكى وهو

اذا كنت فى حاجة مرسلا ... وانت بانجازها مغرم
فدع عنك كل رسول سوى ... رسول يقال له الدرهم

ثم قال الفقيه ويقال ثمانية ان اهينوا فلا يلوموا الا انفسهم
الذاهب الى مائدة لم يدع اليها والمتامر على رب البيت ، وطالب الخير
من اعدائه ، وطالب الفضل من اللئيم ، والداخل بين اثنين فى حديثهما
من غير ان يدخلاه فيه والمستخف بالسلطان ، والجالس مجلسا ليس له
باهل والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه وروى شعبة عن ابى اسحق عن
على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ينبغى للعاقل ان لا
يكون شاخصا الا فى ثلاث مرمة لمعاش او خلوة لمعاد او لذة فى غير محرم
وقيل ينبغى للعاقل ان تكون له من النهار اربع ساعات ساعة يناجى فيها
ربه وساعة يحاسب نفسه وساعة ياتى اهل العلم الذين يبصرونه
امر دينه وينصحونه وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحمد
وينبغى للعاقل ان ينظر فى شانه ويعرف اهل زمانه ويحفظ فرجه ولسانه
انتهى كلامه اقول قد ذكر الفقيه العقل ولم يذكر الجهل وانا اذكر ما قيل
فيهما قال الفقيه فى باب طبايع الانسان فيما يأتى ان موضع العقل
الدماغ وانه قول بعض الحكماء وان عليا رضى الله عنه قال العقل فى القلب
انتهى والتوفيق بينهما ان موضعه الدماغ وله تعلق بالقلب لقوله تعالى

لهم

لهم قلوب لا يعقلون بها وقيل معنى ذلك لا يفهمون بها وهو ماخوذ
اى العقل من عقال البعير فانه يمنع ذوى العقول من العدول عن سواء
السبيل وقيل من المعقل ولبعضهم فى ذلك

العقل احسن معقل فاهرع الى ... ابوابه العليا تنل كل علا
واعلم بان الشئ يرخص كثرة ... والعقل كثرته حواصله غلا

وقال بعضهم الصحيح انه جوهر يدرك به الغايبات بالوسايط والمحسوسات
بالمشاهدة وقال بعضهم هو صفة تميز بها الحسن والقبيح وقال
الشافعى رضى الله عنه العقل آلة التمييز وهو حادث لا قديم وادعت
الفلاسفة قدمه وقيل انه جوهر لطيف فى البدن ينبث شعاعه
بمنزلة السراج فى البيت ينتشر وقيل انه بسيط محله الدماغ والقلب
وحده المنطقيون بانه قوة تقضى على جميع القوى بالخطاء او الصواب
وحدوه بغير ذلك وهو افضل ما يؤتى الانسان قال مطرف بن عبد الله
من الطبقة الثانية من التابعين من اهل البصرة ما اوتى احد من الناس
شيئا افضل من عقل وعقول الناس على قدر زمانهم انتهى وفى آداب
السياسة خير المواهب العقل وشر المصايب الجهل وهو مرآة الانسان
تريه الصالح وتجنبه الطالح به تدرك الحقايق ، وتحط الدقايق ، ويعيد
الخالق ، ويفرق بين المخالف والموافق ، وقد عظم الله شانه ، وقوى
برهانه فى مواضع من القرآن العظيم منها قوله تعالى فى سورة النور
الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة
الزجاجة كانها كوكب درى توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا
غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره
من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم قال بعض المفسرين
اشار بالمصباح الى العقل وبالنور ايضا اليه وقال آخرون جعل المصباح
مثالا للعقل والمشكاة مثالا لصدر المؤمن والزجاجة مثالا للقلب المشكاة
الكوة بضم الكاف وفتحها وهى ثقب البيت بالمثلثة اوله وهو الطاق
يوضع به المصباح وهو السراج والدرى الثاقب المضئ نسب الى الدر لبياضه
وقد تكلمنا الدال وقال النبى صلى الله عليه وسلم العقل نور فى القلب
يفرق به بين الحق والباطل انتهى ولا ينافى هذا الحديث ان محله الدماغ
ويكون المعنى انه نور يشرق على القلب كاشراق الشمس من كوة على بقعة
فى الدار تنورها مع ان محلها فى السماء الرابعة وهذا النور من نور الله
تعالى الحاصل من تقرب العبد الى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه فاذا احبه
اشرق على قلبه من نور الله عز وجل فبذلك النور يسمع ويبصر وينطق ويبطش
كما فى الحديث المذكور وانما حصل ذلك العبد بتصرفه بالعقل الذى اسكنه

الله تعالى فى دماغه حتى عرف به مقام الالوهية والعبودية وما يترتب على
الاعمال من الثواب والعقاب فعبد الله بالفرايض ثم اتبعها بالنوافل بالصدق
والصفا حتى اشرق على قلبه ذلك النور الذى يفرق به بين الحق والباطل ولما
كان العقل سببا لحصول هذا النور قال صلى الله عليه وسلم العقل نور فى
القلب الحديث اقامة للسبب مقام المسبب اللهم لا تحرمنا لمعة من ذلك
النور يكون سببا لرضاك عنا يوم البعث والنشور وادخلنا الجنة برحمتك
يا رحمن يا غفور رجع الى ما يتعلق بالعقل قال جعفر الصادق رضى الله عنه
العقل للحكمة كالارض للغراس يريد ان العقل ينبت الحكمة فالجاهل لا يكون
اهلا للحكمة بخلاف العاقل حيث يكون اهلا لها وقال الاسكندر العالم كنز
الله تعالى ودعه اسرار الحكمة اى اسرار حكمته وبدايع صنعته وختم
عليه بالغفلة وقفله بالهوى وجعل مفتاحه العقل وسياتى بالباب
الثامن والستين راس العقل وراس الجهل وفى اداب السياسة ان دعامة
العقل التثبت وقد امر الله تعالى به فقال يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم
فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين
وقرى فتثبتوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناة من الله والعجلة
من الشيطان وسئل حكيم اى الامور اشد تاييدا للفتى واشد اضرارا به فقال
اشدها تاييدا له ثلاثة مشاورة الحكماء وقد تقدمت بالباب السابع والاربعين
وتجربة الامور وحسن التثبت واشدها اضرارا به ثلاثة الاستبداد برايه
والتهاون والعجلة وفى المثل التثبت نبات ومن تانى تهنى وكانت العرب
تسمى العجلة ام الندامات لان صاحبها يقول قبل ان يعلم ويجيب قبل ان يفهم
ويعزم قبل ان يفكر ويقطع قبل ان يقدر ويحمد قبل ان يجرب ولن يصحب رجل
هذه الصفات الا صحبته الندامة واعتزل عن السلامة وقال الشاعر

اذا ما اردت الدهر فادع كله	وقس قياس الثوب قبل التقدم
لعلك تنجو سالما من ندامة	فلا خير فى امر اتى بالتندم

وقال الوزير محمد بن احمد الكتانى

تان فى الامر لا تكن عجلا	فمن تانى اصاب او كادا

اى وكان يصيب والتانى فى الجد وهو المكر وكاد بنفسه اى جاد بها
والكاد جمع نكد وهو الشدة

وكن بحبل الله معتصما	تامن به بغى كل من كادا
وكم رجاه فنال بغيته	عبد سعى بنفسه كادا
ومن يطل صحبة الزمان فلا	يامن خطوبا به وانكادا

وقال فيثاغورث من استطاع ان يمنع نفسه عن اربعة اشيا فهو خليق
ان لا ينزل به من المكروه ما ينزل بغيره العجلة اللجاجة والعجب والتوانى

ثمرة العجلة الندامة وثمرة العجب البغضة وثمرة التوانى الاضاعة وقد
تقدم العجب بالباب الثامن والخمسين والتوانى فى الباب الحادى
والخمسين وسياتى بالملحق بالباب السادس عشر الاناة والحلم توامان
نتيجتهما علو الهمة وان عليا اوصى ابنه الحسن رضى الله عنهما فقال اذا
هممت بخير فبادر به واذا هممت بشر فتان فيه وقال على رضى الله عنه
من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة شعر

اذا هبت رياحك فاغتنمها	فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها	فما تدرى السكون متى يكون

وقيل المتانى فى علاج الداء بعد ان عرف وجه الدواء كالمتانى فى اطفاء
النار وقد اخذت بحواشى الثوب وقيل ثلاثة لا اناة فيهن فى المبادرة
بالعمل الصالح ودفن الميت وتزويج الكفؤ انتهى وما قيل فى الفرصة ففى
اداب السياسة الافتراص اقتناص وقد حث الله تعالى على الفرصة
بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح له باب
من الخير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عنه وقال عليه الصلاة والسلام
اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك
قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل مماتك وقال بعض الحكماء لا
تدفعن عملا عن وقته فان للوقت الذى تدفعه اليه عملا اخر ولست
تطيق ازدحام الاعمال لانها اذا ازدحمت دخلها الكلال وقال على رضى الله عنه
الهيبة خيبة والفرصة تمر مر السحاب وقال الشاعر

كم من مضيع فرصة قد امكنت	لغد وليس له غد بموافى
حتى اذا فاتت وفات طلابها	ذهبت عليه نفسه حسرات

وقال آخر

اذا خلة نابت صديقك فاغتنم	مرمتها فالدهر بالناس قلب
وبادر بمعروف اذا كنت قادرا	حذار زوال او غنى عنك يعقب

وقيل ان الحاجة لها آفتان التوانى وقد امكن والطلب وقد فات شعر فى المعنى

تتبع الامر بعد الفوت تغرير	وتركه مقبلا عجز وتقصير

انتهى وقيل مكتوب على عصا سليمان ثلاث كلمات ٭ من جسر ايسر ٭ ومن
هاب خاب ٭ وكن هجاما ولو على الضرغام ٭ وهو الاسد عود الى العقل
قيل سيف الراى فمن اطاع رايه سدده وارشده ومن اطاع هواه اذله
واضله وقال الله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعن ابى موسى
قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضا وصلى فسمعته يدعو
ويقول اللهم اغفر لى ووسع لى فى راى وبارك لى فى رزقى وفى المثل من ضعفت

ارآوه قويت اعداوه شعر

اري الراي اضحى فوق باس ونجدة ... وما بهما عنه غنى حيث حتما
فكم فارس قد زل زلة عاثر ... اذا هو اخطى رايه فتحطما

وللمتنبي

الراي قبل شجاعة الشجعان ... هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العليا كل مكان

وقيل من عمل بالراي ملك • ومن كابد الامور هلك شعر

واذا اردت بلوغ غايات المنى ... شاورك ذوي الاراء في ارآيها

والراي انواع قيل اقومه احكمه واشده اسده وقال النبي صلى الله عليه وسلم الامور ثلاثة امر بان لك رشده فاتبعه • وامر بان لك غيه • فاجتنبه • وامر اشتبه عليك فقف عنده • وكله الى الله • وقال الشاعر

وعادم الراي مضياع لفرصته ... حتى اذا فات امر عاتب القدر

وقيل لما ضعف علي رضي الله عنه عن محاربة معاوية استضعفوا رايه فقال لهم كلاما في آخره لا راي لمن لا يطاع وقيل حسن الراي من راحة الذهن قال بعض الحكماء روحوا الاذهان كما تروحون الابدان فليس للعقل المقدود لقاح ولا لرايه نجاح وقد تقدم في الباب السابع والاربعين انا اعقل ما يكون من الرجال لا غنى له عن راي ذي لب النفات الى العقل قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما رايت في الانسان اشرف من العقل ان انكسر صححه وان وقع اقامه وان ذل اعزه وان سقط في هوة جذبه بضبعه واستنقذه منها الضبع بسكون الباء العضد وهو الساعد وهو من المرفق الى الكتف وفي العضد اربع لغات ضم الضاد وكسرها وسكونها وسكون الضاد مع ضم اوله وكان على خاتم فيلاطوس صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله وقيل العمى خير من الجهل لان اصعب ما يخاف من العمى التردي في هوة واسهل ما يخاف من الجهل الوقوع في الموت وقال بعض الحكماء ان العاقل اذا ايتمنته ادى امانتك وان جالسته زانك وان استرشدته ارشدك ونصحك والجاهل اذا ايتمنته خانك وان جالسته شانك وان استرشدته غرك واضلك قال بعضهم استشر عدوك العاقل ولا تستشر صديقك الاحمق فان العاقل ينفي عن رايه الزلل كما ينفي الورع عن دينه الحرج واذا اراد الله تعالى بامة خيرا ورحمة ملك عليها ملكا عاقلا واذا اراد بامة شرا وشقاوة ملك عليها ملكا جاهلا اما ترى انه اذا وصفت بعض البلاد بالعمارة وان اهلها في امان وراحة ودعة فان ذلك على عقل ملكها وحسن سيرة ولذلك قال رشد الوالي خير من خصب الزمان وقال ابرويز ملك الفرس

لولده

لولده احفظ الرعية ليحفظك العقل واصرف آفتك عنها ليصرف العقل آفته عنك واعلم انك حكم بين الناس والعقل حكم عليك فكما ينبغي ان يقبل الناس امرك كذلك ينبغي ان تقبل امر العقل وقال بعضهم

لعمرك ما شيء يفوتك نيله ... بغبن ولكن في العقول التغابن

وقال آخر

اذا اكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت اخلاقه ومآربه

وقالت الفلاسفة اربعة اشياء يسود بها المرء العقل والعفة والحلم والعلم والثلاثة الاخيرة من دلايل العقل وقيل من كانت فيه اربع خصال ساد قومه غير مدافع من كان له دين يحجزه وحسب يصونه وعقل يرشده وحياء يمنعه وقال بعض الملوك لوزيره واراد محنته ما خير ما يرزقه العبد قال العقل يعيش به قال فان عدمه قال فضاعفه تحرقه وللعاقل دلايل منها فصاحة الكلام وحسن الصمت والحكمة والمعرفة والفطنة والفراسة والعلم المفيض والدراية والذكاء والفصاحة والبلاغة وجودة الخاطر والتخيل والبديهة والروية والكيس واصابة الظن وحسن الفكر وجودة الذكر والحفظ وحسن النظر والنقد وحسن الاختيار والراي والتدبير والمشورة والسداد والحزم والنظام والمداراة والتودد وكتم السر والصبر والاناة والتثبت والرفق ومخالفة الهوى والخوف والحذر والحلم والعفو وقصر الامل وكثرة ذكر الموت وقوة الدين والتقوى والصدق والاخلاص والورع والعفاف والتواضع والادب والصيانة وشرف النفس وعلو الهمة والحياء والجد ضد الهزل والمروة والفتوة والكرم وحسن الخلق وكل ما نتج منه الخير وقال الامام علي رضي الله عنه من ابيات ستذكر في وصاياه في القسم الثاني من خاتمة هذا الكتاب قال المرء

المرء يعرف في الانام بفعله ... وخصايل المرء الكريم كاصله

ولبعض هذه الدلايل ابواب في هذا الكتاب وسياتي علامة الجهل وما يتعلق به بالباب الذي يلي هذا وقال بعضهم في وصف حال العاقل والجاهل

اذا تم عقل المرء تمت اموره ... وتمت اياديه وتم بناؤه
فان لم يكن عقل تبين نقصه ... وان كان ذا لب كثير عطاؤه

وقيل العقل وزير ناصح والهوى وكيل فاضح • وقد مثل الحكماء للعقل صورة كابن آدم يطول ذكر كلها فلنذكر بعضها قالوا راس العقل التواضع وياتي بالباب الثامن والستين وراس العقل ايضا وعينه البراءة من الحسد ولسانه الصدق وقلبه صحة النية ويده الرحمة وسلطانه العدل وسلاحه لين الكلام وترسه المداراة وحربه المكايد

ودرعه مشاورة الحكماء وماله الادب ودليله تقوى الله تعالى وسياتي
بالباب الثامن والستين وما دعامته وقيل بالمكاره تظهر جبل العقول
والضرورة تعلم الحيلة وقيل ليس العاقل الذي يعرف الخير فيفعله انما
العاقل الذي يجتهد ان لا يوقع نفسه في شي يحتاج الى الخلاص منه انتهى ملخصا
وقال عبد الرحمن الانباري العاقل يجعل طبعه تبعا لعقله والجاهل يجعل
عقله تبعا لجهله وقد ذكر في الباب الحادي عشر انه لا يعلو على العقل شي سوى
القضاء والقدر وان الله تعالى يسلب ارباب العقول عقولهم حتى ينفذ
القضاء والقدر واما بزرجمهر فانه قال الهوى غالب والعقل مغلوب
مستعبد وقال بعض الحكماء ليس ينبغي للمرء ان يفرح بحالة جليلة بنالها
بغير عقل ولا منزلة رفيعة حلها بغير فضل لان الجهل ينزله عنها ويحطه
عن رتبته ويرده الى قيمته بعد ان تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه ويصير
مادحه هاجيا ويستحيل وليّ نعمته معاديا وقال بعض الحكماء لان اخطي
بعقل احب الي من ان اصيب بجهل وقد ذكر الفقيه علامة الجهل في
اول الباب السابع والستين وذكر راس الجهل في الباب الثامن والستين
وسياتي ما يتعلق بالجهل بالباب الثامن والستين وقال كسرى انوشروان
لبزرجمهر ما قيمة العقل قال شي لا يوجد في انسان كاملا كيف تعرف
قيمته وذكر الصولي للمامون كلاما منه قوله لله در العقل من جوهر
ما انفسه في قلوب الحكماء واغلاه في صدور العلماء وانشد

ما منح الانسان من دهره	موهبة اغلا من العقل
يونسه ان مله صاحب	فهو من الوحدة في اهل
ما حطه عندي ولا عابه	ان غلبته دولة الجهل

وقيل العاقل يقي دينه بنفسه ونفسه بماله وماله بسلطانه ودخل
منصور بن عمار على الرشيد فقال له الرشيد من اعقل الناس ومن
اجهلهم فقال اعقلهم محسن خايف واجهلهم مسيء آمن فاستحسن
ذلك منه واحسن جايزته وقد تقدمت دلايل العاقل اجمالا فلنذكر
بعضها تفصيلا فمنها النظام قيل فيه العقل نظام والحمق انصرام
فينبغي للعاقل ان يكون افعاله واقواله على نسق ونظام فهو الفرق بين
العاقل والجاهل وبين بني آدم والحيوان لان العاقل يتحرك كيف امر
والجاهل والحيوان يتحركان كيف اتفق وقد بين الله تعالى اتخاذ النظام
اذ جعل لكل من ملايكته ورسله علما يختص به وحدا لا يتجاوزه كما روي ان
جبريل عليه السلام استمر مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا الى ان
وصل الى مقامه فوقف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اهذا موضع
يفارق الخليل خليله فقال وعيشك يا محمد ما منا الا وله مقام معلوم فلو

تقدمت باعا او ذراعا لاحترقت وقال بعض الحكماء من عرف نفسه
معرفة صحيحة وضع الاشياء مواضعها شعر

اذا شئت ان تعطي الامور حقوقها	وتوقع حكم العدل احسن موضع
فلا تصنع المعروف في غير اهله	فظلمك وضع الشي في غير موضعه

وقال آخر

ولربما نثر الجمان تعمدا	ليكون احسن في النظام واجلا

والجمان جمع جمانة حبة تعمل من فضة كالدرة كذا في الصحاح

وما ذكر من دلايل العقل والعاقل انما هو باعتبار بلوغ سن العقل
وسياتي قول الفقيه في الباب الحادي والسبعين ان العقل ينتهي بثمانية
وعشرين سنة فلا يزيد بعد ذلك في عقله الا بالتجارب وقيل لا تزال
العقل في الانسان زمن الصغر ويزداد بزيادة عمره الى ان يبلغ اربعين
سنة وقيل دون ذلك فلا يحصل للانسان كسب العقل بعد تمام مدة
الا بالتجارب والاربعون سنة يطلق عليها عمر قال تعالى في سورة يونس
عليه السلام فقد لبثت فيكم عمرا قال البيضاوي مقدار اربعين سنة
والدليل على عقل الصغير ما قيل انه دخل بعض الهاشميين وقد ولد له
ولد على ابي جعفر فسلم عليه فقال له ابو جعفر كيف المولود قال في عافية
قال كم له قال سبعة ايام قال فقال متطبب ابي جعفر كيف عقله قال
اما سمعتني قلت لامير المومنين انما له سبعة ايام فقال الطبيب اذن للمولود

ان اصغر ما في الآدمي اللسان والقلب

اذ الكاذ له حاذ النظر قليل البكا كان عاقلا وفي كتاب صفوة الصفوة عن
القاضي الحسين بن ابي عجور انه قال في صفتنا العاقل مع حكم ذو العقل لا ينهض
في حاجة حتى يرى الوقت يواتيه • لسان من يعقل في قلبه • وقلب من يجهل
في فيه • من لم يكن اكبر من عقله • يقتله اصغر ما فيه • من لم يكن عنصره
طيبا • لا يخرج الطيب من فيه • من لم يصد النفس عن غيها • اوقعه
الاعجاب في التيه • كل امرء يشبه فعله ويرشح الجلد بما فيه

اصل الفتى خاف ولكنه … من فعله يظهر خافيه
من صحب الاحمق عن خبرة … اصبح في اسرا عاديه
يكفيك من عقل الفتى صمته … وتركه ما ليس يعنيه

وقد ضمن ابن الصايغ الجزري المعروف بالعنتري بالمثناة الفوقية او
بالموحدة بعد النون البيت الثاني فقال

من لزم الصمت اكسى هيبة … تخفي على الناس مساويه
لسان من يعقل في قلبه … وقلب من يجهل في فيه

وسياتي ان شاء الله تعالى علامة الجهل بالباب الذي يلي هذا

الباب السابع والستون في حد الكلام قال الفقيه رحمه
الله تعالى ينبغي للعاقل ان يكون كلامه بالوزن وان يكون كلامه في
موضعه ولا يتكلم بما لا يعنيه فاذا اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه
ولا يحدث عما لا يسئل عنه فان ذلك علامة لخفة الرجل ولا ينبغي للرجل
العاقل ان يغضب على ما لا فايدة فيه فانه يقال علامة جهل الرجل ان يقذف
الدواب ويشتمها لان الدواب لا يعرفن لا الدعا ولا النداء فالاشتغال
بشتمهن وقذفهن جهل تام وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع
رجلا يلعن الريح فقال النبي صلى الله عليه وسلم من لعن شيئا لم يكن اهلا لها
رجعت اللعنة اليه وروى ابو المليح عن ابيه ان رجلا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لعن شيئا لم يكن اهلا لها رجعت اللعنة اليه كان
رديفا على دابته فعثرت بهما الدابة فقال الرجل تعس الشيطان فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس الشيطان فانه عند ذلك يتعاظم حتى يكون
مثل البيت ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يكون
مثل الذباب وروى سماك بن حرب عن ابي لغاثة البدوي قال اخذت بكرا ولدت
المدينة فانا اريد بيعه فمر بي ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا اعرابي
تبيع ذلك البكر فقلت نعم يا خليفة رسول الله فقال بكم تبيعه فقلت بمايه وخمسين
درهما فقال تبيعه بماية فقلت لا عافاك الله فقال لا تقل لا عافاك الله
ولكن قل عافاك الله لا فقد علمه ابو بكر الصديق رضي الله عنه حد الكلام يعني
لا تقل عافاك الله لانه يشبه الدعا بنفي العافية وينبغي للعاقل ايضا اذا

سمع

سمع حديثا انكره ولم يكن سمعه ان لا يقول الحديث كذب ولا يقول هو صدق
لانه لو صدقه فلعله يكون كذبا ولو كذبه فلعله يكون صدقا ولكن يقول لم
يبلغني هذا الحديث ولا اعرفه وروى عن ابن كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال كان اهل الكتاب يقرون التوراة بالعبرانية ويفسرونها
بالعربية لاهل الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل
الكتاب ولا تكذبوهم ولكن قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل
وسيل بعض المتقدمين عن رجل قيل له اتومن بفلان النبي فسمى له شخصا
لم يعرفه فلو قال نعم فلعله لم يكن نبيا وقد شهد بالنبوة لغير النبي ولو
كان نبيا فلو قال لا فقد جحد نبيا من الانبياء فكيف يصنع فقال ينبغي ان
يقول ان كان نبيا فقد آمنت به وروى عن ابي نصر محمد بن محمد بن سلام انه
كان اذا اسئل عن مسئلة الكلام ابى ان يجيب فقيل له اذا اشكلت علينا مثل
هذه المسايل كيف نقول فيها قال قولوا آمنا بجميع ما قال الله وبجميع ما اراد
الله وبجميع ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجميع ما اراد رسول
الله والله اعلم انتهى بكماله اقول ساق صاحب اداب السياسة حديثا انه
صلى الله عليه وسلم قال الشيء انفع من الكلام اي النطق لا عم الكلام وانشد
ابياتا في مدحه اذا لم يكن فضولا فقال

لولا الكلام لما تبينا الهدى … ولا بطلت في ديننا الاحكام
فزن الكلام اذا اردت تكلما … ودع الفضول ففي الفضول ملام
اذ انت لم ترشد اخاك اذا ابى … ارشاده فعليك منه آثام
هذا البيان فلا تكن في غربة … فالصمت عي والكلام نظام

وقال عبد الملك بن مروان الكلام قاض يحكم بين الخصوم وضياء تجلى به ظلم
الاغاليط وقد يكون الصمت خير من الكلام فانه يزيد الوقور وقارا ويوسع
العثور عثارا قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فاذا
صمت الانسان لم يكتب عليه شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
صمت نجا وقال صلى الله عليه وسلم من علم ان كلامه من عمله قل كلامه
وقال الصمت حكمة وقليل فاعله وقال الشهاب السمين ورد هذا الحديث
بلفظ الصمت حكم بضم الحاء وسكون الكاف قال وهذا بمعنى الحكمة وقال عليه
الصلاة والسلام من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت

وقال الشاعر

ان كان يعجبك السكوت فانه … قد كان يعجب قبلك الاخيارا

وقد يكون الصمت خيرا باعتبار والنطق خيرا باعتبار كما قال علي رضي الله عنه
لا خير في الصمت عن الحكمة كما انه لا خير في القول بالجهل وقال جعفر بن محمد رضي
الله عنه ان الله جعل الخير في الكلام والسكوت والنطق كلام بحكم او سكوت

بفكر او نظر باعتبار فمن لم يكن كلامه بحكم فهو يهذى ومن لم يكن سكوته بفكر فهو
ساه ومن لم يكن نظره باعتبار فهو لاه ويقال كثرة الكلام هجنة وهى العيب والسكون
لكنة وهى العجمة فى اللسان يريد التوسط بينهما وقيل خير الكلام ما شاكل
الزمان وكان مورق العجلى من الطبقة الثانية من التابعين من اهل البصرة
يقول لى اطلب امرا من عشرين سنة لم اقدر عليه قيل له وما هو قال الصمت
عما لا يعنينى وقال تعلمت الصمت عشرين سنة او عشر سنين وما قلت شيئا
فى حال الغضب فندمت عليه فى حالة الرضا والمتكلم لا بد له من مستمع لمن
حسن الاستماع امهال المحدث حتى ينقضى حديثه وقلة التلفت الى الجواب
ولا تسابقه بحديث بداءة به لمعرفتك به بل توهمه انك ما سمعته ولا تشغل
نظرك بنظر ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بفكر فان ذلك يلهيك عما يقول كانه
يكلم جمادا وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه من المعروف استماع كلام الملهوف
شعر
اريد سميعا او وعيا فاننى ... باكثر اسماع الورى غير واثق
فما كل مصغ للحديث بسامع ... ولا كل من اجرى اللسان بناطق

لا ينفع بليغ الكلام مع سوء الاستماع قال الله تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام
قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءى الا فرارا وانى كلما دعوتهم
لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستكبروا استكبارا شعر
ومن البلية عذل من لا يرعوى ... عن جهله وخطاب من لا يفهم

قوله من لا يرعوى اى من لا يكف عن جهله يقال قد ارعوى عن القبيح اى كف عنه
اى تركه

الباب الثامن والستون فى كلام الحكماء

قال الفقيه رحمه
الله تعالى قال يزيد الرقاشى لا خمسة من خمسة لا يحسن الكذب من الامراء
والحرص من الزهاد والسفه من ذوى الاحساب والبخل من ذوى الاموال
والاستطالة من الفقير قال الفقيه هذه الاشياء من جميع الناس قبيحة
ولكن من هؤلاء اقبح ويقال عشرة اشياء قبيحة من عشرة اصناف من الناس
الحدة من السلطان والبخل من الاغنياء والطمع من العلماء والحرص من القراء
والخنا من ذوى الاحساب واتيان الزهاد فى ابواب اهل الدنيا والفتوة من
الشيوخ والجهل من العباد والجبن من الغزاة وتشبه الرجال بالنساء وقال
بعض الحكماء التفكر نور والغفلة ظلمة والجهل ضلالة وانقص الناس عقلا من
ظلم من هو دونه قال ابراهيم ابن ازياد العدوى ثلاثة تفرح القلب وتنمى
العقل الزوجة الجميلة والكفاف من الرزق والاخ المونس الصالح وقال بعض
الحكماء وجدت العلم فى الطلب والحكمة فى البطن الجائع ونور الاسلام فى
صلاة الليل وهيبة الخلق فى هيبة الخالق وروى عن جعفر بن محمد رضى الله عنهما
انه قال تكلم على بن ابى طالب رضى الله عنه بست كلمات لم يسبقه احد فى الجاهلية
والاسلام اليها اولهن من لانت كلمته وجبت محبته والثانية ما هلك امرؤ

عرف قدره والثالثة ان لكل شىء قيمة وقيمة المرء ما يحسنه اى ما يعلم
والرابعة سل عمن شئت فانت دليله والخامسة اعط من شئت
فانت اميره والسادسة استغن عمن شئت فانت نظيره وقال مكتوب
فى بعض الكتب الكفالة ملعونة وفيها ست خصال الكفران والخسران
والغرم والصرم والندامة والملامة الكفران جحود النعمة والصرم
القطع ويقال مكتوب على باب ملك الروم الكفالة اولها ندامة واوسطها
ملامة واخرها غرامة وقد ذكرت فيه زيادة من لم يصدق فليجرب
حتى يعلم البلية من السلامة ويقال اربعة اشياء اذا افرط الرجل
فيها اهلكته واشهوته اولها النسا والثانى الصيد والثالث القمار
والرابع الخمر وقال بعض الحكماء من صحب الاشرار لم يصلح لدينه ومن مازح
الفساق ذهب بهاء وجهه ومن طمع فى مال غيره نزعت البركة من ماله
ومن تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه وقال بعض الحكماء من قنع بما اعطى
استغنى عالم يعظ ومن عمل بما علم وفق لما لم يعلم ومن ترك ما لا يعنيه
فرغ لما يعنيه ومن ذكر ما امامه لم يخاطر بنفسه وقال بعض الحكماء اياك
والمزاح فان فى المزاح سبع خصال مذمومة اولها ذهاب الورع والثانى
ذهاب الهيبة والثالث قساوة القلب والرابع خيانة الجليس والخامس
يهدم الصداقة ويجلب العداوة والسادس يذمه العقلاء ويستهزئ
به السفهاء والسابع اثمه عليه ووزر من اقتدى به ويقال اضيع الاشياء
عشرة عالم لم يسئل عنه وعلم لا يعمل به ورأى صواب لا يقبل وسلاح
فى بيت من لا يستعمله ومسجد بين قوم لا يصلون فيه ومصحف فى بيت
لا يقرا فيه ومال فى يد من لا ينفق منه وفرس عند من لا يركبه وعلم
الزهد عند من يريد الدنيا وعمر طويل لمن لا يتزود فيه لسفر يوم القيمة
وقال رجل لابن عباس رضى الله عنه ما راس العقل قال ان يعفو الرجل
عمن ظلمه وان يتواضع لمن دونه وان يتدبر بما يتكلم قال فما راس الجهل
قال عجب المرء بنفسه وكثرة الكلام فيما لا يعنيه وان يجد على الناس
فى الشىء الذى ياتى بمثله قال فما زين الرجال قال حلم من غير ضعف وجود
بغير ثواب واجتهاد فى العبادة بغير طلب الدنيا ورأى حكيم غلاما
جاهلا على حجر فقال حجر على حجر وحضر حكيم مجلسا فلم يزل ساكتا فقيل له الا
تتكلم فقال الجاهل لا يمكنه السكوت وقيل لبعض الحكماء من العاقل قال
من تمسك بثلاثة اشياء فهو العاقل حقا من تمسك بالصدق والاخلاص
فيما بينه وبين الله تعالى فى الطاعة وتمسك بالبر والمروة فيما بينه وبين
الخلق فى المعاملات وتمسك بالصبر والقناعة فيما بينه وبين نفسه
فى البليات وقال بعض الحكماء الناس اربعة اصناف جواد وبخيل ومسرف

مقتصد فالجواد الذي يجعل نصيب دنياه لآخرته والمسرف الذي يجعل نصيب آخرته لدنياه والبخيل الذي لا يعطي كل واحد منهما نصيبه والمقتصد الذي يعطي كل واحد منهما نصيبه وقال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين يا معشر الحواريين ارضوا بالدون من الدنيا مع الدين كما رضي اهل الدنيا بالدون من الدين مع الدنيا انتهى بكماله اقول كلام الحكماء كثير في هذا الكتاب في غالب الابواب ولكنني اذكر شيئا من كلامهم وما يشبه كلامهم من كلام غيرهم مما فيه حكم واعتبار وآداب بعد تعريف الحكيم والحكمة ومحلها فاما الحكيم فهو العالم المتقن للامور وسمي حكيما لجريان الحكمة من قلبه على لسانه واما الحكمة فهي وضع الشيء في محله فكل من وضع الكلام في محله من وعظ وضرب مثل ووصية وتحذير وكشف معان غامضة وما اشبه ذلك فهو حكيم وما وضعه حكمة وقال ابن دريد في الجمهرة كل كلمة وعظتك وزجرتك او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة انتهى وقد مدح الله تعالى الحكمة بقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها وهي اعلى الدرجات بعد النبوة يمنحها الله الخواص من عباده وقال افلاطن كما ان الابدان تتقوى بالاكل والشرب فكذلك الانفس تتقوى بالحكمة وقال ايضا جرح الاجساد يعالج بالعقاقير وجرح النفس يعالج بالحكمة وفي المثل الحلم عز والحكمة كنز من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالحرمة وللحكمة دلايل حسن النطق والصمت والصدق والصبر وحسن الخلق والرفق والخوف والحلم والعدل وحسن الاختيار وغير ذلك مما يفتح الخير فان كل ما ينتج الخير هو من الحكمة وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني انه لا تتم الحكمة في احد حتى يكون متقدما في ثلاث ومؤخرا عن ثلاث ومؤهلا لثلاث ومبرا من ثلاث فاما اللواتي يكون متقدما فيها فالعلم والعقل والنطق واما اللواتي يكون مؤخرا فيها فالحدة والعجلة واللجاجة واما اللواتي يكون مؤهلا لها فالرفق والصبر والصمت واما اللواتي يكون مبرأ منها فالهوى والحسد والكذب وقيل ما عصى الله كريم وما آثر على الآخرة حكيم وينبغي للانسان تلقي الحكمة من الرجال قال علي رضي الله عنه خذ الحكمة اين كانت فانها تكون في صدر المنافق فتتلجلج في صدره حتى تخرج وتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن وقد تقدم في الباب السادس عند اسم لقمان في قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة انها العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور ولذا قيل ان محلها الراس لان محل العقل الراس ولها تعلق بالقلب وقد تقدم في الباب السادس والستين ان العقل للحكمة كالارض للغراس فالعقل ينبتها وتخرج ثمرتها

من القلب على اللسان لسكنى العقل بالراس وارتباطه بالقلب قال الاخطل الشاعر

ان الكلام لفي الفؤاد وانما … جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقال الشهاب السمين الحكمة اصابة الحق بالعلم والفعل وهي من الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات انتهى وقال الخرايطي قال الحسن كانوا يقولون ان لسان الحكيم من وراء قلبه فاذا اراد ان يقول شيئا رجع الى قلبه فان كان الشيء له قال وان كان عليه امسك وان الجاهل لسانه في طرف قلبه لا يرجع الى قلبه ما اتى على لسانه من شيء تكلم به ومن كلام الحكماء اذا اشتبه عليك امران فانظر اقربهما الى الهوى فاجتنبه وقيل لبعضهم ما بال العاقل يرى لغيره ما هو اصح من رايه لنفسه قال لكون ذلك لتجريد رايه من هواه ومن كلامهم الطمانينة مقرونة بالمصايب والحذر مقرون بالنجاة ومنه من لم يقعد في الصغر حيث يكره لم يقعد في الكبر حيث يحب وعن حذيفة رضي الله عنه قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الخير واسأله انا عن الشر فقيل ما يحملك على ذلك قلت من اعتزل الشر وقع في الخير وقال بعض الحكماء ابتلي الناس بخمسة فيها هلاكهم وهي حب الشبع وفيه قساوة القلب وحب النوم وفيه نقصان العمر وحب الراحة وفيها الافلاس وحب المال وفيه الحساب الطويل وحب الثناء وفيه ذهاب الثواب وابطال الاعمال وقال آخر مجالسة الاحمق خطر والقيام عنه ظفر وقال بعضهم اذا شهر لك الاحمق سيفا فتوقه بجنة الرفق وقال ارسطاطاليس للاسكندر احفظ عني ثلاث خصال قال وما هن قال صل مجلسك بتانيك وسطوتك برفقك وصلتك بنفعك وقال افلاطن تعرف خساسة المرء بكثرة كلامه بما لا ينفعه واخباره بما لا يسئل عنه وقال ان تعبت في البر فان التعب يزول والبر يبقى وان التذذت بالاثام فان اللذة تزول والآثام تبقى وقال اجهل الجهال من عثر بحجر مرتين وقال آخر العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما وقيل لحكيم من يحمد الكذب قال اذا قرب بين المتقاطعين قيل فمتى يذم الصدق قال اذا كان غيبة وقيل لسقراط اي السباع احسن قال المراة وقال حكيم ما كتمته عدوك فلا تظهر عليه صديقك وسئل ارسطاطاليس اي شيء اصعب على الانسان قال السكوت وقيل لحكيم ما الشيء الذي لا يستغنى عنه قال التوفيق قال بقراط من ضر نفسه لنفع غيره فهو احمق قلت وهذا مخالف لقول الشاعر

اذا اخا الدهر الذي جاء معك … ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صعصعك … فرق فيك شمله ليجمعك

وقال بقراط ينبغي للعاقل اذا اصبح ان ينظر في المراة فان كان وجهه حسنا

لم يشنه بقبيح وان كان قبيحا فلا يجمع بين قبيحين ومن حِكَم الفرس ونوادرهم
من كتاب نثر الدر انه قيل لبزرجمهر هل تعرف نعمة لا يحسد صاحبها عليها
قال نعم التواضع وقال ما احسن الصبر لولا ان النفقة عليه من العمر
وسئل عن الرزق فقال ان كان قد قسم فلا تعجل وان كان لم يقسم فلا تتعب
اقول وفي هذا المعنى يقول الشاعر

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدا ... اقصر عناك فان الرزق مقسوم
الرزق يسعى الى من ليس يطلبه ... وطالب الرزق يسعى وهو محروم

وقال بزرجمهر المصطنع الى اللئيم كمن طوق الخنزير تبرا وقرط الكلب
درا والبس الحمار وشيا والقم الحية شهدا وقال من قوي فليقم على
طاعة الله ومن ضعف فليضعف عن محارم الله وكان يقول السعيد
يتبع الرزق والشقي يتبع المسقط الراس وقال اخيب الناس سعيا
من اقام في دنياه على غير سداد وارتحل الى آخرته بغير زاد ورأى
فقيرا جاهلا فقال بئس ما اجتمع على هذا فقر يبغض دنياه وجهل
يفسد آخرته وقال ابرويز لابنه شيرويه لا توسعن على خدمك
فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم في العطى فيذهبوا عنك اعطهم
عطاء قصدا اي متوسطا وامنعهم منعا جميلا ووسع عليهم في
الرجا ولا توسع عليهم في العطا وكان انوشروان اذا ولى رجلا وقع في
كتابه سس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس
سفلة الناس بالاخافة وسأل كسرى مُوبَذه اي عالمه ايما اكثر الشياطين
او الناس فقال ان حسبت الاكراد والرعاع والعامة واهل الاسواق من
الناس فان الناس كثير وقالوا من قدر ان يحترس من اربع خصال لم يكن في
تدبيره خلل الحرص والعجب واتباع الهوى والتواني وقال انوشروان اياك
وما تعتذر او تستحي منه فانما يعتذر من الذنب ويستحي من القبيح وقال
بزرجمهر اذا اشتبه امران فانظر احبهما الى نفسك فاجتنبه واذا اعياك
امر فشاور امرأة وخالفها وقيل لازدشير هل ندمت على شي قط قال نعم
على معروف امكنني فاخرته وجلس كسرى للمظالم فتقدم اليه رجل قصير
وجعل يصيح انا مظلوم وهو لا يلتفت اليه فقال الموبذ انظر في امره قال
كسرى القصير لا يظلمه احد فقال الرجل ايها الملك الذي ظلمني هو اقصر مني
فضحك ونظر في امره وقال بزرجمهر اذا كان القدر حقا فالحرص باطل
واذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل احد عجز واذا كان الموت لكل
احد راصدا فالطمانينة الى الدنيا حمق وكتب انوشروان الى مرازبته خراسان
عليكم باهل الشجاعة والسخاء فانهم اهل حسن الظن بالله جمع مرزبان وهو
الرئيس من الفرس بضم الزاي والجمع المرازبة والمرازب اعجمي معرب وقد تكلمت

بدالد

به العرب في تفسيره بالعربية حافظ الحد كذا ذكره الجواليقي في المعرب من الكلام
الاعجمي وفي كتاب سنا الامارة وحلل الوزارة كن للناس كما تحب ان يكونوا لك
داووا الغضب بالصمت لا يامن من جالس السفهاء عوارض البلاء اذا ما
فلا تغضب فيظهر عليك الخصم لا يصغر عندك الراي الجليل وان اتاك
من الرجل الحقير لا تظلم من لا تجد له ناصرا لا تفعد طرق البر وان لم تجد
لها شاكرا من الكرم ترك البحث عن باطن العيوب والميل الى الغضب من
اخلاق السباع والميل الى الجماع من اخلاق الخنازير وقيل لسقراط لم لا
نراك حزينا فقال لاني لا ادخر ما اذا فقدته حزنت عليه وقال الهالك في
الدنيا اثنان رجل نافس في عزها وآخر انف من ذلها الحكمة كالجوهر في
الصدف لا ينالها الا الغواص الحاذق وقال ان لم تصبر على تعب العلم صبرت
على شقا الجهل وقيل له ان لفلان همة قال اذا لا يرضى بدون القوت وقيل
له ان فلانا غافل فقال اذا لا يفرح بالدنيا وقال الكذاب لا يستشار لانه
لا يؤمن ان يكذب في الراي كما يكذب في الاخبار لا راحة لحسود لانه مغتاض
على من لا ذنب له وكان يقول دعوا الحقد والحسد والغضب والكذب
والنم تخبروا وقيل اختصم العقل والحظ فقال العقل انا الرئيس المتولي عليك
فقال الحظ سمعت كلامك الا اني لم ازل منتفعا بك الا بعد ان تمزج بشيء
مني وقيل له اي العلوم اشرف فقال ما العامة فيه زاهدة وهو منهم
ابعد عذب حسادك بالاحسان اليهم واظهار الفاقة من خمول الهمة رب
مذموم لا يستطاع فراقه رب محتال صرعته حيلته ثمرة التواضع المحبة
ابعد الناس املا اكثرهم للموت ذكرا وقال افلاطون الاشرار يتبعون مساوي
الاحرار ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد
ويترك الصحيح منه وقال اذا خبث الزمان كسدت الفضائل ونفقت
الرذائل وكان خوف الموسر اشد من خوف المعسر وقال ينبغي للعاقل
ان يتذكر عند حلاوة الغذا مرارة الدوا وقال اذا اردت ان تعرف طبع
الرجل فاستشره في بعض الامور فانك تقف على مشورته على جوره وعدله
وخيره وشره وقال من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك
ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك وقال استعمل المداراة
في قوة سلطانك فانها تؤنسك زمان خوفك وتهلك قلوب المنحرفين
عنك وقال اذا طلبت المال فاجعل زمان الاكتساب اطول من زمان الاستمتاع
به وقال الرقة تجب على ثلاثة عاقل يجري عليه حكم جاهل وضعيف
في يدي هلك قوي كريم يرغب الى لئيم وقال اذا اسافرت فلا تعتمد على زاد
غيرك فتبيت طاويا وقال الاسكندر ينبغي ان يكون للمرء اربعة اذان
اثنتان سامعتان واثنتان صمتان فالسامعتان لنطق العقلاء والصمتان

لكلام السفهاء وقال حكيم اذا رأيت كلبا ترك صاحبه وتبعك فارجمه بالحجارة
فانه تاركك كما ترك صاحبه ويوجد في ذخاير الاسكندر اربع كلمات حيلة لا
حيلة في القضاء ولا راحة في الدنيا ولا سلامة من السنة الناس ولا
شفيع في الموت وفي كتاب المجتبى لابن دريد حسد الصديق من سقم المودة
وقال آخر بكثرة الصمت تكون الهيبة او الهيبة وقال آخر بحسن الراي تسهل
المطالب وقال آخر بعدل النطق تجب الجلالة وقال آخر اياك وعزة الغضب
فانها تبقى بك الى ذل الاعتذار واياك وعزة بالعين المجمة فانها تفضى
وقال آخر اقبح عمل المقتدرين سرعة الانتقام وقال آخر من ضاق قلبه
اتسع لسانه وقال آخر من طال عمره فقد الاحبة ومن قصر عمره كانت
مصيبته في نفسه وقال آخر المخذول من كانت للناس حاجة وقال
آخر في سعة الاخلاق كنوز الارزاق انتهى وقال ثابت ابن قرة الحكيم الصابي
راحة الجسم في قلة الطعام وراحة القلب في قلة الاهتمام وراحة
اللسان في قلة الكلام وفي كتاب المنبهات قال بعض الحكماء طلبت عشرة
اشياء في عشرة مواطن فوجدتها في عشرة اخرى طلبت الرفعة في التكبر
فوجدتها في التواضع وطلبت العبادة في كثرة الصلاة فوجدتها في الورع
وطلبت الراحة في الحرص فوجدتها في الزهد وطلبت نور القلب في صلاة
النهار علانية فوجدتها في صلاة الليل سرا وطلبت ظل يوم القيمة
في الجود والسخاء فوجدته في العطش والصوم وطلبت الجواز على الصراط
في الاضحية فوجدته في الصدقة وطلبت النجاة من النار في حب الشهوات
فوجدتها في ترك الشهوات وطلبت نور القلب في المواعظ والقراءة فوجدته
في التفكر والبكاء

الباب التاسع والستون في الرقى والتداوي وجوازه وعدمه

قال الفقيه رحمه الله تعالى
كره بعض الناس الرقى والتداوي واجازه عامة العلماء فاما من كرهه
فاحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يدخل من امتي
سبعون الفا بغير حساب فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال
ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فدعا له ثم قام آخر فقال ادع الله لي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك عكاشة فدخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم المنزل فقالوا فيما بينهم من الذين يدخلون الجنة
بغير حساب فلما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم سالوه عن ذلك
فقال هم الذين لا يكتوون ولا يرقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
اقول وفي شرح الآثار للطحاوي عن عمران بن حصين قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب قيل
يا رسول الله من هم قال هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى

ربهم يتوكلون قال الفقيه وروي عن عمران بن حصين انه قال كنا نرى
نورا ونسمع كلاما للملائكة حتى اكتوينا فانقطع ذلك عنا وروي الاعمش
عن ابي ظبيان عن حذيفة انه دخل على رجل يعوده فوضع يده على عضده
فاذا هو خيط قال ما هذا قال رقي لي فيه فاخذه فقطعه فقال لو مت
ما صليت عليك وروي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال لدغتني
عقرب فاقسمت على امي ان استرقي فاعطيت الراقي يدي التي لم تلدغ وعن
زينب امرأة عبد الله قالت جاء عبد الله ذات يوم فرأى في عنقي خيطا
فقال ما هذا الخيط قلت رقي لي فيه فاخذه فقطعه ثم قال آل عبد الله
اغنياء عن الشرك وقال الحسن البصري رحمه الله اقواما لا يعرفون الهليلج
ولا البليلج ولان ذلك ظن يظن به ولا يعرف الشفاء فيما ذا يكون الا ترى
الى ما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال لا تحموا المريض عما يشتهي فلعل الله
تعالى يجعل شفاءه في بعض ما يشتهي واما من اباح ذلك فاحتج بما روي
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ان الله عز وجل لم ينزل داء
الا وقد انزل له دواء الا السام والهرم فعليكم بالبان البقر فانها تخلط
من كل شجرة اقول وفي رواية في شرح الآثار للطحاوي ما انزل الله داء
الا انزل له شفاء فعليكم بالبان البقر فانها ترم من كل الشجر اتتي وروي
ترتم ثم قال ابن شميل الرم والارتمام الاكل قال الفقيه وروى
سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة عن اسامة بن زيد قال شهدت النبي
صلى الله عليه وسلم والاعراب يسألونه هل علينا جناح ان نتداوى
فقال تداووا عباد الله فان الله تعالى لم يخلق داء الا وضع له شفاء
وعن الحجاج بن ارطاة انه سال عطاء عن التعويذ فقال ما سمعنا بكراهيته
الا من قبلكم يا معشر اهل العراق ولان قوام العبادة بالبدن فكما وجب
عليه ان يتعلم الاحكام ليصح العبادة فكذلك علم الطب والتداوي الذي
فيه اصلاح البدن فلا باس بان يتعلمه ويعمل به ليصح به اقامة العبادة
ولان القول في الاحكام جايز باكبر الراي وان لم يعرف بالنص واليقين
فكذلك القول في الطب اذا كان يعرف بالراي والتجارب فيجوز استعماله
واما الاخبار التي وردت في النهي فانها منسوخة الا ترى الى ما روي عن
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الرقى وكان عند آل عمرو بن حزم
رقية يرقون بها من العقرب فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فعرضوا
وقالوا انك نهيت عن الرقى قال ما ارى به باسا من استطاع منكم ان
ينفع اخاه فليفعل ويحتمل ان النهي عن الذي يرى العافية في الدواء
واما من عرف ان العافية من الله تعالى والتداوي سبب فلا باس به
وقد جاءت الآثار في الاباحة الا ترى الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما خرج يوم احد داوى جرحه بعظم قد بلى وروى ان رجلا من الانصار
رمى فى اكحله بمشقص فامر به النبى صلى الله عليه وسلم فكوى اقول
الاكحل عرق فى اليد يفصد ولا يقال عرق الاكحل والمشقص من النصال
ما طال وعرض وهو بكسر الميم وفتح القاف كمرزم من طيور الواجب المعروف
عند رماة البندق من الطين قال الفقيه وروى انه كان عليه
الصلاة والسلام يرقى بالمعوذتين والاثار فيه اكثر من ان تحصى انتهى كلام
اقول قال صاحب اداب السياسة فيها ان اباحة النبى صلى الله عليه
وسلم الرقى من قول الله عز وجل كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق انتهى
تخفيف يسكت على من ثم يقول راق وفى كتاب التفاسير اقوال منها
انه قول من يحضره اى هل طبيب يداويه او هل راق برقية فيشفى برقيته
وقيل هذا من كلام المحتضر وقيل غير ذلك وقال فيها وفى الصحيحين
عن انس رضى الله عنه قال رخص النبى صلى الله عليه وسلم فى الرقية
للعين والحمى والنملة وفى الصحيحين عن ام سلمة ان النبى صلى الله عليه
وسلم راى فى بيتها جارية وفى وجهها صفرة فقال استرقوا لها فان
بها نظرة وفى الترمذى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
ارايت رقا نسترقيها ودواء نتداوى به وتقى نتقيه هل ترد من قدر
الله شيئا قال هى من قدر الله شعر

من اراد الشفاء من الم الداء ... ويعفى من شرب مر الدواء
يستعن بالرقى ففيها شفاء ... من اذا دايه بغير عناء

وروى ان ناسا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم سعد بن ابى
وقاص مروا بحى من العرب فلم يقروهم واشتكى سيدهم فقالوا هل عندكم
دواء قلنا نعم ولكنكم لم تقرونا ولم تضيفونا فلا نفعل حتى تجعلوا لنا
جعلا فجعلوا لنا على ذلك قطيعا من غنم فجاء رجل منا فقرا عليه فاتحة
الكتاب فبرا فلما اتينا النبى صلى الله عليه وسلم ذكرنا ذلك له فقال
وما يدريكم انها رقية ثم قال كلوا واضربوا لى معكم سهما قال فى المغرب
رقاه الراقى رقيا بفتح الراء ورقية بضمها اذا عوذه ونفث فى عوذته
وانما تكره الرقية اذا كانت بغير لسان العرب ولا يدرى ما هو ولعله
يدخله سحر او كفر واما ما كان من القرآن او شىء من الدعوات فلا باس
به وقال الطحاوى فى شرح الاثار انما روى فى اباحة الرقى ناسخ لما روى فى
النهى عنها وحديث عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا باس بها ما لم تكن شركا فدل ذلك على ان كل رقية لا شرك فيها
فليست بمكروهة انتهى وقد تقدم الكلام فى الفصل الثالث من الباب
العاشر على الحديث الذى فيه سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه بروايتين

غير هذه فليراجع لفوايد فيهما ومما الطف قول القايل

حذرت من التباعد والتنائى ... وعوذت الفواد بكل راق
وعلقت التمايم كى اعافى ... فما عوفيت من الم الفراق

والجعل ما يجعل للعامل على عمله ومثله الجعالة بالحركات الثلاث على الجيم
كذا فى المغرب والتمايم جمع تميمة وهى خرزات كان الاعراب يعلقونها
على اولادهم ينفون بها النفس اى العين بزعمهم وهو باطل قال التبتى
وبعضهم يتوهم ان المعاذات هى التمايم وليس كذلك انما التميمة الخرزة
ولا باس بالمعاذات اذا كتب فيها القرآن واسماء الله تعالى انتهى
والمعاذات جمع معاذة والعوذة بضم العين والتعويذ بمعنى كذا فى
الصحاح تنبيه لابد للمسترقى من حسن الاعتقاد والنية فان خواص
الاسماء الربانية والايات الشريفة القرانية ظاهرة النفع قوية الدفع
وانما عدم تاثيرها لفساد النيات والاستخفاف بها فى دفع البليات
كما حكى ان بعض الاولياء كان له خادم ملازمه مدة سنين لا يخرج من الزاوية الا
يوم الجمعة مع الشيخ ويعود معه فخرج يوما لقضاء حاجته فمسكه رجل واتهمه
بسرقة واثبت ذلك عليه بالزور فقطع الحاكم يده واعطاها له واطلقه فجاء
الى الشيخ وشكى اليه ما حصل له بالظلم فقال له الشيخ تقدم الى فتقدم اليه
فاخذ الشيخ اليد المقطوعة منه ووضعها على محلها واخذ من ريقه على
سبابته وابهامه ومسح به مكان القطع وتكلم بكلام خفى وقال له قم سالما
فثبتت يده المقطوعة فى مكانها كانها لم تقطع فصار الخادم فى كل وقت
يقبل يد الشيخ ويسال له ان يخبره بما تكلم سرا والشيخ يقول له لا حاجة لك بذلك
فلما زاد على الشيخ بالتخضع والتضرع قال له قلت بسم الله الرحمن الرحيم
فقال الخادم استحقارا لها بس فسقطت يده فى الحال فقال للشيخ يا سيدها
اعدها قال ما بقى لى فيها تصرف ولو احسنت الظن بالله واسمائه لما حصل لك
ذلك وسنذكر شيئا من الرقى بالباب الثانى من خاتمة الخاتمة ان شاء الله تعالى
واما ما يتعلق بالتداوى فياتى منه شىء بالباب الذى يلى هذا وبملحقه وقد
ذكر الفقيه فى البان البقرة دواء والمراد والله اعلم بالبقرة التى ترعى فى البرارى
لكثرة اعشابها واما التى تاكل من نبت البساتين فلا وذكر الكسائى خاصية
فى مطلق اللبن وهى انه ما تم شىء يقطع الجوع والعطش الا اللبن انتهى والمراد
اللبن الحليب لا الخاثر فانه يورث العطش وسياتى بالباب الثانى والتسعين
شىء مما يتعلق بالكى للادمى ان شاء الله تعالى

الباب السبعون

فى الطب وما يتعلق به وخواص اعلم ان الطب بحر لا ساحل له وقد حده
بعضهم بقوله هو علم ينظر به فى بدن الانسان لاجل الصحة ليحفظها حاصلة
ويستردها زايلة وهو سايس الابدان والمنبه على طبايع الحيوان وبه حفظ

القصبة ومرمة العلة والوقوف على المنافع والمضار والابانة عن خبايا الاسرار ولا يستغني عنه الصغير ولا الكبير ولا الفقير ولا الامير وفي قول الله تعالى شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس بيان لفضل الطب وندبا الى التداوي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يضع الله داء الا وضع له دواء علمه من علمه وجهله من جهله وقال بعض الحكماء العلوم ثلاثة علم يرفع وعلم ينفع وعلم يجمع فالرافع الفقه والنافع الطب والجامع المزين الادب وفي رواية العلوم اربعة علم يرفع وهو علم الادب وعلم يضع وهو علم النجوم وعلم ينفع وهو علم الطب وعلم يشفع وهو علم الشريعة وقال بزرجمهر ان كان شيء فوق الموت فالمرض وان كان شيء مثله فالفقر وان كان شيء فوق الحيوة فالصحة وان كان شيء مثلها فهو الغنى وما ينبغي للعاقل ان يسكن الا بلدا فيه خمسة اشيا من جملتها طبيب حاذق وسوق يوجد فيه العقاقير ولا شيء يعدل الصحة قال الشاعر

اني وان كان جمع المال يعجبني ... ما يعدل المال عندي صحة الجسد
المال زين وفي الاولاد مكرمة ... والسقم ينسيك ذكر المال والولد

وقال لابنه اكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم ار الذ من العافية والجهل بالطب يوجب طول مدة الداء قال بعضهم ما ابعد البرء من مريض داؤه في دوائه وعلته في حميته والمراد من ذلك ان لا يكون الدواء غير دواء تلك العلة وان لا تكون الحمية في حالة الصحة فانه يحصل من ذلك اداء وادواء يعسر برؤها وضد ذلك يوجب سرعة البرء وقال ابو بكر بن زكريا الرازي عالج اول العلة بما لا تسقط به القوة وقال اذا كان الطبيب العالم يصف عالما والمريض مطيعا فما اقل لبث العلة يعني اذا الطبيب العالم يصف الدواء الصالح والمريض المطيع يتناوله ويفهم من هذا ان الطبيب الجاهل يقتل العليل بجهله ويدخل النار بسوء فعله والحذاقة قال ابن كلدة حكيم العرب فليتق الله تعالى المتطبب لا يخاطر فليس عن الانفس عوض والمرض عدو فكما انه لا ينبغي اهمال العدو وتعظيم قمعه فكذلك المرض وهو كالنار اذا استحقرت قليلها كثرت فطفيها اولى قال الشاعر

لا تهمل المرض القليل فانه ... كالنار يصبح وهي ذات ضرام

وقد ذكر الفقيه رحمه الله تعالى في هذا الباب شيئا من الطبيع خواص ليست من تعلقاته ذكرها بالتبعية وذكر اشيا منه في تسعة ابواب متفرقة من كتابه فذكرت من ذلك بابا واحدا في الفصل السادس منا الباب الخامس والاربعين في اداب الاكل ثم رتبت الابواب الثمانية الباقية المتفرقة وجعلتها ثانية لهذا الباب لتعلقها به كما ستقف عليها واستخرت الله تعالى ان اجعل كلام الفقيه في هذا الباب نبذة بتقديم الخواص ثم بما يورث الفقر

والنسيان

والنسيان بالخاصية او من جهة الطب فاما ما هو تعلق الطب قال الفقيه رحمه الله تعالى يستحب للرجل ان يعرف من الطب مقدار ما يمتنع عما يضر ببدنه وقال بعض الحكماء العلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فكما ان الرجل لا بد له من تعلم العلم بمقدار ما يصلح امر دينه فكذلك لا بد ان يعرف من الطب مقدار ما يصلح به امر بدنه ويتجنب عما يضر بالبدن فان من المروة ان يمتنع عما يضر ببدنه اقول اذا امتنع الانسان عما يضر فقد تعاطى ما ينفع وسيأتي شيء مما يضر بالبدن في بابه ثم قال الفقيه اجمع الاطباء انه ليس شيء من الطب انفع من الحمية وقد روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال لرجل الا اعلمك طبا لا يتعانى فيه الاطباء وعلما لا يتعانى فيه العلماء وحكمة لا يتعانى فيها الحكماء قال بلى قال اما الطب الذي لا يتعانى فيه الاطباء فاجلس على المائدة وانت جائع وقم عنها وانت تشتهيه واما العلم الذي لا يتعانى به العلماء فاذا سئلت عن شيء وانت لا تعلمه فقل الله اعلم واما الحكمة التي لا يتعانى بها الحكماء اذا جلست في نادي القوم فاسكت فان افاضوا في الخير فافض معهم وان افاضوا في الشر فقم تسلم منهم وقيل لرجل من المتقدمين وقد طال عمره قد طال عمرك قال لانا اذا طبخنا نضجنا واذا مضغنا دققنا ولا نملأ بطوننا ولا نخليها اقول روى تاج القراء في تفسير سورة الاعراف عن الثعلبي ان هارون الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين رضي الله عنهما في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له علي جمع الله الطب في نصف آية وهي قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يروى شيء عن نبيكم من الطب فقال علي جمع نبينا الطب في كلمات وهي قوله صلى الله عليه وسلم المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا وقال ثابت بن قرة الصابي الطبيب ليس على الشيخ اضر من ان يكون له طباخ حاذق وجارية حسنة لانه يستكثر من الطعام فيسقم ومن النكاح فيهرم وقال راحة الجسم في قلة الطعام وقال النبي صلى الله عليه وسلم عودوا كل جسد بما اعتاد وفي باب التاويلات من النوازل ان ابا القاسم قال روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم دواء من كل سبعة وسبعين داء ايسرها الهم ووجدت رقعة في جيب جالينوس بعد موته مكتوب فيها اذا احمق الحمقاء من ملأ بطنه مما يجد فكثرة الطعام تدعو الى الاسقام والحمية راس كل دواء وما اكلته قصدا فلبدنك وما تصدقت به فلروحك وما خلفته لعدوك والمحسن حي وان نقل الى دار البلاء والمسيء

ميت وان بقى فى دار الدنيا ولم ار لابن ادم شيا احسن من التوكل على الله
والسلام والمراد من الحمية ان تكون عند وجود دآء يوجبها والا فهى مضرة
فقد قيل الحمية فى الصحة كالتخليط فى المرض قال افتخار السمرقندى ومن خطه
نقلت الاصحآء اذا اختلطوا بالافراط جلب عليهم ذلك امراضها هايلة
واذا احتموا دايما ماتت قوتهم وقيل البطنة راس كل دآء والحمية راس
كل دواء وقال سقراط ما جاعت نفس قط الا صفا ذهنى وروى شيخنا
الشيخ علاء الدين الدمشقى المولد الحلبى الدار والوفاة رحمه الله تعالى فى
حرف الطاء من كتابه جواهر الكلام من احاديث النبى عليه الصلاة
والسلام انه قال الطبيب البدن ومزرعة الشكر واما ن من شر الشيطان
الجوع وبضد ذلك البطنة والبطنة تذهب الفطنة انتهى فاما كون
الجوع طبيبا للبدن فلان المعدة من شانها ان يفرق على الاعضاء من
غذائها فاذا امتلات من اغذية ردية او غير ردية فسدت فيها وتولد
منها اخلاط ردية كثيفة فرقت على الاعضاء مما فيها من تلك الاخلاط
الردية فيتولد منها فى البدن امراض مختلفة باختلاف الاخلاط المولدة
لها فلا تزول الا بخروج تلك الاخلاط فاما خروج الدم فبالفصد واما
خروج الصفراء والسوداء والبلغم فبالحمية والجوع اولا فاذا اخلت المعدة
استرجعت اليها ما فرقته على البدن من تلك الاخلاط وتغذت بها اذ لا يمكن
ان تكون بلا غذاء وحينئذ يسقى العليل الادوية المسهلة لتلك الاخلاط لتنقى
المعدة منها بخروجها من اسفل البدن ثم يغذيها بالاغذية الصالحة
المصلحة لها بحسب ما تحلل منها فيزول ما بالبدن من المرض باذن الله
تعالى وسياتى فى الباب الثالث والسبعين شئ من تعلق الجوع وليكن المسهل
فى غير ايام البحارين بحسب الزمان والمكان والقوة والسن على ما يراه الطبيب
الحاذق قال افتخار السمرقندى تلميذ صاحب الاسباب والعلامات ومن خطه
نقلت قال الاشياء تدل على صواب الحكم فى الاستفراغ عشرة الامتلاء والقوة
والمزاج والاعراض الملايمة مثل ان تكون الطبيعة التى تريد اسهالها لم يعرض
لها اسهال فان الاسهال على الاسهال خطر والسحنة والسن والفصل
وحال هوآء البلد وعادة الاستفراغ والصناعة انتهى وقانون المسهل
والفصد ياتى فى الباب السادس والسبعين فى الحجامة والفصد وسياتى
شئ من ذلك فى باب قلة الاكل ثمرة الغفيه ويقال انفع ما يكون للانسان
بعد الغدا التمدد وبعد العشى الحركة والمشى ويقال فى المثل اذا تغدى تمدى
وبعد ما يتعشى الحركة والمشى ويقال فى المثل اذا تعشى تمشى اقول
قال الحجاج عامله الله بما يستحقه لحكيمه تياذوق وكان قد بلغ من العمر مائة
وثلاثين سنة وادرك الاكاسرة صف لى صفة لا اعدوها قال لا تتزوج الا

شابة ولا تاكل من اللحم الا فتيا نضيجا ولا تشربن دوآء الا من علة ولا تاكل
من الفاكهة الا نضيجا ولا تاكل طعاما الا وتحسن مضغه واذا اكلت فلا
تشرب واذا شربت فلا تاكل ولا تحبس الغايط والبول واذا اكلت فى النهار
فنم واذا اكلت فى الليل فامش ولو ماية خطوة وسئل طبيب عن المشى فقال
هو كالصابون فى الثوب ينقيه ولكن يخلقه وقول الناس تغد وتمد ولو
غفوة وتعش وتمشى ولو خطوة تمن الحديث على ذلك ثمرة الغفيه وروى
الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
عليكم بالسواك فان فيه عشر خصال مطهرة للفم ومرضاة للرب ومفرحة
للملايكة ومجلاة للبصر ويبيض الاسنان ويشد اللثة ويذهب الحفر
ويهضم الطعام ويقطع البلغم وتحضره الملايكة وتضاعف فيه الصلاة
انتهى ما ذكره الغفيه من الطب اقول المعدود هنا من خصال السواك احد
عشر خصلة وورد الحديث بلفظ اخر ان فى السواك عشر خصال يطهر الفم
ويرضى الرب ويسخط الشيطان وتحبه الحفظة ويشد اللثة ويقطع
البلغم ويطيب النكهة ويطفى المرة ويجلو البصر ويذهب البخر فقد اشتمل
هذا الحديث على عشر خصال ولما كانت من الخصال العشرة سنة طيبة وهى
الاكثر ذكرت العشرة مع الطيبات واللثة بكسر اللام وفتح المثلثة مخففة هى
ما حول الاسنان وقد نظم شيخ بعض شيوخنا الشيخ العالم الصالح شهاب الدين
احمد بن حسين بن رسلان الرملى ثم المقدسى اعاد الله تعالى على المسلمين
من بركاته ورحمه ابياتا ذكر فيها عشرين خصلة مستحبة فى السواك فقال

فائدة السواك عشرون تحب	مطهرة للفم مرضاة للرب
يفرح املاك يغيظ الشيطان	يطيب النكهة جلاء الاسنان
يجلو ابصارا وبا فى السنه	يحسن الصوت ويذكى الفطنه
يشد لحم منبت الاسنان	يزيد فى فصاحة اللسان
يذكر للميت الشهاده	ينمى لمن اعتاده اعداده
يبطى الشيب يزيد الاجرا	يسهل النزع يسوى الظهرا
يزيد فى العقل على المعتاد	وقاطع رطوبة الاجساد

وقد بلغها بعض تلامذته الى اربعين فضيلة منها ست عشر فضيلة
من العشرين التى ذكرها شيخه وهى التى اعلم عليها بالهندى فى مقابله ما ذكره
شيخه واخل من العشرين التى ذكرها شيخه باربعة وهى فرح الملايكة وتحسين
الصوت وزيادة الاجر وتسوية الظهر والاربعون فضيلة وهى السنة
تعظيم الرب مرضاته • مطهرة للفم • مغضبة الشيطان • يطيب النكهة
يشد اللثه • يقوى الباءة • يقوى الاسنان • يهضم الطعام • يغذى الجايع
يروى العطشان • يزيد فى نور العين • يقطع عروق البلغم • يزيد فى المنى •

وورد

يقطع عروق الجذام • يقوى عضلات العين • يزيد فى اللذة • ماكلا ومشربا ونكاحا
يصفى الدم • يزيد فى الذكاء والحفظ • يزيد فى الفهم • يبعث القريحة الى •
فهم الاشياء الغامضة • يفصح اللسان • يزيد فى نور الوجه • يبطى الشيب
يشرح الصدر • يذهب الغم • يجلب السرور • يذر البركة • يطرد الوسواس ٣
من لازمه عند النوم لا يكاد مناحه ان يخطى • يزيل بخار الدماغ المتولد من •
فساد المعدة • يزيل قلح الاسنان واصفرارها • يزيل بخار المتولد من فساد •
المعدة • يورث المحبة بين الزوجين • من لازمه عند دخول منزله • انتج
القناعة فى اهله والبركة فى مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ويقظته
يهون النزع عند الموت • يذكر الشهادة عند الموت • يونس من وحشة •
القبر • من لازمه فى كل وضوء وعند كل صلاة • ينال شفاعة نبيه صلى الله
عليه وسلم يوم القيمة • م تمت وارجوا الله تبارك وتعالى ان اشرح ما قيل
وابين ما اخذه من الاحاديث النبوية او من كلام الحكماء او من الطب وما
احسن قول القايل طلبت منك سواكا وما طلبت سواكا
وما اردت اراكا لكن اريد اراكا

وقول الآخر بالله ان جزت بوادى الاراك وقبلت عيدانها الخضر فاك
فلا يطلب للملوك غيرك فليس للملوك والله سواك

وقد تقدم فى الباب الخامس والستين جواز سكون الهاء من الله فليعلم
ذلك وقد كره الشافعى رضى الله عنه السواك للصايم من بعد الزوال
خلافا للامام ابى حنيفة رضى الله عنه وقد نظم ذلك ولدى العلامة
الشيخ رضى الدين محمد الحنفى حفظه الله تعالى ونفع به وبعلومه واتى
فيه بالحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خير خلال
الصايم السواك فقال

يسن للصايم ان يستاكا والشافعى كره السواكا
بعد الزوال وهو مرجوح بما بنقله عن الرسول العلا
خير خلال الصايم السواك فاحفظه حفظا من له ادراك

وقد الغز بعضهم فى مساويك فقال

يا سيدا ما رام جدواه طالب فعاد ولم يظفر باقصى ماربه
ابن لى عن الجمع الذى اذ ذكرته تخاطب من خاطبته بمعايبه

وسيأتى شىء من تعلق السواك بالباب الرابع والسبعين عود الى الطب
قال صاحب آداب السياسة علاج كل شىء بضده من الدواء قلت ومن
كلام ابى بكر بن زكريا الرازى مهما قدرت ان تعالج بالاغذية فلا تعالج
بالادوية واذا داويت بمفرد فلا تعالج بمركب انتهى اقول فينبغى ان تعلم
احوال الاغذية لتعالج بها قال صاحب الارشاد تنقسم الاغذية الى لطيف وغليظ

ومعتدل

ومعتدل فاللطيف هو ما غذى الكثير منه غذاء يسيرا والغليظ ما هو
غذى القليل منه غذاء كثيرا والمعتدل هو ما غذى الكثير منه غذاء كثيرا
والقليل منه غذاء قليلا والمقدار المعتدل منه غذاء معتدلا واللطيف
ايضا قد يكون كثير الغذاء ويسير الغذاء وكذلك الغليظ وكل واحد من
هذه الاقسام قد يكون حسن الكيموس ورديء الكيموس وبين كل صنفين
منهما معتدل فاللطيف اليسير الغذاء الحسن الكيموس البقول والثمار
الجيدة الكيفية كالخس والرمان ونحوها واللطيف الكثير الغذاء الجيد
الكيموس الفراريج والطباهيج والسمان الرضراضى وصفرة البيض النيمرشت
واللحم الصغير ونحوها واللطيف الكثير الغذاء الردى الكيموس لحوم النوهض
وغيرها والغليظ الكثير الغذاء الجيد الكيموس البيض المصلوق ولحم الضان
الحولى والعجول ونحوها والغليظ الكثير الغذاء الردى الكيموس لحم البقر والنعاج
والخيل والجمال والغليظ القليل الغذاء الجيد الكيموس الجبن الطرى ونحوه
والغليظ القليل الغذاء الردى الكيموس القديد والجبن العتيق والباذنجان
ونحوها والمعتدل بين هذه الاطراف يتبين عند مباشرة بعضها لبعض
انتهى والمراد بالكيموس

والاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع ويقال ما ثم شىء اضر من الجبن
العتيق ولا انفع من الرمان النضيج وقليل من الخبز خير من كثير من الرماه
وهذا مثل ينبغى للانسان ان لا ياكل كلما يشتهيه ان كان مضرا فانه يحصل
له من ذلك تورث السقم قال الخلفا المعروف بالشميشر

يا آكل كلما اشتهاه وشاتم الطب والطبيب
ثمار ما قد غرست تجنى فانتظر السقم عن قريب
تجمع الداء كل يوم اغذية السوء كالذنوب

مع ان اكل الانسان كلما يشتهيه من السرف وورد فى ذلك الحديث
ياتى فى باب التسعين وقال بقراط جملة المعالجة خمسة اضرب يعالج
ما فى الراس بالغرغرة وما فى المعدة بالقى وما فى اسفل الجوف بالاسهال
وما بين الجلدين بالعرق وما فى داخل العروق بالدم اى باخراجه وقيل
الصفراء كالطفل يغضب من لا شى ويرضى من لا شى والدم كالعبد وربما
قتل العبد مولاه والبلغم كالملك الجبار اذا غضب لا يرضى الا يقطع عضو
شريف والسوداء كالمعلم الحاذق اذا دخل البيت لا يرضى يسرق الا اجل ما فيه
وهو العقل ولغلبة هذه الاربعة علامات قال فى الارشاد لمصالح الانفس
والاجساد فى علامات غلبة الاخلاط علامة غلبة الدم التمطى والتثاوب
وحلاوة الفم وتوقد الوجه وثقل العينين والنعاس وظهور البثور الدموية
ووجود الصداع ويعين على ذلك الفصل والبلد والسن والسالف التدبير

وعلامة غلبة الصفرا العطش وضعف الشهوة ومرارة الفم وصفرة اللون
وقئ الصفرة ونارية البول ويعين على ذلك ما تقدم وعلامة غلبة السودا
قوة الشهوة وقلة النوم وكمودة اللون وكثرة الفكر والحرج بغير سبب
اى ضيق الصدر ويعين على ذلك ما تقدم وهذه ارجوزة لطيفة ظريفة
فى تدبير الصحة

يا طالب الصحة فى المزاج ... اسمع مقالى واتبع علاجى
فانما المعدة بيت الداء ... والاحتما اصل من الدواء
نعود الاجساد ما تعودت ... لتستمر بعدما تودت اى تحببت
عن خصال انت اذ راعيتها ... ارحت لنفس وما عنيتها
لا تاكل الطعام يا معولى ... بالله من قبل انهضام الاول
ولا الذى تتعب عند قضمه ... فتضعف المعدة عند هضمه
اما الدواء يا اخى لا تقربه ... قبل احتياج موجب فتشربه
واكثر دمان تحفظ بحفظ النفس ... والقئ فى الاسبوع غير منسى
وجانب العجوز لا تطاها ... نفسك حقا يا اخى تعطاها
موت الفجا وطيهن يورث ... والسم قربهن حقا ينفث
والبول لا تحبسه اذا حضر ... فطالما الحابسيه قد عثر
ونفسك اعرضها على الخلاء ... اذا اردت النوم فى المساء
وكل يومين استحم مرة ... يخرج ما فى الجلد من مضرة
فانها تغنى من الادواء ... ما ليس يستخرج بالدواء
واستعمل الطيب تطيب نفسا ... والطيبات ماكلا وملبسا
فهذه وصية الطبيب ... نظمتها للعاقل اللبيب
فاعمل بها تامن كل امر ... يضر بالمزاج طول العمر

واعلم ان غالب ما نقل فى هذا الباب اصله من كلام بقراط فى رسالته الاتية
بالملحق بهذا الباب ولنذكر شيا من كلام الحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب
والعراق والمشهور فى كلدة بفتح الكاف وسكون اللام وفى الصحاح الكلدة
بفتح الكاف واللام قطعة من الارض غليظة وكلدة اسم رجل انتهى وكان
الحارث معمرا ذكر صاحب مرآة الزمان انه عاش مائة وثلاثين سنة قيل
انه وفد على كسرى انوشروان فقال له كسرى اعرابى انت قال نعم من صميم
العرب قال فما صنعتك قال الطب قال وما تصنع العرب بالطبيب
مع جهلها وضعف عقولها وقلة صولتها وسوء غذايها قال
ايها الملك اذا كانت كذلك فتحتاج الى من يصلح جهلها ويقيم عوجها
ويسوس ابدانها قال الملك كيف لنا ان نعرف العرب وعرفت الحق ولم
تنسب الى الجهل قال ايها الملك ان الله تعالى قسم العقول بين العباد كما
قسم الارزاق واخذ القوم نصيبهم ففيهم ما فى الناس من جاهل وعالم

وعاجز

وعاجز وحازم قال الملك فما الذى تجد فى اخلاقهم وتحفظ من مذاهبهم
قال ايها الملك لهم انفس سخية وقلوب جرية وعقول رضية
واحساب نقية يمرق الكلام من افواههم مروق السهم من الوتر
اعذب من الماء والين من القز يطعمون الطعام ويضربون الهام
وعزهم لا يرام وجارهم لا يضام ولا يروع اذا نام ولا يعرفون لفضل
احد من الانام قال فالتفت الملك من حوله فقال اطراء قومه فلولا ان
تداركه عقله لذم قومه غير انى اراه ذا حجا قوله لا يعرفون اى لا يخافون
لفضل احد عليهم لانهم يجاوزون ذا الفضل على فضله باكثر منه
لقدرتهم وطيب انفسهم وقال فى الصحاح الفرق بالتحريك الخوف وقد
فرق بالكسر تقول فرقت منك ولا تقل فرقتك ثم سأله كسرى عن الطب
فقال الطب ضبط الشفتين والرفق بالبدن قال صدقت فما الداء
الدوى قال ادخال الطعام على الطعام هو الذى افنى البرية وقتل
السباع فى البرية قال اصبت فما الجمرة التى تلهب منها الادواء قال
التخمة اذ بقيت فى الجوف قتلت وان تحللت اسقمت قال اصبت قال
فمتى اخراج الدم قال فى نقصان الهلال فى يوم صحيح لا غيم فيه والنفس
طيبة والسرور حاضر قال فالحمام قال لا تدخلها شبعانا ولا تغش اهلك
سكرانا ولا تنم عريانا ولا تاكل غضبانا قال فشرب الدواء قال اجتنب الدواء
ما لزمتك الصحة فاذا احسست بحركة فاصلحه بما يردعه قبل استحكامه
فان البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت وان افسدتها خربت قال
فاكل اللحوم قال الضان كل منه الفتى طيبه سمينه وامراة نضيجه
واجتنب المملوح والقديد والمعز والبقر قال فالفاكهة قال كلها عند
اقبالها وحين اوانها واتركها اذا ولت وانقضى زمانها وافضلها
الاترج وشيا فى شى مما يتعلق بالاترج فى الباب الرابع والسبعين ثم
قال وافضل البقول الهندبا وافضل الرياحين الورد والبنفسج قال
فشرب الماء قال هو حياة البدن به قوامه ينفع ما شرب منه بقدر وشربه
بعد النوم ضرر وافضله ماء الانهار والعظام من الابار واطيبه
ابرده واصفاه قال فما طعمه قال لا يوصف مشتق من الحياة قال فلونه
قال اشتبه على الابصار لونه لانه لون ما يكون فيه قال فما يصلح الانسان
حين يشرب الماء قال راسه قال فما النور الذى يبصر الاشياء قال العين
مركبة من اشياء فالسواد شحمه والبياض ماء النار قال فعلى كم طبع
الانسان قال على اربعة طبايع المرة السودا وهى باردة يابسة والدم
وهو حار رطب والبلغم وهو بارد رطب والصفرا وهى حارة يابسة قال
فلم لم يكن من طبع واحد قال لو خلق من طبع واحد لم ياكل ولم يشرب ولم يمرض

ولم يمت قال فمن طبعين قال لكان الاقتصار عليهما لم يجز لانهما ضدان فكانا
يقتتلان وكذلك لم يجز من ثلاثة لانها موافقا د ومخالف قال فاجمع الحار
والبارد فى احرف جامعة قال كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار
وكل مز معتدل قال وفى المرء حار وبارد فبما تعالج المرة والسودا قال بكل
حار لين قال فما للرياح قال الحقن والادهان الحارة قال افتامر بالحقنة
قال نعم ان الحقنة تصفيها فى الجوف وتكسح الادواء عنه وعجبا لمن احتقن
كيف يهرم اويعدم الولد وان من اعظم الجهل من اكل ما يعرف مضرته ثم
يوثر مضرته وهرمه على راحة بدنه قال فما الحمية قال الاقتصاد فى كل شى وانه
اذا اكل فوق المقصود والمقدار المعهود ضيق على الروح ساحته قال
فاتيان النسا قال اياك والمرأة المولية فانها كالشن البالى وهو بفتح الشين
المعجمة القربة الخلق بفتح الخاء المعجمة واللام اى البالية تجذب قوتك وتسقم
بدنك ما وها سم قاتل وفوها عذاب نازل ونفسها موت عاجل تاخذ
منك ولا تعطيك وعليك بالشابة ما وها عذب زلال ونفسها غنج ودلال
فوها بارد وريحها طيبة ضيق يزيدك قوة ونشاطا والعجوز ضعفا
وانزعاجا قال فاى الاوقات افضل قال عند ادبار الليل يكون الجوف اخلاء
والنفس اشهى والرحم ادفى قال فاى الاوقات اطيب قال نهارا يزيدك النظر
الى الجمال وجهها لذة وانتشارا قال كسرى فديتك من عربى لقد اوتيت علما
وخصصت به من بين الحمقى والجهال بعظة وفهم ثم امر له بجايزة وقضى
حوايجه واعلم ان العلاج لا يطيل العمر ولا يمنع من الموت وانما يقصد به المرض
وقد قلت فى ذلك مضمنا للبيت الاخير

ان كنت تدرى الدواء بانه ... لا يدفع الموت الذى قد قدرا
فانظر الى حال الطبيب ومن به ... رام الحيوة ومن لعشب اخضرا
ولمن تعاطى بيعه وشراوه ... ماذا اصابهم وحرره ترى
مات المداوى والمداوى والذى ... جلب الدواء وباعه ومن اشترى

والغالب على الطبيب ان تكون به علة لا يقدر على الخلاص منها وعد ذلك
من العجب قال الشاعر

ومن عجب الدنيا طبيب مصفر ... واعمش كحال واعمى منجم

وقد وقفت على فوايد وقواعد متفرقة بخط افتخار السمرقندى لا باس بذكر
بعضها هنا وذكر باقيها بالملحق بهذا الباب قال ينبغى ان يسقى العليل
ماء الشعير عند اعتدال الطبيعة بقليل سكر وعند انعقالها بسكر كثير
وعند انحلالها بغير سكر الصعود والحركة الى فوق للقى والنزول والحدور
للاسهال القى والاسهال يسخنان الكبد من يعتاده غنى كثير فليلتقى قبل
شرب الدواء والانتقال فى البلدان يقوى وينشط النقلة يبلغ من قوتها

ان تخفف البدن وتنشطه وتفرحه وتذهب الهم والفكر حتى انه يشفى المالنخوليا
والمقام فى موضع واحد فى حالة واحدة يخلط العقل ويبلد النفس ويذهب
بالذكاء والفطنة حدوث اليرقان فى الامراض الحادة ردى جدا واكثره قاتل
الفالج اذا اصاب صاحبه سحج وهو نوع من الاسهال فانه ينحل عنه اقول وكذلك
الحمى غالبا واذا كان صاحب المرض الحاد يجده فى ايام البحران خفيفا وفى الايام
الاخر خفيفا فاعلم ان نوع ذلك المرض يريد ان يستحيل الى مرض آخر اعجب منه ثقيلا
الامراض الخطيرة اذا حدثت فى الابدان التى يقل حدوث الامراض فيها يكون
اكثرها قاتلا وكلما يعرض من الاورام الباطنة فخطره اعظم اذا احمى البدن ممن
كثير الشعر على صدره فمن امتلاء العروق اكثر ما يمرض ومن كان صدره معرى من
الشعر فمن السدد اكثر ما يمرض احذر فى الامراض التى فى غاية الحدة استعمال
الادوية ودع الطبيعة والعلة فى الامر الاكبر وملل الى ما هو الطف من التدبير
الامراض السوداية تصعب فى الشباب وتخف فى الكهول الاطفال اذا صرعوا
فى الحميات ذهب صرعهم بذهاب الحمى واحذ فيهم الادوية والشمومات
الحارة النوازل فى العلاج بالدواء خطر عظيم وتلطف التدبير من الغذاء عديل
السلامة لا تمل الى ما ينقى البدن بالاسهال النقاوة التامة اصحاب البلغم
اذا اسنوا واذهب عنهم ان كانوا شبابا وزاد عليهم ان كانوا كهولا لا
تستعمل الدواء فيمن عاش دهرا ولم يستعمله وان عظمت الحال واشتد الارب
لكن الاجود ان تميل الى كل ما يقارب عادته فى اكثر الاحوال اعتمد فى مثل ذلك
على الطبيعة ودعها والعلة فان حوربت على دفع العلة فذاك والا فلا يعمل
الدواء فى مثل تلك الابدان كثير عمل وربما يضر كل شى ما يضنا وعنصر فانه ردى
لمن يحتاج الى التدبير الملطف التدبير الملطف يكون بنوعين احدهما الاغذية
التى يتولد منها الدم اللطيف وان كانت هى لا تلطف مثل لحم الدراج والجدى والسمك
الصخورى والنوع الاخر الاغذية التى تلطف الاخلاط الغليظة التى فى البدن بقوة
حادة فيها قطاعة كما ان الحركة قبل الطعام من ابلغ الاشياء حفظ الصحة
كذلك الحركة بعد الطعام من ابلغ الاشياء فى نقض الصحة كما قيل الحركة قبل الطعام
خير كله وبعد الطعام شر كله اقول وهذا يخالف المشى بعد العشا فانه صالح
اللهم الا ان يراد بالحركة الحركة الكثيرة فوق المشى الذى بعد العشا وهو الظاهر
او الحركة قبل ان يستقر الطعام فى معدة بقدر ما يسخن فيها ويأخذ البدن
حظا منه وقال افتخار المذكور ومما نقله من الفوايد من خط الامام شيخ الزمان
محمد بن على بن عمر المتطبب المعروف بالنجيب السمرقندى رحمه الله تعالى قال النجيب
الشاد اليه سبب تولد السودا عند الاطباء احتراق الاخلاط حتى تصير بمنزلة
الرماد باردة يابسة لجفافها حتى تصير غليظة ارضية باردة يابسة بالقياس
الى ساير الاخلاط فاذا حصل لها هذا المزاج باى سبب من هذين السببين تولد

منها الامراض السوداوية بحسب عمل حرارة البدن فيها الفرق بين الخلط السوداوي
والمرة السودا ان الخلط السوداوي هو السودآء الطبيعي وهو دردي الدم المحمود
وثفله وعكره واذا اخرج بالقي لم يوجد له طعم ينسب اليه ولكن توجد له عفوصة
يسيرة وحموضة وقليل حلاوة تقوى به الشهوة واذا اخرج من اسفل لم تغل منه
الارض ولم تنفر عنه الذباب والبعوض ولا غيرهما من الحيوان اذا شمه او ذاقه
واما المرة السودآء فقوتها العفوصة والحموضة وهي براقة ولا يجد اذا اخرج
من البدن ولا يشمها الذباب والبعوض ولا حيوان اصلا وتغلي منها الارض
لحدتها وحرارتها ولذعها كالحاذق في الخل الدم الجيد المحمود هو ما يكون في لونه
احمر قانيا وفي قوامه معتدلا وفي طعمه حلوا وفي رايحته غير منتن اصلا وفيه
ما في الاخلاط الثلاثة الاخر بمقدار ما ينتفع به في التغذية ومنفعته ان
يخلف على البدن بدل ما يتحلل منه اما بمقدار الزيادة على ما يتحلل وذلك في
سن النما واما بمقدار ما يتحلل عنه وذلك في سن الوقوف واما بمقدار ينقص
عما يتحلل من البدن وذلك في سن الاضمحلال وايضا يسخن البدن ويدفع
نكاية البرد ويسخن الاحشا فيعين القوى على افعالها ويفيد اللون جمالا
ونضارة ورونقا واما شان البلغم اذ يغذي البدن في وقت عوازا لغذاء
لانه غذاء لا يستحكم نضجه ويرطب المزاج ويولد في المفاصل رطوبة لزجة
بها تلين حركاتها وشان الصفراء ان تنفذ الدم بلطافته في المنافذ
الدقاق الضيقة وتغسل المعدة والامعاء من البلغم وتهيج الامعا
على دفع ما فيها من الاثفال بالفاء وقد تغذو لبعض الاعضاء وشان
السوداء ان تغذو بعض الاعضا وتفيد الدم تماسكا وسرعة انعقاد
بما تولد فيه من الشظايا الشبيهة بالليف حسبما تفعله الانفحة باللبن
وتثير قوة الشهوة والبلغم اذا غلب الدم فهو حلو واذا غلبت عليه
الصفراء فهو مالح واذا غلبت عليه السودا فهو حامض وما بقي على طبعه
فهو تفه فان طالت مدة لبثه في فضاء فهو زجاجي وان اخذ يجف
فهو خام وان امعن في الجفاف فهو جصي فاذا زاد صار حجرا واعلم
ان الاخلاط الاربعة تترتب في الرداءة اذا احترقت فاقلها ضررا
البلغم ثم الدم واشدها غائلة الصفراء وابعدها قبولا للعلاج السودا
وقال في اقرباذينه الادهان الباردة يراد بها دهن الورد والبنفسج
والنيلوفر والخلاف ودهن بزر القرع ودهن بزر الخشخاش ودهن
اللوز الحلو وصنعتها معروفة والادهان الحارة فما كان منها متخذ
من الرياحين او معتصر من الحبوب فهي ايضا معروفة الصنعة مثل دهن
الخيري والسوسن والنرجس والياسمين والبابونج والحناء والشبث
والخروع واللوز المر والزيت والبان ونحوها صفة دهن يسمى المجموعة

يستعمل

يستعمل في جميع الاعلال الباردة فيوثر باعتدال ولا يحدث في العضو يبسا
يوخذ دهن الخيري ودهن الياسمين ودهن البطم ودهن السوسن
ودهن الخروع ودهن نوى المشمش ودهن الغار اجزاء سوى ويطرح عليها
يسير من جند بيدستر ويسير من المسك ويغلى غلية خفيفة ويستعمل
انتهى ومن الفوائد المنقولة من كتاب الارشاد تاليف اسمعيل بن هبة
الله بن جميع الاسرائيلي المصري قال في الفصل الثالث والاربعين الامراض من
تنقسم الى اربعة اقسام مرض حاد على الاطلاق ومرض مزمن ومرض
متوسط بين السريع الانقضاء وبين المزمن فالحاد والسريع الانقضا
هما اللذان تقتضي طباعهما ان لا يتجاوزا اليوم الرابع عشر بل ينقضي
احدهما اما فيه واما فيما قبله وينفصل الحاد من السريع الانقضاء
بان الحاد تكون القوة غير ناهضة به ولا مستقلة بحمله ويكون فيه خطر
والسريع الانقضا تكون القوة ناهضة به وليس فيه خطر والمتوسط
بين السريع الانقضاء والمزمن هو الذي تقتضي طبيعته ان يتجاوز الاربعين
وليس لانقضائه مدة محدودة وساير الامراض داخلة تحت هذه
الاقسام الاربعة والامراض منها معدية ومنها متوارثة فالمعدية
هي الجرب والجدري والسل والبخر والرمد والنقرس وقيل ان من القروح
الخبيثة ما يعدي المعالج لها وقيل ان نهش الكلب الكلب يعدي وان نهش
الحية التي ينسلخ فيها الجلد ايضا يعدي المعالج لها والحميات العفنة ايضا
تعدي ومن المشهورات ان الوبا يعدي ورايت بهامش اصل ان النقرس
ليس من الامراض المعدية وانما هو من الامراض المتوارثة نقل ذلك عن
الشيخ ابن سينا والامراض المتوارثة وتسمى الامراض الجنسية وهي
الجذام والبرص والسبل والنقرس والماليخوليا والصرع والبواسير
وقال عمر وحمى الدق والصلع وضعف الاعضاء اذا كان ولادة
ووجع المفاصل وسياتي بالملحق بهذا الباب رسالة يقال انها لابقراط
وليست له ولكن فيها من كلامه ثم نظم برء ساعة ثم ادوية من اقراباذين
السمرقندي ومن اقراباذين يقال انه لابن سينا وليس كذلك بل هو لبعض
المصريين ومجربات ثم فوايد من خط افتخار السمرقندي وغير ذلك من كتاب
الارشاد وكتاب السموم وابدال وتفسير بعض الالفاظ ومفردات ومركبات
وغير ذلك ان شاء الله واما ما ذكره الفقيه من الخواص فانه قال من تنعل
بنعل اصفر لم يزل في غبطة وسرور لقوله تعالى صفراء فاقع لونها تسر
الناظرين اقول قال الحافظ برهان الدين الحلبي ثم الدمشقي المعروف بالناجي
بالنون في رسالته المختصرة المسماة بتحذير الاخوان مما يوجب الفقر والنسيان
قال نقل القرطبي في تفسير سورة البقرة عن ابن عباس انه قال الصفرة تسر

النفس وحضن على لبس النعال الصفر وفي تفسير قوله تعالى من الملايكة مسومين
عنه ايضا من لبس نعلا اصفر قضيت حاجته ثم قال الفقيه وعن ابن
عباس رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لبس نعلا اسود لم يزل
في هم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تختم بعقيق لم يزل في
بركة وسرور ويقال من كنس بيته بخرقة فانه يورث الفقر ومن منع الخميرة
فانه يورث الفقر ومن لم ينظف بيته من العنكبوت فانه يورث الفقر ومن
لم ينظف الاصطبل من بيت العنكبوت فانه يهزل الدواب ويقال النظر
في الماء والخضرة والوجه الصبيح ووجه الوالدين وفي القلادة الى موضع
السجود والى الاترج والى الحمام الاحمر يجلو البصر ويقال للنار في الشتا خمس
خصال تدفع البرد وتحسن الوجه وتمري الطعام وتذهب الاعيا وتونس
من الوحشة وقال علي رضي الله عنه من اراد البقا فليباكر الغدا وليقل
غشيان النسا وليخفف الردا قيل وما خفة الردا قال قلة الدين وفي
النظر في الماء والخضرة والوجه الحسن قال الشاعر

ثلاثة تذهب عنا الحزن … الماء والخضرة والوجه الحسن

واما ما ذكره الفقيه مما يوجب الفقر والنسيان بالخاصة او من جهة
الطب فقد قال روى الزهري عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
خمسة تورث النسيان اكل التفاح يعني الحامض منه والبول في الماء الراكد
والحجامة في نقرة القفا والقاء القملة في التراب وسور الفارة الفاسقة
اقول وفي الهدي النبوي ذم ان اكل التفاح الحامض والطلق بعض المالكية
وغيره التفاح وحكى النيفاشي عن الزهري انه قال ما اكلته منذ عانيت
الحفظ وقال البرهان الناجي ان هذه الخمسة رويت عن ابرهيم بن المختار
قال الفقيه ويقال قراة الواح القبور قال في الهدي يعني الاكثار من
قراتها وقال واكل الكزبرة الرطبة والمشي بين الجملين المقطورين
والمشي بين المراتين يورث النسيان انتهى وقد نظم علم الدين السخاوي
خصالا مما ذكر من يوجب النسيان فقال

توق خصالا خوف نسيان ما مضى … قراة الواح القبور تديمها
واكلك للتفاح ما كان حامضا … وكسفرة خضرا فيها سمومها
وان تنظر المصلوب والماء راكدا … وان ترمي القملات ليس تصيبها
ومشيك ما بين القطار وحجمة … قفا ومنها الهم وهو عظيمها
ومن ذاك بول المرء في الماء راكدا … واكلك سور الفار وهو تميمها

وقد زاد البرهان الناجي على ذلك في رسالته المذكورة وانا اذكر منها ما لم
يذكره الفقيه على وجه الاختصار بقدر الامكان مبتديا بما يورث الفقر
ويمنع الرزق ارتكاب الذنب والتهاون في الصلاة لا سيما في الجماعة

والزنا والربوا والكذب وسب الخلفاء الاربع وسب الريح ونومة الضحى
واللعب بالحمام الطيارة والبداءة بالرجل اليمنى قبل اليسرى في دخول الخلاء
وسوال الناس من غير فقر واحتكار القوت وكثرة الضحك والدعاء بالشر
على الولد والاهل وتزكية الصلحاء الفجار وتمنية الاخيار الاشرار وقص
الاظفار بالاسنان وطرح فتات الخبز في المنزل والتدلك في الحمام بالنخالة
قال البرهان وقال صاحب اداب العالم والمتعلم من الحنفية نثرا وغيره منهم
نظما وابن العماد الاقفهسي من متاخري الشافعية وغيره والنوم عريانا وكذا
البول والاكل جنبا ونشو البصل والثوم وكنس البيت بالليل وترك القمامة
اي الكناسة بالبيت وغسل اليدين بالطين والتراب والتوضو في المتبرز
وخياطة الثوب على بدنه واسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الفجر والابكار
في الذهاب الى السوق والابطا في الرجوع منه وشرا كسر الخبز من الفقرا
وترك تخمير الاواني اي تغطيتها واطفا السراج بالنفس والكتابة بقلم
معقود والامتشاط بمشط مكسور والبخل والتقتير والاسراف والكسل
والتهاون في الامور اقول وجدت بخط بعض الفضلا ما صورته قال
ابو المعالي في هذا نظم

وان التواني انكح العجز بنته … وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيا ثم قال لها اتكي … فقصرا كما لا بد ان تلدا الفقرا

والذي احفظه رايت التواني انكح العجز بنته … فساق اليها حين هانته مهرا
فراشا وطيا ثم قال لها اتكي … على مهل لا بد ان تلدي فقرا

ثم قال البرهان وروى الثعلبي في تفسيره عن جعفر الصادق رضي
الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر
وقال الشيخ علاء الدين البخاري الحنفي رحمه الله تعالى وشق الغنم والمعز
بالمشي بينها وكان ينبغي ذلك فاذا اضطر اليه فعله وقرا لايلاف قريش
وفي فتاوي قاضي خان من كان ظفره طويلا اي متفاحش الطول يكون رزقه
ضيقا ثم قال البرهان ومما يورث النسيان النظر في الماء الراكد والبول
فيه اذا توضا منه بعد البول قاله الذهبي في طبه والنظر في المصلوب
وفي حديث ذكره صاحب الفردوس واكل الجلجلان ثم قال هو نوع من
السمسم وهو الاسود وقال في الصحاح هو ثمرة الكزبرة قال وقال ابو الغوث
اللغوي هو السمسم في قشره قبل ان يحصد قال الذهبي والاكثار من البصل
النيء واكل الباقلاء والمشي في الطواريق وانبئت ان المسعودي القاضي
من الحنفية صرح بكراهية المشي في اوساط الطرق واسفل الرصفان
لانها ممشى الدواب وان ذلك يورث النسيان قال البرهان قلت ومحل ذلك
اذا لم يكن هناك نساء ورجال ويحصل الاختلاط اما اذا وقع ذلك فان الرجال

يمشون اسفل والنسآء فوق على الحافات وروى ابو داود فى سننه فى كتاب
الادب عن ابى اسيد الساعدى انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول وهو
خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النسآء فى الطريق فقال للنسآء ليس
لكن ان تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق قال فكانت المرأة تلصق
بالجدار حتى ان ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها به **وتحققن** بفتح التآء
المثناة الفوقية وسكون الحآء المهملة وضم القاف الاولى واسكان الثانية
اى ليس لكن اى تركبن حقه بضم اوله وهو وسطه يعنى لانه ممشى الرجال
وهن يمشين بحافات الطريق لانه استر لهن واما المشى بين المرأتين فقد
روى ابو داود فى باب مشى النسآء مع الرجال المذكور بعد هذا الحديث المتقدم
ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان يمشى الرجل بين المرأتين **قال البرهان**
الناجى قال شيخنا ابن رسلان فى تعليق له مختصر على سنن ابى داود اى
تكونا عن يمينه وعن شماله سوا كانتا اجنبيتين اولا لانهما عورتان
بل تمشيان بحافة الطريق وهو فى الوسط **ثم قال** البرهان ومما يورث
النسيان اكل لحم التيس والمعز ايضا وقيده بعض الاطبا بالمسن ولاسيما
للمسن وكذا اكل مخ التيس ولحم المعز يورث الهم والغم والنسيان وعن طب اهل
البيت ان الكبير من المعز يورث السودآء ويجلب الهم والنسيان ويفسد
الدم قال ابن العماد ولعل ما ذكر محمول على من واظب عليه **ومما يورث النسيان**
الخمر والحشيش وعن الشعبى انه قال انى لادع اللحم مخافة النسيان ولعل المراد
ادامة اكله وقيل انه يوكل يوما ويترك يوما **ونقل** حجة الاسلام الغزالى فى
كتابه نصيحة الملوك عن جالينوس قال سبعة اشيا تجلب النسيان استماع
الكلام الخشن لانه يتصور القلب والحجامة على خرزة العنق والبول فى المآء
الراكد وروى الفقيه الحجامة والبول عن ابن عباس رضى الله عنه واكل
الحوامض والنظر فى وجه الميت والنوم الكثير وطول النظر الى الاماكن الخرآ
ثم نقل ايضا عنه ايضا انه قال النسيان يحدث من البلغم **ومما يحدثه** ضحك
القهقهة واكل المالح واللحم السمين وكثرة الجماع والسهر مع التعب وسائر
الرطوبات ومضغ العلك ونومة الضحى والاستباك على الخلاف **قلت**
لعل الاستباك على الخلاف يعنى على خلاف ما هو المعتاد فى الابتدآء به **وذكر
الزيلعى** فى شرح الكنز ان النظر الى العورة يورثه ثم نقل عن على بن ابى طالب الملكى
رضى الله عنه عن اطبآء الروم والتسوك بسواك غيره عن ابن عمرو اكل
الخبز الحار عن الدميرى ويورثه الهم والغم وما يولدهما كالاحزان والاشغال
والعلائق ومما يولدهما بالخاصية ما نقل فى كتاب الحكم والغايات عن اهل
التجارب المشى بين الاغنام والتعمم جالسا والتسرول قائما **اقول** فقد ورد
فى الحديث انه من تعمم قاعدا والتسرول قائما ابتلى ببلآء لا دوآء له **ثم قال**

البرناز

البرناز يطلب الحديث من الاربعين النووية وقمل اللحية بالاسنان والقعود
على اسكفة الباب والاكل بالشمال ومسح الوجه بالاذيال والمشى على قشور
البيض والاستنجآء باليمين والضحك فى المقابر انتهى **ومن** حمل الشمع وقيل
من اكله اورث الغم لكن لا يصيبه احتلام **وفى** طب الذهبى الاستمنا باليد
يوجب ما غنى الغم **وعن** القزوينى النظر الى نهر الفول يورثه واكثار من اكله
يفسد العقل ويرى الاحلام الردية **وقال** ابن سينا من خواصه يقطع
بعض الدجاج اذا علفت منه ويرى احلاما مشوشه ويحدث حكة خصوصا
طريه **وقيل** ان النسيان من كثرة البلغم وكثرة البلغم من كثرة شرب المآء وكثرة
شرب المآء من كثرة الاكل **وقال** ابن الجوزى وكلما يزيد فى البلغم يورث النسيان
ويتولد كثيرا من اكل البصل والاكثار من اكل الفواكه والالبان والسمك واشباه
ذلك **ومن المنسيات** سماع الخصومات وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم
صلى صلاة فتردد فى آية فلما انصرف قال انه لبس علينا القرآن ان اقواما منكم
يصلون معنا لا يحسنون الوضوء وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم قرأ
بسورة الروم فلبس عليه بعضها فقال انما لبس علينا الشيطان القرآءة
من اجل اقوام ياتون الصلاة بغير وضوء **قال** البرهان الناجى فى
رسالته هذه والاعتماد فى غالب ما ذكر على التجربة لا على الاثر انتهى ومن
اراد الخواص والمضار والمنافع التى وردت بها الاحاديث النبوية فعليه
بكتاب الهدى النبوى لابن الجوزى ولغيره وسياتى بالملحق بهذا الباب بعض
الادوية التى تذهب النسيان ان شآء الله تعالى **الباب**

الحادى والسبعون فى طبايع الانسان قال الفقيه رحمه الله تعالى

ان الله تعالى خلق الخلق وركب فيه اربعة من الطبايع اليبوسة والرطوبة
والحرارة والبرودة وخلق فى النفس اربعة اشياء لصلاح الجسد
فلا يقوم الا بهن المرة السودا والمرة الصفرا والدم والبلغم فجعل مسكن
اليبوسة فى المرة السودا ومسكن الرطوبة فى المرة الصفرا ومسكن الحرارة
فى الدم ومسكن البرودة فى البلغم فكلما جد اعتدلت هؤلاء الاربعة
فيه كملت صحته فاذا غلب واحد منها على غيره دخل السقم من ناحيته
واتيها قل دخل الضعف من جهته **وقد** ذكرت فى الباب الذى قبل هذا
علامات غلبة كل واحد من هذه الاربعة **ثم قال** الفقيه ثم قد تصير
الطبايع فطرة فى الاخلاق فمن اليبوسة العزم ومن الرطوبة اللين ومن
الحرارة الحدة ومن البرودة الاناة فان مال احديهن دخل النقصان من قبله
وقد جعل الله تعالى فى مواضع الراس فى كل شى منها نوعا من المنفعة النظر
فى العين والسمع فى الاذن والشم فى الانف والكلام فى اللسان **وكذلك فى**
الجوف جعل لكل شى معدنا فموضع الضحك والسرور الطحال وموضع الخوف

والهيبة الرية وموضع الغضب الكبد وموضع العلم الفهم والقلب وموضع
العقل الدماغ وقال بعضهم مسكنه القلب ويجوز ان يجمع بين القولين ويقال
مسكنه الدماغ وله تعلق بالقلب كما تقدم في باب العقل وموضع الحزن والفرح
الكلية ويقال في الصدر وخلق في الجسد ثلثماية وستين عرقا للشد والوصل
وخلق فيه مايتي عظم وثمانية واربعين عظما لمصلحة البدن فذلك قوله
عز وجل وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وقال علي رضي
الله عنه العقل في القلب والرحمة في الكبد والرافة في الطحال والنفس في
الرية ويقال يحتلم الغلام لاربعة عشر سنة وينتهي طوله باحدى وعشرين
سنة وينتهي عقله بثمانية وعشرين سنة فلا يزيد بعد ذلك في عقله الا
بالتجاريب وقال بعض الحكماء موضع العقل في الدماغ وموضع الحق
في العينين وموضع الباطل في الاذنين وموضع الحياء في الوجه وموضع
خروج الروح في الانف وموضع الحياة في الفم وموضع الهموم في الصدر
وموضع الضحك في الطحال وموضع الرحمة والغضب في الكبد وموضع الحزن
والفرح في القلب وموضع الكسب في اليدين وموضع النصب في الرجلين
انتهى بحاله اقول قد اختلف في اشتقاق لفظ الانسان على ما ذكره ولدنا
العلامة الشيخ رضي الدين محمد الحنفي نفعه الله بالعلم وزينه بالتقوى
والحلم في وريقات الفها في ذلك سماها نور الانسان في اشتقاق لفظ
الانسان وانا اذكر منها ما تيسر على سبيل الاختصار قال ما ملخصه قال
البصريون اشتقاقه من الانس بضم الهمزة وهو خلاف الوحشة وذلك من
وجهين فيه الاول التناسب في اللفظ حيث وجد حروف الانس ومن
جهة المعنى من حيث استيناس النوع الانساني بعضه ببعض قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لانسه ولا القلب الا انه يتقلب

الثاني انهم قالوا في جمعه اناسي بكسر الهمزة فدل ذلك على زيادة الالف والنون
في الانسان وقيل سمي الانس انسا لانهم يونسون اي يبصرون فيكون اشتقاقه
من الايناس بمعنى الابصار انست نارا اي ابصرت اشتقاقه من النسيان واصله
انسيان حذفت منه الياء على خلاف القياس فقيل انسان والمختار قول
البصريين لما فيه من المناسبة اللفظية والمعنوية بخلاف قول الكوفيين
حيث لا مناسبة فيه الا من جهة المعنى بواسطة ما يعتري هذا النوع
الانساني من النسيان انتهى وفي خلق الانسان قال الله تعالى في سورة
المؤمنين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ثم خلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله
احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون قال

تاج

تاج القراء ما ملخصه الانسان آدم خلقه من ترابه سلت ونزعت من طين
من ههنا ومن ههنا ثم جعله نطفة وهي بمعنى الصب اي ماء مصبوبا
في الرحم ثم خلق النطفة اي قدرها وصيرها علقة وهي القطعة من الدم
ثم صيروا ثم حال العلقة مضغة وهي القطعة من اللحم مقدار ما يمضغ
ثم احالها وصيرها عظاما ثم كساها لحما ابنته عليها فصار لها كاللباس
ثم انشاء الانسان خلقا آخر وقيل انشاء الخلق الاخر نفخ الروح فيه وقيل
انشاؤه بعد الولادة من تصريفنا حواله من الاستهلال الى الارتضاع الى
القعود الى القيام الى المشي الى الفطام الى ان ياكل ويشرب بيده الى ان يتكلم
الى ان يبلغ الحلم والكهولة ثم الى الضعف وروي ان عمر رضي الله عنه كان
حاضر نزول هذه الآية من اولها الى قوله خلقا آخر فقال فتبارك الله احسن
الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا انزل ويقال قايل هذا الكلام
معاذ بن جبل وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان عبد الله بن سعد
ابن ابي سرح يكتب هذه الآية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله
خلقا آخر عجب من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين
فقال عليه الصلاة والسلام اكتب هكذا انزلت فشك عند ذلك عبد الله
وقال ان كان محمد صادقا فيما يقول انه يوحى اليه فقد اوحي الي كما يوحى اليه
وان قال من ذات نفسه فقد قلت مثل ما قال فكفر بالله تعالى وقيل هذه
الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان بالمدينة والسورة مكية اقول ويمكن
التوفيق بين نزول بمكة والارتداد بالمدينة بان شك عبد الله بمكة عند النزول
كما تقدم ولم يظهر ذلك حتى ارتد بالمدينة ثم عاد الى مكة وذكر لقريش سبب
ارتداده بما تقدم منه من القول بعد شكه وذكر النووي رحمه الله تعالى
في تهذيبه ان عبد الله هاجر الى المدينة فارتد بها وعاد الى مكة واسلم بها
يوم الفتح اي يوم فتح مكة وحسن اسلامه ولم يظهر منه بعد ذلك ما
ينكر انتهى ملخصا رجع وفي قوله تعالى ثم جعلناه نطفة اي جعلنا ذريته
من نطفة وقيل الانسان عام في بني آدم فالسلالة النطفة والطين ادم
عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنه ان السلالة ههنا ماء الفحل الذي
هو آدم وقيل خلق الانسان من التراب كآدم عليه السلام وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان الله تعالى خلق راس آدم من تراب بيت المقدس ووجهه
من تراب الجنة واسنانه من تراب الكوثر ويده اليمنى من تراب الكعبة ويده
اليسرى من تراب فارس ورجله من تراب الهند وعظمه من تراب الجبل وعورته
من تراب بابل وظهره من تراب العراق وقلبه من تراب الفردوس ولسانه من
تراب الطايف وعينيه من تراب الحوض ولما كان راسه من تراب بيت المقدس
لا جرم صار موضع العقل والفطنه والنطق ولما كان وجهه من الجنة صار موضع

الزينه ولما كانت عيناه من تراب الحوض صارتا موضع الملاحة ولما كانت
اسنانه من تراب الكوثر كانت موضع الحلاوة ولما كانت يده اليمنى من تراب الكعبة
صارت موضع المؤنة ولما كان ظهره من تراب العراق صار موضع القوة ولما
كانت عورته من تراب بابل صارت موضع الشهوة ولما كانت عظمه من تراب
الجبل صار موضع الصلابة ولما كان لسانه من تراب الطايف صار موضع
الشهوة واعلم انه تعالى كما جعل فى آدم ووجهه من تراب الجنة كما روى
عن ابن عباس فكذلك جعل فى ابن ادم تسعة انواع من النار كما ورد فى بعض
الاحاديث وان لم التزم صحته ان تسعة الوان من النار فى بطن بنى ادم الاول
نار الشهوة والثانى نار الحرص والثالث نار الجهل والرابع نار البطن والخامس
نار النظر والسادس نار الغفلة والسابع نار اللسان والثامن نار المعصية
والتاسع نار الفرج اما نار الشهوة لا تطفى الا بقلة الاكل واما نار الحرص لا
تطفى الا بذكر الاخرة واما نار الجهل لا تطفى الا باستماع العلم واما نار البطن
لا تطفى الا باكل الحلال واما نار النظر لا تطفى الا بتفكر سوال منكر ونكير واما
نار الغفلة فلا تطفى الا باليقظة بذكر الله والصلاة وغيرها وبالتفكر
فى ذنوبه واما نار اللسان لا تطفى الا بذكر الله تعالى واما نار المعصية الا
بذكر عذاب القبر واما نار الفرج لا تطفى الا بتزويج الحلال انتهى ومعنى
اضافة هذه النيران الى ما ذكر ان هذه الاماكن بما تكون سبب للدخول
الى النار باعتبار ان الشهوة اذا الجاتا الى المحرمات والحرص اذا منع من الزكوة
ومما يوجب النار والجهل اذا اورد صاحبه الى فعل ما يوجب النار والبطن
اذا امتلا من الماكل والمشرب الحرام والنظر اذا كان الى المحرمات والغفلة عن
الله تعالى وعن الصلاة بتركها وما اشبه ذلك واللسان اذا انطق بالكفر
او مما يوجب النار والمعصية اذا استحلها الانسان ولم يتب عنها والفرج
اذا زنا والله تعالى اعلم فايدة عن عطاء الخراسانى انه قال بلغنى انه يدل
على النطفة من التربة التى يدفن الانسان فيها وفى قوله تعالى فى اوايل
سورة الحج مخلقة وغير مخلقة عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النطفة
اذا استقرت فى الرحم اخذها ملك بكفه فقال اى رب مخلقة او غير مخلقة
فان قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال عز وجل مخلقة
قال الملك اذكر ام انثى اشقى ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق وباى
ارض تموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب
فيجدها فى ام الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى ياتى على اخر صفته
وفى قوله تعالى فى اوايل سورة المؤمنين ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين قيل الانسان آدم وقال تعالى فى سورة التين لقد
خلقنا الانسان فى احسن تقويم اى فى احسن صورة قال مجاهد وقال

تاج القراء منتصب القامة معتدلها بينا ولما كوله بيده مزينا بالعقل
والتمييز ويحكى ان ابا يوسف صاحب ابى حنيفة رضى الله عنهما اكل مع الرشيد
يوما فاحضر ملاعق فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين بلغنا ان جدك
عبد الله يريد ابن عباس رضى الله عنه قال فى تفسير قوله تعالى ولقد
كرمنا بنى آدم وجعلنا لهم ايديا ياكلون بها فترك الملاعق واكل بيده
ذكره السمين فى عمدة الحفاظ والمراد بتكريمهم بذلك كونهم ياكلون
بايديهم بغير واسطة ملاعق وغيرها وغيرهم من الحيوانات ياكلون
ماكولهم بفيهم من الارض غالبا فان القردة ياكلون بايديهم ومنهم
من قال فى تفسير ذلك ان الله كرم الرجال باللحا والنساء بالذوايب وقال
ابن العربى ليس خلق الله تعالى خلقا احسن من خلق الانسان فانه تعالى
خلقه حيا عالما قادرا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات
الرب سبحانه وتعالى لكن صفاته تعالى لا كصفات غيره كما انه تعالى شئ
لا كالاشيا كما تقدم فى القصيدة المذكورة فى الباب الرابع عشر التى اولها
يقول العبد فى بدء الامالى . التى منها . نسمى الله شيا لا كالاشياء
وروى بالسند الصحيح ان عيسى بن موسى الهاشمى كان يحب زوجته
فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكونى احسن من القمر فنهضت واحتجبت
عنه وقالت طلقتنى فبات بليلة فلما اصبح غدا الى دار الخلافة المنصور
واخبره الخبر واظهر له جزعا عظيما فاستحضر الفقهاء واستفتاهم فافتوا
بطلاقها الا رجل واحد من اصحاب ابى حنيفة فانه استمر ساكتا فقال
له المنصور ما لك لا تتكلم فقال له الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين
والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان فى
احسن تقويم يا امير المؤمنين الانسان احسن الاشياء ولا شئ احسن منه
فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل
الى زوجته ان اطيعى زوجك ولا تعصيه فما طلقك فهذا يدل على ان
الانسان احسن خلق الله تعالى كمال هيئته وبديع تركيب الراس بما فيه
والصدر بما جمعه والبطن بما حواه والفرج وما طواه واليدين وما
بطشتاه والرجلين وما احتملتاه ولذلك قالت الفلاسفة انه العالم
الاصغر اذ كل ما فى المخلوقات اجتمع فيه انتهى وبيان ذلك ما ذكره القاضى
ركن الدين السمرقندى فى الباب الاول فى كتابه المسماة بمرآة المعانى لادراك
العالم الانسانى وهو انه قال الانسان عالم صغير واى شئ فى العالم
الكبير موجود بالكلى فهو العالم الصغير موجود بالجزئى فالشمس والقمر فى
العالم الصغير هما منخر الانف فاليمنى للشمس واليسرى للقمر وهذه من جملة
العجايب ان المنخرين فى الجبهة مستويان والنفس يخرج من اليمين وتنا

بيان رسالة

ومن الشمال وقتا بالنوبة وذلك هو البرهان صلابتها ضدان فلا يجتمعان
وقلما يتفقان كلاهما في مواضع معدودة في الخوف المزعج والجماع والطلوع
الى فوق والعدو الشديد وعند النزاع وذلك لتقارب المتخرين بظهور العلل
والدليل على ان اليمنى للشمس واليسرى للقمر انه اذا قويت الحرارة على شخص
فسلب منخره اليمنى مقطنه يوما وليلة حتى لا يخرج النفس الا من اليسرى
زالت عنه الحرارة وفي البرودة على العكس والعينان والاذنان والفم
بمنزلة الخمسة البواقي في الراس بمنزلة كالسماء والجثة كالارض والاعضاء
كالابحر والعروق كالانهار والاعضاء الرئيسه كالجبال وهي الراس والقلب
والكبد باجماع الاطباء وادخل بعضهم فيها الانثيان والقضيب لان
بقاء النوع الانساني بهما والدماغ كالمعدن والاشجار كالنبات والفروع
كالحيوان والشعر كالاشجار والحواس كالنجوم والجلد والدم واللحم والرباط
والغضروف والعظم والمخ كالسبعة الاقاليم واليقظة كالنهار والنوم
كالليل والفرح كالربيع والحزن كالشتاء والجوع كالصيف والشبع
كالخريف والبكاء كالمطر والضحك كالبرق والقلب كالكرسي والدماغ
كالعرش والنفس كعقل الكل والعقل كالباري عز وجل فالعالم الكبير كانه
نفس واحدة وعقل الكل روحه الله تعالى روح عقل الكل وكذا العالم
الصغير عنده كانه نفس واحدة والنفس الناطقة روحه والعقل
روح النفس الناطقة وكما ان العقل في العالم الصغير داخل فيه خارج
عنه لا كدخول الشيء في الشيء ولا كخروجه عنه كذا الله تعالى جلت قدرته
في العالم الكبير فمن عرف ذلك عرف الباري بالضرورة لان من عرف نفسه
فقد عرف ربه واعرفكم بنفسه اعرفكم بربه انتهى وقد تكلم العلماء على معنى
من عرف نفسه فقد عرف ربه

واعلم ان الانسان افضل الحيوان وهو وان كان بكونه انسانا افضل
موجود وذلك بشرط ان يراعي ما به صار انسانا وهو العلم والعمل المحكم
فبقدر وجود ذلك المعنى يفضل ولهذا قيل الناس ابناء ما يحسنون اي
ما يعرفون من العلوم ويعملون من الاعمال الحسنة وافعال الانسان كالغرس
فمن غرس شيئا جنى ثمرته وفي ذلك قيل • من غرس العلم اجتنى المهابة • ومن
غرس الزهد اجتنى المعزة • ومن غرس الفكر اجتنى الحكمة • ومن غرس
الوقار اجتنى الهيبة • ومن غرس المداراة اجتنى السلامة • ومن غرس

الكبر

الكبر اجتنى المقت • ومن غرس الحرص اجتنى الذل • ومن غرس الطمع اجتنى الخزي
ومن غرس الحسد اجتنى الكمد اللهم خلقنا بالاخلاق الجميلة وجنبنا
الفواحش والصفات الذميمة الرذيلة • واصلح لنا فساد قلوبنا •
واستر ما كان ان يظهر من عيوبنا • يا ارحم الراحمين والانسان
من حيث ما يتغذى فنبات ومن حيث ما يحس ويتحرك فحيوان ومن حيث
الصورة التخطيطية فكصورة في جدار وانما فضيلته بالنطق وقواه
ومقتضاه • ولهذا قال علي رضي الله عنه ما الانسان لولا اللسان
الا بهيمة مهملة وصورة ممثلة فالانسان يضارع الملك بقوة
النطق والعلم ويضارع البهيمة بقوة الغذاء والنكاح فمن صرف همته
كلها الى تربية الفكرة الشهوانية باتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل
الانعام فحقيق ان يلحق بافق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها
كخنزير واما ضريا ككلب واما حقودا كجمل واما متكبرا كنمر او ذا روغان
كثعلب او يجمع ذلك كله فيكون كشيطان مريد وعلى ذلك قال الله تعالى
وجعل منهم القردة والخنازير لكون كثير ممن صورته كصورة الانسان
وليس هو في الحقيقة الا كبعض الحيوان ممن افتخر بخصلة من خصال
الحيوان وزعم ان الانسان خلق خلقة ناقصة عن الوحشيات من حيث
انه لم يكف الملبس كما كفيته ولم يعط سلاحا كما اعطي كثير منها سلاحا
فنظره ناقص اذ قد اعطي الانسان بدل ذلك التمييز الذي يمكنه ان يتخذ
به كل ملبس وكل سلاح يتناوله متى اراد ويضعه متى احب ثم لو اعطي
الانسان بعض الاسلحة التي اعطيها بعض الحيوان لم يمكنه ان يستعمل
غيره ومن الناس واحد كالف ومنهم الف كواحد شعر

ولم ار امثال الرجال تفاوتا … لدى المجد حتى عد الف بواحد

والانسان الكامل هو الذي لم يبطره الغنى ولم يستكين في الفاقة اي لم
يخضع فيها ولم تبهره المصائب ولم يامن الدوائر ولم ينس العواقب
وقد تقدم شيء من ذلك في الفصل الخامس من الباب الخامس والاربعين
وياتي شيء منه في الباب الثمانين واما قول الله تعالى وخلق الانسان
ضعيفا قال طاوس اي اذا نظر الى النساء لا يصبر وعن مصعب بن سعد
قال كان سعد يعلمنا هذا الدعاء ويذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اعوذ بك من فتنة النساء واعوذ بك من عذاب القبر وعن
مكحول في قول الله عز وجل لا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة وهي
بضم الغين المعجمة وسكون اللام شهوة الضراب بكسر الضاد المعجمة اي الوطي
وقد خلق الله تعالى في الانسان القلب واللسان وقد ورد فيهما المرء
باصغريه القلب واللسان فاما القلب فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال الا ان لكم وان فى الجسد مضغة اذا اصلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله الا وهى القلب ولمهذب الدين بن مسهر فى معنى ذلك وما

ولما اشتكيت اشتكى كل ما على الارض واعتل شرق وغرب
لانك قلب لجسم الزمان وما صح جسم اذا اعتل قلب

وقيل ان القلب محل الشهوات ولهذا قيل اشتهى قلبى كذا وكذا من الشهوات
النفسانية والى هذا اشار الاحنف بن قيس حيث قال

قلبى الى ما ضرنى داعى يكثر احزانى واوجاعى
لقل ما ابقى على ما ارى يوشك ان ينعانى الناعى
كيف احتراسى من عدوى اذا كان عدوى بين اضلاعى

وانما سمى قلبا وفى ذلك يقول بعضهم

وكنت اظن ان جبال رضوى تزول وان ودك لا يزول
ولكن القلوب لها انقلاب وحالات ابن آدم تستحيل

وسيأتى بالباب الخامس والثمانين ما يتعلق بقساوة القلب ويوذب
القلب اذا قسا بالذكر قال رجل للحسن يا ابا سعيد اشكو اليك قسوة
قلبى فقال اذبه بالذكر ولكن للذكر سبعة شروط من حاذها فى ذكره
حال الكمال بالتو رفض العوايق ثم تسكين الجوارح . ثم لغته ستره عن فكره
ثم اعتقاد جلاله وجماله . ثم اجتهاده فى الحضور بسره . ثم امتداد
الوقت . ثم تحفظ بالنور بعد فراغه من ذكره وقال مالك بن دينار
ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى واما اللسان فهو دليل القلب
وله فوايد سبعة عشر معدومة فى الجوارح يجب على اللبيب معرفتها
الاولى انه اداة يظهر بها البيان والثانية انه شاهد يخبر عن الضمير
الثالثة انه ناطق يرد به الجواب الرابعة انه حاكم يفصل به الخطاب
الخامسة انه شافع تدرك به الحاجات السادسة انه واصف تعرف
به الاشياء السابعة انه واعظ ينهى عن القبيح الثامنة انه معتذر
يذهب الضغينة التاسعة انه شاكر يستوجب به المزيد العاشرة
انه مادح يستحق الزلفى اى القربة الحادية عشر انه حارث يزرع المودة
الثانية عشر انه حاصد يستاصل العداوة الثالثة عشر انه مسلى يذكر
القلوب الرابعة عشر انه معز يرد به الاحزان الخامسة عشر انه مونس
يذهب بالوحشة السادسة عشر انه دليل على ما بطن فى القلوب السابعة
عشر انه مخبر عما علن من الاخبار ان سألته اوضح وان استنطقته افصح
وهو رسول العقل الى السامعين . واداته التى يجمع بها بين متفرق الحكم
قال الشاعر ان اللسان معبر بفصاحة . عن عقل صاحبه وعن حمقاته
وهو سيف قاطع لا تامن حده . والكلام سهم نافذ لا تامن رده . وطعن

اللسان انكى من طعن السنان قال الشاعر

جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

وفى كليلة ودمنة قد تصل النصال الى الاجواف فتستخرج وتندمل
جراحتها والقول اذا وصل الى القلب لم يستخرج وفى كتاب الهند
الفاس يقطع به الشجر فتنبت والسيف يقطع به اللحم فيندمل واللسان
لا يندمل جرحه ولا يلتئم ما قطع به وفى الامثال عثرة الرجل تزل القدم
وعثرة اللسان تزيل النعم قال كسرى انوشروان ما ندمت على ما لم اقل وقد
ندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر انا على رد ما لم اقل اقدر منى على رد ما
قلت وقال ملك الصين الكلمة ما لم اتكلم بها املكها فاذا تكلمت بها ملكتنى
فينبغى للانسان ان لا يتلجلج بلسانه ولا يبوح بسره لاخوانه باح راح
ومن سكت استراح قال ابو الحسين بن شبل احفظ لسانك لا تبح
بثلاثة سر ومال لما استطعت ومذهب فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة
بمكفر وبحاسد ومكذب وفى هذين البيتين من انواع البديع اللف
والنشر المشوش اذ المراد من باح بالمال ابتلى بالحاسد ومن باح بالسر
ابتلى بمكذب ومن باح بمذهبه ابتلى بمكفر والمراد هنا بالمذهب الاعتقاد
فان كل ذى اعتقاد له ذو اعتقاد يخالفه فى اعتقاده فيكفره وقال
بعضهم لسانك اسد ان امسكته حرسك وان اطلقته افترسك
وقال ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكيا والحافظ ابو نعيم فى حلية الاوليا
عن الشعبى انه قال مرض الاسد فعاده السباع ما خلا الثعلب فنم عليه
الذئب فقال اذا حضر فاعلمنى فلما حضر اعلمه فعاتبه فى ذلك قال كنت
فى طلب الدواء لك قال فاى شىء اصبت قال خرزة فى ساق الذئب ينبغى
ان تخرج فضرب الاسد بمخالبه فى ساق الذئب وانسل الثعلب وخرج
فمر به الذئب بعد ذلك ودمه يسيل فقال له الثعلب يا صاحب الخف
الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر الى ما يخرج من راسك قال الحافظ
ابو نعيم لم يقصد الشعبى من هذا سوى ضرب المثل وتعليم العقلا وتنبيه
الناس وتاكيد الوصية فى حفظ اللسان وتهذيب الاخلاق بكل طريق
وقد خص الله تعالى الانسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوانات
وليس فى سائرها من يضحك ويبكى غيره وقيل ان الابل تبكى ولا تضحك
والقرد يضحك ولا يبكى قال الله تعالى انه هو اضحك وابكى وفى ذلك اقوال
عن الحسن اضحك اهل الجنة فى الجنة وابكى اهل النار فى النار وقيل اضحك
الاشجار بالنوار وابكى السحاب بالمطر واضحك من شاء فى الدنيا باذ
بسره وابكى من شاء عسره الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر
وقال ذو النون اضحك قلوب المؤمنين العارفين بشمس معرفته وابكى قلوب

الكافرين بظلمة تكذيبه وقال سهل بن عبد الله اضحك قلوب المطيعين بالرحمة وابكى العاصين بالسخط وقال بسام بن عبد الله اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم والضحك يكره في خمسة اماكن ياتي ذلك في السابع والثمانين وفيه شي يتعلق بالضحك وللانسان اخلاق منها ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى وهو طبع ابن ادم على اللوم شانه التدنو ممن يتباعد منه والتباعد ممن دنا منه وقال بعضهم في ذلك

تعاندني الايام فيمن احبه ... كاني خصم للزمان عنيده
يفارقني من لا اريد فراقه ... ويصحبني في الناس من لا اريده

وفي اداب السياسة ما ملخصه ما من انسان الا وفيه من خلق الحيوانات وبعض النبات فمن الناس غشوم اي ظلوم بمعنى ظالم كالاسد وعايث بالياء آخر الحروف اي مفسد كالذيب وخب اي خداع كالثعلب وشره اي غلب عليه الحرص كالخنزير وجامع كالنمل ووقح اي قليل الحياء كالذباب وبليد اي لا ذكاء له كالحمار والوف كثير الوفا اي لا يغدر بصاحبه اذا اطلقه بل يرجع وغيور كالديك وهاد اي ساكن كالحمام ومنهم الحسن المنظر والمخبر كالاترج ومنهم من مخبر بنو آدم كالنبت ونبت الارض الوان فمنه شجر الصندل والكافور والبان ومنه شجر افضل ما يحمل قطران وقال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على ذلك فمنهم الخبيث والطيب والحزن والسهل والاسود والابيض وقال بعض الحكماء الناس اربعة اصناف صنف موسوم بخير وصنف موسوم بشر وصنف موسوم بخير وشر وصنف موصوف بعدم الخير والشر وقيل الناس اربعة اصناف بالتقسيم العقلي اقول وفي ذلك يقول الشاعر

اربعة في الناس ميزتهم ... افعالهم باطنة ظاهره
فواحد دنياه موفورة ... لكنه ليس له آخره
وآخر دنياه منقوصة ... لكن له آخرة وافره
وثالث يحظى بكلتيهما ... يسعد في الدنيا وفي الآخره
ورابع حيران ما بينهم ... ليس له دنيا ولا آخره

ثم قال صاحب اداب السياسة والمومن الخير كالنحل ياكل من اطايب الاشجار فلا يقطف ثمرا ولا يكسر شجرا ولا يوذي بشرا ثم يعطي الناس ما يكثر نفعه ويحلو طعمه ويطيب ريحه والمنافق الشرير اللئيم هو في الحيوانات كالقمل والارضة في الاشجار كالكشوث لا اصل ولا ورق ولا نسيم ولا زهر ويفسد الثمار وييبس الاشجار وكالسمرة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها وقد تقدم القول في الكشوث وما قيل فيه في الباب

الثامن

الثامن وقد ضبطه الجوهري بكاف مفتوحة بلا همزة في اوله ولم يذكر انه بالهمزة في لغة وهل يتغير طباع الانسان او غيره قيل لا يتغير قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل لك ان جبلا زال عن مكانه فصدق واذا قيل ان رجلا زال عن طبعه فلا تصدق وقال سقراط كل شي يستطاع قلبه الا الطبيعة وقيل نقل الطباع من ذوي الطباع شديد الامتناع ويفهم من قوله من ذوي الطباع ان من تطبع بطبع غير طبعه شديد الامتناع يمكن ان ينتقل عما تطبعه وقال الشاعر

وما هذه الاخلاق الا غرائز ... فمنهن محمود ومنها مذمم
ولن يستطيع الدهر تغيير خلقة ... لئيم ولا يستطيعه متكرم

اي لا يستطيع لئيم ولا كريم تغيير طبعهما ولو اجتهدا في ذلك الدهر كله ومن قال انه يستطاع تغييره استدل بقوله تعالى وعظهم وقل لهم قولا بليغا وقول النبي صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم قالوا ان للمواعظ والآداب والعلوم تاثيرا والغالب ان الطبع لا يتغير والتطبع مكتسب في معرض الزوال ويقال الطين اذا لم يرزق بوشر وكذلك الكحل بفتح الكاف والمهملة في العين كالطبع لا يزول والتكحل كالتطبع في معرض الزوال ولذا قال الشاعر ليس التكحل في العينين كالكحل وقال

عجز الطبيب ان يغير طبعه ... والطبع في الانسان لا يتغير

انتهى ملخصا بزيادة يسيرة ويحكى ان بعض السلاطين كان يقول ان الطبع يتغير وكان وزيره يمنع ذلك فعلم السلطان هرة اذا ناداها تاتي اليه فيشير اليها فتجلس بين يديه فيضع على راسها سراجا موقودا فتستمر حاملته الى ان ينقضي مجلسه مع ندمائه فيامر برفع السراج عن راسها ويامرها بالذهاب فتذهب فوقع في بعض الايام الكلام بين السلطان والوزير في ذلك فقال الوزير هذا تطبع سريع الزوال فقال السلطان هذا لا يزول واحضر الليلة عندنا لترى ذلك فقال الوزير سمعا وطاعة ثم اتى الى منزله ومسك فارة واخذها في كمه وتوجه الى السلطان فلما دخل الليل نادى السلطان الهرة فحضرت وجلست بين يديه فوضع السراج على راسها واشتغل السلطان بالكلام فاطلق الوزير الفارة فرامتها فلما راتها وثبت عليها ورمت السراج فقال الوزير ها قلت لمولانا السلطان ان هذا يزول وكل شي يرجع الى طبعه الاول وهذه لما رات الفارة رجعت الى طبعها ورمت السراج ووثبت فاعترف السلطان للوزير بقوله وفي آخر النوادر ان اعرابيا وجد ولد ذيب مطروحا على قارعة الطريق فرحمه وحمله الى خيمته وكانت له شاة يحلبها فعلقه بالشاة حتى رضع منها ورباه حتى كبر والف بالشاة فغاب الاعرابي واهله يوما عن وطنه فقصد

الذئب الى الشاة فشق بطنها واكل من لحمها ما اكل فلما عاد الاعرابي وجد ما فعله الذئب وجعل يقول

غذيت بدرّها ونشأت فينا ... فما يدريك ان اباك ذيب
قتلت شويهة وفجعت قوما ... بشاهتهم وانت لنا ربيب
اذا كان الطباع طباع سوء ... فما ينفعه ما ادب الاديب
فلا لبن يفيد ولا حليب

وفي كلستان للشيخ سعدي بمعنى ذلك

عاقبت كرك زاده كرك شود ... كرچه با آدمى بزرك شود

الباب الثاني والسبعون في الاطعمة التي فيها الدواء وفيه فصلان

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة ابواب متفرقة من البستان فجعلت الاول منها هذا الباب وجعلت الاثنين الاخرين فصلين له كما تراه اذ الثلاثة من نمط واحد قال الفقيه رحمه الله تعالى روى شهر بن حوشب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء للسم وقال الربيع بن خيثم ليس للنفساء عندي دواء الا الرطب ولا للمريض الا العسل وروى الاعمش عن ابي صالح قال في حق الربع ثلث سمن وثلث عسل وثلث لبن ويعجن ويشرب وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فابردوه بالماء قال الجوهري في الصحاح فاحت ريح المسك تفوح وتفيح فوحا يقال فاح الطيب اذا تضوع اى تحرك فانتشرت رائحته وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جعل الله البركة في العسل وفيه شفاء من الاوجاع وقد بارك عليه سبعون نبيا عليهم السلام وقال علي ايضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اشتكى احدكم شيئا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها فليشتر بها عسلا ثم ليشرب بماء السماء فيجمع الله له الهنيء والمريء والشفاء والماء المبارك وروى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالاثمد فانه ينبت الشعر ويشد البصر وفي اخر ويجلي البصر اقول اما الكمأة قال في التقريب واحدها كمء وتشبيهها بالمن كونها لا مؤنة في زرعها وسقيها انتهى او كما ان المن انعام الله تعالى على عباده ينزل من السماء ولا يعلم اصله فكذلك الكمأة تخرج من الارض لا يعلم اصلها انعاما من الله تعالى وذكر صلى الله عليه وسلم نفعها ووجد انه بالاكتحال بمائها قال بعضهم يدخل فيها المرود قبل طبخها ويخرج ويكتحل به وقيل بعد طبخها وقيل بمائها الذي تطبخ فيه بمفرده وفي شرح المصابيح يخلط

ماؤها

ماؤها بالادوية لا ان يقطر بلا ادوية وذكر بعض الاطباء انها مضرة اكلا وانها ذمّ الارض ويحتمل ان يكون في جعلها من المن دليل على ضررها اكلا اذ المن نزل على الشجر اذاها فكذلك هي اذ نزلت على المعدة آذتها قال الشاعر

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا ... من المكارم حتى يثمر الشجر
ولا تشنه بمنّ فالذي نقلوا ... من شيمة المن ان تودي بالشجر

وفيه انواع من البديع اذ المن الاول بمعنى تعداد العطية على المعطى فانه ينكسر خاطره بتعدادها عليه والمن الثاني هو الحلاوة التي هي من عطية الله تعالى يعني لا تشن الجميل بالمن فتؤذي الممنون عليه كما يؤذي المن الشجر والعجوة ضرب من اجود التمر بالمدينة ونخلتها تسمى لينة وفي التقريب عن الفائق هي تمر بالمدينة من غرس النبي صلى الله عليه وسلم انتهى فيحتمل ان التي غرسها صلى الله عليه وسلم اخذها من غرس الجنة فغرسها لا من غرس الدنيا فاخبر صلى الله عليه وسلم انها من الجنة وانها شفاء للسم فيكون الشفاء لها في عجوة غراسه صلى الله عليه وسلم وفي المصابيح فيها شفاء مكان وهي شفاء قال الشارح اى هذا النوع من التمر فيه لذة وشفاء من السم فكانه من الجنة لان طعامها يزيل الاذى والتعب وكون العسل فيه شفاء من الاوجاع يعني بعضها كذا قال بعض المفسرين ولانه صلى الله عليه وسلم لم يقل في حديث علي رضي الله عنه فيه شفاء من الاوجاع كلها وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل ذكر في المصابيح وقد تقدم ذكر العسل والنحل في الباب السادس عشر وفي الخامس والخمسين

الفصل الاول فيما جاء في الاطعمة قال الفقيه رحمه الله تعالى روى الاحوص بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نعم الادام الخل والزيت اقول وفي مرآة الزمان روت ليلى ام عمر بن عبد العزيز عن ابيها عاصم عن جدها عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نعم الادام الخل وكذا في المصابيح فاجتمعت الروايتان على الخل وفي المصابيح عن ام هانئ قالت دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعندك شيء قلت لا الا خبز يابس وخل فقال هاتي ما اقفر بيت من ادم فيه خل اى ما خلا وساق الجوهري في الصحاح حديثا وهو ما اقفر بيت فيه خل واما الزيت فورد في المصابيح انه صلى الله عليه وسلم قال كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وقال ابن الانباري الادام الذي يطيب الخبز ويصلحه ويلتذ به بالاكل وجمعه أدُم بضمتين والأدْم بضم الاول وسكون الثاني مثل الادام

والجمع ادام كحلم واحلام وكان مالك بن دينار ياكل في كل ليلة رغيفين
بملح جريش فقيل له الا تاكلهما بادم فقال ادمهما ان يكونا سخنين ثم
قال الفقيه وروى عمرو بن دينار عن ابي جعفر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ليس يفتقر بيت فيه خل وروى عن معاوية بن ابي سفيان انه قدم
عليه وفد فقرب اليهم طعاما ثم دعا ببصل فقال كلوا من هذه الفحا
فانه قل ما اكل قوم من فحا ارض فضرهم ماؤها وقال انس بن مالك رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبه اقول يحل اكل البصل على حالة
السفر لما ذكر او في البيت بان لا يدخل المسجد ثم قال الفقيه وروى
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما لقمت رمانة قط الا بقطرة من ماء
الجنة وروى عن علي رضي الله عنه انه قال اذا اكلتم الرمانة فكلوها
بشحمها فانه دباغ المعدة بكسر الدال من دباغ كذا وفي نسخة بفتحها
وتشديد الموحدة وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان احب الثمار اليه البطيخ والرطب واحب المرقة اليه
من القرع وروى عن طلحة بن عبد الله عن ابيه انه قال دخلت على
النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده سفرجلة فالقاها الي وقال دونكها
اي خذها يا ابا محمد فانها تجم الفؤاد وقال وهب بن منبه وجدت
في بعض الكتب في البطيخ عشر خصال طعام وشراب وفاكهة وخلال واشنان
وريحان وينفخ المعدة ويشهي الطعام ويصفي اللون ويزيد الماء في
الصلب قال الفقيه ويستحب للرجل ان يوسع على اهله بالطعام والشراب
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ليحب البيت
الخصيب وقال ابرهيم النخعي كانوا مخاصيب لرجال يوسعوا في الطعام
والشراب وفي اللباس يجوزوا يعني كان الاولون يوسعون على العيال
في المطعم والمشرب ويقدرون في الملبس وقال عمر رضي الله عنه
اكثروا خير بيوتكم من الطعام والشراب فرب رجل كثير المال قليل الخير في
البيت وقال الحسن ليس في الطعام اسراف اذا وسع على اهله انتهى بكلامه
اقول قال في الصحاح الفحا بالفتح مقصورا البصل وفي الحديث من اكل
فحا الارض لم يضره ماؤها يعني البصل انتهى وقوله ما لقمت رمانة قال
في التقريب لقم الشيء بفتح اوله وكسر ثانيه اي ابتلعه وقوله تجم الفؤاد
يعني تريح القلب وفي الصحاح الجمام بالفتح الراحة ويقال اني لاستجم
قلبي بشيء من اللهو لاقوى به على الحق انتهى والاشنان بضم الهمزة وكسرها
لغة معروف وهو فارسي معرب واسمه بالعربية الحرض بضم المهملة
الاولى وسكون الثانية وبيت خصيبا الخصب بالكسر ضد الجدب بفتح
الجيم ويقال بلد خصيب ومكان مخصب وخصيب واخصب القوم اي

صاروا

صاروا الى الخصب ومن الفواكه التي فيها عشر خصال ما ذكره القاضي
البيضاوي رحمه الله تعالى في تفسير سورة التين والزيتون قال خصهما
الله تعالى من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء
لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع ويلين الطبيعة ويحلل البلغم ويطهر
الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن
وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة
وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع انتهى وقد تقدم اول هذا
الفصل الامر باكل الزيت والادهان به الفصل الثاني في اكل اللحم قال
الفقيه رحمه الله تعالى كان المتقدمون يستحبون اكل اللحم ويرغبون
فيه وكرهوا المداومة عليه وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انه قال كلوا اللحم فانه ينبت اللحم ويزيد في السمع وقال رضي الله عنه من
لم ياكل اللحم اربعين ليلة ساء خلقه وقال الزهري اللحم يزيد سبعين
قوة وروى عن عبد الملك بن مروان انه لما دفع اولاده الى الشعبي ليؤدبهم
فقال له جز شعورهم لتشد رقابهم واطعمهم اللحم لتشتد قلوبهم
وجالس بهم الرجال ليناقضوهم الكلام وانما نكره المداومة عليه لما روي
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا بني تميم لا تديموا اكل اللحم فان له
ضراوة كضراوة الخمر وروى عن عمر رضي الله عنه انه كان اذا راى رجلا
يكثر الاختلاف الى القصابين ضربه بالدرة فقال ان له ضراوة كضراوة
الخمر وروى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
يبغض الحبر السمين واهل بيت اللحمين قال بعضهم يعني الذين يكثرون
اكل اللحم وقال بعضهم الذين يغتابون الناس فياكلون لحومهم بالغيبة
وروى ابو عمرو الشيباني عن ابن مسعود رضي الله عنه انه راى مع رجل
دراهم فقال ما هذه فقال اريد ان اشتري بها سمنا لرمضان قال اذهب
فادفعها الى امراتك ومرها لتشتري كل يوم بدرهم لحما فهو خير لك وروى
هشام بن عروة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقطعوا
اللحم بالسكين كما تقطعه الاعاجم ولكن انهشوا نهشا فانه اهنأ وامرأ
انتهى بكلامه اقول قد تقدم في الباب السابع ان احب الطعام الى النبي
صلى الله عليه وسلم اللحم وكان يقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام
في الدنيا والاخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وفي اداب
السياسة في باب المباهلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الماكل
اللحم وسيد المشارب الماء وانا سيد ولد آدم ولا فخر وسياتي في الباب
الرابع والسبعين ان الماء سيد الشراب وتقدم في باب الطب ان ادامة
اكل اللحم وقيل السمين منه يورث النسيان وقال الحافظ برهان الدين

الناجي بالنوذي في رسالته فيما يورث الفقر والنسيان وورد ان من اكل اللحم
اربعين يوما متوالية قسا قلبه ومن تركه اربعين يوما متوالية ساء خلقه
وعن عيسى عليه السلام انه مر برجل وهو ياكل لحما فقال اللحم ياكل لحما اف لهذا
والضراوة بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة خفيفة العادة قال في الصحاح
يقال ضري الكلب بالصيد ضراوة اي اعتاده وكلب ضار واضراه صاحبه
اي عوده وقد ضريت بذلك الامر ومنه قول عمر رضي الله عنه اياكم وهذه
المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر وفي المغرب الاناء الضاري المعتاد بالتخمير
والمعنى ان اللحم يتخمر في المعدة فيحصل للانسان منه صفة وخاصية من
صفات الخمر وخاصيتها مما لا يحمد والله اعلم واما النهي عن تقطيع اللحم اي
المطبوخ والامر بالنهش منه فهو في حق من مقدم اسنانه ثابتات يمكنه
بها النهش واما من لا قدرة له على ذلك خصوصا اذا لم يمكنه تقطيعه
باليد فله ان يقطعه بالسكين قال في الصحاح النهس بالمهمله وبالمعجم
اخذ اللحم بمقدم الاسنان وسياتي شيء مما يتعلق باللحم في الباب الرابع
والثمانين الباب الثالث والسبعون في قلة الاكل قال
الفقيه رحمه الله تعالى ينبغي للرجل ان لا يكثر من الاكل ولا ياكل فوق
الشبع فان ذلك مذموم عند الله وعند الناس وهو مضر بالبدن
عن بعض الاطباء انه قيل له تجد الطب في كتاب الله تعالى قال نعم قد
جمع الله تعالى الطب كله في هذه الآية كلوا واشربوا ولا تسرفوا يعني
ان الاسراف في الاكل تتولد منه الامراض وقال الحسن البصري رحمه
الله تعالى حلية الرجل اربعة اشياء ان يكون قادرا على خلقه بفمه
الخاء ويتكلم بالوزن ويتقابل برأسه ماله الدخل والخرج ويحفظ المدخل
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان من السرف ان ياكل الرجل كلما يشتهي
وروي عن سمرة بن جندب ان ابنا له اكل حتى اتخم فتقيا فقال له سمرة
لو مت ما صليت عليك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما ملأ من ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن
صلبه فان كان لا محالة بد فثلث لطعامه وثلث لنفسه ويقال
في كثرة الاكل ست خصال مذمومة الاولى انه يذهب خوف الله من
قلبه الثانية ان تذهب منه رحمة الخلق لانه اذا شبع يظن انهم
شبعا والثالثة ان يثقل عن الطاعة والرابعة اذا سمع كلام الحكمة
لا يجد فيه الرقة والخامسة اذا تكلم بالحكمة والموعظة لا ينجع في
قلب الناس والسادسة تهيج منه الامراض ويقال اربع خصال
في الطعام فريضة واربع سنة واربع ادب واثنان دواء واثنان
مكروه فاما الاربعة التي هي فريضة فاولها ان لا ياكل الا من حلال

والثاني

والثاني ان يعلم انه من الله تعالى والثالث ان يكون راضيا به والرابع
ان لا يعصي الله تعالى في اخره والثالث ان يغسل يديه قبل الطعام
وبعده والرابع يثني رجله اليسرى وينصب اليمنى نصبا عند الجلوس
واما الاربعة التي هي ادب فاولها ان ياكل مما يليه والثاني ان يصغر
اللقمة والثالث ان يمضغه مضغا ناعما والرابع ان لا ينظر الى لقمة
غيره واما اللتان هما دواء فاحدهما ان ياكل مما سقط من المائدة
والثانية ان يلحق القصعة بالاصابع واما اللتان نهي عنهما
فهما مكروهتان ان يشم الطعام وان ينفخ فيه وان ياكله حارا
حتى يبرد ورأس الداء كثرة الاكل ورأس الدواء قلة الاكل انتهى كلامه
اقول كثرة الاكل تولد الامور الردية قال الثلجي بالثاء المثلثة والجيم
تركت الطعام واقللته حتى ذهب عني العرق والمخاط والنوم وقيل انه
تضربا ربها الافراط في الاكل اتكالا على الصحة والتفريط في العمل
اتكالا على القدرة وتكليف ما لا يطيق اتكالا على القوة وقال ابن الرومي
فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام والشراب فدع عنك الكثير فكم كثير
يعاف وكم قليل مستطاب وما اللجج الملاح بمرويات وتلقى الري في
النطف العذاب وقد تقدم في الباب السبعين في الطب شيء مما يتعلق
بالجوع والاكل واما الاسراف وحده فحدوه بانه مجاوزة الحد الا عتدال في
النفقه والاكل وغير ذلك وقيل هو في المال انفاقه في المعصية سواء
قل او كثر حتى قال مجاهد رحمه الله تعالى لو انفقت مثل ابي قبيس ذهبا
في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما في معصية الله تعالى
كنت مسرفا وقيل للحسن بن سهل وزير المامون وكان كثير العطا لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير واما الاربعة المذكوره انها حلية الرجل
فليس فيها ما يدل على السرف والظاهر ان مراد الحسن من حفظ المدخل
والمخرج ان يحفظ الانسان جهته الذي يدخل اليه والذي يخرج منه بان
يكون الداخل اليه من مكان حلال والخارج منه يكون في الحلال او ان
مراده ان يحفظ الانسان فمه مما يدخل فيه من المأكل والمشرب الحرام
ويخرج منه من النطق الحرام وفرجه من الوطي الحرام باعتبار كون الفم
مدخلا والفرج مخرجا والله اعلم واما قول عمر رضي الله عنه ان من السرف
ان ياكل الرجل كلما يشتهي فقد روى الفقيه في باب اكل الفالوذج وهو
الباب التسعون من هذا الكتاب حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من السرف اذا اكل الانسان كلما يشتهيه وفي اعتدال القلوب
عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من
السرف ان تأكل كل ما اشتهيت فاذا اكل الرجل من كل ما يشتهيه

فقد اكثر من الاكل ولم يقلل منه وينبغي ان ياكل الانسان كل يوم مرة لانه يفضا
الطعام الذى قبله قال ابن سينا اجعل غداءك كل يوم مرة ❊ واحذر
طعامان قبل هضم طعام ❊ وقال جعفر رضي الله عنه لكل شئ ضد ❊
وضد العقول شبع البطون ❊ وكما ان الاكل فوق الشبع يضر بالبدن
لكونه سببا للتخمة بالتجربات مثل الحمرة والعامة تسكنها وهي فساد
الطعام في المعدة وانه اذا فسد فيها وانتشر في البدن نضره فكذلك
الجوع يضره قال صاحب البردة

واخش الدسايس من جوع ومن شبع ... فرب مخمصة شر من التخم

فقدم لتحذير من دسايس الجوع على دسايس الشبع لكون ضرورة الجوع اكثر
من ضرورة الشبع واكد ذلك برب المقتضية هنا تكثير مدخولها وهو
المخمصة وهي الجوع والمورث خمص البطن اى ضموره ولذا اكره بمقابلة
المفرد بالجمع في قوله فرب مخمصة شر من التخم وقد بين بعض الشراح
للبردة مضرات الجوع فقال والنحوى احذرن من مكر الجوع الوافر فانه يشوش
الباطن ويضعف الظاهر ويثير الافكار الفاسدة ويهيج الخيالات
الباطلة ويفضي الى فساد الدماغ والخبل ويحلل المواد المحمودة بلا بدل
وقد كان النبي يقول اللهم انى اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع استعاذ
صلى الله عليه وسلم منه لانه يوجب ضعف البدن عن القيام بوظايف
الطاعات ويقتضي الفتور عن اقامة الاوراد في الساعات واخشين
ايضا من مكر الشبع فانه من شر البدع لان كثرة الاكل ولو من الحلالات
البتات يورث التوانى في وظايف الاوقات ويجر الى مباشرة المناهي والشهوات
واعلم ان المرضي منهما ما روى فيه الطريقة الوسطى فانه من مستحسنات الشرع
وموجب لزلفى انتهى الباب الرابع والسبعون في الامتناع
عما يضر البدن والدماغ من الماكولات وغيرها قال الفقيه رحمه الله تعالى
يقال ان البدن في ايام الخريف والشتاء اقوى لحمل الطعام لان المعدة
تسخن فيهما فتنضج الطعام وفي الصيف والربيع تبرد المعدة
فتضعف عن حمله لبرودتها وتقل قوتها في الانضاج ويقال الاكثار من
شرب الماء البارد في ايام الصيف اقل ضررا وفي ايام الشتاء اكثر ضررا
فينبغي ان يستقل منه في ايام الشتاء وينبغي للرجل ان يحترز من شرب
الماء بالليل بعدما نام فان ذلك يبرد المعدة ويخاف منه العلل الا ان
يكون الحرارة قد غلبت عليه او كانت به الحمى اقول شرب الماء مضر في
خمسة اماكن يجمعها قول الشاعر

توق شرب الماء في خمسة ... فانها جالبة للاسقام
عقيب حمام والنوم والا ... غناء والوطئ وبعد الطعام

وقال الآخر في معناه

من رام صحة جسمه وقوامه ... ابدا ولا يعتل طول مقامه
لا يشربن الماء خمس اماكن ... وهي الاصول لدائه وسقامه
بعد الجماع ونومه وصباحه ... وعقيب حمام واكل طعامه

ثم قال الفقيه واذا اراد النوم وهو ممتل ينبغي ان ينام اولا على يمينه
بموافقة السنة ثم يتحول الى يساره فان ذلك اهضم للطعام والحركة والتقلب
من جانب الى جانب انفع له ولا ينبغي للرجل ان ينام على بطنه الا من عذر
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى رجلا وهو مضطجع على
بطنه فركضه برجله وقال لا تضطجع هكذا فان هذه ضجعة يبغضها
الله تعالى ولو ان رجلا كان ممتليا بطنه وهو يخاف وجع البطن فلا باس
بان يجعل وسادة تحت بطنه وينام عليها ليستمرى بها لان ذلك حالة
عذر والضرورات تبيح المحظورات ثم يتوب من كثرة الاكل ويقال شرب
الماء البارد قبل الطعام يطفى نار المعدة ويهزل البدن وشربه بعد الطعام
يسخن المعدة ويسمن البدن واذا اكل الرجل فاكهة مثل التفاح والمشمش
والعنب او الزبيب ونحو ذلك فلا ينبغي له ان يشرب الماء على اثره فان ذلك
يفسد المعدة وينبغي له ان ينتظر بعد اكله ساعة او ساعتين او اكثر ثم
يشرب الماء فانه اقل ضررا واذا اكل ارزا حارا او شيئا من الحلو حارا او باردا
فلا يشربن على اثره ماء باردا فان ذلك يضر بالانسان فان اراد شربه فليأكل
لقمة او لقمتين من الخبز ثم يشرب فان ذلك اقل ضررا اقول وكل ما ذكر من
ضرر الماء فهو قول الحكماء وانما هو حيوة الانسان في الدنيا والسبب للسعادة
في الاخرى لانه به تحصل الطهارات للطاعات وقد قال الله تعالى
وجعلنا من الماء كل شئ حي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الماء سيد الشراب وفي اداب السياسة ان الماء صفي النفس وقوام البدن
ومن فضيلته ان كل شراب وان رق وصفا وعذب وحلا ليس بعوض
منه بل يطيب بما زجته ويعذب بمخالطته وقد وصف الحكماء الاشربة
كلا بوصف وقدموا الخمر على ما سوى الماء فيرانها الى الدم اقرب قال
الله تعالى ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس
واثمهما اكبر من نفعهما وفي النهج الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور
وقيل للعباس بن مرداس لو شربت النبيذ لازددت جراءة فقال ما كنت
لاصبح سيد قومي وامسي سفيههم وعاتب ابو الضحاك صديقا له على شرب
الخمر والنبيذ فقال انما اشربه لانه يهضم الطعام فقال له ما يهضمه من
دينك اكثر وروى ان ابا شيبة مر بغلام يلعب في التراب فقال لا تفعل
يا احمق فقال له الغلام الاحمق الذى يشترى الحمق بماله ويدخله في راسه وبقي

فى جيبه ويسلح فى ذيله ويمسى محمرًا ويصبح مصفرًا ورُئى سكران وقد
سقط وكلب يلحس فاه وهو يقول شعر

• اخوكم ومولاكم وكاتم سركم • ومن قد نشا فيكم وعاشركم دهرًا •

وقال افلاطون حرام على الملك السكر لانه حارس المملكة ومن القبيح ان
يحتاج الحارس الى من يحرسه وقيل للاسكندر الا تشرب فقال قبيح بملك
ان يغلبه الخمر بعد ان غلبت جميع الملوك وقيل لاعرابى الا تشرب الخمر فقال
والله ما ارضى عقلى صاحيا فكيف ارضاه سكرانا وقال الشاعر

• عيرتنى ترك المدام وقالت • ما جفاها من الكرام اديب •
• هى تحت الظلام نور وفى الا • كباد برد وفى الخدود لهيب •
• قلت يا هذه عدلت عن الرشد • وما للرشاد فيك نصيب •
• انه للستور هتك وبالالبا • ب فتك وفى المعاد ذنوب •

قال الفقيه ويقال اكل الخبز الحار مع الحوك يهيج الديدان فى البطن
قال فى الصحاح الحوك بفتح الحاء المهملة وسكون الواو والباذروج
وقال ابن المقفع من ادام اكل البصل يعنى غير النضيج اربعين يوما خرج
الكلف فى وجهه فلا يلومن الا نفسه وقال من جمع فى بطنه البيض
واللبن فاصابه البرص فلا يلومن الا نفسه قال البرهان الناجى و
النقرس قال والنبيذ نقيع التمر والمشمش والزبيب والاقسما والفقاع
ونحو ذلك ثم قال الفقيه ومن جمع فى بطنه السمك والبيض فاصابه
وجع النقرس والفالج قال البرهان واحدهما فلا يلومن الا نفسه اقول
ويقال الجمع بين السمك والبيض يولد البواسير والقولنج ووجع الضرس
والجمع بين السمك والبصل النى يولد السودا فى الوجه والجمع بين السمك
واللبن يولد البهق والنزول فى الماء البارد عقيب اكل السمك ربما ولد
الفالج واكل السمك غيظ ربما ولد اللقوة والبيض المصلوق الاكثار منه
يولد الطحال وكذا الكبود ثم قال الفقيه ولو افتصد فاكل على اثره مالحًا
فظهر به الجرب فلا يلومن الا نفسه ويقال اذا اكل الرجل الطعام فلا
يشرب الماء الا بعد ما يفرغ من جميع الطعام فان ذلك ابعد من الضرر
ويقال الاكثار من الحوك يضر بالبصر ولا ينبغى للرجل ان يجمع فى بطنه اللبن
اللبن مع شى من الحموضات او مع البقول والفواكه ويقال الفواكه قبل
الطعام اقل ضررًا وبعده اكثر ضررًا ولا ينبغى للرجل ان يجمع فى بطنه ماء
البئر مع ماء النهر حتى يستمرئ الماء الاول فان ذلك يضعف المعدة
وينبغى ان يكون الاكل فى وقت معلوم لان الاكل اذا كان متفرقا فيأكل
قبل استمراء الاول وانه يضعف المعدة ويقال اربعة لا يحمد عن الابعد
عواقبها احدها الطعام لا يمدح ما لم ينهضم والمقاتل ما لم يرجع والزرع

مالم يورث

بالاسقام

مالم يدرك والمرأة ما لم تمت ويقال الاكثار من اللحم عند الهواجر تهيج منه
ويقال اضر الخبز بالبدن ما كان حارًا عند الخبز واقله ضررا بالبدن ما اتى
عليه ليلة قبل ان يصير صلبا واضر اللحم بالبدن ما كان فى النصف
الاسفل واقله ضررًا ما كان فى النصف الاعلى الى الراس قرب ويقال
اكل الجوز الرطب على امتلاء يورث التخمة واكل اللوز مع الخبز وحده يبطئ
الهضم وكذلك خبز الفطير واكل العرصاد والمشمش على الريق لا باس به
بعد الطعام يورث السقم والمشمش اذا لم يكن نضيجًا فانه يضعف المعدة
والاكثار من التمر يورث فسادا للثة وكذلك الزبيب وساير الحلاوات
وكثرة اكل التين يورث القمل والاكثار من الملح يضر بالبصر واذا سافر الرجل
فدخل لذة فليأكل ولا البصل والخل ليلا ايضر ماؤها والاكثار من البصل
يهيج منه البلغم ويدخل فى عينه الظلم ويقال الاكثار من الحريف الحامض
يجلب الهرم ولا ينبغى للانسان ان يفارقه الدسم فانه اتم للعقل والحلو
يزيد فى اللحم والاكثار منه يضر بالاسنان ويقال العدس يرق القلب
وينشف الدم والاكثار منه يضر بالبدن والقرع يزيد فى الدماغ وقال
على رضى الله عنه من ابتدا غداءه بالملح وختمه به اذهب الله تعالى
عنه سبعين نوعا من الداء وقال من اكل فى كل يوم احدى وعشرين زبيبة
حمرا لم ير فى جسده شيئا يكرهه ومن اكل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل
داء فى جسده وقال اللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والفشفا
رجات تعظم البطن وفى نسخة البدن وترضى الالبتين ولحم البقر داء
ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم والسمن يذيبان الجسد وهذا كله عن
على رضى الله عنه وقد تقدم فى الباب اشياء فى اكل السمك ثم قال
الفقيه ويقال الطيب يزيد فى الدماغ ويتكمل نور البصر ويكره الاستكثار
منه فانه تتولد منه اليبوسة الا الكافور اقول لعله استثنى الكافور
لانه بارد على قول اكثر الحكماء وقال بعضهم ان الكافور البارد هو الذى يكون
داخل قشر شجرته فيخرجونه من داخله واما ما يستخرجونه بتشريط الاغصان
حتى يسيل منها ويجمد فهو حار ويقال له ماء الكافور واما الذى ذكره الرئيس
ابن سينا فى طبايع المشمومات والازهار فى منظومته الكبرى فهو قوله
وكل مشموم وكل زهر فاقض على مزاجه بالحر واستثن منها خمسة ستذكر
الاس والخلاف والنيلوفر والورد فى لونيه والبنفسج فهذه جميعها
تورخ وسيأتى اخر هذا الباب ما يتعلق بالطيب والبخاخير ثم قال الفقيه
ويقال ماء الورد يسرع الشيب واللباس اللين يزيد الدم ولبس الخشن
ينشفه ويقال شدة السرور اسرع بالهلاك من شدة لان السرور طبع
البرودة والبرودة اسرع هلاكا من الحرارة والحزن طبعه الحرارة فانه يتولد

العرصاد بالتحريك قره توت

فالوزج معناه

من الكبد تشتهي بكاء له اقول ولذا قال الفقهاء ان دموع الباكي ان كانت باردة كانت عن سرور وان كانت حامية كانت عن حزن وقال ارسطاطاليس ان كثرة السرور تضعف العقل وفي اداب السياسة السرور غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الجسد والسرور شدة والهم يهد وفي كتاب الهند فضل السرور طيب النفس قال الله تعالى الم نشرح لك صدرك وقال النبي صلى الله عليه وسلم روحوا القلوب بعد الذكر وقال من ادخل على قلب مؤمن فرحا فقد ادخل على فرحا ومن ادخل على فرحا جاء من الامنين يوم القيمة وقال علي رضي الله عنه ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرايف من الحكم وعن وهب بن منبه قال وجدت في حكم ال داود ينبغي للعاقل ان لا يغفل نفسه عن اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها باخوانه الذين ينصحون له في دينه ويصدقونه عن عيوبه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فان هذه الساعة عون لهذه الساعات قال الوا الدمشقي لا تبع عاجل

لا تبع عاجل السرور بزور ... فعساه يعود ولا يعود

وقال غيره

بادر الى اللذات ان هي امكنت ... من ورودهن بوادر الآفات
كم من موخر لذة قد امكنت ... لغد وليس غد له بمواتي
حتى اذا فاتت وفات طلابها ... ذهبت عليها نفسه حسرات
تاتي المكاره حين تاتي جملة ... وترى السرور يجي في الفلتات

وينبغي ان تدخل السرور على من ادخل السرور عليك قال علي رضي الله عنه ليس جزاء من يسرك ان تسوءه يعني بل ان تسره وكذلك ان تدخل السرور على من كان معك في الشدة قال الشاعر

وان اولى البرايا ان تواسيه ... عند السرور فتى واساك في الحزن
ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا ... من كان يؤنسهم في المنزل الخشن

الخشن بالخاء المعجمة والشين المعجمة لا بالمهملتين واعلم ان الاغنياء في زماننا في قبول وسرور واهل الكمال في دبور وشرور شعر في المعنى

من لي بعيش الاغنياء لانه ... لا عيش الا عيش من لا يفهم
الصعو يرتع في الرياض وانما ... حبس الهزار لانه يترنم

والصعو وقد تترك اللذات مخافة من بعض البليات قال الشاعر

وقد يترك الانسان شهوة قلبه ... مخافة عار او حذار تمائم

رجع الى ما يضر البدن قيل لجالينوس ما الذي يهد الرجل قال الغضب والحسد وابلغ منهما الغم وفي المثل الهم نصف الهرم وقيل نفسان خطيتان ان رفقتها حملتك وان عسفتها انقطعت وقيل اذا اكره القلب عمي واذا

كل الخاطر مل وقيل الدنيا كلها هموم فما كان منها سرور فهو ربح قال الشاعر

ان السرور قصيرة ايامه ... اذ لم يراقب وقته لم يوجد

وقد استطرد الحافظ برهان الدين الناجي في رسالته تحذير الاخوان فيما يورث الفقر والنسيان الى ما يضر نوع الانسان فقال بعد حذف بعض اسانيد وتقديم وتاخير مع زيادات يسيرة وتفسير الفاظ ما ملخصه من بات في يده او فمه ريح غمرة وهو الزفر ونحوه لم يزل له فاصابه مرض او شيء من لمس الشيطان له وهو نايم او اصابه لمم وهو طرف من الجنون يلم بالانسان ويعتريه فلا يلومن الا نفسه وفي المغرب الغمر بفتحتين ريح اللحم ومنه منديل الغمر ومن بال في مستنقع وضوءه وغسله فاصابه وسواس فلا يلومن الا نفسه ومن شبك ورد ايضا من توضا على بوله فابتلي ببلاء فلا يلومن الا نفسه ومن شبك بين اصابعه وهو يصلي فاصابه رجز قال المسعودي في شرح المقامات اي عذاب منغلق فلا يلومن الا نفسه ومن لبس نعله وهو قايم فاصابه خبل او نام بعد العصر فاختلس عقله او جن او اغتسل بالليل ولم يستر عورته فاصابه لمم او وطي امراة وهي حايض فقضي بينهما ولد فاصابه جذام او نام في قبلة مسجد وحده فابتلي ببلاء او نام على اسكفة باب فاصابه شي او استند على راس الخلا فذهب بصره او وضع سواكه بالارض اي لم ينصبه قايما الى شي فجن او اكل الاترج ليلا فاتخول فلا يلومن الا نفسه وعن الشافعي رضي الله عنه من اكل اترجا ثم نام لم آمن ان تصيبه ذبحة وهي وجع يعرض في الحلق من الدم وقيل هي قرحة تظهر فيه فينسد معها وينقطع معها النفس فتقتل وفي المشارق هي داء كالخناق ياخذ الحلق فيقتل صاحبه وفي الغريبين هي قرحة كالذبحة التي تاخذ الحمير وهي بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة وعلى فتحها اقتصر صاحب المشارق في اللغة وقال ابن الاثير وقد تسكن وقال ابن الجوزي لم يعرفها ابو زيد التسكين الذي عليه العامة وفي القاموس الذبحة كهمزة وعنبة وكسرة وصبرة وكتاب وغراب وانما يحدث ذلك من اكله الاترج ليلا لان الجن لا يحب الاترج والليل وقت تسليطهم فينبغي اكله واستعمال بزره ونحوه نهارا لا ليلا ومن نظر في المراة ليلا فاصابه داء اللقوة بتقديم القاف على الواو وتاخيرها عنها لغة العوام فلا يلومن الا نفسه وهي والذبحة هنا من اصابة الجن وقد يحصلان من غير ذلك قال في مشارق اللغة اللقوة هي الريح التي تميل احد جانبي الفم ومن داوم على اكل الكلى فاعتقرت مثانته وهي مجمع البول ومستقره باطن العانة فلا يلومن الا نفسه ومن جمع بين اللبن والسمك اكلا فاصابه جذام او برص فلا يلومن الا نفسه او نقرس وهو وجع الرجلين فلا يلومن الا نفسه قال جامع هذا الكتاب عفا الله عنه

الجمع بينهما يولد البهق وهو غير البرص ويحكى ان رجلا سمع طبيبا يقول من
جمع بين السمك واللبن اكلا ودخل الحمام فانه يحصل له جنون فجمع ذلك الرجل
بينهما من غير قصد ثم دخل الحمام فلما استقر فيها ذكر قول الطبيب فخرج من
الحمام عريانا مكشوف الراس حافيا واتى مسرعا الى السوق فلما وقف على الطبيب
قال له يا طبيب سمعتك تقول كذا وكذا وقد جمعت بين الثلاثة اللبن والسمك
والحمام ولم يحصل لي جنون فقال له الطبيب واى جنون يكون اعظم من هذا
لو كنت عاقلا لاكملت غسلك ولبست ثيابك واتيت الي بالسكون وسلمت على
كذبتني فيما قلته قال البرهان الناجي ومن اكل بيضا مصلوقا باردا حتى
يمتلئ منه فاصابه ربو اى تهيج وضيق نفس واكل بيضا حتى يتخم منه
فاورثه الطحال او قلم اظفاره ثم حك بها جسده قبل ان يغسل رؤسها فاتاه
برص فلا يلومن الا نفسه كذا ذكره شمس الدين الغمري وقيل النوم في القمر حال
الكسا فانه يورث البرص وقال الموفق بن قدامه في مغنيه والمحب الطبري
في احكامه وغيرهما قيل ان ذلك بعض الجدوة لـ الناجي وفي الحديث الالهي
الصحيح المشهور يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد
خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وكذا في حديث الصور
الذي رواه الطبراني وغيره انه تعالى يهتف يوم القيمة يا معشر الجن والانس
اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا اسمع اقوالكم وابصر اعمالكم وصحفكم
فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه انتهى كلام
البرهان الناجي بما زيد عليه وقد تقدم الوعد في اثناء هذا الباب ان اتي في
آخره بما يتعلق بالطيب والبخاخير فاقول احسن ما جربته من البخاخير ان تاخذ
من الحصا لبان الجاولي زنة ماية درهم ومن السكر الابيض خمسة دراهم
ومن العود العالي ثمانية دراهم ومن الظفر درهمين ومن العنبر الاسود
العالي ثمانية دراهم ومن العنبر الخام مثقالا واحدا ومن الزباد نصف درهم
ومن المسك العالي مثله ومن ماء التفاح البلدي الشامي وكل تفاح يكون
زكي الرايحة وزن عشرين درهما يدق التفاح بقشره بعد اخراج داخله ويعصر
ماؤه ثم يدق ومن الحوايج ما يدق ناعما ويكسر بالمسك بيسير من ماء الورد
الخاص ثم يدق وزن عشرة دراهم من ورق الآس الاخضر بيسير من ماء الورد
ويعصر ويوخذ ماؤه ثم تذيب العنبر الخام والعنبر الاسود بالنار في صحن
من النحاس الاحمر وضع عليها الحوايج المسحوقات واخلطه لتختلطا جيدا
على نار لينة وانت تزيد عليه من ماء الورد الممسك ومن التفاح والآس بعد
خلط المياه الثلاثه قليلا قليلا الى ان ينفد ذلك كله وان لم تكف المياه فزده
من ماء الورد حتى يتم نفعه وتغمره المياه ثم اعمل الحوايج اقراصا على قدر ما تريد
وصف الاقراص في صحن صيني او صحن مدهون وان فضل شي من المرقة

فاسحق

فاسحق بها الاقراص المذكورات كلما نشفت حتى تفرغ فاذا يبست الاقراص
ومنعت ضعها في زجاج وسد عليها ليبسها لئلا تعفن في الزجاج وان
اردت عمل فتايل فخذ من البخور المذكور وزنا معينا ثم اخلطه بقدر خمسه
من فحم شجر الكرم بالماء الذي فضل من عمل الاقراص وان لم يفضل منه شي
فبماء الورد والتفاح والآس كما تقدم بعد ان تضيف اليه بقدر ربع الفحم
سكرا ابيض واعمله فتايل ونشفه واستعمل منه وقت الحاجة فتايل اخر
ملوكيه عنبر خام درهم عود مسحوق درهم يذاب العنبر ويلت به العود
ثم يوضع عليه وزن نصف درهم من فحم الكرم ويعجن بماء ورد ذيب
فيه قيراط من المسك وربع درهم من الكافور ودرهم من السكر الابيض
ويعمل فتايل على النار وان عجن بكثيرا كما ياتي فهو اولى فتايل ايضا وذلك
تخلط البخور اى نسخة كانت بمثله فحم كرم وان اردت حملته من الفحم بقدره
مرة ونصف مرة ثم فتله بالكثيرا المنقوعة بماء الورد والتفاح والآس
حتى يبقى في قوام النشا المطبوخ ويجفف ويستعمل عمل العود المطبس يوخذ
من العود القماري العالي خمسون درهما يجرمش بقدر الصنوبر واكبر منه وينقع
في ماء الورد يوما وليلة ويوخذ من السكر النبات خمسة دراهم يحل بماء
الورد على النار ويترك على ناحية ثم يوخذ من العنبر الخام اربعة مثاقيل
ومن المسك مثقالان يوضع ذلك في صحن نحاس متساوي الوسط املس
ويوضع على نار لينة الى ان يذوب فاذا ذاب اقلب عليه السكر المذاب
المحلب وحركه الى ان يغلي ثم خذ العود ونشفه وارمه على ذلك وحركه الى ان
يعقد السكر عليه فاذا انعقد عليه نزله عن النار فاذا فترت حرارته
افركه بوزن درهمين زباد وانشره في صحن صيني الى ان ينشف فانه غاية
صفة اخرى للعود المطبس وهى ينقع العود المجرمش في ماء الورد ويجفف في
الظل يفعل ذلك عشر مرات ثم يذاب العنبر الخام في قليل من ماء الورد وسكر
نبات بحيث يلبس العود ويخلط ويجفف فاذا جف ولصق بعضه ببعض
ادهن يديك بشي من الزباد وافركه حتى ينفصل بعضه من بعض وجففه
واستعمله ند يسمى بالخليج من كلام السمرقندي صاحب الاسباب والعلامات
عود هندي اوقيه مسك اوقيه عنبر خام اوقيتان يذاب العنبر ويعجن به
العود المسحوق والمسك ويبندق ومن كلامه غالية من غوالي الملوك مسك
ثلاثه مثاقيل عنبر خام مثقال سك مثقالان عود هندي مسحوق مثقالان
دهن البان ثلاثة اواق اخرى من كلامه عود مثقالان سك مثله صندل
مثله قرنفل درهما زعفران دانق سنبل دانقان يعجن بشي من النضوح وهو
ماء العنب والتمر المطبوخ مع الرياحين المخلوط بالطيوب المجرب بها وصفة
اتخاذ النضوح يوخذ من الرب الكوفي وهو عسل التمر ويقال له سيرج التمر يجعل

في برنية من حجر لم يصبها دسومة او قدر من نحاس مرصص ويصب عليه لكل
جزء ستة اجزاء من ماء صاف عذب ويحل فيه باليد ثم يلقى عليه شيء من
عصارة ماء الآس والتفاح والنمام والورد والمرماجوش ويطبخ بنار معتدلة
حتى ينقص منه الثلث ويرفع ويلقى عليه من السنبل والقرنفل والسليخة من
كل واحد نصف اوقيه على قدر عشرة ارطال من المنضوح وشيء من ميعة
وماء كافور فائدة من كلامه وجه تسمية الغالية انه اهديت قارورة
الى معاوية فيها طيب فقال كم انفق عليها قيل له كذا قال هي غالية فسميت
غالية واما الملطخات فانها تعمل سريعة ويتلطخ بها وهي انواع كثيرة بحسب
ما يتصرف الانسان فيها والاصل فيها ماء الورد اكثر المسك والزباد ويضرب
به بعض الادهان الطيبة مثل دهن النسرين والياسمين والترجنا ودهن
زهر النارنج حتى يختلط بها ويدهن بذلك سريعة قبل ان ينفصل ماء الورد
من الدهن وهذا القدر كاف الباب الخامس والسبعون في مباكرة
الغذاء قال الفقيه رحمه الله تعالى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
في مباكرة الغذاء ثلاث خصال يطيب النكهة ويطفي المرة ويزيد في المروة قيل
وكيف يزيد في المروة قال اذا تغذيت في منزلي لم تطمع نفسي لطعام غيري وذكر
ان رجلا دخل على معاوية بن ابي سفيان وهو يتغذى باكرا فدعاه الى الطعام
فقال قد فعلت فقال له معاوية انك لنهم اذا فعلت قبل هذا الوقت
فقال لا ولكن فعلت ذلك لاربع خصال اولها لخلوف الفم والثاني ان عطشت
شربت والثالث اردت حاجة اي قضاء حاجة لبثت فيها وانا فارغ القلب
والرابع ان رايت طعاما رايته ومعي عرضي ويقال الندامة اربعة ندامة
يوم وندامة سنة وندامة عمر وندامة الابد فندامة اليوم ان يخرج الرجل
من منزله قبل ان يتغذى ثم يعرض له عارض فلم يقدر الرجوع الى
منزله فيبقى نادما في يومه كله واما ندامة السنة فهو الزراع اذا ترك
الزراعة في وقتها فيبقى نادما الى آخر السنة واما ندامة العمر ان يتزوج
امراة غير موافقة فيبقى في الندامة الى آخر العمر واما ندامة الابد فهو ان
يترك امر الله تعالى ويغضبه فهو في الندامة ابدا في الآخرة وسياتي في الباب
الثامن والثمانين تعداد اللذات وانها سبعة وقال علي رضي الله عنه
من اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغذاء وليخفف الرداء وليقل غشيان النساء
فقيل له ما خفة الرداء قال لا دين له انتهى يقال له اقول مباكرة الغذاء تكون
لمن يقدر عليها وقد سئل بعض الحكماء عن وقت الغذاء فقال وقته لمن امكنه
اذا احتاج اليه ولمن لا يمكنه اذا وجده

الباب

الباب السادس والسبعون في الحجامة والفصد قال
الفقيه رحمه الله تعالى تستحب الحجامة على الريق وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الحجامة على الريق امثل وفيها شفاء وبركة وتزيد في العقل
والحفظ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما شكا اليه احد الا قال
له احتجم ولا وجعا في رجليه الا قال اخضبها واذا اراد الرجل الحجامة يستحب
له ان لا يقرب النساء بيوم او يومين قبل ذلك وبعده مثل ذلك وكذلك اذا
اراد الفصد واذا اراد ان يحتجم في الغد يستحب ان يتعشى عند العصر في يومه
فانه انفع له ولا ينبغي ان يدخل الحمام في يومه ذلك وقال بعض الاطباء من احتجم
يوم الاربعاء واطلى بالنورة يوم السبت فلا يلومن الا نفسه وعن ابن عباس
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من احتجم يوم
الخميس فحم مات وحكى حمدون بن اسماعيل قال دخلت على المعتصم يوم الخميس
فاذا هو يحتجم فلما رايته وقفت واجما ساكتا حزينا فقال يا حمدون لعلك
ذكرت الحديث قلت نعم يا خليفة الله فقال والله ما ذكرت الحديث حتى شرط
الحجام فحم من عشيته وكان المرض الذي مات فيه وفي ارشاد الطب يجتنب
في الحمام الجماع والنوم والفصد والحجامة وقد صنفت رسايل في الفصد
وليس هذا محلها واعلم ان من استفراغات البدن الاسهال والفصد وقد
نقل افتخار السمرقندي تلميذ النجيب السمرقندي صاحب الاسباب والعلامات
عن ابي علي بن سينا انه قال وقانون الفصد في فصول السنة مثل قانون
المسهل فاما في الصيف فيفصد او يستفرغ في يوم شمالي وفي الطيب وقت
منه هو اول النهار وآخره واما في الشتاء في يوم جنوبي في نصف النهار
لان الحرارة الغريزية مثل هذه الاوقات اقوى لانه ينبغي ان يحتاط في
الصيف اكثر وقد تقدمت في الباب السبعين الاشياء العشرة التي تدل
على صواب الحكم في الاستفراغ المنقولة من خط افتخار المذكور ولا ذكر
ما نقلته من خطه من الاسباب المانعة عن الفصد وهي ثمانية وعشرون
سببا واذكر شيئا من توابعه قال الاسباب المانعة عن الفصد الصبي
والشيخوخة والهزال المفرط والسمن المفرط ورخاوة اللحم وسعة المسام
وبياض اللون مع رخاوة اللحم وصفرة اللون وقلة الدم والحمى والقارورة
الرقيقة النارية والرعدة الصعبة والاوجاع الشديدة والامراض المزمنة
والمزاج البارد والبلد البارد والجوع والخوى والتخمة وامتلاء المعدة
من الطعام وقوة حس فم المعدة وتولد الصفراء في المعدة وضعف فم المعدة
والحمام والجماع والحيض والحبل والاسهال قال واذا وجب الفصد في الحمى
فلا يلتفت الى ما يقال لانه لا سبيل اليه بعد الرابع فسبيل اليه ان وجب
ولو بعد الاربعين هذا راي جالينوس واذا وجد الدم غالبا في الحصبة

لكنه

والجدرى فصدا الى حد الغشى وهذه الرخصة فى اليوم الاول من الحمى الى اليوم
الثالث فاذا ظهر الجدرى والحصبة فى اليوم الثانى والثالث لا رخصة فى الفصد
الا اذا وجد الدم غالبا فانه يجوز اخراج الدم حينئذ قليلا تقليلا للمادة
وتخفيفا على الطبيعة وقد وجدت دآئرة فيها ان الفصد فى كل يوم من اول
الشهر العربى الى الخامس عشر مضرة وان فى الفصد كل يوم من السادس عشر من
الشهر الى آخره منفعة وذلك محمول على ما اذا لم يجب الفصد كما تقدم

الباب السابع والسبعون فى الجماع نفعه وضرره

قال الفقيه رحمه الله تعالى قال ابن المقفع من اتى امرأته فلم يغسل ذكره
فتورثه منه الحصاة فلا يلومن الا نفسه وقال الفقيه ان فعل ذلك كان
انفع وان تركه فارجوان لا يضره لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم

انه كان

انه كان ينام جنبا ولا يمس مآء وقال ابن المقفع من احتلم ولم يغتسل ثم اتى
اهله فولدت ولدا مجنونا فلا يلومن الا نفسه ولا يغرنك قول الجاهل ان
يقول طالما فعلت هذا ولم يضرنى لان السارق لو اخذ فى اول مرة لم يسرق
احد ولو ابتلى احد من اول مرة لم ير فى الدنيا صحيحا ابدا ويقال اذا فرغ الرجل
من الجماع لا ينبغى له ان يغتسل بالماء البارد الا بعد هنيئة حتى يسكن
ما به فانه يخاف منه الحمى وينبغى ان يغسل ذكره بعد فراغه فانه اصح للجسم
وابعد من الآفة ويقال الاكثار من الجماع فى ايام الصيف والخريف اكثر
ضررا وفى الشتآء والربيع اقل ضررا وانقص واسلم والجماع فى حالة
تخلية البطن اقل ضررا وفى حالة امتلاء الجوف اكثر ضررا ويقال اذا جامع
فى حالة الامتلاء فحبلت يكون الولد ثقيل النفس ثقيل الروح اقول لان
البلغم يكون حينئذ كثيرا فى ذلك يقول الشاعر

كان اباه حين جامع امه ... اتاها وفى احليله كوز بلغم
فجآءت به فظا غليظا مبلغما ... عدوا ثقيل الروح والجسم والدم

ثم قال الفقيه وان كان فى حالة تخلية الجوف يكون الولد خفيف الروح
خفيفا للنفس والجماع فى آخر الليل احمد من اوله لان المعدة فى اول الليل
ممتلية (اى الشبع) ويقال اربع يهدمن العمر وربما يقتلن دخول الحمام مع البطنة واكل
القديد الجاف والغشيان وهو الجماع على الامتلاء ومجامعة العجوز ويقال
اذا فرغت من حاجتك فلا يقومن قائما ولكن مل على يمينك واضطجع فان ذلك
اصح للجسم ويقال اذا فعل ذلك يكون الولد ذكرا ان شآء الله تعالى ويقال
لا ينبغى للرجل ان يجامع ما لم يلاعبها ويعرف الشهوة فى عينيها فان ذلك ادرج
للبدن واجدر ان يكون الولد تاما ويقال كل شهوة يعطيها الرجل نفسه فانها
تقسى القلب الا الجماع فانه يصفى القلب ولهذا كان تفعله الانبيآء صلوات
الله عليهم وسلامه اجمعين والجماع قد يكون فيه بعض المنافع وقد يكون
فيه ضرر اما منافعه فهو ان الرجل لو كان به هم شهوة فانه يقل ذلك ولو كان
قلبه متعلق بالحرام يزول عنه الوسواس عن قلبه ويسكن الغضب وينفع
عن بعض القروح فى النفس اذا كانت طبيعته الحرارة ومن مضرته انه
يضعف البدن والبصر ويتولد منه وجع الساقين ووجع الراس ووجع
الظهر وخاصة من كانت طبيعته البرودة واليبوسة والاستقلال منه
احمد وانفع اقول قال ابن سينا

احفظ منيك ما استطعت فانه ... مآء الحياة يصب فى الارحام

ثم قال الفقيه ولا ينبغى ان يتكلم وقت الجماع فانه يخاف على الولد الخرس
لو علقت فى ذلك الوقت وينبغى ان يكونا مستورين فى حال الجماع وروى عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتجردان تجرد البعيرين ويقال الجماع العجوز

يضعف البدن ويسرع الهرم وجماع المريضة يخاف عليه السقم والمرض الا ان يكون
من شبق غالب وكره بعض الاطباء العود الى الجماع قبل ان يغتسل او ينام قبل
ان يغتسل ولكن عندنا انه لو فعل لا باس به وترجى منه السلامة وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم الرخصه في ذلك وانه كان مشفقا على امته
فلو كان ضررا ظاهرا لم يرخص فيه ولا ينبغي للرجل ان يجامع قايما فان ذلك
يضعف البدن انتهى بكماله اقول قال ابن سينا يجب ان يتجنب جماع الحايض
والعجوز والمريضة والتي لم تبلغ مبلغ النساء والتي لم تجامع منذ حين والبكر
فان جميع ذلك يضعف قوة اعضاء الجماع بخاصية ومن اسباب الجذام
تولد الجنين في وقت الحيض وقال البرهان الناجي من جامع فلم يصبر حتى
ينزل المني فاصابه حصاة فلا يلومن الا نفسه الباب التاسع
والسبعون في دخول الحمام قال الفقيه رحمه الله تعالى يكره للانسان
ان يتنور قبل ان يغتسل جاءته كل شعرة يوم القيمة فتقول يا رب سله لم
ضيعني ولم يغسلني ويقال دخول الحمام جايعا يتولد منه اليبوسه في
البدن وان كان في حالة الامتلاء يخاف منه داء في البطن والديدان
في الامعاء ويستحب دخوله بعد ما اكل وبعد ما هضم الطعام قال
ابن المقفع ان دخل رجل الحمام وهو شبعان فاصابه القولنج فلا يلومن
الا نفسه ومن اكل السمك الطري وقام من المايدة ودخل الحمام فاصابه
فالج فلا يلومن الا نفسه واذا اراد الانسان ان يدخل الحمام فلا ينبغي
له ان يدخل بدفعة واحدة الى البيت الداخل ولكن ينبغي ان يمكث في
كل بيت قليلا ثم يدخل في الاخر وكذلك في حال الخروج ويكره ان يصب
على نفسه بعدما يخرج ماء باردا فان شرب ماء باردا فان ذلك يضر بالبدن
ويقال دخول الحمام في ايام الصيف انفع للبدن من ايام الشتاء اقول
وهذا مخالف لما قاله ابن سينا وهو في الصيف الا دخل الى الحمام
بل برد الجسم بالاستحمام لان الجسم يحصل له الارتخاء في الصيف
وحرارة الحمام تزيده ارتخاء فالاستحمام بالماء البارد اولى لانه يصلب الجسم
ثم قال الفقيه ولا ينبغي ان يكون الحمام سخينا جدا في ايام الصيف
وان ذلك يخاف منه الآفة واذا خرج من الحمام في ايام الشتاء ينبغي ان يلبس
ثيابه باسرع ما يمكنه كيلا يجد برد الهوا فيضربه وينبغي ان يغطي راسه كيلا
يصيبه وجع الراس واذا خرج من الحمام لا يقرب امراته تمام يوم وليلة ويقال
الغسل في ايام الصيف بالماء البارد وفي الشتاء بماء سخن انفع للبدن
اذا لم يكن حارا شديدا ولا باردا شديدا انتهى بكماله اقول الحمام يذكر ويونث
كذا في المغرب وقال غيره وهو مذكر وقد ذكر الفقيه من احوالها ما ذكره وانا
اتيك بشي من ذلك قال البرهان الناجي في رسالته في الفقر والنساء من

انطلى

انطلى بالنورة يوم السبت فلا يلومن الا نفسه وفي الهدي النبوي عن الامام
احمد بن حنبل رحمه الله تعالى انه سيل عن النورة والحجامة يوم الاربعا
ويوم السبت فكرههما وقال بلغني عن رجل تنور واحتجم في يوم الاربعا
فاصابه البرص قيل له كانه تهاون بالحديث قال نعم وقال في اكل السمك
الطري والدخول بعده للحمام ان بعضهم حض ذلك بالاغتسال بالماء البارد
واحسن ما وجدته فيما يتعلق بالحمام كلام صاحب الارشاد فيه فانه قال
قال جالينوس الحمام نافع في الشتاء والصيف لمن مزاجه حار او بارد او رطب
او يابس وهو علاج البدن من الضدين ان اخذه حارا عدل له بترطيبه
يعني اذا اخذ الانسان الحمام اي دخله ومزاجه حار عدل له بترطيبه واخذه
باردا اداه بحرارته وهو يوسع المسام ويستفرغ الفضول ويحلل الرياح
ويدر البول ويحبس الطبيعة وينظف الوسخ والعرق ويذهب الحكة
والجرب والاعيا ويلين البدن ويجود الهضم ويبسط الاعضاء المتشنجة
وينضج النزلة والزكام وينفع من حميات يوم والدق والربع والبلغمية
بعد نضجها وينفع من وجع الجنب والصدر وينضج الربو ويسمن المهزول
ويهزل السمين ويرقق الدم والفضول الغليظة اللزجة بحرارته ويرطب
الابدان اليابسة الخشنة برطوبته وله ايضا مضار وهي انه يسهل
انصباب الفضول الى الاعضاء الضعيفة ويرخي الجسد ويضعف الحرارة
الغريزية والاعضاء العصبية ويسقط الشهوة ويضعف الباه وافضل
الحمامات ما كان قديم البنا كثير الضيا مرتفع السقوف واسع البيوت عذب
المياه وكانت حرارته بقدر مزاج الداخل اليه وكان وقوده بما ليس له كيفية
وقد احسن من قال

خير الحمام ما قدم بناؤه ... واتسع هواه وعذب ماؤه
وقدر الاتان وقوده ... بقدر مزاج من اراد وروده

وقسم الحمام الى ثلاثة بيوت كل بيت اسخن من الذي قبله ليكون
الانتقال من البرد الى الحر ومن الحر الى البرد بتجافيه فالبيت الاول مبرد
مرطب والثاني مسخن مرطب والثالث مسخن مجفف ولذلك ينبغي ان يكون
الانتقال في بيوتها على تدريج بختيشوع الحكيم واياك ان تدخل الحمام او
تخرج منه بغتة بل البث في كل بيت هنية واغسل راسك في كل جمعة
تامن انتشار الشعر واخلط السدر بيسير من الملح واستعمل المشط فانه
يقوي البصر ويحدث رايحه وزهوا واغسل الوجه بماء ينقي البشرة واخرج
الملح متدرجا صب عليك ثوبا نظيفا واجتنب النساء يوما وليلة في
واصحاب الامزجة الحارة ينبغي ان يقعدوا في البيت الاول قليلا وفي الثاني
دون الاول والثالث دون الثاني واصحاب البلغم والسودا بالضد واذا

قصد بالحمام الترطيب اطيل المقام في الحوض واكثر رش الماء على ارض الحمام ليكثر البخار
فيرطب الهوا ويتمرخ بالدهن ليزيد في الترطيب ويكون الخروج منه بغير مشقة
وان كان القصد التجفيف اطيل المقام في البيت الحار واقتصر على هواء الحمام
دون مائه ولا يستعمل الماء البارد عقيب الحار لمنافع عظيمة وذلك ان
جالينوس يقول الاغتسال بالماء البارد عقيب الحار يقوي الاعضا ويشد
العصب كما يسقى الحديد المحمى الماء البارد فيصلبه ويحفظ الحرارة الجوهرية
التي في الاعضاء وذلك انها تزيد بالاغتسال بالماء البارد ربوا يسيرا
حتى ان القوى الجوهرية التي في الاعضاء تظهر افعالها جدا لكن لا الانتقال
من الاستحمام بالحار الى الاستحمام بالبارد بغتة بل على تدريج ومن قصد
بالحمام التسمين فيكون دخوله بعد تناول الطعام ومن قصدا لتهزيل
فيكون دخوله على الجوع ويطيل اللبث فيه ومن حفظ الصحة لا غير فيدخل
عند انهضام الطعام من معدته وينبغي ان يتجنب في الحمام الجماع والنوم
والفصد والحجامة فان كل ذلك خطر وكذلك ينبغي ان يتجنب في الحمام
وبعده الاشيا الباردة بالفعل لان المسام حينئذ متفتحة فلربما يلبث ان
يندفع البرد الى جوهر الاعضاء الرئيسه فيفسد قواها وكذلك الاشياء
الحارة الشديدة الحرارة ايضا وخصوصا الماء فانه يحدث السل والدق
واما الدلك في الحمام فان الضعيف منه يحلل المسام ويذوب الاخلاط والقوي
يصلب الاعضا ويحلل الرطوبات والمعتدل يجلب الدم الى الظاهر واما التمرخ
بالدهن بعد ذلك فيسد المسام ويمنع ما يتحلل وبعد الماء الحار يحفظ
الحرارة من التحلل ويسخن ويرطب وبعد الماء البارد يبرد ويرطب واما
الاستحمام بالمياه المالحة فانها تحلل وتلطف وتزيل الرهل وهو استرخاء
اللحم والزبل وهو السمن هذا في اللغة واما عند الاطبا ويمنع انصباب
المواد الى القروح والنحاسية والحديدية والمالحة ايضا تنفع امراض البرد
والرطوبة واوجاع المفاصل والاسترخاء والدماميل والقروح والبورقيه
تنفع الصدر اليابس الضعيف المعرضة لانصباب المواد والاستسقاء
والشبية والزاجية لنفث الدم ونزف المقعدة وانقلابها والتهيج
وكثرة العرق والكبريتيه لاوجاع التمدد والتشنج والبثور والقروح
المزمنه والكلف والبهق وتحلل الفضول المنصبة الى المفاصل والطحال
والكبد الا انها تسقط الشهوة وترخي المعدة والقفرية تسخن الرحم والمثانة
الا انها تملا الراس وكل هذه المياه قد تكون هذه القوى فيها طبيعية
ومستفادة بما يطبخ فيها منها انتهى اقول القفر بضم القاف وسكون الفاء
هو المسمى عند الناس بالحمر بضم الحاء المهملة وفتح الميم مشددة وهو الذي يحل
طبخا بالزيت ويوضع على اعقاب قضبان الكرم بعد كساحتها لمنع

بان القفرية

الدود الى اعين الورق والحمل اليا دياكل ذلك وهو شي شبيه بالزفت يسيل
من جبل على حافة بركة طبرية بالقرب من بيت المقدس والكرك الشوبك فلا يزال
يسيل ويجمد الى ان يصير من الصخرة العظيمة فاذا ثقل انسلخ من الجبل وسقط
الى البحرة بحيث يسمع لسقوطه صوت ها يل يسمعه اهل القرى القريبة منها
فيقولون وقعت بقرة الحمر فاذا سمع نايب القدس ونايب الكرك بسقوطها
اتوا الى البحرة فوجدوا القفر على وجه الماء فان كان من جهة القدس اخذه
نايبها وان كان من جهة الكرك اخذها نايبها وان كان بينهما اقتسماه
ويحصل من ثمنه مال كثير فان رطله في بعض السنين بيع ويجلب اربعين
درهما ثمانية قطع واكثر ولكن ظهر بناحية القصير من مضافات حلب قفر
معدني استعملوه مكان ذلك لرخصه فرخص القفر الاول ولكن فعل القفيري
دون القدسي وقسمة القفر بين نايب القدس ونايب الكرك انما كانت في زمن
الجراكسه واما الآن في الدولة العثمانيه ادامها الله تعالى متصفة بعمل الخيرات
فضبط ثمن ذلك وقوله طبيعيه يعني اذا كانت المياه في معادنها كالماء الذي
يخرج منه الكبريت والقفر والماء الذي ينبوعه في معدن النحاس والحديد فتكون
القوى المذكورة فيها طبيعية وقوله ومستفادة مما يطبخ فيها منها يعني
اذا لم يجد صاحب العلة ماء يوافقه في محله الاصلي فيوضع في الماء الذي
يستحم به شي مما ينسب اليه الماء الذي يوافقه والله سبحانه وتعالى اعلم

البـــاب التاسع والسبعون في النكاح فرض هو ام سنة
وفي صفة المراة التي تنكح

قـــال الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس في
النكاح قال بعضهم هو فريضة وقـــال بعضهم هو سنة ونحن نقـــول
ان تاقت نفسه على النكاح فالافضل له ان يتزوج ان قدر على ذلك وان
تتق نفسه ان شاء تزوج وان شاء لم يتزوج والاشتغال بالعبادة اولى
وافضل واما من قال بانه فريضة فلما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يامر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا
شديدا وكان يقول تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الانبيا يوم القيمة
وفي رواية اخرى مكاثر بكم الامم واما حجة من قول الاخرين فهو ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعكاف بن وداعة الك امراة قال لا قال
ولا جارية قال لا قال وانت شاب موسر قال نعم الحمد لله قال فانك من اخوان
الشياطين ومن رهبان النصارى فان كنت منا فافعل ما نفعل فان من سنتنا
النكاح واما اذا لم تتق نفسه فالاشتغال بالعبادة افضل لان الله تعالى
مدح يحيى عليه السلام بترك النكاح قال تعالى وسيدا وحصورا ونبيا من
الصالحين والحصور الذي لا ياتي النساء الا من علة يعني انه كسر شهوته باشتغاله
بعبادة ربه فاذا اراد ان يتزوج امراة ينبغي ان يتزوج بذات الدين كما قـــال

صلى الله عليه وسلم تتزوج المراة وفي رواية تنكح لمالها وجمالها وحسبها ودينها
فعليك بذات الدين تربت يداك خيرا وقال عليه الصلاة والسلام اياكم
وخضرا الدمن قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء في منبت
السوء وكذا في الصحاح وقال بعض الحكما افضل النساء ان تكون لا بهية من
بعيد مليحة من قريب عذبت في النعمة وادركتها الحاجة فخلوا النعمة
معها وذل المجاعة فيها انتهى بكماله اقول قال الله تعالى في سورة النور
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من
فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم
الله من فضله قال تاج القراء هذا وعد من الله تعالى بالاغنيا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اطلبوا الغنى في هذه الاية وكان
عمر رضي الله عنه يقول التمسوا الغنى في الباءة وقال يغنيهم الله بقناعة
الصالحين وقيل باجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجه وقيل لا تمنعوا
من تزوج العبيد والاما لفقرهم فان الله يغنيهم من فضله وقيل هو يرجع
الى الايامى الاحرار لان العبد لا يوصف بالفقر ولا بالغنى لان ماله لمالكه
وقال ابو على ان يكونوا فقرا عن الجماع يغنيهم الله من فضله وقيل يغنيهم
عن الحرام وقوله تعالى والله واسع عليم اى يوسع على من يشاء عليم بمن
يستحقه وقوله لا يجدون نكاحا اى اسباب النكاح من المهر والنفقة
وقوله ليستعفف اى وليكف عن الحرام والزنا من لم يجد النفقه والمهر حتى
يغنيهم الله من رزقه وقيل يغنيهم بقلة الرغبة وسياتى بالباب
الذي يلي هذا عقيب كلام الفقيه شي مما ذكر بعض الحكماء ومعنى تاقت
نفسه الى كذا يعنى اشتاقت اليه من باب طلب والباءة بتاء مضمومة
قبلها همزة مفتوحة والباه بالالف ساكنة وهاء آخره الجماع وفي المغرب
الباءة الموضع تبوا اليه الابل اى ترجع اليه وتنزل به هذا اصلها ثم
جعلت عبارة عن المنزل مطلقا ثم كنى بها عن النكاح في قوله صلى الله عليه
وسلم عليكم بالباءة اما لانه يكون في المنزل غالبا او لان الرجل يبوء من اهله
حينئذ اى يستمكن كما يتبوء من داره وسياتى ادوية الباه بالملحق بالباب
السبعين والتبتل قال في الصحاح هو الانقطاع عن الدنيا لله تعالى
انتهى والمعنى ان المنقطع عن الدنيا ينقطع عن النكاح ايضا فيكون ذلك
تشبها بالرهبان ولا رهبانية في الاسلام ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
في اول هذا الباب ومن رهبان النصارى والحصور عنه اقوال غير ما ذكره
الفقيه ذكرتها في الباب السادس عند اسم يحيى عليه الصلاة والسلام
والدمن جمع دمنة وهي المنزل الذي رحل عنه من كان نازلا به وترك فيه
السودا والرماد قال الجوهري قال في الصحاح الدمنة اثار الناس وما سودوا

وقال خضراء الدمن يعنى المراة الحسناء في منبت السوء بكسر الباء الموحدة
مثل مسجد وبفتح السين المهملة من السوء قال لان ما ينبت في الدمنة
وان كان ناضرا اى حسنا لا يكون ثامرا انتهى واول جماع وقع بين آدم وحوا
عليهما الصلاة والسلام وهو احد الاطيبين قال في الصحاح الاطيبان
الاكل والجماع واعلم انه كما ينبغي للرجل اذا تاقت نفسه ان يتزوج بذات الدين
فكذلك ينبغي للامراة اذا تاقت نفسها ان تتزوج بذي الدين لان توقانها
اعظم من الرجل فانه قيل ان الله عز وجل ركب في آدم شهوة واحدة وفي
حواء تسعة وتسعين شهوة فلا تقدر ان تصبر عن الرجل اكثر من ستة
اشهر قال الكلبي ضرب عبد الملك بن مروان بعثا اى ارسل جيشا الى اليمن
فاقاموا سنين او سنتين حتى اذا كان ذات ليلة وهو بدمشق قال
والله لاعسن مدينة دمشق ولاسمعن الناس ما يقولون في البعث
الذي اغزبت فيه رجالهم واغزمت فيه اموالهم فبينا هو في بعض ازقتها
اذا هو بصوت امراة قائمة تصلى فتسمع لها فلما انصرفت الى مضجعها قالت
اللهم يا غليظ الحجب يا منزل الكتب ويا معطى الرغب ويا مزجي الغرب ويا
مسير النجب اسئلك ان ترد غائبي فتكشف به همي وتصفي به لذتي وتقر به
عيني واسالك ان تحكم بيني وبين عبد الملك بن مروان الذي فعل بي هذا
فقد صير الرجل نازحا وترك الامراة متعلقة على فراشها ثم قالت تطاول
هذا الليل فالعين تدمع ۰ وارقني حزن بقلبي موجع ۰ فبت اقاسي الليل
ارعى نجومه ۰ وبات فؤادي عانيا يتفزع ۰ اذا غاب عنها كوكب في مغيبه
لمحت بعيني اخرا حين يطلع ۰ وكل حبيب ذاكر لحبيبه ۰ يرجى لقاه كل يوم
ويطمع ۰ فذا العرش فرج ما ترى من صبابتي ۰ فانت الذي ترعى اموري
وتسمع ۰ اذا ما تذكرت الذي كان بيننا ۰ وجدت فؤادي للهوى يتقطع
۰ دعوتك في السراء والضراء دعوة ۰ على غلة بين الشراسيف تلذع ۰
فقال عبد الملك لحاجبه تعرف هذا المنزل وصاحبه قال نعم هذا منزل
يزيد بن سنان قال فما المراة قال زوجته فلما اصبح سال كم تصبر الامراة
عن زوجها قالوا ستة اشهر قال فامر ان لا يمكث العسكر اكثر من ستة
اشهر وروى عن خالد الحذاء انه قال لما خلق الله آدم وحوا عليهما السلام
امره ان يسكن اليها فلما افضى اليها قالت يا آدم ما اطيب هذا زدنا
منه ويقال انه لما نادها وقضى اربه منها قالت له زدني فزادها ثم قالت
زدني فزادها ثم طلبت منه ذلك مرارا متتابعة فلما راى من نفسه العجز
عن ذلك قال يا رب لا طاقة لي بهذا فالقى الله تعالى على حواء الحيا فرجعت
عنه ولولا الحيا في النساء لعجز الرجال عنهن وينبغي للرجل ان يتزوج الولود
لا العقيم وسياتى ذكر العقيم والعقر وعلامات ذلك هل هو من جهة

الامراة اومن جهة الرجل فى الباب الخامس والثمانين واما قول الفقيه
واما اذا لم تتق نفسه فالاشتغال بالعبادة افضل لان الاشتغال بها
يكسر الشهوة فهو من قبيل الزهد والورع واما من قبيل الطب ففى حفظ
المنى صحة الجسم لان خروجه نقص من الدم فانه قيل ان كل درهم من المنى
يخرج من الانسان فهو بمنزلة خروج اوقيه من الدم ولا شك ان كثرة
خروج الدم من الجسد يضعفه وفى ذلك يقول الشاعر

عش عازبا تحظ بعيش هنى · فالعيش كل العيش حفظ المنى
وهو قوام الجسم ان صنته · اصبحت عن كل طبيب غنى

ولاذكر خطبة النكاح هزلية منقولة من نثر الدر عن ابى العيرانة قال
الحمد لله المفرق بين الاحبه ومعيدهم الى التربه خالق الموت ومبدد
الشمل ومبعد الامال من الاهل والاولاد ومدنى الاجال الى من كثرت
عنده الاموال احمده واستعينه واومن به واتوكل عليه واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه
وسلم واشهد ان كل شئ لا محاله زايل وان الاواخر تابعون للاوايل وما
شاركاذ من قضايه ومالم يشا لم يكن فى القابل وقد جعل الله تعالى لكل
شئ سببا وجعل سبب الطلاق غضبا وقد قال عز وجل يا ايها الذين
امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقال يا ايها
النبى اذا طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقال يا ايها النبى اذا طلقتم
النساء فطلقوهن لعدتهن فعليكم بالاقتداء بمن كان قبلكم من الحمقى فقد
سنوا اللحية حولا وللامة شهرا فطلقوهن من بعد سنة واخرجوهن من
بيوتكم فقد قال الاول اذهبى قد قضيت منك مرادى فمتى شئت ان
تبينى فبينى واستدلوا بهن فى كل حول وحولين فان ذلك اذهب للمال
واسخن للعين واحذروا لكيدهن ومكرهن وخلافهن وعقوقهن
فان ذلك شين وعاملوهن بالسب وتعاهدوهن بالضرب لان الله
تعالى يقول واهجروهن فى المضاجع واضربوهن وهذا فلان بن فلان
انتهى وخطب مصعب بن حيان خطبة نكاح فقال لقنوا موتاكم لا اله الا
الله فقالت الجارية عجل الله موتك لهذا دعوناك الباب

الثمانون فيمن يصلح من الازواج ومن الزوجات ومن لا يصلح قال

الفقيه رحمه الله تعالى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اعظم النكاح
بركة ايسرها مونة وروى ان رجلا جاء الى الحسن البصرى رحمه الله تعالى
يستشيره فى تزويج ابنته قال زوجها من رجل تقى فانه ان احبها اكرمها وان
ابغضها لم يظلمها وقال الحسن جهد البلاء اربعة كثرة العيال وقلة المال
والجار السوء وزوج يخونك وقيل لمالك بن دينار وحين ماتت امراته ام يحيى

يا با

يا ابا يحيى لم لا تتزوج قال لو استطعت لطلقت نفسى وقال بعض الاعراب
التزوج فرح شهر وغم دهر وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال ثلاثة كلهم حق على الله تعالى عونهم المجاهد فى
سبيل الله والناكح يستعف بها والمكاتب يريد اداء الكتابة وروى عن
النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا فى بنى اسرايل قال لا اتزوج حتى اشاور
ماية رجل فشاور تسعة وتسعين وبقى واحد فعزم ان اول من لقيه
غدا يشاوره ويعمل برايه فلما اصبح وخرج من منزله لقى مجنونا راكبا على
قصبة فاغتم بذلك ولم يجد بدا من الخروج من عهده فتقدم فقال له
المجنون احذر فرسى كيلا تضربك فقال له الرجل احبس فرسك حتى اسالك
عن شئ فوقف قال انى كنت عاهدت ان استشير اول من استقبلنى وانت
اول من استقبلنى واريد ان اتزوج كيف اتزوج قال النسا ثلاثة واحدة
لك وواحدة عليك وواحده لك وعليك ثم قال احذر فرسى كيلا تضربك
ومضى فقال الرجل فى نفسه انى لم اساله عن تفسيره فلحقه فقال يا هذا
احبس فرسك تحبسه فدنا منه وقال له فسره لى فانى لم افهم مقالتك
فقال اما التى هى لك فالبكر فقلبها وجمالها لك ولا تعرف احدا غيرك واما
التى عليك فالمتزوجة ذات ولد تاكل مالك وتبكى على الزوج الاول واما التى
هى لك وعليك فالمتزوجة التى لا ولد لها فان كنت خيرا لها من الاول فهى
لك والا فهى عليك ثم مضى فلحقه الرجل فقال له ويحك تكلمت بكلام الحكماء
وعملك عمل المجانين فقال يا هذا ان بنى اسرايل ارادوا ان يجعلونى قاضيا
فابيت فالحوا على فجعلت نفسى مجنونا حتى نجوت منهم وروى ان رجلا جاء
الى داود عليه السلام وقال اريد ان اتزوج فكيف اتزوج فقال له داود اذهب
الى سليمان وسله وكان سليمان ابن سبع سنين فخرج الى سليمان فوجده
يلعب مع الصبيان وهو راكب على قصبة فاتاه قال اريد ان اتزوج فقال له
سليمان عليك بالذهبة الحمراء والفضة البيضاء واحذر الفرس كيلا تضربك
ومضى فلم يفهم جوابه وقد كان داود عليه السلام امر الرجل ان يرجع اليه ويخبره
بجوابه فرجع اليه فاخبره فقال داود اما الذهبة الحمراء فالمراة البكر واما
الفضة البيضاء فالثيب الشابة وقوله احذر الفرس كيلا تضربك يعنى
اياك والعجوز ذوات الاولاد وروى انس بن مالك رضى الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان يامرنا بالباءة وينهى عن التبتل نهيا
شديدا ويقول تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الانبياء يوم القيامة
وروى عبد الله بن عمرو بن العاص وفى نسخة عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الله تعالى لعن اربعة وامنت عليه الملايكة رجلا
تحصر ولم يجعل الله حصورا وامراة تذكرت وانما جعلها الله امراة ورجلا

تحنث والله تعالى خلقه ذكرا والذي يضل الاعمى عن الطريق انتهى بكماله اقول
قد تقدم في الباب الذي قبل هذا تفسير الباءة والتبتل والحصور واما الامر
بالتزوج بالولود وهي التي تكون كثيرة الحمل والولادة فالعلة فيه لاجل كثرة
وجود الولد لما ذكره صلى الله عليه وسلم من التكاثر بامته يوم القيمة وليست
قليلة الولد كالولود فينبغي للرجل ان لا يتزوج العقيم من النساء ولا العاقر
لعدم حصول المراد من الولد وهو التكاثر وسياتي بالباب الحادي والثمانين
تفسير العقم والعقر وما يتعلق بهما وما به يعرف العقيم من غيره واما قوله تعالى
في سورة الشورى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء البنين او يزوجهم
ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما ويجعل من يشاء عقيما فقد قال بن عباس
الاية خاصة في الانبياء عليهم السلام وهب الله تعالى للوط عليه السلام بنات
ولابرهيم عليه السلام بنين ولمحمد صلى الله عليه وسلم البنين والبنات وجعل
عيسى ويحيى عليهما السلام عقيمين وسياتي بالملحق بباب الطب وهو السبعون
ادوية العقم الذي يكون له سبب وان ما كان منه من غير سبب فلا دواء له
وكان مالك بن دينار يقول يتزوج احدكم ديباجة الحي فتاخذ بقلبه فتقول له
اي شي تريدين مرطا من كذا وكذا فتمرط دينه ولو تزوج يتيمة ضعيفة فكساها
واطعمها كان له اجر لكان خيرا له وديباجة الحي اي حريرته اي حسناؤه والديباج
الخد ذي الوجه يعني الوجيهة من اهل الحي والمرط كساء من صوف او خز يوتزر به
وربما تلقيه المرأة على راسها وتتلفع به قال الجوهري وتلفعت المراة بمرطها اي
التحفت به وقال زبتود الشاعر الحكيم لا ينبغي للرجل ان يتزوج امراة حسنة
فانها تزها على زوجها وتكثر عشاقها الزهو الكبر وقد مر في الباب الخامس عشر
بغير هذا المعنى وقال بعضهم لا تتزوج بحنانه ولا بمنانه ولا بمنغصة
الحصير فالاولى الارملة كلما غضبت قالت كان زوجي كذا كذا والثانيه هي التي
اذا غضبت تمن عليك باثاثها وفرشها وخصوصا اذا قرضتك شيئا من مالها
والثالثة الشريرة التي اذا غضبت ضربت الحصير بيدها ضربا عنيفا كانها تنفض
عنها الغبار وتقول غدا اعرفك مقدارك عند القاضي واقول مدح النساء و
وذمهن كثير واليهما فيما اقول اشير واما ما قيل في مدحهن فقد قال
صاحب اداب السياسة لولا النساء لفني الرجال وقد قرن الله تعالى ذكرهن
بذكر الرجال فقال تعالى في سورة الاحزاب ان المسلمين والمسلمات والمومنين
والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين
والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين
والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقيل في تاويل قوله تعالى ربنا اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة ان حسنة الدنيا المراة الموافقة وقال النبي صلى الله

عليه وسلم ما استفاد المرء فائدة بعد الاسلام خيرا من زوجة صالحة تسره
اذا نظر اليها وتطيعه اذا امرها وتحفظه في نفسها وفي ماله اذا غاب عنها انتهى
وينبغي للرجل ان يشكر الله تعالى على الزوجة الجميلة ويصبر على الزوجة القبيحة
ففي مرآة الزمان ان عمران بن حطان دخل يوما على زوجته وكان قبيحا ذميما قصيرا
وقد تزينت وكانت حسناء فلما نظر اليها ازدادت في عينه حسنا فجعل يديم
النظر اليها فقالت ما شانك فقال لها قد اصبحت والله جميلة فقالت ابشر فاني
واياك في الجنة قال ومن اين علمت قالت لانك اعطيت فشكرت واعطيت
مثلك فصبرت والشاكر والصابر في الجنة والانسان لا يسكن الى احد
لسكونه الى زوجته لان الله تعالى خلق حواء ليسكن اليها ادم عليه السلام
قال الله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن
اليها فالسكون اليهن والانس بهن مما ورثه بنوا آدم من ابيهم ادم عليه
السلام وقيل ان المراة تانس الى زوجها اكثر من جميع اهلها فارادوا
امتحان ذلك فاحضروا امراة وابويها واخوتها وجميع اهلها وعروها
بغتة فتركت جميعهم واستترت بزوجها وعن الاصمعي عن رجل من
بني ضبة قال اضللت ابلا لي فخرجت في طلبها حتى اتيت بلاد بني سليم
فلما كنت في صحرائها اذا انا بجارية اغشى بصري اشراق وجهها فقالت
ما بغيتك اني ارى الامد لها اي متحير فقلت ابل لي ضلت فانا في طلبها
قالت فتحب ان ارشدك الى من عنده علم ذلك قلت نعم قالت الذي اعطاكهن
اخذهن ولو شاء ردهن فسله من طريق التيقن لا من طريق الاختبار
فاعجبني ما رايته من جمالها وحسن منطقها وقلت هل لك من بعل قالت
كان والله فدعي فاجاب الى ما منه خلق وهو التراب ونعم البعل كان
قلت فهل لك في بعل لا تذم خلايقه ولا تخشى بوايقه فاطرقت طويلا ثم
رفعت راسها وعيناها تذرفان وانشدت

كنا كغصنين في اصل غذاؤهما   ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه   دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني ان خانني زمن   ان لا يضاجع انثى بعد مثواي
وكنت عاهدته ايضا فعاجله   ريب المنون قريبا من سنيات
فاصرف عنانك عمن ليس يردعها   عن الوفاء خلاب في التحيات

قال فانصرفت وتركتها قوله اغشى بالغين المعجمة اي غطا والخلايق جمع خليقة
وهي الطبايع والبوايق والخلاب بالجيم المكسورة الفصيحة وقيل اختلاط
الاصوات وارتفاعها كذا في المغرب وفي اعتلال القلوب عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا صلت المراة خمسها وحفظت فرجها واطاعت
بعلها دخلت الجنة وفيه انه صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امراة اتقت

ربها واحصنت فرجها واطاعت زوجها قيل لها يوم القيمة ادخلي من اي
ابواب الجنة شئت وفي نوادر الاخبار ان اسما بنت زيد وفدت على النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت بابي انت وامي يا رسول الله انه ليس في شرق
البلاد وغربها امراة الا وهي مثلي ترى ان الله تعالى بعثك للرجال والنساء
فامنا بك وبالذي ارسلك وانا معاشر النساء محصورات مقصورات
قواعد بيوتكم ومواضع شهواتكم وحاملات اولادكم وانتم معاشر الرجال
فضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وتشييع الجنايز والحج ثم
افضل من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى وانكم اذا خرجتم حجاجا ومجاهدين
وتجارا ومسافرين حفظنا لكم اموالكم وربينا لكم اولادكم افنشارككم
في الاجر يا رسول الله فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وقال
هل سمعتم مقالة امراة احسن في مسئلتها عن امر دينها من هذه المراة
فقالوا يا رسول الله ما ظننا ان امراة تهتدي في دينها الى مقالتها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انصرفي ايتها المراة واعلمي من خلفك من النساء
ان حسن تبعل احديكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته
يعدل ذلك ان شاء الله تعالى فانصرفت تهلل وتكبر استبشارا واما ما قيل
في ذمهن ففي الكتاب المذكور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت
على امتي بعدي اضر على الرجال من النساء وقال ان اخوف ما اخاف على امتي
النساء والخمر وفي رواية ما خلفت على امتي اضر من النساء والخمر وقال
ابرهيم بن ادهم من احب افخاذ النساء لم يفلح وقال طاوس مثل المراة الصالحة
كمثل الغراب الابيض في الف غراب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اعدا عدوك زوجتك التي تضاجعك وما ملكت يمينك وعن عبد الله بن
الزبير رضي الله عنهما قال قام فينا عمر بن الخطاب على باب الجابية فقال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا كمقامي فيكم ثم قال الا لا يخلون
رجل بامراة فان ثالثهما الشيطان واتت عايشة العدوية الحسن فرحب
بها واد في مجلسها وقال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
مصافحة النساء لصافحتك وعن علي رضي الله عنه قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تكلم النساء الا باذن ازواجهن وعن ابرهيم
النخعي قال كانوا يكرهون مجالسة ابناء الملوك وقال مجالستهم فتنة انما هم
بمنزلة النساء يريد انهم بغير لحى ومتزينون بالذهب والحرير دايما وروى
حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال النظر الى المراة سهم
من سهام ابليس مسموم فمن اعرض عن ذلك السهم اعقبه الله عبادة ومسرة
انتهى وورد في بعض الكتب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما النساء عي وعورة
فكفوا عيهن بالسكوت واستروا عوراتهن بالبيوت والمراة لا تؤمن على

الرجال كما لا تؤمن الرجال على النساء قال الشاعر

لا تامنن على النساء اخ اخا ... ما في الرجال على النساء امين
ان الامين وان تحفظ جهده ... لا بد ان بنظرة سيخون

وقالت هند ابنة المهلب وكانت من عقلاء النساء شيان لا تؤمن المراة عليهما
الرجال والطيب وقال علي رضي الله عنه لا تطيعوا النساء على حال ولا تامنوهن
على مال ولا تذروهن لتدبير العيال ان تركن وما يردن اوردن المهالك
وازلن الممالك لا دين لهن عند لذتهن ولا ورع لهن عند شهوتهن
ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن بالبهتان ويتمادين في الطغيان
ويتصدين للشيطان وروى القرطبي في التذكرة من كلام سيدنا علي رضي
الله عنه انه قال ايها الناس لا تطيعوا النساء ولا تودعوهن سرا فانهن
ان تركن وما يردن افسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن
في خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة
بهن كثيرة فاما صوالحهن ففاجرات واما طوالحهن فعاهرات واما
المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث خصال من اليهود يتظلمن
وهن الظالمات ويحلفن وهن الكاذبات ويتمنعن وهن طالبات وفي
نسخة راغبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن
والسلام واعلم ان المراة لا تحب الشايب من الرجال الا اذا كان ذا مال قال
الشاعر

فان تخبروني بالنساء فانني ... خبير باحوال النساء طبيب
اذا شاب راس المرء او قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب

لان وجدن فيه الصفتين . فهو عندهم شين الشين . اذ يستدللن
بالشيب على قلة الجماع . ويفقدن بقلة المال جمع المتاع . وقال الشاعر

وخود دعتني الى وصلها ... وعصر الشبيبة مني ذهب
فقلت مشيبي ما ينطلي فقا ... لت بلى ينطلي بالذهب

واشترى بعض الخلفاء جارية فقال لها من تحبين من الرجال فقالت
احب من الرجال من يكون شعره فاحما . وجماعه دايما . قال فان لم يستطع
ذلك فقالت من تكون خلعته سنيه . ولقمته هنيه . فان لم يستطع ذلك
فقالت يرخي الستور . ولا يكون غيور . قال لها فان لم يستطع ذلك
فقالت فيعمل بما قال الرحمن . فاما مسك بمعروف او تسريح باحسان وقال
الشاعر

لكل عجوز اسود اللون ابيض ... على صدر سود الذوايب كاعب
احب اليها من معانقها الذي ... له لحية بيضاء فوق الترايب

الفاحم الاسود شديد السواد والترايب الصدر وقال الاخر

عند الكواعب انهن كواكب ... لا يجتمعن مع الصباح اذا بدا

وقد اطنب صاحب اداب السياسة في ذمهن فقال قال الله تعالى ان من

ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فقدم الازواج على الاولاد لانهم
منهن وقال صلى الله عليه وسلم كن من خيارهن على حذر وسئل
بعض الحكماء عن المراة فقال هي موت لا يرام وعذاب ليس فوقه عذاب
ان ايسرت اضعفتك بلسانها وان اعسرت اكلتك باسنانها هي ظالمة
ودمعها جار • وتذنب وصوتها عال • وتحلف وجرمها معلوم معروف
وتهرم واخلاق الصبا فيها • وتتناول لسانها لا يكل وراى رجل جارية
تحمل نارا فقال نار على نار والحامل شر من المحمول • وراى آخر امراة في ملعب
فقال لها خرجت لترى • واستشار رجل سقراط الحكيم في التزويج فقال له
احذر من ان يعرض لك ما يعرض للسمك في المصيدة فان الخارج عنها •
يطلب الدخول فيها • والداخل فيها يطلب الخروج منها • وتزوج بعض
الحكماء امراة نحيفة فقيل له في ذلك فقال اخترت من الشر اقله • وفي سنا
الامارة ان عجوزا نظرت الى رجل يريد ان يعرس وقد زين داره وكتب على بابها
لا يدخل هذا الباب شيء من شر فقالت له وامراتك من اين تدخل وعوتب
الكسائي في ترك التزويج فقال مكابدة العفة عنهن ايسر من الاحتيال
لمصلحتهن وقيل لحكيم فلان عدوك مات فقال وددت ان تقولوا تزوج
وراى بعضهم سفيان بن عيينه واقفا على باب بعض البرامكة فقال
له مثلك في زهدك وفضلك وفقهك تقف في باب هذا فقال متى رايتم
صاحب عيال افلح وفي الجملة فاكثر المصائب التي تجري على الرجال تكون من النساء
وقال الشاعر

اذا وجدت لهو امنها الكبود تفتت … فتش عليها بحرها من النساء نائت

وقال آخر

ان كنت ذا ضعف وفيك حمية … ولديك حزم فاحذر النسوانا
كم من كئيب قد ذهبن بلبه … وجعلن مكسب حزمه خسرانا

وقيل للاسكندر لو تزوجت امراة دارا فقال قبيح بنا ان نغلب الرجال وتغلبنا
النساء والمراة سبع فقد قيل لسقراط اي السباع احسن قال المراة ولذا
قيل المراة سبع والرجل كلب فلا يقدر الرجل على الوصول الى المراة الا ان تطعمه
في نفسها وقيل من المروة مجانبة النساء لقلة مروتهن وضعف عقولهن
وتلون اخلاقهن وقذر احوالهن وفي مرآة الزمان عن سعيد بن المسيب
رضي الله عنه انه قال وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى
عينيه وهو يعشو بالاخرى ما عندي شيء اخوف من النساء وفي رواية
ما ايس الشيطان من شيء الا واتاه من قبل النساء وقال قلة العيال احد
اليسارين واما انتخابهن فقد قال الله تعالى فالصالحات قانتات حافظات
للغيب بما حفظ الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم عليك بالحرة فانها اطهر
وابرك وقال عليه الصلاة والسلام خير النساء وابركهن الحسناء الولود الودود

الحنفية المهر وقيل لخالد بن صفوان انا لنا نفقات تموت فلا تبكيك حرة
فلو تزوجت فقال اطلبوا الى ثيبا ادبها الغنى معها وذل الحاجة فيها
حسبي ان تكون فخيمة من بعيد حلوة من قريب لم تذهب في السماء طولا
ولم تنحط في الارض قصرا ترضى مني باليسير واريها كثيرا وقد تقدم في
الفصل الخامس من الباب الخامس والاربعين انهن عشرة اصناف وقال الشاعر

وخير نساء الدهر ما وافق الغنى … وكان لها عقل ووجه يزينها

وينبغي ان يتخذ منهن من تكون مشهورة بحسن التدبير وللشافعي في ذلك

اذا لم تكن في منزل المرء حرة … تدبره ضاعت مصالح داره

واما اوصافهن الدالة على بعض احوالهن باعتبار بلادهن فقد قال
صاحب كتاب الفراسة في المقالة السادسة الروميات اطهر ارحاما من
غيرهن الاندلسيات اجمل صورا واطيب ريحا واكثر تحببا واحمد عاقبة
واسخن فروجا التركيات اطيب جماعا الى خمس وعشرين ثم يظهر اثر اكل
اللبن عليهم ونساء اللان اقدر ارحاما واسرع ولادة واسوا اخلاق
ونساء الهند والسند والصقالبة اذم احوالا واقبح وجوها واسخف عقلا
واسوا تدبيرا واقذر ارحاما واوجد نتنا الزنجيات والحبشيات اطيب
نكهة وانعم ابدانا وارق نفوسا واشد طاعة البغداديات والبابليات
اجلب لشهوة الرجال من غيرهن واحسن عشرة واستمتاعا والشاميات
من اوسط النساء واعطفهن واودهن للرجال والعربيات والفارسيات
احسن احوالا وانجب اولادا واحلى منطقا واطيب خلقا واحفظ من
غيرهن لفروجهن واشكر لازواجهن النوبيات ومن يقاربهن اسخن
فروجا واكبر اعجازا واشد شهوة وانعم ابدانا مع نتن الجلود وتفلفل الشعور
وخفة اللحا وفتح المنخرين وغلظ الشفتين وحدة الاسنان ونتانة
الجلد وسواد اللون وتشقق الكعاب وطول الذكر وكثرة الطرب وللجواري
والنساء علامات ستذكر وتدل على اعضاء مشهورة مستورة فتظهر
فمنها اذا كان فم المراة واسعا كان فرجها واسعا واذا كان ضيقا واذا كان
ملززا كان ملززا واذا كانت شفتاها متلاقيتان كانت الطبلتان
غليظتان واذا كان لسانها شديد الحمرة كان فرجها عديم الرطوبة واذا
كانت حدباء الانف فهي قليلة الرغبة في الجماع وان كانت طويلة الحنك
فهي زانية الفرج قليلة نبات الشعر عليه وان كانت صغيرة الحنك فهي
ماسخة الفرج وان كانت كبيرة الوجه غليظة العنق دل ذلك على صغر
العجز وكبر الفرج وضيقه فاذا كثر لحم ظاهر قدميها ويديها عظم فرجها
وعرضت عليك نفسها واذا كانت نبيلة كثيرة اللحم بها صلابة فانها
كثيرة الشبق يعني شديدة الشهوة لا صبر لها عن النكاح وان كانت حمراء

اللون زرقاء العين فانها شديدة الشهوة وان كانت كثيرة الضحك خفيفة
الروح سريعة الحركة فانها شديدة الشبق والعين الكحلاء مع كبرها تدل على الشبق
والغلمة بضم المعجمة وسكون اللام يعني الهيجان وضيق الفرج ونتو العقبين
الى ناحية الظهر دليل سعة الفرج وقال صاحب جامع اللذة النساء على ثمانية
ضروب ولكل صنف منهن رتبة في الشهوة لا تصلح الا بها ولا يحصل لها
كمال الشهوة الا بحصولها ذكر ذلك اصحاب التجارب فمنهن الضخم وهي العبالة
الفرج الممتلية شحما وهذه لا تجد لذة الجماع الا بالذكر الطويل الذي يصل
الى اعماق رحمها واقصاه والطويل مقدارا اثني عشر اصبعا مضمومة والوسط
دونه بانقص من ثلاثة اصابع والقصير ما كان بين ست الى ثمانية اصابع
واللزقة هي المضموم فرجها الى ما حوت جوانبه وهزل بعد سمنه وهذا
يكون في الحلكة ولا تجد لذة الا بالقصير والغليظ والجوفاء تحب الوسط
الغليظ دون الدقيق والعفراء تحب الطويل المفرط لا تجد لذة بغيره
والبخاء هي المعتدل فرجها بالموافقة لجميع ما ذكر والفهواء المتسعة
الفرج ولا يوافقها الا الغليظ جدا والشكفاء وهي النابت في فرجها
عظمان يضيقان ويمنعان الايلاج وهذه يوافقها الدقيق الطويل وقل
ان تحمل وان حبلت قل الا تموت اذا جاءها المخاض ولم يذكر لنا منه انتهى واذا
قد ذكرت احوال النساء وفي جملتهن الاماء فتعين ذكر الرقيق وشيء من
احواله فاقول قيل شر الدقيق من الرقيق واحوج الناس الى الرقيق الملوك
قال بعضهم عز الملوك في كثرة المملوك وقد جعل الله لهم قدرا حيث
جعل لهم في القرآن ذكرا فقال تعالى في سورة ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
وفي الخبر انه كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة وما ملكت
ايمانكم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اكثروا من شرى الرقيق فرب عبد
يكون اكثر رزقا من سيده وقال كسرى العبد الصالح خير من الولد لانه
يرى استواء امره بموت سيده والولد لا يرى استواء امره الا بموت ابيه
ووصف ليوسفي غلاما فقال يعرف المراد باللحظ كما يفهمه باللفظ
ويعاين في الناظر ما يجري في الخاطر يرى النصح فرضا يجب اداؤه والاحسان
قرضا فيما يجب قضاؤه اثبت من الجدر وان استمهل واعجل من البرق
ان استعجل فاجود المماليك الصغار لانهم لا يستحي منهم وهم اسرع
قبولا واقرب طاعة وقال افلاطون لا تبتاعن اي لا تشتري قوي الشهوة
فان له مولى غيرك ولا غضوبا فانه يعلو في ملكك ولا قوي الراي فانه يستعمل
الحيلة عليك ولكن اطلب منهم الحسن الانقياد القوي الجسم الشديد الحيا
وقد قيل في ذمهم انهم عز مستفاد وغيظ في الاكباد وهم كالاولاد فانعم
الموالي من جملة سعادة سيده والمخالف من شقاوته واذا كلف المولى

عبده

عبده فقد اقام عذره على العقوق وقال الحكيم كد عبدك ليلا يتمرد عليك فان
البطالة تنتج ضروبا من الشرور عوذ ولا يجد للنساء الكرم وانما كرمهن
ما ذكر في مدحهن ومطاوعتهن كما وقع للمهدي لما ماتت له جارية وجزع
عليها وكتب اليه ابو المنصور كيف اوليك امر الامة وانت تجزع على امة
فكتب المهدي الى ابيه يا امير المؤمنين اني لم اجزع على قيمتها بل على موافقتها
واما الكرم من الرجال على النساء فمعاملتهن بالحسنى حالة الاتصاف
بهن واذا لم يكن موافقات فمعاملتهن بما قال الله تعالى فامساك
بمعروف وتسريح باحسان كما حكي عن بعض الاخيار انه حضر ليطلق زوجته
فسالوه عن سبب ذلك والحوا عليه فقال كيف يحسن بالرجل ان يهتك
زوجته ويقول فيها ما لا يحسن فلما طلقها قالوا له الآن قد بانت منك
نعرفنا ذنبها فقال لما كان يلزمني امرها ما قلت عنها شيئا فاقول عنها
وهي اجنبية وينبغي للرجل ان لا يتزوج امراة تزوجت بالاراذل لانها اخبس
الاراذل وان كانت النفس تشتهيها لما قيل فيها شعر

اذا كثر الذباب على طعام ... لاتركه ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء ... اذا كان الكلاب ولغن فيه

واما ما قيل في ضرب الزوجة فقد روي عن الاشعث بن قيس انه قال تضيفت
بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الى امراته فضربها قال
فحجزت بينهما فرجع الى فراشه فقال يا اشعث احفظ عني شيئا سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسال الرجل فيم يضرب امراته وعن
الحسن رضي الله عنه ان امراة جاءت تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه لطمها فدعا الرجل ليأخذ حقها فانزل الله تعالى الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم
فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوز هن
فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا
عليهن سبيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واحدث
الله امرا والاية في سورة النساء والوقف على سبيلا تام

واما ما ورد في عدم ضربها فا روت عايشه رضي الله عنها ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال المرأة كالضلع ان اقمتها كسرتها وهي تستمتع
بها وانشد الحسن بن زيد الرجبي في المعنى فقال

هي الضلع العوجا لست مقيمها　　الا ان تقويم الضلوع انكسارها
اتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى　　اليس عجيب ضعفها واقتدارها

وقد مر بالباب السابع والاربعين شي من اخبارهن هذا محله وهو ما
روى عن سفيان الثوري رضي الله عنه انه قال اذا اغضبت عليك امراتك
وحملت عليك فاضرب كفك بين كتفيها وقل اخرج ايها الرجس النجس
الخبيث المخبث من جسد طيب فيخرج باذن الله تعالى الباب
الحادي والثمانون في العزل عن الزوجة قال الفقيه رحمه الله
تعالى لا باس بالعزل اذا كان باذن المراة والعزل ان يطأ امراته
فيعزل عنها قبل ان يقع الماء فيها مخافة الحبل وكان اليهود يكرهون
ذلك ويقولون هي الموؤدة الصغرى فنزلت هذه الاية نساؤكم حرث لكم فاتوا
حرثكم انى شئتم وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن العزل
فقال ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه شيئا فهو كما قال
والا فانا اقول نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم فمن شاء اعتزل ومن
شاء لم يعتزل وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن
العزل فقال لو اخذ الله ميثاق نسمة في صلب رجل فصبها على حجارة اخرج
الله منها النسمة التي اخذ ميثاقها فان شئت فاعتزل وان شئت فدع
وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن العزل
فذكر نحو هذا وعن ابن عمر رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية نساؤكم
حرث لكم قال ان شئت عزلا وان شئت غير عزل وروى عن عطاء عن جابر
قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل
انتهى بكماله اقول لم يذكر الفقيه علة اذن المراة لزوجها في العزل ولا علة
العزل عن الامة بغير اذنها فاقول قال صاحب الكنز فيه ويعزل عن امته
بلا اذنها وعن زوجته باذنها قال الزيلعي لان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن العزل عن الحرة الا باذنها وقال لمولى امة اعزل عنها ان شئت ولان
الحرة لها حق في الوطي حتى كان لها المطالبة به قضاء للشهوة وتحصيلا
للولد ولهذا تخير في الجب والعنة يعني لانقطاع مايهما الحاصل منه اللذة
والولد قال ولا حق للامة في الوطي والعزل يخل بما ذكرنا وهو المقصود بالنكاح
فلا يملك تنقيص حق الحرة بغير اذنها وينفرد به في حق الامة ولو كانت تحته
امة غيره فكذلك عندهما حتى لا يكون العزل الا باذنها لانه تكميل لحقها والوطي
حق عن زوجته فكانت تتاذى بذلك ولا تظهره له فقدر انه عزل عن القضا
فدخل الى بيته مهموما حزينا مغموما فقالت له زوجته ما بالك يا سيدي لا

اشتغل

اشتغل الله لا ذكرا ولا قطع لك بالخيرات ذكرا فقال قد عزلت من القضا وضاق
على الرحب والفضا فقالت يا سيدي وهكذا يكون للعزل امرار يذهب فرح المرء
ونكد افكاره ففهم القاضي مرادها وان العزل احرق فوادها فتنزه عنها وطلب
براءة الذمة منها الباب الثاني والثمانون في تزويج الزانية قال
الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس في نكاح الزانية قال بعضهم لا يجوز
وقال عامة اهل العلم يجوز وبه ناخذ اما حجة الطايفة الاولى فلان الله تعالى
قال واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فاباح
نكاح غير المسافح فثبت بها ان نكاح الزانيه باطل ولان الله تعالى قال
الزاني لا ينكح الا زانية الى قوله وحرم ذلك على المومنين فحرم الزواني على
المومنين وروى عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انه سئل
عن رجل زنى بامراة ثم تزوجها قال هذا شر من الاول وروى عن بعض
الصحابة رضوان الله عليهم انه سئل عن رجل زنى بامراة ثم تزوجها قال
هذا شر من الاول وروى عن عايشة رضي الله عنها انها سئلت عن ذلك
فكرهته واما حجة من قال انه يجوز فلما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنه انه سئل عن رجل زنى بامراة ثم تزوجها فقال ابن عباس اوله سفاح
وآخره نكاح ولا يحرم الحرام الحلال وقال هذا بمنزلة من اكل من نخلة انسان
في اول النهار ثم اشتراها في آخر النهار واما تاويل قوله تعالى الزاني لا ينكح الا
زانية او مشركة فقال سعيد بن جبير والضحاك معناه الزاني لا يزني الا بزانية
وهكذا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل ان الاية منسوخة لان رجلا
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي امراة لا ترد يد لامس لمسها
فقال طلقها فقال اني احبها فقال اذا فامسكها انتهى بكماله اقول والزنا
حرام وفاحشة وسبب لامور عظيمة لا خير فيها وهو ذنب عظيم فيجب
على الانسان الكف عنه ليدخل في قوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسبق
الداب المجتهد فليكف عن الذنوب اي من سره ان يسبق الدائب بالمهملة
بعدها همزة بينهما الف اي الذي جد واتعب نفسه واجتهد في العبادة
الى الجنة فليكف عن الذنوب ونهى عن النفس عن ذلك يدخل الجنان وينجي
من النيران قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي الماوى والزنا من اعظم اهواء النفس وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله فعد منهم
رجلا طالبته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وكان سفيان الثوري يتمثل دايما بهذين البيتين وهما

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها　　من الحرام ويبقى الوزر والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لاخير في لذة من بعدها النار

وقال الحسين بن مطير

ونفسك اكرم عن اشيا كثيرة فما لك نفس بعدها تستعيرها
ولا تقرب الامر الحرام فانه حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وقال الاخر

اذا المرء حمى نفسه عن كل شهوة لصحة ايام تبيد وتذهب
فماله لا يحتمي عن حرامها لصحة ما يبقى له ويحسب

وقال عبد الصمد بن المعدل

ان العيون اذا امكن من رجل فعلن بالقلب الا يفعل الاسل
وليس بالبطل الماشي الى بطل والحرب تخمد احيانا وتشتعل
لكنه من لوى قلبا اذا رشقت فيه العيون فذاك الفارس البطل

ولنذكر شيئا مما يتعلق بالزنا روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشتد غضب الله على امراة تدخل في قوم من ليس منهم يشركهم في اموالهم ويطلع على عوراتهم وقال كعب الاحبار ياتي على الناس زمان فيه نساء كاسيات عاريات حاليات عطرات تفلات لهن عقص كاسنمة البخت مايلات مميلات هاديات الى النار ولعل مراد كعب رضي الله عنه بجمع الاضداد المذكورات في النساء باعتبار انهن كاسيات من ثياب الدنيا ومن الذنوب عاريات من الدين عطريات باطياب الدنيا تفلات بالتاء المثناة الفوقيه على ما في المغرب وبالمثلثة على ما في الصحاح جمع تفلة بالفاء المكسورة اي امراة غير متطيبة يعني انهن متطيبات بطيب الدنيا عاريات من طيب الاخرة فان العاصي رايحته كريهة وان كان متطيبا والطايع رايحته طيبه وان كان عاريا من الطيب ولا يدرك ذلك في الدنيا الا الاوليا فانهم يهربون من العصاة اذا شموا منهم رايحة العصيان الكريهة ولا يهربون من الطايعين لطيب رايحتهم وكان الربيع بن خثيم يقول لو كانت الذنوب تفوح ما جلس احد مع احد وفي اعتلال القلوب عن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معاشر المسلمين اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلثا في الدنيا وثلاثا في الاخرة فاما اللواتي في الدنيا فذهاب البها ودوام الفقر وقصر العمر واما اللواتي في الاخرة فسخط الله وسوء الحساب وخلود في النار قال ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون وعن ابي وايل عن عبد الله قال اذا بخس المكيال حبس القطر قال سفيان يعني اذا تظالم الناس واذا ظهر الزنا وقع الطاعون واذا اكثر الكذب كثر الهرج وهو الفتنة من باب ضرب والمراد به في حديث اشراط الساعة القتل وكذا في الصحاح وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعامل متكبر وينبغي للمزوج اذا وقعت في نفسه امراة اجنبية ان يقوم الى زوجته فيواقعها فان ذلك يرده عن الزنا وقد ورد في ذلك خبر

الباب الثالث والثمانون في ضرب الدف في العرس وغيره

قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلف العلماء في ضرب الدف في العرس قال بعضهم لا باس به وقال بعضهم يكره فاما من قال لا باس به فقد ذهب الى ما روت عايشه رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وروى محمد بن حاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فصل ما بين الحلال والحرام ضرب الدف والصوت في النكاح وقال محمد بن سيرين نبئت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا سمع صوتا انكره سال عنه فان قالوا عرس او ختان اقره وان كان في غيرهما عاملهم بالدرة وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان تلعبان بالدف في يوم العيد وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجرهما ابو بكر وقال اتفعلان هذا ورسول الله جالس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا وروى عن عايشة رضي الله عنها انها كانت في عرس فلما رجعت قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل قلتن شيئا قالت نعم قلنا

اتيناكم اتيناكم فحيونا نحييكم فلولا العجوة السوداء
ماكنا بناديكم

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم هلا قلتن فلولا طاعة الرحمن ماكنا بواديكم لا يقال هذا من شعر عليه الصلاة والسلام لما ذكر في الباب الثامن وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما ختن بنيه دعا اللعابين فاعطاهم اربعة دراهم واما من قال انه يكره ذهب الى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل لهو للمومن باطل الا ثلاث تاديبه فرسه ورميه عن قوسه وملاعبته مع اهله وروى عن ابي بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة له فجاءت امراة فقالت اني نذرت ان اضرب الدف عندك ان رجعت من غزوتك سالما فقال لها ان كنت نذرت ذلك فافعلي والا فلا فقالت يا رسول الله قد فعلت تعني قد نذرت فضربت فدخل ابو بكر رضي الله عنه وهي تضرب فدخل عمر رضي الله عنه فطرحت الدف وجلست متقنعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاحسب متقنعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاحسب الشيطان يفرق منك يا عمر فقوله عليه الصلاة والسلام ان نذرت فاضربي والا فلا نهى عن الضرب من غير نذر فيه

دليل على انه لايجوز ضربه اقول وفيه دليل على ان ضربه من عمل الشيطان وان عمر لما دخل عمر فرّ الشيطان الامراة الذى كان يامرها بالضرب به فطرحته وجلست تحته قال الفقيه والجواب عن الخبر الذى روى اعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدفوف ان يقال هذا كناية عن اظهار النكاح ولم يرد به ضرب الدفوف بعينها قال الفقيه والدف الذى يضرب فى زماننا هذا مع الصنجات والجلاجلات ينبغى ان يكون مكروها بالاتفاق وانما الاختلاف فى الدف الذى كان يضرب به فى زمن المتقدمين انتهى كلامه اقول الدف بالمهملة مفتوحة ومضمومة الذى يلعب به وهو نوعان مدوّر ومربع كذا فى المغرب ولا نعرف المربع فى ديارنا

ومما ورد فى اباحة الضرب بالدف فى غير العرس ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة من بعض اسفاره تلقاه بعض نسائها وهن ينقرن بالدفوف ويغنين بقولهن

طلع البدر علينا من ثنيات الوَدَاع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعى

فتبسم صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهن

وقد وجدت فتيا

الباب الرابع والثمانون فى نثر السكر فى العرس قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا نثر السكر فى العرس او على الامرآء والعساكر قال بعضهم لا باس به ان ينتهب وقال بعضهم لا يجوز وقال بعضهم يجوز فى العرس ولا يجوز فى نثر الامرآء فاما من كرهه فاحتج بما روى حُمَيد عن انس بن ملك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن النهبة وقال من انتهب فليس منا وروى عدى بن ثابت عن عبد الله بن يزيد الخطمى انه قال نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المثلة والنهبة وروى انس عن ابن مسعود

انه كان اذا نثر على الصبيان منع صبيانه عن النهبة واشترى لهم واما من قال انه لا باس به لان صاحبه قد اباح ذلك وروى عبد الله بن قرط قال قدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس او ست بُدْنٍ فجعل البدن يزدلفن باتهن يبدأ بنحرهن فلما وجبت جنوبها فقال عليه الصلاة والسلام كلمة لم افهمها فسألت من يجنبنى فقال من شاء فليقتطع يعنى اباح لهم اللحم واذن لهم فى النهب وروى عن الحسن وعكرمة انهما كانا لا يريان باسا بنهب السكر فى العرس وعن الشعبى انه قال انما كره من النهبة ما اخذ بغير طيب نفس صاحبه فاما اذا اخذ بطيب نفس صاحبه فلا باس به واما من اجاز فى العرس وكره فى نثر الامرآء ذهب الى ما روى خالد بن معدان عن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال شهد النبى صلى الله عليه وسلم املاك شاب من الانصار فلما زوجوه جاءت الجوارى باطباق وعليها اللوز فامسك القوم فقال لهم الا تنتهبون فقالوا يا رسول الله انك نهيت عن النهبة فقال انما نهيت عن نهبة العسكر فاما العرسان فلا قال الفقيه فبهذا ناخذ اذا كان النثر فى العرس او فى الوليمة او فى رجل نحر جزورا او اباح لحمه للناس او قدم رجل من سفر فنثر عليه شئ فلا باس بان ينتهب منه واذا كان النثر على الامرآء فمكروه فلا يجوز ان ينتهب لان النثر عليهم بمعنى الرشوة الا ترى ان هدية الامرآء مكروهة وقد جاء الاثر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هدايا الامرآء غلول فكذا النثر عليهم وكذلك اذا ذبحت البقرة لاجل الامرآء حرام فانه لا يجوز اخذ ذلك اللحم الا لاهل السجود انتهى كلامه اقول النهبة بضم النون والنُهْبى كالنهبى الشئ المنتهب كذا فى المغرب ورواية عدى بن ثابت فهى عن يزيد بن البراء بن عازب كذا فى الجامع والبُدْن جمع بدنة وهى من الابل خاصة ويقع على الذكر والانثى ويزدلفن يقربن والنحر الطعن فى البعير اى صدره من منع يمنع ومنه يوم النحر على التغليب لان الغالب فيه يكون نحر الابل ووَجَبت بالجيم والباء الموحدة اى وقعت جنوبها على الارض قال سبحانه وتعالى فى اواخر الحج والبدن جعلناها لكم من شعآئر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صوآف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر والمعنى ان البدن التى اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نحرت وقعت جنوبها على الارض وسكنت نفوسها بخروج بقية الروح حتى حل الاكل منها والاطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء فليقتطع يعنى اباح لهم واذن لهم فى النهب والعرسان تثنية عرس بكسر اوله هما الزوج والزوجة اى نَهَيتُ عن نهبة العساكر لا عن نهبة ما ينثر على الزوجين والغلول

الباب الخامس والثمانون في قبلة الولد الصغير وغيره قال الفقيه رحمه الله تعالى لا باس بالقبلة للولد الصغير وهو ماجور لان فيها شفقة على ولده وقال النبي عليه الصلاة والسلام اخذ الحسن فقبله اخذ الحسين والحسن فقبلهما ثم اقبل عليهم يعني على اصحابه فقال ان الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ وروى اشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انهم يعني الاولاد لمبخلة مجبنة محزنة وانهم لثمرة الفؤاد وقرة العين اقول في الصحاح يقال الولد مجبنة مبخلة لا يحب البقاء والمال لاجله فيكون المعنى ان الوالد يخاف على الولد من الموت او يخاف هو من الموت ليلا يتيتم ولده وهو من الجبن وهو الخوف والبخل بالموحدة والمعجم من البخل ضد الكرم لان الوالد يبخل بماله ليوفره لولده وفي مرآة الزمان ان جبلة قال دخلت على معاوية في خلافته وفي عنقه حبل وصبي يقوده فقلت اتفعل هذا وانت خليفة فقال اسكت يا لكع سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان له صبي فليتصاب له قال في المغرب الكع لئيم او احمق وله معان اخر تاتي في الباب المائة ثم قال الفقيه وروي عن عمر رضي الله عنه انه استعمل رجلا على بعض الاعمال فدخل الرجل على عمر فراه قد اخذ ولدا اليه فقبله فقال الرجل ان لي اولادا ما قبلت واحدا فقال عمر رضي الله عنه لا رحمة لك على الصغار ورحمتك على الكبار اقل رد علينا عهدنا فعزله ويقال القبلة على خمسة اوجه قبلة المودة وقبلة الرحمة وقبلة الشفقة وقبلة التحية وقبلة الشهوة فاما قبلة المودة فهي قبلة الوالدين لولدهما على الخد واما قبلة الرحمة فهي قبلة الولد لوالديه على الراس واما قبلة الشفقة فهي قبلة الاخت للاخ على الجبهة واما قبلة التحية فهي قبلة المومنين فيما بينهم على اليد واما قبلة الشهوة فقبلة الزوج لزوجته على الفم اقول وفي رواية عن الفقيه ذكرها الزيلعي في شرح كتاب الكراهية من الكنز قال التقبيل على خمسة اوجه قبلة الرحمة كقبلة الوالد لولده وقبلة التحية كقبلة المومنين بعضهم بعضا وقبلة الشفقة كقبلة والديه وقبلة المودة كقبلة الرجل اخاه على الجبهة وقبلة الشهوة كقبلة الرجل امراته او امته قال الزيلعي وزاد بعضهم قبلة الديانة وهي قبلة الحجر الاسود انتهى والاولى ان قبلة الرحمة ما ذكره الفقيه لا ما نقل عنه الزيلعي لان الرحمة الرقة والتعطف والوالدان احق ان يرق الولد لهما ويستعطفهما قال الله تعالى

ولا

ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وقال تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وسياتي الكلام على هذه الاية بهذا الباب ثم قال الفقيه وقد كره بعض الناس قبلة الرجال فيما بينهم على اليد وعلى الوجه وقد احتج بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن المكامعة والمكاعمة يعني القبلة والمعانقة ورخص بعض الناس وقد جاء الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم قام على جعفر بن ابي طالب حين رجع من الحبشة فاعتنقه وقبل ما بين عينيه وروي عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم انهم كانوا اذا قدموا من السفر يعانق بعضهم بعضا ويقبل بعضهم بعضا وروى بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال التمسوا الولد فانهم ثمرة القلوب وقرة العين واياكم والعجوز والعقيم العقيم اي المعقومة يقال اعقم الله رحمها فاعقمت على ما لم يسم فاعله اذا لم يقبل الولد ورحم معقومة اي مسدودة لا تلد ومصدره العقم بضم العين وفتحها والعاقر التي لا تحبل يقال عقرت تعقر عقرا مثل حسنت تحسن حسنا اي صارت عاقرا ورجل عاقر لا يولد له من العقر بالضم وللعقم اسباب تورثه وفيه لتداوي يمكن وقد يكون بخاصية في مني الرجل والمراة وعلاجه عسر قال السمرقندي في كتاب الاسباب والعلامات بعد ذكر اسباب العقم وقد يكون العقم من الرجل والمراة لغير الاسباب المذكورة فيهما بل لخاصية في المني كحال الشجرة التي لا تثمر وقيل في تجربة ذلك بان يصب المنيان على الماء فايهما طفا على الماء اي علا فالتقصير من جهته اي يصب البولان على اصل الخس فايهما جففه فمنه التقصير وقيل يوخذ سبع حبات من حنطة وسبع حبات من شعير وسبع حبات من فول تصير في اناء خزف ويبول عليه احدهما ويترك سبعة ايام فان نبت فلا عقم من جهته والا فهو عاقر انتهى وسياتي بالملحق بهذا الباب الطب العقم الحاصل من اسباب وعلامات وعلاجه ان شاء الله تعالى عود لما يتعلق بالاولاد ثم قال الفقيه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اولادنا اكبادنا ومن هذا اخذ القايل

من سره الدهر ان يرى كبده … يمشي على الارض فليرى ولده

انتهى بكماله مع زيادات وقد عقد الفقيه هذا الباب فيما بين الوالدين والولد من الرحمة والشفقة والمودة والحق بذلك ما الحقته ثم ختمه بالنماء الولد وانه كبد فسنح لي ان اذكر شيئا مما يتعلق بمطلق الرحمة ومما يتعلق بالولد شرعا للوالدين على الولد ثم بما له عليهما فاما ما يتعلق بالرحمة قال صاحب اداب السياسة ان الرحمة اوطان الاسرار الالهية ومعالم العلوم الربانية فترى اصحابها تلوح عليهم اثار المعاملة بتيسير من العدل اعظام مولاهم من رقة القلوب وصفاء الارواح من الازل وقد مدح الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه

ولم يفرق بينهم فقال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء
بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك
وتعالى ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وفى رواية ارحموا اهل الارض
يرحمكم اهل السماء وهذا الحديث يعرف بين اهل الحديث بالمسلسل بالاولية
لان كلا من رواته سمعه من شيخه وهو اول ما سمعه منه وللفقير جامع
هذا الكتاب سند عال به وقد كتبت بيتين فى معنى الرواية الاولى كتبتهما
باخر اجازة كتبتها لبعض الاخوان لما سمع منى هذا الحديث وهما

عن رسول الله بالمعنى رووا ... يرحم الرحمن منا الرحما
وارحموا من هو فى الارض كذا نقلوا ... يرحمكم من فى السما

وقيل لسقراط اى شىء من افعال الناس يشبه افعال البارى فقال الاحسان
الى الناس والرحمة وقال الشاعر فى الرحمة

من حلب الرحمة فى قلبه ... فاز بشيئين عظيمين
يدعى كريم النفس بين الورى ... منزه العرض بين الشين
ويرزق الرحمة من ربه ... وهو قرين الجفن والعين

وقيل لا يكون فى وال شىء اقرب الى صلاح رعيته من وثاقة الراى وشدة
الرحمة وقيل من كرم اصله لان قلبه وفى كتاب التحفة الملكية للقاضى
نصر عن ابرهيم بن ادهم رحمه الله تعالى انه قال بلغنى ان رجلا من بنى
اسرائيل ذبح عجلا بين يدى امه فايبس الله يده فبينما هو ذات يوم جالس
واذا بفرخ سقط من وكره وهو يتبصبص الى ابويه وابواه يتبصبصان اليه
فاخذه ورده الى وكره رحمة له فرحمه الله برحمته له فرد عليه يده بما صنع
واعلم ان الرحمة لا تكون تامة الا اذا كانت شاملة لكل من يستحقها وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا رحيم فقالوا كلنا رحماء
فقال ليس الرحمة ان يرحم احدكم نفسه لكن حتى يرحم الناس عامة وقال لقمان
الحكيم يا بنى ارحم الفقراء لقلة صبرهم وارحم الاغنياء لقلة شكرهم وارحم
الجميع لطول غفلتهم قيل احق الناس بالرحمة ثلاثة عاقل نفذت عليه
احكام جاهل وبار سلط عليه فاجر وكريم عرضت له الى لئيم حاجة وقيل
الرحمة من لا يستحقها خور فى الطبيعة اى ضعف وانخفاض وانحطاط
قال الله تعالى الزانى والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا
تاخذكم بهما رافة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر واذ قد
ذكرنا الرحمة فلنذكر القساوة وما قيل فيها قال صاحب اداب السياسة
اعلم ان قساوة القلب عنصر الظلم والشرور والمعاصى وهو من كبر دلائل اللئام
وتظهر من كثرة الذنوب وردائة الاعمال لان القلب اذا عصى قسا واذا قسا
اساء واذا اساء اسود وفى الحديث ان الذنب على الذنب يرين القلب والرين

بالراء المهملة فى اللغة الصدا واذا اسود القلب وصدا طمس الله عليه وعمى
عن الصواب وانغمس فى الظلم والخطايا وقال الامام النووى رحمه الله تعالى
فى التبيان وفى الاذكار قال السيد الجليل ذو المواهب والمعارف ابرهيم الخواص
رحمه الله تعالى ونفعنا به ودواء القلب خمسة اشياء قراءة القرآن بالتدبر
وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد
نظم هذا المعنى شيخ بعض مشايخ المرحوم الشيخ شهاب الدين احمد بن رسلان
الرملى نزيل القدس الشريف فقال

دواء قلبك خمس عند قسوته ... فاذاب عليها تفز بالخير والظفر
خلاء البطن وقرآن تدبره ... كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا التهجد جنح الليل وسطه ... وان تجالس اهل الخير والخبر

وقد ذم الله تعالى القاسية قلوبهم وتوعدهم بسوء الجزاء فمن ذلك قوله
تعالى فويل للقاسية قلوبهم وقوله ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهى
كالحجارة او اشد قسوة وقال النبى صلى الله عليه وسلم ما نزعت الرحمة
الا من قلب شقى وقال صلى الله عليه وسلم اعوذ بالله من القلوب اذا قست
والامانات اذا ضيعت وقال مالك بن دينار ما ضرب الله عبدا بعقوبة
اعظم من قسوة القلب وقال الشاعر

لا ينفع الذكر قلبا قاسيا ابدا ... وهل يلين بقول الواعظ الحجر

ودخل رجل على الوزير محمد بن الزيات وكان يقول الرحمة لا تكون الا من خور فى
الطبيعة فقال له الرجل لى بك سببان الجوار وسوء الحال وذلك داع الى الرحمة
فقال له اما الجوار فبين الحيطان واما الرحمة فمن اخلاق النساء والصبيان
اخرج عنى فما مضى اسبوع حتى نكب ولما امر الخليفة الواثق بتعذيبه فى
تنور من حديد واطباقه عليه وان يحمى عليه قال المعذب ارحمنى فرد معذبه
الخبر الى الواثق فقال اين قوله لا تكون الرحمة الا من الخور ثم تمثل بقوله فلا تجزعن
عن سنة انت سرتها وكان ابن الزيات هو الذى عمل التنور لتعذيب الناس
فعذب فيه وستاتى ترجمته بملحق الباب الثالث عشر واما ما يتعلق بالاولاد
من مدح وذم وغير ذلك ففى مدحهم قال صاحب اداب السياسة الولد
بضعة من الوالد والاولاد ثمرة الفؤاد والعدة فى الشدة والذكر بعد
تناهى المدة قال الله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وقال النبى
صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلاث صدقة دارة
وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له وسئل انوشروان عن منفعة الولد
قد يكون بسبب عبادة الصالح قال يستلذ بالعيش ويهون به الموت
اقول صلاح الولد قد يكون بسبب عبادة او يكون منحة له من الله تعالى
وقد قيل ان صلاح من تولد نطفته من الماكل الحلال وان الولد الصالح من تولد

نطفته من الماكل الحرام وحكى ان بعض السلاطين كان له ولد صالح لا يختلط
بابيه ولا ياكل ولا يلبس من رزق ابيه وهو مستغرق فى الطاعة وكان فى ذلك
الزمان رجل من الاولياء كان السلطان يتردد عليه وله ولد صالح لا يمضى يوم
حتى يقع منه ما يوجب الشكوى عليه للسلطان فلا يقبل فيه شكوى لاجل ابيه
ففى بعض الايام قتل ابن الولى رجلا نهارا عمدا بغير حق فاجتمع اهل البلد عليه
وشكوه واتوا به الى السلطان فتحير به وارسله الى ابيه وقال عرفوا الشيخ
بما وقع منه وانى جعلت الحكم فيه له فاتوا به الى الشيخ وبلغوه رسالة السلطان
فقال لهم سلموا على السلطان وعرفوه ان مثل هذا الامر متعلق بذمته فلا يعلقه
بذمتى وليفعل فيه بما امر الله به فلما اعادوا الجواب على السلطان امر بقتل ابن
الشيخ فقتل ثم ندم السلطان وقال ربما لم يسهل ذلك بابيه فيدعو على فركب
من ساعته واتى الى الشيخ فدخل عليه وعزاه فى ابنه واعتذر اليه ثم قال
له قد حرت فى امرى وامرك فقال له الشيخ كيف ذلك قال انى سلطان وانى
تحملت ذنوبا كثيرة وظلمت كثيرا ومع ذلك رزقت ولدا صالحا عابدا لا يختلط
بى فى شئ ابدا وانت شيخ صالح ولى بلا شك وكان لك ذلك الولد الصالح فقال
له الشيخ لا تتعجب من ذلك اتذكر حين زرتنى فى يوم كذا فى سنة كذا واطعمتك
الصعتر والملح والخبز اليابس وحين زرتك يوم كذا فى وقت كذا وقدمت لى
الكل وامرتنى ان اكل منه وامرك مطاع فاكلت منه قال السلطان بلى قال
فولدك تولد من النطفة المتولدة مما اكلته عندى من الحلال وولدى تولد من
النطفة المتولدة مما اكلته عندك من الحرام فقال السلطان صدقت وانصرف
وقد يحصل للولد الخير والرحمة من الله تعالى بالاب الصالح قال ابن الجوزى
رحمه الله تعالى واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته
كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة
من ربك وما فعلته عن امرى قال قال ابن عباس رضى الله عنه حفظا بصلاح
ابيهما ولم يذكر منهما صلاحا وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما كان بينهما
وبين ذلك الاب الصالح سبعة اباء فكانت اقامة الجدران رحمة لليتيمين
بصلاح ابيهما ووصف بعضهم ولده فقال ولد الناس ولدا وولدته
ابا يحسن ما احسن ولا احسن ما يحسن وراى منصور الفقيه ولده
يعدو فى داره فقال يا بنى لو علمنا ان رجلك من قلبى ابيك لرفقت بها
وقال الشاعر

شيئان لا تحسن الدنيا بغيرهما … المال تصلح منه الحال والولد
زين الحيوة هما لو كان غيرهما … كان الكتاب به من ربنا يرد

وقيل فى ذمهم اذا كانوا طالحين قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم فاحذروهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم يجئ زمان على امتى يكون الولد

فيظا

فيظا والولد غيظا وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام لم تكره الولد فقال
ما انا والولد ان عاش كدنى وان مات هدنى وقيل لاعرابى ما تقول فى ابنك فقال
بلاء لا بقاء ومدة الصبر وفائدة لا يجب عليها الشكر وقال الحكماء الاولاد
هلوك صغارا واعداء كبارا شعر

يا صاح لا تاسف على الاولاد حزنا … فاكثرهم بغير سداد
ان كنت ذا فقر جعولك مالة … او كنت ذا مال فكالاضداد
او كنت ذا دين وخير شايع … فربما غطوها بفساد

وقيل فى بنين خيارهم وحقيقهم قال بزرجمهر لكسرى انوشروان وعنده
اولاده ايهم احب اليك منهم فقال ارغبهم للادب واجزعهم من العار
وانظرهم الى الطبقة العليا وقال بعض الحكماء الولد سبعا ريحانتك
وسبعا خادمك وسبعا شريكك وباقى العمر اما عدو او صديق والولد العاقل قل
يعد ابويه اصدقاء واخوته رفقاء وازواجه الفاء وبنيه ذكرا ونفسه
منهم لا خيرا وانتخاب الاولاد بانتخاب امهاتهم واخوالهم وقد تقدم تحقيقه
فى الباب الثمانين وقالت العرب استجد الخال فان الخال ولاد وقالت ايضا ان
الخال الابنام وقال الجاحظ زعم كثير ان عرق الخال انزع من عرق العم اى اجذب
للولد الى طبعه لان نصيب الامهات اكثر واغلب وقد راينا كثيرين تزوجوا
بسوداء فجاء الولد اسود وبيضاء فجاء الولد ابيض وبتركية فجاء الولد يشبهها
وهكذا واما قولهم الولد سر ابيه معناه انه من دمه والسر دم القلب او ان
السر النكاح فالمراد انه ثمرة نكاحه او ان الولد يقف على سر ابيه فيذيعه
وما زالت الدهاة يسالون الولد عن احوال والده وقد يجمع الولد بين طبع
ابيه وامه وقد ياتى بخلاف ارادة والديه كما حكى عن المامون انه كان
اعلم خلفاء بنى العباس وافضلهم وكان اسمر اللون لان امه كانت سوداء
فاراد ولدا جميل الصورة فانتخب له جارية حسناء وقال لعلى ارزق منها
ولدا بعقلى وحسنها فرزقه الله بنتا على صورته وبلادة امها فسماها ميمونة
فقال فيها

ان ميمونة لا عقل لها وابو … ها من ذوى العقل خلق
وكذا كل اخى حذلقة … ما مشى فى يابس الا زلق

والحذلقة مثل دحرجة يقال حذلق الرجل بزيادة اللام وتحذلق اذا اظهر
الحذق فادعى اكثر مما عنده كذا فى الصحاح وقد لا يشبه الولد ابويه ولا
اخواله بل يشابه زمانه قال النبى صلى الله عليه وسلم الناس بزمانهم اشبه
منهم باباءهم فمن سعادة المرء ان يرزقه الله تعالى اولادا صالحين عقلاء
وابرارا وقال على رضى الله عنه سعادة المرء خمسة اشياء ان تكون له
زوجة موافقة واولاد ابرار واخوان اتقياء وجيران صالحين ورزق فى بلده

واما ما للوالدين على الولد من الحقوق فمنها الوصية بهما وبرهما وفي مرآة الزمان عن علي الاصغر رضي الله عنه الذي لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بزين العابدين بن الحسين الشهيد رضي الله عنهما انه كان بارا بوالدته حتى انه ما اكل معها في قصعة قط فقيل له في ذلك فقال اخاف ان تسبق يدي اليها وقعت عينها عليه فاكون قد عققتها وفي السكردان لابن ابي حجلة انه كان اخر مناجاة موسى عليه السلام يا رب اوصني فقال تعالى اوصيك بامك قاله سبع مرات وقد امر الله تعالى باكرامهما وجعل طاعتهما مقرونة بطاعته فقال تعالى اشكر لي ولوالديك الي المصير وقال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني ان تبرهما وتعطف عليهما اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما يعني الابوين فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما اي لا تقل لهما قولا رديا والمعنى انه اذا كبر الوالدان واحتاجا الى من يزيل الانجاس عنهما فلا تتكره بذلك فانهما قد رفعا ذلك عنك كثيرا في حال الصغر وقل لهما قولا كريما يعني لينا حسنا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يعني كن ذليلا رحيما عليهما وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا يعني تدعو لهما بالمغفرة ويقال للوالدين على الولد عشر حقوق قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وفي تفسير قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا ان مصاحبة المعروف ان تطعمهما اذا جاعا وتكسوهما اذا عريا وتخدمهما اذا احتاجا الى الخدمة واذا دعواه فاجابهما واذا امراه بامر اطاعهما ما لم يامراه بمعصية وان كان يكلمهما بلين واذا لا يدعوهما باسمهما وان يمشي خلفهما وان يرضى لهما بما يرضى به لنفسه وان يدعو لهما بالمغفرة كما يدعو لنفسه وروي عن بعض التابعين انه قال من دعا لوالديه كل يوم خمس مرات فقد ادى حقهما لان الله تعالى قال اشكر لي ولوالديك فشكر الله ان يصلي كل يوم خمس مرات وشكر الوالدين ان يدعو لهما كل يوم خمس مرات وقيل ما سمي الابرار ابرارا الا لبرهم اباهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ارضى والديه فقد ارضى ربه ومن اسخطهما فقد اسخط ربه وقال موسى عليه السلام يا رب اوصني قال اوصيك بابيك وقال اوصني فقال اوصيك بامك وقال اوصني فقال اوصيك بابيك ثم بي فاوصاه بابيه مرتين وبامه مرة واحدة قلت فقدم الله الوصية بالام على الوصية به تعالى بقوله ثم بي تاكيدا للوصية بالام وقال ابن عباس ما من مؤمن له ابوان فيصبح وهو محسن الا اليهما الا فتح الله له بابين من الجنة ولا سخط عليه واحد منهما فرضي عنه حتى يرضيا وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى تمام المروة من بر والديه ووصل رحمه واكرم اخوانه وقال الشاعر

الابعد حق الله فرض على الفتى ... فقضا حقوق الوالدين بلا ضجر

ولم يك قد ادى امرؤ بعض حقه ... اذا قال اف ولتخصصها نهر

وكان محمد بن المنكدر رضي الله عنه يضع خده على الارض ثم يقول لامه يا اماه قومي ضعي قدمك على خدي طلبا لرضاها وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال فيثاغورس الواجب على المرء قضاء حق والديه لمن بينهما اياه بر ولده وليكافيه على ذلك وقال محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب شر الاباء من دعاه البر الى الافراط وشر الابناء من دعاه التقصير الى العقوق وسمع من بعض المشايخ ان ولدا وابا تشاكيا الى النبي صلى الله عليه وسلم فبدا الولد وقال يا نبي الله ان والدي ياخذ مالي فقال الوالد يا نبي الله قد نظمت بعض حالي في ابيات فقال النبي صلى الله عليه وسلم انشدنيها فقال

غذوتك مولودا وسنتك يافعا ... تُعَلُّ بما اُجني اليك وتُنهَلُ
اذا ليلة بالسقم قد بتَّ لم اَبت ... لسقمك الا ساهرا اتململُ
تخاف الردى نفسي عليك وانها ... لتعلم ان الموت حق مؤجَّلُ
كاني انا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيناي تهمل
فلما بلغت السن والغاية التي ... اليها مدى كنت منك اؤمِّلُ
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كانك انت المنعم المتفضِّلُ
وسميتني باسم المفند رايه ... وفي رايك التفنيد لو كنت تعقل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي ... كما يفعل الجار المجاور تفعل

لغة ما في الابيات يافع اي في ارتفاع قيل فبكى النبي صلى الله عليه وسلم واخذ بتلابيب ابنه وقال انت ومالك لابيك وروى الخطابي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي مالا وولدا وان والدي يجتاح مالي قال انت ومالك لوالدك ان اولادكم من اطيب كسبكم فكلوا من كسب اولادكم قوله يجتاح مالي بالجيم وحاء مهملة اخره اي يستاصله ويأتي عليه والعرب تقول جاحهم الزمان واجتاحهم اذا اتى على اموالهم ومنه الجائحة وهي الافة التي تصيب المال فتهلكه وباحد هذين الحديثين اخذ الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى ان للوالد ان يتملك مال ولده وقد حكم لدي رحمه الله تعالى مرة بحضوري لرجل بمال ابن له ذي اولاد ومال وحبسه على تسليم مال لابيه الزائد على كفايته وبهذا الحديث ايضا اخذ القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى في سورة النور بعد قوله ليس على الاعمى حرج ولا ولا ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم قال فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته للحديث المذكور ولقوله صلى الله عليه وسلم اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه انتهى قول ساق الخطابي هذا الحديث الا خبر عن عائشة رضي الله عنها بلفظ من اطيب ما اكل الرجل من كسبه وولده من

كسبه واما اعطاء الوالد الولد والاحسان اليه فمقدم على اعطاء الغريب لما ورد
الاقربون اولى بالمعروف وقد قيل فيمن يحرم اولاده لابي الفضل الميكالي كم
والد يحرم اولاده ٭ وخيره يحظى به الابعد ٭ كالعين لا تبصر من حولها ولحظها
يدرك من يبعد واما حقوق الولد على الوالد فاولها ان يسميه اسما حسنا
ويكنيه كنية حسنة وقد تقدم ما يستحب من الاسماء والكنى في الباب الخامس
والستين وينبغي ان يسمي الولد ويكني بقدر حال والديه في الدين والسيرة والثروة
وان يعلمه الكتابة ولا يعلمها الابنة لانها تتقوى بها على الشر فقد راى رجل
مؤدبا يعلم جاريته الكتابة فقال لا تزد الشر شرا وراى حكيم جارية تتعلم الكتابة
فقال سهم يسقى سما وقصد الاسكندر موضعا لمحاربة اهله فحاربه النساء
فكف عنهن وقال هذا جيش ان غلبناه لم يكن فيه فخر وان غلبنا كانت الفضيحة
ومن حقوق الولد على الوالد ان يكون الولد في نفسه كريما صالحا حسن الاخلاق
لان الولد اللئيم الصالح السيئ الاخلاق ينال منه نبوة ومنها ان يستجيد
امه وان يعلمه ما يستعين به على الفرائض وان يعلمه الكتابة وان لا
يحوجه الى ان يعقه واما ما قيل في البنات والاصهار فاعلم ان العرب كانت
تكره البنات وتحب الذكور وكان احدهم اذا جاءته بنت تغير وجهه وعبس وحزن
واغتم لجيئها بحيث انه يتوارى من الناس اي يبعد عنهم ويستتر منهم
غيظا وتحيرا ويتردد في نفسه هل يمسكها على هوان او يدفنها حية حتى
يخفيها عن الناس فذلك قوله تعالى في سورة النحل ويجعلون لله البنات
ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم
يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب
الا ساء ما يحكمون يعني من انهم يجعلون لله ما يكرهون وهو البنات ولهم
ما يحبون وهو الذكور والذين حكموا بذلك بنو خزاعة وبنو كنانة قالوا
الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك ويقال البنت تمحق الاثار يعني تاخذ
اثاث البيت وتجلب العار وتدخل العدو الدار يعني الصهر وعن
ابن عباس نعم الصهر القبر وانشد في ذلك الزبير بن بكار فقال

لكل ابي بنت يراعي شؤونها ٭ ثلاثة اصهار اذا ذكر الصهر
فاولهم خدر وثانيهم امر ناظم ٭ وثالثهم قبر وخيرهم القبر

وقد تقدم معنى الصهر في الباب الثالث عشر في خلافة رضي الله عنه وقال
ابقراط المراة ستران بعلها وقبرها وفي ذلك يقول بعضهم

القبر اخفى سترة للبنات ٭ ودفنها يروى من المكرمات
اما رايت الله عز اسمه ٭ قد وضع النعش بجنب البنات

وقد قيل في مدحهن ان المراد بقوله تعالى في سورة الكهف والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا ان الباقيات هن البنات وقيل دخل عمرو بن

العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا امير المؤمنين فقال
هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك قال ولم قال لانهن يلدن الاعداء ٭
ويقربن البعداء ٭ ويورثن الضغائن ٭ فقال لا تقل يا عمرو فوالله ما مرض
المرضى ولا ندب الموتى ولا اعان على الاحزان مثلهن قوله ما مرض المرضى مثلهن
يعني في مداراتهن المرضى بانواع المداراة من رميها تحتهم وغسل ثيابهم
واجسادهم من النجاسات الكريهة اقول ويحتمل والله اعلم انهن لولا ما ابتلاهن
الله تعالى بالحيض وغسلهن دمه في كل شهر وتوطين انفسهن على ذلك
لما مرضن رجالا ولا ربين اطفالا وفي اسد الغابة في اسماء الصحابة رضي الله
عنهم لابن الاثير عن ابن عباس رضي الله عنه قال دخل اوس بن ساعدة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى في وجهه الكراهة فقال يا ابن ساعدة
ما هذه الكراهة التي اراها في وجهك قال يا رسول الله ان لي بنات وانا ادعو
عليهن بالموت فقال يا ابن ساعدة لا تدع فان البركة في البنات هن المجملات
عند النعمة والمعينات عند المصيبة والممرضات عند الشدة ثقلهن
على الارض ورزقهن على الله تعالى الباب السادس والثمانون في
الامراة التي لها زوجان قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس في
المراة التي يكون لها زوجان لايهما تكون في الاخرة قال بعضهم تكون لاخرهما
وقال بعضهم تخير فتختار ايهما شاءت وقد جاء في الاثر ما يؤيد كلام الفريقين
اما من قال هي لاخرهما فقد ذهب الى ما روي عن معاوية بن ابي سفيان انه
خطب ام الدرداء فابت وقالت سمعت ابا الدرداء يقول وحدث عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال المراة لاخر زوجيها في الاخرة وقال لي ان اردت
ان تكوني زوجتي في الاخرة فلا تتزوجي بعدي واما من قال بانها تخير فقد
ذهب الى ما روي عن ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها سالت
النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله المراة منا يكون لها زوجان
لايهما تكون في الاخرة قال تخير فتختار احسنهما خلقا منهما ثم قال عليه
الصلاة والسلام قد ذهب حسن الخلق بالدنيا والاخرة اقول

الباب السابع والثمانون فيما يكره قد ذكر الفقيه رحمه الله تعالى

هذا الباب في كتابه البستان قبل باب الدعوات الذي هو آخر الكتاب المذكور
مع انه ذكر قبله اشيا من المكروهات في ابواب متفرقه ولم اعلم مراده بهذا
الترتيب ولين قلنا انه عقد هذا الباب في ذكر المكروهات التي حصرها عدد
نعد ذكر فيه ما لا يحصره عدد على ما تراه وقد ذكرت في كتابي هذا قبل هذا
الباب بعضا من الابواب المذكورات المشتملات على بعض مكروهات لمناسبة ما
ثم اتبع هذا الباب ببقية الابواب المتفرقه المذكورة والحقها بباب مشتمل
على مكروهات لم يذكرها الفقيه واذكر في آخره فصلا في الشطرنج وما قيل
في كراهيته واشيا من تعلقاته فاقول قال الفقيه يكره الكلام في خمسة
مواضع الاول خلف الجنازة والثاني عند قراة القران والثالث عند الخطبة
او في مجلس الذكر والرابع في الخلاء والخامس في حال الجماع ويكره النظر في خمسة
مواضع في الصلاة يمينا وشمالا وفي ابواب الناس والى عورات الناس في
الحمام وغيرها والى من فوقه في امر الدنيا على وجه الرغبة والى من دونه
في امر الدين ويكره الاستماع الى خمسة اشيا احدها اللهو والغنا والثاني
النياحة والثالث الى كلام الباطل والفضول والرابع الى الاثنين يتناجيان
والخامس في ابواب الناس اي التجسس واستماع كلام اهل البيت بالوقوف
في ابوابهم ويكره الضحك في خمسة مواضع عند الجنازة وعند المقابر
وعند المفجوع بالمصيبة وعند قراة القران وعند ذكر الله تعالى ويقال
الضحك من غير عجب نوع من الجنون اقول وفي المثل الضحك من غير عجب من قلة
الادب وروى صاحب كتاب المنبهات عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من كثر ضحكه عوقب بعشر عقوبات اولها ان يموت قلبه ويذهب البهاء
من وجهه ويشمت به الشيطان ويغضب عليه الرحمن ويناقش في
يوم القيامة ويعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وتلعنه الملايكة
ويبغضه اهل السموات والارض وينسى كل شي حفظه ويفتضح يوم القيمة
وبهذا الحديث يظهر ان على كل عاقل ان لا يكثر من الضحك لان الاكثار منه
الداء العضال والمرض القتال كيف وانه يميت القلب ويغضب الرب ومرض
القلب اشد من مرض الجسد وغضب الرب اشد من هذا واشد وعن
الفضيل بن عياض رضي الله عنه انه قال بلغني ان طلحة بن مصرف قاري اهل
الكوفة ضحك يوما فوثب على نفسه وقال فيم الضحك انما يضحك من قطع
الاهوال ثم الا على نفسه الا يضحك حتى يعلم بما ذا تقع الواقعة فما روي ضاحكا
حتى لقي الله تعالى وقد تقدم في الباب الحادي والسبعين شي مما يتعلق
بالضحك ثم قال الفقيه وقد اختلفوا في اتخاذ الانف من الذهب والاسنان
من الذهب فقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا باس بان يتخذها من الفضة

ولايجوز

ولا يجوز من الذهب وقال محمد بن الحسن لا باس به وبهذا القول ناخذ وفي الخبر
ان عرفجة بن اسعد اصيب انفه يوم الكلاب في الجاهلية فاتخذ انفا من
فضة فانتن عليه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يتخذ انفا
من ذهب ويكره الصوم في خمسة ايام يوم الفطر ويوم النحر وثلاثة ايام
بعده وتكره صلاة التطوع في خمس ساعات بعد صلاة العصر الى ان يصلي
المغرب وبعد طلوع الفجر الا ركعتي الفجر وبعد صلاة الفجر الى ان ترتفع
الشمس وعند استواء الشمس وعند خطبة الجمعة وتكره صلاة الفريضة
في ثلاث ساعات وقت طلوع الشمس وعند استوايها وعند غروبها انتهى
بكماله اقول المكروه عند محمد حرام ولم يسمه حراما لانه لم يجد فيه نصا
وعند ابي حنيفة رضي الله عنه وابي يوسف هو الى الحرام اقرب وبه
قال صاحب الكنز فيه

ولنشرع في ذكر الابواب التي عزمنا باتباعها لهذا الباب فنقول

الباب الثامن والثمانون في السمر بعد العشاء وفيه فصل في كراهية الرجل وهو ناعس قال الفقيه رحمه الله تعالى

كره بعض الناس
السهر بعد صلاة العشاء واجازه بعضهم فاما من كرهه فقد احتج
بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن النوم قبل العشاء والحديث
بعدها وروي عن عمر رضي الله عنه انه كان يدع سامرا بعد العشاء
ويقول ارجعوا فلعل الله تعالى يرزقكم صلاة وتهجدا واما من اجازه فقد
ذهب الى ما روي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
ربما سمر النبي صلى الله عليه وسلم ببيت ابي بكر رضي الله عنه ليلة في الامر
الذي يكون من امر المسلمين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ومسود
ابن مخرمة انهما سمرا الى طلوع الشمس ثم قال الفقيه السمر على ثلاثة اوجه
احدها ان يكون في مذاكرة العلم فهو افضل من النوم والثاني ان يكون
في اساطير الاولين والاحاديث الكذبة والسخرية والضحك فهو مكروه
والثالث ان يتكلموا للموانسة ويجتنبوا الكذب وقول الزور وقول الباطل
فلا باس والكف عنه افضل للنهي الوارد فيه واذا فعلوا ذلك ينبغي ان يكون
رجوعهم الى ذكر الله تعالى والتسبيح والاستغفار حتى يكون ختمه بالخير وروي
وروي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت لا سمر الا لمسافر او مصل ومعنى
ذلك ان المسافر يحتاج الى ما يدفع النوم عنه بالسمر للسير فابيح له لذلك
المعنى وان لم يكن فيه قربة وطاعة والمصلي اذا سمر ثم يصلي فيكون نومه

صلاة

على الصلاة ختم سمره بالطاعة انتهى بكماله اقول سمر يسمر كنصر ينصر والسمرة المسامرة الحديث بالليل وقد يطلق على الحديث بالنهار وياتى فى هذا الباب تعريف آخر للسمر والسامر والسمار هم القوم الذين يسمرون ويطلق السامر على المكان الذى يجتمع فيه للسمر واساطير الاولين اباطيلهم المسطورة اى المكتوبة والسخرية بضم السين المهملة والخاء المعجمة الساكنة كالاحجية قال فى الصحاح سخرت منه وسخرت به وضحكت به وهزئت منه وبه كل يقال والاسم السخرية انتهى وقد قيل ان السمر مفاكهة ومشورة وقيل الاداب عشرة ثلاثة منها شهرجانية الطب والهندسة والفروسية وثلاثة انوشروانية ضرب العود ولعب الشطرنج والصوالج وثلاثة عربية الشعر والنسيب وايام الناس وواحد علا كل ذلك مقطعات الحديث والسمر وما يتعاطاه الناس فى المجالسات والفرق بين الشعر والنسيب ان الشعر يطلق على ما فيه تشبيب بامراة وعلى غير ذلك والنسيب يقع على ما فيه تشبيب بامراة فقط فقال فى الصحاح نسب الشاعر بالمراة ينسب بالكسر اذا شبب بها وقال التشبيب النسيب يقال هو يشبب بفلانة اى ينسب بها وقد سمر النبى صلى الله عليه وسلم فيما روته عايشة رضى الله عنها انه ارق ذات ليلة فقال ادعى لى بعض اصحابى يحدثنى فقلت ارسل الى عمر فسكت ثم قال ادعى لى عثمان قالت فارسلت الى عثمان فجاءه فسامره هويا من الليل قوله دعى لى قال الجوهرى ودعوت فلانا اى صحت به واستدعيته ويقال مضى هوى من الليل فعيل اى هزيع بالزاى اى طائفة منه وهى الساعة السابعة منه كما تقدم فى الباب الخامس وقال بعض الحكماء قرأت العلوم فرأيت الامور تدور على اربعة اشياء نحو يقيم الرجل به لسانه وطب يقيم به بدنه وحسن تدبير يتوسل به الى معاشه ومعاده وحكايات يقيم بها مروته وقيل اللذات سبعة لذة ساعة للجماع ولذة يوم دخول الحمام ولذة ثلاثة ايام استعمال النورة ولذة شهر العرس ولذة سنة الولد حتى تعود كسائر النساء ولذة الدهر محادثة الاخوان ولذة ما بعد الدهر طاعة الرحمن الموجبة للغفران ودخول الجنان وقيل السبعة لذة ساعة وهى الجماع ولذة يوم دخول الحمام ولذة اسبوع النورة للنضيف ولذة سنة العرس ولذة العمر مسامرة الاخوان ولذة الابد لقاء الله الواحد الاحد وقد تقدم فى الباب الخامس والسبعين ان الندامة اربعة ندامة يوم وندامة سنة وندامة عمر وندامة الابد وقال المهلب العيش كله فى الجليس الممتع وقال الشاعر

هل من نديم اخى وجد بشغف ... يكاد من لطف معناه يمازجنى
اذا اشرت الى معنى لذ به ... ذوقا فيفهمه عنى ويفهمنى

وينبغى

وينبغى للسمير انه اذا حدث بكلام لا يعيده فى المجالس وفى ذلك ابو الفتح البستى

اذا تحدثت فى قوم لتونسهم ... بما يحدث من ماض ومن آتى
فلا تعد لحديث ان طبعهم ... موكل بمعادات المعادات

المعادات الاولى مفاعلة من العداوة والثانية جمع معاد اسم مفعول من الاعادة اى الحكايات التى تعاد ومن الحكايات اللطيفة فيما يتعلق بالسمر ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان لما علم ان ابن عمه عمرو بن سعيد ابن عبد الملك ارعز عليه لصدوره وشرد عنه النفوس واستجاش عليه اليمن ونازعه ودام ملكه ساعيا فى هلكه استوحش عن بطانته واحتجب عن سماره فدعا فى عشية من عشايا وحشته بخادم له فقال انطلق متنكرا فقف فى طريق من طرق المسجد وتامل من يمر بك فاذا رايت كهلا مهيبا رث الملبس يمشى مشيا هونا وهو مطرق فسلم عليه وقل له سرا امير المومنين يدعوك فان اسرع الاجابة فاتنى به فانطلق الخادم فاتاه برجل على ما وصف له فلما دخل على الوليد حياه بتحية الخلافة فاحسن التحية ودعا له فاحسن الدعاء وقام فامره الوليد بالدنو والجلوس وامهله حتى سكن جاشه ثم اقبل عليه فقال له اتحسن مسامرة الخلفاء فقال نعم فقال له الوليد ان كنت تحسن المسامرة فاخبرنا ما هى فقال المسامرة اخبار لمنصت وانصات لمخبر ومفاوضة فيما يعجب ويليق بالحال فقال الوليد احسنت لا ازيدك امتحانا فقل انصت لقولك فقال الكهل ان المسامرة صنفان لا ثالث لهما احدهما ما يوافق خبرا مسموعا والآخر اخبار ربما يوافق مقصودا مقترحا فان لم اسمع من امير المومنين خبرا فاحدوا على مثاله ولا اقترح على سلوك طريقة فانحو نحوها والزم اسلوبها فقال الوليد صدقت ها نحن نرسم لك رسما لتقتفيه انا بلغنا ان رجلا من رعيتنا سعى فيما يصم ملكنا اى يعيبه واثر سعيه فشق ذلك علينا وبلغ منا مبلغا عظيما فهل تنحى اليا ذلك فقال نعم فقال الوليد فخذ الآن فى القول على ما حسبما نمى اليك وعلى حسب ما ترضى من التدبير فيه فقال الكهل يا امير المومنين بلغنى ان الخليفة عبد الملك بن مروان لما ندب الناس الى قتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجها الى مكة المكرمة استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان عمرو المذكور قد اصر على دغل نية وطماعية فى نيل الخلافة وكان الخليفة قد فطن لذلك الا انه قد ابقى عليه لتاكد حرمته واوصر رحمه فلما كان ببعض الطريق تمارض عمرو بن سعيد واستاذن الخليفة فى العود الى دمشق فاذن له فلما دخل دمشق عمرو وصعد المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة ودعاهم الى الخلع فاجابوه الى ذلك وبايعوه واستولى على دمشق وحصن سورها وسد

ثغورها وبذل الرغايب وبلغ هذا الخليفة وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه
مع ذلك ان والى حمص قد نزع يده من طاعته وان اهل الثغور قد تشوفوا
للخلاف عليه فخرج على وزرايه وبيده مخصرة يضرب بها عطفه فاطلعهم
على ما بلغه فلما سمع وزراوه مقالته ذهلت عقولهم وعلموا انه لا مفر ولا
مقر فنكسوا رؤسهم فقال لهم مالكم لا تنطقون وهذا وقت حاجتي
اليكم فاحضروني غناكم فقال افضلهم واي غنا عندنا في هذا ووددت
والله اني كنت حربا على عود من اشجار تهامة حتى تنقضي هذه الفتن
فلما سمع عبد الملك مقالته قام عنهم وعلم ان لا غنا عندهم فامرهم بلزوم
موضعهم وركب من فوره منفردا وامر جماعة من شجعان اصحابه ان يركبوا
متسلحين ويتبعوه متباعدين بحيث يرون اشارته ان اشار اليهم فيفعلوا
وسار حتى انتهى الى شيخ كبير السن ضعيف الجسم يجمع بعض المباحات من النبات
فسلم عليه عبد الملك وانسه بحديث خفيف ثم قال له اي شيخ الك علم
بمنزل هذا العسكر فقال له الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضع كذا فقال له عبد
الملك ابلغك شي مما تقول الناس في امر الخليفة فقال الشيخ ما سوالك عنه
قال اني اريد اللحاق به والدخول في اصحابه والتعرض للحظوة عنده وقد سمعت
ان عمرو بن سعيد خالفه ورجع الى دمشق فغلب عليها فقال له الشيخ
اراك وضيا واظنك سريا حسيبا فهل تحب ان انصح لك فيما انت قاصده
فقال عبد الملك ما احوجني الى النصح فقال الشيخ الراي عندي ان تصرف
نفسك عن هذا الذي ترغب اليه فان هذا الامير الذي انت قاصده
قد انحلت عرى ملكه ونابذه عماله واضطرب امره وان السلطان في حال
اضطراب امره كالبحر في حال هيجه فلا يصلح ان يقرب فقال عبد الملك ايها
الشيخ اني اجد نفسي تنزع الى صحبة هذا الخليفة نزاعا شديدا ولا بد لي
من ذلك فهل ان تحسن الي وتخبرني بما تراه من الراي لهذا الخليفة في
تدبيره لهذه الخطوب التي دهمته لاعرض ذلك عليه واتشفع به عنده
فلعله يكون سببا لقربي منه فقال الشيخ ما معنا اني اظن ما نزل به
هو من النوازل التي لا تنفذ فيها الاراء واكره مع هذا ان اردك مسالتك
بالخيبة وها انا اقول فيما سالتني عنه قولا اقضي به حق رغبتك وان
كنت لا اثق براي فيه لان الخطب عظيم والخطر فيه ايضا اعظم فقال عبد الملك
اني لارجو ان يرشدك الله ويرشدني بك فقال الشيخ ان عبد الملك خرج
لمحاربة ابن الزبير وظهر من مشية الله تعالى ما صده عن ذلك والدليل
على ان الله تعالى لم يرد قصده لمحاربة ابن الزبير انه قطعه عن التمادي بما حدث
في دار ملكه واني مشير عليك بان تستفتح حال الخليفة فان قصد ابن الزبير
فاعلم انه مخذول فاجتنبه لانه لج في طلب ما اظهر الله منعه منه وان رايته

رجع من حيث جا فارج له السلامة لانه مستقيل والله سبحانه اهل ان
يقيل من استقاله فقال عبد الملك وهل رجوعه الى دمشق الا كمسيره الى
ابن الزبير او الى غيره ممن قد نكث بيعته او تشوف الى معصيته من اهل حمص
وغيرهم اذا كان قد ظهر من مشية الله تعالى انه قد قبض عنه قلوبهم
وحرمه طاعتهم فقال الشيخ ان الذي خفي عليك لظاهر لان عبد الملك
اذا قصد ابن الزبير في صورة ظالم لانه لم يعطه طاعة قط ولا وثب
له على مملكة ولو قصد النعمان بن بشير بحمص او زفر بن الحارث بقنسرين
امكن ان يكون في صورة ظالم لهما لانهما متاولان ان ابن الزبير احق منه
بالخلافة ولا طلبا الامر لانفسهما واذا قصد اهل الثغر كان ظالما لهم
لانهم لم ينكثوا بيعته بعد وان قصد عمرو بن سعيد كان مظلوما
لان عمروا رجل من رعيته طلب الخلافة لنفسه واغتصب دار ملك
لم تكن له ولا لابيه بل كانت لعبد الملك ولابيه ثم ان عمروا ظالم من وجه
آخر وهو انه ابن عبد الملك وعن بن الملك عز له وقد كان عبد الملك محسنا
اليه فلما خرج عبد الملك ليشيد عزا بنصيب عمرو منه موفور غدر به
عمرو وخذله واشمت به عدوهما معا وعلى الجملة فالامر شديد الخطر ورجوع
عبد الملك الى دمشق استقالة وهو اشبه بالتفويض والتسليم لامر الله
مما سوى ذلك فسر عبد الملك بمقالة الشيخ وقال له جزيت خيرا فقد احسنت
الي واني اريد ان تذكر لي اسمك ومنزلك لعلي القاك في غير وقتي هذا فقال
الشيخ اني اعطيت الله عهدا ان لا اقبل عطية بخيل فقال عبد الملك اني
غفلت عن ذلك فخذ هذا السيف ولا تخدع عنه فقيمته كذا وكذا فقال
الشيخ قد حققت عندي بخلك باستكثارك قيمته واعترفت ايضا
على نفسك بانك غافل وحسبي عطا ربي الذي لا يبخل ولا يذهل فعلم عبد
الملك فضله وزهده فقال له اني انا عبد الملك فارفع الي ما شئت من
حوايجك فقال الشيخ وانا ايضا عبد الملك فهلم نرفع حوايجنا الى من
انا وانت له عبدان فذهب عبد الملك وعمل فانجح فلما سمع الوليد بن
يزيد كلام سميره استرجح عقله واحسن جايزته وعهد اليه في ملازمته

فصل في كراهية الرجل صلاة الرجل وهو ناعس قال الفقيه رحمه الله
تعالى ويكره للرجل ان يصلي وهو ناعس ولو فعل يجوز اذا جاء بافعال
الصلوة والقراءة واذا اخشى الرجل النعاس ينبغي ان يصب الما على
وجهه اولا ثم يدخل في صلوته ولو كان في الصلاة فاخذه النعاس ينبغي
ان يحرك نفسه ويجتهد في ازالته وروى هشام بن عروة عن ابيه عن
عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نعس احدكم
في الصلوة فليرقد حتى يذهب منه النوم فانه اذا صلى وهو ينعس فلعله

يذهب يعني يكون يستغفر فيسب نفسه وفي نسخة حتى يذهب نومه ويستغفر
في نفسه وروى انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل
المسجد فراى حبلا ممدودا بين سارية المسجد فقال ما هذا الحبل فقالوا فلانة
يصلي فاذا غلب عليه النعاس تعلق به قال عليه الصلاة والسلام فليصل
ما عقل فاذا خشي ان يغلب عليه النعاس فلينم انتهى كلامه الباب

التاسع والثمانون فيما يكره في الخلاء وفيه فصل في كراهية البول في حال
القيام يكره للرجل ان يقضي حاجته في الطريق او ضفة النهر او تحت شجرة مثمرة
او شجرة يستظل الناس تحتها وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اجتنبوا الملاعن يعني الفعل الذي يوجب اللعن وروى عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال من قضى حاجته تحت شجرة مثمرة او طريق عام او على
ضفة نهر جار فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا يستحب
امساك البول بعد ما اخذه فانه يضر بالمثانة وقيل لطبيب ان ابنك
قد اخذه البول في موضع كذا فنزل عن دابته في ذلك الموضع وبال ولم
يصبر حتى يرجع الى منزله فقال بئس ما صنع حيث نزل من دابته فهلا
فعل ذلك قبل النزول عن دابته ولا ينبغي ان يطيل القعود في حاجته
وروى عن لقمان الحكيم انه قال لمولاه لا تطل القعود في حاجتك فان
ذلك يتولد منه الباسور واذا كان الرجل في ارض الفضاء فلا ينبغي له
ان يبول في جحر الارض فانه لا يامن ان يصيبه الاذى من الجن وروى
عبد الله بن شرجيل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يبولن
احدكم في جحر الارض فانها مساكن الجن انتهى كلامه اقول ضفة النهر
بالفتح والكسر جانبه كذا في المغرب والباسور واحد البواسير وهي علة
تحدث في المقعدة وفي داخل الانف ايضا كذا في الصحاح وفي المغرب هو
بالسين والصاد واحد البواسير وهو كالدماميل في المقعدة انتهى
وجحر الارض شقها ويطلق على ما يدخله الضب والحية واليربوع فصل
في كراهية البول في حال القيام قال الفقيه رحمه الله تعالى قد رخص
بعض الناس بان يبول الرجل قايما وكرهه بعضهم الا من عذر وبه
نقول فاما من اباحه فقد ذهب الى ما روى حذيفة اليماني ان النبي
صلى الله عليه وسلم اتى سباطة قوم فبال قايما ثم توضا ومسح على
خفيه واما من كرهه فقد ذهب الى ما روى عن عايشة رضي الله
عنها قالت ما بال النبي صلى الله عليه وسلم قايما منذ نزل عليه القرآن
فمن اخبرك ان النبي صلى الله عليه وسلم بال قايما فكذبه وروى نافع عن
ابن عمر رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه ما بلت قايما منذ اسلمت
وروى ابن ابي بريدة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربع

من الجفا

من الجفا ان يبول الرجل قايما وان يمسح جبهته قبل ان يفرغ من الصلاة
وان يسمع الاذان فلا يتشهد مثل تشهد المؤذن وان ذكر عنده فلا
يصلي على ما الخبر الذي رواه حذيفة فانه يحتمل انه فعله للعذر لاجل
نجاسة المكان وغير ذلك فاذا احتمل هذا فالاخذ بالاخبار المشهورة
اولى انتهى كلامه اقول السباطة الكناسة قال في المغرب والمراد بها
في الحديث ملقى الكناسات على تسمية المحل باسم الحال عن الخطابي

الباب التسعون في اكل الفالوزج واللين من الطعام
وفيه فصل في اكل الثوم قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض القرآنيين
اكل الفالوزج واللين من الطعام واباحه عامة العلماء اما من كره
ذلك ذهب الى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من السرف
ان ياكل الرجل كل ما يشتهيه قال حذيفة كم من شهوة ساعة اورثت
صاحبها حزنا طويلا وروى عن عمر رضي الله عنه انه اتي بشراب من
عسل فاخذه ثم رده ثم قال خشيت ان اكون من الذين قال الله تعالى
اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واما من اباحه فانه ذهب الى ما روى
وكيع عن عمر بن ذر عن ابيه ان عمر رضي الله عنه لما وجه الناس
العراق قال انكم تاتون ارضا تؤتون فيها بالوان الطعام فكلما وضع
لون بين ايديكم فاذكروا اسم الله تعالى ثم كلوا وروى عن الحسن البصري
انه كان على مائدة ومعه مالك بن دينار واتي بفالوزج فامتنع مالك
عن اكله فقال له الحسن كل فان نعمة الله عليك في الماء البارد اكثر من هذا
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اكل الرطب بالبطيخ وروى
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه اكل البطيخ بالسكر وقال الحسن
البصري لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عابه مسلم انتهى كلامه اقول
الفالوزج اعجمي معرب اصله بالوده اي وقال الجواليقي في كتابه المعرب
من الكلام الاعجمي الفالوذ اعجمي معرب وكذلك الفالوذق واللوزينج من

الحلو معرب ايضا ذكره الجواليقي **حكاية** في المعنى قال ابو الفرج بن الجوزي رحمه الله
تعالى في كتاب الاذكيا بلغنا ان الرشيد قال لابي يوسف ما تقول في الفالوذج
واللوزينج ايهما اطيب فقال يا امير المومنين لا اقضي بين غايبين فقال
فامر باحضارهما فجعل ابو يوسف ياكل من هذا لقمة ومن ذا اخرى
حتى نصف جاميهما ثم قال يا امير المومنين ما رايت خصمين اجدل منهما
كلما اردت ان اسجل لاحدهما ادلى الاخر بحجته **ولجدي الاعلا** لانى محب
الدين ابي الوليد محمد بن الشحنه الحنفي الحاكم بالقاهرة كان ما كتب به
لبعض اصحابه وقد وعده بمشترى لوزينج وارساله اليه واخلف
الوعد وهو قوله

اوعدتم ان تزنوا فضة	وتبعثوا للعبد لوزينجا
اخلفتم للحال ميعادكم	ولم تفوا الوعد ولوزينجا

واما قوله تعالى في سورة المائدة يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم ففيه اباحة الماكل وغيره مما احله الله لنا قال تاج القرا
سبب نزول ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما فذكر
الناس ووصف القيمة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع
عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي واتفقوا على ان يصوموا
النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك
ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا
في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا
الخير فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فاني اقوم وانام وافطر واكل اللحم والدسم ومن رغب عن سنتي فليس
مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام
والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين
ورهبانا فليس في ديني ترك اللحم والنسا ولا اتخاذ الصوامع فان
سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا
به شيا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا شهر
رمضان فانما هلك من كان قبلكم بالتشدد فشددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل
الله هذه الاية فقالوا يا رسول الله وكيف نصنع بايماننا التي حلفنا
عليها وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا فانزل الله تعالى لا يواخذكم الله
باللغو في ايمانكم وعن ابن عباس ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اذا اكلت انتشرت الى النساء واني حرمت على اللحم فنزلت ولا تحرموا

اي لا تمنعوا من اكل اللذيذات من الاطعمة والاشربة ولا من التمتع
بالملابس والنساء والجواري باليمين والنذر ولا تعتدوا اي لا تجاوزوا
ما حرم عليكم في تحريم ولا تحليل ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم
الله حلالا طيبا مستلذا به وتمتعوا به واتقوا الله الذي انتم به
مومنون انتهى وقد تقدم الكلام على قوله تعالى قل من حرم زينة الله
التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق في الباب الثامن والخمسين في الجمال
فصل في اكل الثوم والبصل قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض الناس
اكل الثوم واباحه الاخرون اما من كرهه فقد ذهب الى ما روى القاسم
مولى ابي بكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكل من هذه البقلة
الخبيثة فلا يقربن مسجدنا هذا حتى يذهب ريحها من فيه يعني الثوم
وروى عطا بن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكل من هذه
الشجرة الخبيثة فلا يوذينا في مساجدنا وليجلس في بيته **وسيل الحسن**
عن الثوم ينظم في خيط فيجعل في السكباج فكرهه قيل له انه لا يصلح
الا به قال لا خير في طعام لا يصلح الا به واما من اباحه فقد ذهب الى ما
روى عبد الرحمن بن ابي ليلى قال اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم مرقة
فيه ثوم فارسل به الى ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه فقال ابو ايوب
يا رسول الله اكل شيا كرهته اذ يناجيني جبريل فيجد ريحه **وروى**
سفيان عن عبيد الله عن ابي يزيد عن ابيه قال نزلت على ابي ايوب
الانصاري رضي الله عنه فحدثني انهم تكلفوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم طعاما فيه بعض هذه البقول فاتوا به فكرهه وقال
لاصحابه كلوا فاني لست كاحدكم فاني اخاف ان اوذي صاحبي وعن
ابن سيرين انه قال كان يذر لي لابن عمر الثوم فيجعل في الخيط فيترك
في القدر حتى اذا نضج رفع الخيط بما فيه وعن محمد بن علي رضي الله عنهما
انه قال نحن ال محمد ناكل الثوم والبصل والكراث انتهى كلامه **اقول**
السكباج بكسر السين المهملة وتخفيف الكاف الساكنة مرق وكان فيه
الزعفران فلهذا يقال السكباج الاصفر كذا في المغرب وقد تبين بما
ذكر ان كراهته وما اشبهه انما هي بسبب خبث رايحته وايذا الملايكة
بها **وقد روى الطحاوي** ابو جعفر رحمه الله تعالى في شرح الاثار له
في باب اكل الثوم والبصل والكراث احاديث كثيرة منها عن ابن عباس
من اكل من خضرا واتكم هذه ذوات الرواح فلا يقربنا في مساجدنا فان
الملايكة تتاذى منه بنو ادم ومنها عن ابن عمر من اكل من هذه الشجرة
فلا ياتي المساجد ومنها عنه من اكل من هذه البقلة فلا يقربن المسجد
حتى يذهب ريحها ومنها عنه انه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن اكل الثوم بخيبر وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من اكل من هذه الشجرة فلا يقربن ولا يصلين معنا ثم قال ابو جعفر
فكره قوم اكل الثوم وذوات الريح اصلا واحتجوا في ذلك بهذه الاثار
وخالفهم في ذلك اخرون وقالوا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اكلها
لا لانها حرام ولكن لئلا يؤذي ريحها من يحضر معه المسجد وقد جاء في
ذلك اثار اخر ما قد دل على ذلك فذكر ابو جعفر في ذلك احاديث كثيرة
ايضا منها انه صلى الله عليه وسلم قال من اكل من هاتين الشجرتين
الخبيثتين فلا يقربن مسجدنا فان كنتم لا بد اكليهما فاميتوهما طبخا قال
فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اباح اكلهما بعد ذهاب ريحهما
فدل نهيه عن اكلهما انما كان لكراهة ريحهما لا انهما حرام في انفسهما
وعن ابي يزيد قال نزلت على ام ايوب الانصارية التي كان النبي صلى الله
عليه وسلم نزل عليهم فحدثتني انهم تكلفوا له طعاما فيه بعض هذه
البقول فاتوه به فكرهه فقال لاصحابه كلوه فاني لست كاحدكم اني اخاف
ان اوذي صاحبي يعني جبريل عليه السلام وروى ابو جعفر في اخر الباب
عن علي رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناكل
الثوم وقال لولا ان الملائكة تنزل علي لاكلته قال ابو جعفر فقد دل على
ما ذكرنا على اباحة اكلها مطبوخا كان او غير مطبوخ لمن قعد في بيته
وكراهة حضور المسجد وريحه موجود لئلا يؤذي بذلك من يحضره من
الملائكة وبني ادم فبها ناخذ وهو قول ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد
رحمهم الله تعالى انتهى كلامه ملخصا وقد ذكر الاطباء اشياء مما يذهب
رائحة ذلك كله فلنذكر بعضا من ذلك فما هو من اقراباذين السمرقندي
لقطع رائحة الثوم والبصل ان يمضغ بعد اكلها من الكسفرة الرطبة او
اليابسة مضغا قويا ويبتلع شيئا من ماء ذلك وياكل من الباقلاء
والعدس المقلوين او يمضغ النعنع او الفوتنج وهو النعنع النهري
ويشرب عليه قليل خليل انتهى ومما يذهب رائحتهما مضغ السذاب
ويذهب رائحة البصل اكل التمر بعده ومما جرب لاذهاب رائحة الثوم
اكل الرازيانج وهو الشمر وابتلاعه وقيل اكل قلب الجوز الشامي اليابس
يذهب ذلك وانه مجرب ويحتمل ان كلما كانت رائحته حادة عطرة فانه
يذهب رائحة ذلك كالقرنفل والقرفة وجوزة الطيب

الباب الحادي والتسعون في الجرس

قال الفقيه رحمه الله تعالى روى ابن
عمر رضي الله عنه عن ام حبيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
العير التي فيها الجرس لا تصحبها الملائكة وروى عن عائشة رضي الله
عنها انها دخلت عليها امراة ومعها صبي على رجله جلاجل فقالت اخرجوا

منفر الملائكة

منفر الملائكة فاخرجوه وروى خالد بن معدان ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى راحلة عليها جرس فقال تلك مطية الشيطان وروى عامر بن عبد الله
عن امراة يقال لها الريحانة قالت دخلت على عمر رضي الله عنه ومعي صبي على
رجله اجراس فقال عمر اجرني فان هذا للشيطان قال الفقيه قد اجاز العلماء
الجرس للدواب اذا كان فيه منفعة او مصلحة والخبر انما ورد للذي
هو للهو واما اذا كان فيه منفعة او مصلحة فلا باس بذلك انتهى كلامه

الباب الثاني والتسعون في خصاء الحيوان وسمة البهائم

قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض الناس خصاء الحيوان كله واحتجوا
بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا خصاء في الاسلام ولا
كنيسة يعني لا تحدث كنيسة في دار الاسلام سوى ما كان في القديم وذكر
قوله تعالى ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال الخصاء وروى ابن عمر رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان تخصى الابل والبقر والخيل
والغنم وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول منها نشاء الخلق فلا تصلح الاناث
الا بالذكور يعني ان الله تعالى خلق الذكور والاناث للنسل وفي الخصاء
قطع النسل وقال بعضهم يجوز خصاء الحيوان كلها الا الخيل لما روي
عن عمر رضي الله عنه انه نهى عن خصاء الفرس قال وخصاء البهائم كلها
يجوز سوى بني ادم وبه ناخذ لان فيه منفعة للناس والناس قد احتاجوا
الى ذلك فكما يجوز ذبح الحيوان للحاجة الى لحمها فكذلك يجوز الخصاء اذا
كان في ذلك منفعة للناس وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ضحى بكبشين خصيين ولولا ان في الخصي منفعة ما لم تكن في غيره
والا لما اختار النبي صلى الله عليه وسلم اضحية الخصي لان الخصي اطيب
لحما واكثر شحما فثبت بهذا ان الخصاء جائز وكذلك في سائر الحيوانات
اما الخبر الذي قال لا خصاء في الاسلام فالمراد به عند اكثر اهل العلم
خصاء بني ادم وقال بعضهم معناه ان يخصي الرجل نفسه لما روي في خبر
عثمان بن مظعون انه هم بذلك حتى نهاه النبي صلى الله عليه وسلم فانتهى وانصرف
اليه فان قيل لم لا يجوز خصاء بني ادم وفيه اذا منفعة قيل لا منفعة فيه
لانه لا يجوز للخصي ان ينظر النساء كما لا يجوز للفحل وكره بعض الناس سمة البهائم
لان فيه تعذيب البهيمة بغير الفائدة وقال بعضهم لا باس به اذا كان

فى ذلك منفعة لان فى ذلك العلامة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه اشعر بدنته فى صفحة سنامها وانما اشعرها لاجل العلامة فكذلك
السمة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كى الحيوان
على الوجه ففيه دليل على انه جائز فى غير الوجه انتهى كلامه اقول وروى
البخارى رحمه الله تعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم مر عليه بحمار قد
وُسِمَ فى وجهه فقال لعن الله من فعل هذا وفى رواية لعن الله الذى
وسمه وروى الخطابى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال اتيت النبى صلى
الله عليه وسلم باخ لى حين ولد ليحنكه فاذا هو فى مربد يسم غنما احسبه
قال فى آذانها قال الخطابى فى شرح السنن فى هذا دلالة على ان الاذن ليس من
الوجه لانه قد نهى صلى الله عليه وسلم عن وسم الوجه وضربه انتهى واما
الكى للادمى فقد تقدم شئ من ذلك فى الباب التاسع والستين وردت فى
شرح الاثار للطحاوى آثار واخبار دالة على النهى عنه وعلى اباحته للتداوى
قال الطحاوى رحمه الله تعالى ففى هذه الاخبار اباحة الكى للداء المذكور فيها
وفى الاثار الاول النهى عن الكى فاحتمل ان يكون المعنى الذى كانت له الاباحة
فى هذه الاثار غير المعنى الذى كان له النهى فى الاثار الاول وذلك ان قوما كانوا
يكتوون قبل نزول البلاء بهم ويرون ان ذلك يمنع البلاء ان ينزل بهم كما
يفعل الاعاجم فهذا مكروه لانه ليس على طريق العلاج وهو شرك لانهم يفعلونه
لدفع قدر الله تعالى عنهم فاما ما كان بعد نزول البلاء فانما يراد به العلاج
والعلاج مباح ماثور وقد بين جابر بن عبد الله فيما رواه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال ان يكن فى شئ من ادويتكم هذه خير ففى شرطة محجم او شربة عسل او لذعة
نار توافق داء واما احب ان اكتوى فاذا كان فى هذا الحديث ان لذعة النار
التى توافق الداء مباحة والكى مكروه وكانت اللذعة بالنار كية ثبت ان الكى
الذى يوافق الداء مباح وان الذى لا يوافق الداء مكروه ويحتمل ان يكون الكى
منهيا عنه على ما فى الاثار الاول ثم ابيح بعد ذلك على ما فى الاثار الاخر وذلك
ما ورد عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستاذنه فى الكى فقال لا تكتوى فقال يا رسول الله بلغ بى الجهد
ولا اجد بدا من ان اكتوى قال ما شئت اما انه ليس من جرح الا وهو آت
الله يوم القيمة يدمى يشكو الالم الذى كان بسببه وان جرح الكى ياتى يوم
القيامة يذكر ان سببه كان من كراهية لقاء الله ثم امره ان يكتوى منه
ففى هذا الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكى واباحته اياه
بعد ذلك فاحتمل ان يكون ما فى الاثار الاول كان من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى حال النهى المذكور فى هذا الحديث وما كان من الاباحة فى الاثار الاخر كان
عند ما كانت من الاباحة المذكورة فى هذا الحديث فتكون الاباحة ناسخة

للنهى

للنهى وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كوى سارقا بعد ما قطعه
واتى برجل سرق فلما اقر قال اذهبوا به فاقطعوه ثم احسموه ثم ائتونى به ثم تب الى الله
ففى هذا ايضا دليل على اباحة الكى الذى به العلاج لانه دواء وقد سال الاعراب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل علينا جناح ان نتداوى فقال تداووا
عباد الله ان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له دواء الا الهرم وفى حديث
آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس تداووا فان الله عز وجل
لم يخلق داء الا خلق له شفاء الا السام والسام بالمهملة الموت وقال صلى الله
عليه وسلم لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى
فاباح لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتداووا والكى مما كانوا يتداوون
به وقد اكتوى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده للتداوى

الباب الثالث والتسعون فى النهى عن اقتناء الكلب

قال الفقيه رحمه الله تعالى روى عن   عن ابيه عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه نهى عن اقتناء الكلب الا لماشية او لصيد نقص من اجره كل يوم
قيراط وروى عطية عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال من اقتنى كلبا الا لماشية او لصيد نقص من اجره كل يوم قيراطان
قيل يا ابا عبد الرحمن انا كنا نسمع قيراطا قال سمعتاه اذناى ووعاه قلبى الذى
لا اله الا هو يقول قيراطان وروى ابو هريرة رضى الله عنه انه اذا امسك
الكلب للحاجة فلا باس به واذا امسكه لاغراء والمناحرة فهو مكروه وروى
ابراهيم النخعى ان النبى صلى الله عليه وسلم رخص لاهل بيت قاصيا اقتناء
الكلب وروى عن كعب بن منبه انه قال ان آدم عليه السلام لما اهبط الى
الارض قال ابليس للسباع ان هذا عدو لكم فاهلكوه فاجتمعوا وولوا امرهم الى
الكلب وقالوا انت اشجعنا وجعلوه اميرا فلما راى ذلك آدم وتحير فيه فجاءه
جبريل صلوات الله عليه وقال له امسح بيدك على راس الكلب ففعل ذلك
فالفه الكلب فلما رات السباع ان الكلب قد الف آدم تفرقوا فاستامنه
الكلب فآمنه آدم فبقى معه ومع اولاده الى يوم القيمة انتهى كلامه اقول
الحديث الاول اراه فى المصابيح والحديث الثانى فى المصابيح من الصحاح بلفظ
من اقتنى كلبا الا كلب ماشية او ضار نقص من عمله كل يوم قيراطان ولعل ذلك
الضاير ونقص القيراطين لاقتناء النجاسة بلا حاجة مع وجوب التجنب
عنها ولان اقتناءه بلا حاجة وسيلة الى رد السائل قيراط لرد الضيف
بنباحه عليهما فيرجعان عنه فينقص خيره قيراط لرد السائل وقيراط لرد الضيف
والحديث الثالث ورد بلفظ من اتخذ كلبا الا كلب ماشية او صيد او زرع
انتقص من اجره كل يوم قيراط وقيل النقص من ثواب اعمال المقتنى الصالحة
وقد ذكر كمال الدين بن حجة الحموى فى كتابه المسمى ان الكلب لا سبع تام ولا بهيمة

تامة كان من جانب الخلق المركب لانه لو تم له طباع السبعية ما الف
الناس واستوحش من البراري والقفار ولو تم له معنى البهيمية في
الطبع لما اكل لحم الحيوان ومن عجيب امره انه يعرف الميت من المتماوت حتى
يقال ان الروم لا يدفنون ميتا حتى يعرضونه على الكلاب فيظهر من شمه
اياه علامة يستدلون بها على حيوته وموته ويقال ان هذا الحذق
لم يوجد الا في كلب مسمى القلطي وهو صغير الجرم قصير القوايم جدا اقول
ولعله ينسب الى الغلطه بالغين المعجمة وهي بلدة صغيرة مسورة
مشهورة مقابلة القسطنطينيه بينهما البحر وقد يكون اسمها في
القديم بالقاف وهذا النوع من الكلاب كثير بالقسطنطينية
وغيرها من بلاد الروم تربيه الاكابر والاصاغر ويجلسونه على فرشهم
وثيابهم ويدخلون به الحمامات يغسلونه ويحنونه ويمسكونه
الشمعة بين ايديهم ويضعون على راسه السراج فلا يرميه وكان
قليلا ببلاد الشام ويسميه اهلها الكلب الافرنجي والآن كثر بها من
حين استيلاء الدولة العثمانية عليها ادامها الله تعالى موصوفة
بالجهاد في اهل الكفر والعناد وبالشفقه والرحمة على المسلمين من
العباد من ساير البلاد وذكر الدميري رحمه الله تعالى ان الكلب نوعان
اهلي وسلوقي نسبة الى سلوق بلدة باليمن انتهى وسلوق بفتح السين
المهملة وقال ابن دريد في الجمهرة والسلوق وهو الذي تنسب اليها
الكلاب السلوقية قال الاصمعي تنسب الى سلقية موضع بالروم وكذلك
الدروع انتهى ومن اعجب الاحوال في السلوقي انه اذا عاين الظبا قريبة
كانت منه او بعيده عرف المقبل منها والمدبر وعرف العنز من التيس
واذا ابصر القطيع لم يقصد غير التيس لعلمه انه اذا عدا شوطين لم
يستطع البول مع شدة الحضر وشدة القوايم فيقصر مداه خطاه
ويعتريه البهر فيلحقه الكلب والعنز اذا اعتراها البول في العدو
تمسكه وتقذف به لسعة السبيل ولاجل ذلك لا يطلبها واناث
السلوقية اسرع تعلما من الذكور والفهد بالعكس ودلايل الفراهة
والنجابة في الكلاب السلوقية طول ما بين اليدين والرجلين وقصر
الظهر وصغر الراس وطول العنق وغضف الاذنين وبعدما بينهما خلقة
كذا في المغرب وقيل غضف اليدين وبعد ما بينهما وزرقة العين
ونتو الجبهة وعرضها وقصر اليدين واما الالوان فيقال السودا
اقل صبرا على الحر والبرد والبيضا فره اذا كن سود العيون وقيل
ان السود اصبر على البرد واقوى وكذلك كل اسود من الحيوانات
ودلايل الفراهة في الجرا اذا ولدت الكلبة واحدا كان افره من ابويه

واذا ولدت ذكرا وانثى كان الذكر افره وان ولدت ثلاثة في انثى في شبه الام
كانت افره الثلاثة فان كان في الثلاثة ذكر فهو افره قال الدميري
والكلب يحتلم والانثى منه تحيض وتحمل ستين يوما ودونها وتضع جراها
عميا فلا تنفتح عيونها الا بعد اثنى عشر يوما والذكور تهيج قبل الاناث وتنزو
اذا كمل لها سنة وربما عرض لها قبل ذلك اقول النزو يكون بالبلوغ وكان
يبلغ اذا كمل له سنة غالبة وقد يكون قبلها ويحكى عن الامام الشافعي
رحمه الله عليه انه مر عليه كلب يرى فقام له فقيل له في ذلك فقال انه
شيخي في مسئلة سالته متى يبلغ الكلب قال اذا بلغ رفع رجله عند
البول قال الدميري واذا اسفدها كلاب مختلفات الالوان ادت الى
كل كلب شبهه وبينه وبين الضبع عداوة اذا حمل الانسان لسان ضبع
لم ينبح عليه كلب ومن عجيب طباعه ان يكرم لابس الحلة من الناس واهل
الوجاهه ولا ينبح احدا منهم وربما حاد عن طريقه وينبح على الاسود
من الناس والدنس اللباس والضعيف الحال ومن طبعه التودد بحيث
اذا دعي بعد الضرب والطرد رجع ويقبل التعليم حتى لو وضعت على
راسه مسرجه وطرح له ماكول لم يلتفت اليه ما دام على تلك الحالة فاذا
اخذت المسرجة وثب الى ماكوله ونقل سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان
عن الحسن البصري رضي الله عنه انه قال في الكلب عشر خصال محمودة
احدها ما يزال جايعا وذلك داب الصالحين والثانية لا يكون له مكان
معروف وذلك من علامات المتوكلين والثالثة لا ينام طول ليله وذلك
من صفات المحبين والرابعة اذا مات لم يخلف شيئا وذلك من صفات
المتزهدين والخامسة لا يفارق صاحبه وان آذاه وجفاه وتلك
امارات المريدين والسادسة ان يرضى من الدنيا بادنى الاماكن وذلك
من اوصاف القانعين والسابعة اذا غلب على مكان تركه ومضى الى
غيره وتلك علامة الورعين والثامنة اذا طرد عاد وتلك صفات
المحافظين والتاسعة اذا حضر المعلوم قعد بعيدا وهذه صفات
المتاملين والعاشرة ليس له ماوى وهذه من اوصاف المتجردين
وقال الدميري اول من اتخذ الكلب للحراسة نوح عليه السلام قال يا رب
امرتني ان اصنع الفلك وانا في صناعته اصنع اياما فيجيئون بالليل
فيفسدونه كلما عملت فمتى يلتئم لي ما امرتني به قد طال على امري فاوحى
الله تعالى اليه يا نوح اتخذ كلبا يحرسك فاتخذ نوح كلبا وكان يعمل بالنهار
وينام بالليل فاذا جاء قومه ليفسدوا بالليل نبحهم الكلب فيتنبه نوح
فياخذ الهراوة وينهض لهم فينهزمون منه فالتام له ما اراد وقد ذكر
الهراوة في الباب السادس وفي كتاب فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب

خصايص العشرة في الكلب

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا قتيلا فقال ما شانه فقالوا
انه وثب على غنم بنى زهرة فاخذ منها شاة فوثب عليه كلب الماشية
فقتله فقال صلى الله عليه وسلم قتل نفسه واضاع دينه وعصى
ربه وخان اخاه وكان الكلب خيرا منه وقال ابن عباس رضى الله عنه
كلب امين خير من صاحب خؤون وكان للحارث بن صعصعة
ندمآء لا يفارقهم فخرج فى بعض منتزهاته ومعه ندماؤه فتخلف
منهم واحد فدخل على زوجته فاكلا وشربا ثم اضطجعا فوثب الكلب
عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث الى منزله وجدهما قتيلين فعرف الامر
وانشا يقول

وما زال يرعى ذمتى ويحوطنى	ويحفظ عرسى والخليل يخون
فيا عجبا للخل يهتك حرمتى	ويا عجبا للكلب كيف يصون

واما قوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة قال
العلمآء امتناعهم كون الصورة معصية فاحشة وفيها مضاهاة
لخلق الله تعالى وسبب امتناعهم من البيت الذى فيه الكلب كثرة اكله
النجاسات ولقبح رائحته والملائكة تكره الرائحة الخبيثة فعوقب متخذها
بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وفعلها
ذلك الشياطين والملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب وصورة هم
ملائكة يطوفون بالرحمة والتبرك والاستغفار واما الحفظة الموكلون
بقبض الارواح فيدخلون فى كل بيت ولا يفارقون بنى آدم فى حال لانهم
ماموروں باحصآء اعمالهم وكتابتها قال الخطابى رحمه الله تعالى وانما
لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة يعنى مما يحرم اقتناؤه من الكلاب
والصور فاما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة
التى تمتهن فى البساط والوسادة وغيرها فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه
وسياتى بالباب السادس والتسعين شئ من معانى الحديث المذكور واما
الكلب الكردى المنسوب الى الكردة قال فى المغرب الكرد جيل من الناس لهم
خصوصية فى اللصوصية وكلابهم موصوفة بطول الشعر وكثرته
وليس فيها شئ من امارات كلاب الصيادين بل هى من كوادنها ولما عرف
محمد رحمه الله تعالى بالاخبار وبالاختبار انها ليست من كلاب الصيد سمع
فى الاسود انه شيطان اشفق ان يظن ظان ان صيدهما لا يحل فخصهما
بالذكر حيث قال الكلب الكردى والاسود سوآء فى الاصطياد بهما والاسود
الذى هو شيطان هو ذو النقطتين لما ورد فى المصابيح عن جابر قال امرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب حتى ان المراة تقدم من
البادية بكلبها فنقتله ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

قتلها

قتلها وقال عليكم بالاسود البهيم ذى النقطتين فانه شيطان وذو النقطتين
الذى فوق عينيه نقطتان بيضاوان وخص الاسود بالقتل لانه
اكثر اضرارا للناس واقل نفعا وابعد من الصيد والحراسة واكثر نعاسا وهو
اعقر الكلاب والكلب بفتح اللام اسرع اليه منه الى جميعها وعن ابن عباس
رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين
البهائم اى الاغرا بين القوم وكذلك بين الكلاب كذا فى الصحاح وكذلك
بين كبشين لينتاطحا او ديكين ليقتتلا وما اشبه ذلك وقد يعرض لبعض
الكلاب دآء يسمى الكلب بفتح اللام وهو جنون فاذا عض احدا يحصل للمعضوض
ما حصل للكلب من الاحوال وربما خرج من احليله صفة كلاب صغار
مخلقة وقد جعل الاوائل لمن عضه الكلب الكلب طلاسم ذكر الدميرى
ان بقرية من اعمال حلب بئرا يقال لها بئر الكلب الكلب اذا شرب منها من
عضه الكلب الكلب برا اذا لم يمض عليه اربعون يوما وان ذلك مجرب
وذكر ابن شداد فى تاريخ حلب ان الى جانب قرية قبتان الجبل غربى
حلب قرية خربة تعرف بجب الكلب متى نظر المعضوض الى مائها وشرب منه
او اغتسل برى وذكر ما ملخصه ان خاصيته بطلت بسبب ان امراة رمت
فيه خرقة حيض فى حدود الخمسماية وقيل انه فى سنة ست وتسعين
واربعماية امر ملك حلب الملك رضوان بن تاج الدولة تتش ان يوسع
بابه فانه كان ضيقا عليه اربعة اعمدة تمنع ان ينزل فيه فقيل
له ان هذه الطلسمات لا يجب ان تغير عن كيفياتها فلم يقبل وفتحه فزال
ما كان يزيل الاذى قال وكانت علامة حصول النفع به ان المعضوض اذا
ابصر النجوم فى مائه برى واذا لم ينفعه سمع نبيح الكلاب ومتى يرى النجوم
يبول بعد سبعة ايام ثلاثة اجرا مصورة باذنابها ورؤسها وكان هذا
الجب من عجايب الدنيا فانه كان يقال ثلاثة بحلب وعلها من عجايب الدنيا
جب الكلب ونهر الذهب وقلعة حلب فالجب زال حكمه كما تقدم واما
نهر الذهب فهو نهر مدينة الباب شرقى حلب بشمال يسمى بذلك لكونه يباع
اوله بالقبان وآخره بالكيل فلا يذهب شئ من مائه هدرا وذلك انه
يخرج من سراب شمالى الباب فيجرد فيظهر على وجه الارض يزرع عليه
الرازيانج وهو الشمر والشونيز وهو حبة البركة والانيسون والكمون
وغير ذلك من الفواكه مما يباع بالقبان ثم ينتهى ماؤه الى سبخة بقرية
شرقى حلب اسمها الجبول بتشديد الموحدة التحتية فيصير ملحا يباع
بالكيل لاهل حلب ومعاملاتها ونواحيها فيحصل منه حينئذ فى
كل ثلاث سنوات واما قلعة حلب فقد تقدم ذكر شئ من فضائلها
وآثارها القديمة فى الباب السادس عند اسم سيدنا ابرهيم الخليل ويحيى بن

فيجرد

ابن زكريا وحزقيل عليهم الصلاة والسلام وسياتي ان شاء الله تعالى ذكر
شي من اخبارها المتقدمة الى يومنا هذا بالملحق بهذا الباب الباب
الرابع والستون في البنا والعمارة قال الفقيه رحمه الله تعالى
كره بعض الناس ان ينفق الرجل ماله في البنا واحتجوا بما روى ابو هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد الله بعبد شرًا
اهلك ماله في اللبن والطين وفي خبر اخر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من بنى فوق ما يكفيه جاء يوم القيمة حاملا لها على عنقه وروى
عن الحسن البصري رحمه الله تعالى ان رجلا قال له اني قد بنيت دارًا فادخلها
وادع لها بالبركة فقام الحسن مع اصحابه ونظر في الدار فقال اخربت دار
نفسك وعمرت دار غيرك وغرك من في الارض ومقتك من في السماء وقال
بعضهم لا باس به لان الله تعالى قال تتخذون من سهولها قصورًا
وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا الاء الله فاخبر تعالى ان بناء القصور
من نعماء الله تعالى وقال عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق وذكر ان ابنا لمحمد بن سيرين بنى دارًا وانفق
فيها مالا كثيرا وذكر ذلك لمحمد بن سيرين فقال اما ارى به باسا بان يبني
الرجل بماله ما ينفعه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انعم
الله على عبده احب ان يرى اثر النعمة عليه ثم ان من اثر النعمة البناء الحسن
والثياب الحسنة الا ترى ان لو اشترى الرجل جارية جميلة بمال عظيم فانه
يجوز وان كان يكفيه دون ذلك فكذلك البنا قال الفقيه رحمه الله تعالى
الافضل له ان يصرف ماله الى امر آخرته فان انفقه في امر دنياه في البنا
او في الثياب فهو غير حرام بعد ان يجتنب من ثلاثة اشيا اولها ان لا
يكتسب المال من حرام او شبهة والثاني ان لا يظلم مسلمًا او معاهدًا
والثالث ان لا يضيع فريضة الله تعالى من وقتها وسنة رسوله
انتهى كلامه اقول معنى قول الفقيه رحمه الله تعالى ان لا يكتسب المال
من حرام او شبهة اي يكون ماله حلالا سالما من الحرام وشبهته بحيث
يرجا البركة فيما ينفقه فيه ومعنى قوله ان لا يظلم مسلما او معاهدًا
اي لا يظلمهما او احدهما فيما يفعله من عمارة وغيرها بغصب او شراء
اخشاب واحجار او آلات وعدم عطاء اجرة عملة او تنقيصها وما اشبه
ذلك او لا يظلمهما باخذ مال منهما بغير حق او شبهة فيصرفه على بنائه
او ثيابه او مصالحه فهو حرام ومعنى قوله ان لا يضيع فريضة الله من وقتها
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يعني لا يوخر شيا من ذلك عن وقته
فيعطي ما وجب عليه من زكوة ماله الذي يريد صرفه في البناء وغيره
عند استحقاقه عليه على الفور قبل صرف شي منه في مصالحه وكذا يأتي

بالصلوات المفروضة وسننها في اوقاتها ليكون مبتديا في عمله بما فرضه
الله عليه وبسنن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قبل شروعه في مصالح
نفسه حينئذ وقلبه متفرغ من حقوق الله تعالى ورسوله نال ما رامه
ورفع الله درجته في الدنيا والآخرة ومقامه ومما ذكر في ذم البنا
ان اهل محلة ليس لها مسجد اتفقوا على بناء مسجد فيها فقصدوا اهل الخير
ليحصلوا منهم ما يستعينون به على ذلك فكان ممن قصدوه الامام
ابو حنيفة رضي الله عنه فاعطاهم دينارًا فاخذوه ومضوا وقالوا لا نصرف
هذا الدينار الى الاخر فوضعوه بورقة بين الدراهم تبركا به وجعلوا يصرفون
منها ويضعون عليها الى اذا انتهت العمارة فقالوا نفتح عليه الدراهم
وننظر ما نفعل بها لنوجه له وجها ففتحوها فلم يجدوا فيها سوى دينار
الامام الاعظم فعجزوا ان يروا له شيئا يصرفونه فيه فلم يجدوا فاتوا به
الى الامام وردوه عليه فقال لهم لم لم تصرفوه فقالوا ابقيناه بين الدراهم
للتبرك وان نصرفه في اخر الامر فلما انتهينا لم نجد له وجها من العمارة
نصرفه فيه فاخذه منهم وحمد الله وشكره فلما مضوا قيل له يا امام
رأيناك حمدت الله وشكرته اذ رد عليك الدينار ولم يصرف في عمارة المسجد
فقال اني لما اعطيتهم ذلك ندمت وقلت في نفسي من اين دخل عليّ
هذا الدينار الحرام حتى اعطيته في العمارة ولم يدخل فيها مال الحلال فلما
عادوا به وردوه علمت انه حلال فحمدت الله وشكرته ورأى بعضهم دارًا
تبنى فقال من ذا الذي يقيم لبانيها كفيلا بالاقامة بها وجواب البهلول
للخليفة لما بنى له قصرا وساله هل في هذا القصر عيب فقال له فيه عيبان
يموت صاحبه ويخرب هو فيه دليل على كراهية العمارة لما فيها من اذهاب
المال مع عدم بقاء بانيها وخرابها وقال بعضهم

لله ملك ينادي كل يوم
لدوا للموت وابنوا للخراب

وقال آخر

ارى لك بانيا لا يقوم بهادم
فكيف ببان خلفه الف هادم

ومما ذكر في مدح البناء قول صاحب آداب السياسة اعلم ان دار المرء عشه
وفيها عيشه وجنته وفيها تتم مفاكهته وصومعته وفيها تستتر
زوجته وتاوي ذريته وعصمته التي يكف فيها سمعه وبصره
ولسانه فاذا كانت الدار بهذه المثابة فليعمرها الانسان دارًا ولم
يامل فيها قرارًا قال وقد ذكر الله تعالى الابنية والمساكن فقال
تعالى في سورة ومساكن طيبة في جنات عدن وقال تعالى غرف
من فوقها غرف مبنية وقال النبي صلى الله عليه وسلم دار المرء جنته
وقال عليه الصلاة والسلام من باع دارا ولم يرد ثمنها في مثلها

كان كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وفي حديث آخر ذلك مال جدير
ان لا يبارك فيه وقيل لبعضهم ما السرور فقال دار قوراء اي واسعة
كذا في الصحاح وامرأة حسناء وفرس مربوطة بالفناء وقيل جزية المؤمن
كرى منزله وفي نسخة بيته يعني من كان في دار الكرى فهو كمن يؤدي
الجزية بل اعظم لان الكرى يؤخذ كل شهر والجزية كل سنة وقد تقدم
في الباب ان ابن سيرين كان يكري بيتا له لليهود فقيل له
في ذلك فقال لاني اكره ان ادخل على المسلم ما يكرهه كل شهر قال الشاعر

ومن السعادة للفتى ... ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها ... واعمل لدار الآخره

وقيل البناء والعمارة حسنة وهي بالملوك والاكابر اجمل واحسن وقيل
البناء اكثر من يستعمله الملوك لانه دال على الهمة الرفيعة وقيل ذو الكرم
يبني وذو اللوم يهدم وقال بعضهم

لسنا وان كرمت اوائلنا ... يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا ... تبني ونفعل ما فعلوا

الباب الخامس والتسعون في نقش المسجد وفيه فصل في كراهية البزاق وفيه قال الفقيه رحمه الله تعالى كره بعض

الناس نقش المسجد بماء الذهب وغيره واباحه الآخرون وهو قول
ابي حنيفة رضي الله عنه قال الفقيه وعندي انه لا باس به اذا لم يكن من
غلة المسجد فاما من كره ذلك فقد ذهب الى ما روي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي على الناس زمان
لا يبقى من الايمان الا اسمه ولا يبقى من القرآن الا رسمه مساجدهم (في: الاسلام)
يومئذ عامرة وهي من الهدى خراب علماؤهم شر علماء تحت اديم السماء
من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود وروى انس بن مالك رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اقواما يزخرفون مساجدهم ويطولون
منابرهم ويبيتون دانيتهم واعجبا كيف ضيعوا دينهم وروى عن ابن
عباس رضي الله عنه انه قال امرنا بان نبني المساجد جما والمدائن شرفا
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانصار جاءوا بمال فقالوا له خذ
هذه الاموال وزين مسجدك فقال عليه الصلاة والسلام ان الزينة والنقش
للكنائس والبيع بيضوا مساجدكم واما من قال انه لا باس به قال لان فيه
تعظيم المسجد والله امرنا بتعظيم المساجد بقوله في بيوت اذن الله ان ترفع يعني
تعظم وفي آخر انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وروى عن عثمان بن عفان
رضي الله عنه انه بنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالساج وحسنه وبالغ
في عمارته وتزيينه وذلك في زمان ولايته قبل خلافته ولم ينكر عليه احد

وروى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه نقش مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر ان الوليد بن عبد الملك انفق في عمارة مسجد دمشق وتزيينه مثل خراج
الشام ثلاث مرات وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام بنى بيت
المقدس وبالغ في تزيينه وفي الخبر انه اقام في عمارته كذا كذا الف رجل
سبع سنين ووضع اجر الكبريت الاحمر على راس قبة الصخرة المخفرا
فكن الغزالات يغزلن في ضوئها بالليالي على اثني عشر ميلا وكان على
حالته الى ان خربه بخت نصر انتهى بكماله اقول الكنيسة والبيعة
بكسر الباء للنصارى وفي المغرب واما كنيسة اليهود والنصارى
لمتعبدهم فتعريب كنشت عن الازهري والساج شجر يعظم جدا ولا
ينبت الا ببلاد الهند ويجلب كذا في المغرب والكبريت الاحمر قال ابو منصور
موهوب الجواليقي في كتابه المعرب من الكلام الاعجمي الكبريت الاحمر يقال
هو الجوهر ومعدنه خلف بلاد التبت وادي النمل الذي مر به سليمان
عليه السلام وقيل هو الذهب الاحمر الخالص والاول اليق بالمقام اذ
الضوء من لوازم الجوهر لا الذهب والتبت بتاءين فوقيتين مثناتين
اولهما مفتوحة او مضمومة بينهما باء موحدة مشددة مضمومة هي
اقصى بلاد الصين واليها ينسب المسك العال التبتي ويعبر عن كل
عزيز الوجود بالكبريت الاحمر لعزة وجوده واما حديث انس رضي الله عنه
فيحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار فيه الى بني امية بقوله ان اقواما
يزخرفون الى آخر الحديث فان معاوية اول من اتخذ المقاصير بالجوامع
وعمل مقصورة جامع دمشق وزاد في منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ست درجات للحاج في سنة خمسين وكان تسع درجات ثم زخرف الامويون
بعده بيت المقدس ليردوا الحج اليه وزخرفوا جوامعهم بدمشق وحلب
وغيرها مع اصرارهم على سب اهل البيت رضي الله عنهم الى ولاية عمر بن
عبد العزيز فابطله حسبما تقدم بعض ذلك بالباب الثالث عشر وياتي بالملحق
به عند ذكر خلافته ان شاء الله تعالى واما اخبار بناء بيت المقدس
وزخرفته فقد تقدم شيء من ذلك بالباب السادس عند ذكر داود
وسليمان عليهما السلام وسياتي كثير منها ان شاء الله بالملحق بالباب
المذكور عند ذكر اسميهما فليراجع ذلك من اراده

فصل في كراهية البزاق في المسجد

قال الفقيه رحمه الله تعالى اذا كان الرجل في المسجد فانه يكره
ان يبزق فيه ولكن يبزق في ثيابه ويدلكه لان الله تعالى قال في بيوت
اذن الله ان ترفع والبزاق فيه ترك التعظيم وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار وروى
ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابصر نخامة في

نحكه ثم قال ايحب احدكم ان يوتى به فى صلاته فيبزق فى وجهه اذا اراد احدكم
ان يبزق فلا يبزق عن يمينه ولا يبزق امامه ولكن عن يساره او تحت
قدمه فان لم يجد مكانا فليبزق فى ثوبه ثم يفعل هكذا يعنى يدلكه وروى
عن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال اذا استرط الرجل النخامة
تعظيما للمسجد ادخل الله تعالى فى جوفه الشفا واخرج منه الداء واذا
كان الرجل فى غير المسجد ادخل الله تعالى فان اراد ان يبزق ينبغى له ان يبزق
تحت قدميه او عن يساره ولا ينبغى ان يبزق عن يمينه ولا امامه وعن
ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه راى رجلا يبزق عن يمينه ثم قال
ما بزقت عن يمينى منذ اسلمت وذكر عن بعض الصالحين انه اراد ان
يخرج حاجا فاختار جانبا الايسر من المحمل فقيل له لم اخترت الايسر قال لانى
اذا بزقت عن يسارى من المحمل كان ايسر على انتهى بكماله اقول النخامة
بالنون مضمومة والخاء المعجمة والنخامة يقال تنخم وتنخع ورمى بالنخامة
والنخاعة وهى ما يخرج من الخيشوم عند التنخع والناخم المغنى لانه
يخرج النخامة حالة الغنا كذا فى المغرب واسترط بالسين المهملة ابتلع
من باب علم يقال سرطت الشى بالكسر اسرطه سرطا اذا بلعته وفى المثل
لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى من قولهم اعقيت الشى اذا ازلته
من فيك لمرارته كذا فى الصحاح واعلم ان فى هذا الباب اضطرابا يحتاج
الى التصحيح والتحرير فان الفقيه رحمه الله تعالى ذكر اولا للرجل ان
يبزق فى المسجد مطلقا وانه يبزق فى ثيابه ويدلك ذلك فى ذكر حديث
ابى هريرة رضى الله عنه لنا هى احدنا عن البزاق عن اليمين وعن الامام
دون يساره او تحت قدمه فان لم يجد مكانا ففى ثوبه والمسح كيفية
ولكنه ثم ذكر الفقيه حال الرجل اذا كان فى غير المسجد ان يفعل كما يفعله
من هو بالمسجد كما فى حديث ابى هريرة المذكور والحال انه اذا كان الحكم فى
البزاق فى المسجد ما فى حديث ابى هريرة ففى خارج المسجد يكون ذلك اولى
فلا يحتاج الى ذكره ذلك فى حق من هو خارج المسجد اللهم الا ان يقال انما ذكر
الفقيه حال من هو خارج المسجد لئلا يظن ان ما ذكر انما هو مختص بالمسجد
لتعظيمه فذكره ذلك ليعلم حال من هو خارج المسجد واما ما رواه عن ابى بكر
رضى الله عنه انه كان يبزق عن يمينه فالتعليل يفهم منه انه كان
يبزق فى مرضه عن يساره ولا عن يمينه اللهم الا ان يكون قوله ما بزقت
عن يمينى منذ اسلمت اعتذارا عن بزاقه عن اليمين فى مرضه لعذر ما

الباب السادس والتسعون فى النهى عن التصاوير

قال الفقيه رحمه الله تعالى يكره للرجل ان يصور ما له روح ولا باس بان
يصور شيئا مما لا روح فيه مثل الاشجار ونحوها وروى عن ابن عمر رضى الله

عنه انه قال ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيمة فيقال لهم احيوا ما
خلقتم وروى عن مجاهد رضى الله عنه وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى ومن اظلم ممن يخلق كخلقى وعن
مجاهد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الملائكة
بيتا فى كلب وصورة فاما ان يقطع راسها واما ان تبسط قال الفقيه
لا باس بان تبسط الثياب التى عليها تمثال وبه ناخذ وروى عن عطاء وعن
عكرمة انهما قالا انما كره من التماثيل ما نصب نصبا واما ما وطيه الاقدام
فلا باس به والله اعلم انتهى بكماله اقول قد تقدم الكلام مفصلا فى
الباب الثالث والتسعين على حديث مجاهد فليراجع فان فيه فوايد وروى
الطحاوى فى شرح الاثار فى باب الصور تكون فى الثياب احاديث ان المراد
بالصور ما فيها الروح ثم قال فثبت بما روينا خروج الصور التى فى
الثياب من الصور المنهى عنها وثبت ان المنهى عنه الصور التى هى نظير
ما تفعله النصارى فى كنائسهم من الصور فى جدرانها ومن تعليق الثياب
المصورة فيها فاما ما كان يتوطا ويمتهن ويفرش فهو خارج من ذلك
وهذا مذهب ابى حنيفة وابى يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى انتهى واما
الدليل على خروج الصورة عن الكراهية اذا قطع راسها او بسطت فما
رواه الطحاوى ايضا عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتانى جبريل عليه السلام فقال يا محمد انى جيتك البارحة فلم استطع ان
ادخل البيت لانه كان فى البيت تمثال رجل فمر بالتمثال فليقطع راسه حتى
يكون كهيئة الشجرة وروى عن ابى هريرة ايضا قال استاذن جبريل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال وكيف ادخل فى بيتك تماثيل خيل ورجال
فاما ان تقطع رؤسها واما ان تجعلها بساطا فانا معاشر الملائكة لا
ندخل بيتا فيه تماثيل قال الطحاوى فلما ابيحت التماثيل بعد قطع رؤسها
الذى لو قطع من ذى الروح لم يبق دل ذلك على اباحة تصوير ما لا روح له
وعلى ما لا روح لمثله من الصور مما قد نهى عنه فى الاثار التى ذكرنا فى الباب
وقد روى عن عكرمة عن ابى هريرة قال انما الصورة الراس فكل شى ليس له
راس فليس بصورة وفى قول جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فى حديث ابى هريرة اما ان يجعلها بساطا واما ان تقطع
رؤسها دليل على انه لم يبح من استعمال ما فيه تلك الصور الا بان تبسط
انتهى وذكر الشهاب السمين فى عمدة الحفاظ فى قوله تعالى فى بيوت اذن الله
ان ترفع اى الاعمال وقيل فى البيوت اشارة الى القلب ومنه قول بعض الحكماء
فى قوله عليه الصلاة والسلام لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب وصورة انه
القلب وعنى بالكلب الحرص لانه كلب فلان اشد حرصه وهو احرص من

كلب قال السمين قاله الراغب وليس كذلك انتهى فاذا كان المراد بالبيت القلب
وبالكلب الحرص في الحديث المذكور فيكون المراد بالصورة اشتغال القلب عن الرب
سبحانه وتعالى بصورة من صور المخلوقات والله اعلم الباب

الباب السابع والتسعون في النهي عن التعرض للتهمة

قال الفقيه رحمه الله
تعالى لا ينبغي للرجل ان يعرض بنفسه للتهمة ولا يخالطهم فانه يصير متهما
وقال الله تعالى في آخر سورة النساء وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم
آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره انكم اذا مثلهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو
منهم وقال لقمان من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن دخل مداخل السوء
يتهم ومن لا يملك لسانه يندم وروي هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه
وسلم ايضا وروى ابن شهاب عن علي بن الحسين رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم اتته صفية وهو في المسجد فلما رجعت انطلق معها
فمر به رجلان من الانصار فقال لهما انها صفية قالا سبحان الله قال
ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم في العروق ولقد خشيت ان تظنا
فتهلكا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يقفن موقفا لتهم والله اعلم انتهى بكماله اقول
نقل الشيخ برهان الدين الناجي بالنون عن الاحنف بن قيس انه قال من
عرض نفسه للتهمة فلا يلومن الا نفسه رواه ابو طالب المخلص وعن
امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال من كتم سره كانت الخيرة
في يده ومن عرض بنفسه للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن انتهى

الباب الثامن والتسعون في كراهية الوحدة

قال الفقيه رحمه الله تعالى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال شر الناس من اكل وحده ومن ضرب عبده ومنع رفده
وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان ينام الرجل في بيت وحده
او يسافر وحده وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان مع الواحد وهو مع

الاثنين ابعد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراكب
شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وروى سعيد بن المسيب عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشيطان يهم بالواحد والاثنين
فاذا كانوا ثلاثة لا يهم بهم قال الفقيه رحمه الله تعالى هذا نهي الشفقة
وليس بنهي للتحريم لان الواحد ربما يستقبله العدو ولو كانوا جماعة فانهم
يتعاونون واما اذا كان الرجل يامن على نفسه فلا باس به لان النبي صلى
الله عليه وسلم بعث دحية الكلبي الى قيصر ملك الروم ويقال الجماعة
قوة والافتراق هلكة وذكر قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام حكاية
عن السحرة فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا فامرهم بالاجتماع وقال بعض اهل
التفسير يعني اتفقوا فتغلبوا ولا تختلفوا فتخذلوا فتغلبوا ويقال
راي الواحد كالسحيل وراي الاثنين كخيطين مبرمين وراي
الثلاثة حبال لا تنقطع واذا كان الجماعة في السفر فيكره ان يتناجى اثنان
دون الثلاثة روي عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث انتهى بكماله
اقول السحيل بمهملتين الخيط الغير مفتول

الباب التاسع والتسعون في بعض مكروهات لم يذكرها الفقيه

اعلم ان الفقيه رحمه الله تعالى ذكر في باب ما يكره من كتابه بعض مكروهات
اذ لم يسعه ذكر كلها فيه لصغره وقد ذكرت ما ذكره من ذلك في الباب
السابع والثمانين منها وانا اثبت لك الان في هذا الباب شيئا من المكروهات
مما لم يذكره من مسايل يحتاج اليها واجعل في آخره فصلا في الشطرنج وكراهة
اللعب به وسبب وضعه وغير ذلك فاقول قد تقدم في الباب
السابع والثمانين الخلاف في المكروه هل هو حرام او الى الحرام اقرب
ولنذكر ما وعدنا به من المكروهات فمنها هو من كتاب النوازل سئل نصر بن
يحيى عن رجل يختلف الى رجل من اهل الباطل او الشر ليذب عن نفسه قال
ان كان هذا الرجل مشهورا ممن يقتدى به فاني اكره ان يختلف اليه
ويعظم امره بين يدي الناس فيظن انه يرضى واذا كان رجلا لا يعرف فيدا
ربه حتى يدفع الظلم عن نفسه من غير اذيا ثم فلا باس به قوله يختلف الى رجل
اي يتردد اليه ويقصده وقوله ليذب بالذال المعجمة اي يمنع عن نفسه
ويدافع عنها وسئل عن رجل يدعوه الامير يسأله عن اشياء فيتكلم بما

يوافقه ما لا يوافق الحق مخافة ان يناله مكروه أترى له ان يفعل او يتكلم
بالحق لا يبالي ما يصيبه قال لا يحل له ان يتكلم عنده بخلاف الحق الا ان يكون
موضع القتل وضرب يخاف على نفسه او على بعض جسده التلف قال
الفقيه وكذلك ان خاف ان يوخذ ماله كله وسئل ابرهيم بن يوسف
عن فقير آجر نفسه من الكفار ليعصر لهم العنب ليتخذوا منه الخمرة قال
اكره له ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لعن عاصرها وحاملها وسئل
ابو بكر عن متعلم معه خريطة فيها كتاب من اخبار وغيرها من كتب الفقه
فينام ويتوسد الخريطة هل يكره له ذلك قال ان عنى به التوسد فانه
يكره له ذلك وان وضع راسه على معنى الحفظ فانه لا يكره قيل لو كان
من كتب ابي حنيفة قال كتاب ابي حنيفة تفسير الاخبار فحكمه كذلك وقال
ابو بكر الاسكاف اذا سال الدم من انف الانسان ولا يرقا اي لا يسكن
وهو ميمون يقال رقا الدم والدمع رقاء ورقوء فانه يكتب على جبهته
وانفه فاتحة الكتاب بالدم فانه برقا فقيل له اتجوز ان يكتب ذلك بالدم
وهو كلام الله عز وجل قال لا باس به لانه يكتب للمعالجة قيل له لو كتب بالبول
هل يجوز قال لو قيل ان فيه شفاء فلا باس به قيل ان كتب على جلد ميتة
قال ان كان فيه شفاء فلا باس به وان لم يكن فيه شفاء لم يجز لان فيه
استخفافا وسئل الفقيه ابو جعفر عن رجل ادخل مرارة في اصبعه للتداوي
هل يكره قال روي عن ابي حنيفة انه كان يكره ذلك وروي عن ابي يوسف
انه كان لا يكره ذلك وهذا مثل الاختلاف في كتاب الصلاة ان ابا حنيفة
يكره شرب بول ما يوكل لحمه وابو يوسف لا يرى به باسا وبه ناخذ يعني
بشربه للتداوي وسئل محمد بن سلمة عن قتل النملة قال لا باس به لانها اهل
الاذى قال واكره ايقاعها في الماء وسئل ابو بكر عن قتلها فقال ان اذتك
فاقتلها وان لم تبتديك فلا تقتلها قال الفقيه وبه ناخذ وقد روي ابتدئك
في الخبر ان نبيا من الانبياء قرصته نملة فاحرق بيت النمل فاوحى الله
تعالى فهلا نملة واحدة يعني هلا قتلت النملة التي اذتك خاصة فيه
دليل انه لا باس بقتلها عند الاذى ولا يجوز بغير اذى وسئل ابو بكر عن
رجل اقرض رجلا دراهم فاهدى اليه المستقرض هدية قال ان لم يكن بينهما
قبل ذلك الا فالافضل ان لا يقبل هديته وعن ابي حنيفة انه قال نهي عن قرض
فيه جر منفعة وسئل عن حارس يقول لا اله الا الله ويقول الفقاعي
عند فتح الفقاع صلى الله على محمد قال كان احمد بن محمد القاضي يقول باثم في
ذلك ولا يوجر لانه ياخذ بذلك ثمنا قال ابو بكر وبه ناخذ وسئل عن رجل
يتمنى الموت هل يكره له قال ان كان يتمنى الموت لضيق المعيشة او دخله غضب
من عدوه او خاف ذهاب ماله ونحو ذلك فانه يكره له ان يتمنى الموت

ان كان ذلك لتغير اهل زمانه يخاف ان يقع في المعصية فلا باس به وسئل
ابو نصر عن شيء ينبت على القبور ايقلع ذلك قال اكره قلعه وقال سمعت نصر
ابن يحيى قال كان رجل مات فجاء صديق له كان يزور قبره فراى على قبره
شوكة نابتة فقلعها ورماها فراى في المنام كانه يقول لم قلعت شوكة
من قبري فانها كانت تسبح وكنت انس بتسبيحها قال الفقيه ان كان ذابا
لا باس بقلعه لا يسبح ما دام رطبا وسئل ابو بكر الاسكاف عن رجل جعل
شيئا في كاغذة فيها اسم الله تعالى فقال يكره اذا كانت الكتابة في ظاهرها
او في باطنها فهو سواء قيل له ايسر الكيس يكتب عليه اسم الله ولا يكره قال
الكيس يعظم والكاغذ لا تحرمه نهان وسئل بعضهم عن السوال عن
الاخبار المحدثة في المصر وغير ذلك قال كرهه بعضهم ورخصه بعضهم
وكان ربيع بن خثيم لا يسال ولا يخبر وكان بكر بن عبد الله المزني لا يسال
ولا يخبر وكان ابرهيم النخعي يستخبر ولا يخبر وكذلك ابن سيرين انتهى
ما هو من كتاب النوازل فصل في الشطرنج قال العلامة ابن كمال باشا في
كتاب الاصلاح والايضاح كره اللعب بالشطرنج والنرد وكل لهو وعند
الشافعي رحمه الله يباح مجرد اللعب بالشطرنج لان فيه تشحيذ الخاطر بشرط
ان لا يكب عليه بل يلعب به في بعض الاحايين ذكره في العمدة والحقايق فلا
يرد عليه ما قيل هو مظنة فوت الصلاة وتضييع العمر واستيلاء الفكر بالكل
حتى لا يحس بالجوع والعطش فكيف بغيرها انتهى وقال الزيلعي في شرح الكنز
والشطرنج تصنيف بعض حكماء الهند وقيل صنفه ابو بكر الصولي وان الذي
صنفه بعض حكماء الهند انما هو الشطرنج الكبير وهو زايد عن الشطرنج
الصغير في التماثيل فان فيه الزرافة وبينها والطليعة وغير ذلك واكثر
ما يلعب به في النهار المعتد لا ربع مرات وقال ابن خلكان في تاريخه
عند اسم الصولي ان خلقا كثيرا يعتقد وذان الصولي هو الذي وضع
الشطرنج لكونه كان اوحد وقته في لعبه وكان في زمن المامون وهو
غلط فان واضعه صصه الحكيم وضعه لسهرام الملك والنرد
وضعه ازدشير اول ملوك الفرس فلذلك نسب اليه فقيل نردشير
وجعله مثلا للدنيا واهلها فرتبا لرقعه اثني عشر بيتا كشهور السنة
وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد ايام الشهر والفصوص كالقدر
وتقلبه باهل الدنيا فافتخرت الفرس بوضع النرد وقيل كان ملك الهند
يومئذ بلهيت وان صصة وضعه له فقضت حكماء ذلك العصر
بترجيحه على النرد لامور ويقال ان صصة لما وضع الشطرنج وعرضه
على الملك سهرام فرح به وامر ان يكون في الديانة وراه افضل ما عمل لانه
آلة الحرب وعز الدنيا واساس لكل عدل واظهر الشكر والسرور على ما انعم عليه

في ملكه وقال للمصنف تمن علي فقال اضع حبة قمح في اول بيت ولا تزال
تضعفها حتى تنتهي الى آخرها فمهما بلغ تعطني فاستصغر الملك ذلك
وانكر عليه كونه قابله بالنزر اليسير وقد كان اضمر له شيئا فقال ما اريد كثيرا
فقال ما اريد الا هذا فراده فيه وهو مصر عليه فاجابه الى مطلوبه
وتقدم له به فلما قيل لارباب الديوان احسبوه فقالوا ما عندنا قمح يفي
بهذا ولا بما يقاربه فلما قيل للملك ذلك استنكر هذه المقالة وسال ارباب
الديوان فقالوا له كل قمح في الدنيا ما يبلغ هذا القدر فطالبهم باقامة
البرهان على ذلك فقعدوا وحسبوا فظهر له صدق ذلك فقال الملك
للمصنف انت في اقتراحك اعجب حالا مما وضعت يعني الشطرنج وطريق هذا
التضعيف ان يضع الحاسب في البيت الاول حبة وفي الثانية حبتين وفي
الثالث اربع حبات وفي الرابع ثماني حبات وهكذا كلما انتقل الى بيت ضعف
ما قبله واثبته فيه قال ابن خلكان ولقد كان في نفسي من هذه المبالغة
شيء حتى اجتمع بي بعض حساب الاسكندرية وذكر لي طريقا تبين لي صحة ما ذكروه
واحضر لي ورقة بصورة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس
عشر فاثبت فيه اثنين وثلاثين الفا وسبعماية وثمانية وستين حبة وقال
نجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عيرناها فكانت كذلك والعهدة عليه في
هذا النقل ثم ضاعف القدح في البيت السابع عشر هكذا الى ان يبلغ ويبة
في البيت العشرين ثم انتقل الى الويبات ومنها الى الارادب ولم يزل
يضاعفها حتى انتهى في بيت الاربعين الى مائة الف اردب وسبعماية واثنين
وستين اردبا وثلثين فقال نجعل هذه الجملة في شونة وهي اسم مكان معد
لخزن الغلال فان الشونة ما يكون فيها اكثر من هذا ثم تضاعف الشونة الى
بيت الخمسين فكانت الجملة الفا واربعا وعشرين شونة فقال نجعل هذه مدينة
فان المدينة لا يكون فيها اكثر من هذه المدينة حتى انتهى في البيت الرابع والستين
وهو آخر ابيات رقعة الشطرنج الى ستة عشر الف مدينة وثلثماية مدينة
واربع وثمانين مدينة انتهى كلام ابن خلكان في ذلك اقول فيكون المجتمع من
تضعيف الحبة من القمح في بيوت الرقعة بحكم الارادب وقد صنفت كتب في
لعب الشطرنج مشتملة على مناصيب لا يعرفها الا من كان عارفا بلعبه لا
يسعها هذا الكتاب ولكني اذكر بعض ما يتعلق بالشطرنج مما وضعه الاذكيا
فمن ذلك وضع الفرس في اول بيت من الرقعة وانتقاله منه الى جميع بيوتها
وله صور مختلفة لا تعرف الا بحفظها من اعوال لعاب الشطرنج وربما ينسى
الانسان ذلك وانا اضع لك ضوابط وامثلة اذا تعلمتها ونسيت نقل الفرس
الى بيوت الرقعة ترجع الى الضوابط والامثلة فتهتدي الى نقلها الى جميع بيوت
الرقعة فمن الضوابط ان تكتب في بيوت الرقعة اعدادا اولها واحد بالهندي

اوبالنبطي

او بالنبطي او باي قلم شئت واخرها اربعة وستون هي عدد بيوت الرقعة بان
تضع الواحد في البيت الاول من السطر الاعلا وتضع الفرس فيه ثم تنقلها الى
البيت الذي فيه اثنان ثم الى البيت الذي فيه ثلاثة ثم وثم على التوالي الى ان ينتهي
بها الى البيت الذي فيه اربعة وستون وقد نظم ابياته بعضهم ووضع
مكان الاعداد كلمات خمسة ابيات من قصيدة البردة وهي

من بعد ما اخبر الاقوام كاهنهم ... بان دينهم المعوج لم يقم
وبعد ما عاينوا في الافق من شهب ... منقضة وفق ما في الارض من صنم
حتى غدا عن طريق الوحي منهزم ... من الشياطين يقفو اثر منهزم
كانهم هربا ابطال ابرهة ... او عسكر بالحصى من راحتيه رمي
نبذا به بعد تسبيح ببطنهما ... نبذ المسيح من احشاء ملتقم

واما انا اثبت لك كلمات الابيات الخمسة المذكورات مربوطات بالاعداد ليكون
الانتقال بالفرس في جميع ابيات الرقعة على وجه السداد ان شاء الله

وقد نظم اخي شقيقي قاضي القضاة كمال الدين الشافعي الحاكم بحلب المحروسة
كان متع الله بحبوته خمسة ابيات لنقل بها كالنقل بابيات البردة المعينة بمنه
وفي هذه قالت لي الخود مذ قبلت مبتسمها

هلا ارتشف من رضابي بارد الحبب
واستغنم الوصل يا هذا فربتما
يدري الرقيب فتبقى منه في عتب
واطرح همومك ما دام الوصال ولا ... تسمع لعذل عذول جاء بالكذب

كم عاشق مات اذ واش المريبه … لذاك عند توارى الحب بالحجب
واغنم زمان اجتماعى معك سوف ترى … لفرقة بعدها تغنيك بالكرب

وهذه صورة وضع الابيات فى الرقعة ومن ذلك انى وجدت فى بعض الكتب القديمة ونقاعدة ثمانية فى ثمانية كرقعة الشطرنج قد وضع فى كل بيت من بيوت كل سطر من السطور العرضية حروف من حروف قولك تقتلني كرم متوالية هكذا ق ت ل ذي لذ رم فكان فى اول بيت

من السطر الاول الطولى حرف القاف وفى اول البيت من السطر الثانى الطولى لتاء الفوقية المثناة وفى اول بيت من السطر الثالث الطولى للام وفى اول بيت من السطر الرابع الطولى النون وفى اول بيت من السطر الخامس

الطولى لياء المثناة التحتية وفى اول بيت من السطر الثالث الطولى الكاف وفى اول بيت من السطر السابع الطولى الراء المهملة وفى اول من السطر الثامن الطولى الميم على ما ارسمه لك فى كل بيت بالاسود ثم اتبع حرف كل بيت من السطور الطوليه حرفا من حروف ابجاد من الالف الى الحاء المهمله على ما ارسمه لك فى صورة الرقعة بالاحمر هكذا وهذا النقل غير النقل البيان الوارده ثم عملت قصيده مرتبة على الوفق المذكور عدد

ابياتها

ابياتها اثنان وثلاثون بيتا الاعتماد فى كل بيت منها على الحرفين اللذين فى اول مصراعه الاول وعلى الحرفين اللذين فى اول مصراعه الثانى فاذا اردت ان تمشى بالفرس فى جميع بيوت الرقعة فضعها فى اول بيت من الرقعة الذى فيه قا وهما اول المصراع الاول من البيت الاول من القصيدة ثم انقلها الى البيت الذى فيه نج وهما اول المصراع الثانى منه ثم انقلها الى البيت الذى فيه لا وهما اول المصراع الاول من البيت الثانى ثم انقلها الى البيت الذى فيه قب وهما اول المصراع الثانى منه ثم انقلها الى البيت الذى فيه تد وهما اول المصراع الاول من البيت الثالث ثم انقلها الى البيت الذى فيه نج وهما اول المصراع الثانى منه وهكذا تنقل الى آخر الابيات فاذا فعلت ذلك فان الفرس تدخل جميع بيوت الرقعة وهذه القصيدة الموصوفة على ما فيها من الغلط والزحافات لاوايل المصاريع فانها صحيحة

قامت سمير حضرة البدر … نجلو عليك عرايس الخمر
لا تصحمن عن الندا وقم … قبل الاذان ومطلع الفجر
تدعوك من لولا كها نتها … نجمت يد الانوا والقطر
نبأ لوان ليس تجمعه … فد الندامى آخر العمر
لج على طلب المدام وكن … نامى المروة تارك العذر
بجلا الكريم متى قصدت له … نهجا اذا يغشى من البر
تو ديع شهر الصوم آيته … مح النديم صحى من السكر
لز لاز للا وتارى عبث … قوت شياطين على الكفر
تحمى ساوسى العداة اذا … نزلت على نوازل الدهر
كهلال شوال وذوبته … تزهر به الدنيا من البشر
نخاته ايام الصيام وهل … لولا الصيام خلوت من وزرى
قهرت ليالى الصوم فاتخذت … لدوام دولة قايد الفطر
وجد وامع الاحزان باربعة … نا فى على الاحزان والفكر
نبأت ان الراح راحة من … كانت شكايته من الهجر
مبتاعها بجميع ثروته … ردّ متريا من الفخر
يهفوا الخليع فيز هده … كنزها دة الآفات فى الخفر
محقت بسورتها وشدتها … روح الهموم ومهجة الدعر
كحلت بها عينا الزمان فقد … مزجت حلاوته حلاوة مع الصبر
وعج السماع اذا قتلت بها … يوحى الى اعضاى بالبشر
رزقت مودات القلوب لكم … مهرت لهم بالبيض والصفر
كو ظايع المخدوم خص اذا … يحتلها بالجرد والبتر
نودى به فاجاب مبتهجا … يدعو الاقبوالى وقرى

رجحت موازين العفاة فما | ما لهالت بهم يوما الى الفقر
كبد الحسود اذا تاملها | بجروحة بمخالب الصبر
راح المنافق باشقر ديه | يبكي بكاء الخنساء على صخر
كدرت موارده العداة فما | ربحت تجارته سوى الخسر
يأس الحياة وقد احاط به | كجبال احد فواصم الظهر
مد داناه بحتفه فغدا | كهل النشاط مدغدغ الصدر
مولاي انت عليك معتمدي | رحبني بفيض نوالك الغمر
يزري بي الحال الازري وما | لحميت الايام ان اشرى
نزلت بنا فغدت نوايبها | تهوي بنا في البر والبحر
ندمي على ما كان من زللي | ليلا التقرب باسط العذر

تمت ولعلها من نظم ابي نواس ومن يشبهه عفى الله عني وعنهم فان ناظمها الحش فيها عفى الله عني وعنه وعن ساير المسلمين بكرمه وقد نظم ولدي العلامة الشيخ رضي الدين محمد الحنفي زاده الله واياي علما نافعا وعملا صالحا قصيده عدتها احد عشر بيتا اتى فيها بما في القصيدة المذكورة بان تاخذ قا من اول الكلمتين من اول القصيدة القافية من اول قالت والا لفن اولا الى وج من اول الكلمتين التاليتين لهما وهما تبتغي جد ولا من اول الكلمتين التاليتين للكلمات الاربع وهما لي ذيل وتب من اول الكلمتين التاليتين لما تقدم من الكلمات المذكورات وهكذا الى اخر القصيدة فيمتلي بيوت الرقعة بذلك وندخل الفرس فيها كما تقدم وهذه القصيدة التي عملها ولدي

قالت الى تبتغي جد لي ذيل دلي | بدت تصد دنا نحوي جفا تركت
بل قد دنا لي جوى نارا باعدها | يا جيرتي فالتي هذا ترى وصلت
قد حار لبي زمانا ثلت واتعبي | حبيبتي نا بها زادت لنا هجرت
تزيد زينب نايا حيث لي عدت | قد هد في ليتها دهرا قلبي جمعت
تغنا الى نور بدر كاعب فلت | من بعدها رب دمعي يجري كلفت
زانت محلا جواه ربع وامقها | كم حسنت مذ زمان زحنة هويت
يوما وجدت رقيبي ذا رمت هوى | كوني ومقتك يوحا حبنا نقضت
والت يدا دايما ردت جفا منحت | اولت كثيرا بقدر ما جملت
رامت ارى يوم بين كاد دنها | رامت بلا بممت اسرا كما جنفت
مديد دمعي كولي فهل مقاتله | وافت رياض حماها يومها زهدت
لا حجبت قلبي زاد في تلفي | هذا تما دموعي ليتها بعدت

وقد استخرت الله تعالى سبحانه في نظم ابيات على نهج القصيدة الاولى غير ان كل حرفين متواخيين فيها يوخذان من اول كلمة من الابيات الاتية على ما رتب ذلك في القصيدة الاولى وبذلك تكون هذه الابيات الاتية

اخصر من القصيدتين المتقدمتين وهذه الابيات التي نظمتها

قامت تجلي لاقوام قبيلتهم | تدعو النجاحا تباهو قد لجوا نالوا
تواري بجز نهر توارى لزلزلة | قوتا تحري نزالا لهو ترحال

اعلم ان بعض الاذكيا قد وضع صورة دايرة من قطع الشطرنج البيض والسود ليس لها تعلق بلعب الشطرنج وانما وضعها لسبب وهو ان خمسة عشر مسلما وخمسة عشر كافرا ركبوا في مركب فثار عليهم الريح فرموا ما كان معهم من الزاد والبضايع فلم يسكن الريح فقال اصحاب المركب ارموا من الرجال فقال لهم المسلمون ارموا من الكفار وقال الكفار ارموا من المسلمين ووقع الخلف بينهم فقال رجل من المسلمين انا اصف اصحابي واصحابكم حلقة ونعد عشرة بعد عشرة فكل من كان العاشر يرمى فرضي الفريقان بذلك فصفقا الناد ثبت وهو منهم ثم ابتدا العد منه فوقع العاشر على الكافر فرمي واستمر يفعل ذلك فصار لا يقع العاشر الا على كافر فيرمى الى ان رميت الكفار جميعهم فسكن المركب وسلم المسلمون وقد صنف بيت من الشعر لصف الدايرة عدد ثلاثون حرفا مهملة ومنقوطة فالمهملات للمسلمين والمنقوطات للكفار والعد من اول المسلمين والبيت قوله

موت عدوي بزين حربي | والحق سيف به قتالي

وهذه صفة الدايرة وصفت حروفها فالحروف المكتتبة بالاحمر المسلمون والحروف المكتتبة بالاسود للكفار وانما خص الكفار بالاسود لان الكفر الاسود قال الشاعر

اورث قلبي الرد لام عذ وبدا
اسود كالكفر في ابيض مثل الهدى

وهذا بيت اخر للاسقاط فيه التاسع وهو

الله يقضي بكل يسر ويرزق الضيف حيث كان

وهذه دايرة الابتداء من قولك الله بالاحمر وقد عمل العلامة المرحوم علاء الدين علي بن سودون البشبغاوي الابراهيمي المصري الحنفي في معنى ذلك ثمانية ابواب عدد كل بيت ثلاثة وثلثون حرفا فالحرف الاول من كل بيت يدلك على مقدار الاسقاط لا غير ولا يوضع في اول حروف البيت خلا البيت الاول والاتي الذي اوله يدهي فالياء في اوله اشارة الى ان الاسقاط العاشر لان اليا لها من العدد عشرة فلا يكتب في الدايرة وحينئذ يكون ابتدا العدد من الحرف الذي بعد اليا وهو الدال فيسقط العاشر منه وهو النون

وكذا بقية الدواير وانا ابين لك الابيات الثمانية وصفة العمل بها فالبيت الاول

يدهى المحب من شجى جمرة حلت باحشاه وشبت فيه

البيت الثاني

طرف وفي لا يفتا اذ بكا في لومه غيّ يزيده بكا

البيت الثالث

حسبي نداء بيّن لو كان في ليل دنى منّي وفيّ مسعف

البيت الرابع

زن حقنا مما يقل زيفه لا نكتفي الا بنقص حدق

البيت الخامس

وفا بنا فلا نصيب مثله في برّه مُنيل خير مفلح

البيت السادس

هنيته فاهانني هل عزة هنه ترجا من به ذل بدا

البيت السابع

دمع بغيث عن منا خفنا في لما تخلو جريه خلاف

البيت الثامن

جزحيه فيما ينوب ان ذا من جازه في كل بر متّجها

تنبيه اعلم ان الحرف المشدد في الابيات الثمانية بحرف واحد واللام والالف المجتمعين في كلها بحرفين منفصلين وبكا في البيت الثاني بالالف في المكانين ودنا في البيت الثالث بالالف وحدق بالبيت الرابع بالدال المهمل وترجا في البيت السادس بالالف وهذه صورة دواير الابيات الثمانية

الدايرة

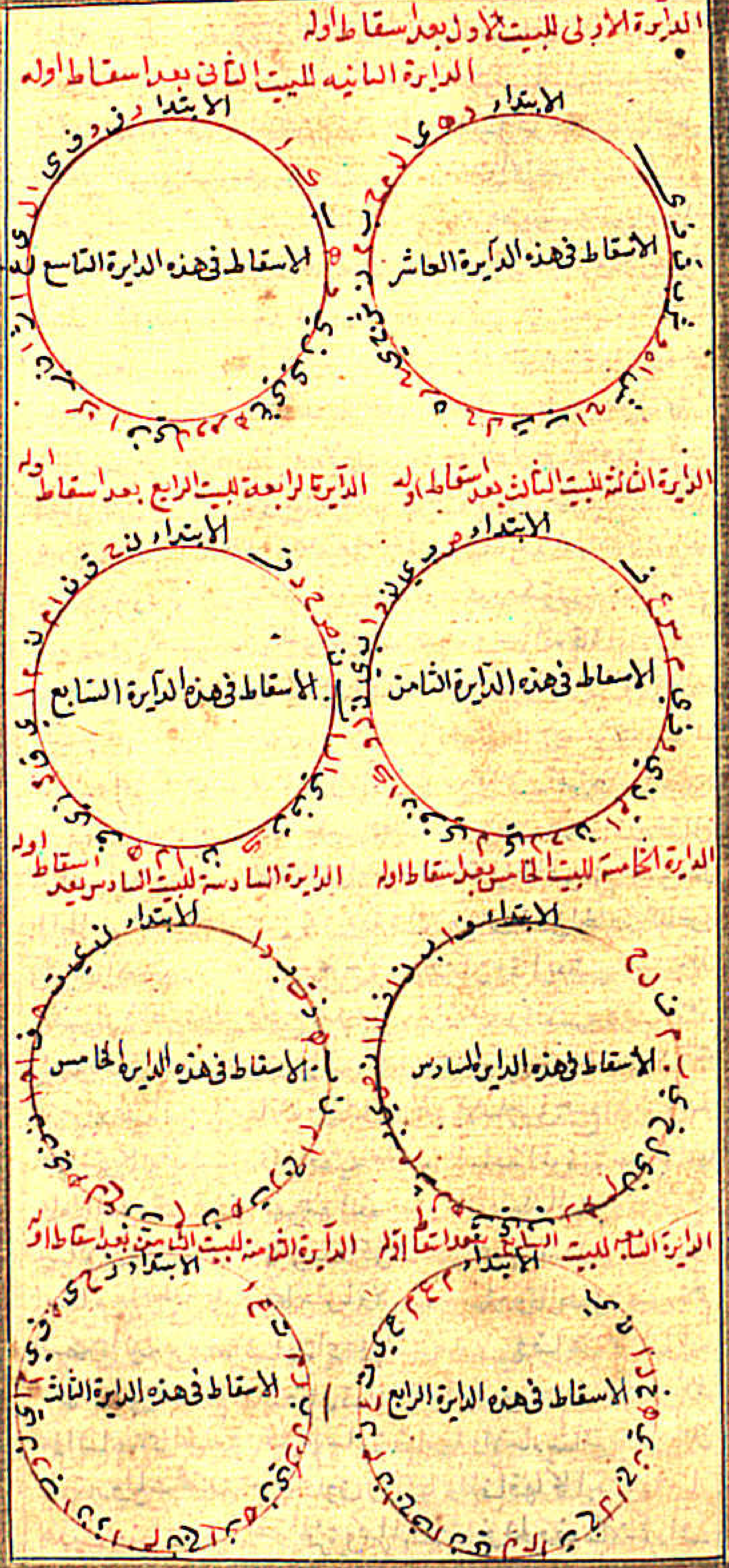

الباب الماية فى علامات الساعة وهو خاتمة الابواب وتلوه
اول الجزء الثانى خاتمة الكتاب والله الموفق للصواب قال الفقيه رحمه الله
تعالى روى وكيع عن سفيان عن فرات عن ابى الطفيل عن حذيفة بن اسيد
قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال
لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان
ودابة الارض ويأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم وثلاث خسوف
خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من
قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم
اذا قالوا وروى ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان
اذا ذكر عنده الدجال قال ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور فان المسيح
الدجال اعور عين اليمنى كان عينه عنبة طافية وروى انس بن مالك رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما بعث الله من نبى الا انذر
قومه بالاعور الكذاب انه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر
بالله وروى حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان مع الدجال
ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء وروى عن فاطمة بنت قيس ان النبى صلى الله
عليه وسلم اخر ليلة صلوة العشاء ثم خرج فقال انما حبسنى حديث كان
يحدثنيه تميم الدارى ان ابن عم له ركب البحر فوقع فى جزيرة من جزائر البحر فاذا
هو بقصر فيه رجل يجر شعره مسلسل وعليه اغلال فقال له من انت فقال
انا الدجال اخرج رسول الله الامين الامى فقال نعم قال اطاعوه ام عصوه قال
بل اطاعوه قال ذلك خير لهم قال الفقيه رحمه الله تعالى اختلف الناس
فى امره قال بعضهم انه محبوس ويخرج فى اخر الزمان وقال بعضهم انه لم يولد
وسيولد فى اخر الزمان ويخرج ويدعو الناس الى عبادة نفسه ويتبعه من
اليهود ما لا يحصى ويطوف فى البلدان ويفتتن به كثير من الناس ثم ينزل عيسى
ابن مريم عليه السلام فيقاتله ويقتله ويظهر الاسلام فى جميع الارض والله
اعلم انتهى كلامه اقول قد ذكر الفقيه علامات الساعة المؤذنة بها وبقيامها
واما العلم بوقت قيامها فهو عند الله تعالى قال الله تعالى فى سورة الاعراف
يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربى قال البيضاوى
استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقال تعالى فى سورة حم
السجدة اليه يرد علم الساعة اى علمها عنده فحسب وقيل يجب على المسؤول
عنها ان يقول الله يعلم ذلك وقال تعالى فى اواخر سورة حم الزخرف وعنده
علم الساعة اى القيامة وقيل علم ساعة قيامها والاحاديث الشريفة فى ذلك
كثيرة بروايات مختلفة مع اختلاف رواتها واتفاقها كما ابينه فاما
حديث حذيفة اسيد بفتح الهمزة وكسر المهملة ثم اخر الحروف ساكنا ثم دال

مهملة ثم آخر الحروف ساكنا ثم دال مهملة الذى ذكره الفقيه اولا فقد ورد فى
المصابيح بلفظ اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال
ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى
ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة
العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ويروى نار تخرج
من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر وفى رواية فى العاشرة وريح تلقى الناس
فى البحر انتهى لفظ المصابيح والآيات جمع آية وهى العلامة فاما الدخان فقد
قال الله تعالى فى سورة الدخان فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى
الناس اى انتظر يا محمد هذا اليوم وتوقعه واليوم عبارة عن ذلك الوقت
وقيل هو يوم القيمة تأتى السماء بدخان مبين يحدث فى السماء دخان واختلفوا
فيه فقيل هو عبارة عن الجوع لان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة
الدخان من ضعف بصره وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليهم
وهو بعد قتلى بئر معونة فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
سنين كسنى يوسف فقحطوا سبع سنين حتى اكلوا العلهز وهو الصوف
بالدم والجيف فيكون الناس فى قوله يغشى الناس العرب وقيل الدخان عبارة
عن الجدب ويبوسة الارض فانه يثور منه فى الارض وفى آفاق السماء كالدخان
من الغبار المتكدر الذى يشوبه الظلمة والعرب تقول جوع اغبر وسنة
غبراء وقيل الدخان عبارة عما علاهم يوم فتح مكة من الكسر والهزيمة والعرب
تضع الدخان موضع الشر يقال كان بيننا امر ارتفع له دخان فعلى هذه
الاقوال قد مضى الدخان وقيل هو دخان يجئ قبل قيام الساعة وان الدنيا تصير
كبيت لا خصاص له مملوء دخانا يدخل فى انوف الكفار واذانهم فيصيرون
كالسكارى ويصيب المؤمن كالزكام فيبقى ذلك اربعين يوما وقيل يكون
الدخان فى القيامة اذا خرجوا من قبورهم تأتى السماء بدخان مبين محيط
بالخلائق يغشى الناس يجللهم وهذا اليق بظاهر الآية اذ فى لباب التفاسير
قوله لا خصاص له الصواب لا خصاص لان الجوهرى خصص الخصاص بالفقر
وجعل الخصاص له وللخلل والثقب الصغير بالثاء المثلثة والمعنى ان الدنيا
تصير كبيت ليس به ثقب صغير يخرج الدخان منه واما الدجال فمأخوذ
من الدجل بسكون الجيم وهو الكذب والتمويه قال فى الصحاح وكل شئ
طليته بفضة او ذهب وتحت ذلك نحاس او حديد ومنه التمويه وهو
التلبيس وفى بعض شروح المصابيح قيل سمى دجالا لانه يضرب فى الارض اى
يسير فيها ويقطع اكثر نواحيها يقال دجل الرجل اذا ساح فى الارض حكاه
ثعلب وقيل الدجل السحر سمى الدجال به لانه ساحر يقال دجل فلان الحق بباطل

اذا غطاه ودجله وسحره وكذبه وكل كذاب دجال وفي المصابيح عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن لا
ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس
من مغربها والدجال ودابة الارض قوله ثلاث اي ثلاث ايات وفيه قال
صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت
ورآها الناس آمنوا اجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها ثم قرا الآية
قال بعض شراحه وانما لا يقبل الايمان بعد طلوعها من مغربها لانه انقضى
زمن التكليف بالايمان اذ طلوعها من مغربها من احكام الساعة فحينئذ
كانه ظهرت الساعة وظهور الساعة من علامات انقضاء التكليف
واما حديث ابن عمر الذي ذكره الفقيه فقد ورد في المصابيح بلفظ قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم
ذكر الدجال فقال اني لانذركموه وما من نبي الا انذر قومه لقد انذر نوح
قومه ولكن اقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله
ليس باعور واما حديث انس الذي ذكره الفقيه فقد ورد في المصابيح عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر امته
الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه
ك ف ر واما حديث حذيفة الذي ذكره الفقيه ثانيا فقد ورد
في المصابيح بلفظ ان الدجال يخرج وان معه ماء ونارا فاما الذي يراه الناس
ماء فنار تحرق واما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن ادرك ذلك
منكم فليقع في الذي يراه نارا فانه ماء عذب طيب وان الدجال ممسوح
العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب
وغير كاتب قال في التقريب الظفرة بفتحتين جليدة تنبت في بياض العين
وتسميها الاطباء الظفرة بضم الظاء وسكون الفاء وعن حذيفة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال اعور العين اليسرى جفال
الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار الجفال بجيم مضمومة وفاء
كثير الشعر وعن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدجال فقال ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم
فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه
طافية كاني اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرا عليه
فواتح سورة الكهف وفي رواية فليقرا عليه بفواتح سورة الكهف فانها
جوازكم من فتنته انه خارج من خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا
وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض
قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول

الله

الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له
قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته
الريح فياتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيامر السماء فتمطر والارض فتنبت
فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده
خواصر ثم ياتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم
فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها
اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتليا
شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل
ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل
عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة
ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ
فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه
حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم ياتي عيسى قد عصمهم الله منه فيمسح عن
وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة وقد تقدم بقية هذا الحديث
في الباب السادس عند ذكر ذي القرنين وياجوج وماجوج وما فيهما من اللغة
قوله شاب قطط قطط الشعر اي شعره شديد الجعودة وكذلك قط الشعر
بتشديد الطاء وفواتح سورة الكهف الآيات المشتملات على قصة اصحاب الكهف
وعصمتهم من دقيانوس وجنده فكل من يقراها يحفظ من شر الدجال
ومكره وكما ان الله تعالى لما الجا اصحاب الكهف انفسهم الى الله وفروا بدينهم
اليه واتقوا من بيعة دقيانوس اكرمهم الله تعالى بتلك الكرامة كذلك من يكره
الدجال اي لا يؤمن بربوبيته يكرمه الله ويثني عليه كما اثنى عليهم كذا في بعض
الشروح والخلة قال الجوهري الخل طريق في الرمل يذكر ويؤنث وعاث بالمهملة
اوله والمثلثة اخره بعيث بالياء اي افسد بارسال السراياه يمينا وشمالا وقوله
فتروح عليهم سارحتهم اي تعود اليهم مواشيهم سمانا اطول ما كانت ذرا
جمع ذروة وهي اعلا السنام واسبغه ضروعا اي واسبغ ما كانت ضروعا اي
اثمادها جمع ضرع وهو الثدي وامده خواصر اي وامد ما كانت خواصر جمع
خاصرة وهي ما تحت الجنب وهي كناية عن الامتلاء وكثرة الاكل واليعاسيب
جمع يعسوب وهو ملك النحل كانه يشير ان كبار الكنوز تتبعه ويتبعها صغارها
وقوله جزلتين بفتح الجيم وكسرها اي قطعتين وقوله رمية الغرض اي ما بين
القطعتين رمية غرض اي مسافة ما بينهما قدر ذلك من شدة الضربة او
سرعة نفوذ السيف كما ينفذ السهم في الغرض قوله فيقبل ويتهلل وجهه
يضحك اي فيقبل الرجل ضاحكا بشاشا وقوله بين مهرودتين قال في الصحاح
الهرد بكسر الفاء على فعلي نبت وثوب مهرود اي صبغ اصفر وفي بعض شروح

المصابيح اى حلتين مصبوغتين بالهردى قوله اذا طاطا راسه الى آخره يعنى
ان عيسى عليه الصلاة والسلام حين نزوله كان اذا خفض راسه قطر من
راسه وشعره قطرات نورانيه مثل جمان جمع جمانه وهى حبته تعمل من الفضة
كالدرة واذا رفع راسه نزلت تلك القطرات كاللالى ولُدّ بضم اللام اسم موضع
جبل بالشام وقيل هو جبل الزيتون كذا فى بعض الشروح وفى المصابيح عن ابى سعيد
الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل
من المومنين فيلقى المسالح مسالح الدجال فيقولون له اين تعمد فيقول اعمد الى هذا
الذى خرج قال فيقولون له وما تومن بربنا فيقول ما بربنا من خفاء فيقولون
اقتلوه فيقول بعضهم لبعض اليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا احدا دونه فينطلقون
به الى الدجال فاذا راوه المومن قال يا ايها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فيامر الدجال به فيشبح فيقول خذوه وشجوه فيوسع
ظهره وبطنه ضربا قال فيقول اما تومن بى قال فيقول انت المسيح الكذاب قال
فيومر به فيوشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشى الدجال بين
القطعتين ثم يقول له اتومن بى فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول
يا ايها الناس انه لا يفعل هذا بعدى باحد من الناس قال فياخذه الدجال ليذبحه
فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا فلا يستطيع اليه سبيلا قال فياخذ بيديه
ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انما قذفه الى النار وانما القى فى الجنة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اعظم الناس شهادة عند رب العالمين
قوله قِبَلَه بكسر القاف يعنى نحوه والمسالح قوم ذو سلاح وتعمد كتضرب اى تقصد
فيقول اعمد اى نقصد قوله فيشبح وشجوه قال بعض الشراح الشج فى الراس خاصة
وهو ان يفلق الراس بالعصا وقيل شجوه هنا بمعنى شدوا اربعة اطرافه بالاوتاد
ليجلد انتهى اقول ويحتمل ان المراد بالشبح الاول المعنى الاول وبالثانى الثانى قوله
فيوشر بالمنشار قال فى الصحاح نشرت الخشبة بالمنشار غير مهموز لغة فى اشرت
وكذا قال بعض الشراح وقال فى معناه اشرت الخشبة بالمنشار بالنون وفى هذا
الحديث هو بالياء لا غير يدل عليه ان يدخل نقاب المدينة فينزل بعض السباخ التى
تلى المدينة فيخرج اليه رجل وهو خير الناس او من خيار الناس فيقول اشهد انك
الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال
ارايتم ان قتلت هذا ثم احييته هل تشكون فى الامر فيقولون لا فيقتله ثم
يحييه فيقول والله ما كنت فيك اشد بصيرة منى اليوم فيريد الدجال ان يقتله
فلا يسلط عليه النقاب جمع الجبال جمع نقب بالنون المفتوحة والقاف الساكنة
وهو الطريق بين الجبلين والسبخة الارض التى لا تنبت فيها لملوحتها ومنه
الاسبخ لمن لا شعر فى راسه لعلة قال الكلاباذى هذا الحديث دليل على ان الدجال
لا يقدر على ما يريده وانما يفعل الله عند حركته فى نفسه ومحل قدرته ما شاء الله

ان يفعل

ان يفعله اختبارا للخلق وابتلاء لهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن
بينة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فيرى من اراد الله تعالى
اضلاله انه امطرت السماء وانبتت الارض بامره فيصدقه والمومن الموفق الذى
اراد الله هدايته يثبته على ايمانه فيكذبه ويستخف بفعله ويعلم ان السماء
امطرت وان الارض انبتت باذن الله تعالى وان الدجال اهون على الله تعالى
ان يقدره على ذلك فان سلط عليه حتى يقتله فيحييه الله تعالى حتى يكذبه فيقول
ما كنت فيك اشد بصيرة منى اليوم فيشجع المومن ويهلك الكافر واما حديث
فاطمة بنت قيس الذى ذكره المغنيه فقد روى عنها فى المصابيح انها قالت سمعت
منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد
فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلوته جلس على المنبر وهو
يضحك فقال ليلزم كل انسان مصلاه ثم قال هل تدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله
اعلم قال والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لان تميما الدارى كان
رجلا نصرانيا فجاء واسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت احدثكم به عن المسيح الدجال
حدثنى انه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج
شهرا فى البحر فارفئوا الى جزيرة حين تغرب الشمس فجلسوا فى اقرب السفينة فدخلوا
الجزيرة فلقيتهم دابة اهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر قالوا
ويلك ما انت قالت انا الجساسة انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم
بالاشواق قال لما سمت لنا فرقنا منها ان تكون شيطانة فقال فانطلقنا
سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه اعظم انسان ما رايناه قط خلقا واشده
وثاقا مجموعة يداه الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما
انت قال قد قدرتم على خبرى فاخبرونى ما انتم قالوا نحن اناس من العرب
ركبنا فى سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة
اهلب فقالت انا الجساسة اعمدوا الى هذا فى الدير فاقبلنا اليك سراعا
فقال اخبرونى عن نخل بيسان هل تثمر قلنا نعم قال اما انها توشك ان لا تثمر قال
اخبرونى عن بحيرة طبرية هل فيها ماء قلنا هى كثيرة الماء واهلها يزرعون
من مائها قال اخبرونى عن نبى الاميين ما فعل قالوا قد خرج من مكة ونزل
يثرب قال اقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر على من
يليه من العرب واطاعوه قال اما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه وانى مخبركم
عنى انى المسيح وانى اوشك ان يوذن لى فى الخروج فاخرج فاسير فى الارض
فلا ادع قرية الا هبطتها فى اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان
علىّ كلتاهما كلما اردت ان ادخل واحدا منهما استقبلنى ملك بيده السيف
صلتا يصدنى عنها وان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته فى المنبر هذه طيبة هذه طيبة

يعنى المدينة الاهل كنت حدثتكم فقال الناس نعم الا انه فى بحر الشام او بحر اليمن
لا بل قبل المشرق ما هو واومى بيده الى المشرق وفى نسخة ها هو وقوله الصلاة
جامعة قال بعض الشراح وجه الرواية بالرفع ان يقدر هذه اى هذه الصلاة
جامعة وبالنصب اى احضروا الصلاة وجامعة نصب على الحال وقوله
سفينة بحرية لان الابل تسمى سفينة البر وفيه ما فيه ولخم بفتح اللام وسكون
المعجمة قبيلة وجذام بالجيم مضمومة وذال معجمة كذلك وفارفوا واقرب السفينة
قال الخطابى ارفوا اى قربوا السفينة الى الجزيرة يقال ارفات السفينة اذا
قربتها من الساحل واقرب السفينة القوارب وهى سفن صغار تكون مع
السفن البحرية كالجنايب لها تتخذ لحوايجهم واحدها قارب بفتح الراء وكسرها
فاما الاقرب بضم الراء فانه جمع على غير قياس والقياس قوارب واهلب الهلبة
مثل الحرمة ما غلظ من شعر الذنب وقد فسر فى الحديث بكثير الشعر والجساسة
بالجيم سميت بذلك لانها تجسس الاخبار للدجال وفرقنا اى خفنا وسراعا اى
مسرعين وقوله قد قدرتم على خبرى فاخبرونى اى تمكنتم من خبرى فلا احبسه
عنكم ولكن اخبرونى عن حالكم وما اسالكم عنه اولا واعدوا اتقدم انه بمعنى اقصد
فى تفسير غريب حديث حذيفة الذى قبل هذا وبيسان بفتح الباء الموحدة
اوله وسكون الياء وفتح السين المهملة وآخر الحروف نون قرية من قرى الشام
ويوشك بكسر الشين المعجمة من اوشك وفتحها لغة ردية والمعنى اسرع
ما يكون ان لا تثمر او يقرب وكذا ما بعده وزغر بالزاء والغين المعجمتين مثل
جعل وعمر اسم امراة نسبت العين اليها وقيل رجل وهو غير منصرف اما للتانيث
والتعريف على القول الاول واما للعدل والعلمية على القول الثانى بان يكون
معدولا عن زاغر كعدل عمر عن عامر وقوله نبى الاميين يعنى بنى العرب لان
اكثرهم كانوا لا يقرؤن ولا يكتبون وهذا معتقده لعنه الله تعالى كما هو مذهب
بعض اليهود انه مبعوث الى العرب خاصة والامر بخلاف ذلك اذ هو صلى
الله عليه وسلم مبعوث الى العرب والعجم ولساير الناس كافة والنقب تقدم
والمخصرة بكسر الميم كالسوط وكل ما اختصر الانسان بيده فامسكه من عصا ونحوها
وقوله صلى الله عليه وسلم الا انه فى بحر الشام الى آخر الحديث قال بعض الشراح
كانه صلى الله عليه وسلم كان شاكا فى موضع الدجال وكان فى ظنه انه لا
يخلو عن هذه المواضع الثلاثة فلما ذكر بحر الشام واليمن تيقن من جهة الوحى
او غلب على ظنه انه من قبل المشرق فنفى الاولين واضرب عنهما وحقق الثالث
وقوله ما هو فى احدى الروايتين يجوز ان يكون بمعنى الذى اى الجانب الذى هو
فيه وفى المصابيح عن فاطمة بنت قيس ايضا فى حديث تميم الدارى قال فاذا
انا بامراة تجر شعرها قال ما انت قالت انا الجساسة اذهبا الى ذلك القصر
فاتيته فاذا رجل يجر شعره مسلسل فى الاغلال ينزو فيما بين السماء والارض

فقلت

فقلت من انت فقال انا الدجال قال بعض الشراح ما معناه الجساسة فى الحديث
المتقدم دابة وفى هذا الحديث انها امراة والتوفيق بينهما ان للدجال جواسيس
دابة وامراة فروى فى الحديث المتقدم الدابة وفى هذا المراة ويحتمل ان كلتيهما
شيطان واحد رئى فى الحديث الاول فى صورة دابة وفى الحديث الثانى فى صورة
امراة فان الشيطان يتصور على اى صورة شاء وفى المصابيح عن عمرو بن حريث
عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الدجال يخرج من ارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه اقوام كان فى وجوههم
المجان المطرقة المجان بفتح الميم جمع مجن بكسرها وهو الترس والمطرقة بضم الميم
وسكون الطاء وفتح الراء مخففة قال فى الصحاح التى يطرق بعضها على بعض
كالنعل المطرقة المخصوفة ويقال اطرقت بالجلد والعصب اى البست وفى المصابيح
عن اسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال
فى الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم
كاضرام السعفة فى النار وهى بفتح العين والمعنى كسرعة التهاب النار بورقة
النخل الواحدة وهذا الحديث يناقض ما فى حديث حذيفة من ان لبثه فى الارض
اربعون يوما لكن ورد فى المصابيح فى باب لا تقوم الساعة الا على الشرار من الصحاح
عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيمكث
اربعين لا ادرى اربعين يوما او شهرا او عاما فيبعث الله عيسى بن مريم كانه عروة
ابن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث فى الناس سبع سنين ليس بين اثنين
عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض احد فى قلبه
مثقال ذرة من خير او ايمان الا قبضته حتى ان احدكم لو دخل فى كبد جبل لدخلت
عليه حتى تقبضه قال فيبقى شرار الناس فى خفة الطير واحلام السباع لا يعرفون
معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول الا تستجيبون فيقولون
فما تامرنا فيامرهم بعبادة الاوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم
ينفخ فى الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا قال واول من يسمعه رجل يلوط
حوض ابله فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله مطرا كانه الطل فتنبت منه
اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا ايها الناس هلموا
الى ربكم وقفوهم انهم مسئولون ثم يقال اخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال
من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك
يوم يكشف عن ساق قال الامام التوربشتى قلت قوله لا ادرى الى قوله فيبعث
الله عيسى عليه السلام من قول الصحابى اى لم يزدنى على اربعين شيئا يبين اى
المراد منها فلا ادرى اى اراد به من هذه الثلاثة انتهى وفى المصابيح عن ابى
سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من امتى
سبعون الفا عليهم السيجان بكسر السين المهملة وياء آخر الحروف ساكنة ثم جيم

فى كاضطرام

وهو الطيلسان الاخضر وعن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يتبع الدجال من يهود اصفهان سبعون الفا عليهم الطيالسة جمع طيلسان
وهذا الحديث والذي قبله يدلان على كثرة اتباعه حيث يتبعه ماية الف
واربعون الفا من اكابر المسلمين واليهود ارباب الطيالس فما ظنك بعوامهم
اعاذنا الله من ذلك والفرق بين تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح وتسمية
الدجال بالمسيح ان اسم عيسى عبراني واسم الدجال عربي مشتق من الدجل كما تقدم
او ان عيسى عليه السلام كان اذا مسح على ذي مرض برا فهو مسيح بمعنى ماسح
والدجال مسيح العين بمعنى ممسوحها كما تقدم في الباب السادس واما ابن صياد
فقد عقد له باب في المصابيح وانه هو الدجال او غيره وانا اذكر بعضا من ذلك
قال من الصحاح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه انطلق مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في رهط من اصحابه قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان
في اطم بني مغالة وقد قارب ابن الصياد يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال اتشهد اني رسول الله فنظر فقال اشهد
انك رسول الاميين ثم قال ابن صياد اتشهد اني رسول الله فرصه النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قال امنت بالله ورسله ثم قال لابن صياد ماذا ترى قال ياتيني
صادق وكاذب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الامر قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خبات لك خبيا وخبا له يوم تاتي السماء
بدخان مبين قال هو الدخ قال اخسا فلن تعدو قدرك قال عمر يا رسول الله
ائذن لي فيه اضرب عنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلا تسلط
عليه وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو يعني
ان يكن الدجال ابن صياد فلا تقدر ان تقتله فان قاتله عيسى عليه السلام
وقال الخطابي في المعالم وقد اختلف الناس في ابن صياد اختلافا شديدا
واشكل امره حتى قيل فيه كل قول وقد يسال عن هذا فيقال كيف بقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجلا يدعي النبوة كاذبا ويتركه في المدينة يساكنه في داره ويجاوره
فيها وما معنى ذلك وما وجه امتحانه اياه بما خبا له من اية الدخان وقوله
بعد ذلك اخسا فلن تعدو قدرك والذي عندي ان هذه القصة انما جرت معه
ايام مهادنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود وحلفاءهم وذلك انه
بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتابا صالحهم فيه على ان لا يهاجوا
اي لا يثار عليهم اي لا يوثب اليهم حتى يهيجوا وان يتركوا على امرهم وكان ابن صياد
منهم او دخيلا في جملتهم وكان يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وما
يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب فامتحنه النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك ليبرز امره ويظهر شانه فلما كلمه علم انه مبطل وانه من جملة السحرة والكهنة
او ممن ياتيه من الجن او يتعاهده الشيطان فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به فلما سمع

منه قول الدخ زبره وقال اخسا فلن تعدو قدرك يريد ان ذلك الشيء الطلع عليه
الشيطان فالقاه اليه فاجراه على لسانه وليس ذلك من قبل الوحي السماوي واذا
لم يكن له قدر الانبياء الذين يوحى عليهم علم الغيب ولا درجة الاولياء الذين
يلهمون العلم ويصيبونه بنور قلوبهم وانما كانت له تارات يصيب في
بعضها ويخطي في بعض وذلك معنى قوله ياتيني صادق وكاذب قال له عند ذلك
قد خلط عليك الامر والجملة من امره انه كان فتنة قد امتحن الله به عباده
المومنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وفي بعض شروح
المصابيح قال اخسا اي ابعد من الخسء وهو زجر الرجل اي اسكت صاغرا مزجورا
وقوله فلن تعدو قدرك يحتمل ان يكون دعاء وان يكون اخبارا بان الكاهن وان
اصاب في كهانته ان يرفع قدره ومكانته وقيل انما منع صلى الله عليه وسلم
من قتله لانه لم يدع النبوة صريحا فان قوله اتشهد اني رسول الله استفهام لا
تصريح فيه على ادعاء الرسالة مع انه لم يكن بالغا حينئذ او لعاهد اليهود
كما تقدم في كلام الخطابي وفي المصابيح وقال نافع لقي ابن عمر ابن صياد في بعض
طرق المدينة فقال له قولا اغضبه فانتفخ حتى ملا السكة فدخل ابن عمر على
حفصة وقد بلغها فقالت له رحمك الله ما اردت من ابن صياد اما علمت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انما يخرج من غضبة يغضبها وعن ابي سعيد الخدري
قال صحبت ابن صياد الى مكة فقال لي ما لقيت من الناس يزعمون اني الدجال الست
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه لا يولد له وقد ولد لي اليس قد قال
هو كافر وانا مسلم اوليس قد قال لا يدخل المدينة ولا مكة وقد اقبلت من المدينة
وانا اريد مكة ثم قال لي في اخر قوله اما والله اني لاعلم مولده ومكانه واين هو
واعرف اباه وامه قال فلبسني قال قلت له تبا لك سائر اليوم قول ابي سعيد
فلبسني بفتح اللام اي اوقعني في الشك بقوله ولد لي وبدخول مكة والمدينة
والتبس علي اسلامه حين ادعى نفي صفات الدجال عنه واعترف بالنبوة وكفر
بادعائه علم الغيب حيث قال اعرفه وموضعه وخروجه وابويه ومدعي علم الغيب
كافر قلت ما قال ابن صياد لابي سعيد حين صحبه الى مكة غير موجب للشك
اذ هو كذاب كافر على ما في حديث انس المتقدم وانه كافر على ما هو مذكور في
حديث حذيفة التالي لحديث انس المذكور والكافر كذاب فما قاله لابي سعيد
في صحبته له الى مكة كذب وقال ابو سعيد وقيل له ايسرك انك ذاك الرجل
قال فقال لو عرض علي ما كرهت وقال ابن عمر لقيته وقد نفرت عينه فقلت
متى فعلت عينك ما ارى قال لا ادري قلت لا تدري وهي في راسك قال ان شاء
الله خلقها في عصاك قال فنخر كاشد نخير حمار سمعت وعن محمد بن المنكدر قال
رايت جابر بن عبد الله يحلف بالله ان ابن صياد الدجال قلت تحلف بالله
قال اني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي صلى

صلى الله عليه وسلم ومن الحسان عن نافع قال كان ابن عمر يقول والله ما اشك
ان المسيح الدجال ابن صياد وعن جابر قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة يوم كان
لين اهل المدينة قتل فيه خلق كثير من المهاجرين والانصار وهي تعرف
بحرة واقم بقرب المدينة والحرة الارض ذات الحجارة السود وعن جابر ان امراة
من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه طالعة نابيه فاشفق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يكون الدجال فوجده تحت قطيفة يهمهم فاذنته
امه فقال يا عبد الله هذا ابو القاسم فخرج من القطيفة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لها قاتلها الله لو تركته لبين فذكر مثل معنى حديث
ابن عمر فقال عمر بن الخطاب ائذن لي يا رسول الله فاقتله فقال رسول الله صلى الله عليه الخطابي
وسلم ان يكن هو فلست صاحبه انما صاحبه عيسى بن مريم وان لم يكن هو
فليس لك ان تقتل رجلا من اهل العهد فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشفقا انه الدجال اللغة قصة ابن صياد واحاديثها ومعانيها الرهط
ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيه امراة وهو اسم مفرد وضع للجمع واطم
بني مغالة اي حصنهم وهم قبيلة وقوله رسول الاميين يريد بهم العرب لان
اكثرهم كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون وهذا على معتقد بعض اليهود الذين هو منهم
ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ارسل الى كافة الخلق واما قول ابن صياد فيما تقدم
انه مسلم لا يمنع كونه يهوديا اذ معتقده ان دينه هو الاسلام وقوله فرصه بالصاد
المهملة هو الصحيح الضم بعضه الى بعض وقوله يا تيني صادق وكاذب
يعني يا تيني الذي يخبرني وهو صادق تارة وكاذب اخرى وقول الرسول صلى
الله عليه وسلم له خلط عليك الامر يعني انه فشيطان يغويك فيخلط عليك
الكذب بالصدق وقوله عليه الصلاة والسلام خبات الى آخر الحديث تقدم
الكلام عليه وقوله غضبة بسكون الضاد نوع من الغضب قال بعض الشراح
اي ان الدجال انما يخرج من غضبة يغضبها وهذا يدل على ان ابن صياد هو الدجال
وانه لا يظهر منه شيء الا بمعاونة الشيطان فان الغضب من الشيطان وقوله
ثم قال لي القائل ابن صياد لابي سعيد والله اني لاعلم مولده اي مولد الدجال
ومكانه واين هو واعرف اباه وامه يريد بذلك ان الدجال غيره وقول ابي سعيد
فلبسني بالتخفيف اي التبس على حال ابن صياد بمعرفته مولد الدجال ومكانه
واين هو واباه وامه مع ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين ذلك او اوقعني
في الشك قوله لي ينبغي بر عنه انه الدجال وقد ولد لي والي مسلم واني اقبلت من
المدينة وانا اريد مكة وكان في ظني الدجال او انه لما ادعى نفي صفات الدجال
عنه وادعى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم توهم ابو سعيد انه مسلم ولما ادعى
علم الغيب بمعرفته الدجال وبمولده وما ذكره علم ابو سعيد انه كافر بادعائه ذلك
فالتبس عليه اسلامه بكفره فقال له تبا لك سائر اليوم اي خسرانا لك جميع اليوم

اوباقيه يعني قد خسرت فيما تقدم من اليوم وكذا في باقيه واما الدابة اي
دابة الارض ففي المصابيح عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة
على الناس ضحى وايتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا انتهى وصفتها
ما ذكره تاج القراء في قوله تعالى في اواخر النمل واذا وقع القول عليهم اخرجنا
لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قال اختلف المفسرون
في شكلها وفي موضع خروجها فعن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسم
المومن بين عينيه وتكتب بين عينيه مومن وتسم الكافر بين عينيه وتكتب
بين عينيه كافر ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المومن بالعصا وتخطم
انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخواد ليجتمعوا فيقول هذا يا مومن ويقول هذا
يا كافر وعن ابن عباس تخرج من بعض اودية تهامة وعن ابن مسعود تخرج
بين الصفا والمروة وسئل علي رضي الله عنه عن الدابة فقال والله ما لها ذنب
وان لها اللحية كانه اشار الى انها من الانس وقيل هي دابة من دواب الارض
وعن ابن عباس لها زغب وريش واربع قوايم وعن ابن الزبير انها دابة راسها
راس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن الايل وعنقها عنق
نعامة وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها
ذنب كبش وقوايمها قوايم بعير بين كل مفصلين منها اثنى عشر ذراعا تخرج
ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت في مسجد المومن بعصا موسى نكتة
بيضاء فيبيض وجهه وتنكت في وجه الكافر بخاتم سليمان نكتة سوداء
فيسود وجهه وهذا حين يغلق باب التوبة ثم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل وعن وهب وجهها وجه رجل وساير خلقها خلق الطير فتخبر من راها
ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يومنون وقيل على سورة فرس وقيل تخرج من
اجياد وهو الجبل الذي بمكة وقيل من بحر سدوم وعن حذيفة ابن اليمان قال ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من اين تخرج قال من
اعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى يطوف البيت ومعه المسلمون اذ يضطرب
الارض تحتهم وينشق الصفا مما يلي المشعر وتخرج الدابة من الصفا اول ما يبدو
منها راسها ملمعة ذات وبر وريش وباقي الحديث ما ذكرنا اولا وهو حديث
حذيفة واما جزيرة العرب فالجزيرة كل ارض جزر الماء عنها اي ذهب عنها وبقي
حولها وسميت جزيرة العرب بذلك لانها ارض جوانبها البحر واضافتها الى العرب
كانها مسكنهم وقيل الجزيرة ما وقع في جانبها بحر البصرة ودجلة والفرات
وعمان وعدن وبحر الشام والنيل والجانب الاخر منها متصل بالبرية التي فيها الرمال
بحيث لا يكون فيها عمارة ولا يسكنها احد وحد جزيرة العرب قال في الصحاح يقول

ابو عبيدة جزيرة العرب ما حفر ابو موسى الاشعرى الى اقصى اليمن فى الطول وفى العرض ما بين يبرين الى منقطع السماوة فان كان الجفر بالجيم كالضرب مصدرا فهو البير الواسعة ولم يطو وان كان بالحاء المهملة كضرب فعلا مبنيا للفاعل فهو التراب يستخرج من الحفرة ويقال هو المكان الذى حفر ويفسد قالوا اشتهينا وهذا الخندق الحفر كذا فى الصحاح وقال ابن الاثير فى النهاية حفر بفتح الحاء المهملة والفاء ركايا احتفرها ابو موسى على جادة البصرة الى مكة انتهى ويبرين بياء آخر الحروف مفتوح فى اوله ثم باء موحدة ساكنة ثم راء مهملة مكسورة ثم آخر الحروف ساكنة ثم نون قال فى الصحاح هو موضع يقال رمل يبرين والسماوة قال فى الصحاح موضع بالبادية ناحية العواصم انتهى ووجدت حاشية على الصحاح منسوبة الى ابى زكريا لفظها ليست السماوة ناحية العواصم لان العواصم حلب ونواحيها وحولها والسماوة بين دمشق والعراق ومنقطع السماوة رمل يقال له رمل عالج موضع بالبادية وسياتى فى هذا الباب عند ذكر المهدى شئ يتعلق بنجد وجزيرة العرب والاية العاشرة ههنا لنا ريدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث واخر ذلك نار اى اخر العلامات العشرة وقول صاحب المصابيح وفى رواية فى العاشرة يعنى وردت رواية فى العلامة العاشرة هى ريح تلقى الناس فى البحر فيكون ياجوج وماجوج علامة واحدة لانهما جزء من الانس من ولد آدم عليه السلام وقد نبهت على ذلك بابا بالباب السادس عند اسم ذى القرنين واخباره صلى الله عليه وسلم ان كلا من ياجوج وماجوج امة على ما تقدم فى الباب السادس عند ذكر ذى القرنين لا ينافى كونهما علامة واحدة لانهما يخرجان معا وسياتى ذكر الدابة وغيرها من العلامات العشرة فى اشراط الساعة واذ قد فرغت من ذكر بعض العلامات التى بين يدى الساعة فلاذكر شيئا من اشراطها التى تكون قبل ما ذكرنا فنقول من الصحاح قال صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد الاشراط العلامات والقيم هنا من يقوم بالمصالح التى يقوم بها الزوج وفى رواية يقل العلم ويظهر الجهل وعن ابى هريرة قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم يحدث جاء اعرابى فقال متى الساعة قال فاذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة تنبيه لما طلب الاعرابى معرفة قيام الساعة ذكر له النبى صلى الله عليه وسلم علامة من العلامات الدالة على قربها اذ لا يعلم حقيقتها احد الا الله تعالى بقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقال صلى الله عليه وسلم تبلغ المساكن اهاب او يهاب قيل هو موضع قريب من خيبر وقيل بينهما وبين المدينة اميال وفى رواية يهاب بالياء التحتية قال الامام التوربشتى الرواية الصحيحة نهاب بالنون المكسورة ولا يرويه بالياء الا بعض رواة مسلم وهو غير صحيح عندى فالشك من الراوى والمعنى يكثر عمران

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث تبلغ دورها اهاب ان كان مراده صلى الله عليه وسلم اهاب او تبلغ دورها نهاب بالنون ان كان مراده من ذلك نهاب وقال صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده وفى رواية يكون فى آخر الزمان لامتى خليفة يحثى المال حثيا ولا يعده عدا قال بعض الشراح يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اراد بهذا الخليفة المهدى وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلى اكون انا الذى انجو وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين الا البلاء ومعناه انه يتمرغ على رأس القبر ويتمنى الموت فى حالة ليس التمرغ من عاداته وانما حمله عليه البلاء وقال صلى الله عليه وسلم اول اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب قيل النار معنوية وهى عبارة عن ظهور الكفار وغلبتهم بحيث يحشرون الناس من المشرق الى المغرب يعنى يقتلون بعضهم ويهزمون بعضهم بحيث يصير من فى المشرق الى المغرب اى الى المحشر اذ هو غرب بالنسبة الى الشرق وليس المراد الى منتهى المغرب وقيل صورية لا بد من وقوعها لان الصادق عليه الصلاة والسلام اخبر بها وقوله صادق ولعل هذا هو الاصح لان كل ما يمكن من الاسباب والاخبار يجرى الى الظاهر لا يحتاج الى التاويل والعدول الى المعنى كذا فى بعض شروح المصابيح ومن الحسان عن انس قال قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار وقال الجوهرى الضرمة السعفة والشيحة فى طرفها نار والمعنى ان الازمنة المذكورة تقصر لقصور الزمان مطلقا وقيل القصر لكثرة الغفلة والاشتغال بالدنيا فيتخيل الزمان فيه نظر كذا فى بعض الشروح وفى آخر حديث عبد الله بن حوالة فى المصابيح ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده على راسى ثم قال يا ابن حوالة اذا رايت الخلافة قد نزلت الارض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والامور العظام والساعة يومئذ اقرب من الناس من يدى هذه الى راسك الارض المقدسة هى الشام والبلابل جمع بلبلة وهى وسوسة الصدر والهم ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم اشار فى هذا الحديث الى خلافة بنى امية وقوله والساعة يومئذ اى القيامة اقرب من الناس من يدى هذه الى راسك اراد بذلك غاية المبالغة فى قربها وقد نطق القرآن بذلك فى قوله تعالى اقتربت الساعة اى القيامة اتى سبحانه بلفظ اقتربت الساعة لما فيه من المبالغة دون قربت اى دنت دنوا قريبا فانها اتية لا ريب فيها وكل آت قريب وقال تعالى اقترب للناس حسابهم اى وقت محاسبتهم على اعمالهم والمجازاة عليها يوم القيامة وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا اتخذ الفئ دولا والامانة مغنما والزكوة مغرما وتعلم لغير دين واطاع الرجل امراته وعق امه وادنى صديقه واقصى اباه وظهرت الاصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن اخر هذه الامة اولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وايات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع روى عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا فعلت امتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء وعد هذه الخصال ولم يذكر تعلم لغير دين وقال على وبر صديقه وجفا اباه وقال وشرب الخمر ولبس الحرير وما قاله على رضى الله عنه هو رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث رواه فقوله بر صديقه وجفا اباه رواية فيما فى حديث ابى هريرة وهو ادنى صديقه واقصى اباه وقوله وشرب الخمر هو رواية فيما روى فى حديث ابى هريرة ايضا وهو وشربت الخمور وقوله ولبس الحرير رواية زائدة عما فى حديث ابى هريرة وقد تقدم فى الباب الثانى حديث عن ابى امامة فيه بعض ما فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه وعلى رضى الله عنهما الكلام على حديث ابى هريرة رضى الله عنه الفئ قال فى اللباب عن سفيان الثورى ان الغنيمة ما اخذ عنوة بالغلبة والحرب يكون خمسه لله والرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واربعة اخماسه للذين قاتلوا عليه والفئ ما صولح اهل الحرب عليه فيكون مقسوما فى هذه الاربعة يعنى الاخيرة ولا يخمس اى لا يوخذ خمسه لله والرسول وفى ذلك كله اختلاف وقوله دولا قال بعضهم الدولة والدولة بفتح الدال فى الاولى وضمها فى الثانية لغتان بمعنى وقال ابو عمرو ابن العلاء هو بالضم فى المال وبالفتح فى الحرب وقال عيسى بن عمر كلتاهما يكون فى الحرب والمال سواء وجمع مضموم الدال دول ودولات بضمها فيهما وجمع مفتوحها دول بكسرها نقل ذلك ملخصا من الصحاح بمعنى قوله اذا اتخذوا الفئ دولا يعنى ان الله تعالى قال فى سورة الحشر ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى وهم قرابة الرسول وقد وقع الخلاف فى استحقاقهم بعد موته صلى الله عليه وسلم واليتامى اى المحتاجين منهم والمساكين وفيهم خلاف تقدم فى الباب وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم اى كى لا يكون الفئ دولة اى يتداولونه الاغنياء مرة كذا ومرة كذا فيغلب الاغنياء الفقراء على الفئ فيقتسمونه بينهم وذلك ان الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس منهم ربعها لنفسه وهو المرباع بكسر الميم ثم يصطفى منها ما شاء بعد المرباع ثم تقتسم الاغنياء بينهم الباقى فجعله الله تعالى لرسوله نقسمه فيما امر به وهو المذكورون الاربعة وقوله والامانة مغنما قيل الامانة الوديعة يتخذونها غنيمة فياكلونها على صاحبها بالانكار عند عدم البينة او بادعاء ردها والحلف على ذلك مع وجود البينة لان

القول

القول قول الامين مع اليمين وقوله والزكوة مغرما يعنى اذا اخذت منهم الزكوة واعطيت لمستحقها اتخذوا ذلك مغرما وينكرون انها حق واجب عليهم وقوله وتعلم لغير دين اى تعلموا العلم لا للدين بل للدنيا والرياء والسمعة والكبر وغير ذلك مما ينافى الدين وقوله واطاع الرجل امراته وعق امه لا افلح قوم ولو امرهم امراة والرجال لما مورون بمشاورتهم ومخالفتهم وقد وصى الله تعالى بالام مع الاب فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما فيكون عقوقها معصية وكذا فى تقريب صديقه وابعاد ابيه قوله وظهور الاصوات فى المساجد يعنى بالمبايعات والمشاجرات والممازحات فيه اذ هو محل ظهور الاصوات بالاذان والاقامات والصلوات والاذكار وانواع العبادات قوله وساد القبيلة فاسقهم لانه واذا صار الفاسق سيد قومه لم يبق بينهم كلمة فيغلب عليهم الفساد وقلة الدين وكذا اذا كان زعيم القوم اى سيدهم ارذلهم لانه يقمع اخيارهم ويرفع اشرارهم فيغلب عليهم الفساد وفى اكرام الرجل مخافة شره دليل على ضعف الاخيار وقوة الاشرار فيكون الخير قليلا والشر كثيرا والقينات جمع قينة وهى الامة المغنية كانت او غير مغنية كذا فى الصحاح غير انه قال والجمع القيان وكان المراد بظهور القينات المغنيات اللاتى يحصل بهن الفساد كما فى زماننا ويحيين على ذلك اقترانهن بالمعازف واما اللاتى للخدمة ففيهن النفع والمعازف الالات الملاهى التى يضرب بها الواحد عزف رواية عن العرب واذا افرد المعزف فهو نوع من الطنابير يتخذه اهل اليمن كذا فى المغرب وقوله لعن اخر هذه الامة اولها لعل المراد من اخر هذه الامة الرافضة فانهم كانوا اول امرهم لا يخصصون احدا باللعن صريحا بل كانوا يقولون الا لعنة الله على الظالمين واما فى زماننا هذا فانهم لا يرضون الا بالتصريح بلعن الخلفاء الثلاثة ابى بكر وعمر وعثمان ولعن معاوية وبعض من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين

ومن اشراط الساعة المهدى روى فى المصابيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتى يواطئ اسمه اسمى اى يوافقه واراد صلى الله عليه وسلم بقوله يملك العرب العرب والعجم جميعا الا انه ذكر العرب دون العجم للتغليب لغلبة العرب فى ذلك الزمان قلت ولانه يخرج من بلاد العرب ويبايعه اهل مكة وابدال الشام وعصائب اهل العراق على ما فى حديث ام سلمة الثانى الاتى وكلهم من العرب وفى

رواية لولم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني
او من اهل بيتي يواطي اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت
ظلما وجورا القسط بكسر القاف العدل تقول منه اقسط الرجل فهو مقسط ومنه
قوله تعالى ان الله يحب المقسطين واما القسوط الجور والعدول عن الحق وقد
قسط يقسط كضرب يضرب قسوطا على غير قياس قال الله تعالى واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا وعن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
المهدي من عترتي من اولاد فاطمة عترة الانسان نسله وقد تكون للاقرباء
وبني العمومة ومنه قول ابو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة نحن عترة رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذا نقله عنه بعض شراح المصابيح ولم ار كلام ابي بكر
هذا في حديث السقيفة ومن علامات المهدي انه اجلى الجبهة اقنى الانف
مكتوب على راسه كلمتان مركبتان من عشرة احرفهما البيعة لله وعن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني اجلى الجبهة اقنى
الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين قوله
اجلى الجبهة اي واسعها واقنى الانف مرتفعه وفي الصحاح القنا احديداب
في الانف يقال رجل اقنى الانف وامرأة قنوا اي بينة القنا وعن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة المهدي قال فيجيء اليه رجل
فيقول يا مهدي اعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله وعن ام سلمة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من
اهل المدينة هاربا الى مكة فياتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه
بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة
والمدينة فاذا راى الناس ذلك اتاه ابدال الشام وعصائب اهل العراق
فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون
عليهم وذلك بعث كلب ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الاسلام بجرانه
في الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون البعث الجيش
والبيداء المفازة والجمع بيد وابدال الشام اولياء الله تعالى المقيمون ببلاد الشام
وهم اربعون واصل الابدال في جميع الاقاليم ثلثماية ويأتي تفصيلهم وكيفية
تبديلهم بالملحق بالباب الاول قال في الصحاح الابدال قوم من الصالحين لا تخلو
الدنيا منهم اذا مات واحد منهم ابدل الله مكانه آخر قال ابن دريد الواحد
بديل انتهى والمراد بالابدال في الصحاح الثلثماية المذكورون وقيل الواحد منهم
بدل والعصائب جمع عصابة بكسر اوله وهي الجماعة من الناس والخيل والطير
والعراق قال في الصحاح بلاد يذكر ويؤنث ويقال هو فارسي معرب والعراقان
الكوفة والبصرة انتهى وفي كتاب المعرب من الاعجمي قال الاصمعي كانت العراق تسمى
ايران شهر فعربتها العرب فقالوا العراق وهذا اللفظ بعيد من لفظ العراق

انتهى

انتهى وايران هذه هي عراق العجم على ما سياتي في هذا الباب ووجدت حاشية على
الكتاب المذكور قال فيها العراق ارض سفلت عن ارض العرب فسموها عراقا تشبيها
بعراق القربة وهو الجلد المثنى اسفل القربة المخروز عليه فهو عربي على هذا
وارادوا به ما سفل من بلاد العرب وبعد عنها لان تهامة هي احد قسمي جزيرة
العرب ولها في الطول عدن ابين واخرها ايلة بفتح الهمزة موضع بالقرب من عقبة
الحاج المضافة اليه وما والاها من اطراف الشام كجعفر ابي موسى وبالحاء المهملة
على ما تقدم في هذا الباب في حد جزيرة العرب وما قرب منه وحدها في العرض من
جدة وما والاها من ساحل البحر الى ريف العراق والحجاز وهو الجبل الفاصل بين
قسمي جزيرة العرب نجد وتهامة بكسر التاء المثناة الفوقية انتهت الحاشية وقد
قسم العراق الى عراق العرب وعراق العجم فاما عراق العرب قال الشيخ عز الدين بن الاثير
في عجائب المخلوقات له عراق العرب ارض ممتدة طيبة ذات اقاليم واسعة ومدن عظيمة
وقرى ممتدة وطولها من تكريت الى عبادان بتشديد الموحدة التحتية وعرضها من
القادسية الى حلوان ثم ذكر عبادان فقال وهي مدينة عامرة على شط البحر في
الضفة الغربية من الدجلة ويقال في المثل ما بعد عبادان قرية وهو البحر
الفارسي شطه الايمن للعراق وشطه الايسر لفارس انتهى واما عراق العجم فعلى ما
في كتاب ابن الاثير ايضا هو اقليم خراسان رجع الى لغات حديث ام سلمة ومعانيه قوله
عليه الصلاة والسلام ينشأ رجل اي يظهر وكلب قبيلة يقال لها بنو كلب وقوله
فيظهرون عليهم اي يظهر المبايعون للمهدي على جيش القرشي الذي اخواله كلب
ويغلبونهم وقوله ويلقي الاسلام بجرانه بكسر الجيم قال بعض شراح المصابيح نقلا
عن الخطابي الجران مقدم العنق واصله في البعير اذا مد عنقه على وجه الارض
فيقال القى البعير جرانه وانما يفعل ذلك اذا طال مقامه في مناخه فضرب الجران
مثلا للاسلام اي اذا استقر قراره لم تكن فتنة ولا هيج وجرت احكامه على العدل
والاستقامة انتهى وقيل اي يتمكن الاسلام حينئذ كما يتمكن الجمل في مناخه بوضع
عنقه رجع الى ذكر ما ورد ايضا في المهدي عن ابي سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلاء يصيب هذه الامة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث
الله رجلا من عترتي واهل بيتي فيملأ به الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا
يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض لا تدع السماء من قطرها شيئا الا صبته مدرارا
ولا تدع الارض من نباتها شيئا الا اخرجته حتى يتمنى الاحياء الاموات تعيش في
ذلك سبع سنين او ثماني سنين او تسع سنين قوله مدرارا منصوب على الحال
اي كثير الدر وقوله يتمنى الاحياء الاموات فيه حذف اي يتمنون حيوة الاموات ليروا
ما الاحياء فيه من الخير والامن ويشاركوهم فيه وقوله او ثماني او تسع اما شك
من الراوي واما للتنويع كما قال الله تعالى او يصلبوا او تقطع قال بعض الشراح
وفي التنويع نظر وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يخرج رجل من وراء النهر وما كان غربيه من خراسان الى اخر مملكة العرس فهو ايران
وهو آخر عراق العجم الملتصق اوله بعراق العرب وقوله الحارث حراث قال صاحب جامع
الاصول لما اعلم حارث اسمه وحراث صفته او ذكر حارث ليدل على انه رجل فيه شئ
من معنى الحرث قوله يوطن الى آخر الحديث قال بعض شراح المصابيح ما ملخصه التوطين
جعل الوطن لاحد وقد يستعمل في معنى تهيئة الاسباب مجازا واو للشك من
الراوي في الحالتين كان قيل الانصار وطنوا له صلى الله عليه وسلم وللمهاجرين
وقريش اخرجوه من مكة فلم قال عليه الصلاة والسلام كما مكنت قريش لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل اراد بقريش من آمن منهم ودخل في التمكين ابو طالب اذ
كان هو اصل التمكين وان لم يؤمن عند اهل السنة واما قرب خروج ياجوج وماجوج
فقد ورد في المصابيح في باب البكاء والخوف عن زينب بنت جحش ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب
من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعيه
الابهام والتي تليها قالت زينب فقلت يا رسول الله افنهلك وفينا الصالحون
قال نعم اذا كثر الخبث قال بعض شارحي المصابيح المراد بهذا الحديث انه لم يكن
في ذلك الردم ثقبة هذا اليوم وقد انفتحت فيه ثقبة وانفتاحها فيه
من علامات القيامة فاذا توسعت خرجوا منها وقد تقدم وقت خروجهم
في الباب السادس عند ذكر ذي القرنين وخصصت العرب بالويل لوصول
ياجوج وماجوج الى ديار العرب وهي الشام وقد انتهوا في الكفر والظلم
والقتل والتخريب حتى ياخذهم الله بظلمهم كما تقدم في الباب السادس والردم
السد الذي بناه الاسكندر على ما ذكرناه ثمة وفي باب البكاء والخوف من
الحسان عن ابي بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلث الليل
قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه الراجفة النفخة الاولى التي تموت منها الخلق
والرادفة النفخة الثانية التي يحيى فيها الخلق وجاء الموت اي مع ما فيه من النزع
ثم القبر ثم البعث والحساب وبعد ذلك اما الى الجنة واما الى النار وفي
باب تغير الناس من الحسان عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم وتجتلدوا باسيافكم ويرث دنياكم شراركم
قوله وتجتلدوا باسيافكم المراد قتل المسلمين بعضهم بعضا بالسيوف ويملك
البلاد الظالمون والكفرة كالوارثين لذلك وروى حذيفة قال لا تقوم
الساعة حتى يكون اسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع قال بعض الشراح يعني يكون
الطيبهم عيشا اللئيم بن اللئيم قال ابو عبيدة اللكع العبد وقد يكنى عن الحمق ويوصف
به اللئيم قلت ويقال للعبد لكع لما فيه من الذلة وللجحش لما فيه من الخفة
وللصبي لما فيه من الضعف وللذليل ان يكون نفسه نفس العبد واريد هنا

الذي

الذي لا يعرف له اصل ولا يحمد له خلق انتهى ومن اطلاقه على الصبي الصغير قوله
عليه الصلاة والسلام أثم لكع يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما كذا في الصحاح
وفي باب الرياء والسمعة من الحسان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون
للناس جلود الضأن من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب
يقول الله تعالى ابي يغترون ام علي يجترئون فبي حلفت لابعثن على اولئك منهم
فتنة تدع الحليم فيهم حيران الختل ختل الذئب الصيد اذا اختفى له وختل
الصايد مشيه للصيد قليلا قليلا في الخفية لئلا يسمع الصيد حس الصايد
فشبه فعل من يرى دينا وورعا يريد بذلك طلب الدنيا بفعل الصياد
لطالب الصيد وتلبيسهم الصوف بنية ان يظنهم الناس زهادا عبادا تاركين
الدنيا مذموم وان كان لبس ذلك من الفقر وكسر النفس فجائز وقوله ابي يغترون
اي بامهالي اياهم بالظاهر عنى وقصدهم خلافها وقوله السنتهم وقلوبهم يعني يتملقون
ويتواضعون للناس ليصير والهم مريدين وقلوبهم شديدة مسودة من غاية
حبهم الدنيا والجاه كشدة قلوب الذئاب على محبة الصيد وقوله ام علي يجترئون
يعني يجترئون علي بمكرهم الناس في اظهار الاعمال الصالحة لهم وهو خلاف ما في
صدورهم ولا يخافون مكري بهم وقوله تدع الحليم فيهم حيران اي تدع العاقل
منهم لا يقدر على دفع ذلك العذاب بوجه من الوجوه وفي كتاب الفتن عن حذيفة
تكون بعدي ائمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال
قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس قال حذيفة قلت يا رسول الله ان ادركت
ذلك قال تسمع وتطيع الامير وان ضرب ظهرك واخذ مالك الجثمان بالمثلثة والجسمان
بالسين المهملة الجسد والسمع والطاعة للامير ما لم يامر بمعصية فاذا امر بها
لا يطاع ولا يقاتل بل يفر منه الانسان وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا
ويمسي مومنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض الدنيا قال بعض شروح المصابيح
ما ملخصه ستاتي فتن كالليل المظلم لا يعرف سببها ولا طريق الخلاص منها
فتعجلوا بالاعمال الصالحة قبل مجيئها فانكم لا تطيقوا الاعمال الصالحة اذا اتتكم
تلك الفتن حينئذ يكفر كثير من المسلمين بالله والفتن التي يكفر المسلم فيها لها
احتمالات ان يكون بين طايفتين مسلمتين حرب فيستحل كل واحدة منهما مال الاخرى
ودمها بالتعصب فتكفر باستحلال ذلك وهو محرم عليهما وان تغلب الكفار
على بلاد المسلمين فتكون ملوك بلادهم كفارا فيامرون الرعية بالارتداد فيرتدون
فيكفرون وربما يرتد المسلم لطلب جاه ومال منهم من غير ان يطلبوا منه الارتداد
وان تكون ملوك المسلمين مسلمين ولكن يغلب عليهم الظلم فيريقون دماء المسلمين
وياخذون اموالهم بغير حق ويزنون ويشربون الخمر ويلبسون الحرير فيعتقد

بعض الناس على الحق وتفرهم علماء السوء على جواز ما يفعلون من المحرمات وربما
يغضب الملك على احد من الرعية ويامر الناس بقتله او اخذ ماله فيعتقد بعض
الناس ان امره حق وربما يامر بصلب السارق فيعتقد الناس جوازه فيكفرون به
لان حد السارق القطع لا الصلب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج
قالوا وما الهرج قال القتل قال الخطابي في تقارب الزمان معناه قصور زمان
الاعمار وقلة البركة فيها وقيل هو دنو الساعة وقيل قصر مدة الايام والليالي
على ما روي ان الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة
كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاحتراق السعفة وهي ورق النخل وقبض
العلم بموت العلماء وبعدم العمل به والقاء الشح وهو البخل في القلوب وهو ان يبخلوا
المال ولا يؤدوا الزكوة ولا الكفارات والنذور وعن ابي موسى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل
فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا القاعد فيها خير من القائم
والماشي خير من الساعي فكسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها اوتاركم واضربوا سيوفكم
بالحجارة والزموا فيها اجواف بيوتكم فان دخل على احد منكم فليكن كخير ابني آدم صح
وقد تقدم ان معنى بعض هذا الحديث في حديث ابي هريرة وامره صلى الله عليه وسلم
بكسر القسي وغير ذلك مما ذكر نهي عن المحاربة لان تلك الحرب كلهم مسلمون وقوله
فليكن كخير ابن آدم اي يسلم ولا يقاتل ليكون مقتولا كهابيل وهو خير ابني آدم ولا يكون
قاتلا كقابيل وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال كنا قعودا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن فاكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الاحلاس فقال قائل
وما فتنة الاحلاس فقال هي هرب وحرب ثم فتنة السراء دخنها تحت قدمي
رجل من اهل بيتي يزعم انه مني وليس مني انما اوليائي المتقون ثم يصطلح الناس على
رجل كورك على ضلع ثم فتنة الدهيماء لا تدع احدا من هذه الامة الا لطمته
لطمة فاذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا حتى يصير الناس
الى فسطاطين فسطاط ايمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا ايمان فيه واذا كان
ذلك فانتظروا الدجال من يومه او من غده الاحلاس جمع حلس بالحاء المهملة مكسورة
قال الخطابي انما اضاف الفتنة الى الاحلاس لدوامها وطول لبثها يقال للرجل اذا
لزم بيته ولا يبرح منه هو حلس بيته قال في الصحاح واحلاس البيوت ما يبسط
تحت حر الثياب يعني ولان الحلس يفترش فيبقى على المكان ما دام لا يرفع ويحتمل ان
يكون هذه الفتنة انما شبهت بالاحلاس لسواد لونها وظلمتها قوله وحرب بفتح
الحاء المهملة والراء اخذ المال الحلال وقوله السراء بفتح السين والراء ياخذ الناقة
في سرتها يقال ناقة سرّاء اي بها داء السرر فعلى هذا معنى الكلام فتنة واقعة في
الناس توجع صدورهم من الحزن وتحرق القلوب بهم كذا في شرح المصابيح وقوله دخنها

اي دخانها

اي دخانها يعني تظهر تلك الفتنة بواسطة رجل من اهل بيتي وليس من اهلي لانه
لو كان من اهلي لم يهيج الفتنة يعني هو في النسب من اهل بيتي ولكنه في الفعل ليس مني
وقوله على رجل كورك على ضلع وهو بكسر الضاد وفتح اللام واحدة الضلوع ونقل
من بعض شروح المصابيح عن الخطابي انه قال هذا مثل ومعناه الامر الذي لا يثبت
ولا يستقيم وذلك ان الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله وانما يقال في باب الملاءمة
والموافقة اذا وصفوا هو ككف على ساعد وكساعد في ذراع ونحو ذلك يريد عليه
الصلاة والسلام ان هذا الرجل غير جدير للملك ولا يستقل انتهى وقوله الدهيماء
تصغير دهما وهي الداهية سميت بذلك لاظلامها والمعنى ان اثر تلك الفتنة
يصل الى كل احد ممن حضرها قال زين العرب وصغرت الدهما على مذهب المذمة لها
وقيل للتعظيم واللطم الضرب على الوجه ببطن الكف وتمادت بتشديد الدال اي
اذا وصلت الى حالة يقال لها انها انقضت تمادت اي امتدت حتى تبلغ غايتها
وقوله يصبح مؤمنا لتحريمه دم اخيه وعرضه وماله ويمسي كافرا بتحليله ذلك
والفسطاط فارسي معرب المدينة التي فيها مجتمع او ضرب من الابنية في السفر دون
السرادق قاله زين العرب وفي التقريب هو بضم الفاء وبكسر بيت من الشعر قال
وفي الفائق هو ضرب من الابنية في السفر دون السرادق واصل الفسطاس
الاخبية التي تقام عليها وفي الصحاح السرادق واحد السرادقات التي تمد فوق
صحن الدار وكل بيت من شعر وهو القطن فهو برور وقد تقدم الفسطاس في
الباب الخامس والعشرين وقوله يصبح الرجل الى اخره تقدم معناه في حديث ابي هريرة
الدوي اوله بادروا بالاعمال والفسطاط بضم الفاء والكسر فيها لغة الخيمة وشبهها
يعني يصير اهل ذلك فرقتين مسلم خالص وكافر صرف وعن ثوبان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا وضع السيف في امتي لم يرفع عنها الى يوم القيمة ولا
تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من امتي بالمشركين وحتى يعبد قبائل من امتي الاوثان
وانه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي الله وانا خاتم النبيين لا نبي
بعدي ولا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي
امر الله وفي المصابيح في باب الملاحم وهي ملحمة وهي الحرب من الصحاح عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان
عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون
كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل
ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض
حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب
لي فيه وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه
وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون فذلك حين
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن الساعة

وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة
وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا
يسقي منه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها قوله صلى الله
عليه وسلم دعواهما واحدة يعني يدعي كل واحدة منهما انها مسلمة وقد تقدم
في هذا الباب معنى الدجال وقبض العلم وتقارب الزمان وفيضان المال كثرته وسيلانه
كالماء وقوله حتى يهم رب المال من يقبل صدقته تقديره حتى يهم رب المال
فقدان من يقبل صدقته قال ابن خطيب الدهشة في كتابه التقريب حتى يهم
رب المال من يقبل صدقته بضم الياء من يهم ونصب رب اي يغمه ويحزنه
لعدمه وبفتحها وضم الهاء ورفع رب من همت بالامر همه بضم الهاء قصدته
قوله ولا ارب لي فيه اي لا حاجة وقوله بالتمني كانه يعني يا ليتني كنت ميتا حتى
لا ارى الفتن والغصص وقوله حين لا ينفع نفسا ايمانها الى آخره لان الاعتبار
بالايمان بالغيب والايمان حينئذ ايمان بعد الشهادة وتقدم معنى ذلك ايضا
في حديث لابي هريرة رضي الله عنه في هذا الباب وكذلك لا ينفع احدا توبته ما لم
يكن تاب قبل طلوعها من المغرب قال بعض الشراح اختلف اهل السنة في عدم
قبول ايمان الكافر وتوبة المذنب بعد طلوع الشمس من مغربها هل هو عام ام لا فقال
بعضهم لا يقبل ايمان ولا طاعة لاحد بعد طلوع الشمس من المغرب الى يوم القيمة
وقال بعضهم ذلك مختص بمن شاهد طلوعها من مغربها وهو مميز فاما من
يولد بعد طلوعها من مغربها او ولد قبله ولم يكن مميزا فصار مميزا بعد ذلك
ولم يشاهد طلوعها يقبل من المغرب فقد جاء في الحديث الصحيح ان تلك الليلة
تطلع الشمس من المغرب في اليوم الذي بعدها تطول ثلاث الليلة يقوم المتهجدون
في تهجدهم فلما فرغوا من اورادهم ولم يروا اثر الصبح ظنوا انهم اخطأوا الوقت
في القيام الى التهجد وظنوا انهم قاموا قبل الوقت فاستانفوا اورادهم فلما فرغوا
من اورادهم مرة ثانية ولم يروا اثر الصبح علموا انه يحدث من الغيب شيء فالتجأوا
الى الله تعالى والى الذكر والى تلاوة القرآن وبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فاذا هم
كذلك طلع الصبح من المغرب ثم طلعت الشمس منه ولم يكن لها نور وشاهد الناس
طلوعها من المغرب وفي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تطلع من
المغرب يوما واحدا وفي رواية ثلاثة ايام ثم تطلع من المشرق الى القيمة انتهى
واللقحة الناقة ذات اللبن يعني اذا حلب الرجل ناقته فقامت القيامة لا يستطيع
ان يشرب لبنها اي اذا نفخ في الصور لم يقدر احد على عمل لا قليل ولا كثير انتهى وقوله
في الحديث الذي بعده يليط حوضه اي يطينه وفي عمدة الحفاظ لطت الحوض بالطين
خلطته به ويقال لاط به يلوط لوطا ولاط يليط ليطا وقال صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الاعاجم حمر الوجوه فطس الانوف صغار
الاعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر ويروى عراض الوجوه قوله خوزا وكرمان

اي قرنان من الاعاجم وفطس الانوف جمع افطس مثل الازلف وفي حديث اخر ذلف
الانوف وهو الانف الغليظ المسطح والمجان بفتح الميم وتشديد النون جمع مجن
بكسرها وفتح الجيم وهو الترس والمطرقة بضم الميم وسكون الطاء وفتح الراء المخففة
اي التي وضع الطراق بكسر الطاء وهو الجلد عليها كالغطاء وقال صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ
اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي
خلفي فتعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود والغرقد مثل جعفر قيل
هو الصنوبر وقيل العوسج وقيل العظام منه وفي صحاح الجوهري هو شجر ومنه بقيع
الغرقد مقبرة بالمدينة انتهى وقال عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة
حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس رواه ابو هريرة قحطان اسم قبيلة من
قبائل عرب اليمن والمعنى يصير القحطاني حاكما عليهم يصيرهم مطيعين منقادين
له يامرهم بما يشاء وكيف يشاء كما يسوق الراعي الغنم بعصاه وقال صلى الله
عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يملك رجل يقال له الجهجاه وفي رواية حتى يملك
رجل من الموالي يقال له الجهجاه اي من المماليك وفي رواية لا تذهب الايام والليالي
حتى يملك رجل يقال له الجهجاه وعن عوف بن مالك قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة
موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى
يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب الا دخلته
ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون فياتونكم تحت ثمانين غاية
تحت كل غاية اثنا عشر الفا القبة الخيمة والادم بفتحتين اسم الجمع اديم وهو الجلد
المدبوغ والجمع ادم بضمتين وموتان بضم الميم يعني موتا والمراد به الوباء وقيل
انه الطاعون الواقع في ايام عمر رضي الله عنه المعروف بطاعون عمواس بفتح
العين المهملة وسكون الميم وهي من كور الرملة مدينة فلسطين احد اجناد
الشام كانت معسكر المسلمين فمات منهم بها في ثلاثة ايام سبعون الفا وهو
اول طاعون كان في الاسلام بالشام وقعاص الغنم بتقديم القاف المضمومة على
العين المهملة داء يقع في صدر الغنم فتموت في الحال واستفاضة المال تقدم
معناها والمعنى لا يرضى الفقير بالمائة دينار لقلتها في عينه من كثرة المال والفتنة
المذكورة لعلها مثل الفتنة المتقدمة المسماة بالدهيماء والهدنة الصلح
والغاية بالغين المعجمة الراية قال شارح المصابيح ويروى غابة بالباء الموحدة
وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى ينزل اهل الروم بالاعماق او بدابق
فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار اهل الارض يومئذ فاذا تصافوا قالت الروم
خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم
وبين اخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم ابدا ويقتل ثلثهم

افضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث فلا يفتنون ابدا فيفتتحون قسطنطينية
فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان
ان المسيح الدجال قد خلفكم فى اهليكم فيخرجون وذلك باطل فاذا جاؤا الشام
خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف اذا اقيمت الصلاة فينزل
عيسى بن مريم فامهم فاذا راه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء فلو تركه
لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته قوله بالاعماق
او بدابق الشك فيه من الراوى والاعماق فى شرح المصابيح هما موضعان بالشام
وفى بعض شروحه الاعماق جمع عمق بفتح العين وسكون الميم وهو ما بعد من
اطراف المفاوز وكذا فى الصحاح وفى التعريب الاعماق موضع قرب حلب فعلى هذا
الاعماق هى المشهورة الآن بالعمق بين حلب وانطاكيه وعلى الاول فاما ان يكون
احد العمقين هذا المذكور والثانى ما اتصل به من الارض المعروفة بالجومة بالجيم
او ان العمق الثانى الذى يقال له الروج بالجيم والله اعلم ودابق بكسر البا الموحدة
قال فى الصحاح هو اسم بلد والاغلب عليه التذكير والصرف لانه فى الاصل اسم نهر
انتهى وهذا النهر هو الواصل الى حلب ويحتمل انها المدينة التى يخرج منها الجيش
لانها اقرب المدن الى دابق واما دابق بفتح الموحدة قال شارح المصابيح قبل
الاعماق موضع من اطراف المدينة ودابق بفتح البا سوق بها وعلى هذا يكون
الجيش من مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام وهو بعيد اذ حلب اقرب
الى الروم منها وهذا هو المشهور وقوله فيفتحون قسطنطينية الى قوله قد علقوا
سيوفهم بالزيتون يقتضى ان لا يكون قسطنطينية استنبول اذ لا زيتون
بها الا نادرا والمراد بالمسيح هنا الدجال لا عيسى عليه الصلاة والسلام علم
ذلك من سياق الكلام وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل
سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر قالوا نعم يا رسول الله قال
لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون الفا من بنى اسحق فاذا جاءوها نزلوا فلم
يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا لا اله الا الله والله اكبر فيسقط احد جانبيها
الذى فى البحر ثم يقولون الثانية لا اله الا الله والله اكبر فيسقط جانبها الآخر
ثم يقولون الثالثة لا اله الا الله والله اكبر فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا فبينما هم
يقتسمون المغانم اذ جاءهم الصريخ فقال ان الدجال قد خرج فيتركون كل شئ ويرجعون
قيل السبعون الفا من بنى اسحق النبى عليه السلام وهم من اكراد الشام وهم مسلمون
ومن الحسان عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمران بيت
المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية
وفتح قسطنطينية خروج الدجال وعن ابى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من
خير مداين الشام الفسطاط تقدم فى هذا الباب وعن رجل من اصحاب النبى صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم قال دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم وعن عبد الله
ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم فانه لا
يستخرج كنز الكعبة الا ذو السويقتين من الحبشة قال شارح المصابيح
فى قوله كنز الكعبة قيل هو كنز مدفون تحت الكعبة والسويقتان تصغير
الساق مؤنث ولذلك ادخل فى تصغيرها التاء وعامة الحبشة فى
سوقهم خموشة ودقة قال الخطابى فى المعالم اعلم ان الجمع بين قوله
تعالى قاتلوا المشركين كافة وبين هذا الحديث ان الآية مطلقة والحديث
مقيد ويجعل الحديث مخصصا لعموم الآية كما خص ذلك فى حق المجوس فانهم
كفرة ومع ذلك اخذ منهم الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا
بهم سنة اهل الكتاب بيانه انه اذا قام بعض المسلمين بقتال الكفار
فابيح للباقين ترك القتال معهم بشرط انهم كانوا فى ديارهم ولم يتعرضوا
لهم فى شئ ما ويدل على هذا المعنى قوله ما تركوكم فان قيل الصحابة رضى الله
عنهم هجموا على الفرس وعلى الروم وقاتلوهم مبتدئين من غير ان يطؤا
ديار الاسلام فما تخصيص تلك الجهتين يعنى الحبشة والترك قيل
اما الحبشة فبلادهم وعرة ذات حر عظيم بين المسلمين وبينهم
مهامه وقفار وبحار فلم يكلف المسلمين دخول ديارهم لكثرة التعب
وعظم المشقة واما الترك فباسهم شديد وهم ايضا بارض بعيدة
وهم مقاتلون وطباعهم غليظة وبلادهم باردة لا تخلو صيفا
ولا شتاء من الثلوج والعرب وهم جند الاسلام كانوا من البلاد الحارة
فلم يكلفهم دخول بلادهم لم تكن من طباعهم فلهذين الامرين خصصهما
بالترك واما اذا دخلوا فى بلاد المسلمين والعياذ بالله تعالى فلا يباح لاحد
البتة ترك القتال من الاحرار والعبيد لان الجهاد فى هذه الحالة فرض عين
وفى الحالة الاولى فرض كفاية انتهى ومعنى ودعوكم فى الحديث المروى عن
رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اى تركوكم قد استعمل النبى
صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث ماضى يدع الذى نسب الى العرب
انهم اماتوه اى تركوه ولم يستعملوه وهو صلى الله عليه وسلم افصح
العرب ويحتمل انه عليه الصلوة والسلام اتى بذلك على لغة من لم يمته
من العرب الذين انقرضوا وقال بعضهم يحتمل ان يكون الحديث ما وادعوكم
اى سالموكم فسقط الالف من قلم بعض الرواة وعن ابى بكرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ناس من امتى بغائط يسمونه البصرة
عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر اهلها ويكون من امصار
المسلمين فاذا كان فى آخر الزمان جاء بنو قنطورا عراض الوجوه صغار
الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق ثلاث فرق فرقة ياخذون

فی اذناب البقر والبریة وهلكوا وفرقة یاخذون لانفسهم وهلكوا وفرقة
یجعلون ذراریهم خلف ظهورهم ویقاتلونهم وهم الشهدآء قال
الخطابی الغائط المطمئن من الارض والبصرة فی الاصل الحجارة الرخوة وبها
سمیت البصرة بصرة وقیل اراد بالبصرة بغداذ فانها لم تكن عمرت اذ ذاك ایضا
لانها عمرت بعد البصرة ابتداء عمارتها ابو جعفر المنصور العباسی سنة
خمس واربعین ومایة ولان مصب دجلة هناك وعلی هذا القول تكون هذه
الوقعة قد وقعت وهی التی خربت فیها بغداد من هلاكوا من القرامطة
والله اعلم انتهی واما البصرة فهی بفتح اولها وبكسره فی النسبة الیها فیقال
بصری علی غیر القیاس واختطت من امیر المؤمنین عمر بن الخطاب رضی الله
عنه فی سنة اربع عشرة وخمس عشرة علی ما تقدم فی خلافته وبنو قنطورا
هم الترك یقال ان قنطورا اسم جاریة كانت لابرهیم علیه السلام ولدت
له اولادا جاء من نسلهم الترك وقیل اهل الصین ایضا من نسلهم كذا
فی بعض شروح المصابیح وهلاك الفرقة الاولی قیل بهربهم باتباعهم
الی البریة فیهلكون بها وقیل یعرضون عن المقاتلة ویشتغلون بالزراعة
فیهلكون وهلاك الثانیة بان یاخذوا الامان لانفسهم من الكفرة
فیهلكون فی ایدیهم وهلاك الثالثة بان یجعلوا انفسهم وقایة
لازواجهم وذریاتهم ویقاتلون حتی یستشهدوا وعن انس ان رسول
الله صلی الله علیه وسلم قال یا انس ان الناس یمصرون امصارا وان مصرا
منها یقال لها البصرة فان انت مررت بها او دخلتها فایاك وسباخها ونخیلها
وسوقها وباب امرایها وعلیك بضواحیها فانه یكون بها خسف وقذف
ورجف یبیتون ویصبحون قردة وخنازیر قوله یمصرون من التمصیر
وهو وضع اساس المصر وبناءه قوله فایاك ای احذر نفسك عن سباخها
وعن وعن وفی بعض نسخ المصابیح وكلاها بدل ونخیلها وفی بعضها
وكلاءها بعد ونخیلها قال فی المظهر وتحذیر رسول الله صلی الله علیه وسلم
انسا عن المواضع المذكورة فی البصرة اشارة الی ان فی تلك المواضع اقواما
من اهل القدر لان الخسف وغیره من المذكور یكون للمكذبین بالقدر والدلیل
علیه قوله صلی الله علیه وسلم یكون فی امتی خسف ومسخ وذلك فی
المكذبین بالقدر ولم یقع بعد انتهی والمراد بالخسف هنا ذهاب المكان
بمن فیه من المغضوب علیهم كما فی قوله تعالی فخسفنا به وبداره
الارض لا ذهاب الارض نفسها بغیر المغضوب علیهم قوله وعلیك
بضواحیها هی جمع ضاحیة وهی البارزة یقال ضاح ای بارز وقال فی الصحاح
ضاحیة كل شیء ناحیتها البارزة یقال هم ینزلون الضواحی وفی الحدیث انه
علیه الصلاة والسلام كتب لحارثة بن قطن من بدومة الجندل من كلب

ان لنا الضاحیة من البعل ولكم الضامنة ما تضمنها امصارهم وقراهم
من النخل انتهی والمعنی الزم یا انس اطرافها وبراریها لیلا یلحقك شیء من
عذاب اهلها المذكور وهذا القدر كاف واعلم ان غالب ما ذكرته فی هذا
الباب الذی هو خاتمة الكتاب من المصابیح وشروحه اما باللفظ واما
بالمعنی فان اشتبه علیك شیء من ذلك فراجعه تجده هنالك وسیاتی
ان شاء الله تعالی بالملحق بهذا الباب شیء مما وقفت علیه من الملاحم
والجفر ویتلو هذا الباب خاتمة الكتاب والله الموفق للصواب ووقع
الفراغ من النصف الاول من هذا الكتاب ثمرات البستان
وزهرات الاغصان فی یوم السبت من شهر شوال
من شهور سنة اربعة وسبعین ومایة والف
علی ید الفقیر الفانی اسمعیل الحسانی غفر الله له
ولوالدیه ولجمیع المسلمین وصلی الله علی
سیدنا محمد وعلی آله وصحبه اجمعین
والحمد لله رب العالمین
امین

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده ٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة الكتاب وفيه الفصل الاول في ذكر الخلفاء الراشدين من بعده صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل على عدة فصول الفصل الاول في ذكر ابي بكر الصديق وخلافته يقال كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه صلى الله عليه وسلم عبد الله وقيل اسمه عتيق سمته امه لانه كان لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت ثم قالت اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش فسمته عتيقا وكان يعرف به رواه الخجندي في الاربعين وقيل لما نظر اليه صلى الله عليه وسلم قال هذا عتيق من النار وقيل سمي بذلك لجمال وجهه والعتق الجمال وقيل لانه لم يكن في نسبه شي يعاب وهو ابن ابي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة يلتقي هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وكان اصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين او ثلاث اسلم وهو ابن سبع او ثمان وثلاثين وعاش في الاسلام ستا وعشرين سنة وكانت ولادته بمنى بعد الفيل وكان يفتي بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ومع ما به من العناية انه تنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والاسلام واما بيعته بالخلافة قال ابن اسحاق لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحي من الانصار الى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة واعتزل علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة رضي الله عنها وانحاز بقية المهاجرين الى ابي بكر فاتى آت الى ابي بكر وعمر فقال ان هذا الحي من الانصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا اليه فان كان لكم بامر الناس حاجة فادركوا الناس قبل ان يتفاقم امرهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم يفرغ من امره قد اغلق دونه الباب اهله قال عمر لابي بكر انطلق بنا الى اخواننا هولاء من الانصار حتى ننظر ما هو عليه فانطلقا حتى اتياهم فجلسا وقام خطيبهم فاثنى

على الله بما هو اهله ثم ذكر من فضايل الانصار وشرفهم شيئا قال عمر يريدون ان يخارون من اصلنا وتغصبون الامر فلما سكت خطيبهم قال ابو بكر اما ما ذكرتم من خير فيكم فانتم له اهل ولن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم اوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين فبايعوا ايهما شئتم واخذ بيد عمر وابي عبيدة بن الجراح وهو جالس بينهما فقال الحباب بن المنذر انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا امير ومنكم امير وفي شرح العقايد العضدية للشيخ جلال الدين الدواني فقال لهم ابو بكر منا الامراء ومنكم الوزراء واحتج عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش قال ابن اسحق قال عمر فكثر اللغط وارتفعت الاصوات حتى تخوفت الاختلاف فقلت ابسط يدك يا ابا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الانصار وفي اسد الغابة قال كان رجوع الانصار يوم سقيفة بكلام قاله عمر انشدكم بالله امر ابو بكر ان يصلي بالناس قالوا اللهم نعم قال فايكم تطيب نفسه ان يزيله عن مقامه الذي اقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كلنا لا تطيب انفسنا نستغفر الله وكان عمر بن الخطاب اول من بايعه فوثب عمر فاخذ بيد ابي بكر فبايعه ثم قام اهل السقيفة فبايعوه وفي اسد الغابة ثم كانت بيعة العامة من الغد عن بيعته وجوه بني هاشم ثم ان الجميع بايعوا بعد موت فاطمة رضي الله عنها وفي مدة خلافته اليسيرة فتح فتوحات كثيرة فاول ما بدا به بعد خلافته انه نفذ جيش اسامة وامره بالانتهاء الى ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيعه ماشيا واسامة راكب لانه اقسم عليه ان لا ينزل وساله ان ياذن لعمر في الرجوع معه فاذن له في ومضى اسامة وبث الخيل في قبايل قضاعة وعاد سالما وكان فراغه في اربعين يوما وفتح ابو بكر اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب وقاتل جموع اهل الردة الى ان رجعوا الى دين الله تعالى وفتح اطراف العراق وبعض الشام وتفصيل ذلك ان عامة العرب لما سمعوا بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتدوا الا اهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس ومنع بعضهم الزكاة وتردد بعضهم في ذلك وهم ابو بكر بقتالهم فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا مني دماءهم واموالهم قال له ابو بكر اليس قد قال الا بحقها ومن حقها اقامة الصلاة وايتاء الزكوة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ولو خذلني كلهم لجاهدتهم بنفسي وبالجملة جادل مع الاصحاب في ذلك

اشدا لرجال واشد الجدال وجدوا واجتهدوا وسعى بالسعي الاكيد فى
اضرام الحرب على المرتدين وعلى مانعي الزكاة حتى نعل وقال عمر رضي الله عنه
فوالله ما هو الا ان رايت ان الله قد شرح صدر ابى بكر للقتال فعرفت
انه الحق وامر الناس بالجهاز وخرج هو فى مائة من المهاجرين حتى نزل بقعاء
وهو فى كل ذلك يريد اظهار الجد لاصحابه وارآءة الجلادة لعدوه واقام
فيه اياما وبعث الى من كان حوله من اسلم وغفار ومزينه واشجع وجهينه
وكعب يامرهم بالجهاد فاتوا بخيلهم وسلاحهم ثم رجع نفسه وبعث
خالد بن الوليد مع الجيش لقتال اهل الضاحية واهل اليمامة وساير قبايل
العرب ممن ارتدوا فسار خالد بما معه من المهاجرين والانصار وساير
العرب حتى قدم اليمامة وانتهوا الى طليحة وقد ضربت لهم قبة من ادم
واصحابه حوله معسكرون فتقدم خالد ودعاه الى الاسلام وابى يزعم انه
نبي مرسل ياتيه الوحي مع ملك يقال له ذو النون فبات كلا الفريقين
تلك الليلة فى ذلك الموضع فلما كان السحر نهض خالد وصف الصفوف
ووزع الالوية واقام الجيش فلما راه طليحة فعل مثل ما فعل خالد واقام
اربعين غلاما جلدا من جنوده مردا فاقامهم فى الميمنة وقال لهم اضربوا حتى
تاتوا الميسرة فتضعضع الناس ولم يقتل احد ثم اقامهم فى الميسرة ففعلوا
مثل ذلك وانهزم المسلمون فدعى خالد يا معشر الانصار الله الله واقتحم
وسط القوم وكر عليه اصحابه فاختلطت الصفوف واختلفت السيوف
فكان الاهزيمة الكفار ولم يبق من اولئك الاربعين رجل واحد وقاتل
خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما وتراد الناس بعد الهزيمة واشتد
القتال فمن الله على المسلمين حتى صاروا يقتلون وياسرون فلما راى طليحة
الهزيمة ركب فرسه واردف امراته فهرب هو واخوه وقد اسلمه الشيطان
لتفنى على وجهه هاربا نحو الشام واقام بها عند بنى جفنه الغسانيين الى
ان توفى ابو بكر وعاد القبايل الى الاسلام ثم اسلم وحسن اسلامه وحج فى
خلافة عمر وله اثار جميلة فى قتال الفرس بالقادسية واستشهد فى
حرب نهاوند وقاتل يوم طليحة عيينه بن حصين فى سبعماية من فزارة
قتالا شديدا فلما راى طليحة تبعه هو واخوه فاسر عيينه وارسل الى
المدينة الى ابى بكر رضي الله عنه فى وثاق مجموعة يداه الى عنقه بحبل يحبه
اولاد المدينة بالجريد ويضربونه ويقولون اى عدو الله اكفرت بالله بعد
ايمانك فيقول والله ما كنت امنت بالله ثم صاح خالد الا يطبخن احد قدرا ولا
يسخنن ماء الا انفيه راس رجل وجمع الاسارى فى الحظاير ثم اضرمها
عليهم فاحترقوا وهم احيا فجعل خالد يبث السرايا ليصيبوا ما قدروا عليه
ممن هو على ردته فجاءه العرب نجا وراغبين فى الاسلام ثم انه توجه نحو ارض

بنى تميم

بني تميم وارض اليمامة فلما وصل الى البطاح من ارض تميم لم يجد بها جمعا ففرق
السرايا فى نواحيها وكان فى سرية منها ابو قتادة الانصاري فلقوا اثنى عشر
رجلا فيهم سيدهم مالك بن نويرة فاخذوهم فجاوا بهم خالدا وكان
مالك قد غدر فى الاسلام وحنق به المسلمون وعاهد الله خالد لئن اخذه
ليقتلنه ثم ليجعلن هامته اسفنه فامر بهم خالد فقتلوا وقتل مالكا
وتزوج امراته ام متمم من ليلته وكانت جميلة فبلغ ذلك عمر فغضب عليه
واشار على ابى بكر بقتله قصاصا عن مالك لانه يرى ان مالكا قتل مسلما
وقال ابو بكر لا اغمد سيفا شهره الله على الكفار فقال عمر لخالد لئن وليت
الامر لاقيدنك به ولما سار خالد من البطاح ووقع فى ارض بنى تميم قدم
امامه مائتى فارس وقال من اصبتم من الناس فخذوه فانطلقوا حتى اخذوا
مجاعة بن مرارة الحنفي فى ثلاث وعشرين رجلا من قومه قد خرجوا فى طلب
رجل من بنى نمير اصاب فيهم دما وقدمهم خالد فضرب اعناقهم
وترك مجاعة ورجلا وامر بهما فاوثقا فى جوامع حديد وكانوا يدعون مجاعة
وهو كذلك فتحدث معه فلما قربا من عقربا وهى ارض باليمامة وقع الطلايع
امامه فرجعوا اليه فخبروه ان مسيلمة ومن معه خرجوا فسبقهم خالد
الى عقربا فضرب عسكره ثم جاء مسيلمة فضرب عسكره ووزع خالد الويته
وصف صفوفه ورتب ما يلزم الحرب وهيئها وامر بسرير فوضع فى فسطاطه
واضطجع عليه يتحدث مع مجاعة ومعه امراته ام متمم واشراف رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتحدث معهم واقبلت بنو حنيفة قد سلت السيوف
فلم تزل مسلله وهم يسيرون نهارا طويلا فقال لهم خالد ابشروا يا معاشر المسلمين
فقد كفاكم الله عدوكم وما سلوا السيوف الا ليرهبونا وان هذا فيهم لجبن
وفشل فقال مجاعة كلا والله انها الهندوانية خشوا من خبطها وهى غداة
باردة فابرزوها للشمس لان تسخن متونها فلما دنوا من المسلمين نادوا انا
نعتذر من سل السيف فقالوا مثل ما قال مجاعة فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر
الفريقان جميعا صبرا جميلا حتى كثرت القتلى والجراح فى الفريقين ودخل
المسلمون عسكر المشركين والمشركون عسكر المسلمين مرارا ويريدون حل مجاعة
فلا يستطيعون لما فيه من الحديد وانه لا تزال تناوشهم خيل المسلمين
فلما قتل حامل راية خالد زيد بن الخطاب اخذها سالم مولى ابى حذيفة فحفر
لرجليه حتى بلغ انصاف ساقيه ففعل مثله ثابت بن قيس حامل لواء
الانصار وقد كان الناس يتفرقون وان سالما وثابتا القايمان حتى قتلا
رحمهما الله تعالى فوجد راس كل منهما عند نصل الاخر لقرب مصرع كل واحد
منهما من صاحبه فلما انهزم المسلمون ثلاث مرات انحاز عباد بن بشر مع من
بقى من الانصار وقال حملة صادقة اتبعونى فخرج امامهم حتى ساقوا بنى

حنيفة منهزمين حتى اتوا بهم الى حديقة لمسيلمة تسمى حديقة الموت واغلقوا عليهم فاوى عباد يشرف على الحديقة وهم فيها فقال للرماة ارموا فرموا اهل الحديقة بالنبل حتى الجاوهم ان اجتمعوا فى ناحية منها لا يطلع النبل عليهم فقال ابو دجانة القونى على الترسه حتى اشغلهم فاخذوه فالقوه على الترسه ودفعوها على روس الرماح حتى وقع فى الحديقة وهو يقول لا ينجيكم من الفرار فضاربهم حتى فتحها ودخلوا عليه مقتولا والقى وقتل عباد درعه على باب الحديقة ثم دخل بالسيف صلتا يجالدهم حتى قتل رحمه الله ورمى عبد الرحمن بن ابى بكر محكم بن الطفيل سيد اليمامة بسهم فقتله وقيل بل زعم خالد وقاتلت بنو حنيفة بعد قتل محكم اشد القتال وهم يقولون لا بقاء بعد محكم قال خالد شهدت عشرين زحفا فلم ار قوما اصبر لوقع السيوف واضرب بها ولا اثبت اقداما من بنى حنيفة يوم اليمامة ثم ان وحشيا بعد ان جعلت الرجال تختلط والسيوف بينهم تختلف وخرس القوم فلا صوت الا وقع السيوف راى مسيلمة فى ناحية ورماه بحربه حتى قتله وهو لم يعرف وقيل قتله رجل من الانصار وقد ثبت ضرب الانصارى ايضا على هامة مسيلمة بالسيف فالله يعلم ايهما قتله ولما قتل مسيلمة ظفر المسلمون على بنى حنيفة فصاروا يقتلونهم كيف شاؤا واقام خالد باليمامة خمس عشرة ليلة وقد وضعت الحرب اوزارها وما يصلى مع خالد من المهاجرين والانصار الا نفر يسير لان عامة المسلمين كانوا جرحى فلما امسى مجاعة ارسل الى قومه ليلا البسوا السلاح بالنساء والذرية والعبيد ثم اذا اصبحتم فقوموا مستقبلى الشمس على حصونكم حتى ياتيكم امرى فقالوا ان نعم فلما اصبح خالد امر بمجاعة فسيق معه فى الحديد فجعل يستبرى القتلى وهو يريد مسيلمة فوجدوه وطرحه فى بئر ماء كان يشرب منه وامر بقتلى المسلمين فدفنوا بثيابهم وتركوا قتلى بنى حنيفة وكان خالد يرى انه لم يبق من بنى حنيفة الا من لا ذكر له ولا قتال عنده لما وقف على مسيلمة مقتولا يا مجاعة هذا صاحبكم الذى فعل بكم الافاعيل ما رايت عقولا اضعف من عقول اصحابكم مثل هذا فعل بكم ما فعل فقال مجاعة قد كان ذلك يا خالد ولا تظنن ان الحرب قد انقطعت بينك وبين بنى حنيفة فانهم الا سرعان الناس وان جماعة الناس واهل البيوتات ففى الحصون فانظر فلما ابصرهم خالد على الحصون همهم ثم شدد وادركته الرجولية فاذن لاصحابه بالركوب فقال مجاعة ايها الرجل انى لك ناصح ان السيف قد افناك وافنا غيرك فقال تعال اصالحك عن قومى فماسح حتى رضى خالد فاصطلحا على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع ونصف السبى فلما بان لخالد انه الخديعة واذا ما فيه نصف السبى قال ويلك يا مجاعة

خدعتنى

خدعتنى فى يوم مرتين قال مجاعة قومى فما اصنع وما وجدت من ذلك بدا فتزوج خالد ابنة مجاعة وكانت من اجمل النساء ثم قسم الغنيمة بين غزاة المسلمين فعزل منها الخمس للخليفة وكانت وقعة اليمامة فى ربيع الاول من سنة اثنتى عشرة وكان عدد المسلمين الذين خرجوا من المدينة سوى اهل الضاحية الذين لحقوا بخالد قبل قتال بنى حنيفة اربعة الاف رجل بعدد رجال بنى حنيفة وجملة من توفى من المسلمين الف ومائتين ومن بنى حنيفة ضعف ذلك

غزوة الحيرة

ثم امر ابو بكر خالد بان يسير الى الحيرة فسار اليهم وقاتلهم وهزمهم وصالح رئيسهم عمرو بن عبد المسيح وله من العمر بعماية سنة وكان عنده سم ساعة فتناوله خالد فابتلعه بعد ان قال لا تموت نفس حتى تاتى على اجلها وقال بسم الله خير الاسماء ورب الارض والسماء ليس يضر مع اسمه داء فلم يضره الا انه رشح عرقا

بعث العلاء الحضرمى

الى البحرين وبعث ابو بكر العلاء الحضرمى الى البحرين فسلكوا مفازة وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل وصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم اسقنا فجاءت سحابة كانها جناح طاير فتقعقعت عليهم وامطرت حتى ملوا الآنية وسقوا الركاب ثم انطلقوا حتى اتوا على خليج من البحر ما خيض فيه قبل ذلك اليوم ولا خيض بعض بعد فلم يجدوا سفنا وكان المرتدون قد احرقوها فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم اجزنا ثم اخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا بسم الله قال ابو هريرة فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش اربعة الاف وقيل فى الجواز غير ذلك فقاتلهم العلاء فاظفره الله عليهم فسالوه الصلح فصالحهم على ما صالح عليه اهل هجر ولما رجع اخذه وجع البطن فمات فطلبوا الماء ليغسلوه فما وجدوه فلفوه فى ثوبه ودفنوه فساروا غير بعيد فاذا هم بماء كثير فرجعوا ليخرجوه ويغسلوه فما وجدوه لانه كان قد دعى الله ان يخفى موته ولا يطلع احدا على عورته

غزوة الشام

فى تواريخ القدس والخليل ان الاوايل قسموا الشام خمسة اقسام الاولى يعنى الشام الاولى فلسطين بكسر الفاء وفتح اللام سميت بذلك لان اول من نزلها فلسطين من اولاد يونان بن يافث بن نوح وواسطة بلدها رملة ومن مدن فلسطين عسقلان ونابلس ومدينة ابرهيم الخليل • والشام الثانية • حوران ومدينتها العظمى طبرية • والشام الثالثة • الغوطة ومدينتها العظمى دمشق • والشام الرابعة حمص وتوابعها • والشام الخامسة قنسرين ومدينتها العظمى حلب واما حدود الارض المقدسة من الشام فحدها القبلى ارض الحجاز يفصل بينهما جبال صورى وهى جبال منيعة بينها وبين ايلة نحو مرحلة ولما فرغ ابو بكر

رضى الله عنه من اهل الردة واستقامت له العرب وانقادت ثم بعث الجيش
الى الشام وشاور فى ذلك اخيار الصحابة فاستصوبوها وروى على كرم الله
وجهه فى ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الدين
ظاهرا على من ناواه حتى تقوم الساعة واهله ظاهرون فسر ابو بكر رضى الله عنه
غاية السرور وقال لقد سررتنى سرك الله فى الدنيا والاخرة ثم اذن فى الناس
بالجهاد وغزو الشام فامر يزيد بن ابى سفيان وابا عبيدة بن الجراح وشرحبيل
ابن حسنه وبعث مع كل منهم رجالا كثيرا وقال اذا جمعكم الحرب فاميركم ابو عبيدة
وكان اول من خرج من امرائه يزيد بن ابى سفيان ثم شرحبيل ثم ابا عبيدة فلما
كان ابو عبيدة بماب بعمان وكان معظم الناس معه خرج اليه الروم فلم يلبثهم
المسلمون ان هزموهم حتى دخلوا مدينتهم فحاصروهم وصالح اهلها فكانت
اول مداين الشام صالح اهلها ثم سار حتى اذا دنى من الجابيه اخبروه ان
هرقل بانطاكيه وقد جمع للمسلمين ما لم يجمعه احد وانهم نفروا اليه على الصعب
والذلول فاعلم بذلك ابا بكر فاستمده وامده بمثل ثلثهم متوكلا على الله تعالى
وطلبا للنصر وانجاز وعده وكتب ابو بكر الى اليمن وساير القبايل يستفزهم
ويدعوهم الى الجهاد ويرغبهم فى ثوابه فاجابوه حتى اتوا قبيله اثر قبيلة وجمعا
اثر جمع فوم بعثه ابو بكر الى الشام وامره باللحوق الى امرائه فما زال يبعث الامرا
الى الشام اميرا اميرا والقبايل قبيلة قبيلة حتى ظن انهم قد اكتفوا وانهم
لا يريدون ان يزدادوا رجالا وكان جملة المسلمين اكثر من عشرين الفا ولما
كان يزيد بن ابى سفيان بالعربة موضع بالشام خرج عليه ستة قواد من
الروم مع كل قايد خمسماية فاستمد من ابى عبيدة فمده بخمسماية مقاتل ثم قاتل
مع الكفار فهزمهم وقتل قايدا من قوادهم ثم جمع الروم لهم بالداثنة فحمل
عليهم المسلمون وهزموهم بمن الله وفضله فعند ذلك فزع الروم واستمدوا
من ملكهم فامدهم فى سبعين الفا وكان منزل يزيد بن ابى سفيان البلقا
ومنزل شرحبيل الاردن ويقال فلسطين ومنزل ابى عبيدة الجابية فكتب ابو
عبيدة مرة ثانيه من منزل الجابيه الى ابى بكر رضى الله عنه يستمده ويعلمه
ما يريدهم الكفار فعند ذلك كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد وكان خالد اذ ذاك
يلى حرب العراق فان يدع حرب العراق للمثنى بن حارثه ويقبل بمن معه من
الاصحاب الذين كانوا باليمامه ويكون امير الجماعة اذا قدم فتقبله خالد بعد
ان اكره ذلك وقال لان اهل العراق كانوا هابوه هيبة شديدة وكان يعتقد
ان يفتح الله على يديه العراق كلها واعتذر خالد ومضى لوجهه وشيعه المثنى
الى قراقر فقال له خالد انصرف الى سلطانك غير مقصر ولا ملوم ولا وان
فسلك طريقا غير مسلوك اراد بذلك ان ياتى من وراء جموع الروم كيلا يحولوا
بينه وبين المسلمين فغور من قراقر الى سوى وهما منزلان بينهما خمس ليال

فلم

فلم يهتدوا للطريق فدل على رافع بن عميرة الطايى فامر خالدا بتخفيف الاثقال
وقال هذا طريق وعر لا يسلم فيه الراكب المنفرد فابى خالد وقال رافع اذا
من استطاع منكم ان يصر راحلته فليفعل وقال لخالد ابغنى عشرين جزورا
عظاما سمانا مسانا فاتاه بهن فظماهن حتى اذا اجهدهن عطشا سقاهن
حتى ارواهن ثم قطع مشافرهن ثم عكمهن ثم قال سيروا بالخيول والاثقال
فكلما نزل منزلا نحر من تلك الشرف اربعا فانتظر ما اهن فسقاه الخيول وشرب
الناس مما تزودوا حتى اذا كان اخر ذلك قال خالد لرافع ويحك ما عندك يا رافع
فقال ادركت الرى ان شاء الله انظروا هل تجدون شجرة العوسج على ظهر الطريق
قالوا لا قال انا لله اذا والله هلكت واهلكت لا ابا لكم انظروا فنظروا فوجدوها
فكبر وكبروا وقال احفروا فى اصلها فاحتفروا فوجدوا عينا فشربوا وارتووا
فقال رافع والله ما وردت هذا الماء قط الا مرة مع ابى وانا غلام ولما خرج
خالد من عين التمر مقبلا الى الشام اغار على بنى تغلب والنمر فقتلهم وهزمهم
واصاب من اموالهم طرفا ثم اتى مرج راهط فوجد فيه بنى غسان فى يوم
فصبحهم فاغار عليهم وقتل وسبى وخرج على اهل الغوطه حتى اغار
عليهم فقتل ما شاء وغنم ودخل العدو دمشق فتحصنوا واقبل ابو عبيدة
وكان بالجابية مقيما حتى نزل معه بالغوطة فحاصر اهل دمشق وكان خالد
قبل ذلك حين مر على حوران قبل ان يغير على بنى غسان اغار على اهله واخذ
منهم اموالا وقتل رجالا فجاءه مدد من بعلبك ومدد من بصرى فى خمسة
الاف فارس من الروم وكان خالد فى ثمانماية وخمسين رجلا فزحف خالد
فى قلب العدو وفضهم وكسرهم وكان خالد قويا القوى يستوى عنده القليل
والكثير من العدو

وقعة اجنادين

وبينا خالد يحاصر دمشق سمع ان وردان صاحب حمص قد جمع الجموع لحرب
المسلمين باجنادين فقصد خالد نحوه فلما ارتحل لم يدع المسلمين الا اهل
دمشق فى اثارهم وكان ابو عبيدة فى اخريات الناس فى مقدار ماية رجل فلحقه
اهل دمشق وهو فى عدد كثير فقاتلهم ابو عبيدة قتالا شديدا واتى الخبر
خالدا وهو فى امام الناس فعطف راجعا وحمل عليهم وقذف بعضهم على
بعض وقتلهم ثلاثة اميال حتى دمشق ثم انصرف ومضى الناس نحو الجابيه ثم سار
حتى ورد على اجنادين فاجتمع فيها المسلمون جميعا وتزاحف الناس غداة
السبت فجعل خالد يرتب الميمنه والميسره ويودع الالوية ويحرض الناس على
القتال حتى اصطفوا للقتال واستحيا لهم الكفار فحملوا على المسلمين مرتين
من قبل الميمنه ومن قبل الميسرة فلم يتخلخل احد منهم ورموا المسلمين
بالنشاب رشقا حتى شمست الخيل فقال خالد للمسلمين احملوا رحمكم الله على
اسم الله فحمل خالد والناس باجمعهم فما واقفهم وقوفا حتى هزمهم الله

وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا واصابوا عسكرهم وما فيه وجملة من قتل من الكفار في المعركة ثلاثة الاف غير من اسر منهم وخرج قايدهم الى ايليا وقيسارية ودمشق وحمص فتحصنوا في المداين العظام وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة في جمادى الاولى لليلتين بقيتا منه يوم السبت نصف النهار قبل وفاة ابي بكر رضي الله عنه باربع وعشرين ليلة

وقعة مرج الصفر

ثم ان خالدا لما فرغ من اجنادين اقبل الى محاصرة دمشق ونزل هو بدير يعرف اليوم بدير خالد وهو من دمشق على ميل مما يلي باب الشرقي ونزل ابو عبيدة على باب الجابية ونزل يزيد على باب اخر من دمشق فاحاطوا بها وحاصروا اهلها حصارا شديدا فبينما هم كذلك اذ جاء مدد ملك الروم خمسة الاف رجل من اهل البطش والقوة ليغيثوا بها اهل دمشق وخرج من اهل دمشق اناس كثير فانضم اليهم واتى من اهل حمص الف رجل فانضموا في خمسة عشر الفا حتى التقوا مع المسلمين وحملوا على الميمنه وكان خالد في الميسرة يصف الناس ويحرضهم على القتال فاصابوا بعض المسلمين فحمل خالد من الميسرة ومعاذ ابن جبل من الميمنه فهزما من يليهم وحمل سعيد بن زيد وكان على الخيل على عظيم جمعهم فهزمهم الله تعالى وقتلهم واجتث عسكرهم ورجع الناس وقد ظفروا بهم وقتلوهم كل قتله وذهب المشركون على وجوههم فمنهم من دخل دمشق مع اهلها ومنهم من رجع الى حمص ومنهم من لحق بقيصر فجميع من قتل من الكفار يومئذ خمسماية واسر خمسماية اخرى وكان بينهم وقعة مرج الصفر وبين وقعة اجنادين عشرون يوما في اثنتي عشرة ليلة بقين من جمادى الاخرة قبل وفاة ابي بكر باربعة ايام ثم نزل المسلمون على منازلهم في المحاصرة فما زالوا كذلك حتى اتتهم وفاة ابي بكر واستخلاف عمر وصرف خالد ابن الوليد الى ابي عبيدة بن الجراح

وفاة ابي بكر رضي الله عنه

وكان سببه اي سبب موته السل ابتدا به ذلك من الوجد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال جسمه يذوب ويذبل حتى مات وقيل مات مسموما وكان يامر عمر بن الخطاب يصلي بالناس ايام مرضه وتوفي رضي الله عنه عشاء الثلاثا كما حققه اكثر المورخين ولقد اسلفنا ذكر مدة خلافته وهي سنتان واربعة اشهر وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنه واسلم وهو ابن سبع وثلاثين سنه وعاش في الاسلام ستا وعشرين سنة واوصى ان تغسله زوجته وان يدفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذا انا مت فجيبوا على الباب يعني باب البيت الذي فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فادفعوه فان فتح لكم فادفنوني ذلك ففعلوا ذلك وفتح لهم الباب يعني باب البيت الذي فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون الفاتح ولا يرونه وكان اخر كلامه كلمة قالها رضي الله عنه رب توفني مسلما والحقني بالصالحين

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بويع له بالخلافة بعد وفاة ابي بكر رضي الله عنه بعهد منه اليه صبيحة ليلة يوم مات فيه ابو بكر رضي الله عنه وكان عمر رضي الله عنه حازم الراي عادلا شجيعا خليقا بامر الخلافة ومناقبه الحسنه وسيرته المحمودة وزهده وورعه واخلاصه لله تعالى اشهر من ان يخفى وبالجملة كان رضي الله عنه رحمة للمومنين ومذلة للكافرين وحسبك ما قال ابن مسعود رضي الله عنه في شانه ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر فاسلامه وما استطعنا ان نصلي حول البيت ظاهرين حتى اسلم رضي الله عنه وهو اول من سمي باميرالمومنين واول من ارخ التاريخ ودون الدواوين وفي ايامه وقعت فتوحات جليله واستولى المسلمون على الاقاليم الشاسعة الواسعة حتى قيل انه انتصب في مدة خلافته اثنا عشر الف منبر ثم اول شيء امر به ان عزل خالد بن الوليد عن الامرة وولى ابا عبيدة على الجيش والشام وارسل بذلك اليهما ثم سار ابو عبيدة ونازل دمشق وكانت منزلته من جهة باب الجابيه ونزل خالد من جهة باب توما وباب شرقي ونزل عمرو بن العاص بناحية اخرى وحاصروها قريبا من سبعين ليلة وفتح خالد ما يليه بالسيف فخرج اهل دمشق وبذلوا الصلح لابي عبيدة من الجانب الاخر وفتحوا الباب فامنهم ودخل والتقى مع خالد في وسط البلد وبعث ابو عبيدة بالفتح الى عمر ثم اجلى رضي الله عنه يهود خيبر عنها لظهور غدرهم في بعض المسلمين بحديث بلغه عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان وكان تقدم ذكرهم صدر راس خلافته وفي ايامه فتح العراق ثم دخلت سنة اربع عشرة فيها في المحرم امر عمر ببناء البصرة فاختطت وقيل في سنة خمس عشرة وفيها توفي ابو ابي بكر الصديق رضي الله عنه يعني ابا قحافة وعمره سبعة وتسعين سنه وكان وفاته بعد وفاة ابنه ابي بكر ثم دخلت سنة خمس عشرة فيها فتحت حمص بعد دمشق بعد حصار طويل حتى طلب القوم الصلح فصالحهم ابو عبيدة على ما صالح عليه اهل دمشق ثم سار الى حماه قال القاضي جمال الدين بن واصل رحمه الله تعالى في التاريخ الذي نقلنا منه هذا ان حماه كانت في زمان داود وسليمان عليهما السلام مدينة عظيمة ولما وصل ابو عبيدة الى حماه خرج الروم التي بها يطلبون الصلح فصالحهم على الجزية لرؤسهم والخراج على ارضهم وجعل كنيستهم العظمى جامعا وهو الجامع بالسوق الاعلى من حماه ثم جدد في خلافة المهدي من بني العباس وكان على لوح منه مكتوب انه جدد من خراج حمص ثم سار ابو عبيدة الى شيزر فصالحه اهلها على صلح اهل حماه وكذلك اهل المعره وكان يقال لها معرة حمص ثم معرة النعمان بن بشير الانصاري لانها كانت مضافة اليه مع حمص في خلافة معوية ثم سار ابو عبيدة الى اللاذقية ففتحها عنوة وفتح جبلة

وانطرسوس ثم سار ابو عبيدة الى قنسرين وكانت كرسي المملكة المنسوبة اليوم الى حلب وكانت حلب من جملة اعمال قنسرين ولما نازلها ابو عبيدة وخالد بن الوليد كان بها جمع عظيم من الروم فجرى بينهم قتال شديد انتصر فيه المسلمون ثم بعد ذلك طلب اهلها الصلح على صلح اهل حمص فاجابهم على تخريب المدينة فخربت ثم فتح بعد ذلك حلب وانطاكيه ومنبج ودلوك وسرمين وتيزين وعزاز واستولى على الشام من هذه الناحية ثم سار خالد الى مرعش ففتحها واجلا اهلها وخربها وفتح حصن الحدث وفي هذه السنة فتحت هذه البلاد وهي سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة وآيس هرقل من الشام وسار الى القسطنطينيه من الرها ولما سار هرقل على نشز من الارض ثم التفت الى الشام وقال السلام عليك يا سوريا سلام لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومي بعدها الا خايفا حتى يولد الوليد الميمون وليته لم يولد فما احلى فعله وامر فتنته على الروم ثم فتحت قيساريه وصيصطيه على صلح اهل الشام بشرط ان يكون عمر بن الخطاب متولي امر الصلح فكتب ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بذلك فقدم عمر الى القدس وفتحها واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفي هذه السنة اعني سنة خمس عشرة وضع عمر بن الخطاب الدواوين وفرض العطايا للمسلمين ولم يكن قبل ذلك وقيل ذلك سنة عشرين فقيل له ابدا بنفسك فامتنع وبدا بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض له خمسة وعشرين الفا ثم بدا بالاقرب فالاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لاهل بدر خمسة آلاف وفرض لمن بعدهم الى الحديبية وبيعة الرضوان اربعة الاف اربعة الاف ثم لمن بعدهم ثلاثة الاف ثلاثة الاف وفرض لاهل القادسية واهل الشام الفين الفين وفرض لمن بعد القادسية واليرموك الفا الفا ولروادفهم خمسماية خمسماية ثم ثلاثماية ثلثماية ثم مايتين وخمسين مايتين وخمسين وكان في هذه السنة اعني سنة خمس عشرة وقعة

وقعة القادسية

وكان المتولي لحرب الاعاجم فيها سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه وكان مقدم العجم رستم وجرى بين المسلمين وبين الاعاجم اذ ذاك قتال عظيم دام اياما فكان اليوم الاول اغواث ثم يوم عماس ثم ليلة الهرير لتركهم الكلام فيها وانما كانوا يهرعون هريرا حتى اصبح الصباح ودام القتال الى الظهيرة واذا قد هبت ريح عاصفة فمال الغبار على المشركين وانتهى القعقاع واصحابه الى سرير رستم وقد قام رستم عنه واستظل تحت بغال عليها مال وصلت من كسرى للنفقه فلما اشتدوا على رستم هرب ولحقه هلال بن علقمة فاخذ برجله فقتله ثم جاء به حتى رمى بين ارجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة وتمت الهزيمة على العجم وقتل منهم ما لا يحصى ثم رحل سعد ونزل

دجله على نهرسير قبالة مداين كسرى وايوانه المشهور ولما شاهد المسلمون ايوان كسرى كبروا وقالوا هذا ابيض كسرى هذا ما وعدنا الله ورسوله ثم دخلت سنة ست عشرة واقام سعد على نهرسير الى ايام من صفر ثم عبروا دجله وهربت الفرس من المداين نحو حلوان وكان يزدجرد قد قدم عياله الى حلوان وخرج هو ومن معه بما قدروا عليه من المتاع ودخل المسلمون المداين وقتلوا كل من وجدوه واحتاطوا بالقصر الابيض ونزل به سعد واتخذوا ايوان كسرى مصلى واحتاط على اموال من الذهب والآنية والثياب يخرج عن الاحصا وادرك بعض المسلمين بغلا وقع في الماء فوجدوا عليه حلية كسرى من التاج والمنطقة والدروع وغير ذلك كله مكلل بالجواهر ووجدوا اشيا يطول شرحها وكان لكسرى بساط طوله ستون ذراعا في ستين ذراعا وكان على هيئة روضة وقد صورت فيه الزهور بالجواهر على قضبان الذهب فاستوهب سعد ما يخص اصحابه منه وبعث الى عمر رضي الله عنه فقطعه عمر وقسمه بين المسلمين فاصاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه قطعة فباعها بعشرين الف درهم واقام سعد بالمداين وارسل جيشا الى جلولا وكان قد اجتمع بها الفرس فانتصر المسلمون وقتلوا من الفرس ما لا يحصى وهذه الوقعة هي المعروفة بوقعة جلولا وكان يزدجرد بحلوان فسار عنها وقصدها المسلمون واستولوا عليها ثم فتح المسلمون تكريت والموصل ثم فتحوا ماسبذان عنوة وكذلك قرقيسيا وفي هذه السنة اعني سنة ست عشرة للهجرة قدم جبلة بن الايهم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتلقاه جماعة من المسلمين ودخل في زي حسن وبين يديه جنايب مقادة ولبس اصحابه الديباج ثم خرج عمر الى الحج في هذه السنة فحج جبلة معه وذكرنا باقي القصة فيما تقدم ثم دخلت سنة سبع عشرة فيها اختطت الكوفة وتحول سعد اليها وفي هذه السنة اعتمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقام بمكة عشرين ليلة ووسع في المسجد الحرام وهدم منازل قوم ابوا ان يبيعوها وجعل اثمانها في بيت المال وتزوج ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وامها فاطمة رضي الله عنها وفيها فتح المسلمون الاهواز وكان قد استولى عليها الهرمزان وكان من عظماء الفرس ثم فتحوا رامهرمز وتستر وتحصن الهرمزان في القلعة فحاصروه فطلب الصلح على حكم عمر رضي الله عنه فانزل فانزل على ذلك وارسلوا به الى عمر مع وفد منهم انس بن مالك والاحنف بن قيس فلما وصلوا به الى المدينة البسوه كسوته من الديباج الذهب ووضعوا على راسه تاجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون فطلبوا عمر فلم يجدوه فسالوا عنه فقيل جالس في المسجد فاتوه وهو نايم فجلسوا دونه فقال الهرمزان اين هو عمر قالوا

هو ذا قال فاين حرسه وحجابه قالوا ليس له حاجب ولا حارس واستيقظ عمر للجلبة فنظر الى الهرمزان فقالوا الحمد لله الذى اذل بالاسلام هذا واشباهه وامر بنزع ما عليه فنزعوه والبسوه ثوبا صفيقا فقال له عمر كيف رايت عاقبة الغدر وعاقبة امر الله تعالى فقال الهرمزان نحن واياكم فى الجاهلية لما خلا الله بيننا وبينكم ولما كان الله معكم الآن غلبتمونا ودار بينهما الكلام وطلب الهرمزان ماء فاتى به وقال اخاف ان تقتلنى وانا اشرب فقال عمر لا باس عليك حتى تشرب فرمى بالاناء فانكسر فقصد عمر قتله فقال الصحابه انك امنته بقولك لا باس لى ان تشرب ولم يشرب ذلك الماء واخر الامر ان اسلم وفرض له عمر الفين ثم دخلت سنة ثمانى عشرة فيها حصل فى المدينة والحجاز قحط عظيم وكتب عمر الى سائر الامصار يستعينهم فكان ممن قدم عليه ابو عبيدة من الشام باربعة الاف راحلة من الزاد وقسم عمر ذلك على المسلمين حتى رخص الطعام بالمدينة ولما اشتد القحط خرج عمر ومعه العباس وجمع الناس واستسقى مستشفعا بالعباس فما رجع الناس حتى تداركت السحاب وامطرت واقبل الناس يتمسحون باذيال العباس وفيها كان طاعون عمواس بالشام مات فيه ابو عبيدة بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله الجراح الفهرى احد العشرة المشهود لهم بالجنة واستخلف ابو عبيدة على الناس معاذ بن جبل الانصارى فمات ايضا بالطاعون واستخلف عمرو بن العاص ومات من الناس فى هذا الطاعون خمسة وعشرون الف نفس وطال مكثه شهرا وطمع العدو فى المسلمين واصاب الناس بالبصرة مثله ثم دخلت سنة تسع عشرة وسنة عشرين فيها فتحت مصر والاسكندرية على يد عمرو بن العاص والزبير بن العوام فنازلا عين شمس وهى بقرب المطرية وكان بها جمعهم ففتحاها وبعث عمرو بن العاص ابرهة بن الصباح الى الفرما وضرب فسطاطه موضع جامع عمرو بمصر الآن واختطت مصر وبنى موضع الفسطاط الجامع المعروف بعمرو بن العاص ثم توجه الى الاسكندرية ففتحها عنوة بعد قتال كثير وفيها اعنى سنة عشرين توفى بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مولى ابى بكر الصديق رضى الله عنه واسم امه حمامه وهو من مولدى الحبشة اسلم بعد اسلام ابى بكر الصديق رضى الله عنه ولم يؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب من ابى بكر يرسله فى الجهاد فسأله ابو بكر ان يقيم معه فاقام معه حتى تولى عمر فسأله عمر ذلك فابى بلال وسار الى دمشق واقام بها حتى مات ودفن عند باب الصغير ثم دخلت سنة احدى وعشرين فيها كانت وقعة نهاوند مع الاعاجم وكانوا قد اجتمعوا فى مائة وخمسين الفا ومقدمهم الفيرزان فجرت بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة آخرها ان المسلمين هزموا الاعاجم وافنوهم قتلا وهربا وهرب الفيرزان مقدم جيش الاعاجم فلما وصل الى ثنية همذان

وجد بغالا محملة عسلا فلم يقدر على المضى فنزل عن فرسه وهرب فى الجبل فتبعه القعقاع راجلا فقال المسلمون ان لله جندا منها من عسل وفيها فتحت الدينور والصيمرة وهمذان واصفهان وماه سندان على يد حذيفة بن اليمان بالسيف ثم انتقض اهلها العهد فافتتحها ثانيا سعد بن ابى وقاص فى ثلاث وعشرين وفيها افتتح ابو هاشم بن عتبة بن ربيعة انطاكية وملطية صلحا وفتح ما يليها من الساحل والنوبة والبربر وفى هذه السنة توفى خالد بن الوليد واختلف فى موضع قبره فقيل بحمص وقيل بالمدينة ثم دخلت سنة اثنى وعشرين فيها فتحت اذربيجان والرى والجرجان وقزوين وزنجان وطبرستان وفيها سار عمرو بن العاص الى برقه فصالحه اهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس المغرب فحاصرها وفتحها عنوة وفتح ما يليها من الساحل والنوبة والبربر وفى هذه غزا الاحنف بن قيس خراسان وبها يزدجرد وافتتح هراة عنوة ثم سار الى مرو وكتب يزدجرد الى ملك الترك يستمده والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهما وانهزم الى بلخ ثم سار اليه المسلمون فهزموه وعبر يزدجرد نهر جيحون ثم ان يزدجرد اختلف هو وعسكره فانه اشار بالمقام مع الترك واشار عسكره بمصالحة المسلمين والدخول فى حكمهم فابى يزدجرد ذلك فطرده عسكره واخذوا خزائنه وسار يزدجرد مع الترك فى حاشيته واقام بفرغانة زمن عمر كله وبقى عسكره فى اماكنهم فصالحوا المسلمين وفيها توفى ابى بن كعب بن قيس وهو من ولد مالك بن النجار وكان يكنى ابا المنذر احد كاتبى الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقرأ القران على ابى بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ امتى ابى بعدى وقيل مات سنة ثلاثين فى خلافة عثمان رضى الله عنه ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

ذكر مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فى هذه السنة روى ان عمر لما قدم من الحج اتاه غلام المغيرة بن شعبة ابو لؤلؤة فيروز المجوسى فاشتكى من كثرة خراج المغيرة عليه فقال عمر كم خراجك قال درهمان قال اى شىء صناعتك قال نجار نقاش حداد قال عمر فما ارى خراجك كثيرا ثم قال بلغنى انك تصنع رحى تطحن بالريح فاعمل لى رحى قال العلج ان عشت لاعملن لك رحى يتحدث بها بالمشرق والمغرب فقال عمر لقد توعدنى العلج انفا وكان عمر رضى الله عنه قبل ثلاثة ايام من وفاته لست بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة اراد ان يصلى صلاة الفجر بالناس فقام وكبر وكان العلج دخل فى الناس وبيده خنجر كان له راسان نصابه فى وسطه فضرب عمر ست ضربات احداهن تحت سرته هى التى قتلته فلما وجد عمر حد السلاح سقط وقال ادركوا الكلب فانه قتلنى وطار العلج وبيده الخنجر لا يمر على احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة

عشر رجلا ومات منهم سبعة وفى رواية تسعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين
طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه الى لعنة الله وحمل عمر الى
منزله فمات بعد ثلاثة ايام يوم السبت سلخ ذى الحجة ودفن يوم الاحد هلال
المحرم سنة اربع وعشرين وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة اشهر
وثمانية ايام ودفن عند النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه
وعهد بالخلافة الى النفر الذى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم
راض وهم على وعثمان وطلحة والزبير وسعد رضوان عليهم اجمعين بعد
ان عرضها على عبد الرحمن بن عوف فابى وكان عمر رضى الله عنه طويل القامة
ابيض اصلع اشيب وكان عمره خمسا وخمسين سنة وقيل ستين وقيل سبعين
وقيل ثلاثة وستين وحج رضى الله عنه ثلاث حجج متواليات اخرها سنة ثلاث
وعشرين من الهجرة الا انه قد ولى عبد الرحمن بن عوف على الحج فى اول سنة خلافته
وحج بازواج النبى صلى الله عليه وسلم فى اخر حجته وكان له من الفضل والزهد
والعدل والشفقة على المسلمين القدر الوافر فمن ذلك انه جاء الى عبد الرحمن
ابن عوف وهو يصلى فى بيته ليلا فقال عبد الرحمن ما جاء بك يا امير المومنين
فى هذه الساعة فقال ان رفقة نزلوا فى ناحية السوق خشيت عليهم سراق
المدينة فانطلق لنحرسهم فاتيا السوق وقعدا على نشز من الارض يتحدثان
ويحرسانهم وعمر اول من سمى بامير المومنين واول من كتب التاريخ وارخ من
السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واول من عس بالليل
واول من نهى عن بيع امهات الاولاد واول من جمع الناس فى صلاة الجنايز
على اربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يكبرون اربعا وخمسا واول من جمع الناس
على امام يصلى بهم التراويح فى رمضان وكتب بذلك الى ساير البلدان وامرهم
به واول من حمل الدرة وضرب بها ودون الدواوين وخطب مرة الناس
وعليه ازار فيه ثلاث عشرة رقعة ثم دخلت سنة اربع وعشرين وفيها
عقب موت عمر اجتمع اهل الشورى وهم على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد
ابن ابى وقاص وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم وكان قد شرط عمر ان يكون
ابنه عبد الله شريكا فى الراى ولا يكون له حظ فى الخلافة وطال الامر بينهم
وكان قد جعل لهم عمر مدة ثلاثة ايام وقال لا يمضى اليوم الرابع الا ولكم امير وان
اختلفتم فيكون مع الذى معهم عبد الرحمن بن عوف فمضى على الى العباس رضى الله
عنه وقال له عدل عنا لان سعدا لا يخالف عبد الرحمن لانه ابن عمه وعبد الرحمن
صهر عثمان فلا يختلفون فيوليها احدهما الاخر فقال العباس لم ادفعك عن شىء
الا رجعت الى مستاخرا اشرت عليك قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
تساله فيمن هذا الامر فابيت واشرت اليك بعد وفاته ان تعاجل هذا الامر فابيت
واشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى ان لا تدخل معهم فابيت وهذا الرهط

لايبرحون

لايبرحون يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم له غيرنا وايم الله لا يناله الا بشر
لا ينفع معه خير ثم جمع عبد الرحمن الناس بعد ان اخرج نفسه عن الخلافة
فدعى عليا فقال عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وسيرة الخليفتين من بعده فقال ارجو ان افعل
واعمل مبلغ علمى وطاقتى ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلى فقال نعم
فرفع راسه الى السقف اى سقف المسجد ويده فى يد عثمان وقال اللهم اسمع
واشهد اللهم انى جعلت ما فى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان وبايعه فقال
على ليس هذا اول يوم تظاهرتم علينا فيه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو فى شان فقال عبد الرحمن
يا على لا تجعل على نفسك حجة وسبيلا فخرج على وهو يقول سيبلغ الكتاب اجله
فقال المقداد بن الاسود لعبد الرحمن والله لقد تركته يعنى عليا وانه من
الذين يقضون بالحق وبه يعدلون فقال يا مقداد لقد اجتهدت المسلمين
فقال المقداد انى لاعجب من قريش انهم تركوا رجلا ما اقول ولا اعلم ان رجلا
اقضى بالعدل ولا اعلم منه فقال عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فانى اخاف
عليك الفتنة ثم لما احدث من تولية الامصار الاحداث من اقاربه روى
انه قيل لعبد الرحمن بن عوف هذا كله فعلك فقال لم اظن هذا به لكن لله
على ان لا اكلمه ابدا ومات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ودخل عليه عثمان
عايدا فى مرضه فتحول الى الحايط ولم يكلمه رضوان الله عليهم اجمعين

خلافة عثمان بن عفان

رضى الله عنه بويع عثمان لثلاث مضين من المحرم من هذه السنة يعنى سنة
اربع وعشرين وهو عثمان بن عفان بن ابى العاص بن اميه بن عبد شمس بن
عبد مناف ولما بويع رقى المنبر وقام خطيبا فحمد الله واثنى عليه وتشهد
ثم ارتج فقال ان اول كل امر صعب وان اعش فستاتيكم الخطب على وجهها
ثم نزل واقر عثمان ولاة عمر سنة لانه كان اوصى بذلك ثم عزل المغيرة بن
شعبه عن الكوفة وولاها سعد بن ابى وقاص ثم عزله وولى الكوفة
الوليد بن عقبة بن ابى معيط وكان اخا عثمان من امه وفى البحر العميق فلما بويع
عثمان امر عبد الرحمن بن عوف على الحج سنة اربع وعشرين وحج عثمان بالناس
سنة خمس وعشرين فلم يزل يحج الى سنة اربع وثلاثين ثم حصر فى داره وحج
عبد الله بن عباس بالناس سنة خمس وثلاثين وفيها افتتح عامر بن عمر
سجستان وحكى لى عثمان من بلاد الجبال انكران ثم دخلت سنة خمس وعشرين
فيها نفى عثمان ابا ذر الغفارى واسمه جندب بن جنادة الى الربذة وكان
بالشام ينكر على معوية جمع المال ويتلوا والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله الاية فكتب معاوية الى عثمان يشكوه فكتب اليه

عثمان ان اقدم المدينة فقدم المدينة واجتمع الناس عليه فصار يذكر ذلك ويكثر
الشناعة على كنز الذهب والفضة فنفاه عثمان الى الربذة فاقام بها حتى مات
وكانت وفاته بالربذة سنة احدى وثلاثين ثم دخلت سنة ست وعشرين
فيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن سعد بن ابي سرح
العامري وكان اخا عثمان من الرضاعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اهدر دمه يوم الفتح وشفع فيه عثمان حتى اطلقه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي ايام عثمان فتحت نيسابور صلحا واخذ من اهلها بدل الصلح
ثلاثة الاف دينار وثلاثماية الف دينار وفيها فتحت افريقية وكان المتولي
لذلك عبد الله بن سعد بن ابي سرح المذكور وكان الكفار في نحو مايتي الف
وملكهم جرجير التقى المصاف بسبيطلة بقرب مدينة قيروان فقتل جرجير
ونزل النصر وكانت وقعة هايلة عظيمة بحيث طلع سهم الفارس ثلاثة
الاف دينار من الغنيمة وبعث عبد الله بالخمس الى عثمان فاشتراه مروان
ابن الحكم بخمسماية الف دينار فوضعها عنه عثمان وهذا من الامور التي
انكرت عليه ولما فتحت افريقيه امر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين ان
يسير الى جهة الاندلس فغزا تلك الجهة وعاد عبد الله بن نافع الى
افريقيه فاقام بها من قبل عثمان ورجع عبد الله بن سعد الى مصر ثم
دخلت سنة سبع وعشرين وسنة ثمان وعشرين وفيها استاذن معوية
عثمان في الغزو والبحر فاذن له فسير معاويه الى قبرس جيشا وسار اليها عبد الله
ابن سعد من مصر فاجتمعوا عليها وقاتلوا اهلها ثم صولحوا على جزية سبعة
الاف دينار في كل سنة وكان هذا الصلح بعد قتل وسبي كثير من اهل قبرس
ثم دخلت سنة تسع وعشرين فيها عزل عثمان ابا موسى الاشعري عن البصرة
وولى ابن خاله عبد الله بن عامر بن كريز ثم عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة
بسبب انه شرب الخمر وصلى بالمسلمين الفجر اربع ركعات وهو سكران ثم
التفت الى الناس فقال هل ازيدكم فقال مسعود ما زلنا معك في زيادة
منذ اليوم وفي ذلك يقول الحطيئه

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه	ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد فرغت صلاتهم	ازيدكم سكرا وما يدري
فابوا ابا وهب ولو اذنوا	لقرنت بين الشفع والوتر

وفيها غزا حبيب بن مسلمة الى الروم وغزا وليد بن عقبة الى اذربيجان
لنقضهم العهد فافتتح اصفهان ثانيا ثم دخلت سنة ثلاثين فيها
بلغ عثمان ما وقع في امر القرآن من اهل العراق وقولهم قرآننا اصح لانا قرانا
على المقداد بن الاسود وكذلك غيرهم من الامصار فاجمع رايه وراي
الصحابة على ان يحمل الناس على المصحف الذي كتب في خلافة ابي بكر رضي الله

عنه

عنه وكان مودعا عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويحرق ما سواه
من المصاحف التي بايدي الناس ففعل ذلك ونسخ من ذلك المصحف مصاحف
وحمل كل منها الى مصر من الامصار وكان الذي تولى نسخ المصاحف بامر عثمان
زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام المخزومي وقال عثمان اذا اختلفتم في كلمة فاكتبوها بلسان قريش
فانما نزل القرآن بلسانهم وفي هذه السنة سقط من عثمان خاتم النبي صلى الله
عليه وسلم وكان من فضة فيه ثلثة اسطر محمد سطر رسول سطر الله سطر
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يختم به
ويختم الكتب التي كان يرسلها الى الملوك ثم تختم بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
الى ان سقط في بئر اريس ثم دخلت سنة احدى وثلاثين

ذكر مهلك يزدجرد

ابن شهريار بن برويز وهو اخر ملوك الفرس وفي هذه السنة هلك يزدجرد
وقد اختلف في ذلك فقيل انه نزل بمرو فثار عليه اهلها وقتلوه وقيل
بيته الترك وقتلوا اصحابه فهرب يزدجرد الى بيت رجل ينقر الارحاء فقتله
ذلك الرجل واتبع الفرس اثر يزدجرد الى بيت النقار وعذبوا النقار فاقر بقتله
فقتلوه وفيها وسع عثمان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجعل طول المسجد
ماية وستين ذراعا وعرضه ماية وخمسين ذراعا وجعل سقفه من خشب
الساج وبنى حيطانه بالاحجار الملونة المنقوشة ثم ذهب الى مكة وحج وفيها عصت
خراسان واجتمع اهلها في خلق عظيم وسار اليهم المسلمون وذلك في ايام
عثمان ففتحوها فتحا ثانيا وكان المتولي لامر الحرب بن كريز ثم سرع بن كريز
في افتتاح ساير مدن خراسان نحو نيسابور وطوس وسرخس وطخارستان
والجرجان حتى افتتح في اشهر معدوده نحو من عشرين مدينة من المدن
الكبار بعضها صلحا وبعضها عنوة وفتح اصطخر وفارس وجور وكرمان
وسجستان حتى حلف بعد قتال عظيم بينه وبين اصطخر لين فتحها الله
عليه ليقتلن بها حتى يسيل الدم من باب المدينة فلما فتحها اسرف في قتلهم
وجعل الدم لا يجري فقيل له افنيتهم فامر بالماء فصب على الدم حتى جرى
وصالح اهل مدينة زرنج على اعطا الف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب
وصالح اهل مرو على الفي الف ومايتي الف في السنة وفي ايام عثمان فتحت
سواحل الاردن وغزا معاوية القسطنطينية وفتحت الاسكندرية مرة
ثانيه وفي دولته لما وقعت الغزوات واتسعت الدنيا على الصحابة كثرت
الاموال حتى كان الفرس يشترى بماية الف وحتى كان يباع البستان بالمدينة
باربعماية الف درهم وكانت المدينه عامرة كثيرة الخيرات والاموال والناس
يجلب اليها خراج الممالك وهي دار الامارة وقبة الاسلام واتخذ عثمان الخزاين العظيمة

وكان يقسم بين الناس فيامر للناس بماية الف درهم ويقال اخذ المسلمون من
خزاين كسرى ماية الف بدره من الذهب وزن كل بدرة اربعة الاف قالت عايشه
رضي الله عنها وسار عثمان بسيرة عمر ستة اعوام ثم غيرها الى سيرة الملوك
فرايت وجوه الصحابه منحرفه عنه وفيها مات ابو سفيان بن حرب بن امية ابو
معاوية ثم دخلت سنة اثنين وثلاثين وفيها توفي عبد الله بن مسعود
ابن غافل بن حبيب بن سمح من ولد مدركة بن الياس بن مضر وفي مدركه يجتمع مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء في بعض الرواية ان عبد الله ابن
مسعود المذكور احد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجنة والذي روي انه من العشرة المبشرة اسقط ابا عبيدة بن الجراح وجعل
عبد الله المذكور بدله وكان جليل القدر عظيما في الصحابه وهو احد القرا
رضي الله عنه ثم دخلت سنة ثلاث وثلثين فيها تكلم جماعة من الكوفة
في حق عثمان بانه ولي جماعة من اهل بيته لا يصلحون للولاية فكتب سعيد بن
العاص والي الكوفة من قبل عثمان اليه بذلك فامره عثمان ان يسير الذين
تكلموا بذلك الى معاوية بالشام فارسلهم وفيهم الحرث بن مالك المعروف
بالاشتر النخعي وثابت بن قيس النخعي وكميل بن زياد وزيد بن صوحان العبدي
واخوه صعصعة وجندب بن زهير وعروة بن زهير وعمرو بن الجعد
وعمرو بن الحمق فقدموا على معاوية وجرى بينهم كلام كثير وحذرهم الفتنة
فوثبوا واخذوا بلحية معاوية وراسه فكتب بذلك الى عثمان ان يردهم الى
سعيد بن العاص فردهم الى سعيد فاطلقوا السنتهم في عثمان واجتمع اليهم
اهل الكوفة ثم دخلت سنة اربع وثلثين قدم سعيد الى عثمان واخبره
بما فعله اهل الكوفة وانهم يختارون ابا موسى الاشعري فولى عثمان ابا
موسى الاشعري الكوفة فخطبهم ابو موسى وامرهم بطاعة عثمان فاجابوا الى
ذلك وتكاتب نفر من الصحابة بعضهم الى بعض ان اقدموا فالجهاد عندنا
ونال الناس من عثمان وليس احد من الصحابة ينهى عن ذلك ولا يذب الا نفر منهم
زيد بن ثابت وابو اسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت ومما
نقم الناس عليه رده الحكم بن العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطريد ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ردوا عطاه واعطى مروان بن الحكم خمس غنايم
افريقيه وهو خمسماية الف دينار وفي ذلك يقول عبد الرحمن الكندي نظم

ساحلف بالله جهد اليمين   ما ترك الله امرا سدى
ولكن خلقت لنا فتنة   لكي نبتلى بك او تبتلى
دعوت اللعين فادنيته   خلافا لسنة من قد مضى
واعطيت مروان خمس الغنا   يم ظلما وحميت الحمى

واقطع مروان بن الحكم فدك وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي

طلبتها فاطمة ميراثا فروى ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة ولم تزل فدك
في يد مروان وبنيه الى ان تولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فانتزعها
من اهله وردها صدقة وفي هذه السنة توفي المقداد بن الاسود بن
عمرو بن تغلب ونسب الى الاسود بن عبد يغوث لانه كان قد حالف الاسود
المذكور في الجاهلية فتبناه فعرف بالمقداد بن الاسود فلما نزل قوله تعالى
ادعوهم لابايهم الاية قيل المقداد بن عمرو ولم يكن ببدر من المسلمين صاحب
فرس غير المقداد في قول وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد
كلها وكان عمره نحو سبعين سنه ثم دخلت سنة خمس وثلاثين فيها
قدم من مصر جمع قيل الف وقيل سبعماية وقيل خمسماية وكذلك قدم من
الكوفة جمع وكذلك من البصرة يشكون من عمالهم وكان هوى المصريين مع
علي رضي الله عنه وهوى الكوفيين مع الزبير رضي الله عنه وهوى البصريين
مع طلحة رضي الله عنه فدخلوا المدينة ولما جاءت الجمعة التي تلي دخولهم المدينة
خرج عثمان رضي الله عنه فصلى بالناس ثم قام على المنبر وقال للجموع المذكوره
يا هولاء الله يعلم واهل المدينة يعلمون انكم ملعونون على لسان محمد صلى الله
عليه وسلم فقام محمد بن مسلمة الانصاري فقال انا اشهد بذلك وثار القوم
باجمعهم فحصبوا الناس حتى اخرجوهم من المسجد وحصبت عثمان حتى خر
على المنبر مغشيا عليه فادخل داره وقاتل جماعة من اهل المدينة عن عثمان
منهم سعد بن وقاص والحسن بن علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت وابو
هريرة رضوان الله عليهم اجمعين فارسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف
فانصرفوا وصلى عثمان بالناس بعد ما نزلت الجموع المذكورة في المسجد ثلاثين
يوما ثم منعوه الصلاة فصلى بالناس اميرهم الغافقي امير جمع مصر ولزم
اهل المدينة بيوتهم وعثمان محصور في داره ذلك اربعين يوما وقيل
خمسين ثم ان عليا اتفق مع عثمان على ما تطلبه الناس منه من عزل مروان
عن كتابته وعبد الله بن ابي سرح عن مصر فاجاب عثمان الى ذلك وفرق
على الناس عنه ثم اجتمع عثمان بمروان فرده عن ذلك ثم اضطرب الحال حتى عزل
محمد بن ابي سرح عن مصر وولاها محمد بن ابي بكر رضي الله عنهما وتوجه مع محمد بن
ابي بكر عدة من المهاجرين والانصار وبينما هم في اثناء الطريق اذا بعبد
على هجين لعثمان يجهده فقالوا له الى اين قال الى العامل بمصر قالوا له هذا
عامل مصر يعنون محمد بن ابي بكر فقال بل العامل الاخر يعني ابن ابي سرح فامسكوه
وفتشوه فوجدوا معه كتابا مختوما بخاتم عثمان يقول اذا جاءك محمد بن ابي بكر
ومن معه بانك معزول فلا تقبل واحتل لقتلهم وابطال كتابهم وقر في عملك
فرجع محمد ومن معه من المهاجرين والانصار الى المدينة وجمعوا الصحابة ولو

على الكتاب وسالوا عثمان عن ذلك فاعترف بالختم وخط كتابه وحلف بالله انه لم يامر بذلك فطلبوا منه مروان يسلمه اليهم بسبب ذلك فامتنع فازداد حنق الناس على عثمان وجدوا فى قتاله وفى رواية حلف عثمان انه ما فعل ذلك ولا امر به فقالوا هذا اشر عليك يوخذ خاتمك ويختم من امالك وانت لا تعلم وما انت الا مغلوب على امرك ثم سالوه ان يعتزل فابى فاجمعوا على حصاره ومنعوا منه الماء فبلغ ذلك عليا فبعث اليه ثلاث قرب مملوء ماء فما كادت تصل اليه حتى جرح بسببها عدة من موالى بنى هاشم وبنى امية فتعمم على رضى الله عنه بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقلد سيفه وامر ابنه الحسن وعبد الله بن عمر فى نفر من المهاجرين والانصار فحملوا على الناس وفرقوهم ثم دخلوا على عثمان فقال على السلام عليك يا امير المومنين انك على الحق وهم على الباطل فمرنا فلنقاتل فابى عثمان ذلك كراهة ان يهريق لاجله الدماء فاعاد على رضى الله عنهما القول فابى وخرج على وهو يقول اللهم انك تعلم انا قد بذلنا المجهود ثم دخل المسجد وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا احدا يصل اليه وبعث بعض الصحابة ابناءهم ذلك فاقاموا للذب عنه حتى جرح الحسن وانصبغ بالدم واخر الحال انهم تسوروا على عثمان من دار لزق داره ونزل عليهم جماعة فيهم محمد بن ابى بكر فقتلوه وكان عثمان حين قتل صايما يتلوا فى المصحف ونضح الدم على هذه الاية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وانها فى المصحف ما حكت وكان قد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضى الله عنهما وقالوا له اصبر فانك تفطر عندنا القابلة وكان قتله بالمدينة يوم الجمعة صبيحة عيد الاضحى وفيه يقول الفرزدق

عثمان اذ قتلوه وهتكوا دمه صبيحة ليلة النحر

وقيل وكان مقتله لثمان عشر ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلثين وكان مدة خلافته اثنتى عشرة سنة الا اثنى عشر يوما واختلف فى عمره فقيل خمس وسبعون وقيل اثنتان وثمانون وقيل تسعون وقيل غير ذلك ومكث ثلاثة ايام لم يدفن لان المحاربين له منعوا من ذلك ثم امر على بدفنه وقيل دفن ليلة السبت فى ارض يقال له حش كوكب وكان بستانا لرجل من الانصار فاشتراه عثمان وزاده فى البقيع فكان اول من قبر فيه وكان قبر عثمان بحش كوكب فقال انه سيدفن ههنا رجل صالح وصلى عليه جبير بن مطعم قال سعيد بن المسيب قتل عثمان رضى الله عنه ومن قتله كان ظالما ومن خذله من المومنين كان معذورا لانه كان يحب قومه فيولى منهم من لم يكن معه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحبة وكان يجى من امرايه ما يكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يستغاث عليهم فكرهوا ولايته وكان من قبل ذلك من عثمان هنات الى عبد الله بن مسعود

وابى ذر الغفارى وعمار بن ياسر وهولاء من اجلاء الصحابة وكانت هذيل وبنو زهرة فى قلوبهم ما فيها لاجل عبد الله بن مسعود وكانت بنو غفار واحلافها ومن غضب لابى ذر فى قلوبهم ما فيها وكانت بنو الاحنف على عثمان لاجل عمار بن ياسر وكان عثمان معتدل القامة حسن الوجه بوجهه اثر جدرى عظيم اللحية اسمر اللون اصلع يصفر لحيته وتزوج ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسبب ذلك قيل له ذو النورين وكان كاتبه مروان بن الحكم بن العاص بن عمه وقاضيه زيد بن ثابت واما فضايله فانه جهز جيش العسرة بجملة من المال وكان قد اصاب الناس مجاعة فى غزاة تبوك فاشترى عثمان طعاما يصلح للعسكر وجهز به عيرا فلما وصل ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه الى السماء وقال اللهم انى قد رضيت عن عثمان فارض عنه وعن الشعبى ان عثمان دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح ثوبه عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف لا استحى ممن تستحى منه الملايكة وانفتح بقتل عثمان بابا للشر والفتن فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

ولله در القايل فى ذلك

فكف يديه ثم اغلق بابه وايقن ان الله ليس بغافل
فكيف رايت الخير ادبر بعده عن الناس ادبار النعام الجوافل
وكيف رايت الله صب عليهم العداوة والبغضا بعد التواصل

ذكر اخبار الامام على

رضى الله عنه واسم ابى طالب عبد مناف بن عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وام على فاطمة بنت اسد بن هاشم فهو هاشمى بن هاشميين وهو الامام ابو الحسن الهاشمى امير المومنين واحد السابقين الاولين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممن لم يطرا عليه الكفر قط لازم خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ عنه وتحلى بالعلوم والمعارف شهد المشاهد كلها ولم يتخلف الا فى تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى اهله فقال يا رسول الله اتخلفنى فى النساء والصبيان قال اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى خرجاه فى الصحيحين وكان يسمى الصديق الاكبر ويعسوب الموحدين وسيد الامة ورئيسهم وابا الريحانتين وابا قصم وابا تراب والكرار ويلقب ببيضة البلد وبالامين وبالشريف وبالهادى وبالمهتدى وبذى الاذن الواعية وهو اكثر من روى عنه من الخلفاء الاربعة لكثرة صحبته مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه على تعلم العلم والدين واحكام الاسلام وقوة حفظه وحاضرته وروى عنه انه قال

وهو يخطب سلوني فوالله لا يسألني عن شيء الا اخبرتكم به وسلوني عن
كتاب الله فوالله ما من آية الا وانا اعلم ابليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام
في جبل وروى عنه ايضا انه قال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيما انزلت
ان ربي وهب لي عقلا عقولا ولسانا سؤولا وروى عن ابن مسعود انه
قال ان القرآن انزل على سبعة احرف ما منها حرف الا وله ظهر وبطن وان
علي بن ابي طالب رضي الله عنه عنده منه الظاهر والباطن ومناقبه اكثر
من ان تحصى ولا يخفى فضله على احد من المسلمين وروينا عن ابي عبد الرحمن
السلمي انه قال ما رايت اقرأ من علي رضي الله عنه عرض القرآن على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو من الذين حفظوا القرآن اجمع بلا شك عندنا
واجمع المسلمون على انه قتل شهيدا يوم قتل وما على وجه الارض افضل منه
بويع له بالخلافة يوم قتل عثمان وقيل بعده بخمسة ايام وقيل بثلاثة ايام وفي
شواهد النبوة ولد بمكة بعد عام الفيل بسبع سنين ويقال كانت ولادته
في داخل الكعبة وفي ذخائر العقبى كان ربعة من الرجال ادعج العينين عظيمهما
حسن الوجه كانه قمر بدر عظيم البدن الى السمن عريض ما بين المنكبين لمنكبيه
مشاش كمشاش السبع الضاري لا يبين عضده من ساعده قد ادمج ادماجا شثن
الكفين عظيم الكراديس اغيد كان عنقه ابريق فضة اصلع ليس في راسه
شعر الا من خلفه كثير شعر اللحية وكان لا يخضب وفي اسد الغابة وكان ربما
يخضب واذا مشى الى الحرب هرول ثبت الجنان قوي ما صارعه احد الا صرعه
شجاع منصور على من لاقاه وقد اختلف في كيفية بيعته فقيل اجتمع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم طلحة والزبير فاتوا عليا وسالوه
البيعة وقال لا حاجة لي في امركم من اخترتم رضيت به فقالوا ما نختار غيرك
وترددوا اليه مرارا وقالوا انا لا نعلم احدا احق بالامر منك لا اقدم منك سابقة
ولا اقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا اكون وزيرا خير من ان
اكون اميرا فابوا عليه فاتى المسجد وصعد المنبر واستعفى من ذلك فلم يعفوه
فبايعوه وقيل بايعوه اولا في بيته واول من بايعه طلحة بن عبد الله وكانت
يد طلحة مشلولة من نوبة احد فقال حبيب بن ذويب انا لله اول من يبدأ
بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر وبايعه الزبير وقال علي لهما ان احببتما ان
تبايعا وان احببتما بايعتكما فقالا بل نبايعك وقيل انهما قالا بعد ذلك انما
بايعنا خشية على نفوسنا لان عليا لما دافعهم عن قبول الخلافة واظهر لهم
الامتناع عنها تشاور الناس فيما بينهم وقالوا الان يستقيم امر هذه البيعة
حتى يدخل طلحة والزبير فيه وكان طلحة في حائط له والزبير في خارج المدينة
فبعثوا الى الزبير حكيم بن جبلة ومعه نفر فجاؤا به وبعثوا الى طلحة الاشتر
ومعه نفر فجاؤا به ولم يزالوا بهما حتى بايعا عليا ثم هربا الى مكة بعد مبايعة علي

باربعة اشهر وبايعه اهل المدينة من المهاجرين والانصار خلا نفر قليل وهم الذين
ولاهم عثمان على الصدقات وسموا هؤلاء المعتزلة لاعتزالهم بيعة علي ولم
يكرههم علي رضي الله عنه فقال اولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل
وسار النعمان بن بشير الى الشام ومعه ثوب عثمان الملطخ بالدم فكان معاوية
يعلق قميص عثمان على المنبر ليحرض الناس على قتال علي واصحابه وكلما راى اهل الشام
ذلك ازدادوا غيظا وكان ذلك يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس
وثلثين ثم فارقه طلحة والزبير ولحقا بمكة واتفقا مع عايشة وكانت قد
مضت الى الحج وعثمان محصور وكانت عايشة تنكر على عثمان مع من ينكر وكانت
تخرج قميص النبي صلى الله عليه وسلم وشعره وتقول هذا قميصه وشعره
لم يبل وقد بلي دينه لكنها لا تظن ان الامر ينتهي الى ما انتهى اليه وكان ابن عباس
بمكة لما قتل عثمان ثم قدم المدينة بعد البيعة فوجد عليا مستخليا بالمغيرة
ابن شعبة فسأله ما قال له فقال علي اشار علي باقرار معاوية وغيره في عمال
عثمان الى ان يبايعوا ويستقر الامر فابيت ثم اتاني الان وقال الرأي ما رأيت
فقال ابن عباس انه نصحك في المرة الاولى وغشك في الثانية واني اخشى ان ينتقض
عليك الشام مع اني لا آمن طلحة والزبير ان يخرجا عليك وانا اشير عليك ان
تقر معاوية فان بايع لك فعلي ان اقتلعه لك ابقولي متى شئت فقال علي والله
لا اعطيه الا السيف ثم تمثل بهذا الشعر

وما ميتة ان متها غير عاجز ... بعار اذا ما غالت النفس غولها

فقال يا امير المؤمنين انت رجل شجاع ولست صاحب راي فقال علي اذا عصيته
فاطعني فقال ابن عباس افعل ايسر ما لك عندي الطاعة وخرج المغيرة ولحق
بمكة ثم دخلت سنة ست وثلاثين فيها ارسل علي الى البلاد عماله فبعث الى
الكوفة عمارة بن شهاب وكان من المهاجرين وولى عثمان بن حنيف الانصاري
البصرة وعبد الله بن عباس اليمن وكان من المشهورين بالجود وولى قيس بن سعد
ابن عبادة الانصاري مصر وسهل بن حنيف الانصاري الشام فلما وصل الى تبوك
لقيته خيل فقالوا له من انت فقال امير الشام فقالوا ان بعثك غير الشام
فارجع قال وما سمعتم بالذي كان قالوا بلى فرجع الى علي ومضى قيس بن سعد
الى مصر فوليها واعتزلت عنه فرقة وكانوا عثمانية وابوا ان يدخلوا في طاعة علي
الا ان يقتل قاتل عثمان ومضى عثمان بن حنيف الى البصرة فدخلها واتبعه
فرقة وخالفته فرقة ومضى عمارة الى الكوفة فلقيه طليحة بن خويلد
الاسدي الذي كان ادعى النبوة في خلافة ابي بكر فقال له ان اهل الكوفة
لا يستبدلون اميرهم فرجع الى علي وكان على الكوفة من قبل عثمان ابو موسى
الاشعري ومضى عبد الله الى اليمن وكان العامل بها من جهة عثمان يعلى بن
منيه فولاها عبد الله وخرج يعلى واخذ ما كان حاصلا من المال ولحق

بمكة وصار مع عايشه وطلحة والزبير وسلم اليهم المال ذكر سير عايشه
رضي الله عنها وطلحة والزبير رضي الله عنهما الى البصرة ولما بلغ عايشه
قتل عثمان رضي الله عنه اعظمت ذلك ودعت الى الطلب بدمه وساعدها
على ذلك طلحة والزبير وعبد الله بن عامر وجماعة من بني امية وجمعوا جمعا
عظيما قيل مقدار ثلاثين الف رجل واتفق رايهم على المضي الى البصرة
للاستيلا عليها وقالوا معاوية بالشام قد كفانا امرها وكان عبد الله
ابن عمر قد قدم من المدينة فدعوه الى المسير معهم فامتنع وساروا
واعطى يعلى بن منبه عايشة الجمل المسمى عسكرا اشتراه بماية دينار وقيل
بثمانين دينارا فركبته وضربوا في طريقهم مكانا يقال له الحواب فنبحتهم
كلابه فقالت عايشه اي ما هذا فقيل لها هذا ما الحواب فصرخت
عايشه باعلا صوتها وقالت انا لله وانا اليه راجعون سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساوه ليت شعري ايتكن تنبحها كلاب
الحواب ثم ضربت عضد بعيرها فاناخته وقالت ردوني انا والله صاحبة
ما الحواب فاناخوا يوما وليلة وقال لها عبد الله بن الزبير انه كذب يعني
ليس هذا ما الحواب ولم يزل بها وهي تمتنع فقال لها النجا النجا فقد ادرككم
خيل علي بن ابي طالب فارتحلوا نحو البصرة واستولوا عليها بعد قتال مع عثمان
ابن حنيف فقتل من اصحاب عثمان بن حنيف اربعون رجلا واسروا عثمان
ابن حنيف فنتفت لحيته وحواجبه وسجن ثم اطلقه . ذكر مسير الامام
علي رضي الله عنه الى البصرة ولما بلغ عليا مسير عايشه وطلحة والزبير
الى البصرة خاف من انتقاض الناس عنه فسار نحوهم في اربعة الاف من
اهل المدينة فيهم اربعماية ممن بايع تحت الشجرة وثمانية من الانصار ورايته
مع ابنه محمد بن الحنفيه وعلى ميمنته الحسن وعلى ميسرته الحسين وعلى الخيل
عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعلى مقدمته
عبد الله بن العباس رضي الله عنهم وكان مسيره في ربيع الاول سنه ست
وثلاثين ولما وصل الى ذي قار اتاه عثمان بن حنيف وقال يا امير المومنين
بعثتني ذا لحية وجيتك امرد فقال اصبت اجرا وخيرا وقال علي ان الناس
وليهم قبلي رجلان فعملا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا في حقه
وفعلوا ثم بايعوني وبايعني طلحة والزبير ثم نكثا ومن العجب انقيادهما لابي بكر
وعمر وعثمان وخلافهما علي والله انهما يعلمان اني لست بدون رجل ممن تقدم

ذكر وقعة الجمل

واجتمع على علي رضي الله عنه من اهل الكوفة جمع واجتمع الى عايشة وطلحة
والزبير جمع وسار بعضهم الى بعض والتقوا بمكان يقال له الخريبة لعشر
خلون من جمادى الاخرة من هذه السنة يوم الجمعة وكان قد كتب الامام علي

رضي الله عنه الى طلحة والزبير ان ارجعا عما انتم فيه فانه امر ما قصد فيه
وجه الله لان ورثة عثمان موجودين وانما رجلان من المهاجرين وهم احق
بالطلب منكم وكتب الى عايشه اما بعد فانك خرجت من بيتك تطلبين امرا
كان عنك موضوعا ثم تزعمين انك لن تريدي الا الاصلاح بين الناس فخبريني
ما للنساء وقود العسكر وزعمت انك مطالبة بدم عثمان وعثمان رجل من بني
امية وانت امراة من بني تيم بن ابي مرة لعمري الذي اخرجك لهذا الامر وحملك
عليه لاعظم ذنبا اليك من كل احد فاتقي الله يا عايشة وارجعي الى منزلك
واسبلي عليها سترك والسلام فرجع الجواب يا ابن ابي طالب جل الامر
عن العتاب وضاق الوقت عن الجواب ثم ترايا الجمعان وقرب كل من الاخر
فخرج علي رضي الله عنه على بغلته عليه قميص ورداء وعمامة ما معه سيف
ولا رمح فنادى باعلا صوته الزبير فنهض الزبير بالاجابة فقالت عايشه
مه يا زبير فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبارز
علي احدا الا وقد قتله ثم نادى الثانية الزبير فقيل للزبير انه غير مبارز
لانه خرج معرورا عن الدرع والسيف فذكره علي وقال اتذكر يوما مررت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني غنم فنظر الي فضحكت وضحك
الي فقلت لا يدع ابن ابي طالب زهوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه ليس بمزه ولتقاتلنه وانت ظالم له فقال الزبير اللهم نعم ولو ذكرته
ما سرت مسيري هذا فقيل انه اعتزل عن القتال وقيل بل عيره ابنه عبد الله
وقال خفت من راية بن ابي طالب فقال الزبير اني حلفت ان لا اقاتله فقال له
ابنه كفر عن يمينك فعتق غلامه مكحولا وقاتل وقيل لما رجع من مكالمته علي
دخل على عايشه فقال لها يا اماه والله ما شهدت موطنا في الشرك ولا في
الاسلام الا ولي فيه راي وبصيرة غير هذا الموطن فانه ما لي فيه راي ولا
بصيرة واني لعلى باطل فقالت عايشة يا ابا عبد الله خفت سيوف بني عبد
المطلب فقال والله ان سيوفهم طوال حداد يحملها فتية انجاد وقال لابنه
عليك بحربك واما انا فارجع الى بيتي فعيره ابنه في ذلك فغضب الزبير وقال مثلي
يفزع بهذا ثم نزع رمحه وحمل على جيش علي فقال علي لاصحابه افرجوا له فانه قد
اغضب وانه منصرف عنكم فقال اصحاب علي اذن والله بعد رجوع الزبير لا
نبالي بجمعهم وما كنا نتقي سواه ثم انصرف ووقع القتال وعايشه راكبه
الجمل المسمى عسكرا في هودج وقد صار كالقنفذ من النشاب وتمت الهزيمة
على اصحاب عايشه وطلحة والزبير ورمى مروان بن الحكم طلحة بسهم فقتله
وكلاهما كانا مع عايشة قيل انه طلب بذلك الاخذ بثار عثمان منه لانه نسبه الى
انه اعان على قتل عثمان وانهزم الزبير طالبا المدينة وقطعت على خطام الجمل
ايد كثيرة وقتل ايضا من الفريقين خلق كثير ولما كثر القتلى على خطام الجمل قال

على اعقر والجمل فضربه رجل فسقط فبقيت عايشه فى هودجها الى الليل وادخلها
محمد بن ابى بكر اخوها الى البصرة وانزلها فى دار عبد الله بن خلف الامام على رضى
الله عنه على القتلى من اصحاب الجمل فصلى عليهم ودفنهم ولما راى طلحة
قتيلا قال انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كنت اكره ان ارى قريشا صرعى
انت والله كما قال الشاعر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وصلى عليه ولم ينقل انه صلى على قتلى الشام بصفين   وكان طلحة بن عبيد الله
التيمى من اجواد قريش ويقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات
وليس بطلحة الطلحات الذى يقول فيه الشاعر

رحم الله اعظما دفنوه   بسجستان طلحة الطلحات

وهو طلحة بن عبد الله الخزاعى احد اجواد العرب كذا فى شرح الرايئه للاشبيلى
وفى سراج الملوك سمى بذلك لانه كان عظيم البذل فى كل وجه وكان يبتاع الرقاب
ويعتقها وكان كل معتق يولد منه ابن ذكر سماه طلحه فبلغ عددهم الف رجل
انتهى ما فيه وفى شرح الرايئه للاشبيلى وحكى الحسين قال لما قتل طلحة يوم الجمل
وجدوا فى تركته ثلاثمايه بهار من ذهب وفضه والبهار مزود من جلد عجل
وقد ذكر غيره انه وجد له الف بهار ورقا لان البهار عنق الجمل ثم اخرجت ابنت
طلحة اباها من المكان الذى دفن فيه بعد عشرين عاما لرويا راتها فوجدته
صحيحا لم ينقص منه شعره فدفنته فى البصرة واما الذى خلف ابن الزبير من
الاموال فثمانية الف الف وسبعماية الف ويقال انه كان يدخل له فى كل يوم الف
دينار وقضى عنه ابنه عبد الله دينه وهو الفا الف ومايتا الف ثم اخذ
ثلث ما بقى لولده ثم قسم ما بقى من ثمنه ضياعه على نسائه وورثته وكان له
اربع نسوه فحصل لكل واحده من نسايه فى ربع الثمن الفا الف ومايتا الف
ولما انصرف الزبير من وقعه الجمل طالبا المدينة مر بماء لبنى تميم وبه الاحنف
ابن قيس فقيل للاحنف وكان معتزلا القتال هذا الزبير هذا الزبير قد
اقبل فقال قد جمع بين هذين الغارين يعنى العسكرين وتركهم واقبل وفى
مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعى فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبع الزبير
حتى وجده بوادى السباع نايما فقتله ثم اقبل براسه الى على بن ابى طالب فلم
ياذن له على رضى الله عنه وقال للحاجب بشره بالنار فانى قد سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول بشر قاتل ابن صفيه بالنار فقال عمرو بن
جرموز

اتيت عليا براس الزبير   وقد كنت احسبها زلفه
فبشر بالنار قبل العيان   فبئس البشاره والتحفه
وسيان عندى قتل الزبير   وطرح عير بذى الجحفه

فجميع من قتل من اصحاب الجمل ثمانية الاف وقيل سبعة عشر الفا وقتل من اصحابه

على

على نحو الف ولما فرغ على من القتال وانفصل الناس وقع بينه وبين
عايشه عتاب طويل فيه ان رسول الله لو كان ذراك ما صنعت الكان يجيبه
ذا الكلام يسوءه فقالت عايشه ملكت يا ابا الحسن فاسجح فاردت الا
الاصلاح فبلغ فى امرى ما ترى فقال غفر الله لك فقالت ولك وفى فتح
القدير شرح الهداية لابن همام فى باب البغاة ولقد اظهرت عايشة الندم
وفى الملل والنحل والحق انهما يعنى طلحة والزبير رجعا وتابا اذ ذكرهما امرا
فتذكرا الى عايشه فكانت محموله على ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت
ثم امر على عايشه بالرجوع الى المدينة وان تقر فى بيتها فسارت مستهل رجب
من هذه السنه وشيعها الناس وجهزها على بما احتاجت وسير معها
اولاده مسيرة يوم وتوجهت الى مكة فاقامت للحج تلك السنة ثم رجعت الى
المدينة وقيل كانت عدة القتلى يوم الجمل من الفريقين عشرة الاف واستعمل
على رضى الله عنه على البصرة عبد الله بن عباس وسار الى الكوفة فنزلها
وانتظم له الامر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وخراسان ولم يبق خارج عنه
الا الشام وفيه معاوية واهل الشام مطيعون له فارسل اليهم جرير بن
عبد الله البجلى ليأخذ البيعة على معاوية ويطلب منه الدخول فيما دخل فيه
المهاجرون والانصار وسار جرير الى معاوية فماطله معاويه وكان عمرو بن
العاص بفلسطين حتى قدم عمرو بن العاص الى معاوية فوجد اهل الشام
يحضون على الطلب بدم عثمان فقال لهم عمرو انتم على الحق واتفق عمرو ومعاوية
على قتال على وشرط عمرو على معاوية اذا ظفر ان يوليه مصر فاجابه الى ذلك
وكان قيس بن سعد بن عبادة متوليا على مصر من جهة على على ما ذكرناه وقد
اعتزل عنه جماعة عثمانية الى قرية من بلد مصر يقال لها خربتا وكان قيس المذكور
من دهاة العرب فراى من المصلحة مداهنة المذكورين وكف الحرب عنهم لئلا
ينضموا الى معاوية الى قيس المذكور يستميله ويبذل له الولايات العظام فلم
يغد فيه غرور فبلغ عليا فعزل قيسا عن مصر وولى محمد بن ابى بكر ولحق قيس
بالمدينة ثم وصل الى على وحضر معه حرب صفين وحكى لعلى ما جرى له مع معاوية
فعلم صحة ذلك وبقى قيس المذكور مع على ثم مع الحسن على ذلك الى ان اسلم الامر
الى معاويه واما محمد بن ابى بكر فوصل الى مصر وتولى عليها واوصاه قيس انه لا يتعرض
الى اهل خربتا فلم يقبل محمد ذلك وبعث الى اهل خربتا يامرهم بالدخول فى بيعة على
او الخروج من ارض مصر فاجابوه ان لا نفعل ودعنا ننظر الى ما يصير اليه امرنا
فابى عليهم. **ذكر وقعة صفين** المشتمله على وقايع يضطرب لها فواد الجليل
ويشيب لها فواد الوليد ويحن اليها قلب البطل الصنديد ويتحير عند ذكرها
كل من القى السمع وهو شهيد ولما قدم عمرو على معاوية كما ذكرنا واتفقا على
حرب على قدم جرير بن عبد الله البجلى على على فاعلمه بذلك فسار على من الكوفة

الجهة معاوية وقدم عليه عبد الله بن عباس ومن معه من اهل البصرة فقال علي رضي الله عنه

لاصبحن العاص وابن العاصي سبعين الفا عاقدي النواصي
مجنبين الخيل بذي القلاص مستحقبين حلق الدلاص

وسار عمرو ومعاوية من دمشق من اهل الشام الى الجهة علي وتانى معاوية في مسيره حتى اجتمعت الجموع بصفين وخرجت سنة ست وثلاثين والامر على ذلك ثم دخلت سنة سبع وثلاثين والجيشان بصفين ومضى المحرم ولم يكن بينهم قتال الا المراسلات يطول ذكرها لم ينتظم بها امر روى ان الامام علي كتب الى معاوية يناصحه عن ذلك فما رقها رد ذلك فاحش فاحش فعلك فعلك يهدي يهدي وكتب معاوية في جوابه على قدري كل ذلك من غير تنقيط ولا تعجيم ولما دخل صفر وقع بينهم القتال فيه كانت بينهم وقعات كثيرة بصفين قيل كانت تسعين وقعة وكانت مدة مقامهم مقامهم بصفين مائة وعشرة ايام وكانت عدة القتلى من الفريقين من ستين الفا قتل من اهل العراق خمسة وعشرون الفا منهم عمار بن ياسر من السابقين الاولين البدريين بعد ان قاتل قتالا عظيما وكان قد نيف عمره على تسعين سنة وكان اخر ما شرب شربة لبن اتي به في قدح فقال صدق الله ورسوله اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخر رزقك من الدنيا ضيح لبن الضيح اللبن الرقيق الممزوج ولما قتل عمار اقبل في رجلان من اهل الشام براسه يختصمان الى عمرو ومعاوية كل منهما يقول انا قتلته فقال عمرو انكما في النار فلما انصرفا قال معاوية لعمرو ما رايت مثل ما صرفت قوما بذلوا انفسهم دوننا فقال لعمرو هو والله انك لتعلمه ولوددت اني كنت مت قبل هذا بعشرين سنة وفي خلاصة الوفا ان عمرو ابن العاص كان وزير معاوية ولما قتل عمار بن ياسر امسك عن القتال وتابعه على ذلك خلق كثير فقال له معاوية لم لا تقاتل قال قتلنا هذا الرجل وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية فدل على انا نحن بغاة فقال له معاوية اسكت فوالله ما تزال تدحض في بولك انحن قتلنا انما قتله علي واصحابه جاؤا به حتى القوا بيننا فبلغ ذلك عليا فقال ان كنت انا قتلته فالنبي صلى الله عليه وسلم قتل حمزة حين ارسله الى قتال الكفار وفي الصفوة ودفن هناك في سنة سبع وثلاثين وقتل مع علي خزيمة بن ثابت الانصاري رحمه الله وسمي ذو الشهادتين وفي الكرماني في شرح البخاري ولما قتل عمار جرد خزيمة سيفه فقاتل حتى قتل وقتل اويس القرني زاهد التابعين وخمسة وعشرون بدريا وقتل من عسكر الشام خمسة واربعون الفا وفي الصفوة المهمة وكانوا قسموا العساكر على عدد ايام الاسبوع فيحارب كل يوم طايفة ولا يختلطهم

غيرهم

غيرهم وكانت الغلبة والنصر في الغالب لعلي بن ابي طالب وفي دول الاسلام وغيره ولم يشهد مع معاوية من كبار الصحابة غير عمرو بن العاص قريبه وذريته وحضر مع جمهور الصحابة والى جماعة منهم من شهود الحرب منهم سعد ابن ابي وقاص وسعيد بن زيد وابو اليسر السلمي وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد وصهيب الرومي وابو موسى الاشعري وقالوا اذا كان غزو الكفار قاتلنا فاما قتال اهل الفتنة والبغي فلا نقاتل اهل القبلة وكان ابو هريرة يحضر طعام معاوية ويصلي خلف علي ويعتزل عن الحرب فقيل له في ذلك فقال طعام معاوية ادسم والصلاة خلف علي اتم وترك الحرب اسلم وكان علي قد تقدم الى اصحابه ان لا يقاتلوهم حتى يبدؤهم بالقتال وان لا يقتلوا مدبرا ولا ياخذوا شيئا من اموالهم وان لا يكشفوا عن عورة قال معاوية اردت الانهزام بصفين فتذكرت قول ابن الاطنابة فثبت وكان جاهليا وهو قوله

ابت لي همتي وجلاد نفسي واقدامي على البطل المشيح
واعطائي على المكروه مالي واخذ الحمد بالثمن الربيح
وقولي كلما جشأت وجاشت رويدك تحمدي او تستريحي

وبعد مقتل عمار رضي الله عنه انتدب الامام علي اثني عشر الفا وحمل بهم على عسكر معاوية فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وعلي يقول

اقتلهم ولا ارى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية

ثم نادى يا معاوية علام يقتل الناس ما بيننا هلم احاكمك الى الله فاينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال لعمرو انصفك ابن عمك فقال معاوية ما انصفتك انك لتعلم انه لم يبرز اليه احد الا قتله فقال عمرو وما يحسن بك ترك مبارزته فقال معاوية طمعت في الامر بعدي ثم تقاتلوا ليلة الهرير شبهت بليلة القادسية وكانت ليلة الجمعة واستمر القتال الى الصبح وقد روي ان عليا رضي الله عنه كبر تلك الليلة اربعمائة تكبيرة وقيل خمسمائة وثلاث وعشرون تكبيرة وكانت عادته انه كلما قتل قتيلا كبر ودام القتال الى ضحى يوم الجمعة وقاتل الاشتر النخعي قتالا عظيما حتى انتهى معسكرهم وامده علي رضي الله عنه بالرجال ولما راى عمرو انهم فنوا وكلتهم سيوف اهل العراق راى ان يحتال ويضع بذلك اوزار الحرب فقال لمعاوية يعلم نرفع المصاحف على الرماح ونقول هذا كتاب الله بيننا وبينكم ففعلوا ولما راى اهل العراق ذلك قال مسعود بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من الذين صاروا خوارج وقد سئموا من القتال الا تجيب امير المؤمنين الى كتاب الله وقيل كان غالب تلك العصابة الذين نهوا عن القتال قراء فقال الامام علي رضي الله عنه ان الحرب عضت اهل الشام فذروني اناجزهم واياكم والخديعة فانا اعرف منكم بعمرو ومعاوية وابن

لذته

معيط وابن ابي سرح والضحاك بن قيس فانهم ليسوا باصحاب دين ولا قرآن
ويحكم والله ما رفعوه الا خديعة ومكيدة فقالوا لا تمنعنا ان ندعى الى كتاب
الله فيابى فقال علي انما قاتلتم ليدينوا بحكم كتاب الله فانهم قد عصوا الله
فيما امرهم فلم يفد فيهم ذلك حتى قالوا لابد ان تبعث الى الاشتر النخعي فلياتك
فبعث اليه يدعوه فقال الاشتر ليس هذه الساعة التي ينبغي ان تزيلني عن
موقفي فيها فرجع الرسول واخبره الخبر وارتفعت الاصوات وكثرت الرهج من
جهة الاشتر فقالوا لعلي ما نراك امرته الا بالقتال فقال هل رايتموني ساررت
الرسول اليه اليس كلمته وانتم تسمعون فقالوا فابعث اليه فلياتك والا
اعتزلناك فرجع الرسول الى الاشتر واعلمه فقال علمت والله ان رفع المصاحف
يوقع اختلافا وانها مشورة ابن العاهرة فرجع الاشتر الى علي وقال خدعتم
فانخدعتم ولما كفوا عن القتال سالوا معاوية لاي شي رفعت المصاحف فقال
تنصبوا حكما منكم وحكما منا وناخذ عليهما ان يعملا بما في كتاب الله تعالى
ثم نتبع ما اتفقا عليه فوقعت الاجابة من الفريقين الى ذلك ورضي علي رضي
الله عنه بتحكيم عبد الله بن عباس ومعاوية بتحكيم عمرو بن العاص وخالف
الخوارج عليا في تحكيم عبد الله وقالوا هو ابن عمك ما نرضى الا بابي موسى
الاشعري فانه رجل لا منك ولا من معاوية فاضطر علي الى اجابتهم
واجتمع الحكمان عند علي رضي الله عنه وكتب بحضورهم كتاب التقاضي
وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى امير المؤمنين علي فقال
عمرو هو اميركم واما اميرنا فلا فقال الاحنف لا تمح اسم امير المؤمنين
فقال الاشعث بن قيس امح هذا الاسم فاجاب علي رضي الله عنه ومحاه وقال
علي الله اكبر شبهت بالسنة والله لاني كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية فكتبت محمد رسول الله فقالوا اكتب برسول الله ولكن
اكتب اسمك واسم ابيك فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه فقلت
لا استطيع فقال ارنيه فاريته فمحاه بيده فقال لي انك ستدعى الى مثلها
فتجيب فقال عمرو سبحان الله اتشبهنا بالكفار ونحن مؤمنون فقال
رضي الله عنه يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين
عدوا وكتب الكتاب واجلا القضا الى رمضان من هذه السنة وان
احبا ان يؤخرا ذلك اخراه وكان ذلك يوم الاربعا لثلاث عشر ليلة خلت
من صفر سنة سبع وثلاثين على ان يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين
بدومة الجندل في رمضان فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا في العام المقبل باذرح
ثم سار علي الى العراق وقدم علي الى الكوفة ولم يدخل الخوارج معه الى الكوفة
واعتزلوا عنه وفي القاموس كانت الوقعة العظمى بين علي ومعاوية بصفين
قرب الرقة بشاطئ الفرات غرة صفر سنة سبع وثلاثين فمن ثم احترز الناس

من السفر

من السفر في صفر وفي هذه السنة اجتمع الحكمان باذرح ولم يحضر علي كرم الله
وجهه وحضر معاوية بصفين قريبا لرقة فلم ينبرم امر ورجعوا الى ما فيهم
وبقيت مصر تارة يغلب عليها جند علي رضي الله عنه وتارة يغلب جند
معاوية وفي تاريخ صاحب حماه واتفق عمرو مع ابي موسى ان يخلعا عليا
ومعاوية ويجعل الامر شورى بين الناس فقام ابو موسى وخلعهما ثم قام
عمرو وقال سمعتم ما قال وانا اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي فقال له
ابو موسى ما لك لا وفقك الله غدرت وفجرت وركب ابو موسى ولحق بمكة حياء
من الناس وانصرف عمرو واهل الشام الى معاوية وسلموا عليه بالخلافة
ومن ذلك الوقت اخذ امر علي في الضعف وامر معاوية في القوة والتدبير

مقتل امير المؤمنين علي

كرم الله وجهه اخرج احمد في المناقب وخرجه ابن الضحاك عن علي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري اشقى الناس من الاولين
قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من اشقى الآخرين قلت
الله ورسوله اعلم قال قاتلك او الذي يضربك على هذه فيبل منها هذه واخذ
بلحيته عن محمد بن سعد قال قالوا انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن
ملجم المرادي وهو من حمير والبرك بن عبد الله التميمي واجتمعوا بمكة وتعاهدوا
ليقتلن هذه الثلاثة علي بن ابي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص ويريحون
العباد منهم فقال ابن ملجم انا لكم بعلي وقال البرك انا لكم بمعاوية وقال عمرو انا
اكفيكم عمرو بن العاص فاتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان سنة
اربعين ثم تفرقوا وتوجه كل منهم الى المصر الذي فيه صاحبه فخرج البرك لمقتل
معاوية وقدم دمشق فوثب على معاوية في تلك الليلة ولم يقتله وكان معاوية
كبيرا لا ولد له فقطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك وامسك البرك
فقال له اني ابشرك فلا تقتلني فقال بماذا قال رفيقي قتل عليا هذه الليلة فقال
معاوية لعله لم يقدر عليه فقال بل ان عليا ليس معه من يحرسه فقتله معاوية
وقيل حبسه حتى بان صحة مقاله فقطع يديه ورجليه واطلقه وعاش بعد ذلك
حتى وصل الى البصرة فتزوج بها امراة ولد له منها ولد فلما بلغ ذلك زيادا
قال ايولد له وامير المؤمنين لم يولد له ومن ثمة امر معاوية باتخاذ المقصورة في
الجامع يصلي فيها واما عمرو بن بكر فانه جلس في تلك الليلة فلم يخرج عمرو الى
الصلاة وكان قد امر خارجة بن ابي حبيب صاحب شرطته ان يصلي بالناس
فخرج خارجة ليصلي فشد عليه عمرو بن بكر وهو يظن انه عمرو بن العاص فقتله فاخذه
الناس واتوا به عمرا فقال من هذا قالوا عمرو قال فمن قتلت قالوا خارجة
فقال عمرو اردت عمرا واراد الله خارجة وفي ذلك يقول ابو محمد بن عبدون في
قصيدته الرائية • وليتها اذ فدت عمرا بخارجة • فدت عليا بمن شاءت من البشر •

واما ابن ملجم فانه قدم الكوفة عازما على قتل على رضى الله تعالى واشترى سيفا
لذلك بالف وسقاه بالسم فيما زعموا حتى نفضه عن سكين بن عبد العزيز العبدى
انه سمع اباه يقول جاء عبد الرحمن بن ملجم يستحمل عليا فحمله ثم قال اما هذا قاتلى
قيل فما يمنعك منه قال انه لم يقتلنى بعد وقيل له ان بن ملجم سم سيفه ويقول
انه سيقتلك به قتلة يتحدث بها العرب فبعث اليه لم تسم سيفك قال لعدوى
وعدوك فخلى عنه فقال له ما قتلنى بعد اخرجه ابو عمرو وروى الحسين بن كثير عن
ابيه وكان ادرك عليا قال خرج على الى الفجر فاقبل الاوز يصحن فى وجهه فطردوهن
فقال دعوهن فانها صايحة تتبعها نايحة فلم يقدر ان يفتح باب داره ثم
تكلف وفتح الباب فتعلق ازاره بالباب فخرج الى المسجد وكان بن ملجم تواطأ مع وردان
ابن مجالد من بنى تيم الرباب وشبيب بن اشجع على قتل على رضى الله عنه صبيحة يوم
الجمعة لسبع عشر ليلة تمضى من رمضان وارصدوا خروج على الى المسجد لصلاة
الصبح قبالة السدة التى يخرج منها على ودخل بن النباح المؤذن فقال الصلاة
فقام على يمشى وابن النباح بين يديه والحسن بن على خلفه فلما خرج من الباب
نادى ايها الناس الصلاة الصلاة كذلك كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درته
يوقظ الناس فاعترضه بن ملجم وشبيب فضربا جميعا فاما سيف شبيب
فوقع فى الطاق فاخطا واما سيف بن ملجم فاصاب جبهته الى قرنه ووصل الى
دماغه فقال على فزت ورب الكعبة وسمع على يقول لا يفوتكم الرجل فشد الناس
عليهما من كل جانب واما شبيب فافلت خارجا فى غمار الناس وكذلك هرب
وردان واما بن ملجم فلما هم الناس حمل عليهم بسيفه فافرجوا له فتلقاه
المغيرة بن نوفل بقطيفة فرماها عليه واحتمله وضرب به الارض وقعد على
صدره وانتزع سيفه عنه وكان ايدا قويا فادخل مكتوفا الى على فقال احبسوه
واطيبوا طعامه والينوا فراشه فاذا عشت فانا ولى دمى عفوا وقصاصا وان
مت فالحقوه بى اخاصمه عند رب العالمين ودعى الحسن والحسين رضى الله عنهما
وقال اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على شى زوى منكما منها
ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض رحمه الله تعالى وسعه كرامته وفى معجم البغوى
انه مات من يومه ودفن بالكوفة ليلا وفى مورد اللطافة فمكث على جريحا يوم
الجمعة والسبت وتوفى ليلة الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان
سنة اربعين وقيل كان ضرب على رضى الله عنه فى الصلاة وقيل انه استخلف
من اتم الصلاة وقيل اتمها هو والاكثر على ان جعدة بن هبيرة صلى بهم تلك
الصلاة وعن الحسن البصرى انه سمع الحسن بن على انه سمع اباه فى سحر اليوم الذى
قتل فيه يقول لهم يا بنى رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى نومة نمتها فقلت
يا رسول الله ما لقيت من امتك من اللواء واللدد فقال ادع الله عليهم فقلت
اللهم ابدلنى خيرا منهم وابدلهم بى من هو شر منى ثم انتبه وجاء مؤذنه يؤذنه

بالصلاة فخرج فقتله بن ملجم اخرجه ابو عمر وفى اسد الغابة لما توفى على رضى الله عنه
غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفن فى ثلاثة اثواب ليس فيها قميص
بعد ان حنط بمسك فضل من حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم واوصى
ان يحنط به وصلى عليه الحسن ابنه وكبر عليه اربعا ودفن فى السحر واختلف
فى موضع قبره فقيل دفن مما يلى قبلة باب المسجد بالكوفة وقيل عند قصر الامارة
وقيل حوله الحسن الى المدينة ودفن بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة وذكر
المبرد عن محمد بن حبيب قال اول من حول من قبر الى قبر على بن ابى طالب رضى الله عنه
وقال الواقدى دفن ليلا وعمى قبره لئلا ينبشه الخوارج وقالت عايشه
لما بلغها موت على رضى الله عنه قالت لتصنع العرب ما شاءت فليس لها احد
ينهاها وفى الصفوة فى سنه اربع اقوال احدها ثلاث وستون قال الواقدى
وهذا اثبت عندنا والثانى خمس وستون والثالث سبع وخمسون والرابع
ثمان وخمسون ولما توفى على اخرج بن ملجم من الحبس فقطع يده ثم رجله وكحلت
عيناه بمسمار محمى وقطع لسانه واحرق لعنه الله وعن احمد بن حنبل انه
سئل عن حال بن ملجم فقال هو بالنار ملجم وكانت مدة خلافة على رضى الله
عنه خمس سنين الا ثلاثة اشهر ومروياته فى كتب الاحاديث خمسمائة وستة
وثمانون حديثا وكان نقش خاتمه الملك لله الواحد القهار وقيل حسبى الله
وقيل اسندت ظهرى الى الله ذكره فى الفصول المهمة كرم الله وجهه

ذكر خلفاء بنى امية

وهم اربعة عشر خليفة اولهم معاوية بن ابى سفيان واخرهم مروان الجعدى
وكان مدة ملكهم نيفا وتسعين سنة وهى الف شهر تقريبا فلما
عوتب الحسن بن على رضى الله عنه على ترك الخلافة قال ليلة القدر خير
من الف شهر فكان ذلك من جملة كرامته وولايته حيث صار الامر مثل
ما قال واما معاوية فهو ابن ابى سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد
شمس بن عبد مناف بن قصى وامه هند بنت عتبة ويكنى ابا عبد الرحمن
بويع له بالخلافة سنة احدى واربعين حين سلم الحسن رضى الله عنه
الخلافة اليه وفى سنة اثنين وقيل ثلاث واربعين سنة توفى عمرو
ابن العاص بمصر ودفن بالمقطم من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ
الى الحجاز فاحب ان يدعو له من قرب وهو والى امير مات بمصر وفيه يقول
عبد الله بن الزبير رضى الله عنه

الم تر ان الدهر اخنث ريوبه … على عمرو السمى يحيى به مصر
فاضحى نبيذا بالعراء وضللت … مكايده عنه واموالها الدثر
ولم يغن عنه جمعه ولا كده … ولا كيده حتى اتيح له الدهر

وفى سنة اربع واربعين استلحق معاوية زياد بن سمية الى ابى سفيان وولاه

البصره واضاف اليه خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان وكان
زياد من عمال علي استعمله على فارس فساس في فارس احسن السياسة ودبر
احسن تدبير وكان اهل فارس تقول ما جاءنا بعد اردشير من يحسن السياسة
مثل هذا العربي ثم لما سلم الحسن الامر لمعاوية امتنع بفارس ولم يدخل في
طاعة معاوية مرة وخافا ان يدعوا الى احد من بني هاشم ويعيد الحرب فاحتال
على زياد حتى امال اليه واستعطف قلبه بتولية المناصب العلية واستلحاق
نسبه اليه وفي سنة خمس واربعين غزا المهلب بن ابي صفرة الى الهند
فدخلها غالبا سالبا وعاد منها غانما سالما وفيها غزا عبد الرحمن بن خالد
المخزومي الى الروم فشتى هناك وامعن هو في العيش من طرف وبشر المذكور
من طرف ثم لما عاد عبد الرحمن المذكور منها سنة ست واربعين سمه رجل
نصراني يقال له الاثال فمات ودفن في حمص وفيها توفي من خيار الصحابه
زيد بن ثابت ومن كبار الصحابه سلمة بن سلام وسهل بن عمرو وعاصم بن
عدي كذا في النجوم الزاهره وفيها قدم زياد الى البصرة فشدد في امر السلطنه
واكد الملك لمعاوية وجرد السيف واخذ بالظنة وعاقب على الشبهة فخاف
الناس خوفا شديدا ثم ضم اليه معاوية الكوفة بعد موت عاملها المغيرة بن
شعبه سنة خمسين وكان زياد يقيم بالكوفة ستة اشهر وفي البصرة مثلها
وهو اول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحرس خمسماية رجل لاتنار
مكانه وفي سنة ست واربعين تقاتل عبد الرحمن بن سمرة مع كابلشاه والي
سجستان وكان كابلشاه ورث ملكه كابرا عن كابر فانتصر عبد الرحمن وغنم من
اموال الكفار اموالا لا تحصى وفيها غزا جيش الى الروم وفيها غزا رويفع
ابن ثابت من طرابلس الغرب الى اطراف الغرب الى اطراف افريقيه فانتصر وعاد
غانما وفيها غزا عبد الله بن سوار الى ما وراء النهر فما نجى من تلك الطايفه
احد وفي سنة سبع واربعين سار عقبة بن عامر امير مصر بامر معاوية
من البحر الى غزو رودس وهو اول من رفع الراية من المسلمين في البحر وفي
سنة ثمان واربعين سير معاوية جيشا كثيفا مع ابنه يزيد الى القسطنطينيه
فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا بلاد الروم وحاصروا القسطنطينيه
وكان في ذلك الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصاري
وفي سنة تسع واربعين بنيت القيروان بافريقيه وكمل بناؤها في سنة
خمس وخمسين بناها عقبة بن نافع الصحابي وكان من الصالحين ليكون
مقرا للعساكر وكان مكانها دجلة مشتبكة فقطع اشجارها وبناها وفي
سنة خمسين توفي دحية الكلبي قال النبي صلى الله عليه وسلم اشبه من
رايت بجبريل دحية الكلبي رضي الله عنه وفي سنة احدى وخمسين توفي
سعيد بن زيد احد العشرة المبشرة بالجنة وفي سنة اثنين وخمسين غزا

بلاد

بلاد سفيان بن عوف الازدي وشتى بها ومات هناك وتوفي في مدة حصار
القسطنطينيه خالد بن زيد بن كليب ابو ايوب الانصاري الخزرجي
شهد بدرا والعقبة والمشاهد كلها وشهد مع علي صفين وغيرها
من حروب واستناب له امير المدينه النبويه ودفن خارج البلد قريبا
من سورها فاليوم اهل الروم من اهل الاسلام يتبركون به ويستسقون
به اذا قحطوا ويتوسلون به الى الله تعالى في قضاء حاجاتهم وعلى قبره
قبة مهندمة وعنده جامع ومدرسة بناها السلطان الاعظم فاتح
استنبول الامجد السلطان محمد خان وفي هذه السنة غزا المسلمون
بعسكر سجستان الى طرف قندهار حتى بلغوا الى بيت الذهب فاقتتلوا مع
ملك الهند وانتصروا عليه وفيها هلك زياد بن اميه في رمضان من اكلة
في اصبعه وكان مولده عام الهجرة وفي سنة ثلاث وخمسين اجتاز عسكر
خراسان بالابل من نهر جيحون الى طرف تركستان فعاثوا بها وبنايها تخريبا
وفي سنة اربع وخمسين وسنة ست وخمسين ولى معاوية سعيد بن
عثمان بن عفان خراسان فقطع نهر جيحون الى سمرقند والصغد وهزم
الكفار وسار الى ترمذ ففتحها صلحا ومن قتل في هذه السنة من الغزاة
قثم بن العباس ودفن بسمرقند ومات اخوه عبد الله بن عباس بالطايف
والفضل بالشام ومعبد بافريقية فيقال لم ير قبور اخوة ابعد من قبور
هولاء الاخوة بني العباس وفي هذه السنة بايع معاوية الناس لابنه
يزيد بولاية العهد بعده وبايعه اهل الشام والعراق والحجاز وامتنع
من ذلك الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله بن الزبير
وفيها في سنة اربع وخمسين توفي ابو قتادة الانصاري وعبد الله بن
انس وسعيد بن يربوع وفيها في سنة سبع وخمسين غزا عبد الله
ابن قيس الى الروم وفي سنة تسع وخمسين توفي سعيد بن العاص بن
اميه ولد عام الهجرة وقتل ابوه العاص يوم بدر كافرا وكان سعيد
من اجواد بني اميه وفيها توفي ابو هريرة واختلف في اسمه ونسبه وهو
ممن لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الكثير وفيها
غزا عمرو بن مرة الى الروم وغزا ابو المهاجر من الطرف الغربي حتى وصل
الى محل يقال له الدينار فاقتتل مع الكفار قتالا شديدا وانتصر عليهم
وارضاهم على الجزية واقام هناك سنتان ثم عاد سالبا غانما وفيها توفي
عبد الله بن عامر وفي سنة ستين توفي هلال بن الحرث الصحابي وفيها
توفي ابو حميد الساعدي وسمرة بن جندب وفيها توفي معاوية بدمشق
في غرة رجب وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر وسبعة
وعشرين يوما وعمره ثمان وسبعون سنة وكان واليا على الشام اميرا وخليفة

اربعين سنة اربعة في خلافة عمر واثني عشر في مدة خلافة عثمان واربع
مدة خلافة علي متغلبا على الشام وخلص له الامر تسع عشرة سنة وكان
اسلم قبل ابيه عام الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له وكان
عظيم الهيبة مليح الشكل وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب
الخيل المسومة وكان حليما حازما عالما بسياسة الملك وكان حلمه
قاهرا لغضبه وجوده غالبا على منعه يصل ولا يقطع ويجز وينفع

اخبار يزيد

وقيل ان معاوية سمع ميسون تنشد هذه الابيات وهى

للبس عباءة وتقر عيني — احب الى من لبس الشفوف
وبيت تخفق الارياح فيه — احب الى من قصر منيف
وبكر يتبع الاضعان صعب — احب الى من بغل زفوف
وكلب ينبح الاضياف دوني — احب الى من هر الوف
وخرق من بني عمي نحيف — احب الى من علج عليف

وبكر اى بعير فوقها وخرق بضم المعجمة بعدها را ساكنة اى جاهل احمق
فقال معاوية ما رضيت يا ابنة بجدل حتى جعلتيني علجا عليفا الحقي باهلك
فمضت الى بادية بني كلب ويزيد معها بويع له بعد وفاة ابيه بيعة الولاية
وقد كان عقد له ولاية العهد كما تقدم ولما انفضى الامر اليه دخل منزله فلم
يظهر للناس ثلاثة ايام فاجتمع ببابه اشراف العرب ووفود البلدان ليعزوه
بابيه ويهنوه بالخلافة فلما كان اليوم الرابع خرج وهو شعث اغبر فصعد
المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان معوية كان حبلا من حبال الله
امده الله ما شاء ان يمده ثم قطعه حين شاء ان يقطعه وكان دون
من قبله وخير من بعده ان يغفر الله له فهو اهله وان يعذبه فبذنبه
وقد وليت الامر بعده واذا اراد الله شيئا كان فاذكروا الله واستغفروه
ثم نزل ودخل منزله واذن للناس فدخلوا عليه وقاموا يعزونه ويهنونه
بالخلافة وامر لكل واحد بمال على قدره ودخل عليه عبد الملك بن مروان
يوما فقال يا امير المومنين ارضة لك الى جانب ارضي ولي فيها سعة
فاقطعنيها قال يا عبد الملك انه لا يتعاظمني كبير ولا اجدع عن صغير
اخبرني عنها والا سالت غيرك قال يا امير المومنين ما بالحجاز مال اعظم
منه قدرا قال قد اقطعتك ذلك فشكره عبد الملك ودعا له فلما ولى
قال يزيد الناس يزعمون ان هذا خليفة فان صدقوا فقد صانعنا
وان كذبوا فقد وصلنا وكان يزيد صاحب طرد وجوارح وكلاب
وقرود ونادمه على الشراب وفي ايامه استعملت الملاهي وظهر بشرب
الشراب والسماع وكان له قرد يسمى ابا القيس وكان يحضره مجلس منادمته
ويطرح له متكا وكان اذا راه قال شيخ من بني اسرائيل مسخه الله قردا
وربما وثب القرد فقعد على عاتقه وربما عب معه في كاسه وربما اجتمع
الناس لركوب يزيد فيقول قد بدا لي في الركوب ولكن يركب ابو قيس فيركب
القرد ويمر على اهل الشام فيومي اليهم بالسلام كما يفعل يزيد وروى
ان اباه انكر عليه شرب الخمر فانشد

امن شربة من ماء كرم شربتها — غضبت علي الآن طاب لي السكر
ساشرب فاغضب لا رضيت كلاهما — حبيب الى قلبي عقوقك والخمر

ومات

ومات ابو قيس القرد فكفنه ودفنه وامر اهل الشام فدخلوا عليه وعزوه
فيه ويكفي في قبح سيرته وذمها ما اتفق في ايامه من قتل الحسين بن
علي رضي الله عنهما وقتل من صحبه من اهله وسبي حريمه وحمل راسه الكريم
على العود والطواف بها ووضعها بين يديه وكان سبب قتل الحسين
رضي الله عنه انه لما مات معاوية ارسل اهل الكوفة الى الحسين انا قد
حبسنا انفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة او
جماعة بسببك وطول الحسين بالبيعة ليزيد بالمدينة فسام اي مل
من التاخر عن مبايعة يزيد التاخر وخرج يتمادى بين مواليه ولحق بمكة
وارسل ابن عمه مسلم بن عقيل وقال سر الى اهل الكوفة فان كان حقا ما كتبوا
فاسل عرفني حتى الحق بك فخرج مسلم من مكة في النصف من شهر رمضان
حتى قدم المدينة فودع القبر الشريف وقدم الكوفة لخمس خلون من شوال
فلما شاع قدومه بايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الفا وقيل ثمانية عشر
الفا فكتب مسلم بن عقيل بالخبر الى الحسين وساله القدوم فلما هم الحسين
بالخروج الى العراق اتاه ابن عباس ونصحه ووعظه وامره بعدم الخروج
فلم يقبل واتصل الخبر بيزيد بن معاوية فكتب الى عبد الله بن زياد بولاية
الكوفة فخرج ابن زياد من البصرة مسرعا حتى قدم الكوفة فدخلها في اهله
وحشمه وظفر بمسلم فضرب عنقه وامر بجثته فصلب وحملت راسه الى
دمشق وهو اول قتيل صلبت جثته من بني هاشم واول راس حمل من رؤسهم
الى دمشق ولما وصل الحسين الى القادسية اخبر بقتل مسلم بن عقيل فهم
بالرجوع فلم تطعه اخوة مسلم وقالوا والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا او
نقتل كلنا فقال الحسين لا خير في الحيوة بعدكم ثم سار حتى لقي خيل عبد الله
ابن زياد وقد غدا الى كربلا ومعه خمسماية فارس من اهل بيته ونحو ماية
رجل فلما كثرت العساكر على الحسين ايقن انه لا محيص له فقال اللهم احكم
بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا اللهم اشهد فلم يزل
يقاتل حتى قتل رضي الله عنه وقاتل قاتله وكان متولي قتله رجل من مدحج
هو شمر بن ذي جوشن على ما ياتي فاحتز راسه الكريمة وانطلق بها الى عبيد الله
ابن زياد وهو يقول

اوقر ركابي فضة وذهبا — انا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس اما واباً — وخيرهم اذ ينسبون النسبا

واتى ذلك الرجل الابيس بالراس الكريمة داره فوضعها واكفى عليها اناء ونام
في فراشه فقالت له زوجته ما الذي اتيت به قال اتيتك بعز الابد وفخر الدهر
اتيتك براس الحسين بن علي فقالت له حسبك الله خسرت الدنيا والاخرة تاتي
الناس بالذهب والورق وتاتيني براس بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

لاجمعت راسي وراسك مخدة ابدا وبعث ابن زياد بالراس الكريمة الى يزيد بن
معاوية مع ذلك الرجل المذحجي فدخل على يزيد وعنده ابو برزة الاسلمي فوضع
الراس الكريمة بين يديه فجعل يزيد ينكت ثنايا الحسين رضي الله عنه بقضيب
ويقول نفلق هاما من رجال اعزة علينا وهم كانوا اعق واظلما
فقال له ابو برزة ارفع قضيبك فوالله لربما رايت فاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم على فيه وهو يقبله وفي رواية انه قال له ثكلتك امك يا يزيد اتنكت
ثنايا طالما قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان الفاعل لذلك
عبد الله بن زياد لما جاء اليه راس الحسين جعل يقرع فم الحسين بقضيب
كان في يده فقال له زيد بن ارقم ارفع هذا القضيب فوالذي لا اله غيره لقد
رايت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها بين الشفتين ثم بكى
وبعث بن زياد بالراس وبالنساء والاطفال الى يزيد بن معاوية فوضع يزيد
راس الحسين بين يديه واستحضر النساء والاطفال ثم امر النعمان بن بشير
ان يجهزهم بما يصلحهم وان يبعث معهم امينا يوصلهم الى المدينة
فجهزهم الى المدينة وقتل الحسين رضي الله عنه يوم عاشورا سنة احدى
وستين ووجد به حين قتل ثلاثة وثلاثون طعنه وقتل معه اربعة
من الانصار غير اخوته واولاد اعمامه واولاده واولاد اخيه الحسن ومات
وعمره خمس وخمسون سنة واختلف في موضع راس الحسين رضي الله عنه
فقيل جهز الى المدينة ودفن عند امه وقيل دفن عند باب الفراديس بدمشق
وقيل ان خلفاء مصر نقلوا من عسقلان راسا الى القاهرة ودفنوه
بها وبنوا له مشهدا معروفا بمشهد الحسين ومن الواقعات التي لا تنكر
ما روي في كتاب نثر الدر عن ثعلب انه قال قال السري اتيت كربلا ابيع
البز بها فعمل لنا شيخ من طي طعاما فتعشينا عنده فتذكرنا قتل الحسين
رضي الله عنه فقلت ما شرك احد في قتله الا مات باسوء ميتة فقال
ما اكذبكم يا اهل العراق فانا فيمن شرك في ذلك فلم نبرح حتى دنا من المصباح
وهو يتقد بنفط فذهب يخرج الفتيله باصبعه فاخذت النار فيها فجعل
يطفيها بريقه فاخذت النار في لحيته فعدا فالقى نفسه في الماء فرايته
كانه حممة وهي بفتح المهملة وتشديد الميم الواحدة من الحمم وهو ما يبقى من الالية
بعد الذوب وان كان بضم المهملة وميمين غير مدغمتين وبعدهانا فهي
واحدة الحمم بضم الحاء وهو الرماد والفحم وكل ما احترق بالنار قاله الجوهري
ذكر خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ولما اشتهر جور يزيد وظلمه
وقتله آل الرسول والتجاهر بشرب الخمر اجتمع اهل المدينة على اخراج عامله عثمان
ابن محمد بن ابي سفيان ومروان بن الحكم وسائر بني امية باشارة عبد الله بن الزبير
فلما بلغ ذلك يزيد سير الجيوش الى اهل المدينة من الشام وعليهم مسلم بن

يتقده

عقبة

عقبة المري فانتهب المدينة وقتل اهلها فبايعوه انهم عبيد ليزيد وسمى
المدينة نتنة وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة فسمى مسلم
هذا مجرما وكانت وقعة عظيمة في الموضع المعروف بالحرة قتل فيها خلائق
من بني هاشم والانصار وغيرهم وبضع وسبعين رجلا من قريش ومثلهم
من الانصار واربعة الاف من ساير الناس كما تقدم ثم بايع امر فيه بالسيف
على بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ووفد علي بن عبد الله بن العباس
ابن عبد المطلب ثم خرج مسلم عن المدينة يريد مكة في جيوش اهل الشام وانتهى
الجيش الى قديد فمات مسلم بن عقبة هناك واستخلف على الجيش الحصين
ابن نمير فسار الحصين بالجيش فاتى مكة لاربع بقين من المحرم سنة
اربع وستين ذكر حصار الكعبة المشرفة ولما قدم الحصين مكة حاصر
عبد الله بن الزبير اربعين يوما وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام وقد سمى نفسه
العايذ بالله واشتهر بهذا الاسم ونصب الحصين المناجنيق والعرادات
على مكة والمسجد الحرام من الجبال والفجاج وابن الزبير في المسجد فتواترت
احجار المنجنيق والعرادات على البيت ورمي مع الاحجار بالنار والنفط ومشاق
الكتان وغير ذلك وانهدمت الكعبة واحترقت ووقعت صاعقه
فاحرقت من اصحاب المناجنيق احد عشر رجلا وذلك في يوم السبت لثلاث
خلون من ربيع الاول من هذه السنة قبل وفاة يزيد باحدى عشرة يوما
وقد اشتد الامر على اهل مكة وابن الزبير ولما علم الحصين بموت يزيد قال
لعبد الله بن الزبير من الراي ان تدع دم القتلى بيننا واقبل لابايعك واقدم
الى الشام فامتنع عبد الله بن الزبير من ذلك فارتحل الحصين راجعا الى
الشام ثم ندم بن الزبير على عدم الموافقة وسار مع الحصين من كان بالمدينة
من بني امية وقدموا الشام وليزيد اخبار عجيبه وسيرة ذميمة وكانت
وفاته بحوارين من عمل حمص وكان نقش خاتمه يزيد بن معاوية وسياتي
تمام قصة عبد الله بن الزبير خلافة الراجع الى الله معاوية بن يزيد بن
معاوية هو ابو ليلى وهذه الكنية للمستضعف من العرب وكان رضي الله عنه
ادم اللون نحيفا استخلفه ابوه في يوم وفاته وعمره احدى وعشرون سنة
ولما ولي اقام شهرين متوليا وهو محجوب لا يرى ثم خرج بعد ذلك فحمد الله
تعالى واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان كانت الخلافة لمعاوية وعقبه واهله
فلقد نالوا منها سعة ودنيا فيما تقدم وان كانت لآل علي بن ابي طالب
فلقد كفى بآل معاوية تبارا والله لا تقلدت امر اثنين ابدا ثم لم يلبث
انه مات بعد ايام رحمه الله ورضي عنه ولما حضرته الوفاة اجتمع اليه مواليه
فقيل له اعهد الى من رايت من اهل بيتك فجمع الناس وقال قد ضعفت عن
امركم ولم اجد مثل عمر بن الخطاب لاستخلفه ولا مثل اهل الشورى فانتم

لثلث

اولى بامركم فاختاروا من احببتم وقال والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف
اتقلد وزرها اللهم انى برى منها متخل عنها ثم دخل منزله وتغيب فيه
حتى مات رحمه الله تعالى ودفن بدمشق الى جانب ابيه وصلى عليه الوليد
ابن عتبة بن ابى سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن
فسقط ميتا قبل تمام الصلاة وزال الامر عن بنى حرب فلم يكن فيهم من
يرومها وصلى عليه مروان بن الحكم ولم يكن لمعاوية هذا عقب وكانت
خلافته ثلاثة اشهر وقيل اربعين يوما رحمه الله تعالى وكان نقش خاتمه
بالله نفس معاوية رجع الى خلافة عبد الله بن الزبير لما مات يزيد بن معاوية
بايع الناس بمكة عبد الله بن الزبير وكان مروان بن الحكم بالمدينة فقصد
المسير الى عبد الله بن الزبير ومبايعته ثم توجه مع بنى توجه من بنى امية
الى الشام وقيل ان ابن الزبير كتب الى عامله بالمدينة ان لا تترك بها من بنى
امية احدا ولو سار ابن الزبير مع الحصين الى الشام وصانع بنى امية ومروان
ابن الحكم لاستقر امره ولكن لا مرد لما قدره الله تعالى ولما بويع عبد الله
ابن الزبير بمكة كان عبيد الله بن زياد بالبصرة فهرب الى الشام وبايع اهل
البصرة ابن الزبير واجتمعت له العراق والحجاز واليمن وبعث الى مصر فبايعه
اهلها وبايع له فى الشام سرا الضحاك بن قيس وبايع له بحمص النعمان
ابن بشير الانصارى وبايع له بقنسرين زفر بن الحارث الكلابى وكاد يتم
له الامر بالكلية وكان عبد الله بن الزبير شجاعا كثير العبادة وكان به البخل
وضعف الراى ثم ارسل ابن الزبير المختار بن عبيد الى الكوفة ليستخرج له من
اهلها جندا فنزل ناحية منها وانضاف اليه جماعة من اهلها وابتنى
لنفسه دارا واتخذ بستانا انفق عليه اموالا عظيمة اخرجها من بيت
مال المسلمين وفرق الاموال على الناس تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير
ان يعيد له بما انفق من بيت المال فابى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار
طاعته وجحد بيعته وكتب الى على بن الحسين يعرفه انه يبايع ويبايع
له الناس ويظهر دعوته فابى على بن الحسين قبول ذلك فكتب المختار الى
محمد بن الحنفيه فى ذلك فاستشار ابن عباس فقال لا تفعل فاطاعه
واشتد امر المختار بالكوفة واتبع قتلة الحسين فقتلهم وقتل شمر بن
ذى جوشن الذى تولى قتل الحسين ثم قتل عمر بن سعد بن ابى وقاص صاحب
الجيش الذى قتلوا الحسين وهو الذى امر ان يداس صدر الحسين وظهره
بالخيل ثم ارسل الجنود لقتال عبيد الله بن زياد وكان قد استولى على الموصل
وقدم على الجيش ابرهيم بن الاشتر النخعى فاقتتلوا قتالا شديدا وهزمت
اصحاب بن زياد وقتل عبيد الله بن زياد قتله ابرهيم بن الاشتر فى المعركة
واخذ راسه واحرق جثته وانتقم الله تعالى للحسين رضى الله عنه بالمختار

وان لم تكن

وان لم تكن نية المختار جميلة فمال اهل الكوفة الى المختار واحبوه وشرع ابن
الزبير فى بناء الكعبة شرفها الله تعالى وكان ذلك فى سنة اربع وستين
وكانت حيطانها قد مالت من ضرب المنجنيق فهدمها وحفر اساسها واشهد
عنده سبعون رجلا من شيوخ قريش ان قريشا حين بنت الكعبة عجزت
نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة اذرع من اساس ابرهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام الذى اسسه هو واسمعيل عليهما السلام
فبناه عبد الله بن الزبير وزاد فيه السبعة اذرع وادخل الحجر فيها واعادها
على ما كانت عليه اولا وجعل لها بابين بابا يدخل منه وبابا يخرج منه فلم
يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج ابن الزبير وبعث الى عبد الملك بن مروان
يعلمه بما زاد ابن الزبير فامر عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه فى
زمن حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل
الحجاج ذلك ويأتى ذكر مقتل ابن الزبير وما فعله الحجاج فى البيت الحرام
فى ترجمة عبد الملك بن مروان ان شاء الله تعالى وخلاصة الامر بناء
الكعبة ان سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام بنى الكعبة وهو بيت
الله الحرام كما تقدم عند اسمه واسم ولده اسمعيل عليهما السلام فى
الباب السادس بعد مضى ماية سنة من عمر ابرهيم واستمر بناؤه نحو الفى
سنة وسبعماية سنة وخمسة وسبعين سنة الى ان هدمته قريش
فى سنة خمس وثلاثين من مولود رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنوه
كما تقدم فى السيرة الشريفة النبوية المحمديه وهو البناء الثانى واستمر
نحو اثنتين وثمانين سنة ثم هدمه الحصين واحرقه فى ايام يزيد بن
معاوية كما تقدم فى ترجمة يزيد المذكور وذلك فى سنة اربع وستين
من الهجرة ثم بناه عبد الله بن الزبير على قواعد ابرهيم وهو البناء الثالث
وسبب ذلك ان ابن خالته عايشة رضى الله عنها اخبرته ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الم تران قومك حين بنوا الكعبة اختصروا عن
قواعد ابرهيم فقلت يا رسول الله الا تردها على قواعد ابرهيم فقال
لولا حدثان قومك وفى رواية لولا ان قومك حديث عهدهم بكفر او قال
بجاهلية لانفقت كنز الكعبة فى سبيل الله ولجعلت بابها بالارض
ولادخلت فيها الحجر واستمر هذا البناء نحو تسع سنين ثم هدمه الحجاج
وقتل ابن الزبير فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ثم بناه الحجاج على ما كان
عليه فى حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو البناء الرابع وفى
تاريخ بن كثير ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان
بما زاده عبد الله بن الزبير فى الكعبة لما عمرها واعتقدوا ان ابن الزبير
انما صنع ذلك من تلقاء نفسه فامر عبد الملك بردها الى ما كانت عليه

فنقضوا الحايط الشامى يعنى الشمالى واخرجوا منه الحجر بكسر الحاء المهملة
ثم سدوا الحايط وردموا الاحجار فى جوف الكعبة فارتفع بابها الشرقى
وسدوا الغربى بالكلية كما هو مشاهد الى اليوم ثم لما بلغهم ان ابن الزبير
رضى الله عنه انما فعل هذا لما اخبرته خالته عايشة رضى الله عنها بالحديث
المتقدم ندموا على ما فعلوا وتاسفوا على ان لو كانوا تركوه وما توفى من ذلك
ثم لما كان زمان المهدى ابن المنصور استشار مالكا فى ردها على الصفة
التى بناها ابن الزبير فقال له انى اخشى ان يتخذها الملوك ملعبة يعنى
كلما جاء ملك بناها على الصفة التى يريد فاستبقوها على ما هى عليه
اليوم انتهى واول من كسا الكعبة وزرع النخل انوش بن شيث واول
من كساها الانطاع والبرود اسعد ابو كرب الحميرى وكان آمن بالنبى
صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ماية سنة وقال فى ذلك

سلامى على احمد انه ... رسول من الله بارى النسم
ولو مد عمرى الى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عم

واستمر بناؤها على ما هو عليه الى اخر سنة احدى وخمسين وتسعماية عمرها
الله الى يوم القيامة وكانت الكعبة تكسى القباطى ثم كسيت البرود
واول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف القباطى جمع قبطية بكسر
القاف وقد تضم وهى ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر خلافة
المؤتمن بالله مروان بن الحكم هو ابو عبد الملك مولده سنة اثنتين من
الهجرة واسلم ابوه الحكم عام الفتح ونفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الطايف ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم عثمان ابا بكر
فى رده لانه عمه فلم يفعل وكذلك سال عمر فلم يفعل فلما ولى عثمان رده
وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى ان يرده وتوفى الحكم
فى خلافة عثمان وكان مروان فصيحا ذميما كثير السفه فى اللفظ بويع
له فى خلافة ابن الزبير بعد ان افترق الناس فرقتين فرقة تهوى بنى
امية وفرقة تهوى ابن الزبير ووقع بينهما خلاف وجرت بينهم وقايع
وحروب ثم استقر امر الشام لمروان ودخلت مصر فى طاعته وفى سنة
خمس وستين امر مروان الناس بالبيعة لابنه عبد الملك ومن بعده
لاخيه عبد العزيز وفى هذه السنة مات بدمشق بالطاعون وكانت وفاته
فجاءة لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين وقيل ان زوجته
خنقته وقيل انها سمته وكانت مدة ولايته تسعة اشهر وثمانية
عشر يوما وعمره ثلاث وستون سنة نقش خاتمه الله ثقتى ورجائى
خلافة الموفق عبد الملك بن مروان هو ابو الوليد بويع له بالخلافة
فى ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين ووعد الناس يوم بويع خيرا

ودعام

ودعام الى احياء الكتاب والسنة وفى ايامه فى سنة ثلاث وسبعين كان
قتل عبد الله بن الزبير على ما ياتى وفى سنة سبع وسبعين امر عبد الملك
بضرب الدراهم والدنانير وهو اول من احدث ضربها فى الاسلام فانتفع الناس
بذلك وكان النقش عليها على الجانب الواحد الله احد وعلى الجانب الاخر
الله الصمد وكانت الدنانير والدراهم قبل ذلك رومية وكسروية وقد تقدم
فى الباب السادس ان اول من ضرب الدينار والدرهم آدم عليه السلام وكان
عبد الملك قبل ولايته مشهورا بالعلم والصدق والدين بحيث انه لما بويع له
بالخلافة وعد الناس خيرا فلما ولى الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك وكان
يحب الفخر والمدح فكثرت فى ايامه الشعرا وكان من فحول الشعرا به جرير والفرزدق
والاخطل ولما حضر عبد الملك الى بيت المقدس وامر ببناء القبة على الصخرة
الشريفة ارصد للعمارة مالا كثيرا يقال انه خراج مصر سبع سنين ووضعه
بالقبة الكاينة فى قبلة الارض المكتنوذ امام القبة من جهة الشرق وجعلها
حاصلا وهى من ناحية الزيتون ووكل على صرف المال فى عمارة المسجد والقبة
وما يحتاج اليه رجاء بن حيوة بن جرول الكندى وضم اليه رجلا يدعى
يزيد بن سلام ويقال لعبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها
للصناع وصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التى هى شرقى
قبة الصخرة التى يقال لها قبة السلسلة فاعجبه تكوينها وامر ببنائها
كهيئتها ثم ان رجاء اصرف المال فى ذلك فلما كمل وتم ارسل الى عبد الملك
يخبره انه فضل من المال مايتا الف دينار فاعاد الجواب عليه وعلى يزيد
هى لكما جايزة نظير ما حصل لكما من المشقة فكتبا اليه نحن اولى ان نبيع
حلى نسايننا فضلا عن اموالنا ونصرفه فى عمارة هذا المسجد الشريف وما
قبلا ذلك فامرهما ان يسبك ذلك الفاضل ويفرغ على ظاهر القبة ثم بعد
انتقال الخلافة الى الوليد انهدم بشرقى المسجد ولم يكن فى بيت المال لها حاصل
فامر بضرب ذلك وانفاقه على ما انهدم منه وكان ابتداء عمارة قبة الصخرة
فى سنة ست وستين فكملت فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وكان قد
منع عبد الملك الناس من الحج ليلا يميلوا الى ابن الزبير فانه كان اذ ذاك
هو الخليفة بالمدينة الشريفة وغيرها من الشرق وخراسان فضج الناس
فبعث رجاء ويزيد المذكورين لبناء ذلك وفرشت القبة بالرخام الملون
وغيره من البسط الملونة وعمل فيه صورة الصراط وباب الجنة وقدم
الرسول صلى الله عليه وسلم ووادى جهنم ليشغل الناس بذلك عن الحج
فكان ابن الزبير يشنع على عبد الملك بذلك ومن كلام عبد الملك ما ذكره
صاحب مرآة الزمان انه قال افضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد
عن قدره وانصف عن قوة انتهى ذكر وفاته قيل لسعيد بن المسيب ان عبد الملك

يقول قد صرت لا افرح بالحسنة اعملها ولا احزن على السيئة ارتكبها فقال
ابن المسيب الان تكامل موت قلبه فمات بعد ايام وقال رجل لابن سيرين
رايت كان موسى عليه السلام قد ظهر بالشام وبيده عصى فقال الله اكبر
مات والله فرعونها فجاء بعد ايام موت عبد الملك ودخل عليه رجل يعوده
فقال له كيف تجدك قال كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة ولم يسمع منه كلام بعدها وكان نقش خاتمه اومن بالله مخلصا
الى غير ذلك انه كان قد تقدم فى خلافة ابن الزبير ان المختار بن عبيد خرج
عن طاعة بن الزبير واقام بالكوفة وانه تتبع قتلة الحسين وقتلهم
وقتل عبيد الله بن زياد ثم ان المختار اقام بالعراق الى سنة سبع وستين
فبعث اليه بن الزبير اخاه مصعبا فقتل المختار وملك العراق الى سنة
احدى وسبعين فجهز عبد الملك الجيوش لمحاربة مصعب بن الزبير فتلاقوا
بدير الجاثليق فقتل مصعب وحملت راسه الى عبد الملك وقتل عبد الملك
عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وبعث عبد الملك الحجاج بن يوسف الى
حرب عبد الله بن الزبير بمكة فاتى الحجاج الطايف فاقام بها شهورا ثم زحف
على مكة فحاصر ابن الزبير فى هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين ودام
الحصار حتى غلت الاسعار واصاب الناس الجوع وزاد الحجاج الحصار والقتال
ورمى الكعبة بالمنجنيق فلما رماها به ارعدت السماء وابرقت فخاف اهل الشام
من ذلك فصاح الحجاج بالناس ان هذه صواعق تهامة وانا ابنها وقام
فرمى بنفسه فزاد ذلك حتى ان قعقعة الرعد يزيد على حس الحجارة وجاءت
صاعقة تتبعها اخرى فقتلت من اصحاب الحجاج اثنى عشر رجلا وزاد خوف
اهل الشام فقال الحجاج لاصحابه انهم مصيبهم ما اصابكم فلما اصبحوا
اصعقت السماء فقتل بعض اصحاب ابن الزبير فقال الحجاج لاصحابه الم اقل
لكم انه مصيبهم ما اصابكم وخرج ابن الزبير وقاتل قتالا شديدا وتكاثر
اهل الشام الوفا من كل باب فشدخوه بالحجارة فانصرع فاكتب عليه موليات
له فقتلوا جميعا وتفرق اصحابه فامر به الحجاج فصلب وكان ذلك يوم الثلث
لاربع عشر ليلة خلت من جمدى الاخرة سنة ثلاث وسبعين بعد قتال
سبعة اشهر ولما قتل ابن الزبير كبر اهل الشام لفرحهم بقتله وكان له من
العمر حين قتل نحو ثلاث وسبعين سنة وهو اول من ولد من المهاجرين
بعد الهجرة وكان كثير العبادة مكث اربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره
وبعد قتله بثلاثة اشهر توفى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما
وعمره سبع وثمانون سنة ولما صلب عبد الله بن الزبير علق الحجاج الى جانبه
كلبا ميتا ومنع والدته من دفنه وكان لها من العمر ماية سنة ثم كتب الحجاج
الى عبد الملك يخبره بصلبه فكتب اليه يلومه ويقول هلا خليت بينه وبين

امه فاذن لها الحجاج فدفنته وماتت بعده بقليل وهى اسما بنت ابى بكر الصديق
رضى الله عنه وكانت تدعى بذات النطاقين قال ابن خطيب الدهشة المنطق
والنطاق بكسرهما ما يشد به وسطك وسميت اسماء ذات النطاقين قيل
كانت ترفع نطاقا فوق نطاق ولانها شقت احدهما نصفين فاكتفت بنصفه
وربطت سفرة النبى صلى الله عليه وسلم بالنصف الاخر وجعلت نصفه
شدادا للسفرة والنصف الاخر عصاما للقربة ونقل ابو القاسم الطبرى
فى كرامات الاوليا عن ابن ابى مليكة قال كنت فيمن بشر اسما بنزول ابنها
عبد الله بن الزبير فدعت بمركن وشب يمانى فكنا لا نتناول منه عضوا
الا جا معنا فتغسله وتضعه فى اكفانه فتناولها العضو الذى يليه فتغسله
ثم تضعه فى اكفانه حتى فرغت منه ثم قامت فصلت عليه وكانت قبل
ذلك تقول اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى بجثته فما اتت عليها جمعة حتى
ماتت رضى الله عنها وعن ابيها وابنها وكان الحجاج ظالما سفاكا ختم
ايدى جماعة من الصالحين بالرصاص مستخفا بهم كما يفعل باهل الذمة
منهم جابر بن عبد الله وانس بن مالك وقتل سعيد بن جبير ولم يعش
بعده سوى شهر او شهرين وعدة من قتله الحجاج صبرا مايه الف
وعشرون الفا ومات وفى حبسه خمسون الف رجل وثلاثون الف امراة
وركب فى يوم جمعة فسمع ضجة المحبوسين فالتفت الى ناحيتهم وقال
اخسئوا فيها ولا تكلمون فما ركب بعدها ومات فى تلك الجمعه خلافة
المنتقم لله الوليد بن عبد الملك بويع له بالخلافة فى منتصف شوال
ست وثمانين يوم دفن ابيه بعهد منه والوليد هو الذى بنى الجامع
بدمشق قيل انه انفق عليه اربعماية صندوق فى كل صندوق ثمانية
وعشرون الف دينار وكان فيه عشرة الاف رجل فى كل يوم وكان فيه ستماية
سلسلة من الذهب فلم يستطع احد الصلاة فيه فرفعت فيه فى ايام عمر
ابن عبد العزيز وحطت فى بيت مال المسلمين وعوضت بالحديد وكان
فى جانب الجامع كنيسة قد سلمت للنصارى بسبب انها فى نصف البلد
الذى اخذ بالصلح وكانت تعرف بكنيسة ماريحنا فهدمها الوليد وادخلها
فى الجامع وكان بناوه فى سنة ثمان وثمانين من الهجرة والوليد اول من اتخذ
البيمارستانات للمرضى ودار الضيافة وبنى الاميال فى الطرقات ووضع
المنابر وولى ابن عمه عمر بن عبد العزيز المدينة فقدمها ونزل فى دار
مروان ودعا عشرة من فقهاء المدينة وهم عروة بن الزبير بن العوام
وعبيد الله بن عتبة بن مسعود وابو بكر بن عبد الرحمن وابو بكر بن سليمان
وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق وسالم بن عبد الله
ابن عمر بن الخطاب وعبيد الله بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة

ماريحنا

وخارجة بن زيد فقال لهم عمر بن عبد العزيز اريد ان لا اقطع امرا الا برايكم فما علمتم
من تعدى عامل او من ظلامة فعرفونى به تجزوه خيرا ثم فى سنه سبع
وثمانين كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز بامره بهدم مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهدم بيوت ازواجه رضى الله عنهن وان يدخل البيوت
فى المسجد بحيث تيصير مساحة المسجد ما يتى ذراع وان يضع اثمان البيوت
فى بيت المال فاجابوا اهل المدينة الى ذلك وقدمت الصناع والفعله
من عند الوليد لعمارة المسجد وتجرد لذلك عمر بن عبد العزيز وشيد
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وادخل فيه المنازل التى حوله
ومن الحوادث فى ايام الوليد ان الزلازل دامت اربعين يوما وشمل الهدم
الابنية وفى تاريخ الحافظ بن حجر المسمى بانبا الغمران فى عاشر شعبان
سنة احدى عشرة وثمانماية جاءت زلزلة عظيمة فى نواحى بلاد حلب وطرابلس
فخرب من اللاذقية وجبلة وبلاطنس اماكن عديدة وسقطت قلعة
بلاطنس فمات تحت الردم خمسة عشر نفسا وخربت شغر بكاس كلها وقلعتها
ومات جميع اهلها الا نحو خمسين نفسا وانشقت الارض وانقلبت قدر
بريد من بلد القصير الى سلقوم وهى بلد فوق جبل فانتقلت عنه
نحو ميل باشجارها واعينها واهلها ليلا ولم يشعروا بذلك وكانت
الزلزلة بقبرص فخربت منها اماكن كثيرة وكانت بالجبال والمناهل وشوهد
بلج على راس الجبل الاقرع وقد نزل البحر وطلع وبينه وبين البحر عشرة
فراسخ وذكر اهل البحر ان المركب فى البحر المالح وصلت على الارض الى ان انحسر
البحر ثم عاد الماء كما كان ولم يتضرر احد رجع وفى ايامه مات عبد الله
ابن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ومات انس بن مالك الانصارى
سنة تسعين وكان عمره ستا وتسعين سنة وقيل ماية وست سنين
وتوفى على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنهما سنة اربع وتسعين
وفى هذه السنة وقيل سنة خمس وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير
رضى الله عنه ضرب عنقه وكان من اعلام التابعين اخذ العلم عن عبد الله
ابن عباس وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما وعنه روى القرآن ابو عمرو
وقال احمد بن حنبل رضى الله عنه قتل الحجاج سعيد بن جُبَير وما على وجه
الارض احد الا هو مفتقر الى علمه ومات الحجاج بن يوسف فى شوال سنة
خمس وتسعين وله من العمر اربعة وخمسون سنة وقيل غير ذلك وكانت
ولايته للعراق عشرون سنة والوليد نقش خاتمه يا وليد انك ميت ومحاسب
خلافة المهدى بالله الداعى الى الله سليمان بن عبد الملك كان ابيض
طويلا فصيحا لَسِنًا اديبا حليما متوقفا عن الدماء شديدا فى بدنه
اكولا جميلا معجبا بنفسه شديد الشره فى النكاح بويع له يوم وفاة اخيه

بدمشق وهو غايب بالرملة فلما وصل اليه الخبر بعد سبعة ايام سار الى
دمشق ودخلها ثم صعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على النبى صلى
الله عليه وسلم ووعظ الناس ثم نزل واقر عمال من كان قبله على عملهم واحسن
السيرة ورد المظالم واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيرا وكان شرها فى الاكل
ياكل من الطعام كل يوم ماية رطل بالعراقى ويتناول فى ساعة واحدة اربعين
رقاقة مع عدة خرفان وكان نكاحه على قدر اكله وربما اتاه الطباخ بالسفافيد فيها
الدجاج المشويه فلنهمته يدخل يده فى كمه حتى يقبض على الدجاجة
وهى حارة فيفصلها وياكلها وفى ايامه كثرت الزلازل ودامت ستة
اشهر فهدمت القلاع والاماكن العالية وفى ايامه امر ببناء المقياس
بمصر وهو الذى يقاس به اليوم وفى ايامه توفى عبد الله بن عمرو بن عثمان
ابن عفان وكان قد عهد سليمان لولده ايوب وسبب ذلك انه كان جالسا
يوما عند ابيه فتنحى عنه فقال له ابوه ما لك قال خدرت رجلى فقال له ابوه
اذكر من تحب واذكر احب الناس اليك فقال صلى الله على محمد فقال سليمان
ان ابنى هذا ولى عهدى لعزة العهد ومات قبل ابيه سليمان ومرض سليمان
فعهد الى ابن عمه عمر بن عبد العزيز ثم مات رحمه الله تعالى بدابق من ارض
قنسرين وقيل كان سبب موته انه اتاه نصرانى وهو نازل على دابق بزنبيلين
مملوئين تينا اخضر وبيضا فامر من يقشر له البيض وجعل ياكل بيضة وتينة
حتى اتى على الزنبيلين ثم اتوه بمخ وسكر فاكله قال فى مراة الزمان وكان قد
اكل قبل ذلك نحو ثمانية وستين شهلوكة وهى عين البقر فاتخم ومرض ومات
وفى المرآة ان ابن ابى الدنيا قال نزل سليمان بمرج دابق من ارض قنسرين فنظر
فى المرآة يوما فاعجبته نفسه فقال انا الملك الشاب انا السلطان الوهاب
وكان جميلا وعليه حلة خضراء وعلى راسه وصيفه فلما قال انا الملك
الشاب حركت شفتيها فقال لها يا جارية كيف ترينى قالت قرة العين ومنى
النفس قال فما الذى حركت به شفتيك قالت قلت

انت نعم المتاع لو كنت تبقى   غير ان لا بقاء للانسان
انت خلو من العيوب ومما   يكره الناس غير انك فانى

ثم خرج الى الجمعة ليخطب بالناس فشرع فى الخطبة وصوته يسمع من اقصى
المسجد فطعن فلم يزل يضعف صوته حتى لم يسمعه القريب من المنبر ثم حمل الى
بيته فقال على بتلك الوصيفة التى كانت قايمة على راسه فجاءت فقال لها
اعيدى ما قلت قالت وما الذى قلته قال البيتين لقايلة انت نعم المتاع
لو كنت تبقى فقالت والله ما طرق سمعى هذا قط ولا رايتك منذ شهر فسال
القيمة على الجوار فقالت صدقت فارتاع وعلم ان نفسه قد نعيت اليه فما
عاش الا اسبوعا وكانت وفاته يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع

وتسعين فكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر الا خمسة ايام وكان عمره خمسا
واربعين سنة وقيل غير ذلك وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وترحم الناس عليه
لاستخلافه عمر بن عبد العزيز ولما دفن نزل عمر بن عبد العزيز في قبر سليمان
فلما سوى عليه اللبن اضطرب فقال ولد صغير لسليمان عاش والله ابي فقال
عمر بل عوجل ابوك وقد جرى مثل هذا للوليد بن عبد الملك فان عمر نزل في قبره
ومعه العباس بن الوليد وعبد العزيز بن الوليد فجمع الوليد رجليه الى صدره
قال عبد العزيز عاش امير المومنين فقال عمر كلا والله ولكنه عوجل وكان
نقش خاتم سليمان بن عبد الملك آمنت بالله مخلصا ومن شعره في حفظ الصاحب

ومن شيمتي ان لا افارق صاحبا … وان ملني الا سالت له رشدا
فان دام لي بالود دمت ولم اكن … كآخر لا يرعى ذماما ولا عهدا

خلافة المعصوم بالله امير المومنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الخليفة
الراشد والامام العادل هو ابو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن
ابي العاص بن امية بن عبد شمس القرشي الاموي التابعي باحسان اجمع الناس
على جلالته وفضله ووفور علمه وصلاحه وزهده وورعه وعدله وشفقته
على المسلمين وحسن سيرته فيهم وبذل وسعه في الاجتهاد في طاعة الله تعالى
وحرصه على تباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته
وسنة الخلفاء الراشدين والائمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون
ومناقبه اكثر من ان تذكر او تحصر وقد جمع له تاريخ لطيف وامه ام عاصم حفصة
بنت عاصم بن عمر بن الخطاب واسمها ليلى وفي مرآة الزمان ان رجاء قال سمعت
في الليلة التي ولد فيها عمر بن عبد العزيز منا ديا منادي بين السماء والارض
اتاكم الدين واللين والعمل الصالح قال فقلت من هو فكتب في الارض ع م ر وفي
كرامات الاوليا للطبري عن رباح بن عبيدة قال رايت رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز
معتمدا على يده فقلت في نفسي ان هذا الرجل جاف قال فلما انصرف من الصلاة
قلت من الرجل الذي كان معتمدا على يدك انفا قال فهل رايته يا رباح قلت نعم قال
ما احسبك الا رجلا صالحا ذاك اخي الخضر بشرني اني سالي واعدل بويع له
بالخلافة حين مات سليمان بن عبد الملك وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر
نحو خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فملأ الارض قسطا وعدلا وسن
السنن الحسنة واماتت الطرق السيئة وفي سنا الامارة انه لما ولي وفدت
عليه الوفود وورد عليه وفد من قيس فلما دخلوا عليه قال ليتقدم اسنكم فيذكر
حاجتكم فقام صبي من بين الجماعة فقال عمر ليتقدم اسن منه فقال يا امير المومنين
ليس الاعتبار بكبر السن والله تعالى يقول وآتيناه الحكم صبيا فقال تكلم بحاجتك
فقال يا امير المومنين نحن وفود الشكر لا الله لا وفود رهبة ولا رغبة فاما الرهبة
فقد اطعت الله فلا نخافك ولا نخوف منه واما الرغبة فقد كانت معادلك الى

ديارنا فجيناك شاكرين لا نعان ومن اعظم حسناته ابطال سب علي بن ابي طالب
رضي الله عنه على المنابر فان خلفاء بني امية كانوا يسبونه من سنة احدى واربعين
وهي السنة التي خلع الحسن فيها نفسه من الخلافة الى اول سنة تسع وتسعين
آخر ايام سليمان بن عبد الملك فلما ولي عمر ابطل ذلك وكتب الى نوابه بابطاله ولما
خطب يوم الجمعة ابدل السب في آخر الخطبة بقراءة قوله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم
تذكرون فلم يسب بعد ذلك علي رضي الله عنه واستمر الخطباء على قراءة هذه
الاية ومدحه كثير بن عبد الرحمن الخزاعي فقال

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف … بريا ولم تتبع سجية مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي … فعلت فاضحى راضيا كل مسلم

ومن الحكايات اللطيفة ما ذكره صاحب مرآة الزمان عن احمد العجلي قال كان
محمد اخو الحجاج يسب عليا رضي الله عنه ويامر بذلك فاخذ محمد المذكور حجر المدني
وكان صالحا فاقامه عند المنبر وقال له سب ابا تراب فقال حجر ان الامير محمدا امرني
ان اسب عليا فالعنوه لعنه الله فتفرق الناس على ذلك ولم يفهمها الا رجل واحد
وهو ان حجرا عنى باللعن اخا الحجاج بكونه قدم اسمه اولا وقال سفيان الثوري
الخلفاء خمسة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز قلت واراد سفيان
والله اعلم بالخلفاء المجمع على خلافتهم من غير منازع لهم فيها ولهذا اسقط الحسن
رضي الله عنه وقال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه يروى في الحديث ان الله تعالى
يبعث على راس كل مائة عام من يصحح لهذه الامة دينها فنظرنا في المائة الاولى فاذا
هو عمر بن عبد العزيز وكان رضي الله عنه اسمر نحيفا حسن الوجه واللحية في وجهه
شجة يقال له اشج بني امية ضربته دابة في وجهه وكان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يقول من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الارض عدلا ولما ولي اتوه بمراكب الخلافة
فقال دابتي ارفق وركب دابته وصرف تلك الدواب ولبس ثياب الصوف
والقطن وصرف عمال من كان قبله من بني امية وولى اصلح من قدر عليه فسلك
عماله طريقته وكان يرد المظالم الى اهلها وامر بوضع المكس من كل ارض وكان
يغسل ثيابه فما يخرج حتى تنشف لانه لم يكن له غيرها وما احدث بناء منذ ولي
وفي ايامه كتب ملك الهند اليه ماصورته من ملك الهند والسند ملك الاملاك
الذي هو ابن الف ملك وتحته ابنة الف ملك والذي من مملكته نهران ينبتان
العود والكافور واللولو التي يوجد ريحها من اثني عشر فرسخا والذي في مربطه
الف فيل وتحت يده الف ملك الى ملك العرب اما بعد فان الله قد هداني
للاسلام فابعث الي رجلا يعلمني القرآن وشرائع الاسلام وقد اهديت لك
هدية من المسك والعنبر والند والكافور فاقبلها فانما انا اخوك في الاسلام
والسلام وكانت فاطمة بنت الحسن رضي الله عنها تثني على عمر بن عبد العزيز وتقول

لو كان مثل عمر بن عبد العزيز ما احتجنا بعده الى احد وكان رضي الله عنه محمود السيرة
ولم يكن بعد الخلفاء الاربعة الى ايامه مثله وكان قد قسم عمره على ثلاثة اقسام
فيوم للقضاء ويوم لاهله ويوم لحوايج الناس والليل للعبادة وكان اذا جنه
الليل لبس جبة صوف ووضع الغل في عنقه والقيد في رجله ونادى يا رب
هذا عذاب الدنيا فكيف عذاب الاخرة وفضايله غير محصورة وقالت زوجته بتنا
معه ليلة في مرض موته فلما اصبحنا امرت وصيفا لنا يسمى مرثدا ان يكون عنده
فان كانت له حاجة قضاها له وخرجنا فلما كان الفجر توجهنا اليه فرايت مرثدا
خارجا من عنده فقلت ما اخرجك قال هو اخرجني وقال اني ارى شيئا ما هو بانس
ولا جان وسمعته يقرا تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين فدخلت عليه فوجدته قد مات بعد ان
وجه نفسه الى القبلة رحمه الله وكان مرضه الذي مات فيه عشرين يوما وقيل
له من توصي باهلك فقال ان وليي فيهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
وفي نوادر الاخبار انه لما حضرته الوفاة دعا بنيه وكانوا احد عشر ابنا وكان
عنده مسلمة بن عبد الملك واحضروا لعمر بن عبد العزيز احد عشر دينارا ونصف
دينار فامر ان يكفن ويشترى له مكان يدفن فيه بخمسة دنانير ويقسم الباقي
على بنيه وقال والله يا بني ليس لي مال فاوصي لكم به ولكني ما تركت لاحد عليكم
حلقة ولا تبعة ولا يطالبكم بثار ولا يدخل في مال ولا عرض ولا دم والله الخليفة
عليكم فقال له مسلمة او خير من ذلك يا امير المؤمنين قال وما هو قال تاخذ من مالي
ثلثماية الف دينار فتقسمها بينهم فقال عمر رضي الله عنه او خير من ذلك قال ما هو
يا امير المؤمنين قال ترد المال على من اخذ منه فانه ليس يملكك قال فبكى مسلمة
عند ذلك فقيل ما وجد احد من اولاد ابن عبد العزيز الا وهو غني ولقد شوهد
احدهم وقد جهز في سبيل الله ماية فارس على ماية فرس من خالص ماله ولما حضرت
مسلمة بن عبد الملك الوفاة اوصى لاخيه هشام ما ترك احد عشر ولدا اصاب كل واحد
منهم من تركته الف الف دينار فقيل انه ما روي احد منهم الا وهو فقير ولقد
شوهد بعضهم يعمل في قرن الحمام بعد ذلك بسبع سنين وكانت وفاته بدير سمعان
من اعمال حمص يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى وماية وقبره هناك
يزار ويتبرك به وهو قريب من معرة النعمان ولم يعرض له كاعرضهم على قبور بني امية
وكان موته بالسم عند اكثر النقل فان بني امية علموا انه اذا امتدت ايامه اخرج الامر
من ايديهم وانه لا يعهد بعده الا لمن يصلح للامر فعاجلوه اقول بل عاجلوه لبغضهم
اياه لابطاله سب علي رضي الله عنه واجماع الناس على ذلك وكان مولده بمصر
على ما قيل سنة احدى وستين وكان عمره اربعين سنة وشهرا وكان متحريا
سيرة الخلفاء الراشدين واوصى ان يدفن معه شي كان عنده من شعر النبي
صلى الله عليه وسلم واظفار من اظفاره وقال اذا مت فاجعلوه في كفني ففعلوا

ذلك وعن يوسف بن ماهك قال بينا نحن نسوي التراب على قبره اذ سقط علينا
رق من السماء فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم امان من الله لعمر بن عبد العزيز
من النار رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة ماواه ومثواه وكانت اولاده
اربعة عشر ولدا ذكرا منهم عبد الملك الولد الصالح كان من اعبد الناس وازهدهم
توفي في خلافة ابيه وهو ابن سبعة عشر سنة وستة اشهر وكان احد المشيرين
على ابيه بمصالح الرعية المعينين له على الاهتمام بمصالح الناس وكان وزير اصلاح
وبطانة خير وكان ابر الناس في عصره بوالده ودخل عليه ابوه في مرضه
فقال له يا بني كيف تجدك قال يا ابت اجدني في الحق قال يا بني لان تكون في ميزاني
احب الي من ان اكون في ميزانك فقال له ابنه يا ابت لان يكون ما تحب احب الي
من ان يكون ما احب فمات في مرضه ذلك رحمه الله تعالى وفي مرآة الزمان
ان سبب زهد عمر بن عبد العزيز في الدنيا واقباله على الاخرة ان بعض عبيده
جنى جناية فامر به فبطح ليضربه فقال له يا مولاي هل جنيت جناية غضب بها عليك
مولاك قال نعم قال فهل عاجلك بالعقوبة فانتبه عمر وقال اطلقوه انت حر لوجه
الله وفي مرآة الزمان ان عمر بن عبد العزيز لم يمتل من طعام من يوم ولي حتى مات
ووضع المكس من كل ارض واباح الاحماء كلها الا البقيع وبنى الخانات بطريق
خراسان وكان اذا جلس ليلا يقضي حوايج الناس يامر بشمعة من بيت المال فاذا
شرع في حاجة نفسه طفاها واراد ان لا يدخل الرجال الى الحمام الا بمئزر ولا يدخله
النساء وكان يخرج الى العيد ماشيا ويقول لا تركبوا الى الجمعة والعيدين وكان
يبدا بتكبير التشريق من صلوة الظهر يوم عرفة الى صلاة العصر من ايام التشريق
قال وكان اذا صعد المنبر في العيد يسلم وجاء ربيعة السعودي في البريد
قال ربيعة فانقطع بي البريد في ارض الشام فركبت على دواب السخرة واتيته
فقال ما فعل بجناح المسلمين قلت وما جناح المسلمين قال البريد قلت انقطع
في ارض كذا وكذا قال فعلى اي شي جيتنا قلت على دواب السخرة قال لا تسخر في
سلطاني قال فامر بي فضربت اربعين سوطا واشتهى تفاحا فاهدي اليه طبق
فيه تفاح فتناول منه واحدة فشمها ثم وضعها واعادها الى الطبق فقيل
اشتهيت التفاح فلما اهدي اليك رددته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر يقبلون الهدية فقال لا حاجة لي فيه انه وان كانت لهم هدايا
وهي للعمال بعدهم رشوة وكتب الى عدي بن ارطاة اما بعد فانظر الى اهل الذمة
وارفق بهم واذا كبر احدهم وليس له مال فانفق عليه فان كان له حميم فامره بالانفاق
عليه وقاصصه من خراجه كما لو كان لك عبد فكبرت سنه لم يكن لك بد ان تنفق عليه
حتى يموت او يعتق وكتب اليه بلغني انك تاخذ من الخمر العشور فتلقيه في بيت المال
او بيت مال الله فاياك ان تدخل بيت مال الله الا طيبا والسلام وحكى راع كان يرعى
الشاة والذئاب والوحش ترعى في موضع واحد فبينما نحن ذات ليلة اذ اعرض

الذيب لشاة فقلنا ما نرى الملك الصالح الا قد هلك فنظروا فاذا عمر قد مات في تلك الليلة وكان يتمثل دايما بابيات عبد الله بن عبد الاعلا الشيباني وهي

ايقظان انت اليوم ام انت نايم   وكيف يطيق النوم حيران هايم
فلو كنت يقظان الغداة لقطعت   مدامع عينيك الدموع السواجم
بل اصبحت في النوم الطويل وقد دنت   اليك امور مفظعات عظايم
نهارك يا مغرور نوم وغفلة   وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتشغل بالمنى   كما غر باللذات في النوم حالم
فحتى متى العيش انت ناعس   وشانك دنيا الدهر وعد قايم
ولا تجعل الدنيا قرارا ومسكنا   فتخصم يوم الحشر حين تخاصم
فلا انت في الايقاظ يقظان حازم   ولا انت في النوام ناج فسالم
وتكدح فيما سوف تكره غبه   كذلك في الدنيا تعيش البهايم

وعاهد الله ان لا يضع لبنة على لبنة وقال يزيد بن حوشب ما رايت اخوف لله من الحسن وعمر بن عبد العزيز كان النار لم تخلق الا لهما انتهى ببعض ما في مراة الزمان ملخصا وذكر ابن خلكان ان رجا بن حيوة كان من العلماء وكان يجالس عمر بن عبد العزيز قال فبت عنده ليلة فهم السراج ان ينطفى فاردت ان اقوم لاسرجه فقال لا فقم وقام هو اليه فاصلحه وقال اصلحته فقلت تقوم انت يا امير المومنين فقال قمت وانا عمر بن عبد العزيز ورجعت وانا عمر بن عبد العزيز وقال قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثنى عشر درهما وكانت قبا وعمامة وقميصا وسراويل ورداو وخفين وقلنسوه رضي الله عنه وفي سنة اثنتين ومائة الف لله تاريخ بحسن سيرته رضي وكان نقش خاتم عمر بن عبد العزيز مومن بالله مخلصا خلافة القادر بصنع الله يزيد بن عبد الملك هو ابو خالد وامه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بويع له بالخلافة لما مات عمر بن عبد العزيز في رجب سنة احدى ومائة بعهد من اخيه سليمان اليه بعد عمر بن عبد العزيز وفي ايامه خرج يزيد بن المهلب بن ابي صفرة في جمع كثير فارسل اليه اخاه مسلمة فقتل ابن المهلب وجميع آل المهلب وكانوا مشهورين بالكرم والشجاعة وفيهم يقول الشاعر

نزلت على آل المهلب شاتيا   بعيدا من الاخوان في الزمن المحل
فما زال بي معروفهم وافتقادهم   وبرهم حتى حسبتهم اهلي

وفي سنة اثنتين ومائة مات عبيد الله بن عتبة بن مسعود واحد الفقهاء السبعة بالمدينة وهو ابن اخي عبد الله بن مسعود الصحابي وهولاء السبعة هم الذين انتشر عنهم الفقه ويقال ان من كتب اسماوهم في ورقة او خزف ووضع ذلك في الغلة فلا تاكلها السوسة وقد نظم بعض الفضلا اسماءهم

فقال الا كل من لا يقتدي بايمة   فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم   سعيد سليمان ابو بكر خارجه

ولنذكرهم

ولنذكرهم على ترتيبهم في النظم فاولهم عبيد الله بن عتبة المذكور وكان من اعلام التابعين ولقي خلقا كثيرا من الصحابة الثاني عروة بن الزبير بن عوام ابن خويلد القرشي وابوه احد العشرة المشهود لهم بالجنة وامه اسما بنت ابي بكر الصديق ذات النطاقين وهو شقيق عبد الله بن الزبير الذي ولي الخلافة وتوفي عروة في سنة ثلاث وتسعين وقيل اربع وتسعين للهجرة وكان مولده سنة اثنتين وعشرين الثالث قاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من افضل اهل زمانه وابوه محمد الذي قتل بمصر الرابع سعيد بن المسيب القرشي جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر وتوفي في سنة احدى وقيل ثلاث وقيل اربع وقيل خمس وتسعين الخامس سليمان بن سلمة وتوفي سنة سبع ومائة وقيل غير ذلك وعمره ثلاث وسبعون سنة السادس ابو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي وكنيته اسمه كان من سادات التابعين ويسمى راهب قريش وابوه الحارث وهو اخو ابو جهل بن هشام وتوفي ابو بكر المذكور في سنة اربع وتسعين للهجرة وولد في خلافة عمر بن الخطاب السابع خارجه بن زيد ابن ثابت الانصاري وابوه زيد من اكابر الصحابة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه افرضكم زيد وتوفي خارجة في سنة تسع وتسعين للهجرة وقيل سنة مائة بالمدينة وادرك زمن عثمان بن عفان وكان في زمن هولاء السبعة من هو في طبقتهم في الفضيلة ولم يذكر معهم مثل سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب وغيره وتوفي سالم المذكور في سنة ست ومائة وقيل غير ذلك وكان من اعلام التابعين عود وكان يزيد بن عبد الملك شديد الكبر والعجب صاحب لهو وشراب ولم يشتهر احد من الخلفاء باللهو كاشتهاره وهو اول من استخف بالمملكة باذن للندماء في الكلام والضحك واللهو في مجلسه والرد عليه وهو اول من شتم في وجهه من الخلفاء على سبيل الهزل ومات بحوران وقيل بالبلقاء من ارض دمشق وقيل غير ذلك قلت قال الحافظ مغلطاي ولا نعرف من الخلفاء من مات عشقا سواه بسبب موت حبابة مولاته قبله بايام وكانت مغالبة عليه في الولاية والعزل انتهى وقصة موته على ما في المختار من نوادر الاخبار انه اشترى حبابة بماية الف درهم واشترى سلامة بعشرة الاف دينار وكان حبه لحبابة اشد من حب سلامة ولما اجتمعتا عنده انشا يقول

والقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عينا بالاياب المسافر

وكان يقيم الشهر والشهرين والثلاثة خاليا بهما معتكفا عليهما قد اهدر امر الرعية لا يراه احد من رعيته ولا من خواصه ولا اخوه مسلمة ولما طال عليه ذلك دخل عليه مسلمة فاكثر عليه لومه وعتبه وقال له يا امير المومنين يقف ببابك وفود الناس واشراف العرب فلا يوذن لهم ولا تخرج عليهم وانت قريب عهد

من عمر بن عبد العزيز وقد علمت طيب ذكره وجميل اثره وحسن سيرته فقال له
يزيد ارجو ان لا تعاتبني على مثل هذا بعد اليوم فلما خرج مسلمة من عنده استلقى
يزيد على فراشه متفكرا ودخلت عليه حبابه فاعرض عنها فقالت ما بالك
يا امير المؤمنين فاخبرها بمقالة اخيه فقالت متعني منك بمجلس واحد وافعل
ما شئت قال لك صبوح غد فلما اصبح امر بالطعام والشراب فلما اخذ منه الشراب
غنته حبابه تقول

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجرا من جامد الصخر جلمدا
واني لاهواها واهوى لقاءها ... كما يشتهي الصادي الشراب المبردا

وغنت سلامه

كريم قريش حين ينسب والذي ... اقرت له بالفضل كهلا وامردا
اهان تلاد المال بالجود انه ... امام هدى يجري على ما تعودا

ويحك يا سلامه من كريم قريش قالت انت يا امير المؤمنين قال صدقت قاتل الله
اخي ولعن رايه وقام يرقص ويقول واطرباه والكرب مطروب وكان الفرح
يستخفه والشراب فياخذ وسادة فيجعلها على راسه ويدور في البيت ويرقص
ويقول السمك طري عند البقال بدرهم اربعة ارطال ويشق الحلة التي كانت
عليه وكانت الحلة تقوم في الطراز بالفي دينار واصبح خاليا باللذات مقبلا على
لهوه وشرابه وحبابه تغنيه وهو يقول لا تطلعوني على امر من الامور وما برح
على ذلك الى ان تناولت حبابة حبة رمان فشرقت بها فماتت فجزع عليها جزعا
شديدا ومكث ثلاثة ايام لا يدفنها حتى جافت وهو يضمها ويرشفها فكلمه جماعة
من اهله وقالوا له اتق الله تعالى في نفسك وادفن هذه الجيفة فاكرامها دفنها
فلما كان بعد خمسة ايام غلبه الشوق اليها والوحشة لها فامر بنبشها فنبشت وكشف
التراب عنها فاذا هي قد تغيرت تغيرا قبيحا وتقطعت فعوتب في ذلك فقال
ما رايتها قط احسن من اليوم فدخل عليه اخوه وقال والله لئن بلغ اهل الشام
خبرك ليقولن انك خولطت في عقلك وليخلعنك الناس وانت اعلم فامر بدفنها
فدفنت ولزم فراشه فما لبث بعدها بسوى سبع عشرة ليلة ودفن الى جانبها
وحبابه لقب لها واسمها عالية وفي مرآة الزمان عن الاصمعي ان يزيد المذكور بعد
موت حبابه دخل الى خزائنها ومقاصيرها فطاف فيها ومعه جارية من جواريها
فترنمت وقالت

كفى حزنا بالواله الصب ان يرى ... منازل من يهوى معطلة قفرا

فغشي عليه ثم حمل الى قبرها فاقام ثلاثا لا ياكل ولا يشرب فلما كان في اليوم الرابع
وجدوه ساجدا عندها ميتا وقيل انه اشترى حبابه في ايام ابيه ولم يرض ابوه
بذلك فباعها خوفا منه فلما ولي الخلافة سالت زوجته فاطمة ام البنين بنت عبد العزيز
عن حبابه وارسلت اشترتها بجملة من المال واحضرتها الى الشام ولم تعلم زوجها يزيد

بذلك

بذلك ثم انها اصلحت شانها وضربت لها سترا في مجلس الشعر وامرتها ان تغني غناء
كان يحبه يزيد منها فلما سمعها صاح حبابه فقالت نعم فقالت زوجته يا امير المؤمنين
اني ارسلت اشتريتها واحضرتها بمحبة لها فشكرها على ذلك وازدادت محبته لها
وقالت زوجته ام البنين حتى انها نست غيرة الى الجنايه فلم يقبل فيها وذلك
ما روي في مصارع العشاق عن هشام بن محمد بن السايب انه قال كانت عند يزيد
ابن عبد الملك ام البنين بنت عبد العزيز وكان لها من قلبه موضع قال فقدم عليه
من ناحية مصر بجوهر له قدر وقيمة قال فدعا خصيا له فقال اذهب بهذا الى
ام البنين وقل لها انه اتيت به الآن فبعثت به اليك قال فاتاها الخادم بذلك
فوجد عندها وضاح اليمن وكان من اجمل العرب واحسنهم وجها فعشقته
فادخلته عليها فكان يكون عندها فاذا احست بدخول يزيد عليها ادخلته في
صندوق من صناديقها فلما رات الغلام قد اقبل ادخلته الصندوق فرآه الغلام
وراى الصندوق الذي دخل فيه فوضع الجوهر بين يديها وابلغها رسالة يزيد
ثم قال يا سيدتي هبي لي منه لؤلؤة قالت لا احب لك ولا كرامة فغضب وجاء الى
مولاه فقال يا امير المؤمنين اني دخلت عليها وعندها رجل فلما راتني ادخلته
صندوقا وهو في الصندوق الذي من صفته كذا وكذا وهو الثالث او الرابع فقال
له يزيد كذبت جوا عنقه فوجوا عنقه ونحوه عنه قال فامهل قليلا ثم قام فلبس
نعله ودخل على ام البنين وهي تمتشط في خزانتها فجاء حتى جلس على الصندوق
الذي وصفه له الخادم فقال يا ام البنين ما احب اليك هذا البيت قالت يا امير
المؤمنين ادخله لحاجتي وفيه خزانتي فما اردت من شيء اخذته من قرب فما في
هذه الصناديق التي اراها قالت حليتي واثاثي قال فهبي لي منه صندوقا قالت
كلها يا امير المؤمنين لك قال لا اريد الا واحدا وعلي ان اعطيك زنته وزنة
ما فيه ذهبا قالت فخذ ما شئت قال هذا الذي تحتي قالت يا امير المؤمنين خذ
عن هذا وخذ غيره فان لي فيه شيئا يقع لمحبتي قال ما اريد غيره قالت هو لك
قال فاخذه ودعا الفراشين فحملوا الصندوق فمضى به الى مجلسه وجلس ولم
يفتحه ولم ينظر ما فيه فلما جنه الليل دعا غلاما له اعجميا فقال له استاجر
اجراء غرباء ليسوا من اهل المصر فجاء بهم فامرهم فحفروا له حفيرة في مجلسه حتى
بلغوا الماء ثم قال قدموا الى الصندوق فالقي في الحفيرة ثم وضع فمه على شفيره
فقال له يا هذا قد بلغنا عنك خبر فان يك حقا فقد قطعنا اثره وان يك باطلا
فانما دفنا خشبا ثم اهالوا عليه التراب حتى استوى فلم ير وضاح اليمن حتى الساعة
قال فلا والله ما بان لها في وجهه ولا في خلائقه شيء حتى فرق الموت بينهما وفي
مرآة الزمان ان ام البنين كانت صالحة عفيفة دينة متصدقة وكانت تقول
اف للبخل لو كان قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وكانت تقول لكل قوم
نهمة في شيء ونهمتي في العطا والصلة والله ان البذل والمواساة احب الي من

الطعام الطيب على الجوع ومن الشراب البارد على الظما، وقالت ما حسدت احدا على
شي الا ان يكون في معروف فاني كنت احب ان اشركه فيه ودخلت عليها عزة
ذات يوم فقالت لها يا عزة ارايتك ان سالتك عن شي هل تصدقيني قالت
نعم قالت ما عنى كثير بقوله

قضى كل ذي دين فوفى غريمه　　وعزة ممطول معنى غريمها

فضحكت وقالت قد اكذب امي ان رايت ان تعفيني فقال لا اعفيك بل اعزم
عليك فقالت كنت وعدته بقبلة قالت انجزيها له وعلي اثمها ثم ندمت على
قولها وعلى اثمها فاعتقت بهذه الكلمة اربعين رقبة وكانت اذا ذكرتها بكت
وتقول يا ليتني خرست ولم اتكلم بها وكانت مجتهدة في العبادة تحيي ليلها وتصوم
نهارها وكانت على مذهب جميل الى ان توفيت رحمها الله تعالى وهي صاحبة وضاح
اليمن انتهى ما نبهنا رجع وكان اخوه هشام بالرصافة في دويرة له صغيرة فاتاه
البريد بالعصا والخاتم وسلم عليه بالخلافة فسار حتى اتى دمشق وولي الخلافة

خلافة المنصور هشام بن عبد الملك بن مروان هو ابو الوليد وكان ابيض
مشربا بصفرة احول يخضب بالسواد بويع له بعد اخيه يزيد بعهده له لخمس
بقين من شعبان سنة خمس ومائة وعمره اربع وثلاثون سنة واشهر وكان
اعظم ملك في بني امية دانت له البلاد وادت اليه الامم الجزية وكانت له سياسة
حسنة يباشر الامور بنفسه غير انه كان فظا غليظا كثير البخل كوالده وكان
يقف على القصاب فيساله عن اللحم وسعره وراى رجلا كما بدرهم فقال احسنت
اكثر مره هذا اشرف وكان له من الطراز والستور والكسوة ما لم يكن لاحد من قبله
ولما حج حملت ثياب بدنه على ستماية جمل وقال في مراة الزمان كان طرازه وثيابه تحمل
على تسعماية جمل ومعناه خزائنه لا ملبوس بدنه انتهى وكان قليل المعروف جدا لم ير
الناس زمانا اشد من زمانه وكان احول فعرض الجند يوما فمر به رجل من اهل
حمص وهو على فرس نفور فقال له هشام ما حملك على ان ترتبط فرسا نفورا فقال
الحمصي لا والله يا امير المومنين ما هو نفور ولكن نظر حولتك فظن انك غزوان
النصراني البيطار بحمص فنفر فقال هشام تنح فعليك وعلى فرسك لعنة الله
وخرج يوما فلقي اعور فتشام به وامر بضربه فقال الاعور ان الاعور شومه على نفسه
والاحول شومه على الناس فاستحى منه واطلقه وخرج يوما وهو كئيب فركب دابته
وسار ساعة ومعه الابرش الكلبي فقال له الابرش يا امير المومنين مالي اراك
مغموما قال وكيف لا اغتم وقد زعم اهل العلم اني ميت بعد ثلثة وثلاثين يوما فلما
انقضت المدة حتى مات بالرصافة وهو الذي بنى الرصافة واختارها واليه
تنسب فيقال رصافة هشام وكانت مدينة رومية ثم خربت وهي صحيحة
الهوا قال الخرايطي في كتابه اعتلال القلوب ان هشاما لم يقل شعرا غير قوله

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى　　الى كل ما فيه عليك مقال

ولما

ولما مات لم يوجد ما يكفن فيه ولا ما يسخن فيه الماء لان عياضا كاتب الوليد
ختم على موجوده للوليد فاستعار واله من الجيران قمقما لتسخين الماء وكان
الف تكة للسراويلات وسبعماية سراويلات وعشرة الاف قميص فكفنه خادم
له من ماله وهذه موعظة لمن يتعظ ويتبصر وفي ايامه قتل زيد بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وسبب قتله انه لما وفد على هشام
المذكور الى الشام بلغ هشام حسن خلق زيد وحلاوة كلامه فاشتد عليه ذلك
فشكى ذلك الى مولى له فقال له ايذن للناس اذنا عاما واحجب زيدا ثم ايذن له
في اخر الناس فاذا دخل عليك فسلم فلا ترد عليه ولا تامره بالجلوس فاذا راى
ذلك اهل الشام سقط من اعينهم ففعل ذلك هشام فلما دخل زيد عليه اخر
الناس فقال السلام عليك يا امير المومنين فلم يرد فقال السلام عليك يا احول
اذ لم تر نفسك اهلا لهذا الاسم فقال له هشام انت الطامع في الخلافة وامك
امة فقال ان لكلامك جوابا قال وما جوابك قال لو كان في ام الولد تقصير
لما بعث الله اسمعيل نبيا وامه هاجر فالخلافة اعظم ام النبوة فافحم هشام فلما
خرج قال لجلسايه انتم القايلون ان رجالات هاشم هلكت والله ما هلك قوم هذا
منهم فرده وقال يا زيد ما كانت امك تصنع بالزوج ولها ابن مثلك قال تريد
الاخر مثلي قال ادفع الي حوايجك فقال اما وانت الناظر في امور المسلمين فلا حاجة
لي ثم قام فخرج ثم حلف ان لا يلقى هشاما ولا يساله صفرا ولا بيضا فخرج في
اربعة الاف بالكوفة فاحتال عليه بعض من كان يهوى هشاما فدخلوا عليه
فقالوا ما تقول في ابي بكر وعمر فقال رحم الله ابا بكر　　لعمر ظاهرها وعمر صاحبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اين كنتم قبل اليوم قالوا اما تخرج معنا وتتبرا
منهما قال لا افعل هذا انما عدل فتفرقوا عنه وبعث هشام اليه فقتلوه ولما
صلبوه جعلوا وجهه الى ناحية الفرات فاصبح وقد دارت خشبته نحو القبلة
ففعلوا به ذلك مرارا وعمدت عنكبوت فنسجت على عورته وكانوا صلبوه عريانا
وقال المتوكل بخشبته رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وقد وقف على الخشبة
وقال هكذا تصنعون بولدي من بعدي يا بني يا زيد قتلوك قتلهم الله كذا في
تاريخ لابن العديم وفي زمانه يعني هشام في سنة تسع عشرة ومائة توفي حبيب
العجمي التابعي رضي الله عنه وكان سبب اقباله على الاجل وانتقاله عن العاجلة
انه حضر مجلس الحسن البصري فوقعت موعظته في قلبه فخرج عما كان فيه ثقة بالله
ومكتفيا بضمانه فتصدق بعشرة الاف درهم اول النهار وقال يا رب قد اشتريت
نفسي منك بهذه ثم اتبعها بعشرة الاف اخرى وقال هذه شكرا لما وفقتني له ثم
اخرج عشرة الاف اخرى وقال يا رب ان لم تقبل الاولى والثانية فاقبل مني هذه ثم
تصدق بعشرة الاف اخرى ثم قال يا رب ان قبلت مني الثالثة فهي شكر لها ومر
حبيب يوما بمصلوب فوقف عليه وقال بابي ذلك اللسان الذي كنت تقول به لا اله

الا الله

اللهم هب لي ذنبه وكان قد صلب ووجهه الى الشرق فاصبحت خشبته قد
استدارت الى القبلة وكان خاتمه الحكم للحكيم الجليم **خلافة المكتفي بالله الوليد**
ابن يزيد بن عبد الملك هو ابو العباس كان مقيما في البرية بالازرق خوفا من
هشام وكان في اسوا حال في ذلك الموضع ولما اشتد به الضيق اتاه الفرج بموت
عمه بعد ان جاوز الاربعين ولم يل الخلافة من ولد عبد الملك اكبر منه وكان
شاعرا فصيحا يجيد الركوب الخيل وكان مصروف الهمة الى الشرب واللهو والطرب
وفي ايامه ظهر يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
بخراسان منكرا للظالم وما عم الناس من الجور فبعث اليه الوليد نصر بن سيار المازني
فقتل يحيى في المعركة بقرية يقال لها رعونيه ودفن هناك وقبره مشهور رضي الله
عنه **ومن قبيح** مجون الوليد واستخفافه بالدين ان جاريته ليلى حظيت عنده وكانت
اخذت الغنا عن معبد وابن عايشه وغيرهما فغنته يوما فشرب حتى سكر وواقعها
وهو سكران فلما تنحى عنها اذن المؤذن للصلوة فحلف ان لا يصلي بالناس غيرها
فلبست ثيابه وتعممت وتلثمت وخرجت فصلت بالناس فما شكوا انه الوليد **وقرا**
ذات يوم في المصحف واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد الاية فنصب المصحف غرضا
للسهام واقبل يرميه ويقول

اتوعد كل جبار عنيد — فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جيت ربك يوم حشر — فقل يا رب مزقني الوليد

فلما ظهر منه الفساد وسلوكه غير الطرايق الحميدة رماه بنو هاشم وبنو امية بالكفر
والزندقة وغشيان امهات اولاد ابيه وكان اشدهم عليه يزيد بن الوليد ثم ان وجوه بني
امية اجتمعوا وسعوا في افساد دولته ثم وثب عليه اهل دمشق فاخرجوه وحاصروه
فقال لهم اطلعوني في قميصي هذا ودعوني اتوجه الى حال سبيلي فقالوا الا القتل ثم
دخلوا عليه فقتلوه واحتزوا راسه وخرجوا بها الى يزيد بن الوليد فنصبه بين يديه
على رمح على درج مسجد دمشق **خلافة الشاكر لانعم الله يزيد بن الوليد بن**
عبد الملك بن مروان **بويع له** بالخلافة لما قتل الوليد بن يزيد وسمي يزيد الناقص
لانه نقص الناس العشرات التي زادها الوليد وردهم على ما كانوا عليه ايام هشام
ولما ولي قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه واعترف بالعجز ووعد الرعية بكل جميل
فبايعه الناس وفرحوا به فاحسن السيرة وعدل في الناس حتى مات رحمه الله تعالى
بالطاعون في عيد الاضحى سنة وعشرين ومائة وفي ايامه اضطرب امر بني امية
واختل نظامهم **خلافة المعتز بالله ابرهيم بن الوليد** بن عبد الملك هو ابو
اسحق بويع له بعد اخيه يزيد بعهد له فلم يتم له الامر وكان مرة يدعى بالخلافة
ومرة بالامارة وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما لاختلاف الكلمة وسقوط
الهيبة ثم انه خلع نفسه وسلم الامر الى مروان الجعدي بعد قتال وقع وهرب
ابرهيم واختفى ثم طلب الامان فامنه فقدم عليه وبايعه في صفر سنة سبع

وعشرين ومأية فكانت مدة ولايته سبعين يوما وقيل اربعة اشهر ولم
يزل باقيا الى سنة اثنتين وثلاثين ومأية فقتله مروان وصلبه وقيل غرق
والله اعلم **خلافة مروان بن محمد الجعدي القايم بحق الله وهو آخر الامويين**
هو ابو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم امه لبانه جارية لابرهيم بن
الاشتر وكانت كردية ويعرف بمروان الجعدي لان خاله الجعد بن درهم فنسب
اليه وتعلم منه مذهبه في القول بخلق القرآن ويقدر ويلقب بالحمار لان
العرب تسمي راس كل ماية سنة حمارا وملك بني امية كان قد قارب ماية
سنة في ايامه فسموه الحمار لذلك ومولده سنة خمس وستين وكان حازما
شجاعا فلم ينفعه حزمه وهو اخر الخلفاء من بني امية قتل على يد صالح بن
علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه وكان صالح قد هزمه واخرجه من
الشام فقتله ببوصير من حدود مصر يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة
سنة اثنتين وثلاثين ومأية وكان عمره سبعا وستين على ما ياتي في اول
دولة بني العباس رضي الله عنه فكانت مدة ولايته خمس سنين وعشرة اشهر
وكان له ولدان عبيد الله وعبد الله هربا بعد قتله فاما عبيد الله فصلبته
الحبشه واما عبد الله فانه هرب الى الاندلس فمسك وحبس فلم يزل محبوسا
الى ايام الرشيد فاخرج ضريرا ومات ببغداد والله اعلم

الدولة العباسية

روي في بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم اعلم العباس باستيلاء
ولده على الخلافة بعد بني امية فاستاذنه العباس في ان يجُبّ مذاكيره
فقال لا فانه امر كاين وكان العباس اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بثلاث سنين وكان له من الاولاد الفضل وهو اكبر اولاده وبه كان يكنى
وعبد الله وهو الحبر هو احد الخلفاء من ولده وعبيد الله وكان جوادا
وعبد الرحمن وقثم ومعبد وغيرهم واسلم العباس قديما وكان يكتم اسلامه
ثم اظهره يوم فتح مكة **وكان** الناس اذا قحطوا على عهد عمر رضي الله عنه خرج
بالعباس فاستسقى وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبيك اذا قحطنا فتسقينا
وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا **وتوفي العباس** يوم الجمعة لاربع عشرة
ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين وكان قد كف بصره وله ثمان
وثمانون سنة وكان من اجود قريش **ومن ولده** عبد الله ولد قبل الهجرة بثلاث
سنين وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه المقدس ولا يعلم ان احدا
حنك بريق النبوة غيره وكان رضي الله عنه حبر الامة ويسمى البحر لغزارة علمه
وعنه رضي الله عنه قال رايت جبريل مرتين ودعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحكمة مرتين **ومن ولد** عبد الله علي السجاد وهو ابو الخلفاء وقيل له السجاد
لانه كان يصلي كل يوم وليلة الف ركعة وكان ازهد اهل زمانه واعبدهم رضي الله عنهم

وتوفي عبد الله بن العباس بالطايف سنة ثمان وستين وهو ابن احدى وسبعين
سنة ولما وضع ليصلى عليه جاء طاير ابيض حتى دخل في اكفانه فالتمس فلم يوجد
فلما سوي عليه التراب سمع صوت لا يرى شخصه يقول يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وصلى عليه محمد
ابن الحنفيه رضوان الله عليهما وابتداء امر بني العباس بظهور والدعا لهم في
البلاد يكثر الى سنة ثمان وعشرين ومائة الى ان صفت المملكة لهم ثم ان صالح
ابن علي عم ابي العباس الاتي ذكره عبر الفرات وحاصر دمشق حتى فتحها ثم اجلا بها
من بني اميه وقتلهم وهدم سورها ونبش قبور بني اميه واحرق عظامهم
بالنار ونبش قبر معاوية بن ابي سفيان وقبر ابنه يزيد وقبر عبد الملك بن
مروان وقبر هشام بن عبد الملك فوجده صحيحا فامر بصلبه ثم احرقه وذراه
وتتبع فقتل بني اميه من اولاد الخلفاء وغيرهم ولم يفلت منهم احد الا غير
رضيع او من هرب وكذلك قتل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس جماعة من
بني امية بالبصرة والقاهم في الطريق فاكلتهم الكلاب ثم سار صالح بن علي في اثر
مروان اخر خلفايهم فادركه ببوصير من حدود مصر فقتله وبعث براسه الى
ابي العباس السفاح الاتي ذكره فبعثه الى ابي مسلم الخراساني وامره ان يطوف به في
خراسان وكان مروان لما ايقن بالهلكه دفن قضيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كي لا يعثر عليه فدلهم على ذلك صبي خصي من خدمه انتهى من تاريخ قاضي
القضاة مجير الدين الحنبلي بالقدس الشريف وفي تاريخ للحسن بن احمد الاربلي بخط
ما نصه قال المورخون قاطبة انه ظهر بخراسان رجل يعرف بابي مسلم الخراساني
قيل انه كان ابن رئيس بعض قرى مرو وقيل بل كان عبدا مملوكا والنجار ابوه الى
قوم من العرب اعيان من العجليين لهم رياسة وميل شديد الى اقامة دعوة بني
العباس فبقي عندهم الى ان مات وترك زوجته حاملا عندهم بابي مسلم فلما ولدته
ربوه مع اولادهم فتثقف وفهم العلم والادب وقال الشعر وروى الحديث النبوي
فظهرت عليه امارات السعادة فسيروه سادات في امور خفيه صعبة
تتعلق بامر الدعوة فوجدوه فيها كافيا فاطلعوه على سرائرهم واوقفوه على الحق
من دعوتهم لبني العباس وبينوا له عورات بني اميه وظلمهم والذي يركبون
من الفسق والخروج عن الحق فثبت هذا في نفسه وسعى سعيه بلغ به انه صار
ملكا عظيما بلغ من سلطانه انه اطاعته ملوك ما وراء النهر وملوك خراسان
وملوك العراق وكان راتب مطبخه في كل يوم مائة شاة سوى الطير والبقر
وكان شماطه يشتمل كل يوم على ثلاثة الاف زبديه وكان مطبخه يحمل على الف ومايتين
من الدواب وكان ملكا مهيبا سفاكا للدماء كان سوطه سيفه قيل انه قتل
صبرا في مدة سلطانه ممن يعرف ستماية الف انسان سوى من لا يعرف وسوى
من قتل في الحروب وانه توجه بعساكره الى الشام لحرب مروان بن محمد اخر خلفاء

الامويين

الامويين فلما وصل الى كشاف منزل قريب من مدينة اربل سار مروان بن محمد اليه
واقتتلا فانكسر جيش مروان فهرب من ابي مسلم الى حران ثم الى دمشق ثم استقل
هاربا وجيوش ابي مسلم تتبعه حتى وصل الى قرية تسمى بوصير دخلها ليلا فادركه
اصحاب ابي مسلم بالقرية المذكورة فهجموا عليه واحتزوا راسه وبعثوا به الى ابي
العباس السفاح وقتل مروان لليلتين بقيتا من ذي الحجه سنة اثنتين وثلاثين
ومائة وفي هذه السنة انقرضت دولة الامويين ودخل ابو مسلم الخراساني الى
الكوفه وبها السفاح واخوه المنصور مستخفيين من بني اميه وبايع ابا العباس
السفاح واصبح السفاح من غد وقد اعد واله خلع السواد والمركب والسيف
فخرج راكبا والامرا الخراسانيون والجند بين يديه الى قصر الامارة ثم الى المقصورة
ثم الى المنبر فبايعه الناس قاطبة ثم ان جيش الجيوش وغزا الشام مرة اخرى
وتتبع الامويين فافنى منهم خلقا كثيرا وحاصر دمشق وافتتحها قسرا وهدم
سورها حجرا حجرا ونبش قبور بني امية واحرق عظامهم ثم رجع الى العراق وبنى
مدينة سماها الهاشميه وهي الانبار واستوطنها ولقب نفسه بالسفاح وساس
الملك سياسة خاف منها البري ومات بالانبار بمرض الجدري وكان عمره يوم
مات اثنان وثلاثون سنة وقيل ثلاث وثلاثون سنة انتهى ولنرجع الى النقل
من تاريخ قاضي القضاة مجير الدين الحنبلي بالقدس الشريف قال رحمه الله تعالى

خلافة ابي العباس السفاح

ويقال القايم بامر الله هو ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
ابن عبد المطلب كان رجلا طويلا ابيض اللون حسن الوجه بويع له في التاريخ
المذكور وكان كثير العقل سامي الهمة رفيع السودد وعب المفاوضة والمذاكرة
واخبار الاعراب والقراة بالالحان والحدا وغنا الركبان وكان ابر خلق الله تعالى
باهله واقاربه واحسنهم تعطفا على بني علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان
اذا تعادا رجلان من اصحابه لم يسمع من احدهما في الاخر شيئا ولم يقبله وان
كان القايل عنده عدلا في شهادته ويقول ان الضغينة القديمة تولد العداوة
وتحمل على اظهار المباينه وكان سمحا وكان يقعد العلويه عن يمينه والاموي
عن يساره ولم يكن احد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال كابي العباس ولما دنت
وفاته نظر يوما في المراة فقال اللهم اني لا اقول كما قال سليمان بن عبد الملك انا
الملك الشاب ولكن اقول اللهم عمرني طويلا في طاعتك ممتعا بالعافيه فما اتم
كلامه حتى سمع غلاما يقول لغلام آخر الاجل بيني وبينك شهران وخمسة ايام
فتطير وقال حسبي الله لا قوة الا بالله عليه توكلت وبه استعين فما مضى ايام
حتى اخذته الحمى واتصل مرضه فمات بعد شهرين وخمسة ايام وصلى عليه عمه
عيسى بن علي وخلف تسع جباب واربعة اقمصة وخمس سراويلات واربع طيالسة
وثلاث مطارف خز رحمه الله تعالى وفي سنا الامارة انه آخر ما تكلم به اليك يا ربي لا الى

النار وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن انتهى خلافة ابي جعفر المنصور
صاحب بغداد هو عبد الله اخو السفاح وكان يخضب بالسواد وقيل انه كان
يغير شيبه بالف مثقال من المسك في كل شهر بويع له يوم مات اخوه السفاح
وكان يومئذ بمكة وقام عمه عيسى بن علي ببيعته واتته الخلافة وهو بطريق مكة
وكان جازم الراي قد عركته الايام والتجارب وكان كثير اليقظة والتبصر في الامور
قد جال في الارض وكتب الحديث وتصرف في الاعمال وكان من احسن الناس خلقا
ما لم يخرج الى الناس فاذا خرج ازبد لونه واحمرت عيناه ولم ير في داره لهو ولا شيء
يشبه اللهو وكان يجلس صدر نهاره في ايوانه للامر والنهي والولايات والعزل
والخراجات وغير ذلك ثم يتغدى ويصلي الظهر ويقيل فاذا صلى العصر جلس
لاهل بيته ومن احب ان يسامره فاذا صلى العشاء نظر فيما ورد عليه من كتب
الثغور والافاق وشاور سماره في بعض ذلك فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه
وانصرف سماره فاذا مضى ثلثا الليل قام من فراشه واسبغ الوضوء وانتصب في
محرابه حتى يطلع الفجر فيخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيجلس في ايوانه وحج غير مرة
وزار بيت المقدس ووسع المسجد الحرام من ناحية باب الندوة سنة سبع وثلاثين
ومائة وبنى مسجد الخيف وفي ايامه فتحت بلاد كثيرة وبنى له مجلسا على طاق باب
خراسان من مدينته التي سماها المنصورية وهي مشرفة على الدجلة وهي مدينة
بغداد وقيل ان مقدار ما انفق في بناء بغداد وسورها وخندقها واسواقها
ودورها اربعة الاف الف وثمانمائة وثلاثة وثلاثون الف دينار وكان الاستاد
من الصناع يعمل يومه بقيراط فضة وكان يعمل في بنائها في كل يوم خمسون
الف رجل وكان المنصور قد استشار اصحابه منهم خالد بن برمك في نقض المداين
وايوان كسرى ونقل نقضه ذلك الى بغداد فقال له خالد لا ارى ذلك لانه علم من
اعلام الاسلام وفيه مصلى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال له المنصور
ابيت يا خالد الا الميل لاصحابك العجم وامر بنقض القصر الابيض فنقضت ناحية منه
وحمل نقضه فنظروا فاذا الذي لزمهم في ذلك اكثر من ثمن ما نقضوه فدعا خالد
ابن برمك فاعلمه بذلك فقال اني كنت قلت لمولانا امير المؤمنين ان يتركه والآن
ما ينبغي الترك لئلا يقال عجز عنه فاعرض عنه ونقل ابواب واسط فجعلها على
بغداد وجيء بباب من الشام وباب من الكوفة كان عمله خالد بن عبد الله القسري
وجعل المدينة مدورة لئلا يكون بعض الناس اقرب الى السلطان من بعض وعمل
لها سورين الداخل اعلا من الخارج وبنى قصره في وسطها والمسجد الجامع
بجانب القصر وكان اللبن الذي يبنى به ذراعا في ذراع ولما فرغ من بنائها
وتم حاسب القواد فالزم كل واحد بما بقي عنده واخذه حتى خالد بن الصلت
بقي عليه خمسة عشر درهما فاخذها منه ونقلت عنه امور تدل على الشح ونقل
عنه ضد ذلك من السخا والاعطاء وكان الابتداء في عمارة بغداد سنة خمس

واربعين

واربعين ومائة ضرب المنصور ابا حنيفة رضي الله عنه على القضاء لما امتنع
منه وقال لا اصلح فقال انت ابو حنيفة فكيف لا تصلح فقال اما ان اكون صادقا
فيجب ان تقبل قولي واما ان اكون كاذبا فالقاضي لا يكون كذابا فضربه وحبسه ومات
في حبسه وصلى عليه المنصور سنة خمسين ومائة وكان مولده سنة سبعين
وقيل ثمانين وهو الصحيح وفي ايام المنصور ولد الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه
بعد موت ابي حنيفة رضي الله عنه ولد بغزة واقام بها سنين ثم صار الى مكة
فنشأ بها وفي ايامه تناثرت الكواكب في سنة سبع واربعين ومائة ومات
جعفر الصادق رضي الله عنه ومعن بن زايدة والاوزاعي وابو عمرو بن العلاء
وتوفي المنصور عند بئر ميمونة على اميال من مكة وهو محرم وصلى عليه ابراهيم بن صالح
ودفن بالحرم الشريف وكان نقش خاتمه مثل نقش خاتم اخيه

خلافة المهدي

هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بويع له بالخلافة يوم مات ابوه بين
الركن والمقام وقام ببيعته الربيع وزير المنصور والمهدي اذ ذاك ببغداد
وانفذ الربيع الخبر الى بغداد فبايع الناس المهدي البيعة العامة ولما ولي افتتح
امره برد المظالم وكف الاذى والقتل وامن الخائف وانصاف المظلوم وقال
اذا جلست للمظالم فادخلوا على القضاة فلو لم يكن ردي للمظالم الا الحياء منهم وكان
سخيا يبسط يده في العطا وبنى مسجد الرصافة وخندقها وكان كثير الولاية
والعزل بغير سبب وبنى العلمين الذين يسعى بينهما وحج بالناس سنة ستين
ومائة وجرد الكعبة وكساها الديباج وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من اعلاها
الى اسفلها وكانت الكعبة في جانب المسجد لم تكن متوسطة فهدم حيطان المسجد
الحرام وزاد فيه زيادات واشترى الدور والمنازل واحضر المهندسين وصير
الكعبة في الوسط ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فيه
وحمل العمد الرخام والذهب ورفع سقفه والبس خارج القبر الشريف المقدس
الرخام وكانت عمارته للمسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة
سبع وستين ومائة وكان قبل ذلك في سنة احدى وستين امر باتخاذ المصانع
في طريق مكة وتجديد الاميال والبرد وبتقصير المنابر في البلاد وجعلها بمقدار
منبر النبي صلى الله عليه وسلم ولما حج المهدي دخل الى مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم فلم يبق احد الا قام له الا ابن ابي ذويب فقيل له قم هذا امير المؤمنين فقال
انما يقوم الناس لرب العالمين فقال المهدي دعوه فلقد قامت كل شعرة في راسي وتوفي
يوم الخميس لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة وكان بن ثمان واربعين
سنة مات مسموما اهديت جارية حسنة لجارية اخرى له كانت حظية عنده
كمثرى وفيه واحدة مسمومة حتى تقتل بها ضرتها فاكلها المهدي فجعل يستغيث
فدخلت عليه جاريته حسنة فاخبرها الخبر فلطمت على وجهها وقالت كنت اريد

قامت

اذا انفرد لك فقتلتك فمات

خلافة الهادى

هو ابو محمد موسى بن المهدى اخو الرشيد من ابيه وامه الخيزران بويع له يوم مات ابوه وكان غايبا بجرجان فقدم الرشيد مدينة بغداد واخذ البيعة للهادى وكان الهادى رجلا شجاعا اديبا صعب المرام جوادا اسخى اهل عصره انشده مغنيا بيا تا فطرب لها ثم نظر الى بختى يمشى فى الدار فقال اوقروا هذا له ذهبا فاصطلحوا معه على ستين الف دينار وله اخبار مشهوره فى الجود والسخاء ولم يزل على ذلك حتى توفى وصلى عليه اخوه هارون الرشيد وفى ليلة وفاته مات هو خليفة وولى خليفة هو الرشيد وولد خليفة وهو عبد الله المامون ولم يحج الهادى فى ولايته وكان قاضيه ابا يوسف رحمه الله تعالى وكان نقش خاتمه الله العظيم

خلافة هارون الرشيد

هو ابو محمد وقيل ابو جعفر بويع له يوم مات اخوه الهادى وله من العمر اربع وعشرون سنة وولد له فى تلك الليلة المامون ولم يكن فى ساير الزمان ليلة مات فيها خليفة وولد خليفة وقام خليفة الا هذه الليلة وكان متضلعا من العلم والادب والشعر واستوزر البرامكة وتقدموا عنده لارفع درجات الاجلال وقال ليحيى قد وليتك امور الناس فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من اخترت ودفع اليه خاتمه وكان يحب الشعر ويهوى السماع ويشرب فى يومين من الجمعة الاحد والثلث وما راه احد يشرب نبيذا ظاهرا وهو اول من جعل المغنيين طبقات ومراتب على قدر احسان المحسن منهم وعلى قدر طبقاتهم ومراتبهم كانت تخرج جوايزهم وصلاتهم وكان سمحا كريما كثير الحج والغزو يحج سنة ويغزو سنة حج فى خلافته ثمانى حجج وقيل تسعة وغزا ثمانى غزوات وكان يصلى فى كل يوم مائة ركعة لا يتركها الا لعذر شديد حتى فارق الدنيا وكان يتصدق من ماله فى كل يوم بالف درهم وعقد البيعة لابنه محمد الامين وكان بنو هاشم تحب ولاية محمد الامين تعصبا من قبل ابيه وامه زبيدة بنت عم الرشيد وكان الرشيد والوزراء يعرفون لعبد الله المامون مكانة من العقل والذكا والدهاء والنفوذ فى العلم فلم يزل امره ينمو فى نفس الرشيد حتى عقد له البيعة بعد اخيه الامين واتفق فى ذلك اليوم قدوم الشافعى رضى الله عنه الى بغداد فوجد الناس قد بكروا ليهنوا الرشيد فجلسوا فى دار العامة ينتظرون الاذن وجعلوا يقولون كيف يكون قولنا ان دعونا لهما كان دعاء على الخليفة وان لم ندع لهما كان نقصا فى حقهما فدخل الشافعى فجلس وقال

لا قصرا عنها ولا بلغتها حتى يطول على يديك طوالها

ملحق قيل ان هارون الرشيد استشار يحيى بن خالد فيمن يعهد اليه من الاولاد محمد الامين بن زبيده ام عبد الله المامون بن مراجل وكان يحيى بن خالد يعلم ميل الرشيد الى زبيده وايثاره لها فقال احضرهما يا امير المؤمنين فحضرا وهما اذ ذاك صبيان

صغيران تنازعى احدهما على الاخر وامرهما اذ يتصارعا فوثب الامين وجلس المامون وكان حليما رزينا فقال له الرشيد ما بالك يا عبد الله اخفت من ابن الهاشمية فقال المامون انى لم اخفه ولكن تقبض يدى عنه ما قبض لسانى فقال له الرشيد ما تقبض يدك وما قبض لسانك قال قول الشاعر

بصلاح ذات البين طول بقايكم ودمامكم بتقاطع وتفرد

فلمثل ريب الدهر الف بينكم بتعاطف وتراحم وتودد

حتى تلين قلوبكم وجلودكم لمسود منكم وغير مسود

ان السهام اذا جمعن ترامها بالكسر ذو حنق وبطش باليد

عزت فلم تكسر وان هى بددت فالوهن والتكسير للمتبدد

فرق الرشيد رقة شديدة واغرورقت عيناه ودمعتا وكفكفهما وتشدد واقبل على الامين وقال يا محمد ما انت صانع اذا اصرف الله لك امر هذه الامة قال اكون مهديا يا امير المؤمنين قال الان نعلت فانت اهله ثم اقبل على المامون فقال يا عبد الله ما انت صانع اذ صرف الله لك امر هذه الامة فابتدرت دموع المامون وفطن الرشيد لما ابكاه فلم يملك عينيه وارسل دموعه ثم عاد الرشيد لمسالة المامون فقال اعفنى قال لابد ان تقول قال ان قدر الله ذلك لجعلت الحزن شعارا وجعلت والحزن دثارا وسيرة امير المؤمنين مثعرا لا استحل حرماته وكتابا لا اتبدل كلماته فاشار الرشيد اليهما فانصرفا ثم اقبل الرشيد على يحيى بن خالد وانشد يقول

اهم بامر الحزم لا استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

فقال يحيى بن خالد هيا والله لامير المؤمنين من امره رشدا والعير هو الحاد والنزوان الوثوب على الانثى والذى عنا الرشيد تركه العهد للمامون مع ما يعلم من فضله وذكائه ويقظته وانا اثنى عزمه ورايه على الامين لاجل امه زبيده ومحبته لها وهذا البيت من قصيدة لصخر بن الشريد وهو اخو الخنسا وكان سيد قومه وكان قد اغار على بنى اسد فاصابته طعنة طال مرضه من اجلها وكانت له امراة جميلة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال تسمى سليمى فمر بها رجل من الحى فقال لها ايباع هذا الكفل فقالت نعم عما قريب وسمعها صخر من داخل البيت وهو ضعيف ثم سمع امراة تسال امه كيف اصبح صخر فقالت امه نحن بخير ما دمنا نرى وجهه ثم سمع امراة تسال امراته عنه فقالت لا حى فيرجى ولا ميت فيسلى وكل ذلك فى ساعة واحدة فهم بقتل امراته فلما دخلت الى البيت قال ناولينى سيفى لانظر هل تقله يدى ام لا فناولته السيف فاذا هو لا يقدر ان يقله فقال

ارى ام صخر لا تمل عيادتى وملت سليمى مضجعى ومكانى

وما كنت اخشى ان اكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان

اهم بامر الحزم لا استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

لعمري لقد نبهت من كان نايما واسمعت من كانت له اذنان
فاي امرئ ساوى بام حليلة فلا عاش الا في شقا وهوان
ويقال اذا لطمته خرقت درعه ونفذت الى جوفه فمات رجع وحج الرشيد
بالناس في سنة خمس وثمانين ومائة وحج معه ابناه ووليا عهده محمد الامين
وعبد الله المامون وفرق في اهل مكة والمدينة ما مبلغه الف الف دينار
وخمسون الف دينار وعقد بين ولديه شرطا وعلقه في الكعبة فلما رفع الكتاب
ليعلق سقط قبل ان يعلق فقال بعض من حضر ان هذا الامر سريع انتقاضه قبل
تمامه واجتمع للرشيد ما لم يجتمع لاحد من جد وهزل قاضيه ابو يوسف وشاعره
مروان بن ابي حفصة ونديمه عم ابيه العباس بن محمد وحاجبه الفضل بن الربيع
انبه الناس ومغنيه اسحق بن ابرهيم الموصلي وحد عصره في صناعته وزامره
برصوما وزوجته زبيده بنت جعفر ارغب الناس في الخير واسرعهم الى كل بر
وامه الخيزران ام الخلفاء كانت معروفة بالافضال على الفقراء والعلماء ولها
اثار كثيرة في طريق الحجاز وحجت فبلغت نفقتها اربعة وخمسين الف الف دينار
رحمها الله تعالى ووزراوه البرامكة الذين لم ير مثلهم في الجود والسخاء وكانت
لهم عنده الرتبة العلية والمكانة المرضيه وكان لهم عنده الامر والنهي والعقد
والحل لا يقطع امرا دونهم ولا يقدم احدا عليهم فساسوا امور الناس احسن
سياسة وساعدهم المقدور وشهد بفضلهم الجمهور ثم بعد ذلك قبض عليهم
والبسهم بعد العز ثيابا بالذل ونكل بهم وقتلهم وصلبهم وقتل جعفر بالانبار
وبعث بجثته الى بغداد ولم يزل يحيى وابنه الفضل في الحبس حتى ماتا والسبب
في قتل جعفر ان الرشيد زوجه اخته عباسه ليحل له النظر اليها وشرط عليه
ان لا يقربها فوطيها وحبلت منه وجاءت بغلام فقال انه جد الحيا رامرا الشام
في زماننا من عرب البادية وقيل غير ذلك وقال ابو يوسف ابرهيم صاحب
ابرهيم بن المهدي كل من حدثك في قتل جعفر بغير ما احدثك به فكذبه وانما
بلغ زبيده ان الرشيد غضب على محمد ابنها في شيء فقال له يا ابن الزانيه فامسكت
حتى دخل اليها فوثبت اليه فاخذت بلجام حماره وكان يعظمها ويهابها
فقالت اتقول لابني بمحضر من الناس يا ابن الزانيه والله لقد نزهني الله عن
هذا ولكن الزانية اختك التي يفجر بها جعفر بن يحيى ثم خلت لجام حماره وقد
كاد يموت غيظا وخرج من فوره فلما كان من غد امر بقتل جعفر فلما ادخل عليه
راسه ووضع بين يديه اغمي عليه وسقط حتى جاؤه بماء الورد فرش على
وجهه وقال نحوه عني فشجعه الفضل ابن الربيع وكان عدوهم وقال له ما
تصنع قد مضى جعفر ولا سبيل الى رده ولا مستصلح في اهله بعده فلا تظهر
ندما ولا جزعا فتسقط هيبتك وقدرك فثبت وكان لا يذكره بعد ذلك
الا بكى بكاء شديدا وكان محبا للاولياء والوعاظ ودخل ابن السماك يوما عليه

فدعا بماء ليشربه فقال له ابن السماك ناشدتك الله ارايت لو منعت من شربه ما الذي
كنت فاعله فقال كنت افتديه بنصف ملكي فقال اشرب هنيئا لك فلما فرغ
من شربه قال ناشدتك الله لو منعت من خروجه ما كنت تفعل قال كنت افتديه
بنصف ملكي فقال ان ملكا يفتدى به عن شربة ماء لخليق بان لا ينافس عليه
وتوفي الرشيد بطوس وصلى عليه ابنه صالح وكان لا يضيع عنده احسان
محسن ولا يؤخر جزاءه وكان يميل الى الادب والفقه اولاده محمد الامين وعبد الله
المامون ومحمد المعتصم وصالح ومحمد ابو عيسى والقاسم واسحق وغيرهم وبنات
الواحدة منهن يعد لها عشرة خلفاء كلهم لها محرم هارون ابوها والهادي
عمها والمهدي جدها والمنصور جد ابيها والسفاح عم جدها والامين والمامون
والمعتصم اخوتها والواثق والمتوكل ابنا اخيها وكان نقش خاتم هارون
بالله يثق هارون خلافة محمد الامين هو ابو عبد الله بن هارون الرشيد امه
امة العزيز بنت جعفر بن المنصور ولقبها زبيده وكان لها اثار مشهورة
ولم يل الخلافة بعد علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه من امه هاشمية غير
اقول الظاهر انه لم يل الخلافة بعد الحسن والحسين ابني علي وبويع له ثاني يوم
موت ابيه وله من العمر اربع وعشرون سنة وثلاثة اشهر وكان من احسن
الناس وجها واكملهم ادبا واسخاهم على درهم ودينار واشرف الخلفاء ابا
واما عالما بالشعر كثير البلاغة فصيح المقال اقول مما ينسب اليه من قوله
لي حبيب سمين كانه غصن تين من لامني في هواه وحنث وجهه بغير
باطل وكان شديد القوة الا انه كثير اللهو يتبع هواه ولم ينظر في شيء من عقباه
وكان مع سخائه بالمال ابخل الناس على طعام ولا يبالي اين قعد ولا مع من شرب
ولو كان بينه وبين ندمائه حجاب من حديد لخرقه اذا طرب وخرج اليهم
وكان كواحد منهم وكان كثير السفك للدماء ضعيف الراي ليس عنده تبصر
في الامور ولا نظر في العواقب وتوفي قتيلا قتله طاهر بن الحسين لما جهزه
لقتاله المامون لخلاف وقع بينهما واخذ راسه وجهزه لخراسان خلافة
امير المومنين المامون
هو ابو العباس عبد الله بن هارون الرشيد وامه مراجل ام ولد بويع له البيعة
العامة يوم قتل اخيه الامين وقيل غير ذلك وهو ابن ثمان وعشرين سنة وكان
كامل الفضل كثير العفو جواد احسن التدبير وهو اول من اتخذ الاتراك للخدمة
فكان يشتري الواحد منهم بمائة الف ومائتي الف وكان يحب اهل العلم ويجلس
مع العلماء من اول النهار الى اخره يتناظرون بين يديه فيرشدهم ويمدهم
بالاموال ويتفقدهم اذا غابوا عنه ويزورهم في منازلهم وكان يحضر مع الناس على
الطعام ويخرج من الليل يطوف في عسكره ويحب ان يسمع اخبار الناس وكان في
سخايه لا يوصف حتى قال فيه بعضهم انه اجود من السماء بالحافل والريح العاصف

وكان قاضيه يحيى بن اكثم وهو من ولد اكثم بن صيفي حكيم العرب كان عالما بالفقه
بصيرا بالاحكام ذكره الدارقطني في اصحاب الشافعي وكان يحيى سليما من البدعة
ينتحل مذهب اهل السنة وروى عنه الترمذي وغيره ولما اراد المامون ان يوليه
القضا دخل عليه فاستحقره فعلم يحيى بذلك فقال يا امير المومنين ان كان القصد
علمي لا خلقي فعرف المامون فضله فولاه وكان يحيى من ادهى الناس واخبرهم
بالامور وكان من وزرا المامون الحسن بن سهل السرخسي وزر له بعد اخيه
ذي الرياستين الفضل بن سهل وحظي عند المامون وتزوج المامون ابنته
بوران وولاه المامون جميع البلاد التي فتحها طاهر بن الحسين وكان عالي
الهمة كثير العطايا للشعرا وغيرهم وكان الحسن احد الاجواد قيل انه انفق في
وليمة ابنته بوران حين زوجها بالمامون اموالا تجل عن الوصف واوقد للمامون
ليلة دخوله على ابنته بوران شمعة من عنبر وزنها اربعون منا في شمعدان من
ذهب والخبس ما وجد مما القي فيه من اكارع الذبايح ومن اجوافها الطير
واجواف الطير وريشها وعاشت بوران بعد المامون الى سنة احدى وسبعين
ومايتين وتوفيت وعمرها ثمانون سنة وكانت قيمة بعلم النجوم والحساب وكان
من ندمايه اسحق بن ابرهيم الموصلي النديم المشهور وكان نديما للرشيد وغزا الروم
وفتح منها حصونا وقلاعا وكان امره نافذا من افريقية المغرب الى اقصى خراسان
ووراء النهر وفي ايامه جاء سيل بمكة حتى بلغ الماء الحجر والباب وهدم الف دار
ومات نحو من الف انسان وفي ايامه مات سفيان بن عيينه ومعروف الكرخي
والشافعي وتوفي رضي الله عنه في سنة اربع ومايتين وعمره اربع وخمسون سنة
قال المامون يوما يا محمد لاي علة خلق الله الذباب فاطرق ثم قال مذلة للملوك فضحك
وقال رايت الذباب وقد سقط على خدي قال نعم لقد سالتني ومالي عنده جواب
فلما رايت الذباب وقد وقع منك على موضع لا يناله من معه عشرة الاف سيف
وعشرة الاف رمح فعرفت الجواب اقول قد تقدمت هذه الحكاية اسمى ومات طاهر
ابن الحسين والواقدي والاصمعي في سنة عشرة ومايتين وتوفي ابو العتاهية
وزبيده زوجة الرشيد وفي نوادر الاخبار ان المامون لما قدم الى ديار مصر في
سنة ثمان عشرة ومايتين اراد الخروج من مصر الى دير النجوم وكان يبنى له دكة
على كل ضيعة فاذا ورد الضيعة نزل بها ونزل العسكر حوله والقواد ولما غزا
بلاد الروم وعاد ونزل بعين العشيرة فاعجبه ما بها من برد وصفاء فطاب
له الموضع لكثرة خضرته وحسن بهجته فاقام هنالك ثم انه احتضر ومات هنالك
وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يومن ودفن بطرسوس خلافة

المعتصم بالله صاحب سر من راى

هو ابو اسحق محمد بن هارون الرشيد واخو الامين والمامون كان يحمل الف رطل ويمشي
بها خطوات اقول الالف رطل بالبغدادي مايتا رطل بالحلبي بويع له يوم مات المامون

اخوه وكان بطرسوس ثم قدم الى بغداد غرة رمضان سنة ثماني عشرة ومايتين
وكان شجاعا مقداما فارسا بطلا صنديدا وكان اميا لا يكتب وفتح عمورية
في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومايتين ولما بلغه ان الروم خرجت الى زبطرة
فتوجه اليهم بنفسه وفتحها وقتل ثلاثين الفا واسر ثلاثين الفا وكان
بلغه ان صاحب عمورية اسر امراة من المسلمين هاشمية فنادت وا معتصماه
فقال ملك عمورية لها يا تيك المعتصم الا على ابلق فلما بلغ المعتصم ذلك سار
اليها في سبعين الف ابلق فلما فتحها ودخل من بابها نادى لبيك ايتها المنادية
فقتل من قتل واسر من اسر ومن كرمه انه اقطع شاعرا مدينة الموصل وهذا
شي لم يتقدمه فيه احد من الاوايل وبنى سر من راى وانفق على جامعها خمسمائة
الف دينار وانتقل اليها وجعلها مقر خلافته وسميت بهذا الاسم لانه لما انتقل
اليها باهله وعساكره سر كل واحد منهم برويتها وكان السبب في بنايها
شكوى العامة اليه الجند من النزول عليهم في مساكنهم وتولعهم بحرم الناس
واولادهم فبنيت في اسرع وقت وارتحل من بغداد اليها واتسع ملك المعتصم
جدا حتى صار له سبعون الف مملوك سوى الاحرار ومن الخيل ما لا يحصى وهو
الذي امتحن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه في القول بخلق القران فقال له
الامام احمد انا رجل علمت علما ولم اعلم فيه بهذا فاحضر له العلما والفقها والقضا
فناظروه فامتنع من ان يقول بقولهم فضربه المعتصم وحبسه وكانت مدة حبسه
ثمانية وعشرين شهرا وبقي محبوسا الى ان مات المعتصم فلما ولي الواثق امره ان لا
يخرج من بيته الى ان اخرجه المتوكل واحسن اليه وكانت محنة الامام احمد في سنة
ثماني عشرة ومايتين وسيا في في ذكر ايام المتوكل بقية محنته ووفاته وسبب ظهور
القول بخلق القرآن وكان من وزراء المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات ثم صار وزير
الواثق بعده ثم ان المتوكل غضب عليه وقتله وكان سبب وزارته انه ورد على المعتصم
كتاب من بعض العمال وفيه ذكر الكلا فقراه الوزير احمد بن عمار على المعتصم فقال له
ما الكلا قال لا اعلم فقال المعتصم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خليفة امي
ووزير عامي انظروا من بالباب فوجد محمد بن عبد الملك بن الزيات فادخلوه
اليه فقال له ما الكلا قال العشب على الاطلاق فان كان رطبا فهو كلا وان
كان يابسا فهو حشيش وشرع في تقسيم انواع النبات فعلم المعتصم فضله
فاستوزره وحكمه وبسط يده وامر ان لا يمر باحد الا يقوم وكان القاضي
احمد بن ابي داود رصد له غلاما اذا راه مقبلا اعلمه فيقوم يصلي حتى يجوزه
ابن الزيات فانشد بن الزيات

صلى الضحى لما استفاد عداوتي ... واراه ينسك بعدها ويصوم
لا تعدمن عداوة مسمومة ... تركتك تقعد تارة وتقوم

وكان ابن الزيات يقول بخلق القرآن وكان يقال للمعتصم الخليفة المثمن وذلك

ان الله تعالى وفق له من كل شئ فى العدد ثمانية فاولها انه الخليفة الثامن من ولد العباس وولى سنة ثمانى عشرة ومايه وبلغ ولايته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام ومولده سنة ثمان وسبعين ومايه وغزا ثمان غزوات مشهورة فتح عليه فى جميعها وسنه ثمان واربعون وخلف من المال ثمانية الاف الف درهم ومثلها دنانير وكانت اولاده يوم توفى ثمانية من الذكور وثمانية من الاناث وقالوا انه كان الثامن من ولد الرشيد والثامن من الخلفاء العباسيين وفى مرآة الزمان انه ولد سنة ثمانين ومايه فى ثامن شهر منها ومات لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وهو ثامن الخلفاء من بنى العباس وفتح ثمان فتوحات ووقع بدثمان ملوك وقتل ثمانية اعداء وكان عمره ثمانيه واربعين سنه وخلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام وخلف ثمان بنين وثمان بنات وثمانية الاف الف دينار وثمانمائة الف الف درهم وثمانين الف فرس وثمانين الف جمل وبغل ودابه وثمانين الف خيمه وثمانية الف عبد وثمانيه الاف جاريه وبنى ثمانيه قصور ونقش خاتمه الحمد لله ثمانية احرف وكانت غلمانه الاتراك ثمانيه عشر الفا وطالعه الثمانيه من كل شئ ويكنى بالمثمن وبالثمانين انتهى فعلى هذا يكون مخلصا من ثلاثة وعشرين وجها وهو اول من اضيف الى لقبه اسم الله من الخلفاء وفى ايامه زلزلت فرغانة فمات بها اكثر من خمسة عشر الف ورجفت الاهواز رجفة عظيمة فتهدمت منها الجبال وهرب اهل البلد الى البر والسفن وسقطت فيها ادر كثيرة وتهدم نصف الجامع ومكثت ستة عشر يوما ومطر اهل تيما مطرا وبردا كالبيض فقتل بها ثلاثمائة وسبعين انسانا وتوفى بسر من راى نقش خاتمه ثمان كلمات هى الله ثقة ابى اسحق بن الرشيد وبه يؤمن وقيل الحمد لله الذى ليس كمثله شئ ودفن بسر من راى وصلى عليه ابنه هارون الواثق وكان قد جعله ولى عهده فقال مروان بن ابى حفصه ابو اسحق

ابو اسحق مات ضحى فمتنا — وامسينا بها ردى حيينا

لئن جاء الخميس بما كرهنا — فقد جاء الخميس بما هوينا

وقد تقدم قصة المعتصم مع تميم بن جميل فى الملحق بالباب الثانى وتقدم سبب وفاته فى الباب السادس والسبعين من النصف الاول من هذا الكتاب

خلافة الواثق بالله

هو ابو جعفر هرون بن المعتصم وامه قراطيس ام ولد رومية عجميه بويع له يوم مات ابوه كان عالما بكل علم يسال عنه وكانت له جبة صوف وكساء وبرنس يلبسهم بالليل ويقوم يصلى ويقول اما يستحق بنو العباس ان لا يكون فيهم مثل عمر بن عبد العزيز وكان جوادا حكى انه فرق فى ايامه من الاموال فى الصدقة والصلة ووجوه البر ببغداد وبسر من راى والبصرة ومكة والمدينة خمسة الاف الف دينار وقيل ان

الواثق كان يقول بخلق القرآن وانه ضرب الامام احمد بن حنبل بسبب ذلك وجعل داره حبسا له والاصح انه لم يضربه وانما ضربه ابوه ولما ولى الواثق بعث اليه يقول لا تساكنى بارض فصار الامام احمد يختفى فى الاماكن ثم صار الى منزله فاختفى فيه الى ان مات الواثق وكل ذلك كان بسعاية القاضى احمد بن ابى دؤاد ومحمد بن الزيات الوزير ومات ابن ابى دؤاد بالفالج واما ابن الزيات فى ايام المعتصم قد عمل تنورا من نحاس جوانبه مسامير من داخله لمن يريد تعذيبه فاول من عذب به فى ايام الواثق هو فلاحقه يقول الشاعر وكم تقلد سيفا من به ذبحا وتوفى الواثق بسر من راى وقيل بسامرا والاول اصح وصلى عليه اخوه المتوكل وكان نقش خاتمه الواثق بالله

خلافة جعفر المتوكل على الله

هو ابو الفضل بن المعتصم وامه تركيه اسمها سجاع بويع له يوم مات اخوه الواثق بالله ولما تولى اظهر العدل واحيى السنة وامر بالقبض على محمد بن الزيات الوزير وعلى ابن ابى دؤاد القاضى اللذين كانا يقولان بخلق القرآن وحبس ابن الزيات فى التنور الى ان مات على ما ياتى فى ترجمته بالفصل الذى يلى ذكر الخلفاء مما هو منقول عنه من تاريخ ابن خلكان واخذ جميع ضياع ابن ابى دؤاد وامواله واطلق جميع من كان اعتقل على القول بخلق القرآن ونهى عن الجدل واظهر القول بالسنة وطعن على الواثق ومن كان قبله فيما كانوا يقولونه من خلق القرآن وولى القاضى يحيى بن اكثم قاضى المامون قضاء القضاة فولى من جهته حيان بن بشر قضاء الجانب الشرقى وولى سوار بن عبد الله قضاء الجانب الغربى وكلاهما كان اعور فقال فى ذلك بعض اصحاب ابن ابى دؤاد

رايت من العجايب قاضيين — هما احدوثة فى الخافقين

هما اقتسما العمى نصفين فهذا — كما اقتسما قضاء الجانبين

وتحسب منهما من هز راسا — لينظر فى مواريث ودين

كانك قد وضعت عليه دنا — فتحت بزاله من فرد عين

لقد قال الزمان بهلك يحيى — اذا افتتح القضاء باعورين

وفى السنة الرابعة والثلاثين بعد المائتين فى ايامه كانت الزلازل المهوله بدمشق دامت ثلاث ساعات من ارتفاع الضحى وسقطت الجدران فقتل خلق كثير وانقلبت قرية من قرى الغوطه على اهلها فلم ينج منهم احد سوى رجل واحد وهبت ريح شديدة لم يعهد مثلها وتغير ماء الدجلة الى الصفرة فبقى ثلثة ايام ففزع الناس لذلك ثم صار فى لون الورد وسمع اهل اخلاط صيحة من السماء فمات خلق كثير وهاجت النجوم فى السماء وجعلت تتطاير شررا من قبل غروب الشفق الى قرب الفجر ووقع طاير ابيض دون الرخم وفوق الغراب بحلب فصاح يا معشر الناس اتقوا الله الله الله حتى صاح اربعين صوتا ثم طار وجاء من الغد فصاح اربعين صوتا ومات رجل فى بعض كور الاهواز فسقط طاير ابيض على

نعشه فصاح بالفارسية ان الله قد غفر لهذا الميت ولمن شهد جنازته
وزلزلت بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والقناطر فامر المتوكل بتفرقة
ثلاثة الاف الف في الذين اصيبت منازلهم وفي السنة الخامسة والثلاثين
امر المتوكل على اهل الذمة ان يتميزوا عن المسلمين في لباسهم وعمايمهم
وفي دخولهم الحمام بالجلاجل وان لا يركبوا الخيل ولا بسرج ونهاهم ان يستعملوا في شي
من الدواوين وان لا يتعلم اولادهم في مكاتب المسلمين وان تسوى قبورهم بالارض
وفي السنة الحادية والاربعين في ايامه توفي الامام احمد بن حنبل رضي الله
عنه وكان قد امتحن بالقول بخلق القران ايام المعتصم فلم يجب الى ذلك
وذلك ان المامون كان اجتمع عليه جماعة من المعتزلة فازاغوه عن طريق
الحق الى الباطل وزينوا له القول بخلق القران واتفق خروج المامون الى طرسوس
لغزو بلاد الروم فعن له ان يكتب الى نايب بغداد اسحق ابراهيم بن مصعب
يامره ان يدعو الناس الى القول بخلق القران واتفق ذلك له في اخر عمره قبل موته
بيسير فاستدعى جماعة من ايمة الحديث فدعاهم الى ذلك فامتنعوا فتهددهم
فاجاب اكثرهم مكرهين واستمر الامام احمد على الامتناع فحمله على بعير وارسله
الى الخليفة فلما قربوا من جيش المامون ونزلوا دونه بمرحلة بلغ الامام احمد توعد
الخليفة له بالقتل ان لم يجبه الى القول بخلق القران فتوجه الامام احمد الى الله
تعالى بالدعاء فجاءهم الصريخ بموت المامون في الثلث الاخير من الليل ففرح الامام احمد
بذلك ثم جاء الخبر بان المعتصم ولي الخلافة وقد انضم اليه احمد بن ابي دؤاد وان
الامر شديد فردوه الى بغداد في سفينة مع بعض الاسارى فوصل بغداد وهو
مريض في رمضان فاودع السجن نحوا من ثمانية وعشرين شهرا ثم اخرج الى الضرب
بين يدي المعتصم فدعي الى القول بخلق القران ثلاثة ايام بحضور جماعة احضرهم
الخليفة كل ذلك والامام احمد يقول اعطوني شيا من كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم حتى اقول به فما زال ابن ابي دؤاد وغيره يغرون الخليفة
عليه ويقولون هذا كافر مضل حتى اشتد غضبه عليه فامر بضربه بالسياط
وكان جملة ما ضرب نيفا وثمانين سوطا ووقع له في هذه المحنة اخبار كثيرة وكرامات
ظاهرة من ستر عورته لما انحلت سراويله بضرب بكف مشاهدة سترتها وغير
ذلك واتاه رجل وهو يضرب وقال له ايحل لك ان تهلك نفسك قل ما يقولونه
بلسانك ولا تعتقده بقلبك وخلص نفسك فقال له وكيف افعل ذلك وقد
اعدت خمسماية محبرة تكتب ما اقوله ليرسلوه الى البلاد ليقولوا بخلق القران فلما
توفي يعني المعتصم فرح الامام احمد والمسلمون بذلك وجعل الامام احمد كل من سعى
في امره في حل الا اهل البدعة وكان يتلو في ذلك قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا الا
تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقال ابو الوليد الطيالسي لو كان هذا
في بني اسرايل لكان احدوثة وقال المزني احمد بن حنبل يوم المحنة وابو بكر الصديق

يوم

يوم الردة وعمر بن الخطاب يوم السقيفة وعثمان يوم الدار وعلي يوم صفين
رضوان الله عليهم اجمعين ولم يزل الامام احمد على ذلك مدة خلافة المعتصم
وايام الواثق فلما ولي المتوكل استبشر الناس بولايته فانه كان محبا للسنة واهلها
ورفع المحنة عن الناس وكتب الى نايبه ببغداد وهو اسحق بن ابرهيم ان يبعث
اليه بالامام احمد بن حنبل فاستدعى اسحق بالامام احمد فاكرمه وعظمه وجهزه
الى الخليفة المتوكل بسر من راى فاكرمه غاية الاكرام وامر له بخلعة سنية فاستحيا
منه ولبسها الى الموضع الذي كان نازلا فيه ثم نزعها نزعا عنيفا وهو يبكي ثم ارسل
اليه المتوكل مالا جزيلا فابى ان يقبل فقيل له ان رددته وجد عليك في نفسه
ففرقه على مستحقيه ولم ياخذ منه شيا وجعل كل يوم يرسل اليه من طعامه الخاص
ويظن انه ياكل منه وكان لا ياكل منه لقمة وارتفعت السنة في ايام المتوكل جدا
وكان لا يولي احدا الا بمشورة الامام احمد بن حنبل ثم ان الامام احمد مرض مرضه التي
مات فيه في اول شهر ربيع الاول سنة احدى واربعين وماتين وكتب وصيته
بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما وصى احمد بن محمد بن حنبل اوصى انه يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون واوصى من اطاعه من اهله وقرابته ان يعبدوا الله تعالى في العابدين
وان يحمدوه في الحامدين وان ينصحوا لجماعة المسلمين ثم استدعى بالصبيان
من ذريته فجعل يدعو لهم ثم توفي يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول
سنة احدى واربعين وماتين رحمه الله تعالى ورضي عنه وفي السنة الثالثة
والاربعين بعد الماتين توجه المتوكل من العراق طالبا مدينة دمشق ليجعلها
دار اقامة فتاسف اهل العراق على ذلك وكان للمتوكل اربعة الاف سرية يقال
انه وطي الجميع وقتله ولده المنتصر وهو على خلوة مع وزيره الفتح بن خاقان
وذلك ان المتوكل كان قد بايع لولده المنتصر ثم اراد عزله وتوليته لاخيه المعتز
لمحبته في امه فوجد المنتصر على ابيه في نفسه واتفق مع الترك على قتل ابيه
فدخلوا عليه وهو مع وزيره في خلوة في الليل فقطعوهما بالسيوف وكان من
الاتفاق العجيب ان المتوكل كان قد اهدي اليه سيف من البحرين قاطع لم ير احد
مثله فعرضه على جميع حاشيته وكل يتمناه فقال المتوكل لا يصلح هذا السيف
الا لباغر التركي فوهبه له دون غيره فاتفق انه كان اول داخل عليه فضربه
به فقطع حبل عاتقه ثم تناولوه بالسيوف فقطعوه هو والفتح بن خاقان قطعا
حتى اختلطت لحومهما ودفنا معا وكانت وفاة المتوكل بسر من راى ودفن في
القصر الجعفري ورواه بعضهم في النوم وهو بين يدي الله عز وجل فقال له
ما تصنع ههنا فقال انتظر محمدا ابني اخاصمه بين يدي الله عز وجل خلافة
المنتصر بالله هو ابو جعفر محمد بن جعفر المتوكل بويع له ثاني يوم قتل ابيه وخلع

اخويه المعتز والمويد وكان ابوهما المتوكل عقد لهما البيعة واخذ خطهما بخلع انفسهما
بعد اذاهانهما واخافهما وهو اول من عدا على ابيه من بنى العباس وكان يبنى
على العيا لد ويبخل بالمال وراى والده فى النوم وهو يقول له ويلك يا محمد قتلتنى
وظلمتنى والله لا تمتعت بالخلافة بعدى الا اياما يسيرة ثم مصيرك الى النار
فانتبه وهو لا يملك عينيه فكان يبلا وهو لا يسلو ولما اعتل اتت امه تعوده
فلما راها بكى وقال يا اماه عاجلت فعوجلت ولم يزل منكسرا الى ان مات وعمره
خمسة وعشرون سنة وستة اشهر ولما رتب المنتصر بالله اسباب ملكه
ووضع كل شى موضعه فرش له منزل بانواع الفرش وكان فى جملة الفرش
بساط حرير طوله عشرة اذرع فى عشرة اذرع مفقوش بانواع النقوش
وفى وسطه صورة الملك جالس على كرسى الملك وعلى راسه سطور مكتوبة
بالفارسى فقال انظروا الى من يقرا هذه السطور التى على راس الملك فجا وا بمن
قراها فاذا هى انا شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت ابى فلم اعش بعده الا
ستة اشهر فتطير المنتصر من ذلك وقام من ذلك المجلس وامر الفراشين ترفوا
ذلك الفرش باسره فلم يمكث بعد ابيه الا ستة اشهر وفى ايامه توفيت شجاع
ام المتوكل وكانت خيرة كثيرة الرغبة فى الخير وخلفت من الذهب العين خمسة
الاف الف دينار وخمسين الف دينار ومن الجوهر ما قيمته الف الف دينار
وكان نقش خاتم المنتصر بالله ينتصر

خلافة المستعين بالله

هو ابو العباس احمد بن محمد بن المعتصم بن هرون الرشيد بويع له يوم مات
المنتصر وهو ابن اربع وعشرين سنة كان مسرفا مبذرا للخزاين وخلع نفسه
ورد الخلافة الى المعتز ولما استقر الامر للمعتز نفى المستعين الى واسط ثم
ان غلمان المتوكل خافوا ان يدخل على المعتز من جهته ما يكره فارسلوا الى سعيد
الحاجب فقتله ذبحا فى خيمته يوم الاربعا لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين
وخمسين وماتين ولم يل الخلافة من لدن المنصور الى المستعين من لم يكن
ابوه خليفة غير المستعين ثم بعد ذلك المعتضد والقادر والمقتدى بالله
والله سبحانه وتعالى اعلم نقش خاتم احمد بن محمد

خلافة المعتز بالله

هو ابو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل ولد سنة اثنتين وثلاثين وماتين
بويع له عند خلع المستعين نفسه وهو ابن تسعة عشرة سنة وكتب بذلك
الى الافاق وخلع المعتز من الخلافة وقتل وكان سبب خلعه ان الجند اجتمعوا
وطلبوا منه ارزاقهم فلم يكن عنده شى يعطيهم فسال امه ان تقرضه شيا
يدفعهم به عنه فلم تعطه شيا واظهرت ان لا شى معها فاجتمع الاتراك على
خلعه ثم دخلوا عليه فتناولوه بالدبابيس يضربونه وما زالوا به حتى خلع نفسه
من الخلافة ثم سلموه لمن يسومه سوء العذاب ومنع من الطعام والشراب ثلاثة
ايام حتى جعل يطلب شربة البير فلم يسق ثم ادخلوه سردابا فيه جص فدسوه فيه

فاصبح

فاصبح ميتا فاستلوه من الجص سليم الجسد واشهدوا عليه جماعة من الاعيان
انه مات وليس به اثر وكان ذلك فى الثانى من شعبان فى السنة الخامسة والخمسين
بعد الماتين وصلى عليه المهتدى ودفن عند اخيه المنتصر وبعد موته
فى هذه السنة ظهر عند امه قبيحة اموال عظيمة وجواهر نفيسة كانت
جملة الذهب ما يقارب الفى الف دينار ومن الزمرد الذى لم ير مثله مقدار
مكوك ومن اللولو مكوك وكيلجة يا قوت احمر لم ير مثلها هذا وقد كانت الاتراك
طلبوا من ابنها المعتز خمسين الف دينار تصرف فى ارزاقهم فلم يكن عنده
من ذلك شى ولم تقرضه امه ذلك وادعت العجز مع انه كان لها من الغلات
ما يعدل كل سنة عشرة الاف دينار وكان اسمها قبيحة تصغير قبح بالقاف
والبا الموحدة والجيم وهو فصحف اسمها قبيحة لقبح فعلها مع ابنها حتى قتلوه
واستمرت الخلافة للمهتدى بعد المعتز والمعتز هو الذى احمد بن طولون مصر ثم
استولى بن طولون على دمشق والشام وانطاكيه والثغور فى مدة شغل الموفق
بمحاربة صاحب الزنج وكان ابو احمد بن طولون عادلا شجاعا جوادا متواضعا حسن
السيره ويحب اهل العلم وبنى الجامع المنسوب اليه بظاهر القاهرة قيل انه انفق
على عمارته ماية الف دينار وعشرين الف دينار وفى تاريخ بن خلكان انه عمر
مادنة الجامع حلزونية الشكل وسبب ذلك انه كان لا يعبث فعبث بدرج من
ورق فصار يفتحه من راسه فى مجلس فعلم انه عبث فقال اردت ان ابنى مادنة
الجامع كذا وفعل ذلك الا انه كان طايش السيف سفاكا للدماء احصى من قتله
بالسيف صبرا فكانت جملتهم مع من مات فى حبسه ثمانية عشر الفا وكان من
اطيب الناس صوتا بالقراة فانه حفظ القرآن واتقنه وطلب العلم وملك
الديار المصرية وعمره اربعون سنة فى سنة اربع وخمسين وماتين فملكها
بضع عشرة سنة وخلف اموالا عظيمة وثلاثة وثلاثين ولدا ذكرا وانثى
وكان ابوه مملوكا اهداه نوح بن اسد السامانى الى المامون فى جملة رقيق
ويقال ان طولون تبنا احمد ولم يكن ولده وفى نوادر الاخبار انه كان منفقه
على البيمارستان ستين الف دينار ولم يكن بمصر مارستان قبله وعلى المصنع
ببركة الحبش ماية الف واربعة واربعين الف دينار وعلى سور جزيرة بمصر ثمنين
الف دينار وعلى مطبخ العامة فى كل شهر ثلاثة وعشرين الف دينار ومات
عن اربعة وعشرين الف غلام مملوك وخمسة وعشرين الف عبد اسود وسبعة
الاف حر اصحاب جرايات مسترزقة وسبعة الاف وثلثماية وثلاثين حصانا
من خيل الميدان المعدة للمهمات والحروب وسبعماية بغلة ملونة والفين وماتين
جمل وترك من المال ما لا يحصى وعهد لابنه خمارويه فدبر وساس مملكته اكثر من
ابيه وركب فى المواكب العظيمة وجدد فى الميدان الذى كان فيه ابوه بالقرب بالجامع
اشيا لم يسمع بمثلها حمل الاشجار من ساير اقطار الارض حتى من خراسان وزرع فيه

ميادين الزعفران وساير الرياحين وزرعها سطورا نقرا وكان لها قوم موكلون بها بايديهم مقاريض يصلحون بها ما يبرز من الورق عن الاعتدال واتخذ في هذا البستان فسقية كاكبر ما يكون من البرك ملاها زيبقا وكان يفرش له فراش ناعم من الاديم ينفخ فيه فيمتلي ريحا ويسد فمه ويطرح على الزيبق فيجلس عليه وينام وكان قد اتخذ لقوايم الشجر غلفا من نحاس اصفر اندلسي منقوش مغشيه بالذهب العال فكانت قوايم الشجر لا تبين لمن ينظر اليها وكان يسحق المسك والكافور وينثره على تلك الرياحين والازهار والزعفران وكانت عنده خيل لها انساب كانساب الناس مثبوته في الدواوين يسمى ديوان الكراع لهم على ذلك اجرايات وجوامك قال في الكتاب المذكور وقد ذكرت من هذا المعنى ما يغني عن التطويل وصفحت عن امور كثيرة

خلافة المهتدى بالله

هو محمد بن الواثق الخليفة الصالح كان حميد الطريقة ورعا زاهدا عابدا عدلا كعمر بن عبد العزيز في الامويين ولم يكن في بني العباس ازهد منه وكان قد امر بطرح الملاهي وحرم الغنا ونفى المغنيين والمخنثين عن سر من راى ورد هدايا المهرجان وجلس للمظالم فبلغه انه يوخذ على تقديم بعض القصص على بعض دراهم فاتخذ جبا كبيرا وجعل له شباكا من حديد الى الطريق وامر فنودي في الناس من اراد ان يقرا امير المومنين قصته فليطرحها بيده من الشباك وكان هو يدخل البيت بنفسه فيخرج ما يقع في يده اولا فاولا فينظر فيه على ما جا لا يقدم واحدا على واحد وحسم اصحاب السلطان عن الظلم وكان له سفط فيه جبة صوف وكسا وبرنس يلبسه بالليل ويصلي فيه ولما قتله الاتراك تغاروا على السفط ظنا منهم ان فيه ذخيرة نفيسة فلما اطلعوا على ما فيه اظهروا الندامة وكان سبب قتله انه لما راى تغلب الاتراك والديلم والمغاربة علم ان سلفه اخطاوا في تقديمهم وجعل يقدم الاعراب ويانس بهم ثم ان الترك خرجوا عليه فظفروا به وعزلوه ثم زجوه بالخناجر ومص احدهم دمه حتى روي منه ومات بين ايديهم رحمه الله تعالى ومن شعره

اما والذي علا السماء بقدرة   وابعد ما بين التربة والثرى
لئن تم لي التدبير فيما اريده   لتفتقدن الترك يوما فلا ترى

وكان نقش خاتمه امير المومنين

خلافة المعتمد على الله

ابى العباس احمد بن جعفر المتوكل امه ام ولد بويع له يوم قتل المهتدي كان يقبل على اللذات ويشتغل عن الرعيه كثير العزل والتولية جعل اخاه طلحة ولي عهده ولقبه الموفق بالله فاستعد الموفق لمحاربة الخبيث صاحب الزنج الذي ادعى انه علي بن محمد بن احمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وليس كذلك وانما قيل انه علي بن محمد بن احمد بن رحيب رجل من العجم من قرية من قرى الري ونشا بسامرا فتادب بها وخدم في الديوان وقال الشعر ثم حدث في نفسه الكفر والخبث ودعوى الامامة وعلم الغيب والخروج على الايمة فقدم البصرة واقام بهجر

ودعا الناس

ودعا الناس الى طاعته فمال اليه عبيد هجر وخلق من اهل البحرين والتام عليه وكثرت اتباعه واستغوى من لقيه من الاعراب واوهم انه يعلم منطق الطير وعمد الى خرقة حرير فكتب فيها ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى اخر الاية وكتب عليها اسمه واسم ابيه وعلقها وخرج ينادي في الناس فاجتمع عليه الوف من الزنوج وغيرهم فقام فيهم خطيبا ووعدهم ان يملكهم الاموال ولم يزل ينهب ويقتل وادعى ان نسا امتحن بصحبته وحرم من بعده على الرجال وقال لي بذلك اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبايمة الهدى من بعده فقيل له ان ابا بكر وعمر تزوج الناس بنسايهما فقال ليس فيهما قدوة واما علي فقد اثم من تزوج نساه بعده وادعى انه عبد الله الذي قام يدعوه وانه انزل فيه قرانا وانه الرجل الذي جا من اقصى المدينة وقال انزلت في سورة من القران مجردة ليس فيها ذكر غيري وهي لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب وادعى انه تكلم في المهد صبيا ثم ان الموفق انتدب لقتاله فوجه ولده العباس في نحو عشرة الاف فارس وراجل لقتال الزنج فسار نحوهم وكان بينهم من القتال والوقعات المشهورات ما يطول شرحه فنصر الله ابا العباس واعلا كلمته وفتح على يديه واسبغ نعمه عليه وهذا الشاب هو الذي ولي الخلافة بعد عمه المعتمد ولقب بالمعتضد وركب الموفق من بغداد في صفر سنة سبع وستين ومايتين في جيوش كثيفة فدخل واسط فتلقاه ابنه ابو العباس واخبره عن الجيش الذي معه وما عملوا في حرب الزنج فخلع عليه وعلى الامرا كلهم خلعا سنية ثم سار بجميع الجيوش الى صاحب الزنج وهو بالمدينة التي انشاها وسماها بالمنيعة فقهرهم الموفق ودخلها عنوة وهدم اسوارها وسار الى غيرها من البلاد وهدم ونهب ثم سار الموفق في جيوش عظيمة نحو خمسين الف مقاتل الى مدينة صاحب الزنج الكبرى التي بناها وسماها المختاره وقدم ابنه ابا العباس بين يديه وحاصر قصر الملك محاصرة لم يحاصر مثلها وتعجب الزنج من اقدامه وجراته مع صغر سنه فهزمهم باذن الله تعالى وفر الخبيث صاحب الزنج هاربا وترك حلايله واولاده وامواله فاخذها الموفق ثم ركب الموفق فاسر عامة من كان يصحبه من خاصته واباد هم بالقتل وما انجلت الحرب حتى جا البشير بقتل الخبيث صاحب الزنج بالمعركه وجي براسه اليه فسجد لله تعالى ثم رجع ودخل مدينته التي انشاها وسماها الموفقيه وكان يوما مشهودا ثم قدم ولده ابو العباس بين يديه الى بغداد ومعه راس الخبيث وانتهت ايام صاحب الزنج وفي سنة سبعين ومايتين اقبلت الروم في مائة الف مقاتل فنزلوا قريبا من طرسوس فخرج المسلمون اليهم وقتلوا منهم في مقتلة واحدة نحوا من سبعين الفا وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة ولما قتل الموفق صاحب الزنج تلقب بناصر دين الله وصار اليه

الحل والعقد والولاية والعزل وكان يخطب له على المنابر فيقال اللهم اصلح الامير
الناصر لدين الله ابا احمد الموفق بالله ولى عهد المسلمين اخا امير المومنين وتوفى
طلحة الموفق فى صفر سنة ثمان وسبعين ومايتين قبل اخيه المعتمد وكان
غزير العقل حسن التدبير كريما محمود السيرة رحمه الله تعالى والمعتمد اول خليفة
انتقل من سامرا الى بغداد ولم يحد بعده احد اليها

خلافة المعتضد بالله

هو ابو العباس احمد بن طلحة الموفق بويع له يوم وفاة عمه المعتمد وكان عادلا
ضابطا وامر برد المظالم واسقط المكوس التى كانت توخذ بالحرمين وبذل المال
وحج وغزا وجالس المحدثين واهل الفضل والدين واحسن التدبير ورفع التجار
وبالغ فى العمارة ورفق بالرعية وامر اتباعه بلزوم الطرايق الحميدة وعرفهم
ان من افسد من غلمانهم اخذ به مولاه فاخذ بعض غلمان الاجناد حِصرما من
كرم فاحضر استاذه وضرب عنقه ثم قال لوزيره عبيد الله بن سليمان لعل
انكرت قتلى هذا الامير بجرم جناه عبده قال هو ذلك يا امير المومنين قال كنت فى
خلافة المعتمد قد رايت هذا الامير قتل رجلا بغير ذنب عمدا ولم يكن له وارث
فنذرت لله تعالى ان ولانى الله الخلافة قتلته به فلما ولانى الله الخلافة طلبت
له العثرات حتى قتلته وهذا من فقه الخليفة ودينه وقال والله ما حللت
سراويلى على حرام قط ومحاسنه كثيرة ولم يل الخلافة من بنى العباس بعد السفاح
من لم يكن ابوه خليفة الا المستعين والمعتضد وتزوج قطر الندا ابنة خمارويه
ابن احمد بن طولون سنة احدى وثمانين واصدقها الف الف درهم ثم توفى
ببغداد وعمره سنة واربعون سنه ويقال ان وزيره اسمعيل بن بلبل سمه والله
اعلم

خلافة المكتفى بالله

ابى محمد على بن المعتضد امه ام ولد بويع له يوم وفاة ابيه كان حسن الوجه
كثير العساكر ذا اموال جمة وليس فى الخلفاء من اسمه على غيره وعلى بن ابى طالب
كرم الله وجهه ولا فيهم من كنيته ابو محمد سواه والحسن بن على رضى الله عنهما
وهو الذى بنى جامع البصرة واباد القرامطة الخارجين على الامام وفى ايامه فتحت
انطاكيه ومات احمد بن يحيى بن الراوندى المشهور فى سنة ثلاث وتسعين ومايتين
وقيل غير ذلك وله من العمر ست وثلاثون سنة وتوفى المكتفى ببغداد وعمره احدى
وثلاثون سنة وشهورا

خلافة المقتدر بالله

ابى الفضل جعفر بن المعتضد امه ام ولد بويع له ليلة مات ابوه المكتفى ولم يل الخلافة
اصغر منه سنا وكان له من العمر اذ ذاك ثلاثة عشرة سنة وشهران الا اياما
فدبر الوزراء والكتاب الامور وغلبت النساء على امره حتى ان جارية لامه تعرف
بثمل القهرمانة كانت تجلس للمظالم وتحضرها القضاة والفقهاء والوزراء وبطل
الحج فى ايامه سنة سبع عشرة وثلثماية لدخول سليمان القرمطى صاحب البحرين مكة

يوم

يوم الاثنين لسبع خلون من ذى الحجة واخذه الحجر الاسود يوم الاحد لثلاث
عشرة ليلة خلت من ذى الحجة المذكور واقام بمكة ثمانية ايام وقتل ممن كان بها
من الحجاج وغيرهم قتلا ذريعا ورمى بهم فى زمزم وعرى الكعبة وخلع بابها
وبقى الحجر الاسود عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا اشهر ثم رده الله
تعالى ولم يبطل الحاج منذ كان الاسلام غير تلك السنة ويا تى ذكر ذلك فى ترجمة
المهدى باسه العلوى واستوزر المقتدر بالله اثنى عشر وزيرا يولى هذا اليوم منهم بن مقلة
ثم يعزله غدا الى ان خرجه قرناء السوء ليتفرج على لاعب فى الميدان فاشتغل
الناس باللاعب عن حراسة الخليفة فلما راى اللاعب الناس قد ابعدوا عنه
ركض فرسه اليه وطعنه فى صدره بحربه فقتله فلم ينتطح فيها كبشان ولا
طلب مه من عسكره اثنان ثم مر اللاعب يطلب دار الخلافة نحو القاهر فعلق
به كلاب فى دكان قصاب فخرج الفرس من تحته فبقى معلقا فمات فى الوقت
واحرق يوم الاربعا الاتى ذكره وقيل قتله بعض البربر بالسيف فى الحرب بينه
وبين يونس الملقب بالمظفر واخذ راسه يوم الاربعا لثلاث بقين من شوال
سنة عشرين وثلاثماية وعمره ثمان وثلاثون سنه وشهر وايام فكانت خلافته
اربعا وعشرين سنه واحدى عشر شهرا واربعة عشر يوما كذا فى سيرة الحافظ
مغلطاى ودفن وعفى اثره واجتبا المقتدر من الاموال سبعماية الف الف دينار
وخمسين الف الف دينار خارجا عما وجده فى بيوت الاموال فانفق ذلك كله ومات
فى ايامه خمسة عشر الف امير ومتقدم ومذكور وانتشر النساء فى ايامه وكان
الناس قد ملوا ايامه لطولها حتى اذا تصرمت تمنوا ساعة منها فتعا قبتهم الحوادث
وفى ايامه ظهرت الدولة العلوية الفاطمية كما سياتى فى ترجمة المهدى بالله اول
خلفايهم وماتت ام المقتدر بعده بسبعة اشهر وثمانية ايام بعد مصادرات
ونوازل ولم يكن لامراة من الخير ما كان لزبيدة ولها بعدها وكانت مواظبة على
صلاح شان الحاج وانفا ذخزانة الطب والاشربة الى الحرمين واصلاح المصا
والحياض وكان يرتفع لها من ضياعها الف الف دينار فى كل سنة فتصدق
باكثرها وكان للمقتدر من الاولاد اثنا عشر ولدا ذكرا وكان من وزرايه ابو الحسن
ابن الفرات وكان كريما ووزر له عبيد الله بن خاقان وكان جوادا كريما وعلى بن
عيسى بن داود بن الجراح وكان موصوفا بالعلم والدين خدم الخلفاء سبعين
سنة لم يزل فيها نعمة احد ولم يقتل احدا ولم يسع فى احد فبقيت عليه نعمته وعلى
ولده بعد ان شخصت له المدنى فدفع الله عنه ولم يهتك لاحد حرمة
فلم يهتك الله له حرمة وكان مكتوب على خاتمه لله صنع خفى فى كل امر يخاف
وقيل محمد رسول الله رحمه الله تعالى

خلافة القاهر ابى منصور

محمد بن المعتضد اخى المقتدر وامه قبول ام ولد بويع له بعد اخيه المقتدر بيومين

وكان موصوفا بالظلم وسفك الدما جماعا للمال قبيح السياسة صادر جماعة
من امهات اولاد اخيه المقتدر واولاده وضرب ام المقتدر وعلقها بفرد رجل
في حبل البادة حتى ماتت وحل وقفها على الحرمين والثغور وباعه وزاد بطشه
وقتله لارباب الدولة فخاف وزيره ابو علي بن مقلة منه وبذل لمنجم كان يخدم
احد قواده مايتى دينار حتى قال للقايد من طريق النجوم انى اخاف عليك من القاهر
فاجتمعوا عليه وخلعوه وسملوه وارتكبوا منه امرا لم يسمع بمثله في الاسلام فكان
اول من سمل من الخلفاء وقيل انه بعد ما سمل خرج الى الجامع واستعطى فاعطا
بعض الهاشميين الف درهم

خلافة الراضي بالله

محمد بن المقتدر وامه ظلوم ام ولد بويع له يوم خلع عمه القاهر وكان اديبا شاعرا
وهو القايل لا تعذلي كرمي على الاسراف ربح المحامد متجر الاشراف
اجري كاباي الخلايف سابقا واشيد ما قد اسست اسلافي
انى من القوم الذين اكفهم معتادة الاخلاف والاتلاف
وهو اخر خليفه خطب على منبر يوم الجمعة ولما اراد الخطبة ارسل الى الفقيه
اسمعيل بن علي وقال له قد عزمت على ان اصلي غدا صلاة الجمعة فكيف اقول
اذا بلغت الدعا لنفسي قال تقول رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه الاية فقال حسبك وممن وزر له
وافسد دولته ابو علي بن مقلة فانه كتب الى بحكم التركي يطمعه في بغداد
فحصل من علم الخليفه بذلك فامر بقطع يده وقال هذا سعى في الارض الفساد
فكان ابن مقلة ينوح على يده ويقول خدمت بها ثلاث خلفا وكتبت بها
القرآن مرتين وتقطع كما تقطع اللصوص ولم يكن في زمانه من يساويه في
حسن الخط وخدمته لثلاث خلفا انه اول دخوله في الوزارة ايام المقتدر ثم
خدم القاهر ثم الراضي ولما غضب الخليفة عليه وامر بقطع يده لم يات احد
اليه متوجعا في اثناء ذلك رضي الخليفة وخلع عليه فاتته الناس يهنونه
افواجا فانشد تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم فانكشف الناس لي وبانوا
يا ايها المعرضون عنا عودوا فقد عاود الزمان

خلافة المتقي بالله

ابي اسحق ابرهيم بن المقتدر بويع له بعد موت اخيه الراضي بالله بخمسة ايام
وكان عابدا كثير الصلاة والصوم ولم يشرب النبيذ قط وكان يقول المصحف
نديمي ولذلك لقبه الصولي بالمتقي لله ولم يتخذ باحد قط الا ان الله تعالى
لم يوفق له اصحابا فغدر روابة الترك وسملوه وعمره ستون سنة واياما رحمه

خلافة المستكفي بالله

بويع له بعد سمل المتقي كان حسن الوجه قد وخطه الشيب لقب بامام الحق

ايضا فقبض عليه معز الدولة بن بويه الديلمي وسمل بعد خلعه وحبس وتوفي
بعد محبسه وكان خلع المستكفي يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاخرة
سنة اربع وثلاثين وثلثماية وكانت خلافته سنة واربعة اشهر ويومين

خلافة المطيع لله الفضل

ابن المقتدر وهو اول من طال عمره من خلفاء بني العباس لانه بقي في الخلافة
تسعا وعشرين سنة واربعة اشهر وواحد وعشرين يوما وكان المدبر للامور
والحاكم على الجمهور معز الدولة المذكور وكان كريما حليما سخيا على قلة ذات
يده وكان يجري على ثلاثة خلفاء خلعوا وسملوا وهم القاهر والمستكفي والمتقي
لكل واحد منهم في الشهر ماية دينار ولم يتعرض لاحد من قرابته بسوء
وخلع نفسه برضاه يوم الاربعا ثالث عشر ذي القعدة لثلاث وستين
وثلاثماية لولده ابي بكر عبد الكريم

خلافة عبد الكريم الطايع لله

ابي بكر عبد الكريم بن الفضل بويع له بعد ان خلع ابوه نفسه ولم يتقلد الخلافة
من له اب حي الا ابو بكر الصديق رضي الله عنه وابو بكر الطايع وخلع الطايع
لاحدى عشر ليلة بقيت من شعبان سنة احدى وثمانين وثلثماية ورمي
من فوق السرير وقبض عليه بهاء الدولة بن عضد الدولة بسبب طمعه
في مال الطايع ولما اراد ذلك ارسل الى الطايع رسالة الاذن ليجدد العهد
له فجلس الطايع على كرسي ودخل عليه بعض الديلم وقد كان مديره ليسلم
عليه فجذبه عن سريره والخليفة يقول انا لله وانا اليه راجعون ويستغيث
فلا يغاث وحمل الى دار بهاء الدولة فاشهد عليه بالخلع وذلك بداره موضع
المدرسة النظامية ونهبت الديلم دار الخلافة ولما تولى القادر حمل اليه
الطايع فبقي عنده مكرما الى ان مات ورثاه الشريف الرضي بقصيده اولها
ما بعد يومك ما يسلو به السالي ومثل يومك لم يخطر على بالي

خلافة القادر بالله

ابي العباس احمد بن الامير اسحق المقتدر بالله بن المعتضد بويع له بعد خلع
الطايع وكان القادر مقيما بالبطايح فارسل اليه بهاء الدولة خواص اصحابه
ليحضروه ولما قرب من بغداد خرج بهاء الدولة واعيان الناس للتقاه
ودخل دار الخلافة وبايعه الناس وكان من حسن الدين والتهجد والورع على
طريقة مشهورة صالحا ورعا نقيا حسن الخليقة حميد الطريقة صلف النفس
كثير المعروف بلغ من العمر ستا وثمانين سنة وتسعة اشهر واياما وقام خليفه
احدى واربعين سنة وثلاث اشهر واحد وعشرين يوما ولم يبلغ احد من
الخلفاء قبله مدة ولايته ولا طول عمره وفي ايامه فتحت السند والهند وكتب
ببغداد محضر بامر القادر يتضمن القدح في نسب العلويين خلفاء مصر وكتب فيه

جماعة من العلويين والقضاة وجماعة من الفضلاء وابو عبد الله بن النعمان
فقيه الشيعة ونسخة المحضر المذكور هذا ما شهد به الشهود ان معد بن اسمعيل
ابن عبد الرحمن بن سعيد منتسبا الى ديصان بن سعيد الذي تنسب اليه الديصانية
وان هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار
والدمار بن معد بن اسمعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا اسعده الله وان من
تقدمه من سلفه الارجاس الانجاس عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين
ادعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه وان ما ادعوه
من الانتساب اليه زور وباطل وان هذا الناجم في مصر هو وسلفه كفار فساق
زنادقة ملحدون معطلون وللاسلام جاحدون اباحوا الفروج واحلوا الخمور
وسبوا الانبياء وادعوا الربوبية وتضمن المحضر نحو ذلك وفي اخره وكتب
في شهر ربيع الاخر سنة اثنتين واربعماية وكانت وفاة القادر بالله في حادي
عشر ذي الحجة سنة اثنين وعشرين واربعماية

خلافة القايم بامر الله

ابي جعفر عبد الله بن القادر بالله كان ابوه قد عهد اليه وبايع له بالخلافة
تجددت له البيعة وكان كريما حليما حسن السيرة قد اجتهد في صلاح الدين
وكان ذكيا ملازما للصلاة والصيام وبسبب كثرة صيامه ان الخطيب كان يقول
في خطبته يوم الجمعة اللهم اصلح عبدك وخليفتك الامام الصوام القوام
فقال مجيبا له والله لا كذبتك فكان يصوم النهار ويقوم الليل ولا ياكل
من المال الا قوته وقوت عياله خاصة وزال في ايامه ملك العجم الذين كانوا
يحجرون على الخلفاء واستقل هو بالامر ودعى له بافريقيه اقام دعوته بها
المعز بن باديس وقتل البساسيري كبير الترك ببغداد لما ظهر منه من المخالفة
والعصيان قتله طغرلبك وارسل راسه الى الخليفة وفي ايامه غرقت
حتى خرج الماء عليه من تحت سريره فنهض الى الباب فلم يجد طريقا فحمله خادم
على ظهره حتى اخرجه واخذ الخليفة بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلبسها ثم اخذ القضيب بيده ووقف يصلي ويتضرع الى الله تعالى وهو صايم
يومه ولم يطعم ليلته ففرج الله عن الناس وخلافته اربعة واربعون سنة
وثمانية اشهر ويومان

خلافة المقتدي بامر الله

ابي القاسم عبد الله بن محمد الذخيرة بن القايم بويع له لما توفي والده فحضر مويد الملك
والوزير بن جهير والشيخ ابو اسحق الشيرازي وابن الصباغ ونقيب النقباء
طراد الزينبي والقاضي ابو عبد الله الدامغاني وغيرهم من الاعيان وبايعوه
بالخلافة ولم يكن للقايم ولد سواه وكان قوي النفس عظيم الهمة وتوفي فجاة
وامه ام ولد اسمها ارجوان ارمنيه ادركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر

وخلافة

وخلافة ابن ابنه المسترشد خلافة المستظهر بالله ابي العباس احمد بن المقتدي
بويع له بالخلافة لما توفي والده وكان عمره ست عشرة سنه وشهرين وفي ايامه
اخذ الفرنج بيت المقدس على ما ياتي ذكره في ترجمة المستعلي بامر الله العلوي

خلافة المسترشد بالله

ابي منصور الفضل بن المستظهر اخذ البيعة له القاضي ابو الحسن الدامغاني لما توفي
والده المستظهر ثم وقع الحرب بين المسترشد وبين السلطان مسعود وسببه
ان جماعة من عسكر مسعود فارقوه مغتاضين واتصلوا بالخليفة وهونوا عليه
قتال السلطان مسعود فاغتر بكلامهم وسار من بغداد لقتاله فصار غالب
عسكر الخليفة مع مسعود وانهزم الباقون واخذ الخليفة اسيرا مع مسعود
ثم سار به من همذان الى مراغه وهو معه في خيمة منفردة وكان قد اتفق مع الخليفة
على مال يحمله الخليفة اليه وان لا يعود يخرج من بغداد واتفق وصول رسول السلطان
سنجر الى مسعود فركب مسعود الى ملتقاه فوثب الباطنية على المسترشد وهو في
تلك الخيمة فقتلوه ومثلوا به فجدعوا انفه واذنيه وقتل معه نفر من اصحابه
بظاهر مراغه وكان فصيحا شهما حسن الخط وفي ايامه في سنة ثلاث عشرة
وخمسماية ظهر قبر سيدنا ابرهيم عليه السلام وقبر ولديه اسحق ويعقوب
بالقرب من بيت المقدس وراهم كثير من الناس لم تبل اجسادهم وعندهم في الغار
قناديل من ذهب وفضة وياتي ذكر ذلك في ترجمة الآمر باحكام الله العلوي

خلافة الراشد بالله

ابي جعفر المنصور بن المسترشد بالله بويع له لما قتل والده وكان ابوه قد بايع
له بولاية العهد في حيوته ثم جددت له البيعة بعده وكتب مسعود الى بغداد
بذلك فحضر بيعته احد وعشرون رجلا من اولاد الخلفاء ثم خلع الراشد
وسببه انه اتفق مع بعض ملوك الاطراف مثل عماد الدين زنكي وغيره على خلاف
السلطان مسعود وطاعة داود بن السلطان محمود فلما بلغ مسعود ذلك سار
الى بغداد وحاصرها فلم يظفر بها فارتحل وسار الراشد من بغداد مع عماد الدين
زنكي الى الموصل فلما سمع مسعود بمسيره معه سار الى بغداد واستقر بها وجمع
القضاة وكبرا بغداد واجمعوا على خلع الراشد بسبب انه كان قد عاهد
مسعودا على انه لا يقاتله ومتى خالف ذلك فقد خلع نفسه وبسبب امور
ارتكبها فخلع وحكم بفسقه وخلعه

خلافة المقتفي لامر الله

هو محمد بن المستظهر لما خلع الراشد استشار السلطان مسعود فيمن يقيمه في
الخلافة فوقع الاتفاق على محمد بن المستظهر فاحضر فدخل اليه السلطان مسعود
وتحالفا ثم خرج السلطان واحضر الامراء وارباب المناصب والقضاة والفقها
وبايعوه ولقبوه المقتفي لامر الله وعمل محضر بخلع الراشد وارسل الى الموصل وزاد

المقتفي في اقطاع عماد الدين زنكي والقابه وارسل المحضر ليحكم به قاضي القضاة الزينبي بالموصل وخطب للمقتفي في الموصل ثم وصل رسول السلطان سنجر ومعه بردة النبي صلى الله عليه وسلم والقضيب كانا قد اخذا من المسترشد فاعادهما الى المقتفي ثم انه قلع باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحا بالفضة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الاول تابوتا يدفن فيه وهو اول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب الاخبار في جميع البلاد حتى كان لا يفوته شي منها

خلافة المستنجد بالله

ابي المظفر يوسف بن المقتفي بويع له لما توفي ابوه وكان سبب موت ابيه انه مرض واشتد مرضه وكان قد خاف منه استاذ داره عضد الدين بن رئيس الروسا وقطب الدين قيماز اكبر امرا بغداد فاتفقا ووصيا الطبيب ان يصف له ما يهلكه يوصف له دخول الحمام فامتنع منه لضعفه ثم انه دخلها واغلق عليه الباب فمات

خلافة المستضي بامر الله

ابي محمد الحسن بن المستنجد ولما مات ابوه احضر عضد الدوله وقطب الدين واشترطا عليه ان يكون عضد الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذ دارا وقطب الدين امير العسكر فاجابهما الى ذلك ولم يل الخلافة من اسمه حسن غيره والحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما فبايعوه بالخلافة يوم مات ابوه بيعة خاصة وفي غده بيعة عامة فسار سيرة حسنة واطلق كثيرا من المكوس وكان شديدا على اهل العبث والفساد وفي ايامه كان انقطاع الدولة الفاطمية كما ياتي في ترجمة الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمهما الله

خلافة الناصر لدين الله

ابي العباس احمد بويع له بالخلافة لما مات ابوه المستضي وقام له بالبيعة ظهير الدين ابو بكر بن العطار وزير ابيه الذي كان استوزره بعد قتل وزيره عضد الدين ولما استقرت له البيعة حكم استاذ الدار مجد الدين فقبض على ظهير الدين ابن العطار ونقل الى الساح واخرج ظهير الدين ميتا على راس حمال فثارت به العامة والقوه عن راس الحمال وشدوا في ذكره حبلا وسحبوه في البلد وكانوا يضعون في يده مغرفة يعني انها قلم وقد غمست تلك المغرفة في العذرة ويقولون وقع لنا يا مولانا هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفه عن اموالهم ثم خلص منهم ودفن وكان الناصر قبيح السيرة في رعيته ظالما لهم خرب في ايامه العراق وكان يتشيع وينسب اليه انه هو الذي كاتب التتار واطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه محمد بن تكش من العداوة ليشتغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق والله اعلم

خلافة الظاهر بامر الله

ابي نصر محمد بن الناصر بويع له لما توفي والده فاظهر العدل وحسن السيرة وازال

المكوس واخرج المحبسين وظهر للناس وكان من قبله لا يظهرون الا نادرا ولم تطل به مدته غير تسعة اشهر وكان سنيا محسنا الى الرعية جدا وابطل عدة مظالم منها انه كان بخزانة الخليفة صنجة زايدة يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التي يتعامل بها الناس وكان زايد الصنجة في كل دينار حبة فابطل ذلك وعمل صنجة المخزن مثل صنجة المسلمين وكان لا يحب جمع المال بل يبذله للمحبوسين على الديون وللعلماء والفقهاء والحفاظ رحمه الله تعالى الى الفياض

خلافة المستنصر بالله

ابي جعفر المنصور ولي الخلافة لما توفي والده الظاهر وسلك في العدل والاحسان مسلك والده وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية ببغداد على دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة وجعل لها اوقافا جليلة على انواع البر رحمه الله

خلافة المستعصم

ابي احمد عبد الله لما مات ابوه المستنصر اتفقت ارا ارباب الدولة على تقليد ولده عبد الله الخلافة فولوه وكان ضعيف الراي فاستبد كبرا دولته بالامر وحسنوا له قطع الاجناد وجمع المال ومداراة التتار ففعل ذلك ذكر استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية منها واصل ذلك ان هلاكو ملك التتر قصد بغداد وملكها في سنة ست وخمسين وستماية وقتل الخليفة المستعصم وسبب ذلك ان مويد الدين بن العلقمي وزير المستعصم كان رافضيا وكذلك اهل الكرخ فجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد كعادتهم فامر ابو بكر ابن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وقتلوا النسا وركبوا منهن الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي فكاتب التتر واطمعهم في ملك بغداد ماية الف فارس وكان عسكر بغداد ماية الف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل الى التتر متحصل اقطاعاتهم وصار عسكر بغداد عشرين الف فارس وارسل ابن العلقمي الى التتر اخاه يستدعيهم فساروا قاصدين بغداد في جحفل عظيم وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم ركن الدين الدوادار والتقوا على مرحلتين من بغداد واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم بغداد وسار بعضهم الى جهة الشام ونزل هلاكو على بغداد من الجانب الشرقي ونزل باجو وهو مقدم كبير من الجانب الغربي وخرج ابن العلقمي الى هولاكو فتوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة وقال ان هولاكو يبقيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من ابنك ابي بكر وحسن له الخروج الى هولاكو فخرج في جمع من اكابر اصحابه فانزل في خيمة ثم استدعى ابن العلقمي الفقهاء والاماثل فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون وكان منهم محي الدين بن الجوزي واولاده وكذلك بقي يخرج الى التتر طايفة بعد طايفة فلما تكاملوا قتلهم التتر عن اخرهم ثم مدوا الجسر وعدى باجو ومن معه وبذلوا السيف في بغداد وهجموا

على دار الخلافة وقتلوا كل من فيها من الاشراف ولم يسلم الا من كان صغيرا فاخذ اسيرا ودام القتل والنهب نحو اربعين يوما ثم نودي بالامان واما الخليفة فانهم قتلوه ولم تعلم كيفية قتله وكان سي التدبير وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد فكانت مدة ملك بني العباس ببغداد خمسماية سنة واربعا وعشرين سنه تقريبا وكانت عدتهم سبعة وثلثون خليفة حكى القاضي جمال الدين ابن واصل قال لقد اخبرني من اثق به انه وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته ان علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بلغ بعض خلفاء بني امية عنه انه يقول ان الخلافة تصير الى ولده فامر الاموي بعلي بن عبد الله فحمل على جمل وطيف به وضرب وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفتري ويقول ان الخلافة تصير الى ولده وكان علي بن عبد الله رضي الله عنهما يقول اي والله لتكونن الخلافة في ولدي لا تزال فيهم حتى ياتيهم العلج من خراسان فينزعها منهم فوقع مصداق ذلك وهو ورود هولاكو وازالته ملك بني العباس وختمت خلافتهم بعبد الله المستعصم كما افتتحت بعبد الله السفاح منهم وكذلك افتتحت الامارة والملك بعد الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه بمعاوية بن ابي سفيان وختم الملك من ذريته بابن ابنه معاوية بن يزيد وكذلك افتتح الملك بعد معاوية وذريته بمروان بن الحكم من بني امية واختتم ملكهم بمروان الجعدي الملقب بالحمار كما تقدم وكذلك الدولة العلوية الفاطمية افتتحت بعبيد الله المهدي وختمت بعبد الله العاضد لدين الله على ما ياتي ان شاء الله تعالى

الدولة العلوية بمصر

وهم اربعة عشر خليفة اولهم المهدي بالله استولوا على الخلافة بافريقية والمغرب ثم استولوا على الديار المصرية والشام وما والاها ومكة واليمن وبيت المقدس وكان ابتداء مدتهم في ايام المقتدر بالله ابي الفضل جعفر بن المعتضد العباسي خليفة بغداد في اواخر سنة ست وسبعين وماتين كما تقدم وانقراضها على يد الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب في اول سنه سبع وستين وخمسماية في ايام المستضي بامر الله ابن المستنجد بالله العباسي خليفة بغداد كما سيمر بك ذلك في تراجمهم وفي ترجمة الملك صلاح الدين ان شاء الله تعالى

خلافة المهدي بالله العلوي الفاطمي

هو عبيد الله وفي نسبه اختلاف كثير والمحققون ينكرون دعواه في النسب حتى بالغ بعضهم وذكر انه في نسبه يهودي ادعى الخلافة بالمغرب بعد رجوعه من سجلماسه وقد جرى له ما جرى له من المحن بواسطة الخلفاء من بني العباس وكان ظهوره بها يوم الاحد لتسع خلون من ذي الحجة سنة ست وتسعين وماتين وخرجت بلاد المغرب عن ولاية بني العباس وكان الخليفة اذ ذاك المقتدر بالله ابو الفضل جعفر المذكور ودعي للمهدي بالخلافة على منابر قاره وقيروان يوم الجمعة

لتسع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وماتين وبنى المهدية بافريقية في نحو خمس سنوات وهي على ساحل البحر وجعلها دار ملكه وجعل لها سورا محكما وابوابا عظيمة وزن كل مصراع ماية قنطار ولما فرغ منها قال المهدي الآن امنت على الفاطميات بجمعها منها وبنا سور تونس وجدد فيها مواضع تنسب اليه وملك بعده ولده القايم ثم المنصور ثم المعز وهو الذي سير القايد جوهر وملك الديار المصرية وبنى القاهرة واستمرت دولتهم حتى انقرضت على يد السلطان صلاح الدين ولاجل نسبتهم الى عبيد الله المذكور يقال لهم العبيديون **ذكر ما فعله القرامطة بمكة** وفي ايامه وافى ابو طاهر القرمطي مكة يوم التروية وقتل امير مكة والحجاج وفعل غير ذلك كما تقدم في خلافة المقتدر جعفر العباسي

خلافة القايم بامر الله العلوي

هو ابو القاسم محمد بن عبد الله المهدي لما توفي والده اخفى موته سنة لتدبير كان ولما اظهر وفاة ابيه بايعه الناس واستقرت ولايته ثم انه سير جيشا من افريقية في البحر ففتحوا مدينة جنوه واوقعوا باهل سردانيه السيف وعادوا سالمين

خلافة المنصور بالله اسمعيل

ابن القايم بويع له يوم وفاة ابيه وكان بليغا فصيحا يرتجل الخطبة ولما حاصر المنصور بن مخلد ببوسه وهزمه واسره ومات من جراحة اصابته وامر بسلخه وان يحشى جلده قطنا وصلبه وبنى مدينة موضع الوقعة وسماها المنصورة واستوطنها وخرج منها الى مدينة جلولا يتنزه بها ومعه حظية قضيب وكان مغرما بها فسلط الله عليهم بردا وريحا فخرج منها الى المنصورة فاشتد عليهما البرد واوهن جسمه ومات اكثر من كان معه فاعتل بها ومات ودفن بالمهدية

خلافة المعز لدين الله

صاحب القاهرة هو ابو تميم معد وكان قد بويع بولاية العهد في حيوة ابيه المنصور ثم جددت له البيعة بعد وفاة ابيه ودبر الامور وساسها واجراها على احسن احكامها في نحو شهر وايام ثم جلس على سرير ملكه ودخل عليه الخاصة وكثير من العامة وسلموا عليه بالخلافة وسمي بالمعز ولم يظهر على ابيه حزنا ثم خرج الى بلاد افريقيه يمهد قواعدها ويطوف بها وانقاد له العصاة من اهل تلك البلاد ودخلوا لطاعته وعقد لغلمانه واتباعه على الاعمال واسند في كل ناحية من يعلم كفايته وشهامته وضم الى كل واحد منهم جمعا كثيرا من الجند وارباب السلاح ثم جهز ابا الحسن جوهر القايد ومعه جيش كثير ليفتح ما استعصى عليه من بلاد المغرب فسار الى فاس ثم منها الى سجلماسه وفتحها ثم توجه الى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله في قلال الماء وارسلها الى المعز ثم رجع اليه ومعه صاحب سجلماسه وصاحب فاس اسيرين في قفص حديد بعد ان مهد له البلاد وحكم على اهل الزيغ

والغناد من باب افريقية الى البحر المحيط وفى جهة المشرق من باب افريقية الى
اعمال مصر ولم يبق بلد من هذه البلاد الا اقيمت فيه دعوة المعز وخطب له
فى جمعته وجماعته الا مدينة سبتة فانها بقيت لبنى امية اصحاب الاندلس
ولما وصل الخبر الى المعز بموت كافور الاخشيدى صاحب مصر تقدم المعز
الى القايد جوهر المذكور ليتجهز للخروج الى مصر فخرج اولا الى جهة المغرب
لاصلاح اموره وكان معه جيش عظيم وجمع قبايل العرب الذين يتوجه بهم
الى مصر وجبى القطايع التى كانت على البربر فكانت خمسماية الف دينار وخرج
المعز بنفسه فى الشتا الى المهدية واخرج من قصور آبايه ماية الف حمل دنانير
وامتعة وسلاح وعاد الى قصره ولما عاد جوهر بالرجال والاموال الى المعز امره
المعز بالخروج الى مصر فخرج ومعه انواع القبايل وانفق المعز فى المسير صحبته
اموالا عظيمة حتى اعطى الف دينار الى عشرين وعمر الناس بالعطا وانصرفوا الى
القيروان وغيره فى شرا حوايجهم ورحلوا ومعهم الف حمل من المال والسلاح
ومن الخيل والعدد ما لا يوصف وكان فى مصر تلك السنة غلا عظيم ووبا
حتى مات فى مصر واعمالها فى تلك السنة ستماية الف انسان على ما قيل ثم انه
وصلت البشارة الى المعز بفتح الديار المصرية ودخول عساكره اليها ثم وصلت
النجب بعد ذلك بصورة الفتح وكانت كتب جوهر ترد الى المغرب باستدعا
المعز الى مصر ويحثه كل وقت على ذلك ثم ارسل اليه يخبره بانتظام الحال
بمصر والشام والحجاز واقامة الدعوة له بهذه المواضع فسر المعز بذلك ولما
ثبتت قواعده بالديار المصرية استخلف على افريقية بلكين الصنهاجى وخرج المعز
متوجها من المنصورية الى دار ملكه الى مصر باموال جليلة المقدار ورجال عظيمة
الاخطار وانتقل الى سردانية واقام بها ليجمع رجاله واتباعه ومن يستصحبه
معه ثم رحل عنها ولم يزل فى طريقه يقيم بعض الاوقات فى بعض البلاد اياما ويجد
المسير فى بعضها ودخل الاسكندرية وركب فيها ودخل الحمام وقدم عليه ابو
طاهر محمد قاضى مصر واعيان اهل البلاد وسلموا عليه وجلس لهم وخاطبهم خطابا
طويلا واخبرهم انه لم يرد دخول مصر لزيادة فى ملكه ولا فى ماله وانما اراد اقامة
الحق والحج والجهاد وان يختم عمره بالاعمال الصالحة ويعمل ما امر به جده رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووعظهم واطال حتى بكى بعضهم وخلع على القاضى
وبعض الجماعة وودعوه وانصرفوا ثم رحل منها ونزل على ساحل مصر بالجزيرة
فخرج اليه القايد جوهر وترجل عند لقايه وقبل الارض بين يديه وبالجزيرة اجتمع
به الوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات واقام المعز هنا ثلاثة ايام واخذ العسكر
فى التعدية باثقالهم الى ساحل مصر ثم عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم يدخل مصر
وكانت قد زينت له لظنهم انه يدخلها واهل القاهرة لم يستعدوا للزينة لانهم
بنوا الامر على دخوله مصر اولا ولما دخل القاهرة دخل القصر ودخل مجلسا منه وخر ساجدا

ثم صلى

ثم صلى فيه ركعتين وانصرف الناس عنه وهذا المعز هو الذى تنسب اليه القاهرة
المعزية لانها التى بناها القايد جوهر له ثم ان المعز عزل القايد جوهر عن دواوين
مصر وجباية اموالها والنظر فى ساير اموره وكان المعز عاقلا حازما حسن
النظر وينسب اليه من الشعر قوله

لله ما صنعت بنا | تلك المحاجر فى المعاجر
امضى وافضى فتكها | حتى النفوس من الخناجر
ولقد تعبت ببينكم | تعب المهاجر فى الهواجر

وفى نوادر الاخبار ان ابنته رشيدة هى التى عمرت الجامع آخر مصر المعروف
بها وانها لما توفيت فى سنة اثنتين واربعين واربعماية تركت فى خزاين
كسوتها ما قوم بالف الف وماية الف دينار واما المال الصامت فلم يحط
به احد علما الا الله تعالى ولما توفيت اختها عبدة تركت الفا وثلثماية قطعة
محرفة بالذهب وزن كل قطعة عشرة الاف درهم وثلاثين الف شقة حرير صفرا
من لون واحد وجوهرا وزمردا كان كيله اردبا

خلافة العزيز بالله

نزار بن المعز كان كريما شجيعا حسن العفو عند المقدرة وهو الذى اختط اساس
الجامع بالقاهرة مما يلى باب الفتوح سنة ثمانين وثلثماية وفى ايامه بنى قصر البحر
الذى بالقاهرة الذى لم ير مثله شرقا ولا غربا وقصر الذهب وجامع القرافة
والقصور بعين شمس وكان قريبا من الناس حسن الخلق قليل سفك الدما كثير
الصيد اديبا فاضلا يفرق الجوهر والدر وزادت مملكته ابيه وفتحت له حمص
وحماه وشيزر وحلب وخطب له بمكة وخطب له ابن المقلد العقيلى صاحب
الموصل بها وباعمالها وضرب اسمه على السكة والبنود وخطب له باليمن ولم يزل
فى سلطانه وعظيم شانه الى ان خرج الى بلبيس موجها الى الشام لغزو الروم
فابتدات به العلة فركب الى الحمام ببلبيس فخرج منها وازداد مرضه من الحمى
والقولنج فاستدعى القاضى محمد بن النعمان واميرالدولة الحسن بن عمار الكتانى
وخاطبهما فى امر ولده ولم يزل العزيز فى الحمام والامر يشتد به الى ان توفى فى مسلخ
الحمام ولم ينكتم موته ساعة واحدة وترتب موضعه ولده الحاكم ابو على المنصور
وبلغ الخبر اهل القاهرة فخرج الناس لتلقى الحاكم فدخل البلد وبين يديه البنود
والرايات وعلى راسه المظلة يحملها زيدان الصقلى فدخل القصر بالقاهرة
عند اصفرار الشمس ووالده العزيز بين يديه فى عمارية وقد خرجت قدماه منها
وادخلت العمارية القصر وغسل ودفن عند ابيه ليلا واصبح الناس من الغد
والاحوال مستقيمة وقد نودى فى البلدان لا كلفة ولا ظلم وقد امنكم الله على
انفسكم واموالكم فمن عارضكم او نازعكم فقد حل ماله ودمه وكان العزيز قد
ولى كتابته نصرانيا يقال له عيسى بن نسطورس واستناب بالشام يهوديا اسمه

ميشا فاستطالت النصارى واليهود بسببهما على المسلمين فعمد اهل مصر الى قراطيس فعملوها على صورة امراة ومعها قصة وجعلوها فى طريق العزيز فاخذها العزيز وفيها مكتوب بالذى اعز اليهود بميشا والنصارى بعيسى ابن نسطورس واذل المسلمين بك الا كشفت عنا فقبض على عيسى النصرانى وصادره وكان يحب العفو ويستعمله وقال ابن خلكان طعن الناس فى نسبه فصعد المنبر يوما فاذا فيه رقعة مكتوب فيها

انا سمعنا نسبا منكرا | يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما تدعى صادقا | فاذكر ابا بعد الاب الرابع
وان ترد تحقيق ما قلته | فانسب لنا نفسك كالطايع
او لا دع الانساب مستورة | وادخل بنا فى النسب الواسع
فان انساب بنى هاشم | يقصر عنها طمع الطامع

كانت ايامه كلها مواسم رغده ووفاته سنة ست وثمانين وثلثماية انتهى

خلافة الحاكم بامر الله العلوى

هو ابو على المنصور تولى بعهد من ابيه ثم استقل بالامر يوم وفاة ابيه وعمره احدى عشرة سنة وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من اماثل اهل دولته وغيرهم صبرا وكانت سيرته من اعجب السير يخترع كل وقت احكاما يحمل الناس على العمل بها منها انه امر الناس بسب الصحابة رضى الله عنهم وان يكتب ذلك على حيطان المساجد والقياسر والشوارع وكتب الى عمال الديار المصرية يامرهم بالسب ثم امرهم بقلع ذلك ونهى عنه وعن فعله ثم بعد ذلك بمدة يسيرة ضرب من سب الصحابة واشهره ومنها انه امر بقتل الكلاب فلم يرى كلب فى الاسواق والازقة والشوارع الا قتل ثم نهى عنه ومنها انه نهى عن بيع الفقاع والملوخيه والترمس والجرجير والسمك الذى لا قشر له وكتب بالتشديد والمبالغة فى تاديب من يتعرض لشى منه وظهر على جماعة انهم باعوا شيا من ذلك فضربوا بالسياط وطيف بهم ثم ضربت اعناقهم وفى سنة احدى واربعماية خطب قرواش امير بنى عقيل للحاكم بامر الله باعماله كلها وهى الموصل والانبار والمداين والكوفه وغيرها وكان ابتداء الخطبة بالموصل الحمد لله الذى انجلت بنوره غمرات الغضب • وانهدت بعظمته اركان النصب واطلع بقدرته شمس الحق من الغرب فكتب بهاء الدولة الى عميد الجيوش بالمسير لحرب قرواش فسار اليه فقطع قرواش الخطبة وارسل يعتذر ومن احكام الحاكم انه نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره على اختلاف انواعه ونهى التجار عن حمله الى مصر ثم جمع بعد ذلك منه جملة كثيرة واحرقه ويقال ان مقدار النفقه على احراق ذلك خمسماية دينار ومنع من بيع العنب وانفذ الشهود الى الجيزه حتى قطعوا كثيرا من كرومها ورموها فى الارض وداسوها بالبقر وجمع

ماكان فى مخازنها من جرار العسل وكانت خمسة الاف جرة وحملت الى جانب النيل وكسرت وقلبت فى بحر النيل وامر اليهود والنصارى والسامره بلبس العمايم السود وان تحمل النصارى فى اعناقهم الصلبان يكون طول الصليب ذراع ووزنه خمسة ارطال وان تحمل اليهود فى اعناقهم قرامى خشب على وزن صلبان النصارى ولا يركبون شيا من المراكب المحلاه وان يكون ركبهم من الخشب وان لا يستخدموا احدا من المسلمين ولا يركبوا حمار المكارى مسلم ولا سفينة يتولى امرها مسلم وان تكون فى اعناق النصارى اذا دخلوا الحمام الصلبان وفى اعناق اليهود الجلاجل ليتميزوا بها عن المسلمين ثم افرد حمامات للنصارى وحمامات لليهود من حمامات المسلمين وحط على حمامات اليهود صور القرامى وعلى حمامات النصارى الصلبان وامر بهدم كنيسة القمامة وجميع الكنايس بالديار المصرية ووهب جميع ما فيها من الالات وجميع ما لها من الاوقاف لجماعة من المسلمين وتتابع اسلام جماعة من النصارى ونهى عن تقبيل الارض له وعن الدعاء والصلاة عليه فى الخطبة والمكاتبات وان يجعل ذلك السلام على امير المومنين وامر ان لا ينجم احد ولا يتكلم فى صناعة النجوم وان تنفى المنجمون من البلاد فحضر جمعهم الى القاضى مالك بن سعد الحاكم وعقد عليهم توبة واعفوا من النفى وكذلك اصحاب الغنا ومنع النسآء من الخروج الى الطرقات ليلا ونهارا ومنع الاساكفة من عمل الاخفاف للنسآء ومحيت صورة النسآء من الحمامات ولم يزلن ممنوعات من الخروج الى ايام ولده الظاهر سبع سنين وسبعة اشهر وفى سنة احدى عشرة واربعماية تنصر جماعة ممن كان اسلم منهم وامر ببناء ما كان انهدم من كنايسهم ورد ما كان اخذ من الاتها وكان الحاكم جالسا فى مجلسه وهو حافل باعيان الدولة فقرا بعض الحاضرين قوله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والقارى فى اثناء ذلك كله يشير الى الحاكم بيده فلما فرغ قرا شخص يعرف بابن المشجر وكان صالحا قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز فلما انتهى فى قراته تغير وجه الحاكم ثم امر لابن المشجر بماية دينار ولم يطلق للاول شيا ثم ان بعض اصحاب ابن المشجر قال له انت تعرف خلق الحاكم وكثرة استحالاته وما نامن ان يحقد عليك ثم يواخذك بعد هذا فتتاذى منه ومن المصلحة عندى ان تغيب عنه فتجهز ابن المشجر الى الحج وركب البحر فغرق فرآه صاحبه فى النوم وساله عن حاله فقال ما قصر الربان معنا ارسى بنا على باب الجنة وذلك ببركة نيته وحسن صدقه والحاكم هو الذى بنى الجامع الكبير بالقاهرة بعد ان كان شرع فيه والده وبنى جامع راشده بظاهر مصر وانشا مساجد كثيره بالقرافة

وغيرها وحمل الى الجوامع من المصاحف والالات الفضه والستور الخضرانيا
ما له قيمة طايلة وكان يفعل الشئ وينقضه واموره متضادة لانه كانت
عنده شجاعة واقدام وجبن واحجام ومحبة في العلم وانتقام من العلماء وميل الى
الصلاح وقتله للصلحا ومنع من صلاة التراويح عشر سنين ثم اباحها وفي
السكرد اذانه امر الناس بغلق الاسواق نهارا وفتحها ليلا فامتثلوا ذلك دهرا
طويلا حتى اجتاز مرة على شيخ يعمل النجارة بعد العصر فوقف عليه وقال الم انهكم
عن هذا فقال يا سيدي ما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنهار
فهذا من جملة السهر فتبسم وتركه واعاد للناس امرهم الى الاول وكانت ولادته
بالقاهرة وكان يحب الانفراد واتفق انه خرج الى ظاهر مصر ليلة الاثنين
السادس والعشرين من شوال سنة احدى عشرة واربعماية وطاف ليلته كلها
واصبح عند قبر الفقاعي ثم توجه الى شرقي حلوان ومعه ركابان فعاد احدهما مع
تسعة من العرب السويديين ثم عاد الركاب الثاني وذكر انه خلفه عند القبر وبقي
الناس على رسلهم يلتمسون رجوعه ويخرجون ومعهم دواب المركب الى يوم
الخميس سلخ الشهر المذكور ثم خرج مظفر الدين صاحب المظله وخطي الصقلبي ونسيم المتولي
الستر وجماعة نهار الاحد ثالث القعدة فبلغوا دير القصير المعروف بحلوان ثم
امعنوا في الدخول في الجبل فبيناهم كذلك واذا بحماره الاشهب الذي كان راكبا عليه
بالمدعو بالقمر وهو على قرنة الجبل وقد ضربت يداه بالسيف فاثر فيهما وعليه
سرجه ولجامه فتبعوا الاثر فاذا اثر الحمار في الارض واثر راجل خلفه واخر
قدامه فلم يزالوا يقصون هذا الاثر حتى انتهوا الى البركة في شرقي حلوان فنزل
اليها بعض الرجال فوجد فيها ثيابه وهي سبع جباب ووجدت مزرورة لم تحل
ازرارها وفيها آثار السكاكين فاخذت وحملت الى القصر بالقاهرة ولم يشك في
قتله مع ان جماعة من المغالين في حبه يظنون حياته وانه لا بد ان يظهر
ويحلفون بغيبة الحاكم وتلك خيالات ويقال ان اخته دست عليه من يقتله
لامر يطول شرحه وكان اسم اخته السيده ست النصر وقيل سيدة الملوك قيل لما ماتت
وجد في تركتها ثمانية الاف جارية منهن ثيبات الف وخمسماية والبقية ابكار ووجد
في تركتها اثنان وثلاثون زيرا من الصيني مملوا مسكا مسحوقا واما المال والتحف
فما قدر احد من الدولة ان يحيط به علما لكثرته وكانت ولايته خمسا وعشرين سنة
واياما ولما قتل قايد القواد حسين ابن جوهر وجدت له ذخاير لا تحصى منها ستة
الاف مبطنة حرير من ساير انواع من الديباج والعتابي ووجد له في خزانة الطيب
سبعة ازيار صيني مملوة كافورا قيصوريا كل قطعة ثلاثة مثاقيل ووجد لاحمد
ابن عبد العزيز الكاتب حين قبض عليه الف ثوب ديباج وثلثماية سفط من دق تنيس
ودمياط سوى المال الصامت في احد وعشرين صندوقا مملوة وحلوان بضم الحاء
المهملة وسكون اللام وواو بعدها الف ونون قرية مليحة كثيرة النزه فوق مصر

بمقدار

بمقدار خمسة اميال كان يسكنها عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي لما كان واليا
بمصر نيابة عن اخيه عبد الملك ايام خلافته وبها توفي وبها ولد ولده عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه

خلافة الظاهر لاعزاز دين الله

ابي الحسن علي بن الحاكم بويع له في اليوم السابع من قتل ابيه وهو صبي وكتبت
الكتب الى بلاد مصر والشام باخذ البيعة له وجمعت عمته ست الملك الناس
ووعدتهم واحسنت اليهم ورتبت الامور وباشرت تدبير الملك بنفسها
وقويت هيبتها عند الناس وعاشت بعد الحاكم اربع سنين وكان الظاهر
جميل السيرة وكانت له مصر والشام والخطبة بافريقية وكان منصفا للرعية
وتوفي في نصف شعبان سنة سبع وعشرين

خلافة المستنصر بالله

ابي تميم معد بويع له يوم موت ابيه الظاهر وجرى على ايامه ما لم يجر على
ايام غيره ممن تقدمه من اهل بيته ولا ممن تاخره واقام خليفة ستين
سنة وهذا شئ لم يبلغه احد منذ قام جدهم المهدي ومما جرى منه انه هادن
ملك الروم على ان يطلق خمسة الاف اسير ليمكن من عمارة قمامة التي كان خربها
جده الحاكم ايام خلافته فاطلق الاسرى وارسل من عمر قمامة واخرج ملك الروم
عليها اموالا عظيمة والذي يظهر ان تخريبها لم يكن تخريبا كليا فان آثار البناء
القديم موجودا الى الآن والله اعلم وفي ايامه وقع الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله
منذ زمن يوسف عليه السلام فانه اقام سبع سنين واكل الناس بعضهم بعضا
وابيع رغيف من الخبز بخمسين دينارا وكان المستنصر في هذه المدة يركب
وحده وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب وكانوا اذا مشوا
تساقطوا في الطرقات من الجوع وكان المستنصر يستعير من ابن هبة الله صاحب
ديوان الانشاء دابة ليركبها صاحب مظلته ويقال ان وزيره كانت له بغلة
يركبها يوما الى خدمة المستنصر فسرقوها واكلوها فاخذ منهم جماعة وامر
بصلبهم فاخذ الناس عن الخشب واكلوهم واكلوا الحمير والبغال والكلاب وآخر
الامر توجهت ام المستنصر وبناته الى بغداد من فرط الجوع وذلك في سنة اثنين
وستين واربعماية وتفرق اهل مصر في البلاد ولم يزل هذا الامر حتى تحرك بدر الجمالي
والد الافضل امير الجيوش من عكا وركب البحر وكان متوليا سواحل الشام فارسل
اليه المستنصر يشكو حاله واختلال دولته فركب البحر في قوة الشتا في زمن لا
يسلك البحر فيه فمن الله عليه بالسلامة ووصل بدر الى مصر في سنة سبع وستين
وقبض على الامراء والقواد الذين كانوا تغلبوا واخذ اموالهم وحملها الى المستنصر
واقام منار الدولة وشيد منها ما كان قد درس وقرر قواعد البلاد واحسن
الى الرعية فعمرت البلاد وعادت مصر واعمالها الى احسن ما كانت عليه ولقي المستنصر
في ايامه شدايد اخرج فيها امواله وذخايره حتى لم يبق له غير سجادته التي يجلس عليها

دهو مع ذلك صابر خلافة المستعلى بالله ابى القاسم احمد ولى بعد ابيه المستنصر
وفى ايامه اختلت دولتهم وضعف امرهم وانقطعت من اكثر مدن الشام
دعوتهم وانقسمت البلاد الشامية بين الاتراك والفرنج فانهم دخلوا الشام
ونزلوا انطاكيه واخذوا معرة النعمان ذكر استيلاء الافرنج على بيت المقدس
ثم قصد الفرنج بيت المقدس وحصروه نيفا واربعين يوما وملكوه فى ضحى
يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة اثنين وتسعين واربعماية ولبث
يقتلون فى المسلمين اسبوعا وقتل فى الاقصى ما يزيد عن سبعين الفا منهم
العلماء والزهاد وفى البلد من المسلمين خلق كثير واخذوا من عند الصخرة
من اوانى الذهب والفضه ما لا يضبطه الوصف وغنموا ما لا يقع على الاحصا
ووصل المستنفرون الى بغداد فى رمضان فاجتمع اهل بغداد فى الجوامع واستغاثوا
وبكوا وندب الخليفة ببغداد وهو المستظهر بالله العباسى الفقهاء فثاروا
فى الناس فلم يفد ذلك شيئا ووقع الخلف بين الملوك السلجوقية فتمكن الفرنج
فى البلاد وانزعج المسلمون فى ساير بلاد الاسلام ثم استولى الفرنج على اكثر بلاد
الساحل فى ايامه واستمر بيت المقدس وما جاوره من السواحل بيد الفرنج
الى ان فتحه السلطان صلاح الدين بن ايوب على ما ياتى فى ترجمته وتوفى المستعلى
بمصر

خلافة الآمر باحكام الله

ابى على المنصور بويع له يوم موت ابيه المستعلى وكان عمره خمس سنين وشهرا
واياما وقام بتدبير دولته الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالى امير الجيوش وكان
وزير والده ولما استبد له الامر وفطن لنفسه قتل الافضل واستوزر المامون
ابن ابى شجاع البطايحى فاستولى هذا الوزير عليه ولما قبحت سيرته قبض عليه
واستصفى امواله ثم قتله وصلبه بظاهر القاهرة وقتل معه خمسة من اخوته
وكان الآمر سيء الراى جاير السيرة مشهورا باللهو واللعب وفى ايامه اخذ
الفرنج عكا واخذوا طرابلس الشام بالسيف ونهبوا ما فيها واسروا رجالها
وقتلوا نساءها واطفالها وظفروا منها بالاموال لا تحصى وعوقب من بقى من
اهلها ثم وصلتها نجدة المصريين بعد فوات الامر فيها ثم ملك الفرنج غزة
وبانياس ثم تسلموا صور وكان الوالى بها من جهة الاتابك ظهير الدين طغتكين
وكان يومئذ صاحب دمشق وما والاها فلما ملكوا ضربوا السكة باسم الامير
المذكور ثلاث سنين ثم قطعوا ذلك واخذوا بيروت بالسيف واخذوا صيدا
وفى سنة احدى عشر وخمسماية قصد بردويل الفرنجى الديار المصرية لياخذها
فانتهى الى غزة ودخلها واخربها واحرق مساجدها ورحل عنها وهو مريض
فهلك فى الطريق قبل وصوله الى العريش فشق اصحابه بطنه ورموا حشوته
هناك فهى ترجم الى اليوم ورحلوا بجثته فدفنوها بقمامة وسبخة بردويل
التى هى فى سبخة الرمل على طريق الشام منسوبه الى بردويل المذكور والحجارة الملقاة

هناك التى تقول الناس انها قبر بردويل انما هى على هذه الحشوة وكان بردويل صاحب
البيت المقدس وعكا ويافا وعدة من بلاد الساحل وهو الذى اخذ هذه البلاد من
المسلمين قيل فى ايامه ظهر قبر الخليل وولديه اسحق ويعقوب على ما تقدم ذكره
فى ترجمة المسترشد بالله العباسى خليفة بغداد وقد مات الآمر قتيلا ولم يعقب
وكان اهل العاشر من الخلفاء العلويين وكان ظالما اخذ الاموال والارواح وارتكب
المحظورات فابتهج الناس بقتله

خلافة الحافظ لدين الله

عبد المجيد بن المستنصر بالله ولم يبايع اولا بالخلافة بل كان على صورة نايب
لانتظار حمل يظهر للآمر ولما تولى الحافظ استوزر احمد بن الافضل بن بدر الجمالى
فاستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه ونقل ما بالقصر من الاموال الى داره
ولم يزل الامر كذلك الى ان قتل احمد الوزير المذكور وكان قد قطع خطبة الحافظ
وخطب لنفسه خاصة وقطع من الاذان حى على خير العمل فنفرت منه قلوب شيعة
العلويين وثار به جماعة المماليك وهو يلعب بالكرة فقتلوه ونهبوا داره وخرج
الحافظ من الاعتقال ونقل ما بقى فى دار الوزير احمد الى القصر وبويع الحافظ فى قتل
احمد المذكور بالخلافة واستوزر انس فمات فاستوزر الحافظ ابنه الحسن وخطب
له بولاية العهد ثم قتل الحسن بن الحافظ لانه تغلب على الامر واساء السيرة
واكثر من قتل الامراء وغيرهم ظلما وعدوانا واكثر مصادرات الناس فاراد العسكر
الايقاع به وبابيه فعلم ابوه الحافظ ذلك فسقاه سما فمات واستوزر تاج الدولة
بهرام النصرانى فتحكم واستعمل الارمن على الناس فاهانهم فانف من ذلك شخص
يسمى رضوان وجمع جمعا وقصد بهرام فهرب منه الى الصعيد ثم عاد فامسكه الحافظ
وحبسه فى القصر ثم ان بهرام المذكور ترهب واطلقه الحافظ واستوزر رضوان
المذكور ولقبه الملك الافضل وهو اول وزير للمصريين لقب بالملك ثم انه فسد
ما بين رضوان والحافظ فهرب رضوان ثم ان الحافظ ظفر به وقتله ولم يستوزر
بعده احدا وباشر الامور بنفسه الى ان مات رحمه الله

خلافة الظافر بامر الله

اسمعيل بويع له بعد وفاة والده الحافظ واستوزر ابن مصال ثم قتله عباس الصنهاجى
ربيب العادل بن السلار واستقر العادل فى الوزارة وتمكن ولم يكن للخليفة معه
حكم وبقى العادل كذلك الى ان قتله ربيبه عباس المذكور وولى الوزارة فقتل عباس
الظافر وسببه انه كان لعباس ولد حسن الصورة يقال له نصر فاحبه الظافر
وما بقى يفارقه فقدم من الشام مؤيد الدولة اسامه بن منقذ الكنانى فقال
لعباس كيف تصبر على ما اسمع من قبيح القول فقال له عباس ما هو فقال ان الناس
يقولون ان الظافر يفعل بابنك نصر فانف عباس وامر ابنه نصر فدعا الظافر الى
بيته وقتلاه وقتلا كل من معه وسلم خادم صغير فحضر الى القصر واعلمهم بقتل
الظافر ثم حضر عباس الى القصر وطلب الاجتماع بالظافر وطلبه من اهل القصر فلم يجدوه

فقال انتم قتلتموه فاحضر اخوى الظافر يوسف وجبريل وقتلهما **خلافة الفايز بنصر الله**

عيسى استقر فى الخلافة ثانى يوم قتل ابيه اسمعيل الظافر وله من العمر ثلاث سنين وقيل خمس فحمله عباس الوزير على كتفه واجلسه على سرير الملك وبايع له الناس واخذ عباس من القصر من الاموال والجواهر النفيسة شيا كثيرا ولما فعل عباس ذلك اختلفت عليه الكلمة وثار عليه الجند والسودان وكان طلايع بن رزيك فى منية ابن خصيب واليا عليها فارسل اليه اهل القصر من النساء والخدام يستغيثون به وكان فيه شهامة فجمع جمعه وقصد عباسا فهرب عباس الى جهة الشام بما معه من الاموال والتحف التى لا يوجد مثلها ولما كان فى اثناء الطريق خرجت الفرنج على عباس المذكور فقتلوه واخذوا ما كان معه واسروا ابنه نصر وكان قد استقر طلايع بعد هرب عباس فى الوزارة ولقب بالملك الصالح فارسل الى الفرنج وبذل لهم مالا واخذ نصر ابن عباس واحضره الى مصر وادخل القصر فقتل وصلب على باب زويله ولما استقر الصالح بن رزيك وقع فى الاعيان بالديار المصرية فابادهم بالقتل والهرب الى البلاد البعيدة وتوفى الفايز فكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين

خلافة العاضد لدين الله وهو اخرهم

هو عبد الله بن الامير يوسف بن الحافظ ولى بعد وفاة ابن عمه الفايز والسبب فى ولايته انه لما مات الفايز دخل الصالح بن رزيك القصر وسال عمن يصلح فاحضر منهم انسان كبير السن فلم يرضه الصالح وامر باحضار العاضد ولم يكن ابوه خليفة وكان مراهقا فولاه الخلافة و زوجه ابنته ونقل اليه من الجهاز ما لا يسمع بمثله وكان العاضد شديد التشيع متغاليا فى سب الصحابة رضى الله عنهم واذا راى سنيا استحل دمه واحتكر وزيره الصالح فى ايامه الغلات فارتفع سعرها واضعف حال الدولة المصرية وقتل امراء الدولة خشية منهم وانفى ذوى الاراء والحزم منها وكان كثير التطلع الى ما فى ايدى الناس من الاموال وصادر اقواما لم يكن بينه وبينهم تعلق **وكان العبيديون** هولاء فى اوايل دولتهم قالوا لبعض العلماء اكتب لنا القابا تصلح للخلفاء حتى اذا تولى واحد منا يلقب بلقب منها فكتب لهم القابا كثيرا وكان اخرها العاضد فاتفق ان اخر من ولى منهم لقب بالعاضد وايضا العاضد فى اللغة القاطع يقال عضدت الشىء فانا عاضد له اذا قطعته فكان عاضدا لدولتهم وقاطعا لها **ومن العجيب** ان احد علماء مصر نقل ان العاضد فى اواخر دولته راى فى منامه وهو بمصر قد خرجت اليه عقرب من مسجد معروف بها فلدغته فلما استيقظ ارتاع لذلك فطلب بعض المعبرين وقص عليه المنام فقال يناله مكروه من شخص مقيم فى هذا المسجد فطلب ذلك بعد جهد فاذا هو رجل صوفى فاحضر اليه فلما راه وساله واجابه ظهر له منه

ضعف

ضعف الحال والصدق والعجز عن ايصال المكروه اليه منه فاعطاه شيا وقال له يا شيخ ادع لنا واطلق سبيله فتوجه الى مسجده فلما استولى الناصر صلاح الدين وعزم على القبض على العاضد واستفتى الفقهاء فافتوه بحل دمه لما كان عليه من انحلال العقيدة وفساد الاعتقاد وكثرة الوقوع فى الصحابة رضى الله عنهم والاستهتار بهم فكان اكبرهم فى الفتيا الصوفى المقيم بالمسجد فانه عدد مساوى هولاء القوم وسلب عنهم الايمان واطال الكلام فى ذلك فصحت رويا العاضد بذلك وكانت وفاته يوم عاشورا سنة سبع وخمسماية **وسنذكر** شيا من ذلك فى ترجمة السلطان صلاح الدين وقيل انه سم نفسه فمات **فكانت** مدة خلافة الفاطميين من حين ظهور المهدى بسجلماسة كما تقدم الى وفاة العاضد مايتين وسبعين سنة وشهرا تقريبا والله اعلم **الدولة العباسية بمصر قد تقدم** ذكر انقراض الدولة العباسية من بغداد واستيلاء التتر عليها وقتلهم الخليفة المستعصم بالله فى سنة ست وخمسين وستماية واستمرت المملكة بغير خليفة نحو ثلاث سنين ونصفا الى ان استقر الحال فى سنة تسع وخمسين وستماية باستقرار الخلفاء بالديار المصرية فى دولة الملك الظاهر بيبرس تغمده الله برحمته

فاولهم المستنصر بالله وكان من امره

ان فى سنة تسع وخمسين وستماية فى شهر رجب قدم الى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص اسمه احمد زعموا انه ابن الامام الظاهر بالله محمد بن الامام الناصر وانه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلسا احضر فيه جماعة من الاكابر منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام والقاضى تاج الدين عبد الوهاب المعروف بابن بنت الاعز فشهد اولئك العرب ان هذا الرجل هو ابن الظاهر محمد بن الامام الناصر فيكون عم المستعصم واقام القاضى جماعة من الشهود واجتمعوا باولئك العرب وسمعوا شهادتهم ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة فاثبت القاضى تاج الدين نسب احمد المذكور ولقبه بالمستنصر بالله وكنى بابى القاسم وبايعه الملك الظاهر بيبرس واهتم بامره وعمل له الدهاليز ليز

والجمداريه والالات الخلافة واستخدم له عسكرا وعزم على تجهيزه جملا قيل ان قدر ما عزم عليه الف الف دينار ثم فى رابع شعبان ركب الخليفة والسلطان والقضاة والامراء الى خيمة عظيمة ضربت ظاهر القاهرة فجلسوا فيها والبس الخليفة السلطان بيده خلعة سوداء وطوقه فى عنقه وقيدا فى رجليه وهما من ذهب وقرئ تقليد السلطان بالسلطنة ثم ركب وشق القاهرة وكان يوما مشهودا وبرز الملك الظاهر الى دهليزه والخليفة الى دهليزه الخاص به ولما وصلا الى دمشق نزل الملك الظاهر بالقلعة ونزل الخليفة بجبل الصالحية ونزل حوله امراؤه واجناده ثم جهز الخليفة بعسكره الى جهة بغداد طمعا فى انه يستولى على بغداد ويجتمع عليه الناس فسار الخليفة بعسكره الى جهة بغداد من دمشق

وركب الملك الظاهر وودعاه ووصاه بالتأني في الامور ثم عاد الملك الظاهر الى
الديار المصريه ودخلها في سابع عشري الحجه من هذه السنة ووصلت اليه كتب
الخليفة المذكور انه قد استولى على عانة والحديثه وولى عليهما واذ كتب اهل
العراق وصلت اليه يستحثونه على الوصول اليهم ثم قبل ان يصل الى بغداد وصلت
اليه التتر وقتلوه قريبا من الانبار وقتل غالب اصحابه وجاءت الاخبار بذلك
فكانت اقامته في الخلافة نحو سنة اشهر رحمه الله

خلافة الحاكم بامر الله العباسي بمصر

وفي المحرم وقيل في الحجة سنة ستين وستماية جلس الملك الظاهر بيبرس مجلسا عاما
واحضر شخصا يسمى احمد كان قد قدم الى الديار المصريه في سنة تسع وخمسين من
نسل بني العباس وبايعه بالخلافة بعد ان اثبت نسبه ولقب بالحاكم بامر الله
واختلف في نسبه فعند نسابة مصر انه احمد بن حسن بن ابي بكر بن الامير
ابي علي القبي بن الامير حسن الراشد بن المسترشد بن المستظهر وعند الشرفاء
العباسيين في درج نسبهم الثابت انه احمد بن علي بن ابي بكر بن احمد بن الامام
المسترشد الفضل بن المستظهر ثم ان الملك الظاهر ترك الخليفة المذكور
في برج محترزا عليه واشرك له الدعاء في الخطبة حسب لا غير فتوفي الخليفة
المذكور في ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعماية ودفن بجوار السيده
نفيسه رضي الله عنها واستمر خليفة اربعين سنة وعاصر من السلاطين
الملك الظاهر وولده الملك السعيد محمد بركه والملك العادل سلامش بن الظاهر
بيبرس والملك المنصور قلاوون والملك الاشرف خليل بن قلاوون والملك
القاهر بيدرا والملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الاولى والملك العادل
كتبغا والملك المنصور لاجين ثم الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته
الثانيه وفيها توفي رحمه الله واستمرت الخلافة بيد بني العباس بالديار
المصريه الى اخر دولة الاتراك التي انتهت بالسلطان طومان بعد عمه السلطان
قانصوه الغوري فكانت عدة الخلفاء العباسيه بمصر
خليفة آخرهم خلان هارون فلما دخل الملك المرحوم الشهيد السلطان سليم
خان بن السلطان بايزيد خان بن عثمان الديار المصريه نهار الخميس مستهل المحرم
سنة ثلاث وعشرين وملك القلعة من الغد وتصرف في مصر والقاهرة وقبض
على جماعة من اهل مصر وارسلهم الى تخت ملكه استنبول ومن جملتهم الخليفة
يومئذ هارون المذكور فاستمر بها الى ان تلقى السلطنة السلطان سليمان خان
عن والده المرحوم سليم خان فاطلقه بعد مدة من استقراره في الملك فتوجه
الى وطنه بالقاهره في البحر فلما خرج الى رشيد توفي بها ومن حسن الاتفاق
بمصر ان احد الخلفاء العباسيين المعتضد بالله داود بن المتوكل على الله لما مات
ولي الخلافة اخوه المستكفي بالله سليمان في تاسع ربيع الاول سنة خمس واربعين

وثمانمايه بعهد له من اخيه داود وشهاد ته له انه ما ارتكب كبيرة ولا صغيرة
في عمره فكتب له في عهده وورث سليمان داود ووقع مثل هذا لاخي قاضي
القضاة نظام الدين التادفي الحنبلي انه لما ولي القضاء كان عمره سبعة وعشرين
سنة عن والده لموته رحمه الله تعالى وقرى توقيعه بسدة الجامع الكبير الاموي
بحلب قراه رئيس القراء ونقيب المتعممين بحلب شهاب الدين احمد البابي رحمه الله
بالشدة المذكورة قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا
واعلم انه لم يقتل من الخلفاء العباسيين المقيمين بمصر احد اصلا بخلاف
من كان منهم ببغداد ومن كان من الامويين بالشام ومن كان من العلويين
بمصر اذ قتل منهم جماعه كما تقدم والله اعلم فصل في ذكر شيء من التاريخ
من اسماء ووقايع على ما تراه روى الامام وجيه الدين منصور المعروف
بابن العاديه في كتابه الدرة السنيه في اخبار الاسكندريه عن الليث بن سعد
رضي الله عنه انه لما غزا عقبة بن نافع بن عبد القيس افريقيه من بلاد
المغرب في وادي القيروان وكان به حيات وعقارب لا توصف فبات عليه
ومعه اصحابه فلما اصبح وقف على الوادي وقال يا اهل الوادي اظعنوا فانا
نازلون بكم ثلث مرات

القسم الثاني من خاتمة الكتاب فيما له علاقة ما ببعض الابواب وفيه فصلان
الفصل الاول فيما اوصى به الاعلام لخاص او عام من مواعظ ونصايح وطيب
حكمة نشرها فايح فمن ذلك مما وقعت به الوصية عند حلول المنية فمن ذلك ما هو
في الوصايا والعهود قال الله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان
وقال تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وقال علي رضي الله
عنه لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الطايف وحج حجة الوداع انزل الله
عز وجل انك ميت وانهم ميتون وانزل ايات اخر فعلم صلى الله عليه وسلم انه
قد قرب اجله فخرج الى المسجد وامر بلالا فنادى الصلاة جامعة فاجتماع الناس
وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال اوصيكم معاشر المسلمين بتقوى الله
الذي فاز به الفايزون وخسر بتركه الخاسرون واعلموا ان الله كتب الموت على
جميع خلقه فلم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل وتكلم بشي اخر ثم حمد الله واثنى
عليه وقال اوصيكم بالصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج من استطاع اليه
سبيلا والاخذ بما احل الله لكم في كتابه وترك ما نهاكم عنه وحرم عليكم واياكم وكبائر
الذنوب التي ليس لها د وذا الله حجابا اللهم هل بلغت ثم قال كلاما ثم قال بعده
اثبتوا على ما فرض الله عليكم بالقران وعليكم به فاجعلوه اماما وقايدا فانه كلام
رب العالمين فحرموا حرامه وحللوا حلاله واعملوا بحكمه وامنوا به واعتبروا بامثاله
اللهم هل بلغت ثم ذكر صلى الله عليه وسلم غير ذلك وقال بعضهم في معنى
ذلك

اوصيكم بالله اول وهلة	واحسابكم والبر بالله اول
وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم	وان كنتم اهل السيادة فاعدلوا
وان انتم اعوزتم فتعففوا	وان كان فضل المال فيكم فافضلوا

وقد تقدمت وصية ابي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه في الباب
الثالث عشر ومن وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك
واعتزل عدوك واحتفظ من خليلك الا الامين ولا امين الا من يخشى الله
ولا تصحب الفاجر فيحملك على الفجور ولا تفش لاحد سرك وشاور في امرك
الذين يخشون الله عز وجل وثلاث يصفين لك ود اخيك تبدوه بالسلام اذا
لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه وثلاث من البغي اذ يسبين
لك من الناس ما يخفى عليك من نفسك وان تعيب على الناس ما تاتي وان الخلق
تؤذي جليسك بما لا يعنيك وقال لا تكثر الحلف فيهينك الله وعليك باخوان
الصدق اكتسبهم فانهم زين في الرخاء وعدة عند البلا وقال للاحنف بن قيس
يا احنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شي عرف
به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه
مات قلبه وقال من ينصف الناس من نفسه يعطي الظفر في امره وقال الذل في
الطاعة اقرب الى البر من التعزز في المعصية وقال من كتم سره كان الخيار بيده

ومن

ومن وصية الامام علي لولده الحسن رضي الله عنهما ما كتب به اليه بحاضرين
عند انصرافه من صفين قال بسم الله الرحمن الرحيم من الوالد
الفاني المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الدنيا الموتى الظاعن
عنها غدا الى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض
الاسقام ورهينة الايام ورمية المصايب وعبد الدنيا وتاجر الغرور
وغريم المنايا واسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب
الافات وصريع الشهوات وخليفة الاموات اما بعد فان فيما تبينت من
ادبار الدنيا عني وجموح الدهر علي واقبال الاخرة الي ما نزعني عن ذكر من
سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي
فصدقني رايي وصرفني عن هواي وصرح لي امري فافضى بي الى جد لا يكون
فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى
كان شيا لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك اتاني وعناني من امري
ما يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا مستظهرا ان انا بقيت لك
او فنيت فاني اوصيك بتقوى الله اي بني ولزوم امره وعمارة قلبك بذكره
والاعتصام بحبله واي سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت
اخذت به انتهى اجبت وسلمت والى هذا المحل ما اتصل الينا من هذا التاليف
الشريف والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وحزبه
برسم من طرز وجنات الطروس ببدايع كلماته البارعه وسلب
عقول اولي الالباب بحكمياته النافعه مبارز فوارس اهل
الحكم والاداب بعلامات الاحكام والاسباب من انتفع
بتعليقات تحريراته كل حكيم وكاتب وحكمة وحاسب
رييس الحكما العارفين والاطبا الحاذقين
في الدوله العثمانيه ادامها الله تعالى
امين امين

على يد العبد الفاني اسمعيل الحلبي الحساني بلغه الله نيل الاماني في
يوم الجمعه من مستهل شهر ذي الحجة الشريفه من شهور سنة الف
ومايه واربعة وسبعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
اجمعين والحمد لله رب العالمين
امين

حسبي النبي وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور [illegible]
وكفى عبده ١١٧٥